عـدد ممتاز
التقويم الهجري لعام ١٣٩٤
هديـة

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

غرة المحرم ١٣٩٤ هـ يناير ١٩٧٤ م - السنة التاسعة - العدد ١٠٩ -



الطريق الذى سلكه الرسول في هجرته من مكة الى المدينة

لا تحزن إن الله معنا

محمد مؤذن



الطريق الذى سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم فى هجرته من مكة المكرمة الى المدينة المنورة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العـــدد ١٠٩

غرة المحرم ١٣٩٤ هـ

ينـــاير ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـكويت فى غـرة كل شـهر عـربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغـرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـوان المراسـلات :

مجلة الوعى الاسلامى ـ وزارة الأوقاف والشـئون الاسـلامية

صندوق بريد : ١٣ ـ كويت ـ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الهجرة
بين ماضينا وحاضرنا

للدكتور محمد بيصار

فى مستهل هلال شهر المحرم من كل عام هجرى ، يستعيد المسلمون ذكريات امجادهم ، ويستحضرون معالم تاريخهم ، ويستذكرون ما اسهمت به الأمة الاسلامية فى هذا التاريخ الطويل ، فى بناء الحضارة الانسانية ، وما شاركت به فى ركب التقدم العمرانى ، ثم ما بذلته هذه الأمة من افئدة ابنائها وقلوب عمارها ، وجهود أفرادها وجماعاتها من أجل اسعاد الجنس البشرى بصفة عامة ، وتقرير المصير العربى ، بل وتقييمه بصفة خاصة .

وكان مقترنا بذلك كله ، بل وإصلا لذلك كله ما أفاضت من المعانى الجميلة ، والقيم الرفيعة ، والنفوس الصافية ، المطمئنة على مجتمعها وعلى الناس كافة ، من فضائل ومثل ، ومن خلفيات عظيمة استقتها من تعاليم دينها الحنيف واستمدتها من نبع حضارتها المتدفق بالاصالة والازدهار ثم دفعت بها دفعا الى الحياة للناس تصبغها بكل خير ، وتحملها على حب الحق ، وتحضها على اداء الواجب والسمو بالنفس والضمير الى الاقتراب — ما أمكن — الى المجد المستطاع والتأسى بنور الرسالة الوهاج وصبح الاسلام الابلج ، ومشرق الحقيقة الخالدة فى النفوس الزاكية الصاعدة .

هذا ما اعتاده المسلم عندما يشهد هلال شهر المحرم من كل عام هجرى وكأنه يحاول حينذاك وبايجابية خالصة مخلصة ، وعزيمة صامدة صابرة أن يحدد فى ضوء ذلك كله مسيرته الى الله أولا ، وطريقه الى الحياة ثانيا ، ولعله لا يحس حينئذ بتناقض بين مسيرته الى ربه وطريقه الى واقعيــة فعالة فى حيـاة تتطلب العمل بمقدار ما تنكر الكسل وتنشد القوة بمقدار ما تنبذ العجز ، وتعانق العلم والمعرفة بمقدار ما تباعد بينها وبين الجهل والقصور ، لا يحس المسلم بأى تناقض أو تناحر بين هذا وذاك لان الاسلام ليس نظرية بغير تطبيق ولا جسدا من غير روح ، وليس حياة جامدة وإنما الاسلام تعليم روحى متدفق بكــل أسباب الحياة وعقيدة حقة بها من الطاقات البدنية والفكريــة والروحية ما يحيل المثاليــة الرفيعة والمبادىء المسطورة فى ضمير المؤمن الى واقع حى خلاق يثرى الحياة ، وينميها ويرقى بالوجود الانسانى فى مختلف جوانبه بل ويلبى حاجاته فى جميــع أوجه حياته .

ومن هنا يأتى المغزى الكبير لهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه معه من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ولا يقتصر هذا المغزى الكبير على هــذه المعانى الجميلة والقيم الرفيعة والمبادىء الخالدة وانما يتعداها الى واقعيــة حية وممارسة عملية لرسالة المسلم والحياة (١) بتنشيطها وعمارتها واستخراج ارزاقها (٢) واستثمار خيراتها والأخذ باسباب القوة المادية بشتى صنوفها وأوجه ادائها .

وبذلك يصل المسلم الكامل دينه بحياته ، ويحيى الارض ويعمــرها بنشاطه كما يصل نفسه بربه ويعمل ما استطاع على الاقتراب من جلاله الأسمى ونوره الأسنى وبهاتين الصلتين ــ صلة المسلم بالله وصلة دينه بالحياة ــ يكتمل الوجود الإنسانى ، وتؤدى وظائفه فى إطار من الفهم الدقيق ، والوعى العميق ، بل يكتمل الوجود الكونى كله حيث تنسق الصلة بين الخالق والمخلوق وتتحقق عبودية العابد للمعبود فى ثمار العمل النافع والقوة الصامدة والدأب الصابر المثابر على تطوير الحياة الانسانية وتأمين مسيرتها ودعم اصرارها .

ولم تكن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة الا تأكيدا واثقا لكل هذه المعانى وترسيخا لها فى قلب المؤمن .

لم يقتصر عليه السلام على تبليغ الدعوة الى الناس وانما أخذ مع ذلك بأوجه الحياة وبقوانينها التى لا تتخلف ادراكا منه عليه السلام ومن صفوة الأخيار بــأن الكلمة وحدها لا تفى وبأن الحق بنفسه لا ينتصر وبأن المبــدأ بدون تطبيق عملــى وممارسة واقعية كلا مبدأ .

ومهما أوتى الحق وأصحاب الحقوق من بين الشواهد وقوة الحجج علــى صدق مبادئهم مما ينحصر فى دائرة القوة المعنوية فان ذلك وحده لا يكفى لانتصار حقهم اذا ما تسلح خصومهم بالقوة المادية وحصلوا من اسبابها ما يتفوقون به على أهل الرشاد ، وكما ان نفاسة الجواهر وجودتها لا تحميها من عبث العابثين بهــا

وكما ان بريق الماس وغلاء ثمنه لا يحول بينه وبين الاعتداء واختلاسه من خزائنه ، وكذلك الحق بحقيقته وخيريته وجودته وبكل ما يتصف به من فضل وشرف لا يحمى نفسه من أباطيل المبطلين وجحافل المعتدين .

لهذا كان لا بد للحق من قوة تحميه واعداد يصونه ودفاع صامد فعال يأخذ بكل ما يمكن من أسباب القوة .

هكذا كان التصور الاسلامى للهجرة وهكذا كان المغزى الكبير لها لذلك هاجر الرسول الى المدينة وخطط لاستراتيجية عسكرية واقتصادية وسياسية ووطد العزم على ان يأخذ بكل ما يمكن من سببه وبكل ما يستطاع من عمل يسير به خطوة نحو قهر أعدائه واعداء دعوته والانتصار عليهم وتثبيت دعائم الحق وأركان الدولة الاسلامية فى أرض الله ومن أجل نصرة دين الله .

ولم يكن أمرا عارضا ولا صدفة محضة ولا مجرد خاطر أن يختار الرسول المدينة المنورة دارا لهجرته وملجأ لدعوته ومقرا لدولته وحاشى أن تكون الهجرة فرارا من أعدائه أو خوفا على نفسه واتباعه وطلبا لشىء آخر غير نصر الله وانما كان ذلك لأهمية الموقع الاستراتيجى للمدينة من الناحيتين العسكرية والاقتصادية لقد كان فى شمال الجزيرة العربية أكبر دولتين عظيمتين فى العالم حينذاك هما دولتا الفرس والروم وكان فى مكة معقل الشرك وقوة المقاومة للاسلام على يد كفار قريش فلو ان — الرسول هاجر الى اليمن فى جنوب الجزيرة أو الى شرقها مثلا لأعطى الفرصة لكل القوى المناوئة له أن تلتحم وأن تتماسك فى جبهة متحدة فيتعرض لمواجهتها ومن ورائه المحيط الذى لا يسمح لكفاحه ولجيوشه بحرية الحركة وفنية المناورة ولكنه فى المدينة يستطيع أن يكون ذا موقع متوسط بين **أعدائه** فى شمال الجزيرة وبين **أعدائه** فى مكة فلا يسمح بلقاء بينهما ، كما أنه يستطيع من هذا الموقع نفسه محاصرة قريش اقتصاديا وتهديد تجارتها الى الشام التى كانت تمثل أكثر من سبعين فى المائة من ثرواتها .

ولكن دورات الفلك لا تقف والتاريخ الاسلامى يعيد نفسه وما أشبه الليلة بالبارحة فها هى ذكرى الهجرة فى عام ١٣٩٤ تأبى أن تكون تكرارا أو أن تكون مجرد انفعال بذكريات طيبة عطرة ، وإنما تقترن بمثل أعلى ، وتتجسم فى واقع حىّ لهذا المغزى الكبير للهجرة ، واقع يشمل جوانب الوجود العربى بصفة خاصة والكيان الإسلامى بصفة عامة فيصبح وكل فرد فيه مهاجر ويمسى وكل شعب فيه مرابط لا ببدنه فقط ولا بروحه فقط ولا بوجدانه فقط ولا بمشاعر فياضة ولا بشعارات فضفاضة ، ولكن يهاجر بالمغزى الكبير للهجرة ويناضل بالمعنى العميق للنضال ويفدى بالاسلوب الشريف للفداء . يهاجر من السلبية الى الايجابية ومن التفرقة الى الوحدة ومن الاحجام الى الاقدام ومن الضعف الى القوة ومن الخور الى الاصرار المصر المعاند على الجهاد حتى النصر .

يهاجر من ماله الى انفاقه فى سبيل الله ، ومن نفسه فداء لها من أجل الدين والوطن، ومن مضجعه إلى ميدان الشرف والجهاد، ومادام الهدف مشتركا والمصير

مشتركا والكفاح مشتركا والرباط القومى والدينى وشيجته ولحمته تعدل لحمة النسب ان لم تفقها فمن الطبيعى أن يملى ذلك أنواعا أخرى من الهجرة ويملى على شخصية المسلم أن يهجر الاحقاد الى الحب والوداد ، وان يهجر نوازع الشر ووساوس الشيطان الى قيم الخير ورضوان الرحمن .

وقد شاء المولى عز وجل ان يكرم عباده المؤمنين وان يبارك مسيرتهم ويسدد خطاهم وان تتمثل هذه الهجرات كلها فى السادس من أكتوبر وفى العاشر من شهر الانتصارات شهر رمضان ١٣٩٣ هـ .

لقد ربط العرب والمسلمون فى ذلك اليوم ومنذ فجره الاول بين النظرية والواقعية وحققوا ذلك التكامل بين جوانب وجودهم ونواميس كونهم الذى يحيون فيه فاتخذوا لصراعهم من أجل الحق أسلوبا جديدا وشقوا لمخططاتهم أنفاقا تحت الأرض تأمينا لسيرها وضمانا لدعمها وامعانا فى اخفاء أسرارها وحين اذن مؤذن الجهاد وانتفضت القوى العربية والجيوش العربية الباسلة لعبور القناة وتحطيم خط بارليف وانقضوا على قوى العدو فى الجولان . فما كان للامة العربية أن تصبر صبر أولى العزم من الرسل الا لكى تنتصر ولا ان تسكت الا ليتكلم الحديد والنار أو تنتظر الا أملا فى سلام قائم على احقاق الحق وسعيا وراء قضاء عادل من المنظمات الدولية يرد الحق لاصحابه ويرد المعتدى ويقر قاعدة الحق والعدل والسلام .

ويوم أن يئس العرب من كل المحاولات السلمية لاسترجاع حقوقهم المشروعة ويوم أن رأوا عدوهم قد اهدر القيم الانسانية وتنكر لمبادىء الاديان السماوية واعتدى على حقوق الانسان وداس المقدسات يوم ان ايقنوا ذلك كله لم يكن أمامهم الا أن يبرزوا أصالتهم وان يفجروا كوامن طاقتهم وان ينطلقوا الى تحرير أرضهم بالاسلوب الذى يفهمه الأعداء ولا يفهمون غيره وبالقوة المادية التى يخشاها الأعداء ولا يخشون سواها .

وقد شاء الله ان يطل علينا الهلال الجديد لشهر المحرم ١٣٩٤ هـ والمعركة ما زالت قائمة والهجرات متدفقة والاصرار متصاعدا والترصد لاسترداد الحق المغتصب وتحرير الارض السليبة والقدس الحبيبة يزداد يوما عن يوم كما وكيفا .

فالى مزيد من الاصرار ، والى مزيد من الفداء ، والى مزيد من الصمود حتى تعلو كلمة الله وينتصر الحق ، ويعم السلام أرض السلام على يد أولياء الله ، ودحضا لأولياء الشيطان .

(الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) .

نظرات في سورة الأنعام

للشيخ / محمد الغزالى



سورة « الأنعام » من السور الطوال التى نزلت بمكة تقيم قواعد الإيمان وتنصب حوله البراهين وتجادل عنه الأعداء والجاهلين ..

وأسلوب السورة يتسم بالأخذ والرد ، والحوار الحى ، والنزول الى أرض الواقع واستخراج كل ما لدى المشركين من شبهات ومزاعم .

ولذلك تكررت كلمة « قل » للنبى — عليه الصلاة والسلام — أربعا وأربعين مرة يتنزل بعدها التوجيه الإلهى اعلانا للحق وخذلانا للباطل .

وسورة الأنعام بهذه الخاصة من أشد السور قمعا للضلال ، واخمادا لأنفاسه ، واعلانا لمنار التوحيد وجمعا للأفكار والأفئدة عليه .

ونبدأ بالقاء « نظرة » على مراحل الصراع بين الاسلام وأعدائه فى هذه السورة المباركة ...

* * *

إن الحق الغريب فى البيئة العاتية يبدأ ضعيف الشأن قليل الناصر يلقاه الأقوياء بالنظر المتجهم ويتناولونه بالسخرية الظاهرة ويرفضون رفضا شديدا أن يدخلوا فيه بل أن يسمحوا له بالسير .

والله عز وجل فى هذه السورة يوجه الحديث الى الطرفين المتنازعين فيطلب من المشركين أن يحذروا المستقبل وان يتأملوا فى تاريخ الماضين لتنحسم سخريتهم : **« ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون . قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ! »**

وفى الوقت الذى ينبه المشركون فيه الى مصيرهم يقال لصاحب الرسالة ومن معه من المؤمنين : **« ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم**

نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله . ولقد جاءك من نبأ المرسلين » .

أى اثبتوا أيها المؤمنون ، وتحملوا صنوف الأذى ، وصابروا الليل الطويل حتى يطلع فجر النصر — ولا بد أن يطلع — فان كلمات الله لعباده وقوانينه فى خلقه لن تتغير . ويمكن استقراء الصراع القديم بين الهدى والضلال لتعرف هذه الحقيقة ..

بيد أن حبل النزاع طويل ويظهر أن طوله يستغرق أعمارا كاملة وأن النتيجة المرتقبة تتحرك ببطء رهيب .. بطء يغرى الكافرين بالتطاول والصلف وتكاد معه أرواح المؤمنين أن تزهق .

وتستطيع أن تتبين موقف الفريقين فى هذا الحوار : **« قل : إنى على بينة من ربى وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به . ان الحكم إلا لله . يقص الحق وهو خير الفاصلين . قل: لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم .. »**

إن الله عز وجل يعطى المبطلين فرصا واسعة ليؤمنوا اذا أرادوا ، ويبدو أن سعة هذه الفرص لا تزيدهم إلا ضراوة . ولقد راقبت سيرة المشركين مع النبى عليه الصلاة والسلام فوجدت ان المشركين أنفسهم هم الذين فتلوا الحبال التى شدت حول أعناقهم وأجهزت على حياتهم .

إنهم هم الذين صنعوا معركة بدر وكانوا قادرين على العودة من حيث جاءوا بعد نجاة قافلتهم لكن مشاعر الكبر التى أدارت رءوسهم وترجم عنها أبو جهل فى كلمته الحمقاء « لا نعود حتى ننحر الجذور ونشرب الخمور وتغنى لنا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا » . هذه الكلمة هى التى الحقت بالشرك أول هزيمة قاتلة ، واحنت رأسه احناء مذلا الى آخر الدهر وكما فعل المشركون بأنفسهم ذلك فى بدر كرروا صنيعهم قبيل الفتح الأعظم ليعطوا المسلمين حق دخول مكة بعدما نقضوا العهد المبرم ورفضوا الهدنة الممتدة .

إن الخط الذى رسمه القدر كان فوق فكر البشر وذلك هو السر فى قول الله لنبيه :

« قل : لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم والله أعلم بالظالمين » .

إن على أهل الحق شيئا واحدا أن يعيشوا به وأن يعيشوا له ..

أما كيف يديل الله لهم من عدوهم فهذا ما أستأثر العلم الإلهى به وتعجز القوى عن دركه وارتفاع أهل الحق الى مستواه فى خلقهم وسلوكهم شىء صعب ولكن ما منه بد .

ثم هم بعد هذا الارتفاع لا بد أن يخضعوا لسنن الله الكونية التى تتناول أولياءه وأعداءه على سواء ويعد التعرض لها جزءا من الاختيار الشامل فى قصة الموت والحياة ..

.. وتأسيسا على ذلك يأمر الله نبيه أن يفهم المؤمنين بأنه « بشر » لا يملك طاقات فوق العادة وأنه يتعرض مع جماهير المؤمنين لتكاليف الصراع الخالد بين الإيمان والكفر فلا هو صاحب مال لا ينفد ولا هو مدرك للغيوب ، ولا هو ملك متخفف من خواص المادة الانسانية . إنه صاحب دعوة اصطفاه الله لفتح البصائر المغلقة وهداية الجماهير التائهة .

« قل : لا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إنى ملك . ان اتبع الا ما يوحى الىّ قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون » .

وقد قضت الحكمة العليا أن تغير الظروف التى يعيش البشر فيها تغييرا يرغم على الانتباه لما يطلب منهم فان الناس اذا الفوا النعماء قلّ تقديرهم لها وقل شكرهم لمرسلها الكبير وقل اكتراثهم بحقه وقل

استماعهم لرسله .

ومن ثم فان الله يسلبهم ما يطغيهم لعلهم يعتدلون !

وقد صح أن النبى عليه الصلاة والسلام لما رأى كبرياء قريش وطول صدورها دعا الله عليهم فقال : « اللهم سبعا كسبع يوسف !! »

اى أرسل عليهم سبع سنين عجاف تكسر كبرياءهم وترد اليهم صوابهم .

وهذا علاج حق فان الذاهب بنفسه قد يتواضع ويعقل اذا فقد ما غره من مال أو جاه .

وفى هذه السورة الكريمة يقرر الله جل شأنه هذه السنة الحكيمة : **« ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون »** .

والبأساء : سوء الأوضاع الاقتصادية . والضراء : سوء الأحوال الصحية .

وليس اضرى بالأفراد والجماعات من هذين البلاءين وجدير بمن فقد صحته وماله أن يجأر الى الله تائبا طالبا النجدة . .

ومع ذلك فان هناك شعوبا بليدة تنزل بها القواصم فما تطلب من الله رفعها وما تقف بساحته منيبة ضارعة بل تبقى على غوايتها وكفرها « فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » .

وهذا لون خطير من موت القلوب وعصف الشهوات بالأمم وقد كان المفروض أن الآلام ترد الناس الى بارئهم كى يحجب سخطه عنهم فاذا أوذوا وظلوا فى عماهم فمعنى ذلك أن الفساد تغلغل فى كيانهم واستبد بزمامهم .

وقد يطول بالأمم العناء ــ والحالة هذه ــ كما قال تعالى فى سورة اخرى : **« ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون . ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون . حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون »** (المؤمنون ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧) .

لكن سورة الأنعام تذكر لونا آخر من مكر الله بالأمم فان الله يرفع العذاب النازل بالأمم الشاردة ويعيد إليهم ما فقدوا من نعمة ومتاع بل ربما أرسل اليهم أكثر مما الفوا ليزدادوا ترفا وشرها : **« فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين »** .

إن قطع دابر « المتكبرين » بعدما طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد نعمة تقربها العيون وتنشرح بها الصدور وتتبادل عليها التهنئة ويشكر عليها رب العالمين . .

وظاهر من وصف القرآن لمراحل التغيير من رخاء الى شدة ومن شدة الى رخاء أن الزمان طويل وأن أهل الحق خلال أيامه ولياليه يجب أن يصبروا ويصابروا «والعاقبة للتقوى» نعم زمان طويل يبدأ فيه النضال والباطل قوى مستقر والحق ضعيف منكور ثم تنشب الحرب النفسية والدموية لتتغير بعدها الاوضاع فيقوى الحق ويضعف الباطل بيد أن هذا التغيير يقطع من الزمن طريقا طويلا والى قبيل النهاية لا تؤذن الامور بانهيار فى جبهة الضلال بل قد تظل مرهوبة الجانب محذورة الشر .

ولذلك فان المعادن الهشة تتفتت على مراحل الطريق ، وينجم النفاق ، ويؤثر الضعاف والجبناء أن ينجوا بأنفسهم ويستريحوا الى دنياهم .

من اجل ذلك يأمر الله نبيه بالثبات على الحق وتثبيت المؤمنين عليه

ويكشف له عورات الشرك ومقابحه لينفر العقلاء منها ويفروا من طريقها **« قل : أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران !!.. »**

فليبق الحيارى ضالين عن رشدهم وليلزم المؤمنون صراطهم المستقيم مهما تجشموا من مشقات **« وأمرنا لنسلم لرب العالمين . وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون »** .

لكن متى ينتهى هذا الصراع ؟ وترتفع راية الحق ؟ لا ندرى ! ولا بد من نهاية له على أية حال **« لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون »** .

وعلى أصحاب الإيمان طال المدى أو قصر أن يعيشوا له ، وأن يعيشوا به . وهذا المعنى هو الذى سيطر على المسلمين فى العصر المكى فتكون منهم جيل اعتنق الاسلام وربط به سفره واقامته ، وتعبه وراحته ، وصداقته وخصومته وحياته ومماته.

وقد قررت سورة الأنعام ذلك فى خواتيمها لتجعل فيه منهجا خالدا لكل جيل مكافح الى قيام الساعة .

وعلى صدر الطريق نلمح خاتم الأنبياء يتلو ما أمر الله به **« قل : إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »** ..

.. أجل انه الأول تجردا لله وتبتلا اليه ودأبا على عبادته وتسبيحا له وتمجيدا وركوعا وسجودا ثم .. حماية لهذا الدين بالنفس والمال . فالحياة لله والموت فى سبيله .

وعندما استوحش التوحيد فى زحام العالم وطمعت الخرافة أن تأتى عليه من القواعد . نهض الانسان الكبير « مُحمَّدٌ بن عبد الله » ورمى بكل ما يملك من طاقات فى المعركة اليائسة المضطربة فاذا الشيطان يخور .. واذا الشرك السافر والمقنع يتقهقر ..

وإذا التوحيد الخالص يتقدم ويشيع ..

وإذا العدالة فى الحساب والسلوك تتقرر **« قل : أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء ولا تكسب كل نفس الا عليها . ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون »** ..

إن الخلاف الدينى سوف يبقى ما بقيت الأرض ولن يبت فيه الا الله وحده ! وستنشأ الأجيال الجديدة وهى فى مهدها حاملة مظاهر هذا الخلاف .

والمهم أن يكون المؤمن بالله ورسوله رفيع اليقين والخلق معا ، طاهر القلب والسيرة جميعا . مقتفيا أثر نبيه العظيم وهو يؤكد أن صلاته ونسكه وحياته ومماته لله جل شانه. إن هزائم الحق فى أغلب الأحيان تجيىء من تفريط المؤمنين وهبوطهم دون هذا المستوى المطلوب فمن ولد مسلما ورزقة الله هذا الشرف فليعلم أنه مكلف بخدمة الحق وتزيين صورته وتنقية حقيقته ، وحسن عرضه والقيام به وتلك هى الفريضة المنوطة بعنقه .

إنك لم تولد مسلما تفضل غيرك دون جهد مبذول وعبء محمول ، بل قد يفضلك غيرك يوم تبتذل النعمة الموروثة وتتركها للضياع أو الامتهان.

— ٢ —

فى هذه السورة الجليلة نلمح منطق القرآن الكريم فى بناء العقائد وغرس الإيمان وهو منطق بعيد عن التقعر ، برىء من الغموض يقوم على وصف الله جل شأنه بما ينبغى له من نعوت الجلال والكمال ، ويلفت النظر الى آفاق الملكوت كى يدرك الانسان

عظمة ربه خلالها . وصدر سورة الأنعام يتسق مع هذا المنهج فقد بدأ الكلام بحمد الله خالق السموات والأرض وجاعل الظلمات والنور . ثم لفت القرآن الكريم النظر الى تاريخ الأمم الأولى وموقفها من قضية الإيمان وكيف أن غفلتها هوت بها ! وأن حجودها لنعمة الله أوردها شر الموارد .

« الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم . »

بيد أن جماهير الناس ربما ضاقت بهذا المنطق ولم يعجبها أن تقاد من عقلها ، ولا أن تستثار مواهبها العليا كى تؤمن . انها تريد شيئا آخر ، تريد خوارق للعادات تشد انتباهها أو تشبع فضولها أو تتجاوب مع الاتجاهات المادية فى ذوقها وحكمها والرسالة الخاتمة لا ترتضى هذه النزعة ولا تحمدها .

ومن ثم فان المنطق القرآنى مضى فى طريقه يحرك العقل الجامد ويطلب اليه أن يؤدى وظيفته العتيدة فى البحث والموازنة والحكم .

والعرب فى جاهليتهم أصروا على مقترحاتهم فى ضرورة أن تسند الدعوة « معجزات حسية » وقاوموا النداء المتتابع بضرورة أن يفتحوا عيونهم الى آيات الله فى كونه وإبداعه فى خلقه ودلائل عظمته المسطورة بين سمعهم وبصرهم .

ونحن نرى أن اصرار الجاهلية على موقفهم إنما نشأ عن عناد كريه ، وجحد بكل ما يجب التسليم به من مقررات انسانية محترمة . ولو أنهم أجيبوا الى ما طلبوا ما اعترفوا بالحق ولا انقادوا له وهنا نجد فى سورة الأنعام مجموعة من النصوص تشرح هذه الحقيقة :

« ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا : إن هذا الا سحر مبين » فهم لا يؤمنون ولو نزل عليهم كتاب من السماء يلمسون أوراقه ويحسون وجوده !. وقد طلبوا أن يتحدث اليهم أحد الملائكة لكن كيف يتم هذا ؟!.

ان البشر جهزوا بحواس محدودة لا تستطيع أن ترى الماديات الا فى حجم معين ، وعلى بعد معين فكيف ترضيهم السماء « **وقالوا : لولا أنزل عليه ملك .. ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون** » أى أنهم سيسترسلون فى عنادهم ويرفضون الايمان بعد استجابة مطلبهم وعندئذ تعجل عقوبتهم وينزل بهم العذاب الأليم .

... على أن ذلك كله مع قدرتهم على رؤية الملك فى طبيعته النورانية . فاذا استحال ذلك وتجسد لهم الملك فان الشبهات باقية والمراة مستمرة « **... ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ...!!** »

وتناولت سورة الأنعام الخوارق مرة ثانية فى قوله تعالى : « **وقالوا : لولا نزل عليه آية من ربه قل : ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون** » .

... أى أن الخوارق المطلوبة ليستمما يعجز القدرة العليا . ولكن الحكمة الإلهية فوق رغبات الطفولة . وعندما يريد الصغار الا يكبروا ...

وعندما تريد الانسانية الا ترتفع الى مستواها العقلى . فانه لا بد من ارغامها على الصعود والأخذ بيدها الى أعلى وتكليفها أن تحترم العلم . ولعل ذلك السر فى أن النبى عليه الصلاة والسلام قارن بين ما منح من معجزات . وما اجراه الله على أيدى المرسلين الأولين من آيات ثم قال : « ما من نبى من الأنبياء قبلى الا وأوتى من الآيات ما على مثله آمن البشر وكان الذى أوتيته وحيا أوحى الى .. فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم

القيامة » .
ان هذا الحديث يشعر بأن الله جل شأنه يريد أن يبني الناس إيمانهم على حسن البحث والنظر وصدق الفطانة والاستنباط لا أن يهملوا افضل ما اوتوا ، وينتظروا القوارع والخوارق كي يعرفوا ربهم .
والمرء عندما يجحد الخاصة التى رجح بها بقية الحيوانات ويريد أن يحيا بغرائزه البدائية وأفكاره الساذجة وحدها .. لا ينبغى أن يجاب الى ما يشتهى . وهذا سر ختم الآية بقوله جل شأنه « **ولكن أكثرهم لا يعلمون** » .
وتعود سورة الأنعام الى تصوير لحاجة المشركين فى طلب الآيات الحسية وتعليق الايمان على وقوعها. قال تعالى : « **وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل : إنما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب افئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون** » .
ومن حقنا أن نتساءل عن قيمة هذا القسم من مشركين سووا بالله مخلوقاته وحلفوا أيضا على أنه لن يبعث احدا وان الدنيا هى الحس كله ولا شيء بعده ...
إن هؤلاء المشركين كأنما يذكرون اسم الله من باب الاسترسال مع الخصم . او كأنهم يقولون : نقسم بالله الذى تزعمونه معشر المؤمنين وتتعلقون به .
اى قسم هذا ؟؟!!
... إن الأمر لا يعدو التشبث بما اقترحوه من قديم . اى انهم ما زالوا متعلقين بالخوارق التى بنوا عليها إيمانهم وهى ان جاءت فلن تؤسس فى نفوسهم يقينا ولن تزحزحهم قيد انملة عن جاهليتهم التى ورثوها واوهامهم التى الفوها ...

.. وما الظن بقوم يقولون لله : « **إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم** » .
اما كان حريا بهم لو كانوا مخلصين ان يقولوا : **اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ...**
ولكنها الطفولة البشرية كما قلنا : هى التى دفعت الى هذه المطالب دون تقدير لها . أو ارتباط بنتائجها .
ولا بد من أن نسجل هنا خطأ سرى فى الفكر الاسلامى سريانا مستفزيا هو : اهتمام المسلمين بالخوارق وربط الصلاح النفسى بها حتى أصبحت الولاية عند الجماهير لا مفهوم لها الا وقوع الخوارق على أيدى الأحياء أو الأموات !!
إن هذا الخطأ امتداد للطفولة البشرية التى أنكرها الاسلام على الجاهلين القدامى عندما تشبثوا بخوارق العادات وربطوا صدق النبوة بها . واستهانوا بقيمة العقل فى تقديرها واثباتها ..
وعلماء الكلام .. بل علماء الأديان عموما لا ينكرون وقوع الخوارق . ولكنهم يرون أن هذه الخوارق الواقعة عديمة الدلالة على ما يزعم لها إذ هى تقع من المؤمن والكافر والبر والفاجر . وفى كتب علم التوحيد عندنا تسميات شتى لخوارق العادات بحسب صدورها من الناس ولم يقل احد أن لهذه العجائب دلالة حاسمة او غير حاسمة على صدق الايمان وقرب المنزلة عند الله .
... الولاية كما عرفها القرآن الكريم هى : الايمان والتقوى سواء حدث لصاحبها شيء من هذه العجائب ام لم يحدث !!
وقد نبه المحققون الى ذلك عندما قالوا : « لو رأيت إنسانا يطير فى الهواء أو يمشى على الماء فلا تشهد

له بخير حتى ترى مسلكه مع الكتاب والسنة » .
وهذا كلام جيد وهو يربط الكمال المنشود بالرقى المعنوى والاستقامة النفسية ولا يعطى ما وراء ذلك قيمة ما ..!.. اننا عندما نتدبر سورة يوسف نجد انها تضمنت ثلاث رؤى كشفت عن المستقبل . فجاء تطبيقها صادقا كوضح النهار .

- أولى الرؤى الثلاث : لنبى كريم المعدن . حسن الدعوة الى الله.
- أما الرؤييان الأخريان : فهما لقوم لا يعرفون الله ولا يحسنون معاملته .

بعضهم كان سجينا وعاش بعد سجنه يسقى سيده الملك خمرا . والبعض الآخر كان ملكا غريبا على دائرة الايمان ومنطقه .
وقد بنيت خطة الدولة الاقتصادية على رؤياه خمسة عشر عاما . وأحسبنى لو صورت فكر المسلمين الآن لقلت : انهم يحسبون الرؤيا الصادقة امارة على عظمة المنزلة عند رب العالمين ولو كان صاحبها لا يعرف صلاة ولا صياما . وقد لاحظنا ونحن نقرأ سورة الأنعام انها زجرت المشركين زجرا شديدا لتطلعهم الى الخوارق ، وغفلتهم عن التدبر والوعى .
والسورة بهذه اللفتة الكريمة تريد أن تنبه الى أن العظمة الانسانية لها اصولها العتيدة وأبعادها المحددة . واذا كان الله قد رزقنا عقلا فيجب على هذا العقل أن يبحث ويقضى .. والأديان انما تستمد وجاهتها وتستحق القبول بما حوت من زكاة للنفوس ورشد للسلوك .. والأديان الفاشلة أو المهتزة القواعد تتحايل على اثبات صحتها وجمع الناس حولها باطلاق الاشاعات عن خوارق وقعت لأحيائها أو موتاها .
وهذه الخوارق فى الأغلب مفتعلة لا تعتمد على شىء .. انما هى الخيال أو التوهم ولو أن ما زعموه كان صحيحا ما دل هذا على شىء طائل فان الأديان تقوم على الصدق العقلى والنضارة الخلقية . وهذا ما طلبت منا سورة الأنعام أن نستيقنه وأن نبنى عليه حكمنا . هل معنى ذلك أن حياة « محمد » عليه الصلاة والسلام كانت خلوا من الخوارق ؟؟ كلا !..

لقد صحت « الأسانيد » أن جملة من الآيات الباهرة ظهرت فى سيرة النبى الكريم ، ورأت جماهير من الناس كيف زاد الطعام فى يده وكيف نبع الماء من بين أصابعه وكيف هطل المطر توا استجابة لدعوته ، وكيف.. وكيف ..

.. ان عشرات من هذه الآيات الحسية ثبتت له — عليه الصلاة والسلام — ولكن هذه الآيات لم تعتبر سنادا لاثبات النبوة ولا كان بها التحدى الى آخر الدهر ..
لقد اعتبر أمرها ثانويا بالنسبة الى القرآن الكريم .. الكتاب الذى أحيا الفكر وأيقظ القلب وانهض الأمم ودفع الأجيال فى طريق حضارة يانعة وربط بين الناس وربهم ربطا يتجدد على مر الأيام اذ لا يزال هذا الكتاب منذ نزل الى يوم الناس هذا .. الى أن يرث الله الأرض ومن عليها صانع الايمان الحر . وسائق العقول بطريق الاستدلال الى معرفة ربها والانقياد له .
هذه السورة المكية حافلة بالدلائل التى تسوق الناس سوقا الى الله . وتفتح الأبصار على الآيات الشائعة فى ملكوته ، والروائع التى بثها هنا وهناك تشهد بوحدانيته وعلوه ولطفه .
ان بعض المستشرقين والمبشرين تحدث عن الأسلوب المكى فقال : انه عاطفى يعتمد على الاثارة أكثر مما يعتمد على التفكير ، وتبعهم فى ذلك

سماسرة مستأجرون فى ميدان الأدب والثقافة تحمسوا لهذه الأكذوبة وأخذوا يروجونها ..

والقضية كلها دعوى تافهة ، وسورة الأنعام — من بين السور المكية — مليئة بالبصائر التى تنير طريق الحق وتجلو الغشاوات عن سالكيه .

وكلمة « بصائر » فى قوله تعالى : **« قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها »** هذه الكلمة واضحة الدلالة على العمل العقلى الذى يمزق الظلمات ويكشف الشبهات ويعرّف الناس بربهم عن طريق السريرة الصافية والفطرة الواعية .

وعلى ما ألفنا فى هذه السورة نسمع بعد كلمة « قل » سؤالا عن رب المكان يجيىء على هذا النحو **« قل لمن ما فى السموات والأرض ؟ قل لله » أهو رب المكان وحده ؟ لا . إنه رب الزمان أيضا « وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم »** .

إن اليقين فى تلك السورة يؤسس على النظر العقلى المتأمل المستنتج الذى يستعرض شتى الفروض ثم يرفض الخطأ ويقر الصواب ، وانك لترى ذلك فى السياحة الفلكية التى تضمنتها هذه السورة لإبراهيم عليه السلام ، وهو ينتقل من الكواكب الى مكوكبها ، ومن الشارق الغارب الى من لا يغيب تجليه ، ولا تنقطع قيوميته على العالم الرحيب **« وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين »** .

ومن ثم نلحظ أن وصف الله فى هذه السورة يجيىء أحيانا بعد اسمه العلم الظاهر ، وأحيانا بعد ضمير الغيبة ، فيكاد الوصف البارز ينقل ضمير الغيبة الى ضمير حضور وقد بدأ ذلك من الصفحة الأولى فى السورة :

« هو » الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا .. » .

.. و « هو » الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم .. »
.. و « هو » القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة .. »

.. و « هو » الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار .. »
.. و « هو » الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر .. »

.. و « هو » الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع .. »

ويظل الأمر كذلك حتى آخر السورة ، فكما بدئت بضمير الغيبة الذى يبعث على الشهود ختمت به .

.. و « هو » الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم .. »

وهكذا تقف الانسانية كلها بازاء الاختيار الكبير الذى ينتظم جميع أفرادها .. تقف أمام ربها العدل الذى يكلف كل امرىء بقدر ما أوتى من امكانات مادية وأدبية ..

على أنه مهما تفاوت الذكاء البشرى بساطة وعمقا ، فلا يجوز أن يعمى عن الله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور .



مشكلات الفواصل (٢)

للدكتور على محمد حسن

فى المقال السابق ذكرت بعض الآيات التى عرض لها صاحب البرهان ، واجابته عما اشكل فيها من الفواصل ، واكتفى بهذا القدر . واذكر الآيات التى وقفت عندها ، وما قاله بعض المفسرين فيها ، ولعلى اوفى على الغـــاية أو اقارب فى بيان السر البلاغى من التذييلات التى ختمت بها هذه الآيات الكريمة .

من ذلك قوله تعالى : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم »(١) . ربمـــا توهم أن الفاصلة ينبغى أن تكون : (وهو على كل شىء قدير) . ولكن لما كانت اجزاء الانسان المعادة ربما تفرقت فى جهات مختلفة متعددة ، بل ربما اختلطت بأجزاء انسان آخر كانت صفة العلم هنا لازمة للتفرقة بين الاجزاء الاصلية ، والاجزاء الفضلية ، فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق ، وهذا لا يكون الا من عليم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة ، محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص ، أصولها وفروعها ، وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق .

ومن ذلك قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شىء عليم »(٢) . ربما وقع فى بادىء الظن ان التذييل ينبغى أن يكون : (ان الله على كل شىء قدير) ، ولـــكن صفة العلم هنا هى الملائمة كل الملاءمة ، فهو سبحانه عليم بمقادير الحاجات ، ومقادير الارزاق .

(١) سورة يس ٧٨ ــ ٧٩ . (٢) العنكبوت ٦١ ، ٦٢ . (٣) لطلها : استوفى .

قال الفخر الرازى : وفى اثبات العلم هنا لطائف :

احداها : أن الرزاق هو كامل المشيئة ، اذا راى عبده محتاجا ، وعلم جوعه لا يؤخر عنـــه الرزق الا لنقصان فى نفوذ مشـــيئته ، كالملك اذا أراد الاطعام ، والطعام لا يكون قد استوى بعد ، أو لعدم علمه بجوع العبد .

الثانية : ان الله باثبات العلم استوجب(٣) ذكر الصفات التى هى صفات الاله ، ومن أنكرها كفر ، وهى أربعة : الحياة والقدرة والارادة والعلم ، وقد استوفت الآيات الاربع ، لأن قوله : « خلق السموات والأرض » اشـــارة الى كمال القدرة ، وقوله : « يبســـط الرزق لمن يشاء » اشارة الى نفوذ مشيئته وارادته ، وقوله : « ان الله بكل شىء عليم » اشارة الى شـــمول علمه . والقادر المريد العالم لا يكون الا حيا .

ومن ذلك آيات من القرآن الـــكريم ختمت بالحلم والمغفرة ، أو بالعفو والمغفرة ، أو بالرحمة والمغفرة ، وربما وقع لبعض الاوهام أن هذه التذييلات فى غير موضعها ، وان غيرها أولى بهذه الأمكنة منهـــا ، وعلى احسن الظن ربما خفى على كثير من الدارسين سر التذييلات فيها .

من ذلك قوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم »(٤) .

ومثلها قوله سبحانه : « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولـــكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما »(٥) .

فالاخبار عن المؤاخذة بما كسبت القلوب ، وعن لزوم الجناح على ما تعمدته يســـتدرج الذهن الى أن يـــكون التذييل مما يؤكد أمر المؤاخذة ، ومما يرهب ويخيف ، حتى يدعو ذلك الى الامتثال ، لأن الحكيم لا يذكر العفو مع التهديد لأنه يكون اغراء بالذنب . وهنا ختمت كل من الآيتين بالغفران ، مع الحـــلم فى احداهما ، والرحمة فى الاخرى .

وقد قال أبو حيان فى (البحر المحيط) معقبا على الآية الاولى : (جاءت هاتان الصفتان تدلان على توسعة الله على عباده ، حيث لم يؤاخذهم باللغو فى الايمان ، وفى تعقيب الآية بهما اشعار بالغفران والحلم عمن أوعده الله بالمؤاخذة ، واطماع فى سعة رحمته ، لأن من وصف نفســـــه بكثرة الغفران والصفح مطموع فيما وصف به نفسه ، فهذا الوعيد الذى ذكره تعـــالى مقيد بالمشيئة كسائر وعيده تعالى) .

وجعل أبو السعود الكلمة الاولى من التـــذييل متعلقة بالجزء الأول من الآية : فالله سبحانه غفور حيث لم يؤاخذ على اللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت ، وقلة المبالاة ، والكلمة الثانية متعلقة بالجزء الثانى ، فهو ســـبحانه (حليم) حيث لم يعجل بالمؤاخذة .

وقيل فى الآية الثانية « وكان الله غفورا رحيما » لا يؤاخذكم بالخطأ ، ويقبل التوبة من المتعمد ، ولكن لم يجر للتوبة ذكر هنا .

ومما يقرب من هاتين الآيتين قوله تعالى : « يأيهـــا النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » .

فالمراد هنا الأمر باخفاء الجلابيب عليهن ، وامتثال الأمر انما يتحقق اذا

---

(٤) سورة البقرة ٢٢٥ . (٥) سورة الاحزاب ٥ .

وصل بالوعيد على مخالفته ، أما وصله بالمغفرة والرحمة فذلك يدعو الى التهاون فى التنفيذ .

وقد قال بعض المفسرين : وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط (رحيما) بتعليمهن آداب المكارم ، ومثل هذا الجواب جاء فى قوله تعالى — فى سـورة النسـاء : « وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سـلف ان الله كان غفورا رحيما » .

ولا يتجه هذا الجواب الا على الرأى الذى يقول ان الناس مكلفون بمكارم الاخلاق بحكم العقل ، وقد تعلق بذلك فعلا بعض المفسرين كالزمخشرى ، وهو معتزلى معروف .

وقريب من هذه الآيات الكريمة قوله تعـالى : « ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور »(٦) .

وقد احتفل المفسرون لبيان المناسبة فى هذه الآية بين اولها وآخرها ، وأطال فى ذلك الزمخشرى قال : فان قلت : كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع ؟ قلت : المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب ، والعفو عن الجانى على طريق التنزيه لا التحريم ، ومندوب اليه ، ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه ، وسلك سبيل التنزيه ، فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ، ولم ينظر فى قوله تعالى : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله — وأن تعفوا اقرب للتقوى — ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور » . فـ (ان الله لعفو غفور) اى لا يلومه على ترك ما بعثه عليه ، وهو ضـامن لنصره فى كرته الثانية من اخلاله بالعفو ، وانتقامه من الباغى عليه .

ويجوز أن يضمن النصر له على الباغى ، ويعرض — مع ذلك — بما كان اولى به من العفو ، ويلوح بذكر هاتين الصفتين .

أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة ، لأنه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده .

وقد نقل ذلك الفخر الرازى فى تفسيره الكبير — على عادته من كثرة النقل من الكشاف — ولم يزد عليه شيئا .

ويبدو لى أن كل هذه الأجوبة غير مقنعة تماما لا سيما الجواب الأخير ، فان الدلالة بذكر العفو عن القدرة لا يمنع أن يكون هنا سر لايثار هذه الكلمة (العفو) على ضدها ، وهو (القادر) مع أن الموضع لهذا المعنى الأخير .

ثم ان الله سبحانه كيف يعده بالنصر على من بغى عليه ، اذا عاقبه بمثل ما عاقب به ، ويذكر ذلك مؤكدا بان واللام . ثم يجعل هذا التصرف منه ذنبا يعده عليه بالعفو والمغفرة .. ؟!

أما الجواب الثانى ، وهو أن الله سبحانه وتعالى اشار بذلك الى أنه ينبغى الصفح والعفو جواب حسن لو أن النظم الكريم : (وان الله لعفو غفور) أى بالواو ، حتى لا تكون هذه الجمـلة مبينة أو مؤكدة لما قبلها ، بل تكون مستقلة فيها صفتان من صفات الله تعالى ، نبه بذكرهما — بطريق الـكناية والتعريض — على أن الاولى بمن اعتدى عليه أن يصفح ويغفر .

ولكن يبقى السؤال : لم اوثرت الكناية هنا ، ولم لم يقل — كما فى آيات اخر — وأن تعفوا وتصفحوا هو اقرب للتقوى مثلا .. ؟

وقد أجاب بعض المفسرين بأن المعاقب لمن اعتدى عليه كثيرا ما يغلبه ان يلتزم التماثل التام بين الاساءة والعقوبة عليها ، فأشار الله سبحانه الى أنه

---

(٦) سورة الحج ٦٠ .

يعفو ويغفر لمن بغى عليه بعض ما تجاوز عليها ، فأشار الله سبحانه الى أنه مظلوم ، وفى التعبير بالنصر هنا ما يؤكد هذا الجواب .

وربما صح لى أن اضيف شيئا الى ما قاله المفسرون ..

يبدو لى — والله أعلم بمراده — أن ذكر الغفران والرحمة والحلم والعفو فى كل هذه الآيات انما هو اشارات الى أن بعض هذه المخالفات سيقع كثيرا فيما يستقبل من الزمان ، وأن هذه المخالفات ليست من الكبائر التى تشدد فيها العقوبات ، فمثلا (الحلف) فشا فى الازمنة المتأخرة ، وكثرة الحلف اللغو ، بل كثرة اليمين المنعقدة اذا حنث فيها ، والتى ليست غموسا ليست من الكبائر . كما أن ادناء بعض النساء من جلابيبهن قد قلت العناية به فى كثير من الشعوب ، والذى يرد الاعتــــداء فلا يلتزم الحد الواجب اكثر من ان يحصى ، فناسب أن يجىء مع هذه التشريعات ذكر المغفرة والرحمة والعفو والحلم . ولذلك نجد الآيات التى عرضت لكبار الذنوب ختمت بتشـــديد العقوبات ، فآيات القتل والسرقة والزنا وشرب الخمر لا ظل فيها لذكر المغفرة والرحمة الا مع التوبة منها ، قال تعالى : « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا [illegible] من تاب وآمن وعمل عملا صا[illegible] فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان [illegible] غفورا رحيما »(٧) .

وقد روى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال [illegible]ناها على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سنين : والذين لا يدعون مع الله الها آخر .. الآية ، ثم نزلت : الا من تاب . فما رايت النبى — صلى الله عليه وسلم — فرح بشىء قط مثل ما فرح بها ، وفرحه بأنا فتحنا لك فتحا مبينـــا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .

وقال تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شـــــهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم »(٨) .

فأما قوله تعالى : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرهن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم »(٩) ، فالمراد — والله أعلم — غفور رحيم لهن لا لسادتهن ، وروى أنها فى مصحف ابن مسعود — رضى الله عنه — كذلك ، وكان الحسن — رحمه الله — اذا قرأها ، يقول : لهن والله ، لهن والله .

ولعل السر فى ذلك أن الاكراه ربما كان دون ما اعتبرته الشريعة ، وهو الذى يخاف منه التلف ، فكن بقبول البغاء آثمات .

وأمر آخر بدا لى بعد ما أطلت النظر فى هذه الآيات الكثيرة التى ختمت بالغفران والرحمة والعفو والحلم والرأفة ، وما الى هذه الصفات التى تبعث فى نفوس المؤمنين الأمل والرضا ، وتفتح لهم طريق العودة الى الله مع كثير من الرجاء .

ذلك الأمر هو أن القرآن الكريم يؤثر جانب الوعد على جانب الوعيد ، فضلا من الله ونعمة ، فهو سبحانه يلفت نظر المسلم وقلبه حتى [illegible] المواضع التى تتملكه فيها الرهبة الى أنه — جل وعلا — غفور رحيم . وهذا — اذا صدق الايمان — لا يدعو الى التهاون ، بل ربما بعث فى نفس المؤمن الخجل والحياء من الله ، أن يكون هو مقيما على معصيته الله ، والله سبحانه يعده العفو

(٧) الفرقان ٦٨ — ٧٠ . (٨) النور ٤ و ٥ . (٩) النور ٣٣ .

والحلم . وبذلك يشتد اقباله على الله ، وتقوى رغبته فيما عنده .

ولعل مما اعانني على هذا الفهم أن القرآن الكريم في بعض المواضع التي ترتعد فيها النفوس من قسوة الوعيد يلاطفها بحسن الوعد ، لعلهـا ترجع بالترغيب ، كما ترجع بالترهيب . لنقرأ قوله تعالى : « فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين »(١٠) فقد وقف المفسرون ، والناظرون في معاني القرآن الكريم عند قوله تعالى : « فقل ربكم ذو رحمة واسعة » وكيف جاء مع افتراض تكذيب اهل مكة للرسـول ، وكيف جاء مع وصفهم في آخر الآية بأنهم قوم مجرمون ، وقالوا ان التناسب غير واضح .

وممن ذكروا ذلك صاحب (البرهان) حيث قال : (ذو رحمة واسعة مع أن ظاهر الخطاب ذو عقوبة شديدة ، وانما قال ذلك نفيا للاغترار بسعة رحمة الله تعالى في الاجتراء على معصيته ، وذلك ابلغ في التهديد ، ومعناه لا تغتروا بسعة رحمة الله تعالى في الاجتراء على معصيته فانه مع ذلك لا يرد عذابه عنكم) .

وقول الزركشي هذا واضح التـكلف ، فان الآية لا تدل على منعهم من الطمع في سعة رحمة الله ، بل الذي يتبادر الى الذهن أن هذا اطماع لهم في ان يرجعوا عن كفرهم ، فيدخلوا في سعة رحمة الله ، ومع هذا الاطماع نبههم الى أن الله سبحانه — مع سعة رحمته — ذو بأس شديد لا يرده عن القوم المجرمين الذين لم تغرهم رحمة الله فظلوا على اجرامهم .

ولننظر — ايضا — الى قوله تعالى : « يأيها الانسـان ما غرك بربك الكريم »(١١) وقد أطال العلماء في بيان سر التعبير بالكريم في هذه الآية ، وقالوا ان النظم كان يقتضي : ما غرك بربك القهار ، أو الجبار ، أو المنتقم — مثلا — لأن كونه كريما يشجعه على الاغترار بكرمه ، ولذلك روى عن أبي بكر الوراق انه قال : لو قال لي : ما غرك بربك الكريم ؟ لقلت : غرني كرم الكريم . وقال بعض أهل الاشارة : انما قال ربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه حجته في الاجابة ، حتى يقول : غرني كرم الكريم .

والذي روى عن العلماء في تفسير الآية فيه ما هو متقابل ، فبعضهم يتمشى مع السياق الطبيعي للآية ، ويرى ان الله سبحانه أراد أن ينبه عبده الى انه — جلت قدرته — كريم ، يعطي بغير من ، وبغير انقطاع ، وأن الانسان ما كان يتخذ من هذا الكرم باعثا له على عدم الاغترار ، وعلى الاجتهاد في العبادة ، وعلى صدق الايمان ، فكثرة الكرم — كما يقول الرازي — توجب الجد والاجتهاد في الخدمة ، والاستحياء من الاغترار والتواني .

ونظر بعض المفسرين هنا ببيت امرىء القيس :

اغرك مني أن حبـك قاتلي
وانك مهمـا تأمري القلب يفعل

مع ان بعض النقاد عابه قائلا : اذا لم يغرها هذا منه فماذا يغرها .. ؟

ولكن أهل التدقيق في المعاني اجابوا عن امرىء القيس بأن هذا مبالغة منه ، وتيئيس لها من أن يغرها هذا ، مع انه موجب للغرور ، ولكن عند غيره ، او مع غيرها ، وكأنه قال : اذا كان هذا يغر — وهو ولا شك كذلك — فما ينبغي أن يغرك مني ، لاني ، وان بلغ بي حبك ما بلغ ، وان كان قلبي يستجيب لك ينبغي له ان يغتر بسعة هذا العطاء ، بل كان عليه ان كان سليم الفطرة ان في كل ما تأمرين به — املك ناصية امري ، واستطيع ان اتغلب على كل هذا

---

(١٠) الانعام ١٤٧ . (١١) سورة الانفطـار ٦ . (١٢) سورة النساء ٩٧ — ١٠٠ .

الضعف فى نفسى ، فأنا محب ، خاضع للحب ، ولكن انكر عليك ان تخدعى فتغترى بهذا منى .

ويمكن أن يقال : ان هذه الصفات متصل بعضها ببعض ، اى ما غرك بربك الذى تكرم عليك بأن صورك فى صورة حسنة ، وهو اذا شاء جعلك فى أية صورة أخرى ، هو منعم وهو قادر فلا ينبغى أن تغتر بمن هذه صفاته .

ومع كل هذه التخريجات لا نغفل أن الله سبحانه — وهو أعلم بمراده — اراد أن يرغب عباده فى عفوه ومغفرته وكرمه ، والا يجعل اليأس من كل ذلك يسيطر على نفوسهم .

ولعل جماع ذلك كله قوله تعالى : « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا » .

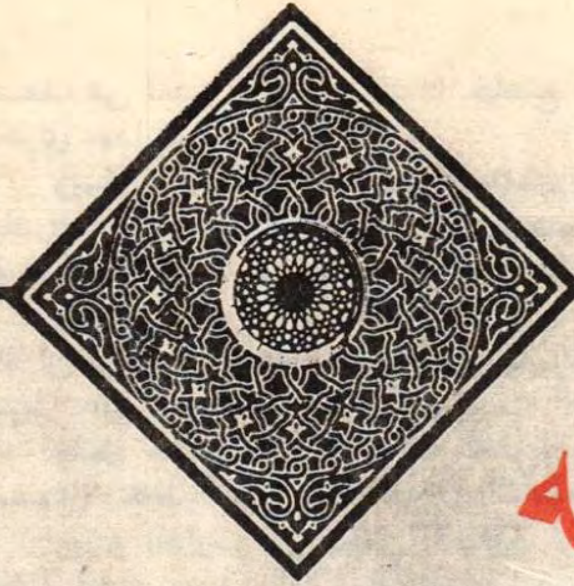
ويبدو للدارس فى بعض الأحايين ان هاتين الصفتين (المغفرة والرحمة) تجيئان لمجرد وصف الله تعالى بهما ، دون أن يكون هناك ذنب يشار اليه فى الآية ، وكأن القرآن يقول : حتى لو توهم ان هنا ذنبا فان الله غفور رحيم .

نقرأ قوله تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون [illegible]لة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا [illegible] يهاجر فى سبيل الله يجد فى [illegible]رض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من [illegible] مهاجرا الى الله ورسوله ثم يد[illegible]ه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما » .

فالقرآن الكريم وصف بعض الذين لم يهاجروا بأنهم مستضعفون فى الأرض ، وبأنهم لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلا ، فهم لا يجدون وسيلة للهجرة بسبب الفقر والعجز ، وليس لهم علم بالمسالك فليس عليهم اذن جناح ، وقد أخرجهم الله سبحانه وتعالى من الوعيد السابق للذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، فما المراد بقوله : « فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » ، وعم يعفو ؟ ان هذا وعد من الله سبحانه ، وعد مؤكد بالعفو عنهم ، ولكن القرآن لم يشر الى ذنب ارتكبوه ، فما السر ؟ لقد اجاب صاحب الكشاف بأن هذا (للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه ، حتى ان المضطر ، البين الاضطرار من حقه أن يقول : عسى الله أن يعفو عنى ، فكيف بغيره) . وهو — بذلك — يقرر انه لا ذنب لهؤلاء الا مجرد الخوف من أن يكون تأخرهم مع اضطرارهم ذنبا ، ومع ذلك وصف الله سبحانه نفسه بأنه عفو غفور لتكون هاتان الصفتان على ذكر دائم من المؤمنين الذين عاقتهم ظروفهم المادية والجسدية والنفسية عن الهجرة .

والقرآن الكريم وصف (الرجل) بأنه خرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ، وبأنه حين مات دون غايته وجب أجره على الله ، فأى ذنب جناه هذا المهاجر ؟ لعل ذنبه انه تأخر عن الهجرة فى وقتها الواجبة عليه فيه ، فالله غفر له ذلك ، لكن القرآن يقول : « فقد وقع اجره على الله » . اى انه لما هاجر خالص النية لله ولرسوله كان ذلك كافيا فى أن يتكفل الله له بالأجر ، وان لم يبلغ غايته التى هاجر اليها ، فوصف الله سبحانه نفسه هنا بالغفران والرحمة لتذكير المؤمنين بهاتين الصفتين الكريمتين .

وقد أطلت فى هذا الموضع لأن الآيات التى ذكرت فيها هذه الصفات : (الغفران — الرحمة — الرأفة — العفو) كثيرة فى القرآن الكريم ، وبعضها يحتاج الى وقفة واعية متأملة ليصل الدارس الى سر ذكرها فى هذا الموضع أو ذاك .



نصر الله للمؤمنين وهدايته لهم

للدكتور محمد البهى

﴿ يعد الله المؤمنين بنصرهم ، ويؤكد وقوع النصر كأمر لا يتخلف فى حياتهم اطلاقا : « .. **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » (الروم ٤٧) . فيوجب عليه جل شأنه فى هذه الآية القرآنية : نصره للمؤمنين . بل لا يكون النصر للمؤمنين الا منه وحده ، سبحانه : « **وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم** » (آل عمران ١٢٦) .

﴿ هذا وعد الله فى كتابه . ولكن متى يتكفل الله بذلك للمؤمنين به؟ أو بعبارة أخرى : متى يتحقق النصر فعلا للمؤمنين به ؟ .

تقول آية قرآنية أخرى : « **يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » (محمد ٧) .. فتجعل نصر المؤمنين لله شرطا أو مقدمة لنصر الله لهم . وتأتى آية أخرى لتؤكد هذا الشرط ، فى قول الله تعالى : « **ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز** » (الحج ٤٠) والتعقيب فيها بقوله : « **ان الله لقوى عزيز** » ليوضح توافر أسباب النصر فى جانب الله ، وهى أسباب القوة والمنعة لديه . وهذا من شأنه أن لا يكون هناك عائق اطلاقا للنصر من جانب الله .

ونصر المؤمنين لله لا يتصور الا باتباعهم هدايته ، على نحو ما جاء فى كتابه . وهداية الله هى تخطيط لموقف المؤمنين نحو ذواتهم ، ولموقفهم من أعدائهم .

* ماذا قرأنا بعد الآية الأخيرة هنا في سورة الحج قول الله تعالى : « **الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكـــاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور** » (الحج ٤١) .. وجدنا أن نصر المؤمنين لله باتباعهم هدايته فيما يتعلق بذواتهم هو — أن مكنوا — أن يقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويأمروا بالمعروف ، وينهوا عن المنكر .

ومعنى اقامتهم للصلاة : خضوعهم لله وحده ، وتوكلهم عليه ، وعـدم طغيانهم بنعمه من قوة مادية ، أو اقتصادية ، أو بالأولاد والعصبية ، وبالجاه والسلطان .

اذ اتصالهم بالله في الصلاة عـدة مرات من شأنه ان يحملهم علــى الرجوع الى كتاب الله فيما يتعلــق بسلوكهم .

ومعنى ايتائهم الزكاة : مشاركتهم بأموالهم الخاصة في سد حاجـــة الآخرين معهم في أمتهم ، وبعدهم بذلك عن أن تسيطر عليهم الأنانية . ومن لا تسيطر عليه الأنانية فهو انساني ، قد تحول فعلا من الجاهلية المادية الى الروحية الانسانية في مجتمع اسلامي ولذا جعل القرآن الكريم الظاهــرة المميزة للمؤمن — وهو غير الأناني شأنا — عن الجاهلي أو المـــادي ، وهو أناني : ان المؤمن يسد حاجـــة المحتاج ، وهو محب لما يقوم به مـــن مشاركة في سد هذه الحاجة . يقول تعالى في سورة الانســـان ٧ : « **ويطعمون الطعـــام على حبــه** (أي على حب الاطعام) **مسكينا ، ويتيما ، وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** » بينما الجاهلي أو المادي الأناني لــو سئل في سبيل المشاركة في سد حاجة غيره هزأ وسخر من السائل ، وظن ان السائل له في ضلال وحيــرة : « **واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقهم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ، ان أنتم الا في ضلال مبين** » **(يس ٤٧)** .

ومعنى الأمر بالمعـروف : قيامهم بالواجبات ، سواء تلك التي فرضها عليهم ايمانهم بالله ، أو الأخرى التي يفرضونها هم على أنفسهم في العهود والمواثيق لله ، وفي القبول والايجاب في المعاملات : « **يوفون بالنذر** (وهو الواجبات المختلفة) **ويخافون يومـــا كان شره مستطيرا** » (الانسان ٩) .

أما النهي عن المنكر فهـو العمل على البعد عن الجرائم ، وبالأخـص الاجتماعية منها ، وهي التي تتعلق بالنفوس ، والأموال ، والأعراض .

واداء هذه الأمور الأربعة تجعـل للانسان صلاحية : ان يتغلب عـلى اهوائه ، وبالتالي يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الفرديـــة . وايثار المصلحة العامة هو عامل نجاح الأفراد في عمل جماعي . وهو قبل ذلـك عامل في السيطرة على الفرديـــة المهلكة في الذات .

* أما اتباع المؤمنين هداية الله في موقفهم من أعدائهم فيتمثل في ثلاثة أمور ، يوضحها كتاب الله :

الأمر الأول : ان يعـد المؤمنون انفسهم لمواجهـــة اعدائهم في رد عدوانهم ، أو في القضاء على فتنتهم

واعداد المؤمنين انفسهم هنا هو اعداد القوة المادية فى الدرجة الأولى . اذ الاعداد النفسى او الذاتى قائم فعلا بأداء الصلاة ، وايتاء الزكاة والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر . ويوجب الله على المؤمنين اعداد انفسهم بالقوة فى قوله تعالى : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » (ويدخل فى حساب القوة : حسن التدريب على اساس علمى ومنهجى ، واقتناء الوسائل المتفوقة فى القتال واستكشاف وضع العدو ، وجودة الاعلام والتبصير فى الوسائل وفى الموضوعية ، وغير ذلك مما ينتمى الى التفوق فى الاعداد) **ومن رباط الخيل** (وهو مثل من الأمثلة التى يقوم عليها الاعداد القوى ، وليس حصرا الوسائل التمكن والاعداد وانما ذلك بحسب العصور المختلفة) **ترهبون به عدو الله ، وعدوكم** (اى والهدف من الاعداد القوى ليس هو الاعتداء على الآخرين ، او العدوان على حرمات الغير . وانما هو ارهاب عدو الله وعدو المؤمنين معا . وعدو الله والمؤمنين معا هو ذلك الوثنى المادى او الجاهلى الذى ينكر القيم الانسانية فى سلوكه وفى تعامله ، ويلجأ الى الميكانيلية واللا اخلاقية فى تحقيق اهدافه . وارهاب عدو الله وعدو المؤمنين هو حائل يحول دون مباشرة عدوانه او هو وقاية من عدوانه المفاجىء) **وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** (وعدو الله وعدو المؤمنين ليس هو فقط ذلك الفريق الذى يجهر بعداوته للمؤمنين وهداية الله . وانما من ورائه ومتستر خلفه : عدو لله وللمؤمنين ايضا ، او قد يخرج من هذا الظاهر جيل او اجيال قادمة تباشر عداوة الله وعداوة المؤمنين .

والاعداد القوى المتنوع اذن يجب أن يكون ملازما لوجود المؤمنين بالله لوقايتهم من أعدائهم فى الظاهر وفى الخفاء ، وفى حاضرهم ومستقبلهم . فان قصر المؤمنون بالله فى هذا الاعداد لم يكونوا عندئذ قد اتبعوا هداية الله التى هى شرط أساسى فى نصرة الله لهم على اعدائهم ، وبالتالى لا يكفل الله لهم النصر ، ان هم اشتبكوا فى قتال مع هؤلاء الأعداء) **وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون** (الانفال ٦٠) (والاعداد للقوة لمواجهة العدو أو القضاء على فتنته ، فى سبيل بقاء المؤمنين احرارا يمارسون حقهم فى الحياة فى ظل هداية الله هو قطعا فى حاجة الى مال ، كما هو فى حاجة الى رجال مؤمنين ، ينسون انفسهم فى سبيل الله ، وسبيل المصلحة العامة . وهنا ما ينفقه الأفراد على اعداد قوة المؤمنين يجعله الله جل شأنه فى مستوى قرض اقترضه من الموسرين ، ويعد بوفائه من غير نقص أو بخس فى قدره ومقداره . ويفى به سبحانه فى الدنيا والآخرة معا) .

والاعداد للقوة المادية ضرورة اسلامية لحياة المؤمنين ، وهدفه هو رقاية المؤمنين من اعتداء اعدائهم واعداء الله عليهم ، وهم اولا واخيرا الماديون ، ولو كانوا من أهل كتاب سبق .

والموسرون من المؤمنين فى اى مكان مدعوون من قبل الاسلام بالاسهام فى اعداد المؤمنين للقوة المادية ، مع عهد الله على نفسه بالوفاء لهم وفاء حسنا . والقرآن هنا اذ يقول للمؤمنين : « وما تنفقوا فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » .. لا يعرف فواصل ولا

حدودا بين المؤمنين من القومية ، والشعوبية ، واللغوية .

الأمر الثانى : أن يرجع المؤمنون الى كتاب الله ليتفقوا على طبيعة أعدائهم ، وما لهذه الطبيعة من سلبيات ، فان هم رجعوا الى القرآن ليقفوا على طبيعة الأعداء الذين تفشي بينهم النفاق ، والغدر حول مدينة الرسول عليه السلام على عهده ، وهم بنوا النضير واخوانهم في قريظة ، فانهم سيقفون على طبيعة تغلب عليها الانانية وحب الذات ، ويغلب عليها الميل الى التصديق بالمحسوس وحده . وكل صفة من هاتين الصفتين تتبعها آثار بارزة فى السلوك والمعاملة من أصحاب الطبيعة انفسهم :

فحب الذات يستتبعه الجبن . والجبان لا يقاتل فى مواجهة عدوه . وانما يقبل على القتال من وراء حجاب اذا أمن آثار القتال على حياته . يقول الله تعالى : ((**لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة ، أو من وراء جدر**)) يقول سبحانه ذلك فى وصف طبيعة اليهود من بنى النضير . واذ يقول ذلك لا يقوله خاصا بهذا الفريق من سكان بنى النضير بالقرب من المدينة على عهد الرسالة . وانما يقوله كصفة عامة لليهود الذى تحولوا عن رسالة موسى الى الايمان بالمادية وحدها ، والكفر بالروحية والقيم الانسانية جميعا . ومن قول الله هذا فى تحديد هذه الطبيعة يتجلى : أن اليهود لا يجتمعون على قتال غيرهم الا بشرط التفوق فى الامان . فهم محبون لذواتهم حبا شديدا ، ويؤثرون ذواتهم على مجتمعهم واهدافه . أى أن الفردية وعدم التضحية بالذات فيما يسمى بمثل عليا أساسان فى تكوين شخصيتهم . والتفوق فى الأمان قد يكون بالحصون والاستحكامات . وقد يكون بالأسلحة المتفوقة تيكنولوجيا ، أو بالأسلحة الهجومية ، كما يقال . وقد يكون بما يسمى الحرص على ميزان القوى بينهم وبين أعدائهم . أى أنهم يضمنون لأنفسهم التفوق النوعى فى الاعداد للقتال ، مقابل تفوق أعدائهم فى العدد . ومعنى ذلك أيضا : أن يمنع اعداؤهم بصورة أو بأخرى من التفوق النوعى فى السلاح وفى التدريب ، طالما هم أكثر منهم عددا ، والميزان اذن هو ميزان النوع فى مقابل ميزان الكم .

وحب الذات كما يستتبع الجبن : يستتبع الفرقة أو الفردية . وهى عدم الترابط بين الأفراد على اساس رباط نفسى أو معنوى أو ايمانى مشترك . والفردية كما هى عامل من عوامل الضعف فى المجتمع ، هى عامل أيضا من عوامل الحقد، والتنافس البغيض، والخصومة الحادة بين الأفراد فى المجتمع الواحد . ويصف هذه النتيجة قوله تعالى فى الآية ذاتها : ((**بأسهم بينهم شديد**)) (الحشر ١٤) (أى خصومتهم فيما بينهم شديدة . وهى تلك الخصومة القائمة على جراة فيهم) ((تحسبهم جميعا ، وقلوبهم شتى)) (وقد يظن أنهم يجتمعون فيما بينهم على امر ما . ولكن واقع الأمر ان قلوبهم متفرقة لأنه لا يعمرها الا حب الذات وحدها)) .

اما الميل الى التصديق بالمحسوس نفسه فيولد فى نفوسهم الرهبة من القوة المادية وحدها . أى أنه اذا انضمت الى القوة العددية لأعدائهم قوة نوهية فى الاعداد والتدريب فالخشية من لقائهم لهؤلاء الاعداء

ستكون عميقة وعظيمة فى نفوسهم ويقول الله فى ذلك فى سورة الحشر أيضا : « **لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله** » (اى ان المؤمنين فى المدينة بعد أن أصبحوا الآن قوة عددية بحسب حسابها من قريش ومن على شاكلتها من مشركى القبائل العربية بالاضافة الى قوتهم النوعية التى كانت لهم وتجلت فى غزوة « بدر » من قبل وهى قوة الايمان : اصبحوا مصدر إرهاب ليهود بنى النضير ومن حول المدينة ، يخافونها أكثر من خوفهم من الله . لأنهم رأوا هذه القوة للمؤمنين بأعينهم . ولكنهم لم يروا الله محسوسا حتى يخشوا من عظمته . ولذلك نقضوا ايمانهم بالله فى عهد موسى ، وطالبوه بأن يريهم الله حتى يعيدوا الايمان به من جديد . ويقص ذلك كتاب الله فى قوله : « **يسالك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ، فقد سالوا موسى اكبر من ذلك ، فقالوا : أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات** » (النساء ١٥٣) . وهم اذن لا يؤمنون الا بالمحسوس مجسدا .

والأمر الثانى فى هداية الله الذى يجب أن يقف عليه المؤمنون به ، خاصا بطبيعة اعدائهم : يقدم لهم معرفة الهية لا تخطىء اطلاقا . والخطأ أن وقع يكون فى عدم اتباعها . وعداوة اليهود للمؤمنين هى عداوة تاريخية . وقد أراد الله سبحانه أن يكشف عن هذه الطبيعة فى وضوح ، ويجعلها من المعتقدات التى لا تترك أبدا ، حتى لا يغفل عنها المؤمنون فى وقت من اوقاتهم .

وقد قدم لهم فى هذه المعرفة :

١ — أن اليهود لا يرهبون الا القوة المادية ، فى كمها ونوعها ؛ لأنهم لا يؤمنون الا بالمحسوس ، ويكفرون تبعا لذلك بالقيم الانسانية .

٢ — وان اليهود تسود بينهم الفرقة النفسية والخصومة العنيفة ، تبعا لحب الذات وسيادة الفردية عليهم .

٣ — وان صفة الجبن تتمكن من نفوسهم . فهم لا يقاتلون الا محصنين او متفوقين فى اعدادهم للقتال وعدتهم فى وسائله ، ومن اجل ذلك تحملهم تضحية اعدائهم عند المواجهة على الفرار والتخلى عن القتال .

فاذا قابلهم المؤمنون بقوة الايمان وبقوة السلاح ، وبروح التضحية فانه لا مفر من خذلانهم وهزيمتهم . وهنا يكون نصر الله . ولهذا اراد الله ان يؤكد فى هدايته فى كتابه هذه النتيجة ، ويسجلها لأجيال المؤمنين المتعاقبة ، فى قوله تعالى : « **وأنزل الذين ظاهروهم** » (اى ظاهروا المشركين وساندوهم فى غزوة الأحزاب ضد المؤمنين) **من أهل الكتاب من صياصيهم** (اى من حصونهم ومعاقلهم) **وقذف فى قلوبهم الرعب** (اى اوصل الى قلوبهم الرعب من المؤمنين ، بسبب كثرتهم فى العدد ، وصبرهم على حصار الأعداء ، ورغبتهم الاكيدة فى القتال) **فريقا تقتلون ، وتأسرون فريقا** » (الاحزاب ٢٦) .

ثم اضافت هداية الله الى تسجيل هزيمة الأعداء من اليهود حول المدينة : فعل الله بأن اورث المؤمنين به ما لهؤلاء الاعداء : من أراض ، واموال ، وديار ، ايذانا منه سبحانه

بأن هؤلاء الاعداء لن يستقر لهم فى تاريخ البشرية وضع بعد ذلك ، مهما كان شأنهم ، أمام المؤمنين بالله ، ان هم اتبعوا هدايته كما خططت هنا فى قرآنه المجيد :

« وأورثكم أرضهم ، وديارهم ، وأموالهم ، وأرضا لم تطؤها ، وكان الله على كل شىء قديرا » (الاحزاب ٢٧) .

وما صورته هنا هداية الله بشأن ما يتبع مع الأعداء من اليهود الماديين ومن النتائج التى تترتب على اتباعها لنصر المؤمنين لا يعوضه بحال انصراف المسلمين اليوم فى مجتمعاتهم الى مصادر أخرى للمعرفة تقيهم شر هؤلاء الأعداء فى حاضرهم وفى محنتهم القائمة معهم اليوم .

والأمر الثالث : عندما تكون للمؤمنين قوتهم المرهبة — وهى القوة المادية والنوعية التى يراها هؤلاء من أهل الكتاب — وجوب قتالهم دفعا لعدوانهم لعموم قوله تعالى : **« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »** (البقرة ١٩) . فان لم يكن لهم عدوان فيجب أن يتحقق للمؤمنين هدف القتال معهم ، وهو الوقاية من أذاهم، وذلك باستسلامهم وخضوعهم . ويقبل منهم المؤمنون هذا الاستسلام طبقا لقوله تعالى فى سورة الأنفال : **« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم** (والسلم هو الاستسلام أو المسالمة . والجنوح اليه هو الميل له . وقد جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى : **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم »** .

ولكن ليس المقصود من التعقيب بها بعدها : أن يتراخى المسلمون فى أعداد انفسهم للقتال ، عندما يقبلون عرض أعدائهم بالمسالمة . لأن تراخيهم فى الاعداد قبول منهم للمذلة ، ووصول بهم الى فقد استطاعتهم فى فرض السلام فى حياتهم ، على اعدائهم . وانما المقصود من هذا التعقيب : إن طلب أعداء المؤمنين منهم ان يسالموهم — والمؤمنون فى حال قتال معهم .. أو فى حال هدوء قائم على الاعداد للقتال — فعلى المؤمنين ان يكفوا عن القتال .. أو يظلوا فى حال الهدوء ، مع الاستمرار فى حالة الاعداد للقتال . وفى حال قبول المؤمنين لمسالمة أعداء الله وأعدائهم من أهل الكتاب يجب أن يتوكلوا على الله فى قبولها . لأن الله خير مساعد لهم فى وقاية مجتمعهم ، ودينهم ، معا) . **وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين : وألف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم »** (واذا استهدف الأعداء من عرضهم للسلم وقبول المؤمنين له : خداع المؤمنين لفترة ، ينقضون بعدها عليهم ، فالله كافى المؤمنين فى تفويت هذه الخديعة على المخادعين . أولا : لأن الله هو الذى أرشدهم وطلب منهم ان يكونوا على استعداد مادى .. ونفسى فى مواجهة أعدائهم . وثانيا : هو الذى ربط بين المؤمنين برباط واحد ، وهو رباط الايمان بالله بدلا من الرباط القبلى والأسرى السابق . وهو رباط يقوى على الاحداث . ويتفوق فى اثره فى مواجهة الأزمات . والأمران معا ، من اعداد القوة ورباط الايمان .. كفيلان بأن

يستتبعا النصر للمؤمنين اصحاب القوة ، فى لقاء القتال مع أعداء ماديين ، لا تربطهم الا روابط المنفعية والمبادلات المادية) ، « **انه عزيز حكيم** » (الانفال ٦١ — ٦٣) .

(ومن صفات الله جل شأنه : العزة والمنعة ، وتفوقه فى القدرة على كل موجود سواه .. والحكمة كذلك . وهى البعد عن سوء التقدير .. وعن الجهل ، والحمق ، ويريد جل شأنه للمؤمنين به فى عبادتهم اياه : ان يحاكوا فى انفسهم : هاتين الصفتين صفة العزة .. وصفة الحكمة . والمؤمنون على سبيل الحقيقة : هم الأقوياء الذين يحولون بقوتهم دون اعتداء أعدائهم عليهم .. وهم كذلك أصحاب الحكمة فى توجيه قدرتهم . ومن الحكمة هنا : ان يقبل المؤمنون طلب الهدنة من الأعداء . ولكنه قبول فى حذر وحيطة ، تمنع من الغدر ، والخداع والخيانة . وحيطتهم هى أن يبقوا على قوتهم دائما) .

واذا كان القرآن يمنع المؤمنين من ان يطلبوا بادىء ذى بدء : الهدنة مع الأعداء ، فى قوله تعالى فى السورة التاسعة فى الوحى المدنى ، وهو سورة محمد ٣٥ : « **فلا تهنوا ، وتدعوا الى السلم ، وأنتم الأعلون** » .. لأنه يرى فى طلبها ، امتهانا لهم .. وتحريضا غير مباشر لأعدائهم على أن يستطيعوا منذ الآن أن ينالوا منهم ، ويفرضوا عليهم شأن عداوتهم .. اذا كان يمنعهم من ذلك ، فانه لا يرى بحال : التراخى فى حال اعداد الامة للقتال اثناء الهدنة .. ولا يرى كذلك : ان تفوت الهدنة على المؤمنين: هدفهم فى رقابة مجتمعهم ، ودينهم معا من فرض القتال عليهم ، كوسيلة لدفع اهل الكتاب الى الاستسلام .



وعندئذ اذا التزم المؤمنون بهداية الله فى علاقتهم بأعدائهم فانه من الضرورى أن ينتصروا عليهم اذا اشتبكوا معهم فى قتال ، ونصر الله للمؤمنين اذن لا يدخل فى باب الاعجاز بل هو قانون من قوانين الحياة الانسانية يمثل ارادة الله . فمشيئة الله تقضى ان ينتصر المؤمنون عندما يتبعون سبيله . وهى تلك السبيل التى أعلن عنها الوحى فى كتاب الله . وهذا القانون كما كان له اعتباره فى الماضى على عهد الرسول عليه السلام يكون اعتباره فى الحاضر والمستقبل . فان الطبائع البشرية لا تتغير وارادة الله فى حياة الانسان مرتبطة بخصائصه الانسانية .



الهجرة النبوية
أسبابها ونتائجها

للدكتور/احمد الحجى الكردى

لم تكن الهجرة النبوية رحلة اجمام قام بها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه من مكة المكرمة الى المدينة المنورة للنزهة او الترفيه ، كما لم تكن هربا من العذاب الشديد الذى كانوا يلاقونه على أيدى بعض زعماء قريش ابتغاء الخلود الى الراحة والسكينة ، وايثار العافية على المعاناة ، ولم تكن ايضا تخليا عن المسؤولية عن البلد الحرام الذى بقى ابد الدهر موئلا للاتقياء والعباد من بنى البشر ، ولا فرارا من الزحف ، ولكنها كانت مرحلة ضرورية لابد منها لسلامة سير الدعوة الاسلامية بعد أن كادت تصل الى طريق مسدودة . فهى اذن مرحلة من مراحل الجهاد فى سبيل الله تعالى ، وخطوة من خطوات الدعوة الى الاسلام كان لها أسبابها الكثيرة المتشابكة .

واهم هـذه الاسباب :

١) اشتداد العذاب الذى كان يمارسه كفار قريش ضد المستضعفين من المؤمنين ، ولو ذهبنا نتحدث عن اساليب التعذيب الوحشية التى كـان يمارسها بعض زعماء قريش ضد هؤلاء المستضعفين لكتبنا فى ذلك المجلدات دون أن تنتهى هذه الصور . وحسبنا أن ـ نشير الى قصص تعذيب بـلال وياسر وسمية وابنهما عمار ، وغير ذلك .

وينبغى ان يتنبه هنا الى ان هذا التعذيب لم يكن هو الدافع الى الهجرة او احد الدوافع اليها بقصد الخلاص من العذاب ، ولكنه الدافع اليها بغية تمكين الاسلام من الانتشار ، ذلك أن العذاب كان يثنى كثيــــرا من الهمم المتشوقة الى الدخول فى الاسلام من الدخول فيه خشية ان يصيبهـــا من العذاب ما يصيب هؤلاء المستضعفين . وذلك بدليل أن عدد المسلمين ازداد زيادة كبيرة بعد الهجرة وخلاص المؤمنين من هذا العذاب ، كما أن أحدا من المؤمنين الذين لاقوا العذاب الشديد لم يرجع عن اسلامه ، بــل فضلــوا جميعا الصبر على العذاب واحتمال الاذى والموت على الارتداد الــى الكفر بعد الايمان ، وما قصة ياسر وسمية زوجه عنـــا ببعيدة .

٢) الحصار الاقتصادى :

ذلك أن الكفار عندما شعروا بعجزهم عن ايقاف مــد الدعوة الاسلامية رغم كل أنواع العذاب الذى مارسوه ضد المسلمين قــرروا محاصرة بنى هاشم والمسلمين محاصرة اقتصادية كاملة تحول بينهم وبين ضروريــات العيش البسيط ، وتمنعهم من الاتصال بأحد من العرب أو غيرهم ، فاتفقوا على كتابة الصحيفة التى علقوها فى جوف الكعبة ، تلك التى عانى منهـــا بنو هاشم والمسلمون أنواع العذاب والحرمان حتى كادوا يأكلــون أوراق الشجر من شدة الجــوع ، ولقد كان باستطاعتهم أن يحتملوا ذلــك كله لو انه اتيحت لهم معه حرية ممارسة الدعوة الى الاسلام فى انحاء الجزيرة العربية ، ولكن الأسى كان يحز فى نفوسهم عندما اضحت هــذه الصحيفة المشؤومة حائلا بينهم وبين الاتصال بالعرب فى غير المواسم الدينية القليلة مما يجعل دعوتهم تسير نحو الاختناق فى قمقمها لا محالة لو استمروا هــم على اقامتهم فى مكة .

هذا ولا يضر ان الصحيفـــة نقضت قبيـــل الهجرة ، ذلك أن آثارهـــا لم تزل باقية ، وأنى لها أن تزول وقد أدمت قلوب المسلمين وقرحت أكبادهم ، وأهاجت أحقاد العرب عليهم .

٣) وفاة الناصرين لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذلــك ان الله سبحانه قيض لرسوله الكريم ناصرين له من اهله يواسونه ويخففون من آلامه ، ويدافعون عنه ويمنعون اذى الكفار من ان يصيبه ، ذلــك الــذى وصل الى درجة لا يستطيع انسان عادى احتمالها ، وهما خديجة بنت خويلد زوجه الكريمة التى وقفت الى جانبــه بمالها وجاههـــا ، ونصبت من نفسهـــا مواسيا لجراحه ومخففا لاحزانه ، وعمه أبو طالب ، ذلك الانســـان الــذى وقف الى جانب النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ على كفره فى جميع المواقف يدافع عنه ويحميــه وينتصر له وهـــو من هو فى مكانته ومقـــامه من قريش . أما الآن فقد ماتا متتابعين فى عام واحد والحق ذلك الحزن العميـــق بنفس النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لفقده المواسى فى الملمات ، والمدافع فى المهمات ، حتى أصبح عرضة للعذاب الشديد الذى يحول بينه وبين تنفيــذ

مهماته ومتابعته دعوته ، الامر الذى يتوجب معه الانتقال الى دار اخـــرى وقوم آخرين يحمونه ويدافعون عنه ويؤمنون به .

٤) كبرياء قريش وتعاليها :

فقد كانت قريش تتمتع بمكانة كبيرة بين العرب منذ القديم ، ذلك انها حامية بيت الله تعالى ، الذى يجتمع فيه العرب جميعا فى كل عام من شتى أرجاء الجزيرة العربية للحج والتجارة وانشاد الشعر والادب . وقد حالت هذه المكانة بينها وبين الدخول فى الاسلام الذى يسوى بين كل الناس قرشى وغير قرشى ، وعربى وغير عربى . ذلك أن الاسلام دائما يعلن المساواة التامة بين جميع البشر ، وان السبب الوحيد للمفاضلة بينهم هو تقوى الله تعالى . وقد حاول النبى الكريم ــ صلوات الله وسلامه عليـــه ــ طيلـــة ثلاثة عشر عاما أن يصل الى نفوس القرشيين عبر تلك الكبرياء . وذلـــك التجبر دون أن يمسه بسوء أو يقضى عليه لعلهم يرجعون عن غيهم وينتهون من غفلتهم ، فرضى بتخصيص مجلس خاص بهم بعيدا عـــن عامة المسلمين ، ولكنهم أبوا الا العناد والتعالى على الاسلام والمسلمين حتى لم يعد بد من كسر هذا الكبرياء والتعالى واستعمال الســـلاح والقوة ، ولكن انى للنبى ــ صلى الله عليه وسلم هذه القوة لو لم يهاجر الى المدينة المنورة لاعداد الجيش والمجاهدين .

ذلك ما اضطر معه النبى ــ عليه الصلاة والسلام آخر الأمر الى الرحيل من ديارهم ثم العودة اليهم بعد ذلك عودة الفاتحين المنتصرين ، يكسر عنادهم وتعاليهم بحد السيف وسنان الرمح فتتفتح قلوبهم بعد أن زالت الاغلال عنها وتنيخ لصوت الحق ، وتحمل لواء الفضيلة والهداية ، وتدخل فى دين اللـــه افواجا .

هذه هى اهم الاسباب التى دفعت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الهجرة من بلد الله الحرام مسقط رأسه ومحط أمله واحب بلاد الله اليه . ذلك أن الدعوة التى أنزلت عليه من الله تعالى وامر بتبليغها للناس كافة كانت احب اليه من بلده ومن الدنيا جميعها ، فغادرها وهو يناديها بنفس مكتئبـــة وقلب حزين انك لأحب بلاد الله الى ، ولو لا أن أهلك اخرجونى منـــــــك ما خرجت (أو كما قال) .

هذه أهم الاسباب التى دفعت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الهجرة ، وهى بمجموعها تتركز حول حرصه ــ صلى الله عليه وسلم ــ على سلامة سير الدعوة الاسلامية نحو القلوب المقفلة والنفوس المظلمة .

والآن لا بد لنا أن نتساءل : هل حققت الهجرة النبوية من مكة المكرمة الى المدينة المنورة الغاية المرجوة منها .. ؟

وللاجابة على ذلك فان علينا أن نتطلع الى النتائج التى انتهت اليها هذه الهجرة الكريمة ، والى سير الدعوة الاسلامية بعدها . واذا ما فعلنا ذلـــك فإننا سوف نرى ان الهجرة النبوية كانت نقطة تحول كبرى فى طريق الدعوة

الاسلامية ، فقد انتقلت بها من عهد الى عهد آخر يختلف فى كثير من جوانبه عن العهد الاول .

ويتجلى ذلك فى النقاط التالية :

١) حرية الدعوة الى الله تعالى

فقد أصبح النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى المدينة المنورة حــرا طليقا يدعو الى ربه سبحانه من شاء فى اى وقت شـاء ، دون ما رقيب عليه او معارض له . فهؤلاء هم الأوس والخزرج فى المدينة يلتفون حوله ويدافعون عنه ويحمونه ويؤمنون به ، وهم من هم فى قوتهم وجلدهم ، فقد أعطوه العهد والميثاق يوم العقبة على شركهم وعدم ايمانهم به بعد لا ينالونه باذى ، لانهم بصدد دراستهم لاحواله ودعوته وفى طريقهم للايمان به .

هذه الحرية لم تكن متاحة للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى مكة ، فقد كان اذى قريش يناله وينال كل من يتصل به أو ينصت اليه فيصرف ذلك الناس عن الايمان به .

٢) الخلاص من عذاب قريش واذاها

فقد كانت قريش تنال المسلمين والمستضعفين منهم خاصة باذى شديد لا يحتمله بشر والامثلة على ذلك كثيرة لا تعد . وهذا العذاب صارف ولا بد لكثير من النفوس عن التفكير فى الاسلام والايمان به لما ركبت عليه النفوس الانسانية من ضعف خلقى . أما فى المدينة فقد أصبح المسلمون فى أمــان الله بعيدين عن ان تنالهم ايدى المشركين باذى ، فان المدينة بلد ــ حصين ، وان الانصار قوم اشداء واقوياء وقد آخو المهاجرين والتزموا بحمايتهم والدفاع عنهم .

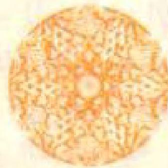
٣) تفرغ النبى ــ صلى الله عليــه وسلم ــ لبناء الدولة ، فقد أمضى فى مكة ثلاثة عشر عاما كان فيها مشغولا ببناء الفرد لم يتحول عنه ، اما بناء الدولة والمجتمع المسلم فهو ما لا سبيل اليه فى مكة مع قلة العــدد وشدة العدو . أما الآن فقد زاد عدد المسلمين وتفقهوا جميعا فى دين الله تعالى ، وخف عنهم اذى قريش ، لذلك فاننا نرى النبى ــ صلى الله عليه وسلم قد انصرف الى بناء الدولة الاسلامية وتنظيم المجتمع المسلم على اسس مخططة مدروسة اثمرت اقوى دولة عرفها التاريخ البشرى تناسقا وتماسكا وحضارة ورفاها . دولة تحمل النور والهداية والعلم للعالم كله ، فتنير بذلك قلوبــا مظلمة ، وتفتح افكارا مغلقة ، وتهدى نفوسا طالما تعطشت الــى العدالة والحرية والحق ، وتخلص بذلك الانسانية المعذبة كلها من الهاوية التى كادت تتردى فيها . فحق لها أن تكون بذلك كله خير دعوة وخير رسالة حملتها خير امة اخرجت للناس .

وعلى ذلك تكون الهجرة النبوية نقطة تحول كبرى فى تاريخ الدعــوة الاسلامية ، انتقلت بها من مرحلة بناء الفرد الى مرحلـــة بناء الجماعــة والدولة .

وقد واكب القرآن هذا التحول ، فبينما كان يعنى فى مكة المكرمة ببناء العقيدة والاخلاق وترسيخ القيم وغسل الافكار والقلوب مما ران عليها من الجهل والضلال ، اصبح يعنى فى المدينة المنورة بأمـور التشريع وتنظيم العلاقات بين افراد المجتمع من النواحى المختلفة المادية منها والمعنوية وبقيمها على أسس من العدالة وتكافؤ الفرص أمام جميع المسلمين ، بل أمام جميع الناس على اختلاف لغاتهم واجناسهم ودياناتهم ، حتى ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يعلن دائما قوله الشريف (من آذى ذميا فانا خصمه يوم القيامة) ، ويعلن قوله (كلكم لآدم وآدم من تراب) ، فانه ليس بعد هذا الانصاف انصاف ، وليس بعد هذه العدالة عدالة على وجه الارض .

٤) تفرغ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للوقوف فى وجه الكفـر ان للضلال ، وصده بالدليل والبرهان ، وبالقوة والحرب . فانه من المعروف أن للضلال شوكة فى كثير من الاحيان لا يمكن ردها بالدليل والبرهان وحده ، ولا بالحوار فقط ، بل انه يحتاج فى كثير من الاحيان مع الدليل والمجـادلة بالحسنى الى السلاح ، وهو ما لم يكن متيسرا للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مكة مع قلة عدد المؤمنين وضعف قوتهم امام كبرياء قريش وشدتها ، ولكنه تيسر للنبى الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ذلـك فى المدينة المنورة . فقد استطاع أن يعد جيشا من المؤمنين تمكن به من ان يدرأ الاذى عنهم ، كما استطاع به ان يفك الاقفال الثقيلة التى جثمت على صدور كفار قريش وغيرها من العرب ، فلم تدع النور الالهى يصل اليها الى أن فكها سيف المسلمين ، وازال الغشاوة التى تركها رانا على تلك القلوب الطيبة ، وهـو ما يشير اليه النبى الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله ـ (خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام اذا فقهوا) ، ذلك ان الفقه هو استنارة القلب بنور الله بعد ازاحة غشاوة الكفر والعناد والشرك من فوقه .

وبذلك نستطيع ان نؤكد ان الهجرة النبوية من مكة المكرمة الى المدينـة المنورة قد آتت اكلها وثمارها وانتجت كل نتائجها المرجوة منها ، وكانت بذلك فتحا كبيرا فى تاريخ الدعوة الاسلامية مما حدى بأمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ان يجعل منها منبثقا للتاريخ الاسلامى ، اشادة منه بمكانتها واهميتها . وحق له أن يفعل ذلك . رضى الله عنه وعن الصحابة اجمعين وعن تابعيهم باحسان الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .



الحاجة إلى

تقويم هجري موحد

يكون عليه عمل المسلمين في الأرض جميعاً

للدكتور : محمد عبد الرؤوف

فى اليوم الذى يطلع فيه هلال المحرم ، يبشر بميلاد العام الهجرى الجديد ، ندعو البارى تعالى الذى قدر لنا فى شهر رمضان من العام المنصرم انتصارات تاريخية على أخبث عدو عرفه الناس أن يبشرنا فى هذا العام الجديد بمزيد من النصر والتأييد والأمن والفلاح والرخاء ، ونسأله سبحانه أن يبارك وحدة عروبتنا الاسلامية ويجعلها بداية لمولد دولة اسلامية موحدة يخشى بأسها ويحسب حسابها .

أنتهز هذه المناسبة لأشرح لاخواننا فى الشرق الاسلامى عن طريق هذه المجلة المباركة مدى حاجة اخوانهم الذين يعيشون فى العالم العربى لتقويم هجرى موحد ، يعد وينشر لأعوام سابقة كى يرتبوا حياتهم وأعمالهم ونشاطهم الاسلامى على ضوئه دون شك واضطراب ، ودون انتظار حتى آخر لحظة كى يسمعوا بالحكم بثبوت الرؤية فى بلد آخر — ثم يقال لهم ان شهر الصوم قد بدأ ، أو أن عيد الفطر يحتفل به بعد سويعات ، مما لا يتفق مع نظام الحياة فى هذه البلاد التى لا يزال الاسلام فيها غريبا .

تتفضل الادارة العامة للحساب المساحى والارصاد بالقاهرة فتعد التقويم الاسلامى لكل عام وتبعثه للمراكز الاسلامية الكبرى ، وفى مقدمتها المركز الاسلامى بواشنطن ، وذلك على حسب التوقيت الزمنى للمدينة التى يوجد بها المركز الاسلامى ، ويبين فى هذا التقويم التواريخ والأعياد الاسلامية على طول العام بالمقارنة للتواريخ الشمسية ، كما يشتمل على قوائم لمواعيد الصلاة اليومية ، والمسلمون يدينون بالفضل والشكر الجزيل للسيد مدير

الادارة المذكورة ومعاونيه الكرام ، فان اعداد هذه القوائم يتطلب عمليات حسابية ومجهودات مضنية ومراجعات دقيقة .

وفور وصول التقويم الينا يقوم المركز بنقل هذه القوائم الى اللغة الانجليزية واعدادها للطبع بكيفية تتناسب مع الحاجة المحلية ثم يطبع آلاف النسخ من التقويم ويوزعها قبل عيد الهجرة على المسلمين فى شتى النواحى بأمريكا الشمالية .

وبوصول التقويم ليد المسلمين ، يقفون على تواريخ أعيادهم ومواسمهم الدينية ، فيقيدونها فى مفكراتهم ، ويرتبون على أساسها مواعيد اجازاتهم ، وقد يتقدم من يحتاج منهم الى رئيس الشركة أو المصلحة التى يعمل بها بطلب اجازة أو أجازات من العمل فى هذه التواريخ ليتيسر لهم ولعائلاتهم الاشتراك فى النشاط الاسلامى فى هذه الايام .

وليس من المستحسن أن ينتظر الموظف فى شك الى آخر لحظة متلقفا الأخبار حتى يسمع فى إحدى الأمسيات أن شهر رمضان يبدأ الليلة فينوى الصيام ، أو أن عيد الفطر سيكون غدا فيتخلف عن عمله فى صباح اليوم التالى ليكون مع اخوانه المسلمين ثم يعتذر لرؤسائه فى العمل فى اليوم الذى يليه ، فمثل هذا يؤثر على علاقته مع الشركة أو المصلحة التى يعمل بها ، وقد يؤدى الى طرده وحرمانه من مورد رزقه ، كما أنه لا شك ان ذلك ليس فى صالح العمل نفسه ، وفوق هذا فقد لا يتيسر لكثير من أعضاء الجالية الاسلامية سماع النشرة من راديو خارجى أو من صديق أو زميل مسلم ، وبالتالى يفوتهم صوم اليوم أو الاشتراك فى يوم العيد .

والعطلات الرسمية هنا فى أمريكا منها ما هو مناسبات دينية مسيحية ومنها ما هو مناسبات وطنية ، وقد نشط اليهود وأصروا على المطالبة بحق اجازاتهم أيام أعيادهم ومواسمهم الدينية ، بالاضافة الى العطلات العامة ، دون خصم شىء من رواتبهم ، وقد حصلوا على ذلك ، بل إن بعض الولايات الامريكية مثل ولاية نيويورك تحتفل بالمناسبات الدينية اليهودية وتعطل فيها المصالح ودور الحكومة ، لذلك نشط بعض المسلمين من طلاب وموظفين وطالبوا المسئولين باعفائهم من العمل أو الدراسة أيام المواسم الدينية الاسلامية ، وقد ظفر بعضهم بهذ الحق ، وبدات بعض هذه المصالح والجامعات تكتب لنا تطلب قوائم بالمواسم الاسلامية لعدد من السنين مقدما ، وقد طلبت منا جامعة « هارفر » المشهورة أن أبعث لها بتقويم اسلامى للسنوات العشرة القادمة كما أن عددا من دور النشر التى تعنى بنشر التقاويم لمختلف الأديان طلبت منا تزويدها بهذه التقاويم ، وهذا لديهم شىء مألوف فان للمسيحيين واليهود تقاويم جاهزة لعدد كثير من السنوات المقبلة لا يتطرق لتواريخها الشك ولا تتعرض للاختلاف ، وينظم رجال الاعمال رحلاتهم واجازاتهم على أساس هذه التقاويم فى وقت مبكر ، ويتطلع المسلمون الذين يعيشون فى بلاد الغرب ليتيسر لهم مثل ذلك .

ومما يذكر بهذه المناسبة أيضا أن الكثير من الجمعيات والهيئات الاسلامية ليس لديها مسجد يتسع للعدد الكثير الذى يشترك فى المناسبات

الكبرى مثل العيدين ، لذلك يضطرون لاستئجار قاعات كبرى لهـذا الغرض ، ولا يتيسر لهم هذا الاستئجار والتعاقد عليه الا اذا علموا بتواريخ هـذه المناسبات مقدما بوقت كاف ، وتجد بعض هذه المؤسسـات صعوبات جمـة فى الحصول على اتفاق لحجز قاعة مناسبة . نظرا لان هذه القاعات تحجز لأغراض اخرى فى مواعيد مبكرة جدا ، ومن ناحية اخـرى يتغلغل النفـوذ الصهيونى بين القائمين على هذه القاعات ففى مدينة نيويورك مثلا يبادر المركز الاسلامى فور وصول التقويم الجديد اليه ويعمل مبكرا على حجـز قاعة كبيرة مناسبة ، ويلقى فى سبيل الحصول على ذلك عنتا كبيرا ، ولاضرب على ذلك مثلا ما حدث فى عيد الفطر عام ١٣٨٨ هـ ، وتصادف أن كـان أيضا أول شهر يناير ١٩٦٨ ، وكان اليهود لا يزالون فى نشـوة الفرح بالنصر الذى أحرزوه فى يونيو عام ١٩٦٧ ، وبصعوبة شديدة استطعنا أن نوقـع العقد لحجز قاعة فى احدى الفنادق الكبرى المعروفة قبل عيد الفطر ببضعة أشهر ، ودفعنا جزءا من الاجر مقدما ، وابلغنا كالعادة أعضاء الجالية الاسلامية بالمنطقة عن مكان صلاة العيد وموعدها عن طريق آلاف المكاتيب الدورية التى نرسلها من وقت لآخر ، وبطرق أخرى ، ولكن قبل العيد بيومين فقط اتصل المسئول بالفندق تلفونيا بكاتب هذه السطور ليقول ان القاعـة تلزمهم لشىء آخر فى اليوم نفسه وأنه لذلك سوف لا يمكننا استعمالهـا ! فأسقط فى يدى حيث لم يكن يتيسر بحال فى هذا الوقت المتأخر ان نحصل على قاعـة اخرى . وحتى لو استطعنا الحصـول على مكـان آخـر .. وهـو أمر بعيد الاحتمال .. فلم يكن لدينا من الوسائل ما نستطيع به افادة الالوف من أعضاء الجالية عن هذا التغيير ، ولو رفعنا الامر الى القضاء ــ واكثـر قضاة المحاكم من العنصر المعادى ــ فلم يكن يجدينا شيئا ، والمحاكمة تستغرق طويلا ولم يبق على العيد الا يومان ! ولا نرى مقتضيا لسرد ما حـدث بعد ذلك من تفاصيل مؤلمة !!

والانتظار حتى يحكم بالرؤية فى بلد أو آخر من شأنه أن يثير الخلافـات ويؤدى الى الارتباكات ، خذ مثلا على ذلك ما حدث فى شهر رمضان من العام المنصرم ١٣٩٣ هـ فلقد ورد بالتقـويم الذى أعده لنـا حاسـبون قديـرون على أسس صحيحـة وبيانات دقيقـة .. أن أول شـهر رمضـان ١٣٩٣ سيكون يوم الجمعة ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ ، وأن عيد الفطر سيكون يوم الاحد ٢٨ اكتوبر من العام نفسه ، وقد رتب المسلمون أمرهم على أساس هـذه المعلومات حيث وزعنا التقويم عليهم ، ثم ذكرناهم بقرب مقدم الشهر وبعثنا لهم بامساكيات وتأهب الجميع للصوم فى اليوم المذكور ، وفجأة اذاع راديو القاهرة ــ وسمعه بعض المسلمين ــ ان الرؤية ثبتت وان اليوم ــ الخميس ٢٦ سبتمبر أول شهر رمضان ، فضج الكثيرون واضطربوا ولم تكـد تنقطـع المكالمات التلفونية الواردة من جميع انحاء أمريكا استفسارا او لومـا أو احتجاجا ، وحدث مثل ذلك واكثر منه لما سمع البعض اعلان رؤية شوال فى مساء الخميس ٢٥ أكتوبر وان العيد لذلك يوم الجمعة التالى اى قبـل ما حدد فى تقويمنا بيومين ؟ فعملت بعض الهيئات الاسلامية بما سمع مؤخرا

فغيرت وبدلت . وابقى البعض الآخر على المواعيد السابقة لأسباب يصعب التغلب عليها ، والبعض صام وافطر على حسب ما سمع من الخارج ، وظل البعض على ما نوى أول الامر ، ولكن قلوب الجميع غير مطمئنة وبالهم غير مستريح .

ولما كان عيد الاضحى فى العاشر من ذى الحجة وتاريخه يعرف عند هلال الشهر فقد قررنا منذ عامين ان نؤجل اعلان تاريخ عرفة وعيد الاضحى حتى يرد لنا تاريخهما من المملكة العربية السعودية ليتفق عيدنا مع يوم الأضحية هناك ولا يعترض إذا حدث اختلاف بين تقويمنا وما تثبته الرؤية بالبلد الحرام ، وخشية أن نصلى العيد يوم يقف الحجيج بعرفة ، فاذا وقفنا على تاريخ يوم العيد أول الشهر يكون لدينا أكثر من اسبوع لابلاغ أعضاء الجالية الاسلامية وعمل الترتيبات الاخرى من ضرب الخيام وترتيب تدفئتها وتثبيت آلات الصوت بها لتقى المصلين من البرد وأذى الامطار والثلوج المحتملة ، وكتبنا لشخصية اسلامية كبيرة مسئولة فى مكة المكرمة للتفضل بافادتنا برقيا فور الحكم بشأن رؤية هلال شوال ايجابا أو نفيا ، فوعدنا خيرا .

وقبيل شهر ذى الحجة اعددنا آلاف المكاتيب واغلفتها ، وابقينا فراغا سيرا بالمكاتيب لنثبت به اسم يوم العيد وتاريخه فور وصول البرقية الينا ، وكنا قدرنا أن تصلنا فى الثلاثين من ذى القعدة الذى يحتمل أن يكون أول ذى الحجة ، ولكن لم يصلنا شىء لا فى اليوم الاول ولا فى اليوم الثانى أو الثالث ، وظللنا نتلقى الاستفسارات من كل جانب ونحن عاجزون عن الجواب حتى مساء اليوم الرابع !

ونظرا لما سبب لنا هذا من الحرج قررنا فى العام التالى أن نتصل تلفونيا فى مساء التاسع والعشرين من ذى القعدة بالشخصية الاسلامية المسئولة بمكة المكرمة لنستفسر عما تم بشأن تحديد أول شهر ذى الحجة ، ولما كانت أمريكا تتأخر زمنيا عن مكة بأكثر من سبع ساعات حسبنا أننا اذا اتصلنا بسيادته بعد المغرب هنا سيكون الامر قد بت فيه هناك وعلم أول الشهر ويوم عرفة وعيد الاضحى على التأكيد ، ولكن لاسباب عدة لم يتيسر لنا الاتصال بسيادته الا فى اليوم الثالث من ذى الحجة حسابيا ، وكان سيادته كريما نبيلا وسر لما طمأنته عن أحوال المسلمين لدينا ودعا لهم بالخير ، ولكن كم كانت دهشتى عندما ذكر انهم لا يزالون فى انتظار الحكم بشأن الرؤية ، وأنه بالتالى لا يعلم أول الشهر ولا يوم عرفة ولا يوم العيد ! ولكنه تفضل ووعد بإفادتى برقيا عندما يتقرر الامر .

* * *

أسوق هذا كله لاشرح لك ايها القارىء الكريم مدى الاضطرابات والمتاعب التى يعانيها اخوانك المسلمون فى هذه الديار ، التى لا يزال الاسلام فيها غريبا ــ من جراء عدم الاتفاق على تقويم اسلامى موحد نخطط على ضوئه نشاطنا واعمالنا فى أمن واطمئنان ، فهل يرضى السادة العلماء والمسئولون ــ وهم أدرى الناس بالروح الاسلامية السمحة ــ أن يكون هذا حال المسلمين بين جيران من أهل الكتاب والصهيونيين والملاحدة . وفيهم من يتربص بنا الدوائر للطعن على ديننا واتهامه بالتأخر وعدم المبالاة بصالح الفرد ونظام

الجماعة ؟ وديننا هو دين التوحيد ــ توحيد الاله وتوحيد الكلمة وتوحيد الامة .. ؟

لقد صدرت فى السنوات الاخيرة فتاوى مقتضاها أنه اذا حكم بثبوت الرؤية فى بلد وجب الصوم على من علم بذلك من المسلمين فى سائر الاقطار وهذا اتجاه طيب نحو الوحدة ومتفق مع ما جرى عليه كثير من المذاهب ، لكننى أقول مع جليل التقدير أن هذا لا يكفى ، فان توقف الامر على حدوث الرؤية الفعلية والحكم بها أو اعلانها لا يدفع عنا الحرج ولا يحقق ما نرجو من تيسير ولا يعطينا الفرصة للتخطيط والاعداد المبنى على علم مؤكد سابق لا تردد فيه ، فالتوقف على ثبوت الرؤية يعنى عدم العلم بالحال الا بعد دخول الوقت ويجعل المسلم فى حيرة من أمره حتى آخر لحظة .

نعم خاطبنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه بأن نصوم لرؤيته ونفطر لرؤيته ، وقد أخذ بهذا حرفيا عندما كانت الامة جماعة تعيش على السليقة والفطرة ولم ترق بعد وسائل المواصلات اللاسلكية والحسابات الفلكية كما هى عليه فى عصرنا الحاضر عصر الذرة والفضاء ولكن كلام المصطفى صلوات الله عليه خالد وصالح للعمل والتطبيق فى كل حال وكل زمان تطبيقا لا يؤدى الى الحرج والمشقة ، ولذلك قد يتساءل سائل فيقول : هل حصر الرسول طريق العلم ببدء الشهر على رؤية الهلال بشاهد أو شاهدين ؟ وهل يمنع أن يكون هناك طرق أخرى يعلم بها دخول الشهر كأن يثبت بالحساب المنضبط إن بالامكان رؤية الهلال حيث لا يقرب القمر الا بعد غروب الشمس ببضع دقائق ؟ وهل قوله صلوات الله عليه : « فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » قرانية حتمية على أن الرؤية هى السبيل الشرعى الوحيد للعلم ببداية شهر الصوم ونهايته ؟ أم أن الرسول لما ذكر طريقا من طرق العلم يبدء الشهر وهو الرؤية نصحنا ماذا نصنع اذا كانت هى طريقنا الوحيد فلم ندر شأنها بسبب الحجاب ؟ الا يجوز أن يكون ذلك مثلا من أمثلة العجز عن العلم يبدء الشهر وبيان الحكم وهو اكمال الشهر ثلاثين فى حالات العجز كلها كاحتجاب القمر وعدم معرفة الحساب ؟ واذا كان هذا حصرا مؤكدا فكيف قال السادة الشافعية قبل عصرنا هذا بقرون طويلة بأن على المنجم ومن صدقه أن يعمل بحسابه ؟ وكيف نتردد فى تصديق الحاسبين المعاصرين وقد تمكنوا من تنظيم رحلات ناجحة الى القمر مبنية على حساباتهم الدقيقة ومعرفتهم التامة بحركات القمر ومنازله ؟ ولو حدث أى خلل فى عملياتهم الحسابية لأودى ذلك بحياة رواد الفضاء ولترتب عليها خسائر فادحة .

ان العالم الذى يحسب ويخطط لرحلات الفضاء ، ويحسب لاوقات المد والجزر ليرشد السفن التى تسير عبر المحيطات لايسر عليه أن يحسب ليعلم متى تمكن رؤية الهلال الجديد فى أول كل شهر ، بل لعل حسابه المنضبط أقوى دلالة من شهادة ثقة قد تخطىء عينه ، فيحسب السراب ماء ، والخطأ فى الرؤية محتمل جدا نظرا للبعد الشاسع بين الرائى والمرئى .

أننا معشر المسئولين عن العمل فى الحقل الاسلامى بالبلاد الامريكية

شعرنا بالحاجة الماسة لعمل تقويم موحد ، وتوعية المسلمين من اعضاء الجالية بالحاجة الى هذه الوحدة ، وتمهيد النفوس لعدم الفزع أو الاضطراب اذا ما سمعوا آخر لحظة أن المسلمين فى قطر ما قد خالفوا لثبوت الرؤية عندهم على غير ما أعلن فى تقويمنا ، ولذلك ولاسباب أخرى هامة منها الحاجة الى تنسيق الجهود والخدمات الاسلامية ، كونا فى العام الماضى مجلسا يضم رؤساء المراكز الاسلامية ممن يحملون مؤهلات عالية من جامعات اسلامية معتبرة مثل جامعتى الازهر والنجف ، وسمينا هذا المجلس : « مجلس الائمة بأمريكا الشمالية » ونأمل أن يحقق هذا المجلس اذا قدر له التوفيق أن شاء الله . أعظم الخدمات لصالح الاسلام والمسلمين وقد عقد المجلس عدة اجتماعات ، وكان مما أتمه بفضل الله تنظيم برامج الحلقات الدراسية التى تعقد للمسلمين خاصة الناشئة وحديثى العهد بالاسلام ، كما عنى المجلس بدراسة موضوع توحيد التواريخ الاسلامية ، وقد نظر فيه مرارا وقام باتصالات مع السادة المسئولين بالبلاد الاسلامية بهذا الشأن ، وأخيرا اتخذ قرارا بحل مؤقت وذلك بعمل تقويم خاص للمسلمين فى أمريكا الشمالية تحدد فيه تواريخ الاعياد والمناسبات وبدء الصوم ونهايته على حسب مطلع أحد البلاد الامريكية وعلى ضوء ما تحصل عليه من معونة وارشاد من المراصد الامريكية والاسلامية ، وذلك حتى يتم عمل تقويم حسابى تجمع عليه الامة ويكون عليه عملها مهما اختلفت مطالع بلادهم .

ولنعد الى موضوع الرؤية ، فقد يظهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « صوموا لرؤيته » قد دلنا على النقطة الزمنية التى يبدأ بها الشهر الاسلامى ، ألا وهى عندما تتأتى رؤية الهلال الجديد ، فليست هى منتصف الليل كما هو الحال فى بداية اليوم الشمسى والشهر الشمسى ، وليست مطلع الفجر ولا وقت شروق الشمس أو زوالها ، ولكنها اللحظة التى تعقب غروب الشمس فى الليلة التى يتخلف فيها غروب القمر الجديد لاول مرة عن مغيب الشمس ويمكننا معرفة ذلك ، إما برؤية الهلال الجديد فعلا واما بالحساب الصحيح المعتمد ، وعليه هل يمكن أن يحتمل قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « صوموا لرؤيته » وجوب الصوم عند العلم بالحساب الصحيح المؤكد إمكان الرؤية مطلقا .؟

والذى نقترحه ونرجو السادة العلماء والمسئولين النظر فيه هو ما يلى :

أولا : النظر فى امكان اعتبار الحساب الموثوق به لضبطه وأمانته أساسا للتقويم دون انتظار لثبوت الرؤية طالما اكد الحساب المؤكد أن الرؤية ممكنة اذا أرتفعت الموانع لتخلف غروب القمر الجديد عن غروب الشمس .

ثانيا : اختيار بلد اسلامى عريق كبلد الله الحرام يكون مطلعه أساسا لهذا التقويم الموحد .

ثالثا : العمل على جمع كلمة المسلمين حول هذا التقويم والاخذ به مهما تباعدت ديارهم أو تعددت مطالع أماكنهم .

والله على ما نقول وكيل ، وهو نعم المولى ونعم النصير .


أهمّية القدس
قديماً وحديثاً
للشيخ عبد الحميد السائح

رغم أني لست ممن يؤمن بجدوى الحلول السلمية ، والمباحثات السياسية ، في نزاعنا مع الصهيونية العالمية ، والاستعمار والامبريالية ، فاني رأيت أن أكتب هذا المقال عن القدس ، لالفت النظر ، وأنبه الغافل ، وأذكر المؤمن ، بأهمية هذا البلد ، ومدى تأثيره في اى حل يمكن أن يوضع أو يتوصل اليه ، في هذا النزاع الخطير ، وأوضح أيضا أنهم خلقوا تعبير النزاع في الشرق الاوسط ، ليسدلوا ستارا ، أو ليضعوا قفازا على وجوههم ، يحجبون بذلك مؤامرتهم على ديار الاسلام ، وعلى مسرى النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وموطن معراجه الشريف ، ولو أن سكان هذه الديار يدينون بغير دين الاسلام، أو ينتسبون لغير الامة العربية ، لما امكن أن يحيكوا هذه المؤامرة بهذا الاتقان ، والا فاين هذا النزاع في الشرق الاوسط .. ؟ أليس هو مؤامرة اغتصاب فلسطين من المسلمين ، وطرد سكانها العرب ، وتسليمها للصهيونية العالمية ، لاقامة دولتهم عليها .. ؟

ونحمد الله أن تنبه المسلمون والعرب أخيرا ، وأدركوا حقيقة الخطر ، وابعاد الشرر ، فوضعوا في الميدان ثقلهم ، وسخوا في تضحياتهم ، ونرجو أن يستمروا في خطتهم ويزيدوا تضحياتهم ، حتى يتحقق الهدف ، حرصا على وجودهم، ومقابلة لتحدياتهم ، ونرجو أن يكونوا على حذر من مغبة حلقة أخرى ، من حلقات التآمر ، حتى لا نؤخذ على غرة ، ولا نخدع من جحر مرتين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين))(١) .

ونسمع من وراء الكواليس همسات عن حلول او اقتراحات لمصير القدس ، تبعدها عن أن تعيدها الى حالتها الاولى قبل الاحتلال ، كما تزيل عنها صبغة الاسلام والعروبة وتعرضها لخطر كبير ، لذلك رأيت أن أشرح وأنبه الى أشياء قد لا تكون معروفة الا للنذر اليسير ، وأشياء أخرى لها خطرها : وقد يحاول اخفاؤها حتى لا يتنبه لها المسلمون والعرب ، في أية مناسبة يطرح فيها مصير القدس .

القدس ..

القدس بلد عربي منذ نشأته ، مقدس قبل اليهودية والمسيحية والاسلام ، فان ملكى صادق العربى اليبوسى منشىء القدس ، كان في مرتبة كهنوتية عالية ، حتى أن المسيح عليه السلام ، اعتبر من مرتبته(٢) .

ثم ظهرت الديانات الثلاثة على التوالى اليهودية والمسيحية والاسلام فنظرت اليها نظرة الاحترام والتقديس .

في نظر اليهود

رغم أن موسى عليه السلام رسول بنى اسرائيل ، لم يأت القدس ولم يدخلها ، فقد اهتمت اليهودية بها لسببين :

الاول : أقاموا لهم فيها مملكة في عهد داود عليه السلام سنة ١٠٤٩ ق٠ م لم تتجاوز مدتها سبعين سنة .

الثاني : انهم اقاموا لهم فيها هيكلا للعبادة في عهد سليمان عليه السلام وهو قسم من قصره .

ثم في عهد عزرا ، وقد هدم الهيكلان نتيجة أحداث دموية ، ثم اقيم الهيكل الثالث في عهد هيرودوس ، وقد هدم في عهد تيطس الرومانى سنة ٧٠ م .

ولما تولى ادريانوس عرش الرومان ١١٧ – ١٣٨ م ثار اليهود وقامت اضطرابات دموية لم يسبق لها مثيل ، فايقن آدريانوس أنه لا سلم ولا أمان في البلاد ما دام اليهود فيها ، فقاتلهم وقهرهم ، ومن لم يقتله أمر بطرده وحرم عليهم العودة للبلاد ودمر المدينة تدميرا كاملا وأنشأ مكانها مدينة جديدة(٣) .

أين الهيكل .. ؟

يزعم اليهود أن المسجد الاقصى المبارك ومسجد الصخرة المشرفة ، أقيما على أنقاض الهيكل دون أن يكون لديهم أى دليل علمى أو تاريخى صحيح ، ولذلك أخذوا منذ احتلال سنة ١٩٦٧ يجدون فى البحث عن مكان الهيكل ، وأخذوا يؤازرون البعثات الاثرية الاجنبية التى تبحث شرقى وجنوبى وغربى الحرم الشريف ، وان الدكتورة كينون باسم المدرسة البريطانية لعلم الآثار فى القدس منذ سنة ١٩٦٠ م وهى تبحث فى الجهة الجنوبية خارج سور الحرم عن آثار الهيكل وحتى الآن لم تعثر على شىء من ذلك . ثم تولى اليهود أنفسهم البحث بواسطة البروفسور بنيامين مازار مدير الحفريات باسم الجامعة العبرية ، وقد أبرزت الحفريات أربع مستويات أثرية :

١ – طبقة العصر الأموى حتى ايام السلاجقة .

٢ – طبقة العصر البيزنطى من الفتح العربى الاسلامى الى أيام قسطنطين الكبير .

٣ – طبقة العصر الرومانى ، عصر مدينة ايليا كابتولينا .

٤ – طبقة عصر هيرودوس حتى خراب الهيكل الثالث سنة ٧٠ م .

وقد وضع البروفسور تقريرا بما توصل اليه وأصدرته الجمعية الاثرية الاسرائيلية سنة ١٩٧٠ م ، وقد تضمن التقرير أيضا أن الجدار الجنوبى للاقصى شرقا وغربا هو بناء اسلامى ، كما تضمن اكتشاف ثلاثة قصور أموية استمرت مسكونة من قبل أمراء القدس من الامويين والعباسيين والفاطميين، وأن الوازع الدينى حمل الفاطميين والسلاجقة على اصلاح المساجد ولكن القصور بقيت خرابا حتى أظهرها التنقيب .

وهذا التقرير أغضب سلطات الاحتلال خصوصا دايان حتى أمر بإزالة الآثار العربية والاسلامية وابقاء ما عداها .

وقد توسعت الحفريات على يد الاستاذ مبير بن دوف المساعد للبروفسور مازار ، وقد وضع هو تقريرا يتضمن آثارا أموية وآثارا أخرى ليس منها أثر اسرائيلى . كما تضمن التقرير أنه يمكن اعتبار عبد الملك بن مروان الروح التى حركت الاتجاه نحو أهمية القدس وعمل على اعادة عمرانها(٤) .

البراق أو المبكى

هذا المكان فى حقيقته هو الجدار الغربى للمسجد الاقصى المبارك ، وفى سنة ١٩٢٩ حصل نزاع بين العرب واليهود على هذا المكان أدى الى اشتعال الثورة المعروفة حينئذ ، وقد شكلت لجنة من ثلاثة قضاة ليسوا من التبعية البريطانية ، وبعد أن اطلعت على جميع الوثائق التى ابرزها الطرفان تاييدا لوجهة نظره ، واستمعت للبينات والمرافعات التى قدمها المحامون عن الفريقين قررت أن المكان جزء من المسجد الاقصى المبارك وهو وقف اسلامى ، وليس لليهود فيه الا حق المرور لتادية طقوس معينة بقيود مقررة ، وقد تأيد هذا بالمرسوم الذى اصدره ملك

بريطانيا سنة ١٩٣٠ ، كما وافقت عليه عصبة الامم ، وبذلك يكون هذا النزاع قد فصل فيه قضائيا بصورة حاسمة لا يجوز اعادة النظر فيه .

الكنس اليهودية

رغم أن حكام المسلمين كانوا يحافظون على اليهود ومعابدهم واعطائهم الحرية الدينية فى جميع العصور ، حتى أنه فى القرن الخامس عشر فى عهد السلطان قايتباى على أثر صدام بين العرب واليهود هدم بعض متهوسى المسلمين كنيسا يهوديا ، فاعاد السلطان قايتباى بناء الكنيس كما كان (٥) .

وفى سنة ١٩٤٨ م كان لهم ثلاث كنس فى داخل المدينة القديمة وقد تترسوا بها وجعلوها مستودعات أسلحة وذخائر وكانوا منها يقذفون بقنابلهم ورصاصهم السكان الآمنين فى بيوتهم والحرم الشريف ، مما دفع المناضلين لنسفها وهدمها ليتخلصوا من مصدر الخطر عليهم وعلى المقدسات .

عند المسيحيين

يعود تقديس المسيحيين للمدينة الى أن السيد المسيح عليه السلام ولد فى رحابها فى بيت لحم ، وعاش فى القدس ، وله فيها آثار ومواقع دينية ، وأنهى حياته الشريفة فيها ، وأكثر الطوائف المسيحية يعتقدون أن قبره المقدس فى كنيسة القيامة ، كما أن لهم فيها عدة كنائس وأديره ، وان كان بعضهم يعتقد أن القبر موجود خارج سور المدينة فى الجهة الشمالية ، فى مكان معروف ، وهو من الاوقاف الاسلامية .

عند المسلمين

ينبع تقديس المسلمين للمدينة من عدة أمور :

١ ـ اسراء الرسول محمد عليه الصلاة والسلام اليها من مكة المكرمة ومعراجه منها الى السموات العلا .

٢ ـ انها قبلة المسلمين الاولى ، وقد صلى المسلمون اليها ، حين فرضت الصلاة ليلة المعراج ، واستمروا يتجهون اليها بعد الهجرة نحو ثمانية عشر شهرا .

٣ ـ ان المسجد الاقصى المبارك أحد المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال .

٤ ـ مضاعفة الاجر والثواب لمن يصلى فى المسجد الاقصى ، أو يساهم فى اعماره .

٥ ـ انها مركز من مراكزالحضارة الاسلامية .

٦ ـ دفن الاعداد الكبيرة فيها من أصحاب الرسول والمجاهدين والشهداء والعلماء فى مختلف العصور .

التراث الاسلامى فيها

كانت القدس تعرضت لخراب واسع فى أثناء الفتح الفارسى سنة ٦١٤ م واستمر ذلك الخراب حتى الفتح الاسلامى لأن الرومان وان استعادوها بعد ذلك ، الا أنهم كانوا متضعضعين ومرهقين نتيجة الحروب المتوالية فلم يعمروا فيها شيئا يذكر .

ومنذ الفتح الاسلامى اتجه الولاة فى جميع العصور الى أعمار المدينة،

ففى عهد أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ما لبث أن بحث عن مكان يقيم فيه مسجد المدينة ، فأرشد الى مكان الصخرة ، وكان الخراب مخيما عليها وأقام مسجده فى الجهة الجنوبية الشرقية ، فى المكان الذى يعرف حتى الآن بمسجد عمر .

وفى العهد الاموى قام عبد الملك ابن مروان الخليفة الاموى الخامس ٦٨٥ — ٧٠٥ م ببناء مسجد الصخرة المشرفة الذى يعتبر بحق درة يتيمة وتاجا فى رأس كل مظاهر الحضارة والاعمار فى أى عصر من العصور السابقة واللاحقة ، حتى أن السيد حسين شافعى كبير المهندسين المصريين لاعمار مسجد الصخرة والمسجد الاقصى ، أخبرنى انه لولا تعصب المستعمرين الغربيين لاعتبر بناء مسجد الصخرة وقبتها احدى العجائب السبعة ، ففيه من الفن والاتقان ما هو أهم بكثير من أهرامات الجيزة وقد أقام عبد الملك فى المدينة عدة قصور ، واستمر بعده ابنه الوليد ٧٠٥ — ٧١٥ م فى إنجاز مشروعات والده حتى تجاوزها فى الاتساع فعاد الى القدس عمرانها وأبهتها .

وأينما سرت فى القدس ، وفى المسجد الاقصى وحوله ، تجد آثار الحضارة الاسلامية من دور العلم والمستشفيات والمساجد والتكايا والرباطات وسبل الماء ، تتحدث عن أعمال الامويين والعباسيين والفاطميين والسلاجقة ، والايوبيين والعثمانيين ، وقد دون الكثير من ذلك فى وقفيات لا يزال الكثير منها محفوظا فى سجلات المحكمة الشرعية فى القدس ، ومنها :

١ — وقفيات أبى مدين الغوث والمحسنين من المغاربة .

٢ — وقفية صلاح الدين الايوبى .

٣ — وقفية خاسكى سلطان زوجة السلطان سليم العثمانى .

٤ — وقفيتا المحسنة المقدسية السيدة امينة الخالدى ، فقد وقفت عقاراتها التى كانت تملكها فى القدس الجديدة وفى القدس القديمة ، وهى فى غاية الاهمية والمكانة الممتازة من حيث موقعها وقيمتها ، وبخاصة العقارات الواقعة قرب المستشفى الالمانى فى أحسن موقع تجارى فى القدس الجديدة ، وقدرت قيمتها حينئذ باربعمائة ألف جنيه استرلينى، وقفتها على مستشفى اسلامى ينشا فى القدس ، وكان ذلك حينما كنت قاضيا فى القدس سنة ١٩٤١ — ١٩٤٥ م .

ومما يزيد فى مكانة القدس لدى المسلمين أنها ضمت فى عدة نواحى منها رفات عدد من أصحاب الرسول عليه السلام والمجاهدين والعاملين ، ومن هؤلاء الصحابى الجليل شداد بن أوس ، والصحابى عكاشة ، وعبد الله القرشى ، وأبو مدين الغوث المغربى ، والجراح من قواد صلاح الدين ، ومجير الدين بن الحنبلى صاحب كتاب الانس الجليل ، والملك حسين بن على صاحب الثورة العربية الكبرى وجد الاسرة الهاشمية ، ومولانا محمد على الهندى من زعماء العالم الاسلامى وعبد القادر الحسينى ، وآخرون كثيرون .

احراق الاقصى

نظرا لأطماع الصهيونية التى لا حد لها ، ومزاعمهم فى أن الاقصى اقيم على انقاض الهيكل ، اقدموا بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢١ على احراق

المسجد الاقصى فى مسرحية مكشوفة قدموا لها ضحية شابا استراليا ، زعموا أن فى عقله خللا ، وأن جريمة الاحراق أكبر من أن تحدد أبعادها ، فهى بالاضافة لآثارها المعنوية فى نفوس المؤمنين وهى لا تقدر بثمن ، فان تلك الجريمة أتت على المنبر التاريخى المعروف بمنبر صلاح الدين، وقد أعده فى حلب نور الدين الشهير خلال مدة عشرين سنة ، ليوضع فى الاقصى ، وهو تحفة فريدة فى العالم، كما أتت جريمة الاحراق على القبة الخشبية الداخلية من قبة الاقصى ، بزخارفها وما فيها من فن بديع ، وقد أعلمنى السيد حسين شافعى المشار اليه ، أن ذلك المنبر مصنوع من خشب الارز وخشب الأبانوس ومطعم بالفضة وليس فيه مسمار واحد ، فى زخرفة نادرة وان حضارة القرن العشرين تعجز عن صنع مثيل له أو للقبة الخشبية المشار اليها(٦) .

مناقشة هادئة

ولو أردنا أن نناقش مناقشة هادئة بعيدة عن التعصب والهوى لخرجنا بنتيجة هى أن القدس موضع اهتمام وتقديس أصحاب الديانات الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام، وان كلا من اليهودية والمسيحية انما تدين بديانتها فقط وبرسولها ، أما الاسلام فمبداه أن أصل الديانات السماوية واحد ، وان مردها واحد ، قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٧) .

قال مجاهد فى تفسيرها أوصيناك واياهم دينا واحدا ، وبذلك يعترف الاسلام بوحدة الاديان السماوية ، قبل أن تمتد اليها يد العبث والعبث،

كما أن الاسلام يقضى بضرورة الاعتراف برسالة موسى ورسالة عيسى عليهما السلام ، ورسالات جميع النبيين والمرسلين ، قال تعالى : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » (٨) .

ومن هذا المنطلق وهذا المفهوم ضمنت العهود والمواثيق التى كانت تعقد فى زمن الرسول عليه السلام أو زمن خلفائه من بعده ، لليهود والنصارى، حريتهم الدينية والمحافظة على كنائسهم ومعابدهم وحقوقهم كاملة .

ومن هذا المنطلق أيضا كان الحسن البصرى وأمثاله من كبار علماء المسلمين لا يتعصبون تعصبا يجعل الواحد منهم يمقت أهل الديانات الاخرى ، وكان الحسن يفتح صدره لكل شخص مهما تكن ديانته ، واستوحى من حقائق الاسلام الدعوة الى السلام والمحبة ، ولذا كان يحضر دروسه اليهود والنصارى ويواسيهم ويعزيهم ان كان ما يوجب العزاء(٩) .

وأيضا فان سلطان المغرب محمد ابن عبد الله أصدر بتاريخ ٢٦ شعبان سنة ١٢٨٠ هـ و ٥ فبراير سنة ١٨٨٤ م أمرا تضمن أسمى مبادىء العدالة ، والمساواة بين اليهود وغيرهم وبين المسلمين فى المعاملة ، وان كل من يخالف ذلك يتعرض لاقصى أنواع العقاب الرادع(١٠) .

ومنهم من كان يشغل وظيفة الوزارة أو أية وظيفة سامية أخرى، وهذا الموقف السمح كانوا يلقونه من

الاسلام والمسلمين قبل أن تظهر فيهم الفكرة العنصرية الصهيونية الفاشية .

وأما المسيحيون المواطنون فهم أقراننا فى الحقوق والواجبات ولم يقع بين هؤلاء والمسلمين أية أحداث جدية مطلقا ، الا كما يقع بين فريق وآخر من المسلمين ولهذا فان أى تفكير فى المطالبة برعاية حقوق المسيحيين فى مقدساتهم لا يستند الى أساس صحيح ولا وجه له .

وأما المستعمرون الاجانب فغير مؤهلين لحكم البلاد وسيادتها لاسباب لا تخفى على أحد ، وبذلك نصبح نحن المؤهلين الوحيدين لحكم المدينة حكما قائما على رعاية حقوق جميع الطوائف واشاعة العدالة والمساواة بين الجميع ، واعادة الحالة الى ما كانت عليه قبل العدوان الاخير ، وكل تفكير يغاير ذلك يعرض المدينة لأفدح الأضرار ويعرض السكان من المسلمين والمسيحيين لخطر التصفية النهائية والتهجير ، كما يدل على ذلك خطط الغاصبين فى تهويد المدينة وتغيير معالمها ، وازالة كل آثار العروبة والاسلام عنها .

الاقتراحات المتداولة

بلغنا أن فكرة التدويل يجرى بحثها بطريق أو بآخر ، وهى معروضة للمناقشة ، فى أى مؤتمر يعقد ، كما أن هناك فكرة أخرى معروضة ، وهى جعل المدينة بقسميها مفتوحة ، بحيث يسمح لرعايا المنطقتين أن يذهب كل منهم للمنطقة الاخرى ، ولكن لا يكون بينهما حواجز .. الخ . مع ابقاء السيادة اليهودية على القسم المحتل سنة ١٩٤٨ وابقاء نوع من السيادة على المحتل سنة ١٩٦٧ الخ .

أخطار التدويل

يعتمد الساسة الذين يدعون الى التدويل ، على أنه مما تضمنه قرار الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ م وهذا يعنى التزاما دوليا ، غير أن تدويل القدس هو جزء من قرار تقسيم سنة ١٩٤٧ ، وقد كان شاملا للقدس بقسميها ، ومع أن القسم المحتل من القدس سنة ١٩٤٨ لا نفرط فيه ولا نتنازل عنه لما يلى :

١ ــ انه جزء من المدينة المقدسة .
٢ ــ اشتمل على مناطق واسعة ، وأملاك شاسعة ، هى للعرب .

٣ ــ هو جزء من الوطن المغتصب .

الا أن موضع البحث هو تدويل القسم العربى من المدينة ، لأن هؤلاء يرون أنه ليس من السهل على الإسرائيليين أن يسلموا القسم المحتل من المدينة سنة ١٩٤٨ لسلطة دولية ، وقد أعلنوها عاصمة لهم ، ورغم كل هذا فاننا نعلم من التاريخ أن جبل طارق قد أصابه بسبب التدويل كثير من الفساد والتخريب مما لا يزال الناس يتحدثون عنه وعن أهواله ، ولم يكن لليهود علاقة ظاهرة فيه هناك ، فكيف يمكن أن يطمئن الى أية سلطة دولية تقوم فى القدس العربية فقط ، ثم لا تسيطر عليها الصهيونية العالمية أو لا تخلق فى كل يوم مشكلة جديدة للسكان العرب ؟

وبالاضافة الى هذا فان التدويل يكون سببا لجعل القدس ممرا من أجل تصريف منتجات سلطات الاحتلال الى البلاد العربية الاخرى مما يكون عاملا مهما فى افساد الاقتصاد العربى ، والتنفيس عن الاقتصاد اليهودى ، فضلا عن تسرب الاشخاص

المشبوهين أو المدمرين الى البلاد العربية مما ينذر بشر كبير وضرر مستطير .

خطر الانفتاح

وأما انفتاح القسم المحتل سنة ١٩٤٨ على القسم المحتل سنة ١٩٦٧ فانه مرحلة للقضاء على الوجود العربي أو الاسلامي في المدينة وذلك للاسباب التالية :

١ ـ السكان العرب في القدس المحتلة سنة ١٩٦٧ حول ستين ألفا .

٢ ـ بعد احتلال السلطات الصهيونية لذلك القسم ، أنشاوا فيه عدة أحياء على أراض عربية اغتصبوها من أهلها ، وبنوا على تلك الاراضي عمارات شاهقة ، لاسكان المهاجرين فيها من اليهود ، وقد سكن فيها حتى الآن ما لا يقل عن ستين ألفا ، وهو ما يعادل السكان العرب ، ويوجد الآن مساكن وعمارات جاهزة أو في سبيل الاعداد والتجهيز لاسكان مثل ذلك العدد .

٣ ـ القسم المحتل سنة ١٩٤٨ من القدس يسكنه من اليهود مئتان وعشرة آلاف ، فاذا فتح القسمان على بعضهما ، كانت النتيجة ، أن يكون العرب من مسلمين ومسيحيين نحو ستين ألفا ، يقابلهم من اليهود مئتان وعشرة آلاف سكان المنطقة المحتلة سنة ١٩٤٨ ، ونحو مائة وعشرين ألفا ، السكان اليهود في المنطقة العربية من القدس ، أي نحو ثلاثمائة وثلاثين ألف يهودي ، ولا شك أن هذا العدد الضخم من اليهود ، والذي هو قابل للزيادة ، باساليبه الجهنمية ، وخداعهم وختلهم ، يبتلع تلك الاقلية العربية ويقضي عليها تدريجيا الى أن تصبح القدس بكاملها ، صهيونية ، بموافقتنا ، ليس فيها الا أقلية عربية ، لا حول لها ولا طول ، ولذلك لا يجوز أن نقبل بحال من الاحوال ، بأقل من عودة القدس العربية الى حالتها السابقة ، وضرورة اخراج السكان اليهود الطارئين عليها بعد سنة ١٩٦٧ .

فتنبهوا يا عرب ، ويا مسلمون ، واياكم ثم اياكم أن تقعوا في أحبولة ، قد يكون مظهرها تسامحا ، ولكن جوهرها قضاء مبرم على عروبة المدينة واسلاميتها .

فاللهم اني قد بلغت ، واللهم فاشهد .

وأخيرا ..

وقبل أن اختتم هذا البحث أرى الاشارة الى الكاتب اليهودي الاميركي ، موشي منوهين ، الذي نشر في الولايات المتحدة كتابا بعنوان (انحطاط اليهودية في عصرنا) الذي كشف فيه بصراحة متناهية مخازي الصهيونية وفضائحها ، وجرائمها الوحشية ، ابتداء بمذبحة دير ياسين ومرورا بمجزرة كفر قاسم ، وانتهاء بالمجازر البشرية التي ارتكبتها اسرائيل في عدوان ٥ حزيران ، وما بعده ، وقد استهل كتابه بهذه المقدمة :

« لقد أطلقت على هذا الكتاب عنوان ـ انحطاط اليهودية في عصرنا الحاضر ـ ولكن كنت أفضل له عنوانا آخر هو (القومية اليهودية جريمة تاريخية ، رهيبة ولعينة) ، وبعد أن يؤكد ، مستندا الى التاريخ والتوراة أن عرب فلسطين الذين

أصبحوا اليوم لاجئين فى الكهوف والمخيمات خارج حدود وطنهم وأرض آبائهم وأجدادهم ، بسبب السياسة الصهيونية ، هم المالكون الحقيقيون لفلسطين » .

يختم كتابه بقوله :

« ولما كانت الحقيقة كلها يجب أن تقال ، مهما بدت مريرة ، وجارحة وقاسية ، فانى أقول : ان المطامع الصهيونية ولعنة القومية اليهودية ، تسببت حتى الآن فى وقوع ضحايا أبرياء كثيرين ، وأنا لا أعنى بالضحايا الأبرياء عرب فلسطين وحدهم ، بل كذلك يهود فلسطين أيضا ويهود المهاجر كذلك ، الذين سيدفعون يوما ما غاليا جدا ، من أخطاء زعمائهم وجرائمهم الرهيبة » .

هذا ، ومع ان حقنا فى القدس وسائر الديار المغصوبة واضح وضوح الشمس فى رابعة النهار ، يؤيده التاريخ والآثار واستمرار وجودنا العربى آلاف السنين ، ووجودنا الاسلامى أربعة عشر قرنا ، يستثنى منها فترة الحروب الصليبية، فان الامر مع الصهيونية ومؤيديها من أركان الاستعمار والامبريالية ، لا يجدى فيه المنطق والدليل التاريخى والعلمى ، وقرارات الامم المتحدة ، لذلك يجب على جميع القوى العربية والاسلامية أن تستمر فى تكتلها وتضحياتها ، البترولية ، والمادية والبشرية ، وأن تتجاوز عن أى تناقض أو خلاف بينها ، حتى تتخلص من هذا الاخطبوط ، الذى يهدد كل عربى وكل مسلم ، فى وجوده وحضارته وعقيدته، واذا وصلنا لتلك النتيجة ، وهذا ما نامله ونرجوه ، بفضل اتحادنا وتضامننا ووعينا ، فحينئذ يجب أن يرفرف على المدينة المقدسة وسائر الديار ، علم الحرية والمساواة والعدالة ، فى غير حقد ولا ضغينة ولا كراهية .



---

(١) البخارى .

(٢) المجلد الاول من كتاب روايات اليهود لجنزبرج بالانجليزية ص ٢٣٣ ، والمجلد الخامس من نفس الكتاب ص ١١٥ و ١٦٢ وقاموس الكتاب المقدس بالانجليزية ص ٧١٠ وماذا بعد احراق المسجد الاقصى .

(٣) مكانة القدس بالاسلام .

(٤) نحن وآثارنا للسيد محمود العابدى .

(٥) الانس الجليل ، وبحث خاص لاحمد زكى باشا ومكانة القدس فى الاسلام ص ٤٢ ، ومجير الدين الحنبلى .

(٦) ماذا بعد احراق المسجد الاقصى ص ٥١ .

(٧) الآية ٦ من سورة الشورى .

(٨) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .

(٩) مكانة القدس فى الاسلام .

(١٠) ماذا بعد احراق المسجد الاقصى .

نحـــــو اقتصاد إسلامي

دكتور ابراهيم فؤاد أحمد على

تلك دعوة الى الأخذ بالنظم الاقتصادية الاسلامية وتطبيقهـــا بعد أن هجرتها الدولة الإسلامية منذ وقت طويل واستبدلتها بنظم مستوردة غيـــر صالحة فى غالب الأحيان . ويهمنى فى هذا المقال الاشارة الى النظام المالى فى الاسلام كما نزل به القرآن الكريم وبينته السنة الشريفة وعمل به الخلفاء الراشدون ، وذلك لاظهار ما فى الفقه المالى الاسلامى من صلاحية للتطبيق الآن ، وما به من مزايا لم تتوصل اليها النظم المعاصرة بعد .

واذا نظرنا الى الفقه المالى الاسلامى نرى أنه وضع دعائـــم التنظيم المالى الحديث منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا . فقد حدد الموارد التى تـــؤدى لبيت المال لينفق منها على مصالح الدولة المختلفة ، واتبع مبدأ فصل أموال الدولة عن أموال الحكام فى وقت كانت تختلط فيه تلك الاموال بأموال الحكام وكان ينفق منها هؤلاء بحسب أهوائهم دون ضوابط للانفاق أو اتباع قواعد ترشيده أو مراعاة الصالح العام . ولم يتبع مبدأ الفصل الا فى العصـــور الحديثة فى حين طبقه الاسلام منذ العصور الوســـطى (منذ بداية القـــرن السابع الميلادى)

ولا بد من الاشارة عند الدعوة الى تطبيق النظام المالى الاسلامى فى الدول الاسلامية الى بعض المفاهيم الاسلامية لنتعرف عليها ونتفهم وضعها بالنسبة للمفاهيم السائدة .

المفهوم الأول :

هو أن الاسلام وضع دعائم التنظيم الحديث ، فمن الناحية المالية وضع الأصول الجوهرية لأحكم وأعدل سياسة مالية ، فبيَّن الموارد التى تؤدى لبيت المال ، كما بيَّن أوجه الانفاق الرشيد على مصالح الدولة العامة ، وهذا يتفق مع قاعدة « عمومية الميزانية » ووجَّه الانفاق وجهة اقتصادية واجتماعية ، وهو اتجاه لم تسع اليه الدول الحديثة الا فى فجر القرن العشرين ولما تبلغ غايته المرجوة بعد .

والمفهوم الاسلامى الثانى :

هو أن الاسلام جاء بأحكام مجملة تتصل بالشؤون الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . وقد أجمل تلك الاحكام قصدا اذ لو أتى بها مفصلة لتقيدت بها الأجيال ولأصاب الناس من ذلك عنت كبير . فالنظم الاسلامية ليست نظما جامدة تقف عند جماعة خاصة أو حقبة معينة من الزمن ، ولكنها مرنة ترك للمسلمين تكييفها وفق ظروفهم وأحوالهم التى يعيشون فيها . وهذا هو سر عظمة الاسلام وخلوده .

المفهوم الثالث :

ان مصادر التشريع هى القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، والاجماع والقياس وهو مبنى على الاجتهاد الذى يبين مرونة الفقه الاسلامى ويبعده عن الجمود . وقد اجتهد السلف الصالح فى الكشف والاستنباط الفقهى والعرض بما يتفق مع أسلوب عصرهم ومعارف زمانهم ، وخلّفوا لنا ميراثا ضخما تتمثل فيه عقليات العصور والمدارس الفكرية المختلفة والأزمان المتعاقبة التى عاصرت الاسلام وارتبطت به وارتبط بها فى شؤون الحياة المختلفة .

وقد ورثنا ــ نحن أبناء هذا العصر ــ ذلك الميراث فلم نفكر فى الاستفادة منه أو الانتفاع به ، ولم نفكر فى الاسلوب الذى نعرضه به على أنفسنا وعلى غيرنا ، عرضا صحيحا جذابا يدفع الى العناية به ويلفت الانظار اليه . واستهوتنا النظم الأجنبية فأصبحنا فى كثير من نواحى الحياة

عن هدى الاسلام وأصوله وقواعده بعيدين ، مع أن الاسلام لا يأبى علينا أن نقتبس النافع مما كشفه العالم الأجنبى على أن نرد الطيب منه الى أصوله الخالدة ، وانما الذى يأباه الاسلام علينا أن نأخذ كل شىء من الخارج دون رده الى قواعد الشريعة الغراء ، وقد آن الآوان لبعث هذا التراث العظيم على أيدى ، صفوة من ذوى الغيرة على الدين .

وقد دعى ذلك البعض الى القول بأن الفقه الاسلامى قد جمد وان المسلمين قد تركوا الاجتهاد ، وهذا يجعله — فى نظرهم — غير صالح للعمل به فى هذا العصر الذى ارتقت فيه القوانين والنظم الحديثة حتى كادت تبلغ الغاية . ونحن نوافق هذا الفريق على أن الفقه الاسلامى جمد من ناحية أسلوب عرضه ، ولكنه من ناحية قواعده الاساسية ومبادئه الكلية فانه لا جمود فيه بل هو حى ينبض بالحياة . يدلنا على ذلك أنه كان يظهر فى فترات متفاوتة من الزمان بعض الأئمة المجتهدين « كابن تيميه » وتلميذه « ابن القيم » يستنبطون أحكاما موافقة للعصور التى عاشوا فيها ، ويعرضون الفقه الاسلامى عرضا سليما يظهرون ما فيه من مزايا عديدة تدلنا على صلاحيته لكل الأزمان . ثم مالنا نذهب بعيدا ونحن نرى فى هذا العصر من ينادون بفتح باب الاجتهاد على مصراعيه بعد أن فتحوه ودخلوا فيه بالفعل ؟ فمثلا البحوث التى قامت بها حلقة الدراسات الاجتماعية لجامعة الدول العربية التى انعقدت بدمشق سنة ١٩٥٢ لبحث أوجه التكافل الاجتماعى ووسائل تنظيمه فى الدول العربية ، ذهبت فى هذه البحوث الى أن الزكاة تستحق الآن فى أموال لم تكن معروفة فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة وأيام الاستنباط الفقهى . وقد اتجهت الحلقة هذا الاتجاه عن طريق الاجتهاد والتخريج فى الفقه الاسلامى . مثال آخر هو البحوث التى قام بها مجمع البحوث الاسلامية فى مؤتمراته التى عقدها بين آن وآخر ، الى غير ذلك من أمثلة الاجتهاد .

والمفهوم الاسلامى الرابع :

هو أن الاسلام فى نظرته الى المال راعى المبادىء التالية :

١ — لم يحتقر الاسلام المال ولم يزهد فيه بل اعتبره نعمة من نعم الله الواجبة الشكر ، وكذلك لم يرغب فى المال لدرجة السعى الى كسبه عن طريق غير شرعى .

٢ — حث الاسلام على الكسب الحلال واعتبر ذلك قربة الى الله تؤدى الى حبه ومثوبته ومغفرته قال النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله يحب المؤمن المحترف » كما قال « من أمسى كالاً من عمل يومه أمسى مغفورا له » . وكذلك حرّم الاسلام الكسب الحرام لما له من نتائج سيئة ،

فحرم الربا والقمار .. الخ . ووضع فى ذلك القاعدة المشهورة من « تقديم المنفعة العامة على المنفعة الخاصة دائما » .

٣ ــ حرّم الاسلام السؤال والاستجداء لما فى ذلك من مذلة وهوان . قال النبى صلى الله عليه وسلم « لئن يحتطب أحدكم خير له من أن يسأل الناس اعطوه أو منعوه » . وحث على العمل ولفت النظر الى منابع الثروة المختلفة ، فقال تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » .

٤ ــ عمل الاسلام على التقريب بين الطبقات باعادة توزيع الدخل عن طريق الزكاة المفروضة والكفارات وصدقات التطوع ... الخ ، ففرض للفقير فى مال الغنى ما يزكيه ويطهره وقرر له حقا معلوما وجعله فى كفالة الدولة وعليها أن تأخذ حقه من الغنى وتعطيه للفقير حتى لا يشعر بالمهانة ، وفى الوقت نفسه أوضح الاسلام بشكل ظاهر أن المال مال الله والانسان أمين عليه ينفقه حيث أمره الله ، وان ملكيته للمال ملكية مقيدة . واذا اعتقد الانسان ذلك لم يبخل باخراج حق الغير فى المال . قال تعالى : « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » .

هذه هى نظرة الاسلام للمال ، فهو من جهة جعل له مركزا ممتازا لأنه عصب الحياة ، ومن جهة أخرى بيَّن أن المال مال الله وأن الانسان خليفته فيه ليتصرف فيه حسب الأصول الشرعية .

واختتم هذه المفاهيم بالاشارة الى أن موارد الخزانة أو « بيت المال » هى :

١ ــ **الزكاة** : بأنواعها المختلفة .

٢ ــ **الفيىء** ، ويشمل الخراج والجزية والعشور . والخراج هو ضريبة الأطيان الزراعية المفروضة عليها نظير التمتع بحق الانتفاع بها . والجزية هى الضريبة المفروضة على رؤوس أهل الذمة فى مقابل الزكاة المفروضة على المسلمين .

أما العشور فهى تقابل الرسوم الجمركية الآن ، وهى ضريبة تفرض على الصادرات والواردات من والى البلاد الاسلامية .

٣ ــ **الخُمس** : ويشمل خُمس الغنائم التى يستولى عليها المسلمون فى الحرب ، وخمس المعادن المستخرجة من الأرض ، وخمس الأسماك واللآلىء المستخرجة من البحار .

والموارد السابقة هى الموارد الرئيسية لبيت المال فى الاسلام وسيكون التركيز فى المقال التالى باذن الله على مورد الزكاة ، اذ انه من أهم الموارد المالية لبيت المال فى الاسلام على نطاق الهيئات المحلية .

نحو تربية إسلامية

يا بني



للأستاذ أحمد محمد جمال

يا بنى :

● « لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم »(١) .

ليس فى بلدك الذى ولدت فيه ، وولد فيه آباؤك من قبل ، شرك بالله فى المعتقد الدينى ، بمعنى أن الها غيره ينازعه خلقه ورزقه ، أو يدعى ويخشى تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وحاشا سكان هذا البلد الحرام ، وجيرة الكعبة المشرفة ، رمز الوحدة الإلهية : أن يكون بينهم مشرك من هذا القبيل !!

ولن أخشى عليك ، ولا على غيرك ، من أبناء اليوم وآباء الغد ، الحادا الى هذا الشرك الاكبر ، وهذا الظلم الاعظم فقد استنارت الأذهان ، واهتدت القلوب ، وآمن العالم جميعه ــ أو كاد ــ بوجود اله واحد خالد ، لولا أن وسائل هذا الايمان تختلف ، ويكتنف مظاهره ما يكتنفها من حميات وعصبيات ، وعقائد وتقاليد .

ولكنى أخشى عليك الوانا أخرى من الشرك .. الوانا لا تفتأ شائعة ذائعة ، فى أكثر بلاد المسلمين اليوم ، ولا ابرىء منها بلاد غير المسلمين ، فانها اخلاق تعم ولا تخص ، وتنتشر ولا تقتصر ، ولكنها فى بلادنا ــ نحن العرب المسلمين عامة ــ أشيع وأذيع ، لما سترى من (عروبة) منكورة و (اسلام) مهجور .. !!

هذه الألوان من الشرك ، يا بنى : منها ما هو خفى ستير ، ومنها ما هو مكشوف وضاح ، ومنها ما يمسك وحدك ضرره وأذاه ، ومنها ما يقتصر عليك شره وبلواه ..

● يا بنى :

لا تشرك بالله ، فتطلب من أحد حاجة (فضلا) ، تتذلل لها وتتعلل ، بل اطلبها (حقا) ، فان (الامور تجرى بمقادير) ، كما يقول على بن أبى طالب كرّم الله وجهه .

وتحدث الى الناس بقوة فى أدب ، وبعزة فى تواضع ، لئلا يظن أحد بك نفاقا أو ضعفا ، فان المؤمن لا يكون ذليلا ولا منافقا ولا ضعيفا .

ان رزقك المكتوب لك ــ يا بنى ــ على استقامتك ، لن يزيده أحد من الخلق ، اذا رضى عليك لنفاقك وضعفك ، ولن ينقصه أحد منهم ، اذا سخط عليك لقوتك وعزتك وعفتك .

لا تشرك بالله أحدا من الناس فى خوف أو رجاء ..

خفه وحده ــ سبحانه ــ فلا تأت معاصيه ، وارجه وحده كذلك ، فآت مراضيه . وقل الحق ما استطعت اليه سبيلا .

فقد مضى على أبيك شبابه وهو لا يمدح ظالما ، ولا يمجد غاشما ، ولا يهش ولا يبش فى وجه لص ، ولا يقول للمخطىء : أصبت ، ولا للمصيب : أخطأت ، مرضاة لرأى رئيسه أو صديقه ولا يصبر على ظلم ظالم ، الا اذا كان لا يقدر عليه ، متمثلا فى ذلك بقول الشاعر :

ان كنت تعلم يا نعمان أن يدى
قصيرة عنك ، فالأيام تنقلب

وينتظر انقلاب الأيام ، وانتقام القدر ، وقد ذاق حلاوة وفاء الأيام ، وحلاوة عدل القدر .. !

● يا بنى :

لا تشرك بالله ، فتعدل مشهودا بين الناس ، وتظلم مختفيا عنهم ، ليقال انك عادل ، والله يعلم ظلمك ، ولا تنفق جهرا ، وتمسك سرا ، ليقال انك كريم ، والله يعلم لؤمك . ولا تظهر الورع والزهد بين يدى اخوتك وجيرانك ، وأنت تأتى المآثم فى خلوتك ، ليقال : انك صالح تقى . والله يعلم اثمك .. !

ان هذا اشراك للخلق مع الخالق ــ سبحانه ــ فى خشيته وهيبته ، فأعيذك يا بنى من ذلك ، وأرجو الله أن تكون واحدا فى سرك وعلنك ، فلا تأتى الا ما تحبه ويحبه الناس ، ولا تدع الا ما تمقت ويمقتون .

أجل ان الشرك لظلم عظيم :

ظلم للظالم نفسه بما يخسر من رضا ربه الذى ينبغى ألا يطلب سواه ، وما يتبع ذلك من عقاب لن يفلت منه ، وظلم للمظلومين بما يخسرهم من حق ، ويحرمهم من فضل ، وبما يفترى عليهم من قلب الحق باطلا والباطل حقا ، وتصوير البطل جبانا والجبان بطلا ، وجعل الحلال حراما ، والحرام حلالا .

فلا تشرك بالله ــ يا بنى ــ أحدا من خلقه ، والتمس رضاه وحده ،

لتكون من عباده الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لأنهم آمنوا به ، واستقاموا على طريقته ، واتبعوا هداه .

● يا بنى :

احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك . واذا استعنت فاستعن بالله ، واذا سألت فاسأل الله ، واعلم أن أهل الارض جميعا لو تآمروا ليضروك ، لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، ولو اجتمعوا لينفعوك ، لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك « جفت الاقلام ، وطويت الصحف »(٢) .

ليس هذا الحديث من فلسفتى ، ولكنه توجيه كريم من توجيهات نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام ، يشد به عزائم أمته ، ويغذى ضمائرهم ، ويطهر مشاعرهم ، ليعيشوا وليس فى قلوبهم الا الله يخافون عذابه ، ويرجون رحمته ، ويصطحبون تقواه ، وكل الذى فوق التراب تراب ، ليس فى حسبانهم من دون الله حساب ، وليس لهم من دون الله أرباب .

● يا بنى :

عندما مضت مشيئة الله بهلاك (يام) بن نوح عليه السلام ، فغرق فى الطوفان الذى أرسل عذابا للكافرين من قوم نوح .. وعندما توجه نوح بكل ما فى فؤاده من حنان الابوة ورحمتها الى ربه ، يسأله نجاة ابنه من الموت .. كان جواب القدر العادل الحكيم : « قال يا نوح انه ليس من أهلك .. انه عمل غير صالح »(٣) .

أرأيت يا بنى كيف أن النسب مهما ارتقى ، لا ينفع صاحبه اذا ساء خلقه ، وفسد عمله ؟ فهذا نسب نوح ، وهو النبى الكريم ، لم ينج ابنه (يام) من الغرق ، لأنه اختار المضى مع القوم الكافرين . وقد الح عليه أبوه بكل ما أوتى من حنان الابوة ، وعزيمة النبوة : « يا بنى اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين »(٤) .

ان نسب المسلم هو اسلامه اسلاما صحيحا فلا تهتم يا بنى ان قيل لك : انك غير عربى الأصل ، أو قيل لك : ان نسب جدك يتصل بـ (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه ، ذلك أن أباك لا يرى لعربى فضلا على عجمى الا بالتقوى والعمل الصالح ، وهذا هو أدب الاسلام ، الذى ندين به ، ويلزمنا أن نتفاضل بالاعمال لا بالانساب : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم »(٥) .

وقد دلت وقائع التاريخ المتتابعة منذ العهد الاسلامى الأول الى اليوم ، على خطأ من لم يتأدبوا بهذا الأدب الرفيع : « العمل قبل النسب » اذ ترك أكثر العرب العمل والعلم اللازمين لاستقامة الحياة وصلاحها ، وللاطمئنان على المصير السعيد ، والخاتمة الحسنى ــ تركوهما للتفاخر بالأنساب ، والتكاثر بالأموال .

لقد رضى العرب بالحياة الدنيا ، واطمأنوا اليها ذليلة قليلة عليلة ، ولم يتزودوا لعزتها بإعداد القوة ، ولرخائها بانشاء الصناعة والزراعة ، ولعافيتها بمعرفة العلوم الطبية والرياضية والتربوية .

ومن اجل ذلك كان مؤلفو أكثر تفاسير القرآن ، وانه لكتاب العرب ،

وشروح السـنة ، وانها لحكم نبيهم ــ من غير العرب الأصلاء ، وجاء بعد هؤلاء علماء الغرب ــ عدو الشرق وسالبه حضارته وثقافته وحكمته ــ فوضعوا التواريخ ، والفهارس ، وأبحاث الآثار ، بعد أن ضربوا فى صحارى بلاد العرب ودرسوا ما فيها .. !

ان أيدى غير العرب على العرب طائلة ، وانى لأعزى نفسى مكرها ، بأنه عسى أن يكون ذلك فى مقابل أيدى العرب الطائلة على غيرهم ، أى بدلا وعوضا عما قدمه النبـى العربى الـكريم الى العالم جميعا من نور .. نور فـى كل شىء .. !

● يا بنى :

ان تكن عربيا ، فلا فضـل لك على غير العـربى الا بالتقوى والعمل الصالح ، وان تكن غير عربى أصلا ، فلك اسلامك ، وانه لفخر كل فاخر ، فقد تعلم أبوك العربية ، وحفظ القرآن ، ودرس بعض تفاسيره ، وليست العربية كما يقول رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام « بأحدنا من أب ولا أم ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى »(٦) .

ولك فيما يقوم به الآن المسلمون ، غير العرب ، من أعمال تبشـيرية بالدين الاسلامى ، وأعمال اصلاحية للنهضة باخوانهم من الذلة والقلة ، التى أورثهم اياها الاستعمار الغربى ــ لك فيما يقومون به ، ولا يقوم به غيرهم فى اى بلد اسلامى آخر ــ أسوة حسنة ، فانما الاعمال ، كما قدمت لك ، ميزانها العمل الصالح ، لا النسب والحسب .

وان صح نسبك الى عربى أصيل ــ عمر بن الخطاب أو غيره ــ فقـد جمعت خيرين : العروبة والاسلام ، على الا تسمى باسمها ، ثم تدع العمل ، وتركن الى الامل ، فكل امرىء بما كسب رهين ، ورب أعجمى مسلم بعمله ، اكرم وأسلم وأغنم من عربى مسلم بأمله .

كن ــ يا بنى ــ عربيا كما كان العرب الأول : مروءة وكرما وعفـة ، وشجاعة فى الحق ، ومسلما كما كان المسلمون الأولون : قولا سديدا ، وعملا صالحا ، وجهادا فى سبيل الله بيدك ولسانك ومالك .

وأحب العرب بكل قلبك ، فان حب العرب من حب نبيهم ، وبغضهم من بغضه ، وسل الله لهم العزة والقوة والتوفيق .

● يا بنى :

انك مأمور أن تدعو بالرحمة لأبويك وهما كبيران ، جزاء ما تعبـا فى تربيتك وأنت صغير .

وسأصور لك ما رأيت بعينى ، وما احسست فى نفسى من مظـاهر ومشاعر ، لحنان الأم ورحمتها ، وحبها الأسمى لولدها . لتدرك لمـاذا كرر القرآن الكريم الوصية بالاحسان الى الوالدين ، ولماذا خص الحديث النبوى الأم بالنصيب الأكبر من هذا الاحسان .

شهدت بعينى رأسى ، ذات صباح ، أما شابة تضاحك طفلها الرضيع ، وتقبل يده الصغيرة فى نهم وشوق واعتزاز ، بعد ليلة ليلاء قضتها سـاهرة جاهدة مع بكائه وعويله .

وتذكرت عندما رأيتها تهوى بشفتيها الرحيمتين على يد طفلها اليمنى ثم اليسرى ــ تذكرت الآيات القرآنية المتعددة النازلة بايصـــاء الأبناء بآبائهم وأمهاتهم احسانا وبرا .. !

ما أروع هذا المنظر : أم تقبل يدى طفلها اليمنى واليسرى معا ، فى نهم وشوق واعتزاز . وقد تعودنا فى مراحل شبابنا ، وكهولتنا ، وشيخوختنا ، أن يقبل الصغار أيدى الكبار ، والمرءوسون أيدى الرؤساء ، والجهلة أيدى العلماء ، وطالبوا الفضل والبركة أيدى الاتقياء والاولياء .

ان هؤلاء الأدنين يقبلون أيدى الأعلين ، خوفا ، أو طمعـا ، أو اجلالا مجرد اجلال ! ولكن الأم التى تقبل يدى طفلها اليمنى واليسرى ، فى نهم وشوق واعتزاز ، لا يدفعها الى ذلك شعور بخوف ولا طمع ولا اجلال .

انما دافعها الحب الخالص ، المنزه عن الطمع والخوف والاجلال .. الحب الذى لم يكن ثمنا لأى شىء ترجوه فى طفلها الحبيب .. !!

الا ما اغلاها قبلة .. ! وما أحلاها شفة أم تهوى على يدى طفلهـا الرضيع .. ! وما أجله حبا ، حب الأمهات للرضعاء .

ثم هذه الليالى الطوال ، ليالى الأمهات مع أطفالهن ، الليالى التى كلها سهر وتعب وصبر على شم أقذار الطفولة ومسها وتطهيرها ، الليـــالى التـى تنتهى فى الصباح الى قبلة رحيمة من فم الأم الطهور ، على يدى الطفل العزيز ، فى نهم وشوق واعتزاز .. هذه الليالى المثقلة بدموع الأم ، وعرقها ، وآهاتها ، هذه الليالى السود التى تتنفس عن صبح باسم تنسى فيه الأم آلامها ، وتهوى على يد من كان سبب هذه الآلام والأتعاب تقبلها ، فى نهم وشوق واعتزاز ، وتضحك فرحة مسرورة سعيدة كأن شيئا ما لم يقع منذ بضع ساعات أسـال عرقها ودموعها ، وأخرج آهاتها وأناتها من صدرها الحنون .. !

هذه الليالى ، هى التى هيأت الأمهات لأن تكون الجنة تحت أقدامهن ، وهى التى أوجبت حق الأمهات مضاعفا على الابناء ، فى البر والاحســان اليهن ، أكثر من حق الآباء(٧) .

ليس ذلك وحده هو فضـــل حب الأم لأولادها ، وليس ذلك وحده هو ما أوجب برها والاحسان اليها واكرامها مضاعفا كل ذلك عن حق الأب على ولده . فهنالك الدعوات المـكررة الحارة ، فى كل يوم وكل ليلة ، بل فى كل ســاعة ، تدعوها الأم لأولادها أن يهبهم الله كل صـحة وعافية تراهما فى شخص ، وكل خير وبركة تشاهدهما فى آخر ، وكل مجد ورفعة تعجب بهما فى ثالث .. وهكذا لا ترى ما يسر ويعجب فى أحد من الناس الا تضرعت الى الله أن يقر عينها بتحقيقه فى أولادها الأحباء .. !

وهنا يجب أن ندرك لماذا كرر القرآن فى مواضع كثيرة منه وصـيته : « وبالوالدين احســـانا » فى كل من سورة البقرة / ٨٣ والنســـاء / ٣٦ والأنعام / ١٥١ والاسراء / ٢٣ قارنا هذه الوصـية المكررة بوجوب توحيده بالعبادة ، ونهيه عن الاشراك به عز وجل .. ؟!

هذا ، ولسنا نهضم حق (الأب) بما أكثرنا من الحديث عن حق (الأم) على (الولد) ، فالأب هو صاحب الفضل الأكبر فى الانفاق والاشراف على

الاولاد ، تربيــة وتعليما ، وتقديما لهم فى مدارج الحيـــاة ، ومعارج المجد والرفعة . وحسبنا أن نتصور حياة (الولد) دون أبيه .. اننا نسميه (اليتيم) وننظر اليه نظرات الشــفقة والرثاء ، ونمد اليه أيدى البر والغوث ، ويراه الناس فى مجتمعه كسيرا كسيفا ! ولا كذلك (الولد) يعيش فى كنف أبيه ، وتحت ظله عزيزا كريما آمنا ، قوى النظرة واليد واللسان .

الا ما أعظمه حقا هذا الذى يجب للآباء على الأبناء ، وما أكرمها دعوة هاته التى أوحى الينا بها القرآن ، بعضا من مكافأة الاولاد للوالدين : « وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »(٨) .

● يا بنى : « أقم الصلاة ، وامر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الامور »(٩) .

تلك يا بنى وصية (لقمان) لابنه ، وقد كان رجلا حكيما من غير نبوة ، وقاضيا فى بنى اسرائيل على عهد داود عليه الســلام ، أوصى ابنه باقامة الصلاة ، والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والصبر على ما يصيبه فى سبيل كل ذلك من مكروه ..

ان اقامة الصلاة يا بنى — على وجهها — تنهى صاحبها عن الفحشــاء والمنكر ، ولذلك بدأ لقمان نصيحة ابنه باقامة الصلاة ، لينتهى هو أولا عن المنكر ، ويأتمر بالمعروف ، ويتهيأ بذلك لاصلاح الناس بعد صلاح نفسه ، اذ أن النصيحة بالخير لا تؤتى ثمارها ، وتضىء أنوارها ، الا اذا كانت صادرة من رجل خير فى ذاته ، لا كما يقول الشاعر :

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى
كيما يصــح به وانت ســقيم

ابدأ بنفســك فانهها عن غيهــا
فاذا انتهت عنــه فانت حكيم

لا تنــه عن خلق ، وتأتى مثله
عار عليــك اذا فعلت عظــيم

ولا يغرنك — يا بنى — ما ترى من رجال يقيمون الصــلاة ، ويترددون على المساجد ، يحملون مسابحهم ، وعلى وجوههم آثار السجود الطويل ، وهم مع ذلك لا يأتمرون بمعروف ، ولا ينتهون عن منكر ، فان أولئك لم يعملوا ، وانما قاموا وركعوا وســجدوا . وايمــا صلاة لم تنه صاحبها عن الفحشــاء والمنكر ، لم يزدد بها من الله الا بعدا ، وستلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها ، رمزا لعدم القبول .

فأقم الصلاة — يا بنى — صلة بالله تناجيه فيها بقلبك ، وتبثه همومك وآلامك وآمالك ، وترجوه — وحده — العون على الجهاد فى ســبيل حياة شريفة عفيفة ، وخاتمة مجيدة سعيدة .

كان (محمد) نبيك الكريم عليه الصلاة والســلام يقول : « كلمــا حزبنى أمر فزعت الى الصلاة » ، وكان يقول لمؤذنه : « أقم الصـــلاة يا بلال .. أرحنا بها » .

لقد كان عليه الصلاة والسلام يلتمس فى الصلاة الفرج ، ويرجو بها الراحة، ويجد فيها حلاوة الاتصال بالخالق الرازق ، الواهب السالب ، المحيى المميت .

وكذلك أرجو أن تكون صلاتك يا بنى ، صلة بالله وثيقة قوية ، تبعد عنك سخطه وتدنى رضاه .

ثم اذا استويت قويم الخلق ، صالح العمل ، فانشد فى غيرك الاستقامة والصلاح ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، وقل الحق ، وادحض الباطل ، وارفض الذلة والهوان « فالساكت عن الحق شيطان أخرس » ، « وأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » . ومن المعجب فى الرجل اذا سيم خطة خسف أن يقول بملء فيه : (لا) !

واذا رأيت جاهلا بأمر من أمور الدنيا والدين ، فهبه من علمك علما ، واذا لقيت عسير فهم ، فامنحه من ذكائك قسما ، واذا رأيت مظلوما فانصره ، أو ظالما فانصحه ، وامح فى طريقك ما تعثر عليه من علائم الباطل وآثار البهتان .

وبالجملة كن يا بنى : نورا من نور الله الذى يغرينا القرآن بالتماسه : « أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس ، كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها »(١٠) .

● التمس يا بنى هذا النور ، فليس من دونه ملتمس لنور : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور »(١١) .

على أنك ــ بسبب هذا النور الذى تؤتاه ملتق بشياطين الأنس والجن ، الذين يبسطون أمامك الحجب ، يصدونك بها عن سبيل الله ، ويؤذونك فى نفسك وعرضك ومالك ، فلا تبتئس لما يفعلون ، فتلك سنة الله سبقت فى من هو أفضل منك .. فى الانبياء المصطفين : « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا »(١٢) .

ولا يلقى الصبر والنصر على هؤلاء الشياطين الا ذو حظ عظيم : من حزم وعزم وايمان ، فاصبر على ما يصيبك ، ان ذلك من عزم الامور .

---

(١) سورة لقمان / ١٣ .
(٢) أخرجه الترمذى فى السنن .
(٣) سورة هود / ٤٦ .
(٤) سورة هود / ٤٢ .
(٥) سورة الحجرات / ١٣ .
(٦) رواه ابن عساكر عن مالك .
(٧) فى التوجيهات النبوية : الزم رجلها فثم الجنة .. وسأل رجل الرسول عليه الصلاة والسلام : أى الناس أحق بحسن صحابتى ؟ قال : أمك ــ ثلاثا ــ ثم قال فى الرابعة : أبوك .
(٨) سورة الاسراء / ٢٤ .
(٩) سورة لقمان / ١٧ .
(١٠) سورة الانعام / ١٢٢ .
(١١) سورة النور / ٤٠ .
(١٢) سورة الانعام / ١١٢ .

اليهود وتآمرهم

للدكتور : محمود محمد زيادة

اليهود اهل غدر وخيانة منذ وجدوا فتاريخهم حجة دامغة على انهم لا عهد لهم وانهم رجس يجب تطهير الإنسانية منه ، ووباء يجب حماية البشرية من فتكه .

فطالما أشعلوا نيران الحروب بين الشعوب ، وسلبوا أموالهم ، وافسدوا أخلاقهم ، وكان الرسول عند هجرته الى المدينة يعرف أخلاقهم المرذولة وطبيعتهم الغادرة ، ويدرك أن وراء ظهره فى الجنوب طغيان مكة وجبروت أهلها ورفضهم تقبل دعوته ومطاردتهم إياه ، فليس من الحكمة أن ينهج منهجا يثير به ثائرة اليهود الذين هم أخطر وأقوى من اهل مكة فى النواحى العلمية والاقتصادية والعسكرية وفى الوقت نفسه لا تربطه بهم قرابة كقريش بمكة تخفف من حدة العداء بل إنه كان بين هؤلاء اليهود وبين الخزرج والأوس معاهدات ومحالفات قبل مجىء محمد عليه الصلاة والسلام فإذن من الحكمة كل الحكمة أن يعقد معهم حلفا ليأمن خطرهم وليحقق فى منطقة المدينة الاستقرار والدفاع عنها ضد أى اعتداء قد يقع عليها والتعاون بالمال إذا حدثت أزمة اقتصادية ، وليضرب المثل العليا للتعاون بين اتباع الأديان المختلفة على أساس من حرية العقيدة وحرية الدين فعقد معهم المعاهدة المشهورة فى التاريخ . تلك المعاهدة التى كانت عملا بارعا وسياسة حكيمة رشيدة فقد أخذ زمام المبادرة وافصح عن رغبته فى حسن الجوار والمشاركة فى الأمور العامة وكان الأمل كبيرا بعد عقد المعاهدة أن تسير الأمور بين الرسول واليهود سيرة حسنة **ولكن ذلك لم يكن فلماذا** : ذلك لأن الرسول عندما أقام حكومته بالمدينة أساسها الوحى والشورى ، والمؤاخاة فى المبدأ والعقيدة والفكر وانفسح أمام الرسول الكريم المجال ليعلن تعاليم الإسلام وليكون بذاته وتصرفاته المثل الأعلى للتعاليم الاسلامية ، وتركت هذه التعاليم وتلك القدوة أعمق الأثر فى النفوس فأقبل كثيرون على الإسلام وإزداد المسلمون فى المدينة شوكة وقوة ، فبدأ اليهود يفكرون من جديد فى موقفهم من محمد وأصحابه لقد عقدوا معه عهدا ، وهذا العهد يحول بينهم وبين المجاهرة بالعداوة وحمل السلاح ، وكانوا يطمعون أن يضموه إلى صفوفهم ، وأن يزدادوا به على النصارى قوة ومنعة لأنه كان أقوى من هؤلاء وأولئك جميعا فهل يتركون دعوته تنتشر مكتفين بالأمن فى جواره أمنا يزيد من تجارتهم سعة ، وثروتهم ربحا ؟؟ لعلهم كانوا يقنعون بهذا لو انهم آمنوا الا تمتد دعوته إلى اليهود والا تفشو فى عامتهم . على حين تقتضيهم تعاليمهم المزعومة الا يؤمنوا بنبى من غير بنى اسرائيل ،

فكانوا يفهمون أنهم خارج نطاق الدعوة الإسلامية وحسبهم منها أن يتحالفوا مع صاحبها ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم افهمهم ان الدعوة لهم وللعرب وللناس جميعا . بل كان النبى ينتظر من اليهود ان يكونوا أول المؤمنين به لا أن يكونوا أول الكافرين به ، فدعوته دعوة السلام والإصلاح ، وكانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ، وقد حرفوا صفات النبى العربى التى يجدونها مكتوبة عندهم فى التوراة حتى لا تقوم عليهم الحجة بنبى يبعث من العرَب ، وكانوا يستفتحون به على العرب من الأوس والخزرج ويقولون لهم : « إنه قرب زمان نبى يبعث فى آخر الزمان سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وثمود » فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، وعاندوا وبلغ عنادهم نهايته ، وغيظهم مداه حين فوجئوا بإسلام حبر من كبار أحبارهم هو « عبد الله بن سلام » وقد روى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة جاءه عبد الله بن سلام فسأله عن اشياء لا يعلمها إلا نبى فأخبره بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال : « يا رسول الله إن اليهود قوم بُهُت ــ جمع بهوت والبهوت العريق فى الكذب والافتراء ــ وأنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم الى اليهود فدخلوا عليه فقال :

« يا معشر اليهود ويلكم . اتقوا الله فوالذى لا إله إلا هو . انكم لتعلمون انى رسول الله حقا وإنى جئتكم بحق فاسلموا » فقالوا : « ما نعلمه » قال : « فأى رجل فيكم « عبد الله بن سلام » ؟ قالوا : « سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا » قال : « أفرأيتم إن أسلم ؟ » قالوا : « حاشا لله ما كان ليسلم » قال « يابن سلام اخرج عليهم » فخرج فقال : « يا معشر يهود اتقوا الله فوالله إنكم لتعلمون إنه رسول الله وإنه جاء بالحق » فقالوا : « أنت شرنا وابن شرنا » وتنقصوه . فقال : « يا رسول الله هذا الذى كنت أخاف » .

فخبرنى أيها القارىء الكريم أى تناقض أعجب من هذا التناقض ولا عجب إذا عرفنا طبيعتهم المتناقضة ، وأنهم لا يرعون إلاً ولا ذمة .

وبدأت حرب جدل بين اليهود والمسلمين أشد لددا وأكبر مكرا من حرب الجدل بينه وبين قريش فى مكة واستعملوا الدس والنفاق والعلم بأخبار السابقين من الأنبياء والمرسلين أسلحة يقاومون بها انتشار الدعوة الإسلامية ولو أدى ذلك إلى إنكار كل ما فى التوراة كما استعملوا سلاح الوقيعة بين الأوس والخزرج .

ومن أمثلة إنكارهم لما فى التوراة ما سبق من انكار صفات محمد وأيضا ما روى عن عبد الله بن عمر أن اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا أن رجلا منهم وامرأة

زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم ؟ »

فقالوا : « نفضحهم ويجلدون » فقال عبد الله بن سلام : « كذبتم إن فيها الرجم » فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها فقال عبد الله ابن سلامم « : أرفع يدك » فرفع يده فإذا آية الرجم موجودة فيها .

ومن أمثلة الدس والوقيعه بين الأوس والخزرج ما روى انه مر شاس بن قيس على نفر من اصحاب رسول الله من الأوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فآلمه ما رأى من الفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية فقال : « قد اجتمع ملأ بنى قيله ــ الأوس والخزرج ــ بهذه البلاد لا والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار » فأمر شابا من يهود وكان معه فقال : « أعمد اليهم فاجلس معهم وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار » ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا ثم قال أحدهم لصاحبه : « إن شئتم رددناها الآن جذعة » وغضب الفريقان جميعا وقالوا « قد فعلنا موعدكم الظاهرة ــ وهى الحرة ــ السلاح السلاح » فخرجوا إليها وبلغ دلك الرسول فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه من المهاجرين حتى جاءهم فقال : « يا معشر المسلمين . الله . الله . ابدعوى الجاهلية وأنا بين اظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام واكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم ؟ »

فبكى القوم وعانق بعضهم بعضا وعرفوا انها دسيسة من عدوهم .

ولما لم تفد هذه الاسلحة فكروا فى أن يمكروا بالرسول وأن يقنعوه بالجلاء عن المدينة كما أجلاه أذى قريش من مكة ، فذكروا له أن من سبقه من الرسل ذهبوا جميعا إلى بيت المقدس ، وكان به مقامهم ، وإنه إن يكن رسولا حقا فجدير به أن يصنع صنيعهم ، ولكن الله سبحانه وتعالى اخبره بهذا المكر وأوحى اليه أن يجعل قبلته إلى البيت الحرام « فلنولينك قبلة ترضاها . فول وجهك شطر المسجد الحرام » فولى وجهه شطر المسجد الحرام ، وانكر اليهود على النبى ما فعل وقالوا : « إنهم يتبعونه اذا رجع الى قبلتهم » وهم كاذبون فى ذلك أشد الكذب وأعظمه وعندئذ نزل قول الله تعالى : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها . قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

وقد أكثر اليهود من التنديد على الاسلام لهذا التحويل فقالوا : « إذا كان سمت المسجد الأقصى غير حق فقد أضاع محمد عبادة الذين صلوا إليها ، وأذا كان حقا فلا معنى للتحول عنه وتكون الصلاة إلى الكعبة ضائعة : وقالوا : « إن أفعال محمد لو كانت مستندة إلى وحى ربانى لما نسخ اليوم ما فعله بالأمس ، ولما قال اليوم قولاثم نقضه فى الغد ولا سيما فى الأمور التعبدية » .

ولا شك أن هذا دس ودعاية كاذبة ارادوا بها تشكيك المسلمين فنزلت آيات سورة البقرة حاملة على اليهود ومطمئنة للمسلمين فقررت أن المسألة ليست فى الشرق ولا فى الغرب وإنما

هى الاتجاه الخالص لله ، وأن الله لا يضيع إيمان المؤمنين ولا صلاتهم ، وعليهم الا يستمعوا إلى دسائس اليهود الذين يعلمون أن ما وقع حق وإن كتموه ، وانه لا امل فى اتباعهم لدعوة النبى وقبلته وأن الله لا ينسخ أمرا إلا ويأتى بخير منه أو مثله ولله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

وإزاء موقف قريش وموقف اليهود كان على الرسول واصحابه أن يناضلوا عن وجودهم ، وأن يعملوا ما يستطيعون على إيجاد حالة من السلم الدائم تهىء الجو لتأسيس مجتمع فاضل يعيش فى ظله الناس متحابين فى أمن وسلام ، وذلك لا يكون إلا بنشر دعوة الإسلام . دعوة الاصلاح والسلام ، والحضارة التى وضع الرسول حجر الأساس فيها بتعاليمه ومثله ، ولكن كيف يكون ذلك ومشركو العرب لا يزالون سادرين فى غيهم واضطهادهم للمسلمين واليهود يتحينون الفرص للقضاء على الإسلام .

الرسول يريد أن يؤدى رسالته وأن يبلغ دعوة الاصلاح والسلام يريد أن ينقذ الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور . عزيز عليه عنتهم حريص عليهم . قد ملىء قلبه بالشفقة والرحمة ، وكان شأن المخالفين للرسل الذين سبقوه المحق والابادة ففريق يغرقهم فى اليم وفريق آخر يرسل عليهم صيحة واحدة فيجعلهم كهشيم المحتظر لا تبقى ولا تذر كالقنابل الذرية الفتاكة ، والرسول يشفق عليهم من كل هذا مع أنهم اشد شموسا واغلظ اكبادا واعظم إيذاء من سابقيهم فكان موقفه معهم كموقف الطبيب الألمعى من المريض يجرب كل دواء ، ولا يلجأ الى المبضع إلا إذا فشل الدواء وتعين السلاح ، فقد بشر وانذر ، ولاقى من الأذى ما لاقى ، واخرجوه من داره بعد أن ائتمروا على قتله ، واخرجوا اصحابه من ديارهم بغير حق سوى قولهم ربنا الله ، فحاول تجنب قتال القرشيين بإرسال جماعات صغيرة وهى المعروفة بالسرايا ــ جمع سرية وهى القطعة من الجيش وتطلق على الجماعة الصغيرة التى يكون على راسها احد قادة رسول الله ــ تهدد طريق تجارتهم التى يحرصون على سلامتها كل الحرص وتشعرهم بقوة المسلمين علهم يثوبون الى رشدهم ، فيحاولون التفاهم مع الرسول وأصحابه تفاهما يؤدى إلى حرية الدعوة وحرية دخول مكة لأداء فريضة الحج فيحجون كما تحج بقية القبائل العربية ، فكانت السرايا والغزوات وفى المرحلة الأولى منها كان اليهود يعدون أنفسهم لرفض الوجود الاسلامى الذى كان ينمو ويتزايد ، فلما حدثت سرية عبد الله بن جحش واثارت قريش ثائرة الدعاية ضد الرسول دخل اليهود فى الموضوع يريدون اشعال الفتنة والحرب ثم نزل القرآن قاطعا لألسنة قريش واليهود وبينت آية البقرة (٢١٧) أن المتلبس بكثير من الشرور ليس له الكلام فى زلة قد ارتكب ما هو أشنع منها وأيقن الرسول أن اليهود لا يرجى منهم اجابة الدعوة ، وليس هذا فحسب بل انهم لا عهد لهم ولا زمام .

أثر انتصار بدر فى اليهود ــ إجلاء يهود بنى قينقاع عن المدينة :

حدث عقب السرية السابقة غزوة « بدر الكبرى » أولى معارك الإسلام ضد الذين

حاربوا الدعوة وانتصر المسلمون فيها انتصارا رائعا،وإذا كان هذا الانتصار قد ترك آثارا فى المشركين عامة وفى قريش خاصة فإنه ترك آثارا أكثر وضوحا فى اليهود فقد ازداد حقدهم أكثر من ذى قبل على الرسول يدلنا على ذلك قول كعب بن الأشرف أحد زعمائهم : بطن الأرض خير من ظهرها بعد أن أصيب أشراف الناس وسادتهم وملوك العرب وأهل الحرم والأمن : ويقفون موقفا جديدا بدأت مظاهره بالتحريض والإغراء بمحمد وأصحابه والتشبيب بنساء المسلمين ،

والائتمار بالرسول والتفكير فى اغتياله وكان ذلك يصل علمه الى الرسول والمسلمين فيأخذون حذرهم منهم ويصبرون على أذاهم وما زال الأمركذلك حتى نقصد يهود بنى قينقاع — وكانوا يسكنون فى قلب المدينة — عهدهم بالتعدى على امرأة مسلمة من الأنصار بسوق الصاغة حيث ذهبت الى سوق بنى قينقاع فجلست عند صائغ لأجل حلى لها . فتعرض لها جماعة من اليهود والذين كانوا عند الصائغ ، واصروا على أن تكشف لهم عن وجهها . يعاونهم فى ذلك الصائغ اليهودى اللئيم الذى أدرك اصرار المرأة وعدم تنازلها عن أن تكشف لليهود وجهها فاختلس لحظة وعقد طرف ثوبهاالى ظهرها بشوكة، فلما قامت انكشف بعض جسدها فضحكوا منها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على اليهودى ودخل معه فى عراك فقتله ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم بالمسلمين على اليهود فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع فذهب الرسول إلى هؤلاء الأوغاد وطلب منهم أن يكفوا عن أذى المسلمين وأن يحفظوا عهد الموادعة أو ينزل بهم ما نزل بقريش.

فاستخفوا بوعيده وأجابوه : لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة : إنا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس !

فى اعتقادنا انه لم يبق بعد ذلك إلا مقاتلتهم ، وإلا تعرض المسلمون وتعرض سلطانهم للتداعى ، واصبحوا حديث الناس ، فكان قرارا حكيما من الرسول حينما أعلن أن يهود بنى قينقاع . إما أن يسلموا ، وإما أن يجلوا جلاء تاما عن المدينة ، ولما لم يستجيبوا لهذا الاعلان وتحصنوا بحصونهم خرج المسلمون إليهم فحاصروهم فى دورهم وحصونهم خمسة عشر يوما متتابعة فى بطولة فدائية رائعة . لم يجرؤ فيها احد منهم على مغادرة منزله . على الرغم من أن عددهم وعدتهم أكثر واقوى مما لدى المسلمين فهم عند بعض المؤرخين سبعمائة مقاتل (ثلاثمائة دارع وأربعمائة جاسر) ، وكان هذا العدد يتحرك على أرض تمكنه من القتال ، ومن المناورة ، وذلك أنهم كانوا قد اتخذوا لهم حصونا ومخابىء . ومع ذلك فإن أولئك الذين هددوا وتوعدوا الرسول فى سوقهم « لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس » .. قد ظلوا فى حصونهم ومخابئهم حتى اضطروا إلى أن يستسلموا بلا قيد ولا شرط لجبنهم وذلتهم التى كتبت عليهم والتى أصبحت صفة لازمة لهم ، فاليهود أجبن خلق الله وأضعفهم ، ولا يستأسدون إلا إذا وجدوا من يحميهم ويشد ظهورهم ، وهم الآن فى طريقهم الى الضعف والاختلاف « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » والفرصة متاحة للقضاء عليهم إذا ما صدقت العزائم وقويت الهمم ، وإنا لا محالة إن شاء الله لمنتصرون عليهم . وعندما أعلن اليهود تسليمهم بلا

قيد ولا شرط فوضوا أمرهم للنبى أن يفعل بهما يشاء . وقبل أن يتخذ الرسول قراره فى القوم تقدم إليه عبد الله بن أبى بن سلول وقال : يا محمد أحسن فى موالى : فأعرض عنه الرسول ولم يرد عليه فاستجار ابن أبى بالرسول وقال : والله لا أدعك حتى تحسن فى موالى أربعمائة جاسر وثلاثمائة دارع منعونى من الأسود والاحمر تحصدهم فى غداة واحدة ، والله لا آمن ولا أخشى الدوائر !

فهل أثر هذا الكلام فى نفس الرسول ؟ أم أن الرسول أراد أن يلقن بقية اليهود من بنى النضير وبنى قريظة وغيرهما درسا فى العفو عند المقدرة ، وأنه مهما كثر عددهم وقويت عدتهم فإن الله ناصره عليهم ؟ فقال لابن أبى : هم لك : واكتفى بإجلائهم عن المدينة على أن يتركوا من ورائهم السلاح وادوات الذهب وكان الذى يشرف على عملية الجلاء « عبادة بن الصامت » الذى كان حليفهم ومع ذلك لم يتشفع فيهم وتبرأ من حلفهم ، فنزل فيه وفى ابن أبى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم .. إلى قوله : ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » فتم الجلاء وساروا حتى بلغوا وادى القرى وبقوا هناك زمنا ثم ساروا إلى أذرعات على حدود الشام ولم يبقوا فيها طويلا حتى هلك اكثرهم واستولى المسلمون على أموالهم ، وديارهم وحصونهم دون أن تراق قطرة دم واحدة .

أثر جلاء بنى قينقاع

وكان ذلك الجلاء فى منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة ولا شك أن جلاء قبيلة يهودية كانت تسكن قلب المدينة يعد نصرا كبيرا للإسلام والمسلمين ، وهزيمة شنيعة لليهود والمنافقين والمشركين فقد جلا بنو قينقاع دون أن تتمكن بقية القبائل اليهودية من مدّ العون والمساعدة لهم . ذلك أن الرسول حينما عقد المعاهدة مع اليهود عمل عملا بارعا يدل على حنكة سياسية ، وبعد نظر ، فلم يجمع قبائل اليهود كلها فى معاهدة واحدة ، ولم يجعل منهم شخصا معنويا حتى إذا ما حدث النزاع فى المستقبل بين المسلمين وبعض طوائف اليهود لم تجد بقية القبائل اليهودية مجالا للتدخل فى هذا النزاع ، وهذا ما حدث بالفعل . فمثلا عند ما نقض يهودبنى قينقاع عهدهم واصطدم بهم المسلمون وقف بقية اليهود على الحياد وقالوا : مالنا ولهم نحن على عهدنا : فلم تمكنهم المعاهدة من عمل شىء ظاهر ، ولكنهم اليهود . الجبناء فقد بدءوا يخططون على المدى البعيد فلجأوا الى أساليب إشاعة الفتنة وعمل العراقيل ضد المسلمين ونقل أخبار المسلمين إلى المشركين ، فيروى لنا التاريخ أن أبا سفيان لم يطق البقاء بمكة قابعا تحت خزى هزيمة بدر فخرج بمائتين من أصحابه يريد المدينة ، ولما قاربها أراد أن يقابل اليهود من بنى النضير ليستشيرهم ويستعين بهم على حرب محمد فأتى سلام بن مشكم ، واجتمع به وتدارس معه أجدى الطرق للايقاع بالمسلمين ووضح له سلام أفضل الثغرات للهجوم برجاله على وادى العريض ، فهجموا عليه وقتلوا رجلين وحرقوا بيتين وبعض الخيل ثم أنكفأ أبو سفيان هاربا مخافة أن يطلبه محمد ، فكانت حملته كحملة قطاع الطرق وكان يصل علم ما يقوم به اليهود الى الرسول وأصحابه فيأخذون حذرهم منهم وصاروا

يعتقدون أنهم لا يقلون خطرا عن قريش .

إجلاء بني النضير : بعد موقعة أحد وجد أهل المدينة من اليهود والمنافقين فيما أصاب المسلمين بالرجيع وبئر معونة ما أعاد إلى ذاكرتهم هزيمة المسلمين فى أحد وما اضعف فى نفوسهم من هيبة محمد وأصحابه ، وفكر النبى فى هذه الحالة تفكير سياسى دقيق النظر . بعيد مرامى الرأى ، فليس شىء أشد على المسلمين يومئذ خطرا من أن تضعف فى نفوس مساكينهم بالمدينة هيبتهم ، وليس ما يطمع قبائل العرب فيهم من أن تشعر بهذا الانقسام الداخلى الذى يوشك أن يثير حربا أهلية إذا غزا المدينة غاز من جيرانها . ثم إنه رأى أن اليهود والمنافقين يتربصون به الدوائر ، فقدر أن لا شىء خير من أن يستدرجهم لتتضح نياتهم . وكان قد حدث أن قتل « عمرو بن أمية الضمرى » رجلين من بنى عامر انتقاما من قبيلتيهما لقتلهما عددا من المسلمين يوم « بئر معونة » وكان الرسول قد أمنهما ولم يعلم بذلك عمرو فعزم الرسول على دفع دية الرجلين فذهب الى محلة بنى النضير على مقربة من قباء فى عشرة من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى . يطلب منهم دفع نصيبهم — بمقتضى المعاهدة — من دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو ابن أمية خطأ ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه : وتظاهروا بالقبول ثم خلا بعضهم إلى بعض وتآمروا على قتل النبى عليه السلام بالقاء حجر عليه من فوق الجدار الذى يجلس الرسول إليه ويحدد ابن هشام فى سيرته اسم الرجل الذى يقوم بهذا العمل وهو « عمرو بن جحاش » .

وهل جاء الرسول الوحى بما عزم عليه القوم فقام ، وقال لأصحابه : لا تبرحوا مكانكم حتى آتيكم ، وخرج راجعا الى المدينة ؟أو عرف النبى ذلك بعمق شفافيته وسرعة بديهته فقد رأى ببصيرته النافذة كيف يقوم بعض القوم إلى البعض يسرون القول . ثم يلمح أحدهم يتسلل إلى البيت الذى يجلس الرسول إلى جداره فيستأذن أصحابه فى هدوء ويقوم وحده عائدا إلى المدينة . وأيًا ما كان فإنه لما أبطأ قام أصحابه فى طلبه فأخبرهم الخبر من اعتزامهم الغدر به .

وأمر بالتهيؤ لحربهم ، وقبل أن يسير لهم أرسل إليهم « محمد بن مسلمة الأوسى » يقول لهم :

« إن رسول الله أرسلنى إليكم . أن اخرجوا من بلادى . لقد نقضتم العهد بما هممتم به من الغدر . لقد أجلتكم عشرة أيام . فمن رئى بعد ذلك ضربت عنقه » فبدأ القوم يستعدون للرحيل ، وبينما هم يتجهزون إذ جاءهم رسولان من عبد الله بن أبى يقولان لهم : « لا تخرجوا من دياركم وأموالكم واثبتوا ونحن ننصركم على محمد وصحبه » فطمع بنو النضير بهذا الوعد ورأوه فرصة . ماذا لو انتصروا هم ومنافقو المدينة ، وعادت إليهم أوضاعهم كما كانت قبل الإسلام ؟

ويستقر رأيهم على القتال ، ويقيمون المتاريس فى الطرقات ويحتمون بالحصون ويكدسون أرزاقا تكفيهم سنة كاملة من الحصار ، والماء متيسر فى آبار الحصون ورغم كل هذا الذى عبأ به اليهود أنفسهم من تآمر وتحالف وتحصين فإن النبى قد وجه المسلمين أن يقوموا الى اليهود فى مواقعهم ويهاجمونهم فى حصونهم ، وتدور الحرب بين المسلمين ، وبين بنى النضير : دارا

بعد دار وشارعا بعد شارع واليهود يدمرون ما يضطرون الى اخلائـــه « يخربون بيوتهم بأيديهم وأيـــدى المؤمنين » . ومع صبر المسلميـــن وجلدهم ، وقوة إيمانهم ومواصلـة حصارهم لبنى النضير ست ليـــال متتابعة لم يظهر ضعف فى مقاومـة اليهود ، فأمر الرســول بقطع بعض نخيلهم وحرقها . ليكــون ادعـــى لتسليمهم . لأن الرسول يعرف طبعهم الذى لا يعرف معانى التضحية والبذل فى مواقف الشـــدة وقذف الله فـــى قلوبهم الرعب ، ولم يصل إليهم مـــن عبد الله بن ابى مساعدة ، فقبلـــوا الجلاء بشرط أن يكف الرسول عـــن دمائهم وأموالهم وأمتعتهم إلا آلـــة الحرب فقبل الرسول أن يكف عـــن دمائهم ، وكل ثلاثة منهم لهم بعيـــر يحملون عليه ما شاءوا من متـــاع واموال فقط . فصار اليهود يخربون بيوتهـــم بأيديهـــم كى لا يسكنهـــا المسلمون .

جلا بنو النضير فنزل بعضهم بخيبر وقصد بعضهم الآخر الشام :

الجريمة والجزاء : إذا نظرنا إلـــى جريمة بنى النضير . نجدها جريمة فظيعة كانوا يستحقون من اجلهـــا الإبادة جميعا .

ذلك انهم لم يتآمروا على قتل فرد بصفته فرداً ، وإنما تآمروا عليـــه بعنوان انه نبى المســلمين ، ورئيس دولتهم ، وصاحب الدعوة التى الفت بين قلوبهم ، وجعلتهم قوة لا يستهان بها ، وإذن فهـــم تآمروا على كـــل المسلمين فى شخص الرسول عليـــه الصلاة والســلام . ولا زالت تلـــك طبيعتهم الشريرة إلى يومنا هـــذا . يحاولون القضـــاء على صاحب كـــل دعوة جديدة وعلى كل رئيس يعمـــل للصالح العام فى الدول العربيـــة يســـعى للنهوض بهـــا وتقدمها ، ويضعون الصعـــاب فى طريقـــه ، ويعملـــون على التفرقـــة بينه وبين جماعته ، ولكن كل ذلك لن يكون !.

فكما انهم لم ينجحوا فى مؤامرتهم ضد الرسول ورد الله كيدهم فـــى نحورهم ، فلن ينجحوا فى مؤامرتهم ضد المسلمين والدول العربية ، فقـــد وضحـــت سرائرهـــم ، وانكشفت مؤامرتهم ووضحت لكل ذى عينين .

وعلى ذلك فجريمتهم كانت بشعـــة ومع هذا فلم يأمر الرسول بإبادتهـــم بعد استســلامهم لأن الرسول مـــن خلقه العفو والصفح حتى مع اعدائه

ويرجو أن يرتدع غيرهم ، ويرجع عن التآمر والغدر ، ولكن ذلك لم يكن لأن جبلتهم الغدر والخيانـــة وسيتضـــح ما كان من يهود بنى قريظة من تآمر ، ولذا كان جزاؤهم يختلـــف عن بنـــى قينقاع وبنى النضير اختلافا تاما .

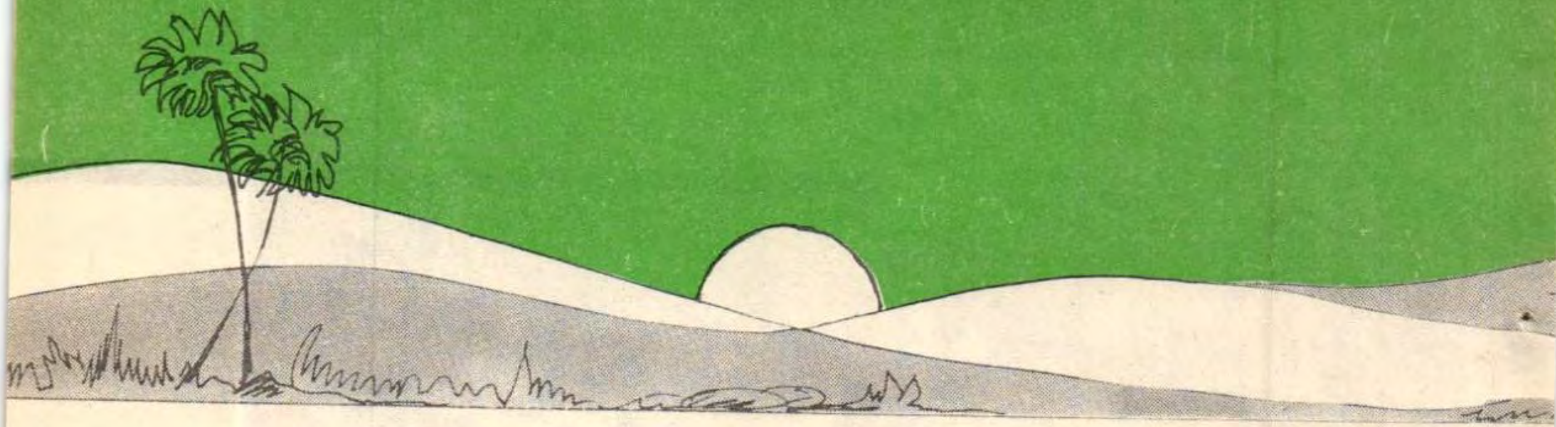
أثر جلاء بنى النضير : من السهل أن يقدر الإنسان قيمة نصر المسلمين واجلاء بنى النضير عـــن المدينـــة ، فضعف اليهود ، يؤدى بالتالـــى إلى اضعاف العنصر الثانى وهم المنافقون ويبين اهمية جلاء بنى النضير أن سورة الحشر نزلت فيما كان منهم ومـــا حل بهم ، وفيما كان من المنافقين الذيـــن شجعوهم على المقاومة وما كان من الفوائد التى عادت على المسلمين من جلاء قبيلة بأكملها عن المدينة ، فقـــد أصبحت أرضها ملكا لمن اختص بـــه من المهاجرين وبعض الانصار الفقراء مثل ابى دجانة وسهل بن حنيف فاغتبط المهاجرون والأنصار بما أصابـــوا من ارض اليهود ، وسر الجميع بغنيمـــة السلاح الذى تركه بنو النضير بنـــاء على شروط الجلاء .



حَديثُ أمّ معبد

من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم حديث أم معبد رضى الله عنها الذى حدث به حبيش بن خالد رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسم حين خرج من مكة مهاجرا الى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبى بكر عامر بن فهيرة رضى الله عنهما ، ودليلهما الليثى عبد الله بن الاريقط مروا على خيمتى أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة برزة جلدة ، تحتبى بفناء قبتها ، ثم تسقى وتطعم ، فسألوها تمرا ولحما ليشتروا منها ، فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك ، وكان القوم مرملين مسنتين ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ، قال : هل لها من لبن قالت : هى أجهد من ذلك ، قال : أتأذنين لى أن أحلبها ، قالت : نعم بأبى أنت وأمى ان رأيت بها حلبا فأحلبها ، فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسح بيده ضرعها ، وسمى الله تعالى ، ودعا لها فى شأنها فتفاجت عليه ، ودرت واجترت ، ودعا باناء يربض الرهط ، فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء ، ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب آخرهم ، ثم أراضوا ، ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء حتى امتلأ الاناء ، ثم غادره عندها ، وبايعها وارتحلوا عنها ، فما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا ، تساوك هزالا ، مخاخهن قليل ، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال : من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاء عازب حيال ، ولا حلوب فى البيت قالت : لا والله الا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا .

قال صفيه يا أم معبد قالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزر به صعلة ، وسيما قسيما ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف ، وفى عنقه سطع ، وفى صوته صحل ، وفى لحيته كثاثة ، أزج أقرن ، ان صمت فعليه الوقار ، وان تكلم سماه وعلاه البهاء ، فهو أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنهم وأجملهم من قريب ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هزر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة ، لا يأس من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، ان قال أنصتوا لقوله ، وان أمر تبادروا الى أمره ، محفود محشود لا عابس ولا مفند .



قال أبو معبد : هو والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ، ولقد هممت بأن أصحبه ، ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا ، فأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقـــين قالا خيمتى أم معبـد
هما نزلاها بالهدى واهتـدت به ... فقـد فاز من أمسى رفيق محـمد
فيالقصى ما زوى الله عنـكم ... به من فخار لا يبارى وسـؤدد
ليهن بنى كعب مقام فتـاتهم ... ومقعـدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شـاتها وانائها ... فانكم ان تسألوا الشاة تشـهد
دعاها بشـاة حائل فتحلبت ... له بصريح ضرة الشـاة مزيد
فغـادرها رهنا لديها لحـالب ... يرددها فى مصـدر ثم مورد

فلما سمع بذلك حسان رضى الله عنه قال يجاوب الهاتف :

لقد خاب قوم غاب عنهـم نبيهم ... وقدس من يسرى اليهم ويغتـدى
ترحل عن قوم فضـلت عقولهم ... وحل على قوم بنـور مجدد
هداهم به بعد الضـلالة ربهم ... وأرشدهم ــ من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا ... عمى وهداة يهتـدون بمهتد
لقد نزلت منـه على أهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم بأسـعد
نبى يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله فى كل مسـجد
وان قال فى يوم مقـالة غائب ... فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى الغد
ليهن أبا بكر سـعادة جده ... بصحبته ــ من يسعد الله يسعد

● ام معبد : بفتح الميم ، واسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية ، خزاعية ، كعبية ، صحابية ، وكانت نازلة بخباء فى طريق المدينـة ، وقصتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورة مروية من طرق عديدة ، تعضدها ، وتصححها ، وحبيش بن خالد هو اخوها .

في ذكرى الهجرة

من حديث النصر

للدكتور محمد الدسوقى

١ ــ تذكر المعاجم اللغوية لمادة « نصر » بعض المعانى المختلفة ، ومع هذا تدور كلها فى نطاق نشر الخير ودفع الضر ، فقد جاء فى كتاب المفردات للراغب الاصفهانى : النصر : العون ، ثم قال : ونصرة الله للعبد ظاهرة ، ونصرة العبد لله هو نصرته لعباده ، والقيام بحفظ حدوده ، ورعاية عهوده ، واعتناق أحكامه واجتناب نهيه .

وقال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة : النون والصاد والراء أصل صحيح يدل على اتيان خير وايتائه . ونصر الله المسلمين : آتاهم الظفر على عدوهم . وانتصر : انتقم .. والنصر : العطاء .

وورد فى لسان العرب لابن منظور : النصر : اعانة المظلوم ، والنصر : الغيث والعطاء ، والنصرة : حسن المعونة ، والتناصر : التعاون ، وانتصر الرجل : اذا امتنع من ظالمه ، قال الأزهرى : يكون الانتصار من الظالم الانتصاف والانتقام ، وفى التنزيل العزيز : والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون (١) » .

قال ابن سيده : ان قال قائل : اهم محمودون على انتصارهم أم لا ؟ قيل : من لم يسرف ولم يجاوز ما أمر الله به فهو محمود .

٢ ــ وقد تحدث القرآن الكريم عن النصر فى آيات كثيرة ، اذ وردت فى الكتاب العزيز مادة « نصر » نحو مائة وخمسين مرة ، وقد تناول ذلك الحديث بوجه عام نصر الله لعباده المؤمنين ، وأن غير الله لا يملك لأحد نصرا ولا خيرا ، وأن الذين بغوا وسعوا فى الارض فسادا انتصر الله منهم ، وكانوا عبرة لغيرهم من المتجبرين والقاسطين .

ولا مجال فى هذه الكلمة للحديث عن تلك الآيات جميعها ، فهى تحتاج الى دراسة مستفيضة ، ومن ثم أقصر حديثى الآن على آية واحدة جاءت فى سورة البقرة ــ أطول سور القرآن الكريم ــ لأنها ربطت بين النصر وأسبابه وأكدت أن الخلف

(١) الآية : ٣٩ فى سورة الشورى .

في القرآن الكريم

كالسلف يخضعون لقانون واحد لا يتبدل ولا يتحول « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » (٢) .

وهذه الآية هى قول الله تبارك وتعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب » (٣)

٣ ــ وللمفسرين (٤) أقوال متباينة فى سبب نزول هذه الآية ، منها أنها نزلت فى غزوة الخندق ، حين تعرض المسلمون فى المدينة لحصار الاحزاب واصابهم ما أصابهم من الجهد والشدة وسوء العيش ، حتى استبد بهم الجزع والفزع ، وبلغت القلوب الحناجر ، وظنوا بالله الظنونا .

وقيل : نزلت الآية فى غزوة احد ، وهى الغزوة التى اضطرب فيها أمر المسلمين بسبب مخالفة الرماة أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنالت منهم قريش ما نالت ، وسقط منهم عدد من الشهداء كان على رأسهم حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه .

وروى أن عبد الله بن أبى قال للمسلمين بعد حرب أحد : الى متى تقتلون أنفسكم وترجون الباطل ، ولو كان محمد نبيا لما سلط الله عليكم الأسر والقتل ، فأنزل الله هذه الآية (٥) .

وقيل : نزلت الآية بعد الهجرة تسلية للمهاجرين الذين تركوا ديارهم واموالهم ، وتحملوا العنت والأذى فداء لعقيدتهم وحريتهم .

٤ ــ والذى يلاحظ أن هناك قاسما مشتركا بين كل ما قيل فى سبب نزول هذه الآية ، وهو ورودها فى معرض الحديث عن الفتنة والابتلاء ، ومكايدة الشدائد ومجاهدة الأعداء ، وأن الفوز بنصر الله فى الدنيا ودخول الجنة فى الآخرة مناطه هذه المكايدة والمجاهدة ، ورسوخ اليقين عند الفتنة والصبر والثبات فى مواطن الابتلاء .

واذا كانت الآية الكريمة قد اشارت الى أن الصراع قائم بين الحق والباطل منذ أن خلق الله الانسان

---

(٢) الآية : ٦٢ فى سورة الأحزاب .

(٣) الآية : ٢١٤ من سورة البقرة .

(٤) انظر تفسير القرطبى جـ ٣ ص ٣٣ ، والبحر المحيط جـ ٢ ص ١٣٩ .

(٥) تفسير الفخر الرازى جـ ٥ ص ٢٠ .

فانها قد بينت فى ايجـاز دقيـق ، وتصوير رائع أن مشيئة الله فى خلقه اقتضت أن يكون انتصار الحق علـى الباطل مرتبطا بدرجة الايمان بالحق والجهاد فى سبيله ، فلا يكفى الحق أنه الحق لتكون له السيادة والقيادة ، وليدفع عدوان الباطل عليه ، بل لا بد من أن يصبح الحق واقعا ماديا فـى الظاهر ، بعد أن صار حقيقة كامنـة فى الضمير ، وآية هذا جهاد دائـب وبذل موصول وصبر كريم مهما تكن المشقات والأخطار والمصائب فـى الأنفس والأموال ، وبـدون ذلـك لا ينتصر أصحاب الحق فى هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

٥ — على أن الآية فى مستهلهـا تخاطب أهـل الصـدر الأول من المؤمنين (٦) ، ولكن هذا الخطـاب ليس قاصرا عليهم ، فهو موجه الـى كل من ارتضى الاسلام دينا ليدرك أن مجرد الانتماء الى هذا الدين القويم لا يؤهل لنصر اللـه فى الداريـن ، وإنما يؤهل لهذا النصر التزام صادق بكل ما تعبد الله به خلقه « إن تنصروا الله ينصركـم ويثبت أقدامكـم (٧) » وصبر على ما جرت به سنة الله مـن ابتلاء عباده المؤمنين بمختلف الـوان الابتلاء ، اظهارا للمجاهدين الصابرين من المنافقين والمخادعين « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم (٨) » .

وحديـث الآيـة عن المجاهـدة والابتـلاء والصبـر يوضح مبلـغ ما يتعرض له المؤمنون من نصـب ، وما ينالهم من عنت ، ويومىء الى أن الباطل يلجأ إلى كل وسيلة تتيح لـه فرصة النيل من الحق ، فقوله تعالى : « مستهم البأساء والضراء وزلزلوا » يدل على أن دعاة الحق ينزل بهم من الشدائد والمصائب سواء فى الأنفس والأموال ما يقض مضاجعهم ويزلزل قلوبهم ، فهم فى رعب واضطراب كأن الأرض قد مادت بهم .

وفى قوله تعالى : « حتى يقـول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله » ما يدل كذلك على أن ما أصاب المؤمنين من شدائد وأهوال تجاوز حد الصبر عليه والثبات معه ، لأن رسل الله أسوة فى الجهاد والصبر والثبات عند المحن والفتن ، فاذا لجأ الرسول والذين آمنوا معه الى استعجال نصر الله الذى أبطأ عليهم (٩) — فيمـا يرون — دل ذلك على أن الأمر بلـغ الغاية القصوى فى الشـدة ، وأن المؤمنين امسوا فى خطب عظيم وكرب أحاط بهم ولا يجدون مخرجا ينقذهـم ويدرأ السوء عنهم .

٦ — ويذهب بعض المفسرين الى أن التعبير بصيغة المضارع « حتـى يقول » فيه إشارة الى تكرر استعجال النصر ، وهو يبرز جسـامة الخطر وضراوة الخوف والجزع ، كما أن فيه تصويرا لهذا الموقف كأنـه واقـع مشهود يتمثله المخاطب فيستخف بما ينزل به ازاء ما يتمثله ، ولذا يواجـه الشدائد والأهوال بعزيمة الصابرين وثبات المجاهدين الصادقين .

وقد جاء ختام الآية معلنا أن نصر الله قريب ، وهو بلا جدال قريب لمن استحقه وبذل تكاليفـه واضطلـع بأعبائه ، وإذا كان هذا النصر يبطىء أحيانا فلحكمة قد تخفى على المؤمنين ،

(٦) أنظر تفسير المنار جـ ٢ ص ٢٩٩ .
(٧) الآية ٧ فى سورة محمد .
(٨) الآية ٣١ فى سورة محمد .
(٩) أنظر البحر المحيط جـ ٣ ص ١٤١ .

وهم من ثم لا يضجرون ولا يهنون لأنهم على ثقة من أن الله لا يتخلى عنهم ، وصدق الله العظيم : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين (١٠) » .

٧ ــ وحاصل معنى الآية أن طريق الجنة محفوف بالمكاره ، وأن نصر الله مقرون بالتضحية والصبر ورباطة الجأش لا بالأماني والكلمات ، وان ما يتعرض له المؤمنون من الآلام والأخطار قليل فى جنب ما قاسى غيرهم ممن سبقهم بالإيمان والهدى (١١) ، ليتأسى اللاحق بالسابق فى المجاهدة والمصابرة وليؤمن الناس بما لا يدع مجالا للشك أن سنة الله فى عباده المؤمنين واحدة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد روى عن خباب بن الارت رضى الله عنه قال : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة ــ وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلنا : الا تستنصر لنا ، الا تدعو لنا ؟ فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار ، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون (١٢) » .

٨ ــ وهذا المعنى الذى تحدثت عنه آية البقرة وقررت به سنة الله فى خلقه لتقبل النفوس المؤمنة راضية مطمئنة على حمل الأمانة لا تخشى الباطل مهما أمعن فى الكيد ، ولا تزيدها المحن الا قوة فى الإيمان وصبرا فى الجلاد . تتوقع نصر الله كلما غام الأفق وبدا أن الفجر بعيد (١٣) . ــ هذا المعنى تحدثت عنه عدة آيات غير تلك الآية ، منها قوله تعالى فى سورة آل عمران : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » (١٤) . وفى سورة التوبة قال الله تعالى : « أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ، ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون » (١٥) . وفى سورة العنكبوت يقول الله تبارك وتعالى : « الم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (١٦) . وفى سورة محمد قال الله تعالى : «فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فامَّا منّاً بعد وإمَّا فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضهم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم » (١٧) .

وهذه الآيات كما نرى تتحدث عن فتنة المؤمنين وابتلائهم وتمحيصهم ، وتؤكد سنة الله فى خلقه ، وان الايمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل وان سبيل الفوز برضوان الله ونصره مناطه الجهاد والصبر ، ومن ظن غير ذلك فقد ضل سواء السبيل .

٩ ــ ومن المسلم به أن الله لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، فهو سبحانه يعلم حقيقة القلوب قبل المحنة والابتلاء ، فكيف

---

(١٠) الآية ٤٧ فى سورة الروم .
(١١) تفسير المنار جـ ٢ ص٣٠١ .
(١٢) تفسير القاسمى جـ ٣ ص ٥٣٠ .
(١٣) فى ظلال القرآن جـ ٢ ص ١٣٠ .
(١٤) الآية ١٤٢ .
(١٥) الآية ١٦ .
(١٦) الآية ١ ، ٢ ، ٣ .
(١٧) الآية : ٤ .

ورد فى بعض تلك الآيات ان الله يمتحن عباده المؤمنين ليعلم الذين جاهدوا وصبروا وصدقوا واخلصوا فى ايمانهم ؟ إن هذا يعنى ان الابتلاء والامتحان يكشف فى عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله مغيب عن علم البشر ، فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم ، وهو فضل من الله من جانب ، وعدل من جانب ، وتربية للناس من جانب فلا يأخذوا أحدا إلا بما استعلن من أمره ، وبما حققه فعله ، فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه (١٨) .

ومن المسلم به ايضا ان الله يدافع عن عباده المؤمنين ، ولكن دفاع الله لا يتنزل على الكسالى والمهملين والمتواكلين والذين يحسبون ان مجرد الإيمان وإقامة بعض الشعائر يحقق لهم النصر والخير ، وإنما يتفضل الله بدفاعه ونصره على الذين ابلوا فى سبيله أحسن البلاء ، وجاهدوا أصدق الجهاد ، لأنه سبحانه لا يريد لعباده أن يكون النصر لقية تهبط عليهم من السماء بلا عناء (١٩) ، ففى الجهاد والبذل والصبر فى مواطن الشدة والخوف تربية ضرورية للأمة التى اختارها الله لحمل الرسالة الخاتمة ، فلا تنوء بها أو تتقاعس عن الذود عنها ، ولهذا جاء الإذن بالقتال بعد الحديث عن دفاع الله عن المؤمنين ، وفى هذا إشارة إلى أن النصر لا يجىء الا بعد بذل وجهاد ، ولا يهبط على الذين أخلدوا إلى شهواتهم وآثروا الدنيا على الآخرة وصدق الله العظيم « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور . اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٢٠) » .

١٠ ــ ولنا فيما قصه القرآن من اخبار الأنبياء والمرسلين والمؤمنين المجاهدين ما يرشد الى تلك السنة الإلهية التى تحدثت عنها بعض آيات الكتاب العزيز سنة الابتلاء والامتحان قبل الحماية والدفاع والتأييد والنصر ، فهذا سيدنا ابراهيم عليه السلام دعا قومه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام فأعرضوا عنه وسخروا منه وآذوه واضطهدوه ، ولكنه لم يعبأ بسخريتهم وإيذائهم واخذ يواصل جهاده وكفاحه من اجل تبليغ دعوته وانقاذ قومه من براثن الجاهلية ، غير انهم قرروا أن يحرقوه بالنار بعد أن عجزوا عن أن يمنعوه وما يريد « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين (٢١) » ، ولم يستطع ابراهيم أن يتغلب على قومه ، وهنا منعه الله مما هو عاجز عنه ، وأيده بنصره وحمايته وأنقذه من كيد المشركين « قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم . وارادوابهكيدا فجعلناهم الأخسرين (٢٢) » .

١١ ــ وفى قصة الهجرة دليل واضح على تلك السنة الخالدة ، فقد صبر المؤمنون فى مكة على الاضطهاد والتعذيب ، وضربوا أروع الأمثلة فى

---

(١٨) فى ظلال القرآن جـ ٢٠ ص ١٠٥ .
(١٩) المصدر السابق جـ ١٧ ص٩٨ .
(٢٠) الآية ٣٨ ، ٣٩ فى سورة الحج .
(٢١) الآية ٦٨ فى سورة الانبياء .
(٢٣) الآية ٦٩ ، ٧٠ فى سورة الانبياء .

الجهاد والفداء ، فنصرهم الله نصرا عزيزا .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اذن له ربه بالهجرة الى يثرب يفكر مليا فى هذه الرحلة الشاقة ويتخذ الأسباب التى تكفل لها النجاح مع ثقة لا حد لها فى وعد الله بالحماية والنصر .

إن الرسول كان يدرك أن قريشا قد أعدت عدتها لتنفيذ ما أطبقت عليه كلمتها فى دار الندوة ، وأن بالها لن يهدأ حتى تنفذ ما انتهت اليه وان مجرد خروجه من مكة لا يعنى نجاته من الخطر ، لأنه سيطارد . فى مخارم الجبال والأودية ، فكان عليه ان يخطط لهجرته ويحتاط لكل الاحتمالات وإن بدا ما قام به الرسول إزاء قوة قريش أمرا هينا لكنه كان لازما ، فضلا عن تأييد الله ونصره — لكى يصل الرسول الى يثرب ومعه صاحبه دون أن تنال قريش منهما ما تريد .

وتمثلت الخطة التى وضعها الرسول ليفوت على قريش هدفها فيما يلى :

اولا : سرية اللحظة التى خرج فيها من مكة ، او بعبارة أخرى تضييق دائرة الذين يعرفون هذه اللحظة بحيث لم تشمل سوى أفراد قلائل ممن لا يشك فى اخلاصهم وصدق جهادهم (٢٣) .

ثانيا : خداع قريش والتجسس عليها للوقوف على خططها بعد أن عجزت عن النيل من الرسول وهو فى بيته حتى يأخذ حذره ويتصرف طوعا لما تدعو إليه الأحداث وتوحى به الأخبار .

لقد كانت الهجرة عملا منظما يخضع للتخطيط العلمى الدقيق ، وكان هذا من عوامل نجاحها وآية على أن التوكل الحق على الله يجب أن يصحبه العمل المخلص والسعى الممكن وأن من أخلد إلى الوهن والكسل وظن أن السماء لن تدع حقه فريسة للباطل فهو واهم .

إن قدرة الله لا يعجزها أن يأوى محمد الى فراشه ليلا فى مكة لتبزغ شمس اليوم التالى عليه وهو فى يثرب دون أن يلجأ إلى غار ودون أن يستعين بمن يأتيه بأخبار أو يدله على طريق ودون أن يتحمل ما تحمل من وعثاء السفر فى طريق طويل كله صخور ورمال ، ولكن قضت مشيئة الله أن تكون الهجرة على هذا النحو من الجهاد والتنظيم والتخطيط لتكون أروع دليل على أن تأييد الله لأوليائه منوط بما يبذله هؤلاء من جهد وعمل « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم (٢٤) » .

لقد ذاق محمد صلى الله عليه وسلم النصر بعد مرارة الصبر والكفاح والنضال ، وكان ربه قادرا على عصمته من اذى الناس الا انه جل شأنه أراد به ذلك حتى يفتح أعين الذين آمنوا على سنته فى خلقه ، فلا

(٢٣) انظر سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ١٢٩ .
(٢٤) الآية ٤٠ فى سورة التوبة .

يغتروا بانتسابهم الى الاسلام من غير جهاد ، أو يستسلموا الى الوهن وهم يحسبون أنهم على ربهم يتوكلون .

١٢ ــ وبعد فهذا طرف من حديث النصر فى القرآن الكريم يتضح منه أن سنة الله فى عباده المؤمنين ماضية الى يوم القيامة ، وأن نصر الله لأوليائه مرتبط بما يبذله هؤلاء من المهج والاموال وما يصبرون عليه من الشدائد والمصائب ، فقد شاء الله أن يكون للنصر تكاليفه وأعباؤه التى ينوء بها ضعاف الإيمان والذين يعبدون الله على حرف ، وهؤلاء أبدا لا ينصرون ، أما المؤمنون الذين صبروا وصابروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، واتخذوا كل أسباب النصر ، ولم يركنوا إلى التواكل والكسل فهم اهل لحمل تلك التكاليف والأعباء لا يفرون منها ولا يضيقون بها وإنما يقبلون عليها بنفوس مطمئنة تزيدها الشدائد مضاء واصرارا على بلوغ الغاية المقدسة ــ النصر أو الشهادة ــ مهما يكن الثمن ، وهؤلاء المؤمنون الصابرون يدافع الله عنهم ، ويمنعهم مما هم عاجزون عنه ولا قبل لهم به ، ويحقق لهم دائما النصر على أعدائهم .

إن المسلم لا يرضى بالدنية فى دينه ودنياه ، وهو لهذا لا يهادن الباطل ولا يصادق الكفر والطغيان ، ويؤمن بأن الله وحده نعم المولى ونعم النصير ، وأن السبيل إلى عون الله ونصره إعداد القوة ، قوة الإيمان والأبدان والسلاح ، ثم الصدق فى الجهاد والثبات والصبر عند الشدائد والمحن ، والسعى المخلص لإعلاء كلمة الله،وصدق الله العظيم : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور (٢٥) » .



(٢٥) الآية : ٤٠ ، ٤١ فى سورة الحج .

الحدود في الاسلام



الخمر ومو قف الاسلام منها!

للاستاذ : عبد الكريم الخطيب

١ ـ يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون . وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ، فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » (٩٠ ـ ٩٢ المائدة) .

تجىء هذه الآيات الكريمات من سورة المائدة تعقيبا على آيات جاءت قبلها فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » .. وفى هذا التعقيب تحرير للطيبات ، وعزل للخبائث من المأكولات والمشروبات عن حماها ، حتى لا يدخل فى طعام المؤمن وشرابه الا ما هو طيب ، لأن المؤمن طيب طاهر ، ولن يحفظ عليه طيبه وطهره الا اجتنابه لكل رجس وخبث .

وقد كشف القرآن هنا عن وجه بعض تلك المطاعم الخبيثة ، وهى الخمر التى من شأنها أن تذهب بعقل شاربها ، وتنقله من عالم الانسان الى عالم دون عالم الحيوان ، ثم الميسر ، وهو القمار ، والمال الذى

يخاطر به فيه ، ويقع ليد كاسبيه ، وهو مال حرام ، وما جلب به من طعـــام هو خبيث محرم .. ثم الأنصاب ، وهى حجارة كانت تنصب حول الاصنام ، لتذبح عليها الذبائح المقدمة قربانا لها ، فكل طعام مورده من هذا المورد ، هو خبيث بخبث ما دخل عليه من شرك بالله ، وان كان فى أصله طيبا .. ثم الازلام ، وهى قداح الميسر يلعب بها على الذبائح ، مقامرة ، فحكمها حكم الميسر فى خبث ما يرد منها ..

٢ ــ ويعنينا هنا من الكشف عن وجه هذه المنــكرات ما يدخل على المتلبس بها ، أو بواحدة منها من ضياع وخسران ، وبعد عن مواطن النجـــاح والفلاح ، لانها من عمل الشيطان ، والشيطان لا يعمل الا الشر ، ولا يريد بأبنـــــاء آدم الا افسادهم ، والتنكب بهم عن طريق الخير والولاء لله رب العالمين ، كما يقول سبحانه : « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصـــدكم عن ذكر الله ، وعن الصلاة » فهذا ما يريده الشـــيطان من اغوائه واغرائه لمن يستجيبون له ، ويتناولون من يده هذا الرجس المهلك ..

٣ ــ ولأن الخمر هى اشأم وجوه هذا الرجس ، واشدها فتكا بمعالم الانســـانية فى الانسان ، فقد اقامها القرآن الكريم فى تلك الآية الكريمة على رأس هذه المنكرات : « انمـــا الخمر والميسر والأنصـــاب والأزلام رجس من عمل الشـــيطان » ولهذا أدرجتها الشريعة الاســـلامية مع الكبائر التى أوجبت اقامة الحد على مرتكبهـــــا ، كالقتل ، والزنا ، والسرقة .

٤ ــ وقد بينا فى أحاديث ســـبق نشرها فى اعداد مضت من مجـــلة (الوعى الاسلامى) موقف الشريعة الاســـلامية من القتل والزنا ، والسرقة ، وما رصدت لهـــا من عقوبات رادعة ، يتولى ولى الأمر من المسلمين انزالها بمرتكبيها ..

ونعرض فى حديثنا هذا لجريمـــة الخمر ، ونظرة الشريعة اليهـــا ، وحسابها لشاربيها .

ويقتضينا البحث هنا أن ننظر فى أمرين :

أولهما : الخمـــر ، من حيث ماهيتها ، والمـــادة أو المواد التى تتخذ منها ..

وثانيهما : الخمر ، ومكانهـــا بين المحرمات فى الشريعة الاسلامية .

أما الخمر ، من حيث ماهيتهـــا فأمرها معروف ، ولم تكن بنـــا من حاجة الى الكشف عن وجهها ، لولا أن كثر كلام الفقهاء فيها ، وتعـــددت وجوه الخلاف بينهم فى صفتها ، وفى المادة التى تصنع منها ، والطريقـــة التى تصنع بها حتى تـــكون خمرا ، وحتى تأخذ صفة الخمر التى جاءت الشريعة بتحريمها ، واقامة الحد على شاربها ..

ولقد اختلف الفقهاء فى المادة التى تصنع منها الخمر ، فوقف بهـــــا بعضهم عند التمر والعنب ، بمعنى أن ما صنع من غيرهما لا يعد خمرا ، وان كان له ما للخـــمر من أثر فى شاربها ، وهم يســـتدلون على هذا بما روى عن النبى صلى الله عليـــه وســـلم من انه قال : « الخمر من هاتين الشجرتين » واشار الى النخلة والكرمة .. بل لقد ذهب بعضهم الى ان الخمر ما كان من العنب وحده ، مستدلا على هذا بقوله تعـــالى : « انى أرانى أعصر خمرا » (٣٦ : يوسف) ومؤولا الحديث : « الخمر من هاتين الشـــجرتين » على أن المراد بالشجرتين شجرة واحدة ، هى شجرة العنب ، اذ المثنى ــ فى تقديره ــ قد يطلق على المفرد ــ كما

فهم ذلك من قوله تعالى : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » قائلا ان المراد بالبحرين أحدهما .. وهذا لا شك تعسف فى التأويل ، لا يراد به الا التلهى بشرع الله ، والعبث بآياته وكلماته .. والأمر فى هذا أوضح من أن يحتاج الى الكشف عن عواره ، والدلالة على اسفافه وسقوطه .. اذ كيف يشير الرسول الكريم الى شيئين بلفظ المثنى فيقول « من هاتين الشجرتين » وهو يريد واحدة ؟ .. ثم كيف يستدل بقوله تعالى : « انى ارانى اعصر خمرا » على أن الخمر لا يكون الا من العنب ، حيث هو الفاكهة التى تعصر ، وما دام صاحب يوسف فى السجن قال : « أعصر خمرا » فذلك دليل قاطع على أن الخمر لا يكون الا مما يعصر ، ولا يكون ما يعصر الا العنب . ان هذا الضرب من اللغة ، لا يصدر — كما قلنا — الا من عابث لاه ، لا يرعى للدين حرمة ، ولا يقيم لمدلول اللغة وزنا !! انه اهدار لمعانى الكلمات اللغوية ، فضلا عن الاستخفاف بدين الله ، والجرأة عليه .. !

٥ — وأما القائلون بأن مادة الخمر محصورة فيما أخذ من التمر او العنب ، وهم يستدلون على هذا بقوله تعالى : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا » (٦٧ : النحل) . القائلون بهذا القول لا يختلفون كثيرا عن القائلين بأن الخمر من العنب وحده، فكلاهما متعسف فى التأويل ، يرمى بهذه الشطحات البعيدة ليقال انه من اصحاب الرأى والنظر .. !!

والذى ينظر فى الحديث الشريف : « الخمر من هاتين الشجرتين » لا يجد فيه حصرا لمادة الخمر فى فاكهتى هاتين الشجرتين اللتين كانتا بين يدى الرسول الكريم ، والذى كان — صلوات الله وسلامه عليه — يشير اليهما بيده الكريمة ، وهو يحدث اصحابه عنهما ، وعما كان يتخذه العرب منهما من شراب الخمر ، لأن مادة الخمر الغالبة عند العرب كانت من التمر والعنب ، اذ كانت هاتان الفاكهتان أكثر الفواكه عندهم ، ولهذا جاء وصف الجنات الدنيوية والأخروية فى القرآن الكريم منوها بأشجار النخيل والاعناب ، وجعلهما اللون الغالب على اشجار الجنات وفواكهها ، فيقول سبحانه : « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل » (٣٢ : الكهف) ويقول جل شأنه : « أيود احدكم أن تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار ، له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر ، وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت » (٢٦٦ : البقرة) وقوله تبارك اسمه فيما كان يقترحه المشركون على النبى فى مقام العناد والتحدى : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا » (٩٠ و ٩١ : الاسراء) ويقول عز من قائل عن جنات الآخرة : « فيهما فاكهة ونخل ورمان . فبأى آلاء ربكما تكذبان » (٦٨ و ٦٩ : الرحمن) .

ومن هذا يتضح انه لم يكن بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه عن الخمر ، وعن المادة التى تصنع منها الا شجرتا النخل والعنب ، وهما — كما قلنا — الشجرتان اللتان كانتا اكثر اشجار الفاكهة شيوعا عند العرب ..

ولهذا ، فانه — صلى الله عليه وسلم — حين كان يتحدث عن الخمر ، وعن المواد التى تصنع

منها ، دون أن يكون بمشهد منه شيء من أشجار النخيل والاعناب — قال : « ان من العنب خمرا ، وان من التمر خمرا ، وان من العسل خمرا ، وأن من البر خمرا ، وان من الشعير خمرا » ..

ومع هذا فان حصر النبي — صلى الله عليه وسلم لهذه المواد الخمس ، لم يكن حصرا مطلقا لكل ما تصنع منه الخمر ، وانما كان تقريرا للواقع المعروف عند العرب يومئذ لما يتعاطونه من خمر ، سواء كانت مصنوعة بأيديهم ، أو واردة عليهم مما يجلبه التجار من خارج الجزيرة العربية ..

يقول الخطابي في تعليقه على هذا الحديث : « ليس معناه ان الخمر لا تكون الا من هذه الاشياء الخمسة بأعيانها ، وانما جرى ذكرها خصوصا لأنها كانت معهودة في ذلك الزمان ، فكل ما كان في معناها من ذرة وسلت — وهو الشعير — ولب ثمرة ، وعصارة شجر ، فحكمه حكمها » .

وفي صحيح مسلم عن انس قال : « لقد أنزل الله الآية التي حرم فيها الخمر ، وما بالمدينة شراب يشرب الا من تمر » .

وفي صحيح البخاري عن انس أيضا ، قال : « حرمت علينا الخمر حين حرمت ، وما نجد خمر الاعناب الا قليلا ، وعامة خمرنا البسر والتمر » .. والبسر هو ثمر النخيل قبل أن ينضج ويصير تمرا ..

وعلى هذا فمادة الخمر لا معتبر لها في تحريمه ، وانما المعتبر فيها هو أية مادة تعطي خمرا ، وهو الخمر الذي يستخرج منها ، والذي من شأنه أن يسكر من يتعاطاه .. فكل ما أسكر فهو خمر ، لأنه يخامر العقل ويستره ، كما يستر الخمار وجه المرأة .. وفي الحديث : « ان الخمر من العصير ، والزبيب ، والتمر ، والحنطة والشعير والذرة ، واني انهاكم عن كل مسكر » (مختصر سنن ابي داود للمنذري ، حديث ٣٣٢) .

٦ — وكما اختلف الفقهاء في مادة الخمر ، اختلفوا أيضا في الصفة التي تكون عليها ، والصنعة التي تصنع بها ، فقال بعضهم : الخمر ما خمر دون أن تمسه النار ، وأما ما طبخ بالنار فليس خمرا ولا يأخذ حكم الخمر وان أسكر ... !!

كذلك اختلفوا في النبيذ ، وهو ما ينقع من تمر ونحوه ، فقال بعضهم : اذا تخمر وغلا ورمى بالزبد فهو خمر ، قليله وكثيره حرام ، واذا لم يتخمر ويرمي بالزبد ، فاذا أسكر فهو مكروه ، واذا لم يسكر فلا شيء فيه ! ومن هذه المقولات قول ابي حنيفة في النبيذ ، اذ يقول : « الانبذة كلها حلال الا أربعة أشياء : الخمر والمطبوخ اذا لم يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه ، ونقيع التمر فانه السكر ، ونقيع الزبيب » .

ويعلق ابن حزم على قول ابي حنيفة هذا بقوله : « ولا خلاف أن نقيع الدوشات — وهو نقيع الشعير — حلال عند ابي حنيفة وان أسكر ، وكذلك نقيع الرب وان أسكر » والرب — بضم الراء المشددة — خثارة كل ثمرة بعد اعتصارها .

وقال ابو يوسف ، صاحب ابي حنيفة : « كل شراب من الانبذة يزداد جودة على الترك فهو مكروه ، ولا أجيز بيعه ، ووقته عشرة أيام ، فاذا بقي أكثر من عشرة أيام فهو مكروه ، فان كان في عشرة أيام فأقل، فلا بأس ! » .

وقال محمد بن الحسن — صاحب ابي حنيفة أيضا : « ما أسكر كثيره

مما عدا الخمر اكرهه ، ولا احرمه !! » .

ويعلق ابن حزم على هذه الآراء — رأى أبى حنيفة وصاحبيه — فيقول : فأول فساد هذه الاقوال انها كلها اقوال ليس فى القرآن شىء يوافقها ، ولا شىء من السنن ، ولا شىء من الروايات الضعيفة ، ولا عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم، ولا عن احد من التابعين ، ولا عن احد من خلق الله ، قبل أبى حنيفة ، ولا احد قبل أبى يوسف فى تحديده عشرة أيام لما ينقع من الانبذة !!

ثم يقول ابن حزم فى جراة وصراحة هما طبيعة غالبة فيه — يقول : « فيا لعظم مصيبة هؤلاء القوم فى انفسهم ، اذ يشرعون الشرائع فى الايجاب والتحريم والتحليل من ذوات أنفسهم ، ثم بأسخف قول وابعده عن المعقول ! » (المحلى ، لابن حزم جزء / ٧ ص ٥٦٢ وما بعدها) .

وقد تتبع ابن حزم باسلوبه الحاد وصوته الجهير — تتبع جميع الأدلة والاسانيد التى استند اليها ابو حنيفة وصاحباه فى رأيهم فى النبيذ ، ففند هذه الآراء ورد ضعيفها ، أو تأولها على وجهها الذى يدعم وجهة نظره فى دفع هذه المقولات وابطالها .

ولا شك ان فى هذا الجدل بين أصحاب تلك الآراء المختلفة ، وفى التدافع بين الحجج والحجج ، والتلاطم بين الأدلة والأدلة — لا شك أن فى هذا متعة ذهنية ، ورياضة عقلية ، يشهد فيها المرء كيف تتصارع العقول وكيف تصول الافكار وتجول — ولكنها متعة تذهل الانسان عن الحقائق التى بين يديه من أمر دينه ، وتفتح لذوى القلوب المريضة طرقا كثيرة للجمع بين هذه التناقضات ، فيأخذ من كل رأى ما يرضيه ، ويوافق هواه ، فاذا دينه رقع مختلفة الالوان ، رقعة من هنا ورقعة من هناك ، وكلها — فى تقديره — من الدين .. !!

وفى هذه القضية بالذات — قضية الخمر — اخذ قوم فيها بهذا المذهب الذى يجمع بين متناقضات الآراء ، ويتبع ما يرضى هواه منها دون نظر الى حلال أو حرام ، ما دام يرجع فى هذا الى رأى من آراء هؤلاء الأئمة الاعلام ... !!

وفى هذا يقول الشاعر متهكما بهذا التضارب فى شأن الخمر ، التى ليس فيها الا قول واحد ، هو انها الخمر وانها الحرام ، قليلها وكثيرها، ما اسكر منها وما لم يسكر .. يقول هذا الشاعر :

احل العراقى النبيذ وشربه
وقال الحرامان : المدامة والسكر
وقال الشامى النبيذ محرم
فحلت لنا من بين قوليهما الخمر !!

ويعنى الشاعر بهذا أن ابا حنيفة ومن تابعه — وهو عراقى — قد قال فى النبيذ قولا يخرجه به عن دائرة الخمر ، ويرفع عنه الحرمة المضروبة على الخمر ، وأن اقصى ما يكون على شاربه انه أتى فعلا مكروها اذا شرب منه حتى سكر ، أما اذا شرب ولم يسكر فلا شىء عليه .. !

اما الحرامان عند أبى حنيفة واصحابه فهما المدامة ، أى الخمر المصنوعة من العنب ، والسكر ، وهى الخمر المصنوعة من التمر ، فما خمر من تمر أو عنب فهو خمر ، وهو الحرام قليله وكثيره ، أسكر او لم يسكر ، أما ما خمر من غير العنب والتمر فهو نبيذ ، وقد عرفنا رأى أبى حنيفة فيه !

والشامى الذى يشير اليه الشاعر هو مالك وأصحابه .. ومالك يحرم النبيذ من أى شىء كان ، اذا أسكر كثيره فقليله حرام ، شأنه فى هذا شأن الخمر التى جاء القرآن بتحريمها .

وما كان ينبغى أن يكون فى شأن الخمر خلاف ، وقد جاء النص القرآنى قاطعا بحرمتها بوصفها خمرا ، أى تخامر العقل وتغطى على مدركاته ، دون أن ينظر الى المادة التى تتخذ منها أو الاسلوب الذى تصنع به .. ثم جاءت السنة المطهرة بعد هذا مؤكدة ما نص عليه القرآن الكريم اذ يقول الرسول — صلوات الله وسلامه عليه : « كل مخمر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومن شرب مسكرا بخست صلاته أربعين صباحا » ومعنى بخست صلاته أى خف ميزانها ، فلا يؤتى صاحبها اجرها كاملا .. ويقول — صلوات الله وسلامه عليه : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

فكيف يزاغ عن هذا الحكم القاطع فى الخمر وحرمتها ، أيا كان الوجه الذى تظهر به ، وأيا كان لونها وطعمها ! ان كل مسكر خمر ، قليله وكثيره حرام ، والمؤمن مؤتمن على دينه ، فما عرف أنه يخامر عقله اذا شربه ، كان حراما عليه أن يذوق قطرة منه .

هذا هو فيصل الامر فى الخمر .. قليلها وكثيرها حرام ، يأثم شاربها ، ويقام الحد عليه اذا ثبت عليه أنه شربها بشهادة شهود عدول ، أو بدلالة حاله ، كأن ظهر فى الناس وهو سكران لا يعى ما يقول .

فالعلة فى تحريم الخمر هى الاسكار ، والتأثير على العقل تأثيرا يغير من طبيعته ، ويفقده توازنه ، والعلة تدور مع المعلول وجودا وعدما .. وليست علة تحريم الخمر قلتها وكثرتها عند شاربها ، وانما علتها انها الخمر ، وانها رجس ، وانها الحرام ، وليس فى الحرام قليل أو كثير ، فما حرم كثيره فقليله حرام ، سدا للذرائع ، حيث لا حجاز بين القليل والكثير الذى يسكر !!

٧ — وأما نظرة الشريعة الاسلامية الى الخمر وعدها من الآفات التى اذا تفشت فى مجتمع أفسدت عليه وجوده ، ونزعت عنه كل معانى الانسانية — هذه النظرة أوضح من أن يدل عليها ، فقد عدها القرآن الكريم رجسا من عمل الشيطان ، وأقامها على رأس الكبائر ، وجعلها أما لها ، اذ أن شارب الخمر اذا لعبت حمياها برأسه خلع عذار حيائه ، وتحلل من كل دين ، وخلق ومروءة ، وأفلت من سلطان عقله ، وهان عليه أن يأتى كل منكر ، وأن يفعل كل محرم ، مما كان يرده عنه عقله ويمنعه منه حياؤه ودينه ومروءته ، قبل أن تلعب الخمر برأسه .

روى أبو داود فى سننه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعنت الخمر على عشرة وجوه : لعنت الخمر بعينها — أى لذاتها — وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وآكل ثمنها » .

ولا نجد فيما حرم الله من كبائر كبيرة تحيط بها لعنات الله من كل جانب ، فتصيب كل من يتصل بها من بعيد أو قريب ، باللعنة ، وتنزله منازل سخط الله وغضبه مثل كبيرة الخمر !!

وقد رصد الاسلام للمجاهر بشرب الخمر عقوبة دنيوية فاضحة مخزية

له ، منزلة اياه منزل الصغار والهوان ، فلم تأخذه بعقوبة محددة كالجلد ، أو الرجم ، وانما جعلت للجماعة التى يعالن فيها احد افرادها بشرب الخمر أن ترجمه بكل ما تطوله يدها ، وأن تزجره كما يزجر الكلب العقور ، حتى يغيب عن وجهها .. هذا فضلا عن العقاب الاخروى الراصد له ..

روى انه جيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشارب خمر ، فأذن الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — لمن فى مجلسه من اصحابه أن يتولى زجره وتأديبه ، فكان منهم الذى رماه بنعله ، وكان منهم الذى ضربه بيده ، وكان منهم الذى ضربه بثوبه .. هكذا يلقى النار كل خطر يدهمهم ، انهم يدفعونه بكل ما يجدونه حاضرا بين أيديهم .

هذه صورة من صور العقاب لشارب الخمر ، ومن صور العقاب لشارب الخمر ايضا أن يجلد عددا من الجلدات غير محدد ، وانما يحدده ولى الامر حسب نظرته الى حال الشارب فقد جلد رسول الله شارب الخمر عشرين جلدة ، وجلد عمر أربعين جلدة ، وذلك بعد أن فتحت الامصار ، وكثر الداخلون فى الاسلام ، الذين خف وازع الدين عندهم عما كان عليه المسلمون ، فى عهد رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه .

٨ — واذا كانت أمم الغرب تأخذ على الاسلام موقفه من الخمر ، واخذه بالنكير على شاربيها ، وعدها ذلك دلالة من دلالات تأخر المسلمين ، واستغلاق ملكاتهم التى من شأن الخمر ان يفتحها كما فتحها على أمم الغرب ، فسادت وعزت ، وملكت ازمة الحياة ، وقادت موكب الحضارة ، على حين بقيت دول الاسلام فى قيد العجز والتخلف — نقول اذا كانت هذه هى تهمة الغرب للاسلام والمسلمين ، فانها ليست أول فرية يفتريها الذين يضمرون العداوة للاسلام ، دون أن يعرفوا حقيقة هذا الدين . ودون أن يختبروا حقائقه ، مكتفين فى هذا بالنظر الى حال المسلمين اليوم ، وما رماهم به الاستعمار الاوربى من أدواء اغتالت معالم العزة فيهم ، واصارتهم الى ما هم فيه من تخلف فى ماديات الحياة التى كانت هى رغيبة الاستعمار وطلبته من استعمار أوطانهم ، وسلب خيراتها ، حتى اقفرت من هذه الماديات التى يفخر بها الغرب ، وان لم يستطع هذا الاستعمار أن ينتزع معالم الانسانية من كيان المسلمين التى غرسها الاسلام فيهم . فحفظ هذا الدين وجودهم وما يزخر به عالمهم الداخلى من عواطف انسانية كريمة حرم العالم الغربى من كثير منها ، وتحول الناس هناك الى آلات تعمل وتنتج لكسب المال ، ولا شيء غير كسب المال .. !

٩ — ولقد عرف العالم الغربى من آثام الخمر واضرارها أكثر مما يعرف المسلمون ، وخاصة فيما تفعله الخمر فى الاجسام فضلا عن العقول ، وذلك بما كشف الطب هناك من الادواء والعلل الجسدية التى تتركها الخمر فى شاربيها ومن يدمنون تعاطيها ، حتى لقد لجأت دول كثيرة ، ومن بينها أمريكا الى سن قانون يحرم الخمر ، ويحارب الذين يتعاطونها ، ويرصد العقوبات المالية وغير المالية لمن يخالفون هذا القانون ، ولكن سلطان الخمر على الناس كان قد تمكن منهم ، فغلب على سلطان القانون وقهره ،

واضطرت الحكومات الى الغاء هذا القانون ، والعودة بالناس الى حالهم الاولى مع الخمر يعبون منه كما يشاءون ، وهى تعلم أنها تسوق الناس — مكرهة — الى أوخم العواقب .. وفى تحريم هذه الدول للخمر ، ثم قهرها ، وتخاذلها ، واستسلامها لهذا السلطان القاهر لها حجة قائمة على الذين يرون فى الخمر غير ما يرى القرآن من شناعتها وسوء عاقبتها ، وما تخلفه وراءها من ضحايا مشوهة الانسانية فى ظاهرها وباطنها .

١٠ — واذا كان الغربيون قد عجزوا أمام سلطان الخمر ، واستسلموا له صاغرين ، فان الاسلام بتدبيره الحكيم فى محاربة هذا الداء ، قد استطاع أن يعزله عن دنيا المسلمين عزلا يكاد يكون تاما ، وخاصة عند المتدينين منهم ، ومن فى قلوبهم خشية لله ، ورعاية لحدود الله .. أما الذين لا يخشون الله منهم ، ولا يرعون ناموس المجتمع فقد رصدت الشريعة الاسلامية العقوبة الرادعة لمن يجاهرون به من أخذ الشارب منهم بالضرب المذل المهين ، أو الجلد المخزى الاليم وهذا حكم قائم فى شريعة الاسلام على شاربى الخمر ، المجاهرين بها ، ولو نفذ هذا الحكم كما أمرت الشريعة به لاختفت حانات الخمر من بلاد الاسلام ، ولما ظهرت فى المجتمع الاسلامى تلك الوجوه المنكرة لشاربيه .. فما طبقت أحكام الشريعة الاسلامية فى جريمة من الجرائم الا اختفت تلك الجريمة ، واستراح الناس منها ، والشاهد الحاضر لهذا جريمة السرقة التى اختفت فى الجزيرة العربية بعد أن أخذ السارقون بأحكام الشريعة ، وما تقضى به من قطع يد السارق اذا ثبتت عليه التهمة مستوفية جميع أركانها ، فيا ليت قومى يقيمون حدود الله على الخارجين على شرع الله .. اذن لطابت حياتهم ، وعلا فى الحياة شأنهم ، وفتح الله عليهم بركات من السماء والارض .





للأستاذ : على القاضى

التربية عملية دائمة فى حياة الفرد لتعديل خبرته وبها يكون الإنسان قادرا على النمو المتجدد الذى يجعله يحيا حياة سعيدة ويكون عضوا ايجابيا نافعا فى المجتمع .

وكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية يرسم صورة لما يريد ان يحققه فى مجتمعه ويضع الأسس لتربية ابنائه حتى يمكن أن ينشئهم على المنهج الذى يحقق الصورة التى يرسمها .

وللتربية عوامل تؤثر فى تربية أبناء المجتمع .

والإسلام دين له مثله وله اهدافه التى يريد أن يحققها فى هذه الحياة وقد وضع الاسلام الأسس السليمة لتربية ابنائه . وتناولت هذه الأسس جميع نواحى الإنسان الجسمية والنفسية والفكرية .

كما اهتم بعوامل التربية التى تحقق المثل التى تنشدها .
وعوامل التربيـــة فى الاسلام هى : الأسرة والمسجد والمدرسة والمجتمع ــ وسنتناول بإيجاز الكلام عن كل واحد منها .

الأســــــرة :

الأسرة هى البيئة الطبيعية لنشوء الأطفال ، وقد اثبتت تجـــارب الجنس البشرى أنها افضل نظام لتربيتهم وتزويدهم بالعوامل النفسية والثقافية اللازمة لنموهم ، وتقدمهم ، وحمايتهم ــ فرعاية الطفل والعنـــاية به اول ما يجب على الوالدين ، يحسنان تربيته ويقومان بتعليمه وهما مسئولان عن ذلك مسئوليـــة كاملة لا تقتصر على فترة من الفترات ، فالطفل قليل التجارب سهل التأثر لقلة خبراته ، وسهولة استهوائه ، ولذلك يجب ان يحاط بكل عنـــاية حتى لا تتأثر نفسيته بعادات وآراء غير صالحة وغير مناسبة للأغراض التربوية التى يهـــدف المجتمع الى تحقيقها . فالوالدان عليهما أن يهتما بصحة الطفل وحمـــايته من الأمراض وعلاجه منها اذا أصيب بنوع منها وعليهما ان يهتما بتكوين العـــادات الصحية وحمايته من الأخطار . وعليهما ان يعنيا بالناحية العقلية لادراك العلل . كمـــا أن عليهما الاهتمام بالناحية الوجدانيـــة فيهذبا انفعالاته ويكونا العـــادات الوجدانيـــة الصالحة ويحاولا استئصال العادات الوجدانية السيئة ان وجـــدت ويعوداه السيطرة على انفعالاته كالثورة لسبب تافه مما يسبب له المتاعب الدائمة كما يسببها لمن يتعامل معه .

وقد أثبت علماء النفس أن ما يلاقيه الطفل من المعاملات فى السنوات الأولى سيستمر صداه فى نفسه طوال حياته . ففى حضن الأسرة يجد الطفل حاجته من الحنان ــ والعطف والرعاية ــ والرســـــول الكريم أوصى باظهار العطف والحنـــان للأطفــــــال .

وقد كان يعامل الحسن والحسين رضوان الله عليهما بمنتهى الرفق والحنان ، وقد أطال السجود مرة لأن الحسن كان متعلقا بكتفه فلم يحب أن يفزعه . .

وقد أوصى بالمساواة بين الأبناء فى العطف والحنان حتى لا تتأثر نفســـية الطفل فيتأثر سلوكه . . . وقد نظر الرسول الكريم الى رجل له ابنان قبّل احدهما وترك الآخر فقال له : فهلا سويت بينهما ؟ ودخل عامل على عمر بن الخطـــاب فوجده يداعب أبناءه ويضاحكهم . فتعجب العامل وعتب عليه فقال له عمر : كيف انت مع أهلك ؟ قال : إذا دخلت سكت الناطق ! فقال عمر : (اعتزل عملنا فانك لا ترفق بأهلك فكيف ترفق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟)

وفى ظلال العطف والحنان تكون الرعاية والتربية يقول الرســـول الكريم : **(أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم)** .

وكما اهتم الاسلام بتربية الطفل اهتم بتربية الطفلة . بل لعل اهتمامه بها اكثر لما لها من اهمية فى الأسرة ومن اثر فى تربية أبنائها فى سنواتهم الأولـــى فهى ملازمة لهم قائمة على أمورهم معنية بشئونهم فهم يقتدون بما ويتشربون روحها ويأخذون من عاداتها واخلاقها وهذا الحديث الشريف يبين لنا مقدار اهتمامه بها **(من كانت له ابنة فادبهافأحسن تاديبهاوغذاها فاحسن غذاها واسبغ عليهامن النعة التى أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة)** بل اكثر من هذا فالاسلام لم يكتف بالتربية فى الصغر بل تعداها الى ما قبل ذلك . فقد تدخـــل لمصلحة الطفل قبل أن يولد ! فللوراثة تأثيرها العميق . تأثيرها فى الصفات

الجسمية وفى كثير من الصفات الخلقيــة فقد يرث الصغير اشــياء لا يستطيع التخلص منها وقد أثبت علم النفس الحديث أن الذكاء والقدرات الخاصة والغرائز كلها تورث . كما أثبت ان المزاج ــ وهو الذى يتوقف على حالة الجهازين العصبى والغــدى ــ يتأثر بالوراثة .

والاسلام اكتشف هذه الأشياء منذ أربعة عشر قرنا تقريبا فأوصى بملاحظتها والح فى الوصية ونبه وشدد فى التنبيــه على اختيار الأبوين اللذين لهما صفات خاصة تحقق ايجاد الجو الصالح الذى يصلح لتربية الطفل فالرسول الكريم يقول فى اختيار الزوجة :

(إياكم وخضراء الدمن . فيسأله سائل : **وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟** فيقول : **المرأة الحسناء فى المنبت السىء)** فالمرأة اذا لم تنشأ فى بيئة طيبة ولم تربَّ تربيــة طيبة لا يمكن أن تخرج أبناءها إلا مثلها ومن هنا كان لا بد من التحذير والتحذير الشديد فضلا عن أن ابنها سيرث بعض صفاتها فان تربيتها له سيكون لها أسوأ الأثر فى حياته لما لها من المقدرة على استهوائه ولما يراه فيها من المثل الأعلى فيقتدى بها،ويبالغ الرسول فى التنبيه حين يبين الأثر الذى تنتجه الوراثة فيقول : **تخيروا لنطفكم فان العرق دساس)** ويبين الرســول الكريم أن **(المــرأة تنكح لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها)** ويقول لمن يريد أن يتزوج **(فاظفر بذات الدين تربت يداك) .**

وفى اختيار الزوج يطلب من اهل الزوجة أن يختاروه على اساس الدين وإلا فان الفساد ينتشر . يقول الرسول الكريم : **(إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) .**

المســـــجد :

يمثل المسجد فى الاسلام عاملا هاما من عوامل التربية فهو مكان للعبــادة وهو مكان للتربية أيضا وما العبــادة الا جزء من رسالة المسجد ولذلك فقد كان أول شىء فعله رسول الله عليه الســلام بعد أن حط رحاله فى المدينــة أن سأل عن المربد الذى نزلت فيه ناقته قائلا : لمن المربد ؟ فأجابه معاذ بن عفراء : انه لسهل وسهيل ابنى عمرو وهمــا يتيمان ، وسيرضيهما . ورجا النبى أن يتخذه مسجدا وقبل النبى وأمر أن يبنى فى هذا المكان مسجده .

فى هذا المســجد وضع النبى الكريم أسس دعوته الاســلامية وكان يبين لاصحابه خطوطها الرئيسية وتفصيلاتها ويفهمها لهم ويربيهم عليها . ففى خطبته الثانية بالمسجد قال :

(أعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا . واتقوه حق تقاته ، وأصدقوا الله ما تقولون ، وتحابوا بروح الله بينكم . ان الله يغضب أن ينكث عهده) .

فالصلة الروحية بين العبــد وربه هى أول شىء يجب على المســلم فالله يعبد وحده باخلاص ولا يشرك به فى عبادته .. وهو الذى يتقى حق تقاته . ويراعى فى كل عمل يعمله الانسان سواء كان خاصا به أم عاما لمجتمعه ووطنه وهذه خير طريقة لتربية الضمير وكان المربى الأول صلوات الله عليه يلاحظ حال تلاميذه ويخلطهم بنفسه ويتخذ خير الطرق لتربيتهم وتثبيت المعلومات فى أذهانهم وطريقته فى ذلك هى أحدث طرق التربية إذ كان يطلب من المخطىء اصلاح خطئه بنفسه فان لم يصل الى ذلك تركه الى أن يفقد توازنه ويزداد انتباهه فيكون

عنده استعداد عظيم لتلقى الصحيح منه .

صلى رجل بمسجد الرسول صلاة سريعة ثم جاء فسلم على النبى وصحابته وهم جالسون فرد النبى عليه السلام ثم قال له : **(ارجع فصل فانك لم تصل)** فعاد وصلى كما صلى من قبل وحين رد عليه مثل رده الأول قال له : والذى بعثك بالحق نبيا ما أحسن غيره فعلمنى فأخذ الرسول الكريم يعلمه كيفية الصلاة الكاملة . فالرسول صلوات الله عليه لم يعلمه فى مبدأ الأمر بل طلب منه أن يصلح خطأه بنفسه أولا . وحين لم يفعل ذلك فى المرة الأولى تركه حتى فقد توازنه وأصبح عنده الاستعداد الكافى لتلقى تعليم النبى له فى يقظة تامة وانتباه كبير فلا ينسى بعد ذلك أبدا بل ويهتم بأن يعلم غيره ما تعلمه .

ومن أساليب التربية التى اتبعها المسجدان المسلم اذا دخله ووجد حلقة علم جلس حيث ينتهى به المجلس بلا فرق بين انسان وانسان فالجميع فى بيت الله سواء .

وكان من أهم الأشياء التى لاحظها الرسول إلا يثقل على اصحابه حتى لا يسأموا فلا يستفيدوا شيئا ، من ذلك ما رواه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا . بل كان كثيرا ما يدخل فى دروسه عنصر التشويق حين يقص عليهم اخبار الأمم السابقة وما آلوا اليه وكان النبى يتعهد أصحابه بالرعاية والعناية يخطب فيهم ويدرس لهم ويبين لهم الجديد من التشريع ويوضح لهم ما غمض عليهم يسألهم أحيانا ليختبر ذكاءهم وانتباههم وكان يجيب على أسئلتهم التى يوجهونها اليه . واستطاع المسجد الأول بهذه الطريقة أن يخرج للاسلام علماء فى الفقه الاسلامى وفى فهم القرآن الكريم ورجالا فى كل ناحية من النواحى ، وقد كان لهم أثر بين فى نشر الثقافة الاسلامية فى انحاء العالم الاسلامى بعد امتداد رقعته واتساع سلطانه . ولم تقتصر رسالة المسجد على التعليم وحده . بل تعدته الى تقوية الروابط الاجتماعية ، وتوثيق الصلات الأخوية ، واشعار. أعضاء المجتمع الاسلامى بأنهم أخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا لا فرق بين فرد وآخر . فالمسلمون يصلون خمس صلوات كل يوم فى المسجد يقفون متجاورين بدون تفريق فى صفوف منتظمة فاذا ما قضيت الصلاة لاحظوا من تخلف منهم فيسألون عنه ويبحثون عن السبب الذى تخلف من اجله .

وروح المسجد روح تكافل واتحاد . ولأهمية المساجد فى التربية الاسلامية لم يتهاون النبى فى المسجد الذى أنشأه جماعة من المنافقين وكانوا يأوون اليه ليحرفوا كلام الله عن مواضعه ويفرقوا بين المؤمنين ضرارا وهو الذى سماه القرآن الكريم **« مسجد الضرار »** فلم يكتف الرسول بعدم تلبيتة لدعوتهم فيرفض الصلاة فيه بل أمر باحراقه بدون هوادة لما له من أثر سىء فوجوده موضع خطر كبير على أبناء المسلمين .

واستمر المسجد يؤدى دوره التربوى والتعليم فى جميع العصور الاسلامية وحتى عصرنا الحاضر فى بعض أقسام الأزهر . واقتصر حين انتشرت المدارس على بعض نواحى التربية .

وهكذا استطاع المسجد ان يقوم بدور كبير فى تربية الأمة الاسلامية ، وان يكون ذا أثر قوى لا نزال نحس به ونرجو أن يعود الى سابق عهده فى التأثير والتربية حتى نصل الى ما وصل اليه أجدادنا من رقى وتفوق .

وحتى نحس بالهدوء الهدوء النفسى والاطمئنان القلبى ، والسعادة الحقة .

المدرســــة :

نشأت المدرسة فى الاسلام نشوءا طبيعيا تدريجيا فكانت قليلة العدد فى بداية الأمر وما زالت تنمــو حتى أصبحت فى صدر الدولة العباسية كثيرة منتشرة فى البلدان الاسلامية انتشارا كبيرا . وقد كانت على درجات منها الكتاتيب ومنها بيت الحكمة الذى انشىء أيام الرشيد والمدارس النظامية ببغداد ودار العلم بالقاهرة ، والبيئة الاجتماعية فى المدرسة أوسع من بيئة المنزل وأكثر تنويعــا وذلك ضرورى لتربية الطفل حتى لا ينشأ الطفل مدللا . والمدرسة توجد توازنا فى حياة الطفل من الناحية الفردية والاجتماعية ــ فالمدرسة حلقة وسط بين البيئة المنزلية والمجتمع الحقيقى ــ والمدرسة القديمة كان المدرسون الذين يتصــدون للتدريس فيها يمتهنون هذه المهنة عن رغبة ــ والمدرسة الحــديثة تعد المدرس اعدادا خاصا لمهنــة التربيــة .

والمدرسة عامل هام من عوامل التربية لأنها بأسلوب التربية الذى تتبعــه تؤثر فى مفاهيم التلاميذ وفى تكوين معتقداتهم كما تؤثر فى ســلوكهم .. وعن طريق تقليدهم لأساتذتهم واستهوائهم والايحاء اليهم يستمر التأثير فى ذلك .

وقد اخذت المدرسة بذلك جزءا كبيرا من رسالة المسجد فى التربية وهى بذلك تعتبر مكملة له بما لها من امكانيات لا توجد فى المسجد وبخاصة فى عصور العلم والتكنولوجيا أو هى امتداد للمسجد ولرسالته أذا كانت التربية فيها تسير على اساس العقيــدة الاسلامية والتعــليم يسير على اساس تحقيــق اهداف الاســـلام .

المجتمــــع :

المجتمع عامل هام من عوامل التربية لما له من تنوع واثر فهو يشمل كــل ما فى المجتمع من أصدقاءومن صحافة واذاعة مسموعة واذاعة مرئيــة وخيالة وهيئات دينيــة واجتماعية وغير ذلك .

والإسلام يعطى صورة لترابط المجتمع وتأثير بعضه فى بعض فى الحديث الشريف الذى يقول : (مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى اسفلها اذا ما استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالــوا : انا خرقنا فــى نصيبنا خـــرقا ولم نؤذ من فوقنــا ؟ فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعــا .

ومن هنـــا فان الاسلام يضع قاعدة للمجتمـــع تجعل كل فرد فيـــه يحس بالاحساس الكامل بالمسئولية **كلكم راع ومسئول عن رعيته)** ويفرض على كـــل مسلم أن يغير المنكر الذى يراه فى حدود استطاعته **(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان)** وهـــو بهذا يجعل المسلمين كالجســـد الواحد اذا اشتكى منه عضـــو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . .

وقد بين الرسول الكريم اثر الجليس الصالح وجليس السوء حتى يكون كل فرد على بينة من أمره فلا يصاحب الا الصديق الصالح (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كصاحب المسك ونافخ الكير — لا يعدمك من صاحب المسك اما أن تشتريه أو تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة) ويحذر القرآن الكريم من الاطمئنان الى الظالمين **(ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) .**

ولقد كان الجلوس فى الطرقات — وما زال — مصدرا للمشكلات الكثيرة فى المجتمع ومحكا لمستوى الأخلاق فى الأمة . ولقد نهى الرسول الكريم اصحابه عن الجلوس فى الطرقات فلما قالوا له : ان ذلك غير ممكن طلب منهم أن يؤدوا حق الطريق بحيث لايترتب على الجلوس فى الطريق أى مشكلة اجتماعية ، بل بحيث تظهر منها فوائد اجتماعية (اياكم والجلوس فى الطرقات قالوا : يا رسول الله مالنا بدمن الجلوس فيها . انما هى مجالسنا نتحدث فيها قال : فان أبيتـــم الا الجلوس فيها فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) .

والحوادث التى يراها الأطفال فى الخيالة وفى الاذاعة المرئية تظل فـــى ذاكرتهم مدة أطول من تلك التى يرونها عن طريق آخر — وانهم يضعون فيها ثقة أكبر مما يضعون فى المعلومات التى يحصلون عليها من طرق أخرى . وان أكثر الحقائق تذكرا تلك التى تقترن بصفة وجدانية .

ولقد كان للخيالة اثر كبير فى رفع نسبة جرائم الأطفال حين اتجهت الأفلام الى الاكثار من المناظر التى تتحدث عن الجرائم ومثل ذلك الاذاعة والصحافة فان لذلك كله أثرا كبيرا فى تربية الصغار والكبار أيضا .

هذه الأشياء التى تحدث آثارها فى المجتمع تعتبر عاملا هاما من عـــوامل التربية وعلى المجتمع أن يحيطها بالضمانات التى تكفل التأثير الحسن فى نفوس الأطفال والشباب ، وتكون عاملا طيبا من عوامل التربية فى الاسلام .

خاتمـــــــة :

وبعد فهذه هى عوامل التربية فى الاسلام وينبغي أن تسير كلها فى الطريق الذى رسمه لها الاسلام تحقق مثله وتنشر أفكاره وتطبقها على نفسها وتكون قدوة للناس جميعـــا فبذلك يسعد الفرد ويسعد المجتمع الاسلامى ويسير على هـــذا النهج من يريد أن يسعد من المجتمعات الأخرى .

سيادة الدولة أو الأمة في ظل الإسلام

للدكتور
وهبه الزحيلى

فى غرة شهر الله الحرام المحرم من كل عام إذ يسدل الستار على عام قد مضى ، وتبدأ صفحة جديدة لعام آخر من عمر الزمان قد بقى ، لا يشعر المسلم بأية حال باهتزاز فى قيم الإسلام ومبادئه وأحكامه التشريعية ، وانما يرى أنها فى نداوتها وجدتها وحيويتها ربيع يتدفق شبابه بالحيوية ، أو سلسبيل يفيض عذوبة ، أو مولود بكر يتخايل ويملأ الأفق بهجة وانتعاشا وفرحا ونضارة .

فالقدم لا يزرع فى رأسه الشيب ، ولا تعرض له الشيخوخة والهرم والعدم، ولكنه يزداد بهاء وقدسية واحتراما ، واستمساكا بتلابيبه ، والتزاما لتعاليمه .
ويظل هو السيد المطاع الذى يحتكم إليه ، والميزان الحساس الدقيق الذى تقيَّم به الأعمال صغيرها وكبيرها ، فيحاول المرء العيش فى ظله ، ويعاهد الله على ألا يحيد عن حدوده ، ويشحن النفس بطاقة قوية ليكون الغد أو المستقبل أفضل من الماضى ، ويزداد الشعور بضرورة الالتزام الصارم كلما انحدر عمر الانسان ، واتجه نحو النهاية الحتمية بيقين الصادقين ، وعزيمة المجاهدين الصابرين ، وتوبة الأطهار الأصفياء من عباد الله الصالحين .

إذا فتقادم الزمن لا يؤثر ولا يغير قيد أنملة فى طبيعة التشريع السماوى الخالد الذى ضمه القرآن المجيد وأبانته السنة المطهرة ، مما هو مقطوع به ،

أو له صفة الديمومة والخلود ، أو الواضع لمبدأ ثابت لا يقبل التغير والتطور في ناموس الحياة السوية . ومن هنا ينبع احترام تشريع الإسلام ، ويزداد اعتباره ، ويقوى الاهتمام به كلما ذر شارق ، وغرب غارب ، وتوالت الشهور ، وتتابعت الأعوام ، وطلعت الحياة بأنظمة ينقض بعضها بعضا ، أو تهدم نظرية علمية ما استقر في الأذهان .

ولكن لنا أن نتساءل في العصر الحديث حيث ازداد تدخل الدولة في كل شيء تشريعا وتنفيذا وتخطيطا ، وأصبحت القيادة وقفا عليها ، وفتن الناس ببريق المدنية ومعطيات الديمقراطية ، وبأسطورة حق « الشعب » وكونه « مصدر السلطات » ، في هذه الظروف الحاسمة وجب أن نتساءل : ما مدى حرية الدولة أو الأمة التي تمثلها الحكومة في ممارسة سلطاتها على الناس ، أو بعبارة أخرى : ما هي حدود أو قيود سيادة الدولة في ظل الإسلام ، وهل يعني قيامها بالتشريع انفرادها بهذه السلطة ، وصم الآذان عن نداءات السماء ، وتشريعات القرآن الذي تقرع آياته صباح مساء سمع الشعوب الإسلامية ؟

إن كلمة « السيادة » اصطلاح حديث نسبيا وجد مع وجود فكرة الدولة الحديثة ، وهي صفة أو خاصية تنفرد بها السلطة السياسية في الدولة بعد أن تكتمل أركانها الثلاثة من شعب وإقليم وهيئة حاكمة (تنظيم) ، وقد برزت فكرة السيادة باديء ذي بدء لتسويغ إطلاق سلطة الدولة ، فلا يحد سلطانها شيء ، ثم تعرضت نظرية السيادة المطلقة في العصر الحديث لنقد قوي جوهري مقتضاه أنها لم تعد تتفق مع الظروف الحالية للمجتمع الدولي وحقوق وحريات الأفراد وتضامن الجماعة وتعاونها في تحقيق حاجاتها المشتركة .

وأدت هذه الانتقادات الى ضرورة تقييد السيادة في الداخل والخارج ، ومن مظاهر السيادة في داخل الدولة : الحرية في اختيار النظام السياسي والاقتصادي وسن التشريعات الملائمة لفرضها على المواطنين . ومن مظاهر السيادة خارج الدولة : الحق في إعلان الحرب وعقد المعاهدات والاستقلال السياسي .

وقد تمتعت الدولة الإسلامية منذ بدء تكوينها في المدينة المنورة بكل مظاهر السيادة الداخلية والخارجية ضمن قيود محددة ، فكان لها سمو السلطان في الداخل ، والاستقلال الكامل عن غيرها ، وأساس هذا الاستقلال ظاهر في القرآن الكريم في قوله تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » وفي قوله عز وجل : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . وتجمع آية أخرى مظهري السيادة معا ضمن القيود المعقولة وهي : « محمد

رسول الله ، والذين معه اشداء على الكفار ، رحماء بينهم » .

أما عن قيود السيادة فى ظل الإسلام ، فمن الخطأ الشائع إطلاق القول بأن « الامة مصدر السلطات » إذ أن حق التشريع بالمعنى الدقيق إنما هو للشارع الحكيم وهو الله سبحانه وتعالى ، فليس لأى فرد أو جماعة سلطة التشريع اى إنشاء أحكام مبتداة اصيلة فى الدولة ، وإنما يكون الاجتهاد ، ومنه إجماع الأمة محصورا فى نطاق استلهام روح الشرع ، واستمداد الحكم المناسب لضرورات الزمان المتجددة من فحوى التشريع السماوى ، اى ان التشريع لله وليس للأمة بدليل قوله تعالى : « إن الحكم إلا لله » ، وما على الأمة إلا إطاعة اوامر الله والرسول : « يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » . وقد أثنى الله على الطائعين الملتزمين فقال سبحانه : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا » وقد حذر القرآن من التفكير فى الحيدة عن الوحى الإلهى ، فقال عز وجل : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما » . وقد أذعن المسلمون الأوائل لوحى السماء إذعانا كليا ، فكانوا كما حكى القرآن عنهم : « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا واطعنا ، واولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » .

وتشدد القرآن فى هذه القضية ــ قضية طاعة الوحى ، فأنذر بالعذاب « فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم » وأعلن تجرد المتنكرين لهذه الطاعة من صفة الإيمان مخاطبا من له صفة السلطة أولا : « ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون » « فأولئك هم الظالمون » « فأولئك هم الفاسقون » (المائدة : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧) .

وفى مجال القضاء طولبت السلطة القضائية إحدى سلطات الدولة بتطبيق شرعة الله ، وخوطب الأنبياء اولا بذلك ليكونوا القدوة المتبعة لغيرهم : « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهدى فيضلك عن سبيل الله » وأمر الرسول محمد أيضا بالطاعة : « وأن أحكم بينهم بما أنزل الله » « فاحكم بينهم بالقسط » « إنا انزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس » « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » .

وأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم فى وصاياه لأمته مبدأ سيادة التشريع الإلهى مجردا عن كل لبس أو غموض : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » .

وأوضح النبى أيضا للأمة حدود طاعة أولى الأمر فيما يكفل سيادة التشريع ، فقال عليه السلام : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصيته ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » « إنما تجب الطاعة فى المعروف » وصارت القاعدة المقررة : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

وعلى هذا فالأمة مصدر السلطات فى التنفيذ واختيار الحكام ومراقبتهم ، لا فى التشريع المبتدأ ، والسيادة بهذه الحدود أو القيود تكون لمجموع الأمة أو الأفراد ، وما الحكام إلا وكلاء عن مجموع الشعب ، فهم الذين يختارون الحاكم، ولهم حق عزله من منصبه إذا خالف الشرع ، وعليهم مراقبة تصرفاته ، وهو مسئول أمام الله ، وأمام الأمة : « الإمام راع ومسئول عن رعيته » . ولا تختلف المسئولية أيا كانت صورة نظام الحكم خلافيا أم ملكيا دستوريا أم نيابيا أم رئاسيا عسكريا أو مدنيا ، والسيادة تكون مقيدة إذن بحدود الشريعة ، والدولة تتصرف ضمن مخطط التشريع الالهى ، وكل القوانين والدساتير والأنظمة الصادرة عنها ينبغى أن تكون فى إطار الشريعة ، لأن الأمة أو الدولة التى تمثلها مستخلفة عن الله فى التطبيق والتنفيذ واستلهام روح التشريع السماوى . أما معالجة الأمور الجديدة الطارئة التى لم تكن وقت نزول الوحى، فتكون بواسطة اجتهاد أولى العلم والخبرة والاختصاص وكل من تتوفر فيه أهلية الاستنباط دون اقتصار على فئة أو طبقة معينة ، وانما المطلوب توفر المقدرة والكفاءة العلمية . وتستعين الدولة بهؤلاء الذين يستنبطون الحكم الشرعي من مصادره الإلهية ، ووفق روحه التشريعية العامة ، ومراعاة وجه المصلحة والأعراف والعادات الزمنية التى لا تكون مصادمة لنص أو مبدا تشريعي . والاجتهاد حق للأمة بل واجب مفروض عليها ، إذ به يتحقق خلود الشريعة ، وتتوفر صلاحيتها المقررة لكل زمان ومكان . ومن المستبعد أو غير المقبول أن تكون مجالس الأمة أو الشعب القائمة فى دول الإسلام الحالية قادرة على الاجتهاد أو محققة له ، وإن توفر فيها بعض الأفراد المتخصصين ، لأن العبرة فى النهاية للتصويت بأغلبية الأصوات ، بقطع النظر عن كون الصوت أو الرأى نابعا من شريعة الله أو منسجما مع احكام الإسلام .

ويمكن تجلية كيفية ممارسة الدولة لسيادتها فى ظل الشريعة بالأمثلة الآتية : إن إعلان الحرب على العدو وعقد الاتفاقيات ومعاهدات الصلح أو السلام معه ينبغى أن يتجسد فيه كل مبادىء القرآن والسنة والسيرة النبوية ،

حتى يكون ذلك مشروعا . وليس العدو الذى تطبق عليه قوانين الحرب أو القتال ، والسلم أو الصلح هو الذى اغتصب أرضا أو مقدسات إسلامية ، وإنما هو الجاثم فى بلاده الأصلية ، ويبدأ المسلمين بالعدوان . لهذا يخطىء الكثيرون الذين يطبقون الآيات القرآنية الداعية الى قبول السلام على الصهاينة المحتلين لأراضينا بظروف دولية معينة ، مثل قوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

وكذلك القوانين الوضعية التى تجيز التعامل بالفائدة وان قلت نسبتها ، أو التى تحرم الفائدة أو الربا فى القطاع الخاص بين الأفراد ، وتجيز التعامل به فى القطاع العام أى أن الدولة لها حرية المراباة من جانبها ، عملا ببعض الاجتهادات الحديثة المنحرفة ، هذه القوانين كلها غير مشروعة لمصادمتها النصوص القرآنية القطعية التى تحرم الربا مهما كان قليلا ، فليس ذلك إذن من أعمال سيادة الدولة .

وعقد التأمين وإن اعتبر صحيحا لأنه يعتمد على دراسات اجتماعية دقيقة يقل معها احتمال الغرر أو المقامرة ، يظل غير مشروع بالنسبة للعوض المدفوع عند وقوع الضرر ، لأنه من كسب خبيث قائم على الربا .

ومظاهر الحياة الحديثة التى تجيزها الدول المعاصرة من مسارح وتمثيليات وغناء ورقص واختلاط ودور عرض الأفلام ، مهما قيل فى تسويغها من الحكومات ، تظل غالبة الضرر ، ومنافية لأخلاقية الشعب الذى ينبغى أن يتربى على الخشونة ومعرفة أسباب وفنون الحرب ، لدفع مختلف أوجه الاعتداء التى تتعرض لها الأمة الإسلامية من جميع أعدائها .

ومهما قيل بأن للحاكم تقييد المباح وتقييد الحريات من أجل الصالح العام ، لا يجوز له بأية حال تعطيل واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بحجة الحفاظ على وجود الدولة والدفاع عنها .

وإذا جاز للقاضى الحكم بالظاهر دفعا للحرج ، وقطعا للخصومة وإنهاء النزاع ، فإن حكم القاضى لا يحل الحرام ، ولا يحرم الحلال ، أى أن الاعتبار الديانى يظل سائغ العمل به مع الاعتبار القضائى . وفى ذلك مراعاة لمظهر سيادة الدولة الداخلية وسيادة الشريعة أيضا ، كل فى نطاقه الخاص به دون تصادم ولا تعارض .

وإجماع الأمة أو التضامن الاجتماعى الذى يقوم عليه أساس تحديد السيادة فى الاسلام ، والذى يتفق مع أمثل النظريات القانونية فى هذا الشأن

لتقييد سيادة الدولة ، لا يعنى الخروج عن سيادة الشريعة ، وانما ينبغى أن يتم اتفاق الجماعة معها ، فللشريعة الحاكمية المطلقة على تصرفات الأفراد والجماعة ، وهى التى تحدد سلفا ما يجوز من تصرفات تتفق مع فكرة التضامن الاجتماعى ، وما يتعارض معها ، وليس الأمر متروكا لمجرد شعور الجماعة أو رد الفعل الحادث فى المجتمع للحكم على تصرفات الدولة صحة أو بطلانا .

والخلاصة أن الدولة بمختلف سلطاتها التشريعية والتنفيذية والقضائية لا تملك بمقتضى خاصية السيادة المتصفة بها الخروج على احكام الشريعة المقررة فى القرآن أو السنة الصحيحة الثابتة ، وإنما هى مقيدة بها ، وعملها قاصر على تنفيذ تلك الأحكام البينة ، وعلى الاجتهاد فيما يطرأ على المجتمع من وقائع وحوادث تتطلب حلا وفقا لمبادىء الشريعة وأحكامها العامة ومقاصدها التشريعية .

وأما الأسباب التى تجعلنا نصبر على تقييد سيادة الدولة بالقيود التى فرضتها الشريعة ذات السيادة الحقيقية والخلود ، فهى كثيرة متنوعة منها :

١ ــ إقامة التشريعات التنظيمية الصادرة من الدولة على اساس متين من الأخلاق والعقيدة والعدل والحق والمساواة بين الأفراد ، وبين الحاكمين والمحكومين على السواء .

٢ ــ تحقيق وحدة التشريع بين دول الإسلام أو اقاليمه ، والوحدة التشريعية التى يحلم بها رجال القانون والتى هى أساس الوحدة السياسية والاقتصادية لا يتوصل إليها بغير طريق شريعة الإسلام السماوية الأصل .

٣ ــ الاطمئنان الى سلامة المنطلقات التشريمية والثقة بواضعيها ، والمبادرة الى تنفيذها باعتقاد ذاتى ورقابة شخصية .

٤ ــ نشدان الكمال وتجنب أوجه النقص والعجز والقصور التى قد نجدها فى القوانين الوضعية .

٥ ــ شمول نواحي الحياة السلبية والإيجابية من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، حتى تسير الحياة سيرا صحيحا غير متعثر ، ويتم بعدها تحقيق المجتمع الفاضل . وذلك بعكس ما تقتصر عليه القوانين الوضعية من معالجة العلاقات الاجتماعية القائمة ومحاولة إقرارها ، وإن خالفت مبادىء الدين والأخلاق .

٦ ـــ وفوق كل ذلك الفوز برضا الإله وبنعيم الآخرة ، وضرورة الشعور بمراقبة الله فى كل تصرف ، وخوفا من عقاب الله الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، وإن تم الإفلات من العقوبات الدنيوية المادية التى تمارس تنفيذها السلطات القضائية وأعوانها من رجال السلطة التنفيذية .

٧ ـــ تحقيق الاستقرار التشريعى فى اصول الحياة ، ومراعاة واقع التطور والتبدل الحادث فى مصالح الناس وتهيئة كل عوامل التقدم والرقى ، ونبذ كل أوجه العجز والتخلف والركود ، إذ أن مرجع كل ما مر بالمسلمين من انحطاط وانهزام آفته الجهل بمعانى أحكام الشريعة الحقة ، ثم محاولة إلصاق الاتهام ظلما بأنها سبب هذا التخلف ، ليتم فعلا ايجاد الهوة السحيقة والفجوة البعيدة بين المسلمين ومصدر تقدمهم الفعال ، والدافع الى الحركية الدائمة التى تلحقهم بمن سبقهم الى النهضة أو تفوقهم أحيانا .

ونكرر أخيرا ما يقوله علماء الإسلام : إن على الدول الاسلامية أن تعود الى التزام شرعة الله دستورا ونظاما وقانونا وحياة اجتماعية ، فهو الشرط الأساسى والسلاح المعنوى الذى ينقصهم فى حروبهم المستمرة مع الأعداء ، فقد خاضت الدول العربية حروبا أربعة مع اسرائيل ولم يحققوا نصرا بسبب فقدانهم شرط النصر المطلوب منهم ، وإن فقده عدوهم ، فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم .



في موكب الصالحين

عبد الله بن عمر

محمد مؤذن

للأستاذ محمد شوكت التونى

شجرة مباركة كانت بعض جذورها مباركة فى الجاهلية وسمق من جذعها أصل ثابت كان دعامة من الدعامات التى قامت عليها رسالة الاسلام حتى ليقال بحق إن سيدنا عمر بن الخطاب كان جزءا من الرسالة المحمدية .

انها عائلة الخطاب بن نفيل التى طابت نبتا وعظمت فروعا وصوح لها عطر ما تزال الاجواء تحمل طيبه وتتحدث عنه الاقلام والالسن ولهم فى الجنة غرفات ومقاعد صدق واكرام عند مليك مقتدر « ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » .

كان الخطاب رجلا مهابا موهوبا فى الجاهلية ولئن وصفه المؤرخون ، ومنه ما أجروه على لسان سيدنا عمر من أنه كان فظا غليظا الا أن المفكر اليوم ليجزم أن صفاتا حميدة كثيرة قد انتقلت من صلبه فى دم أولاده وأحفاده وحفظت الصفات الحميدة الطيبة التى كانت من عناصر السمو الانسانى والتفوق البشرى . وأهم هذه الصفات هى الشدة فى الحق حين دخل الايمان فى قلوبهم والعنف حين كانوا على جاهليتهم ، والطيبة التى جعلت منهم البكائين الرحماء .

فان ما أثر عن سيدنا عمر من قوة حزم وشدة فى الحق وتمسك بأوامر الله وفناء لا نظير له فى اقامة ميزان العدل حتى لقد قتل ولديه عبد

الرحمن قطعا وعبيدالله فى رواية كما سنلمح من بعد لأقل بكثير عن مواقف خشوعه وجزعه ورحمة قلبه ، حتى لتسيل دموعه من الاشفاق على نفسه من مظنة جور أو على الناس من وطأة الفقر أو الجوع أو الظلم . والذى بدا من بعد فى عبد الله عمر وظل يتسرب من جيل لبطن حتى أنار وأضاء من شجرة مباركة زيتونة تضىء بنور الله فى قلب عمر بن عبدالعزيز سبط أمير المؤمنين سيدنا عمر .

ان هذه الشجرة الطيبة الميمونة فيها من الغصون اليانعة التى آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا ما من شأنه وعظمة قدره أن يزين أى راية وأى دين وأية ملة .

ان منها زيد بن نفيل وهو من أوائل الذين كفروا بالأصنام وآمنوا بالله وكان ذلك فى عهد الجاهلية . وما ادراك ما الجاهلية ظلام وظلم وجهل وعمى وتأخر الى حد عبادة الأصنام وقد كان أحد أربعة أدرك منهم الاسلام ورقة بن نوفل الذى طمأن الرسول الكريم حين نزل عليه الوحى ووعده بمؤآزرته .

أما زيد فانه لم يلحق الاسلام ولكنه هاجر من مكة الى الشام وتنصر معرفة بالله وكانت هجرته الى الشام لا هربا من تعذيب أخيه الخطاب بن نفيل ولكن هروبا الى بقاع يعبد فيها الله ويعرف فيها الله ويذكر فيها الله .

وأن قصته مع أخيه الخطاب لتدل على مقدار صلابته فى الحق وقوة احتماله للعذاب فى سبيل العقيدة فقد كان دائم المجاهرة بكفرانه بالاصنام والاوثان ، عازفا عن عبادتها باحثا عن دين قويم ، وكان أخوه الخطاب متحمسا لدين آبائه وأجداده متحزبا لعقيدة الكفر ويعتبر أن صبأ اخيه معرة لعائلته وقبيلته فكان دائم الايذاء والتعذيب له ولكن زيداكان على التصميم والعزم أن لا يعبد الاوثان ولا يؤله الأصنام ولا يقارف الميتة والدم والذبائح التى تذبح عن الأوثان ويقول دائما : « أعبد رب ابراهيم » وقد جاء فى القصص أن زيد بن نفيل كان اذا ما تخلص من عذاب أخيه الخطاب لجأ الى الكعبة وأسند ظهره الى جدارها وهو يقول « يا معشر قريش والذى نفس زيد بن عمر بيده ما أصبح منكم احد على دين ابراهيم غيرى » ثم يقول « اللهم لو انى أعلم اى الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه » .

ويقول ابن اسحاق أن سيدنا عمر ابن الخطاب وسعيد بن زيد قالالرسول الله صلى الله عليه وسلم « أنستغفر لزيد بن عمرو ؟ قال « نعم . انه ليبعث أمة وحده » .

ثم يجىء الى رحابة صدر الايمان والاسلام زيد بن الخطاب وهو شقيق سيدنا عمر ولكنه كان أسبق منه الى الايمان بالله وبرسوله ورسالته بل انه كان من أوائل الاحاد الذين آمنوا

برسول الله ومن أوائل الذين هاجروا الى المدينة قبل هجرة الرسول اليها وبأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم حضر جميع الوقائع مع الرسول وكان من أعمق المسلمين ايمانا واثبتهم على الحق جنانا ومن اعف الناس لسانا وأصدقهم اخلاصا .

وقد سبق سيدنا عمر من دوحة الخطاب سيدة من أوليات المسلمات هى فاطمة بنت الخطاب اخت سيدنا عمر أسلمت هى وزوجها سعيد بن زيد بن نفيل وكان اسلام سيدنا عمر فى دارهما التى بقى من آثارها ما يستدبره المسلمون كل يوم وهم يهرولون بين الصفا والمروة وهى مبتدأ الصفا .

وفى دار فاطمة سمع سيدنا عمر سورة طه يرتلها العبد المؤمن الصابر الصامد الذى بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة خباب بن الارت . .

ومع سيدنا عمر واسلامه الذى اهتزت له أرجاء مكة وتنادت به رمال الصحراء وريحها وأنواؤها . . وصك آذان قريش واصطكت من هوله فرائص أهل الكفر يسلم ابنه الاكبر عبد الله بن عمر وكان صبيا .

أما الحديث عن سيدنا عمر الذى أعز الله به الاسلام ، وكان تشهده مؤذنا بارتفاع الأذان من صوت بلال قد تعالى إعلاما نورانيا سماويا يعلن أن جاء الحق وزهق الباطل لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، الله اكبر ، الله اكبر .

أما الحديث عن سيدنا عمر الذى يتمثل فيه التطبيق العملى لشريعة الاسلام وعدله والذى كان فى الحق اقسى ما يكون حتى ليصبح مضرب الأمثال وموضع إعجاب القادة والساسة من جميع الاجناس على اختلاف العصور والأجيال .

أما الحديث عن سيدنا عمر الذى خلد باسم العدل وخلد العدل مقترنا باسمه والذى قال فيه رسول ملك الروم القولة التى سارت على الايام كلما قدم عليها الزمان تجلى ضوؤها وبهر نورها تلك قولته « حكمت فعدلت فأمنت ياعمر » ومنها نقش على جبين الحياة أن الحكم لا يرضى الله الا اذا كان عدلا فاذا كان الحاكم عادلا فقد عاش آمنا من غوائل المعتدين وأمن معه المحكومون فان الحياة بلا أمن اشد سعيرا من جهنم فاذا أمن الحاكم وامنت الرعية فقد حق للحاكم أن ينام فى العراء بلا حراس ولا حجاب فان عين العادل الاعظم تكلؤه وحق للمحكومين أن يمتعوا بنوم لا بغى فيه عليهم ولا عدوان .

أما الحديث عن سيدنا عمر فان الصحائف ولو كانت عدتها بالآلاف ما احاطت بشمول شخصيته ولقد صنف المصنفون والف العاكفون على التسطير والتحبير وسيكتب الكاتبون وسوف يسطر الكاتبون ويفنى الزمان ولا تزال بقية تقال فى سيدنا عمر .

وانما نحن بصدد الحديث عن ولده عبد الله بن عمر ، ولا شك أنه كان طرازا آخر من دوحة الخطاب . وكان غصنا قويا مخضدا من الشوك صافيا للحق .

لم يكن فيه عنف الخطاب بن نفيل ولكن فيه ايمان زيد الكبير وزيد الصغير وصلابتهما فى الحق . ولم يكن فيه شدة أبيه على نفسه وآله وعلى الناس أجمعين فى تمكين الاسلام ورد المظالم وتحقيق العدالة والحكم بالقسطاس المبين . ولكن كان فيه رحمة قلب أبيه العظيم الذى كان يبكيه صياح طفل جائع . والذى قال معبرا عن شعوره بمسؤوليته كأمير

للمؤمنين فاذا قوله يصير دستورا لكل حاكم ومسؤول عن الرعية « والله لو ضاع عقال بعير فى أرض السواد (أى العراق) لسألنى الله عنه » وقوله : « والله لو عثرت شاة بأرض الفرات لسئلت عن عثرتها يوم القيامة » .

كان عبد الله بن عمر قد بلغ الثامنة من عمره عندما أسلم أبوه فأسلم هو الآخر ولزم باب رسول الله واجتاز عتبات الجامعة الكبرى جامعة محمد عليه السلام فاذا به ينمو والعلم اللدنى يزكو معه فى قلبه وروحه ونفسه وهاجر مع أبيه وهو فى العاشرة من عمره ولزم قرب النبى عليه أزكى الصلاة والسلام وحضر المواقع بعد أحد .

ويروى عن اسلامه واسلام أبيه قال رضى الله عنه (لما أسلم عمر لم تعلم قريش باسلامه فقال اى أهل مكة أنقل للحديث ؟ قيل له جميل بن معمر الحجى فخرج اليه وأنا معه أتبع أثره — ولعله كان يدرى أنه انما يتبع النور ويمشى فى طريق النجاة ويسلك سبيل الفائزين بالجنة ثم يتابع قوله — وكنت غلاما أعقل ما أرى وما أسمع فأتى جميل بن معمر فقال : يا جميل انى أسلمت ، فوالله ما رد عليه كلمة حتى قام يجر رداءه وتبعه عمر واتبعت أبى حتى اذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : « يا معشر قريش » وكانوا فى أنديتهم وسوامرهم حول الكعبة « الا ان عمر بن الخطاب قد صبأ » .

وكان عمر يقول من خلفه بصوت أعلى من صوته :

« كذب ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله » فثاروا عليه فوثب عمر على عتبة بن ربيعة فبرك عليه وجعل يضربه وأدخل اصبعيه فى عينيه فجعل عتبة يصيح فتنحى الناس عنه فقام عمر فجعل لا يدنو منه أحد الا أخذ شريف من دنا منه حتى أحجم الناس عنه » .

وفى هذه اللحظة ولد عبد الله المسلم المؤمن ودلف الى قربة رسول الله يغترف من علمه وقد فتح الله بصيرته للايمان ومشى نور الايمان بين يديه .

وظل ملازما لسيد الخلق ، والمعلم الاول والاخير يتلقى عنه العلم ويحفظ عنه الحديث وأصدق الاقوال فمن ثبت الثقاة أن عبد الله بن عمر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ألفا وستمائة وثلاثين حديثا ولم يزد عنه فى رواية الحديث الا أبو هريرة وعبد الله بن مسعود .

ومن المسلم بين المحدثين ورواة الحديث ومدونيه وباحثيه ان الحديث اذا انتهى الى عبد الله بن عمر فقد صلح سنده واحتج به .

ولقد وصفه أبو جعفر فيما روى صاحب الطبقات (ابن سعد) انه قال (لم يكن أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم اذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أحذر الا يزيد فيه قولا ولا ينقص منه ولا « من عبد الله بن عمر بن الخطاب » .

وظل على حاله من تتبع الدرر المحكمات التى هى من الوحى تنثر من فم الرسول الامين الذى وصفه ربه بأنه « ما ينطق عن الهوى » فاذا أذن الزمان يتلقفها فينشرها بدوره على الخلق وعلى الاجيال حتى يرث الله الارض ومن عليها نورا يهدى الى الحق ويضمن سعادة الدارين ويؤلف بين الخلق ويساوى الناس لا يتفاوتون الا بالتقوى يضمن الحرية والعدل والمساواة والايمان وينهى عن الظلم والعبودية والتعالى والتعاظم ويؤسس على الرحمة والمودة المجتمع فالدول فالانسانية .

وكان من حظ عبد الله عند الخالق ان جعله من خزنة نور النبوة ومن رواة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالد قوله وما أوتى من الناس مثل هذا الحظ الا القليل « وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

وبعد أن قبض الرسول ولحق بالرفيق الأعلى لم يتجه عبد الله بن عمر الى أية ناحية من نواحى النشاط السياسى أو الحربى أو الدينى كالفتيا أو القضاء ولم تدفعه نفسه الى اكتساب الرزق عن طريق المتاجرة ، ولكنه آثر أن يعيش مع النبى محمد عليه صلوات الله يضرب فى الارض حيث كانت تطأ قدما محمد عليه السلام وحيث بقى عبير انفاسه المحملة بأطهر النفحات اللدنية المحملة بأنقى العطور الالهية .. كان يرتاد الوديان والبطاح التى شرفت برسول الله الامين ويصلى حيث سار الحبيب ويركع حيث وقف ويسجد حيث رقد وكلما ذكر شجرة استراح تحتها الرسول الكريم وأظله منها ظل وارف وهو المحمى بظل الله موقى من كل شر بأستار العرش وعنايته وكلاءته هام عبد الله فى هذه الشجرة يصلى تحت غصونها وفوق ترابها الذى حال مسكا من أثر الرسول أياما وليالى .

وهو فى بيوت الله وفى سامر المؤمنين يحدث السامعين باحاديث الرسول وهو لا يعلم وقتئذ انه إنما يسمع القرون والاجيال والآباء وهو كما وصفه أبو جعفر اكثر الناس حرصا على أن لا يزيد أو ينقص من قول سمعه من فم الطاهر المطهر . وانزوى عبد الله فى أيام أبيه فهو لا يبدو نور الكتب والمؤرخين الا حين يكون الورع والجد وتنفيذ شرع الله .

فهـا هو عمر أمير المؤمنين ومن وهبه الله بسطة من الهيبة حتى لقد كان يفزع منه ومن شدته وبطشه كبراء اهل الشرك ويخافه المؤمنون — اخوته فى الله وأحباؤه فى دين الله — وهو الذى يدخل على سيد الخلق فاذا امهات المؤمنين يتصايحن طمعا فى لين الرسول الكريم ورحمته وعذوبة شيمه وسجاياه حتى اذا ما ابصرن بعمر امسكن عن الصياح .. فزجرهن وهو يكاد يبطش بهن وهو يصيح : الا تخافن رسول الله وتخشينني ؟ ... والله انها لكبيرة .

وهو المسلم الوحيد الذى جاهر بهجرته عندما اعتزمها متقدما رسول الله وصاحبه الى المدينة فقد خرج متشحا سيفه ورمحه وطاف بالبيت مجاهرا بالهجرة وكانت عند المشركين جريمة يقتص من صاحبها فما نبست شفة ولا رفعت يد باشارة استنكار الا رفعها بسيف أو رمح .

ها هو عمر وهذا حاله الذى عرفه عنه القاصى والدانى منذ فجر الاسلام الى يوم الدينونة يقف فى المسجد خطيبا فيعترضه أعرابى وهو يقول : « مالك علينا طاعة يا عمر » .

ويفزع عمر من قولة الاعرابى الأشعث الأغبر الذى لا حول له ولا طول الا خشية الله ويسأله عما جعله يخلع عنه طاعة أمير المؤمنين فيرد عليه الأعرابى بشجاعة المسلم المؤمن الذى لا يخاف الا الله والذى يواجه بقوله الحق أمير المؤمنين وهو يوقن « ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار » .

« لقد أعطيت كلا منا ثوبا وجعلت لنفسك ثوبين » .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يضع على جسده الكريم الذى بشر بالجنة وطوق بورودها ورياضها وزحزح من أول يوم فى اسلامه عن النار ولهبها ولظاها المستعر — كان سيدنا عمر بالفعل يضع ثوبين .

وكان يكفى أن ينطق سيدنا عمر بكلمة فيصدقه الخلق جميعا فما عهد

الناس فيه الا الصدق وشجاعة الرأى ولكنه أشهد على نفسه فنادى عبد الله بن عمر وهو يصيح :

« تكلم يا عبد الله بن عمر »

وقام عبد الله الورع التقى وهو مشفق من حال أبيه والاعرابى يسائله عن النصفة والعدل يقول :

« لقد رأيت القميص الذى ناله ابى قصيرا فأعطيته قميصى يسبل عليه » .

وصمت عبد الله لكى يتحدث التاريخ فلا يسمع فى علو صوت التاريخ قولة الاعرابى :

« الآن وجبت علينا طاعتك »

نعم لقد رأى الابن المطيع الشفوق اباه أمير المؤمنين وقد وقع فى نصيبه ـ دون انتقاء ولا اختيار ـ قميص قصير يشمر عن ساقيه ولا يكاد يغطى ركبتيه فلم يعجب من زهد أبيه وعدله فانه قد ربى فى حجر الرسول أمين العدل والزهد وسيد العادلين الزاهدين ولكنه ارتجف اشفاقا من حال أبيه وهو يرأس القوم ويقابل رسل الملوك والاباطرة فضحى من أجله بثوبه .

وتغفو عين التاريخ عن عبد الله ثم ترفع جفونها عنه وقد رأى سيدنا عمر أن أمير مصر سيدنا عمرو ابن العاص قد جامله فى حق الله فاصطنع الحد على ابنه عبد الرحمن ابن عمر حين اعترف له بشرب الخمر فسخط على سيدنا عمرو وبعث يستقدم ابنه على قتب أى مقيد على راحلة ولم يأتمن على تنفيذ أمره الا عبد الله بن عمر فأرسله برسالته واستقدمه بأخيه وبقدر ما عانى أمير المؤمنين من اشفاق على ابنه وهو يقيم عليه الحد والناس يتصايحون من حوله « انك يا عمر تقيم عليه حدين » وهو يصيح فيهم « ومن يجيرنى من عقاب الله » قاسى عبد الله وهو يعود ـ بأخيه من مصر الى أرض الحجاز مقيدا موثوق القدمين وموثوق النفس عن الضراعة والتشفع وأخوه الاكبر العطوف الرقيق لا يفكر فى مخالفة الأمر لا أمر أبيه ولكن أمر الله بالحد . وهو لا يخشى أمير المؤمنين وانما يخشى الله ، ولكنه لا جدال قد اصطرع حسه وشعوره مع يقينه على طول الطريق .

ثم تبطىء انباؤه عن التاريخ حتى يظهر عند فاجعة مصرع أبيه العظيم وقد ناله مجوسى بطعنات قاتلات واذا بعبد الله فى جوار الجريح العادل الخالد يأمره بما يصنع به وبقاتلهوبالناس فيطيع وينفذ وهو أرضى ما يكون نفسا بقضاء الله واهدأ ما يكون جنانا بقدر الله شره كخيره بينما ثار أخوه عبيد الله بن عمر وسار فى المدينة يقتل فى الاغراب من الفرس والمجوس فقتل الهرمزان وجفنية وابنة صغيرة لأبى لؤلؤة ولولا أن اجتمع عليه المهاجرون والانصار لفتك بهم فتكا ذريعا .

أما عبد الله فقد لازم أباه يستحضر له المداوين والدواء ثم يسأله سيدنا عمر عن الكتفة التى كتب فيها اجتهاده فى توريث الجد ليمحو ما كتب ويسارع اليه بها .

ثم اذا جاء موعد الشورى وقد استخلص أمير المؤمنين ستة من صحابة الرسول وهناك رواية تروى عن رفض سيدنا عمر أن يجعل بينهم عبد الله وهناك رواية تروى أن عبد الله قد رفض الخلافة بعد أبيه وكلا الروايتين تدلان على مقدار عظمة عبد الله ونظرة المسلمين له حتى يرغب بعضهم فى استخلافه وحده أو كواحد من ستة ولكن المقطوع به أن سيدنا عمر لكى يطمئن على حسن سير الشورى بين الستة الكبار الصالحين أمر أن يدخل معهم عبدالله ولا يكون له فيها إلا حق الرأى

وليس له الترشيح .
وعندما تاقت نفس الراحل العظيم إلى أن يدفن بجوار سيده وسيد خلق الله وجوار صديقه وصديق النبي وصديق المسلمين حتى تقوم الساعة بعث بعبد الله الى أم المؤمنين السيدة عائشة وجاء بردها الى أبيه مبشرا .

والقى إليه القول عندما أراد أمير المؤمنين أن يستن للموتى فقال له موصيا (اقصدوا فى كفنى فانه ان يكن لى عند الله خير ابدلنى خيرا منه وان كنت على غير ذلك سلبنى فأسرع سلبى واقصدوا فى حفرتى ولا تخرجن معى امرأة ولا تزكونى بما ليس فى فان الله هو أعلم بى واذا خرجتم بى فاسرعوا فى المشى فانه ان يكن لى عند الله خير قدمتمونى الى ما هو خير لى وان كنت على غير ذلك كنتم قد القيتم عن رقابكم شرا تحملونه » .

وكان عبد الله يوسد راس ابيه فخذه فقال له سيدنا عمر « ضع خدى على الأرض ... ويلى وويل أمى ان لم يغفر الله لى » .

. . . .

هذا هو عبد الله بن عمر واحد من دوحة الخطاب التى شرفت بعمر وبحفصة أم المؤمنين وعبد الله بن عمر وزيد بن الخطاب وفاطمة بنت الخطاب ثم سار عنصرها الطيب فأخرج بعد حين خامس الخلفاء الراشدين « عمر بن عبد العزيز » .

لقد اسدلت عظمة سيدنا عمر سترا ان لم يكن كثيفا فهو ثقيل على آل الخطاب وانهم لسادة وقدوة ومصابيح هدى ... رضى الله عنهم وأرضاهم ونفعنا ببركاتهم — آمين .



من أحمد بن تيمية إلى الوالدة السعيدة

(كان الإمام ابن تيمية سجينا في مصر وقد أرسل الى والدته فى الشام هذه الرسالة

(من احمد بن تيمية الى الوالدة السعيدة اقر الله عينها بنعمه ، وأسبغ عليها جزيل كرمه ، وجعلها من خيار إمائه وخدمه ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته — فإنا نحمد إليكم الله الذى لا إله الا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شىء قدير . ونسأله أن يصلى على خاتم النبيين وامام المتقين ، محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما .

كتابى اليكم عن نعم من الله عظيمة ، ومنن كريمة ، وآلاء جسيمة ، نشكر الله عليها ونسأله المزيد من فضله . ونعم الله كلما جاءت فى نمو وازدياد ، وأياديه جلت عن التعداد . وتعلمون أن مقامنا الساعة فى هذه البلاد إنما هو لأمور ضرورية متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا . ولسنا والله مختارين للبعد عنكم ، ولو حملتنا الطيور لسرنا اليكم ، ولكن الغائب عذره معه ، وأنتم لو اطلعتم على باطن الأمور فانكم — ولله الحمد — ما تختارون الساعة الا ذلك ، ولم نعزم على المقام والاستيطان شهرا واحدا ، بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم، وادعو لنا بالخيرة . فنسأل الله العظيم أن يخير لنا ولكم وللمسلمين ما فيه الخيرة فى خير وعافية .

ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة والهداية والبركة ما لم يكن يخطر بالبال ولا يدور فى الخيال ، ونحن فى كل وقت مهمومون بالسفر ، مستخيرون الله سبحانه وتعالى ، فلا يظن الظان أنا نؤثر على قربكم شيئا من أمور الدنيا قط ، بل ولا نؤثرمن أمور الدين ما يكون قربكم أرجح منه ، ولكن ثم أمور كبار نخاف للضرر الخاص والعام من إهمالها ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب .

والمطلوب كثرة الدعاء بالخيرة ، فان الله يعلم ولا نعلم ، ويقدر ولا نقدر ، وهو علام الغيوب . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم (من سعادة ابن آدم استخارته الله ورضاه بما يقسم الله له ، ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله وسخطه بما يقسم الله له) ، والتاجر يكون مسافرا فيخاف ضياع بعض ماله فيحتاج ان يقيم حتى يستوفيه . وما نحن فيه أمر يجل عن الوصف ولا حول ولا قوة الا بالله ، والسلام عليكم ورحمةالله وبركاته كثيرا كثيرا ، وعلى سائر من البيت من الكبار والصغار ، وسائر الجيران والأهل والأصحاب واحدا واحدا ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

مائدة القارئ

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

(قرآن كريم)

(من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا) .

رواه الطبراني

فلسطين صح
الشرق الأوسط خطا

حرص أعداء العرب ، على طمس اسم فلسطين فى كل ما ينشر ويذاع ، ويكتب ويقرأ ، وهدتهم حيلتهم الشيطانية ، الى تسمية هذه المشكلة التعسة باسم مشكلة الشرق الأوسط فتجرعنا سمومهم ، برضا نفس ، وطواعية فاختفى اسم فلسطين من الخطب الرنانة والاذاعات التى تصابح الناس وتماسيهم فى حين بقيت جميع مشكلات العالم باسمها ، فيتنام ، وحربها تسمى فيتنام ، ومشكلة برلين تسمى باسمها ، ومشكلة ارلندا تسمى باسمها ، حتى مشكلة ايسلندا والصراع على السمك حملت اسم الدولة الصغيرة التى تكافح من أجل رزقها ورزق أولادها .

العمل سر الحياة

حكى احد العلماء عن نفسه قال : كنت مغرما فى طفولتى بجمع شرانق الفراش ومراقبة خروج الفراشة منها فى الربيع ، وكان جهادها فى التخلص من سجنها يثير عطفى دائما ، وأتى والدى بمقص وأعمله فى غلاف الحرير المطبق على الفراشة وساعدها على الخلاص ، ولكنها ما لبثت قليلا حتى ماتت ، عندئذ قال ابى : يا بنى الجهد الذى تبذله الفراشة لتخرج من الشرنقة يخرج السم من جسمها ، واذا لم يخرج هذا السم ماتت الفراشة .

وكذلك الناس اذا جهدوا فى الحياة زادوا قوة وعزما .

وشهد شاهد

وراء كل حجر ثعبان يهودى .
تحت كل شجرة دودة يهودية .
وراء كل طريق عود كبريت يهودى
وراء كل مرض ميكروب يهودى
انهم المرض والدمار لكل البشرية .

الفيلسوف الالمانى
تريتشكه

الأنبياء والرسل

فى القرآن الكريم

ذكر الله عز وجل فى كتابه طائفة من الأنبياء ، ولم يذكر جميع الأنبياء والمرسلين . قال تعالى : « ورسلا قد قصصنا عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك » .

وهؤلاء الأنبياء الذين ذكرهم الله فى كتابه خمسة وعشرون نبيا : منهم ثمانية عشر فى أربع آيات متتالية من سورة الأنعام وهى قوله تعالى : « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء أن ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين » .

والسبعة الآخرون هم آدم وادريس وهود وصالح وشعيب وذو الكفل ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين .

حقوق المرأة

جاءت أسماء بنت يزيد الانصارية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت :

بأبى أنت وأمى يا رسول الله . أنا وافدة النساء اليك . ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة ، فآمنا بك وبالهك . انا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم، وحاملات أولادكم ، وانكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وافضل ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل وان أحدكم اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا لكم أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم أفنشاركتكم فى هذا الأجر والخير ؟

فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى أصحابه بوجهه كله ثم قال :

هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه ؟

فقالوا : يا رسول الله .. ما ظننا ان امرأة تهتدى الى مثل هذا .

فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم اليها فقال لها :

افهمى أيتها المرأة ، واعلمى من خلفك من النساء ، أن حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله .

قصــــة

الركب

للأستاذ
محمد المجذوب

كان ابو سفيان بن مالك بن جعشم على ثقة من أنه في الطريق الـــذى وصف له ، فهو يتلفت يمنة ويسرة ، ويصعد بصره ويصوبه ، ويرسلــه بعيدا فى ثنايا الغبار ، والذى تقذف به الصحراء من خلال الجبـــال الذاهبة الى الاعالى فى حركة شبه لولبية ، وحينا ينحدر عن فرســه الكميت فى رشاقة النمر ، لينعــم النظر فــى آثار المناسم التى طبعتها الابل على صفحة الرمل .. كأنــه يستنطقها عن ضالة وقف نفسه على نشدانها ، ثم لا يلبث ان يقفز الــى قربوسه مستأنفا مسيرته اللغوب ..

ويغيب الفارس الاسمر اثناء ذلك فيتصورات غير محدودة تشد بخياله الى آفاق لا يرغب فى فراقها ، ولا

يريد أن ييأس من ملاقاتها على صعيد الواقع .. أنه ليردد على نفسه خبر الجائزة الكبرى التى اعلنتها قريش لكل من يرد عليها غريمها وصديقه حيين او ميتين .. مئتى ناقة .. اجل مئتى ناقة . وانها لثروة تتجاوز نطاق الاحلام في هذه البادية التى تكـاد تكون عارية ، الا قليلا من طوائف النخيل منثورة هنـا وهنـاك تخضر حينا وتيبس أحيانا ، والا نتفا موزعة خلال الاودية من أشجار الضـال والسلم ، تنتابها غرائب الابـل ، وهزالى المعزى ، تتغذى من اطرافها أو تستظل بها فى حمارة القيظ المحرق مع رعايتها من الصبيان والصبيات ، على مشارف الاحياء العابـرة ، او القريات المستقرة .. ويالها ثروة لن تكلفه ـ اذا قدرت له ـ سـوى اليسير من الجهد ، الذى هو ابدا على أتم الاهبة للقيام باضعافه فى الاغارات القبلية ، التى لا تخلو منها أيام الناس ولياليهم فى هذه الصحراء الرهيبة ..

وانه ليتذكر ، وهو يطلق بصـره الحاد فى ثنايا العجاج ، ويشد جانب خماره على نصف وجهه الاسفل ، ليقى فمه وأنفه دفقات الغبـار .. يتذكر تلك اللحظة التى وافى بها نسيبه الدلجى نادى قومه بكرة اليوم، ليقص عليهم خبر الركب الذى لمحه فى هذه البقعة من أرجاء (قديـد) متوقعا أن يكونا هم الضـالة التى تنشدها قريش . ويعز على ابن مالك أن يشركه بهذه الغنيمة أحد ، بعد أن قضى الايام ، وهو يتنسم اخبارهـا ... فيومىء لابن عمـه بعينـه أن اسكت ، ثم عقب على خبره بقولـه : إنما هم بنو فلان يبتغون ضائعة لهم .. ثم لم يكد يطمئـن الـى انصراف أذهان الحضور عن بغيته حتى نهض متثائبا ليمضى الى سرادقه ، فيامـر بسلاحه فيخرج له من مؤخر حجرته ، ثم يلبس عدة القتال ويأخذ سهامـه التى يستنبئها عن الغيب ، فيستقسم بها يريد استطلاع حظه قبل الانطلاق .. ولكن الطالع لم يكن على ما يريد ، اذ خرج له السهم الـذى لا يبشـر بالنجاح .. وكان عليه أن يعدل عن خطته لو أطاع أعراف الناس ، ولكن الشره الى النياق قد حفزه على خلافها ... ومن اجل ذلك يواصل سبيلـه مغذا المسير ، لا يلوى على شواغله القلبية التى لا تنفـك تهيـب به أن يعود ..

وفجأة عثر الكميـت بفارسـه الأسمر ، فلم يستطع التماسك فوقه ، فاذا هو ينزلق من على رقبته فيكـاد

المبارك

يكب على وجهه ، لولا دفعه الأرض بيديه .. وعاد الى قداحه يستوضحها السر ، فاذا السهم الزاجر نفسه يواجه عينيه بما يكره .. ومع ذلك لم يجد لديه القدرة على استجابته ، وألفى نفسه عائدا الى صهوة فرسه هامزا إياه ، يريد منه مزيدا من السير يشغله عن أوامر السهم الزاجر ..

بيد انه سرعان ما عوجل بعثرة ثانية قذفت به الى الثرى بأشد من المرة السابقة . وراح يغالط نفسه ، ويحاول اقناعها بكل تفسير يصرفها عن الواقع . وفي عفوية صرفة تمتد يده الى جراب القداح ، فيخرجها ثم يستخرج أحدها ، فاذا هو هو ذلك النذير الكريه !. ويرد القدح الى مكانه ثم يعلو متن فرسه ويهمز جانبيه بعصبية ، فيندفع على وجهه مهتديا بظل الرمح المحتد بين أذنيه ، وهو يضرب الحصى بحوافره فتتطاير في كل اتجاه ، ويرسل الزفير من منخريه الواسعين ، يحمل هدير جوفه كضوضاء القربة الكبيرة حين يضطرب بها ظهر البعير ..

ويستأنف الفارس الأسمر تصوراته دون ارادة منه .. ويكاد يذهل عما حوله .. وبغتة يرى نفسه غارقا في شأن الرجل الذي هو في طلبه .. ويسأل نفسه : أليست مغامرة جنونية ان أتبعهم وحدي ، وكان في وسعي أن أستعين ببضعة رجال من خاصة أهلي !؟ حقا .. ان مثلي لا يبالي كثرة العدو ، ولكن .. هؤلاء الهاجرون وطنهم وأهليهم نجاة بأنفسهم وحريتهم ليسوا كأولئك الذين نلقاهم في غزواتنا الأخرى .. انهم أبعد من أن يستسلموا دون قتال تشيب من هوله نواصي الأطفال .. وتتفتق ذاكرته عن روائع الأنباء التي تتناقلها البادية عن محمد وصحبه .. هذا القرشي المطارد .. أليس هو صفوة قريش كلها .. فلِمَ يغادرُ مكة فرارا من إيذائها ؟! ان ألسنة الرواة لتجمع على أن الرجل أعجوبة البشر في سمو الأخلاق ، وفي صدق المعاملة .. وفي التزام جانب البر .. فعلام كل هذا التنكر له .. وفيم يستبيح قومه العدوان عليه ؟. ويتذكر بدقة ما يقوله أولئك الرواة من البدو المترددين على مكة .. انهم يؤكدون فضائله ، ويلحون على التنويه بمناقبه التي لا يملك أعداؤه جحودا لها ، حتى ليسمونه فيما بينهم الصادق والأمين .. وكل ذنبه أنه يدعوهم الى مثل فضائله ، فلا يعدو قوي على ضعيف ، ولا يطغى غني على فقير . وأنهم ليسمعون بعض هذا في مواعظ اولئك الحنفاء ، الذين هجروا تقاليد الجاهلية ، وراحوا يضربون في الأرض بحثا عن ملة ابراهيم ، فلا يناكرونهم ، ولا يتنكرون لهم ، بل يصغون اليهم في أناة وتقدير .. فلم يخصون هذا القرشي وحده بالجفاء والعنف والمطاردة والايذاء ؟..

ويرجع الفكر في آخر ما تلقاه عن دعوة الرجل .. فيتذكر أنه يدعو الى دين من شأنه — لو استجيب له — أن يغير حياة قريش ، بل حياة الناس كلهم في هذه الجزيرة .. دين يسفه أحلامهم ، ويحطم أوثانهم ، ويهبط بصناديد قريش وذوائب مضر الى مستوى عُبدانهم ، حتى لا يرتفع أحد على آخر الا بقدر التزامه لمعالم هذا الدين .. وليس هذا فحسب .. بل انه ليجتذب اليه الانصار من كل ضعيف ومظلوم وذي تطلع الى تغيير الواقع الجاهلي ، فيتفانون في حبه ، ويعرِّضون نحورهم لكل ألوان العذاب في طاعته .. حتى أن أحدهم — رجلا أو امرأة — ليتقبل الموت مبتسما ما دام ذلك مؤديا الى مرضاته ..

أفيكون ذلك هو السبب المباشر لكل هذا العـداء الرهيـب !.. وخيـل للفارس الأسمر أنه قد وجد فى هذا التعليل ما تَسَتُوغ به قريش مطاردتها لصاحبها ، وتصميمها على وقــف دعوته ، ما دام هـذا هو السبيـل الوحيدة لاستبقاء سـيادتهم علــى المجتمـع المـكى ، والحفاظ علــى مصالحهم التى تهددها دعوة محمد !. غير أنه لم يلبث أن هز رأسه بقوة ، كأنما يريد أن يطرد منه ذلك الضـرب من التفكير الذى لم يزاول مثله من قبل .. وراح يهمس لنفســه : مــالى وللتنقيب عــن أســرار النــاس .. وحسبى من الأمر هذه الثروة الكبيرة التى رصدتها قريش تمناً لغريمها .. انها مئتا ناقة ... مئتا ناقة !.. وأنها لتستحق منى القيام بأكثر من هــذه المغامرة ..

ودق جانبى الفرس بمؤخر قدميه ، فراح يســبح فــوق الرمــل باقصى ما تمكِّن له طبيعة الأرض الهشــة من الإسراع .. وفى الوقت نفســه تحرك عدد من الزوابع الترابيــة ، متجها الى الاعالى وهو يلملم الحصى والهشيم وفتات السلم ، ليقذفهــا بوجهه ووجه فرسه ...

وتتتالى صفعــات الزوابع علــى محيا الفارس شديدة مدوية دون أن يستطيع اتقاءها بغير هذا اللثام الذى أحاط به وجهه وغطى ببعضه احدى عينيه ، اللتين شحنتا بالأتربة .. ثم لم يلبث أن جمد بفرســه مضطرا ، وهبط عنه ليلوذ بجانبه ريثما تهــدأ العواصف ...

وفرك مقلتيه مليا ، ثم اطلق بصره يتبين موضعه ، فاذا هو براحلتيــن يرفعهما السراب فى أقصى الشعاب وقد علاهما عدد من الشخوص لــم يستطع احصاءهم أول الأمر ، ثــم أتضح له أنهم أربعة رجال .. فلــم يتردد فى الحكم بأنهم مطلوبه الــذى خرج له . وبأقصى قوته تسلق متــن الفرس ، وجعل يخزه ليضاعف مــن قدرة انطلاقه .. وما هى الا لحظات حتى كان على مرمى السهم من الركب، وقد أمسك برمحه يهزه ليستوثق من صلاحيته ، وأعد نفسه لكل احتمال .. غير أنه سرعان مــا وجد نفســه مطروحا على وجهه ، اذ ذهبت يــدا فرســه فى الأرض ، ثم ما لبــث أن انتزعهما بعد لأى ، فاذا الغبــار يتصاعد وراءهما كأنه سحابة مــن الدخان يضربها الأعصار ...

ولبث أبو سفيــان هنيهــة ينفض وجهه ويديه وثيابه ، ويتلمس جسمه كأنه يبغى التيقن من سلامته .. ثــم أطرق يفكر ..

لم يمد يده هذه المرة الى جــراب الأزلام ، لأنه فرغ من الحاجة اليها ، وخمدت سورة المطامع فى صدره ، فلم يعد راغبا فى التطلع نحوها .. لقد رجع الى نفسه يتأمل ويتمتم : حتام تغالب يا سراقة القــدر !.. ألم يكن لك أن تدرك أن الرجل محفوظ .. وألا سبيل لبشر عليه ! ..

وفى استسلام عميق الى الواقع جعل ينادى : أنا سراقة بن جعشم . انظرونى أكلمكم ، فوالله لا أريبكم ، ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه ..
ويقف الركب ، ويسمع سراقــة صوت أحدهم يقول لرفيق له علــى الراحلة الأخــرى ، دون أن يصرف نظره عن وجهته : قل له : وما تبغى منا ؟..

ولــم تخطىء فراســة الفــارس المدلجى ، اذ أدرك لفوره أنه أمــام

الرجل الذى ملأ نبؤه العظيم أرجاء هذه الجزيرة ، وانتشر فتاكها ينفضون هذه البقاع بحثا عن آثاره .. وشعر بقوة خفية لاذ ة تشده الى صاحب ذلك الصوت ، الذى حرك كل طاقة حية من عقله وقلبه ، ومد بصره الى وجهه ، يريد أن يستشف الأسرار التى بها استطاع أن يزلزل كبرياء قريش ، فيدفعها الى التذرع بكل الوسائل الممكنة للقضاء عليه ، وتوقف تأثيره العجيب على القلوب .. وكأن مهابة محمد قد كسرت بصره فلم يطق مواجهتها ، ومضى يتكلم وهو نصف مطرق : أن قومك قد جعلوا فى كل منك ومن رفيقك مئة ناقة لمن يردكما عليها .. وقد انبعثت ذئاب البادية تنشد أثركما فى كل مكان رغبة فى نوال الديتين .. ولكنى أيقنت أن الله مانعك وناصرك ، فلكم على أن أحفظ غيبكم وأرد عنكم الطلب .. وأن أزودكم بما يعوزكم فى هذه الرحلة ، فاكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينك .. ومرنى بما شئت .

وسر رسول الله بما سمع من سراقة فدعا له بخير ، ولم يرزأه شيئا ، والتفت الى صديقه يقول : اكتب له يا أبا بكر ..

وتناول الفارس المدلجى العظم المكتوب بكلتا يديه ، وفى حرص كبير دسه فى أعماق كنانته ، ثم عاد أدراجه ليكف الطلب عن الركب ، فلا يلقى باغيا له الا رده قائلا : لقد كفيتكم هذا الجانب ، فانشدوا غرضكم فى سواه .

ويتذكر سراقة طاغوت مكة أبا الحكم ابن هشام وهو يحرضه على ملاحقة محمد .. ثم يتصوره وهو يتلقاه باللوم على تهاونه فى شأنه بعد لقائه ، فلا يتمالك أن يرد على لومه من وراء الصحراء بذلك الحداء ، الذى ما لبث أن مازج نفس فرسه فراح يتراقص تحته فى نشاط يترجم عن مشاركة عاطفية لا يعرف كيف يصفها :

أبا حكم . والله لو كنت شاهدا
لأمر جوادى اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بان محمدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه !
عليك بكف القوم عنه فاننى
ارى أمره يوما ستبدو معالمه
بامر يود الناس فيه باسرهم
بأن جميع الناس طرا يسالمه

وتموج البادية بأنباء الأحداث الجديدة ، التى فجرتها دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وتتتبع القبائل أخبار الوقائع التى تكاد تغير وجه الجزيرة وتغير معه حياتهم نفسها بين يوم ويوم ! ..

لقد حققت هذه الدعوة من القوة خلال سنوات ثمان ما لم يخطر فى بال أحد من سكان هذه البادية .. فانتصار فى بدر يستاصل سدنة الوثنية فى مكة بل فى جزيرة العرب كلها ، وصمود فى أحد يحطم آمال الخصوم فى صد السيل الدافق من روافد هذا الدين الذى لا يقهر ، وتضعضع رهيب فى صفوف الأحزاب من قريش وغطفان ، يقضى على كل تفكير بغزو يثرب فى المستقبل ، بعد الاخفاق الذى أصابهم يوم الخندق .. وفوق ذلك تدمير لقوة يهود جميعا لا فى المدينة وحدها فحسب ، بل فى كل بقعة يحتلها هؤلاء الدخلاء فى خيبر ووادى القرى وتيماء ..

وكانت ذروة الأحداث خضوع مكة نفسها لسلطان محمد ، إذ انكسرت بفتحها شوكة كل معارضة لدعوته فى هذه الجزيرة ...

ولقد كانت القبائل ، حتى قبيل فتح مكة ، تتردد متتبعة حركة الصراع بينها وبين المدينة ، أما الآن ، وقد أعلنت قريش كلها اسلامها وبيعتها لهذا الصادق الأمين ، فلم يبق أمام هذه القبائل سوى الدخول في ما دخلت فيه قريش ، أو القيام يدا واحدة للدفاع عن بقية الوثنية التي لا تربطهم بها وشيجة سوى تقليد الآباء ، الذين أورثوهم تقديس هذه الحجارة ، دون أن يسمحوا لأنفسهم بالتفكير في قيمتها ..

ولا جرم أن اتفاق القبائل في ما بينها على حماية الوثنية أحد المحالات التي لا سبيل الى تصورها فضلا عن تحققها .. فلم يبق الا الطريق الأول .. وهو الذى قد شرع في سلوكه الكثير من وفود القبائل .. واذا كان ذلك هو الاتجاه السليم بالنسبة الى كل أولئك المتربصين في هذه البادية ، فهو بالنسبة الى سراقة ابن جعشم أكثر سلامة وأحكم خطة ... لأنه قد أتيح له أن يرى ويلمس من براهين الله في ذلك الداعي الأمين ما لم يقيض لغيره .. ومع ذلك فقد انتظر أكثر مما يجب أن ينتظر ، وتحقق من الأحداث خلال هذا الانتظار أكثر مما كان يتوقع .. فإلام هذا التردد .. والى متى يمتد هذا الانتظار ؟ ..

ويرف الشعور القديم في قلب سراقة .. فتعلوده أطياف اللحظات السعيدة ، التي عاشها ساعة واجه الركب المبارك في اطراف (قديد) ويتذكر ما لم يكن قد نسيه قط من روعة ذلك الموقف ، وكأنه يلمح من جديد تلك الطلعة المشرقة ويسبح كرة أخرى في جو تلك المهابة التي لا يثبت امامها القلب ولا البصر ...

وكأن يدا خفية انتزعته من فراشه ثم دفعته دفعا الى متاعه وفرسه ، ثم مضت به تسوقه في رضى عميق نحو الجهة التي يشير اليها قلبه ، الذى كان يخفق بقوة تحت كنانته الأثيرة ..

وبعد أيام من السير الذى كاد أن يتصل ، وافى سراقة كتائب المصطفى في صعيد (الجعرانة) وهي عائدة بالنصر من معركة (حنين) ..

واستل الفارس المدلجي من كنانته ذلك الكتف الذى طالما حرص عليه ، ورفع به يده ، ثم مضى يشق سبيله خلال كتيبة من خيل الانصار .

ويتلقى سراقة قوارع الرماح من هنا وهنا ، وينهال عليه الزجر والسؤال : اليك .. اليك .. ماذا تريد ؟!. ولكنه يصبر نفسه ، ويواصل خطاه حتى يقابل نبي الله وهو يقول : يا رسول الله .. أنا سراقة بن جعشم .. وهذا كتابك لي ...

ويقبل نبي الله بوجهه على سراقة، لا يصرفه عنه شيء من مشاغل ذلك الموقف ، وفي نبرة آسرة يقول له : يوم وفاء وبر . أدنه .

وكان ذلك كافيا ليفسح له الطريق، فمضى حتى اذا كان بين يديه ، ضم بكفيه راحته وأعلن اسلامه وبيعته ..

وثارت في صدر الفارس المدلجي شئون لا يستطيع حصرها ، ويود لو يسال بها كلها رسول الله ، لتطول وقفته معه ، وليتزود منه بما ينفعه وينفع به .. الا أنه لم يجد قدرة على ترجمتها ، فقد أرتج عليه فما يدرى بماذا يتكلم ... حتى ثاب اليه بعض مراده فقال : يارسول الله الضالة من الإبل تغشى حياضي ، وقد ملأتها لأبلي ، هل لي من أجر في أن أسقيها ؟ .. وجاءه الجواب الحكيم

يهز نياط قلبه : نعم . فى كل ذات كبد حرى أجر ! .. وقبل أن يودع نبى الله ليعود الى أهله ، فيطبق هناك ما رأى وما سمع هنا من حقائق الاسلام ، سمع رسول الله يقول له : كيف بك — يا سراقة — اذا لبست سوارى كسرى !؟ ولم يدر سراقة بأى شىء يجيب على هذا النبأ العجيب .. ولو هو سمع هذه الكلمة من غير رسول الله لما كان لها عنده من جواب سوى السيف ، لأنها اذ ذاك لا تعدو أن تكون سخرية منه وهزؤا .. بيد أنها من الرسول صلى الله عليه وسلم نبأ من الغيب لا مندوحة من تحقيقه على وجه من الوجوه .. ولكن .. كيف .. وأين ... ومتى ؟!..

وانطلق سراقة باتجاه أهله ، وقد تبدلت مشاعره ، وشَفَّت روحه ، وخف جسده حتى ليخيل اليه أنه على وشك أن يطير عن ظهر فرسه . ولم يستطع أن يفصل ذهنه عن آخر كلمات الرسول ، فهو يقلب كفيه ويردد على نفسه فى مثل الذهول : سوارى كسرى .. ومن أين لمثل سراقة بن مالك بن جعشم بسوارى كسرى !!..

x x x

وسرعان ما استحالت أرض العرب فى ظل الاسلام حَرَماً كبيرا ، لا تخاف المرأة السالكة فيه الا الله والذئب على غنمها .. بعد أن كانت مظنة الضياع والهلاك ، لا يطمع فيها ضعيف بأمن، ولا يأمن فيها سار أو سائر الا أن يكون له مجير من جباريها ..

وخرج أمير المؤمنين الفاروق لاستقبال ذلك الوفد ، وحوله بقية الصحابة الذين استبقاهم لمعونته فى عاصمة الاسلام ..

وعلى مشهد من الحشود ، التى تجمعت لتسقّط أخبار المجاهدين أخذ أمير المؤمنين فى عرض هاتيك التحف التى حملها الوفد .. ولما نظر الى نفائس كسرى الخاصة دعا بسراقة ، وألبسه السوارين اللذين بشره بهما رسول الله ، ثم قال له : ارفع يديك — حتى يراهما الناس — وقل : الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز ، وألبسهما سراقة الأعرابى .

ورفع سراقة يديه ، وجعل يحركهما ليكشف شعرهما الكثيف عن السوارين ، وهو يردد فى لهجة تفيض بالفرح والخشوع والايمان : (الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز ، وألبسهما سراقة الأعرابى ..)

وترتفع أصوات المؤمنين من حوله : (الحمد لله .. الحمد لله ...) .





مكتبة المجلة

اعداد الاستاذ عبد الستار فيض

حيـــاة يوسـف

منهج جديد فى معالجة قصة سيدنا يوسف عليه السلام كما وردت فى القرآن الكريم . تلك القصة الوحيدة التى قصها الله تعالى فى سورة وحيدة من اولها الى آخرها وسلك فى سردها التسلسل التاريخى فكانت اعجوبة واعجازا فى التفصيل والاجمال ، ومن أجل أن الله تعالى تولى تسجيلها كاملة . فى سورة كاملة من كتابه الكريم ، ومن أجل الحفاظ على اشاعات انوارها كما رتبها تبارك وتعالى سلك المؤلف الاستاذ محمود شلبى مسلكا جديدا فقدم للناس (حياة يوسف) كما قدمها كتاب الله تعالى مع الآيات تبيينا وتفسيرا فى أسلوب جميل والفاظ سلسلة جميلة وعبارات منسقة .

والكتاب يقع فى (٢٣٢) صفحة ومن نشر مكتبة القاهرة ـ شارع الصناديقية ـ بميدان الأزهر بمصر .

مسند الإمام أحمد بن حنبل

من اعظم الموسوعات فى علم الحديث كما أنه مرجع من ادق المراجع لعلماء السنة ومنهل لكل مسلم يريد أن يرتوى من حديث النبى صلى الله عليه وسلم ويقف على أحكام دينه من اقوال نبى المسلمين وأفعاله .

قضى مؤلف هذا الكتاب الاستاذ أحمد عبد الرحمن البنا زمنا فى اعداده وابداعه وتبويبه على أبواب الفقه وشرحه وخرج أحاديثه واستنبط الأحكام الشرعية منها وقد أسماه (الفتح الربانى) فى ترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل مع مختصر شرحه (بلوغ الامانى) .

وكل جزء من أجزائه الاثنين والعشرين يقع فى قرابة ٤٠٠ صفحة ومن نشر دار الحديث ٥ عطفة الرسام بالغورية بالقاهرة .

الفتاوى

حكم المصاب بسلس البول

السـؤال :

شخص يكثر خروج البول منه ، وخاصة فى فصل الشتاء بغير إرادته ، فهل ينتقض وضوءه بذلك ؟ وهل يجب عليه تطهير ثوبه كلما أصابه البول فى هـذه الحالة ؟

الجـواب :

خروج البول ولو قطرة واحدة ناقض للوضوء لحديث أبى هريرة قال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يقبل الله صلاة أحـدكم إذا أحـدث حتى يتوضأ » غير أنه إذا دام خروجه واسترسل ولم يستطع منعه « وهـو المعروف باسم سلس البول » كان ذلك عذرا يبيح الترخص بقدره ، والضرورات تبيـح المحظورات ، والمشقة تجلب التيسير .

وحكم من ابتلى بهذا العذر ونحوه كاسـتطلاق بطن ، أو انفـلات ريح ، أو رعاف دائم ، أو جرح لا يرقأ ـــ حكم المستحاضة (وهى ذات دم نقص عن أقـل مدة الحيض أو زاد على أكثره أو زاد على أكثر مدة النفاس ، أو زاد على عادتها فى أقل مدة الحيض والنفاس ، وتجاوز أكثرهما ، أو حبلى أو آيسة) .

وقد نص الحنفية على أنها تتوضأ لوقت كل فرض ، لا لكل فرض ولا لكـل نفل ، وتصلى به ما شاءت من الفرائض والنوافل فى الوقت . ويبطل وضوءهـا بخروجه عند أبى حنيفة ومحمد . ويجب أن تستأنف الوضوء للوقت الآخر ، وكذلك من به سلس البول ونحوه .

ويشترط لثبوت العذر ابتداء أن يستوعب وقتا كاملا من أوقات الصلاة بحيث لا ينقطع زمنا يسع الوضوء والصلاة ، والانقطاع اليسير فى حكم العدم ، وشرط بقائه ودوامه بعد ذلك أن يوجد ولو مرة واحدة فى كل وقت كامل من أوقـات الصلاة ، ولا يعد منقطعا إلا إذا زال وقتا كاملا .

• • •

وأما الثوب الذى تصيبه نجاسة العذر فقيل لا يجب غسله ، لأن قليـل النجاسة يعفى عنه ، وقدر فى النجاسة المائعة بقدر مقعر الكف فألحق به الكثير للضرورة ، ولأن العذر غير ناقض للوضوء فلم يكن نجسا حكما ، وقيل يجب غسل الزائد عن القدر المعفو عنه إذا أفاد الغسل بأن كان لا يصيبه مرة بعد أخرى . وإلا لا يجب ما دام العذر قائما . واختاره مشايخ الحنفية وصححه فى البدائع .

وقال ابن قدامة الحنبلى فى شرحه الكبير على المغنى : « إن المستحاضـة تغسل فرجها وتعصبه وتتوضأ لوقت كل صلاة ، وتصلى ما شاءت من الصلوات ، وكذلك من به سلس البول ، والمذى ، والريح ، والجرح الـذى لا يرقـأ دمـه ، والرعاف الدائم ، ويجوز لهؤلاء الجمع بين الصلاتين ، وقضاء الفوائت والتنفل الى خروج الوقت . وتتقيد الطهارة بالوقت إذ هى طهارة ضرورة ، فإذا توضأ قبـل الوقت وخرج منه شىء من الحدث بطل وضوءه ، وإذا توضأ بعد دخول الوقـت

صح وارتفع الحدث ولم يؤثر فى الوضوء ما يتجدد من الحدث الذى لا يمكن التحرز منه ، وإذا خرج الوقت بطل الوضوء » ا ﻫ ملخصا .

وذهب الشافعية كما فى المجموع وشرح المنهاج إلى أن المدار فى ثبوت العذر على الاستمرار والدوام غالبا ، ويجب فى الاستحاضة وما الحق بها غسل النجاسة ، وشد المحل بنحو عصابة عقب الغسل . والوضوء لكل فريضة عقب الشد فى وقت الصلاة لا قبله لأنها طهارة ضرورة فتتقيد به كالتيمم ، والمبادرة بالصلاة عقب الوضوء ، الا لمصلحة تتعلق بالصلاة كانتظار الجماعة ، ويصلى به الفريضة والنوافل القبلية والبعدية ، ولا يصلى به فريضة أخرى حتى يتوضأ لها . ولا يبطل الوضوء والصلاة بتجدد الحدث أثناءهما . ا ﻫ بتلخيص .

وفى مذهب المالكية « كما فى شرح متن الخليل » طريقتان : إحداهما أن العذر لا ينقض الوضوء مطلقا ولا تبطل به الصلاة ، غير أنه يستحب لمن ابتلى به ان يتوضأ لكل صلاة الا ان يؤذيه البرد .

والأخرى : وهى التى شهرها ابن رشد أنه لا ينقض الوضوء ولا تبطل الصلاة اذا لازم نصف وقت الصلاة على الأقل ، إلا أنه يستحب الوضوء إذا لازم نصف الوقت أو اكثره لا إن لازم كل الوقت . وينتقض الوضوء إذا لازم أقل من نصف الوقت فيتوضأ لكل صلاة ، ا ﻫ .

. . .

وذهب الظاهرية وابن حزم (كما فى المحلى) الى أن من غلب عليه خروج البول « وهو من به سلس البول » ويسميه ابن حزم « المستنكح » بمعنى من غلب عليه ، يجب عليه بعد غسل الموضع حسب الطاقة بدون حرج ومشقة ، الوضوء لكل صلاة فرضا أو نافلة ، فيتوضأ للفريضة ، ويتوضأ وضوء آخر للنافلة ، ثم لا شىء عليه فيما خرج منه بعد ذلك فى الصلاة أو فيما بين الوضوء والصلاة ، ولا بد أن يكون الوضوء اقرب ما يمكن من الصلاة . ا ﻫ ملخصا .

. . .

وجملة القول أن جمهور الفقهاء قاسوا أرباب الأعذار على المستحاضة لورود النص فيها ، فالحنفية والحنابلة ذهبوا الى أنها مأمورة بالوضوء لوقت كل صلاة . والشافعية ذهبوا الى أنها مأمورة بالوضوء لكل فريضة ، والمالكية لم يوجبوا عليها الوضوء مطلقا فى الطريقتين ، فذهبوا فى أرباب الأعذار الى ما بيناه بطريق القياس .

. . .

ويعلم من هذا أن مجرد خروج البول بكثرة كما فى السؤال لا يعد عذرا مبيحا للترخص المذكور ، وانما يكون كذلك إذا دام واستمر على النحو الذى بيناه فى المذاهب ، ولعل الأرفق بأرباب الأعذار مذهب الحنفية والحنابلة ، وللعامى أن يقلده ولو كان من مقلدة المذاهب الأخرى ، والله اعلم .

. . .

الوفاء بالحج المنذور

السؤال :

نذر إنسان لله تعالى أن يحج الى بيته الحرام إن شفاه الله من مرضه ، وكان قد أدى فريضة الحج قبل ذلك . فشفاه الله وتيسرت له أسباب الحج من جهة المال ، فعزم على الوفاء بالنذر فى هذا العام ، غير أن الأطباء قرروا أنه وهو

فى الحادية والسبعين من عمره ، لا يمكن أن يتحمل حرارة الجو بالأقطار الحجازية فى هذا العام ، فماذا يصنع للوفاء بهذا النذر ؟ وهل يكفى التصدق بالمال الـذى أعده للحج ؟

الاجابــة :

مذهب الحنفية أن من نذر طاعة لله تعالى كالحج مثلا ، وجب عليه الوفاء بهذه القربة التى التزمها فى الحال ، إن كان النذر مطلقا مثل « لله على حجة » أو عند تحقق الشرط إن كان النذر معلقا مثل : « إن شفانى الله فعلى لله حجة » لقوله تعالى : « وليوفوا نذورهم » وقوله : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » .

والنذر نوع عهد من الناذر مع الله عز وجل فيلزمه الوفاء بعهده ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : « من نذر أن يطيع الله فليطعه » .. ولا تجزىء عنـه الكفارة سواء أكان الشرط المعلق عليه مما يقصد الناذر حصوله كالمثال المذكـور أولا ، نحو « إن دخلت هذه الدار فلله على حجة » .

وقال فى (البدائع) ــ ثم الوفاء بالمنذور به نفسه حقيقة إنما يجب عنـد الإمكان ، فأما عند التعذر فإنما يجب الوفاء به تقديرا بخلفه ، لأن الخلف يقـوم مقام الأصل كأنه هو ، كالتراب حال عدم الماء ، وكالأشهر حال عدم الأقراء (جمع قرء وهو الحيض) حتى لو نذر الشيخ الفانى الصوم يصح نذره وتلزمه الفدية ، لأنه عاجز عن الوفاء بالصوم حقيقة فيلزمه الوفاء به تقديرا بخلفه ، ويصير كأن صام . أ هـ .

والفدية خلف عن الصوم عند العجز عنه بالنص .

فإذا نذر إنسان الحج وجب عليه الوفاء به فى الحال إن كان النذر مطلقا ، وعند تحقق الشرط إن كان معلقا ، وكل ذلك عند الإمكان . فإذا عجز عن ذلـك لعذر كالمرض مثلا ، تقبل النيابة عنه فى الحج ويسقط عنه الفرض بحجة النائـب إذا كان العذر لا يرجى زواله ، كالعمى ، والزمانة ، والكبر الذى لا يستمسك معه الإنسان على الراحلة ، ولا إعادة عليه مطلقا ، سواء استمر به ذلك العذر أم لا .

وأما إذا كان العذر مما يرجى زواله فيشترط لجواز النيابة عنه فى الحـج دوام العجز الى الموت حتى يستوعب العجز بقية العمر ، ويقع به اليأس عن الأداء بالبدن ، وينبنى على ذلك أنه إذا زال العذر وجب عليه أداء الحج بنفسه ، ولـم تعتبر حجة النائب عنه ، وإذا لم يزل العذر حتى مات ظهر أن حج الغير عنه وقع صحيحا مجزيا ، وخرج به عن عهدة النذر .

ولجواز حج الغير عن العاجز شروط مذكورة فى بابه : منها أن يكون للعاجز عن الحج ببدنه مال ينفق منه على النائب عنه فى الحج ، فاذا لم يكن له مال لـم يجب عليه الحج بنفسه ، فلا يقبل منه أن ينيب عنه غيره فيما لم يجب عليه ، وقد نصوا على أن العذر يجب أن يكون قائما قبل إنابة الغير عنه . وعلى أن تكون نفقة النائب على الآمر بالحج من مصاريف السفر ذهابا وإيابا وإقامة الى آخـر ما ذكر من الشروط .

أما التصدق بالمال ممن عجز عن الحج بنفســـه فلم يشرع خلفا للحجـة المفروضة أو المنذورة ، فلا يخرج به عن عهدة الفرض أو النذر ، ولا تسقط بـه عنه هذه الحجة .

وظاهر أن الشيخوخة وحرارة الجو مجتمعتين لا تعدان عذرا مانعا مـن الوفاء بالحجة المنذورة بالنفس ، الا إذا غلب علـى الظن بمعونـة رأى الأطبـاء المسلمين الحاذقين ، أو التجربة الصادقة ، حدوث ضرر معه من أداء الحـج بالنفس ، كما نصوا عليه فى باب الصوم . والله أعلم .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

الايمان بالغيب

ما هو الايمان بالغيب وهل صعود الانسان الى القمر يعتبر معرفة للغيب بالنسبة للانسان .. ؟

محمد مطلق الحساوى ـ السعودية

الايمان بالغيب قولا واعتقادا وعملا هو الايمان بالله فذات الله بالنسبة للانسان غيب ، والمؤمنون بالله يؤمنون بغيب يجدون آثار فعله ولا يدركون ذاته ولا كيفيات أفعاله .

والايمان بالآخرة ايمان بغيب فقيام الساعة من الامور الغيبية والمحجوب معرفة ما يكون فيها من بعث وحساب وثواب وعقاب ، والمؤمن يعتقد بحتمية وقوعها تصديقا لأخبار الله بذلك .

والايمان بوجود الملائكة وهم اجسام نورانية تنفذ أوامر الله بالنسبة للكون ومافيه من مخلوقات ، وهى كذلك غيب لا يعرف عنها الانسان شيئا الا ما أخبر الله به عن صفاتهم بالقدر الذى يتحمله عقله وطاقته ، فهم خلق الله الذين يدينون لهبالعبودية والطاعة المطلقة ، وهميحملون عرش الرحمن ويحفونبه « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به » وهم خزنة الجنة والنار وقد بلغوا الوحى الى رسل الله ، ويرسلون لتأييد الحق فى الارض مقاتلين فى صفوف المؤمنين « اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا » وهذه الوظائف الخاصة بالملائكة والتى يكلفهم الله بها انما هى من الامور الغيبية التى يجب الايمان بها ولا تدرك بالحس .

والايمان بالقدر خيره وشره فهو غيب كذلك حتى يقع للانسان كما جاء فى الحديث النبوى الشريف « ... وان تؤمن بالقدر خيره وشره » ومتى آمن الانسان بالغيب فانه يصون فكره المحدود عن التمزق والانشغال بما لم يخلق له وما لم يوهب القدرة للاحاطة به وعندها يعلم أن المحدود لا يدرك المطلق ، وعلى هذا يكون الايمان بالغيب هو تلقى العلم بشأنه عن الله .

والايمان بالغيب هو الصفة الاولى من صفات المتقين يقول الله تبارك وتعالى : « الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

والغيب يحيط بالانسان من كل جانب وليس معنى صعود الانسان للقمر يعد من معرفة الغيب وانما هو معرفة بآيات الله ضمن القدر الذى يسمح به الله

للانسان اذ يقول سبحانه وتعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

فقد صدق الله وعده فكشف للانسان عن بعض آياته فى الآفاق المغيبة عنه حتى يعرف أن الارض التى يعيش عليها ما هى الا ذرة صـــغيرة تابعة للمجموعة الشمسية والشمس كذلك يقابلها مجموعة ضخمة على شاكلتها او تختلف فى هذا الكون الفسيح وما هو الا اهتداء لمعرفة ما فى الـــكون من عجائب فى حدود المسموح به من الخالق المبدع المفهوم من الآية الـــكريمة السابقة ولا يعد ذلك معرفة للغيب بقدر ما هو اثبات وحجة على من عرف عظمة من خلق هذه النواميس ولم يؤمن به والمولى سبحانه وتعالى يقول : « حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

الســـــنة النبوية
محفوظة ومخـــدومة

نشرت احدى الصحف : أن دراسة صحيح البخارى متنا وسندا كاد أن ينقرض ، وقد عقب على هذا الخبر فضيلة الشيخ عبد الله بن حميد الرئيس العام للاشراف الدينى على المسجد الحرام بقوله :

ان مثل هذا الاعلان اجحاف وتجن على علماء المسلمين عامة والمسجد الحرام خاصة سيما وهو يضم بين جوانحه نخبة كبيرة من علماء المســـلمين يدرسون الحديث بجميع أقسامه ومتونه على مختلف كتبه الصحاح والسنن والمسانيد ، وان الذين يدرسون صحيح البخارى فى الوقت الراهن بالمسجـــد الحرام تسعة من افاضل العلماء .. فالمسجد الحرام بخير والحديث منتشر فيه بحمد الله ، وأما بالنسبة للعالم الاسلامى والعربى فلا يخفى ما يوجد فيه من جهابذة الرجال وأكابر العلماء الذين يدرسون الحديث ويخدمونه تأليفا ونشرا كالباكستان والهند ومصر وســـوريا والمغرب والجزائر ، وغيرها من البلدان الاسلامية ، فالسنة النبوية محفوظة ومخدومة ولا زالت بخير والحمد لله .

ارتيريا ..

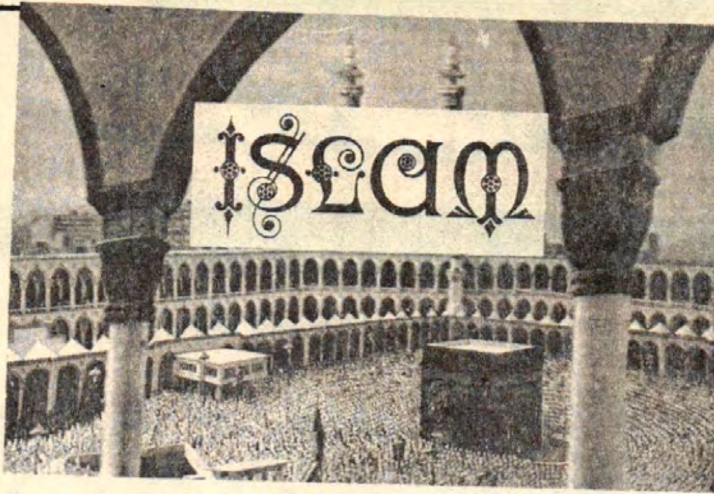
خطأ وقع على العدد (١٠٧) فى صفحة ١٠٥ من مجلة الوعى الاسلامى وذلك فى خريطة الدول الافريقية أو خارطة افريقيا ، التى ضمت فيها أرتيريا مع الحبشة دون اى حدود فاصلة ، هذا مع العلم أن قضية الشعب الارتيرى وثورته الثائرة من أجل احقاق الحق وازهاق الباطل لم تعد خفية على احد .

وان ارتيريا كما هو معروف لديكم لم ترتبط بالـــكيان الحبشى الا بعد الاتحاد الفدرالى المزيف الذى توج بمباركة الامبريالية العالمية ضد رغبـــة الشعب الارتيرى ، ولا أود الاسهاب على قضية هذا الشعب البرىء لأنها لم تتعد حدود ١+١=٢ ورجائى الوحيد ونحن بصدد الوعى الاسلامى هو أن لا يخيب ظنى وأن ينشر هذا التنبيه .

احمد حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

VOLUME 1 • Rabi' I, 1394 March, 1974 • NUMBER 1



An Independent Journal Expressing the Islamic Point of View

PUBLISHED QUARTERLY *by*
Islamic Productions International, Inc.

اول مجلة اســـــــلامية على المســتوى الجامعى فى امريكا

يسعدنا احاطتكم علما بصدور اول مجلة اسلامية على المستوى الجامعى فى امريكا ومرفق مع هذه الرسالة غلاف المجلة التى سيصدر عددها الأول باذن الله فى ربيع الأول القادم (مارس ٧٤) وأيضا جميع المعلومات المتعلقة بهذه المجلة التى تحتاجها امريكا اشد الحاجة ..

وانا اكتب اليكم راجيا التعاون معنا فى سبيل الله وفى سبيل اعلاء كلمة الحق والدين .. فنحن نرى أن ٦ مليون يهودى قد امتلكوا امريكا .. وليس هناك سبيل الى نصرنا وهزيمة اسرائيل سوى نشر الاســـــلام بين المواطنين الامريكيين ..

١ ــ فنرجو ارسال مجلتكم الغراء (الوعى الاسلامى) الى العنوان الموضح اعلاه .. وكذلك منشوراتكم الاسلامية ..

٢ ــ نرجو ارسال اذن منكم بترجمة بعض المقالات المختارة من مجلة (الوعى الاسلامى) ..

٣ ــ يا حبذا لو نشرتم عنوان كل كاتب يكتب فى مجلة (الوعى الاسلامى) حتى يستطيع القراء ان يراسلوه مباشرة ..

٤ ــ نأمل أن يصلنا منكم قائمة بأسماء كبار الكتاب فى مجلة (الوعى الاسلامى) وعناوينهم حتى نستطيع أن نكتب لهم ..

٥ ــ هل يمكنكم مساعدتنا ماليا .. ؟ وما هى السبيل الى الحصـــول على معونتكم .. ؟ اذ أننى لست بحاجة لأن أشرح لكم العقبات التى توضع فى سبيلنا .. وموجة التضاد اليهودية لعرقلة مساعينا ..

وفقنا الله واياكم لخدمة الاسلام والمسلمين . والسلام عليكم ورحمة الله .

دكتور رشاد خليفة
رئيس التحرير



هذا المصحف .. (مزور)

استطاعت اسرائيل اخيرا أن تسرب الى بعض الدول العربية مجموعة من المصاحف المزورة .. وفرت لها من حيث المظهر والشكل الخارجي كل الوسائل التي تبعدها عن مجال الشبهة .. نسبت طباعة المصحف الى وزارة التربية والتعليم الاردنية ، واتضح ان الوزارة لا علم لها به .. !

.. وذكرت اسم مكتبة فى عمان قالت إنها تعهدت بطبعه ، وتبين الا وجود أصلا لهذه المكتبة لا فى عمان ولا فى غيرها .. ثم — لمزيد من الاغراء — اصدرته فى طبعة فاخرة تغرى على الشراء .. ! وهذه هى القصة كاملة :

.. بالصدفة وحدها وقعت فى يد الشيخ عبد الرشيد صقر امام مسجد الزمالك نسخة من هذا المصحف فى اثناء وجوده فى (دبى) مبعوثا من وزارة الاوقاف ولقد اكتشف المبعوث المصرى على الفور أن المصحف خال تماما من خمس سور كاملة هى : (النساء و (الاعراف) و (المائدة) و (الانعام) و (الانفال) وان صفحات عدة غير موجودة فى مواضع كثيرة من المصحف .

الأردن تنفى :

وعلى الفور — والكلام هنا لإمام مسجد الزمالك — « اتصلت بوزير العمل والشئون الاجتماعية لدولة الاتحاد والمشرف على الشئون الدينية فيها ، واطلعته على النسخة ، فقام من جانبه باتصال سريع بالشيخ عبد الحميد السايح كبير علماء الاردن ، لمعرفة حقيقة هذا المصحف ، وكيف صدر فى الاردن بهذه الطريقة ثم كيف خرج منها الى البلاد الاسلامية .. وجاءت الاجابة بعد البحث الدقيق تقول أن ليس فى الاردن أى نسخ مشابهة لهذا المصحف ، فضلا عن عدم صدوره أصلا فى الاردن .. فوزارة التربية والتعليم الاردنية لم تطبعه ، ولا وجود اطلاقا للمكتبة التي أشير اليها » .

وابلغ الامر لأمير دولة الاتحاد فأصدر قراره بجمع كل النسخ واحراقها فورا .. ثم ارسال مذكرة عن طريق مبعوث وزارة الأوقاف المصرية الى كل من الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء والدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر لمخاطبة الدول الاسلامية بشأن هذا المصحف .

لماذا اسرائيل .. ؟

وقبل توجيه الاتهام مباشرة الى اسرائيل ، تم التأكد من :

● أولا : عدم وجود الآيات التى تدين اليهود صراحة مثل قوله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » وقوله تعالى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا » .

● ثانيا : تسرب هذا المصـــــحف الى دولة الامارات عن غير الطريق الشرعى لدخول المطبوعات ، وعدم بيعه داخل المكتبات بالطريق العلنى .
واذا أضفنا الى هذا :
ـ تجارب اسرائيل السابقة فى تسريب العديد من المصاحف المزورة الى الدول الافريقية ، والدول الاسلامية .
ـ التأكد من أن كل البيانات التى ذكرت على الصفحة الاولى من المصحف غير صحيحة ..
يصبح من البديهى ان احدا غير اسرائيل لا يمكن ان يقدم على هذا العمل الذى يشكك على المدى الطويل ـ فى كتاب مقدس عندما يجد بعض الناس بين أيديهم مصاحف تضم ١٠٩ سورة فقط ، ومصاحف أخرى تضم ١١٤ سورة .
ولتفادى هذا المخطط الصهيونى نحو تزوير كتاب الله ، تبرز الدعوة مرة أخرى ـ وربما بصورة ملحة هذه المرة ـ بضرورة توحيد جهة طبع واصدار المصحف الشريف على مستوى العالم الاسلامى كله ، والاتفـــاق على علامة مميزة يصعب تزويرها ـ تتصدر ـ على الأقل الصفحة الاولى من المصاحف .
(عن جريدة الاهرام القاهرية)

يجب تعديل مناهج الدراسة بكلية الحقوق فورا
دعوة من شيخ الأزهر وعمداء كلية الحقوق ورجال القانون

فى رمضان الاسبق ١٣٩٢ هـ دعى الدكتور عبد الحليم محمود ـ وكان وقتئذ وزير الاوقاف ـ الى طنطا لالقاء محاضرة فى نقابة المحـــامين بالغربية وكان مما قاله فضيلته أنه دعى مرة الى القائه محاضرة فى كلية حقوق جامعة عين شمس ، فسال عميد الكلية وأساتذتها ما نصيب الشريعة الاسلامية من المحاضرات التى تلقى على الطلبة كل أسبوع ، وما نسبتها الى محاضرات باقى المواد . فكانت الاجابة أن محاضرات الشريعة لا تتجاوز محاضرتين أو ثلاثا كل أسبوع ، بينما باقى المواد نحو خمس عشرة أو ثمانى عشرة محاضرة .
وقال فضيلته يومئذ : ان العكس هو الواجب ، يجب أن تكون محاضرات الشريعة الاسلامية خمسة عشر أو ثمانية عشر ، بينما تقتصر محاضرات باقى المواد على محاضرتين أو ثلاث محاضرات ..
وهذا الذى قاله فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود ، لا يليق بنا ان نمر به مرورا عابرا ، بل يجب أن ندرسه ، ونضعه موضع الاعتبار والتطبيق .
وهو نداء ردده من قبل الكثيرون من الصادقين ، ولا يزال يردده الكثيرون من الدعاة المخلصين .
قال الدكتور جمال العطيفى فى مقاله الذى نشرته (الاهرام) فى ٤ اكتوبر ١٩٧٣ « ان ما نحتاج اليه قبل كل شىء آخر هو خلق جيل من رجال القانون ، يجمع الى جانب الثقافة القانونية الوضعية ثقافة شرعية واسعة .
وان هذا يلقى علينا واجبا آخر نحو اعادة النظر فى برامج الدراسات فى كليات الحقوق ، وهو موضوع سبق أن أثير على نطاق واســـع فى ندوة عمداء كليات الحقوق العربية فى أبريل من هذا العـــام (١٩٧٣) ودعت هذه الندوة الى أن تكون دراسة القانون مقارنة بأحكام الشريعة الاسلامية كخطوة

أولى نحو اقامة فقه قانونى ، على أصول الشريعة ومبادئها » .

والمشرع المصرى حين وضع القانون المدنى ، أراد أن يربط رجال القانون بالشريعة فنص فى المادة الاولى من القانون المدنى على أنه :

١ — تسرى النصوص التشريعية على جميع المسائل التى تتناولها هذه النصوص فى لفظها أو فى فحواها .

٢ — فاذا لم يوجد نص تشريعى يمكن تطبيقه ، حكم القاضي بمقتضى العرف ، فاذا لم يوجد فبمقتضى مبادىء الشريعة الاسلامية ، فاذا لم يوجد ، فبمقتضى مبادىء القانون الطبيعى وقواعد العدالة .

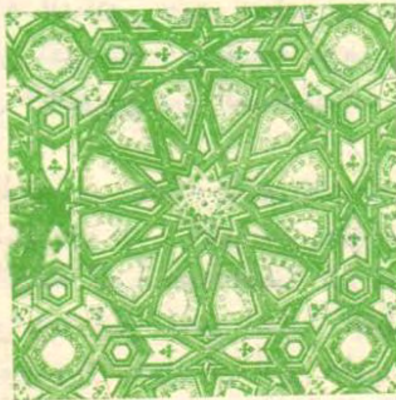
وكتب الدكتور عبد الرزاق السنهورى — واضع القانون المدنى المذكور — معلقا على هذه المادة فى كتابه « الوسيط فى شرح القانون المدنى » فقال :

« جعل الشريعة الاسلامية هى الاساس الأول الذى يبنى عليه تشريعنا لا يزال أمنية من أعز الإمانى التى تختلج بها الصدور ، وتنطوى عليها الجوانح . ولكن قبل أن تصبح هذه الامنية حقيقة واقعة ، ينبغى أن تقوم نهضة علمية قوية لدراسة الشريعة الاسلامية فى ضوء القانون المقارن ، ونرجو أن يكون من وراء جعل الاسلام مصدرا من المصادر الرسمية للقانون الجديد ما يعاون على هذه النهضة » .

والقى السيد أبو الاعلى المودودى أمير الجماعة الاسلامية بباكستان محاضرة فى ١٩٤٨/٢/٩ فى كلية الحقوق بلاهور (باكستان) بناء على دعوة من أساتذتها وطلابها ، وقد حضرها عدد غير يسير من المحامين .

قال سيادته فى هذه المحاضرة والتى نشرت ضمن رسالة بعنوان « القانون الاسلامي وطرق تنفيذه » قال « ان التعليم الذى يناله الطلبة اليوم فى كلياتنا الحقوقية لا طائل تحته ، ولا يكاد يغنى من جوع بوجهة نظرنا لإن الذين يتخرجون فى هذه الكليات ، يجهلون الاسلام وقانونه جهلا تاما ، ولا يكون لهم أدنى اتصال به ، بل تتبدل عقليتهم وتصطبغ بصبغة الافكار والنظريات غير الاسلامية ، ولا يتربون الا على صفات هى أنفع ما يكون لتنفيذ القوانين الغربية ، وأردأ ما يكون لتنفيذ القانون الاسلامى ، ولا يدخلون معركة الحياة العملية الا بها فما دمنا لا نغير هذا الوضع المزرى ، ولا نهتم بأن نخرج فى كلياتنا الحقوقية فقهاء حسب ميزاننا ومقياسنا ، لا يمكن أن يوجد عندنا رجال يجدرون بأن تناط بهم وظائف القضاء والافتاء فى محاكم الدولة الاسلامية » .

(عن الاعتصام القاهرية)



بأقلام القراء

المراة والهجرة

اشرك الاسلام المراة فى حياة الرجل وجهاده لتكـــون له سندا وركيزة ، فكانت خير رفيق ونعم شريك وسند للحق وشاركت فى الهجرات الآتية :

هجرة الحبشة :

رقية بنت الرسول أولى المهاجرات صحبت زوجها عثمان بن عفان رضى الله عنهما .

أم سلمة بنت أبىأمية بن المغيرة رافقت زوجها أبا سلمة بن عبد الأسد بن هــلال .

ليلى بنت أبى حتمة شاركت زوجها عامر بن ربيعة .

بيعة العقبة الثانية :

كانت صحبة وفد الأنصار من يثرب الى المدينة والبالغ عدده ٧٣ امراتان هاجرتا لتبايعا الرسول عليه السلام وهن :

نسيبت بنت كعب أم عمارة من بنى مازن النجار .

اسماء بنت مروام منيع من بنى سلمة .

الهجرة الكبرى الى المدينة :

تأزمت الأمور وزاد الطغيان عن حده حتى وصل الى حد التآمر واغتيال الرسول فأتى أمر السماء بالهجرة الكبرى من مكة الى يثرب مدينة الرسول .

ويكفى دور المراة أن تقوم اسماء بنت أبى بكر بدور التموين والمخـــابرات للمهاجرين الكريمين الرسول عليه السلام وأبى بكر رضى الله عنه فى غـــار حراء .

وقد اضطرت اسماء يوما أن تعلق الزاد بالرحل فلم تجد ما تربطـــه بـــه فنزعت نطاقها فشقته وربطت بنصفه الزاد وانتطقت بالثانى فلقبها الرسول عليه افضل الصلاة والسلام بذات النطاقين .

محمد لطفى عيسى ـ القـــاهرة

الخدمة فى المناطق النائية

هى واجب اسلامى ووطنى ولكن هل يعفى الواجب من النظام والعـــدل والمساواة بين الناس واختيار القواعد التى تؤدى الأهداف السابقة .

ومن هذه القواعد العمل فى بداية الوظيفة حين يكون الموظف خفيف الظل ، فاذا انتهت المـــدة المفروضة عليه كان من حقه أن يذهب الى حيث يرغب .

ويليه من لم يقض مدة اغتراب من قبل فى المناطق النائية .

ويليه من يريد السفر الى الخارج فى الدول التى يتهافت الناس عليها ولا يتم اخراج العدد المطلوب الا بامتحان .. ليتهم يشترطون عليه (قبل أن يخرج) مدة مماثلة فى منطقة نائية بدلا من هذا الامتحان .

العظم شرط فى نيل اللحم والجمرة مع التمرة ـــ أو يؤخذ اليها اقرب الناس مكانا ليؤدى المدة ثم يعود .. أو يلجأون الى نظام المأموريات والانتدابات .

ويعفى من تجاوز سن الخمسين .

والمهم أن ينفذ العدل وان تطبق القوانين فوق راس الجميع وان يستوى الناس فى الخضوع لها فلا تكون هناك طبقة محظوظة تستطيع الهرب فى اللحظة المناسبة من المشقات التى يتعرض لها السواد الأعظم بالتماس واسطة أو طلب شفاعة أو دفع رشوة فهذه معرة كانت فى الأمم السابقة واهلكتها كما ورد فى الحديث الشريف المروى عن عائشة وفيه أن اسامة شفع لامرأة مخزومية سارقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها « متفق عليه » .

فالشرائع والقوانين لا بد لها من حراس أشداء يدافعون عن الفضائــــل ويحمون الأمة والمجتمع من عوامل الحقد بين الناس وعدم الثقة فى القوانين وفيمن يطبقونها ويبقون الايمان بالمثــل العليا حيا فى الأفئدة والقلوب بدلا من أن تنتقل الى متحف التاريخ ..

عبد الرحمن احمد شادى

من المتعصبـــون

رغم كل المحاولات التى بذلت طوال السنوات الماضية من اجل صرف الناس عن دينهم واماتته فى صدورهم ، فوجىء العالم أجمع أن المقاتل العربى وهو يجتاز خط الهزيمة يرفع صوته بصرخة (الله اكبر) ولقد كانت هذه الكلمة تعلو عــلى ازيز الطائرات على حد تعبير احدى الوكالات الأجنبية ــ ولقــد أدرك الجيش الاسرائيلى المقهور انه أمام مقاتل عربى جديد ، غير ذلك الذى عرفه هاربا من ميدان القتال .

وحقا لقد كانت كلمة الله اكبر تعلو على هدير المدافع ورددتها أصداء الصحراء ، واننا لنرجو أن ترتفع هذه الكلمة عمليا على كل ربوع العالم الاسلامى وأن يعود هذا العالم الى الله باخلاص وصدق .

ومن العجيب أن بعض الوكالات الأجنبية ادعت ان رفع شعار الله اكبر فى المعركة الأخيرة يدل على التعصب الدينى لدى الجموع المقاتلــــة ، ومن الأعجب أن نرى بعض الكتاب يحاول أن ينفى هذه الصفة وكأنما يشفق ويخاف من أن يقال إن العرب متعصبون للحق وعاملون على استرداده ، فيقول إن كلمة الله أكبر رددها المسلم والمسيحى فأين التعصب الدينى ؟ ! ثم يضيف على صفحات مجلته التى يراس تحريرها « نحن حتى لا نحارب المعتدى الصهيونى باسم الدين ــ وهو قوام الكيان الصهيونى ــ ولكن فى سبيل تحرير أرضنا المغتصبة » .

فهو يقر أن اسرائيل قائمة على التعصب الدينى ، ومع ذلك فلا نرى صحيفة واحدة فى العالم تقول ان اسرائيل دولة متعصبة دينيا ، اما نحن اذا رفعنا شعار الله اكبر وهى مجرد كلمة نرجو أن تتحقق الى واقع عملى ، رمينا بالتعصب وقيل لنا إننا متعصبون .

ان الكيان الصهيونى لا يستهدف مصر وحدها ولا حتى العالم العربى بأجمعه بل إنه يعمل على تدمير العالم الاسلامى كله وتحطيم العقيدة الاسلامية فى نفوس أبنائه ويجب الاعداد لسحق اسرائيل المعتدية كلية ، ولن يتم القضــاء عــلى اسرائيل الا بعد أن نعد انفسنا بمثل ما تقيم عليه اسرائيل دولتها .

خليل محارب السويركى

أخبار العالم الاسلامى

اعداد : الأستاذ فهمى الامام

الكويت : ادى سمو أمير البلاد المعظم صلاة عيد الأضحى المبارك بمسجد السوق الكبير .

● بعث سمو أمير البلاد ببرقيتى تهنئة بالعيد الى رجال القوات المسلحة الكويتية المرابطين على خط النار فى سورية ومصر .. وقد أذاع نص البرقيتين راديو الكويت .

● أدلى وزير الداخلية والدفاع بتصريح جاء فيه : اننا عندما أقدمنا على اتخاذ قرار وقف الضخ أخذنا بالحسبان كل الاحتمالات المرتقبة وقال : ان التهديدات ما كانت يوما لتخيف العرب فنحن أمة جبلت على الشجاعة .

● بحث وزير الاوقاف والاعلام الباكستانى مع المسئولين مراحل الاستعداد لمؤتمر القمة الاسلامى المتوقع عقده فى باكستان فى الشهر القادم .

● زار البلاد وفد من كينيا برئاسة نائب وزير المالية ورئيس الجالية الاسلامية فى كينيا ، ومما يذكر أن كينيا قطعت علاقتها باسرائيل مؤازرة للعرب .

● نظمت ادارة النشاط الثقافى بوزارة التربية مسابقات لطلاب وطالبات المدارس الثانوية وما فى مستواها ومن موضوعات المسابقة التضامن العربى خلال عام ١٩٧٣ ودور الكويت فيه .

● زار الكويت الرئيس الصومالى محمد زيادى برى بعد أن أدى فريضة الحج هذا العام .

القاهرة : قررت لجنة السنة النبوية برئاسة فضيلة شيخ الأزهر اصدار موسوعة للأحاديث النبوية مع شرحها وبيان الأحاديث المنسوبة للرسول خطأ .

● عرض فضيلة شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود على سمو أمير دولة قطر مشروعا بانشاء كلية للشريعة الاسلامية فى قطر .. وقد وافق سمو الأمير على المشروع .

● قرر مجمع البحوث الاسلامية اصدار دائرة معارف قرآنية ومعانيه اللغوية المبسطة مع معجم تاريخى وجغرافى مبسط يشمل خرائط رصد الأماكن والمعالم الأثرية الواردة فى القرآن الكريم .

□□□□

السعودية : اكد جلالة الملك فيصل فى حديث أذاعه راديو الرياض أنه ليس لليهود أية علاقة أو حق بأن يكون لهم وجود أو سلطة أو تصرف فى مدينة القدس . ولا صحة لما يدعيه اليهود من وجود هيكل سليمان فى مدينة القدس لان الرومان عندما استولوا على المدينة نقلوا الهيكل منها .

● بلغ عدد الحجاج الذين وقفوا بعرفات هذا العام مليونا ومائة وثلاثة وعشرين حاجا تقريبا .

● عقد بالسعودية مؤتمر وزراء مالية الدول الاسلامية ، واتخذ المؤتمر قراره بانشاء بنك اسلامى للتنمية يكون مقره جدة ، وتشكلت لجنة

تحضيرية لانشاء البنك برئاسة السيد تنكو عبد الرحمن .

ووافق المؤتمرون على عقد مؤتمر سنوى لوزراء مالية الدول الاسلامية

● وزعت وزارة المعارف مجموعة كبيرة من الكتب الدراسية للمرحلة الثانوية والمتوسطة والابتدائية على رابطة معلمى اللغة العربية والاتحاد الاسلامى بداكار بالسينغال .. وذلك مساهمة منها فى نشر الدين الاسلامى واللغة العربية فى أفريقيا .

□□□□

أبو ظبى : قرر مجلس وزراء « ابو ظبى » المساهمة فى انشاء المركز الاسلامى الافريقى بالخرطوم بمبلغ مليون جنيه .

□□□□

الأردن : قررت الأردن المشاركة فى راسمال البنك الاسلامى للتنمية بمبلغ ٢٩٠ الف جنيه .

● بلغ عدد الخريجين من دار القرآن فى « عين جنة » بلواء عجلون ٦٠ طالبا وقد وزع وكيل وزارة الأوقاف الشهادات على الخريجين .

□□□□

الجـزائر : أعلنت وزارة التعليم الأصلى والشئون الدينية ان الملتقى الثامن للفكر الاسلامى سينعقد فى « بجاية » من الفاتح الى الثانى عشر من ربيع الأول ١٣٩٤هـ .

□□□□

المغـرب : افتتح وزير الأوقاف والشئون الاسلامية والثقافة مسجدا جديدا فى « بنى كرار » .

● قررت وزارة التربية الوطنية تعريب كلية الآداب والعلوم الانسانية فى جميع اقسام العلوم الانسانية .

● صدر العدد الأول من مجلة « التضامن » .. ومن اهداف المجلة مواصلة الدعوة الى فكرة التضامن الاسلامى ، وابراز شئون العالم الاسلامى ، والدعوة الى الرجوع للنبع الصافى من كتاب الله وسنة رسوله .

● أخبار متفرقة ●

باكستان : اعلنت باكستان انها تستعد لعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية فى مدينة «لاهور» .

● قال السيد ذو الفقار على بوتو رئيس وزراء باكستان : ان هناك اليوم من المغرب على المحيط الأطلسى الى أندونيسيا على المحيط الهادى رغبة متجددة ومعززة لتحرير العالم الاسلامى من ربقة السيطرة السياسية والاقتصادية الأجنبية .

● أعلن وزير الحج والأوقاف والاعلام الباكستانى أن (٦٠٠٠٠) باكستانى أدوا فريضة الحج هذا العام .

□□□□

أندونيسيا : بلغ عدد المصاحف التى طبعت فى أندونيسيا خلال السنوات الثلاث الماضية حوالى ١١ مليونا ونصف مليون مصحف الى جانب ٣٠٠ كتاب اسلامى باللغة الأندونيسية .

□□□□

نيجيريا : ستقام بنيجيريا محطة اذاعة إسلامية ، وهى أول اذاعة اسلامية تقام فى جنوب الصحارى بأفريقيا .

● تكونت الرابطة الاسلامية بنيجيريا لتنسيق وتدعيم النشاط الذى يقوم به الهلال الأحمر ، وجعله متمشيا مع العقيدة الاسلامية وفى خدمة الدعوة الاسلامية .

□□□□

غينيـا : قررت غينيا تدريس اللغة العربية فى مختلف مراحل التعليم بنفس القدر الذى تدرس به اللغة الغينية المحلية ، وذلك خدمة للغة القرآن حتى يتمكن المسلمون من تفهم دينهم .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	محرم ١٣٩٤	يناير ١٩٧٤	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الخميس	١	٢٤	٥ ٩	٦ ٤١	١٢ ٠٠	٣ ٥٨	٥ ١٨	٦ ٣٩	١١ ٥٢	١ ٢٣	٦ ٤٢	٩ ٤٠	١ ٢١
الجمعة	٢	٢٥	٩	٤١	٠٠	٥٨	١٨	٣٩	٥١	٢٢	٤١	٤٠	٢١
السبت	٣	٢٦	٩	٤٠	٠٠	٥٩	١٩	٤٠	٥٠	٢١	٤١	٤٠	٢١
الاحد	٤	٢٧	٩	٤٠	٠٠	٠٣	٢٠	٤١	٤٨	١٩	٤٠	٤٠	٢١
الاثنين	٥	٢٨	٨	٣٩	٠٠	٠٠	٢١	٤٢	٤٧	١٨	٣٩	٣٩	٢١
الثلاثاء	٦	٢٩	٨	٣٩	١	١	٢٢	٤٣	٤٦	١٧	٣٩	٣٩	٢١
الاربعاء	٧	٣٠	٨	٣٨	١	٢	٢٣	٤٣	٤٥	١٥	٣٨	٣٩	٢٠
الخميس	٨	٣١	٧	٣٨	١	٣	٢٤	٤٤	٤٤	١٤	٣٧	٣٩	٢٠
الجمعة	٩	فبراير	٧	٣٧	١	٣	٢٤	٤٤	٤٣	١٣	٣٧	٣٩	٢٠
السبت	١٠	٢	٧	٣٧	١	٤	٢٥	٤٥	٤٢	١٢	٣٦	٣٩	٢٠
الاحد	١١	٣	٦	٣٦	١	٥	٢٦	٤٦	٤٠	١٠	٣٥	٣٩	٢٠
الاثنين	١٢	٤	٦	٣٦	٢	٥	٢٧	٤٧	٣٩	٩	٣٥	٣٨	٢٠
الثلاثاء	١٣	٥	٥	٣٥	٢	٦	٢٨	٤٨	٣٧	٧	٣٤	٣٨	٢٠
الاربعاء	١٤	٦	٥	٣٥	٢	٧	٢٩	٤٨	٣٦	٦	٣٣	٣٨	٢٠
الخميس	١٥	٧	٤	٣١	٢	٧	٣٠	٤٩	٣٤	٤	٣٢	٣٨	٢٠
الجمعة	١٦	٨	٣	٣٣	٢	٨	٣٠	٥٠	٣٣	٣	٣٢	٣٧	١٩
السبت	١٧	٩	٢	٣٢	٢	٨	٣١	٥٠	٣١	١	٣١	٣٧	١٩
الاحد	١٨	١٠	٢	٣٢	٢	٩	٣٢	٥١	٣٠	٠٠	٣٠	٣٧	١٩
الاثنين	١٩	١١	١	٣١	٢	١٠	٣٣	٥٢	٢٨	١٢ ٥٨	٢٩	٣٧	١٩
الثلاثاء	٢٠	١٢	٠٠	٣١	٢	١٠	٣٤	٥٣	٢٧	٥٧	٢٩	٣٧	١٩
الاربعاء	٢١	١٣	٤ ٥٩	٣٠	٢	١١	٣٤	٥٣	٢٥	٥٥	٢٨	٣٦	١٩
الخميس	٢٢	١٤	٥٨	٢٩	٢	١١	٣٥	٥٤	٢٣	٥٣	٢٧	٣٦	١٩
الجمعة	٢٣	١٥	٥٨	٢٨	٢	١٢	٣٦	٥٥	٢٢	٥٢	٢٦	٣٦	١٩
السبت	٢٤	١٦	٥٧	٢٧	٢	١٣	٣٧	٥٦	٢٠	٥٠	٢٥	٣٦	١٩
الاحد	٢٥	١٧	٥٦	٢٦	٢	١٣	٣٨	٥٧	١٨	٤٨	٢٥	٣٥	١٩
الاثنين	٢٦	١٨	٥٥	٢٥	٢	١٤	٣٨	٥٧	١٧	٤٧	٢٤	٣٥	١٨
الثلاثاء	٢٧	١٩	٥٤	٢٤	٢	١٤	٣٩	٥٨	١٥	٤٥	٢٣	٣٥	١٨
الاربعاء	٢٨	٢٠	٥٣	٢٣	٢	١٥	٤٠	٥٨	١٣	٤٣	٢٢	٣٥	١٨
الخميس	٢٩	٢١	٥٢	٢٢	٢	١٥	٤١	٥٩	١١	٤١	٢١	٣٤	١٨
الجمعة	٣٠	٢٢	٥١	٢١	١	١٦	٤١	٥٩	١٠	٤٠	٢٠	٣٤	١٨

الأم الأولى للمؤمنين :

السيدة خديجـــة

- **الأم الأولى للمؤمنين هى السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد القرشيـــة الأسدية من أكرم عقائل قريش وأرفع بيوتاتها ، وكان لقبها فى الجاهلية « الطاهـــرة » .**

- تزوجت من أبى هالة بن زراة التميمى ، وبعده اقترنت بعتيق بن عائـــذ المخزومى .

- كانت غنية تستثمر اموالها فى التجارة ، وتستعين بمن تثق من الرجـــال فى تجارتها ، استعانت (بمحمد) صلى الله عليه وسلم ، وارسلت برفقته خادمها ميسرة ، ولما عاد أسرع الى سيدته واخبرها بما حققه محمد من ربح عظيم ، وبما رآه من صدقه وأمانته ، فبعثت اليه تعرض عليه الزواج منها .

- تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولها أربعون سنة ، وكان فى سن الخامسة والعشرين ، وأقامت معه خمسا وعشرين سنة ، وواسته بنفسها ومالها ، وكانت أول من آمن به ، فلم ير زوجان أسعد بيتا ولا أصدق وفاء من محمد رسول الله وزوجه خديجة أم المؤمنين ، أنجبت له كل أولاده الا ابراهيم ، وكانوا ستة هم ، القاسم ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة وعبد الله ، وكلهم توفى قبله إلا فاطمة فانها انتقلت الى جوار ربها بعده بستة أشهر .

- وارتحلت خديجة الى الرفيق الأعلى وهى فى الخامسة والستين ، ودفنت بالحجون ، ونزل النبى صلى الله عليه وسلم فى حفرتها وحزن عليها حزنا شديدا ، ولم ينس لها وفاءها وإخلاصها طول حياته . رضى الله عنهـــا وأرضاها وجزاها عنا خير الجزاء .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصــــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغــازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شــارع فرنســا .

المغــرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧) .

الاردن : عمــان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جــدة : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحــرين : المكتبة الوطنية : شارع بــاب البحرين .

قطــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبــى : مطبعة دبى .

الكــويت : مكتبة الكــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

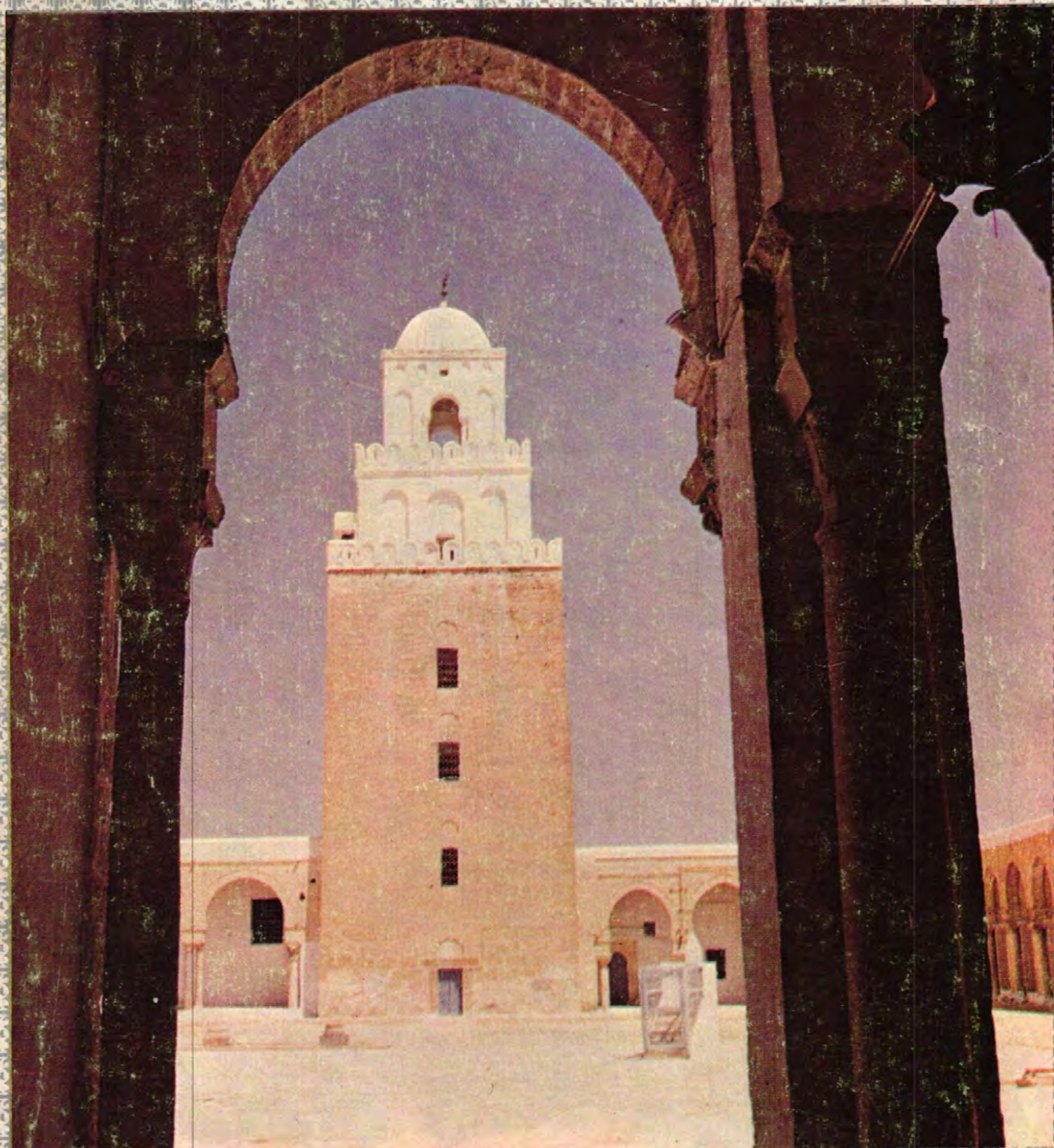
اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

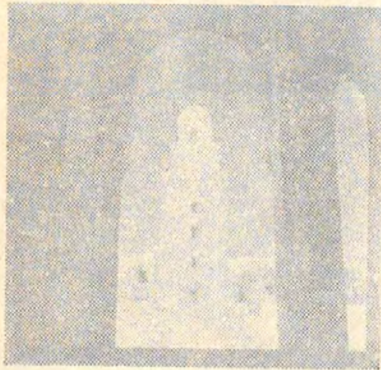
السنة العاشرة — العدد ١١٠ — غرة صفر ١٣٩٤ هـ — فبراير ١٩٧٤ م



يا أيها الذين آمنوا

اصبروا وصابروا ورابطوا

واتقوا الله لعلكم تفلحون



صومعة جامـــع القيروان ، وهى ذات طوابق ثلاثة ، وارتفاعهـــا ٣٥ مترا . بناها الأمير حسان بن نعمان ، وقـــد بنى جامـــع القيروان بتونس القائد المظفر عقبة بن نافع بعد ٤٩ عاما من وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

(تصوير مجلة العربى)

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العـــدد ١١٠

غرة صفر ١٣٩٤ هـ

فـــبراير ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســـــياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالـــكويت فى غـــرة كل شــــــهر عــــربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الافراد فيشــــتركون راسا

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـــن :

الـــكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـــال
العـــراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـــزائر	دينار وربع
المغـــــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـــوان المراســـــلات :

مجـــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشــــئون الاســـــلامية
صـــندوق بريد : ١٣ ــ كـــويت ــ هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الله

هذا الاسم الكريم علم على الذات المقدسة التى نؤمن بها ، ونعمل لها ونعرف أن منها حياتنـــا واليها مصيرنا .

والله تبارك وتعالى أهل الحمد والمجد وأهل التقوى والمغفرة ، لا نحصى ثناء عليـــه ، ولا نبلغ حقه توقيرا واجلالا .

ولو أن البشر منذ كتب لهم تاريخ والى أن تهمد لهم على ظهر الأرض حركة ـــ نسوا الله ما خدش ذلك شيئا من جلاله ، ولا نقص ذرة من سلطانه ، ولا كسف شعاعا من ضيائه ، فهو سبحانه أغنى بحوله وطوله وأعظم بذاته وصفاته وأوسع فى ملكوته وجبروته من أن ينال منه وهم واهم أو جهل جاهل .

ولئن كنا فى عصر عكف على هواه ، وذهل عن أخراه ، وتنكر لربه ، ان ضير ذلك يقع على أم رأسه ولن يضر الله شيئا .

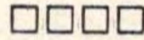
ووجوده تعالى من البداهات التى يدركها الانسان بفطرته ، ويهتدى اليهـــا بطبيعته ، وليس من مسائل العلوم المعقدة ، ولا من حقائق التفكير العويصة ، ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء ، واقتراب المسافة جدا قد يعطل الرؤية ما اختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد (**أفى الله شك فاطر السموات والأرض**) .

وقد جاءت الرسل لتصحيح فكرةالناس عن الألوهية ، فانهم وان عرفوا الله بطبيعتهم الا انهم أخطأوا فى الاشراك به والفهم عنه .

والبيئة الفاسدة خطر شديد على الفطرة فهى تمسخها وتشرد بها وتخلف فيها من العلل ما يجعلها تعاف العذب وتسيغ الفج ، وذلك سر انصراف فريق من الناس عن الايمان وقبولهم الكفر أو الالحاد مع منافاة ذلك لمنطق العقل وأصل الخلقة .

وقد اقترنت حضارة الغرب التى تسود العالم اليوم بنزوع جاد الى المماراة فى وجود الله والنظر الى الأديان جملة نظرة تنقص ، أو قبولها كمسكنات اجتماعية .

ولا شك أن المحنة التى يعانيها العالم اليوم ، أزمة روحية منشؤها كفره بالمثل العليا التى جاء بها الدين ، فلا نجاة له مما يرتكس فيه الا بالعودة الى هذه المثل يهتدى اليها بفطرته كما يهتدى الجنين سبيله فى ولادته ، ومتى هدى العالم الى الفطرة هدى الى الاسلام فان الاسلام هو دين الفطرة .



ان الانسان لم يخلق نفسه ، ولم يخلق أولاده ، ولم يخلق الأرض التى يعيش عليها ، ولا السماء التى يستظل بها ، والبشر الذين ادعوا الألوهية لم يكلفوا أنفسهم مشقة ادعاء ذلك ، فمن المقطوع به ، أن وظيفة الخلق والابداع من العدم لم ينتحلها لنفسه انسان ولا حيوان ولا جماد ، ومن المقطوع به كذلك أن شيئا من ذلك لا يحدث من تلقاء نفسه فلم يبق الا الله .

« أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون » .

ولو دخل المرء دارا فوجد فيها غرفة مهيأة للطعام ، وأخرى للمنام وأخرى للضيافة وأخرى للنظافة لجزم بأن هذا الترتيب لم يتم وحده ، وان هذا الاعداد النافع لا بد قد نشأ عن حكمة وتقدير وأشرف عليه فاعل يعرف ما يفعل .

والناظر فى الكون وآفاته والمادة وخصائصها يعرف أنها محكومة بقوانين مضبوطة شرحت الكثير منها علوم الطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والطب ، وما وصل اليه علم الانسان من أسرار الكون حاسم فى ابعاد كل شبهة توهم أنه وجد كيفما اتفق .

« تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا . وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) .

وهذه الكواكب السيارة التى تخترق أعماء الجو والتى تلتزم مدارا واحدا لا تنحرف عنه يمينا ولا يسارا ، وتلتزم سرعة واحدة لا تبطىء فيها ولا تعجل ، ثم نرتقبها فى موعدها المحسوب فلا تخالف عنها ابدا .

هذه الكرات الغليظة الحجـــم . الحى منها والميت . المضىء منها والمعتم معلقة لا تسقط . سائرة لا تقف . كل فى دائرته لا يعدوها ، وقد يصطدم المشاة والركبان على أرضنا وهم أهل بصر وعقل .. أما هذه الكواكب التى تزحم الفضاء فانها لا تزيغ ولا تصطدم .

من الذى هيمن على نظامها وأشرف على مدارهـــا ؟ بل من الذى أمســـك بأجرامها الهائلة ودفعها تجرى بهذه القوة الفائقة .. انها لا ترتكز فى علوهـــا الا على دعائم القدرة .

« ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا » .

أما كلمة الجاذبية فدلالتها العلمية كدلالة حرف (س) على المجهول .. انها رمز لقوانين تصرخ باسم الله ، ولكن الصم لا يسمعون .

ان وجود كل منا له بداية معروفة ، فنحن قبل ميلادنا لم نكن شيئا يذكر **« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » .**

وعناصر الكون الذى نعيش فيه كذلك لها بداية معروفة ، وعلماء الجيولوجيا يقدرون لها أعمارا محدودة ، مهما طالت فقد كانت قبلها صفرا .. وكان هناك ظن بأن المادة لا تفنى ، اعتمد عليه فريق من الناس فى القول بقدم العالم وما يتبع هذا القدم الموهوم من أباطيل .. على أن تفجير الذرة هدم هذا الظن ، ولو لم يتم تفجيرها ما قبلنا هذا الظن على أنه حقيقة ثابتة فان المفتاح الذى يفتح على العالم أبواب الفناء ليس من الضرورى أن يضعه الله فى أيدى العلماء . وعدم اهتـــداء الناس الى ما يدمر مادة الكـــون لا يعنى أن مادة الكـــون غير قابلة للدمار والفنـــاء .

اننا جازمون بأن وجودنا محدث لأن تفكيرنا واحساسنا يهدينا لذلك ، وغير معقول أن يتطور العدم الى وجود تطورا ذاتيا .

انه اذا وقعت حادثة لم يدر فاعلها قيل أن الفاعل مجهول ، ولم يقل أحد أنه ليس لها فاعل ، فكيف يراد من العقلاء أن يقطعوا الصلة بين العالم وبين ربه . اننا لم نكن شيئا فكنا .. فمن كوننا (**قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون**) .

□□□□

نشوء حياتنا هذه ودوامها يقومان على جملة ضخمة من القوانين الدقيقة يحكم العقل باستحالة وجودها هكذا جزافا ، فوضع الأرض أمام الشمس مثلا ، ثم على مسافة معينة لو نقصت بحيث ازداد قربها من الشمس لاحترقت أنواع الأحياء من نبات وحيوان ، ولو بعدت المسافة لعم الجليد والصقيع وجه الأرض وهلك كذلك الزرع والضرع .. أفتظن اقامتها فى مكانها ذاك جاء خبط عشواء .

وحركة المد والجزر التى ترتبط بالقمر ، افما كان من الممكن أن يقترب القمر من امه الأرض اكثر فيسحب امواج المحيطات سحبا يغطى به وجه اليابسة كلها ثم ينحسر عنها وقد تلاشى كل شىء ؟

من الذى اقام القمر على هذا المدى المحدود ليكون مصدر ضوء لا مصدر هلاك .

اننا على سطح الأرض نستنشق الأوكسجين لنحيا به ونطرد الكربون الناشىء من احتراق الطعام فى جسومنا ، وكان ينبغى أن يستنفد الأحياء وما اكثرهم هذا العنصر الثمين فى الهواء فهم لا ينقطعون عن التنفس أبدا .. لكن الذى يقع أن النبات الأخضر يأخذ الكربون ويعطى بدله أوكسجين ، وبهذه المعاوضة الغريبة يبقى التوازن فى طبيعة الغلاف الهوائى الذى يحيا فى جوه اللطيف الحيوان والنبات جميعا . أفتحسب هذا التوافق حدث من تلقاء نفسه ؟

اننى أحيانا أسرح الطرف فى زهرة مخططة بعشرات الألوان التقطها من بين مئات الأزهار الطالعة فى احدى الحدائق ، ثم أسأل نفسى : بأى ريشة نسقت هذه الالوان ؟ انها ليست الوان الطيف وحدها .. انها مزيج رائق ساحر من الألوان التى تبدو هنا مخففة وهنا مظللة وهنا مخططة وهنا منقطة .

وانظر الى أسفل الى التراب الأعفر انه بيقين ليس راسم هذه الألوان ولا موزع أصباغها .. هل الصدفة هى التى اشرفت على ذلك إن المرء يكون غبيا جدا عندما يتصور الأمور على هذا النحو .

ان انشاء الحياة فى اصغر خلية يتطلب نظاما بالغ الاحكام ، ومن الحمق تصور الفوضى قادرة على خلق (جزىء) فى جسم دودة حقيرة فضلا عن خلق جهازها الهضمى والعصبى . فما بالك بخلق هذا الانسان الرائع البنيان الهائل الكيان . ثم ما بالك بخلق ذلك العالم الرحب ؟

ان العلم برىء من مزاعم الالحاد ومضاد لما يرسل من أحكام بلهاء .. الحق ان الالحاد الذى يشيع بين طوائف المتحذلقين والمتنطعين لا يستند البتة الى ذرة من المعرفة أو التفكير السليم .

محمد الغزالى

نظرات في الحديث النبوي

٢

للدكتور محمد عبد الرؤوف

تحدثنا فى المقال الثانى من هــذه السلســلة عن المرحــلة الأولى من مراحــل تدوين الحــديث الشريف ، وسميناها « مرحــلة الصحيفة » ، وذكرنا أن الصحابة وكبــار التابعين ترددوا أمدا طويــلا فى شأن تدوين الحديث ، فقد كان يدفعهم لكتــابته رغبتهم فى الحفاظ عليه والانتفــاع بالمكتوب فى تأييد الذاكرة ، غير أن تخوفهم مما قد يترتب على الكتــابة من أثر على القرآن الكريم ومكانته الفذّة جعلهم يحجمــون عن كتابــة الحــديث لغرض التــداول ، ثم ان الصحابة على العموم كانوا يتحرّجون من فعل لم يعهد عمله على عهــد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واننا لنذكر كيف أن الصديق وزيد بن ثابت رضى الله عنهما ترددا فى شأن جمع الصحف القرآنيــة التى كانت كتبت على عهده صلى الله عليه وسلم حتى قال زيد : « لو كلفونى نقل جبل من الجبــال ما كان أثقل علىّ ممــا أمرونى به من جمع القرآن » .

فمع أن القرآن كان قد كتب وقيّد فى أثناء حياة الرسول صلوات اللــه عليه وبأمره فقد اعتبر أبو بكر وزيــد جمع هذه الصحف القرآنية وترتيبها أمرا خطيرا تــرددا فى عمــله حتى اقتنعا وشرح الله صدرهما له ، وكذلك بدا للصحابة رضى الله عنهم أن تقييد الحديث وجمعه فى شــكل كتاب أو كتيب أو كتيبات أمر خطير ، فترددوا وأحجموا حتى تغير الحال وتبدلــت الظروف حوالى العقد الثامن من القرن الأول الهجرىّ حين تبدد الخوف على القرآن المجيد وخُشى على ضيــاع الحديث بذهاب حفظته من الرعيــل الأول ، ومســت الحاجة لدراستــه وتمييز السليم من الدخيل منذ اشتدت الخصومات وكثرت الفتن واســتخدم الحديث فى الجدل وسعت كل فرقــة لتجد فى السنة ما يؤيد رأيها ويدحض موقف خصومها .

ولنستطرد قليلا فنسوق مثالا واحدا لبيان أهمية الحديث فى هذا الصدد ، وهو ما رواه مسلم فى أول صحيحه عن حميد بن عبد الرحمن قال : « كان أول من قال فى القدر بالبصرة معبد الجهنى ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين ، فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول فى القدر ، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبى أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبى سيكل الكلام الىّ فقلت : أبا عبد الرحمن ، انه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم ، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف ، قال : فاذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم برآء منى ، والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم ملء الأرض ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ، ثم قال : حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال : « وساق ابن عمر الحديث الذى يذكر فيه رجل طلع وجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسند ركبته الى ركبتيه ، وسأله عن الاسلام والايمان والاحسان ، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تعريف الايمان : « وتؤمن بالقدر خيره وشره » (١) .

وبينما لجأ المخلصون الى السنة يستضيئون بهديها ويستمدون من نورها ، عمد بعض أهل الزيغ الى الابتكار فنسبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقله ، وهكذا تعددت الأسباب المقتضية لتدوين الأحاديث وارتفعت الموانع ورأى الصحابة وكبار التابعين أنه لم يبق مبرر للتردد ، فصح عزمهم على تقييد العلم .

على أننا نعتقد أن هذا التحول لم يحدث فجأة بل تدرج مع الزمن ، لذلك نجد أنه كان لبعض الصحابة والتابعين صحف ترجع الى تاريخ مبكر ، كالصحيفة الصادقة المنسوبة لعبدالله ابن عمرو بن العاص الذى قبض عام ٦٣ هـ ، وكصحيفة همام بن منبه التى اقتبسنا صدرها من قبل وذكرنا أن كتابتها كانت قبل وفاة شيخه أبى هريرة عام ٥٨ هـ .

واذاو صفت صحيفة همام بن منبه بأنها أقدم تأليف فى الحديث فلا يعنى ذلك أنها سبقت كتابتها كتابة غيرها من الصحف المنسوبة الى الصحابة رضوان الله عليهم ، ولكن المقصود أنها أقدم تأليف بقيت منه نسخ مستقلة وصلت الينا ككتاب مستقل بصرف النظر عن كونها قد استوعبت فى المسانيد والصحاح التى جمعت بعد ذلك ، فالصحيفة الصادقة لا نعرف منها الآن نسخة مستقلة بذاتها ككتاب أو كتيب مؤيد بالسند ، وان هى استوعبت فى الكتب الكبرى كما استوعبت صحيفة همام ، ولكن قد تكشف البحوث والجهود عن وجود مخطوطات لصحف قديمة أخرى ، وقد عثر فعلا على صحيفة تنسب لصحابى آخر هو نبيط بن شريط الأشجعى الكوفى ورواها عنه ابنه سلمة الذى يعتبر من الثقات ، ويقال انه توجد نسخة منها فى مكتبة الظاهرية بدمشق وأخرى بدار الكتب بالقاهرة (٢) ، فاذا صح نسبتها فهى من أقدم الصحف الباقية .

* * *

ولنعد الآن الى النص الذى اقتبسناه فى الحلقة الثانية من هذه المقالات ، من صحيفة همام بن منبه ، ولنلق نظرة على الطريقة التى أوصل

بها همام أحاديثه الى النبى صلى الله عليه وسلم :

يقول همّام : « هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وساق الأحاديث الأول فالثانى فالثالث ، وهكذا ، فاصلا بينها بمثل هذه الكلمات » . « وقال صلى الله عليه وسلم » أو : « وقال أبو القاسم » .. وهكذا ..

فلم يبدأ همّام قائلا : « قال النبى صلى الله عليه وسلم » ولكن ذكر ما يدل على أنه تعلم هذه الأحاديث من شيخه أبى هريرة الصحابى وتلقاها عنه ، فأبو هريرة هو طريقه الى الرسول وسنده الذى اعتمد عليه فى معرفة الحديث ، لذلك يسمى ذكر الراوى أو مشايخه الذين تعلم الحديث عن طريقهم : « سندا » أو « إسنادا » وغلب استعمال الاصطلاح الثانى وهو « الإسناد » .

وحيث ان عهد همّام كان قريبا من عهد رسول الله ولم يكن بينه وبين صاحب الحديث صلى الله عليه وسلم الا جيل واحد فان إسناده مكوّن من ذكر معلم واحد وهو الصحابى ، ولكن اذا نزل الراوى زمنا وكان بينه وبين المصطفى عدد من الاجيال فان سلسلة الاسناد تمتد وعدد حلقاته تتعدد ، فأبو بكر القطيعى ، راوى الصحيفة كما وردت بمسند احمد بن حنبل — بعيد العهد من رسول الله(٣) ، لذلك نجد اسناده طويلا نسبيا ، فهو يروى عن شيخه عبدالله ابن احمد ، وعبد الله هذا يروى عن شيخه وابيه الامام ، ويروى الامام احمد عن شيخه عبد الرزاق ، وهو بدوره يروى عن معمر ، فعن همام ابن منبه ، فعن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكل من حلقات هذه السلسلة فوق القطيعى شيخ لمن دونه وراو عمَّن فوقه ، والشيخ أو المعلم الأول هو النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون صحابيا اذا كان لفظ الحديث له كأن يقصَّ شيئا عن أحوال الرسول أو يذكر فعلا من افعاله عليه الصلاة والسلام .

وعليه ، فالاسناد هو سلسلة المحدثين الذين يروى الراوى حديثه عن طريقهم سواء قلّ عددهم أو كثر ، وقد يتصل هذا الاسناد وقد ينقطع كما سنشرحه فيما بعد ان شاء الله .

وفى تقديم الحديث بذكر اسناده أمارة على صحة نسبة الحديث الى صاحبه عادة ، وتمكين للباحث من معرفة درجة هذه الصحة بناء على ما يثبته البحث من درجة ضبط رواته الواردة أسماؤهم فى الاسناد ومبلغ عدالتهم ، وفيه كذلك وقاية من خطر الكذابين والوضاعين ، فلو لم يكن هناك اهتمام بالاسناد وسُمح لمن يرغب فى التحديث أن يكتفى بقوله : « قال عليه الصلاة والسلام » : لكان الأمر اسهل وأيسر على الوضاعين دون أن ينكشف أمرهم أو يفتضح غشهم ، لذلك كان الاسناد — وهو مما ميز الله به هذه الأمة — أمرا من أمور الدين ، وقد روى مسلم فى مقدمة صحيحه أن عبد الله بن المبارك كان يقول : « الاسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء » وروى أيضا فى نفس المقدمة أن محمد ابن سيرين قال : « ان هذا العلم (الحديث) دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم » .

ويمكننا أن نستنبط من استعمال همام بن منبه الاسناد فى رواية صحيفته — ويغلب انه حررها فى

منتصف القرن الأول من الهجرة — أن استخدام الاسناد عند رواية الحديث كان مبكرا ، ويبدو أن هذا كان أمرا طبيعيا ، فالراوى يحدث عن صاحب المقام الجليل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا روعة واحساس عاطفى بليغ ، فالراوى من شأنه فى مثل هذا الموقف المهيب أن يتذرع بذكر سنده وطريقه الى الرسول فيدعم دعواه بذكر مصدرها ويلتمس الكرامة بذكر اسم شيخه وخاصة اذا كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك نعتقد أن الاسناد نشأ طبيعيا ثم نما وتطور ، ثم لما أساء البعض استخدام الحديث وتجاسر الملحدون على الوضع والكذب تعمد المحدثون الصادقون التأكيد على الاسناد والاهتمام بشأنه ، لذلك نقرأ لمحمد بن سيرين فيما رواه مسلم وغيره : « لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم ، فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » . ولا يعنى ابن سيرين الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الهجرى الاول وتوفى عام ١١٠ هـ ، أن الاسناد لم يكن مستعملا أول الأمر ثم مست الحاجة اليه عند ظهور الفتن ، بل قد كان الاسناد مستعملا فى رواية الحديث قبل ذلك حتى اننا نجده فى حالة رواية الصحابى عن صحابى آخر ، ولكن المعنى — على ما نعتقد — أن الانتباه أول الأمر كان منصرفا الى نص الحديث وفحواه فلما حدثت الفتن وجه جزء كبير من العناية الى الاسناد وفحص حال رجاله للنظر فى درجة الحديث من الصحة والقبول أو غير ذلك .

ومن المهم أن نلفت النظر الى أن المواظبة على الاتيان بالاسناد كان شأن المحدثين ، وهم العلماء المعنيون برواية الحديث واثباته بصرف النظر عن مغزاه وأهميته ، فالاسناد كان لذلك هاما دائما بالنسبة اليهم أما الفقهاء ، والمفسرون وأصحاب السير فان عنايتهم كانت منصرفة نحو دلالة الحديث فى القرينة التى يساق لها ، لذلك كان هؤلاء يأتون بالاسناد أولا يأتون به ، وقد يقتبس أحدهم الحديث مرات فى مواضع مختلفة . فيأتى بالحديث مسندا فى موضع ثم يسوقه دون اسناده فى المواضع الأخرى ، وليس ذلك شأن المحدثين .

ولقد حاول بعض الغربيين من المستشرقين أن ينال من الاسناد ويثير حوله الشبه ليسىء الى الحديث نفسه باثارة الشك فى صحته ، كما خاض بعضهم فى شأن القرآن الكريم وتاريخه ولكن الله رد كيدهم فى نحورهم ، يزعم هؤلاء أن الأسانيد استحدثت مؤخرا ، وأن محدثى القرنين الثانى والثالث ابتدعوها من عند انفسهم ورفعوها من راو الى آخر حتى تصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كى يوهموا بها صحة أحاديثهم ويؤيدوا بها دعاواهم ، وهذا زعم لا يقوم على أساس صحيح ولا على دليل معتمد ، وانما هو حدس وتخمين ورمى بغير حق يصاغ فى اسلوب قد يؤثر على خالى الذهن ممن يجهل شأن الحديث ودقة رواته وأمانتهم ، ولقد رأينا صحفا قديمة يرجع تاريخها لمنتصف القرن الأول وفيها رويت الأحاديث بأسانيدها ، كما أننا نجد أحاديث كثيرة روى الواحد منها بأسانيد مختلفة ، وينتمى الرواة فى الأسانيد الى فرق متباينة ولا يتأتى أن يتفق هؤلاء الرواة على اختلاق

الأسانيد لما كان بينهم من جفوة وشقاق ، اضف الى ذلك أن الرواة الذين بدأت بهم هذه الأسانيد كانوا يعيشون فى أمصار متفرقة وأقطار متباعدة لا يعرف الكثير بعضهم بعضا ومع ذلك فقد يروى عدد منهم الحديث الواحد متفق المعنى واللفظ أو متفق المعنى مع اختلاف لفظى يسير ، وهذا شأن كثير من الأحاديث الشريفة ، ولا يتصور مع التفرق وبعد الديار وعدم معرفة بعضهم البعض الآخر أن يتفقوا على الاختلاق والكذب ثم تأتى أسانيدهم بنصوص حديثية متفقة ومعان منسجمة متناسقة . « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون ! »

ويجمل بنا وقد فرغنا من تعريف الاسناد وشرح ثمراته وأكدنا قدم استعماله أن نتحدث الآن عن الطريقة أو الطرق التى تلقى بها الرواة الأحاديث عن شيوخهم ، وهذا موضوع هام لأن نوع الطريقة التى تلقى بها الراوى الحديث قد تؤثر على درجته من الصحة والسلامة . لذلك عنى رجال الحديث بدراسة هذا الموضوع ، وأطلقوا عليه : « تحمل الحديث » ، أى تعلمه وطريقة تلقيه من الشيخ أو المعلم .

يقول العلماء ، ان هناك طرقا ثمانية لتحمل الحديث ، أولها وأعلاها طريق « السماع » ويلعب فيه المعلم الدور الهام فيلقى بالعلم على طلابه وهم يسمعون ليعوا فى ذاكرتهم أو ليقابلوا على ما فى كتاب بأيديهم أو ليحرروا من املائه بكراساتهم ، وهذا أقدم الطرق وأقربها الى الطبيعة ، وقد كان طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم فى تعليم صاحبته رضوان الله تعالى عليهم .

الطريقة الثانية تسمى « القراءة » اى القراءة على الشيخ ، يقرأ التلميذ على الشيخ من الذاكرة أو من كتاب بيده ، فيقر الشيخ ما قرىء عليه ويجيز القارىء وزملاءه الحاضرين للقراءة ما قرىء عليه بحضرتهم ، وهذه طريقة هامة معتبرة أيضا وان كانت تعتبر دون سابقتها .

الطريقة الثالثة : « الاجازة » وهى أن يجيز الشيخ تلميذه برواية نص أو اكثر أو يمنحه رخصة برواية ما تحتوى عليه كراسة أو كتاب أو جزء معين منه ، ولكن لا بد أن يكون المجاز به معينا وأن يكون المجاز له من الثقات الماهرين ، وعلى كل حال فالاجازة أدنى منزلة من طريقى السماع والقراءة .

والطريقة الرابعة : « المناولة » ومعناها أن يناول الشيخ مريده كتابا على سبيل التمليك أو الاستعارة لينقل منه ويجيز له روايته وهى طريقة سائغة فى تحمل الحديث حتى أن بعضهم يرفعها لدرجة السماع ولكن المرجح أنها دون السماع والقراءة .

والطريقة الخامسة تسمى : « المكاتبة » ، وذلك أن يكتب الشيخ لتلميذه حديثا أو احاديث ويبعث لتلميذه بالمكتوب أو يسلمه اياه اذا كان حاضرا ويجيزه بروايته ، ويقدم الرواى الذى تحمل بهذه الطريقة حديثه بعبارة « كتب الىّ » أو « من كتاب » .

والطريقة السادسة من طرق تحمل الحديث تسمى : « الاعلام » ومعناه أن يعلم الشيخ تلميذه أن حديثا ما أو ان عددا من الأحاديث من مروياته أو انه سمعها أو يرويها عن فلان ، ثم يسيغ له روايتها .

والطريقة السابعة تسمى : « الوصية » وهى طريقة عجيبة يوصى

فيها الشيخ بكتاب له ليكون لآخر عند موته ويروى عنه منه ، وانما يسوغ للتلميذ رواية ذلك اذا نص على أن تحمله كان عن طريق الوصية .

والطريقة الثامنة والأخيرة تسمى « الوجادة » بكسر الواو ، ومعناها ان يجد الراوى كتابا صحيح النسبة لصاحبه لكنه لم يسمعه منه ولم يقرأه عليه ولم يناوله اياه ولم يجز لـــه روايتــه ولا كاتبــه بشأنه ، وليس للراوى أن يروى من ذلك الا بالنص على أنه وجد كذا بخط فلان ، كما كان يصنع عبد الله بن احمد أحيانا فيقول: « وجدت بخط أبى كذا » ويســوق الحديث .

وقد اتفق العلماء على جواز رواية الراوى مما تلقاه بالمناولة أو المكاتبة اوالاعلام أوالمكاتبة مجردة عن الاجازة الشيخ للتلميــذ برواية ما ناوله اياه او كاتبه عنه او أعلمه به ، واختلفوا فى جواز الرواية اذا كانت المناولة أو الاعلام أو المكاتبة مجرة عن الاجازة والواقع أن العلماء ــ رحمهم الله ــ أفاضوا فى دراسة طرق التحمــل وشرح تفاصيلها وما يترتب على كل منها من جواز الرواية أو عــدمه ، وارجع ان شئت الى ما كتبــه ابن الصلاح مثلا بشأن ذلك فى مقدمته المسماة « علوم الحديث » ، ممــا يعكس حرص العلماء البالغ عــلى سلامة الحديث ودقة التحرى فى تلقيه وروايته .

وقد اهتم العلماء أيضــا بضبط العبــارات وتحديد الألفـــاظ التى يستعملها الراوى للدلالة على تلقيه ما يرويه عن شيخه ، فكان لا بد أن تتناسب مع الطريقة التى تحمل بهــا الحديث عنه ، فاذا كان التحمل بطريق « السماع » فله أن يقول : « سمعت فلانا يقول أو يحدث » مثلا أو « حدثنا فلان » أو « حـــــدثنى » ، ويختلف الضمير على حسب ما اذا كان قد سمع وحده أو مع غيره . واذا كان نوع التحمل « القراءة » فللراوى أن يقول : « قرأت » أو « قرأنا عليه » أو « أخبرنا » أو « أخبرنى » . وهذا التفصيل هو اصــطلاح المحــدثين المتأخــرين ، وأما الأقدمون فانهــم اجــازوا اســتعمال لفظ التحــديث والإخبار فى كل من حالتى الســماع والقراءة . ومن الألفاظ التى استعملها الرواة فى حال القراءة : « نبأنا » و « أنبأنا » ولكــن كان ذلك نادرا نسبيا . وقد سوغوا للراوى فى حال التحمــل بالاجــازة أو المنــاولة أن يستعمل لفظ « أخبرنى » ، كما أن له أن يستعمل لفظ « أجازنى » فى حال الاجازة . ولفظ « ناولنى » فى حال المناولة .

ولنلق نظرة الآن ــ على ضوء ما تقدم ــ على الاسناد الذى رويت به صحيفة همام بن منبه ، وفيه قال أبو بكر القطيعى ما يلى :

« حدثنا عبــد الله ، حدثنى أبى (أى الامام أحمد صاحب المسند) ، ثنا (اى حدثنا) عبد الرزاق بن همام ثنا معمر ، عن همام بن منبه ، قال : هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

نرى ان كل الرواة فى هذا السند ــ ما عــدا معمــر بن راشــد ــ يستعملون لفظ « حدثنا » أو «حدثنى» وهذا يعنى ان كلا من هؤلاء تحمل أحاديث الصحيفة سماعــا أو قراءة على الأقل اذا كانوا ممن يستسيغون استعمال لفظ التحــديث فى حــال التحمل بالقراءة ، أما معمر فقد اتصل بهمام فى هذا السند بلفظ « عن » ،

وحرف الجر هــذا كثيرا ما يرد فى الأسانيد ، ويوصف فى هذه الحالة بكونه « مُعَنْعَنًا » ، والعنعنــة تتضمن معنى الاجازة ، ولكنها تحتمل فى نفس الوقت أن الراوى لم يسمع مباشرة من الشيخ الذى يرد اسمه بعد حرف الجر بل قد يكون قد تلقاه عن شيخ هو أحد رواة الشــــيخ المذكور . وحيث سقط اسم هــذا الراوى من الاسناد فلا يمكن الحــكم على مبلغ عدالته أو درجة ضبطه ، لذلك اشترط الامام مسلم ــ كمــا سنفصــله فيمــا بعد ــ أن يكــون الراويان فى الحديث المعنعن قــد تعاصرا حتى يمكن لقاؤهمــا وتلقى احدهما من الآخر ، وتشدد الامام البخارى فاشترط أن يثبت لقاؤهما .

ولكننا نعلم فى حال همام بن منبه ومعمر بن راشد أنهما تعاصرا ، فقد ولد أولهما فــى ٤٠هـ وتوفى عــــام ١٣١هـ على الأظهر ، وولد معمر عام ٩٦هـ وتوفى عام ١٥٣ أو ١٥٤هـ ، كما ثبت أن معمر بن راشد كان أشهر تلاميذ همام بن منبه ، وأنه سمع من همام بعض الصــحيفة وقرأ عليــه بعضها الآخر ، حيث صاحبه معمر بعد أن كبر سنه وسقط حاجباه على عينيه ، ولقد قرأ همام على معمــر حتى اذا ملّ اخذ معمر الصحيفة فقرأ الباقى (٤) .

وحيث فرغنــا من التعــليق على إسناد صحيفة همام الوارد فى مسند الامام أحمد . يحسن بنا أن نقــارن بينه وبين اسناد الصحيفة نفســها الوارد فى النسخة الدمشــقية التى يرجع تاريخها الى القرن السادس الهجرى والتى عالجها الدكتور محمد حميد الله ونشرها فى المجلد الثامــن والعشرين من مجلة « المجمع العلمى الصادرة بدمشق عام ١٩٥٣م (٥) ، وهو كما يلى :

« **حدّثنا** الشيخ .. أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المسعودى .. بقراءته علينا من أصل سماعه .. فى السادس والعشرين من ذى القعــدة سنة ٥٧٧ ، قال : **أخبرنا** الشيخ .. أبو الخير محمد بن أحمد الاصبهانى قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : **أخبرنا** والدى الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق قال : **أخبرنا** أبو بكر محمــد ابن الحسين القطان . قال : **حدّثنا** أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمى قال : **حدّثنا** عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى ، **عن** همام بن منبه ، قال : هذا ما **حدّثنا** أبو هريرة عــن محمد رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، قال : .. »

وبالتأمل نلاحظ ما يلى :

أولا : يلتقى الســندان فى عبــد الرزاق بن همام الحميرى ، فيشتركان فى الرواية عنه ، ثم عن معمر بن راشد ، فعن همام بن منبه صاحب الصحيفة ، فعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعليه فقــد سمع الامام أحمد الصحيفة من عبد الرزاق كمــا وردت فى مســنده ، وســمعها منه ايضــا أبو الحسين السلمى كما وردت فى النســـخة الدمشــقية ، وبالرغــم من تعــدد الأسانيد فان النصوص الحديثية فى النسخة الدمشقية والنسخة الالمانية التى اطلع عليهــا الدكتور حميد الله ونسخها ، وفى مسند الامام أحمــد وكما وردت متفرقة فى كتب الصحاح متفقـــة تماما الا فيما نــدر مما فقــد يحدث نتيجةِ التصحيف أو الســهو اليسير ، وهذا الاتفاق العجيب فى نصوص النســخ المروية عن هــذه

الصحيفة وأمثالها يرد على طعون الذين يطعنون فى الحديث جملة متشدقين باختلاف الروايات فى عدد من الأحاديث ، مما نرجو أن نتعرض له تفصيلا ان شاء الله .

ثانيا : يفرق رواة النسخة الدمشقية بين استعمال لفظ «حدثنا» ولفظ « أخبرنا » ، فيستعملون اللفظ الأول فى حال السماع من الشيخ نفسه ، ويستعملون اللفظ الآخر فى التحمل بالقراءة عليه بذلك يروى صاحب هذه النسخة عن شيخه المسعودى بلفظ « حدثنا » ثم يؤكد تحمله سماعا بقوله : « بقراءته علينا من سماعه » ، ويروى المسعودى « عن شيخه أبى الخير بلفظ «أخبرنا» ثم يؤكد أن تحمله كان بطريق القراءة قائلا : « قراءة عليه وأنا أسمع » ، اى ان احد زملاء المسعودى قرأ على الشيخ ابى الخير بحضرة المسعودى واصفائه لما قرىء على الشيخ .

ثالثا : واشترك السندان فى لفظ الرواية عن عبد الرزاق ، وهو : « حدثنا » ، وفى لفظ الرواية عن همام بن منبه ، وهو : « عن » وفى لفظ الرواية عن أبى هريرة وهو : « حدثنا » ، ولكنهما اختلفا فى لفظ الرواية عن معمر — فهو فى اسناد المسند : « حدثنا » وفى إسناد النسخة الدمشقية لفظ « عن » . فلعل عبد الرزاق روى الصحيفة أكثر من مرة على تلاميذه ، مرة سمعها منه الامام أحمد وفيها عبر عبد الرزاق عن تحمله من معمر بلفظ « حدثنا » ، ورواها مرة اخرى سمعها منه ابو الحسن السلمى وفيها عبر عن تحمله من معمر بلفظ « عن » . على أن التعبير بلفظ « عن » هنا لا ينفى التحمل بالسماع أو بالقراءة بل يحتملهما أو احدهما ، وقد ثبت أن عبد الرزاق عاصر معمرا وصاحبه وتتلمذ عليه سبع سنوات (٦) ، وقد ولد عبد الرزاق سنة ١٢٦هـ وتوفى عام ٢٦١هـ عن خمسة وثمانين عاما ، وولد معمر سنة ٩٦ هـ وتوفى عام ١٥٣هـ . فتحقق بذلك شرط كل من الامامين مسلم والبخارى ، وعليه فاسناد الصحيفة متصل ، وتحملها رواتها بطريق السماع أو القراءة ، والله أعلم بالصواب .

---

(١) وحيث قبض عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى ٧٣هـ — وهو الاصح — وقيل فى ٧٤هـ . فان هذا الحديث يدل على أن فرقة القدرية كانت قد نشات واحتدت ازمتها قبل هذا التاريخ ، ويبدو أن تفاقم الامور بمقتل الشهيد الامام الحسين ثم حرق الكعبة عام ٦٤هـ قد أحدث صدمات عنيفة فى نفوس المسلمين جعلتهم يتساءلون عن شان القدر فى مثل هذه الاحداث التى ما كانت تتصور فنشا الكلام فى القدر ، فكان المنكر ليسد الباب على الآثم فلا يعتذر بتدخل القدر فى عمله . وكان هناك المثبت دون القول بالجبر ، كما كان هناك من بالغ فقال بالجبر ورفع المسئوليات عن العباد .

(٢) « تاريخ التراث العربى » لفؤاد سزكين ، الجزء الاول (القاهرة ١٩٧١) ، ص ٢٥٥ .

(٣) توفى أبو بكر القطيعى عام ٣٦٨هـ.

(٤) « تاريخ التراث الاسلامى »(الجزء الاول) ص ٢٥٦ ، و «مجلة المجمع العلمى » دمشق ، (المجلد ٢٨ ، الجزء الاول)ص ١١٢ .

(٥) « مجلة المجمع العلمى » دمشق ، (المجلد ٢٨) الجزء الثانى ص ٢٧٠ — ٢٨١ — والجزء الثالث ص ٤٤٣ — ٤٦٧ .

(٦) « تذكرة الحفاظ » لشمس الدين الذهبى (الجزء الاول) ص ٣٣١ .

لغـــــة



مشكلات الفواصل (٣)

للدكتــور : على محمد حسن

ومما أشكل على الدارسين من الفواصل ما جاء فى قوله تعالى : « **إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا** » فقد وقع فى بعض الأوهام أن يكون التذييل فى هذه الآية : « **انه كان عليمـــا قديرا** » أو ما الى ذلك ، أى أنه كان المناسب ـــ على ما توهموا ـــ ذكر القدرة لا ذكر الحلم والغفران .

وقد أجاب بعض المفسرين بأن هؤلاء المشركين كانوا يستحقون اســقاط السماء عليهم ، وخسف الأرض بهم ، ولكن الله سبحانه حليم غفور فلم يعاجلهم بالعقوبة ، واستأنسوا فى هذا الموضع بقوله تعالى : « **وقالوا اتخذ الرحمـن ولدا . لقد جئتم شيئا ادا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . ان دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا** »(١) .

ولكن المتأمل فى الآية الكريمة لا يجد إشارة الى ما ذكره المفسرون ، فليس فى هذه الآية ، ولا فى الآيات التى سبقتها ما يشير الى أن الكفــار يستحقون العذاب باسقاط السماء أو بخسف الأرض ، على أن ذلك اذا كان حلما فلمن يكون الغفران .. ؟

اللذين تحدثت عنهم الآية السابقة ، والذين يستحقون العقوبة باسقاط السماء أو خسف الأرض : « **قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا** » . أم لغيرهم ممن لم يرد لهم ذكر فى الآيات السابقة واللاحقة ؟

وربما صح أن نقول ان إمساك السموات والأرض ابقــاء لنعم الله على الخلائق ، وابقاء للجنس البشرى الذى لا بد وأن تقع منه المعاصى ، فالله حليم يبقى العاصين يتمتعون بهذه النعم التى اشتملت عليها السموات والأرض ، والتى

(١) سورة مريم : ٨٨ ـ ٩٢ .

لا يستطيع احد غيره أن يحتفظ بها ، والله غفور يغفر لهؤلاء العاصين ما يقع منهم من الذنوب ما عدا الشرك ، كما جاء في آية أخرى : **« إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »** .

ولا يزال الملحظ الذى لاحظته فى الآيات السابقة متجها هنا فى هذه الآيــة الكريمة ، على أن ذكر القدرة هنا يغنى عنه ما جاء فى الآيتين الكريمتين ، فالقرآن يتحدى هؤلاء الذين أشركوا أن يدلوه على ما خلق شركاؤهم من الارض ، وأن يدلوه على كتاب انزل اليهم فهم على بينة منه ، ويؤكد لهم أن الله سبحانه هو ــ وحده ــ الذى يمسك السموات والارض أن تزولا ، فكأن الآية جاءت بشىء جديد حين ختمت بالحلم والمغفرة ، حتى يفكر الدارس للقرآن ، ويطيل التفكير ليعرف ما أشارت اليه الآية ، ولا يكتفى بالنظر العابر .

◆◆◆ ◆◆◆

ومن الفواصل المشكلة ما جاء فى سورة الملك :: **« أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن انه بكل شىء بصير »** ، فربما توهم ان الأولى أن تختم الآية ــ مثلا بـــ (إنه على كل شىء قدير) ولكن التأمل الواعى يحكم بأن ختم الآية يجب أن يكون ما عليه التلاوة ، ذلك أن ذكر الصف والقبض هنا يدل على الصفتين اللتين يكون عليهما الطير فى طيرانه ، وخلق الطير على الصف والقبض ، وتزويده بما يصلح لكل منهما ، وإيجاد الأجزاء الدقيقة فى جسمه التى تمكنه من الطيران والوقوع ، والهامه كيف يصف ويقبض ، وكيف يطير ويقع كل ذلك لا يكون الا من (بصير) عالم بدقائق الأمور وجلائلها ، وبكيفية ابداع المبدعات : : **« الا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير »** .

وقد ذكر الفخر الرازى سؤالا وأجاب عنه ، قال : (انه تعـــالى قال فى النحل) : **« ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله »** . وقال هنا : **« مايمسكهن إلا الرحمن »** . فما الفرق ؟ قلنا : ذكر فى النمل أن الطير مسخرات فى جو السماء ، فلا جرم كان إمساكها هناك محض الإلهية ، وذكر ههنا أنها صافات وقابضات فكان إلهامها الى كيفية البسط والقبض على الوجه المطابق للمنفعة من رحمة الرحمن) .

◆◆◆ ◆◆◆

وقد تتحد آيتان أو أكثر وتختلفان فى التذييل ، وقد يكون التذييل واحـــدا والآيتان مختلفان قبله .

مثال النوع الأول قوله تعالى : **« وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها »** جاء تذييلها فى سورة (ابراهيم) : **« إن الانسان لظلوم كفار »** وفى سورة النحل : **« إن الله لغفور رحيم »** .

قال الزركشى فى البرهان : (من بديع هذا النوع اختـــلاف الفاصلتين فى موضعين ، والمحدث عنه واحد لنكتة لطيفة) . وبعد أن ذكر الآيتين السابقتين قال : (قال القاضى ناصر الدين ابن المنير (م ٦٨٣ هـ) فى تفسيره الكبير (البحر الكبير فى نخب التفسير) : كأنه يقول : اذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها ، وأنا معطيها ، فحصل لك عند أخذها وصفان : كونك ظلوما ، وكونك كفارا ، ولى عند اعطائها وصفان ، وهما : أنى غفور رحيم ، أقابل ظلمك بغفرانى ، وكفرك برحمتى ، فلا أقابل تقصيرك الا بالتوفير ، ولا أجازى جفاءك الا بالوفاء . انتهى .

وهو حسن ، لكى بقى ســؤال آخر ــ هكذا يقول الزركشــى ــ وهو : ما الحكمة فى تخصـــيص آية النحل بوصف المنعم ، وآية ابراهيم بوصف المنعم عليه .

والجواب : أن سياق الآية فى سورة ابراهيم فى وصف الانسان ، وما جبل عليه ، فناسب ذكر ذلك ، عقيب أوصافه ، وأما آية النحل فسيقت فى وصف الله تعالى ، واثبات الوهيته ، وتحقيق صفاته ، فناسب ذكر وصفه سبحانه .

فتأمل هذه التراكيب ، ما أرقاها فى درجة البلاغة ! انتهى كلام الزركشى .

وقد ذكر الفخر الرازى عند تفسيره آية ابراهيم : انه تأمل الفرق بين آيتى ابراهيم والنحل ، وأنه لاحت له دقيقته ، ثم ذكر ما نقله الزركشى عن ابن المنير ، فالكلام للرازى ، وقد نسب لابن المنير (توفى الرازى سنة ٦٠٦ هـ أى قبل ابن المنير بزهاء ثمانين سنة) .



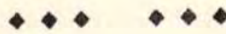
ومثاله أيضا ما جاء فى سورتي الجاثية وفصلت : ((**من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها**) ، وقد ختمت آية الجــاثية بقوله ســبحانه : ((**ثم الى ربكم ترجعــون**)) وختمت آية فصلت بقوله ــ علت كلمته ــ : ((**وما ربك بظــــلام للعبيــد**)) .

وقد أجاب صاحب البرهان بأن الختام فى الآية الثانية مناسب ، أما فى الأولى فحكمته أن قبلها : ((**قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون**)) . فناسب الختام بفاصلة البعث ، لأن قبله وصفهم بانكاره .



وقد أورد الزركشى فى هذا المقام آيات سورة المائدة : **ومن لم يحكم بمــا انزل اللــه**)) حيث ختمت الأولى بــ ((**فاولئــك هم الكافرون**)) والثانيــة بــ ((**فاولئك هم الظالمون**)) والثالثة بــ ((**فاولئك هم الفاسقون**)) ، وذكر لذلك بعض الأسرار ، ثم قال (وقيل الكافر والظالم والفاسق كلها بمعنى واحد ، وهو الكفر . عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة ، واجتناب صورة التكرار) .

والذى يعنينا من هذا القول أن من العلماء من أجاز تفنن القرآن الكريم فى التعبير لاجتناب صورة التكرار .



ومثال النوع الثانى قوله تعالى فى سورة النور : ((**يايها الذين آمنــوا ليستاذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات .....**)) الى قوله تعالى : ((**كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم**)) وقوله سبحانه بعد هذه الآية ((**واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم**)) .

وقد فسر ابن عبد السلام ــ فى الأولى ــ : (عليم) بمصالح عباده (حكيم) فى بيان مراده . وفى الثانية : (عليم) بمصالح الأنام (حكيم) ببيان الأحكام .

قال الزركشى بعد أن نقل هذا التفسير : ولم يتعرض للجواب عن حكمــة التكرار . ولم يزد الزركشى على ذلك .

قلت : ولم نستفد شيئا لا من ابن عبد السلام ولا من الزركشى . أما ابن

عبد السلام فلم يتعرض لمناسبة هذين الوصفين لكل من مضمون الآيتين ، ولعله ظن أن المناسبة واضحة .

وأما الزركشي فقد عاب صاحبه بأنه لم يتعرض لحكمة التكرار ، وسكت هو عن هذه الحكمة .

وقد ذكر أبو السعود أن التكرير للتوكيد ، والمبالغة فى الأمر والاستئذان .

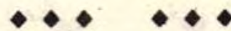
ويصح أن يقال ان موضوع الآيتين واحد ، وهو بيان آداب الاستئذان ، غير أنه فى الاولى ذكر استئذان الموالى والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم ، والأوقات التى ينبغى استئذانهما فيها ، وما عداها فليس على الجميع جناح اذا لم يقع استئذان ، وفى الآية الثانية ذكر استئذان الاطفال الذين بلغوا الحلم .

ولما كان فى هذا البيان ما يدفع كثيرا من الأضرار المتوقعة وغير المتوقعة ، ناسب أن تجىء صفة العلم ، لأنه وحده العالم بخفيات الظواهر والبواطن ، ولا شك أن فى الأمر بهذا الاستئذان حكمة بالغة حتى تتجنب الأسر المفاسد .

وربما كان فى متعارف الأسر والجماعات أن هؤلاء الذين طلب استئذانهم شديدو المخالطة لمن يستأذنون عليهم وعليهن ، ومن هنا يقع التسامح معهم . ــ الذى ملكته اليمين ، والطفل لم يبلغ الحلم والطفل بلغ الحلم . كلهم أصحاب صلة وثيقة ، والقرآن نفسه يقول : **« طوافون عليكم بعضكم على بعض »** فلا جرم يكون أمرهم بالاستئذان حكمة بالغة من الذى يعلم السر وأخفى ، وتهيئة لنفوس المؤمنين أن تتقبل هذا الأمر ، وأن تحافظ عليه لأنه من عليم حكيم .

وكم وقع ويقع من المفاسد بسبب ترك هذا التأديب الإلهى ، بل كم وقع ويقع من الأضرار النفسية التى تتمكن من نفوس الاطفال حين لا يحول بينهم وبين الدخول على أهليهم فى الأوقات التى ينبغى أن لا يدخلوا فيها إلا بعد اذن ، وربما دفعهم هذا العامل النفسى الى ارتكاب القبيح ، فوق ما يسبب لهم من القلق والاضطراب العاطفى . فسبحانه وتعالى ما أجل حكمته ، وما أصدق علمه .

وهذا الذى ذكرت كما أنه يبين مناسبة التذليل لكل من المحدث عنه فى الآيتين ، كذلك يبين حكمة التكرير ، فالنفوس حين تنبه الى أمر لعلها لا تباليه بالة ، ولا ترفع له رأسا تحتاج الى تأكيد ما يدفعها الى الامتثال ، وما ينبه الى خطر التهاون ، ذلك أن الذى شرع هذا الأدب الاجتماعى هو العليم الحكيم .



الى هنا نثنى عنان القلم ، مع أمل أن يتاح لى أو لغيرى أن يوفق الى بيان الأسرار فى بقية الفواصل التى قد تغمض الأسرار فيها .

وأكاد أكون اقتصرت على لون واحد منها ، وهناك لون آخر يحتاج الى جهد متواصل ، والى نظر واع ، ذلك هو الذى تنتهى فواصله بمثل هذه الكلمات : (يؤمنون ــ يتذكرون ــ يتفكرون ــ يعلمون ــ يسمعون ــ يعقلون ــ يوقنون) ، وهى فواصل كثيرة فى القرآن .

ولون ثالث تنتهى فيه الفواصل بمثل (السميع العليم ــ السميع البصير ــ اللطيف الخبير ــ الواحد القهار ــ العزيز الجبار) .

ونوع رابع وخامس وسادس . وكل هذه الأنواع تحتاج الى دراسة متفطنة ، والى جهد متواصل .

والتوفيق والعون من الله وحده .



بين العقل والوحي

للدكتور عبد العال سالم مكرم

الاسلام دين عام شامل جـــاء لإصـــلاح البشريـــة ، ونشر القيم الفاضلة والمثل العليا فى أرجاء الدنيا وفى كل زمان ومكان ، لأنـــه الدين الخالد ، « ومن يبتغ غير الاســـلام دينا فلن يقبل منه » .

هذا الدين العام الشامل قوامه دعامتان : العقل والوحى .

أما العقل فقد أحله اللـــه تعالى منزلة سامية ، لأنه الوعاء الـذى يصون العقيدة ويحفظها ، ولأنـه الدرع الذى يحميها من سهام الأعداء وطعنات الجهلة والحاقدين .

والعقل هو سلاح الشريعة الذى تدافع به عن رسالتها بحيث تكـون مصونة من جموح الهوى ، وغرائـز الشهوة ، ووساوس الشيطان .

وأما الوحى فهو النور الـــذى يساعد العقل على أن يسير فـى دروب الحياة ثابت الخطا . رابط الجأش . ذلك لأن هذا العقل قـد تؤثر فيه البيئة فينحرف عن الصواب ويميل عن الحق . ومن ثم يتحـول الى مارد جبار ، يدمر ولا يبنى ، يهدم ولا يصلح ، يشقى ولا يسعد . ولما كان شأنه كذلك ربطه اللــه تعالى بالوحى على أيدى رسل كـــرام يعيشون على هذه الارض يأكلـون الطعام ويمشون فى الاســواق . وسأتناول فى بحثى التفكير الاسلامى فى ضوء هاتين الدعامتين .



مكانة العقل فى الاسلام :

العقل من صنع الله تعالى الذى أتقن كل شىء ، وسعادة الانسانية لا تتحقق إلا فى استخدام هذا العقل فى ضوء وظيفته التى خـلق من أجلها .

والعقل هو الحياة ، وفقده هـو الموت : « أو من كان ميتـا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس

في الإسلام

كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » .

والعقل منطلق عظيم للتحرر من سلطان التقاليد التى لا تقوم على ادراك سليم ووعى كامل . « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون »

والذين لا يستعملون عقولهم لينقادوا الى الحق هم فى الدرك الأسفل من الحيوانية . « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » .



هذا العقل الذى يقوم بهذه الوظيفة الكبرى لم يولد فى الانسان كامل النضج تام التطور ، لأن هذا مخالف لطبائع الأشياء ، فكل مولود على ظهر هذه الأرض أيا كان انسانا أو حيوانا أو نباتا يولد صغيرا ، ثم ينمو ويتطور حينا بعد حين .

ومن أجل ذلك أسقط الاسلام التكاليف الشرعية عن الصبى حتى يبلغ سن الرشد ، عندها يكون العقل وصل الى المرحلة التى يستطيع أن يدرك بها حقائق الأشياء وبذلك يكون فى موضع المسئولية .

ولم يترك الاسلام العقل فى هذه المرحلة يسير من غير توجيه ، لأن الدروب متعددة والمسالك متشعبة بل رسم له منهجا يتربى من خلاله على أصول التفكير السليم .

ومن عناصر هذا المنهج توجيهه الى النظر فى ملكوت السموات والارض لأنه كلما زاد معرفة بأسرار الكون زاد معرفة بخالقه ومدبره وصانعه .

وقد كثرت فى القرآن الكريم الآيات التى تدعو الانسان الى التفكير فى هذا الكون بما حوى من مظاهر مختلفة لينطلق العقل الى آفاق رحبة فسيحة ، فيقر بصانع هذا الكون ومبدعه من أجل أن تستقر العقيدة ، وتضرب جذورها فى القلب وتمتزج باللحم والدم ، والحس والشعور ، والعاطفة والانفعال .

وجهه الى ذلك الكون ليلتمس العبرة بنفسه ، ويحس بالحقيقة

عن طريق ادراكه : « وهو الذى مد الارض ، وجعل فيها رواسى وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . « وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب ، وزرع ونخيل . صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

ولم يكتف القرآن الكريم بذلك ، بل وجهه الى ادراك الحكمة من صنع هذه المخلوقات ليعرف الانسان مدى مكانته عند الله فيقول : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت ، فذكر انما أنت مذكر » .

وجهه أن ينظر الى قوام حياته ، الى الطعام الذى قطع مراحل عديدة ليصل الى فمه ، الى معدته ، فيمده بالحياة والحركة ، والنمو والتطور . « فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا . فأنبتنا فيها حبا وعنبا ، وقضبا وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولانعامكم » .

ثم وجه عقله بعد ذلك الى قصة الابداع الكبرى ، قصة خلق السموات والارض ، قصة انبثاق الحياة من العدم : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى » .

وفى آية أخرى يقول عز وجل : « وآية لهم الارض الميتة احييناها ، وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون » .

وقد أعجبتنى كلمة فى هذا المقام لعالم من علماء الذرة يقول فيها : «لست فى معملى أعنى باثبات حقيقة الحياة بعد الموت ، ولكنى أصادف كل يوم قوى عاقلة تجعلنى أحس ازاءها أحيانا بأنه يجب على أن أركع احتراما لها » .

ولم يقف القرآن الكريم فى تربية العقل عند هذا الحد ، بل انتقل الى مرحلة اخرى من مراحل التربية ، وهى توجيهه الى الله ذاته ، بين له بالأدلة الفطرية والعقلية أن السموات والارض لا يستقيم أمرهما الا باله واحد : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » .

وهذا الاله الواحد قريب يسمع نداء من ناداه ، ودعاء من دعاه : « واذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى » .

وحينما تستبد أحداث الحياة بالانسان ، وتضيق منافذ الدنيا فى نظره يحس العقل الانسانى بأنه قاصر عاجز ، لا يستطيع أن يدفع عوادى الزمن ويرد نكبات الحياة . ومن هنا رباه الاسلام على أن يركن فى هذه الحالة الى قوة ترد اليه الاطمئنان ، وتبعث فى نفسه الثقة ، وهى قوة الاله الذى بيده وحده مصائر الامور . « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الارض » . « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » .

وينتقل الاسلام فى مجال تربية العقل الى مرحلة أعمق من هذه المراحل جميعا مرحلة مراقبة الله فى السر والعلن ، فى البيت والعمل ، وفى كل شأن من شئون الحياة يتربى العقل فى هذه المرحلة على

يقظة الضمير التى تثير فيه معنى الاحاس بأن الله معه ، يراه ويسمعه « وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير » ومن هنا يتولد فى نفسه معنى الحياء ممزوجا بمعنى الاطمئنان ، والشعور بقوة الله تعالى التى تحل كل مشكلات حياته صغيرها وكبيرها « وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذن تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين » .

وفى مقام آخر يقول : « الم تر أن الله يعلم ما فى السموات والارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شىء عليم » .

وقصة موسى مع فرعون مثال حى لهذا الاحساس بمعية الله تعالى ، ومصاحبته حيث يمد هذا الاحساس النفس البشرية بطاقات أخرى لا تحد لانها من قوة الله الذى لا يعجزه شىء وحينئذ يسير الانسان الى هدفه لا يحفل بطغيان ، ولا يعبأ باستبداد ، ولا يهتم بما يلقى فى طريقه من صخور وأشواك : « اذهب انت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى ، اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى . قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو ان يطغى . قال لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى » .

ولما خرج موسى وقومه فارين من وجه الظلم والطغيان ، واذا بفرعون يتبعهم بجنوده وحشوده ، ولما رآهم قوم موسى اعتقدوا أن الهلاك مصيرهم ، وان العذاب نهايتهم ، ولكن موسى كان يشعر بهذه المعية معية الله وصحبته : « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى : انا لمدركون ، قال : كلا ان معى ربى سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك الحجر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأزلفنا ثم الآخرين ، وانجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين » .

ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومعه صديقه أبو بكر ، واختبآ فى الغار تبعهما المشركون ، ووقفوا على باب الغار ، وهنا تتجلى المعية بأوضح معانيها ، وأعمق صورها حينما يقول النبى عليه السلام لصاحبه أبى بكر : ما ظنك باثنين الله ثالثهما . « الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها » .

على أن هذا العقل الذى أتيح له أن يتربى فى هذه المجالات جميعا ، والذى أتيح له من فرص التفكير ما يستطيع به أن يعى الدرس فى يقظة وادراك وقف عند مرحلة محدودة من التفكير لا يستطيع أن يتجاوزها ، لانها فوق استعداده وفوق طاقته ، وفوق ادراكه . انه تربى أن يفكر فى كل ما تقع عليه العين أو يأتى اليه عن طريق الوسائل الحسية والمدركات ، ولكن ما وراء ذلك ، التفكير فيه تطاول على الحقيقة ، لأن العقل المحدود لا يستطيع أن يلمس هذه المرحلة أو يطرق بابها الا وهى مرحلة التفكير فى ذات الله تعالى ، وحقيقة هذه الذات ، ومن أجل ذلك نهى الاسلام العقل أن يفكر فى ذات الله ،

فعن ابن عباس رضى الله عنهما : « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله ، وكل ما ورد فى بالك ، فالله بخلاف ذلك » .

ان التفكير فى الله جنون لا يستقيم مع المنهج السليم، وكيف يفكر المحدود فى اللامحدود ، والفانى فى الباقى، والعاجز فى القوى ، والميت فى الحى ؟ .

ان العقل يعجز أن يحيط بادراك هذه المخلوقات العظيمة التى تملأ هذا الكون من نجوم وشموس ، واقمار وكواكب ، ومجرات وراءها مجرات . فكيف يتطاول اذا الى صانع هذه المخلوقات ليدرك ذاته ، وهو « لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » .

ان الاسلام قد وضع يد الانسان على ازرار الكون كما عرضت سابقا ليلمس بعقله العبرة والعظة من وراء هذه المظاهر الكونية ، ولكن عقل الانسان لو تجاوز حدوده لأدى ذلك الى التفكير المضطرب ، الى الانحدار ، الى الهاوية الى الكفر والالحاد ، وهذا هو الهلاك الذى يعنيه حديث ابن عباس . وقد ربى الاسلام العقل على هذا المعنى ففصل فى كثير من القضايا بين الاسباب والمسببات ، والمقدمات والنتائج ، والعلة والمعلول ، وهى مجالات لا يستطيع العقل الا أن يعيش فى مجالها ، فمنها يستمد تفكيره ، وعليها يبنى نتائجه وكانت تربية الاسلام للعقل فى هذا المجال اعلاما له بأن الله الذى جعل لكل شىء سببا قدرته تعالى لاتحد ، يستطيع أن يفصل بين المقدمة والنتيجة ، ويقطع العلاقة بين السبب والمسبب ، والعلة والمعلول . ولا أدل على ذلك من قصة زكريا عليه السلام مع السيدة مريم أم المسيح عليه السلام ، انها قصة مليئة باللفتات العجيبة فمريم يأتيها رزقها رغدا من حيث لا تدرى ، ففاكهة الصيف تجدها فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء تجدها فى الصيف ، وليس هناك من يقدم لها هذه الفاكهة . وهنا كان مثار العجب عند زكريا عليه السلام : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب »

وما لى أذهب بعيدا وزكريا نفسه امرأته عاقر ، والعاقر لا تلد وقد بلغ من الكبر عتيا ومن كان كذلك فقدرته على الانجاب غير ممكنة ، ولما أراد الله تعالى له أن ينجب توارت الاسباب وتلاشت المقدمات أمام القوة التى فى امكانها أن تقول للشىء كن فيكون . « قال رب انى يكون لى غلام ، وقد بلغنى الكبر ، وامرأتى عاقر ، قال كذلك الله يفعل ما يشاء »

وجاءت ولادة عيسى عليه السلام درسا ملهما لهذا العقل ليقف على حقائق القدرة الالهية ، انها ولادة أحدثت دويا هائلا فى بنى اسرائيل ، اقاموا الدنيا واقعدوها لان عقولهم عجزت عن ادراك حقيقة هذه القدرة العظيمة التى فى اطارها توجد الاشياء .. « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

ومن هنا يتلقى العقل أول درس فى الايمان بالغيب ، وبهذا الايمان يستسلم العقل الى ما وراء هذا الكون فيؤمن بالجنة والنار ، والبعث والنشور ، والحساب والعقاب والملائكة والرسل . وكل ما ورد عن طريق رسل الله سلام الله عليهم مما لا يخضع لتجربة ، ولا يوضع تحت مجهر ، مما لا يدركه حس ، أو

يتناوله بصر ولكنه انقياد يدل على الطاعة ، واقرار يدل على الايمان .
وبذلك ننتقل الى الدعامة الاخرى التى يقوم عليها الفكر الاسلامى ، وهى دعامة الوحى .

الوحى :

المدلولات التى تشير اليها كلمة : « الوحى » عديدة :
فالوحى الهام لا ينفرد به الانسان فقد تشاركه بعض المخلوقات فى مجال الالهام دليل ذلك قوله تعالى : « وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » .
وفى جانب الانسان قوله تعالى : « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه » والوحى اشارة : « فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا » وقد تكون وسوسة الشياطين وحيا : « وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون » . .
والقرآن الكريم وحى : « ان هو الا وحى يوحى » . .
والذى يعنينى فى هذا المقام من هذه المدلولات العديدة لكلمة الوحى هو الوحى فى اصطلاح الشرع . ومعناه : الرسالات السماوية التى يكلف بها نبى مختار من عباد الله ليعمل بها أو يبلغها مع عمله بها الى القوم الذين أرسل اليهم . والوحى بهذا المدلول انواعه عديدة فقد يكون عبارة عن القاء المعنى فى النفس أو القلب ، وقد يكون كلاما من وراء حجاب ومن انواعه أن ينزل ملك الوحى وهو جبريل عليه السلام الى الانبياء ليلقى عليهم رسالات السماء وتعاليمها ، وقد يأتى على صور مختلفة . . لا نستطرد فى ذكرها لانها تحتاج وحدها الى بحث طويل .
والذى أريد أن اقوله هنا ان الاسلام تميز عن الاديان التى سبقته بأن معجزته الخالدة قرآن موحى به من الله تعالى ، « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » اعنى أن القرآن ليس من صنع عقل بشرى ، والا لتناولته العقول لتجاريه فى مجال القول ، وتنافسه فى مضمار البلاغة ، وتتحداه فى مجال القدرة البيانية . ولا زال القرآن الكريم الى اليوم ، والى أن يرث الله الارض ومن عليها يحمل عناصر القوة التى تفرض سلطانها على العقول والقلوب والعواطف والمشاعر ، والتى لا تملك القوى البلاغية الا أن تستسلم لها فى انقياد وخضوع .

والقرآن الكريم ثورة جارفة قلبت النظم العقائدية ، والسياسية والاجتماعية رأسا على عقب ، لأنه كتاب اصلاح للانسانية التى خربها الظلم ، واستبد بها الباطل ، وشوهها الانحراف ، وهذا الاصلاح نابع من طبيعة القرآن ذاته لأنه كما يقول الدكتور عبد الله دراز فى كتابه « مدخل الى القرآن الكريم » : يقول « راجع الى ماله من جاذبية خاصة بتوافقه الكامل مع أسلوب الناس الفطرى فى التفكير والشعور ، وباستجابته لما تتطلع اليه نفوسهم فى شئون العقيدة والسلوك ، وبوضعه الحلول الناجعة للمشكلات الكبرى التى تقلق بالهم . وبمعنى اخر لا بد أنه ينطوى على ما يشبع حاجتهم الى الحق ، والخير والجمال بما يجمع من صفات العمل الدينى والأخلاقى والادبى فى آن واحد » . .
ولنا أن نتساءل : هل القرآن الكريم الذى جاء لاصلاح الانسانية ليقوم بناؤها على أسس ثابتة من الايمان والعلم ، والخلق والعدل ، وقف من

الاديان التى سبقته موقف الخصم العنيد ليثبت وجوده ، ويعزز مكانته ؟

الحقيقة أن القرآن الكريم لم يكن كذلك ، لانه أيقظ ضمائر أهل الكتاب بدعوته الى الوحدة الدينية التى تقوم على أساس أن جميع الانبياء والرسل أمة واحدة تحت لواء الله تبارك وتعالى ، وان غياب هذه الوحدة باطل يقوم على التعصب والتفرقة . ولا أدل على ذلك من أن موسى عليه السلام يعلن انه من ابراهيم واسحاق ويعقوب ، وعيسى عليه السلام يعلن انه لم يأت الا ليؤيد من قبله من الرسل السابقين وشرائعهم ، ويؤيد بالبشارة رسالة محمد عليه السلام « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » .

ومحمد عليه السلام يؤمن كما يؤمن أصحابه ، وتؤمن أمته بما أنزل اليهم من ربهم « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله » .

وبذلك وضع القرآن الكريم أول لبنة فى بناء الوحدة الدينية بعيدا عن التعصب والهوى ، والحقد والانانية .

ومن هذا المنطلق اتجه التفكير الاسلامى يدعو الى هذه الوحدة فى منطق قوى واقناع عجيب . « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

منطق قوى يثير فى العقل تساؤلات لم الاختلاف وقد آمن العقل بوحدة هذا الكون التى أبدعها الاله الواحد ؟ كل ما فى الامر أن هذا العقل قد تشل قواه ، ويضعف بناؤه ، فيركع أمام وثن أو حجر او يخضع لسلطان كاهن أو راهب ، ومن هنا يأخذ طريقه الى الانحراف فاذا ترك وشأنه ، انزوى الحق ، وضاع العدل ، وظهر الباطل وكثر الفساد ، وأظلم الكون .

ومن أجل ايقاظ ضمائر هؤلاء المنحرفين نهانا القرآن الكريم أن نتخذ منهج العنف فى الحوار والمناقشة حينما ندعو أهل الكتاب الى الاسلام لأن العنف لا يقابله الا العنف ، والاسلام دين فوق مستوى العناد ومستوى الاستبداد الفكرى فقال : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » وقد تعمى العاطفة عيون اتباع الرسل عن الحقيقة فيبالغون فى اضفاء القدسية على أنبيائهم ورسلهم فى تعصب ممقوت ليرتفعوا بها الى درجة الالوهية كما قالت اليهود عزيرا بن الله ، وكما قالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون .

ومن هنا كان القرآن الكريم حريصا على أن يضع الحقيقة واضحة حول رسول القرآن ليكون الأتباع على بينة من الأمر ، وحتى لا يقعوا فيما وقع فيه أتباع الأنبياء من قبل، فأكد القرآن الكريم بشرية الرسول عليه السلام فى أكثر من موضع ليلفت العقول دائما الى الحق : « قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك . ان اتبع الا ما يوحى الى » .

وفى الاعراف : « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء ان أنا الا

نذير وبشير لقوم يؤمنون » ، وقد حرص النبى عليه السلام نفسه ان يؤكد عبوديته لله . فكان يقول : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .



ولم يكن القرآن الكريم مجرد تشريعات تشرع ، أو قوانين تتلى ، أو قيم تعرض فحسب بل كان بجانب ذلك قوة تنفيذية ، لا يستطيع المسلم الفكاك منها ، لانها قوة تعمل فى ضميره ذاته ، فبعد أن طاف القرآن الكريم بفكر المسلم فى رحاب الكون دارسا وباحثا ، وفى رحاب العقيدة مؤمنا وموقنا حول هذا الفكر الى قوة تنفيذية ، لا يتسرب اليها شك ، أو يعتريها ضعف ازاء أوامر القرآن الكريم ونواهيه ، فمثلا حينما حرم القرآن الخمر ، وكانت الخمر تشرب اذ ذاك لأنه لم ينزل فيها أمر بتحريمها حتى بعد دخول الاسلام ، فلما حرمت الخمر بعد ذلك كان لتحريمها قصة تدل على رفاهة الحس ويقظة الضمير ، وسمو النفس . يحدثنا انس بن مالك فيقول : « بينما انا ادير الكأس على ابى طلحة ، وابى عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل حتى مالت رعوسهم من الخمر اذ سمعت مناديا ينادى : الا أن الخمر قد حرمت قال انس : فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال ، وتوضأ بعضنا ، واغتسل بعضنا . واصاب من طيب ام سليم ثم خرجنا الى المسجد » .

وفى حديث آخر عن أبى بريدة عن ابيه قال : بينما نحن قعود على شراب لنا ، ونحن نشرب الخمر اذ قمت حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه ، وقد نزل تحريم الخمر ، فجئت أصحابى ، فقرأت الآية عليهم الى قوله . « فهل أنتم منتهون « ، قال بعض القوم وشربته فى يده ، شرب بعضا وبقى بعض فى الاناء ، فأراقوا ما فى كئوسهم ، ثم صبوا ما فى أباطينهم وقالوا : انتهينا ربنا .

مجرد تحريم الخمر تفعل فى نفوسهم هذا الفعل العجيب ، فيكسرون الأباطى ويحطمون الكئوس وليس هذا القانون فى حاجة الى قوة بوليسية تشهر سلاحها فى وجه من يقف دون تنفيذه . نعم كانت هناك قوة بوليسية ولكنها فى داخل النفس لامن خارجها ، انه الضمير المتفتح ، انه القلب الداعى ، انه الايمان بالله اقوى من كل القوى ، وأعظم من اسلحة الدنيا .

وحتى النساء اللاتى تميزن بالجانب العاطفى نجدهن فى مجال الالتزام بأوامر القرآن الكريم ونواهيه كالرجال على قدم المساواة . فعن صفية بنت شيبة قالت : بينما نحن عند عائشة ، قالت : فذكرن نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة : ان لنساء قريش لفضلا وانى والله ما رايت افضل من نساء الانصار أشد تصديقا لكتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل . لما نزلت « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما أنزل الله يتلو الرجل على امراته ، وابنته ، وأخته وعلى ذى قرابته فما منهن امرأة الا قامت الى مرطها المرحل ، فاعتجرت به تصديقا وايمانا بما أنزل الله من كتاب ، فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن على رءوسهن الغربان .

ولعلك أيها القارىء تحس أن

الدافع لهذا الالتزام ، والسر وراء سرعة التنفيذ انما يرجع الى العقيدة والعقيدة حياة وحركة ، عاطفة وانفعال، قوة والتزام ، ليست العقيدة فلسفة فكرية سلاحها الجدل والمنطق ولكنها قوة ربانية سلاحها الحق والخير . وتعجبنى فى هذا الموقف كلمة أحد الكتاب حينما يقول : « ان الفارق الأساسى بين العقائد والفلسفات هو أن العقيدة كلمة حية تعمل فى كيان انسان ، ويعمل على تحقيقها انسان . أما الفلسفة فهى كلمة ميتة مجردة من اللحم والدم ، تعيش فى ذهنه ، وتبقى باردة هناك »



وحينما يتلاقى العقل والوحى فى الاسلام يتكون الفكر الاسلامى المكتمل لأن العقل يستمد مدركاته كما قلت من الحياة والطبيعة والكون ، والوحى يستمد تعاليمه من الله خالق الحياة والطبيعة والكون .

وجوهر الفكر الاسلامى يقوم على العلم يدل على ذلك أن أول آية أنزلت فى القرآن الكريم : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

وعلم رب الاسلام نبى الاسلام الا يقنع بما عنده من المعرفة والعلم بل طلب منه أن يكون شعاره دائما « وقل رب زدنى علما » .

وكان النبى عليه السلام بعد نزول هذه الآية يدعو فيقول : اللهم علمنى ما ينفعنى ، وانفعنى بما علمتنى ، وزدنى علما ، والحمد لله على كل حال .

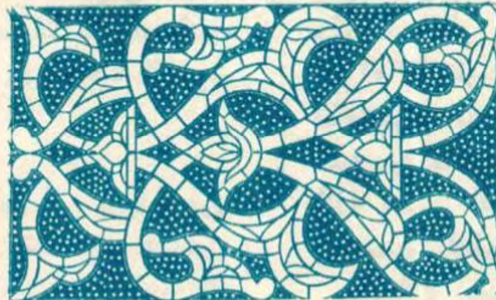
واذا كانت النبوة لا تورث لأنها هبة سماوية ، فهى اكبر من الارث ، ومن صلات اللحم والدم ، ومع ذلك فان الرسول عليه السلام جعل العلماء فى الدرجة التالية للانبياء فقال : العلماء ورثة الانبياء .

وليس للعلم غاية ينتهى اليها العقل فاذا ما وصل اليها القى السلاح ، لان الرسول عليه السلام يقول : لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل .

وليس العلم فى الاسلام مقصورا على التفسير والحديث ، والفقه والنحو ، واللغة ، فهذا جانب فقط ، ولكن العلم يشمل جوانب الحياة المختلفة التى تساعد على تقدم البشرية وتطور الانسان ، وتقدم العمران ، لان هذا يدور حول فكرة واحدة هى ربط السماء بالارض ، والدين بالدنيا والحياة بالموت .

لقد أضاء مشعل العلم فى الفكر الاسلامى ظلمات أوروبا ، فتكونت حضارتها التى تفرض وجودها على العالم الآن ، وما خيوط هذه الحضارة الا من نسيج ذلك الفكر العربى المسلم العملاق .

وانى لأدعو أن ننظر فى مسيرتنا الكبرى نحو الحرية والسلام الى هاتين الدعامتين : الوحى والعقل لنصل الى مرفأ السلام تحت رعاية الرحمن .





التيارات الالحادية

للدكتور وهبه الزحيلى

منى الاسلام بهزات عنيفـــة عبر التـــاريخ ، ومن هذه الهزات فى العصر الحـــاضر : ظهور بعض الحركات أو التيـــارات الالحادية المعادية للدين عموما ، والتى تحاول التخلص من الاسلام بوصف براق أو بآخر مزيف تحت ستار التجـــديد والعصرية ، واستغلال بعض مظاهر الضعف والتخلف الطارئة التى يمر بها العالم الاســلامى أو العربى المسلم بعد انتفاضته الجبارة على يد شرفائه وعلمائه ، وتخلصه من ويلات الاستعمار وآثامه .

وهذه الحركات أو التيـــارات اما مصادمة لجوهر الاسلام وموضـــوعه المباشر فى العقيدة ونظام الحياة ، واما موجهة فقط نحو الشق الثـــانى وهو النظام الذى وضعه للمجتمع .

وكل هاتيك الحركات منشـــؤها التعصب الدفين ضد الاســلام ، أو التخوف من عودة سلطانه على حياة الناس أو الســخف والرعونة التى دفعت سدنتها الى زعم كون الاسلام أو الدين عائقا عن السير فى مضمار

التقدم والمدنية الحديثة ، مما أوقع بعض حكام العرب أو المسلمين فريسة المخططات الاستعمارية المادية والفكرية .

وقد تفاوت تأثير تلك الحركات أو التيارات على نظام الاسلام بمقدار دعم السلطات الدولية الكبرى لها فى الظاهر ، أو فى السر والباطن .

وتمخضت أحداث قرن من الزمان تقريبا عن نشوء تيارات ثلاث أدت الى انحسار تطبيق (الشريعة) فى مجال تنظيم شئون المجتمع وهى :

١ ــ حركات الارتداد عن الاسلام المتمثلة فى (البهائية) منذ قرن ونيف، وفى (القديانية) فى مطلع القرن العشرين . فالبهائية الغت كل ما جاء عن الاسلام من أحكام الحلال والحرام فى البيوع والاطعمة وغيرها ، ومسخت أوضاع العبادات وشوهتها ، وأحلت محلها شريعة نسخت الشريعة الاسلامية ، ونشرت آراء قصد بها هدم الاسلام ونشر الفوضى والالحاد بين المسلمين .

والقديانية أحلت بعد نبوة خاتم الانبياء نبوة جديدة تزعم تنزل الوحى فيها على زعيمها ، ثم اعتقد مردتها بحلول اللاهوت فى جسد (غلام أحمد القاديانى) مؤسس هذه البدعة بوحى من الاستعمار البريطانى الذى قصد بالذات تفريق كلمة المسلمين وتعطيل مفهوم الجهاد كى يقر قراره فى ربوع الهند .

٢ ــ حركات الانقضاض على الاديان عموما ومنها الاسلام الذى يختلف عن المسيحية مثلا بتنظيم شئون الحياة أو العلاقات الاجتماعية بين الناس . ويتمثل ذلك فى (الوجودية) و (العلمانية) التى تولد الشك والفساد ، و (الشيوعية) العالمية عقب الثورة البلشفية عام ١٩١٧ فى روسيا ، والتى ذهب ضحية مجازرها الرهيبة فى آسيا وأوروبا الشرقية ملايين الناس من المسلمين الذين حاولوا الحفاظ على عقيدتهم وتعاليمهم الدينية .

٣ ــ حركات فصل القيم والدولة عن العقيدة الدينية بسبب تقدم العلوم الحديثة فى أوروبا وتقوية الجانب العلمانى فى حضارتها ، سواء فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومنها الناحية الدستورية والقانونية . وانعكست آثار هذه الحركات فى عالم الاسلام فى الثورة الكمالية فى تركيا بقيادة أتاتورك الذى الغى الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ ، وأعلن علمانية الدولة أو لا دينيتها ، حتى فى المظهر والشكل والشعائر الدينية ، زاعما تحقيق التقدم لبلاده، مع أنها الى الآن ما زالت وكأنها تعيش فى القرون الوسطى .

وسارت فى ركاب العلمانية بعض الاحزاب اليسارية فى أواخر الاربعينيات فى بعض البلاد العربية، والانظمة العسكرية العربية التى (أفسحت المجال لطبع المجتمعات بالطابع الغربى ، وبخاصة فى المجالات التقنية وفى مجالات التعليم) فعطلت الشريعة ، وأحلت محلها دساتير ونظما برلمانية وقوانين غربية . وجاهر بعض قادتهم بأن الاسلام ــ العظيم الرائع ــ قد انتهى ، وأدى دوره فى الماضى ، ولم يعد صالحا للتطبيق فى الوقت الحاضر بحجة كون (المذاهب الفقهية المختلفة) تمثل بيئة اجتماعية معينة ، وتصورا حياتيا خاصا ، أو ظرفا زمانيا ومكانيا محددا . فهل نطبق اسلام مالك أو أبى حنيفة أو الشافعى أو ابن حنبل ، أو الجعفرى أو الزيدى أو الظاهرى . وكيف يصح فرض أحكام الاسلام على غير المسلمين الشركاء فى الوطن الواحد .. الخ ما يهرفون ويخرفون .

والحقيقة أن مثل هذه التيارات

الخطيرة كسابقتها كانت من محض وحى الاستعمار ، ولاسيما فى أرجاء باريس ، ولنـــدن ، وسرت بدعة العلمانية الى الدساتير العربية من الغرب ، دون وعى الواضعين الذين تجاهلوا أو نســوا أن طبيعة الدين المســيحى يقتصر على كونه مجرد معتقد ، ويسمح للدولة بتنظيم شئون الحياة بقوانين وضعية . فقد تقبل الغربى كل القيم الجديدة لمجتمعه ، لأنه وجد أن دينه لا يتمشى مع روح العصر ، وســاعد على ذلك تاريخ الكنيسة فى العصور الوســطى فى أوروبا ، حيث قاوم رجـــال الدين (الكهنوت) كل العلماء والمفكرين ، واضطهدوهم ، واستغل الحكام لتأييد انحرافهم ســـتار الدين ، وادعوا أحقيتهم بالســلطة بالتفويض الالهى المطلق .

وصدم شعور العربى الذى وجد أن عليه أن يطرح قيم مجتمعه ، وأن يتنكر لحضارة الاســلام التى تعتبر فصل الدين عن الحياة خيانة للمجتمع وتخليا عنه .

وأيا ما كان دافع العلمانية شريفا أم خبيثا فقد ظل الاستعمار الفكرى جاثما فى البلاد العربيـــة بتطبيق قوانينه وتصوراته ومنطقه، وتم تنفيذ مخططات تحالف معسكر الالحاد فى الشرق والغرب ، وانكماش الاسلام فكرا وعقيدة وأخلاقا ، ونظما وشرائع ودستورا وســياسة زهاء قرن من الزمان .

وكان لزاما علينا كشـــف هذه الحقائق لئلا يفتتن بسطاء المســلمين والجهلة والعـــامة وبعض المثقفين ببريق التيارات المخادعة باسم التقدم والمدنية ، ولنبذ كل التهم البـــاطلة الموجهة للاسلام زورا وبهتانا ، أو كيدا وتعصبا ، أو جهلا ومغالطة ، من طريق بيان دعائم خلود الاسلام ، وســـبيل العودة اليه أبيض الوجه ناصـــع الجبين ، لا بالاســـاليب العــاطفية ، وانما بالخطط النظرية والعملية . وأسارع الى القول بأن أغلـــب رجـــال القانـــون الذيـــن يتحمسون للقوانين الغربية المستوردة ليسوا سوى مجرد نقلة ومترجمين ، مما يســـهل عليهم الحفــاظ على بضاعتهم ، ويريحهم من عناء الجهد والبحث فى معين الاســـلام وفقهـــه الخصب .

وأما رجال فقهنا فيغرقون عادة لأعوام طوال فى تحصـــيل الفروع والجزئيات الفقهيـــة من الشـــروح والحواشى ، حتى اذا تم تحصـــيلهم صاروا أسرى لها ، فوقفوا عندها ، ولم يتصدوا لبحث المشكلات الجديدة، ولم يجرؤ أغلبهم على اصـــدار رأى جديد فى شأنها ، واذا اقدم أحدهم باحثا قضية ، وأفتى فيها برأى معين، ناله الآخرون بالسب والجـــرح والطعن فى مروءته ودينه وعرضه . والحق يقال : لم يهيأ لرجال الفقـــه بحث القضايـــا الجديـــدة ، لاعراض الســـلطة وواضعى القانون عن مخلفات جهـــودهم وثمرات أفكارهم بسبب طرح الشريعة اســاسا عن النفوذ الى مجال التقنين ولقد شجع الحكم الاستبدادى بحق على سيادة الفكر المحافظ . وظلت دور العلم الشرعى تدور فى حلقـــة مفرغة ، وسيطر اليأس على اذهان طلابها من التفـــكير فى استنباط الاحكام من الشريعة ، بالاضافة الى تعذر حصول الكثيرين منهم على مورد يكفيه مؤنة العيش ولقمة الحياة . وأما القائمون على تدريس الشريعة فى كليـــات الحقـــوق ، فقد فتنوا بالنظريات والمبادىء الفقهية العامة ، وبمحاولة تقريب الشريعة من الافهام القانونية، وتركوا المهمة الاصلية فى تأصـــيل وتجديد الفقه بصفة عامة ، ونادوا

بضرورة الاجتهـــاد وفتح بابه ولم يجتهدوا الا فى القليل أو النزر اليسير.

وأما مقومات خلود الاسلام التى تجعله غير قابل للانتهاء والانكماش فكثيرة منها ما يأتى :

١ ــ الحفـــاظ على الـكرامة الانسانية واحترام العقل وتحريره من قيــود التقليد الأعمى والخرافات ، بنبذ عبادة العباد ، وغرس أصول الايمان الحق بالله ، القـــائم على المنطق الحر والتفكير والتأمل والاقتناع بالدليل والبرهان .

٢ ــ تأسيس نظام الحياة على اســـاس العلم والمعرفة والبحث والتجربة والافادة من خبرات الآخرين الصالحة .

٣ ــ توســـطه فى النظرة الى الانسان والكون والحياة ، والمـــال والمادة ، بالاهتمام بمصالح الدنيـــا والآخرة ، وبمطالب الروح والجسد، وتوجيه الانتفاع بالمال وجهة جماعية تقوم على أساس الايثار وحب الغير والتكافل والتعاون والتآلف .

٤ ــ كونه دين اليسر والسماحة والمرونة فى الحـــدود التى تقبـــل التطور ، لأن قيم الاسلام الخـــالدة أصيلة لا يصح تجاوزها ، ولأن فكرة كون الاسلام يتجدد ويخضع لعـــامل الزمن فى تطوره فكرة استعمارية . فالمبادىء القطعية أو الاساسية فـــى الشريعة لا تقبل التطور كأداء الامانات والحقوق الى أصحابها ، والتـــزام العدالة فى القضـــاء والشهـــادة ، والتراضى فى العقود ، وقمع الاجرام وسد الذرائـــع الى الانحـــراف ، والمسئوليـــة الشخصية وضمـــان الضرر .

٥ ــ اصلاح الفرد بتربية ضميره واصلاح سلوكه وتحصينه بالأخلاق المثلى ــ الواقعية لا الخيـــالية ، وتوجيهـــه نحو الخير والمحبـــة والاحســـان ، وتغليب العقل على الأهواء والشـــهوات والمصـــالح الموقوتة ، وربطه بالله صباح مساء .

٦ ــ تقويم الجماعة على اساس العدالة والامن والحرية التى تقيـــم المجتمع الفاضل ، بواسطة العقيدة والايمـــان والعبـــادات ، وانظمة المعاملات والعلاقات بين الأفراد ، التى تقيم حياة مدنية راقيـــة تعرف بالحقوق والواجبات ، وتصـــون الحريات التى لا تصادم مصـــلحة الجماعة وتوفر امنها واستقرارها .

وأما المذاهب الفقهيـــة فليست أديانا أو شرائع متنـــابذة وانما هى مدارس اجتهادية للفهم والاســـتنباط واستقاء الحلول الصالحة للمشـــاكل المعقدة ، وتفسير النصوص قانونا أو قضاء ، فوجودها أمر طبيعى ضرورى بسبب اختلاف الافهام والانظـــار ، كالمدارس التى وجدت تماما لتفسير القـــوانين الوضـــعية ، فهى فرع والاسلام هو الاصل والمنبع ، وليست كل اجتهادات المذاهب ملزمة ، وانما الملزم هو نصوص القرآن والســـنة الثابتة الصـــحيحة ، فيعمل حينئذ بالنصوص القطعية الرواية والدلالة التى لا مجال للاجتهاد فيها الا لمانع شرعى من فوات شرط كدرء حـــد بشـــبهة ، أو للضرورة المبيحة أو المانعة من المســـئولية ، وأما غير القطعى فيعمل فيه الحاكم باجتهاده ، أو يتخير من المذاهب الفقهية ما يتفق مع روح الشرع ومبادئه ، ويحـــقق مصالح الناس التى لا تصـــادم النصوص القطعية ، أو الظنيـــة . ويراعى فى الاختيار أيضا الوصول الى العدالة ، والمساواة فى الحقوق والشهادات والاحكام القضـــائية ، وملاءمة الاعراف والعادات التى لا تصادم النصوص الشرعية ، واباحة المعـــاملات والعقود والشروط غير الممنوعة شرعا ، والتى تيسر شئون المبادلات التجـــارية ، وتحرص على

مراعاة مقتضيات الفضيلة والاخلاق ، وتجنب نواحي الفســـاد والغش واهتزاز الثقة بنظام التعامل ، ونحو ذلك من القواعد الاصلية الثابتة فى الاســـلام مهما تبدلت الظروف والاحوال .

وقد أكد القرآن الــكريم صحة تشريع المذاهب الاجتهادية فى قوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرســول ، وأولى الأمر منــكم .. » وأولو الأمر هم فى السياسة الحكام ، وفى العلم العلماء الموثوقون الذين عرفوا بســلامة تفكيرهم وصحة تفسيرهم واصــابة استنباطهم فى الغالــب . وأقرت السنة حق اللجوء الى الاجتهاد عند تعذر النص فى حديث معــاذ الذى رواه البغوى فى مصابيح السنة ، وأخرجه أبو داود فى سننه ، وفيه اقرار صريح بممارسة الاجتهاد ، اذا لم يجد القاضى حكما فى الــكتاب والسنة . والاجتهاد ومنه الاجمــاع المعتمد على مســتند شرعى أداة حساسة مرنة ووسيلة واعية للحفاظ على خلود الشريعة ، ونمو أحكامها ، وتطور ما يقبل التطور منها ، وفق حاجات البلاد واختلاف الازمان ، كما أنه تماما وسيلة المحافظة على مرونة القانون الوضعى .

وبذلك تظل حركة التجديد مستمرة لحماية مصالح المجتمع والقضاء على المفاسد ، عملا بمبدأ الاسلام الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنــكر . ولكن ينبغى الا يفهم أن الاجتهاد أو التجديد معناه الحــكم بالهوى أو (حرية الحكم) المطلق ، كما زعم بعض المجــددين . وانما هو عملية اســتنباط الاحكام من مصــادرها الشرعية بواسطة العلماء المختصين ذوى الــكفاءة العــالية فى الفهم والادراك ، وتمثــل روح الشريعة وأهدافها العامة .

وأما التباكى على مصــالح غير المسلمين أو التعاطف معهم فمنشؤه الجهل بمبادىء الاسلام الحقة التى لا تقر ظلمــا لأحد من رعايا غير المسلمين ، ولا تكلف عبئا خاصا بهم ، ولا تطالبهم بما لا يطيقون وكل ما قد يشــاع من تهم فمصــدره الكيد والمغالطة ، والجهل بحقائق التاريخ ، والتعصب البغيض منهم على المسلمين الذين يعاملونهم بمنتهى التسامح . فان التزموا بقوانين الاســلام فى المعاملات وغيرها ، فلأن المســلمين هم الاغلبية الساحقة ، وأيهما خير : هل فرض قوانين المســتعمرين الظالمين على المسلمين وغيرهم فى ديار الاســلام أو تطبيق قواعدنا الســماوية الاصل ، القائمة على الرحمة والعدل والمساواة ، النابعة من البيئة العربية ومدنية العرب قبل الاسلام وبعده .. ؟!

ولنــا أن نبــين للذكرى ودحض الحجة المغرضة ما يتجاهله الحاقدون على الاســلام ومنهم بعض رجال القانون ، وهو أن الشريعة صالحة فعلا لتنظيم الحياة الانسانية ، والفقه الاسلامى يلبى هذه الحــاجة ويقرر أوجه الصلاحية بما تخلله من مبادىء وقواعد ثابتة وأحكام تفصيلية ، نذكر منها بعض الامثال فى نطاق الحقوق العامة والخاصة التى ينقسم اليهــا كل نظام قانونى قضائى .

أما الحقوق العامة فمنهــا داخلى ومنها خارجى ، والاول اما دستورى أو ادارى ، ففى نطــاق الحقوق الدســتورية قررت الشريعة مبادىء ثابتة مدعاة للاعجاب :

١ ــ حرية المواطن دون اخلال بالنظام العام والآداب ، ودون اعتداء على حق الغير وحريته .

٢ ــ المســاواة بين الناس فى الحقوق والواجبات .

٣ ــ الشورى أساس الحكم .
٤ ــ أموال المواطنين ودماؤهم واعراضهم حرام .
٥ ــ العمل حق ضرورى وواجب على كل قادر عليه . وأما العاجز فيعال من اقاربه أو من الدولة اذا لم يكن له قريب موسر ينفق عليه .
٦ ــ الاخاء والتعاون والتكافل قانون المجتمع .
٧ ــ المال وتملكه وان كان حقا خاصا ، لكنه ذو نزعة جماعية .
٨ ــ مال الخزينة العامة مرصود لصالح الأمة ، ومنفصل عن ملك الحاكم .

وفى القواعد الادارية اقرت الشريعة المبادىء التالية :

١ ــ للحاكم حق اصدار مختلف القرارات الادارية التنظيمية ، بشرط التزام مبدأ الشورى ، ورعاية المصلحة العامة ، وعدم مصادمة نصوص الشريعة وقواعدها التشريعية الثابتة .
٢ ــ حق الطاعة من الرعية للحاكم مقيد بالمعروف .
٣ ــ تصرفات الحاكم فى نواحى الادارة وفرض الضرائب وجبايتها وتوفير الخدمات العامة والاستملاك الجبرى للمنفعة العامة : تخضع لرقابة الامة .
٤ ــ ليس للحاكم أو احد موظفيه حصانة أو امتياز على أحد .

وأما فى مجال العلاقات الخارجية (الدولية) فقررت الشريعة ما يأتى :

١ ــ الشعوب البشرية كلها متساوية فى الحقوق الانسانية ، فليس هناك تقبل لأى تفرقة عنصرية أو جنسية أو مذهبية أو طبقية لشعب مختار أو فئة ممتازة على حساب المجموعة البشرية الاخرى .
٢ ــ المعاملة بين الدولة الاسلامية وغيرها تقوم فى السلم والحرب على أساس العدالة والحقوق الانسانية . ففى وقت السلم تحترم الحقوق المكتسبة للآخرين . وفى زمن الحرب يحرم الاعتداء والايذاء والفساد لغير ضرورة حربية ، لأن الله تعالى لا يحب الفساد .
٣ ــ المعاهدات بين الدولة الاسلامية وغيرها مقدسة لا تمس بنودها ، وملزمة وواجبة التنفيذ بحسن نية كالعقود بين الافراد ، ولا تنقض ما لم ينقضها العدو .
٤ ــ التعايش السلمى اساس العلاقة مع الامم المجاورة . والحرب اجراء اضطرارى لا يلجأ اليه الا عند العدوان بمختلف اشكاله . ولا حرب دون انذار باجماع الفقهاء ، ولا اقرار لاغتصاب بلادنا .
٥ ــ المعاملة بالمثل جائزة الا فيما يخالف أوامر الشريعة وقواعدها والاخلاق الاسلامية .
٦ ــ الحصانة السياسية حق للسفراء والقناصل وممثلى الدول الاجنبية .

وأما الحقوق الخاصة فتشمل النواحى المدنية والجنائية .

ففى الحقوق المدنية قررت الشريعة ما يأتى :

أ) فى الاحوال الشخصية : عنى الاسلام بتربية الفرد وتقوية شخصيته وارادته ، ليقوى المجتمع ويؤسس على قواعد راسخة صالحة . ونظمت حقوق واجبات أفراد الاسرة ، ووضعت لها القواعد والنظم الملائمة للطبيعة البشرية والحاجة الانسانية . واعتبر الزواج عقدا مدنيا رضائيا محضا كسائر العقود ، ومنع الزواج بالأقارب المحارم حفاظا على وشائج القرابة والرحم ، وأجيز انحلال الزواج اذا تعذر بقاؤه وأصبح عقبة فى اقامة الاسرة القوية المتماسكة . وحوفظ على نقاء نبتة الاسرة وطهارة الانساب فحوربت العلاقات غير المشروعة . واقيمت الولاية والوصاية لحماية مصالح القاصرين . ووزع الارث بين الزوجين ، وبين الاولاد والاقارب على أساس متين من العدل والحق .

واعتبر الانسان فى مجال الاشخاص هو أساس الشخصية القانونية . ومع ذلك وجدت بعض الاحكام المؤيدة لوجود ما سمى بالشخصية الاعتبارية كفرض الكفاية ، وتمثيل الامة بالحاكم أو القاضى ، والوقف للمسجد ونحوه من سبل الخير ، وقول الفقهاء : (للمسجد وقف) ونحو ذلك .

ب) فى الالتزامات : اعتبرت الشريعة كل فعل ضار بالغير موجبا مسئولية الفاعل أو المتسبب ، والتزامه بالتعويض عن الضرر عمدا أو خطأ ، اذ لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام . وهذا يعرف حديثا بنظرية التعسف فى استعمال الحق ، وأخذت الشريعة أيضا فى باب الالتزامات بنظرية الضرورة الشرعية المقابلة لنظرية الظروف الطارئة فى القوانين الحديثة .

وعرفت مصادر التزام أخرى كالارادة المنفردة ، والشرع كالالتزام بنفقة الاقارب ، والفعل النافع المقابل لما يعرف قانونا بالاثراء بلا سبب ، كالاستيلاء على الشىء خطأ ، أو قبض مال من آخر لترك محرم كالقتل والسرقة ، أو لفعل واجب كالصوم والصلاة ، أو ايفاء ما لا يجب للغير ثم يتبين أنه لا حق له ، أو دفع مال لغيره على عمل لا يعتبره العقلاء وانما يعد فى نظرهم عبثا ولغوا ، أو الرجوع بالحق على من تناول مال غيره للضرورة ، أو على صاحب الوديعة لتغطية ما أنفق أو بذل لها من أجل حفظها .

وفى نطاق الاجراءات اعتبرت جميع الالتزامات مضمونة بتأييد القاضى ، وله كل السلطات الممكنة لاجبار كل مدين على تنفيذ التزامه ، ولو كان الحاكم الاعلى .

جـ) فى العقود : أقرت الشريعة القواعد الآتية : يلتزم العاقد دون غيره بعقدة ، وينتقل التزامه الى الخلف ، كالوارث والموصى له والعقود كلها رضائية تنعقد بالتراضى الحر دون توقف على ممارسة شكليات معينة . وتصبح العقود صحيحة بمجرد الاتفاق بين طرفيها . وتعتبر الشروط العقدية حرة ملزمة للعاقدين الا ما يخالف النظام العام والآداب . وتخضع العقود لقواعد الاخلاق العامة ، ويجب أن يسودها حسن النية ، فيعتبر الغش والتدليس والغلط ، والتغرير مسوغا فسخ العقد . والعرف والعادة أساس تحديد حدود الالتزامات العقدية ما لم ينص على خلافها صراحة .

وفى النواحى الجنائية : قررت الشريعةان كل ممنوع شرعا وسياسة جريمة ، وكل جريمة يعاقب عليها بعقاب عادل متناسب مع الفعل وكاف للزجر واقرار الامن . وفوضت الشريعة السلطة الحاكمة (الدولة) فى تقدير مقدار العقوبة ونوعها حسب الظروف والملابسات الشخصية والزمانية والمكانية . وحددت مع ذلك عقوبات بعض الجرائم نظرا لخطورتها ، وأولها الردة باعتبارها خروجا على قيم الوطن ومسئولياته ، والحاربة لتهديدها لأمن الاشخاص والاموال ، والسرقة ، والزنى ، والقذف ، وتناول المسكرات ، والاعتداء على النفس أو أحد الاعضاء ، مما هو معروف العلة . هذه هى الاصالة النظرية للشريعة التى حدت بالمحافل والمؤتمرات والجمعيات الدولية فى لاهاى وباريس وبرلينعام ١٩٣٢ ، ١٩٣٧ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥١ أن تعترف بحيوية الشريعة ومرونتها وصلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان .

ومن أطرف ما قرأت عن اعجاب المستشرقين بالشريعة ما قالتهأستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الاسلامية فى جامعة نابولى بايطاليا الدكتورة لورا فيشيا فاغليرى فى كتابها (دفاع عن الاسلام) : ان

علينا أن نقدم أعمق اعجابنا الى دين لا يكتفي بنظرية ملائمة لمطامع الطبيعة البشرية ، وباقامة شريعة تتألف من أسمى القوانين التى يستطيع الانسان الحياة وفقها ، ولكنه يذهب الى أبعد من ذلك ، فينادى بفلسفة حياة . دين يقيم مبادىء الاخلاق الاساسية على أساس نظامى وايجابى .. الخ . ثم استشهدت بقول محمد فريد وجدى : « ان الاسلام هو فى الحقيقة دستور السعادة الحقيقية ، وانه رسـول الحضـارة الصحيحة ، وأنه جدير بالتالى بأن يمنحه كل انسان حبه واحترامه ، كما منحه الحب والاحترام أولئك الفلاسـفة الكبار الذين استهلوه وآمنوا به .. » ومن يدرى أن يتحقق التنبؤ القائل بأن الاسلام سيكتسح ويغزو أفريقيا لأنه دين التوحيد والمدنية ، ويغزو أوروبا لأنه دين العلم والتأمل .

أما من الناحية العملية فان شرع الاسلام وفقهه ما زال يطبق في بعض الدول العربية أو الاسـلامية وعلى الصعيد الخاص فى معاملات الأفراد احيانا ، وترتفع أصـوات بعض رؤساء دول عربية تنـادى بضرورة تطبيق الشريعة الاسـلامية ، حتى نحـافظ على أصـالتنا ونتخلص من رواسب الاستعمار الفكرى ، وشكلت سنة ١٩٧١ فى ليبيا فعلا لجان لمراجعة القوانين وحصر واستظهار ما يناقض الاحكام القطعية والقواعد الاساسية للشريعة الاسلامية والعمل على ازالة هذا التناقض باعداد تشريعات بديلة ، اخذا من مختلف المذاهب ، مع تخير أيسر الحلول حسبما تقتضيه المصلحة العامة ، ومع مراعاة ما جرى عليه العرف فى البلاد مما له أصل فى مذهب الامام مالك . وتنص المـادة السادسة من دستور دولة اتحاد مصر وسـوريا وليبيا عام ١٩٧١ على ما يلى : « تؤكد دولة الاتحاد على القيم الروحية ، وتتخذ الشريعة الاسلامية مصدراً رئيسيا للتشريع » وبهذا النص تخطت كل الشـعارات النظرية المحضة كاعتبار دين الدولة الاسلام ، الذى يقتصر على « الاسلام كعقيدة وشعائر » ولا يأخذ بكونـه « نظاما يحكم علاقات الافراد » .

وطريق العودة الى الاسـلام وشرعه يكمن فيما يأتى :

١ ــ غرس أصول الايمان بعناصره الست ، والاسلام بأركانه الخمس .

٢ ــ توفير القـوة المتفوقة على العدو الخارجى .

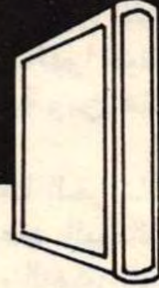
٣ ــ استمداد التقنينات من أحكام الشريعة .

٤ ــ العلم الحديث الذى لا يتصادم فى موضوعه مع أصول الايمان .

أما ما قد يتجافى أو يقصر أو يضيق من اجتهادات فقه المذاهب الاسلامية ، فيمكن الاستعاضة عنه بما تنتهى اليه مجامع البحوث التى تنعقد كل عام فى مصر ، وما تسفر عنه الدراسـات والابحاث فى الاقسام العليا فى كليات الشريعة والحقوق ، وما ينبغى أن يقوم به أساتذة الفقه الاسلامى من اجتهادات ودراسات جادة تتلاءم مع ظروف العصر وحاجات أهله ، ولا تتعـارض مع نصـوص الشريعة ومقاصدها وأهدافها العامة ، والروح التشريعية ، وعمل المسلمين المستمر ، والثابت غير المتعارض من سنة النبى العظيم عليه أزكى الصلاة والسلام .

لذا فان الاسلام سيظل رغم أنف الحاقدين قلعة صامدة لا تنتهى ، وأن تنكر له بعض الأذلة ، وايماننا ببقائه وصلاحيته على مر الدهور جزء لا يتجزأ من عقيدة المسلم : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحـافظون » « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لـكل شىء » . « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لـكم الاسلام دينا » . « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » .

كتابُ الشهرْ



العلم والدين في الفلسفة المعاصرة

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣

تأليف : اميل برترو
ترجمة الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى
عرض وتحليل : الدكتور يوسف نوفل

اميل برترو مؤلف الكتاب فيلسوف فرنسى معاصر ، عاش معظم حياته فى أواخر القرن التاسع عشر ، وتوفى بعد الحرب العالمية الأولى ، يقوم منهجه فى البحث على رد الدين الى عناصره ، والى تحليل العلم وتبيين أصوله التى يعتمد عليها ، وبيان الصلة بين دائرتى الدين والعلم ، وما يمكن أن تنتهى اليه العلاقة بينهما من وفاق أو خصام ، وعلى الرغم من معاصرة هذا الفيلسوف الفرنسى لموجة الالحاد فانه يدافع عن الدين ، وكأنه كان مبشرا بما آل اليه العلم من تقارب شديد من الدين فى وقتنا الحاضر .

ومن الملاحظ أن المؤلف لم يتناول كلية أمرا من أمور الدين الاسلامى ، وكذلك لم يتناول شيئا عن البوذية مع أنهما من أوسع الديانات انتشارا ، ومن الواضح أن ذلك يرجع بالدرجة الأولى — فى تصورنا — الى جهله الاسلام ، ففاقد الشىء لا يعطيه ، وربما كان من الأسباب أيضا ندرة المواقف المبحوثة حول علاقة الدين بالعلم فى الشرق الاسلامى ، وخصوصا فى الأزمنة المتقدمة من العصر الحديث .

ومما يجدر بالذكر أن بعض فقرات هذا الكتاب ترجمها الشيخ مصطفى عبد الرازق فى كتابه : « الدين والوحى والاسلام » .

وتأتى أهمية الموضوع المثار فى أن « الدين روح الأمة وسبب من أسباب وحدتها وعلة فى اتخاذها وجهة تشكيلها وتطبع سلوك افرادها على هيئة خاصة بحسب الدين الذى يعتنقه هؤلاء الأفراد ، ولست تجد امة تخلو من دين ، حتى البدائيين الذين كانوا يعبدون الحجر والشجر والشمس والقمر ، لأن الدين عبادة تقتضى عابدا ومعبودا ، وتستلزم أن يكون المعبود مقدسا ، وقد مرت البشرية فى أدوار كثيرة فى تدينها حتى بلغت الأديان السماوية التوحيدية ، كان الناس يعبدون مظاهر الطبيعة وكل ما يجلب لهم الخير أو ينزل بهم الضر ، فألهوا البقر كما الهوا البرق والرعد ، ثم انتهى الأمر بالبشر الى تأليه كل قوة طبيعية ومن هنا نشأ تعدد الالهة .

ثم اضفى الناس من خيالهم على هذه القوى التى الهوها الخرافات ، وحكوا عنها الأساطير فكانت اقدم الديانات عند قدماء المصريين وعند اليونانيين خرافية — أو مثيولوجية — ولكن تقدم البشرية فى البحث والتأمل والتفكير افضى الى أمرين : الأول الخروج من التعدد الى التوحيد ، كما حدث فى عصر اخناتون ، والثانى تجريد الآلهة من مظهرها المادى المتشخص فى المثيولوجيا واعتبار الاله الواحد هو القوة العليا والكمال المطلق ليس كمثله شىء .

وتشترك الديانات السماوية الكبرى فى اعتقادات تعمها هى الاعتراف بوجود الله وانه خلق العالم بعد ان لم يكن ، وانه بعث الانبياء والرسل لهداية البشر ، وأن الناس جميعا على موعد مع اليوم الآخر حيث الحساب ، وحيث الجنة أو النار .

وعلى رأس الأمور التى تشغل البال الايمان بوجود الله ، مهما انشغل الانسان بأمور الدنيا ، ومهما حاول التغلب على صعابها بوسائل يصطنعها فى حياته وفى أموره اليومية ، وفى سبيل ذلك يسخر الكون بما فيه لخدمته ، ومن هنا يأتى العلم ودوره حيث تقدم بخطوات هائلة وخصوصا منذ القرن الثامن عشر الى أن توصل الانسان الى معرفة سر المادة وتركيبها ، وانتقل من عصر البخار الى عصر الكهرباء الى عصر الذرة .

هذا العلم الذى يقوم على التجريب ، على المشاهدة والملاحظة والاحصاء اثار سؤالا هاما لدى الناس هو : لم لا نطبق المناهج العلمية على الدين وبخاصة بعد تطبيقها على ظواهر انسانية أخرى مثل النفس الفردية والنفس الاجتماعية حيث نشأ علمان جديدان هما : علم النفس وعلم الاجتماع ؟

وهذا سؤال هام ، فهل يمكن أن يخضع الدين للمناهج العلمية ؟ وهل اذا طبقنا المناهج العلمية على الدين يزيد ايماننا بالدين أو تتزعزع قواعده باعتبار أن أساس الدين هو الوحى أو هذه الصلة بين الله والانسان ؟

فى القرن التاسع عشر سار العلم فى طريق معاد للدين وانتشرت فى أوربا موجة شديدة من الالحاد باسم العلم . ذلك أن العلم كان ينادى بالحتمية التى تعنى أنه اذا ما توافرت الشروط والاسباب تحتم وقوع النتائج ، وبناء على ذلك يكتفى العالم بنفسه ولا حاجة به الى علة اخرى خلاف وجود المادة وحركتها وتطورها وسيرها فى طريقها المحتوم ، ولكن العلم منذ صدر القرن العشرين بدأ يرى أن الحتمية غير ضرورية ، وأن القانون الذى يحكم العالم هو قانون الاحتمالات ، وبذلك انفسح المجال للقول بقوة عليا تسير العالم خارج نفسه ، ولذلك نرى فى الوقت الحاضر موجة من التدين تعم أرجاء العالم باسم العلم ذاته ، وقد ترجم فى مصر

الى اللغة العربية كثير من الكتب الحديثة التى تحث على الايمان عن طريق العلم مثل كتاب : العلم يدعو الى الايمان ، وكتاب : الله يتجلى فى عصر العلم ، وغير ذلك ، وراجت هذه الكتب رواجا عظيما ، وطبعت أكثر من مرة ، مما يدل علـــى تعطش قراء العربية الى مثل هذا النوع من الدراسات ، ولا غرابة فى ذلك ، فنحن نعيش فى عصر العلم الذى تغلغل فى جميع شئون الحياة ، وأصبح تفكيرنا فى الأغلب الأعم تفكيرا علميا .

خطـــة الكتـــاب :

يقع الكتاب فى مقدمة وجزأين ، الجزء الأول مو موعه النزعة الطبيعيـــة ويتكون من أربعة أبواب : الباب الأول عن أوجست كومت ودين الانسانية ، وفيه نلتقى ببحث مذهب أوجست كومت ، وتأويل المذهب ، وقيمته ، وفى الباب الثانى : نلتقى ببحث عن هربرت سبنسر وما لا يمكن معرفته ، وفى ذلك يصنع المؤلف مع سبنسر ما صنعه مع كومت ، أما الباب الثـــالث ففيه الحديث عن هيكل والوحدانيـــة ، وفيه الحديث عن مذهبه ، وقيمة هذا المذهب ، والفلســـفة الاخلاقية . أما الباب الرابع فيتحدث عن المذهب النفسانى والمذهب الاجتماعى وفيه نلتقى بالتفسير النفسانى والتفسير الاجتماعى ، ونقد المذهب الاجتماعى والنفسانى .

أما الجزء الثانى فموضوعه النزعة الروحية وفيه حديث فى الباب الأول عن ريتشل والثنائية المتطرفة ، ثم حديث عن الريتشالية ، ثم عن قيم الريتشالية .

أما الباب الثانى فعن الدين وحدود العلم وفيه دفاع الدين ، وحديث عن صعوبات المذهب ، وحديث عن العلم باعتباره يتجه نحو الدين ، ثم حديث عن بعض الصعوبات القائمة .

أما الباب الثالث فهو عن فلسفة العقل وفيه حديث عن البرجمانية ، وعن تصور للعقل الانسانى ، وملاحظات نقدية ، ثم ننتقل الى الباب الرابع وفيه حديث عن وليم جيمس والتجربة الدينية ، وحديث عن مذهب وليم جيمس ، وملاحظات نقدية ، ثم خاتمة مفصلة .

... ...

يرى المؤلف أن أمر العلاقات بين الدين والعلم حين يراقب فى ثنايا التاريخ يثير اشد العجب ، فانه على الرغم من تصالح الدين والعلم مرة بعد مرة ، وعلى الرغم من جهود أعظم المفكرين التى بذلوها ملحين فى حل هذا المشكل حلا عقليا ، لم يبرح العلم والدين قائمين على قدم الكفاح ، ولم ينقطع بينهما صراع يريد كل منهما أن يدمر صـــــاحبه لا أن يغلبه فحسب ، على أن هذين النظامين لا يزالان قائمين ، ولم يكن مجديا أن تحاول العقائد الدينية تســـخير العلم ، فقد تحرر العلم من هذا الرق وكأنما انعكست الآية منذ ذاك ، واخذ العلم ينذر بفناء الأديان ، ولكن الأديان ظلت راسخة وشهد بما فيها من قوة الحياة عنف الصراع .

فاذا نظرنا الى المذاهب التى تلخص الأخطار الراهنة عن علاقة الدين بالعلم وتعرفها ، رأينا أنها تتـــوزع مجموعتين ، تمثل احداهما ما يمكن بالنزعة الطبيعية، وتمثل الأخرى النزعة الروحية .

وقد وضع المؤلف فى النزعة الأولى على سبيل المثال : مذهب أوجست كومت الوضعى أو دين الانسانية كما يقال ، ومذهب « هربرت سبنسر » فى

التطور ونظريته فيما لا يمكن معرفته ، ومذهب هيكل الواحدى الذى يفضي الى دين العلم ، والمذهبان النفسانى والاجتماعى اللذان يردان الظواهر الدينية الى مظاهر طبيعية للنشاط النفسى أو الاجتماعى .

وقد أدخل فى النزعة الثانية : ثنائية « ريتشل » المتطرفة التى تنتهى الى التمييز بين الايمان والاعتقادات ، ومذهب حدود العلم ، وفلسفة الفعل باعتبار انها تربط العلم بالدين بمبدأ مشترك ، ومذهب التجربة الدينية كما يعرضه وليم جيمس .

ويضيف المؤلف الى ذلك قوله انه : « لو نظرنا نظرة كاملة لأضفنا الى هذا الثبت مذاهب أخرى كثيرة ، ومع ذلك فهذه الأمثلة كافية فى بيان عنف ومثابرة وأسلحة هذا الصراع المتجدد على مر العصور ، ومن الجراة أن نتنبأ بنتيجة هذا النزاع باسم المنطق وحده ، لأن أنصار كل قضية منهما يلحون منذ زمن طويل فى الجدل دون أن ينجحوا فى اقناع بعضهم بعضا ، أما أن نقطع فى هذه المسألة بأن نرسم بادىء ذى بدء خط التطور التجريبى للتطور المستخلص من التاريخ أو الذى يظن استخلاصه منه ، فهو أيضا منهج شديد السذاجة ، ولا يكفى أن يصبح الشىء قديما ليقترب من نهايته ، وليس الحال بالضرورة فى حياة الأفكار والعواطف والمعنويات كالحال فى حياة الأفراد ، بل أكثر من ذلك عندما تموت هذه الأمور فقد يمكن أن تولد من جديد ، وبخاصة اذا طال عليها أمد النسيان ، وهذا هو شأن الثورات التى تكون أعنف بمقدار ما تحيى مبادىء أقدم ، فعندما أراد روسو أن يجدد العالم رجع الى الطبيعة باعتبار أنها أقدم من سائر التقاليد ، هذا الى أن التاريخ يقدم لنا ألوانا من التطور يلوح أنها تتجه وجهة محدودة كما يقدم لنا كذلك حركات منتظمة تطور احدى مراحلها هو نهاية مرحلة مضادة لها ، ان سير الامور الانسانية يبلغ من التعقيد حدا يمنعنا من الانتقال من تطور معين الى أسبابه الميكانية المحددة له ، هذه الأسباب التى بدون معرفتها لا يتسنى التنبوء العلمى الصحيح .

واذا صح أن الدين والعلم يمكن تشبيههما بالأحياء ، فكيف نقيس حيويتهما ومستودع طاقتهما ، وامكانيات يقظتهما ، السنا نرى اليوم أن بعض علماء الطبيعة يفسرون التغيرات المفاجئة التى تظهر أحيانا فى بعض الأنواع الطبيعية بخصائص ظلت كامنة الى ذلك الوقت حتى جاء الظرف الملائم لظهورها فجأة ، فبدلا من التنبوء عن مستقبل الأديان بأحكام أقرب الى اليسر منها الى التحقيق ، قد يكون من المفيد أن ننظر الى حالة كل منهما الراهنة ، وأن نحدد بمقتض هذه الدراسة طريقة تصور العلاقات بينهما ، وهى طريقة تبدو كما يقول أرسطو ممكنة ومناسبة فى آن واحد .

الصلة بين الروح العلمية والروح الدينية :

يقول المؤلف : « أيهما أجدر بالبحث أولا الدين أم العلم ؟ لم يكن ذلك أمرا ذا بال فى الزمن القديم أما اليوم فلم يعد الأمر كذلك ، فقد تحرر العلم كما يقال فى التعبير المشهور ، ففى الوقت الذى لم يكن للعلم من يقين سوى ما تخلعه عليه بعض المبادىء الميتافيزيقية التى كان ينسق بها ظواهر الطبيعة ، وجد فى التجربة مبدأ خاصا به باطنا فيه ، منه تستمد على السواء بغير معونة سوى معونة النشاط الفكرى المشترك ، الوقائع التى هى مادة عمله ، والقوانين التى بها ينظم تلك الوقائع » .

الروح العلمية

بدت الروح العلمية مع ديكارت ، وبوجه خاص مع كانط ، محدودة بصورة ثابتة عن طريق الشروط المنطقية للعلم ، وطبيعة العقل البشرى ، وقد ذهب ديكارت الى النظر الى سائر الأشياء من زاوية تسمح بردها مباشرة أو بالواسطة الى عناصر رياضية ، أما عند كانط فالروح العلمية هى الاثبات ــ أوليا ــ للرابطة الضرورية بين الظواهر فى الزمان والمكان ، وبعد أن تسلح العقل بهذه المبادىء ، نزل الى الميدان بعزم جديد يكشف عن قوانين الطبيعة ، وخيل اليه اثر النجاح الذى لقيه أنه قد وضع يديه من الآن فصاعدا على الصورة الأزلية المطلقة للحقيقة غير أن هذا الرأى قد تعدل حين اختبرت من قريب الطريقة التى بها يتكون العلم وشروط نموه ، ويقينه .

ويلوح من الثابت اليوم أن الروح العلمية ، وكذلك مبادىء العلم ليست معطلة مقررة ، بل تكسون نفسها كلما تجدد العلم وتقدم ، فمن جهة العقل يصنع العلم الذى لا ينفصل عن الأشياء ، كما ينفصل العنصر عن المركب الكيمائى ، ومن جهة أخرى يؤثر المصنوع فى الصانع ، اذ ليس ما نسبه بالمقولات العقليــة الا مجموع العادات التى كونها الذهن فى عمله لتمثل الظواهر فهو يلائم بينها وبين غاياته ، ويلائم بين نفسه وبين طبيعتها ولا تتم هذه الملاءمة الا بضرب من التوفيق .

الروح الدينية :

قد يبدو المؤلف ذا ميل كبير الى الاعتقاد بأن العلم ينبع من العقل ، وأن الدين خارج عنه ، يقول المؤلف : « من أيسر الامور لحل هذه المسألة أن نقرر أن الروح العلمية لها وحدها كل ما هو جوهرى فى العقل البشرى ، وان جميع الآراء أو النزعات التى بوساطتها تجلت الروح العلمية على مر العصور ، لها فى مبادىء العلم تعبيرها الوحيد المحقق والمشروع ، وعندئذ فكل ما هو خارج عن العلم ، فهو من أجل ذلك خارج العقل ، وحيث كان الدين بالضرورة شيئا آخر خلاف العلم، فهو أوليا من بين مواد التجربة الخام التى من شأن العلم أن يحيلها الى رموز موضوعية ، قادرة أن تصاغ فى ثوب من الحقيقة » .

والواقع أن هذا الرأى فى حاجة الى نقاش ، فالروح العلمية ، تمتلك جوهر العقل بل تعتمد عليه بالدرجة الأولى ، وهذا حق ، لكن الشطر الآخر من القضية والذى يعنى أن كل ما هو خارج عن العلم فهو من أجل ذلك خارج عن العقل ، هذا الشطر يبنى على أساس واه يجعله غير مقبول فى ميدان النقاش ، فافتراض أن الروح الدينية لا تستند الى العقل افتراض غير علمى وغير موضوعى ، فالعقل البشرى فى مجال الاعتقاد أو فى الناحية الدينية يستند الى تراث حضارى دينى يرجع الى آلاف السنين من عمر البشرية ، كانت البشرية فيه خلال هذا العمر الطويل تحاول ــ دائبة ــ التوصل الى صيغة سديدة فى مجال الاعتقاد ، وغنى عن البيان تتبع هذا التسلسل الطويل ، والمحاولات المتعددة التى خاضتها البشرية فى هذا الصدد وبتأمل هذه المحاولات ــ بما فيها من صواب وخطأ ، وهدى وضلال وصيحات أرضية ووحى سماوى ــ يمكن ان يصل الباحث الى حقيقة هامة ، هى أنه حين استخدم الانسان عقله ، وعمل على ألا يقع فى تناقض ،

وأن يضع الامور فى نصابها ، وأن يتغلب على هواه وعواطفه ، وينتصر عليهما ، أى يحكم عقله ، وصل الى الحق ، وحين ارتفع صوت الله . سبحانه وتعالى على لسان رسول اليهودية ورسول المسيحية ، ورسول الاسلام ، نطق الحق باعمال العقل والتفكير والنظر ، فهذا تساؤل : هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ ، وهذا حض على اعمال العقل ، وهذا تساؤل : أفلا يتدبرون ؟ ، أفلا يعقلون ؟ ، وغير ذلك مما يكثر حصره من آيات القرآن الكريم التى تشيد بالعقل واللب والفكر والنظر ، وتأمر بهما ، وتلوم من يبعد عن نطاقهما .

وقد يحلو هنا الرجوع الى كلام المؤلف ليبدو ايمانه بما نذهب اليه ، أو بما هو واقع انه يعود مرة أخرى الى القول بأن الايمان الحق هو ما يقوم على العقل ، وأن هناك صلة قوية بين الدين والعلم ، يقول :

« الايمان ، لسنا نقصد الايمان الأعمى بل الايمان الذى يسترشد بالعقل ، والفطرة ومعنى الحياة والمثل والتقاليد ، ولا شىء من هذه الامور يوجد فيه الباعث العلمى الذى يسمح لنا بالقول : هذا موجود ، ولما كان المقصود هو توجيه العقل فى طريق يختلف عن النتيجة الميكانية للأشياء فمن المستحيل ههنا أن يكون العلم كافيا ، ولا تزال عبارة القديس اوغسطين التى لفتت نظر بسكال صحيحة ، وهى : أننا نعمل للمجهول ، والحياة بالنسبة الى الانسان الذى يفكر رهان ، ولا يمكن أن نتصور أن تكون غير ذلك .

يترتب على هذا الشرط الأول شرط ثان ، فالايمان ليس بالضرورة قبولا سلبيا لما هو موجود ، على العكس أنه قادر على اتخاذ موضوع لم يوجد بعد ، ولا يبدو أن يكون واجبا ، ولعله يكون مستحيلا لولا هذا الايمان نفسه ، ولهذا السبب كان الايمان فى الانسان بوجه عام ، وفى الصفوة الممتازة بوجه خاص ، يولد موضوعا من الفكر يختلف فى جدته ، فهو ادراك عقلى أصيل يركز فيه بصره ، والانسان الذى يريد أن يعمل كانسان فلا بد له من غاية ، وكلما كان الايمان شديدا قويا كانت هذه الغاية مثلا أعلى يختلف فى سموه وتميزه عن الواقع ، فالايمان أولا لا يبصر موضوعه الا غامضا ، وعلى بعد ، وفى الغيوم ، ولكنه يجتهد فى تحديده بما يطابق حاجة العقل والارادة فهو يحدد شيئا فشيئا كلما عمل على تحقيقه .

وأخيرا ينشأ عن الايمان الخالق والموضوع الذى ينصبه أمامه ، شرط ثالث للفعل هو المحبة ، فالارادة تعشق مثلها الأعلى بمقدار ما يتلون هذا المثال بظلال اكثر جمالا وحياة بالتأثير المؤتلف من الايمان والعقل .

فهذه هى الشروط الثلاثة للفعل الانسانى : الايمان ، والمثل الأعلى ، والحماسة ، ولكن أليست هذه هى بالضبط المراحل الثلاث لنمو الروح الدينية ؟ الا تعبر هذه الألفاظ الثلاثة تعبيرا أمينا عن الصورة التى تلبسها الارادة والعقل والعاطفة بتأثير الدين .. ؟

فالحياة اذن ، من أحد وجوهها ، تعنى من جهة مطامحها المثالية ، تشارك مشاركة طبيعية فى الدين ، واذ كان من الواضح من جهة أخرى لا من جهة صلة الحياة الانسانية بالطبيعية أنها تشارع فى العلم لأنها تطلب منه وسائل بلوغ غاياتها ، فقد يبدو من الصواب أن نرى فى الحياة همزة الوصل بين العلم والدين » .

وهناك كثير من المفكرين يعترضون على المكانة التى ننسبها الى الدين فى حياة الانسان ويقولون : كان من المباح للدين — الى عهد قريب — أن يعمل على

تقدم الانسانية ، لأن الاخلاق كانت الى حد ما متوقفة عليه ، ولكن هذا التضامن بينهما لم يكن إلا عارضا مؤقتا ، فقد نشـأ الدين والأخلاق تاريخيا ونمـا كل منهما بعيـدا عن صاحبه ، بل ان تقـدم الاخلاق نفسـه هو الذى أرغم الـدين أن يتلاءم واياه ، وأن يصطنعه ، ولكن كما انهما نشآ فى ابتداء الأمر مستقلين ، فكذلك هما فى الوقت الحاضر فى طريق الانفصال ، واصبحت الأخلاق منذ أن تحررت واضحت شـبيهة بغيرها من العلوم كافية ، وكافية جدا فى توجيه الانسانية .

طريق الانفصال ، وأصبحت الأخلاق منذ أن تحـررت واضحت شبيهة بغيرها من العلوم كافية ، وكافية جدا فى توجيه الانسانية .

والمؤلف هنا ينشط فى بيان أهمية الدين ويرد على من يقلل من هذه الأهمية فهو يرى أن الدين يستهدف تحويل الناس والأشياء من الباطن لا من الخارج ، بالاعتقاد والمثال والمحبة والصلاة ، واتصال النفوس ، لا بالقهر أو بالسياسة ، ومن البين أنه ليس على الدين أن يخشى تقدم العلم أو الاخلاق أو النظم .

ويأخذ المترجم على المؤلف ــ ونوافقه كما يوافقه القارىء على ذلك ــ يأخذ عليه انصرافه عن الاسلام تماما فهو يتحدث عن المسيحية ويقول : « وهى آخر ما شهدته الانسانية من الأديان الكبرى » ويثبت بذلك جهله بالاسلام وهو خطأ فادح يقع فيه فيلسـوف كهذا فخـاتم الديانات هو الاسـلام وليس المسيحية ، وخاتم الأنبياء والمرسلين هو محمد عليه الصلاة والسلام وليس المسيح عليه السلام ، كيف يغيب عن المؤلف ذلك والاسلام ينتشر بين أكثر من أربعمائة مليون مسلم ينتشرون فى بقاع الأرض . ؟

ومع هذا كله فالكتاب يعد بحثا أصيلا فى تقريب الهوة المصطنعة بين العلم والدين ، وفى ذلك تأكيد للحق والصواب ، يقول المؤلف :

« والأمر كذلك بالنسبة الى الدين والعلم ، فالنزاع يشمل احدهما كما يشمل الآخر ، واذا ساد العقل فسينبثق من مبادئهما المتميزة بعد أن أصبحت أعظم وأقوى وأطوع ، صورة من الحياة على الدوام ، أضخم وأغنى وأعمق وأكثـر حرية وجمالا وفهما ، ولكن هاتين القوتين المحتفظة كل منهما باستقلالها الذاتى ، لا يمكن الا أن يسيرا فى طريق السلام والتوافق والائتلاف ، دون أن يزعما أبدا بلوغ الغاية ، لأن هذا هو شرط الحياة الانسانية » .



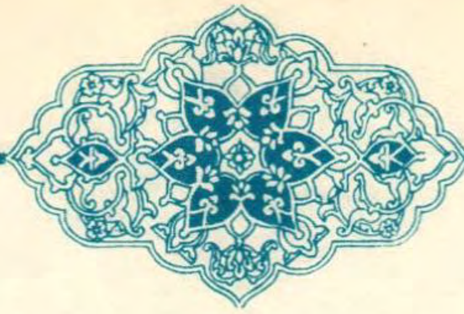


النهى فى نصوص التشريع الاسلامى ودلالته على الأحكام

للدكتور : محمد سلام مدكور

عرضنافى مقال سابق الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ودلالته على الأحكام ، وأشرنا فيه الى أن كلا من الأمر والنهى تدور حولهما أغلب الأحكام التكليفية ، لأن الأحكام الشرعية الخمسة : « الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح » تدور فى نصوص التشريع الاسلامى الواردة فى الدليلين الرئيسيين : الكتاب والسنة حول الأمر والنهى وصيغ كل منهما . فهما اذا الركن الأساسى الأعظم للأصوليين والفقهاء .

ولما كان النهى قسيم الأمر ومقابله حتى ان الاسنوى قال : ان البيضاوى لم يعرفه لكونه معلوما من حد الأمر . اقتضى هذا أن نفرد هذا المقال للتعريف بالنهى وبيان صيغه ودلالته على الأحكام على سبيل الحقيقة والمجاز وافادة المرة أو التكرار والفور أو التراخى ، وما قاله الأصوليون فى اقتضاء النهى فساد المنهى عنه ، وفى متعلق النهى .



تعـريف النهى :

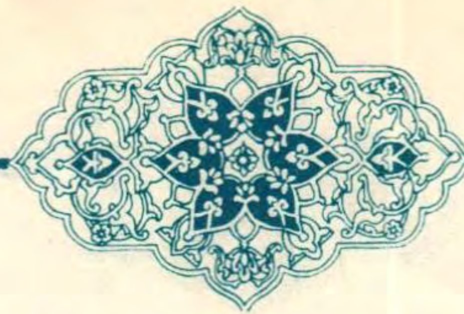
النهى فى اللغة بمعنى المنع يقال : نهاه عن كذا أى منعه عنه ، ومنـه سمى العقل نهية لانه ينهى صاحبه عن الوقوع فيما يخالف الصواب ويمنعه عنه . وعلى مسلكنا فى تعريف الأمر فى الاصطلاح الأصولى يكون النهى هو اللفظ الدال على طلب الكف عن فعل شىء **جـزما** على سبيل **الاستعلاء** .. وقصدنا بتعبير « جزما » ابعاد الصيغ المستعملة للكراهة اذ المكروه ليس بمنهى عنه حقيقة لأن موجب النهى وجوب الانتهاء لقوله سبحانه وتعالى : **« وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »** (الحشر ٧) ، أما كلمة الاستعلاء فان القصـد من ذكرها فى التعريف اخراج ما كان لمجرد الالتمـاس والدعاء والارشاد وغير ذلك من المعانى التى استعملت فيها صيغة النهى فى نصوص التشريع الاسلامى على ما سنذكر بعد .

صـيغ النهى :

ورد النهى فى الكتـاب والسـنة بصيغ مختلفـة نستطيع أن نرجعها الى الآتى :

١ ــ صيغة المضارع المسبوق بلا الناهية : وهذا هو الأصل فى صيغ النهى ، وأكثرها استعمالا فى أساليب التحريم . ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : **« لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى »** (النساء ٤٣) . وقوله جل شأنه : **« ولا تطع كل حلاف مهين »** (القلم ١٠) وقوله : **« ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا »** (الاسراء ٣٢) وقوله : **« ولا تمشِ فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا »** (الاسراء ٣٧) .

٢ ــ كل لفظ آمر يدل على طلب الكف والمنع مثل الأمر بالاجتناب فى قوله تعالى : **« فاجتنبـوا الرجس من الأوثان ، واجتنبـوا قـول الزور »** (الحج ٣٠) وقوله : **« إنما الخمر والميسر والأنصـاب والأزلام ، رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه .. »** (المائدة ٩٠) وقول الرسول صلى الله عليـه وسلم : **« اجتنبوا السبع الموبقات . قيل وما هن يا رسول الله ؟ قال : الاشراك بالله ،والسحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وعقوق الوالدين ، وقذف المحصنات المؤمنات ، والتولى يوم الزحف »** ومثل (ذر) فى قوله تعـالى : **« اذا نودى للصلاة من يوم الجمعـة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع »** (الجمعة ٩) ومثل : (دع) فيمـا روى من الاثر : **« دع ما يريبـك الى ما لا يريبك »** . .



٣ ــ مادة التحريم ومشتقاتها مثل قوله تعالى : **« حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم .. »** (النساء ٢٣) وقوله : **« حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير .. »** (المائدة ٣) وقوله : **« وان ياتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم »** (البقرة ١٨٥) وقوله : **« وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم .. »** (الأنعام ١٤٦) وقول الرسول عليه السلام : **« ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعا وهات »** .

٤ ــ مادة النهى ومن ذلك قوله تعالى : **« إن الله يامر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر »** (النحل ٩٠) وقوله : **« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون »** (الممتحنة ٨ و ٩) .

٥ ــ نفى الحل . ومن ذلك قوله تعالى : **« لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها »** (النساء ١٩) وقوله : **« ولا يحل لكم أن تاخذوا مما آتيتموهن شيئا »** (البقرة ٢٢٩) وقوله عليه السلام : **« لا يحل دم امرىء مسلم .. »** .

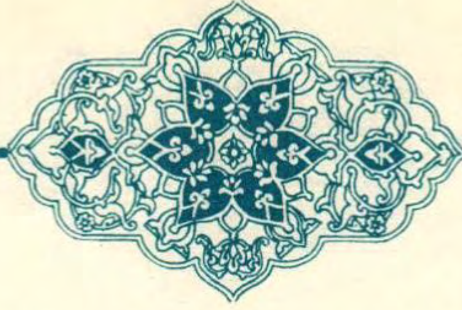
٦ ــ ترتيب الشارع العقوبة على الفعل ، ومن ذلك قوله سبحانه : **« ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة »** (النور ٢٣) وقوله جل شأنه : **« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما »** .

المعانى التى تستعمل فيها صيغة النهى :

ترد صيغة النهى فى نصوص التشريع الاسلامى دالة على عدة معان مقصودة من النهى حصرها بعض الأصوليين فى سبعة ، ومنهم من قال : ان هذه السبعة ليست على سبيل الحصر ، وإنما ترد لمعان اخرى واليك البيان :

١ ــ تستعمل صيغة النهى لافادة **التحريم** . ومن ذلك قوله سبحانه : **« ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وإياهم »** (الأنعام ١٥١) وقوله : **« ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق »** .

٢ ــ وتستعمل لافادة **الكراهة** ومن ذلك قوله تعالى : **« يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع »** (الجمعة ٩) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **(لا تصلوا فى مبارك**



الإبل) وقوله كما يرى الحنفية « لا يبع أحدكم على بيع اخيه ولا يخطب على خطبـــة أخيه » .

٣ ـ تستعمل لافادة الارشاد . ومن ذلك قوله تعالى : **« لا تسالوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم »** (المائدة ١٠١) .

٤ ـ تستعمل لافادة الدعاء . ومن ذلك قوله تعالى : **« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا اواخطانارينا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به .. »** (البقرة) وقوله : **« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا .. »** (آل عمران ٨) .

٥ ـ وتستعمل لافادة التحقير . ومن ذلك قوله تعالى : **« لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم »** (الحجر ٨٨) .

٦ ـ وتستعمل لبيان العاقبة . ومن ذلك قوله تعـــالى : **« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون »** (آل عمران ١٦٩) وقوله :**« ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون »** (ابراهيم ٤٢) .

٧ ـ وتستعمل لافادة اليأس . ومن ذلك قوله تعالى : **« يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم .. »** (التحريم ٧) .

هذه هى المعانى السبعة التى قال بعض الأصــوليين بأن صيغة النهى ينحصر استعمالها فيها لكن قد ينتج التتبع والاستقراء استعمالات أخرى لها على غرار ما قلناه فى المقال السابق بالنسبة لما تستعمل فيه صيغ الأمر ، وفى ذلك يقول الأسنوى : ان صيغ النهى تنحصر استعمالاتها فى هذه المعانى السبعة وقد ذكرها الغزالى والآمدى . لكن صاحب فواتح الرحموت على مسلم الثبوت قال بعد أن ذكر هذه المعانى السبعة : « وقد تجىء صيغة النهى لمعان أخرى كالتسوية والتهديد والالتماس » .

ما وضعت له صيغة النهى على سبيل الحقيقة :

وبناء على هذه الاستعمالات المتعددة المتنوعة فان من الأصوليين من اعتبر أن النهى من قبيل المشترك على أساس أن صيغته وضعت فى أصل اللغة للدلالة على اكثر من معنى واحد على سبيل الحقيقة والقرينة هى التى تعين المراد بالاستعمال . ومنهم من جعل النهى من قبيل الخاص الذى هو اللفظ الموضوع للدلالة على معنى واحد على سبيل الانفراد . ومن هؤلاء الحنفية اذ يرون أن صيغة النهى وضعت للدلالة على التحريم خاصة على سبيل الحقيقة ، وأن استعمالها فى غير ذلك يحتاج الى قرينة ويكون استعمالا مجازيا ، والواقع أن جملة الأقوال فيمـــا تستعمل فيه صيغة النهـــى على سبيل الحقيقة أربعـــة اليـــك بيانها :



١ ــ يرى جمهور الأصوليين أن النهى حقيقة فى التحريم وضــع لذلك خصوصا . يقول الشوكانى وهو الحق « وأنه يرد فيما عدا ذلك مجــاز » ومما ورد فيه على سبيل الحقيقة قوله تعالى : « **ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق** » (الأنعام ١٥١) وقوله : « **ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشــة وساء سبيلا ..** » (الاسراء ٣٢) واستدلوا بأن العقــل ينتهى عنــد سماع صيغة النهى المجردة عن القرائن الى تحريم المنهى عنه ، وبأن السلف الصالح كانوا يستندون فى تحريم الشىء الى مجرد علمهم بالنهى عنه . وهذا القول فيما نرى أرجح الأقوال لأنه المتباد للذهن ولقلوله تعالى : « **وما نهــاكم عنــه فانتهوا** » (الحشر ٧) فهو أمر بالانتهاء يقتضى وجوبه .

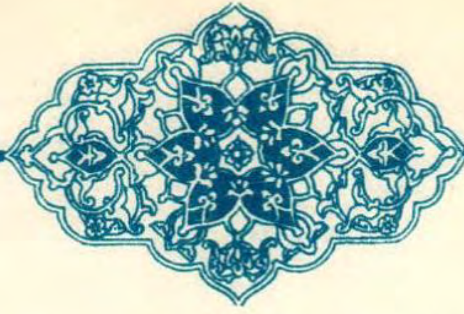
٢ ــ ويرى البعض أن صيغة النهى حقيقة فى الكراهة بخصوصها فتكون حقيقة فيها ومجازا فى غيرها واستدلوا على ذلك بأن الكراهة طلب الترك مع عدم المنع من الفعل والتحريم طلب الترك مع المنع من الفعل . ولما كان الأصل عدم المنع عن الفعل كانت الكراهة موافقة للأصل فتكون صيغة النهى وضعت لها حقيقة . ويمكن الرد على هذا الاستدلال بأن السابق الى الفهم عند التجرد من القرائن هو التحريم . والكراهة انما تستفاد بالقرينة .

٣ ــ ويرى بعض آخر أن النهى مشترك بين افادة التحريم والكراهة ، وصيغته حقيقة فى كل منهما . ويمكن رد هذا بما قلنا من أن المتبادر للذهن هو التحريم عند انعدام القرائن فانتفى الاشتراك اذ لو كان مشتركا بمعنى أن اللفظ وضع لافادة كل منهما على سبيل الحقيقة لما تبادر للذهن عند انتفاء القرينة أحدهما .

ويرى آخرون أن المستفاد من دليل قطعى يكون للتحريم ، والمستفاد من دليل ظنى يكون للكراهة وهذا ما نقله الشوكانى عن بعض الحنفية ورده بأن الكلام فى مفاد طلب الترك بأصل وضع اللغة دون نظر للدليل . ويبدو لنا أن هذا الرأى لمحمد بن الحسن من فقهاء الحنفية . فهو الذى قال : ان الحكم الاقتضائى الناهى على سبيل الجزم ان كان دليله قطعيا أفاد التحريم وان كان دليله ظنيا أفاد الكراهة التحريمية .

مفاد النهى بعد الاذن :

سبق أن تكلمنا فى المقال السابق عن مفاد الأمر بعد الحظر وبينا أقوال الأصوليين فيه وأن ذلك قرينة كما يرى الكثير منهم على افادة مجرد الاباحة . والمسألة هنا لا تختلف كثيرا عما قلناه هناك . فالقائلون بأن الأمر بعد الحظر يفيد الوجوب . يقولون : ان النهى بعد الاذن يفيد التحريم دون خلاف فقــد ورد الاذن بنكاح المتعة فى غزوة خيبر ثم جاء النهى عنها بعــد ذلك فأفاد ذلك النهى تحريم المتعــة .



اما بالنسبة لمن قالوا : ان الأمر بعد الحظر يفيد الاباحة . فجمهورهم على أن النهى بعد الاذن يفيد التحريم . بل حكى أبو اسحق الاسفراينى الاجماع على أن ذلك لا يكون قرينة للاباحة .

وهناك من قال : ان النهى اذا كان مسبوقا بالايجاب أفاد الاباحة . وهو كلام غير مستساغ بحال . اذ كيف يستساغ أن تفهم من قوله تعالى : **« ولا تقتلوا النفس .. »** (الأنعام ١٥١) اباحة القتل . مع أنه ورد الايجاب بالقتل فى قوله تعالى : **« فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم »** (التوبة ٥) .

النهى واقتضاؤه التكرار والفور :

سبق أن بينا أقوال الأصوليين فى افادة الأمر التكرار والفورية فى المقال السابق . لكن النهى كما يقول الشوكانى : يخالف الأمر فى كونه يقتضى التكرار فى جميع الأزمنة وفى كونه للفور فيجب ترك الفعل فى الحال لكن البيضاوى فى المنهاج يقول : والنهى كالأمر فى التكرار والفور ، ويبين الأسنوى هذه العبارة بقوله : ان النهى حكمه حكم الأمر فى أنه لا يدل على التكرار ولا على الفور ونقل عن الآمدى وابن الحاجب انهما صححا أنه للتكرار والفور ، وأن البيضاوى نفسه جزم به فى موضع آخر سابق فى كتابه . ونقل عن المحصول انه المشهور ، وعن ابن برهان أنه مجمع عليه . وفى المرقاة وشرحها المرآة ان النهى يوجب دوام الترك لأن معنى (لا تضرب) مثلا . لا يصدر منك ضرب . والنكرة فى سياق النفى تعم الا اذا قامت قرينة على انتفاء الدوام مثل قوله تعالى : **« لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى »** (النساء ٤٣) .

والذى ننتهى اليه فى هذا ان النهى يدل على طلب الامتناع فورا لما فيه من مفسدة لا يقرها الشرع ، كما يدل على دوام المنع واستمراره مقاومة لما فى الفعل من مفسدة . فالنهى يقتضى انتفاء الحقيقة وذلك يكون بانتفائها فى كل الأوقات . فالفور والتكرار من مدلول صيغة النهى وضعا ما لم توجد قرينة صارفة تحدد مدة للبدء أو للانتهاء .

اقتضاء النهى فساد المنهى عنه :

من المتفق عليه أن الفعل الذى يقع موافقا للشرع لاشتماله على ما يعتبر فيه شرعا من الأركان والشروط يحكم عليه بالصحة فتترتب عليه جميع آثاره ، كما أن ما اختل فيه ركن من أركانه أو فقد شرطا من شروط صحته كان غير صحيح فلا تترتب على الفعل نفسه الآثار الشرعية ، وذلك لنهى الشرع عنه لما لحقه من خلل فى أصله أو فيما اتصل به وان كان الحنفية ينظرون الى سبب



نهى الشارع فان كان لخلل فى أصله اعتبروه باطلا فلا اعتبار له البتة ، وان كان سبب النهى أمر خارج عنه متصل به اعتبروه فاسدا وقالوا : انه وان كان غير معتبر شرعا فلا تترتب عليه نفسه آثار لأن الشارع لا يقره ويوجب نقضه غير انهم قالوا : اذا تعذر نقضه تترتب بعض الآثار الشرعية على ما هو مبين فى كتب الفقه الحنفى ، وفى كتب الأصول .

وبعد أن عرفت هذا . نقول : ان المنهى عنه قد يكون أمرا من أمور العبادات أو أمرا من أمور المعاملات ، والنهى فى العبادات قد يكون لأمر خارج لازم كالنهى عن صوم الحائض وصلاتها وقد يكون لأمر خارج غير لازم كالنهى عن الصلاة فى المكان المغتصب والثوب المغصوب والنهى عن الوضوء بالماء المغصوب والنهى فى المعاملات قد يكون أيضا لأمر خارج لازم كالنهى عن الربا وقد يكون لأمر خارج غير لازم كالنهى عن البيع وقت النداء لصلاة الجمعة، وقد كثر كلام الأصوليين فى هذا وتشعبت أقوالهم فى أثر النهى فى المنهى عنه ، وقد توسعت كتب الحنفية خاصة فى عرض هذا الموضوع نظرا لتفرقتهم بين الفساد والبطلان على ما بيناه فى موضعه .

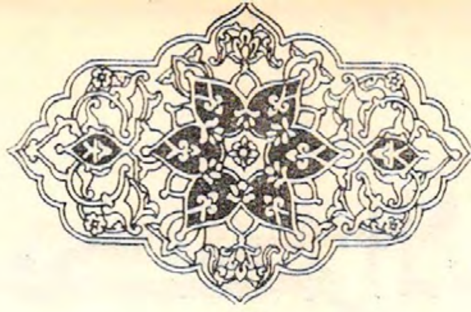
وجمهور الأصوليين على أن النهى اذا تعلق بالفعل لقبح فى ذاته كان النهى مقتضيا للفساد المرادف للبطلان عندهم .

وقد نقل الشوكانى قولا بأن النهى لا يقتضى الفساد الا فى العبادات فقط لأن العبادات المنهى عنها لو صحت لكانت مأمورا بها فيجتمع النقيضان : الأمر والنهى ، ولولا عدم اقتضائه فساد المنهى عنه فى غير العبادات لكان غسل النجاسة بماء مغصوب ، والذبح بسكين مغصوب ، والبيع وقت النداء لصلاة الجمعة وطلاق البدعة والمباشرة فى فترة الحيض غير مستتبعة آثارها من زوال النجاسة وحل الذبيحة وترتب أحكام الطلاق والملك . وهذا باطل فلزم أن النهى فى غير العبادات لا يقتضى فساد المنهى عنه .

وهناك جماعة من الشافعية والحنفية ــ كما ينقل الشوكانى أيضا .. يقولون : ان النهى لا يقتضى فساد المنهى عنه مطلقا ، عبادة كان المنهى عنه أو غيرها ، ويقول الأسنوى : انه المنقول عن إكثر الفقهاء ويقول الآمدى : انه منقول عن المحققين .

غير أن الشوكانى يقول : الحق أن كل نهى من غير فرق بين العبادات وغيرها يقتضى تحريم المنهى عنه وبطلانه وعدم ترتب اى اثر عليه لعدم اعتبار الشارع له ، الا اذا قامت قرينة خاصة تدل على اعتباره وترتب الأثر عليه .

يدل على أن النهى يقتضى فساد المنهى عنه وعدم اعتباره البتة ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد » اذ المنهى عنه ليس عليه أمرنا فيكون ردا ، وما كان مردودا كان باطلا . ويدل ايضا ما روى عنه صلى الله عليه وسلم : **« اذا أمرتكم بشىء فاتوا منه ما استطعتم . واذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه »** فقد افاد وجوب ترك المنهى عنه . اما اذا كان النهى فى وصف اتصف بغير حق مما يعتبر اكلا لأموال



الناس بالباطل ، فجمهور الاصوليين يرون أن النهى يدل على فساد نفس الوصف دون الأصل ، فعقد الربا تبطل فيه الزيادة ، اذ هى المنهى عنها ، ومن الأصوليين من قال : ان النهى فيها يقتضى فساد الاصل أيضا فيبطل العقد كلية .

وفقهاء الحنفية يتفقون مع القائلين بأن النهى يقتضى بطلان المنهى عنه اذا كان النهى عن الشىء لقبح فى ذاته . أما اذا كان النهى لوصف اتصل به فيقولون انه فى العبادات يقتضى البطلان . أما فى المعاملات المالية فانهم رتبوا عليه درجة بين الصحة والبطلان . هى الفساد الذى هو أشبه بما يعبر عنه رجال القانون بالبطلان النسبى .

بقى ما اذا كان سبب النهى أمر خارج عن الفعل اقترن به دون أن يكون مؤثرا فى حقيقته أو فى شروطه كالصلاة فى الدار المغصوبة فان جمهور الفقهاء ومنهم الحنفية على أن التصرف صحيح وإن لحقته الكراهة خلافا للظاهرية وبعض أقوال لبعض الأئمة .

متعلق النهى :

متعلق النهى قد يكون أمرا حسيا كالكفر والزنى والقتل والغصب وهذا لم يرد الشرع باباحته فى أى ملة ولم يجعله سببا لتحقق نعمة تعود على مرتكبها كى لا يستفيد من جرمه وقد يكون متعلق النهى أمر شرعى ، وهذا يكون النهى عنه لسبب خارج عن ذاته فتثبت الحرمة لمخالفة المطلوب فقط ، ومع هذا فقد تكون سببا للنعمة فى بعض الظروف والأحوال كأكل الميتة للمضطر فان ما فيها من قبح سقط فى المخمصة . أما قبح الكفر والزنى فلا يسقط بشىء حتى قال الحنفية بالنسبة لمن أكره على الكفر : ان الرخصة له فى النطق بكلمة الكفر مع اطمئنان قلبه بالايمان رخصة مجازية لبقاء المحرم والحرمة .

وبعد فلعلك يا أخى القارىء تغفر لنا هنا ما سببناه لك من جهد ذهنى بعرض هذا الموضوع وسابقه لما فيهما من عمق ودقة ، وانما أردت أن أضع أمامك دقة الاصوليين والفقهاء وأرشدك الى طريق التعرف على الاحكام الشرعية من الأوامر والنواهى فى نصوص التشريع الاسلامى ، والله الموفق للصواب والهادى الى الرشاد .



حكم الاسرى

والرق والاسترقاق في القرآن والسنة

بقلم : الأستاذ محمد عزة دروزة

— ١ —

قرأت المقال القيم للدكتور احمد الحجى الكردى فى حكم الرق والاسترقاق فى الاسلام المنشور فى عدد ذى القعدة ١٣٩٣ من مجلة الوعى الاسلامى . وفيه آراء صحيحة .

وقد رايت ان اكتب هذا المقال لاوضح جوانب أخرى من الأمر ولاستدرك بعض الاستدراكات . وأرجو ان يكون فى ذلك فائدة وصواب .

— ٢ —

ان ما جاء فى مقال الدكتور الحجى من أن الاسلام لم يحرم الرق وانه لا يجوز لمسلم أن يقول انه حرام صحيح غير أن ما قاله فريق من الباحثين من ان الاسلام لم ينشىء الرق ولم يوجبه وانه كان نظاما شائعا فى العالم قبل الاسلام وكان له تأثير فى اقتصاديات البيئة العربية وان الاسلام عالجه على هذا الاعتبار واجازه ونظمه وهدف فى الوقت نفسه الى الغائه صحيح ايضا .

وكل ما جاء فى صدده فى القرآن والسنة دار فى هذا النطاق وهما فى المتناول . وكل نير واع حصيف يستطيع ان يلمح فيهما ذلك بكل شمول ووضوح . وليس من تعارض بين القول ان الاسلام لم يحرمه وبين القول انه هدف الى الغائه كما هو المتبادر كما أنه ليس فى ذلك شطط لانه ملموح فيما جاء فى القرآن والسنة .

— ٣ —

ولقد كرم الله الانسان على ما جاء

فى القرآن بأساليب متنوعة . ولقد خلق الله الناس احرارا . والرق طارىء على الانسانية نتيجة ظلم القوى للضعيف والغالب للمغلوب وليس هو من تكوينها الذى يتوقف على ديمومته حياتها وليس هو أصل فى العقائد والمبادىء والاهداف الاسلامية . بل ليس فيه شىء مما هدف اليه الاسلام من عدل وحق وحرية ومساواة وكرامة ، وفيه ما حاربه الاسلام وهدف الى ازالته من ظلم ودونية وتمايز وارهاق وتسلط وحرمان . والاسلام جاء ليكون دين البشرية جمعاء وانطوى فيه الاستجابة لكل حاجة من حاجاتها وحالة من حالاتها ومشكلة من مشكلاتها بما فيه الافضل والاصلح والانفع والامثل والاعدل على المدى القريب والبعيد معا . فلا بدع أن يعالج الرق معالجة متسقة مع حالة الصدر الاسلامى الاول ثم أن يستهدف إلغاءه فى المدى القريب أو البعيد .

— ٤ —

ولقد حث القرآن على عتق الرقاب فى وقت مبكر من العهد المكى (**فلا اقتحم العقبة . وما ادراك ما العقبة . فك رقبة ..**) سورة البلد (١١ — ١٣) وحث على انفاق المال على حبه تطوعا لعتقها (**ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ...**) (البقرة ١٧٧) وجعل ذلك كفارة لليمين (**لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ..**) (المائدة ٨٩) وكفارة الظهار (**والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا . المجادلة ٤**) وكفارة على القتل الخطأ (**وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا . فان كان من عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنه وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحريررقبة مؤمنة** . ») (**النساء ٩٢**) وحث مالكى الرقيق على قبول طلب رقيقهم بشراء أنفسهم (**والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ..** (**النور ٣٤**) وشرح النبى صلى الله عليه وسلم تحرير الاماء اللاتى يلدن من مالكيهم حال يموتون على ما جاء فى حديث رواه أحمد وابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ايما امرأة ولدت من سيدها فهى معتقة دبر موته) وهذا باب واسع جدا . وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على العتق التطوعى فى احاديث عديدة منها ما يلى :

١ — روى الشيخان والترمذى عن سعيد بن مرجانة قال (قال لى ابو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل اعتق امرءا مسلما استنقذ الله بكل عضو منه عضوا من النار . قال سعيد فانطلقت الى على ابن حسين فأخبرته فعمد الى عبد له قد اعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة الآف درهم أو الف دينار فاعتقه) (١).

٢ — روى مسلم والترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من

(١و٢) التاج ح ٢ ص ٣٥٠ و ١٤٦ وهناك أحاديث صحيحة أخرى فيها ما فى هذين الحديثين انظر نفس المصدر .

اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار) (٢) .

٣ — روى الامام أحمد عن البراء بن عازب قال (جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمنى عملا يدخلنى الجنة فقال له لئن اقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة . اعتق النسمة وفك الرقبة . فقال يا رسول الله أوليستا واحدة . قال لا أن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين فى فكها) (٣) ثم بلغ الامر ذروته فى جعل تحرير الرقاب واجبا من واجبات الدولة الاسلامية وجزءا من نظامها المالى وهو ما جاء فى آية سورة التوبة هذه (**انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله .. ٦٠)** .

ففى كل هذا دلائل تدعيمية لاستنتاج هدف ازالة الغاء الرق لما فيه من دون ريب من دونية للرقيق وحرمان وارهاق وعذاب وتعارض مع كرامة الانسان وحريته ومجافاة للعدل والحق والمساواة . وطرق عملية لازالته والغائه وليس من تفسير لذلك غير هذا .

— ٥ —

ولقد نوه الدكتور الحجى فى مقاله بحسن معاملة الاسلام للرقيق ونظرته المختلفة عن نظرة غيره اليه . وقال فيما قال أن الاسر أو استرقاق الاسرى هو مدرسة لتربية الاسير وكبحه . واذا كان الدكتور يقول هذا فى معرض تبرير الرق واسترقاق الاسرى فى الاسلام وتبرير دوامهما فلا نظن أن احدا يمكن ان يوافقه عليه . فالرق واسترقاق الاسرى كانا سائدين قبل الاسلام ولم ينشئهما الاسلام حتى يكون محل لتبريرهما فضلا عن تبرير دوامهما . وانما اجازهما اجازة ونظمهما وحسب وهدف خلال ذلك الى ازالتهما بالطرق القرآنية والنبوية المتعددة مما فيه دلالة على انه كان يعتبر الرق ظلما ومجافيا لكرامة الانسان وحريته على ما شرحناه قبل .

ومعاملة الاسلام الحسنة للرق هى من طبيعة الاسلام السمحاء تجاه كل انسان اذا لم يكن فاسقا مجرما . وفى آية سورة النساء هذه شاهد على ذلك (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ..**)

ولقد كان الرقيق عند المسلمين فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم يتعرضون للتعذيب والارهاق والحرمان وسوء الاستغلال امتدادا لما كان عليه الامر قبل الاسلام حتى روى فيما روى ان بعضهم كان يطلب من امائه ان يؤجرن أجسادهن للزنى فيأخذ اجرتهن وان جملة (**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد أكراههن غفور رحيم**) فى آية سورة النور ٣٣ (٤) فكان ذلك مناسبة لما ورد فى صدد احسان معاملتهم فى القرآن والحديث وفى آية سورة النساء التى أوردناها آنفا شاهد قرآنى . وهذه طائفة من الاحاديث فى ذلك .

١ — روى الشيخان وأبو داوود

---

(٣) يروى هذا الحديث ابن كثير فى سياق سورة البلد .

(٤) ننبه أن هذا ما روى عن كبير المنافقين .

عن المعرور بن سويد قال مررنا بأبى ذر بالربذة وعليه برد وعلى غلامه مثله . فقلنا يا أبا ذر لو جمعت بينهما كانت حلة . فقال أنه كان بينى وبين رجل من أخوانى كلام وكانت أمه أعجمية فعيرته بها فشكانى الى النبى صلى الله عليه وسلم فلقيته فقال يا أبا ذر أنك أمرؤ فيك جاهلية قلت يا رسول الله من سب الرجال سبوا أباه وأمه . قال يا أبا ذر انك امرؤ فيك جاهلية . هم أخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فاطعموهم مما تأكلون . والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم . فان كلفتموهم فاعينوهم . ولفظ أبى داوود انهم اخوانكم فضلكم الله عليهم فمن لا يلائمكم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله (٥) .

٢ — وروى الترمذى وأبو داوود عن ابن مسعود قال (كنت أضرب غلاما لى فسمعت صوتا من خلفى . أعلم أبا مسعود مرتين الله أقدر عليك منك عليه . فالتفت فاذا هو النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله قال أما لو لم تفعل لمستك النار) (٦) .

٣ — روى مسلم وابو داوود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته ان يعتقه) (٧) .

٤ — روى أبو داوود والترمذى عن ابن عمر قال (جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت فاعاد عليه الكلام فصمت فلما كان فى الثالثة قال فى كل يوم سبعين مرة) (٨) .

ولا يستطيع احد أن يدعى ان هذا الاعنات والاذلال والحرمان قد زال بعد النبى صلى الله عليه وسلم .

وصفة الرق تلزم الانسان فى الاسلام اذا كان الرقيق من نسل رقيق قبل الاسلام أو استرقه ولى أمر المؤمنين بعد اسره وسبيه فى حرب شرعية بين المسلمين وبين كفار أعداء معتدين على الاسلام والمسلمين أو من نسلهم . مع التنبيه على أن الاسير يستطيع أن يمنع عن نفسه الرق اذا أسلم قبل قرار استرقاقه .

ولا يصح لولى أمر المؤمنين ومن باب أولى لاى مسلم ان يأسر ويسترق كافرا لكفره فقط أو لانه من جماعة كفار . ان لم يكونوا أعداء معتدين محاربين . فالاسلام لم يجعل للمسلمين سبيلا على الكافر المسالم المحايد كما جاء فى آية سورة النساء هذه (**الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** .. ٩١) . وفى سورة الممتحنة هذه الآية (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين** .. ٨) فلا يصح على هؤلاء استرقاق بالتبعية . وهذا ينسحب على الكافر الذى بينه وبين المسلمين عهد وميثاق ما دام مستقيما على عهده غير ناكث له . وفى آية النساء التى أوردناها آنفا اشارة الى ذلك وفى آية سورة التوبة هذه اشارة أخرى (**الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم . أن**

(٥) التاج ج ٢ ص ٢٥١ بعض هذا الحديث أورده الدكتور الحجى ولكنا رأينا أن نورده بتمامه لانه ينطوى على ما أردنا تقريره من أن الرقيق كانوا يتعرضون من بعض المسلمين فى زمن النبى للارهاق والعذاب وان الحديث كان فى هذه المناسبة .

(٦) (٧) (٨) التاج ج ٢ ص ٢٥٢ و ج ٥ ص ١١ وهناك أحاديث أخرى فاكتفينا بما تقدم .

الله يحب المتقين .. ١١) وفى القرآن والسنة نصوص عديدة توجب على المسلمين الوفاء بعهودهم . وهذا ينسحب أيضا على الكافر الخاضع للجزية لانه فى حكم المعاهد . وهكذا يكون كل بيع وشراء لبيض وسود وكل معاملة لشخص ما ابيض وأسود كعبد باطلا وحراما أن لم يكن من نسل رقيق قبل الاسلام أو مسترقا من جانب المسلمين من كفار أعداء محاربين لهم أو من نسلهم . ولا يصح لمسلم أن يشترى شخصا كافرا من كافر أو مسلم قد يكون وقع فى أسر كافر واسترقه وباعه على هذا الاساس لان استرقاقه غير شرعى اسلامى .

— ٧ —

ولقد كان المصدر الاكبر للرقيق قبل الاسلام أسرى الحرب وسباياها (٩) وظل ذلك كذلك فى الاسلام . ولقد عالج الله ورسوله هذا الامر معالجة حكيمة ليس من الشطط ان يقال أنها يمكن أن تؤدى الى سد باب هذا المصدر واليك البيان :

١ — ان أول ما نزل من القرآن فى صدد الاسرى هو آيات سورة الانفال هذه (**وما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله أن الله غفور رحيم ..)**

وقد نزلت معاتبة للنبى لانه أخذ أسرى من قريش فى واقعة بدر فقتل بعضهم واطلق سراح معظمهم بالفداء ومن على بعض آخر فاطلق سراحهم بدون فداء . وقد نبهته الآيات الى أنه كان الاولى أن يتشدد فى قتال الكفار وان لا يهتم لاخذ أسرى منهم الا بعد أن يكون قد اثخن فيهم أى القى الرعب فى قلوبهم وجعلهم عاجزين عن القتال والعدوان . ووطد رهبة الاسلام والمسلمين فى قلوبهم . وقد أحل الله له فى الآيات ما أخذه من فدية .

٢ — ثم نزلت آية سورة محمد هذه (**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها .. ٣) ..**

وواضح أنه ليس من تعارض بين آيات الانفال وهذه الآية . وكل منهما موضح ومتمم للاخرى .

وأسلوب هذه الآية تشريعى يحدد معالجة أسرى الحرب باحدى الطريقتين وفقا لما يراه المسلمون بعد أن تضع الحرب أوزارها (١٠) .

٣ — وفى سورة الاحزاب هذه

---

(٩) — فى سورة الانسان آية ذكر فيها الاسيرمرادفا على الارجح للعبد (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا) حيث يؤيدهذا كون الاسر هو المصدر الاكبر أن لم يكن الاوحد للاسترقاق والآية مكية أى قبل أن يكون هناك حرب اسلامية يؤسر فيها اسرى حيث يفيد هذا أن هذا المعنى لكلمة الاسير هو ما كان مفهوما قبل الاسلام .

(١٠) — اختلفت تاويلات المؤولين لهذه الجملةفمنهم من قال حتى منتهى الحرب باسلام الكفار ومنهم من قال حتى تنتهى الحرب باسلامهم اوبخضوعهم للجزية أو بصلح معهم . والمن والفداء انما يكونان بالنسبة لاناس لم يسلموا لان الاسلام يحررهم من الاسر فيكون المن والفداء بالنسبة لهم غير ذى موضوع . ونرجح هذاالقول الذى فيه المرجح على القول الاول ومن الثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ فديةمن أسرى وبقوا على دينهم ومن على أسرى وبقوا على دينهم على ما سوف ياتى ذكره بعدوفى سورة الانفال هذه الايات (يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم . وان يريدوا خيانتك فقدخانوا الله من قبل فامكن منهم والله عزيز حكيم) وهى تؤيد هذا القول حيث يبدو أن الاسرى أوبعضهم وعد بالمسالمة أو بالتفكير بالاسلام وان الآية افترضت أن ينكثوا بما وعدوا وان يخونوا فان الى اطلقهم وهم على دينهم .

الآيات (**وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وارضا لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديرا ٠٠ ٢٦ و ٢٧)**

والآية نزلت على ما أجمع عليه الرواة فى صدد يهود بنى قريظة الذين نقضوا عهد المسالمة مع المسلمين وظاهروا احزاب كفار العرب وقريش التى زحفت على المدينة فى جمع عظيم ليستأصلوا شأفة الاسلام والمسلمين فيها . وقد زلزل المسلمون زلزالا شديدا وزاغت أبصارهم وبلغت قلوبهم الحناجر وخامر بعضهم الظنون فى الله واسفر المنافقون والذين فى قلوبهم مرض عن موقف عدائى وكيدى شديد على ما جاء فى سلسلة آيات سورة الاحزاب (١٠ — ١٥) .

وقد روى فى صدد ما استحقه بنو قريظة من العقوبة التى ذكرت فى الايات ٢٦ و ٢٧ حديث رواه الشيخان والترمذى عن ابى سعيد قال (لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ أرسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم وكان قريبا منه فجاء على حمار فلما دنا قال صلى الله عليه وسلم قوموا لسيدكم فجاء فجلس الى النبى فقال له ان هؤلاء نزلوا على حكمك . قال فانى احكم أن تقتل المقاتلة وان تسبى الذرية . قال لقد حكمت فيهم بحكم الله) (١١) .

والحديث يفسر كلمة تأسرون فى الآية بمعنى (تسترقون) كما هو واضح وهذا التفسير متسق مع ما ذكرناه فى الذيل التاسع من ان الأسير كان يعنى الرقيق والعبد قبل الاسلام)

٤ — وليس هناك ما يساعد على القول أى من آيات الاحزاب ومحمد نزلت قبل الاخرى . ولكن الروايات المتواترة تذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم مارس بعد آية محمد استرقاق السبى مع ممارسة المن والفداء بحيث يمكن القول أن أيا من الآيات لم تنسخ الاخرى . وان القواعد الاربع التى انطوت بالنسبة لاسرى الحرب وسباياها أى المن والفداء والقتل والاسترقاق ظلت ممارسة الى آخر حياة النبى صلى الله عليه وسلم . والروايات متواترة على انها كانت ممارسة فى عهد الخلفاء الراشدين وبعدهم .

٥ — والمتمعن فى آيات محمد والاحزاب لا بد من أن يلمح فرقا هاما فى الاسلوب والمدى . ففى آية الاحزاب حكاية لممارسة المسلمين لقاعدتى القتل والاسترقاق بدون تثريب مما ينطوى فيه اجازة ربانية لذلك . فى حين أن أسلوب آية محمد تشريعى ايجابى بالتخيير بين المن والفداء .

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم قتل من أسرى بدر عقبة بن معيط والنضر بن الحارث لشدة اذيتهما للنبى والمسلمين وكان ذلك قبل نزول آيات الاحزاب ومحمد . ولم نطلع على خبر أو حديث يفيد أنه مارس قاعدة القتل بعد قتل بنى قريظة . وكل ما أطلعنا عليه هو ممارسة للمن والفداء واسترقاق السبى النساء والاطفال وقد استرق سبى هوازن وبنى المصطلق ويهود خيبر . ثم أطلق سبى هوازن بمشاورة وموافقة المسلمين حينما اسلم رجالهم والتمسوا من النبى اطلاق سبيهم . واطلق بعض سبى بنى

---

(١١) — **انظر التاج ج ع ص ٣٧٧ وهناك حديثرواه الشيخان عن عائشة فيه هذا الخبر مع** شيء من **الزيادة فيها ذكر سبى النساء مع الذرية انظر ص ٣٧٦ .**

المصطلق منا وبعضه بفداء (١٢) . بل ولم نطلع على خبر وثيق يفيد أنه مارس الاسترقاق غير ما تقدم . وكل ما اطلعنا عليه من ممارساته هو المن والفـداء ومبادلـة أسرى مشركين باسرى فى يد الكفار (١٣) .

٦ ـ ومهما يكن من أمر فالمتبادر من أسلوب آيات محمد والاحزاب هو أن آى المن أو الفداء هما القاعـدتان القرآنيتان التشريعيتان الموجبتان وان القتـل والاسترقاق مجـازان إجازة وان ولى أمر المؤمنين يستطيـع أن يكتفى بتطبيق قاعدتى المن والفداء وان لا يطبق قاعدتى القتل والاسترقاق اذا رأى ذلك من مصلحة المسلمين .

٧ ـ ولقد ذكرالدكتور الحجىأقوال بعض الفقهاء بكون النساء والاطفال يسترقون تلقائيا . وقد يفيد هـذا عدم جواز اطلاق سراحهم بالمن والفداء والنص القرانى مطلق . وليس هناك أحاديث نبوية موجبة فيما أطلعنا عليه وان كان من المحتمل أن تكون تلـك الاقوال من وحى ممارسـات النبى صلى الله عليه وسلم . ولـكن ممارسات النبى تنوعت نتائجهـا فالسبى الذى استرقه من بنى قريظة باعه واشترى به سلاحا على ما روته الروايات أو قسمه على المسلمين كما جاء فى رواية أخرى . وسبى هوازن أطلقه منا بـدون فـداء . وسبى المصطلق أطلقه بالفداء كما ذكرنا قبل وهناك حديث يرويه رواة الحديث من طرق عديدة . يذكـر أن النبى صلى الله عليه وسلم قد من على أخت عدى ابن حاتم التى كانت من جملة سبى سباه بعض سرايا الرسـول صلـى الله عليه وسلم (١٤) بحيث يمـكن القول ان من حق ولى امر المؤمنين أن يمن على السبى من نساء واطفال أو ان يطلقهم بفداء وان استرقـاق النساء والاطفال ليس هو القاعـدة الوحيدة فيهم .

واذا جاز المن والفداء بالنسبـة للرجال ودون أن يسلموا علـى ما شرحناه سابقا واحتمال عودتهم الى العداء والحرب والخيانة وارد فان المن والفداء بالنسبة للنساء والاطفال يكون جائزا من باب أولى وهذا فضلا عن أن الاسترقاق الذى مورس فى حق النساء والاطفال والـذى عبرت عنه كلمة تأسرون فى آيات الاحزاب ليس ايجابيا وانما هو مجاز اجـازة وليس من شأن هذا ان يمنع ولى أمر المؤمنين من اطلاق سراحهـم بالمن والفداء .

٨ ـ ولقد كان المصدر الاكبر للرق هو أسرى الحرب كما قلنا قبـل . ومهما يكن من حق ولى أمر المؤمنين بالاسترقاق بالاضافة الى المن والفداء فان هاتين القاعـدتين اللتين جاءتا بأسلوب تشريعـى فى القـرآن دون الاسترقاق الذى أجيز اجازة واللتين يستطيع ولى أمر المؤمنين أن يكتفـى بهما تنطويان على ضربة قاضيـة أو شبه قاضية الى ذلك المصدر كما هو المتبادر حيث يصح للدولة الاسلاميـة أن تكتفى بالمن والفداء والمبادلة بدون حرج فتسد بذلـك باب استرقـاق الأسرى .

ـ ٩ ـ

وحينئذ يبقى الارقاء الموجودون .

---

(١٢) انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٠٦ و١٦١ و ٢٠٦ .

(١٣) خذ انى فدية من اسرى بدر وهذا ينصالقرآن . ومن على ثمامة بن أثال سيد الجان كما جاء فى حديث رواه الثلاثة (انظر التاجج ع ص ٣٥٣ و ٣٥٤ وفدى رجلين من المشركين برجل من المسلمين كما جاء فى حـديث رواهالترمذى (التاج ع ص ٣٥٤) .

(١٤) أنظر مجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٣٤ و٣٣٥ .

فما كان منهم شرعى الرق — أى من نسل رقيق قبل الاسلام أو استرق فى حرب شرعية أو نسل مسترق — فالطرق القرآنية والنبوية كفيلة بتحريرهم . وعلى الدولة أن تلح على مالكيهم بالتقرب الى الله بعتقهم فاذا لم يفعلوا فعليها أن تشتريهم من مالكيهم من مالها وهو من واجباتها بل وهذا هو الاولى بها وعليها . وما كان غير شرعى الرق وهؤلاء على ما نرجح هم أكثر ما يعاملون فى البلاد العربية معاملة الرق فعلى الدولة أن تحررهم أى ان تعلن أنهم أحرار رفعا للظلم والتسلط وهذا من واجبها .

— ١٠ —

والمتدبر فى أحوال البلاد العربية والاسلامية يرى أن باب استرقاق أسرى الحرب مغلق منذ قرون عديدة فلا يتجدد أرقاء من هذا الباب . ويرى أن الارقاء القدماء من أسرى الحروب الاسلامية الاولى الذين صار يعرف أكثرهم بالمماليك أيضا هم فى طريق التصفية . وان ما يجرى من تعامل بيع وشراء لنساء وأولاد ورجال سود أو بيض هو استرقاق قسرى وتهريب وخطف على الاعم الاغلب ولا يستند الى أصل شرعى ولا يعد رقيقا ملك يمين من الوجهة الشرعية الاسلامية .

وعلى هذا فلسنا نرى باسا وحرجا شرعيا فى موافقة الدول الاسلامية على الميثاق الدولى بالغاء الرق الذى هو مما هدف اليه الاسلام على ما شرحناه بل وان لها والمسلمين عامة ان يعتزوا بدينهم العظيم من أجل هذا الهدف الذى هدف اليه قبل أربعة عشر قرنا ولم تستطع الانسانية أن تجمع على هديه الا فى القرن السابق

ولسنا نرى محلا للتثريب على الدولة الاسلامية من جراء اهمالها لادخال أحكام الرق فى قوانينها الحديثة لان ذلك كاد أن يصبح غير ذى موضوع عمليا ونظريا بعد أن تحقق هدف الغاء الرق دوليا وورس قانونيا .

ومن الوجهة الشرعية الاسلامية يمكن أن يبقى باب استرقاق اسرى الحرب مغلقا وهو فى أصله مجاز اجازة وليس واجبا شرعيا . والارقاء الشرعيون يمكن أن يصغوا بالتحرير ، بل نكاد نقول إنهم صفوا أو فى طريق التصفية فعلا والدول الاسلامية قادرة ومن واجبها إنهاء ذلك ، وغير الشرعيون يمكن أن يصفوا بالتحرير وبل نكاد نقول انهم صفوا أو فى طريق التصفية فعلا والدول الاسلامية قادرة ومن واجبها انهاء ذلك ، وغير الشرعيين تحررهم الدولة بالقانون لأن استبعادهم ظلم فى أصله وليس له أصل من شرع والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين .



مائدة القارئ

« وننزل من القرآن ما هو شفــاءورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا » .
(٨٢ سورة الاسراء)

طب الإيمــان

عن عائشـــة رضى الله عنهـــا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما ، فقرأ فيهما : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقــل أعوذ برب الناس ، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده . يفعل ذلك ثلاث مرات .

وتقول عائشة فى رواية أخرى ، ولما اشتد وجعه كنت أقــرأ عليــه وأمسح بيده رجاء بركتها .

(البخارى)

معلم الصبيــان

قال الجاحظ : مررت بمعلم صبيان وعنده عصا قصيرة ، وعصا طويلة وصولجان ، وكرة ، وطبل وبوق . فقلت له : ما هذا ؟

فقال : عندى صغار أوباش . أقول لأحدهم : اقرأ لوحك ، فيصفر لــى فأضربه بالعصا القصيرة ، فيتأخـــر فأضربه بالعصا الطويلة ، فيفر من بين يدى فأضع الــكرة فى الصولجـــان واضربه فأشجه ، فيقوم الى الصغار كلهم بالألواح فأجعل الطبل فى عنقى والبوق فى فمى واضرب الطبل وأنفخ فى البوق ، فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الى ويخلصوننى منهم .

تحديـــد النســـل

يخبر رسول الله صلى الله عليهوسلم عن زمان يتنافس فيه النـــاس فى تحديد النسل فيقول : ليأتين علىالناس زمان يغبط فيه الرجل لخفـــة الحاذ كما يغبـــط اليـــوم أبو العشرة((والحاذ شجر قليل الورق)) . قال فى لسان العرب : ضربه الرســـولصلى الله عليه وســـلم مثلا لقلـــة العيال .

وحدة الأمة الاسلامية

ممالك ضمها الاسلام فـــى رحم
وشيجة وحواها الشرق فى نسب

ولا أزيدك بالاســـلام معرفـــة
كل المروءة فى الاسلام والحسب

أهـــل الحديث

أهل الحديث همو أهل النبى وان
لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

ســـبحانك

سبحانك . متى غبت حتى نحتاج الى دليل يدل عليك . ومتى بعـــدت حتى تكون الآثـــار هى التى توصـــل اليك ؟ أيكون لغيرك من الظهور مـــا ليس لك حتى يكون هو المظهر لـــك ؟ عميت عين لا تـــراك رقيبا عليهـــا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له مـــن حبك نصيبا .

الإمام الحسين

الى المتقاعدين

لما كبر أبو الأسود الدؤلى وأســـنكان يركب الى المسجد والســـوق ، ويزور أصدقاءه فقال له رجل : يا أباالأسود أراك تكثـــر الركوب وقـــد ضعفت عن الحركة وكبرت فلو لزمتمنزلك كان أودع لك .

فقال أبو الأسود : صدقت ، ولكنالركوب يشد أعضائى ، وأسمع من أخبار الناس ما لم أسمعه فى بيتى ،وأستنشق الريح وألقى اخوانى ، ولو جلست فى بيتى لاغتم أهلى وأنس بىالصبى وأجترأ على الخادم ، وكلمنى من لا يهاب كلامى لألفهـــم ايـــاىوجلوسهم عندى حتى لعل العنـــزات تبول على فلا يقول لها أحد هش .

دور المؤسسات
تعاطى المخدرات



للـــدكتور احمد على المجدوب

لا شك فى أهمية الدين كعـــامل من العوامل التى يمكن الاستعانة بها لمواجهة المظاهر المختلفة للسـلوك غير السوى ، وخاصة فى مجتمـع يتمسك بعقيدته ويحرص على اتباع تعاليمها فيعمل بما أمرت به وينتهى عما نهت عنه كالمجتمع الاسلامى . وبالنســبة للـــدور الذى يمكن ، أو بالأحرى يجب أن تلعبه المؤسسات الدينيـــة للوقاية من ظـــاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها ، فان هـــذا الدور تتدخل فى تحديده عوامل كثيرة واعتبارات متعددة من بينها نوع هذه المؤسسات والمجال الذى تزاول فيه نشاطها ، والامكانيات المتاحـــة لها لمزاولة هذا النشاط فى المستوى الذى يحقق فعالية معينة ثم ، وهذا هو الأهم ، مدى قدرتها على مواجهـــة مشكلة تعاطى المخدرات فى حـــدود ادراكها للمشكلة ونظرتها اليها فى ظل الظروف السائدة . والمقصود بهذا هو ، هل تعتبر هـــذه المؤسســـات تعـــاطى المخـــدرات والادمان عليها مشكلة ؟! واذا كانت تعتبرها كذلك ، فهل ترى أن للدين رأيا فيها وموقفـــا منها ؟ والاجابة على هذا السؤال هى فى الواقع التى ستحدد دور هـــذه المؤسسات فى الوقاية من ظـــاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها .

والمؤسسات الدينيـــة فى الدول العربية لا تختلف من حيث طبيعتها عن مثيلاتها فى الدول الأخرى وان اختلفت فى الدور الذى تقوم به وهو اختلاف يرجع الى الدين الاسلامى ، وذلك بالنســبة للمؤسســـات الدينيـــة الاسلامية ، الذى يختلف عن الديانات الأخرى من حيث كونه شريعة متكاملة تتناول كافة نشاطات الانسان سواء ما كان منها خاصـــا بعـــلاقته بالله سبحانه وتعالى ! وما كان خاصـــا بعلاقته بالناس وهو ما يجعل لموقف هذه المؤسسات من ظاهرة تعـــاطى المخدرات أهمية خاصة ويمنح لموقفها السلبى مبررا ، وان بدا للوهلة الأولى مقبولا ، الا أنه فى الحقيقـــة ليس كذلك مما سنوضحه فى سياق هـــذا التقرير .

الدينية في الوقاية من ظاهرة والإدمان عليها!

مفهوم المؤسسة الدينيـــة :

لم يعد مفهوم المؤسسة الدينيـــة بالاتساع الذى كان عليه فى السابق حيث كانت المؤسسة الدينية وبصفة خاصـــة المسجد ، تقـــوم بدور كبير وشامل فى حياة المجتمع الاسلامى ، وهـــو دور يستمد من الشريعـــة الاسلامية ذاتها التى اسلفنا أنها لا تقتصر على العبادات فقط بل تشمل المعاملات أيضا . فكان المسجد وهو المؤسسة الدينية الاولى يقـــوم فى الأقاليم الاسلامية كالحجـــاز والعراق والشام ومصر والأنـــدلس بوظائـــف سياسية واجتماعيـــة واقتصاديـــة وعسكرية وثقافية وتعليمية فهو مكان للعبادة وللتشاور فى مختلـــف الأمور التى تعرض للمسلمين وهو مدرســـة وجامعة ومنتـــدى ثقافى واجتمـــاعى ومحكمة ففى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان المسجد النبوى فى المدينة هو المركز السياسى والادارى للمسلمين وكذلك فى عهد الخلفـــاء الراشدين الذين كانوا يديرون شئون الدولة الاسلامية كلها من هذا المسجد وفيه يلتقون بالولاة وسائر المسلمين ويتخذون فيه القرارات السياســـية والادارية والعسكرية كما كان هـــذا المسجد هو المجلس النيابى الاسلامى حيث يلتقى الخلفـــاء الراشـــدون بالصحابة رضـــوان الله عليهـــم ، وبالشـــخصيات الاسلاميـــة الكبيرة فيتـــداولون فى شـــئون الدولـــة الاسلامية .

وبعد اتساع الدولة الاسلاميـــة أصبح المسجد الجامع ، وهو المسجد المكون من أربعـــة ايوانات مسقوفة ومحمولة عقودها على عمد رخاميـــة أكبرها ايوان المحراب فى الأقطـــار المفتوحة هو مركز السياسة والادارة ، كذلك كان للمسجد دور فى الحيـــاة الاجتماعية للمسلمين فقد كان بمثابة النادى الاسلامى الذى يلتقون فيه بعد صلاة العشاء فيتحادثون ويتداولون فى شئونهم العامة كما كان يعقد فيه قران المسلمين . وبالاضافة الى هذا وذاك فقد كان له دور كبير فى الحياة الاقتصادية حيث اعتاد معظم الولاة فى صدر الاسلام حفظ الخزانة العامة فى المســـجد . كما كانت تعقـــد به الصفقات التجارية على مشهد ومسمع من المسلمين وفضلا عن ذلك فقـــد كانت الجيوش الاسلامية فى كثير من

المدن الاسلامية تبدأ مسيرتها وزحفها من الفناء الواسع أمام المسجد . كما كان المسجد يقوم بدور الجامعة والمعهد والمدرسة ، وأدى المسجد فى صدر الاسلام وظيفة قضائية فقد اعتاد القضاة الجلوس فى الجامع الرئيسى فى كل مدينة اسلامية . وقد استمر المسجد يقوم بهذه الأدوار أو بأغلبها حتى القرن السادس عشر عندما فقد مركزه فى الحياة العامة (١) .

وأخذت وظائفه تتقلص حتى اقتصرت على العبادة فقط فلم يعد الجامع يختلف عن المسجد أو الزاوية فكلها تخصص لأداء شعائر الدين فقط ، أما الوظيفة الاجتماعية والثقافية للجامع فقد انتقلت الى الجمعيات التى أنشئت لهذا الغرض وهو رعاية الناس اجتماعيا بالاضافة الى العناية بهم من الناحية الدينية فى اطار فكرة أو مذهب أو طريقة معينة . كذلك انتقلت الوظيفة التعليمية للجامع الى الجامعات والمعاهد والمدارس وتم الفصل بين العلوم الدينية وغيرها فتخصصت فى الأولى كليات ومعاهد ومدارس تقصر نشاطها على هذا النوع من العلوم . وهكذا يمكننا أن نحدد مفهوم المؤسسة الدينية فى العصر الحديث بأنها التنظيم الذى يقدم خدمة دينية للناس سواء كانت هذه الخدمة متعلقة بأداء الشعائر أو الرعاية الدينية والاجتماعية معا لأنصار فكرة ومذهب أو طريقة دينية معينة أم كانت الخدمة الدينية تتعلق بتعليم علوم الدين المختلفة .

أنواع المؤسسات الدينية :

يأتى فى مقدمة المؤسسات الدينية المسجد . واذا كانت وظائفه قد تقلصت حتى اقتصرت على أداء الشعائر فقط الا أنه يمكن القول أن الدور الذى يلعبه فى حياة المسلمين لم يفقد كل أهميته وهى الأهمية المستمدة من الطبيعة الجماعية للشعائر الدينية فى الاسلام حيث يتيح التجمع فى المسجد أو الزاوية للناس فرصة التشاور والحديث والنقاش فى مختلف الأمور سواء فيما بينهم أو فيما بينهم وبين امام المسجد ورجال الدين بصفة عامة الذين يلتقون بهم أثناء الصلاة . فيستفتونهم فى أمور دينهم ودنياهم ، كذلك هناك صلاة الجمعة التى تلقى فيها خطبة الجمعة ويتناول فيها الخطيب المشكلات التى تواجه المسلمين ، وعن هذا الطريق يمكن للمسجد أن يتصل بظاهرة التعاطى ويبدى رأيه فيها وهو بلا شك رأى له قيمته وأهميته وخطورته باعتباره معبرا عن وجهة نظر الدين الاسلامى .

أما النوع الثانى من المؤسسات الدينية فهو الجمعيات والروابط الدينية التى تشمل برعايتها الروحية فئات من الناس سواء بحسب السن كجمعية الشبان المسلمين أو بحسب المذهب كجمعية أنصار السنة المحمدية والجماعات الصوفية وغيرها من الجمعيات الخاصة بالطرق المختلفة ويبلغ عدد الجمعيات ذات الغرض الدينى فى جمهورية مصر العربية ١٥٧٣ جمعية موزعة على جميع انحاء الجمهورية من اجمالى الجمعيات المشهرة والقائمة سنة ١٩٧٠ والبالغ ٥٥٣٢ جمعية اى بنسبة ٢٨ر٤٪ بالاضافة الى الجمعيات الخيرية التى تؤدى خدمات دينية ويبلغ عددها ٢١٤٠ جمعية اى بنسبة ٣٨٪ وهذه الجمعيات وتلك تضم

(١) الدكتور على حسنى الخربوطلى — الجامع والحياة العامة — منبر الاسلام — عدد ٤ — سنة ١٩٢٩ ص ١٦٢ .

مئات من الالوف من الاعضاء . بل ان الطرق الصوفية وحدها يتجاوز عدد أعضائها المليون وربما أضعاف ذلك وهو أمر لا يمكن تحديده نظرا لعدم وجود احصاءات فى هذا الموضوع .

والنوع الثالث من المؤسسات الدينية هو نظام التعليم الدينى الذى يهيمن عليه الأزهر بجامعته وكلياته ومعاهده ومدارسه المنتشرة فى جميع انحاء البلاد . التى تقدم تعليما دينيا الى مئات الألوف من المواطنين من الجنسين فى مختلف فئات العمر موزعين على مراحل التعليم المختلفة. والملاحظ أن التعليم الدينى فى المراحل العليا قد تطور تطورا هاما وملحوظا أدى الى الجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا والفصل السابق لم يكن قائما فى العصور الأولى للاسلام وانما حدث فى عصور الظلام نتيجة التخلف العلمى والحضارى للمسلمين الذى فرضته عليهم الهجمات البربرية والحروب الصليبية التى لا تزال مستمرة حتى اليوم .

دور المؤسسات الدينية فى الوقاية من الظاهرة :

هذه هى المؤسسات الدينية القائمة اليوم ، فما هو الدور الذى يمكن أن تقوم به للوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها ؟

الواقع أن المؤسسات الدينية الاسلامية لم تقم حتى الآن بأى دور فى الوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها وربما سيظل هذا هو موقفها الى وقت طويل قادم . وذلك يرجع الى سببين هامين أولهما الشريعة الاسلامية ذاتها وثانيهما الأوضاع القانونية القائمة فى مجتمعنا .

السبب الأول : —

وفيما يتعلق بالسبب الأول وهو الذى يرجع الى الشريعة الاسلامية فان هذه الشريعة كما أسلفنا وكما هو معلوم للجميع ليست شعائر وطقوس دينية فحسب وليست دعوة الى الاخاء والمحبة والتسامح فقط وبوضوح أكثر فهى ليست نصائح تزجى أو ارشادات وتعليمات خلقية تساق وانما هى دين ودنيا معا تنظم كافة جوانب الحياة الانسانية وتحدد المباح وغير المباح والمأمور به والمنهى عنه وتفرض عقوبات لمن يخرج عن هذا التحديد بعضها دنيوى وبعضها أخروى . واذا جاز للمؤسسات الدينية أو بالأحرى للمشرفين عليها ان يوجهوا النصح بشأن بعض الاوضاع أو المواقف إعمالا لمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كأن ينصحوا بعدم المبالغة فى التزين أو ارتداء الثياب البالغة القصر أو ترديد الأغانى الهابطة أو عرض الأفلام الجنسية الفاضحة فان ذلك لا يجوز بالنسبة لتعاطى المخدرات والادمان عليها حيث لا يجدى النصح ولا يفيد التوجيه وهو ما سنوضحه فيما يلى .

أما السبب الثانى : —

فى عدم قيام المؤسسات الدينية بدورها فيرجع الى الأوضاع القانونية القائمة . فالقانون الوضعى لا يعاقب على شرب الخمر بالرغم من أمرين ، الأول أن ضررها لا يقل بل ربما يزيد عن ضرر المخدرات والثانى أن الشريعة الاسلامية قد نهت عنها نهيا صريحا ، وعاقبت شاربها عقابا صارما ولكن القانون الوضعى لم يتبع الشريعة فى ذلك وترك شرب الخمر بلا عقاب بالمرة فكيف نريد من امام المسجد أن يطالب الناس بعدم

تعاطى المخدرات ويسكت عن المطالبة بتحريم الخمر ومعاقبة شاربها وهو الذى يقرأ عليهم قول الله سبحانه وتعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**)) (المائدة ٩٠ و ٩١) وبالرغم مما أسفرت عنه كافة البحوث التى أجريت بقصد التعرف على عوامل الانحراف بصفة عامة وجناح الأحداث بصفة خاصة من أن الخمر قد لعبت دورا خطيرا فى عمليتى الانحراف والجناح على السواء .

كذلك ترتب على تفشى عادة شرب الخمر والادمان عليها ارتفاع هائل فى نسبة الجرائم غير العمدية وخاصة الجرائم الناشئة عن قيادة السيارات واصابات العمل وغيرها مما دفع بدولة كالاتحاد السوفيتى الى اصدار قانون يحرم بيع وتعاطى خمور تزيد نسبة الكحول فيها على ٣٠٪ ، بل وصل الامر الى معاقبة من يحرض الشباب دون السابعة عشرة على تعاطى الخمور باعتباره مرتكبا لجريمة عقوبتها الأشغال الشاقة . كذلك لجأت السلطات السوفيتية الى معاقبة السائقين الذين ثبت انهم من مدمنى الخمر بسحب رخص القيادة منهم وبلغ عددهم خلال مدة وجيزة لا تزيد عن بضعة أسابيع ١٩١٠ سائق .

ولا زالت المجتمعات الأخرى تكتشف — يوما بعد يوم — مضار الخمر وتتخذ الاجراءات الكفيلة بالحد من انتشارها والتخفيف من مضارها .

إن ذلك اذا حدث فلن يؤدى الى امتناع الناس عن تعاطى المخدرات وإنما سيؤدى الى فقدهم الثقة فى المتحدث اليهم وعدم تصديقهم له لأن ما يقوله لا يتفق مع المنطق فضلا عن تعارضه أو تجاهله للدين وما قضى به . والملاحظ أنه بالرغم من أن الكثير من أحكام الشريعة الاسلامية لم تستوح عند سن القوانين الوضعية وبخاصة قانون العقوبات الا أن الناس لا تزال تراعى تلك الأحكام فى الكثير من تصرفاتها وتحرص بقدر الامكان على أن يكون سلوكها متلائما معها حتى ولو كان ذلك يتعارض مع القانون الوضعى ، من ذلك اصرارهم على الثأر من القاتل باعتبار ذلك هو القصاص الذى أمر الله به ولعلمهم ان اعدام القاتل لن يتحقق عن طريق المحاكمة القانونية وهو ما يرونه متعارضا مع أحكام الشرع . هذا فى مجال التحريم والعقاب على إتيان المحرم وهو القتل أما فى مجال الاباحة فالمثال هو تعاطى المخدرات فرغم تحريم القانون الوضعى له وتوقيعه أقسى العقوبات على من يتجر فيها أو يتعاطاها ، إلا أنهم يفهمون خطأ أن الشريعة الاسلامية لم تحرم المخدرات وانما حرمت الخمر فقط ولذلك لا يأبهون كثيرا بتحريم الشارع للمخدرات ويتجرون فيها ويتعاطونها وهم مطمئنون الى أن ما يفعلونه ليس محرما .

وبغض النظر عن صحة هذا الاعتقاد أو عدم صحته فان الناس بصفة عامة ليسوا على دراية كافية وأحيانا ليسوا على دراية بالمرة بأمور دينهم وخاصة ما يتعلق منها بالمعاملات والأجزية وما هو محرم وما هو مباح وانما يستقون هذه المعلومات من المؤسسات الدينية التى يتعاملون معها سواء أكانت مسجدا أم جمعية دينية أم معهدا دينيا وهى المؤسسات التى تتكلم باسم الدين وتتعامل مع الناس بشأنه . وعن طريق

المؤسسات يعرف الناس أن الأصل فى الأشياء والأفعال الاباحة ولما كانت المخدرات لم يرد بتحريم تعاطيهـا والاتجار فيها نص صريح أو ضمنى فان هذا الفعل أو ذاك يعتبر مباحا .

ويوجـد عدد كبير ممن يشرفون على الجمعيات الدينية لا يؤمنـون الا بالتحريمات التـى وردت بالقرآن أو بالسـنة بنص صريـح وقاطع كتحريم الخمر والزنا والسرقة والقذف والقتل وعموما الحدود والقصـاص ولما كانت المخدرات ليست مما ورد بشأنه نص لا فى القـرآن ولا فى السنة فانهم لا يقولون بتحـريمها ، وهم معذورون فى ذلك لأنهم — فى الغالب لم يدرسوا الفقه الاسـلامى دراسة شاملة ومتعمقة لكى يعرفوا أن هناك بالاضافة الى القرآن الكريم والسـنة النبوية مصـادر أخـرى للتشـريع كالاجمـاع والقيـاس والاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع وغيرها استقر الرأى بشأنها وأصبحت مصادر ثابتة للأحكام ثبتت أصالتها بالكتاب والسنة ، فيجب أن يعرف هـؤلاء المشرفـون علـى المؤسسات الدينية بصفة عامة أنه كما توجد فى الشريعة جرائم الحدود وجرائم القصاص توجد كذلك جـرائم التعزير وهى بطبيعتها غير محدودة ، فقد نصت الشريعة على بعضـها ، وتركت لأولى الأمر النص على البعض الآخر وهو القسم الأكبر من جـرائم التعازير .

إلا أن الشريعـة لم تتـرك لأولى الأمر الحرية فى النص على هـذه الجرائم ، بل أوجبت أن يكون التحريم بحسب ما تقتضيه حال الجماعـة وتنظيمهـا وللدفـاع عن صوالحها ونظامها العام ، وأن لا يكون مخالفا لنصوص الشريعة ومبادئها العامة .

وقد قصدت الشريعة من اعطـاء أولى الأمر حـق التشريع فى هـذه الحدود تمكينهم من تنظيم الجماعـة وتوجيهها الوجهـات الصـحيحة ، فمراعاة المصالح من عمـد التشريع الاسلامى . وقد علل الشارع الأحكام ليرشدنا الى أن الحكم يتبع علتـه وجودا وعدما . كذلك فان القـرآن الكريم لم يلجأ الى تفصيل أحـكام المعاملات المالية والجنائية والمدنيـة والدولية والدستورية وغيرها ممـا يختلف فى بيئة عنه فى الأخـرى ، ويتغير بتغير الأزمنة ، ويتأثر بمختلف المؤثرات ، لاتاحة الفرصة أمـام ولاة الأمر والعلماء والمجتهـدين فى أى عصـر من العصـور ليضـعوا قوانينهم بما يحقق مصالح الناس مع التزام الأسس العـامة للشريعـة الاسلامية وعدم الخروج على نص من نصوصها القطعية .

وهكذا تبين لنا أن قيام المؤسسات الدينية بدور فى الوقاية من ظاهرة تعاطى المخـدرات والادمـان عليها يتوقف على أمرين : أولهما ، تمهيد الطريق أمام الشريعة الاسلامية حتى تقوم بدورها الهام والخطير فى حياة الناس باعتبارها تشريعا فضلا عن كونها دينا وثانيهما ، القضـاء على التناقض بين الشريعة الاسلاميـة والقانون الوضعى بحيث لا تحـرم الشريعة عملا يبيحه القانون الوضعى كتحريمها شرب الخمر واباحة القانون الوضعى له وهو ما يحول دون قيام المؤسسات الدينية بدور فى الوقاية من ظاهـرة تعاطى المخـدرات لأن الأجدر بها أن تقوم بدور الوقاية من ظاهرة شرب الخمر والادمان عليهـا استجابة لأمر الله أولا ثم بعد ذلك تقوم بدورها فى الوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها وهو ما يقضى به المنطق ويفرضه العقل .

(للبحث بقية)



العناية

تمثل بيوت الله صفحة خالدة من حضارة تونس الاسلامية المجيدة وقد أقبلت الحكومة منذ الاستقلال على اقامة المساجد الجديدة وترميم المساجد القديمة والاعتناء بها ، وقد أغدقت الأموال الطائلة فى العناية والاهتمام بالجوامع والمساجد مثابرة على تركيز الدين الاسلامى الحنيف ومحافظة على التراث الحضارى الاسلامى العريق وتقديرا لأهمية الجانب الروحى للانسان التونسى ورغبة فى أن تكون بيوت الله فى مظهر يليق بالاسلام والمسلمين .

وأنفقت ادارة الشعائر الدينية خلال السنوات الثلاث الاخيرة ما لا يقل عن ٦٠٠ ألف دينار فى سبيل ترميم عدة جوامع بتونس ، ولعل ارتفاع النفقات بهذه الصورة يقيم الدليل على مدى ما لقيته بيوت الله من اعتناء من طرف الحكومة التونسية ، تلك البيوت التى تخلد التراث الحضارى الاسلامى وهو تراث مجيد أصيل يشهد على نبوغ أجدادنا فى ميدان الفن المعمارى .

وانطلاقا من مبدأ احياء التراث جندت ادارة المعالم الأثرية كل الطاقات الأدبية والمالية لبعث الروح من جديد فى هذا القسم من تاريخ تونس ، وذلك بوازع المحافظة على التسلسل الزمنى والربط بين الماضى والحاضر والعمل على ابراز الشخصية العربية الاسلامية الصميمة فجندت الادارة اخصائيين فى فن النقش على الخشب وفى ميدان الآثار ووضعت تحت تصرفهم وسائل علمية عصرية لمقاومة تداعى خشب الأبواب والسقوف .

ومن أهم الجوامع التى نالت الحظ الأوفر من العناية ترميما واحياء جامع « عقبة بن نافع » بالقيروان ، وجامع « الزيتونة » وجامع « سيدى محرز » وجامع « صاحب الطابع » بالعاصمة وجامع « المهدية الفاطمى » .

ولا شك أن لكل جامع من هذه الجوامع طابعه الخاص الذى يجسم مظاهر الفن المعمارى الذى اتسم به العصر الذى شيد فيه .

فالفاحص للجوامع والمساجد بتونس يلاحظ مثلا أن الجوامع الحنفية تتميز بشكل مآذنها المستديرة أو المثمنة بينما المساجد والجوامع المالكية تتميز بشكل مآذنها المربعة مثل ما نجده بجامع الزيتونة وجامع عقبة .

فيعتبر جامع عقبة بن نافع أول مسجد بافريقيا ، وقد شيد سنة ٥٧ هجرية من طرف الفاتح الكبير عقبة ابن نافع ثم أعيد بناؤه من قبل ابراهيم ابن الأغلب أمير افريقية فى عهد العباسيين فى بداية القرن الثالث للهجرة ، وهو يحتوى على زخارف فنية غاية فى الجودة .

وجامع القيروان مثال وقع حذوه لبناء جامع القرويين بفاس (المغرب)

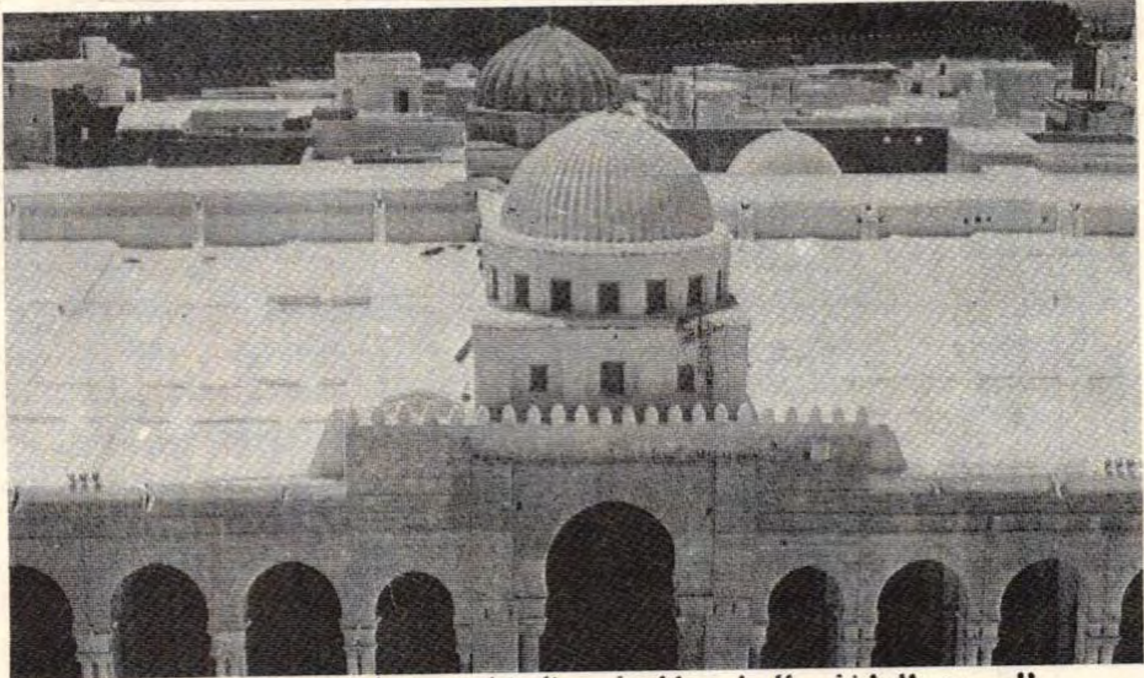
بيوت الله بتونس

التى يرتكز عليها بناء قرية جديدة بجانب المدرسة والسوق والمستوصف وقد جهزت كلها بالنور الكهربى وبمضخمات الصوت ولعل أروع تحفة من هذه المساجد الحديثة مسجد الرئيس الحبيب بورقيبة بمدينة المنستير .

وقد ساهم المواطنون التونسيون بقسط كبير فى بناء هذه المساجد ، كما ساهمت المؤسسات المشرفة على النواحى الدينية فى هذا المجهود بالاضافة الى ما يبذله الخواص من وضع امكانياتهم الخاصة فى سبيل بناء المساجد ..

وتجاوزت عناية تونس ببيوت الله حدود البلاد لتعم بلدانا اسلامية أخرى من ذلك أن فريقا من الفنيين الاختصاصيين تحول سنة ١٩٦٥م الى المملكة العربية السعودية حيث ساهم فى أشغال ترميم مسجد « قبا » وهو أول مسجد اسلامى شيده الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قرب المدينة .

كما ساهم رئيس الدولة التونسية بمقدار خمسة آلاف دينار لتزويق جامع داكار بالسينغال ، وكذلك بنفس المقدار فى سبيل تشييد محراب جامع « ياموسوغرو » فى ساحل العاج بافريقيا وقد صنع منبر هذا الجامع فى مركز الصناعات التقليدية بتونس .



الصحن الداخلى للجامع المغطى بالرخام وبجواره عدة قباب ..



المحراب الذى بناه أبو العباس محمد بن الأغلب امام محراب عقبة بن نافع .

حكموا تونس قد زار تونس مرارا فى السنوات الاخيرة مبديا أشد العناية بالآثار الفاطمية وعزم على اقامة مكتبة بجامع المهدية المذكور يجمع فيه كل تراث الفاطميين .

واذا انتقلنا الى جامع « سيدى البشير » بالعاصمة نجده حفصى العهد أنشىء فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى وتم اصلاحه فى عهد الاستقلال .

وان اهتم العثمانيون الذين خلصوا تونس من أيدى الاسبان ببناء التحصينات حتى يتم لهم الدفاع عن أمن البلاد فهم لم يهملوا قط الركن الدينى اذ شيدت فى عهدهم المساجد والجوامع العديدة سواء كانت بمساعدة الدولة أم بالمجهودات والتمويلات الخاصة من أبناء البلد . ومن أهم جوامعهم جامع صاحب الطابع — أى وزير العدل — وجامع حمودة باشا المرادى . والملاحظ أن تسعين بالمائة من عقود الزواج بالعاصمة التونسية تعقد بجامع حمودة باشا تيمنا وتبركا .

ولم تقتصر مجهودات الحكومة التونسية على احياء التراث الاسلامى العتيق بل ساهمت بقسط وافر فى تشييد مساجد جديدة فبنيت المساجد فى كل مدينة وفى كل قرية وفى الريف وكان المسجد من العناصر الاساسية

الذى بناه جماعة جاءوا من مدينة القيروان .

أما جامع الزيتونة بالعاصمة فقد شيد على يد حسان بن النعمان فى أواخر القرن الاول للهجرة ثم أعيد بناؤه من جديد سنة ٢٥٠ هجرية ، ولعل أروع ما يمتاز به هذا المسجد قبة المحراب ، والمنبر ، وقبة البهو وقد تم ترميمه تبعا لمراحل عديدة فأبرزت معالمه الأثرية والفنية .. ويعتبر جامع الزيتونة أول جامعة اسلامية فى العالم الاسلامى سبق جامع الأزهر فى هذا الميدان .

أما جامع المهدية وهي بلدة فى الساحل التونسى والتى كانت عاصمة الفاطميين فقد بنى فى أوائل القرن الرابع ، وعلى غراره بنى جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى جامع الأزهر عندما فتح مصر سنة ٣٥٨هـ وبنى فيها القاهرة التى انتقل اليها المعز لدين الله سنة ٣٦١ هـ .

ومما يذكر أن سلطان طائفة البهرة الذين ينتمون الى المذهب الشيعى وهو نفس مذهب الفاطميين الذين



جانب خارجى من جامع الزيتونة



التركستان

بين الظلم والنسيان

للأستــاذ عبد ألقادر طاش التركستانى

أصيب العالم الاســـلامى فى الفترة الاخيرة من تاريخه بجراح كثيرة عميقة الغور بالغة التأثير ، ففى الأندلس كان جرح وفى زنجبار كان جرح وفى أرتيريا كان جرح وفى فلسطين كان جرح وهناك فى قلب آســـيا فى تركستان الشهيرة كان جرح ، ولا زالت الدماء تنزف من تلك الجراح بغزارة وكلما نزلت قطرة منها تلفتت من حولها مستغيثة مســـتنجدة عسى أن يتألم لالمها المسلمون ولكن القوم فى شغل عنها قد رضوا بالحياة الدنيا وزخرفها ولم يعد يسرى فى أرواحهم ما كان يسرى فى أرواح المؤمنين الصادقين الذين وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر . وقد أدى هذا التبلد العاطفى فى المسلمين الى أن تتكالب عليهم الأمم ويكيد لعقيدتهم الكائدون ويطمع فى خيراتهم الطامعون .

ولكن نفحة من أمل مشرق أصـــابت قلوبنا ــ فى الآونة الاخيرة ــ

عندما انطلقت دعوات مخلصة تدعو الى أن يتحرك المسلمون لتحقيق التضامن والتآزر والتلاحم فيما بينهم . وفى الحق أن هذا التضامن الاسلامى هو بداية الطريق للوصول الى الصورة الفذة الرائعة التى رسمها الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين فى حديثه المتقدم .

ولا يخامرنى شك فى أنه يجب علينا ــ معشر المسلمين ــ ونحن فى مرحلة الصحوة الاسلامية أن نتلمس جراحنا ونتعرف على أحوال اخواننا الذين يعيشون فى المناطق الجريحة من وطننا الاسلامى الكبير حتى نستطيع مساعدتهم ومد يد النصرة لهم .. وهذا حديث عن التركستان المســـلمة الشهيرة وعن أحوال المسلمين فيها وما يلاقونه من ارهاب .

تركستان الكبرى :

تركستان : كلمة فارسية مؤلفة من ترك : وهو شعب آسيوى قديم نشأ فى سهول سيبريا وجبال آلتاى . وستان : معناها محل أو أرض أو بلاد . فتركستان معناها : بلاد الترك وبذلك يمكن أن تطلق هذه التســـمية على كل قطر يسكنه الشعب التركى ولكنها فى اصـــطلاح جغرافى تاريخى أصبحت علما على المناطق التى تحدها سيبريا شمالا وايديل أورال وبحـــر الخزر ــ قزوين حاليا ــ غربا ومنغوليا والصين شرقا وايران وأفغانستان وكشمير والتبت جنوبا .

وكلمة تركســـتان استعملت أول مرة ــ كما يقول زكى وليدى ــ من طرف الايرانيين الساسانيين للبلاد التابعة لدولة (كوك تورك لر) . ويقول ياقوت الحموى فى معجم البلدان : تركستان اسم جامع لجميع بلاد الترك وحدهم الصين والتبت والخزلج والـكيماك ، ولقد أطلق المؤرخون والجغرافيون ــ بعد الاسلام ــ على تركستان اسم بلاد ما وراء النهر .

ذكر ابن الأثير فى الكامل أن بلاد التركستان وهى كاشغر وبلاساغون ــ آلما آتا حاليا ــ وختن وطراز وغيرها مما يجاورها : من بلاد ما وراء النهر .

ومساحة التركستان تبلغ ٤١٨ر٥٨٠ر٥ كم٢ ويبلغ عدد سكانها حوالى اربعين مليون نسمة اكثرهم من المسلمين(١) .

وتركستان بلاد عريقة فى الحضارة . ويمتاز اهلها بالكثير من الصفات الحميدة كالشجاعة والفروسية والأنفة وشدة تمسكهم بعقيدتهم وتفانيهم فى الذود عن حريتهم وكرامتهم . يقول ياقوت فى معجم البلدان « وأهلها — يقصد بلاد ما وراء النهر — يرجعون الى رغبة فى الخير والسخاء وسماحة بما ملكت أيديهم مع شدة وشوكة ومنعة وبأس وعدة وآلة وسلاح » .

ولقد ابتدأ نور الاسلام يشع فى التركستان بعد أن فتح القائد المسلم قتيبة بن مسلم سمرقند سنة ٨٦ هـ فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان(٢) وفتح كاشغر بالتركستان الشرقية سنة ٩٦ هـ .

ولقد كان ابتهاج التركستانيين بالاسلام عظيما وكان اخلاصهم له كبيرا ولذلك فقد اتخذوا الحروف العربية حروفا رسمية فى لغتهم — ولا تزال هذه الحروف فى اللغة التركستانية حتى اليوم — ولم يقف الامر عند هذا الحد بل كانت المحاكم والدوائر الحكومية تعطى الاولوية للوثائق المكتوبة بالعربية وكانت النقود تكتب عليها « ضرب فى سمرقند أو كاشغر ونحو ذلك »(٣) .

ونبغ من أبناء التركستان علماء أفذاذ « كالبخارى ومسلم والطبرى وابن سينا والغزالى والزمخشرى وغيرهم»(٤) . والتركستان مقسمة الى قسمين : شرقية وغربية . وسأتحدث فى هذه السطور عن التركستان الشرقية فقط حتى يتسع بنا الحديث ثم لأن القسم الشرقى لم يعط العناية اللائقة بخلاف القسم الغربى منها .

التركستان الشرقية :

● **نظرة عامة :** تبلغ مساحة القسم الشرقى من تركستان ٧٤٥ر٧١٠ر١ كم٢ ويبلغ عدد السكان ثمانية ملايين نسمة(٥) وقيل : أربعة ملايين وقيل : ستة الى غير ذلك(٦) . وتحتل التركستان الشرقية موقعا استراتيجيا بين سيبريا ومنغوليا والصين والتبت والهند وكشمير . وقد كانت منذ القديم صلة الوصل بين الشرق والغرب(٧) . ويزرع فيها القمح والقطن والحبوب والخضروات والفاكهة ، ومن الثروات المعدنية التى تحتضنها ارضها البكر : الفحم الحجرى والبترول والتنفستن والرصاص واليورانيوم والزئبق . ولا يزال الجانب الاكبر من هذه الثروات مخبوءا لم يكتشف بعد(٨) .

● **الإحتلال الشيوعى :** عاشت التركستان الشرقية فى صراع مرير ودائم مع الاستعمار الروسى والصينى منذ اقدم العصور وكافح التركستانيون فى سبيل حريتهم وكرامتهم كفاحا كبيرا « حتى بلغ عدد قتلاهم فى فترة من الفترات المليون قتيل كما هو مسجل فى بعض الاوراق الرسمية التى عثر عليها فى بكين عاصمة الصين »(٩) .

وحتى لا يطول بنا المقام نقفز تفاصيل ذلك الصراع ونصل الى عام ١٩٤٩ م عندما سقطت التركستان الشرقية فى أيدى الشيوعيين الصينيين .

ولقد قام التركستانيون بمعارضة الاحتلال الصينى الغاشم معارضة شديدة وقاموا بحركات مضادة مما أدى الى أن يشدد الشـــيوعيون من قبضتهم الارهابية على تركستان وأن يفصلوها عن العالم الخارجى بسياج حديدى رهيب . ولكن لماذا حرص الشيوعيون على احتلال التركســـتان الشرقية وتشديد القبضة الارهابية على شعبها المسلم .. ؟ لعلنا نستطيع تلخيص الاسباب التى دفعت الشيوعيين الى احتلال التركستان الشرقية فيما يلى :

١ ــ ان سكان التركستان الشرقية مسلمون . والاســلام بمبادئه وأهدافه يتعارض مع النظام الشيوعى تعارضا كليا ولذلك فلا بد من القضاء عليه وعلى معتنقيه حتى لا يشكلوا خطرا على نظامهم .
٢ ــ الطمع فى استغلال وامتصاص خيرات التركستان وخصــوصا الثروات المعدنية والتى ذكرنا بعضا منها فيما سبق .
٣ ــ متاخمة التركستان الشرقية للحدود الروسية مما يجعلهــا ذات موقع استراتيجى فى خارطة الصراع بين الصين والاتحاد السوفيتى .
٤ ــ يدعى الشيوعيون أن التركستان جزء من الارض الصينية وأنها كانت تدعى فى تاريخ الصين والعالم (شييو) والواقع يكذب ذلك الادعاء فان التركستانيين وجدوا فى الارض التركستانية منذ أقدم العصـــور وهم أقوام لا يمتون الى العنصر الصينى بأية صلة اطلاقا . وقد اعترف بذلك كثير من القادة الصينيين ووردت التركســـتان فى كثير من المؤلفات التاريخية الرسمية للصين على أنها بلد أجنبى وليست من الصين(١٠) .
٥ ــ الانتقام من الشعب التركستانى الثائر الذى كلف الصينيين خسائر فادحة وسبب لهم كثيرا من المتاعب والمشاق خلال صراعهم الطويل معهم حتى قيل : « ان ثوراتهم جاوزت الخمسين ثورة »(١١) .

مسخ التركستان الشرقية لتحويلها الى مقاطعة صينيه :

عمل الشيوعيون على مسخ تاريخ تركستان وتغيير أسماء المدن فيها لتحويلها الى مقاطعة صينية وقد اتخذوا للوصـــول الى هدفهم الخطوات التالية :

١ ــ تغيير اسم التركستان الشرقية الى (سنكيانج) وهو اسم صينى معناه المستملكة الجديدة(١٢) وأطلقوا على التركستانيين لقب (تشـــانتو) ومعناه الرجل المعصب رأسه لأنهم كانوا يلبسون العمائم(١٣) .
٢ ــ تغيير أسماء المدن فى تركستان واستبدالها بأسماء صينية فقد استبدلوا كاشغر بشولى وياركند بسوتش وأورمجى بيهوا وختن بهوتى اين وطورفان بطولوفان وغير ذلك(١٤) .
٣ ــ جلب الصينيين الى تركستان واسكانهم بها وقد بلغ عدد الصينيين الجدد فى خلال سبع سنوات مليونى نسمة(١٥) وقد أجبر التركستانيون على مصاهرة الصينيين وتزويجهم بناتهم حتى يصل الصينيون الى هدفهم من مسخ تركستان وطمس قوميتها .

مظاهر القضاء على الدين الاسلامى :

الاسلام هو العدو الأول والأعظم للشيوعية ولذلك فقد جهد الشيوعيون للقضاء على هذا الدين وطمس معالمه ومحو آثاره من قلوب المسلمين فى التركستان الشرقية وتجلت مظاهر القضاء على الاسلام فيما يلى :

١ ــ احراق نسخ القرآن الكريم والكتب الدينية الاخرى التى عثروا عليها وحظر اقتنائها .
٢ ــ اصدار نسخة محرفة من القرآن فى محاولة لايجاد أوجه شبه بين الاسلام والشيوعية وتوزيعها على الطلاب المسلمين .
٣ ــ اغلاق المساجد والمدارس الدينية ويقدر عدد المساجد التى أغلقوها أو حولوها الى ملاه واسطبلات .. !! بـ ٢٢ ألف مسجد وعدد المدارس بـ ٢٦ ألف مدرسة .
٤ ــ منع التكلم باللغة العربية أو تدريسها .
٥ ــ القضاء على الشعائر الدينية الاسلامية كالصلاة والزكاة والحج والختان . والغاء الاعياد الاسلامية .
٦ ــ اجبار المسلمين على الزواج المختلط (أى من غير المسلمين) ، وعلى تربية الخنازير وأكل لحومها وارغامهم على الانضمام الى التعاونيات الشيوعية .
٧ ــ انشاء معاهد خاصة لنشر تعاليم (ماو) ومبادىء الشيوعية والتاريخ الصينى وزرع الالحاد فى قلوب الطلبة المسلمين .
٨ ــ قتل العلماء وتعذيبهم والقتل الجماعى للمخالفين للانظمة الشيوعية أو نفيهم الى مجاهل سيبريه أو سجنهم فى سجونهم الرهيبة .

أساليب الشيوعيين فى تعذيب المسلمين :

ذكرت فيما سبق بعض مظاهر القضاء على الدين الاسلامى واجتثاث الروح الاسلامية من الشعب التركستانى ولكن تلك الاعمال الاجرامية لم ترو ظمأ الشيوعيين ولم ترض شهوة العداء والحقد والانتقام التى استولت على قلوبهم المتحجرة فراحوا يتفننون فى أساليب تعذيب المسلمين فمن ذلك :

١ ــ دق مسامير طويلة فى الرأس حتى تصل المخ .
٢ ــ جعل السجين هدفا لرصاص الجنود الذين يتمرنون على اطلاق النار .
٣ ــ وضع خوذات معدنية على الرأس وتسليط التيار الكهربائى عليها وذلك لاقتلاع عيون السجناء .
٤ ــ صب الزيت المغلى على جسم المعذب .
٥ ــ اجلاس المعذب بصورة تسهل الضرب على اعضائه التناسلية وتسبب له آلاما مبرحة .

٦ ــ دق مسامير حديدية فى الأظافر حتى تنفذ من الجانب الآخر .
٧ ــ تمشيط الجسم بأمشاط حديدية .

ولكن مع كل هذا الارهاب والتعذيب الوحشى الذى تندى له جبين الانسانية فان المسلمين فى التركستان وقفوا صامدين ولم تنتج هذه الاساليب الشيوعية فى التعذيب الا مزيدا من التصميم والثبات وارادة الثورة . ولقد نشرت جريدة (البلاد) السعودية فى عدد يوم ١٣٨٢/٨/١٧ هـ أن الانباء الصحفية التى تسربت من التبت ذكرت بأن الثورة ضد النظام الشيوعى قد نشبت فى سنكيانج (التركستان الشرقية) وأن اصابات كثيرة لحقت بالقوات الصينية الشيوعية . وذكرت جريدة الندوة السعودية فى عدد يوم ١٣٨٣/٨/٢٢ هـ أن الصين سحبت عددا كبيرا من الفرق العسكرية الى مقاطعة سنكيانج عبر الحدود الروسية مما يدل على أن هناك متاعب ومصاعب يسببها التركستانيون للثورة الشيوعية ولولا الستار الحديدى الشيوعى المفروض على تركستان الشرقية لتسربت الينا أخبار الثورات والحركات القتالية التى يقوم بها التركستانيون للتعبير عن الاستياء الشديد من الاحتلال الشيوعى والارهاب الاحمر لبلادهم .

مقترحات :

تلك هى الخطوط العريضة (المختصرة) للمشكلة التركستانية ولكن الشيء المؤلم حقا أن قضية التركستان قضية منسية مهملة حتى أن كثيرا من المسلمين ــ بله المثقفين لا يعرف عن هذه القضية شيئا أبدا .

وهذه بعض المقترحات ــ المتواضعة ــ التى أراها فى سبيل « بعث هذه القضية المنسية وتوعية المسلمين بملابساتها وظروفها واطلاع العالم عليها » .

١ ــ أن تقوم وزارات المعارف والتربية والتعليم فى البلاد الاسلامية بوضع مادة تدرس فيها مشاكل المسلمين فى البلدان المضطهدة فى المدارس الرسمية .

٢ ــ أن تقوم (رابطة العالم الاسلامى) بايفاد لجنة من المسؤولين المسلمين الى البلاد الاسلامية الواقعة تحت السيطرة الروسية والصينية لتقصى الحقائق ومن ثم عمل الدراسات اللازمة والبحوث الدقيقة لمعرفة أفضل السبل لمساعدة المسلمين فى تلك البلاد . وعلى الرابطة أيضا أن تناقش هذه القضية فى دوراتها التى تعقدها فى مكة واطلاع المسلمين على حقائقها وما وصلت اليه من أبعاد .

٣ ــ أن تقوم الهيئات والمراكز الاسلامية فى البلدان الاسلامية وفى غيرها كالمراكز الاسلامية فى أوروبا وأمريكا وآسيا بطبع النشرات والكتب التى تشرح للعالم أحوال المسلمين فى تلك المناطق .

٤ ــ أن تشجب المؤتمرات الاسلامية التى تعقد بين حين وآخر الاضطهاد الشيوعى والارهاب الاحمر اللذين تمارسهما الصين الشيوعية والاتحاد السوفيتى فى التركستان وأن تطالب باستقلال تركستان .

٥ ــ اثارة القضية التركستانية في المحافل الدولية والمؤتمرات العالمية بقصد تعريف العالم عليها وكسب مؤيدين لها .

٦ ــ مناشدة الدول المحبة للسـلام للوقوف الى جانب الشـعب التركستاني الذي يتعرض للافناء الشيوعي .

واننى لا أنسي فى هذا المجال دور الاعلام ووسائل النشر والصحافة ــ وخاصة الصحافة الاسلامية ــ فانه يجب على المجلات والمنشورات الاسلامية أن تقوم بتوعية القارىء المسلم بهذه المشكلة وأن تعمل على تقصى الاخبار المتعلقة بها والاهتمام بنشرها .

حقق الله الآمال . والله يتولي الصابرين .



---

(١) أنظر « حقائق عن التركستان المسلمة » لمحمد آمين اسلامى ٤ ــ ٧ .

(٢) أنظر « تاريخ الاسلام السياسى » د. حسن ابراهيم حسن ج ٢٤/١ والدعوة الى الاسلام لآرنولد و « الكامل فى التاريخ » لابن الاثير ج ١٧٩/٩ .

(٣) « حقائق عن التركستان المسلحة » ١٠ .

(٤) « تركستان : « سلسلة مواطن الشعوب الاسلامية » لمحمود شاكر ٩ .

(٥) « تركستان الشرقية » (من نفس السلسلة) لمحمود شاكر ٣٢ .

(٦) انظر حقائق عن التركستان المسلحة ٣٠ ــ ٣٤ .

(٧) تركستان الشرقية لمحمود شاكر ٣١ .

(٨) أنظر تركستان الشرقية لشاكر ٣١ وأنظر « مجلة البلاغ الكويتية » العدد ١٥٩ .

(٩) مجلة البلاغ الكويتية عدد ١٥٩ .

(١٠) حقائق عد التركستان المسلمة ٢٣ ــ ٢٥ .

(١١) حقائق عن التركستان المسلمة ١٦ .

(١٢) هذه التسمية تدل على تناقض الصينيين في ادعائهم أن التركستان جزء من الصين اذ لو كانت كذلك فلماذا آسموها بالمستملكة الجديدة .. ؟!

(١٣) حقائق عن التركستان المسلمة ٢٣ .

(١٤) حقائق عن التركستان المسلمة ١٦ ــ ١٧ .

(١٥) حقائق عن التركستان المسلمة ١٩ .

(١٦) أنظر « الاسلام والمسلمون فى الصين » لفؤاد كرم ٤٠ ــ ٤٩ وأنظر ايضا « نداء الى المسلمين » لعيسى يوسف البتكين ٨ ــ ١١ .



الوحدة الإسلامية
أصولها ومنهجها وعوامل استمرارها

للأستاذ يحيى هاشم حسن فرغل

يدعو الاسلام الى وحدة الأمة الاسلامية على أساس من وحدة الجنس البشرى التى يقررهاالاسلام فى صورة قاطعة لا تحتمل تحريفا أو تأويلا .

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. »

« وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصَّلنا الآيات لقوم يفقهون » .

ولما كان الاسلام هدى الله للإنسانية جمعاء ، وهو الدين الذى جاءت به الرسل جميعا من عند الله : **« شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »** ..

فان دعوة الاسلام الى وحدة الأمة الاسلامية لا تعنى دعوة الى عصبية حمقاء ، ولا تعنى دعوة الى تمزيق الروابط الإنسانية ، وإنما هى — فى نفس الوقت — دعوةالىالوحدة الانسانية يصنع الاسلام نموذجها الأصيل ، وركيزتها الفذة فى وحدة الأمة الاسلامية : **« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من**



رسله .. » . **« كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ... »** .

والوحدة التى يدعو اليها الاسلام ليست ــ فحسب ــ زينة لحياة المسلمين ، أو حاجة يميلون اليها حين يدعوهم حافز من حوافز المصلحة الدنيوية ...

ولكنها ــ قبل ذلك ــ ضرورة من ضرورات إيمانهم ، يَدْعَون اليها حين يدعون الى عبادة الله الواحد ، وتقواه :

« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »

« وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون »

وهى ضرورة من ضرورات فطرتهم التى جمعتهم على الاسلام .. :

« فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وهى ضرورة من ضرورات نعمة التأليف التى منّ الله بها على عباده المؤمنين ، أخبر عنها ، ووعد بها : **« واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا .. »**

وهى ضرورة من ضرورات واقع الإيمان الماثل فى قلوبهم « إنما المؤمنون إخوة » ، ويقول صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته » ، ويقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، ويقول : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم . »

والاسلام إذ يقرر الوحدة الاسلامية كضرورة من ضرورات الإيمان يربطها بجذوره الأساسية ، ويوثقها بأصوله : فى العقيدة ، والشريعة والأخلاق .

ففى مجال العقيدة ترتبط هذه الوحدة بعقيدة المسلمين الأساسية وهى عقيدة « التوحيد » . وفى رحاب هذه العقيدة التى تنفى عنها أية صورة من صور الشرك : الخفى أو الظاهر ، يتربى المسلمون على « الوحدة » تربية تتغلغل فى نظرتهم الى وجودهم فى هذه الحياة ، كما تمد بفيئها على نظرتهم الى مستقبلهم فى الآخرة ..

وفى مجال الشريعة ترتبط هذه الوحدة بخضوع المسلمين ــ نظرا وعملا ــ لنظام تشريعى واحد ، واحد فى كيانه ، واحد فى مصدره ، واحد فى أهدافه ... **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون »** .

وفى مجال الأخلاق تتوثق هذه الوحدة بقيام المجتمع الاسلامى ــ والفرد المسلم ــ على أساس من القيم الاسلامية التى وضحها الكتاب وبينتها السنة ، وصارت أصلا لأخلاق المسلم ، يستعصى على التزييف ، ويتأبى على التهجين .

وإذ يقرر الاسلام الوحدة : أصلا إنسانيا ، وضرورة من ضرورات الإيمان ، وعنصرا متغلغلا فى أصول الدين :



يبين فى نفس الوقت الطريق الى تحقيق هذه الوحدة ، والمنهج العملى المؤدى اليهـــا .

ذلك المنهج هو « حبل الله » .

وحبل الله هو القرآن كما ورد فى الحديث الصحيح .

يقول صاحب المنار فى تفسير قوله تعالى : **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »** : « إن المختار هو ما ورد فى الحديث المرفوع من تفسير حبل الله بكتابه ، ومن اعتصم به كان آخذا بالاسلام ــ ولا يظهر تفسيره بالجماعة والاجتماع ــ وإنما الاجتماع هو نفس الاعتصام ، فهو يوجب علينا أن نجعل اجتماعنا ووحدتنا بكتابه ، عليه نجتمع وبه نتحد ، لا بجنسيات نتبعها ، ولا بمذاهب نبتدعها ، ولا بمواضعات نضعها ، ولا سياسات نخترعها ... »

وانى للسياسات المخترعة والمذاهب المبتدعة أن تحقق وحدة ، وهى موضع الخلاف ومصدر الفرقة ؟

أما حبل الله فهو خيط الضوء وسط المتاهة الظلماء يقصد اليه من يقصد النجاة ... ولا يضل عنه ذو بصر أو بصيرة .. يتحرك اليه الأفراد .. وتهاجر اليه الجماعات الممزقة .. فاذا هم هناك جميع ، يربطهم حبل متين .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا القرآن هو حبل الله المتين . وهو النور المبين . وهو الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعـــه » .

من هنا كان الاعتصام بحبل الله منهج وحدة ، فضلا عن كونه هدف حياة .

وإذا كان الاعتصام بحبل الله ــ كما بينا ــ منهج الوحدة المطلوبة بين المسلمين فانه بعد ذلك ــ أو قبل ذلك ــ منهج الاتصال بالله سبحانه .

ثم إنه أخيرا منهج التوقى من الضياع ، والهلاك .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « اليس تشهدون الا إله إلا الله وانى رســـول الله ؟ قالوا : بلى . قال : إن هذا القرآن طـــرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده ابدا » . ويقول صلى الله عليه وسلم : « أتانى جبريل فقال : يا محمد ، ان الأمة مفتونة بعدك . قلت له : فما المخرج يا جبريل ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم . وهو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم ، وهو قول فصل ليس بالهزل ، ان هذا القرآن لا يليه من جبار فيعمل بغيره الا قصمه الله ، ولا يبتغى علما سواه الا أضله الله ولا يخلق عن رده ، هو الذى لا تفنى عجائبه ، من يقل به يصدق ومن يحكم به يعدل ، ومن يعمل به يؤجر ، ومن يقسم به يقسط » . رواه الامام أحمد فى مسنده عن ســـيدنا الامام على كرم الله وجهه .

وحبل الله يعنى سنة رسوله كما يعنى كتابه تعالى ، بل انه يعنى هذه السنة من حيث يعنى كتاب الله .



يقول تعالى : « **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** » ، ويقول: « **فلاوربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » .

ويقول « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب** » .

ويقول : « **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعـوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تاويلا** » .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله » .

ويقول عليه الصلاة والسلام « يوشك أحدكم أن يكذبنى وهو متكىء على أريكته يحدث بحديثى فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله » .

فهذا إذن حبل الله : كتاب الله وسنة رسوله .

والاعتصام به ليس مقصدا فى ذاته فحسب ، بل هو ــ فوق ذلك ــ المنهج الاسلامى للوحدة ، منهج بسيط بين المناهج المعقدة ، مضىء بين المناهج المعتمة ، ممكن بين المناهج المستحيلة ، ميسر بين المناهج المستعصية ، منتج بين المناهج العقيمة .

ولقد وهنت وحدة المسلمين ــ ثم انفرطت ــ يوم وهن استمساكهم بحبل الله ، ويوم انفضوا عنه . .

وهنت وحدة المسلمين ــ ثم انفرطت ــ يوم راحوا يهجّنون عقائدهم بعقائد من هذا المذهب أو ذاك ، فسرت اليهم عدوى من الأديان المخالفة ، أو من الفلسفات الملحدة ، من يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو غيرها ، من رواقية ، أو أبيقورية ، أو مادية ، أو وجودية أو وضعية أو ما أشبه .

ووهنت وحدتهم ــ أو انفرطت ــ يوم راحوا يبتدعون فى دينهم ، ويضيفون الى عقائدهم اجتهادات بشرية ما أنزل الله بها من سلطان « **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** » .

كذلك وهنت وحدتهم ــ أو انفرطت ــ يوم أخذوا بشرائع وقوانين يعارضون بها شريعة اللهوقوانينه فانفرط بهم السبيل مسالك شتى :

أهملوا تعاليم الله وشرائعه فى تحريم الربا .

أهملوا تعاليم الله وشرائعه فى القصاص والحدود .

أهملوا تعاليم الله وشرائعه فى الزكاة والمال . .

وصاروا بعد ذلك مزقا تنتهبهم مسالك الحياة ما بين يمين ويسار وتتداعى عليهم الأمم كما تداعى الأكلة الى قصعتها . .



وان المنهج لواضح وسط هذه المتاهات .
« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سـبيله » .

ذلكم هو المنهج : حبل الله .

حبل الله وحده هو المنهج البسـيط الميسر ، الممكن ، الذى ينتهى ــ وحده ــ بالوحدة .

فاذا وجدنا أنفسنا ــ بهذا الاعتصام ــ على طـريق الله ، وجـدنا أنفسنا ــ ببساطة وتلقائية ــ على طريق واحد ، وعلى مسيرة واحدة ، وعلى مقصد واحد ، وفى « وحدة » متينـة الرباط موثوقة بوثاق الله .

ولا يبقى بعدإلا شكل يختار لهذه الوحدة ، وفقا لهذه التجربة من تجارب الأمم أو تلك ، شكل يدعو اليه الواقع أو يفرضه ، دون أن يطول بنا البحث عنه ، فهو سهل المنال عند ذاك سهل التنفيذ .

والاسلام لا يقيدنا بشكل معين من أشكال الوحدة .

ولكنه يقيدنا بعناصر محددة للشكل الذى تهدينا اليه التجربة .

فهو يحدد لنا موضوع الوحدة ، وهدفها ، وظروف قيـامها ، وظروف صيانتها واستمرارها .

فموضوع الوحدة الذى يتم الالتفاف حوله والعمل من أجله ، يجب أن يكون طاعة الله ، وتنفيذ أوامره . .

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

« واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشـلوا وتذهب ريحـكم » فطاعة الله ورسوله ، وتنفيذ أوامره هى موضـوع التعاون أو الاتحـاد أو الوحدة فى الأمة الاسلامية .

إن المنهج هنا يصبح هو الموضوع فى نفس الوقت .

وإذا كان لا بد لكل وحدة من موضـوع فانه لا بد من أن يكون هـذا الموضوع منتسبا الى الحق ، نقيا من الباطل ، فقد خرج المشركون فى غزوة بدر تحت راية واحدة لكنها كانت راية الشيطان ، فمـاذا كان من أمرهـا ؟
« وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب » . فالباطل إذن لا يصمد ، ولا يفوز فى النهاية ، ولا تقوم عليه وحدة طويلة العمر ثابتة القدم .

وهدف الوحدة الاسلامية هو النجاح **« ... ولا تنازعوا فتفشلوا »** وهو فى عبارة محددة تحقيق (الحياة) **« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم »** ، ولذلك كانت الآخرة هى الهدف الرئيسى للاسـلام وللوحدة الاسلامية ، **« وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون »** .

وظروف صنع الوحدة الاسلامية هى ظروف الكفاح والجهاد والمشـقة والابتلاء ، كان الأمر على هذا النحو فى قيام الوحدة الاسلامية الأولى وما أظنه
(البقية ص ٩١)

الشعب المختار

وماضيه مع الاستعمار !

للأستاذ محمد عبد الحافظ

قبل البدء فى حديث كهذا فان هناك عددا من الاسئلة تطرحها أمانة الكلمة ، وتثيرها موضوعية البحث ، وتستلزم أن نتلمس لها اجابات مقنعة منصفة .

وفى مقدمة هذه الاسئلة :

هل اليهود شعب .. ؟

وهل هم شعب الله المختار .. ؟

وهل اختار الله لهم فلسطين (أرض الميعاد) .. ؟

لقد جاء فى كتب اليهود انفسهم أن اسرائيل (يعقوب) عندما رحل الى مصر كان معه أكثر من أربعة آلاف .. وأن هؤلاء لم يكونوا جميعا من نسله .

ويروى التاريخ أن كثيرا من الكنعانيين ، والعمونيين ، والحيثيين وغيرهم قد اعتنقوا اليهودية .. واصبحوا من أتباع (سليمان) .

فامتزاج اليهود — اذن — بغيرهم حقيقة ثابتة ..

يقول (جوستاف لوبون) فى كتابه « اليهود فى الحضارات الاولى » (ان اليهود ابتعدوا عن عرقهم الاصيل لاتصالهم الطويل بأمم أرقى منهم كثيرا) .

ومعنى هذا كله أن اليهود لم يكونوا شعبا حتى فى أقدم عصورهم .. أضف الى ذلك أن صلة اليهود بفلسطين لم تتجاوز أربعة أو خمسة قرون قبل الميلاد .. ومن هنا فان ما ينبغى أن يطلق على اليهود أنهم (طائفة

دينية) مما يجعل المقارنة بينهم وبين الشعب الفلسطيني فيها كثير من الاعتساف ..

ولكن الخرافات اليهودية الذائعة .. والأباطيل الصهيونية الشائعة دفعت الكثير من المؤرخين الى عقد هذه المقارنة .. يقول (دابوبور) فى كتابه (تاريخ فلسطين) :

« يعود وجود السكان فى فلسطين الى عصر بالغ فى القدم ، نحو عشرة آلاف سنة قبل الميلاد ، وقبل أن يضع اليهود أول قدم لهم فى هذه البلاد .. فقد استوطن بها أقوام ذوو حضارة وتاريخ عريق مثل الكنعانيين .. والحيثيين .. والفينيقيين .. والفلسطينيين » .

وتقول الحقيقة التاريخية : ان المنطقة الممتدة (من النيل الى الفرات) كانت خاضعة للسيادة المصرية من سنة ٢٨٠٠ الى سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ما عدا فترات قصيرة ومحدودة قامت فيها دول أخرى بغزو هذه المنطقة (التى كان يلقب فيها شيوخ العشائر ورؤساء المدن والقرى انفسهم بلقب ملك) .

ولم يرد فى الآثار المصرية التى تم اكتشافها حتى اليوم ما يشير الى اسم (بنى اسرائيل) لا كشعب ولا كدولة . حقيقة أن ملوك هذه المنطقة (شيوخ العشائر) كانوا ينتهزون فرصة ضعف الدولة المصرية فيتمردون على سلطتها لفترات ضئيلة قبل أن يجبروا على العودة الى سلطانها .. وحقيقة ايضا أن بعض ملوك هذه المنطقة مثل (سليمان بن داود) الذى كان يلقب (بملك أورشليم) قد استطاع أن يبسط رقعة نفوذه ، ولكن الحقيقة التاريخية تؤكد كذلك أن ذلك التوسع لم يحدث الا على أساس أن سليمان كان زوجا لابنة فرعون مصر .

على أن مصر لم تكن تتوانى فى القضاء على تمرد ملوك هذه المنطقة فور تجاوزها لاسباب فترات الضعف العابرة فى تاريخها كما حدث سنة ٩٠٧ قبل الميلاد فى عهد (شيشنق) ملك اليهود ، وكما استطاعت القوات المصرية فى عهد (نخاو الثانى) فرعون مصر أن تزحف الى الامبراطورية الآشورية وتستولى فى طريقها على فلسطين ، وتعيدها الى مصر مرة أخرى وتقضى على ملك يهوذا (يوشع) فى معركة مجدو الشهيرة سنة ٦٠٩ قبل الميلاد . على أن أول عهد العالم بكلمة (اليهود) و (يهودى) كان بعد (سليمان بن داود بزمن طويل ، فبعد وفاته انشقت الاسباط — وهى كالقبائل عند العرب — فخرج عشرة أسباط ونصف على (ابن سليمان) ، وأقاموا بلدة سميت (بالسامرة) ونصبوا عليهم ملكا عرف باسم (ملك اسرائيل) وبقى (ابن سليمان) فى (أورشليم) ملكا على سبط ونصف ، وعرف باسم (ملك يهوذا) .. ويهوذا احد ابناء يعقوب .. ولما شرعت آشور فى حرب مصر هاجمت الاراضى الممتدة من الفرات الى النيل .. وهى ما تعرف (بأرض كنعان) وسقطت بلدة (السامرة) مقر (ملك اسرائيل) سنة ٧٢٢ قبل الميلاد وتم سبى الاسباط العشرة والنصف وذابوا فى المجتمعات الاخرى ، واختفى كل أثر لهم ..

ولولا وقوف مصر فى وجه الغزو الاشورى وتصديها له ومنعه من الوصول الى (أورشليم) لكان قد تم القضاء النهائى على السبط والنصف الباقى من أحفاد (يهوذا) من عشرة آلاف عام .

وفى سنة ٥٨٦ قبل الميلاد استولى (بختنصر) البـــابلى على (مملكة يهوذا) ودمرها ، وحرق الهيكل ، وسبى أهلها جميعا ، وظلوا أسرى فى (بابل) حتى سنة ٥٣٨ قبل الميلاد عندما تولى حكم الفرس الملك (قورش) ابن (قمبيز) ففك أسرهم وسمح لهم بالعودة الى مملكتهم ، بعد أن جثوا تحت قدميه واخترعوا له نصا فى التوراة يزعم أن (قورش هو المســـيح المنتظر) . وجاء (الاسكندر) سنة ٣٢٢ قبل الميلاد واحتل فلسطين ، وتبعه بطليموس الأول ، ثم (انطيوخوس) اللوقى اليونانى ملك سوريا سنة ٢٠٣ قبل الميلاد .

واستولى الرومان على مملكتهم فى عهد القيصر (بومبى) ، ولما قام اليهود بالثورة على الحكم الرومانى ، دمر الرومان القدس من جديد ، ومحوا الهيكل وبنوا فوقه معبدا لكبير آلهتهم (الجوبتر) .. وكان ذلك فى عهد الامبراطور (تيطس) سنة ٧٠ قبل الميلاد الذى اباد منهم ما وصلت اليه يده الطويلة المنيفة ، ولم ينج من عقابه الصارم الا من لاذ منهم بالفرار فى آفاق الارض البعيدة . ثم جاء الفتح الاسلامى لفلسطين سنة ٦٣٦ ميلادية ولم يكن بفلسطين آنذاك الا اقلية ضئيلة يهودية .. ومن ذلك التـــاريخ وفلسطين عربية مسلمة اللهم الا ردحا من الزمن أيام الحروب الصليبية ، ولكنها سرعان ما عادت الى العرب على يد البطل العربى (صلاح الدين الايوبى) .

ومما يؤكد أن اليهود كانوا اقلية ضئيلة ، ليس لها اى وزن سياسى او اجتماعى فى الفترة السابقة للفتح الاسلامى لفلسطين ــ ما جاء فى وثيقة استلام زمام الامور فيها ، والتى حضر لتوقيعها الخليفة (عمر بن الخطاب) بنفسه فى فلسطين ــ لقد اشترط المسيحيون فى شروطهم التســـليم ــ « الا يسكن بايليا أحد من اليهود » وضمن لهم الخليفة هذا الشرط .. وما ذلك الا شعور منه بعدم اى وجود لليهود من شـــأنه أن يكون له احترامه أو مجرد ثقله .. على الرغم من مرور اكثر من أربعة قرون على ما أنزله بهم الرومان فى قلعة (الماسادا) .

هذه هى جذور ما يسمى بـ (الشعب اليهودى) .. ولكنها جذور عفنة أبلت الاعاصير ساقها وقصفت الرياح فروعها ، وجفت من زمن بعيد أوراقها وصارت هشيما تذروه الرياح فأين اذن الشعب اليهودى .. ؟

هل هو أولئك الصهاينة المستعمرون الموجودون من ربع قرن بفلسطين المحتلة .. ؟ ان الواقع يؤكد ــ كما ذكر آنفا ــ انه لا وجود لما يمكن أن يطلق عليه اسم (الشعب اليهودى) .. وأن أولئك الصـــهاينة الموجودين بفلسطين المحتلة ليسوا شعبا تحت اى منظار ، وبأى مقياس .. لا بمقياس

التاريخ ، ولا بمقاييس الحضارة والاجتماع .. ولا بمقاييس الواقع .. انهم ليسوا سوى اقلية يهودية عربية ، واكثرية مجلوبة جلبا من (شذاذ الآفاق) من الشرق والغرب ، خليط متنافر متزاحم لا تجمعه وحدة العقيدة — كما يزعمون — وانما تجمعهم الاطماع والاحقاد .. فهل يمكن ان يسمى هذا شعبا .. ؟

وهؤلاء .. ليسوا شعب الله المختار .. ولا كذلك أجدادهم الأقربون ولم يخترهم الله .. ؟ السفكهم دماء عباده الأبرياء .. ؟ التكبر فى الارض بغير الحق .. ؟ أم لسعيهم بالفساد بين الناس واكلهم الربا .. ؟ أم لاجترائهم على شرائع الله ومقدساته فى الارض .. ؟

ولماذا اختار الله لهم فلسطين بالذات .. وهى مهد مقدساته .. ؟ الأنهم عاشوا فيها زمنا .. ؟ أم لأنهم خير خلق الله واجدرهم برعاية المقدسات .. ؟ ان التاريخ — كما سبق — يؤكد أن فترات تواجد اليهود على أرض فلسطين اقل بدرجة لا تقارن بالوجود المصرى ولا بالوجود العربى عليها .. سواء بعد الفتح الاسلامى أو قبله ..

ولماذا يمنحهم ربهم أرضه المقدسة (ارض الميعاد) .. ؟

ان الكتب المقدسة والتاريخ يؤكدان أن اليهود — منذ كانوا — اكثر خلق الله عقوقا لربهم ، واجتراء وتطاولا عليه ، وقتلة الانبياء والمصلحين ومحرقى الكتب والشرائع المقدسة ، ولقد منحهم الله الفرصة تلو الفرصة للاستقامة ، وفضلهم على العالمين زمنا بما منحهم من أنبياء ، وانعم عليهم من نعم ولكنهم تطاولوا وتمادوا فى طغيانهم فسلط الله عليهم — فى كل جيل — رسل انتقامه يمزقونهم كل ممزق ، ويشردونهم بددا حينا بعد حين .

ان اناسا هذا ماضيهم — وهو حافل بالضياع والانتقام — لا يمكن أن يصدق عاقل انهم (شعب الله المختار) الا اذا اقتنعنا بأن الثواب يكون للعاصى وأن المكافأة يستحقها المسىء ..

ولكن يبقى سؤال : لماذا اخترع اليهود هذه الاسماء : (شعب الله المختار) ، (أرض الميعاد) ، (الشعب اليهودى) .. ؟

يجيبنا العالم الانجليزى المعاصر (جون اليجرو) الاستاذ المتخصص فى اللغات الشرقية فيقول :

« ان كل هذه (الخرافات) التى آمن بها اليهود قد ظهرت بين سنتين معروفتين فى تاريخهم سنة ٥٨٦ قبل الميلاد .. عندما جاء الملك البابلى (بختنصر) وهدم أورشليم (القدس) وهدم معبد سليمان ، وأحرق أخشابه ، واخذ كل ما فيه من ذهب ، وحطم قدس الاقدام حيث أودع اليهود (وصايا موسى العشر) .

والسنة الثانية عندما انهدم المعبد مرة ثانية سنة ٧٠ ميلادية عندما تقدم الرومان وهدموا هذا المعبد عليهم واحرقوهم .. ثم حاول بعض

اليهود أن يقفوا فى وجه الرومان ، واعتصموا بقلعة (ماسادا) حتى هلكوا جميعا ..

بعد هاتين السنتين تفجرت عن اليهود هذه الافكار التى تقوم بتعويض ما فقدوه فهم أناس لا أرض لهم .. لأنهم مطرودون من كل أرض .. ولذلك اخترعوا لأنفسهم أنهم مشردون بلا أرض ، ولكن الله اختار لهم أرض فلسطين ، انها خرافات يهودية .. خرافات جياع مشردين ، منبوذين ، مكروهين لا جذور لهم .. بلا حوائط .. بلا أرض .. جلسوا فى مهب الريح الرملية فى الصحراء وامتدت أيديهم الى أعشاب مخدرة .. وراحوا يتخيلون ، ويصدقون أوهامهم .. ولكنهم حتى لو صدقوها وجنوا بها ، فهى أوهام لم تنزل من السماء ، وانما نبتت من الارض ، التى ليست أرضهم ولن ينعم اليهود بالراحة فى أى عصر ما دام الدم والدمار ، والحقد أسلوبهم فى الحياة » .

ولا عجب أن يجىء فى (توراة اليهود) نفسها ما يؤكد رأى هذا العالم — غير العربى — ففى الاصحاح السادس والعشرين من (سفر التثنية) وصف للشعب اليهودى بأنه (لقيط) وفى الاصحاح السادس عشر جاء فى سفر (حزقيال) وصف للشعب اليهودى بأنه (مثل الغانية الداعرة التى تدفع فلوسا لمن يزنى بها) .

والدارس لتاريخ اليهود يلفت نظره بوضوح أنهم مفتونون بالأرض ، حريصون على (كيان مستقل) لهم ، مغرمون بالتحكم والتملك ، ولما لم تسعفهم الارض برغائبهم تجنوا وافتروا على السماء ، واختلقوا الوعود المقدسة وتفننوا فى اختراع القصص الغيبية لاكتساب شرعية ما ليس من حقهم ، وهم فى سبيل تحقيق أطماعهم الشخصية مستعدون للتعاون ولو مع الشيطان متنكرين لكل مبدأ متعامين عن كل دين .

ولم يكن (وعد بلفور) بتمكين اليهود من وطن قومى لهم في فلسطين هو أول وعد حصلوا عليه لاقامة هذا الوطن فى نفس المكان .. مكافأة لهم على عمالتهم .. ففى القرن الخامس قبل الميلاد حصلوا على نفس الوعد من الاستعمار الفارسى نظير قيامهم بدور تخريبى فى العراق من الداخل حتى يسهل احتلال الجيش الغازى له — على نحو ما سبقت الاشارة اليه — وبلغت المؤامرة مداها وانطلقت الجيوش الفارسية سنة ٥٣٦ قبل الميلاد فى اكبر حركة استعمارية عرفها الشرق فى العصور القديمة ، فاستولت على العراق وأجزاء من شبه جزيرة العرب ، وسوريا ، ولبنان وفلسطين . ولما دهم الفرس مصر بقيادة (قمبيز) استعانوا فى استعمارها أيضا باليهود ، أو بتعبير أدق وضع اليهود أنفسهم فى خدمتهم للتآمر على الشعب المصرى .

وقد تم العثور على وثائق باللغة (الآرامية) — اليهودية — فى جزيرة (فيلة) بأسوان تثبت هذا التآمر .

وعندما غزا الاسكندر الشرق ، وتمكن من رد الغزو الفارسى على أعقابه مدحورا ، حاول اليهود احتواءه وبذلوا جهودا مكثفة ، استغلوا خلالها أسلحتهم التقليدية المعروفة من حيلة وذكاء ، ومكر ودهاء ليسكونوا محل ثقته .. ولكنه عاملهم بمنتهى اليقظة والحذر .. ولئن كان اليهود قد استطاعوا أن يحصلوا منه على بعض المزايا ، كأن جعل لهم شخصية قومية متميزة واتاح لهم حكم انفسهم بأنفسهم فى الشام — فى ظلال الحكم اليونانى — الا انه حرم عليهم المناصب السياسية الخارجية ، ولم يمكنهم من التدخل فى الشئون العسكرية ، ولم يسمح لهم بالتدخل فى الامور الاقتصادية .. وجعل ذلك مقصورا على اليونانيين وحدهم ..

وبعد اليونان جاء الرومان ، وحاول اليهود التعاون معهم فى سياستهم الاستعمارية ، ووصل بهم الامر — وهم اصحاب الكتاب السماوى — الى الوقوف بجوار وثنية الرومان ضد (يوحنان المعمدان) .. وليت تآمرهم انتهى بقتله فحسب ، بل تآمروا على السيد المسيح عليه السلام ، محاولين الفتك به والقضاء عليه ، كما تآمروا من بعده على المسيحيين فى (نجران) اذ دفعوا (ذو نواس) آخر ملوك حمير الى حرقهم . وعندما جاء الاسلام وبرغم وجود اتفاقيات صداقة وحسن جوار بينهم وبين المسلمين فى اول صدر الاسلام الا أن هذا لم يمنعهم من أن يتآمروا مع الوثنيين من قريش ضد الدعوة الاسلامية التى تقوم على التوحيد .

وقبيل غزوة الاحزاب ذهب جماعة منهم الى قريش بزعامة (حيى بن اخطب) بهدف التعاون معه لتدمير الدعوة الاسلامية ، ولقد ترددت قريش فى أول الأمر وقال قائلها للوفد اليهودى : يا معشر اليهود انكم اهل الكتاب الاول واهل العلم ، بما اصبحنا نختلف فيه مع محمد .. افديننا خير ام دينه ؟ قال اليهود : بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه .

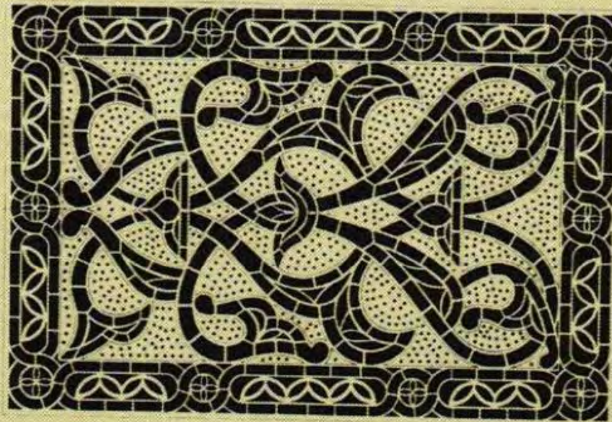
ويشير القرآن الكريم الى ذلك : **« ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا »** .

وحول تفضيل وثنية قريش على توحيد محمد عليه السلام يقول الدكتور (اسرائيل ولفنسون) فى كتابه « تاريخ اليهود فى بلاد العرب » كان من واجب هؤلاء اليهود الا يتورطوا فى هذا الخطأ الفاحش ، والا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام افضل من التوحيد الاسلامى ، ولو ادى بهم الامر الى عدم اجابة مطلبهم .. هذا فضلا عن انهم بالتجائهم الى عبادة الاصنام انما كانوا يحاربون انفسهم ويناقضون تعاليم التوراة التى توصيهم بالنفور من اصحاب الاصنام والوقوف معهم موقف الخصومة .

واذا كان التآمر من سمات اليهود ـ كما يروى التاريخ ـ فانه يروى أيضا أن الغدر واثارة الشغب ، وحب الذات هى صفات من أبرز خصائصهم . وهى الصفات نفسها التى جعلت الرومان يقلبون لهم ظهر المجن ، ويمزقونهم كل ممزق ، وهى أيضا نفس مبررات (هتلر) لممارسة الاسلوب الذى اتبعه معهم الرومان والفرس ، فاليهود هم اليهود فى كل زمان ومكان ، نبغوا فى (العمالة) طريقا لبلوغ أطماعهم وتحقيق مآربهم .. كالمتسلقات من النباتات التى لا يستقيم لها صعود وارتفاع الا على عود تستند اليه . وهم ـ لكى يصلوا الى أغراضهم ـ لا يهمهم على أى ركيزة يرتكزون .

وفى العصر الحديث كانت ركيزة اليهود (أوروبا) ثم انكمش دورها وصارت ركيزتهم أمريكا .. ومهما طال الزمن . فسوف ينكمش دور أمريكا لان عدالة السماء تطارد اليهود بما اقترفوه .. فى كل عصر .. ولعنة الضحايا الابرياء تلاحقهم بما أجرموه فى كل جيل ، و « **ان ربك لبالمرصاد** » .

وانه لمن واجب العرب .. كل العرب ، ومن واجب المسلمين .. كل المسلمين .. بل من واجب الانسانية جمعاء ، أن يدرك الجميع أبعاد التآمر اليهودى ، وخطورة احلامهم التوسعية الجامحة النابعة من نفوس مريضة ، تتراكم فيها مركبات نقص شريرة .. فما حلمهم (من النيل الى الفرات) يصور غاية مطامعهم ، وانما هو ـ على ما نعتقد ـ خطوة على طريق مطامحهم الخرافية للسيطرة على العالم كله واذلاله ان اتيحت لهم فرصة الاستمرار على هدى تعاليمهم التى اخترعها لهم حاخاماتهم ضيقوا الافق ذوو التفكير البربرى والطوية المريضة والتى تقول : « تقرب الى الله بقتل غير يهودى » أوليست سياستهم هى ـ كما يحكى القرآن الكريم ـ « **ليس علينا فى الأميين سبيل** » .. ؟





(بقية الوحدة الاسلامية)

كان غير ذلك فى اية وحدة فى التاريخ ، وما أظنه يكون غير ذلك فى اية وحدة فى المستقبل ، « **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون** » . وإذن فهيهات أن تصلح ظروف الدعة والرفاء والرخاء لقيام وحدة يرجى لها البقاء .



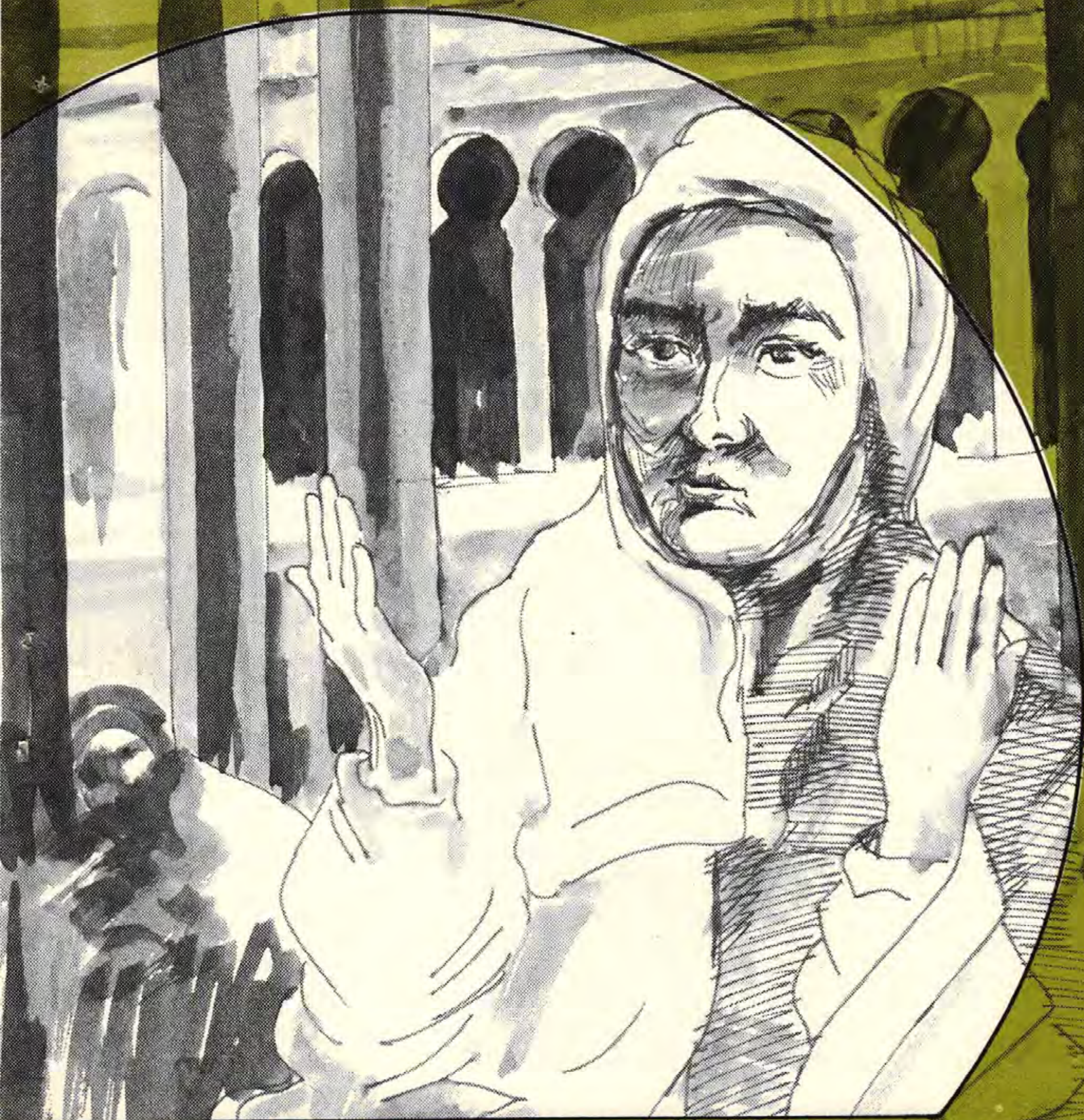
وظروف استمرار الوحدة أو عوامل دعمها وتقويتها ووقايتها تتلخص فى وجود مرجع أعلى يرجع اليه عند ظهور بوادر الخلاف ، تكون له الكلمة الحاسمة ، والطاعة الواجبة ، على جميع الأطراف عن اقتناع واذعان وخضوع ورضا .. ذلك المرجع الذى توفره الوحدة الاسلامية هو شريعة الله سبحانه المتمثلة فى كتاب الله وسنة رسوله « **.. فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** »

هذه بعض ملامح للشكل الذى ترك لنا أن نختاره للوحدة من واقع التجربة : تناولت الموضوع والغاية ، كما تناولت عوامل الإنشاء وعوامل الوقاية ، لا أدعى أننى أصبت بها نهاية القول ، ولكن أدعى أننى طرقت بابه .

إنما الأمر الذى أود أن نلتفت اليه بقوة فى ظروف الأمة الاسلامية الراهنة وما تعانيه من تمزق وحيرة ، وما تتلهف اليه من اهتداء الى طريق النجاة .. هو أن نجاتها فى وحدتها ، وأن وحدتها ليست سرابا اذا سلكت اليها المنهج الميسر ، منهج الاعتصام بحبل الله ، وهو منهج يملكه الفرد ، كما تملكه الجماعة وتملكه الدولة ، فكلهم مسئول عنه . والله الموفق .



قصّة اسلاميّة



صانع المعجزات

للأستاذ عزت محمد ابراهيم

كان الوقت قد جاوز العشاء بقليل ، وقد بدت واجهة الحرم المطلة على (جياد) بمئذنتيها الشامختين غارقة فى الاضواء ، وقد جعل المصلون يتهادون خارجين من الحرم تلهج ألسنتهم بالحمد والشكر ، وما لبثت جموعهم أن تفرقت يمنة ويسرة ، كل الى وجهته .

كان جليا أن جموع المصلين أكثر من المعتاد ، فقد كان موسم الحج قد هلت تباشيره ، وبدأ شارع (جياد) مائجا بالحركة ، مضطربا بالناس ، ذاهبين وآيبين ، وعلى جانبيه صفت مقاعد هنا وهناك أمام بيوت المطوفين ، قد اتخذ منها بعض وفود الرحمن مجالس ينعمون فيها بنسمات الليل المنعشة ، وتتعلق أبصارهم بالحرم أمامهم فتشيع فى نفوسهم الراحة والسكينة بعد عناء الجهد والتعب فى الوصول الى مهوى أفئدتهم ومرتجى آمالهم .

وفى بيت من بيوت (جياد)كانت تعيش أسرة قليلة العدد ، لم تكن تجاوز الثلاثة أفراد : أم وابنتها وابنها ، ولم يكن الابنان هما كل ما للأم من أبناء ، ولكنهما كانا كل من بقى معها من أبنائها ، فقد تزوج الآخرون ، واستقل كل منهما ببيت أصبح له فيه بنون وبنات يزورونها بين الوقت والآخر ، ولولا ما ألم بها من مرض ، وما ألح عليها من علة ، لكانت أسعد الناس وأهنأهم بحياتها .

لم تكن قد بلغت من الكبر عتيا ، ولم تكن قد ردت الى أرذل العمـــر ، ولكنها كانت تبدو فى مرضها وشحوبها كمن طعن به السن ، واصبح على شفا النهاية التى لا مفر منها لانسان .

ومن خصاص نافذة فى البيت كانت الابنة تطل على شـــارع (جياد) ويتعلق بصرها بالحرم فى خشوع وابتهال ، لعل لسانها كان يلهج بالدعاء لشفاء أمها التى أضناها المرض وأسقمتها الآلام ، ولعلها كانت ترقب مجيء اخيها ليبدد عنها الوحشة الضارية أطنابها فى البيت الذى خيم عليه الهدوء والسكون .

كان الناس ينحدرون من أعلى الشارع الى أسفله ، أو يصعدون من أسفله الى أعلاه ، ويختلط بعضهم ببعض فيخيل اليها ان شارعهم ـــ وهى تطل عليه من عل ـــ هو مجرى سيل ، فمن ناحية تكتنفه العمارات المرتفعة، وعلى الاخرى يستقر جبل (قبيس) قد انتشرت فوقه البيوت والمساكن حتى أصبح كأنه مدينة قائمة بذاتها .

وكرت بذاكرتها الى أيام خلت فانفرجت شفتاها عن بسمة خفيفة وهى تقول محدثة نفسها : بل هو على الحقيقة مجرى سيل . ما كان أشد ولعها ـــ وهى طفلة غريرة ـــ بمشاهدة السيل فى تدفقه وجريانه حاملا فى طريقه أشياء كثيرة متنوعة ، كانت تتبعها بعينيها أثناء مسيرها فتحسبها سفنا تمخر عباب بحر متلاطم الامواج ، زاخر الاثبـــاج ، ولعلها كانت تسرع الى أمها فتمسك بتلابيبها حتى تأتى بها الى النافذة لتشاهد معها ذاك السيل المتدفق ، وتلك الاشياء الصغيرة المتنوعة التى لا تقوى على اعتراض طريقه فتستسلم لتياره ، ذكرت أمها فترقرقت الدموع فى عينيها ، ها هى ذى طريحة الفراش منذ ما يقرب من العام ، لا تكاد تغادره الا لقضـــــــاء حاجة لا مناص من قضائها ، ثم تعود اليه ، خائرة القوى ، شاحبة اللون ، تتراقص شفتاها توجعا وشكاية من هذه الآلام التى تنتابها بين الحين والآخر .

ما أكثر ما تناولت من دواء ، وما أكثر من عادها من أطباء ، ولكن العلة هى العلة ، والآلام هى الآلام .

اتجهت الى أمها متثاقلة الخطى ، وأجلستها فوق فراشها ، وأمسكت بقارورة صبت من سائلها شيئا فوق ملعقة قربتها من فمها فابتلعته على كرْه ومضض ، ثم انزلقت الى فراشها وقد اتسعت عيناها ولمع فيهما بريق وهي تتطلع الي ابنتها مشفقة من عنائها وتعبها ، وكأنما تريد أن تقول : لا فائدة ـــ يا بنية ـــ ولا رجاء ، فلم تشقين على نفسك ؟

ولم تنبس الابنة بكلمة ، وانما انتبذت من نفسها مكانا قصيا ، وأطلقت العنان لعبراتها تبلل بها خديها ، ودخل أخوها على حين غفلة منها فرآها على ما هى عليه فتخاذلت ساقاه ، وخيل اليه أنهما لا تقويان على حمله ، وانه سيتهاوى على الارض كأنه بنيان قد انقض فجأة . قال يسأل أخته فى أنفاس متتابعة :

ـ ماذا بك ؟ هل ألم بها شيء .. ؟ هل أصابها مكروه .. ؟
ولم تجب ، وانما مسحت عينيها بمنديل فى يدها ، ثم اتخذت مجلسا فوق مقعد ألقت بنفسها فوقه القاء ، وظل الابن ذاهلا لا يدرى شـيئا ، واحست الأم بمقدمه فنادت فى صوت ضعيف متهالك :
ـ فواز ، فواز ، أين أنت .. ؟ هل أتيت يا بنى .. ؟
وسمع (فواز) الصوت الضعيف المتهالك يحمل اسمه ، فثاب اليه رشده ، وردت اليه روحه ، وانتظمت أنفاسه التى كادت أن تنقطع خشية وتوجسا ، وهرع الى أمه يحتضنها ويدعو لها بالبرء والشفاء ، ثم عاد الى أخته يكيل لها اللوم والتقريع ، ولكنها تطلعت اليه يكسو وجههـا الحزن والأسى وهى تقول :
ـ الى متى ستظل على هذه الحال .. ؟ ان فؤادى يتمزق كل يوم عشرات المرات ، ليت الله أن يشفيها أو ..
وغص حلقها فلم تكمل كلامها ، وانما عادت العبرات تنهمر فوق خديها منطلقة العنان .
وقلب (فواز) كفيه ، يضرب الواحدة بالاخرى وهو يقول :
ـ ارادة الله ، وماذا فى وسعى أو وسعك أن نفعله ؟ لم ندخر جهدا ، ولم نبخل ـ على علاجها والتماس الدواء لها ـ بمال ، وليس فى طاقتنا بعد ذلك الا أن نبتهل الى الله أن يشفيها ويكتب لها البرء والنجاة . هل فى وسعنا غير ذلك ؟ هو وحده بيده كل شيء ، ولكل أجل كتاب ، واذا حانت الآجال فلا مهرب ولا مفر .
وبدا كمن يفكر فى شيء ، أو كمن يتذكر شيئا ، وانفرجت أسارير وجهه وهو يقول لأخته فى ابتهاج كمن يزف اليها بشرى :
ـ لقد سمعت عن طبيب فى (جده) له سيرة حسنة على الســنة الناس ، فهم يلهجون باسمه ، ويمدحون فيه المهارة ويشيدون بالمقدرة ، ولعل الله أن يجعل الشفاء على يديه ، فاذا كانت الغداة فسأذهب بها اليه من يدرى ؟ لعلها بعد ذلك تصبح غير ذات أسقام .
وفى عصر اليوم التالى ، كان (فواز) قد أعد العدة للذهاب بأمه الى ذاك الطبيب . تحاملت الأم على نفسها مستندة على ذراع ابنها وهو يكاد أن يحملها حملا حتى استقرت فى داخل السيارة . واتخذ (فواز) مكانه أمام مقود السيارة وقد غمرته فجأة مشاعر الفرح والسرور . وسار بسيارته الهوينى فى شارع (جياد) حتى اذا بلغ منتهاه انحرف عن يمينه ثم توقف هنيهة ملتفتا الى أمه يريد أن يلتمس شيئا يسرى به عنها فقال مفتر الثغر ضاحك السن :
ـ ألا تلحظين شيئا يا أماه على هذا الشارع .. ؟
ردت مبتسمة :

ـ بلى يا بنى ، لكأنى به قد ازداد سعة ورحابة .

شاعت الفرحة فى أسارير (فواز) وهو يقول :

ـ انه لكذلك ، أنظرى الى الجبل عن يمينك ، الا ترين أثر الهدم فيه ، لقد اقتطع منه جزء كبير ، أضيف الى الشارع فأصبح على ما ترين .

ومضت بهما السيارة متجهة الى (الغزة) ، ثم الى (ريع الحجون) فى طريقها الى (جده) .

لاذت الأم بالصمت غير راغبة فى كلام أو حديث ، ولكن عقلها لم يكن يكف عن التفكير ، تارة فى مرضها الذى أعيا الاساة ، وأخرى فى هذا الطريق الذى لم تقع عليه عيناها منذ زمان طويل .

وبلغت السيارة مشارف (جده) ، ووقعت عينا الأم على صخرتين كبيرتين تتوسطان الطريق فقالت فى فرح كفرح الاطفال :

ـ « أم السلم » ، اليس كذلك .. ؟

التفت اليها (فواز) وهو يشاركها فرحها قائلا :

ـ بلى ، انها هى .

قالت الأم :

ـ أعرفها من هاتين الصخرتين ، ومن الطريق حين يهم بالارتفاع صاعدا .

قال (فواز) منشرح الصدر :

ـ ومن هذا البناء الذى يتوسط الطريق ، ويستقر بداخله شرطى الجوازات ، هل نسيت .. ؟

وعاد الصمت يلفهما بردائه ، وعادت الأم تفكر وتتأمل وهى تتطلع بعينيها يمنة ويسرة :

ـ ما أسرع ما يمتد العمران ، لو استمر الحال على ما هو عليه فما اظن الا أن (مكة) و (جده) ستتصل احداهما بالاخرى ، أو يسكون بينهما من المسافة ما لا يكاد يذكر .

وصل (فواز) الى مبتغاه ، فأوقف سيارته ، وخرج وأمه تتحامل عليه تحاملا شديدا ، ودخلا الى عيادة الطبيب ، وجلست الأم فى غرفة للنساء ، وانتظر هو مع المنتظرين فى غرفة الرجال ، وحان دور الأم فاتجهت الى الطبيب الذى جعل يسأل ويستفسر عن أصل الداء وأعراضه وبدايته ، وفحص مستأنيا ، وخرجت المريضة منبسطة الاسارير تقص على ابنها ما رأت وما سمعت ، وهى راضية مستبشرة .

وارتاح (فواز) لراحتها ، ثم عادا ادراجهما الى السيارة .

لم تكن غير لحظة تلك التى انبسطت فيها أسارير الأم وتلك التى رضيت فيها واستبشرت ، ثم ما لبثت أن عادت الى التجهم والاكتئاب ، وعاد ذهنها الى تفكير القانط الذى دهمه اليأس من جميع أقطاره حتى لم يكن يجد لنفسه منفذا أو مخرجا .

وما هى الا ساعة أو تزيد قليلا حتى كان (فواز) يتهادى بسيارته متجها الى بيته فى (جياد) مارا بـ (السوق الصغير) وهو يتمهل فى سيره تارة ، ويتوقف أخرى حتى يتيح لافواج الخارجين من (الحرم) عبور الشارع بعد صلاة العشاء .

تطلعت الأم ناحية (الحرم) وبدا لـ (فواز) كأنما قد استشف ما يدور فى خلدها ، فقال مبتسما :

ـ هيا بنا ندخل .

وفتح باب السيارة ، وأخذ بيد أمه يعينها على الخروج .

كان (الحرم) متلألئا بالانوار ، يتردد فى جوانبه التهليل والتكبير ، والناس فى رحابه بين ساع وطائف ، وقائم وقاعد ، منهم من يسعى بين (الصفا) و (المروة) ، ومنهم من يطوف بالكعبة متعلقا بأستارها تارة ، متمتما بالدعاء تارة أخرى ، ومنهم من يقوم ويقعد قد اتخذ من مقام ابراهيم مصلى ، ومنهم من جلس فى خشوع وابتهال باسطا بين يديه كتاب الله يقرأ بعض آياته .

اقتربت الأم من الكعبة ، وجلست ساكنة ، قد ران عليها الصمت والخشوع ، وغير بعيد منها جلس ابنها (فواز) ، وما هى الا لحظة حتى نهضت منتصبة القامة مستقيمة العود ، لكأنما قد دب فيها فجأة دبيب الصحة والعافية ، أو كأنما قد بدلت فى لمحة خلقا جديدا ، وهرع (فواز) يلحق بها ممسكا بيدها وهو يقول فى اشفاق :

ـ ولكنك لا تقدرين يا أماه ، ليس فى طاقتك ذلك ، حسبك الجلوس على مقربة منها ، اذا كنت قد عقدت العزم على الطواف فدعينى آت لك بمحفة وأستأجر لك من يحملك فوقها .

ولكنها لم تلق اليه بالا ، ولا أصاخت له سمعا ، وانما بدأت الطواف وهى تحس كأن طاقة قوية قد تدفقت فى كيانها فجأة ، فهى تشيع فيه الصحة والعافية ، وتمده بالقدرة على الحركة والنشاط . وجعل (فواز) يرنو اليها مشدوها لا يكاد أن يصدق ما تراه عيناه ، وأخذ يحدث نفسه قائلا : لقد كنت أحملها حملا ، لقد ظلت طريحة الفراش زمنا ، اية قوة تلك التى واتتها على غير توقع وانتظار ، انها لم تعد مريضة ، لقد زايلها المرض وانكشفت عنها غمته .

وفرغت الأم من طوافها ، وقد غمرت وجهها سعادة قد نبعت من سويداء قلبها ، ثم اتجهت الى (مقام ابراهيم) تركع أمامه وتسجد ، وتقوم وتقعد ، وابنها لا يحول عنها عينيه ، وهو يكاد يقفز من مكانه فرحا ، ثم لم يلبث أن رفع يديه الى الله شكرا واعترافا بما أسبغ من فضل ، وبما انعم من نعمة .

وخرجا من الحرم معا ، والأم تدب على قدمين قويتين ، واتخذت

مجلسها فى السيارة بغير مساعدة أو مساندة ، وأمسك (فواز) بالمقود ثم التفت الى أمه يقول ضاحكا :

ـ لم أشتر الدواء بعد ، سأذهب لشرائه .

ـ كلا ، لا حاجة لى به ، لم يعد بى مرض ، حمدا لله على ما أنعم وأفاد ، لعل الله قد أجرى على خاطرك ذكر هذا الطبيب لكى يحدث ما حدث وليس سواه .

وفى البيت كانت الابنة تنتظر بقلب واجف ، ولم تكد ترى أمها حتى اعتراها ما اعترى (فواز) وهو مع أمه فى رحاب الحرم ، وتطلعت اليهما تقول فى دهشة :

ـ عجبا ، هذا من فعل الطبيب !

واعترضت الأم مستنكرة :

ـ بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء ، ويسبغه على من يشاء ، لا تأتينى بعد اليوم بدواء يا بنية ، وحسبى كل يوم أن أذهب الى هذا الحرم الآمن المطمئن ففيه الدواء لكل الادواء .

قلب (فواز) وجهه بين أمه وأخته ، واتخذ لنفسه الى جانب الأم مجلسا ، وشغله التفكير والتدبير فأخذ يناجى نفسه قائلا :

ـ لا وجه لغرابة أو استغراب ، ولا محل لعجب أو دهشة ، انما هو فعل الايمان وأثره فى النفوس ، ولو خلصت النيات ، وصفت القلوب ، واتجهت الناس الى بارئهم بقلوب صافية غير مشوبة بشوائب وأخلاط ، لما ألم بهم مرض ، وما اعترضت حياتهم علل وأوجاع ، تنغص عليهم الحياة ، وتفسد عليهم سعادتها وبهجتها .

انه الايمان ، صانع المعجزات ، لا يخفى أثره ولا ينكر فضله ، هو دواء لكل الادواء : أدواء النفس وأدواء الجسد معا .



رسالة مفتوحة

إلى مؤتمر القمة الاسلامي

، صورة من الرسالة المفتوحة التى وجهها مكتب المؤتمر الاسلامى العام فى عمان لملوك ورؤساء الدول الاسلامية ، والمتضمنة النداء لهم بنصرة الحق وازالة الخطر المحدق بالارض المحتلة والقدس خاصة .

فى حلكة هذا المنعطف التاريخى وتدافع الخطوب والاحداث التى تحيط بامة الاسلام ، نتوجه اليكم ناقلين صدى صرخات الايتام الذين حرموا عطف الابوة ، ونحيب الأمهات اللواتى فقدن الابناء ، وحيرة الأرامل اللواتى فقدن حنان الازواج ، باسم مئات الآلاف من المشردين الذين يفترشون الارض ويلتحفون السماء ، بعد أن تنكر لهم ضمير الانسانية ، حين طردوا من بيوتهم وديارهم ليفرض عليهم اللجوء والتشريد .

باسم الاسلام الذى جمعتنا عقيدته نتوجه اليكم معلقين الآمال الكبيرة على مؤتمركم الخير أن تتذكروا فى كل قرار يتخذ ومع كل بيان يصدر انصاف الحق وأهله وخذلان الباطل ومشايعيه ، خاصة وانكم تلتقون باسم الاسلام وشريعة التوحيد وبعد أن عرفت الدنيا كلها ما وقع على مقدساتنا من جراء الاحتلال اليهودى الغاشم وما آلت اليه الاوضاع فى القدس دون أن يقع فى ذهن العدو الغاصب أن القدس لها الاهمية الكبيرة لدى شعوب الاسلام ودوله ..

ايها السادة ،

حين نذكر القدس بشكل خاص ، نذكرها ونحن نغص بكلماتنا ، كقبلة اولى للمسلمين حين كانت الدعوة الاسلامية فى بدايتها تبحث لها عن هوية ولقد التزم العرب والمسلمون فى كل العصور صيانة المقدسات الدينية وتامين الوافدين لها من كل ملة ونحلة واشاعوا فى بيت المقدس جوا من الدعة والطمانينة حتى تؤدى رسالتها المقدرة كواحة للأمن ومهدا للسلام على الارض .

وانكم لتعلمون أن القدس ليست فى الكيان الاسلامى مجرد مدينة من تلك المدن الكثيرة التى تخضع لمد الزمن وجزره ، لا وليست حاضرة كبرى ترتبط بالمقدسات والذكريات التى يمكن الاستغناء عنها بغيرها ، انها للوجود الاسلامى — عقيدة وحضارة وأوطانا — ذلك الرمز الشامخ الذى يعنى بقاؤه أو زواله بقاء الكيان أو اندثاره من الوجود .

ان القدس فى تاريخنا هى خط الدفاع الاخير والخندق الذى لا يجوز بعده التراجع ، فاذا ابتلعها الخطر كان على الامة الاسلامية أن تختار خيارها الحاسم بين الوجود والعدم . وها قد عادت القدس اليوم يغمرها طوفان أسود كئيب حين دخل المستعمر القزم باحات مسجد عمر وقبة الصخرة المشرفة وأخذ يعبث بالمقدسات ويغير واقع المدينة وواقع سكانها ويفرض عليها شراذم الوافدين الغرباء .

لقد قدم العدو الدليل تلو الدليل على أن هدفه المرسوم هو تدمير الكيان الاسلامى فى المدينة المقدسة وفرض الوجه اليهودى الزائف عليها ، ولقد شرع منذ حرب حزيران عام (١٩٦٧) يفتعل الاسباب لتحقيق هذا الهدف ، ففى الرابع من آب من ذلك العام ، نشرت مجلة (تايم) الامريكية حوارا مع المؤرخ اليهودى (اسرائيل الداد) حول اعادة بناء هيكل سليمان فقال « اننا نقف فى مرحلة حيث كان سليمان فى القدس ، أما المسجد الاقصى فهو موضوع بحث ، ولكن من يدرى فقد تحدث هزة أرضية » ، والهزة الارضية المقصودة ستاتى بفعل الحفريات التى تجرى تحت مبنى المسجد الاقصى وكان الحريق المفتعل داخل المسجد خطوة أولى نحو هدمه ، وفى الاسبوع الثالث من احتلال البقية الباقية من القدس فى عام (١٩٦٧) م أصدر البرلمان اليهودى قانونا بضم القدس الشرقية الى دولة الاحتلال متحديا بذلك قرارى الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٢٢٥٣) تاريخ (٤ تموز ١٩٦٧) ورقم (٢٢٥٤) تاريخ (١٤ تموز ١٩٦٧) ومنذ ذلك التاريخ أخذت سلطات الاحتلال اليهودى ترغم السكان العرب على التنازل عن ملكية أراضيهم وتطرد من يرفض الانصياع لذلك ، رغم الاحتجاجات والقرارات الدولية التى شجبت هذه التصرفات الهمجية والوسائل البربرية الصهيونية التى خطط لها وأشرف عليها زعماء اليهودية العالمية .

أيها السادة ،

تعلمون أن أول مؤتمر اسلامى عقد كان موضوعه الرئيسى ما أصاب المسجد الاقصى فى القدس بعد الحريق الذى اندلع فيه على يد سلطات الاحتلال اليهودى ، وعندئذ بدأت علائم الحياة ودلائل العافية تظهر على الجسم الاسلامى للالتفاف حول العقيدة السامية ، ولا ننسى أن انعقاد مؤتمركم هذا جاء بعد العدوان اليهودى فى رمضان الماضى على اخوتكم العرب فكان علاقة ايمان وتكاتف ضد الخطر المشترك وليؤكد من جديد أن أرض الاسراء هى جزء لا يتجزأ من الوطن الاسلامى لا سبيل للتخلى عنها أو التفريط فى شىء منها .

وفى هذا الظرف العصيب الذى تظهر فيه المشاريع المتآمرة والتى تود نزع اسلامية القدس عنها سواء عن طريق التدويل أو التهويد ، ينعقد مؤتمركم العتيد ليعلن أن الشعوب الاسلامية لن تتنازل عن قدسها والسيادة على مقدساتها الى أى جهة كانت مهما بذلت فى سبيل ذلك ، وستبقى القدس بؤرة توتر فى العالم ما دام الوضع السائد على ما هو عليه من تنكر لحقوق الشعب المشرد والمقدسات الاسيرة .

ايها السادة ،

ازاء هذه الاحداث وما ترونه من نذر تلوح فى الاجواء الدولية تقودها الكتل والمنظمات الدولية المتصارعة ، تبرز ضرورة حيوية للتضامن الاسلامى ، ولا بد للمواقف الاسلامية من أن تزداد وضوحا فى دعمها للحق العربى وللضغط على الدول الكبرى التى تقف ظهيرة للعدوان اليهودى .

ونجد من واجب الدول الاسلامية المشاركة الفعالة فى معركة البترول الحالية لتشعر قوى الطغيان أن دعم الظلم والوقوف مع المعتدين سيكلفهم الكثير فى اقتصادهم ومالهم ومصالحهم ، وظننا أن اخوتنا فى البلاد الاسلامية كلها يشاركوننا الشعور بأن من يساند المعتدى شريك فى الجريمة ، فكيف اذا كانت الفريسة مقدسات الاسلام وقبلته الاولى كما أن الاحداث تدفعنا للمطالبة بايجاد تكتل اسلامى عسكرى ليكون الدرع الواقى والمظلة التى يقف تحت سقفها التجمع الاسلامى وقاية من الاخطار المحيطة ودفعا للضيم وازالة للاعتداء عن كل شبر من أرض الاسلام يتعرض لأى نوع من التآمر ، وأولها ازالة الحيف الذى يلف مقدساتنا فى القدس وفلسطين والذى اذا ما تهاونت الدول الاسلامية فيه ولم تفكر فى ازالة غيمته ، سيكون الباب الذى يلجه العدو الغاصب للوصول الى مدينة محمد (صلى الله عليه وسلم) والكعبة المشرفة — لا سمح الله .

راجين لمؤتمركم النجاح ولشعب باكستان المسلم — الذى حمل لواء الدعوة لهذا الاجتماع — مزيدا من القوة ليكون ظهيرا ونصيرا للاسلام وقضايا المسلمين .

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز» .

صدق الله العظيم

المؤتمر الاسلامى العام
(لبيت المقدس)
عمان — الأردن

الفتاوى

فى الأذان .. ؟

السؤال :

بعض المؤذنين يفتح الراء فى التكبيرة الاولى فى الاذان فيقول : الله اكبرَ ، الله أكبر ، فهل يجوز ذلك .. ؟

فهد السحيم ـ الاحساء

الاجابة :

يستحب أن يقف المؤذن على التكبيرة الاولى بالسكون ، ويجوز أن يصلها بالتكبيرة الثانية ، وفى هذه الحالة يجوز له اسكان الراء وتحريكها بالضم حركة اعراب وتحريكها بالفتح بنقل حركة اسم الجلالة فى التكبيرة الثانية الى الراء ، وأما التكبيرة الثانية فلا بد من اسكان رائها وتحريكها خطأ .

الصـــــلاة على النبى

السؤال :

ما معنى الصلاة فى قول الله تعالى : « ان الله وملائكته يصـــلون على النبى » .. ؟

عثمان بنونه ـ البحرين

الاجابة :

الصلاة من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم تشريف له وزيادة تكرمة فهى رحمة خاصة ، وقيل هى ثناء منه سبحانه على حبيبه ومصطفاه ، والصلاة على النبى من الملائكة دعاء له بزيادة الانعام والاكرام .

قال ابن عباس : ان الله تبارك وتعالى يبارك لنبيـــه فى أمره ويزيد فى قدره ، والملائكة يدعون ربهم أن يرفع ذكره .

وصلاتنا على النبى صلى الله عليه وسلم طلب من الله تعالى ودعاء له أن يزيد فى انعامه واحسانه وفضله على رسوله ، وما من كمال الا وعند الله اكمل منه وما من احسان الا يفوقه احسانه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشـــاء . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

معاشرة الزوجة بعد الطـــلاق

السؤال :

رجل طلق زوجته ، ولم يخبرها بهذا الطلاق ، واستمر يعاشرها معاشرة الأزواج بعد وقوع الطلاق ، فهل يحل ذلك شرعا .. ؟

على الكرخى ـ الموصل

الاجابة :

الطلاق الذى أوقعه الزوج ان كان رجعيا ، فمعاشرته لزوجته بعده اذا كانت قبل انقضاء عدتها منه شرعا كانت رجعة ، ولو لم تعلم بالطلاق ، واذا كانت بعد انقضائها ، أو كان الطـــلاق بائنا كانت معاشرته محرمة ، ويجب التفريق بينهما ..

الطلاق قبل العدة والطلاق بعد العدة

السؤال :

رجل طلق زوجته طلقة أولى رجعية ، وأثناء العدة وقبل مراجعتها قال لها « أنت طالق مرة ثانية » ثم قال لها وهى لا تزال فى العـــدة « أنت طالق ثلاثا » فما هذا الطلاق ، وهل يختلف الحـــكم اذا كانت فى العدة أو خرجت منها .. ؟

ابو اليزيد الجمل ــ الاردن

الاجابة :

الطلاق الثانى والطلاق الثالث اللذان صدرا من المطلق والزوجة فى عدة الطلاق الرجعى الاول يقعان ، وبذلك تصبح بائنة منه بينونة كبرى ، فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره بشروطه الشرعية ، واذا صدر الطلاق الثانى والثالث بعد انقضاء العدة فلا يقعان لأن المرأة حين الطلاق لم تكن محلا للطلاق ، فيجوز العقد عليها برضاها ومهر جديد .

حكم تسعير مواد التموين

السؤال :

ما حكم الشرع فى تسعير مواد التموين وغيرها وما الحكم فى البيع اكثر من السعر المحدد .. ؟

بندر خليفة ــ الكويت

الاجابة :

تسعير المواد التموينية فى أوقات الأزمات عمل ضرورى تقتضيه المصلحة العامة لتيسير العيش لجميع الأفراد على سواء ، ويدخل ذلك فى باب السياسة الشرعية التى تجعل لولى الأمر فى مثل هذه الظروف حق التخصيص والتحديد والتسعير استنادا الى قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) وتجعل طاعته فيما يجريه فى ذلك حتما ومخالفته اثما والعقوبة عليها حقا .

وكذلك الحكم فى تسعير غيرها مما يحتاج اليه فى المعيشـــة كالملابس ومواد البناء ، ويحرم البيع بأكثر من السعر المحدد والله أعلم .

زواج المطلقة قبل الدخول

السؤال :

رجل طلق زوجته قبل الدخول بها ، فهل يحل لها أن تتزوج بآخر قبل انقضاء عدتها .. ؟

آدم فضل ــ السودان

الاجابة :

المطلقة قبل الدخول والخلوة بها تبين من زوجها ، لا عدة عليها ، ويجوز لها التزوج بآخر عقب الطلاق قال تعـــالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها » .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

وزع فى جنوب تايلاند مصحف مزور على حساب جماعة التبشير (تمجاريك)

وقد قام الحاج حسن الأستاذ بالمدرسة الحسنية فى منطقة (فطانى) بمراجعته وبيان الأخطاء الواردة فيه وفيما يلى هذا التصحيح :

السورة	الآية	الخطا	الصواب
آل عمران	١٣٠	يا ايها الذيم ولهم عذاب اليم	يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا
	١٤٣	وأنتم لا يشترون	وأنتم تنظرون
	١٨٨	من العذاب آمنوا	من العذاب ولهم عذاب اليم
	١٩٩	خاشعين لله تنظرون	خاشعين لله لا يشترون
المائدة	٩٣	ليس عليك وعلى والدتك	ليس على الذين آمنوا
	١١٠	ولو عليك وعلى والدتك	اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك
الأنعام	٧٧	لأكونن ما تستعجلونه	لأكونن من القوم الضالين
	٩٨	لأكونن يفقهون	قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون
	١٠٨	فيسبعوا لله عدوا	فيسبوا الله عدوا
الأعراف	٤٦	وعلى الأعراف اجال	وعلى الأعراف رجال
النور	٥٦	لدلكم ترحمه ن	لعلكم ترحمون
يس	٦٦	لطمسنا على هذا ذكر	لطمسنا على اعينهم
الصافات	٣٩	وما تجرون ولا تزر وازرة	يرضه لكم ولا تزر وازرة
الزمر	٧	يرضه لكم الا ما كتتم	وما تجزون الا ما كنتم
المؤمن	٥٧	اخلق السموات	لخلق السموات
الزخرف	٨٠	لا نسمع مرهم	لا نسمع سرهم

بسم الله الرحمن الرحيم

MOHAMED RASSOUL, M. A.
GDS-DIPLOM
ISLAMIC INFORMATION CENTRE

5 Köln 80 (Dünnwald)
Leimbachweg 2
Telefon: Köln 602811

الموضـوع = امـداد مركـز الدعـوة الاسلامية
بالمطبوعات التعليمية باللغة الالمانية

خطـاب دوري موجه الى الحكومات الاسلاميـة
ووزارات الاوقاف والشـئون الاسلاميـة بهـا
والهيئات العاملة على نشر الدعوة الاسلاميـة

تاريخ خاتم البريد: Datum

حضـرات الاخـوة الكـرام

السـلام عليكـم ورحمـة اللـه وبركـاته

الـدعوة الـى سبيـل الله عز وجـل مفتـوحة للجميـع ، بل هى واجب وفرض عين علـى كل مسلم قادر يملك العلم والوسائـل لـذلك الامر . وانطـلاقـا من هـذا المبدأ الاسـلامى قـام محـرر هـذا الكتاب بتكويـن مركـز للدعوة الاسلامية مـع بعض الاخوة الـذين اكرمهم الله سبحانه وتعالى بطلاقة اللسان الالمانى وسعة العلم والحجـة ، فانبروا يدعون فى كل مناسبة وكل مكان ، وقد لمسوا مع هذا العمل توفيق المولى عز وجل ولاقـوا نجاحـا بفضل الله كانوا لا يتوقعونه بهذه السرعة . فان عـدد المهتمين بالاسـلام يـزداد يوما بعد يوم وانهدمـت فى كثير من الاذهان هـذه الصورة المقيتـه الـتى شكلتهـا الكنيسـة عن الاسلام والمسلمين منذ العصـور الوسـطى .

لقـد اصبحـت حاجتنـا ماسـة الى مطبـوعـات مختلفـة باللغة الالمانية توضـح الصلاة والزكاة والحج والصوم واحكام العبادات بصفة عامة وارشادات عن احكام الاسلام وشرح لتعاليمه الى اخر هذه الكتيبات التعليمية .

كـذلك نحن فى حاجة الـى مراجع اسلامية باللغـة العربيـة ذات قيمـة علميـة للاستناد اليهـا فى البحـث والتوسع فى اقراع الحجة بالحجة .

واننـا لكبيرى الامـل عند الله سبحـانه وتعالى ان تقضـى حاجتنـا على اياديكم وتتكرموا بارسال مافـى وسعكم وطاقتكم من كتب ومطبوعات على العنوان التالى

Mr. Mohamed Rassoul
Islamic Information Centre
5 Cologne 80 , Leimbachweg Nr. 2
Western Germany

نتقدم اليكم بالشكر سلفـا وندعـو الله ان يجـزيكم عنا خيـر الجـزاء ويوفقكم الى مايحبه ويرضاه .

محمـد رسـول
مركـز الدعوة الاسلامية بالمانيـا الغربيـة



قالت صحف العالم

الايمان طريقنا الى النصر بحول الله

ليس النصر فى معركة من المعارك فى تاريخ الأمة الاسلامية الا ثمرة للجهود ، وليس هو الاصل أو الهدف كما علمنا الاسلام فى تاريخه المجيد ، وان دراسة التاريخ الاسلامى الاول تدل على أن عددا كبيرا من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بذلوا نفوسهم فى سبيل اعلاء كلمة الحق ، وتطبيق تعاليم النبى صلى الله عليه وسلم ونالوا الشهادة فى سبيلها ، ولم تشهد عيونهم بوادر النصر ، ولكن السنتهم كانت تلهج (فزت ورب الكعبة) ان هذا الايمان بوعد الله ونصره والشوق الى الشهادة فى سبيل الله هو الطريق المضمون المجرب لتحقيق النصر ، وما النصر الا من عند الله .

اننا لا ننظر الى معركة العاشر من رمضان من ناحية الاعتبارات العسكرية والمنجزات الحربية ، بكل تقدير واعتراف بالنصر الذى اعترف به وحتى الدوائر الغربية ــ وانما ننظر الى الاساسيات التى حققت هذا التقدم فى النضال وبوادر الامل والتفاؤل التى ابرزتها الحرب ، وكل ما حقق العرب فى هذا المجهود الحربى كان نتيجة لتغيير أساسى فى الفكر وتحول جذرى فى طبيعة الاستعداد والتنفيذ ، وتغير فى مصدر الكفاح ومنبع القوة ، فاذا سارت القيادة العربية فى الطريق الذى اكتشفته فى الحرب فانى واثق بأنها ستواصل النصر .. وتحقق النصر النهائى مهما تكاثفت قوى العدوان .

انى أريد أن أوضح لا أومن بالدعم الأمريكى أو الدعم السوفياتى ، فانهما يمكن أن يكونا عاملين من العوامل ، ولكن المسلمين حطموا اسطورة الدعم فى معركتهم الأولى فى بدر ، فانتصر المسلمون رغم القلة ، واجهوا نكسة فى حنين رغم الكثرة ، فيختلف فى ذلك نظر المسلمين عن نظر غيرهم اختلافا جوهريا » وعلى هذا الأساس يقوم صرح مجدهم ويستمدون منه قوتهم وانطلاقهم .

عن صحيفة الرائد الهندية

في سبيل الاصـــلاح

ضمنى بالامس مجلس مع طائفة من الناس الذين اعرفهم والذين لا أعرفهم ، قضينا فيه ساعتين من الزمن ، تحدث فيه الحاضرون أحاديث لا تفيد فى دنيا ولا فى دين ، لا تخرج عن كونها كلاما غثا تافها ، وكلمات مهلهلة تذهب مع الريح ولا يبقى لها أثر فى النفس ، وهى الى ذلك لا تخلو من الطعن بالناس وذكر معايبهم ومثالبهم وتوجيه سهام النقد اليهم بالحق حينا وبالباطل احيانا .

فقلت فى نفسى لو ان امثال هؤلاء عرفوا ما للوقت من قيمة ، وان كـــل ساعة تنقضى من عمر احدهم تضيع عليه وانه مسؤول عنها ، وان كلامه محسوب عليه (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) أو أنهم عرفوا ذلك لما اضاعوا ساعات اعمارهم فى اللغو الباطل والكلام الفارغ ، فالمؤمن اليقظ العاقل لا يتحدث الا بما ينفعه ولا يحضر الا المجالس التى تزيده علما وتمنحه خلقا وأدبا وتكسبه نفعا فى أمور دينه وفى مصالح دنياه ، وهو مأمور بترك اللغو وهو الساقط من القول الذى لا خير فيه ولا نفع ، لان الانسان العاقل انما يتكلم لجلب منفعة أو لدفع مضرة فاذا خلا عنهما كان كلامه عبثا لا طائل تحته وقد وصف الله سبحانه عباده المؤمنين بقوله «والذين هم عن اللغو معرضون » وبقوله« واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه» وربما كان اللغو وبالاعلى صاحبه ، لانه لا يخلو من عبث وكذب وغيبة وبذاءة

وورد فى الحديث أنه لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس ، من بينها (عن عمره فيم أفناه) وأيام عمر المؤمن محسوبة له أو عليه ، فهـــو يستفيد منها ويشغلها بالخيرات والعبادة وطلب العلم والنصيحة والكسب الحلال والحديث النافع ، وقد ورد فى الاثر من حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ، يعنى أن ما ينطق به اللسان معدود من العمل ويكتب فى الحسنات أو فى السيئات وهذا ما يشير اليه الحديث الشريف (وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد السنتهم ؟) قال تعالى (لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) واللسان يورد صاحبـــة موارد العطب ، ومن حفظ لسانه اراح نفسه ، ويروى عن الامام مالك بن أنس رحمه الله انه قال كل شيء ينتفع بفضله ــ أى بزيادته ــ الا الكلام فان فضله يضر ، وقال الفضل بن عياض شيئان يقسيان القلب كثرة الكلام وكثرة الاكل . .

ونختم حديثنا بان ننصح القراء ان يختاروا الموضوعات النافعة عنـــدما يتحدثون فى مجالسهم ، فمن كان منهم يحفظ قصة طريفة ذات مغزى أو خبرا طريفا وصحيحا من أخبار التاريخ ، أو رأيا من الآراء الأدبية أو العلمية النافعة التى تصلح موضوعا للنقاش الهادىء المثمر فليحدث بها أخوانه وأن كان لا يحسن شيئا من ذلك فليكن مستمعا مستفيدا . .

عن صحيفة الدعوة السعودية

بأقلام القراء

كيف يتكرر جيـل الصحابة من جديد ؟

لقد خرجت هذه الدعوة جيـلا من الناس ـ جيل الصـحابة رضوان الله عليهم ـ جيلا مميزا فى تاريخ الاسلام كله وفى تاريخ البشرية جميعه ثم لم تعد تخرج هذا الطراز مرة أخرى .. نعم وجد افراد من ذلك الطراز على مدار التاريخ ولكن لم يحدث قط أن تجمع مثل ذلك العدد الضخم فى مكان واحد ، كما وقع فى الفترة الأولى من حيـاة هذه الدعوة .

هذه ظاهرة واضحة واقعة ، ذات مدلول ينبغى الوقوف أمامه طويلا ، لعلنا نهتدى الى سره .

ان قرآن هذه الدعوة بين أيدينا ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه العملى وسيرته الكريمة ، كلها بين أيدينا كذلك ، كما كانت بين أيدى ذلك الجيل الأول ، الذى لم يتكرر فى التاريخ ، ولم يغب الا شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل هذا هو السر ؟

لو كان وجود شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم حتميا لقيام هـذه الدعوة ، وايتائها ثمراتها ، ما جعلها الله دعوة للناس كافة . وما جعلها آخر رسالة ، وما وكل أمر الناس فى هذه الأرض الى آخر الزمان .

ولكن الله سبحانه تكفل بحفظ الذكر ، وعلم أن هذه الدعوة ستقوم بعـد رسول الله صلى الله عليه وسلم وستؤتى ثمارها فاختاره الى جواره بعد ثلاثة وعشرين عاما من الرسالة ، وأبقى هذا الدين من بعده الى آخر الزمان .. واذن فان غيبـة شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفسر تلك الظاهرة ولا تعللهـا .

فلنبحث اذن وراء سبب آخر . لننظر فى النبع الذى كان يستقى منه هذا الجيل الأول فلعل شيئا قد تغير فيه . ولننظر فى المنهج الذى تخرجوا عليه فلعل شيئا قد تغير فيه كذلك .

كان النبع الأول الذى استقى منه ذلك الجيل هو نبع (القرآن) القرآن وحده . فما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه الا أثرا من آثار ذلك النبع . فعندما سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : (كان خلقه القرآن) .

كان القرآن وحده اذن هو النبع الذى يستقون منه ويتكيفون به ويتخرجون عليه ، ولم يكن ذلك كذلك لانه لم يكن للبشرية يومها حضارة ولا ثقافة ولا علم ولا مؤلفات ولا دراسات ..

كلا .. فقد كانت هناك حضارة الرومان وثقافتها وكتبها وقانونها الذى ما تزال أوربا تعيش عليه ، أو على امتداده . وكانت هناك مخلفات الحضـارة

الاغريقية ومنطقها وفلسفتها وفنها ، وهو ما لا يزال ينبوع التفكير الغربى حتى اليوم . وكانت هناك حضارة الفرس وفنها وشعرها وأساطيرها وعقـائدها ؛ ونظم حكمها كذلك .. وحضارات أخرى قاصية ودانية .. كما كانت اليهودية والنصرانية تعيشان فى قلب الجزيرة .

فلم يكن إذن عن فقر فى الحضارات العالمية والثقافات يقصر ذلك الجيل على كتاب الله وحده .. فى فترة تكوينه .. وانما كان ذلك عن (تصميم) مرسوم ونهج مقصود . يدل على هذا القصد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى فى يد عمـر بن الخطاب رضى الله عنه صحيفة من التوراة وقوله : « .. وانه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له الا أن يتبعنى » .

وإذن فقد كان هناك قصد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقصر النبع الذى يستقى منه ذلك الجيل .. فى فترة التكوين الأولى على كتاب الله وحده ، لتخلص نفوسهم له وحده ، ويستقيم عودهم على منهجه وحده . ومن ثم غضب أن رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستقى من نبع آخر .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد صنع جيل خالص القلب خالص العقل ، خالص التصور ، خالص التكوين من أى مؤثر آخر غير المنهج الإلهى ، الذى يتضمنه القرآن الكريم .

ذلك الجيل استقى إذن من ذلك النبع وحده . فكان له فى التاريخ ذلك الشأن الفريد ، ثم ماذا حـدث ؟ اختلطت الينابيع !

صبت فى النبع الذى استقى منه الأجيال التالية فلسفة الاغريق ومنطقهم ، وأساطير الزمن وتصوراتهم واسرائيليات اليهود ولاهوت النصارى . وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات .

واختلط هذا كله بتفسير القرآن الكريم ، وعلم الكلام ، كما اختلط بالفقه والاصول أيضا . وتخرج على ذلك النبع المشوب سائر الأجيال بعد ذلك الجيل . فلم يتكرر ذلك الجيل أبدا .

وما من شك ان اختـلاط النبع الأول كان عاملا أساسـيا من عوامل ذلك الاختلاف البين بين الأجيـال كلها وذلك الجيل المميز الفريد .

هناك عامل أساسى غير اختلاف طبيعة النبع . ذلك هو اختـلاف منهج التلقى عما كان عليه فى ذلك الجيل الفريد .

إنهم فى الجيل الأول لم يكونوا يقربون القرآن بقصد الثقافة والاطلاع . ولا بقصد التذوق والمتاع . إنما كان احدهم يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله فى خاصة شأنه وشأن الجماعة التى يعيش فيها وشأن الحيـاة التى يحياها هو وجماعته . يتلقى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه ، كما يتلقى الجندى فى الميدان الأمر اليومى ليعمل به فور تلقيه ومن ثم لم يكن أحدهم ليستكثر منه فى الجلسة الواحـدة ، لأنه كان يحس أنه انما يستكثر من الواجبات التكاليف التى يجعلها على عاتقه . فكان يكتفى بعشر آيات حتى يحفظها ويعمل بها . كما جاء فى حديث ابن مسعود رضى الله عنـه .

هذا الشعور .. شعور التلقى للتنفيذ .. كان يفتح لهم من القرآن آفاقا من المتاع ، وآفاقا من المعرفة لم تكن لتفتح عليهم لو أنهم قصدوا اليه بشـعور البحث والدراسة والاطلاع ، وكان ييسر لهم العمل ويخفف عنهم ثقل التكاليف ،

ويخلط القرآن بذواتهم ، ويحوله فى نفوسهم وفى حياتهم الى منهج واقعى والى ثقافـــة متحركة لا تبقى داخل الأذهان ولا فى بطون الصحائف ، انما تتحــول آثارا وأحداثا تحول خط سير الحياة .

ان هذا القرآن لا يمنح كنوزه الا لمن يقبل عليه بهذه الروح . روح المعرفة المنشئة للعمل . انه لم يجىء ليكون كتاب متاع عقلى ، ولا كتاب أدب وفن ، ولا كتاب قصة وتاريخ ، وان كان هذا كله من محتوياته انما جاء ليكون منهاج حياة . منهاجا الهيا خالصا (وقرآنا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) الاسراء : ١٠٦ .

لم ينزل هذا القرآن جملة ، انما نزل وفق الحاجات المتجددة ، ووفق النمو المطرد فى الأفكار والتصورات ، والنمو المطرد فى المجتمع والحيـــاة .. ووفق المشكلات العملية التى تواجهها الجماعة المسلمة فى حياتها الواقعية . وكانت الآية أو الآيات تنزل فى الحالة الخاصة والحادثة المعينة تحدث الناس عما فى نفوسهم ، وتصور لهم ما هم فيه من الأمر ، وترسم لهم منهج العمل فى الموقف ، وتصحح لهم أخطاء الشـــعور والسلوك ، وتربطهم فى هذا كله بالله ربهم ، وتعرفه لهم بصفاته المؤثرة فى الكون .

فيحسون حينئذ أنهم يعيشون مع الملأ الأعلى ، تحت عين الله ، فى رحاب القدرة . ومن ثم يتكيفون فى واقع حياتهم وفق ذلك المنهج الإلهى القويم . منهج التلقى للتنفيـــذ والعمل هو الذى صنع الجيل الأول . ومنهج التلقى للدراسة والمتاع هو الذى خرج الأجيال التى تليه . وما من شك أن هذا العامل الثانى كان عاملا أساسيا كذلك فى اختلاف الأجيال كلها عن ذلك الجيل المميز الفريد .

هناك عامل ثالث جدير بالانتباه والتسجيل ،لقد كان الرجـــل حين يدخل الاسلام يخلع على عتبته كل ماضيه فى الجاهلية . كان يشعر فى اللحظة التى يجىء فيها الى الاسلام انه يبدأ عهدا جديدا منفصلا عن حياته التى عاشهـــا فى الجاهليـــة .

وكان يقف من كل ما عهده فى جاهليته موقف المرتاب الشـــك الحـــذر المتخوف ، الذى يحس أن كل هذا رجس لا يصلح للاسلام .

فاذا غلبته نفسه مرة . واذا اجتذبه عاداته مرة . واذا ضعف عن تكاليف الاسلام مرة .. شعر فى الحال بالإثم والخطيئة ، وأدرك فى قرارة نفسه أنه فى حاجة الى التطهر مما وقع فيه . وعـــاد يحاول من جـــديد أن يكون على وفق الهدى القرآنى ..

كانت هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضى المسلم فى جاهليته وحـــاضره فى اسلامه .

وأخيرا يجب أن يضع كل منا فى اعتباره أن هدفنا الأول أن نعرف : ماذا يريد منا القرآن أن نعمل ؟ ما هو التصور الكلى الذى يريد منا أن نتصـــور ؟ كيف يريد القرآن أن يكون شعورنا بالله ؟ كيف يريد أن تكون أخلاقنا وأوضاعنا ونظامنا الواقعى فى الحيـــاة ؟

مصطفى أحمد حسن

الكـويت :

● يرأس سمو أمير البلاد المعظم وفد الكويت الى مؤتمر القمـة الاسلامى المنعقد حاليا فى لاهور .

● زار البلاد فى الشهر الماضى بعض كبار الشخصيات العربية والاسلامية من بينهم رئيس جمهورية مصر العربية ورئيس الجمهورية العربية السورية ورئيس المجلس الأعلى لجمهـورية الصومال الديمقراطية .

● اعلنت وزارة التربيـة النتـائج النهائية لمسابقة القرآن الكريم ، وقد حصل ٧٢ طالبا وطالبة على جوائز ماليـة .

مصـر :

● وافقت ادارة الأزهر على السماح لخريجـات كلية البنات الاسـلامية بدخول مسابقة مبعوثى الأزهر الى البلاد العـربية والاسلامية ، وذلك للعمل كمدرسات ومرشدات دينيـات ورائدات اجتماعيات .

● بحث الدكتور عبد العـزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينيـة مع السيد ياسر عرفات قضية عروبة



● صاحب السمو ورئيس جمهوريـة مصر العربية يتبادلان وجهات النظر .



● صاحب السـمو الأمير المعظم ورئيس الجمهورية العربية السورية فى قصر السلام .



● صاحب السمو الأميـر المعظم والرئيس الصـومالى على منصـة الشرف أثناء عـزف السلامين الصومالى والكويتى .

مدينـــة القـــدس وتعبئة الطـــاقات الاسلامية للدفاع عنها وتحريرها .

● يعقد فى القاهرة اجتماع للخبراء العســكريين العـــرب وذلك لبحث مشروع انشاء قاعدة عربية متطــورة للصناعات الحربية .

الســـعودية :

● يقوم وفد رابطة العالم الاسلامى بزيارة الصـــومال ، ويجرى الوفـــد سلسلة من المباحثات واللقاءات تتعلق بالقضايا الاسلامية ، ودعم الصلات الأخوية بين المسلمين .

● اقترح وزير التجارة الســـعودى انشاء معرض إسلامى فى جدة .

فلســـــطين :

● بلغ عدد الجمعيات الخيرية داخل الأرض المحتلة ١٧٥ جمعية .. مهمتها مساعـــدة المواطنين الفلســـطينيين تدعيما لصـــمودهم ، ومحافظة على أراضـــيهم ، وتقـــدم القـــروض والمساعدات المجانية لهم .

● أخبار متفرقة ●

الجـــابون :

● أعلن الرئيس الغابونى الحاج عمر بونغو موافقته على افتتاح مكتب جديد لرابطة العالم الاسلامى فى غابون . يكون مقره فى العاصـــمة ليبرفيل ، وتنطلق منه الدعوة الاســـلامية فى ساحل افريقيا الغربى .

هولنـــده :

● يبلغ عدد المسلمين فى هولنـــده حوالى (٣٠) ألفا ، تشـــكلت لهـــم جمعيـــة اسلامية تهـــدف الى تعبئة جهودهم لخدمة الدعوة الاسلامية .

باكســـتان :

● يعقد مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهور .. ويحضره أكثر من ٣٠ دولة اسلامية .

● وضعت باكستان مشروعا لانشاء مؤسسة للعـــلوم الاسلامية تقـــوم بتمويل عدد من مراكز الأبحاث وتدريب العلماء والفنيين فى العالم الاسلامى .

ميونيـــخ :

● أفتتح فى مدينة ميونيخ مســـجد جديد يضم مكتبة وقاعة واستراحة .. والمسجد يخدم (٣٠) الف مسلم فى ميونيخ .. وهو سادس مسجد فى ألمانيا الغربيـــة .

اليـــابان :

● تصدر رابطـــة المسلمين اليابانيين نشرة باسم « صوت الاسلام » باللغة اليابانيـــة مع ملخصـــات باللغـــة الانجليزية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	صفر ١٣٩٤	فبراير ١٩٧٤	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
السبت	١	٢٣	٤٥٠	٦٢٠	١٢١	٣١٦	٥٤٢	٧٠٠	١١ ٨	١٢٣٨	٦١٩	٩٣٤	١١٨
الاحد	٢	٢٤	٤٩	١٩	١	١٧	٤٣	١	٦	٣٦	١٨	٣٤	١٨
الاثنين	٣	٢٥	٤٨	١٨	١	١٧	٤٤	٢	٤	٣٤	١٧	٣٣	١٨
الثلاثاء	٤	٢٦	٤٧	١٧	١	١٧	٤٤	٢	٣	٣٣	١٧	٣٣	١٨
الاربعاء	٥	٢٧	٤٦	١٦	١	١٨	٤٥	٣	١	٣١	١٦	٣٣	١٨
الخميس	٦	٢٨	٤٥	١٥	١	١٨	٤٦	٤	١٠٥٩	٢٩	١٥	٣٢	١٨
الجمعة	٧	مارس	٤٤	١٤	٠٠	١٨	٤٦	٤	٥٨	٢٨	١٤	٣٢	١٨
السبت	٨	٢	٤٣	١٣	٠٠	١٩	٤٧	٥	٥٦	٢٦	١٣	٣٢	١٨
الاحد	٩	٣	٤٢	١٢	٠٠	١٩	٤٨	٦	٥٤	٢٤	١٢	٣١	١٨
الاثنين	١٠	٤	٤١	١١	٠٠	١٩	٤٨	٦	٥٣	٢٣	١٢	٣١	١٨
الثلاثاء	١١	٥	٤٠	١٠	٠٠	٢٠	٤٩	٧	٥١	٢١	١١	٣٠	١٨
الاربعاء	١٢	٦	٣٩	٩	٠٠	٢٠	٥٠	٨	٤٩	١٩	١٠	٣٠	١٨
الخميس	١٣	٧	٣٨	٨	٠٠	٢٠	٥١	٩	٤٧	١٧	٩	٣٠	١٨
الجمعة	١٤	٨	٣٧	٧	١١٥٩	٢٠	٥١	٩	٤٦	١٦	٨	٢٩	١٨
السبت	١٥	٩	٣٦	٦	٥٩	٢١	٥٢	١٠	٤٤	١٤	٧	٢٩	١٨
الاحد	١٦	١٠	٣٥	٥	٥٩	٢١	٥٢	١٠	٤٣	١٣	٧	٢٩	١٨
الاثنين	١٧	١١	٣٤	٤	٥٩	٢١	٥٣	١١	٤١	١١	٦	٢٨	١٨
الثلاثاء	١٨	١٢	٣٣	٣	٥٩	٢١	٥٤	١٢	٣٩	٩	٥	٢٨	١٨
الاربعاء	١٩	١٣	٣٢	٢	٥٨	٢١	٥٤	١٢	٣٨	٨	٤	٢٧	١٨
الخميس	٢٠	١٤	٣١	١	٥٨	٢٢	٥٥	١٣	٣٦	٦	٣	٢٧	١٨
الجمعة	٢١	١٥	٣٠	٥٥٩	٥٨	٢٢	٥٦	١٤	٣٤	٤	٢	٢٦	١٨
السبت	٢٢	١٦	٢٨	٥٨	٥٧	٢٢	٥٦	١٤	٣٢	٢	١	٢٦	١٨
الاحد	٢٣	١٧	٢٧	٥٧	٥٧	٢٢	٥٧	١٥	٣٠	٠٠	٠٠	٢٥	١٨
الاثنين	٢٤	١٨	٢٦	٥٦	٥٧	٢٢	٥٨	١٦	٢٨	١١٥٨	٥٥٩	٢٥	١٨
الثلاثاء	٢٥	١٩	٢٥	٥٥	٥٧	٢٢	٥٨	١٦	٢٧	٥٧	٥٩	٢٤	١٨
الاربعاء	٢٦	٢٠	٢٤	٥٣	٥٧	٢٣	٥٩	١٧	٢٥	٥٥	٥٨	٢٤	١٨
الخميس	٢٧	٢١	٢٢	٥٢	٥٦	٢٣	٥٩	١٧	٢٣	٥٣	٥٧	٢٣	١٨
الجمعة	٢٨	٢٢	٢١	٥١	٥٦	٢٣	٦٠٠	١٨	٢١	٥١	٥٦	٢٣	١٨
السبت	٢٩	٢٣	٢٠	٥٠	٥٦	٢٣	١	١٩	١٩	٤٩	٥٥	٢٢	١٨
الاحد	٣٠	٢٤	١٨	٤٨	٥٥	٢٣	١	١٩	١٧	٤٧	٥٤	٢٢	١٨

أم المؤمنين
السيدة عائشة رضى الله عنها

اســـــــمها : عائشة بنت أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأمها : أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانيـــة .

مولدهـــــــا : ولدت بعد البعثة بأربع سنين فى مكة .

كنيتهـــــــا : كناها الرسول بأم عبد الله .. نسبة الى عبد الله بن الزبير — ابن أختها — .

زواجهـــــــا : كانت أول من تفتح لها قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة السيدة خديجة رضى الله عنها بثلاث سنين . وهى الوحيدة التى تزوجها الرسول بكرا . عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بنت ست سنوات ودخل بها فى المدينة وهى بنت تسع سنوات ، وكان ذلك فى شوال من السنة الأولى للهجرة .

روايتها للحديث : كانت راوية حافظة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وروى عنها كثير من الصحابة والتابعين .. وكانت ذات أثر عميق فى نشر تعاليم الاسلام .. وكانت عالمة بالحـــديث والفقه وعلم الفرائض .

فقد عاشت عائشة لتكون المرجع فى الحديث والسنة . وليأخذ المسلمون عنها نصف دينهم .

مكانتهـــــــا : كانت أثيرة عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما نزل به المرض دعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض فى بيتها فأذن له أن يكون حيث أحب .. وتوفى فى بيتها ..

تقول عائشة رضى الله عنها : « أعطيت خـــلالا ما أعطيتها امرأة : ملكنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا بنت سبع ، وأتاه الملك بصورتى فى كفه لينظر اليها ، وبنى بى لتســـع ، ورأيت جبرائيل ، وكنت أحب نسائه اليـــه . ومرضته فقبض ولم يشهده غيرى والملائكة » .

وفاتهـــــــا : توفيت عائشة أم المؤمنين فى السادسة والستين من عمرها بالمدينة المنورة فى ١٧ رمضان سنة ٥٧ هـ . ودفنت بالبقيع . وصلى عليها أبو هريرة . رحمها الله ورضى عنها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
تونـــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .
المغـــرب	:	الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الأردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

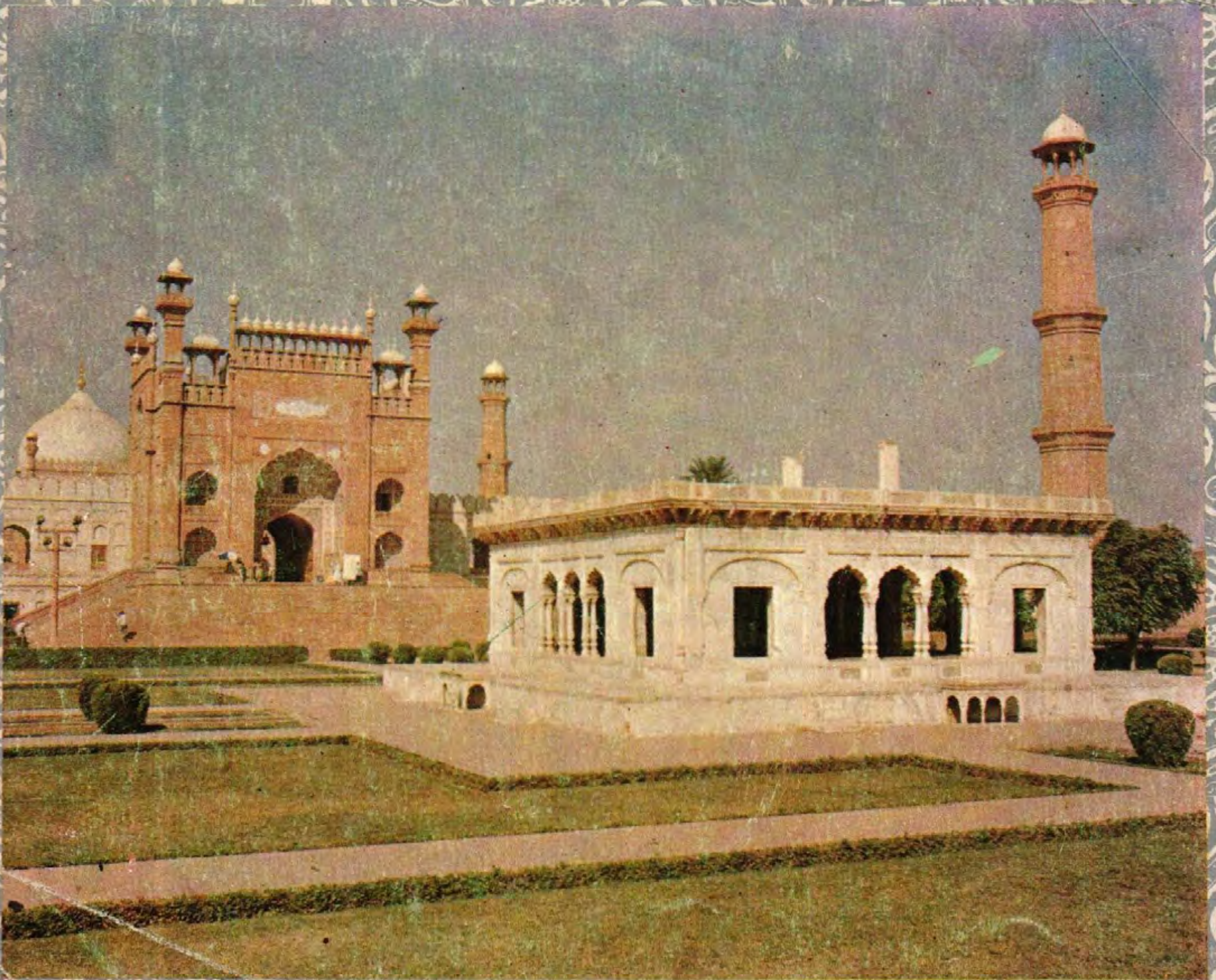
اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت

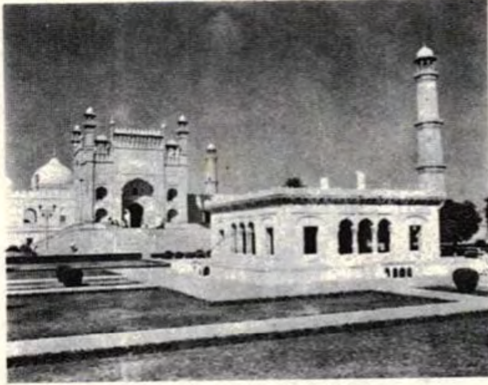
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة العاشرة ــ العدد ١١١ ــ غرة ربيع الأول ١٣٩٤ هـ ــ مارس ١٩٧٤




وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين



مسجد شاه جيهان بمدينة شاتا — باكستان

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشر
العـــدد ١١١
غرة ربيع الأول ١٣٩٤ هـ
مارس ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والســـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـــكويت فى غـــرة كل شـــــهر عـــربى
الاشتراك السنوى للهيآت فقط
أما الأفراد فيشـــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـــن :

الـــكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـــال
العـــراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـــزائر	دينار وربع
المغـــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـــوان المراســـــلات :

مجـــلة الوعى الاسلامى — وزارة الأوقاف والشـــئون الاســـــلامية
صـــندوق بريد : ١٣ — كـــويت — هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مولد النبوة

وذكرى اعلان حقوق الانسان ..

١

منذ بضع سنوات دق الهاتف فكان المتكلم كبيرا مسئولا فى هيئة الأمم المتحدة من احدى دول امريكا اللاتينية ، قال : انه سمع سفير أندونيسيا بالأمس فى خطاب القاه على احد المحافل الدولية يسوق آية ذكر أنها من القرآن الكريم وفيها يخاطب الله عباده بأنه خلقهم جميعا من أصل واحد وأنه لا فضل لأحد على آخر الا بالعمل الصالح ، ثم قال هذا المتحدث إنه حاول العثور على هذه الآية فى النسخة القرآنية التى بيده ، وهى باللغة الاسبانية ترجمة عن الأصل العربى فلم يجدها ، فأدركت أنها الآية التى تقول : **« يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير »** فدللته على موضعها من الكتاب الكريم وذكرت له أنها الآية رقم ١٣ من السورة رقم ٤٩ (سورة الحجرات) ، فقلب صفحات الكتاب الذى بيده ، ثم صاح مسرورا وقال انه قد عثر عليها ، ثم صار يترجم ما يقرؤه من الاسبانية الى الانجليزية ليطمئننى على أنها الآية التى يتطلبها ، وأبدى اعجابه من أن يشتمل هذا الكتاب الكريم الذى أوحى به منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا على هذه التعاليم الانسانية الجليلة قبل صدور اعلان حقوق الانسان فى العصر الحديث .

ذكرت ذلك الحادث فى الشهور القليلة الماضية حيث احتفلت هيئة الأمم المتحدة واحتفل العالم معها بالعيد الفضى لاعلان حقوق الانسان ، أعنى تلك الوثيقة التاريخية التى صاغتها هيئة الأمم ووافقت عليها وأوصت وصاة مؤكدة أن تعمل جميع الدول الأعضاء بمقتضى هذه الوثيقة ، وكان اعلانها فى العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ ، واعتبر اعلانها حجر زاوية فى تاريخ

الانسانية لما اشتملت عليه من وصايا انسانية جليلة ، والوثيقة ــ كما هو معلوم ــ تحتوى على ثلاثين مادة ، ولكنها كلها تدور حول مبدأ المساواة وكرامة الانسانية ، ومبدأ حرية الفرد ، وسائر موادها تدور حول هذين المبدأين أو ترجع إليهما .

وقبل مقدم تاريخ تلك الذكرى بأشهر ، اهتمت هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها الفنية المختلفة باعداد العدة للاحتفال بالذكرى ، فعقدت الاجتماعات وتبودلت المذكرات ونشرت المقالات ، وألقيت الاحاديث ، ولا نزال نقرأ وتصلنا المقالات والوثائق الخاصة بهذه المناسبة .

ثم ذكرنى بالحادث الذى سقته أول هذا المقال مقدم المولد النبى الشريف ، مولد الهدى والنور ، مولد اعلان الحقوق الانسانية اعلانا تاما كاملا شاملا صحيحا ، وجذبنى ذلك كله الى التأمل ومقارنة ما ورد بهذه الوثيقة وخاصة من حيث هذه المبادىء المذكورة ، وما جاء محمد بن عبد الله فى القرن السادس الميلادى ، فى زمن أهدرت فيه كرامة الفرد ، وفشا فيه الظلم والجهل والبغى والفساد ، ولفت نظرى الى ذلك بالأكثر ما ورد بالخطب والأحاديث والمناقشات والمقالات فى هذا الصدد ، اذ كان أكثرها نقدا مرا لما عليه وضع الانسان الحالى ، وفشل الأمم فى تطبيق نصوص هذا الميثاق ، فقد ذكروا أن العالم لا يزال يعانى من ويلات الحروب أو من الخوف منها ، ولا تزال السجون مشحونة بالابرياء ، ويعامل أسرى الحرب معاملة وحشية غليظة ، فتخلع أظافرهم وتكوى جلودهم ويغمسون فى الماء أو يعلقون فى الهواء بعد طول الحرمان من النوم والطعام والشراب لإكراههم على الإدلاء بمعلومات فى صالح جلاديهم ، بل تعذب أطفالهم ويعتدى على حرمهم أمام أعينهم من أجل ذلك ، وقالوا : لا يزال القوى يعتدى على الضعيف ، ولا تبالى الدول الكبرى بمصالح الدول الصغرى ، ولا تزال الانسانية تعانى من التفرقة العنصرية المريرة . الى غير ذلك مما يتنافى مع الكرامة الانسانية ويتعارض مع نص اعلان الحقوق الانسانية .

وهكذا كان تقييم المختصين لأثر اعلان حقوق الانسان سلبيا ، فلم يحقق هذا الاعلان ما توقع له الناس من نجاح ، فلم يغير وجه التاريخ ولم يسهم فى تقدم الانسانية شيئا يذكر .

كل هذا أحضر فى الذهن مزايا تعاليم الرسول وفضل هدى ديننا الحنيف ، واذا كانت الامم تهتم بتخليد عظمائها وتجدد ذكرى كفاحهم بالاحتفال بأعياد ميلادهم ، فالرسول الكريم ــ خير البشر وسيد الأنبياء وافضل المصلحين ــ لأجدر بالخلود ، وتعاليمه وهديه أولى بالمذاكرة والمراجعة ، وبيان مزاياها وفضلها ، وخاصة فى مناسباتنا الدينية من مثل مولده الكريم الذى نحتفل به هذه الأيام .

لقد سبق هدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم معلنا حقوق الانسان قبل أن تعلنها الوثيقة الحديثة عام ١٩٤٨ بقرون طويلة ، والواقع أن اعلان حقوق الانسان لم يأت بشىء لم ينطو عليه كتاب الله أو سنة رسوله ، ولقد رأينا كيف دهش المسئول الكبير بهيئة الأمم المتحدة عندما رأى

ان اعلان مبدأ المساواة والكرامة قد عبر عنه كتابنا الكريم بأعلى أسلوب وابلغه قبل اعلان المساواة في وثيقة حقوق الانسان بأكثر من ثلاثة عشر قرنا ، واعلان المساواة بالوثيقة الحديثة الفاظ بدون روح وعبارات لا يصحبها الايمان ، أما ما ورد بالكتاب العزيز عن المساواة والكرامة فهى تعاليم مؤكدة من لدن الخالق المبدىء .

يعبر الكتاب الكريم عن المساواة بوحدة الأصل ، أى كون مصدر الجميع واحدا ، ذكرا وأنثى ، ويكرر ذلك الكتاب العزيز بأسلوب آخر فيقول : **« والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا »** ويقول : **« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى »** ويقول : **« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين »** ، ويحرم التمييز والتفرقة فيقول : **« .. ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله »** ويقول : « **والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادِّى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء »** ، ويقول الرسول الكريم : « الناس سواسية كأسنان المشط » .

أما مبدأ الكرامة الانسانية واحترام الفرد ذكرا كان أو أنثى ، فيتجلى فى جعل الله الانسان خليفة فى الارض ، وأمره الملائكة بالسجود لآدم ، وتفضيل بنى آدم على العالمين ، قال سبحانه : **« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »** ويقول : **« ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم »** ، وقال : **« لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم »** ، ويقول سبحانه : **« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »** ثم ان الاسلام حض على اكرام الضعيف ونهى عن الاهانة حتى حين اعطاء الصدقات فقال : **« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى »** ، كما حث على اكرام الأسير وعتق الرقاب وجعل ذلك من أعظم الحسنات وكفارة عند ارتكاب بعض السيئات ، وحض الناس على أن يطعموا من تحت يدهم مما يطعمون ويكسوهم مما يكسون ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : « اخوانكم خولكم » .

فغرس الاسلام بتعاليمه الرشيدة مبدأ المساواة الانسانية وكرامة الفرد فى نفوس المسلمين حيث أعلن عن ذلك الخالق الذى يؤمنون به ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، لذلك يلتقى المسلم بأخيه المسلم وقد قدما من بلدين بينهما آلاف الأميال فلا يعنيه شكله ولا لونه وانما يعنيه انه يشاركه ايمانه بالله ورسوله ويشاركه الاعتقاد بمبدأ الوجود ومصير الوجود وما يتفرع عن ذلك من قيم ومثل : ولقد طبق الرسول صلوات الله وسلامه عليه وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده هذه المبادىء تطبيقا واقعيا عمليا ، فكان الرسول نفسه — رغم عظيم فضله وارتفاع منزلته فوق العالمين — يجلس حيث ينتهى به المجلس ، ورضى من الدنيا بالقليل ، وقال : « انما أنا ابن امراة كانت تأكل القديد بمكة » ، وقال : « سلمان منا آل البيت » ، واختار عتيقا حبشيا ليكون مؤذنه ، ولو أطلقنا العنان لما أثر عن كبار الصحابة والراشدين فى هذا الصدد لطال الكلام وضاق بنا المقام .

فما جاء به الاسلام من المساواة والعدالة والكرامة الانسانية هى

مبادىء مشتقة من الايمان بالله كما ذكرنا ، مبادىء صريحة صادقة فعالة ، ولا تعانى البيئة الاسلامية حتى اليوم — بالرغم مما حل بها من الفساد على مر الدهور — مما تعانى منه البيئة الغربية من مشاكل عنصرية عميقة المدى ، تتنكر فى كثير من الأحيان للانسانية ، وتفرق بين الأبيض والأسود والغربى والشرقى والرجل والمرأة ، كما تتجاهل كثيرا حق الفرد من الكرامة والمعاملة الحسنة العادلة .

أما مبدأ الحرية الفردية كما ورد باعلان حقوق الانسان فان الوثيقة لم تكفل شيئا لضمان تنفيذه ، وتركت فجوات واسعة ينفذ منها ذوو المصالح الجشعة والاغراض غير الشريفة ، ولم تصنها بسياج يحميها من عدوان النفعيين المنحلين وتوسعهم فى تأويلها وتفسير مداها ، فترى الصهيونيين مثلا يبالغون فى حرية الفرد وحقه فى الهجرة التى نص عليها (الاعــلان) للضغط على الحكومة الروسية للســماح لليهود من مواطنيها بالهجرة الى اسرائيــل ليستعمروا ما يغتصبون من أرضنا العربية الاسلامية ظلما وعدوانا ، وهم فى نفس الوقت يحرمون من هذا الحق مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين طردوهــم من بلادهم واغتصــبوا أرضهم وديارهم ، كمـــا يسىء الكثير من المسيطرين على الصحافة ودور النشر فى الغرب استعمال هذا الحق بدعوى حرية الصحافة وحرية التعبير فيستبيحون الطعن والذم ، ويخوضون فى حق من لا يتبع أهواءهم ، وينالون حتى من شخصيات الرسل والأنبياء الكرام ، كما أن الإباحيين يستغلون هــذا الحق فيستخدمونه فى نشر موادهم الفاتنة الخليعة داعين للفوضى والقضاء على الموروث من قيم ومبادىء خلقية ، فأصبح الاتصال الجنسى بين شخصين بالغين خارج الزواج أمرا عاديا فى نظر هؤلاء ومن قبل فلسفتهم من ملايين (المتنورين) المنحلين ، وينعون على من ينقد ذلك أو يسميه (بالزنا) ويعتبرون ذلك رجعية فاسدة ! فتيسرت وسائل منع الحمل كى يتمتع الشباب والشابات دون أن تتعرض الفتاة لمشـــــاق الحمل ومتاعبه ، ولا تتردد الأم فى ذلك الجزء من العالم فى حض بنتها غير المتزوجة على تناول حبوب منع الحمل ، واذا حدث أن حملت الفتاة فان ذلك قد أصبح بحيث لا يضر سمعتها ، وأصبح اصطلاح (أم غير متزوجة) اصطلاحا مألوفا مستعملا — ومع هذا فهناك عيادات الاجهاض منتشرة فى البلاد تقوم بهذه العملية بسهولة وسرعة وعلى حساب الدولة أحيانا ، وكثر الترويج لمـــا يسمونه (الزواج المفتوح) الذى لا يلزم أحد الطرفين — أعنى الزوج والزوجة — بقصر نشاطهما الجنسى عليهما بل يزعمون أنه ينبغى فتح الباب لكل منهما للاتصال بالأجنبى والأجنبية جنسيا للترويح والتغيير ، ومن العجيب أنهــم يزعمون — وما أعجب ما يزعمون — أن هذا أدعى لدوام العلاقة الزوجية ، وبالتالى أنفع فى الجو العائلى ، معاذ الله !

وحتى عبارة (الشـــذوذ الخلقى) يريدون محوهـــا من القواميــس ؛ ويزعمون أنه كما أن هناك أفرادا يؤثرون الاتصال الجنسى بأفراد من الجنس الآخر — وهم غالبية الشعوب — فهناك من يؤثر الاتصال الجنسى بفرد من نفس الجنس ذكرا أو أنثى ، ثم يزعمون ويؤكدون أن ذلك أمر عادى وخلقى

وطبيعي ولا يسوغ اعتباره شذوذا أو خطأ ، ويزيدون فيقولون : إن القول بشيء من ذلك ظلم من الأغلبية للأقلية ، ونتيجة لأعمال الإباحيين كثر نشر الكتب والمجلات الخليعة وتعددت الأفلام الفاسدة الضارة المكشوفة المستهترة ، واضحى لمن نسميهم بذوى الشذوذ الخلقى نواد وجمعيات ومؤسسات دون حياء ولا خجل ، حدث كل ذلك باسم حرية الرأى وحرية التعبير مع مخالفة هذا كثيرا لمبدأ الحرية الصحيح كما يخالف كذلك — فيما نرى — مبدأ الكرامة الانسانية .

جاء الهدى المحمدى بمبدأ حرية الفرد ولكنه صان هذه الحرية وكفلها بما يضمن صالح الفرد والجماعة ويرضى الله تعالى ، يقول سبحانه : « **انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا** » ويقول : « **وهديناه النجدين** » ، ويقول : « **لا اكراه فى الدين** » ويقول : « **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » ويقول : « **فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا** » ، ورفع الاسلام الحظر عمن تورط فى محظور مكرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ، ولكن الاسلام اذ يكفل الحرية الشخصية فانه يرعاها ويصونها ويصون صالح الفرد والجماعة ، فهى حرية فيما ليس بضار أو محظور ، فلا حرية فى العدوان على الحقوق والأعراض أو انتهاك حرمات الله ، ولا يسوغ نشر الفساد أو الاعتداء على القيم بحجة حرية الصحافة أو حرية التعبير ، والمسلم اذ يستظل حقه من الحرية التى كفلها له دينه يعرف أنه مسئول أمام الله وأمام ضميره ، محاسب على كل أعماله ، وهو يعرف ويؤمن بأن الله تعالى مطلع على كل ما يعمل ويعلم ما خفى فى الصدور ، فالحرية ليست قاصرة على المحظوظين بالسلطان أو النفوذ أو من يملكون دور النشر أو الصحافة ، أو على بعض الاجناس الانسانية التى تدعى لنفسها مزية على غيرها ، بل هى حرية يتساوى فيها الكبير والصغير والغنى والفقير ، والقوى والضعيف ، وهى حرية للانسانية عامة وفى صالح الانسانية كلها ، ثم هى محدودة بحدود من الايمان وعمل الضمير ، لا بحدود ناشئة عن ضغط وارهاب ، وهى حرية ذات مغزى وروح تعمل فى السر والعلن والظاهر والباطن ، لا حرية قانونية جافة تحسب حساب البوليس والقضاء وضغط الرأى العام فتستبيح ما تشاء فى غيبة البوليس وغفلة أعين الناس .

فحقوق الانسان كفلها الاسلام على خير وجه ، وكان محمد بن عبد الله الذى نحتفل هذه الايام بذكرى مولده ، معلنها ، والداعى اليها ، وحامل لوائها ، والمبشر بها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

الدكتور : محمد عبد الرءوف

التخلف الحضاري بين المسلمين

للدكتور محمد البهى

* الحضارة هى الانتاج البشرى : الفكرى ، والوجدانى ، والارادى ، لزيادة امكانيات الانسان فى سعيه فى الحياة ، وفى تغلبه على مشاق العيش فيها ، ولرفع مستوى انسانيته فى تقدير ذاته ، وفى علاقة الأفراد بعضهم ببعض .

والحضارة بهذا المفهوم لها جانبان : جانب مادى .. وجانب انسانى :

فالجانب الحضارى المادى هو ما يتمثل فى تقدم البحوث العلمية التجريبية وفى مدى تطبيقها فى المجالات الصناعية المختلفة . أى يتمثل فى تطور العلوم الطبيعية . وعلى وجه أخص فى علوم الحيوان — والنبات — والمعادن — والكيمياء ، وفى قيام الصناعات التى تؤسس على نظرياتها المتجددة ، لخدمة الانسان فى المرافق العديدة : فى السكن ، والنقل ، وفى وسائل التعليم ، ووسائل الوقاية من الأمراض أو المعالجة منها .

والجانب الحضارى الانسانى هو ما يتمثل فى المستوى السلوكى الرفيع وفى حسن العلاقة بين الأفراد التى تقوم تلك العلاقة على الاحساس المشترك بالقيم الانسانية ، متجاوزة الاحساس بعلاقة الدم ، والأسرة ، والقبيلة ، والعرق والعنصر .

وتوضع الحضارة — عند توضيحها — فى مقابل البداوة . وهى الفطرة الأولى للانسان قبل تهذيب طبيعته . ولهذه البداوة مظاهر فى أسلوب الحياة ، وفى السلوك ، وفى المعاملة ، تنم جميعها عن دفع أنانى يسيطر فى الانسان . فحياة البدائى لا تقوم على بساطة الوسائل المادية فحسب فى السكن والنقل ،

والمعيشة . بل كذلك استخدامه لهذه الوسائل يدل على تشبثه بالبقاء وحده ، فى غير رعاية للآخرين معه ، وسلوكه يصدر فيه عن ارتباط وثيق بالذات ، دون ما سواها . ومعاملته للآخرين تبعد كل رعاية لحق : فى وجودهم وفى حياتهم المشتركة معه ، وان كانوا ذوى قربى قريبة له .

وهكذا : البداوة والحضارة مفهومان يستخدمهما الانسان : مرة للتعبير عن وقوفه عند طبيعته ، مغلقة وغير مشذبة ، وعند خصائص هذه الطبيعة فى المعيشة ، والسلوك ، والمعاملة . ومرة أخرى للتعبير عن تجاوز هـذا الوضع المغلف الى وضع التفتح والتطور والتحرك نحو ما يزيد فى طاقاته ، ويعينه على اجتياز الصعاب فى الحياة ، ويوثق أواصر القربى فى الانسانية بينه وبين الآخرين معه فى المجتمع .

وكما هما مفهومان ، هما أيضا مرحلتان فى تاريخ الانسـان ، وتاريخ مجتمعه . فهناك انسان بدائى ، وآخر حضـارى . وهناك مجتمع بدائى ، ومجتمع حضارى .

* وجانبا الحضارة ــ وهما الجانب المادى ، والجانب الانسانى ــ ليسا متساوقين . أى ليس بلازم اذا وجد أحدهما ان يوجد الآخر حتما . فالتقدم الحضارى المادى هو تقدم فكر ، وعلم ، وتجربة ، وصناعة . والتقدم الحضارى الانسانى هو تقدم وجدان ، وعمل ارادى ، وخلق وسلوك . وهنا قد يوجد انسان أو يوجد مجتمع ، متقدم فى الحضارة المادية ، وهو بدائى أو انانى فى السلوك والمعاملة . كما قد يوجد العكس . وهو انسان أو مجتمع متقدم فى السلوك والمعاملة ، أى غير انانى فيهما ، وهو مع ذلك غير صاحب حضارة مادية ، أى غير صاحب حضارة علمية تجريبية ، وصناعية . وحضارته فى السلوك والمعاملة حضارة انسانية ، يشارك بانسانيته الآخرين معه فى مجتمعه : يحسن ولا يسىء .. وينفع ولا يضر .. ويطمئن ولا يرهب ... ويتحمل ولا يندفع .

ولأن الجانب الحضارى المادى يلفت النظر أكثر من الجـانب الآخر الانسانى : يقع كثيرون ممن يجذبهم التقدم الصناعى أو التيكنولوجى فى حياة المجتمعات المتطورة صناعيا تحت اعتبار : ان التقدم الحضارى المادى يستتبع كنتيجة له مسلمة : تقدما حضاريا فى مستوى الانسانية .. وأن التخلف فى الحضارة المادية والصناعية يلازمه كذلك حتما : التخلف فى الحضارة الانسانية أو تلازمه البدائية . ويستخلصون من ذلك : أن المجتمع أو الانسان الفرد صاحب الحضارة الصناعية هو مجتمع أو انسان ذو تقدم أيضا فى المستوى السلوكى الانسانى ، وبالتالى يفضل ذلك الانسان أو المجتمع الذى لم تكن له هذه الحضارة المادية . وازاء ما يستخلص على هـذا النحو : تكون الريادة لصاحب الحضارة المادية ، وتكون التبعية أو التقليد والمحاكاة له : من فاقد هذه الحضارة .

وينسى هؤلاء الذين يقعون تحت اغراء التقدم الصناعى التيكنولـوجى ، ويستخلصون بسبب وقوعهم تحت اغرائه منطقا حزبيا : أن مقياس الحضارة الانسانية هو فى مدى البعد عن الأنانية فى السلوك ، والمعاملة : نحو الذات ، أو نحو الآخرين . والمنطق المجرد عن التأثر بالاغراء المادى أو بالانجذاب الى

عامل غير موضوعي : ان صاحب الحضارة المادية هو صاحب ريادة حقا في هذا الجانب من غير شك يجب أن يحاكي ويقلد فيه ممن هو متخلف فيه . وهو أيضا يمكن أن يكون صاحب ريادة في الجانب الحضاري الانساني اذا توفر له بالفعل مستوى الحضارة الانسانية في البعد عن الأنانية .

ولكن اذا كان هو يستخدم تفوقه في الحضارة المادية : الصناعية والتيكنولوجية في التخريب والتدمير وسفك الدماء ، أو في الارهاب وقهر الآخرين واكراههم على ما لا يقبلونه مختارين وفي مشيئة حرة .. أو يستخدم هذا التفوق الحضاري الصناعي في استغلال الآخرين ، ويصبح بهذا التفوق ذا نزعة استعبادية ، لا يعرف الحق الا من طريق القوة المادية وحدها ، ولا يعترف للآخرين الضعفاء بحق الحياة في وجود مشترك ، فانه عندئذ يكون متخلفا في الجانب الحضاري الانساني ، رغم تقدمه في الجانب الآخر الصناعي وبالتالي ليست لديه صلاحية : أن يكون رائدا ومتبوعا في الجانب الانساني ، الذي هو ثمرة الوجدان ، والعمل الارادي ، وحسن الخلق والسلوك .

ولكن كذلك : اذا كانت بعض المجتمعات الحضارية حضارة صناعية تبيح ممارسة اللواط في الوقت الحاضر ويتبنى القانون حماية هذا الشذوذ الجنسي بين شباب الجامعات في نواديهم الجامعية (١) .. أو يبيح تبادل الزوجات (٢) بين الأزواج في النوادي أو في المساكن الخاصة .. أو ينهي عهد الزواج وتكوين الأسرة على النحو المتعارف ويستعيض عن الزوج بأزواج، وينسب الابن الى أمه بعد ما اختلطت الأنساب وضاعت بين الرجال العديدين : فان هذا البعض من المجتمعات الحضارية الصناعية يفقد الصلاحية في المستوى الحضاري الانساني ويجعله مساوقا للانسان البدائي في الغابات ، الذي لا يعرف ستر عورته ، ولا تخير المرأة التي يعاشرها .

* والمسلمون في حاضرهم يقلدون في خطواتهم الحضارية أصحاب التفوق في الحضارة المادية : العلمية والتيكنولوجية . يقلدونهم في مصانعهم . ويقلدونهم في أسلوب حياتهم . ويقلدونهم في سلوكهم نحو ذواتهم ، ونحو الآخرين معهم في مجتمعاتهم . أي أنهم يقلدونهم في جانبي الحضارة : المادية الصناعية ، والانسانية السلوكية .

وتقليدهم للمتفوقين في الحضارة الصناعية اذن هو تقليد في تفكيرهم ، وفي علمهم التجريبي ، وفي وجدانهم ، وأخيرا في عملهم الارادي وتصرفاتهم . ومعنى هذا التقليد المطلق لأصحاب التفوق الحضاري المادي : ان هؤلاء اذا كانوا مصلحيين ونفعيين أو « پرجماتيين » .. واذا كانوا انتهازيين أو استغلاليين .. واذا كانوا استعماريين أو قراصنة : فان المصلحية ، والانتهازية ، والقرصنة لا ينكرها أولئك الذين يقلدونهم تقليدا مطلقا ، لأن هذه الاتجاهات هي اتجاهات سلوكية تقوم على ايثار الذات ، والأنانية ، وعلى عدم رعاية حرمات الآخرين .

ومعنى هذا التقليد المطلق لأصحاب التفوق الحضاري المادي ، العلمي والصناعي ، من المسلمين : هو ان هؤلاء المسلمين اذا أفادهم التقليد في التقدم الصناعي والعلمي لزيادة قدراتهم على اجتياز المصاعب والمشاق في حياتهم ومعيشتهم ، فانه سيضرهم حتما : تقليدهم في الجانب السلوكي

لأصحاب هذا التقدم . **لأن** المسلمين فى حاضرهم يغلب عليهم الميل الأنانى بحكم الضعف ، والفاقة رغم ثرواتهم العديدة المصادر ـــ وهو ميل غير اسلامى أو هو ضد الاسلام ـــ فى روابط بعضهم مع بعض . وهم فى نهضتهم وفى بعثهم للحياة الكريمة من جديد فى حاجة الى روح المشاركة والجماعة بينهم ، كى تكون لهم قدرة يدفعون بها التخلف فى الجانب الحضارى المادى ذاته . فاذا بقى الميل الأنانى مسيطرا بينهم بجانب ضعف المستوى الحضارى الصناعى والعلمى لديهم فسيظلون ضعفاء .. ويظلون متخلفين فى الحضارة بمفهومها العلمى ، والانسانى .

* والمسلمون لم يكونوا بدائيين عندما كونوا مجتمعهم الانسانى . وانما كانوا أصحاب حضارة انسانية ، ثم أصبحوا ـــ بعد حين ـــ بالاضافة الى ذلك : أصحاب حضارة فكرية ، وعلمية ، وان لم يصبحوا بعد فيما مضى أصحاب حضارة تيكنولوجية بالمفهوم المعاصر .

كانوا أصحاب حضارة انسانية . لأن تكوين المجتمع الاسلامى ، ونقل أفراده عن طريق الدعوة الى الاسلام : من المجتمع الجاهلى ، وهو المجتمع المادى الأنانى .. الى مجتمع انسانى صاحب روابط انسانية ، وصاحب مشاركة جماعية : هو فى ذاته تحول حضارى وتحرك نحو الجانب الحضارى الانسانى . فدعوة الاسلام هى دعوة عن التخلى عن الأنانية ومظاهرها المختلفة التى تقوم على أساس منها : المجتمع المادى الأنانى أو الجاهلى .. هى دعوة فى الوقت نفسه الى قيام الروابط الانسانية على أساس من القيم الانسانية العليا وحدها . وهى تلك القيم التى تكون المستوى الفاضل للانسانية ، التى من بينها التعاطف ، والتواد ، والتعاون ، والتى من أجلها كان الميل الاجتماعى لدى الانسان فى طبيعته ، ولتحقيقها كان المجتمع الانسانى فى وجوده .

فالمجتمع الانسانى ليس مجتمع عدد : فى كثرة أو قلة . وانما هو مجتمع قيم انسانية يترابط الأفراد فيه على أساس منها . ومن أجل هذا الهدف فى حياة الانسان اختلف الانسان عن الحيوان ، والنبات ، مع أن هناك جامعا مشتركا بين الثلاثة ، وهو النمو الكمى والمادى .

والقرآن يشير الى هذا الجامع المشترك فى بعض آياته . فيقول تعالى : **« فاطر السموات والأرض ، جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، ومن الأنعام أزواجا ، يذرؤكم فيه »** (أى يكثركم وينميكم) « الشورى ـــ ١١ » .. فيجعل هدف الزوجية من الذكورة والأنوثة فى خلق الانسان والحيوان هو الكثرة والنمو المادى . ويقول أيضا : **« سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ، ومن أنفسهم ، ومما لا يعلمون »** (يس ـــ ٣٦) .. فيشير الى عامل الكثرة والنمو المشترك بين النبات ، والانسان ، وما لا يعلمه الانسان مما يتكاثر فى ملكوته سبحانه وتعالى .

ثم يفرد القرآن : الانسان بهدف آخر وراء النمو والتكاثر ، وأسمى منه . وهو هدف المجتمع الانسانى من تحقيق القيم العليا فى روابط الأفراد بين بعضهم بعضا . فيقول جلت قدرته : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** (الروم ـــ ٢١) . .فيحدد هذا الهدف الآخر بأنه السكنى والاطمئنان

يتفكرون » الروم ـــ ٢١) .. فيحدد هذا الهدف الآخر بأنه السكنى والاطمئنان

والمودة ، والرحمة ، فى العلاقات بين الأفراد . وهذه القيم العليا الثلاث تلتقى عندها جميع القيم الأخرى . فهى المصب الذى تصب فيه كل قيمة عليا انسانية . فالتعاون ، والتضامن ، والكرامة البشرية ، والحرية الانسانية ، والاخوة .. وغيرها اذا تحققت تحقق الاطمئنان ، وتحققت المودة ، وتحققت الرحمة حتما بين الأفراد .

والقرآن يفرد هذا الهدف الانسانى للمجتمع الانسانى ، بعد ان افرد ايضا بتعبير خاص الغاية المشتركة فى خلق الانسان ، بينه وبين الحيوان ، والنبات ، وهى غاية التكاثر والنمو ، فى قوله : « **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة** » (النحل ٧٢) ..حتى لا تلتبس احدى الغايتين بالأخرى ، وحتى اذا ما حقق الانسان غاية النمو والتكاثر وحدها ، دون الغاية الأخرى : يبقى الانسان فى الدائرة المشتركة بينه وبين الحيوان والنبات — وحدها . وعندئذ لا يتميز عنهما بميزته الانسانية ، وهى ميزة اجتماعية ، اى ميزة تكوين المجتمع وتحقيق أهدافه .

فتكوين المجتمع الاسلامى القائم على توجيه القرآن هو تكوين تصحبه ظواهر الحضارة فى جانبها الانسانى . والجاهليون أو الماديون الذين انتقلوا الى المجتمع الاسلامى يومذاك ، استجابة للدعوة الاسلامية ، انتقلوا اليه مؤمنين بهدفه . وهو تحقيق القيم الانسانية فى علاقة بعضهم ببعض . وهى قيم حضارية ، تمثل الجانب الحضارى الانسانى .

فدعوة الاسلام هى دعوة الى تهذيب الوجدان فى الانسان وجعله فى خدمة التعاطف ، والتواد ، والتعاون ، والتماسك . ودعوة الى تنمية العمل الارادى وجعله فى خدمة السلوك السوى ، والسلوك الانسانى الكريم ، بعيدا عن الاغراء بالمتع المادية والوقوع تحت ما يشتهى منها .

ان المجتمع المادى يكون مجتمعا ذا طابع أسرى ، أو قبلى ، أو عنصرى ، لأن الرباط بين افراده آنئذ هو رباط مادى ينبثق من الاسرة ، او القبيلة ، أو العنصر والعرق . والمجتمع الانسانى هو ما يسمو الترابط فيه الى مستوى القيم الانسانية وحدها . والقرآن يمتن على المؤمنين به فى قوله تعالى : « **ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا ، واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها** » (آل عمران ١٠١ —١٠٣) : يمتن عليهم بأنه نقلهم بايمانهم بالله وحده وبهدايته فى كتابه من دائرة القبيلة التى كانت مثارا للفرقة والخصومة — وهى دائرة مادية — الى محيط الانسانية وقيمها ، وهو محيط يشمل الناس جميعا . وبذلك تبتعد الفرقة فيه ، كما تبتعد الخصومة ، ومحيط الانسانية محيط غير مادى . لأنه فوق الروابط التى تقوم على أساسها التكتلات المحدودة بالمكان ، أو العنصر . ومن هنا كانت الدعوة الاسلامية دعوة الى الانسانية ، فوق الروابط المادية .

والمجتمع الذى يدعو اليه الاسلام هو مجتمع انسانى يقوم اذن على الروابط الانسانية وحدها . والروابط الانسانية وما يحققها : جانب حضارى للانسان ، يقابل الجانب الآخر المادى له ، وهو الجانب العلمى والصناعى .

وهذا الجانب الحضارى الانسانى أوصل المسلمين فيما بعد الى ان يكونوا أصحاب حضارة علمية وفكرية يوم نقدوا الفكر الاغريقى فى وثنيته ، فى الوقت الذى أضافوا فيه الى معارف الاغريق الطبيعية والرياضية ، ما جعل من الجانبين ـ الاغريقى ، والاسلامى ـ مصدرا للبعث والنهضة العلمية فى أوربا ، تلك النهضة التى أتت بهذا التقدم الصناعى والعلمى المتفوق : للمجتمعات الغربية المتطورة فى حاضر المسلمين اليوم .

* ومسلمو اليوم انفكوا عن الارتباط بهدف المجتمع الاسلامى ، فى دائرة التعاون ، والتضامن ، والتآخى . وانحدروا الى خصيصية المجتمع المادى ، أو المجتمع الجاهلى . وهى خصيصية الأنانية والحركة فى دائرة الذات وحدها وآثروا الترابط على أساس المنفعة المتبادلة .. أو أساس العرق والعنصرية .. أو أساس نظام الحكم الدخيل المشترك .. أو أساس وحدة التبعية للأجنبى عنهم . وبذلك يعيشون فى تخلف فى الجانب الحضارى الانسانى ، كما تعيش الآن لفترة ما : تلك المجتمعات المادية المتطورة تطورا صناعيا فى دائرة الذات ، بعيدة عن المستوى الانسانى الحضارى الذى يتم على أساس من القيم الانسانية العليا .

واذا كان تخلف المسلمين فى الجانب الحضارى المادى أو الجانب العلمى والتيكنولوجى يمكن أن يتجاوزوه بتقليدهم للمجتمعات الصناعية العلمية ، ونقلهم من تجاربها ، ومن منهاجها وسبلها فى البحث والتطبيق : فتخلفهم فى الجانب الحضارى الانسانى لا ينفعهم فى تخطيه : اتباع مبدأ الفصل بين الدين والدولة ، كما ينصح المجددون بينهم .. ولا استيراد نظام مادى يقوم على أساسه الحكم ، كما يروجه فيهم بعض المشتغلين بالسياسة . كما لا يعوض التخلف فى هذا الجانب لديهم : جدهم ـ لوجدوا ـ فى نقل الحضارة الصناعية العلمية ، والتوسع فى هذا النقل الى أبعد حد . لأن الصناعة اذا كانت ركنا من أركان الحضارة ، فمستوى الانسان هو الركن الآخر أو الأول فيها . وطالما لا يكون هو متحضرا فى مستواه الانسانى فلا ضمان لبقاء حضارته الصناعية والعلمية . وبقاء المجتمعات الصناعية العلمية المعاصرة الآن هو بقاء مؤقت ، بعد ما انحدرت الى المادية وسيطرت مظاهر الجاهلية فى المستوى الانسانى على علاقات بعضها ببعض ، وعلى الروابط بين الأفراد فيها .

وبعد حين ـ طال الزمن أو قصر ـ ستصطدم هذه المجتمعات المعاصرة بعضها ببعض . لأن المنافع المادية ستفرق حتما بينها . كما اصطدمت فى الحربين العالميتين : الأولى ، والثانية . وقد كان التنازع على المواد الأولية أو الحصول على قسط منها هو السبب الحقيقى الذى أدى اليهما . وسياسة : « الوفاق » فى الوقت الراهن هى سياسة مصطنعة ، وهى سياسة مؤقتة كذلك .. هى أشبه بهدنة للتمكن من الاستعداد للحرب الثالثة القادمة . وهى حرب لا مفر منها : اليوم .. أو غدا .

* والمسلمون فى مجتمعاتهم المعاصرة اذا أرادوا حقا اجتياز التخلف الحضارى : الصناعى العلمى ، والانسانى ، معا : يجب أن يسلكوا نفس التجربة التى خططت لها الدعوة الاسلامية . أى يجب أن ينتقلوا من الوضع الجاهلى أو الوضع المادى الأنانى .. الى الوضع الانسانى . يجب أن تقوم

الروابط بينهم على أساس من الأخوة فى الايمان بالله وحده .. وان يبتعدوا عن الانحراف فى استغلال المال وبالأخص عن الربا .. وأن يجعلوا ملكيــة المال الخاصة سبيلا الى المنفعة العامة ، ينتفع به المالك وغير المالك له من أصحاب الحاجة على السواء ، دون أن يقصروا منفعته على المالك وحده فيمعن فى الترف ، بينما تأخذ الحاجة برقاب غير المالكين له .. وأن يتجنبوا الجرائم الاجتماعية ، وهى جرائم الاعتداء على الأعراض ، والأموال ، والنفوس .. وأن يوفروا الكرامة البشرية والاعتبار البشرى للضعفاء بينهم .. الى غير ذلك مما تخطه الدعوة الاسلامية فى منهج تطوير المجتمع (٣) .

فالمسلمون المعاصرون فى حاجة الى نقل أنفسهم من وضع الجاهليين الأنانيين .. الى وضع الانسانيين الــــذين يستهدفون تحقيق القيم العليا الانسانية فى سلوكهم ، ومعاملاتهم ، ومواقفهم ، وفى ترابطهم : قبل نقلهم المصانع والتجارب العلمية الطبيعية ، أو معها على الأقل ، حتى يمكنهم أن يسخروا طاقات المصانع ونتائج التجارب العلمية فى سبيل قوتهم وبقائهم .. وحتى يمكنهم بالتالى . أن يضيفوا الى الصناعة والتجارب العلمية جديدا اليها اذا استوعبوها ، كما صنع أسلافهم من قبل ، يوم أن أضافوا الى الفكر الاغريقى : فكرا اسلاميا جديدا ، أعطاه الصلاحية لأن يكون مصدر النهضة الأوربية الحديثة ، ثم المعاصرة .

ولعل التحرك الاسلامى الحاضر ، نحو تأسيس بنك اســـــلامى .. ومشروعات للتنمية فى البلاد الاسلامية .. ونحو مؤتمر لوزراء الاقتصاد فى هذه البلاد .. ونحو مؤتمر قمة اسلامى لبعث التضامن الاسلامى كجزء فى السياسة الاسلامية المعاصرة : يكون تعبيرا عن الرغبة الأكيدة نحو الانتقال الى الوضع الاسلامى ، كما تنشده دعوة المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام .

ولعل ذكرى ميلاد هذا الرسول الكريم صاحب الاعجـــــاز بأميته ، وبموضوعية كتابه : تثير من عام الى عام وعيا أقوى نحو خروج المسلمين من تخلفهم الحاضر الى المستوى الحضارى الانسانى ، فالمستوى الصناعى العلمى فالحياة الانسانية الكريمة التى تستمر فيها الآلة والعلم لخدمة الانسان ، وليس الانسان للآلة وللتجارب العلمية .

---

(١) حكم القاضى الاتحادى Huge Bownes بولاية New Hamp Chire من الولايات الامريكية فى القضية التى رفعتها منظمة طلاب المتعة ضد الجامعة هناك بان مجموعة الطـلاب التى تمارس متعة اللواط لها الحقوق الكاملة فى ممارسة هذه المتعة فى منطقة الجامعة ، طبقا للتعديل الاول الرابع عشر . ونشر هذا الحكم فى الصفحة الثالثة فى عدد ٢٨/٣٠٧ من صحيفة Herald Tribune. بتاريخ ١٨ يناير سنة ١٩٧٤ .

(٢) كما هو شائع الآن فى المجتمعات الغربية المادية .

(٣) كتاب منهج القرآن فى تطوير المجتمع — وهو من مؤلفاتنا ، طبع دار الفكر ببيروت — يحاول توضيح نقل المجتمع المادى الى مجتمع اسلامى أو انسانى وتحديد المراحل التى تبتدىء بالتنديد بالظواهر المادية فى المجتمع المادى .. حتى مرحلة الامر بما يحقق المستوى الانسانى للفرد والمجتمع .

من عيد الهجرة إلى عيد المولد

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى

يوم الخميس ١ محرم عام ١٣٩٤ كان يوما ثقيلا ينوء بحمل تاريخ كبير من أمجاد هذه الأمة .

يوم يحمل ينبوع وجودها ، وسر أمجادها ، ومبعث عزتها ، وروح وحدتها ! ..

كان يوما ارتسم على شمسه الباب العظيم الذي دخلت منه هذه الأمة الى التاريخ ثم تبوأت عرشه ، وقد كانت قبل ذلك ملقاة على هامشه ، شاردة وراء سوره ! .. ذلك لأنه كان يوم الهجرة ! ..

فكيف استقبله المسلمون عندنا ؟..

وكيف احتفلوا به ، وكيف أكرموا مقدمه ؟

لا شيء .. لقد أقبل اليوم ومر كما يمر أى آخر دون أن يأبه به أحد . ولقد طلعت شمسه ، ثم ارتفعت ، ثم استوت فى قبة السماء ، ثم دلفت الى مغربها وغابت فيه ، وليس فى الناس من يحفل بها ، أو يلتفت الى عظيم ما تحمله من تاريخ ، أو يستهدي بشعاعها الى غابر مجد لهذه الأمة سجدت له الدنيا كلها ذات يوم !! ..

وهكذا دخل اليوم الاول من عام هجرى جديد ، دخول اليتيم الى دار لا عشيرة له فيها ولا أهل . ولكنه هنا يتيم بين أهله ، وغريب بين قومه وعشيرته .

وقبل ذلك بشهر او اقل ، دخلت

أجراس الكنائس واحتفالاتها بيسوت المسلمين كلهم ، وسمعوا ذلك كله طوعا أو كرها ! .. وازينت الاسواق وزخرفت الحوانيت والمحال التجارية بالاضــــاءات الملونة واشجـــــار (الكريسمس) وأغرقت واجهاتهـا بالقطن الذى صيغت منـه عبارات ، وشكلت به شعارات ، تماما كما هـو الشأن فى أى سوق من أســـواق أوروبا ! .. وتجلت هذه الصــورة ذاتها لا فى الأندية والملاهى العامـة فقط ، بل تجاوزتها الى داخل كثيـر من البيوتات الاسلامية العريقة ! .. حيث احتفلت الأسر وتجمع أفرادها — على الطريقة الأوروبية ذاتها — فى سهر صاخب الى مطلع الفجر ..

كل ذلك ، احتفالا بقدوم عــــام ميلادى جديد ! ..

ويأتى بعد ذلك يوم الهجرة ، بكـل ما يحمله من ذكريات ، وبكل ما سجل فيه من تاريخ وعز ، فلا يرتفع لـه شعار ، ولا تبتهج به دار ، ولا تحس به فى سوق ، ولا تسمع عنه فــى اذاعة أو نحوها !! ..

الا يا حسرتا على الأمة التى لـم يكن يعرف عــز الارض الا بهـــا ، فأصبحت وذل الارض لا يعــرف الا بها . أمة لا تقاسى الهوان ولكـــن تتعشقه ، ولا تعانى من الذل بـــل تستريح اليه ، ولا تبتلى بالضيم وانما ترحب به ! ..

يا هؤلاء الناس ! .. ما الـــذى نفعكم مما يفعله المستعمرون فـــى افتتاحات أعوامهم الميلادية فتقلدوهم فى ذلك أتم تقليـد وتسـبقوهم فى الابتهاج بها والصخب من حولهـا ، وصبغ بيوتكم واذاعاتكم بشعاراتهـا وايحائها ؟ .. وما الذى ضركم مـــن تاريخكم ورأس عامكم الهجـرى — وانما هو عنوان وجودكم ، ومسرح أمجادكم ، ومنفـــذ سلطانكم — فتعرضوا عنه هذا الاعراض وتنسوه هذا النسـيان ؟

أفمن الحتم عليكم — وقد فرغتـم أنفسكم لوظيفة التقليد — أن لا تعرفوا لعامكم الهجرى معناه وأن لا تــؤدوه حقه ، الا بعد أن يسبقكم الى ذلـك أولئك الأسياد ، فيحتفلوا به لكـــم ويؤدوا حقوقه عنكم ، فتفعلوا مثلـه بدوركم تقليدا ، وتنهجوا نهجهــم محاكاة واتباعا ؟ ..

أم هل من الحتم اذا قام الخطبـاء فى مساجدهم يذكرون بهذا اليـــوم وخطورته وينبهون الناس والمسؤولين الى حقوق هذا اليوم والقيام بواجباته أن يظهر من إعراض الناس عنهم ما يصبح تكذيبا لهذا الحق ، وعقوقـا لهذا اليوم ، وكفرانا لفضله وجميـل أياديه ؟!

يا هؤلاء الناس ! .. من أنتم ، بل ما أنتم لولا الهجرة ؟!

أى اسم كان يذكر لكم فى العالم ، أم أى وطن كان يحويكم، أم أى أرض كانت تقلكم أمأى حضارة كانت تنتسب اليكم ، لو لم تكن الهجرة ؟! ..

هل كنتم تعرفون اسم الشآم التى تفخرون بأمجادها ، أو العراق التـى تتباهون بحضارتها أو مصر التـــى تعتزون بتراثها ، بل هل كانت لكـم فلسطين تذودون عنها ، أو ثـروة تخيفون العالم بسلاحها لو لـم يبعث فيكم هذا النبى الأمى القرشى ، ولو لم ينفذ أمر ربه فيهاجـر الأرض فى سبيل المبدأ ، ويترك الوطن فى سبيل العقيدة ، ولو لم يجعل الله له مـن أرض هجرته (المدينة) منطلقا الـى شرق العالم وغربـــه وشمالـــه وجنوبه ؟! ..

ماذا تقولون غدا لعلام الغيوب ، اذا أخذكم بجريرة هذا النكران ، ثـم

أخذكم بجريرة تقليد لا فائدة فيه واتباع لا حكمة من ورائها ؟ ..

أولادكم يا مسلمون .. يستيقظون من طفولتهم الصغرى على الطنين والرنين اللذين تعج بهما ليلة رأس السنة الميلادية ، يرتضعون منكم لبان عاداتها وتقاليدها ، وتفيض آذانهم بأحاديث المعلقين من أفراد الأسرة وغيرهم على نهاية العام الماضى .. وبداية العام الجديد ، والتقاليع المستوردة لتوديع ذاك واستقبال هذا ! .. حتى اذا بلغ الطفل أشده استحكمت الصورة فى أغوار نفسه وانصبغ بها عقلا وطبعا ووجدانا ، وتهيأ له — مما غذى به — أن أيام السنة ان هى الا دائرة مغلقة متماسكة ، لا ينتهى ذيلها الا عند رأسها الوحيد : أول كانون الثانى حيث رأس السنة الميلادية ! ..

أما الهجرة والحديث عنها ، فكلام كالطيف كان يردده الاجداد .. وأما مكانها من دائرة العام وأيامه ، فقد عفى عليه الصدأ والقدم ، ولم يبق منه الا رمز كالطلل ، وأشبه ما يكون بشارة على قبر مهجور ربما ذكر بعض العابرين بقراءة الفاتحة ! ..

أفيسعدكم يا مسلمون أن تربوا أولادكم على هذا النهج ؟ ..

أفلا يؤرق لكم بالا ، أن تقبلوا الى الله غدا تحملون أوزار هذه التربية على ظهوركم عذابا من الله ونكالا ؟ ..

● ● ●

اكتب هذا الكلام ، وأن ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلوح لى من بعيد ، ولعل كلامى هذا لن ينشر الا والمسلمون فى أنحاء عالمهم الاسلامى يستقبلونها ، وينصرفون الى الاحتفاء بها والاحتفال لها .

ولكنى أعتقد أن المسلمين مهما فعلوا فى استقبالهم لهذه الذكرى ، فان جميع ما يفعلونه لن يقع موقع القبول من صاحب الذكرى محمد عليه الصلاة والسلام .

ان الأمة التى تصدق فى احتفائها بمولد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم ، لا تذهب هذا المذهب العجيب فى احتفالاتها التقليدية برأس السنة الميلادية . وقد علمت جيدا انها لا تسترضى بذلك قلب عيسى عليه الصلاة والسلام ، وانما تسترضى به نظرة اجنبية الى هذه الأمة ! .. نظرة ترمى بشرر من الحقد على دينها وغابر عزها وامجادها ! .. نظرة لا تقوم الدنيا الا من خلال الأحقرين : متعة الفرج ومتعة البطن ! ..

فتعالوا نكن صادقين — يا مسلمون — فى احتفالنا بذكرى مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذه المرة .

ولنفسر صدقنا هذا بسلوك يمسح عنا ماضى آثامنا ويرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنا .

ان عواطفنا الاسلامية — ولله الحمد — قد غدت مشبوبة وناضجة وما رأيتها فى عهد من العهود أنضج منها اليوم .

ان كلا من ظروف الحرب والسلم ، وموقف الدول الأجنبية — صديقة وعدوة — منا ، وعبر الحياة التى نراها من حولنا والمآسى التى لاحقتنا يوم ابتعدنا عن حمى اسلامنا — كل ذلك قد أورثنا يقينا لا يتزعزع بأن الاسلام من حياتنا كالروح من الجسد وكالماء البارد من الكبد الحرى .. وبأن مشكلاتنا — على اختلافها — لا يمحقها الا الاسلام عقيدة أولا ونظاما وأخلاقا ثانيا .

وقد ولى العصر الذى كان يتجمل فيه بعض الناس بالالحاد ، ويجاهر

بالفسوق والكفران . انها اليـــوم (موضة) قديمة ، وتقليعة بائدة .
ان ملاحدة الأمس ، يتنافسون فى عرض عظمة الاسلام اليوم ! ..
وان الدنيا كلها قد علمـــت ان الالحاد ليس الا ظاهرة مرضيـــة ، تتسلل الى الفكر بواسطة جرثومـــة من أهواء النفس ، أو عقـــدها ، أو عصبيتها ، أو ردود فعلها !.. وليس بعد الاسلام من ملجأ لأى فكـــر حر ، بعد أن تخلص من وباء الالحاد .
واذا فمـــا جمودكم اليـــــوم يا مسلمون ؟ .. يا مسلمون : علماء ومثقفين ومدرسين وعمالا وموظفين ؟
كيف تستقبلون مولد نبيكم محمـــد صلى الله عليه وسلم ، من سجن هذا الجمود ، وقد علمتم أن ميراثه الوحيد الذى وضعه فى أعناقكم انما هـــو النهوض بأعباء الدعوة الى الله ؟ ..
أو لا تزالون تعيشون فى تلافيف تلك الضلالة التى تزعم على السنـــة كثير من الجهال بأن للاسلام (رجال دين) هم المسؤولون عن الدفاع عنه اذا هوجم ، وعن أحيائه اذا ذبح ، وعن اعادة تشييده اذا هـــدم ، وأن غيرهم ليسوا الا نظارة يتخـــــذون أماكنهم أمام المسرح ؟!..
لقد آن لنا ، جميعا ، أن نستغفر الله من هذه الضلالة البشعة ، وأن نقف خاضعين خاشعين أمام قول الله عز وجل :

«ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقـــال اننى مـــن المسلمين » .

ثم أمام قول رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .
ثم أن نبسط إيمانا صادقة الى الله عز وجل نبايعه بها على أن نكون — وقد انتسبنا الى حزبـــه — أعضـــاء عاملين لا أشخاصا تقليديين .
انكم لتكثرون الكلام فى هذه الأيام عن الجهاد ، وتسمعون عنه كثيرا ، ولكن اعلموا أن أهم جهاد يستنفـــر له الاسلام المسلمين جميعا ، فى هذا العصر ، انما هو جهاد الدعوة الـــى الاسلام والتعريف به ، بقلب متحرق صادق لله عز وجل .
ولست أعنى أن قتال العدو الذى يستحل أرضنا يأتى فى الدرجة الثانية من هذا الجهاد ، أو أنه ينبغـــى أن يؤخر الى ما بعد قيام المسلمين بواجب الدعوة الـــى الاســـلام ، لا .. ليس هكذا . فان العدو الجاثم فى أرضنا صائل ومقاومة الصائل واجب مستقل بذاته ، يكلف به المسلمون بقطـــــع النظر عن الجهاد الذى نتحدث عنه .
فاذا خرج العدو من ديارنا ، فـــــان ملاحقته بعد ذلك بالدعوة الى الاسلام والقتال فى سبيلها ، هو الجهاد .
ان القاعدة العريضة الكبرى التى يجب أن ينطلق منها المسلمون جميعا، للجهاد فى سبيل الله اليوم ، انما هى جهاد الدعوة الى الاسلام على شتى المستويات وبكل الطرق والاساليـــب ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة .
ولو نهض المسلمون اليوم، أواكثرهم أو كثرة عظيمة فيهم ، بهذا الجهاد ، لا يبتغون الا وجه ربهم ، لا يسوقون أمامهم عصبية أو غرضا أو ضغينـــة لفتح الله على أيديهم وبالسنتهم آلاف القلوب الموصدة ، ولرأيت للمسلمين مجتمعا اسلاميا سليما غير هـــــذا الذى تراه اليوم .
ولكن آفة المسلمين احد بلاءين ، بل كلاهما معا ! ..
آفة المسلمين أنهم أحد رجليـــن : رجل يتقلب فى نعيم دنياه منصرفا عن الاسلام وشأنه ، لا يبالى بالمصيـــر

الذى ينتهى اليه . وآخر يدعو الى الله والاسلام بزعمه ، ولكن بسلاح من عصبيته وكبريائه ، وبسائق من حقد متمكن وراء صدره ! .. وقليل جدا فى المسلمين من ينهض بواجب الدعوه الى الله دون أن يخلط بذلك حظ نفسه ودافع عصبيته .

وما السر فى ان اكثر المنصرفين عن الاسلام لا يلتفتون الى دعوة الداعين اليه ولا يتأثرون بكلامهم ؟ ..

السر أن اكثر هؤلاء الدعاة قد اصبح مظهر الدين جزءا من شخصياتهم واصبحت مظاهر الاسلام من مقومات ذاتيتهم ، فتراهم يدافعون عن هذه المظاهر من حيث يدافعون عن شخصيتهم ومن حيث يذودون عن ذاتيتهم وكرامتهم . ويحس الآخرون بهذا ، فتستيقظ عوامل العصبية فى نفوسهم ، ويقوم من ذلك حاجز يحول دون وصول كلمة الحق صافية الى أفكارهم .

وانه لمنزلق خطير ما ينبغى ان يقع فيه المسلم اذ يدعو الى الاسلام ، وانما يترفع عن الانزلاق فيه بالتنبه الدائم الى حقيقتين عظيمتين :

الأولى : كراهية معصية العاصى لا كراهية شخصه ، فان كراهية الشخص من حيث ذاته حقد يأباه الاسلام وينهى عنه . وما ينهى الانسان عن فسوق أو عصيان أو كفر الا شفقة على المتلبس به .

الثانية : أن لا يخلط الانسان بين دافع الانتصار لربه والانتصار لذاته ، وما أدق الفرق بينهما لمن لا يكون دائم الرقابة على نفسه .

رب رجل ذى مظهر دينى يقابله بعض الفاسقين بتصرف ساخر من الدين ، فيأخذه الهياج ويتملكه الغضب ، وربما بطش به وضربه .. وهو لو تأمل فيما قد دفعه الى ذلك لرأى أنه حب الانتصار لشخصه ، اذ كان فى تلك السخرية جرح لشخصيته الدينية .

وآية ذلك أنه لو كان متجردا عن هذا المظهر ، لمر بذلك الفاسق غير مكترث به ولا ملتفت اليه ، ولما حرك العصيان أو السخرية لديه أى غيرة أو هياج .

وانما يحبس الفاسق فى فسقه على الأغلب — انانية أو عصبية تستفحل بين جوانحه ، فلا يتأثر بتذكير ناصح ولا بتنبيه واعظ . والشىء الوحيد الذى يملك اذابة هذه العصبية والأنانية فيه ، أن يشعر شعورا واضحا بتجرد الانسان الذى ينصحه ويذكره ، وأن يقتنع بأنه لا يستهدف من نصيحته استعلاء عليه ، أو تغلبا ، أو تقوية لعصبته أو عصبيته . وانه انما يكلمه من مستوى الحب له والشفقة عليه .

فان زاد الداعى الى ذلك أن راح يقابل الايذاء بالصفح ، والسخرية بالرضى ، واستدبر حظ نفسه والانتصار لذاته ، فان ذلك من شأنه أن يوقظ كوامن الانسانية عند الطرف الآخر ، ويحيى فى فكره موضوعية البحث والنظر .

وجل القائل فى محكم كتابه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن المنافقين الذين كانوا يستقبلون دعوة الاسلام بأهواء نفوسهم بدلا من أفكار عقولهم — : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر** » .

وانظر كيف طبق الرسول وصية ربه جل جلاله ، يوم بلغه قول رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول فى غزوة المريسيع عن الرسول والمهاجرين : قد نافرونا وكاثرونا فى دارنا ، والله ما أعدنا وجلابيب قريش « يقصد المسلمين » الا كما قالوا

سمن كلبك يأكلك ، أمـــا والله لئــن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ! ..

وحسب بعض الصحابة أن النبى صلى الله عليه وسلم قاتله .. وقال له عمر رضى الله عنـــه : الا اضرب عنقه يا رسول الله ؟ .. وجاء عبـــد الله بن عبدالله بن أبى بن سلول يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : بلغنى يا رسول الله انك تريد قتــل أبى ، فان كنت لا بد فاعلا فمرنى أنا أحمل اليك راسه !..

ولكن رسول الله صلى اللـــــه عليه وسلم أبى أن يمسه بأذى وقال لابنه : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا .

لقد كان من آثار هذا الموقف مـــن النبى عليه الصلاة والسلام ، أن انفض عن ابن سلول كثيــــر من قومــــه وجماعته ، فكان اذا حدثهم بحديث عن المسلمين بادروه بالمعارضة والتعنيف ، ولقد قال عليه الصلاة والسلام لعمر رضى الله عنه بعد ذلك :

كيف ترى يا عمر ؟ .. أما والله لو قتلتهيوم قلت أقتله لأرعدت له آنف ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ..

. . . . .

يا مسلمون .. لقـــد آن لنـــا ان نستيقظ الى حقيقة الدنيا التـــى من حولنا ، وأن يتعرف كـــل منا علـــى هويته :

إننا عبيد أذلاء ، مهرت أعناقنــــــا بختم العبودية لله عز وجل .

اننا جميعا موظفون .. ولكن فـــى ديوان الله عز وجل .

فلننهض جميعا بالوظيفة التى كلفنا بها سيدنا .. ولا يهمنكـــــم رزق ولا مال فان سيدكم قد ضمن لكم ذلـــك كله ، ان أنتم قمتم بمسؤولياتكــــم الوظيفية تجاهه : « **لا نسالك رزقـــا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** » .

ووظيفتنا نحن معشر العبيد لله ، النهوض بالدعوة الى دينه فى بيوتنـــا ومدارســـنا وجامعاتنـــا ومعاملنــا ووظائفنا واسواقنا ، وبين زملائنـــا وأصدقائنا ، لا نقيم محبة أو صداقة مع انسان الا على أساس الدعوة الى الله ، ولا نكره أو نبغض انسانا الا فى سبيل الله .

لا نحقد .. لأن الحقــــد دخــان لنيــران الانتقــــام الشخصـــى ، وشخصياتنا ذائبة لا وجود لها فـــى طريق الدعوة الى الله .

لا ننحاز لعصبية .. لأن العصبية مظهر لأنانية الجماعة ، ولا أنانيـــة فردية أو جماعية فى بوتقة العبودية المطلقة لله .

لا نطمع فى دنيا أو مصلحـــة .. فقد كفانا مالك الملك كله ، كل طمـــع فيمن دونه ..

قطب سعينا كله فى الدنيا هـــو البحث عن الحقيقة .. الحقيقـــة الكبرى التى تندرج فى تضاعيفهــــا حقائق الدنيا أجمع . فاذا اهتدينا اليها فان من حق الأسرة الانسانية كلهـــا علينا أن نعرض لهـــا سبيل هـــذه الحقيقة . وخيانة كبرى أن يهتـــدى احد الأخوين الى الطريق السليـــم ، فينحط فيه معرضا عن أخيه الـــذى أسلم نفسه لمتاهـــة توصلـــه الـــى الهلاك .

هذه وظيفتنا جميعا .

فان نحن قمنا بها ، كان ذلك خيـــر إحياء لذكرى رسول الله صلى اللــــه عليه وسلم ، وكان ذلك أقصر سبيل لنصر متكامل قريب ، ومجد صادق لا ينال منه عدو ، وقوة تخيف منكـــم الدنيا كلها .

يأتيكم ذلك كله وأكثر .. من حيث لا تحتسبون .



عصمة النبي

اثبت دعائم الأمن والثقة بالوحي

للدكتور وهبه الزحيلى

لست عادة ممن يكتبون فى الموضوعات التقليدية القديمة ، ولا من الذين يرددون مكرور القول المعاد ، او محـاكاة الغير والنقل عنهم ، الا فيما يتعلق بالمبادىء والأصول الثابتة ، فهذه حق مشاع للجميع ، وتركة غالية الثمن نحتفظ بها فى صميم القلب والروح ، ومنطلق اساسى لـكل محاولة تجديد بمعناه الصحيح ، وليس بمعناه الفوضوى الذى يريد دعاته التخلص من كل قديم بغيا وعدوانا لاحقا وانصافا ، وانما هو المستند الى القديم النافع ، والمبدا الاصيل الذى لا يتغير شان القرآن والسنة النبوية وما ضما بين جناحيهما من اصول القيم والفضائل التى حددت مقاصـد التشريع وابانت غاياته ومراميه العامة .

وعصمة الانبياء ، وان كان الكلام فيها قديما ، الا انها مبدأ متجسد وماثل فى ذهن وعقيدة كل مؤمن بالرسالات الالهية صباح مســاء ، ليل نهار . وقد حركتنى دوافع معينة للكتابة فى هذا الموضوع ، منها : ما نرى ونلمس فى الاوساط الكتابية الصحفية والتاليفية ، وغير الكتابية مما يتردد على السنة الناس هوسا وغوغائية من رصف واسباغ أوصاف مغالى فيها اما لبعض الزعماء والقادة الذين ينتصرون فى معركة حربية أو ثقافية ، أو ينجحون فى وضع خطة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ، واما لبعض العلماء الذين يبتكرون اختراعا هاما ، فيجعلهم عامة الناس أشبه بالاله

أو النبى المعصوم : « ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » .

وبما أن المؤمن بباعث ايمانه حريص على معرفة حقائق الاسماء والمسميات ، مسئول عن كل كلمة يتفوه بها ، فهو مطالب بمعرفة الفرق الواضح بين ما له صفة القداسة بمعناها الحق ، وبين ما هو عرضة للخطأ والانحراف ، وان أصاب أحيانا ، سواء أكان المصيب حاكما ذا سلطان قاهر ، أو عالما ذا باع واسع فى ميدان العلوم .

أما صفة القداسة المطلقة فلا تكون الا للاله الواحد خالق الأكوان ، لا للآلهة المزعومة ، ويقترب من صفة القداسة نسبيا النبى أو الرسول المبلغ عن الاله وحيه وأحكامه وشرائعه . فضمانا لصحة التبليغ وأمانة الوحى لا بد من توفر ما يعرف بالعصمة لكل نبى فى تبليغ الوحى الالهى وما تقتضيه الرسالة ، وفيما يضمن له النجاح فى أداء مهمته بتوفير السلامة والأمن والصون من أذى الناس .

فالعصمة اذا هى أوطد صمام أمان فى وصول الشرع السماوى سليما لبنى البشر ، وآمن وسيلة لتوفير الثقة والصحة والأمن من التبديل والتصديق بمضمون رسالة الانبياء عليهم السلام ، كاملة غير منقوصة .

ثم ان معجزة العصمة هى أول الاصول التى تساعد النبى أو الرسول فى اظهار معجزاته المادية والمعنوية الخارقة لقانون العادة والقدرة المألوفة ، والدالة على صدق رسالته المؤيدة لادعائه النبوة من قبل الله تعالى .

ويجدر الكلام عن العصمة بمفهوميها السابقين : عصمة التبليغ ، والعصمة من الناس ، وذلك بتحديد معنى العصمة وادلة ضرورتها ، ووقائع عصمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ايذاء الناس كنموذج للأنبياء . ويتخلل البحث عرضا لا قصدا تفنيد دعاوى المغالين بعصمة الأنبياء أو عصمة الأئمة الحاكمين بعدهم .

ويمكن الافادة بحق مما كتبه علماؤنا الأوائل كشرح المواقف للعضد الايجى والشريف الجرجانى ، وأصول الدين للبغدادى ، والاربعين فى أصول الدين ، وعصمة الانبياء للامام الرازى ، وأعلام النبوة للماوردى ، ومنهاج السنة النبوية ، وشرح العقيدة الاصفهانية أو الواسطية لابن تيمية الحرانى .

أما حقيقة عصمة الانبياء بالمعنى العقدى فهى الا يخلق الله فيهم ذنبا . وهى عند الحكماء الفلاسفة : ملكة تمنع عن الفجور ، وتحصل بالعلم بمثالب المعاصى ، ومناقب الطاعات ، وتتأكد بتتابع الوحى اليهم بالأوامر الداعية الى ما ينبغى ، والنواهى الزاجرة عما لا ينبغى . وعرفها الشيخ المفيد من علماء الشيعة الامامية بأنها الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذى يحصل من الله تعالى فى حقه ، وهو لطف يمتنع من يختص به

عن فعل المعصية ، ولا يمنعه على وجه القهر . اى انه لا يكون له حينئذ داع الى فعل المعصية ، وترك الطاعة ، مع القدرة عليهما .

وقصر ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ــ خلافا لبقية الشيعة ــ العصمة على الانبياء من حيث نزول الوحى عليهم ، فراى أن العصمة مقتضية أربعة أشياء :

أولها : أن يكون لنفس الانسان ملكة مانعة من الفجور ، داعية الى العفة .

ثانيها : العلم بمثالب المعصية ومناقب الطاعة .

ثالثها : تأكيد ذلك العلم بالوحى والبيان من الله .

رابعها : أنه متى صدر عنه خطأ من باب النسيان والسهو لم يترك مهملا ، بل يعاقب وينبه ويضيق عليه العذر . وهذا الوضع الاخير مخالف لراى أغلبية الشيعة ، كما سنبين ، فمتى اجتمعت هذه الاوصاف الاربعة فى رأى ابن أبى الحديد ، كان الشخص معصوما عن المعاصى .

وقد أجمع اهل الملل والشرائع كلها على وجوب توفر صفة عصمة الانبياء عن تعمد الكذب أو الخطأ فيما يبلغونه عن الله تعالى من شرائع واحكام واوامر ونواهى واخبار ، فلا يقع منهم تحريف أو خيانة فى ذلك ، لا عمدا ، ولا سهوا ، حفاظا على حقيقة الشرائع الالهية .

وكذلك هم معصومون عن كل ما تقتضيه الرسالة من عدم الوقوع فى الكفر والبدعة ، وتعمد الخطأ فى الفتوى ، والامتناع فى افعالهم وأحوالهم عن اقتراف المعاصى الكبائر ولو سهوا فى رأى الايجى ، أو تعمد الذنوب الصغائر فى راى بعض العلماء كالرازى ، واجاز جمهور العلماء صدور الصغائر عنهم ولو عمدا ، الا الصغائر الخسة : وهى ما تلحق فاعلها بالأراذل كسرقة حبة أو لقمة ، فانها لا تجوز منهم أصلا لا عمدا ولا سهوا .

وهذا كله بعد الوحى والاتصاف بالنبوة وزمانها . أما قبل اتصافهم بالنبوة فلا مانع من صدور معصية منهم ، لأنهم بشر عاديون ، كحادثة القتل التى ارتكبها موسى عليه السلام قبل أن يصير نبيا .

وأما ما ورد فى القرآن من أخطاء الأنبياء : فهو اما على سبيل النسيان كمعصية آدم فى الجنة قبل أن يصير له أمة : « فنسى ولم نجد له عزما » ، واما على سبيل ترك الأولى .

وبغض النظر عن أى خلاف جرى بين العلماء فى احتمال وقوع النبى فى معصية كبيرة سهوا أو صغيرة عمدا ، فان الأمة قاطبة متفقة على أن الانبياء هم تحت مرصد دقيق للعناية الالهية ، وفى ظل مراقبة محكمة من الله حتى لا يستقر منهم الخطأ ، فلا يقرون على الخطأ . كما نقل ــ وهو حديث مكذوب ــ أنه ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم : « تلك الغرانيق العلى

وان شفاعتهن لترتجى » عقب قوله تعالى : **((واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى))** فقد نسخ الله ما ألقاه الشيطان ، وأحكم آياته : **((وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وأن الظالمين لفي شقاق بعيد))** .

وغلا الشيعة الامامية لا الزيدية في شأن العصمة ، فقالوا بثبوتها للأنبياء قبل نبوتهم ، وكذلك للأئمة الحاكمين قبل امامتهم ، بل في دور طفولتهم ، من الكبائر والصغائر كلها ، لا عمدا ولا سهوا ، ولا خطأ في التأويل ، بل إنهم مبرءون عنها قبل الوحي وبعد الوحي .

والذي يهمنا بصدد الاقتداء بالنبي واتباعه في قوله وفعله أن نؤكد قضية هامة : وهي أننا مطالبون باتباع ما يصدر عن النبي قصدا لا سهوا ، وقد وقع السهو والنسيان والخطأ فعلا من نبينا صلى الله عليه وسلم أثناء الصلاة بزيادة ركعة ، أو بصلاة ركعتين بدل الاربع ، من اجل ارشادنا وتعليمنا ، ولأن السهو والخطأ ليسا من الذنوب . روى مالك في الموطأ : « انما أنسى أو أنسى لأسن » وأخرج الشيخان في صحيحيهما : « انما أنا بشر أنسى كما تنسون ، فاذا نسيت فذكروني » وقد ذكره الصحابة ، وسجد عقب الانتهاء من صلاته سجدتي السهو .

وأما التحريف والخيانة في نقل الموحى به ، فهو أبعد ما يكون عن الانبياء ، لأنهم معصومون . وقد تكرر في مناسبات متعددة في القرآن تحديد مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ الوحي ، واتباع ما يوحى به اليه ، بل والتهديد بالعقاب الشديد فيما لو كذب فرضا ، أو غير وحرف جدلا ، فقال تعالى مثلا : « **ان عليك الا البلاغ)) ((انما أنت منذر)) ((قل : انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد)) ((ان اتبع الا ما يوحى الى)) ((وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى)) ((ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين))** . وقد فصل القرآن المجيد في مطالب القرشيين المتعذرة بحكم العادة من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقال سبحانه عارضا قصة هؤلاء المعاندين : **((وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ، فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل : سبحان ربي ، هل كنت الا بشرا رسولا))** .

وتقررت بذلك حقيقة كبرى : وهي أن الرسول بشر كسائر البشر

فيما لم يتصل بالوحي ، ولا يقدر أحد من البشر على الاتيان بشيء من الوحي من عنده ، قال تعالى مبينا هذه الحقيقة : **((قل : ما كنت بدعا من الرسل))** **((وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى))** **((تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر ان العاقبة للمتقين))** .

أما البراهين المثبتة لعصمة الانبياء ، فهي كثيرة ، دل عليها المنطق والعقل ، وأيدها القرآن الكريم ، وقد أوردها الامام الرازى ، ومنها : أن الانبياء قدوة للناس وواجب اتباعهم في أقوالهم وأفعالهم بالاجماع لقوله تعالى في حق رسوله صلى الله عليه وسلم : **((قل : ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله))** فلو وقع منهم ما يخالف مقتضى الرسالة من المعاصي حرم اتباعهم في ذلك وهو مخالف لعموم الأمر بالاتباع . وأدى ذلك أيضا الى رد شهادتهم اذ لا شهادة لفاسق بالاجماع لقوله تعالى : **((ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا))** وكذلك يجب تعنيفهم وزجرهم للأمر العام بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي زجرهم ايذاء لهم ، وايذاؤهم حرام اجماعا ، ولقوله تعالى : **((ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة))** ، وكان عقابهم على الذنب مضاعفا ، لصيرورتهم أسوأ حالا من عصاة الأمة . ولا يستحقون حينئذ الائتمان على عهد الله لقوله سبحانه : **((لا ينال عهدي الظالمين))** وكانوا أيضا غير مخلصين ، علما بأن الشيطان لا يغوى المخلصين : **((لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين))** ، وصاروا بالذنب من حزب الشيطان وحزب الشيطان هم الخاسرون ، وما استحقوا الوصف بالمبادرة الى الخيرات من فعل وترك ، مع أن الله قال في ابراهيم واسحق ويعقوب والانبياء : **((انهم كانوا يسارعون في الخيرات))** وقال سبحانه : **((انهم عندنا لمن المصطفين الأخيار))** ، وأصبحوا بترك الطاعة وفعل المعصية داخلين في قوله تعالى : **((لم تقولون ما لا تفعلون))** وقوله عز وجل : **((أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم))** ، ولما ثبت أنهم أفضل من الملائكة ، ولما استحقوا الوصف بكونهم ائمة يقتدى بهم ، كما قال تعالى في حق ابراهيم : **((انى جاعلك للناس اماما))** .

واستدل المعتزلة بناء على منهجهم في الاستدلال العقلي لاثبات رأيهم في عصمة الانبياء من اقتراف الذنوب الكبائر ولو سهوا ، والصغائر ولو عمدا وان تاب عنها : بأن ذلك يوجب النفرة عنهم ، وعدم الانقياد لهم ، مما يؤدى الى اهدار المصلحة المترتبة على البعثة ، وافساد الخلائق ، وترك استصلاحهم . وهو أمر مخالف لمقتضى العقل والحكمة . ولذا يمتنع على الانبياء أيضا كل ما ينفر مطلقا حتى لو لم يكن من أفعالهم ، وانما من أفعال غيرهم كعهر الأمهات أي كونها زانيات ، وفجر الآباء ودناءتهم واسترذالهم واقترافهم الصغائر الخسيسة .

وإذا كانت هذه هي العصمة ومشتملاتها وأدلة ثبوتها والغاية منهـا فلا يمكن أن تكون لغير نبي ، سواء أكان حاكما اماما أو عالما . اذ بها فقط نضمن سلامة وصول الوحي السـماوى الينا من غير تحريف ولا تأويل ، ولا نقص ولا زيادة ، فهى أمر ضرورى تفرضه طبيعة النبوة ، وتقتضيـه الرسالة الالهية .

أما القول بعصمة الائمة الحاكمين ، أو عصمة الارادة العامة للأمة ممثلة بالاجماع أحيانا ، فهو ذو وصف آخر يرتبط فى الحقيقة بامامة الناس وسياسة الدولة اكثر من ارتباطه بالنبوة ، وذلك من أجل اضفاء نوع من القداسة على السلطة الحاكمة ، أو تقرير سيادة الدولة فى مواجهة الرعية لتأمين اخضاع الفرد لدولته ، اذ ماذا يمكن لحاكم أو لأهل الحل والعقد أن يقرروا من أمور دستورية ذات صبغة الهية ؟ فالقول بعصمتهم من الوقوع فى الخطأ مقيد فى نطاق تطبيق الشريعة الالهية ، لا من أجل تشريع مبتدأ . ومن هنا نفى سيدنا على رضى الله عنه أن يكون مخصصا بشىء من النبى فيما عدا الفهم البشرى الذى يؤتيه الله لانسان فى كتاب الله ، فلم يصف سيدنا على نفسه بالعصمة ، بل ولم يتقبل مثل هذا الوصف الذى أطلقه عليه غيره فى عهد متأخر أو فى عهد جعفر الصادق رضى الله عنه . لذا لم يقل الزيدية بمبدأ عصمة الامام . ونحن لا نجد حاجة فى مناقشة حجج الامامية القائلين بذلك ، لأنهم أراحونا فقالوا بعدم وجود الامام المعصوم من زمان بعيد ، وأدلتهم وان قبلت من الناحية النظرية وفى النطاق السياسى ، لكنها تصطدم بالواقع ، فاذا كانت الامة بحاجة الى معصوم يحفظ لهـا الشرع ويقضى بالوقائع المتجددة ، فهذا مجرد تصور عقلى وتمن مجرد ، لا يلائم الواقع بعد انقطاع الوحى . ويفضل أن تثبت العصمة لمجموع الأمة ، لأن نقل الشرع بطريق التواتر خير من نقله من طريق الشخص الواحد ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تجتمع أمتى على ضلالة » أو « على خطأ » .

ويكفى فى الامام الحاكم عدالة ظاهرة بموافقة الشريعة ليتبع أمره وتخضع الرغبة لسلطانه ، كما أن القاضى والأمير والمجتهد يتبعون وهم ليسوا بمعصومين ، هذا فضلا عن أن القول بعصمة الحاكم وتقديسه ، أو القول بسيادة الدولة المطلقة أصبح لا يتفق مع مفاهيم الحيـاة الحديثة والانظمة الديمقراطية ، بل ومبدأ الاسلام الذى يقضى بمسـئولية الحاكم

واخضاعه لرقابة الأمة ، فتطيعه اذا استقام ، وتحاكمه وتعزله ان انحرف وزاغ عن سنن الحق .

وأما العصمة بالمعنى الثانى المكملة لمعنى العصـــمة فى التبليغ عن الاله : وهو صيانة النبى عن أذى النـــــاس ، فأمر ثابت لكل نبى بعد أداء رسالته ، لتتحقق الغاية المرجوة من ارساله : وهى اصلاح البشرية وتبليغ مضمون الرسالة السماوية لهداية الانسان . وأذكر هنا كأنموذج للأنبياء معجزات عصمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التى أظهرها الله تعالى له بعد ثبوت نبوته بمعجز القرآن واستغنائه عما سواه من البرهان ، ومن هذه المعجزات تكرر حدوث وقائع متعددة وفرت له الحصانة والصون والنجاة من اذى الأعداء ، تحقيقا لقوله تعـــالى : « **والله يعصمك من النـــاس** » ومن ذلك : نجاته صلى الله عليه وسلم من مؤامرة القتـــل التى دبرها له مشركو قريش ليلة هجرته الى المدينة المنورة بصحبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه : « **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين** » وحينما اكتشف سراقة بن مالك النبى وصاحبه فى الطريق الى الغار ساخت اقدام فرسه فى الارض الى ابطها ، فقال : « يا محمد ادع الله أن يطلقنى ، ولك على أن أرد من جاء بطلبك ، ولا أعين عليك أبدا » ثم اسلم وحسن اسلامه .

وقبل الهجرة ايضا حاول قتله عليه الصلاة والسلام نفر من عظماء قريش وهم معمر بن زيد من سادات بنى كنانة ، وكلدة بن أسد أبو الأشد ، وأبو لهب ، وعتبة بن ربيعة ، ثم ارتدوا على أعقابهم خاســئين ، وقال معمر لقريش حينما هم بقتله فى حجر ابراهيم : « ويحكم المغرور ممن غررتموه .. انى لما دنوت من محمد ، فأردت أن أهوى بسيفى اليه ، أهوى الى من عند رأسه شجاعان أقرعان ينفخان بالنيران ، وتلمع من أبصارهما ، فعدوت ، فما كنت لأعود فى شىء من مساءة محمد » ولما أراد كلدة قتله فى الطريق وهو ذاهب الى المسجد ، رجع السهم فى صدره . ولم يقدر أبو لهب من قتله رغم وقوف امرأته أم جميل على ظهره عليه الصلاة والسلام وهو ساجد . وقال عتبة — الذى حاول القتل بعد أن قرأ عليه الرسول أوائل سورة (فصلت) الى قوله تعالى «**لمثل صاعقة عاد وثمود**» — مخاطبا قريشا : «ويحكم دعونى ، انه كلمنى بكلام لا ادرى منه شيئا ، ولقد رعدت على الرعدة ، حتى خفت على نفسى ، وقلت : الصاعقة قد أخذتنى » .

وبعد الهجرة أراد رجل اسمه (دعثور) قتل النبى حينما انفرد بنفسه فى غزوة ذى أمر عن أصحابه ، فسقط السيف من يده ، حينما استله ، قائلا

للرسـول : « من يمنعك منى » فأجابه : « الله » ، ثم أخذه النبى عليه السلام .

وفى موقعة حنين أراد شيبة بن عثمان بن ابى طلحة قتل الرسـول حينما رآه منفردا عن صحبه ، وقال : « اليوم ادرك ثأرى ، واقتل محمدا » ، لأن أباه قتل يوم أحد فى جماعة اخوته واعمامه . ثم خذله الله ، فقـال : « فلما أردت قتله ، اقبل شىء حتى تغشى فؤادى ، فلم اطق ذلك ، فعلمت انه ممنوع » .

وحينما اتفق عامر بن الطفيل واربد بن قيس (اخو لبيد بن ربيعـة الشاعر لأمه) على أن يشغل الاول النبى ، ويضربه الثانى بالسيف ، بدت اعظم مظاهر الخيبة لهما ، اذ أمسك الله يد (أربد) الذى سل سيفه قريبا من ذراع ، فلم يستطع أن يسله ولا أن يغمده . ثم دعا النبى عليهما ، فمات عامر بالطاعون ، وارسل الله على أربد وعلى جماله صاعقة أحرقتهم .

قال الماوردى فى أعلام النبوة عقب هذه الحوادث وامثالها : « فان قيل : فهذه أخبار آحاد لا يقطع بمثلها ؟ قيل : العداوة ظاهرة ، والطلب معلوم ، والسلامة موجودة ، فلم تدفع جملة الاخبار ، ولم يصح فى جميعها توهم الكذب ، وان جاز فى آحادها توهم الكذب ، كالمحكى من سخاء حاتم ، وشجاعة عنترة » أى أن ثبات عصمة النبى صلى الله عليه وسلم واضح من طريق التواتر المعنوى : وهو ما اختلفت فيه الفاظ النقل ، واتحد فيه مضمون الخبر .

هذه هى عصمة النبيين التى كانت أولى الوسائل للحفاظ على آخر الكتب السماوية وخاتمة الوحى الالهى منذ بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والى يوم القيامة صحيحا غير محرف سليما غير مبدل ، الا وهو القرآن المجيد هداية العالمين ونور السماء والارض : « **وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين** » « **وما هو بقول شيطان رجيم . فاين تذهبون . ان هو ذكر للعالمين** » .

دراسة عن

مؤتمر القمة الاسلامي في لاهور

● المؤتمر بداية مرحلة تاريخية جديدة !

● المؤتمر اكبر تجمع اسلامي في العصر الحديث !

● الايجابية والنظرة الواقعية سمة المؤتمر

من الرباط الى لاهـور :

بإحراق إسرائيل للمسجد الأقصى فى أغسطس ١٩٦٩ ، بدأ المسلمون الذين يشكلون — فى حقيقتهم — أمة مشتركة العقيدة والتاريخ والأهداف والمصير ، يتأكدون — بوضوح — من حقيقــة الغارة اليهودية على فلسطين .

إنها تحد جديد موجه الى الإسلام ، بدأ بإحراق المسجد الأقصى ، لكنه لن ينتهى — اذا ظل المسلمون على حالهم من التفكك والتخلف — إلا بإحراق أستار الكعبة ، وهدم مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، واغتصاب أرض الجزيرة ، التى عاش فيها ذات يوم يهود خيبر ، وبنو النضير ، وبنو قينقاع ، وبنو قريظة !!.

هكذا يخطط اليهود ، وتلك أهدافهم التى يعلنونها ، فى كل مناسباتهم الدينية : « السيطرة على العالم الإسلامى بدءاً من السيطرة على العالم العربى ومقدساته ، وتكوين امبراطورية يحكمها حاخامات بنى إسرائيل » . . . !!

ولم يمض شهر على إحراق المسجد الأقصى ، حتى عقد زعماء المسلمين مؤتمر القمة الاسلامى الاول فى سبتمبر ١٩٦٩ ، بمدينة الرباط بالمغرب ، لبحث مشكلة المقدسات الإسلامية والمسجد الأقصى بخاصة .



● ادى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح صلاة الجمعة فى مسجد (بادشاهى) بالباكستان . ويبدو سموه فى مقدمة المصلين ، كما يبدو الى جانب سموه جلالة الملك فيصل ، ملك المملكة العربية السعودية ورئيس مجلس قيادة الثورة الليبى الرئيس معمر القذافى ، ويبدو كذلك الشيخ عبد الله الجابر الصباح المستشار الخاص لصاحب السمو الأمير المعظم .

ولأن مؤتمر الرباط كان مجرد رد فعل عاطفى على حادث الأقصى ، ولأنه ــ كذلك ــ عقد فى ظروف نفسية وتاريخية صعبة ــ فانه لم يسبقه إعداد تمهيدى ، ولم يكن لديه برنامج محدد « جدول أعمال » ، وبالتالى فانه لم ينته الى إصدار أية قرارات ، وانما تركزت قيمته الحقيقية ، فى أنه إعلان عن بداية مواجهة المسلمين للتحديات التى تواجههم ، واعلان ــ كذلك ــ عن أن الشعور الاسلامى والتضامن الاسلامى لا يزالان بخير فى الأمة الاسلامية .

وخلال السنوات الأربع التى تلت قمة الرباط تتابعت مؤتمرات إسلامية على مستوى وزراء الخارجية : فى جدة ١٩٧٠ ، وكوالا لامبور ١٩٧١ ، وجدة ــ مرة ثانية ــ ١٩٧٢ ، وبنغازى ١٩٧٣م ، بما أكد أن اتجاه المسلمين الى التضامن قد بدأ يشق له طريقا واضحا ، أكثر وعيا وتنظيما وإيجابية .

المناخ الجديد :

ــ لقد تغيرت فى هذه السنوات التى تلت مؤتمر الرباط كثير من المعادلات الدولية التى أكدت للمسلمين أن طريقهم الى الحياة والتقدم لن يكون بغير وحدتهم الاسلامية ،واعتمادهم على الله وعلى أنفسهم ، كما أن الوجه الحقيقى لأعداء المسلمين ــ على اختلافهم ــ قد تكشف إزاء عديد من القضايا التى هزت الكيان الاسلامى هزا عنيفا .

ـ ومع هذه الرؤية التى بدأت تتضح لأنظار المسلمين ، وقعت حرب العاشر من رمضـــان التى ظهر العرب فيها بوجـــه مشرف للإســـلام والمســـلمين ــ فأعطت هذه الحرب الكريمة للمسلمين والعرب روحا جديدة ، تؤكد حقيقة الوحدة التى تضمهم ، وتؤكد أنهم يملكون طاقات ضخمة تؤهلهم لتحرير أنفسهم ، وتحقيق التقدم والتفوق فى المجالات المختلفة ، شريطة السير فى تحقيق الوحدة ، وتحقيق الاعتماد على الله وعلى الذات .

وفى ظل الرؤية الجديدة ، وهـــذا الشعور الجـــديد ، انعقد مؤتمر القمة الاسلامية الثانى بلاهور فى يوم الجمعة (٣٠ محرم ١٣٩٤هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٧٤م) .

أكبر تجمـــــع إســـــلامى :

وجهت سكرتارية المؤتمر الاسلامى الدعوة الى الدول الاسلامية الأعضاء ، فلبىّ النداء احدى وثلاثون دولة من بينها تسع عشرة دولة عربية ــ باستثناء دولة عربية واحدة ، ومع اعتبار منظمة التحرير الفلســـطينية ممثلة لشـــعب فلســـطين .

وقد طلب الانضمام لعضوية المؤتمر الاسلامى ست دول إفريقية تمّ قبول طلبها ، وقبول حضورها المؤتمر وهى : الجابون (التى اعتنق رئيسها عمر بونجر الاسلام مؤخرا) وغامبيا ، والكاميرون ، وأوغندا ، وفولتا العليا ، وغينيا بيساو .

وبقيـــة الدول الاسلاميـــة المشتركـــة هى : باكستان ، وأندونيســـيا ، وافغانستان ، وتركيـــا ، وايران ، وماليزيا ، وتشـــاد ، والنيجر ، وغينيا ، والسنغال ، والصومال ، ومالى . وأخيرا ، انضمت بنغلادش ، بعد محاولات الوفاق بينها وبين باكستان ، فبلغ بذلك مجموع الدول المشتركة فى المؤتمر ثمان وثلاثين دولة إسلامية .

مؤتمـــــــر لاهـــــور :

فى مسجد « باد شـــاهى » الذى شـــيده الامبراطـــور المغولى المســـلم « أورانجزيب » منذ ثلاثة قرون .. فى هذا المسجد الذى يعدّ من أكبر وأجمـــل مساجد العالم ، والذى ارتبط اسمه بالشاعر والفيلسوف المسلم « محمد اقبال » .. فى هذا المسجد قام الملوك والرؤساء بأداء صلاة الجمعة ، ووراءهم مائة الف مسلم ، حيث أمّهم حامى حمى الحرمين ، **عاهل السعودية ، الملك فيصل** .

ــ وبعد الجمعة ، توجـــه الزعماء المسلمون الى مقر المؤتمـــر ليبـــدءوا عملهم الذى استمر ثلاثة أيام متتالية . وقد ركز « جدول الأعمال » ــ الذى كان وزراء الخارجية قد انتهوا اليه ــ على قضية واحدة محددة ، ذات أبعاد ثلاثة



● جموع المصلين الذين توافدوا على مسجد بادشاهى بالباكستان لتادية صلاة الجمعة ، حيث اجتمع اكبر عدد من رؤساء الدول الاسلامية فى العالم لتادية صلاة الجمعة فيه .

... أما القضية فهى قضية الشرق العربى ، وأما أبعادها الثلاثة فهى : « عروبة القدس وإسلاميتها ـ حقوق شعب فلسطين ـ انسحاب اسرائيل من الأرض العربية المحتلة » .

ولم يمنع هذا التركيز المؤتمر من أن يصل الى قرارين مهمين عاجلين ، أحدهما خاص بقضية « الفلبين » ، والآخر خاص بقضية « الارتفاع بالمستوى الاقتصادى للأمة الاسلامية » ، حتى لا تقع فريسة المساعدات الخارجية الخبيثة !!

وكما بدأ المؤتمر واضحا ، فانه انتهى ـ كذلك ـ واضحا .. فكانت قراراته التى أقرها فى جلسته الختامية تؤكد فى مجموعها وسائل تحقيق الأهداف التى وردت فى جدول الأعمال .

ولما كان الأستاذ وزير الأوقاف والشئون الإسلامية ، عضوا فى الوفد الكويتى الذى رافق صاحب السمو أمير الكويت المعظم الى المؤتمر ، توجهنا إليه بالأسئلة الآتية :

● سيادة الوزير : **« صرح صاحب السمو امير البلاد المعظم ، بان مؤتمر لاهور كان مؤتمرا عمليا وإيجابيا ، امتاز بالنظرة الواقعية » هل تتكرمون بتفصيل هذا التصريح من خلال معايشتكم للمؤتمر وقراراته ؟**

ـــ اجاب سيادته :

« لقد كان مؤتمر القمة الذي عقد في مدينة لاهور عاصمة « البنجاب » الإقليمية ، متفهما للقضية العربية ، مدركا أنها قضية تهم كل مسلم . وليست قضية عربية فقط ، وأنها ـــ قضية كل البلاد التي تقف ضد الظلم والعدوان ، وقضية كل أولئك الذين يؤمنون بأن من حق كل شعب أن يقرر مصيره بإرادته الحرة .

وبالنظر لما توفر لهذا المؤتمر من تجمع إسلامي كبير ، ضم مختلف المناطق الاسلامية ، شرقها وغربها وشمالها وجنوبها ، فقد عبَّر المؤتمرون باجتماعهم هذا ـــ عن روح التضامن الاسلامي والأخوة الاسلامية التي حث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : **« ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ..**

وأيضا الى بالنظر الى الروح التي سادت هذا المؤتمر وهي روح الأخوة الاسلامية الصافية الصادقة .

وبالنظر للقرارات التي اتخذها المؤتمر ، وهي القرارات التي أعطت للقضايا العربية الاسلامية دفعا معنويا وواقعيا طيبا ..

ـــ بالنظر لهذا كله ـــ يتأكد بجلاء أن مؤتمر لاهور ، كان ـــ حقيقة ـــ مؤتمرا عمليا وايجابيا وواقعيا .

● هل اعطى المؤتمر قضايا إسلامية أخرى ـــ غير القدس وفلسطين ـــ نصيبا من جهده وقراراته ؟

ـــ نعم ، اهتم المؤتمر ببعض القضايا الاسلامية الملحة ، غير قضيتي القدس والشرق الأوسط ... وعلى سبيل المثال ، فان مشكلة الفلبين أخذت حيزا كبيرا من اهتمام المؤتمر ، واتخذت بشأنها قرارات مناسبة وجدية ، وشكلت لجنة لمتابعة هذه القرارات ، وأيضا .. نجح المؤتمر في تقريب الخلاف بين باكستان وبنغلادش ، وفي حضور الشيخ مجيب الرحمن الى المؤتمر ، واعتراف باكستان ببنغلادش . وغير خافٍ الجهد الكبير الذي قامت به الكويت ـــ بالذات ـــ في هذا السبيل ـــ وانه بحقٍ لجهد ريادي ضخم ..

ومع ذلك ، وفيما يتعلق بهذا السؤال أحب أن أقول : إن القضايا الاسلامية كثيرة ، ومن الصعب تناولها بالقدر المطلوب لها في مؤتمر « القمة » ، والمعروف أن مؤتمرات وزراء خارجية الدول الاسلامية المتتالية تقوم بمتابعة القضايا الاسلامية كلها ، وأما اجتماع « القمة » فهو لعلاج قضايا حاسمة وملحة وعاجلة .

هذا فضلا عن أن مؤتمر القمة الاسلامي كان يسير وفق « جدول أعمال » انتهت اليه الاجتماعات التمهيدية لوزراء الخارجية ، وتم فيها وضع القضايا ذات الأولوية أو الخطورة أمام الزعماء المسلمين . وهي تلك القضايا التي تستدعي جهد « القمة » نفسها ، ومشاركتها مشاركة مباشرة .

● مع تقديرنا لقرارات المؤتمر المحددة حول القدس والحق العربي والفلبين ... هل صدرت قرارات عامة تؤكد بداية التضامن الاسلامي ، وتخدم مجموع المسلمين ؟



● جانب من حفل افتتاح مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهور

ــ لقد تدارس المؤتمر الموقف الاقتصادى الاسلامى بصفة عامة ، ووضع البلاد الاسلامية الاقتصادى بصفة خاصة .

وبناء على هذه الدراسة ، قرر إنشاء لجنة تتكون من ممثلين وخبراء من الجزائر ، ومصر ، والكويت ، وليبيا ، وباكستان ، والمملكة العربية السعودية ، والسنغال ، ودولة الامارات العربية .

ــ وأبرز أعمال هذه اللجنة إيجاد الوسائل والأساليب التى تهدف الى تخفيف المصاعب الاقتصادية التى تواجهها الدول النامية ، والتى تنظم شروط التبادل التجارى بين الدول المتقدمة والدول النامية ، فيما يتعلق بموارد المواد الخام واستيراد السلع المصنعة والخبرة الفنية .. وكل هذا فى سبيل القضاء على الفقر والمرض والجهل فى البلاد الاسلامية ، وإنهاء استغلال الدول الصناعية الكبرى للدول الاسلامية .

وأعتقد أن هذا القرار الاقتصادى سيكون له أثر حميد فى خدمة الأمة الاسلامية كلها ، وحل كثير من مشاكلها التى تكاد تكون مشتركة بين أكثر دولها .

● من بين قرارات مؤتمر وزراء الأوقاف العرب المنعقد بالكويت فى المحرم ١٣٩٣ ، إنشاء « مكتب تنسيق إسلامى » ... هل تمّ انشاء هذا المكتب ؟ وألا يمكن عن طريق هذا المكتب ــ بعد مؤتمر لاهور ــ التخطيط لعقد مؤتمرات وزراء الأوقاف على مستوى العالم الاسلامى كله ؟

ــ الحق أن مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية العربى الذى عقد فى الكويت ، كان مؤتمرا تأسيسيا فقط ، وبالتأكيد ، وبعد ظهور طابع التضامن الاسلامى .. لا شك أن التنسيق سيكون قائما بين مؤتمرات وزراء الأوقاف والامانة العامة للمؤتمر الاسلامى ، لتتولى هى مهمة مكتب التنسيق الاسلامى . وسيكون من السهل بعد ذلك عقد مؤتمرات لوزراء الأوقاف والشئون الاسلامية على مستوى العالم الاسلامى ، ولا سيما وأن معظم وزراء الأوقاف

والشئون الاسلامية كانوا أعضاء فى وفود بلادهم الى مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهــور .

● **هل تقابلتم وبعض السادة وزراء الأوقاف الذين حضروا الى لاهور ؟**

ــ التقيت بأكثر من وزير للأوقاف والشئون الاسلامية ، وتباحثت معهم فى القضايا التى تهم العالم الاسلامى ، والتى يمكن التعاون فيها لخدمة الاســلام والمســلمين .

ومن هؤلاء الإخوة الوزراء الذين التقيت بهم : وزير الشئون الدينية والتعليم الأصلى بالجزائر « مولود قاسم » ، ووزير الشئون الدينية فى موريتانيا « أحمد ابن آل‌عمر » ، ووزير الأوقاف والشئون الاسلامية فى المغرب « الناصرى المكى » والدكتور « عبد العزيز كامل » نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف فى مصر ، وغيرهم من إخوانى المسئولين عن الشــئون الاســلامية فى البلاد العربيــة والاســلامية .

● **ايمكن بعد مؤتمرى الرباط ولاهور أن نقول : ان هناك قوة اسلامية ، ذات شخصية مستقلة ، وأهداف مشتركة ، بدأت تظهر على المسرح الدولى ؟**

ــ الحقيقة أن هذا التجمع الاسلامى الذى تمثل فى مؤتمر القمة بلاهور ، أعطى العالم الاسلامى مميزات وملامح مستقلة ، كقوة مادية ومعنوية دوليــة ، لها عقيدتها الخاصة ، ولها رسالتها نحو الانسانية . وهى تملك المقومات المشتركة التى تربط بين أعضائها ، وتمكنها من متابعة مسيرتها ، وتحديد موقفها من الصراع الحضارى الدائر فى عالم اليوم .

والأمل كبير فى أن هذا التجمع الاسلامى ، سيكون له ما بعده من مظاهر الوحدة والتضامن بين أعضاء خير أمة أخرجت للناس ، حتى يعود المســلمون ــ باذن الله ــ الى مكان القيادة من جديد ، فينقذوا المدنية الحديثة من هــاوية السقوط الأخــلاقى ، وعبادة المادة ، واستعباد الانسان لأخيه الانسان . وما ذلك على الله ببعيــد !!

اضواء اخيرة على المؤتمــر :

إن التقويم الموضوعى لمؤتمر لاهور يوجب نظرة شمولية الى النتائج القريبة والبعيــدة التى أسفر عنها المؤتمر .

وفى يقينى أن القرارات التى انتهى اليها المؤتمر ، لا تعدو أن تكون جزءا محــدودا من آثاره البعيــدة المدى فى قضية التضامن الاسلامى ، والنهضــة الاســلامية .

والمتتبع لحركة المؤتمر الدائبة خلال أيامه الثلاثة ، يلاحظ التفاعل والتلاحم بين أعضــاء الجسم الاسلامى ، الذى اجتهد الأعداء فى تمزيقه وتشتيته ، فهنا

وهناك لقاءات ، ومباحثات « واتصالات جانبية » ، « ومساع حميدة » ومحاولات جادة لإزالة الخلافات الطارئة المصطنعة التى تراكمت بفعل المخطط الاستعمارى والتدخـلات الأجنبيـة .

ــ ولقد أثيرت خلال الجلسات قضايا حيوية ، يعتبر مجرد إثارتها ، والتفكير فيها هذا التفكير الجدى ، وطرحها للحوار على النحو الذى طرحت به ــ عمـلا ايجابيا فى حد ذاته : فقضية المصرف الاسلامى ، والسوق الاسلامية المشتركة ، والالتزام بالدفاع عن أية دولة اسلامية يعتدى عليها ، وإنشاء جامعة اسـلامية للتكنولوجيا ، وعدم السماح بنزول الطائرات الاسرائيلية فى الأرض الاسلامية ، والانتقال بالتعاون الاسلامى من دائرة الشعارات الى دائرة التنفيذ الفعلى عـن طريق التعاون الاقتصادى بين الدول الاسلامية بعضها البعض .

... هذه القضايا الحيـوية التى طرحت فى لاهور على مائدة الحـوار ، واخذت طريقها الهادىء الى لجان المؤتمر الاسلامى ، كانت منذ سنوات قريبـة حلما ، لا يكاد يصل إليه الخيـال .

ــ وظاهرة أخرى جديرة بالنظر ، فان المجموعة العربية ، قد ظهرت خلال المؤتمر كمجموعـة متماسكة قوية ملتزمة جـديرة بأن تعود الى قيـادة العالم الاسلامى من جـديد .

ــ ومع أننا كنا نأمل فى حضـور قادة « أندونيسيا وايران وتركيـا » شخصيا ، لأن ذلك كان من شأنه ابراز « التضامن الاسلامى » على نحو أقوى ، إلا أننا نعتقد أن ظاهرة التضامن الاسلامى فى طريقها الى أن تصبح ظاهرة عامة ، لا توقفها عوارض جزئية طارئة !!

ــ لقد أعلنت مقدمة البيان الختامى للمؤتمر ، أن ملوك ورؤسـاء الدول والحكومات وممثلى البلاد والمنظمات الاسلامية يعربون عن :

- « إيمانهم بأن دينهم المشترك انما يمثل رابطة لا انفصام لها بين شعوبهم » .

- « ويقينهم بأن للبلاد الاسلامية دورا رئيسيا فى الكفاح من أجل التقـدم الجماعى وخلق نظام عالمى يقوم على العدل والإنصاف » .

- « وتصميمهم على صون التضامن بين الدول الاسلامية وتنميته » ..

ــ ان هذه الروح الجديدة التى عبَّرت عنها مقدمة البيان الختامى للمؤتمـر هى أبرز « المنطلقات » التى تهم حركة التاريخ ، لأنها الإعلان عن انطلاق « الارادة الاسلامية » و « التضامن الاسلامى » و « الروح الاسلامية » القادرة على قهر التحديات ، وصنع الحضارة ، وإعادة بناء الانسان المسلم والانسانة المسلمة .

عبد الحليم عويس

مائدة القارئ

« ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » .

ــ قرآن كريم ــ

والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهــــودى ولا نصرانى ، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أهل النار .

ــ حديث شريف ــ

الايمان طمأنينة

مر ابراهيم بن أدهم على رجــل ينطق وجهه بالهم والحزن ، فقــال له :

أيها الرجل انى سائلك عن ثلاث ، فأجبنى عنها . فقال الرجــل : نعم

قال : أيجرى فى هذا الكون شىء لا يريده الله ؟ قال : كلا . قــال : أفينقص من رزقك شىء قدره اللـــه لك ؟ قال : كلا . قال : أينقص مــن اجلك لحظة كتبها الله لك فى الحياة ؟ قال : كلا . قال ابراهيم : فعــلام الهم اذن .

نساء الأنصــــار

قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : ما رأيت أفضل من نســـــاء الأنصار أشد تصديقا لكتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل .. لما نزلت فـــى سورة النور : « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما أنزل الله اليهم منها ، يتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذى قرابته ، فما منهن امرأة الا قامت الى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقا وايمانا بما أنزل الله من كتاب فاصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كانهن على رءوسهن الغربان .

اجير أو أميــر

دخل أبو مسلم الخولانى علـــى معاوية بن أبى سفيان فقال :

السلام عليك أيها الاجير فاستنكر ذلك جلساء الخليفة ، وقالوا له : قل السلام عليك أيها الأمير ، فاعـــــاد السلام عليك أيها الاجير ، قالوا : بل قل ايها الامير ، فأصر على قوله وهنا فطن معاوية الى قصده ، وقال : دعوا أبا مسلم فانه أعلم بما يقول .

فقال أبو مسلم : انما انت أجير استأجرك رب هذه الأمة لرعايتها ، فان أنت داويت مرضاها ، وحبست أولاها على أخراها وفاك سيدهـــا أجرك وان أنت لم تفعل عاقبـــــك سيدك ..

جائزة وعقوبـــــة

مثل رجل بين يدى المنصور ، ورمى بابرة ، فغرزت فى الحائط ، ثم اخذ يرمى واحدة بعد الأخرى ، فكانت كل أبرة تدخل فى ثقب سواهـــا حتى بلغ عدد الابر مائة ، فاعجب المنصوربه ، وأمر له بمائة دينار وحكم عليه بمائة جلدة ، فارتاع الرجل وسال عن السبب ، فقال له المنصور :

اما الدنانير فلبراعتـــــك ، وأما الجلدات فلاضاعتك الوقت فيمـــا لا ينفع .



الشيخ عبد الحميد السائح

ميلاد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم حدث من الأحداث العالمية ، التى غيرت مجرى التاريخ ، وكان لها الأثر الأكبر ، فيما حدث بعد ذلك ، من تغييرات جوهرية فى الجزيرة العربية وفيما حولها ، ثم فى الأقطار والأمصار ،التى وصل اليها الإسلام بدعوته الخيرة ، واخلاقه العظيمة ، التى كانت تتمثل فى تطبيق المسلمين أحكام الاسلام في معاملاتهم وتصرفاتهم ، وكان رسل الاسلام ومبعوثوه وتجار المسلمين مرآة للاسلام سلوكا وصفاء ، وعدلا ووفاء ، فجذبوا غيرهم اليهم ، وانتشر الاسلام فى انحاء المعمورة .

ولكن هل وفى المسلمون بحق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تفرقوا أيدى سبأ ، واصبح كل فريق يناوىء الآخر ، ويخطط لقهره او التغلب عليه ، وشاعت العصبية بثوب الحزبية ، والمبادىء المستوردة ، واصبح كل جماعة يتنادون لما يلتفون حوله من آراء ، ولو عارضت الاسلام فى مخططاته ومعتقداته ، وقد نحى الاسلام عن الحكم والتشريع ، وابعد القرآن عن العمل والتطبيق ، وهجر الاسلام فى دواوين الدولة ، ومجتمعات الأمة ، على اختلاف أنواعها واشكالها ، واكتفينا من ذلك كله بالمظاهر ، واغرقنا فى البعد عن الجواهر ، مع ان هذا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم » (١) ، والله تعالى يقول : **(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)** (٢) .

وقد أرسل الله هذا الرسول العظيم رحمة للعالمين ، ينقذهم من جهالاتهم وضلالاتهم ويصرفهم عن عصبيتهم وأهوائهم ، ويجعلهم مثال العدالة والاستقامة ، قال تعالى : « **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)** (٣) .

وقال سبحانه : **(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)** (٤) .

يا مسلمون : هذا الرسول الأعظم نعمة الله عليكم فلا تكفروها ، وهبة الله اليكم فلا تجحدوها ، ومصدر كل خير فاجعلوه قدوتكم وإمامكم ، وليكن الحكام السباقين ، حتى يتبعهم المحكومون ، ولتعم خيرات هذا الرسول صلى الله عليه وسلم البيت والمدرسة والشارع وكل المجتمعات ، تغترف من هديه وتستنير بتعاليمه حتى نصبح حقيقة مسلمين مؤمنين ، بشريعة الله عاملين ، ولهدى الرسول مطبقين ، **(قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم . انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون)** (٥) .

وحينئذ يتسابق المؤمنون فى ميادين البر والخير والعمل الصالح ، وجهاد الأعداء والحفاظ على كرامة المؤمنين ومقدسات المسلمين ، فى سبيل ارضاء الله والرسول وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : (عند الله خزائن الخير والشر ، مفاتيحها الرجال ، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر ، وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير) (٦) .

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) : رواه الترمذى ، وفى رواية غير الترمذى . احفظ الله تجده أمامك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا) (٧) .

فهذه الهداية النبوية وأمثالها هى التى دفعت أصحاب رسول الله الى ميادين القتال والشهادة دفاعا عن الاسلام وذيادا عن حياضه وطمعا فى رحمة الله ورضوانه ، وهذه المبادىء هى التى كان المسلمون يتسابقون ويتنافسون فى تطبيقها ، ورسول الله قدوتهم وسيد البشر امامهم ، يعتبرون أموالهم حقا لله وانفسهم وقفا على رضا الله ، يبذلون كل ذلك حرصا على طاعة الرسول

ورضـــاه (**من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهـم حفيظـــا**) (٨) .

وكان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتابعون من بعـــدهم يدفنون كل عصبية أو تجمع لا يرضى رسول الله ، وكل مبـــدأ يسبب سخطا لرسول الله ، لا يحبون الا في الله ، ومن أجله ، ولا يبغضون الا في الله ومن اجل الله ، سائرين على درب الرسول في اعتبار القرآن امامهم وقبلتهم ، يتعبدون بتلاوة آياته وتدبرها ، وتنفيذ أحكامه ، وتطبيق تعاليمه ، فكونوا تلك الجماعة الاسلامية المجندة لخير البشرية والمتماسكة في سبيل دفع الأذى والشر ونصر المظلوم وردع الظالم والتضحية من أجل كل ذلك بالنفس والنفيس متمثلين بقوله سبحانه : (**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين . وانفقوا في ســبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين**) (٩) .

وقوله سبحانه : (**ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**) (١٠) .

الموقف في ساعة العسرة

ولما وقع المسلمون في ضائقة وشدة يوم تبوك ودعا الرسول أصحابه الى البذل والسخاء انقاذا للاسلام والمسلمين من شر الطغاة والمعتدين تسابق أصحاب رسول الله وتنافسوا فبذل أبو بكر كل ماله ، وبذل عمر نصف ماله وبذل عثمان الكثير في تجهيز الجيش واعـــداده كما بذل الآخرون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

موقفـــه من المتخلفين

وقد تخلف عن اجابة النداء عدد من أصحاب الرسول منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ، وليس لهم عذر في هذا التخلف فقرر الرسول مقاطعتهم ومنع الناس من كلامهم وقد جاءت زوجة أحدهم تستأذن الرسول في خدمته وهو شيخ طاعن ليس له من يعينه فأذن لها في خدمته عـــلى أن لا يقربها ، واستمروا على ذلك خمسين ليلة ، وهم في أشد حالات الضنك والضيق الى أن نزلت توبتهم من السماء ، فرأى كعب أن من تمام توبته أن يخرج عن ماله صدقة الى الله ورسوله .

وأنزل الله تعالى على رسوله : (**لقد تاب الله على النبى والمهاجـرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**) (١) .

فكان هذا الموقف درسا لكل من يتخلف عن مسايرة الجماعة والمساهمة فى عمل الخير والجهاد بالنفس والمال خصوصا فى أوقات الشدة والضائقة التى تصادف المسلمين (١٢) .

العبرة فى هذه الذكرى

على المسلمين حيثما وجدوا أن يراجعوا انفسهم ويفكروا فى ما أصابهم فى فلسطين وغير فلسطين وما يمكن أن يتهددهم من أخطار ويتعرضوا له من بالغ الأضرار اذا هم تخلفوا عن الاستمرار فى البذل والسخاء والتخلى عن الأهواء والأطماع ويذكروا أن للمسلمين قوة لا تبارى ولديهم من الامكانات المتعددة ما يحمل أية جهة على التفكير عدة مرات قبل التخطيط لمعاداتهم واهمال شأنهم لو انهم على درب الرسول سائرون ولدعوة محمد منفذون ولشريعتـه مطبقـون .

فواجب عليهم ان يعملوا جديا على استلهام شريعة الرسول وتطبيق أحكامها فى قوانينهم والتقيد بحدودها فى كل تصرفاتهم ويحرصوا على ديار الاسلام غير مفرطين فى أى جزء منها خصوصا اذا ارتبطت بعقيدتهم الدينية وحضارتهم الاسلامية ويحزموا أمرهم على أن لا يفرطوا فى القدس الشريف أو غير القدس من الديار المنهوبة المعتدى عليها ، واذا اعتصموا بحبل الله وأذعنوا لأمر الله ، وكان هدفهم رضا الله ورضا رسول الله فانهم واصلون لما يعيد اليهم عزتهم وكرامتهـم وديارهم « **ان تنصروا الله ينصـركم ويثبت اقدامكم** » (١٣) .

أيها المسلمون :

فى ذكرى مولد الرسول اذكروا جهاد الرسول وأصحاب الرسول

فى ذكرى مولد الرسول اذكروا تضحيات الرسول وأصحاب الرسول

فى ذكرى مولد الرسول اذكروا صـفحات سيرة الرسـول وأصحاب الرسـول

فى ذكرى مولد الرسول اذكروا غزوات الرسـول ومواقف أصحاب الرسـول

في ذكرى مولد الرسول اذكروا ما منّ الله على الرسول وأصحاب الرسول من النصر المبين والاعزاز والتكريم

اذكروا كل هذا للائتساء والاقتداء بالرسول وأصحاب الرسول لتعود لكم قوتكم ويهابكم أعداؤكم وتقفوا في الذروة بين الأمم ، وحينئذ يرضى عنكم الرسول في ذكرى مولده وتحققون ما هدف اليه الرسول في قوله صلى الله عليه وسلم :

(المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف) (١٤) .



---

(١) الامام مسلم .
(٢) الآية ٣٧ من سورة الحج .
(٣) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران .
(٤) الآية ١٠٧ من سورة الانبياء .
(٥) الآيتان ١٤ و ١٥ من سورة الحجرات .
(٦) الطبراني ، الحديث ١١٥٠ من كتاب قبس من نور محمد صلى الله عليه وسلم للدكتور محمد فايز المط .
(٧) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ١٦٠ ، ١٦١ .
(٨) الآية ٨٠ من سورة النساء .
(٩) الآيتان ١٩٤ و ١٩٥ من سورة البقرة .
(١٠) الآية ١١١ من سورة التوبة .
(١١) الآيات ١١٧ ـ ١١٩ من سورة التوبة .
(١٢) مختصر زاد المعاد ص ٣٥٨ .
(١٣) الآية ٧ من سورة محمد .
(١٤) الامام مسلم .

مشاهد من
السيرة النبوية

للاستاذ : محمد المجذوب

– ١ –

((لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)) .

وردت هذه الآية الكريمة أثناء القسم الأول من سورة الأحزاب ، التى نزلت فى أعقاب غزوة الخندق ، وكانت ضربا عاليا من الامتحان ، كشف مخبآت النفوس ، وميز كل صنف من سكان المدينة بلونه وخصائصه .. فكان هناك المؤمنون الذين ابتلوا وزلزلوا فلم تزدهم الشدة الا صفاء وتألقا ، وكان هناك المنافقون ، الذين فضحتهم المحنة فلم يملكوا كتمان ما انطوت عليه أنفسهم ، فاذا هم يصارحون بالعداء والشمات والتكذيب ، وكان هناك أيضا اليهود ، الذين استهوتهم الفتنة فنكثوا أيمانهم ، وانسلخوا من الذى وقعوه مع رسول الله ، وتهيئوا للاجهاز على المؤمنين من وراء وراء ..

ونظرة واعية الى سياق الآية ما تقدمها وأعقبها من وصف لظــروف الغزوة ، كيف بدات وكيف انتهت ، توضح بصورة قاطعة أن تدبيرا ربانيا حكيما قد تولى تنسيق الوقائع ، ويسر لكل جزء منهاسببه الممهد لخاتمته .. لتتمايز الوجوه فيحيا من حى عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة .. ولتتجلى للمؤمنين ، فيما بعد وحتى تقوم الساعة ، طريق العزة والنصر لاحبة بارزة ، لا يزيغ عنها الا عم لا يفرق بين سبيل المؤمنين ومجاهل الكافرين ..

ومع أن السورة قد عنونت باسم (الاحزاب) لم يستغرق حديث الغزوة منها سوى أقل من ربعها . أما ما قبل ذلك وما بعده فينصب عـلى ترسيخ المبادىء الاساسية التى يجب أن ينهض عليها المجتمع المسلم . يبدأ ذلـك بشخص الرسول نفسه صلوات الله وسلامه عليه ، وبأهل بيته المطهر ، وبيان الصلة الوثقى التى يجب أن تربط الأمة به وبهم .. ثم الوشائج الروحية التى تؤلف بين قلوب أهل الايمان .. ومن ثم تسلط الاضواء على العناصر الخارجة عن نطاق هذا المجتمع النبوى ، لتكشف مؤامراتها عليه .. فاذا ما استوفت آيات الغزوة عرض الأحداث القتالية ، عادت الى اتمام ما بدأت من رفع ركائز التنظيم ، وفى طليعته تحصين البيت النبوى بكل ما يجعله صالحا لاعطـاء القدوة العليا . ثم تمضى الآيات فى توسيع هذه الدائرة حتى تشمل جوانب المجتمع الاسلامى بأسره..مجهزة اثناء ذلك على رواسب من تقاليد الجاهلية ، التى لا تتفق مع أهداف الاسلام ، ومعمقة لجذور الاعتصام بقيادة الرسول وطاعته ، انسجاما مع الادارة الربانية ، التى تعلن رضاها عنه بصلاة الله وملائكته والصالحين من عباده عليه ، صلى الله عليه وسلم ، وموجهة عناية كبيرة الى توكيد سلامة البيت المسلم وحياطته بكل الآداب التى تجعل منه مثلا أعلى للمجتمع السعيد النظيف .. حتى ينتهى المطاف بمصاير كل من المهتدين والضالين ، مع التوكيد على ما بدأت به السورة من أمر بالتقوى ، والتزام سبيل المؤمنين ، والحفاظ على أمانة الله بالطاعات المؤدية الى مغفرتـه ورضوانه .

وبقليل من التفكير السديد يتبين العقل أن حياة رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، فى نفسه وفى بيته وسلوكه فى معالجة القضايا الانسانية، هى النواة التى حولها تتحرك محاور السورة كلها ..

إنه المجتمع المسلم المتميز بخصائصه الربانية ، من الايمان باللـه ، والتطلع الى ما وراء الحياة الفانية ، والاستحضار الدائم لجلال الله .. ذلك المجتمع الذى عرف سبيله واضحا على خطى الانموذج البشرى الاسمى ، الذى اصطفاه الله قائدا لعباده ، وقرن مرضاته بالتزامه فقال : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقد أنشأه على عينه فلم يزل يترقى فى آفاق الكمـال حتى استحق أن يقول له : (وانك لعلى خلق عظيم) وأن يوجه المجتمع الايمانى الى الاقتداء به فى كل تصرفاته ، قائلا على سبيل القطع والاستمرار (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ...)

ومن أوائل البدهيات الا سبيل الى تحقيق الأسوة الا باقتفاء آثار المعنى بها ، ومعنى ذلك بالنسبة الى المسلمين أن يكونوا على علم بسيرة المثل الكامل، الذى أخذ عليهم العهد باتباعه منذ أن أعطوا ربهم ميثاق السمع والطاعـة بشهادة التوحيد ، ومن هنا كان العلم بسيرته صلوات الله وسلامه عليه واجبا،

بل فرض عين على كل مسلم حسب طاقته من المعرفة ، اذ لا مندوحة للمسلم عن تعرف المثل التطبيقى لحقائق الاسلام ، متجلية فى صورة بشرية تعيش واقع الحياة ، وتعامل احداثها على ضوء من هذه الحقائق .

ولا حاجة الى التذكير بان اغفال سواد المسلمين لهذا الجانب الهام من اصول الاسلام ، هو الذى قذف بالامة فى ظلمات الضياع والتخلف ، لانه قطع ما بينها وبين نبيها من وشائج المعرفة وعلائق الاسوة .. وهو انفصام واسع المدى يستوى فى تبعاته عامة المسلمين ، والجيل الذى امتصته الثقافة الغربية وعلى رأسه فئة المزودين بمركب الجهالة العمياء لدينهم .. وانما جـاء استواء الفريقين فى مسئولية هذا الانفصام ، من حيث التقاؤهما على مجافاة الحقيقة المثلة فى شخصيته صلوات الله وسلامه عليه . فاذا كان المستغربون من أبناء المسلمين قد أفسد المكر اليهودى فطرتهم ، حتى لم يعودوا يعلمون عن هذا النبى العظيم الا ما لقنوه من أعدائه ، فان فطرة العامة قد شوهتها أيضا شعوذات المنحرفين ، فهم لا يحملون عن شخصية الرسول الا بعض الصور اللقائمة ، التى لا تكاد تتصل بحقائق الحياة .. ولا يكادون يتصلون هم بهـا الا فى حفلات الموالد ، التى استحالت فى الغالب ألوانا من اللهو واللغو لا تهب المجتمعين عليها أى مردود صالح ..

واذا كان للأسوة الحسنة كل هذا الأثر البناء ، فلا بد من العلم الحاسم بان كل محاولة لاستردادها ، ورد المسلمين اليها ، سيكون نصيبها الاخفاق الذريع ، اذا لم تقم على أساس الفهم السليم لحيـاة الرسول الكريم ، من خلال الكتاب الحكيم ، والسيرة الصحيحة ..

وهذا ما حدانى اليوم للوقوف عند بعض المشاهد من خلال السـيرة المطهرة .. يقينا منى بانها خير ما نستقبل به ذكرى اشراقته صلوات الله عليه وسلامه على هذا العالم التائه ..

لما أحس مشركو قريش فشو الاسلام ، ونجاة المهاجرين الى الحبشة من أذاهم ، وما نال رسول الله من القوة باسلام حمزة وعمر رضى الله عنهما ، عمدوا الى سلاح جديد من صنع الشيطان ، هو المقاطعة الشاملة لكل من يقف الى جانبه من بنى هاشم وبنى المطلب .. وكتبوا بذلك الصحيفة المعروفة. ومضت القطيعة الى غايتها قرابة الثلاث السنوات لقى المسلمون خلالها أفانين البلاء .. ولكن هذا لم يفل من دأب رسول الله فى عرض دعوة الله على الناس ، ولا سيما الوافدين الى مكة من أرجاء الجزيرة ، على كثرة ما واجه من أذى الطواغيت ، الذين استخدموا كبير نفوذهم للحيلولة بينه وبينهم ، وظل على شانه من الطواف والتعبد فى المسجد الحرام متحديا بذلك جبابرة قريش ، ثقة بموعود الله الذى أمره بالتبليغ ، وبشره بالعصمة من الناس .

- ٢ -

ونزل الموت بأبى طالب ، ثم تلته الزوجة الوفية الخالدة خديجة رضى الله عنها خلال أيام .. وبذلك حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجناحين اللذين طالما أظلاه بالعون والحب ، وتجرأ عليه من لم يكن ليطمع بذلك من قبل ، حتى ليعترضه أحد السفهاء فينثر على رأسه التراب ، ولما جاءت احدى بناته تغسل رأسه جعلت تبكى فيهدىء من روعها بقوله : « لا تبكى يا بنية ، فان الله مانع أباك » ..

ويغادر مكة بحثا عن انصار للدعوة فى الطائف .. بيد أنه يعود بأشد من الأذى الذى لقيه من قريش ، حتى أن كبراءها ليغرون به السفهاء والعبيد يسبونه ويصيحون به ، الى أن ألجئوه الى حائط لاثنين من ألد أعدائه .. فلم يزد على أن يرفع الى ربه هذه النفحات المائجة بعبير الرضى عن قضائه : « اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس .. ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى » ..

- ٣ -

وفى أحد تضيق الدنيا بالمسلمين وهم يستمعون الى النبأ الصادع بمقتل رسول الله ﷺ فيطيش وعى الكثرة منهم ، حتى ليغفلون عن أزمة النصر التى قبضوا عليها ، ويهيمون على وجوههم تتقاذفهم الارض هنا وهناك ... ولكن رسول الله يثبت فى وجه الدفق المنصب عليه من العدو كأنه الجبل الاشم بازاء العواصف .. تزهر عيناه من خلال المغفر ، وينظر الى البقية القليلة من صحابته يشجعهم وهو يبتسم ، فكأن الشاعر لم يعن سواه عندما قال وهو يغالى فى وصف بطله :

وقفت ، وما فى الموت شك لواقف
كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

- ٤ -

وفى مرجع رسول الله صلوات الله عليه وسلامه من غزوة ذات الرقاع نزل بصحابته فى أحد الاودية ، واتخذ مقيله فى ظل سمرة بعد أن علق بها سيفه .. وبينا هو غارق فى نومه اقبل اعرابى من الفتاك فأخذه فاستله . واستيقظ رسول الله ليرى الاعرابى وقد استعد للجريمة ، وتملكه الزهو

فجعل يهز السيف بوجهه وهو يقول : من يمنعك منى ؟!.. وفى وقار النبوة الذى لا يعرف الخوف من بشر أجاب : يمنعنى الله .. وسرعـــان ما سرت الرعدة فى أوصال الرجل حتى سقط السيف من يده ، فيأخذه الرسول ويقبل الصحابة ليروا الفاتك وقد أخذه الروع ، وجلس بين يديه صلى الله عليـــه وسلم يترقب قضاءه العدل .. ولكنه صلوات الله عليه وسلامه يأبى أن يكون الا حيث وضعه ربه فوق الانتقام الشخصى ، فرد للمرتاع أمنه ، ومنحه الحياة والحرية وكان لهذا الفضل مردوده فى نفوس القوم الذين أدركوا أن الذى يجهدون للايقاع به هو فى حماية الله ، وفوق المألوف من خيار عباده .

— ٥ —

وفى وادى حنين فوجئت كتائب الله بكمائن هوازن تنحدر عليها من جانبيه فتاخذ الفجاءة عيون المؤمنين ، فاذا هم ينتشرون باحثين عن منافذ النجاة . ولا يتمالك بعض الطلقاء ، الذين لم تخالط بشاشة الايمان قلوبهم بعد ، فيعلن فرحته بما توقعه هزيمة ساحقة للاسلام ، ويصرح آخر : ألا بطل الســـــحر اليوم ..

وثبت مع رسول الله نفر من المهاجرين والانصار ومن أهل بيته ، ممن كان على مقربة منه اثناء الجولة ، فلم تنل منهم الصدمة المفاجئة .. وجعل رسول الله يتقدم فى نحر العدو وهو يرتجز :

أنـــا النبى لا كـــــذب أنا ابـــن عبـــد المطـــلب

ويهيب بالمسلمين الشاردين : أين أيها الناس ؟ .. هلموا الى .. أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ..

ويوعز الى العباس عمه ان أصرخ : يا معشر الانصار .. يا معشر اصحاب السمرة ... فتتردد اجاباتهم : لبيك .. لبيك .. وينتهى اليه بعد لأى مئة منهم ، لا تلبث أن تقتحم غمرات الموت بين يديه صلوات الله وسلامه عليه .. وما هى الا صولة حتى سقطت راية المشركين ، وتلاحق المؤمنون عائدين الى نبيهم ليجدوا أسارى هوازن مكتفين عنده وقد كفى الله المؤمنين القتال ..

وفى حميم المعركة يبصر صلى الله عليه وسلم بالصحابية الجليلة بنت ملحان قائمة على جمل زوجها أبى طلحة رضى الله عنه وقد أخذ منها الغضب لانفضاض الناس من حوله فتقول له : بابى أنت وأمى يا رسول الله .. أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك .. ولكنه لا يجاريها فى غضبها على أصحابه بل يقول لها : ان الله قد كفى وأحسن يا أم سليم ..

- ٦ -

وكان رسول الله عائدا بالمؤمنين من تبوك ، حتى اذا وافى منى انفرد عن الجيش بناقته ، يقودها حذيفة ويسوقها عمار رضى الله عنهما ، فما ان وافى العقبة حتى فوجىء باثنى عشر ملثما يعترضون مسيرته ، ويريدون أن يزحموه للقضاء عليه ، فلما انتبه اليهم صرخ بهم ، فأوقع الله فى قلوبهم الرعب وولوا هاربين .

ويقترح رفيقاه الجليلان أن يبعث رسول الله الى عشائر هؤلاء المنافقين بأمرهم ليقتلوهم ويأتوه برؤوسهم ... ولكنه يرفض ذلك الرأى قائلا : لا .. أكره أن تتحدث العرب أن محمدا قاتل بالقوم حتى اذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم ! ..

ولم يكتف صلوات الله وسلامه عليه بالسكوت عن المتآمرين ، بل أعلن لصاحبيه أسماءهم وأخذ عليهم العهد بكتمانها .. حتى كان الصحابة يطلقون على حذيفة بعد أخيه عمار رضى الله عنهما « صاحب السر الذى لا يعلمه غيره .. »

ولاجرم أن مثل أولئك الغادرين جديرون بحكم الموت ، ولكن حكمة رسول الله أبعد رؤية من تفكير صاحبيه ، لان الإعراض عنهم أعود بالخير على الدعوة من أخذهم بالعقوبة . هذا الى أن القاصين من الناس الذين لم يحيطوا أنه ضرب من الاحتياط لحماية السلطة ممن تخشى معارضته إياها ، على طريقة الطغاة الذين ما أن يبلغوا غايتهم من التسلط حتى يفرغوا لتصفية شركائهم فيه ..!

- ٧ -

وفتح الله على رسوله مكة ، فدخلها منتصرا عزيزا ، مطلق التصرف فى اهلها وأرضها ، ولكن ذلك لم يزده الا تواضعا لربه وخشوعا لجلاله ، حتى إن لحيته لتكاد تمس واسطة رجله تذللا لله ... فكان فعله هذا درسا خالدا للفاتحين من أمته ، تعلموا منه كيف يتلقون نصر الله بمزيد من التواضع والانكسار لعظمته سبحانه .. بخلاف الجبارين من أهل الجاهلية الاولى والآخرة ، الذين يستقبلون كل نجاح يحرزونه بمزيد من الطغيان .

وفى المسجد الحرام يحتشد أعداء رسول الله ، الذين أخرجوه من أحب ارض الله اليه ، وقد استحوذ عليهم الهول ، وحضرهم كل ما اقترفوه فى حقه وحق أصحابه من سوابق العدوان ، ولبثوا ينتظرون عاقبة ما جنت أيديهم والسنتهم .

ويشرف رسول الله من على باب الكعبة ، التى طالما دنسوها بارجاس الشرك والبغى ، فيحمد الله ويمجده ثم يقول : « يا معشر قريش .. لا تثريب عليكم اليوم .. يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . اذهبوا فأنتم الطلقاء » ..

- ٨ -

ويستأثر الله بابراهيم ابن رسوله ، وقد رزقه على شوق الى الولد ، وتقارب من أواخر العمر .. ويشاء ربه جلت حكمته أن يوافق ذلك موعد كسوف الشمس .. فتسير الظنون فى الناس أن الله قد كسفها تكرمة لنبيه ، فما يكاد يعلم خبر ذلك حتى يدعو الناس الى صلاة جامعة ، يعلمهم بها (أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته) وأن عليهم اذا واجهوا مثل هذه التغيرات الكونية أن يجددوا صلتهم به سبحانه ، فيستقبلوها بالصلاة والذكر .. فتكون تلك الظاهرة الفلكية مناسبة صالحة لتعميق شعور المسلمين بفضل ربهم وعظيم رعايته وحكمته ..

- ٩ -

وذات يوم تضل ناقته صلى الله عليه وسلم أثناء عودته من تبوك ، وينطلق بعض صحابته للبحث عنها . فينتهزها المنافق اليهودى ابن اللصيت فرصة للغمز من رسول الله ، حتى ليقول : أليس محمد يزعم أنه نبى ويخبركم خبر السماء ، وهو لا يدرى أين ناقته !! ..

وتبلغ مقالة الخبيث رسول الله فلا تثيره ولا تأخذه الحمية ، بل لا يزيد على أن يقول : « انى والله ما أعلم الا ما علمنى الله .. وقد دلنى عليها ، وهى فى هذا الوادى فى شعب كذا ، قد حبستها شجرة بزمامها .. »

—•—

وبعد .. فتلك مشاهد خاطفة من سيرة الهادى الامين صلوات الله وسلامه عليه ، تعرض بعض جوانب العظمة من حياة هذا القائد الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وزوده من الكمالات بالذخر الذى لم يجتمع لسواه من خلقه ، ثم قدمه الى الانسانية مبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وهيهات للانسان أن يعرف طريقه للاستقرار ما لم يتخذ منه الأسوة الحسنة فى كل ما يأتى وما يذر ، ويجتنب مخالفته فى كل ما نهى عنه أو زجر .

فاللهم ردنا الى حماه ، ووفقنا الى اقتفاء خطاه . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، انك أنت الوهاب .

الإسلام ومعاملة الأسرى

محمد موزن

للدكتور احمد الشرباصى

نشرت الصحف اخبار جريمة خسيسة لجأ اليها الصـــهاينة اللئام ، للاعتداء على كرامة البشرية ، وللاستخفاف بالحقوق الانسانية ، وهى أن بعض أطبائهم سمحت لهم دناءتهم أن يقوموا بعمليات جراحية ، ينقلون فيها اجزاء من أجسام بعض الجرحى الأسرى لديهم ، الى أفراد منهم يحتاجون الى هذه الاعضاء .

وقد ذكرتنا هذه الجريمة بما جاء فى بعض كتبهم المقدسة — فى نظرهم — من أن القائد اذا انتصر على مدينة واحتلها ، فعليه أن يقتل جميع ذكورها بالسيف ، وان يأخذ من فيها من النساء والاطفال والبهائم غنيمة له ، فقد جاء فى الاصحاح العشرين من كتاب التثنية هذه العبارة :

« حين تقرب من مدينة لكى تحاربها ، استدعها الى الصـــلح ، فان اجابتك الى الصلح ، وفتحت لك ، فكل الشـــعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، وتستعبد لك ، وان لم تسالمك ، بل عملت معك حربا ، فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفـــال والبهائم ، وكل ما فى المدينة وكل غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك » .

وهذه الدناءة ينبغى أن تذكرنا بفضل الاسلام العظيم على العالمين ، لأنه صان كرامة الانسان من العدوان ، حتى قال رسول الله صلوات الله

وسلامه عليه : « **الانسان بنيان الله ، ملعون من هدم بنيانه** » ، ولأنه ضمن للأسرى حقوقا يجب أن تكون قدوة للمتحاربين أجمعين ، وهذه الحقوق يجب علينا أن نعيها ، وأن نعلنها ، ليستبين لكل عاقل أن فضـل الاسـلام على الانسانية عنوان فخار وتمجيد : « **صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون** » (البقرة ١٣٨) .

واذا كانت اليهودية تدعو المنتصر الى قتل كل الأسرى من الرجال ، والى استعباد النساء والاطفال ، فان القرآن الكريم يمنع هذا العدوان بعد انتصار الحق ، وكسب المعركة بحرب صارمة لا بد منها ، للمقابلة بالمثل ، ولرد العدوان وردع الطغيـان ، فيقول القرآن : « **فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء** » (محمد ٤) أثخنتموهم : أوسعتموهم قتلا وجرحا . وشدوا الوثاق : احكموا قيد الاسرى منهم . ومنا : اطلاق الاسرى بلا مقابل .

واعطى الاسلام الحق لولى المسلمين فى أن يعفو عن هؤلاء الأسرى ، اذا رأى المصلحة العامة فى ذلك . أو يأخذ منهم الفداء اذا احتاج المسلمون الى ذلك .

ونحن لا ينبغى لنا أن ننسى موقف العفو الرائع من النبى صلى الله عليه وسـلم ، بعد أن انتصر انتصـاره الباهر فى فتح مكة ، حيث قال للمهزومين المدحورين من مشركى مكة : ما تظنون انى فاعل بكم .. ؟

فقالوا فى طمع ورجاء : خيرا ، اخ كريم ، وابن أخ كريم .

قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وعفا عنهم ، وقد كان قادرا على أن يعمل فيهم السيف كما تردد كتب اليهود .

وعلم النبى اتباعه أن الانتصـار مع التمكن من الاسرى لا ينبغى أن يدفعهم الى الاسراف فى اسالة الدماء ، بل وذكرهم بالانسـانية وحقوقها المشتركة ، فقال لهم فى شأن الاسرى الأرقاء : « ان الله تعالى ملككم اياهم ، ولو شاء لملكهم اياكم » .

وقرر أن من سيطر على اسير ، واعطاه عهد الأمان على حيـاته ، فلا يجوز له أن يهدر عهد الأمان معه بعد ذلك . فقال عليه الصـلاة والسلام : « من أمن رجلا على نفسه فقتله فأنا برىء من القاتل » .

وروى تاريخ الاسلام ما كان من أمر (الهرمزان ـ وهو أحـد أكابر الفرس ـ وقد أسره أبو موسى الأشعرى ، وبعث به الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان الهرمزان ذكيا داهية ، فاعتصم بالصمت أمام الخليفة ، فقال له عمر : تكلم . فلم يتكلم ، فعاد عمر يقول له : تكلم لا بأس عليك ، وكان عمر يهم بقتله لما ارتكبه ، فلما سمع الهرمزان كلمة عمر له : « لا بأس عليك » طلب ماء ليشرب ، فجاءوا له بالماء ، وأمسـك بالماء وقال لعمر : أأنا آمن حتى أشرب هذا الماء .. ؟ فقال له عمر : اشرب فلا بأس عليك .

فسكب الهرمزان الماء على الارض . وهنا قال أنس لعمر : قد أمنته بقولك لا بأس عليك .

فلم يستطع عمر أن يمسه بسوء ، خضوعا لما أعطاه اياه من أمان . وأسلم الهرمزان بعد ذلك .

— ● —

وزاد الاسلام فى كرامته وسماحته مع الاسرى ، فأوجب الاسلام على المسلم أن ينفق على أسيره ، وأن يطعمه مما يأكل ، وأن يكسوه مما يلبس ، والا يكلفه فوق طاقته فى العمل . وها هو ذا القرآن المجيد يصف الاخيار الأبرار من عبـــاد الرحمن فيقول عنهم فى سورة الانسان ٨ ، ٩ : « **ويطعمون الطعـــام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** » .

فالقرآن المجيد هنا يدعو المسلم الى ان ينظر الى الأسير نظرة العطف والرحمة ، لا نظرة التشفى والانتقام ، بعد أن صار أسيرا ضعيفا ، ولذلك عطفت الآية الكريمة (الأسير) على (المســـــكين واليتيم) ، وهما ممن يستحقون المعونة والاشفاق .

وقال معلم الانسانية سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الله فى الضـــــعيفين : المملوك والمرأة » . كما أن مما أوصى به قبل موته وصيته « بالصلاة وما ملكت أيمانكم » .

وحث الاسلام على الترفق بالرقيق حثا قويا بليغا حتى قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « لقد أوصانى حبيبى جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم » .

وشجع الاسلام المسلم على أن يتفق واســـــيره المملوك له على ان يكاتبه ، والمكاتبة هو ان يتفق المالك والمملوك على أن يؤدى المملوك قدرا معينا من المال لمالكه فى زمن معين ، فاذا فعل المملوك ذلك صار حرا . يقول القرآن الكريم عن ذلك فى سورة النور ٣٣ : « **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم** ».

وبلغت سماحة الاسلام فى معاملة الأسرى مبلغا نبيلا كريما ، حيث منع التفريق فى الأسرى بين الوالدة وولدها ، حتى لا يتعرض الولد للضياع والحرمان من جهة ، وحتى لا تتعرض الأم للقلق والخوف على ولدها من جهة أخرى ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم مهددا من يفعل ذلك أقوى تهـــديد : « من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبتـــــه يوم القيامة »(١) .

وزاد الاسلام سماحة حين علم أبناءه أن يكونوا مؤدبين مهذبين حتى فى خطاب هؤلاء الاسرى الأرقاء ، فقال الحديث الشريف : « لا يقل أحدكم : عبدى وأمتى ، وليقل فتاى وفتاتى » فكأن هؤلاء أفراد من أسرة ذلك المالك الآسر .

— ● —

واذا كان التاريخ قد شهد ويشهد محاولات كثيرة من المجرمين الآسرين لحمل الاسرى على ترك عقيدتهم ، بطريق العسف والاكراه ، أو التهديد والوعيد ، أو الاعتداء والتعذيب ، فان الاسلام قد حرم هذا الاكراه ، وسد الباب في وجه هذا العدوان ، فقال القرآن الحكيم في سورة البقرة ٢٥٦ : **« لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »**

وجعل القرآن المجيد الهداية الى طريق الحق والنور ، من عمل الله الخالق البارىء المصور ، فقال عقب الآية الماضية : **« الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »**

وفي الوقت نفسه وجه القرآن الى ترغيب الأسرى الضالين عن الحق الشاردين عن طريق الصواب في الاهتداء الى شريعة العدل والنور ليسعدوا ويفوزوا وتصير لهم كرامة الاسلام وحقوق المسلمين فقال الحق عز من قائل في سورة الأنفال (٧٠) **يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ، ويغفر لكم والله غفور رحيم .**

وفي الوقت نفسه حذر الله هؤلاء اللئام الأسرى أن يخدعوا أو يخونوا ، فقال عقب ذلك : **« وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم »** (الأنفال ٧١) .

وها هو ذا سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول في هذا المجال « عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل » . وهو يريد بهذا — والله أعلم بمراده — ان من الأسرى المقيدين بالأغلال ، من يشرح الله صدره للإسلام فيسلم ، فيستحق رضوان الله عليه ، فيصير الى نعيم الجنة ، وقد كان قبل ذلك مقيدا بسلاسل الأسر والاسترقاق .

جاء في كتاب « فتح الباري » لابن حجر : « قال : خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام .

قال ابن الجوزي : معناه أنهم أسروا وقيدوا ، فلما عرفوا صحة الاسلام دخلوه طوعا فدخلوا الجنة ، فكان الاكراه على الأسر والتقييد هو السبب الاول ، وكأنه أطلق على الاكراه التسلسل ، ولما كان هو السبب في دخول الجنة أقام المسبب مقام السبب .

وقال الطيبي : ويحتمل أن يكون المراد بالسلسلة الجذب الذي يجذبه الحق من خلص من عباده من الضلالة الى الهدى ، ومن الهبوط في مهاوي الطبيعية الى العروج للدرجات » (٢) .

وقد اتسعت سماحة الاسلام في هذا المجال حتى شملت عبيد المشركين أنفسهم ، فقد كان من هدى الرسول عليه الصلاة والسلام أن يعتق عبيد المشركين ، اذا تركوهم ، وهاجروا الى المسلمين مهتدين ، وكان النبي صلوات الله وسلامه عليه يقول في شأن هؤلاء الأرقاء : « هم عتقاء الله عز وجل » .



ولكن .. ليس التسامح مع الاسرى أمرا يفيد معنى التخـــاذل أو التهاون أو الضعف فى مقاتلة الأعداء ، وانما هو أمر يأتى مع القوة ، وبعد اعطاء المعركة الواجبة حقها من القوة والشدة والصرامة ، فالقرآن الكريم يطالب بالشدة فى أثنـــاء المعركة اذا لزمت ووجبت ، حتى لا يطمع فينا الأعداء ، أو يستخف بنا الطغاة .

ولذلك قال الحق جل جلاله كما عرفنا : « فاذا لقيتم الذين كفروا (أى فى المعركة) فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق » . ثم ماذا عقب هذا .. ؟ « فاما منا بعد واما فداء ، حتى تضع الحرب أوزارها » . وذلك لأن الحرب فى نظر الاسلام ضرورة تقدر بقدرها ــ كما يعبر بعض المفسرين ــ وليست الحرب فى نظره ضراوة بسفك الدماء ، ولا تلذذا بالقهر والانتقام ، ولا توسعا فى العلو والسيطرة ، ولذلك خيرنا الله تبارك وتعالى ــ بعد استكمال النصر على الاعداء بالقوة والسلاح ــ بين المن على الأسرى واطلاق سراحهم بفك الوثاق ، أو بالفداء بالمال ، أو تبادل الاسرى ، ولم يأذن الله سبحانه فى هذه الحال بقتلهم ، أو التمثيل بهم ، أو القسوة عليهم دون مسوغ أو تبرير .

السماحة مع الاسرى تكون بعد رد العدوان وردع الطغيان ، واتمام النصر ، ولذلك يقول القرآن المجيد فى سورة التوبة (١٢٣) : **« يا أيها الذين آمنـــوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظـــة ، واعلموا أن الله مع المتقين »** .

ويقول فى موطن آخر : « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » .

واخيرا .. يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام : ادرسوا جيدا تعاليم دينكم فى الحرب والسلم ، وطالبوا العالم كله بأن يفتح عيون أبنائه ليروا الفرق الواسع بين سماحة الاسلام ودناءة أعداء الاسلام . وكونوا كمـــا يريد لكم ربكم دائما : أقوياء أعزاء عنـــد القتال والصـــدام ، وكونوا شرفاء سمحاء بعد أن تستكملوا النصر ، وبذلك يتضاعف الأجر ، ويعلو الذكـــر ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

---

(١) ذكره الامام ابن القيم فى كتابه (زاد المعاد) ج ٢ ص ٦٨ المطبعة المصرية .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ، ج ٦ ص ١٤٥ طبعة السلفية .

بحث في
الاقتصاد الإسلامي

تصور جديد للربا الفضل

للدكتور احمد صفى الدين عوض

١ ـ مقدمة :

اجمع المسلمون على تحريم الربا فى الجملة وان اختلفوا فى التفاصيل ، واتفقوا على انه نوعان : ربا الفضل وربا النسيئة . أما ربا النسيئة فهو ربا الجاهلية ، وصورته أن يكون للرجل على الرجل الدين فيحل الدين فيقول له صاحب الدين : تقضى أو تربى أى تدفع لى ما عليك أو تزيدنى لو أمهلتك . فأبطله الله عز وجل بقوله : **(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين)** وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم عرفة فى حجة الوداع : وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله .

أما ربا الفضل فهو ربا بينه النبى صلى الله عليه وسلم وهو موضوع بحثنا .

٢ ـ التعريف بربا الفضل :

الأصل فى هذا الموضوع هو الكثير من الأحاديث الصحيحة التى رواها اكابر الصحابة رضوان الله عليهم عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ونكتفى هنا بذكر اثنين منها فقط : ـ

الأول عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر

بالتمر، والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد ، فاذا اختلفت ــ فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد » . رواه أحمد ومسلم . وللنسائى وابن ماجه وأبى داود نحوه .

الثانى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، وَالتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطى فيه سواء » . رواه أحمد والبخارى .

ولقد أجمع المسلمون على تحريم الربا فى الأشياء الستة المنصوص عليها ، وقال أهل الظاهر النافين للقياس ان الربا محصور فيها فقط ، وقال جمهور أهل القياس أنه يجرى فى غيرها وأنه متعد منها الى سائر الأشياء التى تشاركها فى العلة ، ولكنهم اختلفوا فى تحديد تلك العلة اختلافا لم يسبق له مثيل فى تاريخ الفقه الاسلامى .

قال أبو حنيفة وأحمد فى احدى الروايتين عنه : العلة فى الذهب والفضة هى الوزن وبذلك أجريا الربا فى الحديد والرصاص والنحاس وغيرها من الموزونات ، وقال مالك والشافعى وأحمد فى الرواية الأخرى : هى كونهما جنس الأثمان فلا يتعدى الربا منهما الى غيرهما من الموزونات وغيرها لعدم المشاركة .

أما الأصناف الأربعة الباقية ، فان الخلاف فى علتها كثير جدا بين المذاهب وفى داخل المذهب الواحد ، وسنكتفى بذكر أشهر الأقوال فيها . قالت الحنفية : هى الكيل ، وقالت المالكية : هى الاقتيات والادخار وما يصلح به الطعام المتقوت ، وقالت الشافعية : هى الطعمية (بضم الطاء) أى مجرد كون الشيء مطعوما ، وقال فريق من الحنابلة كقول الحنفية وقال بقيتهم كقول الشافعية . وقالت العترة بمثل ما قالت الحنفية فى الأصناف الستة . وقال ربيعة : كل ما يجب فيه الزكاة يحرم فيه الربا فلا يجوز بيع بعير ببعيرين .

واتفق العلماء على أنه لا يجوز بيع الربوى بعضه ببعض متفاضلا سواء كان يدا بيد أو أحدهما مؤجلا ، وعلى أنه لا يجوز التفرق قبل التقابض اذا باعه بجنسه أو بغير جنسه مما يشركه فى العلة كالذهب بالفضة والبر بالشعير ، وعلى جواز بيع الربوى بربوى لا يشاركه فى العلة متفاضلا ومؤجلا كبيع الذهب بالحنطة وبيع الفضة بالشعير ، وعلى جواز التفاضل عند اختلاف الأجناس اذا كان يدا بيد كصاع تمر بصاعى شعير .

ولقد أحصى ابن حزم الظاهرى فى باب البيوع من كتابه « المحلَّى » (الجزء الثامن ، ص ٤٦٧ ــ ٥١٨) جميع علل الفقهاء فى تحريم ربا الفضل وأفاض فى ايراد حججهم وتفنيدها بمنطق رصين شابه بمهاترات وددنا لو ترفع عنها .

وكان ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما يعتقدان جواز بيع الجنس بعضه ببعض متفاضلا اذا كان يدا بيد ، وأن الربا لا يحرم فى شيء من الأشياء الا اذا كان نسيئة أى مؤجلا ، وكان معتمدهما الحديث المتفق عليه عن أسامة ابن زيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : انما الربا فى

النسيئة . ثم رجعا عن قولهما هذا عندما بلغهما حديث النبى عن التفاضل فى غير النسيئة . وذكر مسلم رجوعهما صريحا حين بلغهما حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وقد أجمع المسلمون على ترك العمل بظاهر حديث أسامة ..

٣ ــ الجهود التى بذلت لحسم الخلاف :

نجد فى العصور الماضية وفى عصرنا هذا رجالا بذلوا مشكورين جهودا متواصلة لحسم الخلاف القائم حول العلة فى ربا الفضل ، ولكنهم لم يسلموا أنفسهم من الخلاف . فمنهم الذين استصوبوا رأى أهل الظاهر حين رأوا ضعف العلل التى استنبطها الفقهاء علاوة على اضطرابها ، ومنهم المتشبثون برأى ابن عمر وابن عباس ومن تابعهما غير ملتفتين الى رجوعهما أو الى اجماع الأمة ، ومنهم من رجح احدى العلل التى قال بها أحد الأئمة على ضوء الحكمة التى انكشفت له . وأشهر من سلك هذا الطريق أبو حامد الغزالى وابن رشد وابن قيم الجوزية رحمهم الله . فقال الأول ان الحكمة فى منع التفاضل بين جيد الصنف الواحد ورديئه هى اسقاط الشارع الحكيم غرض التنعم فى المطعومات لتكافؤ الجيد والرديء منها فى أصل الفائدة ، ومن هنا بدت له صحة علة الشافعى أى أن العلة فى الأصناف الأربعة كونها مطعومة . وقال الثانى هكذا : لما كانت الأشياء المكيلة أو الموزونة لا تختلف كل الاختلاف وكانت منافعها متقاربة ، ولم تكن حاجة ضرورية لمن كان عنده منها صنف أن يستبدله بذلك الصنف بعينه الا من جهة السرف كان العدل فى هذه الأشياء أن تباع بعضها ببعض متساوية فى الكيل أو الوزن اذ كانت لا تتفاوت فى المنافع ، ومن ثم ذهب الى ترجيح علة الحنفية فى الأصناف الستة أى كون هذه الأشياء موزونة أو مكيلة . والحقيقة أن عبارة ابن رشد فى غاية الغموض وما ذكرناه هنا هو غاية ما فهمناه منها . وقال ثالثهم ابن القيم الربا نوعان : جلى وهو ربا النسيئة الذى حرم قصدا ، وخفى وهو ربا الفضل الذي حرم وسيلة وسدا للمسالك التى تقود الناس الى ربا النسيئة . وصرح ابن القيم بتصويبه لعلة المالكية فى الأصناف الأربعة أى كونها أقوات الناس وما يصلحها .

ولقد ارتضى الباحثون المعاصرون قول ابن القيم فى حقيقة ربا الفضل ، ولكنهم لم يتابعوه فى ترجيح علة المالكية كما لم يحاولوا استصواب أى علة معلومة أو الكشف عن علة جديدة .

٤ ــ رأينا فى مسلك الفقهاء :

من السهل علينا أن نعبر عن رأينا فى منهج الفقهاء الذين وفقوا فى الكشف عن العلل المختلفة باستخدام اصطلاح شائع فى الرياضيات الحديثة .

اتفق علماء الرياضيات فى وقتنا هذا على اعطاء لفظة « مجموعــة » أو « فئــة » معنى أضيق مما عرفه الناس عامة ، فقالوا المجموعة أو الفئة عدد من الأشياء تشترك جميعها فى خاصية أو أكثر تميزها تمييزا لا لبس فيه ولا غموض عن سائر الأشياء الأخــرى . مثال ذلك لو تحدثنا عن مجموعــة الأشياء التى أجمع المسلمون على تحريم الربا فيها فاننا نقصد الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح ولا شىء سواها حيث أن الخاصية المميزة لها عن ســائر الأشياء هى تحريم الربا فيها باجماع المسلمين ، وأما غيرها فلم يجمع المسلمون عليها . ويسمى الرياضيون الأشياء المكونة للمجموعة أى التى تحويها المجموعة أعضاء أو عناصر المجموعة ، فنقول على سبيل المثال الشعير عضو أو عنصر فى مجموعــة الأشياء التى يجــرى فيها الربــا بالاجماع . وبهذا الاصطلاح السائد عند الرياضيين نقول ما يلى :

نلاحظ أن جميع الفقهاء درجوا على تقسيم الأشياء الستة التى خصـــها النبى صلى الله عليه وسلم الى مجموعتين مستقلتين أو أكثر من ذلك . فنراهم وضعوا الذهب والفضــة فى مجموعة منفصلة ، ثم عمدوا الى الأربعــة الباقية فتارة اعتبروها مجموعة واحدة ، ومرة جعلوها مجموعتين فوضـــعوا البر والشعير والتمر فى واحدة ، والملح فى أخرى ، وحينا وزعوها بين ثلاث مجموعات تشمل أولاها البر والشعير ، والثانية التمر ، والثالثة الملح . وبعـــد هذا التوزيع أو ذاك نظروا الى كل مجموعة كأنها ممثلة تمثيلا صادقا لمجموعة كبرى تتكون من عناصر تشترك جميعها فى صفة أو صفات تميزها عن بقيــة الأشياء ، ثم اعتبروا هذه الصفة أو تلك الصفات المميزة العلة المانعة للتفاضل فيها . ولعل هذه الطريقــة التى اتبعوهــا فى تقسيم الأصـــناف المنصوص عليها هى من أهم العوامل التى حجبت الحقيقة التى انكشفت لنا وادت الى اختلاف وجهات النظر بينهم والله أعلم .

٥ ــ هــل من علة جـــديدة ؟

ان الذى استرعى انتباهنا هو ذكر الشارع الحكيم للأشياء الستة من غير تفريق بينها ، فلذلك لاح لنا أنه ربما كان الأصوب أن ينظر اليها كعناصر فى مجموعة واحدة لا غير ، وأنها تشترك جميعا فى خاصية تميزها عن سائر الأشياء الأخرى . وبدا لنا أيضـــا أنه لو عثرنا على هذه الخاصية المميزة لاستطعنا أن نقول هى علة التحريم وأن الربا يجرى فى كل الأشـــياء التى تتوافر فيها هذه الخاصـــية .

واذا استعرضنا الصفات التى يمكن أن تكون مشتركة بين جميع الأصناف الســـتة لظهر لنا أن الأمر الذى يستحق البحث هـــو احتمال استخدام البر والشعير والتمر والملح كنقود سلعية فتكون مشاركة للذهب والفضة فى أداء وظيفـــة النقود . فيجب علينا أولا أن نثبت أن الأصناف الأربعة كانت فعـــلا نقودا سلعية . وثانيا أن نبحث عن حكمة القيـــود التى وضعها الشارع عند

التعامل بالربويات . وثالثا أن ننظر فيما يترتب على قولنا أن علة الربا فى الأصناف الستة هى النقدية .

٦ — كيفية التعامل بالذهب والفضة فى العهد النبوى :

يظهر لنا من وصف المقريزى لنقود الجاهلية وصدر الاسلام أن النبى صلى الله عليه وسلم وجد الناس يتعاملون بالذهب والفضة وكان بعض هذين المعدنين مسكوكا وبعضهما تبرا اى غير مسكوك . وكانت القطع المسكوكة التى ترد عادة من الروم والفرس تختلف فى الوزن خاصة الدراهم من الفضة لذلك تواطأ الناس على صنج معلومات لوزن المعدنين وسموا زنة واحدة منها من الفضة مسكوكة كانت أو تبرا : درهما ، كما سموا زنة صنجة أخرى من الذهب مسكوكا كان أو تبرا : دينارا . والثابت أنهم كانوا يرجعون دائما الى الميزان لتقدير عدد الدراهم والدنانير ولا يعولون أبدا على عد القطع المسكوكة لاختلاف أوزانها .

ولما بعث النبى صلى الله عليه وسلم أقر الناس على ما كانوا عليه ، وحسم ما قد ينشب من نزاع عند الوزن بأن جعل صنج مكة الوحدات القياسية التى يجب أن يرجع اليها كما أمر بالرجوع الى مكيال المدينة عند الاختلاف فى الكيل بقوله صلى الله عليه وسلم : « المكيال مكيال أهل المدينة ، والوزن وزن أهل مكة » (رواه أبو داود والنسائى والبزار وصححه ابن حبان والدار قطنى جميعهم عن ابن عمر . وفى رواية عن ابن عباس مكان ابن عمر) .

وقطع النبى صلى الله عليه وسلم مادة الخلاف حول نوعية الذهب عند التبادل بأن ساوى بين جميع أنواعه من مضروب ومنقوش وجيد وردىء وصحيح ومكسر وحلى وتبر وخالص ومغشوش ، وكذلك فى الفضة . وبهذا الأمر الواضح الصريح أسقط الشارع الحكيم القيمة الذاتية للمعدنين دفعة واحدة وأصبغ عليهما صفة التجانس اللازم توافرها فى النقود المعدنية أو النقود السلعية لكى تكون مقياسا ثابتا للقيمة ، وبذلك استطاع الدرهم والدينار أن يؤديا الوظيفتين الرئيسيتين والثانويتين للنقود . أما الوظيفتان الرئيسيتان فهما : (أ) وسيط للمبادلة (ب) مقياس للقيمة ، وأما الوظيفتان الثانويتان فهما : (جـ) مستودع للقيمة (د) مقياس للدفع المؤجل .

ولو لم يحرم النبى صلى الله عليه وسلم التفاضل فى المعدن الواحد بسبب الاعتبارات النوعية ، ولو لم يأمر صلى الله عليه وسلم باستعمال وحدات قياسية معينة عند الوزن وهى صنج مكة لاستفاد من الوضع المضطرب أهل الغش الذين يعرفون جيدا خصائص المعادن والفروق بين الصنج المختلفة ، وذلك لأنه فى وسع الحاذق منهم أن يقنع الناس بوجود تفاوت حقيقى أو متوهم فى نقاء الكميات المتبادلة من الذهب أو الفضة فيأخذ منهم مقادير أكبر مقابل مقادير اقل بحجة انه اعطى جيدا واخذ رديئا بينما يعلم تماما أن القوة الشرائية لكل أنواع الذهب والفضة واحدة فى عين البسطاء . وبهذا الأسلوب المحبب للذين لا يرقبون فى ضحاياهم قرابة ولا ذمة استطاع بعض

الأفراد خاصة اليهود الذين مارسوا تزييف النقود وتعويج الموازين أن يكثروا اموالهم بالباطل . ولو اخذنا برأى ابن رشد القائل : يظهـر من الشرع أن المقصود بتحريم الربا انما هو لمكان الغبن الكثير فيه . لكـان من حقنـا أن نقول لقد كان رباالفضل ربا حقيقيا وحرم قصدا لا وسيلة . وان الفـارق الوحيد بينه وبين ربا النسيئة هو أن المرابى قد استغل فى الأول جهل الناس ، وفى الثانى عجزهم عن سداد الدين عند حلوله .

٧ ــ النقـود فى المجتمعات المتخلفة :

تعطينا معرفة النظم الاقتصادية التى كانت موجودة الى وقت قريب جدا فى المجتمعات البدائية التى تسودها الأمية فكرة صادقة عما كان سائدا عند العرب الأميين خاصة أهل البادية حينما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم تتضح للقارىء صحة ما ذهبنا اليه اى أن البز والشعير والتمر والملح كانت نقودا سلعية (أو سلعا نقدية كما يقول آخرون) . والمقصود بالسلعة النقدية أى سلعة يستخدمها افراد مجتمع بدائى لقياس قيم السلع الأخرى . وغالبا ما نجد اكثر من سلعة نقدية فى نفس المجتمع .

مثال ذلك ما كان شائعا بين أفراد احدى القبائل التى تعيش فى جـزر الفلبين من استخدامهم للأرز الذى هو غذاؤهم الرئيسى والخنازير والجواميس وقلادات الذهب والخرز والأجراس والجرار المملوءة بالخمر المصنوع من الأرز ونوع خاص من البطاطين لتكفين موتاهم كسلع نقدية . وتستخـدم بعض قبائل الكنغو كنقود سلعية قضبانا من الحديد وعددا من الأشياء المصنوعة من هذا المعدن مثل الفؤوس والخواتم . ويعتبر الملح سلعة نقدية عند بعض القبائل التى تعيش فى أقليم كتانجا ، وكان معتبرا كذلك فى أواسط سيراليون حتى عام ١٩١٣ الذى تم فيه انشاء خط السكة الحديد وفقد الملح مكانته بسبب الكميات الكبيرة التى أصبحت تصل منه الى الأسواق .

ولقد كان شعب الولف الافريقى المسلم الذى يعيش فى المنطقة الممتدة بين نهرى السنغال وغامبيا يستعمل الحبوب والثياب التى يصنعها من القطن المحلى كنقود سلعية . وكذلك كان شائعا فى كثير من أجزاء السـودان استعمال الذرة والثياب المصنوعة محليا كنقود سلعية بجانب الريال الاسبانى، كما استعمل سكان الجزء الغربى منه بجانب الذرة الدخن قطعا صغيرة من الحديد يصنعون منها الرماح والمدى والبلط وما اليها لنفس الغرض . أما فى الصفقات الكبيرة فقد كانوا يتبايعون بالبقر . وكانت الخاصيـة المميـزة للثياب التى استخدمها السودانيون وشعب الولف كنقود سلعية أنها ثابتـة الطول والعرض .

٨ ـ طبيعة النقود السلعية :

يمكننا أن نلخص ما يهمنا من آراء الباحثين الذين قاموا بدراسة النظم الاقتصادية فى المجتمعات البدائية فيما يلى : ـ

أولا ـ تعتبر النقود السلعية مرحلة انتقالية بين نظام المقايضة البحتة ونظام النقود المعدنية .

ثانيا ـ يجب التحقق من مكانة الشيء فى أى نظام اقتصادى قبل اعتباره نقدا أو مجرد سلعة سوقية ، فان كان يستعمل لقياس قيم السلع الأخرى أو يستبدل بسلع مختلفة أو يعطى مقابل خدمة فهو نقد حتى لو استخدم أحيانا فيما يتصل بالسحر أو الزينة .

ثالثا ـ يعتبر الشيء سواء كان معدنا أو حجرا أو صدفا أو سلعة استهلاكية أو غير ذلك نقدا طالما استخدم فى الدفع مقابل الأشياء الأخرى أو الخدمات المختلفة .

رابعا ـ زعم كارل بوخر (اقتصادى ألمانى عنى بدراسة التطور الاقتصادى فى أوروبا) أن نقد اى قبيلة هو تلك السلعة التجارية التى لا تنتجها بنفسها بل تتحصل عليها بانتظام من القبائل الأخرى عن طريق المبادلة . ويعرف هذا القول بقانون بوخر .

خامسا ـ من أهم خواص السلعة النقدية التجانس (أى انها ذات طبيعة واحدة أو تكوين واحد حتى تبدو متشابهة تماما مثل الثياب التى استخدمها شعب الولف والسودانيون) وسهولة النقل وقابلية التجزئة وبطء التلف ، كما أنها تشارك النقود المعدنية فى أداء الوظيفتين الأساسيتين (أى كوسيط للمبادلة وكمقياس للقيمة) ولا يشترط أن تشاركها فى القيام بالوظيفتين الفرعيتين (أى كمستودع للقيمة وكمقياس للدفع المؤجل) ، وذلك لأن السلعة النقدية تختلف من النقود المعدنية بكونها ذات قيمة ذاتية كغيرها من السلع السوقية التى يحكمها قانون الطلب والعرض ، وبأنها أسرع تلفا .

سادسا ـ لم تكن المجتمعات البدائية التى استخدمت النقود السلعية فى معزل عن المجتمعات المتقدمة التى كانت تستخدم النقود المضروبة .

٩ ـ اثبات ان البر والشعير والتمر والملح كانت سلعا نقدية :

ذكرنا فى البند السابق أن الحبوب والملح وبعض الحيوانات قد استعملت بالفعل كنقود سلعية فى بعض المجتمعات البدائية المعاصرة ، فلذلك ليس بمستغرب لو استعمل العرب فى الجاهلية والاسلام هذه السلع الرئيسية الأربع وكذلك الابل والبقر والغنم كنقود سلعية ، بل من المؤكد أنهم فعلوا ذلك كما يفهم من العديد من الأحاديث النبوية والآثار المروية عن الصحابة الواردة فى استخدام هذه الأشياء كوسيط للمبادلة نظرا لقلة الذهب

والفضة بل لا نعدامهما فى بعض الأمكنة . روى البيهقى فى سننه أن عمرو بن حريش قال لعبد الله بن عمرو بن العاص : انا بأرض ليس فيها ذهب ولا فضة افأبيع البقرة بالبقرتين والبعير بالبعيرين والشاة بالشاتين . وهذا دليل على أن الناس فى هذا الموضع يتبايعون بالابل والبقر والغنم كما قلنا .

وقال الامام الشافعى رحمه الله : إن الحنطة تجوز بالحجاز التى بها سنت السنن جواز الدنانير والدراهم . وقال أيضا : إن الحنطة ثمن بالحجاز ، والذرة ثمن باليمن . وهذا يؤكد صحة ما قلناه عن السلع التى خصها النبى صلى الله عليـه وسلم بالذكر ، اى انها كانت سلعا نقدية .

١٠ ـ حكمة منع التفاضل فى الصنف الواحد :

يستفاد من بعض الأخبار الصحيحة أن نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن بيع الصنف بعضه ببعض متفاضلا جاء بعد فتح خيبر وعلمه بما كان يجرى فى سوقها الذى احتكره اليهـود قرونا طويلة من بيع الصـاع بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة ، من الصنف الواحد بحجة التفاوت النوعى بين المقـادير المتبادلة . ومن هنا نشأت نسب متعددة لتقويم الأنواع المختلفة داخل الصنف الواحد الذى اتفق الناس على استخدامه كنقود سلعية . ومثل هذا الوضع يفرض على المتبايعين أن يتساويا فى معرفة قيم السلع السوقية بالنسبة لكل نوع من هذه النقود السلعية حتى لا يخدع أحدهما الآخر . وهذا شرط لا يمكن أن يستوفيه الا فئة قليلة من جمهور المستهلكين . ويبدو أن اليهود استغلوا هذا الوضع المربك للعرب الأميين عند التعامل معهم .

وعلى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نفهم تحريم الشارع الحكيم للتفاضل فى الصنف الواحد بمثابة اصلاح للنظام الاقتصـادى القائم يستهدف ابطـال النسب المتعددة داخل كل سلعـة نقدية لكى تصبح مقياسـا موحدا سهل الاستعمال . ولولا هذا التحريم لأصبحت هذه النسب قوانين ثابتة وأحكامـا شرعية راسخة تستمد قوتها من إقرار النبى صلى الله عليه وسلم للعاملين بها . ويمكننا أن نتصور كثرة النسب التى كان من المحتمل استنباطها بواسطة الفقهاء عن طريق القياس ، وربما اضطروا الى وضع جداول لها وبذلك تصير عملية التبادل عسيرة على أهل الورع من المتعلمين فضلا عن الأميين . وبعبارة اخرى لقد خدم التحريم جمهـور المستهلكين بأن وضع فى أيديهـم مقاييس بسيطة لتقويم السلع المختلفة وبذلك وفر عليهم كثيرا من الوقت الذى كان يضيع فى النزاع حول الفروق النوعيـة للنقود السلعية وحماهم من الغبن الذى كثيرا ما وقع عليهم نتيجة لجهلهم بهذه الأمور .

١١ ـ كيف رعى الشارع الحكيم مصالح الآخرين ؟

والذى يعقد الأمر ويحول دون رؤية الحكمة فى منع التفاضل فى الجنس الواحد بوضوح هو ان هذه الأجناس التى أصبحت تقوم بدور النقود هى فى

المقام الأول سلع استهلاكيـــة لها قيم ذاتية تعتمد على درجاتها من الجـــودة والرداءة وغير ذلك من الصـــفات التي تهم المســـتهلك . ونتيجة لتفضـــيل المستهلكين بعض أنواع الجنس الواحد على بعض كان من الطبيعي أن يطالب أحد المتبايعين بأن يزاد في الكيل أو الوزن بحجـــة أنه أعطى أجود مما أخـــذ ومن ثم ظهرت النسب المتعددة لمقايضة الأنواع . ولما كان منع التفاضل الذى يعنى النهى عن التعامل بهذه النسب فى الجنس الواحد يرعى مصلحة جمهور المستهلكين الذين لا يعرفون الفوارق الدقيقة بين الأنواع بنفس القدر الذى يعرفه الملازمون للأسواق ومصلحة الأميين الذين لا يحسنون الحســـــاب ، فان النبى صلى الله عليه وسلم رعى أيضا مصلحة المتبايعين عند وجود تفاوت حقيقى أو ظنى بين الأنواع المتبادلة بارشادهم الى الطريقـــة المثلى التـــى بينها لبلال فى الحديث المروى عن أبى سعيد الخدرى قال : جاء بلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر برنى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين هـــذا ؟ قال بلال :كان عندنا تمر ردىء فبعت منه صاعين بصاع ليطعم النبى صلى الله عليه وسلم ،فقال النبى صلى الله عليـــه وسلم عند ذاك : أوه عين اربا ، لا تفعل . ولكن اذا أردت أن تشترى فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به . (رواه البخارى ومسلم والنسائى) . والتمر البرنى أجود أنواع التمر كما يقال ، وربما كان تأوه النبى صلى الله عليه وسلم مبالغة فى الزجر أو تألما من سوء فعل بلال أو فهمه والله أعلم . فالطريق القويم هو أن يبيـــع المرء ما عنده من تمرردىءبدراهم أو دنانير أو قمح أو أى سلعة نقدية أخرى ثم يشترى بثمنه التمر الجيد .

١٢ ـــ مزايا هـــذا التوجيـــه النبوى :

والمهم فى الأمر هو ضرورة ادخال وسيط آخر للمبادلة لتقدير النســـبة التى يجب أن يتم بها تبادل نوعى التمر بدل التوصل اليها مباشرة عن طريق المساومة كما فعل بلال . والسبب الذى استوجب هذا الاجراء هو أن التمر قد فقد فى هذه العمليـــة وظيفته كسلعة نقدية وأصبح كل نوع منه سلعة سوقية مستقلة بذاتها فلذلك احتاج المتبادلان الى تقويم تمريهما بواســطة مقياس مستقل لكى يتوصلا الى نسبة عادلة للتبادل . وبعبارة أخرى ، لقد مكن الشارع الحكيم ميكانيكية (أو آلية) السوق من القيام بدور الحكم المحايد لتقدير النسبة التي يجب أن يتم على أساسها تبادل الجيد والردىء من التمر . وتم اعطاء الفرصة لآلية السوق لكى تعمل بواسطة السلعة النقدية الجـــديدة التى أدخلت فى العمليـــة فأدت الى شطرها الى عمليتين مستقلتين واحالتها الى بيع منفرد وشراء منفرد .

وأقل ما يقال عن محاسن الطريقة التى أرشد اليها النبى صلى الله عليه وسلم حتى ولو أدت أخيرا الى نفس النسبة التى يتوصـــل اليها المتبايعـــان مباشرة أنها أبعد الوسيلتين الحاقا للغبن بأحدهما وأقلهما مضيعة للزمن علاوة على أنها صانت لكل سلعة نقدية وحدتها القياسية التى اكتسبتها بمنع بيع بعضها ببعض متفاضلا .

١٣ ــ حكمة منع بيع الأصناف الربوية نساء :

اجمع المسلمون على منــع بيع الصنف الربوى بعضــه ببعض نساء ، واتفقوا على منع النساء فى بيع الذهب بالفضـــة وفى بيع احد الأصـــناف الأربعـــة الباقية بآخر منها . كما اتفقوا على جواز بيع احد الأصناف الأربعة بالذهب أو الفضة نساء .

والسر فى ذلك ــ والله أعلم ــ هو منع الغبن الفاحش الذى قد يلحق بأحد المتبايعين على واحدة من هذه الصور . مع افتراض عدم التفاضل فى المقادير المتبادلة :

أولا ــ اذا باع شخص شيئا بجنسه مؤجلا فهو بمثابة دين للمشترى ، وعليـــه يجب مراعاة أحكام الديون فى هذه الصورة حتى لا يظلم أحد الطرفين الآخر كان يعطى رديئا ويشترط أن يرد اليه جيدا ، أو يعطى فى زمان رخصه ويشترط أن يرد اليه فى زمان غلائه .

ثانيـــا ــ اذا بيع الذهب بالفضة نساء ، أو احد الأصناف الأربعة الباقية بآخر منها نساء فانه قد يلحق أحد الطرفين غبن كبير نتيجة للتقلبات المفاجئة فى أسعار هذه السلع بسبب أو آخر مثل وصول قافلة محملة ببعض هـــذه السلع فتهبط قيمتها بنسبة كبيرة عما كانت يوم ابرام الصفقة ، أو اصـــابة المحاصيل بآفة فيرتفع ثمنها كثيرا عما كان يوم عقد البيع . اما جواز بيـــع الأصناف الأربعة بالذهب أو الفضة فيرجع أساسا لثبات قيمة هذين المعدنين نتيجة لضآلة الكميات المستخرجة منهما سنويا بالنسبة لما هو فى ايدى الناس بحيث لا تؤثر الزيادة السنوية فى العرض الكلى لكل من هذين المعـــدنين تأثيرا يذكر . وبفضل هذه الخاصية التى تميز بها هذان المعدنان عما سواهما من أنواع النقود السلعية أصبحا قادرين على قياس الدفع المؤجل .

ثالثـــا ــ القصد من منع التفرق قبل التقابض هو انجاز عملية التبـــادل بالسرعة التى تؤمن الطرفين من التقلبات المفاجئة للأسعار ، وفى جو من الثقة التى قد تتزعزع بسوء ظن أحد المتبايعين بالآخر اذا غاب عن نظره بسلعته قبـــل أن يوفيه حقه خاصة اذا كان ممن عرفوا بالغش والخيانة مثل اليهود الذين وصفهم جل ثناؤه بقوله : **« ومنهم من أن تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل »** . (آل عمران : ٧٥) ، وفسر ابن عباس قوله عز وجل **«ومنهم من إن تامنه بدينار لا يؤده اليك »** بقوله : « ومنهم من تبايعه بثمن الدينار لا يؤده اليك » ، وفسر السدى قـــوله تعالى : **« الا ما دمت عليه قائما »** بقوله : « الا ما دمت قائما على راســـه بالاجتماع معه والملازمة له » والمعنى أنه انما يكون معترفا بما دفعت اليه ما دمت قائما على راسه فان انظرت واخرت انكر ، وكانوا يستحلون الخيانة بحجة انه لا اثم عليهم فيما أصـــابوا من أموال العرب وغيرهم من الأمم (١٤) .

اما عدم مفارقة أهل التقوى والصلاح بعضهم البعض حتى يتم التقابض فانما نفسره بحرصهم البالغ على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما أمر وان لم يروا ما يستوجبه لأنهم يأتمنون بعضهم البعض ــ والله أعلم .

١٤ ــ كيف استغل اليهود سذاجة العرب ؟

ذكرنا فى حديثنا عن الذهب والفضة أن التمييز بين الجيد والردىء لا يعرفه العامة الا اذا كان الفارق فاحشا ، أما الفوارق الضئيلة فلا يدركها الا الحذاق من الناس .. وكذلك يمكننا أن نقول هنا لقد كان أهل المدينة أعرف الناس بأنواع التمر لكثرة النخيل عندهم ولهذا لم يروا بأسا فى بيع صاع من الجيد بصاعين من الردىء ، بينما كان أكثرهم لا يميزون بين البر والشعير حتى قالوا أنهما صنف واحد وهكذا اعتبرهما مالك ومعظم علماء المدينة . وهناك من عدّ الدخن والذرة والأرز صنفا واحدا بينما يستطيع أقوام التمييز والمفاضلة بين كثير من الأنواع التى يحويها أى واحد من هذه الأصناف التى اعتبرت صنفا واحدا . فاذا كان كثير من الناس لا يفرقون بين الصنفين أو الثلاثة ، فكيف نتوقع من الأعراب أن يميزوا بين أنواع التمر بنفس القدر الذى يفعله المتفكهون من أهل المدينة ؟

ويبدو أن يهود المدينة قد استغلوا لأقصى حد عدم تساوى معرفة المستهلكين بالمواد الغذائية الرئيسية بالطريقة الآتية أو مثلها . كانوا يأخذون من المستهلك القادر على التمييز بين أنواع التمر مثلا مقدارا مما يعرضه عليهم من الردىء يزيد بكثير على ما يعطونه له من الجيد وهو راض بذلك لأنه زاهد فيما عنده وراغب فيما لديهم ، ثم يبيعون هذا التمر الردىء بأسعار عالية للذين تتساوى كل الأنواع فى نظرهم . وقد يحدث عكس هذه العملية اذ كانوا يأخذون من البسطاء الأنواع المختلفة أو الأصناف المتباينة بسعر واحد على أساس أنها شىء واحد ثم ينوعونها أو يصنفونها ويبيعونها للقادرين على التمييز والمفاضلة بأسعار متفاوتة قد تصل الى ضعف ما اشتروا به . ولقد مارس بعض التجار السودانيين الذين لا يخشون الله العملية الثانية هكذا . اعتاد التجار الذين هم من شمال السودان وأكثر وعيا من غيرهم أن يسافروا ومعهم كميات من الملح الى المناطق المتخلفة التى يزرع فيها خمسة أنواع من الذرة التى هى الغذاء الرئيسى لأهل السودان ويشتروا هذه الأنواع المختلفة بسعر واحد من المزارعين البسطاء بدعوى أنهم لا يعرفون أى فرق بين نوع ونوع ولكنهم كانوا يضعون كل نوع على حدة ، وكانوا يعطونهم الملح ثمنا لذلك . ثم يرحلون الذرة الى مدن السودان الرئيسية ويبيعون كل نوع بسعر خاص وقد يبلغ سعر أجود الأنواع ضعف سعر أدناها .

١٥ ــ حقيقة ربا الفضل :

كان يهود المدينة يزيفون الذهب والفضة ويتلاعبون بالأوزان ، وكانوا ينتجون أجود أنواع التمر ليبيعوه للمستهلكين من ذوى السعة بأكبر مقدار من أبخس أنواع التمر الذى لا يرغبون فى الاحتفاظ به لا لشىء الا لكى يبيعوه للمساكين والمضطرين عندما يعز الطعام وتختفى من السوق الأنواع الجيدة بسبب استهلاكها أو ادخارها فى البيوت المتيسرة الحال للقوت ، فيطلبون منهم

أثمانا عالية ويملون عليهم شروطا قاسية اذا أعطوهم نسيئة. وكثيرا ما أهدرت تلك الشروط كرامة المضطرين وحريتهم اذ كانوا يرفضون أن يعطوهم أى دين ما لم يرهنوا عندهم سلاحهم بل نساءهم وأطفالهم كما ذكر ابن هشام فى قصة مقتل كعب بن الأشرف اليهودى من أنه طلب من أبى نائلة وكان أخاه من الرضاعة أن يأتيه هو وأصحابه بنسائهم أو أولادهم كرهائن لكى يبيعهم طعاما نسيئة .

ويشهد على صحة ما قلناه عن اليهود ما جاء على لسان نبيهم عاموس الثائر على ظلمهم للعباد بل لبنى جلدتهم ، فهو يقول لهم منذرا : اسمعوا هذا أيها المنهمون المساكين لكى تبيدوا بائسى الأرض . قائلين متى يمضى رأس الشهر لنبيع قمحا والسبت لنعرض حنطة . لنصغر الايفة ونكبر الشاقل ونعوج موازين الغش . لنشترى الضعفاء بفضة والبائس بنعلين ونبيع نفاية القمح . وقد أقسم الرب بفخر يعقوب أنى لن أنسى الى الأبد جميع أعمالهم .

تحكى لنا هذه العبارة أساليب المكر والخيانة التى ابتكرها تجار بنى اسرائيل لأكل أموال المساكين بالباطل . وتحدثنا أنهم كانوا فى غاية الجشع حتى تضايقوا من رأس الشهر ومن السبت لعدم السماح لهم بالعمل فى هذه الأيام . فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر مجىء الأيام الأخرى ليزاولوا أعمالهم الذميمة من تصغير للمكيال المسمى بالايفة وتكبير للصنجة المسماة بالشاقل وتعويج للموازين حتى يأخذوا أكثر مما هو لهم ويعطوا أقل مما يجب عليهم . كانوا يستعملون الايفة لكيل القمح والحنطة عند البيع فلذلك صغروها لكى يظلموا الشارى بانتقاص حقه ، وكانوا يستعملون الشاقل لوزن المال المدفوع — ذهبا كان أو فضة — بواسطة الشارى فلذلك زادوا فى وزنه لكى يظلموا الشارى مرة ثانية بأن يأخذوا من ماله أكثر مما هو لهم . ولم يكتفوا بذلك بل ظلموه مرة ثالثة باستخدام الموازين المعوجة عن قصد .

يقول عاموس : إنهم استرقوا أخوانهم المساكين الذى عجزوا عن دفع ديونهم التى قد تكون ثمن نعلين فقط وباعوهم كعبيد بأبخس الأثمان ، وباعوا حثالة القمح ورذالته للمضطرين بأبهظ الأثمان . أخذوا كل ما فى أيدى الناس ظلما حتى أفقروهم وسلبوهم حريتهم .

وعلى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نرى بوضوح أن بيع الردىء بالجيد من الصنف الواحد — خاصة التمر — متفاضلا قد مارسه يهود المدينة الذين احتكروا انتاج أجود أنواع التمر بقصد الحصول على أكبر مقادير من حثالته بأقل الطرق تكلفة مستغلين حاجة المستهلكين للأنواع الجيدة وزهدهم فى الأنواع الرديئة التى بأيديهم عند وفرة الطعام . وغرضهم من كل هذا هو كما قال عاموس أن يبيعوا هذه الحثالة للمضطرين بأبهظ الأثمان خاصة عندما يعز الطعام ولا يجدون شيئا سواه للبقاء على حياتهم .

ولا ريب فى أن الكسب الذى يحصلون عليه بهذا الأسلوب سحت محض بل هو صنو الربا لفداحة الغبن الذى فيه . ومن هنا يتضح للقارىء صحة ما ذهبنا اليه من ان ربا الفضل ربا حقيقى وليس مجرد وسيلة لربا النسيئة وأنه يعتمد تارة على استغلال جهل الناس كما ذكرنا فى نهاية البند السادس ، وتارة على استغلال حاجتهم كما حاولنا أن نثبت هنا . اما ربا النسيئة فانه يعتمد أساسا على استغلال عجز المدين عن سداد الدين عند حلوله . وهذا مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم لبلال « عين الربا » .

١٦ — خلاصة البحث :

أولا — كانت تستعمل السلع الرئيسية الأربع وهى البر والشعير والتمر والملح كنقود سلعية مساعدة للذهب والفضة فى مجتمع المدينة . ويستفاد من عبارة عمرو بن حريش أن الابل والبقر والغنم كانت تستعمل ايضا كوسيط للمبادلة فى بعض أجزاء الجزيرة العربية . فلذلك نرى ان علة تحريم ربا الفضل فى الأصناف الستة المنصوص عليها واحدة وهى النقدية .

ثانيا — لا يمكن ان نضع قائمة بالأشياء التى يجرى فيها ربا الفضل على ضوء العلة التى ذكرناها وذلك لأن الأشياء التى يقع عليها اختيار الناس لكى تقوم بدور النقود تختلف من بيئة الى أخرى بحيث يتعذر علينا معرفتها سلفا .

ثالثا — ان منع الشارع الحكيم لبيع الصنف الربوى بعضه ببعض متفاضلا ناجزا او نسيئة ينطوى على مقاصد عديدة لا يدركها جميعا الا من نظر الى الأمر من عدة زوايا كما حاولنا أن نفعل . مثال ذلك ، لو نظر الى الأصناف الربوية كنقود سلعية لأبصر غرض النبى صلى الله عليه وسلم من المنع وهو اضفاء خاصية التجانس على كل منها حتى تتمكن من القيام بدورها كوسيط للمبادلة ومقياس للقيمة على ما يرام ؛ ولو نظر اليها كسلع سوقية وتأمل الظروف التى كانت تباع فيها وتشترى لأدرك أن المنع جاء لحماية مصالح الأكثرية التى لا تستطيع ان تميز بين الأنواع المختلفة كما وضحنا ذلك .

رابعا — لم يكن تحريم ربا الفضل لمجرد كونه ذريعة لربا النسيئة . ولكنه حرم لكونه ربا حقيقيا كما قال صلى الله عليه وسلم « عين الربا » أى انه حقيقة الربا المحرم . .

المنجزات الاسلامية في القرن العشرين



للدكتور محمد زايد

اسمحوا لى أن أعترف بصعوبة ايفاء الموضـوع حقه من الاحاطة لأسباب ثلاثة :

الأول : هو اتساع العالم الاسلامى وتعدد اجناس عنـاصره واختلاف أوضاعهم السياسية والاجتماعية وبالتالى لتعدد المشكلات التى يواجهونها .

الثانى : هو خيبة أمل الباحث فيما يجد فى متناوله من أبحاث عن بقـاع كثيرة من العالم الاسلامى يندر مثلا أن تجد بحثا عن مسلمى مدغشقر أو جزر المالديف أو جنوبى أفريقيا ، ولا بد من سـد هذه الثغرة المهمة فى المـكتبة الاسلامية وتوجيه بعض الاهتمام لأطراف العالم الاسـلامى ، لا حصره فى وسطه .

الثالث : يتعلق بما يمكن اعتباره من المنجزات .

هذا أمر ذاتى الى حد كبير ، لأنه يستند بصورة رئيسية الى ما يعتبره المرء مقوما من مقوماته ، والى تصوره لحاضره ، ولما ينبغى أن يـكون عليه مستقبله .

وما انطلاقى فى هذه المحاضرة الا من مفهومى لهويتى وهو أننى مسـلم وعربى .

استضافت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الدكتور محمود زايد أستاذ التاريخ الاسلامى فى الجامعة الاميركية ببيروت ، وقد ألقى سيادته محاضرتين : الاولى بعنوان « المنجزات الاســـــلامية فى القرن العشرين » وكانت فى قاعة المحاضرات بجامعة الكويت ، والثانية تحت عنوان : « الاسلام وتحديات القرن العشرين » وكانت باللغة الانجليزية ، وذلك فى قاعة المحاضرات بغرفة التجارة والصناعة ، وفيما يلى نص المحاضرة الاولى :

وأود أن أعترف بأننى لم اختر هذا الموضوع يقينا منى بأننى من أقدر من يوفيه حقه من البحث ، ولا يقينـــا بأنى موفيه حقه ، وانما اخترته بســــبب ما ألاحظه ويلاحظه غيرى من تركيز كثرة من الكتاب فى الشرق والغرب على تخلف المسلمين وجمود الاسلام ، بعضهم لا يزال يضرب على نغمة قصــــور المسلمين عن اللحاق بغيرهم من الأمم (المتقدمة) ، ويذهب البعض الآخر الى أن الاسلام لا يستطيع أن يساير الحياة ، بل ، وهناك من يذهب الى أن صلتنا بتراثنا انقطعت نهائيا ، كتب أحد هؤلاء يقول :

« من يدعو الى رفض الافكار المستوردة اليوم ، بعد مرور أكثر من قرن على النهضة وعجز جميع المصلحين عن السياحة فى غير محيط الأفكار والنظريات الغربية ، يفوه بكلام فارغ اذن ، كلام لا معنى له اطلاقا ، لأن رباطنا بالتراث الاسلامى فى واقع الامر قد انقطع نهائيا فى جميع الميادين وأن الاســــتمرار الثقافى يخدعنا .. » .

ولا يخفى ما فى دعاوى هؤلاء وغيرهم من افتئات على الواقع ، ومن تضليل لكثرة من الناشئة الذين لم يأخذوا من الاســـــلام أكثر بكثير من شرف الانتماء اليه . ولكن يجدر بنا أن ندرك كيف تكون هذا الانطباع .. ؟

أول سبب أساسى هو وقوع العالم الاسلامى فى براثن الاستعمار ، كان هذا صدمة كبيرة للمسلمين اينما كانوا ، ودفعهم هول الصــــدمة الى اطلاق الصرخة بعد الصرخة استنهاضا للنفوس واستثارة للهمم لمقاومة العدوان ، ولكنهم فى الوقت ذاته أظهروا من الأسف لحال المسلمين والأسى لما وصلوا اليه ما أسهم فى تكوين الانطباع السائد عن تخلف أو انحطاط المسلمين ، وأحيانا عن جمود الاسلام ذاته ، قال الشاعر الفيلسوف اقبال :

« أين حماتك يا هذه الديار ، وأين من جلجلت تكبيراتهم فى المساجد ؟ .. أسفا عليك يا ديار الاســـلام التى منك انبعثت طـــلائع الحـــرية والعــدالة والسلام » .

وظهر من المقالات والكتب التى حملت عناوين تنسب الانحطاط او التأخر للمسلمين ما ترك الانطباع بأن الاسلام فى انحطاط وتأخر وتخلف بالفعل ، ولعل أخطر ما فى هذا الانطباع هو ايهام السامع بانحطاط الاسلام بوصفه دينا أو بجموده ، أو بقصوره وعجزه عن مسايرة الحياة .

وقد أسهم فى تكوين هذا الانطباع بشكل رئيسى تحامل كثرة من المستشرقين والمبشرين والكتاب الذين وضعوا انفسهم فى خدمة الاستعمار ، كتب اللورد (هيلى) يقول عن الاستعمار الفرنسى :

« ومنذ البدء وجدت الادارة الفرنسية فى أفريقيا نفسها تشن حربا لتحرير الافريقيين الاصليين من سيطرة الاسلام المكافح » .

ويضيف اللورد هيلى الى هذا أن هذه النظرة السياسية الفرنسية انعكست على ابحاث الفرنسيين عن الاسلام .

لكن يجب الا يغرب عن البال ان احوال المسلمين السياسية والاجتماعية والاقتصادية كانت ايضا ذات تأثير كبير على تكوين هذه النظرة .

لقد سبق لى أن بينت فى محاضرة سابقة وقبل حوالى عام واحد من هذا المكان نفسه أن العصور التى تلت القرن الحادى عشر الميلادى من تاريخ الاسلام لم تكن عصور انحطاط كما هو شائع ، وعليه فنسبة الجمود والقصور الى الاسلام خاطئة من الاساس وتدل على جهل بواقع التطور التاريخى .

واود فى هذا الحديث أن أوضح امرين أساسيين :

الأول : هو أن المنجزات الاسلامية فى هذا القرن انجازات ضخمة من اى زاوية نظرنا اليها ، وبأى مقياس قسناها ومن الناحيتين العملية والنظرية .

والثانى : اننا نشهد فورة فكرية ذات اتجاهات واضحة فى مقدمتها رفض الفكر الاوروبى الذى طالما وقعنا تحت رقاه ، واصلاح الخلل الذى أحدثه فى مؤسساتنا ، ثم الاتجاه الى منابع ثقافتنا وخاصة الدينية منها ومحاولة الخروج بايديولوجية عربية اسلامية متكاملة ، واذا كانت هناك ثورة فكرية سلمية كبرى فى تاريخ الاسلام الحديث فهى هذه ، أى التخلص من براثن الفكر اللبرالى الاوروبى .

اما بالنسبة للأمر الاول :

وهو المنجزات .. فانى اضع فى مقدمتها انتشار الاسلام حتى فى الفترة التى بلغ فيها التسلط الغربى على العالم الاسلامى أوجه ، فانتشاره دون قوة سياسية تدعمه ، وفى وجه قوى تتسارع معه ، وتهدف الى زعزعة مقوماته ، هو أعظم دليل على حيويته الدافقة وتوثبه الدائم ، وجاذبية عقيدته الصافية .

هذا من ناحية ..

ومن ناحية أخرى ، فنحن مدينون لانتشاره فى اتساع رقعة العالم الاسلامى اتساعا أدركنا نحن العرب مؤخرا مدى أهميته فى معركتنا مع الاستعمار ورأس حربته اسرائيل ، وادركوا هم ايضا أهمية مشاركتهم لنا فى صراعنا الحالى ضد الصهيونية .

فمنذ أواخر القرن الثامن عشر شهدت مناطق كثيرة مدا اسلاميا جارفا اصاب المستعمرين والمبشرين بالذهول ، فقد شهدت مناطق السودان الشرقى والاوسط والغربى من القارة الافريقية نهضة اسلامية عظيمة كان رائدها الشيخ عثمان دنفديو الذى كان له الفضل فى جعل الاسلام دين شعوب بأكملها فى

السودان الاوسط وأسس الامبراطورية الفلانية وعاصمتها سوكوتو ، بعد أن سلخ ثمانية عشر عاما من عمره (١٨٧٦ ــ ١٨٩٤) يدعــو الى الاســلام بين القبــائل الافريقيــة .

وقد تلت هذه الانطلاقة انطلاقات أخرى :

فى السودان الغربى بقيادة الحاج عمر ، وفى السودان الشرقى بفضل محمد عثمان الميرغنى ، وأشرق نور الاسلام على بقاع اخرى كثيرة مثل تقفقاسيا حين نهض الضابط التركى فرح فى عام ١٧٨٢ م بتأسيس مركز فى انابا بالقرب من منفذ على البحر الاسود ليكون مركزا لنشر الاسلام بين الشراكسة . وكان هؤلاء قد بقوا حتى هذه الفترة على الوثنية فيما عدا قلة ضئيلة منهم كان افرادها قد دخلوا فى الاسلام . تزوج هذا الضابط من شركسية وطلب من أتباعه أن يحذوا حذوه ، واستقدم علماء من القسطنطينية لتعليم الاســلام ، وكانت هــذه الحركة منطلقا لانتشار الاسلام حتى القرن العشرين .

وفى الهند ، نجد قائمة الدعاة الى الاسلام تضم الى جانب الفقهاء رجالا ونساء من جميع الطبقات ، « ونجد فى ثبت يتضمن أسماء دعاة الهنود فى صحيفة احدى جمعيات لاهور الدينية الخيرية أسماء معلمى مدارس وكتاب للحكومة .. وتجار (وفيهم أحد العمال فى عربات النقل بالجمال) ومحرر احدى الصحف ومجلد كتب وعامل فى مطبعة . فقد خصص هؤلاء الناس ســاعات فراغهم بعد انجاز عملهم اليومى للدعوة الى دينهم فى الطرقات وأسواق المدن الهندية » .

ويشيد أرنولد بالدور الكبير الذى قامت به المراة المسلمة فى هذا السبيل ، وكم يتمنى المرء أن يجد فى كتبنا المدرسية ــ واغلبيتنا من المسلمين ــ اســم واحد من أولئك المصلحين الافريقيين أو اشارة الى الجنود المجهولين الذين كرسوا ما لديهم من جهد فى سبيل نشر دينهم .

ولا يقل عن هذا الانجاز تحرر الغالبية الكبرى من البلدان الاســلامية من الاستعمار ، وغنى عن القول أن اكبر الفضل فى ذلك يعود الى الاســلام الذى وجد فيه الغربيون معقلا يحول دون تمثل المسلم وحمله على التخلى عن مقومات تراثه ، والجزائر بلد المليون شهيد أبرز مثال على ذلك .

كما كان للاسلام والعروبة معا الفضل فى صمود المسلمين عربا وغير عرب لعملية (غسل الدماغ) التى قام بها الغرب لزعزعة مقومات الاسلام ، وذلك بازدرائه للعقل الشرقى بوجه عام ، وطعنه فى قدرته ، وبفرض مؤسساته وقوانينه وعاداته ، وبالتبشير فى دياره ، وبفرضه ثنائية التعليم وثنائية القوانين والمحاكم . وأخيرا وليس آخرا بقيامه بمحاولة بعد محاولة لاضــعاف صلتنا بتراثنا . فأطلق أبواقه تدعو الى تبسيط قواعد اللغة العربية أو اصلاحها أو بالاثنين معا ، وحينا بالتحول الى اللهجات المحلية لغة للتدوين والتأليف ، وحينا آخر بالتحول عن الحروف العربية الى اللاتينية ، وفى الوقت ذاته أخذ يشجع الدعوات الاقليمية كالفرعونية والفينيقية وغيرهما .

وبالرغم من تحول تركيا الى الحروف اللاتينية ، واضطرار تركستان الى التحول اليها ، فان الشعوب العربية كلها وكثرة من الدول والاقليات الاسلامية وخاصة فى الهند والباكستان وشرقى أفريقيا وأندونيسيا تمسكوا بالحروف العربية ، وينص الدستور الباكستانى الحالى على ضرورة تشجيع تعليم اللغة العربية .

وفى هذه الاثناء اضطلع العرب بتجديد لغتهم وذلك بتبسيط أسلوبها واغناء

مصطلحاتها وترجمة مختلف العلوم اليها ، وهذه هى المحاولة الثانية لتجديد اللغة بعد العصر العباسى .

ومن أبرز ما حققه المسلمون فى القرن العشرين هو اصلاح الخلل الذى أحدثه الاوروبيون بتشجيع ثنائية التعليم أو بفصل التعليم الحديث عن التعليم الدينى ، وبتشجيعهم ثنائية القوانين والمحاكم باحداث قوانين مدنية وشرعية ، ومحاكم مدنية وشرعية . وكان القصد من هذا كله كما لا يخفى حصر الاسلام فى اضيق نطاق ممكن فى المعاهد وفى حياة الشعب .

وكان اخطر ما ترتب على فصل الدراسات الدينية عن الدراسات العلمية غير الدينية أننا قطعنا الصلة بين شبابنا وبين أهم مقومات تراثهم وهو الدين . وتركناهم فى فراغ روحى شديد الى درجة أن بعضهم تخيل أن كل صلة لنا بالتراث قد انقطعت وأننا لا بد متغربون أو متأمركون أو متفرنسون أو متروسون .

ولا يقل عن هذا خطرا ما جنيناه على المتخصص بالدراسات الدينية عندما عزلناه عن أبعاد مهمة الثقافة ، فضاق أفقه ، وانعكس واقعه هذا على نظرتنا له ، وأحللناه فى معاشه منزلة دون منزلة طالب العلوم الأخرى ، وباختصار أصبناه فى عقله وفى ماله ، ونادرا ما ثار وجدان أصحاب السلطة والمثقفين ونادوا بدفع الظلم عنه ، ومما يبعث على الاسى أننا بعد هذا كله نضع مسئولية التخلف عليهم ، هذا بينما لا نلوم المهندس ولا الطبيب وغيرهما من المتخصصين بالدراسات الاخرى .

ومن آثار هذا الفصل بين الدراسات الدينية وغيرها أننا أخذنا نجرى على سنة الغرب فنقول : عالم دين وعالم دنيا ، بدلا من أن نقول : هذا مسلم متخصص بالدراسات الدينية وهذا مسلم متخصص بغيرها من الدراسات .

ووراء هذين الاصطلاحين فكرة الفصل بين الدين والدنيا وهى فكرة تتنافى بشكل مبدئى مع الاسلام .

لقد بدأت فكرة الفصل بين العلوم الدينية والدنيوية منذ أوائل احتكاكنا المباشر بالغرب وشجعها المستعمرون لأنهم أدركوا بأن أكبر عقبة فى سبيل السيطرة على المسلمين واستغلال خيراتهم هو الدين ، وعليه فلا بد من زعزعة أسسه بتحويل الشبان عنه . ولحسن الحظ أن المسلمين تنبهوا الى هذا فأخذوا منذ حوالى مائة وخمسين سنة يصلحون الخلل بالعودة الى ما انقطع من صلتنا بالتراث فى المعاهد الحديثة ، ولجأوا فى ذلك الى حلول رئيسية أربعة :

الأول : انشاء دوائر أوكليات للدراسات العربية والاسلامية فى الجامعات الوطنية .

والثانى : ادراج موضوعات عن الاسلام فى الجامعات كما حدث فى جامعة القاهرة والاسكندرية ودمشق والرباط وأندونيسيا وذلك فى فروع اللغات أو الأدب أو التاريخ أو القانون لكن بدون انشاء دوائر خاصة بالدراسات الاسلامية .

والثالث : انشاء أقسام للدراسات الدينية على نهج كليات الدين فى الغرب كما حدث فى عليكرة وطهران وأنقره (١٩٤٩) واستنبول (١٩٥٩) .

والرابع : هو ادخال العلوم الحديثة فى المعاهد الدينية وأبرز مثل على ذلك هو ما شهده الازهر من اضافات الى مناهجه الدراسية وكلياته منذ عام ١٩٦١ م .

وأرى أن العودة بالدراسات الدينية الى المدارس الثانوية والجامعات والمعاهد على اختلاف أنواعها هي بمثابة اعادة الروح الى الأمة بأسرها وبداية انطلاقة عظيمة لعملية التجديد والبناء ولكن المسألة ليست مجرد اضافة دائرة أو كلية وانما هي دمج الثقافة الدينية في العملية التعليمية برمتها .

وأود ممن يقولون بقصور الشريعة عن مسايرة الحاضر أو يلومون الفقهاء أن يمعنوا النظر قليلا فيما تم فى حقل التشريع من انجازات كان فى مقدمتها القضاء على الازدواجية أو الثنائية فى القوانين والقضاء التى قصد بها أيضا حصر المتخصص بالعلوم الدينية . وحصر تطبيق الشريعة فى أضيق نطاقات ممكنة ، وقد جاءت هذه الازدواجية بين قوانين مدنية وشرعية ، ومحاكم مدنية ومحاكم شرعية نتيجة لخضوع البلاد الاسلامية للاجانب ، ولسهولة اقتباس القوانين الاجنبية ، وحرص علماء المسلمين على الا يجرى العبث بأحكام الشريعة الغراء . وأوليت دراسات الحقوق فى البلاد العربية بمزيد من الاهتمام ، وفتحت لخريجيها أبواب الوظائف فى السلكين السياسى والدبلوماسى ، بينما حصر خريجو كليات الشريعة الاسلامية فى مجال ضيق ، وأصيبوا فى أرزاقهم تبعا لذلك .

وعلى الرغم من تأثر مركز الفقهاء وخريجى كليات الشريعة على هذا النحو ، فقد بذلوا هم وعدد لا يستهان به من خريجى الحقوق من أصحاب الغيرة على الاسلام جهودا كبيرة موفقة كان لها فضل كبير فى اثبات زيف ما ذهب اليه المغرضون والمتحاملون على الاسلام الذين زعموا بأن الاسلام يتصف بالجمود ولا يتسع للتجديد وانه فى حالة تجدده فانه يفقد الصبغة الاسلامية ، لقد أثبت الفقهاء من خلال ما استنبطوه من أحكام ، وبلغة سهلة وعصرية ، على أن التجديد الدائم هو فى صلب التعاليم الاسلامية . كما أثبتوا أنه باستنارته بمصالح المسلمين ، وتوخيه التيسير عليهم ، ورفع الحرج عنهم ، وحضه على التجديد ، وفرضه لضرورة الاجتهاد على الأقل عند بعض المذاهب كما هو الشأن عند الحنابلة .. بهذا كله أثبتوا أن الاسلام قادر على التغلب على المفاسد واقامة المصالح وان شئت قل : قادر على مواجهة التناقضات فى المجتمع ما جد منها وما سيتولد عنها .

أكدوا هذا بوجه عام واتبعوا فى الوقت ذاته منهجية من شأنها أن تساعدهم على الاستفادة من الثروة الضخمة التى خلفها الفقهاء فى كل ناحية من نواحى التشريع .

لقد لجأوا أولا الى اصدار القوانين مع التقيد بمذهب ولكن بدون التقيد بالرأى الراجح فيه وهو ما فعله الفقهاء أيام العثمانيين فى المجلة ، ثم ما لبثوا أن لجأوا الى تخير الاحكام دون التقيد بمذهب معين وهو ما فعلوه حين أصدروا قانون الاسرة . وسار فى أثرهم الفقهاء فى مصر أيام الخديوى اسماعيل ، وفى القوانين التى تنظم شئون الاسرة والتى صدرت عام ١٩٢٠ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٩ ، استمد الفقهاء الاحكام من المذاهب الاربعة .

ولجأ الفقهاء بعد ذلك الى تلفيق الاحكام ، بل والى تلفيق الحكم الواحد كذلك ، ومال البعض الى التيسير على المسلمين بالاستناد الى المبادىء الخلقية الاساسية ، والعمل فى ضوئها على رفع الظلم عن بعض الفئات الاجتماعية .

ولم تقتصر اجراءات التغلب على الازدواجية على ميدان الاحكام فقط ، بل تعدت ذلك الى القضاء كما حدث فى مصر حين جرى توحيد المحاكم .

ولا بد لى من أن أدرج فى هذه المنجزات حقيقة مهمة وهى أن الحكام فى البلاد العربية سواء كانوا ثوريين أو غير ثوريين ، يلتقون عند نقطة أساسية ومصيرية وهى أن هويتهم عربية اسلامية وأن البناء على غيرها لا بد وأن يكون كمن يبنى فى الهواء .

واعتقد أنهم بصفة عامة أخذوا يدركون أن الاسلام برغم كل ما رمى به من نعوت سلبية هو بناء شامخ ومتكامل لا ينال منه الزمن ، وأنه يتسع لكل اصلاح ما دام أساسه روحيا .

قال نابليون مرة بأن أعظم قوتين فى العالم هما السيف والروح ، والنصر هو فى النهاية دائما للروح ، وليس من شك فى أن سلطان الاسلام الروحى على المسلمين قد أثبت أنه لا يقهر ، وأن المسلم قد يلبس القبعة ولكن رأسه يظل مسلما .

وصلنا النقطة التى يجب أن نتساءل فيها عن الاسباب التى تكمن وراء هذا التيار القوى للتأكيد على الاسلام واتخاذه أساسا للحركات القومية ثورية وغير ثورية والغوص فى منابعه الروحية وثروته الفكرية .

ليس من شك فى أن حيوية الاسلام ، وتكامله روحا وفكرا وموازنته بين الحاجات الروحية والمادية سبب رئيسى . ولكن هناك أسباب أخرى وان كانت غير واضحة فى أذهان الكثيرين .

فى مقدمة هذه الاسباب أن افتتان المسلم بالغرب وبحضارته قد تزعزع من أساسه وأن المسلم قد أخذ يتغلب على الشـــــعور بالنقص ازاء الغربى وحضارته .

ولهذا أسباب فى مقدمتها سببان رئيسيان :

وهما : خيبة أمل المسلم فى الفكر اللبرالى ، والفكر المادى الثورى ، جدليا كان أو غير جدلى ، فالحضارة الاوروبية القائمة على اللبرالية التى طالما وقع المسلم تحت تأثير رقاها هى نفسها تعانى من أزمات شديدة زعزعت ايمان الاوروبيين أنفسهم بها وبمستقبلها .

ولم يفت المسلم أن يلاحظ أن هذه الازمات هى فى الاساس روحية ، وأنها كما يقول مؤرخ أميركى للحضارة الغربية أنها تكمن فى : ازدواجية المقاييس الخلقية . فبينما ينشد الغربى بوصفه فردا مقياسا عاليا لسلوكه ، تتبع دولته فى علاقاتها مع غيرها مقاييس لا اخلاقية وتتبع أساليب لا تبررها أية غاية . ولقد أثار تنكر الغرب للعدالة لا ثائرة شعوب العالم الثالث فحسب ، بل وثائرة الشبان الاوروبيين أيضا . وما مرد تمرد هؤلاء الشبان على سلوك بلادهم فى حرب الفيتنـــام وغيرها الا مظهر من مظـــاهر الثورة على الظلم والقرصنة والعدوان على الحرية .

ويتتبع المسلم أخبار المجتمعات الاوروبية فيستلفت نظره أن التيار المادى الجارف وفقدان الايمان عند الاجيال الناشئة وايمانهم بنسبية الاخلاق قد دفع الكثيرين الى التوسل بالمخدرات للانعتاق من ســـطوة المادة وللتعبير عن نقمتهم على المجتمع واحتقارهم له .

ويلاحظ المسلم كذلك أن هذه النقمة تجد متنفســـا لها فى جرائم فردية وجماعية وحشية وفى الهروب من العمل ، والتمرد على النظم ، ونبذ أساليب

الحياة المألوفة ، والانعزال عن المجتمع فى الكهوف أو الشـــعاب أو تحت الارض .

وأهم من هذا كله أنه لم يفت المسلم أن يدرك أن الفكر اللبرالى أو المتحرر الذى ساد أوروبا فى القرن الماضى وشطر من القرن الحاضر كان نتاج ظروف خاصة بأوروبا لا ظروف انسانية عامة .

وقد يغيب عن بال كثرة من مثقفينا وكتابنا ومؤرخينا أن العلماء الغربيين الذين افتتن بأبحاثهم وعلمهم كانوا ولا يزالون يسخرون أنفسهم لخدمة أغراض تتنافى مع مقومات المسلمين وتطلعاتهم وأوضاعهم . لقد كان أولئك المثقفون الغربيون مثل كلاب الحراسة كما يقول الكاتب الوجودى الفرنسى جان بول سارتر ، يعملون فى خدمة الايديولوجيا البورجوازية ، ناصب هؤلاء المثقفون اللبراليون رجال الدين العداء ونادوا بتحـــرير ميادين الاقتصـــاد من الصبغة الدينية وذلك لاطلاق يد البورجوازية فى خيرات الشـــعوب . ونادوا بحرية الاقتصاد لهذا الغرض نفسه وتوصلوا الى نظريات عنصرية تثبت تفوقهم ، بل بلغ الأمر بهم حـــدا قام معه الاطباء النفســـيون الفرنسيون بأبحاث ترمى الى تفسير تأخر الافريقيين ببنية أدمغتهم وتركيبهم الفيزيولوجى .

وكما انعتق المسلم من رقى الفكر اللبرالى أخذ كذلك ينعتق من الفـــكر الثورى المستورد .

ان الاختلاف بين المسلم وبين هذا الفكر أساسى وكامن فى بعد الاســـلام الروحى ، ولكن فيما يخص المجتمع فليس فى الفكر الثورى شىء لا يتســـع له الاســـلام .

والاختلاف هو اختلاف ظاهرى فحسب اللهم الا فيما يتعارض مع أى حكم اسلامى قاطع .

وبعد ، ماذا نستخلص من هذا .. ؟

أولا : أن سيطرة الاسلام الروحية على المسلمين أقوى من أن تزعزعها النكسات والغزو الفكرى وأن حيويته الدافقة كانت حتى فى أوج التســـلط الاوروبى كفيلة بانطلاقه وانتشاره .

ثانيا : أن فى العالم الاسلامى كله نزعة شديدة الى اصلاح الخلل الذى تم فى المؤسسات أيام الاستعمار والعودة بها الى سابق عهدها مع تجديدها . وأوضح ما يكون هذا فى التعليم والتشريع .

ثالثا : أن عهد الافتتان بالغرب وحضارته قد قارب على الانتهاء ، وأنه بدأ يرفض الفكر اللبرالى الاوروبى الذى وضع نفسه فى خدمة البورجوازية والاستعمار والفكر الثورى المادى .

وأن فى هذا شبها بما تم فى العصر العباسى من رفض لمـــا لا يتفق مع الاسلام من الحضارات الاخرى .

الزي الإسلامي

للدكتور أحمد الحجي الكردي

قد يكون هذا الموضـــوع غريبا لأول وهلة إذ يقول بعض القارئين ما علاقة الاسلام بالزى ، وهل له فيه حكم ؟ أليس الاسلام دين الحرية والانطــلاق من القيود ؟

لكن الجواب علىذلك واضح ولا يحتـــاج الى غوص وتعمق ، فالاسلام حقا دين الحرية الى غايتها ونهايتها ، الحرية غير المحــدودة إلا بحدودها هى نفسها . فالاسلام كفل الحرية للناس جميعا لا فرق فى ذلك بين رجل وامرأة ، ولا بين عربى وغير عربى ، أو بين غنى وفقير ، أو كبير وصغير .. والحرية ملك الجميع بقدر متساو بينهم وهى حق لهم جميعا ، لكن هذه الحريات لا بد وأن يتماس بعضها مع بعض فى خطوط تماس تشكل الفاصل بينها المحدد لحدودها ، فحرية الانسان لا بد وأن تنتهى عند نقطة انتهاء حرية غيره فى موقع التماس والا كان الاعتداء على حــرية الآخرين وهذا ما لا يرضى به الاسلام لما فيه من الظلم الذى جاء هو لتغييره ورفعه .

وبذلك تكون الحرية قد حدت نفسها بنفسها حفاظا على كيانها وجوهرها ، دون أن يكون للاسلام فى هذا شىء غير بيان هذه الحدود التى تضمن للجميع قدرا متساويا من الحرية .

وانطلاقا من هذا المبدأ الاسلامى العام فى تكريم الحرية وصيانتها والحيلولة دون اعتداء بعض الناس على بعض فان الاسلام يقرر أن للمسلم أن يتخذ الزى الذى يراه ويناسبه دونما قيد أو شرط الا أن يكون فى ذلك اعتداء على حرية الآخرين ، فاذا كان فى هذا الزى اعتداء على حرية أحد فانه يعتبر ممنوعا صونا لحرية الآخرين التى يحرص الاسلام عليها ، ولا غرابة فان فى بعض انواع الزى ملبسا كان أو غيره تعديا على الكثير من حريات الآخرين فى اخلاقهم وسلوكهم وتربية أولادهم وغير ذلك .

فلكل امرىء الحق بل هو مسؤول عن حفظ اخلاقه وأخلاق من يعوله ويلى عليه من الجنوح والانحراف بل هو مسؤول عن اخلاق المجتمع الاسلامى كله ، وفى بعض أنواع الزى استهتار بهذه الأخلاق ، ودعوة الى ما يجافيها مما يحول بين المسلم وبين ما يتطلع اليه من مستوى اخلاقى رفيع دعا الاسلام اليه .

وجمعا بين المبدأين ، مبدأ صون الحريات وحمايتها ، ومبدأ عدم اعتداء بعضها على بعض فقد أبان الاسلام عن بعض القيود فى الملبس التىيعتبر فى تجاوزها اعتداء على حريات الآخرين .

واهم هــذه القيود :

١ ــ أن لا يكون اللباس كاشفا للعورة أو لجزء منها ، وعورة الرجل هى من السرة الى الركبة ، أما عورة المرأة الحرة فهى جميع بدنها الا الوجه والكفين والقدمين فى قول جمهور الفقهاء .

وعلى ذلك فان أى لباس ينكشف معه فخذ الرجل أو بطنه ، أو ينكشف معه شعر المرأة أو ساعدها أو ساقها ، أو غير ذلك يعتبر لباسا ممنوعا محرما لما فى ذلك من دعوة ضمنية الى الرذيلة

والتحلل الخلقى الذى لا يستطيع الآخرون معه الحفاظ على اخلاقهم وأخلاق اسرهم وأبناء مجتمعهم ، وفى ذلك اعتداء كبير على أسمى ما تكفله الحرية لكل انسان من المبادىء وهو مبدأ حرية العيش فى مستوى أخلاقى رفيع .

ولا يجوز أن يقال بحال : ليغلق الانسان على نفسه الباب ولا يتعرض للآخرين ، ولا يأبه بهم ولن يناله بعد ذلك منهم أى أذى . ذلك أن الحياة العامة ملك مشترك بين الجميع ، ولا يستطيع أى انسان أن يمنع الآخرين من ولوجها ، وعلى جميع المسلمين أن يكفوا عن أى عمل يلحق أذى بالآخرين فيها ماديا كان ذلك الأذى أو معنويا . الا ترون أنه لا يقال لولى من قتلته سيارة فى شارع عام « لو كان هذا القتيل فى بيته لما قتلته السيارة وبالتالى لا مسؤولية على القاتل » واذا ما قيل ذلك اعتبر شذوذا مردودا على صاحبه ، لأن الشارع العام ملك لكل الناس ، وعلى كل الناس أن يبتعدوا عن ايذاء بعضهم فيه . فكذلك اللباس لا يجوز أن تتعدى فيه الحدود التى يلحق منها ضرر بالآخرين ، مثله مثل السيارة تماما لا فارق بينهما الا من حيث أن ضرر السيارة مادى وهذا ضرره معنوى ، وهو فارق غير مؤثر هنا .

بل ان النظرة المستهترة يلقى بها الرجل الى امرأة فى الشارع ، أو تلقى بها المرأة الى الرجل فيه تعتبر أمرا ممنوعا شرعا بنص كتاب الله تعالى حيث يقول : ((**قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم**)) ويقول : ((**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن**)) لما فى ذلك من اعتداء على حرية الآخرين فى السير فى الشارع العام فى أمان وسلام بعيدا عن الفساد ومسبباته .

٢ ــ أن لا يكون اللباس شفافا يشف عن العورة تحته ، لأن الشفافية هذه مثل الكشف تماما ان لم تكن أشد منه اغراء ودعوة الى الفساد ، ولأن الثوب الشفاف لا يعد ساترا ، والله سبحانه ورسوله قد امرانا بالاستتار ، فقد روى أبو هريرة عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال (صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر

يضربون بها الناس ، ونســـــاء كاسيات عـــاريات . مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) رواه مسلم .

٣ — أن لا يكون اللباس ضيقا يشكل حجـم العورة تحته ، كالسروال الضيق الذى يشكل حجم الفخذ والمعطف الضيق الأكمـــام الذى يشـــكل حجم الساعدين بالنسبة للمرأة ، وكذلك الثوب الضـــيق الذى يشكل حجم الصدر والخصر للمرأة .. وغير ذلك . لأن فى هذا كله نوع اغراء وإيذاء ونيـــلا من حرية الآخرين فى المحافظة على أخلاقهم وعفافهم ، ولأن فيه نوع كشف للعورة بالجملة .

٤ — أن لا يكون فى اللباس نوع خيلاء وكبر واسراف ، لأن النبى — صلى الله عليه وسلم — نهى عن ذلك ، والقرآن الكريم جاء بتحريمه أيضا ، فقال تعالى : ((**ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخـرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**)) ، وقال جل شأنه : ((**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**)) . وقال — صلى الله عليه وسلم — (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة) رواه البخارى . ولم لا فان فى التكبر اعتداء على مبدأ المساواة التى قررها الله تعـــالى ترسيخا لمبدأ الحرية ، ثم ان الاسراف داء اذا انتشر وباؤه بين أفراد الأمة الحق بها الخراب والدمار وهو ما لا يرضى به الاسلام .

٥ — أن لا يكـــون اللبـــاس زيا خاصـــا لغير المسلمين ، فاذا كان كذلك كان فى ارتدائه تشـــبه بهم قد يجـــر الى تقمص شخصيتهم والتخـــلى عن الشخصية الاسلامية بكل مقوماتها شيئا فشيئا ، وفى هذا من الخطر على الأمة ما فيه ، وهـــل كان أول ضعفنا الا التخلى عن تقاليدنا واستيراد تقاليد غريبة عنا فى الملبس والمسكن .. (من تشبه بقوم فهو منهـــم) .

وهذه امم الأرض كلها تحافظ على تاريخها وتقاليدها بما فى ذلك أرقى الأمم ، ونظرة عجلى الى هذه الأمم من أقاصى الصين الى أواخر أوروبا كافية لوضع النقاط على الحروف فى ذلك ، فما بال بعضنا يستسيغ التخلى عن هذه التقاليد غير آبه بما يترتب على ذلك من أفدح الأضرار .

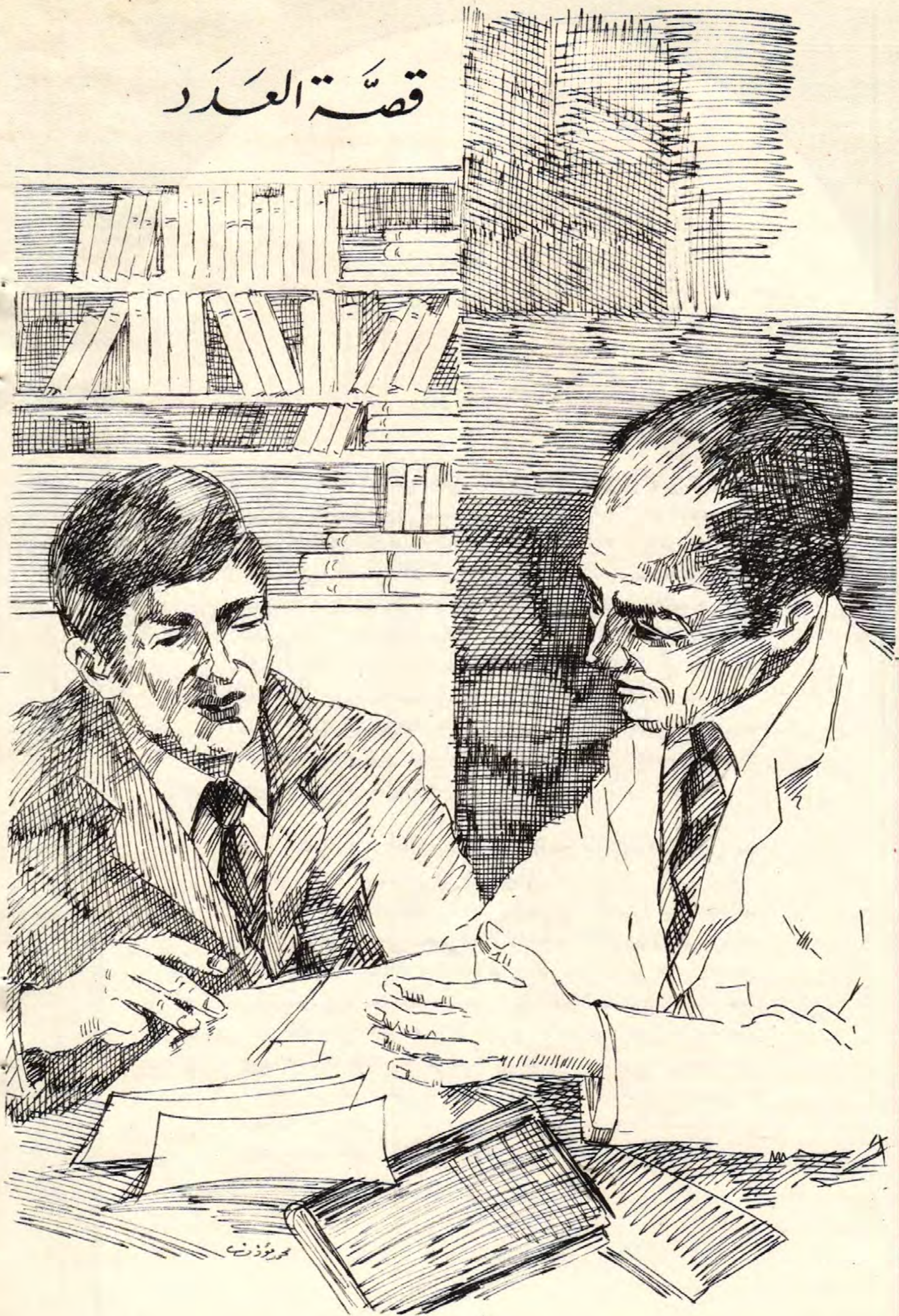
ولكن ليتنبه هنا الى أن ذلك لا يعنى بحال أن نصم آذاننا عن كل جديد ، فان الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها ، بل يعنى أن نفتح آذاننا وعيوننا وكل حواسنا جيدا عندما نقع على أى جديد فنقيسه بعقولنا ونزنه بمبادىء اسلامنا ، ثم بعد ذلك لنقرر أخذه أو تركه ، فاذا أخذناه فلنحاول أن نصبغه بصبغتنا الخاصة قطعا لمعنى التبعية فيه ، فقد ثبت عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه أمر أصحابه الأبرار مرة بصوم يوم عاشوراء ، فقالوا له : يا رسول الله هذا يوافق صوم اليهود — لأنهم يعلمون أنه لا يحب الأخذ عن أحد من غير المسلمين — فأجابهم بقوله : نحن أحق بموسى منهم ، نغيره فان جاء العام القابل نصوم معه يوما قبله أو يوما بعده . (أو كما قال) ، وقد ثبت عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه قال لأصحابه مرة أيضا (إن اليهود والنصارى لا يصبغون — أىشيب شعرهم — فخالفوهم) متفق عليه . والرسول — عليه الصلاة والسلام — هو قائدنا ومعلمنا وهو الأسوة الحسنة فينا .

٦ — أن لا يكون فى لباس الرجل ما يشبه لباس المرأة ، ولا فى لباس المرأة ما يشبه لباس الرجل وذلك لنهى النبى — صلى الله عليه وسلم — عن ذلك ، فقد روى عن ابن عباس انه قال : (لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال) رواه البخارى ، وقد روى أبو هريرة أيضا : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم — الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل) رواه أبو داود بإسناد صحيح .

ذلك أن الله تعالى خلق الناس من ذكر وانثى وأودع فى كل منهما من الصفات ما يجعله أهلا لتحمل مسؤولياته الخاصة به فى هذه الحياة ، وفى ارتداء أى منهما لباس الآخر تغيير لنفسه ومشاعره مما يعوقه عن القيام بالأعباء الحياتية التى خلقه الله تعالى لها . فيكون بذلك مفوتا على الأمة فردا نافعا طالما عملت على اعداده والعناية به ، ذلك أن لطريقة الانسان فى ملبسه ومأكله ومسكنه وحديثه .. أثرا فى نفسه وسلوكه ، هذا ما يراه ويشهد به العلماء المتخصصون فى الدراسات النفسية والاجتماعية بصرف النظر عن عظم أو صغر ذلك الأثر .

هذه هى أهم صفات وملامح الزى الاسلامى ما يتعلق منها بالملبس للرجل والمرأة ، رأينا كيف سلك الاسلام بها مسلك الأخذ بالحرية المقيدة بما يحفظ حرية الآخرين فى أمورهم المادية والمعنوية وكلى رجاء أن يتفهمها شبابنا وشاباتنا ويدركوا مغزاها العميق ويلتزموا بها محافظة منهم على استقلاليتهم وبعدا بهم عن التسكع على موائد أزياء الأجانب التى تأتينا كل يوم بجديد ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، يحمل فى طياته كل ما يكفى للقضاء على أخلاقنا وصمودنا ومثلنا ، وهو ما لم تستطع فعله سيوف الصليبيين وحروبهم التى امتدت قرونا .. « **فهل من مدكر ؟** » .

قصة العدد



العود محمود

للاستاذ / محمد رشدى عبيد

حجرة صغيرة ضمت رفيقين جمعهما طلب العلم فى ديار الغربة أما احدهما ، وهو حسن فكان رضى النفس ، جم الأدب ، حلو الحديث ، حسن المعاملة ، لطيف المعاشرة ، مؤمنا بالله تعالى أعمق ايمان واصدقه مواظبا على العبادات يؤديها بخشوع وشوق ، وكان يملك اضافة الى علمه الدينى ، ثقافة عصرية ، واطلاعا على العلوم الحديثة ، يتابع ما جد من أخبارها ، وما اكتشف من أسرارها ، ليزداد ايمانا الى ايمانه .

لقد وزع أوقات فراغه بين العبادة والتأمل ، وبين المطالعـــة ، ولقد كانت مطالعـــاته تشمل كـــل كتاب يعـــرض تيارا فكريا مستحدثا ولـــو لم يرقه ، وكل لون من الـــوان الثقافـــة ولو تضاد مع ما وقـــر عليه قلبه ، واشـــتملت عليه نفسه ، فأما غايته من الاطـــــلاع على النظـــم والآراء البشرية المستحدثة بعيدة عن هـــدى الله فهى معرفـــة عمق المنحدر السحيق الذى هوى اليه الفكر الانسانى ليقدر قيمة موقفه الفكرى الســـــامق ، لقد كان ينظر الى ضحالة المستنقع الوبىء ، ليتذوق عذوبة النبع الذى ورده ، ويرتوى من منهله الصافى حتى ينتشى ... استطاع الاستاذ حسن كما كان يلقبه زملاؤه بسيماه الذى تعلوه الهيبة ، ووجهه الروحانى المشع وحديثـــه الآسر ، ان يسيطر على القلوب ويجتذب اليه النفوس ، وما اكثر الشاردين الذين أعادهم الى حظيرة الحق ، حيث الروح .. والحياة الايمانية ، حيث سلامة التصور ونظافة القلب .. واطمئنان النفس وراحة الضمير .

اما رفيقه (سعيد) فكان بالرغم من رقة حاشيته ، وظرفه ، وبشاشته البادية على وجهه المستدير يبدو فى أحاديثه وآرائه ، وكانه يحمل اتجاها فكريا مناقضا لاتجاه صاحبه ، وكان الاستاذ (حسن) يملك موهبة غريبة فى معرفة الحالة النفسية التى يتصف بها كل من يقابله ويحادثه وذلك من خلال التدقيق والتفرس فى سيماوجوههم وحركاتهم والمواضيع التى يودون مباحثتها معه ، ولهذا فقد ساورته شكوك فى أن رفيقه (سعيد) يعانى من آلام نفسية تضطرم نيرانها بين جنبيه بالرغم من اجتهاده فى اخفائها عن صاحبه وكافة زملائه ، ثم يتيقن الاستاذ بان تهلل اسارير سعيد ، ودعاباته الكثيرة ، ما هى الا طلاء لامع لنفس متألمة منهدة البنيان ، وان مرحه المصطنع ما هو الا ستار يخفى تحته القلق الذى يعانيه ، وذلك حين رجع الى البيت فى يوم مشهود ، وما أن اقترب من الباب حتى سمع من داخل الحجرة انينا تحول الى بكاء مر . . استولت الدهشة على الاستاذ حسن وردد مع نفسه : الله . . انه سعيد . . . ولكن ماذا أصابه ؟ . . ما الذى احدث هذا الانقلاب المباغت فى شعوره . . ؟ وبادر الى طرق الباب طرقات قوية متتالية على غير عادته ـ كانت تعبر عن اللهفة والقلق اللذين يعتملان فى صدره اشفاقا على رفيقه . نهض (سعيد) بخطى متثاقلة ، وجفف من دموعه المنسابة على خديه ، ثم فتح باب الحجرة . . دخل الاستاذ واغلق الباب وراءه برفق ودون أن يحول نظراته المستغربة عن وجه رفيقه ، كانت ملامح سعيد لا تزال تنطق بالأسى ، وتعبر عن ما يجيش فى صدره من انفعالات حبيسة ، ولم يكن الأستاذ حسن قد أخذ مقعده من الأرض حين بادره الى السؤال عن سبب بكاء رفيقه ، قال :

ـ اخى ، لماذا كنت تبكى ؟ لقد كان عهدى بك ان اراك جذلانا ، تملأ جو الغرفة غناء ، ولا تكف عن دعاباتك الحلوة . . !!

أجاب سعيد بصوت ملؤه الشجن : انا لم يصبنى يا اخى اى عارض ، وانا لست الا ذلك المرح ، ولكن لأصارحك : انى أحس بإحساسات اليمة تدمر كيانى ، وتهد من قواى ، وتذيقنى مر العذاب . . كما أنى لا اشعر بالراحة الا اذا بكيت . . وليست هذه هى المرة الأولى التى أبكى فيها ، بل أننى قد لجأت الى الوسيلة كلما انتابتنى تلك المشاعر لاخفف من حدتها ، واطفىء نيرانها المستعرة التى تلهب وجدانى ، ولكنى أجتهدت أن اخفى عنك بكائى ، كى لا اقلق راحتك ، وانغص سعادتك .

الأستاذ مستغربا : وما نوع تلك الأحاسيس التى تعانى منها الى هذه الدرجة . . انك تعيش كما تحب وتهوى . . لا ينقصك المال . . أما الشهرة فأنت فى طريقك اليها . . أو هى فى طريقها اليك ، ثم انك لا تمنع عن نفسك اية شهوة ، ولا تكبت اية رغبة أو نزوة ، لانك لا تعترف بوجود رقابة خارجية عليك ، ولا تبالى بأعراف المجتمع أو مبادىء الأخلاق ، الست تدعى بأن الانسان وجود مستقل فعليه أن يسعى لتحقيق هذا الوجود ، وبحرية كاملة ، وبدون قيود أو حدود ؟ اليس الالم الذى تعانى منه قيدا يشل الطاقة الإنسانية ويحد النشاط البشرى ، فلماذا لا تحرر نفسك من عقابيله ؟ !

اجاب سعيد بصوت يائس : اخى حسن لو كانت تلك الآلام والمشاعر قيودا خارجية لتحررت منها ، ورميتها بعيدا عنى ، ولكنها تنبع من أعماق قلبى

وصميم وجدانى ، ولهذا فلا سبيل لي الى ازالتها ، ثم أردف بعد تنهدة عميقة : إنى لا أرى نور الأمل فى انكشاف مصابى ، وباعتقادى أن مأساتى ستر افقنى الى القبر ، ثم سأل مستعطفا :

ــ هل تسمح لى أن أسرد لك قصتى بشيء من التفصيل ، عسى أن أجد عندك الحل المرتجى لمشكلتى او اشعر بدفء اليقين فى رحاب قلبك الكبير الذى وسع آلام كثير من الناس وآمالهم ، وان لم يكن ذاك فقد أحس ببعض الارتياح ، واتذوق حظا من الانشراح عندما اجدك نشاركنى آلامى وتسرى عنى بعض ما أعانى .. ؟

الأستاذ : سأكون سعيدا اذا ما استطعت أن أقدم لك العون الذى تبغيه .. اننا معاشر المؤمنين نتقرب الى الله بتفريج كروب المصابين ، وادخال العزاء والسلوى الى قلوب المنكوبين ، ومسح الدموع المتحدرة من عيون البائسين ، واضاءة أسرجة الأمل فى أفئدة القانطين ، قل أسمع ، ولا تخف عنى شيئا من جوانب المشكلة واسرارها ومواردها ومصادرها عسى أن يوفقنى الله تعالى لحلها .. !!

سعيد : أخى لقد نشأت فى أسرة لا تؤمن الا بالعلم المادى ، ولا توقن بوجود شيء لا تقع عليه الحواس ، ان والدى يرفض وجود عالم الغيب ، انه يعتقد بان المصادفة هى التى خلقت الكون ، وان الانسان انما أصله حيوان بلغ هذه الدرجة من التطور والرقى بفعل عوامل الطبيعة ومتطلبات البيئة ، وهو يرى فى هذه الحياة الفرصة الوحيدة التى يملكها الانسان ثم يصير الى العدم ، ولهذا فانه ينتهب اللذات نهبا ، لا يبالى بدين أو خلق أو عرف ، وقد نشأنى على ما يعتقده ، وانسجمت مع هذه الأفكار ردحا من الزمن ، الا أن صوتا ما بدأ ينبعث من أعماق فؤادى ، لقد بدأ خافتا خفيضا ، لكنه لم يزل يعلو ويعلو وزادت الأوقات التى ينبعث فيها ، حتى انه اخذ يكدر صفو أوقاتى ، ويحرمنى التمتع المطمئن بملذاتى ، ولا يزال يطرق فكرى بتساؤلاته !

الأستاذ : وماذا يقول ذلك الصوت .. . ؟

سعيد : انه يقول : ان خالقا قد خلقك ، وخلق كل هذه العوالم البديعة ، ووضع فيها القوانين والنواميس الثابتة .. انه مصدر كل هذا التناسق والجمال والابداع فى المخلوقات .. كل مظاهر الوجود ونواميسه تدل على عظمته ، وحكمته ، وعدله ، ورحمته !!

تهلل وجه الأستاذ حسن فرحا وسرورا ، وشعر بسعادة غامرة ثم قال بلهجة الواثق من نفسه :

ــ انه صوت الايمان المحبوس .. انه نداء الفطرة التى استيقظت من غفوتها .. يأبى الله الا أن يتم نوره ، ويبين الآيات الدالة على وجوده فى الأنفس والآفاق .. انه ... موجود .. قاطعه سعيد بلطف قائلا :

ــ أخى أما وجوده فقد توصلت اليه بعد تجربة مريرة .. انه يتجلى فى كل شيء ، كل مظاهر العظمة والجمال توصل اليه ، الجبال السامقة التى تبهر الأنفاس ، الوديان العميقة التى تدهش المتطلعين ، أصوات الطيور الشجية ، انغام مظاهر الطبيعة المتناسقة جمال الطفولة وبراعتها المؤنسة ، عبق الأزهار وأريجها العاطر ، جمال الفجر الوليد ، حمرة الشفق وقت الأصيل ، همسات الأطياف السارية فى الليل ... أين المصادفة العمياء من كل هذا الجمال ، بل هو الله ... ولكن !!

الأستاذ : لكن ماذا يا أخي .. ؟

سعيد : ان هناك تناقضات تعتمل في فكري ، أشعر معها بعبثية الحياة، وانعدام الحكمة في بعض حوادثها بل انى لأشعر بالظلم البين في بعض وقائعها ، انى لأتساءل : لماذا يموت أحبائى وذوو قرباى ثم سأتبعهم أنا فى الطريق اللاحب الممتد ؟ أيعقل ان تنتهي بالموت حياة هذا الإنسان الذى لا يتشوق لشيء كما يتشوق للخلود ، ولا يحب أمرا كما يحب البقاء والأمتداد ؟ ما علة اختلاف الناس في الحظوظ الدنيوية التى وهبوها ؟ ما الحكمة من وجود الشر والمرض والألم ؟ هل من المعقول ان يستعلى الباطل ، ويضام اهل الخير ويسام الضعفاء الخسف ، ثم يذهب الكل ولا حساب ! ؟ انه ليقض مضجعى تمزق الأواصر بين الأفراد ، واضطرام نار البغض بين الطبقات ، وتفكك الروابط بين الشعوب ... لقد فقدت السلام النفس .. لقد ضقت بمشاعرى هذه .. إنى اريد ان أعيش عيشة سعيدة ولهذا فإني اغرق مشاعرى طورا في الملذات ، وطورا الجأ الى وسائل التخدير والتعمية .. فقط لكى أنسى نفسى .. ولكن بدون جدوى يا أخى .. لقد تعبت في الهرب والأختفاء وأسلمت قيادى للألم !

الأستاذ حسن : مهلا يا أخى ، اما الحقيقة الكبرى فقد توصلت اليها وأما تلك التناقضات التى تعتمل فى أفكارك فهى نفسها سوف تتمخض عن الايمان الوليد .. بل هى تباشير فجر العقيدة التى سوف تطمئن روحك المعذبة وتقر نفسك القلقة . وكانت علائم التطلع والأهتمام قد بدت ظاهرة على وجه سعيد .. ما اشد حاجته الى النور .. ما أعظم حاجته الى الزاد الروحى الذى حرم منه سنين طويلة !! واستطرد الأستاذ يقول :

ــ فأما وقد توصلت الى وجوده ، فما عليك الا ان توثق صلتك به ليمدك بالهدى واليقين ، ويمنحك سلامة الادراك ، وصفاء الفكر ، وراحة البال ، وأطمئنان الضمير اتعرف عليه من خلال كتابه الأخير للأنسانية (القرآن) الكتاب الذى لم تبل جدته السنون ، النبع الذى يفيض بالخير والنور ، انه وصفة ناجحة لجميع أمراض النفس والفكر والقلب ، فاذا ما حسنت صلتك بكتابه ، فقد حسنت صلتك به ، واذا ما تم ذلك فسيكون لك ربك السند المتين فى المحن ، سيملأ نفسك رضى ، ويشرح صدرك أملا .. ثم أردف :

ــ سأحل لك كل المشاكل فى ضوء القرآن بإذن الله ، فاسمع .

ــ نعم ..

ــ فأما رغبة الامتداد فى الانسان ونزعة البقاء والخلود فى نفسه فان كتاب الله سبحانه لم يهملها ، بل انه قد جعل الحياة فى الدار الآخرة هى الحياة الحقيقية التى سوف يحياها الأنسان ليكمل وجوده الناقص على الأرض ، وليشبع حاجته الى الخلود ، ويطمئنه على مصيره بعد الموت ، فما الموت الذى ترهبه الا معبر من حياة زائلة الى حياة باقية ، أو من قاعة امتحان الى حيث الدار التى تستعصى على الفناء وترفض العدم ، هناك يثاب المحسن ، ويعاقب المسيء ، وينال المؤمنون جزاء اتعابهم وتضحياتهم كاملة غير منقوصة ، وهناك ينتصف للمظلومين ممن ظلمهم ، ويدخل الطغاة والمتجبرون أشد العذاب . اسمع قوله تعالى « **اليوم تجزى كل نفس بما كسبت . لا ظلم اليوم** » .

فقر عينا وطب نفسا يا صاحبى اذا ما نزل الموت ، أو قربت أيامه فان الجنة قد تزينت وتجملت للقاء عباد الله الصالحين ، فاجتهد أن تكون منهم ، ولا عليك اذا من القدر المحتم اذا ما اتبعت الهدى وقصد السبيل ... هاك البشارة الألهية : « **ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** » .

سعيد : اذن فالدنيا دار بلاء وليست دار جزاء ووفاء .

الأستاذ : نعم . ولهذا فان الله سبحانه وتعالى لا يقيد ارادة البشر الحرة ، بل يدعهم وما يعملون حتى حين ، فهو إمهال وليس إهمالا ، والكل منظرون ليوم لا ريب فيه ! اسمع قوله تعالى : « **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** » .

سعيد : فما هى علة اختلاف الناس فى الحظوظ الدنيوية التى وهبوها ؟

الأستاذ : هناك نقطتان أحب بيانهما فى هذه الشبهة التى تتردد فى صدرك ، أولاهما ... انه يجب تطبيق الشريعة الالهية فى المجتمع الذى يجب أن يصل أو يصل اكثر افراده الى المستوى الذى ينسجم ويصلح ويتقبل المبادىء الاسلامية ، تلك الشريعة التى تعطى كل ذى حق حقه ، وتعدل كل العدل فى توزيع الخيرات والمنجزات ، وتضمن حقوق جميع الأفراد والطبقات ، ولكن حتى عند قيام ذلك المجتمع الصالح ، المتكافل ، المتساند ، فان التفاضل فى الرزق لا ينعدم ، ويبقى الأختلاف فى مقدار الحظوظ الممتلكة ، والطيبات المنالة والجاه المحرز ، تلك سنة من سنن الله لم تتبدل ولن تتبدل قال تعالى « **الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له** » ولكن سنثوب الى حكمة الله العليا مرة أخرى ونستشف طرفا منها فنقول : ان الله تعالى يبتلى عباده بالخير والشر : « **ونبلوكم بالشر والخير فتنة** » وذلك ليعلم مدى صبرهم ، ودرجة شكرهم ، وصلابة ايمانهم ، ان هناك بعض النفوس يطغيها الخير ، وبعضها يقسيها النعيم ، فتنسى الله وتحرم ذواتها من نعيم الآخرة ، ولهذا يتفضل الله تعالى على كل طائفة بقدر من متاع الدنيا يلائم حالتها ، ويناسب طبيعتها ، حتى لا تضل ولا تشقى .

كما أنه لا بد من وجود الاختلاف فى الثروة بين النشيط الدؤوب ، والمتعطل الكسول ... بين المقتصد فى انفاقه وصرفه ، والمسرف المبذر الذى ينفق ماله بغير حساب فيما ينفع ولا ينفع ... بين من جعل الآخرة أكبر همه فهو يقدم من ماله مهرا سخيا للجنة التى جعلها نصب عينيه ، والمقتر الذى لا يكاد يؤدى الحق المفروض فى حاله للسائل والمحروم .

سعيد : ولكن ما الحكمة من ابتلاء الله لاحبائه بالأمراض والآلام والمصائب بينما اعداؤه يسرحون ويمرحون فى الدنيا ، يتمتعون بطيبات الحياة ، لا يبالون بدين ولا يلتزمون بحد من حدود الله ؟

الأستاذ : اما احباؤه فانه يبتليهم ليكشف صدق دعواهم ، ويتحقق من نواياهم وهو أعلم بها ، ثم ان هذه الآلام والمحن التى تصيب المؤمنين لهى خير مفجر لينابيع الرحمة التى تفيض من قلوبهم على عباد الله المحرومين ، وهى اجدىوسيلة لتقوية اتصالهم بربهم ، وتحسين علاقتهم به وتخليص قلوبهم من التوجه لغير الله والتعلق بعرض من الأعراض الفانية ، انها اضافة الى ذلك سلسلة من التمرينات المتعبة التى تؤهل المتقين لدخول جنة الله الخالدة التى لا يستحق دخولها الا من طهرت نفسه ، وعظم صبره ، وهانت عنده التضحيات . أما اعداؤه الذين انحصرت هممهم فى نيل ثواب الدنيا ، وضاقت آمالهم فلم تتعد حدود الارض ، فلا بأس بالتفضل عليهم بشىء من النعيم الظاهرى الذى يتقلبون فيه .

سعيد : وماذا تقصد بظاهر النعيم .. ؟

الأستاذ : اقصد ان النعيم الحقيقى حتى فى هذه الدنيا ليس فى زينة الحياة وزخارفها . بل ان سعادة النفس ، وراحة الروح ، وطمأنينة الضمير لهى من أعلى اللذات وادومها . ان كثيرا من المؤمنين يعيشون فى حرمان من لذات الدنيا ولكنهم سعداء أكثر من أصحاب المال والجاه والنعيم وكما قال تعالى : « **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان ربك محظورا** » ولكن سوف يقال يوم القيامة للكافرين : « **أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون** » . أما المؤمنون فينالون جزاءهم الأوفى فى ذلك اليوم .

انك تنظر الى جزء من قصة الحياة الأنسانية وهى الحياة على الأرض .. لكن القصة لم تكمل بعد فلا يضق صدرك ، ولا تذهب نفسك حسرة ، أن الناقد الأدبى ليحكم بتراجيدية القصة اذا كانت نهايتها مؤلمة وغير عادلة .. لكننا لم نر نهاية قصة الوجود .. فهذا المصاب الذى تشفق عليه الآن ، وتتأثر لحاله ، قد تتمنى ان تكون فى محله فى الآخرة ، وانما العبرة بالخواتيم .

سعيد : فما هى الحكمة من اختلاف المؤمنين فى عظم المصاب . ومقدار البلاء ؟

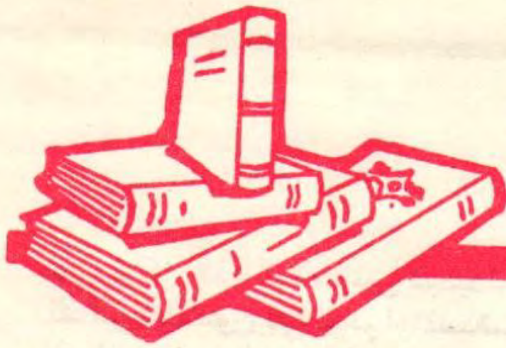
الأستاذ : ان عظم المصاب يتوقف على ايمان الشخص ، فكلما كان ايمانه راسخا زيد بلاؤه ليمس نفسه ، ويتأثر به كيانه ، وتدفعه شدة معاناته الى الأستنجاد بقوة الله والأسترشاد بهديه ، والتضرع على عتبة بابه ، والتبرؤ من الحول والقوة الأنسانية والالتجاء المطلق الى الله تعالى ، والتعرف على ضعف نفسه ، حتى لا يأخذه الغرور بسلطانه ، ويستغنى بقوة نفسه عن الاحتماء بقوة الله ، اما من ضعف ايمانه أووهنت نفسه ، فيبتلى بالقدر الذى تتحمله نفسه ، ويثبت له ايمانه . ولهذا ورد فى الحديث الشريف « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه » ولهذا فقد يتألم الأنسان لشخص ما أصابه بلاء شديد فى نظره وهو يستغرب فى تحمله

له ، ولكن هذا البلاء ليس شديدا على صاحبه الى تلك الدرجة الكبيرة ، كما ان الناس يختلفون فى نوعية المصائب التى يتأثرون بها فقد يتأثر أحدهم لموت ولده تأثرا بالغا ، بينما هو لا يتألم كثيرا لخسارة فادحة فى ماله وبالعكس ، كما انهم يختلفون فى درجة وحدة الشعور بالمصيبة والاحساس النفسى بوقعها ، لهذا كله فان المؤمن لا يسعه الا الرضا والتسليم بالحكمة الالهية فى اختيار عبيده بشتى أنواع المحن والابتلاءات والمصائب .

سعيد : لقد سكبت فى نفسى ايمانا راسخا ، لا تؤثر فى بنيانه الشبهات ولا تزعزعه المصائب ولكن شبهتى الأخيرة هى معرفة سر ما نرى فى العالم بأسره من الشر ، والاختلاف ، والتضاد ، والضغن ، والحروب والفتن ؟

الأستاذ : السر واضح ، والسبب بين ، عندما لا يكون للناس جميعا مرجع واحد يؤوبون اليه فى اختلافاتهم ، ويثوبون بفضله الى رشدهم ، ويتبينون بواسطته الحق من الباطل ، هذا المرجع الذى ينظر الى الجميع نظرة واحدة ، نظرة حب ورحمة وعدل ، ثم يشرع للجميع شرعة تكفل حقوق الجميع وتصلح حالهم ، وتساوى بينهم ، حينئذ — حين فقد الناس أو اعراضهم عن هذا المرجع — سيختلف الناس باختلاف مصالحهم ، فتتنوع اتجاهاتهم ، وتتباين آراؤهم ، وتتعدد قياداتهم تبعا لذلك ، فيخطط كل شخص لنفسه ، وكل طبقة لمصلحتها ، وكل شعب لمنافعه ، ويتدخل الهوى الانسانى ، والعقل الانسانى القاصر ، والعلم الانسانى الجزئى فى رسم النظم والمبادىء والمخططات الخاصة لكل منه ، فيقع التصادم بين مختلف الفئات ، فتسود الفوضى ، ويعم الاضطراب ، وتتقطع الأواصر ، وتوقد الحروب وتثار الفتن ، ويضرب الظلم أطنابه ، ان ما تراه من هذه المظاهر المؤلمة ليست الا من صنع الانسان الذى غفل عن ذكر الله ، وأعرض عن شرعه ، واتبع هواه ... سعيد : اذا ما أردنا سعادة نفوسنا ، وسلامة عقولنا ، وصلاح أحوالنا ، واستقرار مجتمعاتنا ... اذا ما رغبنا فى خير الانسان ، وعزمنا على تخليصه من آلامه وعذاباته المضنية ، وشفائه من أمراضه النفسية ، واشباع خوائه الروحى ، وحل مشاكله العقائدية .. اذا ما أردنا للانسانيةجمعاء الخير والسلام ، والتقدم والتحاب ، فلنعد الى الله ، لنعد الى شرعه ..

سعيد : أما أنا فسأعود اليه .. سأعود اليه .. سأبذل ما فى وسعى لابلاغ هذا الخير لكل انسان تجمعنى به علاقة قرابة أو صداقة أو زمالة .. ثم انى لا أنسى فضلك العميم لقد جعلك الله سببا لهدايتى .. وقاربا لنجاتى .. سأكون وفيا لك ما دمت .. وكان الأستاذ يردد فى نفسه الحديث النبوى الشريف « لأن يهدى بك الله رجلا واحدا خير لك من الدنيا ومافيها » ثم تمتم « الحمد لله » ..



كتاب الشهر

عالم الاسلام

تاليف الدكتور حسين مؤنس

عرض الاستاذ احسان صدقى العمد

كتاب « عالم الاسلام » الذى صدر مؤخرا للدكتور حسين مؤنس يعتبر بحق دراسة جديدة فى تكوين العالم الاسلامى وخصائص الجماعات الاسلامية . وتبرز أهميته للمكتبة العربية فى كونه محاولة رائدة فى ميدان التاريخ الاجتماعى الاسلامى الذى لا يزال ميدانا بكرا يستنهض همم الباحثين الجادين . وقد أحاط الكتاب فى صفحاته الستمائة بأهم الظواهر الاجتماعية العامة التى اشتركت فيها كل المجتمعات الاسلامية خلال العصور الوسطى . فكان ذلك كما يقول المؤلف بمثابة مقدمة أو مدخل للتاريخ الاجتماعى لبلاد الاسلام .

والمؤلف الذى يعمل حاليا أستاذا للتاريخ الاسلامى فى جامعة الكويت، علم معروف فى الاوساط العلمية والعربية والدولية ، وله باع طويل وجهود مشكورة فى ميدان التعليم الجامعى وفى ميادين البحث والتأليف والترجمة والتحقيق والنشر فى كل ما يتعلق بتاريخ الاسلام والمسلمين .

وكتابه الجديد « عالم الاسلام » يمتاز كغيره من مؤلفاته وأعماله بجدية البحث والرصانة ، العلمية ، وقد تمكن المؤلف بثقافته الواسعة واشرافة منظوره التاريخى ودقته المعروفة فى الملاحظة والتحليل والاستنتاج من الوصول الى كثير من المعلومات القيمة التى تغلب عليها

الجدة والموضوعيـــة . واذا كـــان المستشرق الالمانى ادم ميتز (ت١٩١٧) قد تطرق الى بعض ظواهر المجتمـــع الاسلامى فى كتابه « نهضة الاسلام » الذى نقله الاستاذ الدكتور محمـــد عبد الهادى أبو ريده بعنوان الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى، فان دراسة ميتز برغـــم أهميتهـــا وريادتها لم تشمل دراسة الظواهر الاجتماعية الاسلامية فى جميع بـــلاد الاسلام منذ نشأتها وحتى بدايـــة النهضة الاسلامية الحديثة كما فعـــل الاستاذ مؤنس ، فضلا عن الـــروح والمنظور الاسلامى الذى نحســـه بوضوح فى كتابه « عالم الاســـلام »

ضم هذا الكتاب فى دفتيه ستـــة فصول ، والحق المؤلف بكل منها قائمة بالمراجع الخاصة به مما يفتح آفاقـــا لطالب التوسع فى أى بحث من مباحث الكتاب .

وجاء الفصل الأول تعريفا موجزا بعالم الاسلام كمدخل لا بد منه لتحليل بناء المجتمع الاسلامى وتبيان ملامحه المميزة . وسلط فيه ضوءا كاشـــفا قويا على قيام الجماعة الاسلامية فى المدينة المنورة ، والأسس الاجتماعية التى أقامها الرسول صلى الله عليه وسلم عليها ، والتطور السريع الذى شهدته الجماعة الاســـلامية بعـــد الرسول . وخلص الـــى أن هـــذه الجماعة والدولة الاسلامية كانتـــا شيئا واحدا حتى انتهـــاء خلافـــة عمر بن الخطاب بسبب سير الاثنتين على قانون أخلاقى واحد والتزامهمـــا مبادىء الاسلام . وبعد ذلك شـــهد التاريخ الاسلامى بداية الانفصال بين الجانبين ، وتجلت هذه الظاهرة فى أوضح صورها زمن الدولة الأموية ، ثم استمرت ظاهرة الانفصال هـــذه بعد ذلك ، وأخذ البون بين الجماعة الاسلامية والدولة يتسع حتى أصبحنا نجد اليوم فى كل المجتمعات الاسلامية كيانين متميزين هما الجماعة والدولة. ويقرر المؤلف أن هذه الظاهرة هـــى التى جعلت المجتمعات الاسلاميـــة تنظم نفسها بنفسها دون الاعتمـــاد على الحكومات ، الامر الذى يجعـــل التاريخ الحقيقى للأمة الاسلامية هو تاريخ الجماعات التى تكونت منها . وتناول الفصل باسهاب ظاهـــرة انتشار الاسلام وأكد أن الفتـــوح الاسلامية انما فرضت لكسر الحواجز المادية التى تقف فى وجه الدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنـــة والقدوة الصالحة .

ويقول الأستاذ حسين مؤنس فى هذا الصدد أيضا إن جانبا كبيرا من الفضل فى نشر الاسلام يعود الـــى قوة هذا الدين الذاتية وفضائلـــه وسلامة مبادئه ، وان هذه القـــوة والمبادىء هى الســـر فى اجتيـــاز الجماعات الاسلامية للاخطار الكبيرة التى تهددت وجودها . وتحدث فـــى هذا المجال عن مدى انتشار الاسلام فى أوروبا والامريكتين وأفريقيـــا ، ولكنه حذر فى نفس الوقت مـــن سياسات الدول الافريقية الحديثـــة التى تضع العراقيل فى سبيل انتشار الاسلام ، ودعـــا الى ازالة هـــذه العراقيل مؤكدا أن الاحصائيات التى تنشر عن عدد المسلمين غير صحيحة وأن عددهم يصل اليوم الى حوالـــى سبعمائة مليون مسلم .

وتناول المؤلف فى الفصل الثانـــى قيام الجماعة الاسلامية الاولى فـــى المدينة المنورة ، والأسس القانونيـــة والاخلاقية والحضارية التى بنيـــت عليها باعتبار أن هذه الجماعة ظلـــت المثل الأعلى الذى تتطلع اليه جميـــع الجماعات الاسلاميـــة فيما بعـــد . وأشار الى الخطوات المدروسة التى قام بها الرسول الكريم لتنظيم الجماعة الاسلامية الاولى وعلاقاتها بسكـــان المدينة والمقيمين فيها والوافديـــن

عليها . وتقدم الدكتور مؤنس فى هذا الفصل دراسة جديدة ورائدة لدستور المدينة الذى يتمثل فى الكتاب الذى كتبه الرسول بين المهاجرين والانصار ومن انضم اليهم من سكان المدينة ، وبين اهمية هذا الكتاب كوثيقة دستورية من الطراز الاول وصدورها عن التفكير القانونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصه على ابراز حقوق الجماعة وواجباتها فى اتفاق حر واضح باعتبار أن الحرية كانت اساس الحياة فى الجماعة التى كانت تضم رجالا احرارا ذوى اعتزاز بدينهم وجماعتهم واشخاصهم . والى هذا الاعتزاز كما يقول الأستاذ مؤنس ترجع الانتصارات التى كسبوها فى ميادين الشرف والجهاد والحكم والادارة . وقدم المؤلف بعد ذلك صورة عامة للمجتمع الاسلامى وملامحه البارزة كما بدت فى ايجابياتها وسلبية غير المشرف منها .

ووقف طويلا عند الاخيرة بالتحليل والكشف عن الاسباب ، واوضح أن تلك النواحى ترجع لظروف قاسية ألمت بالمجتمعات الاسلامية فى العصور الوسطى وبخاصة المتأخرة منها ، وذهب الى أن هذه الظروف هى التى جعلت الناس فى تلك العصور يتصرفون بطريقة بعيدة عن مألوف ما عهد منهم باعتبار أن تدهور الظروف حول الانسان يؤدى الى انحطاط فى مستوى تفكيره وردود الفعل التى تصدر عنه . وابرز فى هذا الفصل ست عشرة ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية لدى المسلمين فى العصور الوسطى ، اهمها غلبة الروح الجماعية وعدم وجود طبقات متمايزة فى المجتمع وتأكد الانفصال بين الحكومات القائمة وجماهير الأمة ، وقلة حماس الناس للاشتراك فى جيوش الدول ومبادرة المجاهدين الى التطوع من أنفسهم لحماية ديار الاسلام والذود عنها ، فقويت روح الاعتماد على النفس عند الجماعات الاسلامية ، ووجدت الجماهير سبيلها الى النفوذ والاحترام عن طريق الدين والعلم الامر الذى جعل الفقهاء وأهل العلم يصلون الى مراكز القوة ويصبحون فى نظر الجماهير رؤساء الناس وشيوخ المجتمع ، وتطرق المؤلف بعد ذلك الى قطاعى المدن والريف فى المجتمع الاسلامى فى العصور الوسطى ، وكيف استطاع الفلاحون القيام بمسؤولياتهم كاملة تجاه المجتمع باعتبارهم عماده الاقتصادى ، أما الاضمحلال الذى اصاب معظم المدن الاسلامية فعزاه المؤلف الى غياب الهيئات البلدية المسؤولة عن المرافق والمنشآت العامة ومواجهة الاخطار التى تهددها وخالف بذلك رأى العلامة ابن خلدون فى خراب الأمصار القائم على القانون الطبيعى لنمو الاشياء وهرمها وفنائها . ويرى المؤلف أن المجتمعات الاسلامية استطاعت النجاة بنفسها برغم كل الظروف والاخطار بفضل نظام الأسرة الاسلامية المتماسك فى الاسلام . وافرد المؤلف فصلا مستقلا عن الاحوال الاقتصادية فى بلاد المسلمين ، وتحدث عن النشاط البرى والبحرى للشعوب الاسلامية ولاحظ ارتفاع نسبة التجار من عرب الجنوب والخليج العربى وكيف كان هؤلاء يفضلون لدى هجرتهم من الجزيرة الموانىء والمراكز التجارية حيث نجحوا فى تكوين الثروات والبيوت التجارية . واشار الى مراكز التجارة وطرقها ومعاملاتها المالية والى الدور الذى لعبه اليهود والنصارى فى هذا المجال بفضل روح التسامح التى سادت العالم الاسلامى الذى كان له الفضل فى انقاذ اليهود من الفناء فى العصور الوسطى ، وكيف تنكروا فيما بعد للمسلمين وفضلهم . واكد على ارتباط الازدهار الاقتصادى بتوفر الأمن ومستوى

نظام الحكم ، وان هبوط هذا المستوى وطمع الحكام في ابتزاز ما في أيدى الناس من الاموال ادى الى أنهيار الاقتصاد الاسلامي بكافة أشكاله .

وخصص المؤلف فصلا آخر للفنون التي ابدع المسلمون فيها كالعمارة والنحت والتصوير والموسيقى والقصص الشعبي وخيال الظل ، واكد أن الفنون ظاهره انسانية عامة لا علاقة لها بالترف كما ذهب ابن خلدون ووقف وقفة طويلة عند الموسيقى والغناء وموقف الفقهاء منها ، ورأى أن السماع الذى كرهه أهل الفقه هو ما كان يجرى في قصور المترفين وفى دور اللهو والحانات . وأكد أن الموسيقى والغناء لم يستنكرا لذاتهما بل لما رافقهما وانه لا حرج في السماع للنغم الجميل النبيل الذى يعزف للسمو بالنفس الى المعانى العالية أو الغناء الذى يتضمن معانى العفة والكرامة والوطنية ، ويؤدى الى حشمة ووقار .

واختتم المؤلف كتابه بالحديث عن عصور الركود الاسلامية التى تغطى الفترة الواقعة بين القرنين الرابع عشر والثامن عشر للميلاد . وأوضح ان الدول الاسلامية التى ظهرت خلال هذه الفترة برغم ما قامت به من جهود مشكورة في رد العدوان الاوروبى عن اجزاء واسعة من العالم الاسلامى ، الا أنها لم تترك آثارا باقية في اصلاح شعوبها أو النهوض بمستواها الفكرى على غرار ما فعلت الدول الاوروبية المعاصرة لها ولاحظ أن الجماعات الاسلامية جميعا تدهورت حالها وسادها الفقر وأخلاقه المتمثلة في سقوط الهمم وفساد الاخلاق وتفشى الجهل والمرض وضياع المستويات والمعايير وقد صور المؤلف الآثار المترتبة على أخلاق الفقر أصدق تصوير حين قال : « ان المجتمعات الى تسودها نفسية الفقر تجد الناس جميعا يتخلقون بأخلاق الجياع حتى الحاكم وصاحب الأمر تراه ينهب ويعتدى دون حياء لأنه وان لم يكن فقيرا الا انه تسيطر عليه روح الفقر وأخلاقه كما لاحظ أن الحكومات التى عرفتها عصور الركود الاسلامية كانت طرازا واحدا سيئا من الاستبداد والظلم والافلاس المالى والعجز العسكرى . وقرر أن السبب الرئيسى لقيام هذه الظاهرة يعود الى تبنى نظام الحكم المطلق الذى أسقط الجماهير من حسابه ولم ينتفع بقاعدة الشورى الاسلامية في كل ما يتصل بمصالح الأمة ، في وقت كانت فيه الدول الاوروبية المعاصرة تزيد من اهتمامها واعتمادها على شعوبها . لكن المؤلف المنصف لاحظ أن الركود السياسى والاقتصادى والعسكرى الذى ساد العالم الاسلامى لم يشمل الناحية الفكرية ، اذ شهدت تلك العصور نشاطا فكريا له ملامحه المميزة . وأنجبت كبار الموسوعيين كالنويرى وابن فضل الله العمرى والقلقشندى وابن تيمية وابن خلدون والمقريزى والعينى وابن تغرى بردى وابن حجر والسخاوى والزبيدى والجبرتى وغيرهم كثير . وعزا هذه الظاهرة الى حيوية الفكر العربى لارتباطه بالاسلام وقيمه الثقافية والاجتماعية الخالدة .

وكان المؤلف يود أن يختم كتابه عالم الاسلام بفصل ضاف عن النهضة الاسلامية الراهنة التى أعقبت عصور الركود ، ولكنه لم يفعل لأن الحديث عن عصر النهضة طويل ومتشعب يحتاج الى كتاب لا فصل ، وكان الأستاذ مؤنس قد تناول هذا الموضوع من قبل في كتابه « الشرق الاسلامى في العصر الحديث » الذى يعيد الآن النظر فيه ليعالج عصر النهضة بشكل أوفى واكمل .

أمد الله في عمره ونفعنا بالمزيد من أبحاثه وعلمه .

محمد الطاهر بن عاشور

شيخ جامع الزيتونة الأعظم في تونس

للأستاذ : انور الجندى

فى خلال عام ١٣٩٣ الهجرى ودع عالمنا امام جليل عرفته دوائر الفكر الاسلامى منذ اكثر من سبعين عاما عاملا ناهضا محققا كان فى بدء حياته الفكرية على موعد مع لقاء الامام محمد عبده فى تونس عندما زارها فى رجب ١٣٢١ (الموافق ١٩٠٣) ومنذ ذلك الوقت الى ان وورى التراب وهو عامل على النهج ، سائر على الطريق ، كقائد من قادة حركة اليقظة الاسلامية لم يتخلف ولم يتوقف بالرغم من طول الطريق وارتفاع السن وتعقد المشاكل وتعدد القضايا .

يقول نجله العلامة (محمد الفاضل ابن عاشور) في تأريخه للحركة الفكرية الاسلامية في تونس : « انه كان أكثر الناس التفافا حول الامام محمد عبده والتحاما به مدة اقامته بتونس وكان رفيقاه من رجال الخلدونية الشيخ سالم أبو حاجب والشيخ محمد النخلي وكان ثلاثتهم من العاملين في تأييد الفكرة الاصلاحية ويقول الفاضل في تصوير دور والده (الطاهر) رحمة الله عليهما : « والشيخ محمد الطاهر بن عاشور يومئذ شاب في الرابعة والعشرين يعد أبرز مدرسي الجامع شبابا وذكاء وعلما وأدبا وأسبقهم الى اتباع أستاذيه الشيخ سالم أبو حاجب والشيخ محمد النخلي في تأييد الفكرة الاصلاحية فكان من أنصار الجمعية الخلدونية ومن أعضاء مجلس ادارتها وكانت محبة الطلبة الزيتونيين فيه بالغة مبلغا عظيما » .

« واقامت الخلدونية مجمعا عاما القى فيه الاستاذ الامام محاضرته القيمة عن (العلم وطرق التعليم) فكانت تأكيدا وتقوية للحركة الاصلاحية وأصبحت أساس العمل لحركة الاصلاح الزيتوني وقد نشرتها جريدة الحاضرة تباعا ونقلتها عنها المؤيد والمنار وثمرات الفنون » .

تلك هي صورة هذا العلامة منذ ذلك الوقت البعيد قبل سبعين عاما على وجه التقريب وقد قص طرفا من حياته وجهاده في كتابه (اليس الصبح بقريب) الذي صدر عام ١٩٦٠ فأشار الى انه حصل على شهادة التطويع عام ١٣١٧ هـ وأنه شارك في تأسيس الجمعية الخلدونية ١٣١٤ وكان الشيخ محمد بن الخوجة هو شيخ الاسلام في عهد تلمذته . كما أشار الى أن جمعية قدماء المدرسة الصادقية تأسست عام ١٣٢٤ برئاسة (خير الدين بن مصطفى) وأنه شارك فيها مع عبد الرحمن الكعاك والطيب ابن عيسى والصادق النيفر وبلحسن النجار ومحمد بن الصادق بن القاضي ومحمد الخضر بن الحسين ثم رأس هذه الجمعية بعد ذلك بقليل .

وقد جاء هذا العمل كله في دائرة اللقاء بالشيخ محمد عبده سابقا له وتابعا بعد سفره وقد أكد هو هذا الاتصال في كتابه (اليس الصبح بقريب) حين قال : (في عام ١٣٢٠ (١) هـ صادف ورود الاستاذ الشيخ محمد عبده الى تونس والافكار قد نضجت من الخوض في هاته المسائل ومطالعتها (يقصد دراسة العلوم الاسلامية) فاشرأبت الأعناق الى سماع رأى زعيم النهضة المصرية وما كان الا أن سمعوا عنه خطابه الذى القاه في قاعة الخلدونية وحضره مئات من أهل العلم فأنحى فيه على الحالة المتبعة عندنا وعندهم بما كان سببا لفتح ما بقي مغمضا من عيون الغافلين ولذلك أغضب عليه كافة الجامدين من أهل العلم الا انهم اعترفوا بوجود خلل في التعليم بألسنتهم وبما كتبوه ومن أهم ذلك وأصرحه ما كتبه محمد النجار المفتى المالكى في رمضان ١٣٢١ هـ) .

وقد تضمن خطاب الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده توجيها صالحا للمسلمين في البلاد المحتلة والمستعمرة وهو الاتجاه الى العلم وترك السياسة حتى ينفسح السبيل أمام المسلمين إلى التماس النهضة الحقيقية .

وقال الاستاذ محمد عبده فى خطابه : ان معنى العلم الحقيقى الذى اثنى الله عليه وميز به المهتدين من الضالين هو الكشف عن الأمر الحقيقى بمعنى اذا أراد أن يميلك عنه مميل لا يقدر على ذلك ، كمن عرف طريقا موصلة الى غاية فلا يعدل عنها مهما حاول مضله فلا يكون العلم حقيقيا ولا تنبعث النفس الى تحصيله الا اذا كان كذلك بالنسبة الى الغاية المطلوبة منه » .

وقد دعا الشيخ محمد عبده علماء تونس الى الأخذ بأشياء ثلاثة : **اولا** : الجد فى تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طريقها القريبة .
ثانيا : الجد فى الكسب وعمران البلاد من الطرق المشروعة الشريفة مع الاقتصاد فى المعيشة .
ثالثا : مسالة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وبهذا الأمر يتم لهم كل ما يريدون من مساعدة الحكومة لهم » .

وقد أشارت جريدة الطان الفرنسية بعد ذلك الى أن فى تونس طائفة معتدلة تعمل لترقية المسلمين فى العلوم والمدنية مع المحافظة على دين الاسلام وأهلها يتبعون التعاليم التى كان يلقيها فى مصر الشيخ محمد عبده والتى تنشر فى مجلة المنار .

— ٢ —

اما علامتنا المرحوم (محمد الطاهر ابن عاشور) فقد تابع طريق (مدرسة المنار) فى العلم من ناحية وظاهر الاستاذ الشيخ محمد عبده فى كل معاركه بعد ذلك وفى مقدمتها ما أثير حول (مسالة الفتوى الترنسفالية) فى أواخر عام ١٣٢١ هـ وهى التى تتعلق باباحة لبس القبعة وأكل ذبائح اهل الكتاب .

وكانت القضية قد أثيرت فى مصر غير أن الشيخ الطاهر فى تونس لم يلبث أن أعد رسالة فقهية مدعمة بالأدلة على المذهب المالكى لتأييد مفتى الديار المصرية فى هذا الامر نشرت يومئذ منسوبة الى عالم تونسى ثم أشار صاحب المنار من بعد انها للشيخ ابن عاشور .

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فقد نمى الشيخ الطاهر مفاهيم العلم ومناهجه وشرع يكتب فى المجلات الاسلامية حول تجديد الدراسات الاسلامية واصلاح التعليم الاسلامى وفى احدى دراساته التى نشرتها مجلة السعادة العظمى يدعو الى (اقامة نبراس مبين بين يدى الباحثين يكون متحفظا فيه من عواطف الأهواء والشبهات) فهو يرى ضرورة قيام التناظر والبحث دون أن يكون ذلك محفوفا بتعصب أو اضطهاد . كذلك فهو يدعو الى شجب الحجر على الرأى لأن ذلك (يكون منذرا بسوء مصير الأمة ودليلا على أنها قد أوجست فى نفسها خيفة من خلاف المخالفين وجدل المجادلين) .

فهو ينهى عن أمرين : ضيق فى الأفكار وتصور عن اقامة الحق . ويرى أن قيد الاستعباد اذا خالط نفوس أمة كان سقوطها أسرع من هوى الحجر الصلد » . ولقد امتد هذا الفهم وهذا النضال من أجل تحرير مناهج الدراسات الاسلامية والتعليم طوال حياة مترجمنا الذى مد الله له فى العمر فتوفى فى الثالثة والتسعين بعد حياة حافلة تقلد فيها مختلف المناصب الاسلامية الكبرى وكان آخرها شيخ جامع الزيتونة الأعظم فى تونس .

وقد شارك خلال حياته الفكرية

الطويلة فى مختلف المسائل والقضايا التى تناثرت فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى ولكنه كان حريصا على أمرين كبيرين .

(الأول) : اصلاح التعليم الاسلامى وقد أورد فى كتابه (اليس الصبح بقريب) دراسة تاريخية مطولة لما قام به فى ذلك ولما شارك به من جهاد ونضال ومعارك فى سبيل اصلاح التعليم الاسلامى منذ عام ١٣٢١ هجرية حتى السنوات القريبة قبل وفاته بقليل . يقول :

(قد كان حدا بى حادى الآمال وأملى على ضميرى منذ عام (واحد وعشرين وثلاثمائة والف) للتفكير فى طريق اصلاح تعليمنا العربى الاسلامى الذى اشعرتنى مدة مزاولته متعلما ومعلما بوافر حاجته الى الاصلاح الواسع النطاق فعقدت عزمى على تحرير كتاب فى الدعوة الى ذلك وبيان أسبابه) ثم أشار الى أنه لم يدع فرصة خلال هذه السنوات السبعين الى اصلاح التعليم الا انتهزها وقدم فيها مقترحاته الضافية وقد اتخذ من نفسه مثالا لمناهج التعليم التقليدية التى لو أزيحت لحققت الكثير له يقول : « انى على يقين اننى لو اتيح لى فى فجر الشباب التشبع من قواعد نظام التعليم والتوجيه لاقتصدت كثيرا من مواهبى ولاكتسبت جما من المعرفة ولسلمت من التطوح فى طرائق تبين لى بعد حين الارتداد عنها مع انى اشكر ما منحت به من ارشاد قيم من الوالد والجد من نصحاء الاساتذة » .

وفى جولة واسعة وعميقة وثرية بالتجربة والخبرة يكشف عن أسباب تأخر العلوم الاسلامية ويلخصها فى عبارة مضيئة هى :

« وجود مسائل لا حاجة اليها وإهمال مسائل وعلوم مهمة أو أن شئت فقل « الزيادة والنقصان » . ويفسر ذلك فى قوله :

خطأ تعليم ما يفشل عزائم النفوس مثل تعاليم الزهد الغالى وتعليم الحيل والمغالطات ومساوىء الأخلاق .

كذلك يشير الى خطأ الاعجاب الى درجة التعصب بآراء المتقدمين كيف كانت وتنزيهها عن الخطأ «فانحصر العلم فى نقل واحد عن آخر وربما وجدت فى التآليف نقل قولين متجانبين وهما متضادان من غير أن يبحث المؤلف فى صحة أحدهما » .

(الثانى) تأكيد عظمة الشريعة الاسلامية والكشف عن ميزات النظام الاجتماعى فى الاسلام : وذلك فى كتابه الذى صدر فى السنوات الأخيرة من حياته تحت عنوان (أصول النظام الاجتماعى فى الاسلام) وقد تحدث فيه عن علاقة دين الاسلام بالمدنية وتأثيره فى ارتقاء الأمة وذلك بالكشف عن تاريخ الأمة كما كانت زمن ظهوره .

ويرى أن أصول النظام الاجتماعى فى الاسلام تقوم على (ضبط) حالة المسلمين فى مجتمعهم عن طريق اصلاح الأفراد والاصلاح الاجتماعى .

فهو يرى أن الاسلام دين الفطرة ودين الاعتدال والتوسط ودين السماحة وان (كل هذه الخاصيات نابعة من ميزة الاسلام الكبرى وهى أن هذا الدين دولة لأن دعوة الاسلام تخالف ما سبقها مخالفة بينة من جهة كونه دينا عاما حيث استعد البشر الى قبول دين عام ومن جهة امتزاج الدين مع الشريعة بما يضبط للأمة أحوال نظامها الاجتماعى فى تصاريف الحياة كلها مكملة للنظام الدينى الذى هيأ

أفراد الحياة للاتحاد والمعاصرة .
كما يشير الى أن هناك خصلتين أساء الجمهور فهمهما : هما التوكل والرضى بالقضاء والقدر وقد كشف عن عظمة مفهوم الاسلام فيهما . ثم خلص الي ضرورة قيام (الجامعة الاسلامية) مبينا طرافة الاسلام الذى جعل جامعة الدين هى الجامعة الحقة للمسلمين والغى ما عداها من الجوامع فاعتبرها جوامع فرعية ما لم تعتمد على الجامعة الكبرى وقال (ان هذه الجامعة الاسلامية لا تعادلها جامعة أخرى لأن جوامع الأنساب والمواطن جوامع اصطلاحية قاصرة » .

— ٣ —

من خلال دراسة نتاج العلامة محمد الطاهر بن عاشور وآثاره فى الحركة الفكرية الاسلامية عامة والتونسية خاصة وأثره فى الجامعة الزيتونية والتعليم الاسلامى ودراسته للنظام الاجتماعى الاسلامى ودفاعه عن مفهوم الاسلام الكامل الجامع دينا ونظام مجتمع على النحو الذى تتسم به كل آثاره وخاصة كتابه الذى رد فيه على ما كتبه (على عبد الرازق) عن الخلافة وأصول الحكم وهو من خير الدراسات التى واجهت أهداف هذا الكاتب ومن تابعه فى محاولة انتقاص مفهوم الاسلام ومنهجه الجامع للاسلام دينا ودولة . أقول من خلال هذه الآثار كلها ومن خلال ذلك العمر المديد العريض الذى لم يتوقف فيه هذا العلامة عن العمل وارتباطه الواضح بحركة اليقظة الاسلامية من مصادرها الأولى ومنابعها منذ دعا بها الامام محمد بن عبد الوهاب وتابعه عليها المصلحون المسلمون نجدنا قادرين على ابراز مكانة هذا العلامة بين أهل جيله وقومه من ناحية وبين دعاة الاسلام البارزين من ناحية أخرى .

أما فى تونس فهو من أبرز ذلك الرعيل الذى عرف فيه عبد العزيز الثعالبى ومحمد الخضر حسين والصادق النيفر وهم صفوة المجاهدين فى الحقل الاسلامى والذين تابعوا مدرسة المنار حين اتجهت غربا واتصلت بقادة النهضة فى الجزائر من أمثال عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الابراهيمى واحمد توفيق المدنى ومبارك الميلى وغيرهم وكذلك اتصالها بنهضة الاسلام فى المغرب ومن العاملين لها محمد العربى العلوى ومحمد بن كنون وشعيب الدكالى وتابعهم على الطريق العلامة علال الفاسى وصفوة من العاملين .

هذا فى الجناح المغربى أما فى المشرق فقد كان على طريقهم عبد الرازق البيطار وجمال الدين القاسمى فى دمشق ومحمد رشيد رضا فى مصر ونعمان أبو الثناء الالوسى فى العراق فهي مدرسة ممدودة متصلة مترابطة تسير فى طريق واضح هو نفس الطريق الذى سار فيه الامامان الجليلان : احمد بن حنبل وابن تيمية .

واذا كان لم يتح لنا أن نلتقي بهذا العلامة الكبير فقد رأينا ثمرة غرسه فى ابنه النابغ الذى قضى مسرعا محمد الفاضل بن عاشور ، ذلك النموذج الطيب الكريم الجامع بين علم الاسلام وعلم الغرب ولغته من حيث هذا كله فى خدمة الاسلام رحم الله العلمين الجليلين وكتب لهما منازل الصديقين .

---

(١) أشار الشيخ رشيد رضا فى المنار وفى كتابه عن الاستاذ الامام أن ذلك كان صيف ١٣٢١ هـ ..



اعداد الاستاذ عبد الستار محمد فيض

مكتبة المجلة

الحرية السياسية .. اولا
للدكتور احمد شوقى الفنجرى



كتاب يقارب التسعين صفحة ، يبحث بايجاز دقيق مفهوم الحرية السياسية ، ويتناول بأسلوب شيق سلس العلاقة بين الحاكم المحكوم ، وحق الرعية فى حكم نفسها بنفسها ، والمبادىء والقواعد التى نادت بها الأديان السماوية والمذاهب الوضعية ونصت عليها الدساتير الحديثة ، كما أنه يتعرض الى الاسباب التى ادت الى تخلف أمتنا عن ركب الحضارة ، وكذلك أسباب فشل الديمقراطية فى عالمنا العربى ، ثم أخيرا يرسم لنا المؤلف الطريق السليم الى الحرية السليمة وذلك بالعودة الى روح الاسلام وتعاليمه النبيلة التى تنادى بالتراحم والتعاون والعدل والمساواة .

والكتاب من نشر دار القلم ص.ب(٢٠١٤٦) الكويت .

لمحات فى الثقافة الاسلامية
للأستاذ عمر عوده الخطيب

كتاب يرمى الى تزويدنا بثقافة نافعة عن اسلامنا ، تؤدى الى ترسيخ مبادئه والايمان بمثله ، وفهم نظمه ، ورد الشبهات عنه ، واحباط المكائد التى تحاك ضده من أعدائه وبخاصة فى المضمار الفكرى والثقافى — وهو يزود العقل بالحقيقة الناصعة عن هذا الدين وسط ضباب كثيف من أباطيل الخصوم ، ويربى فيه ملكة النقد الصحيح التى تقوم المبادىء والنظم والمذاهب التقويم السليم .

والكتاب يحتوى على ستة فصول تشمل كل مدلولات الثقافة . منها الثقافة والمجتمع ، والثقافة والحضارة ، وركائز الثقافة الاسلامية وخصائصها والقوى المعادية لها ، والاستشراق والثقافة . وغير ذلك مما احتواه الكتاب المذكور الذى يقع فى (٣٨٠) صفحة ومن نشر الشركة المتحدة للتوزيع ص ب (٧٤٦٠) بيروت — لبنان .

الفتاوى

وجهت هذه الاسئلة الى فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل فاجاب عليها بما يلى :

هجر القرآن

السؤال :

ما تقولون فيمن يهجر القرآن العظيم وهو ممن يحسن القراءة ويعد نفسه من الكتاب هل عليه اثم بذلك .. ؟

الاجابة :

أولا ينبغى أن نعرف معنى الهجر ، فهجر القرآن ذكره الله تعالى فى كتابه بقوله : « **وقال الرسول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا** » .. قال ابن كثير : وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون الى القرآن ولا يستمعون اليه كما قال تعالى عنهم : « **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه** » فكانوا اذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام بغيره فهذا من هجرانه ، وترك الايمان به وترك تصديقه من هجرانه ، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه ، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه ، والعدول عنه الى غيره

من شعر أو قول أو غناء أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه ، وقال ابن القيم رحمه الله فى الفوائد : هجر القرآن أنواع :

أحدها : هجر سماعه والايمان به والاصغاء اليه .

الثانى : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وان قرأه وآمن به .

الثالث : هجر حكمه والتحاكم اليه فى أصول الدين وفروعه .

الرابع : هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به سبحانه وتعالى .

الخامس : هجر الاستشفاء والتداوى به من جميع أمراض القلوب وأدوائها ، وكل هذا داخل فى قوله تعالى : « **وقال الرسول يا رب أن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا** » وان كان بعض الهجر أهون من بعض . انتهى .

فهذا كلام أهل العلم فى معنى هجر القرآن ، وأما ما ذكروه فى آداب قراءة القرآن فقالوا : يسن ختمه فى كل أسبوع . يعنى فى سائر السنة قال عبد الله بن الامام أحمد كان أبى يختم القرآن فى كل أسبوع وذلك لقول النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو « اقرأ القرآن فى كل أسبوع » رواه أبو داود .

ويكره تأخير ختم القرآن فوق أربعين يوما بلا عذر ، قال الامام أحمد أكثر ما سمعت أن يختم القرآن فى أربعين يوما ، ولأنه يفضى الى نسيانه والتهاون به ويحرم تأخيره فوق الاربعين ان خشى نسيانه قال الامام أحمد ما أشد ما جاء فيمن حفظه ثم نسيه .

وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثل القرآن اذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له ابل فان عقلها حفظها ، وان أطلق عقالها ذهبت ، فكذلك صاحب القرآن » .

وعن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تعاهدوا القرآن فوالذى نفسى بيده لهو أشد تفصيا من الابل فى عقلها » التفصى التخلص ، يقال تفصى فلان من البلية اذا تخلص منها .

وقال ابن كثير : ومضمون هذه الأحاديث الترغيب فى كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه حافظه للنسيان فان ذلك خطأ كبير ، نسأل الله العافية منه .

وفى حديث عبادة بن الصامت « ما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه الا لقى الله أجذم » رواه الامام أحمد وأبو داود وغيرهما . وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت على أجور أمتى حتى القذاة والبعرة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب امتى فلم ار ذنبا أكبر من آية أو سورة أوتيها رجل فنسيها » . رواه أبو داود والترمذى وغيرهم .

قال ابن كثير : وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى فى قوله تعالى : **« ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »** وهذا الذى قاله وان لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه فان الاعراض عن تلاوة القرآن ، وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير ، وتفريط شديد ، نعوذ بالله منه . الى آخر ما ذكره ابن كثير رحمه الله .

مد الانسان رجليه الى القبلة

السؤال :

ما حكم مد الانسان رجليه الى القبلة سواء حال النوم او اليقظة وعن اسناده ظهره اليها فى المسجد وغيره .. ؟

الاجابة :

قال ابن مفلح فى كتاب الآداب الشرعية (فصل) فى كراهية اسناد الظهر الى القبلة فى المسجد : ويكره أن يسند ظهره الى القبلة ، وقال أحمد يعنى الامام احمد بن حنبل : هذا مكروه ، وصرح القاضى بالكراهية قال ابراهيم : كانوا يكرهون أن يتساندوا الى القبلة قبل صلاة الفجر ، رواه أبو بكر النجاد الى أن قال (فصل) فى كراهية مد الرجلين الى القبلة : ذكر غير واحد من الحنفية رحمهم الله أنه يكره مد الرجلين الى القبلة فى النوم وغيره . وهذا ان ارادوا به عند الكعبة زادها الله شرفا فمسلم ، وان أرادوا مطلقا كما هو ظاهر العبارة فالكراهية تستدعى دليلا شرعيا ، وقد ثبت فى الجملة استحبابه أو جوازه كما فى حق الميت ، قال فى المقصد فى كتبهم : ولا يمد رجليه يعنى فى المسجد لأن فى ذلك اهانة له ، ولم اجد اصحابنا ذكروا هذا ولعل تركه أولى ، ولعل ما ذكره الحنفية رحمهم الله من حكم هاتين المسألتين قياس كراهية الامام أحمد الاستناد الى القبلة كما سبق ، فان هاتين المسألتين فى معنى ذلك ، والله أعلم .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

طاعة اولى الامر

ما معنى قول الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا » .

واذا كانت طاعة اولى الأمر من الحكام واجبة فما حدود هذه الطاعة الواجبة ؟

صالح قايد ـ عدن

لا شك أن الاسلام يوجب على المسلم الطاعة لله فى كل امر ، فان مقتضى الايمان بالله أن يتلقى المؤمن من الله ما سنه من شريعة أودعها كتابه الكريم بقبول ورضى وتطبيق ، لأن شأن المؤمن بالله المقر بألوهيته العلم بأن طاعة الله واجبة .

ويجب كذلك على المؤمن طاعة رسول الله فيما بلغ عن الله من شريعة ، وسن من قواعد ، لأنه لا ينطق عن الهوى ، إن هو الا وحى يوحى اليه ، وطاعة الرسول فى واقع الأمر طاعة لله عز وجل **« من يطع الرسول فقد اطاع الله »** .

وانه لمن النفاق أن يدعى المرء أنه يؤمن بالله ، لكنه يتحفظ فى الايمان برسوله ، لأنه لا حاجة له بذلك ، مع العلم أن الذى يؤمن بالله حقا لا بد أن يتلقى بالتسليم والرضا ما شرعه على لسان رسوله ، ومن هنا كانت السنة النبوية الصحيحة مصدرا من مصادر التشريع بعد كتاب الله عز وجل .

بقى أن تعلم ان طاعة أولى الأمر من الحكام المؤمنين واجبة بنص هذه الآية **« واولى الامر منكم »** ولحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « **السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب أو كره ما لم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة** » وقوله صلى الله عليه وسلم **« لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا واطيعوا »** فاذا أمر بمعصية أو أحل حراما أو حرم حلالا لم يكن أمينا على شريعة الله ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا طاعة له ، وليس له فى رقاب المؤمنين طاعة واجبة ، وما أروع ما قاله الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى خطبته المشهورة « أطيعونى ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لى عليكم » .

وليكن الحكم دائما فيما يعرض من المشكلات ، والفيصـــل فى كل ما يجـــد من أقضية ، هو كتاب الله وسنة رسوله ، تمشيا مع المنهج النبوى المأخوذ من الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم : **((تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى))** .

الدين والدولـــة

هل هناك فصل بين الدين والدولة ، وهل يمكن ان يستقيم شان الناس فى دولة دون أن يكون لها دين تحتكم اليه .. ؟

عبد الله سيف زايد ــ البحرين



ليس هناك أصلا فصل بين الدين والدولة ، لأن الاسلام يوجب أن تقوم الدولة فى عقيدتها ، وتشريعها ، ومنهجها فى الحياة على أساس من الدين ، فالادارة والقوانين ، وكل ما له أثر فى حياة الأمة ، لا بد أن يستمد صلاحية نفعه من الدين ، والذين يدعون أن التمسك بالدين رجعية ، ودعوة الى التأخر ، وتنكب للجادة ، جانبهم الصواب كثيرا ، بل إنهم يحاولون بذلك أن يحطموا فى الأمـــة نهضتها ، وأن يصموها بالجهل ، وأن يبعدوها عن ما يصلحها ، ويقوم معوجها ، وأمامهم الدليل واضح ، فقد حكم الاسلام قرونا طويلة بلاد الاسلام بشريعتـــه السمحة ، على خير وجه ، وقد لوحظ أن فصل الدين عن الدولة فى بلاد المسلمين ، قد ادى الى أن يأخذ المسلمون بقوانين لا تمت الى دينهم ، وطبيعة تكوينهم بصلة ، ولماذا نترك الدين ، ونفصله عن الدولة وهو الذى يدعو الى إقامة المجتمعات القوية على أساس من العدالة الاجتماعية ، دون مظالم ، والمساواة الحقة دون أثرة ، والفرص المتكافئة دون احتكار واستغلال ، والحياة الكريمة دون بطالة وكسل .

وهذه هى الدولة فى ظل الاسلام ، كل متماسك كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

فلا دولة مدعمة القوائم بلا دين يشد من أزرها ، ويكون صخرة تتحطم عليها معاول الهادمين الداعين الى فصل الدين عن الدولة ، وأمامنا قول الله تعالى **((وأن احكم بينهم بما أنزل الله))** وقوله سبحانه **((اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء))** وقوله سبحانه **((والذين إن مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر))** .

وخلاصة القول أن الدولة بلا دين جسد بلا روح ، فقوام الدولة المسلمـــة دينها ، وفصلها عن دينها حكم عليها بالفناء ، وهاوية تتردى فيها بلا روية .

وان كان هناك دول أقامت صرحها على أساس من الالحاد واللادينيـــة ، فانها لا شك منهارة من داخلها يتحكم فيها شرذمة من الأراذل لا ترعى فى الناس إلا ولا ذمة ، لأن أساس العدل فيها متداع ، ورباط المجتمع فيها مفكك العرى ، ولا تلبث أن يزول سلطانها من النفوس فيعيش أبناؤها نهبا للرذيلة ، وهدفا للانحلال البغيض المقيض للدعائم ، فيبدون وقد مزق اللهو كيانهم ، وهذه الحقيقة الماثلة أمامنا فى المجتمعات اللادينية فى الامم التى اتخذت لنفسها خطا غير متلائم مع الدين ، بل ومناف لكل دين تؤكد بلا خفاء أنه لا يمكن أن يستقيم شأن الناس بلا دين تحتكم اليه والاسلام هو غاية ما تصبو اليه الانسانية .



قالت صحف العالم

رسالة الأزهر

تحدث فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر عن رسالة الأزهر وذلك فى مقابلة أجراها معه مندوب صحيفة (أخبار العالم الاسلامى) بمكة ، فقال فضيلته :

نشر العلم الاسلامى هو رسالة الأزهر الخالدة . وهذه الرسالة تتحقق بطرق شتى منها :

١ ـ استقبال الوافدين من مختلف الأقطار الاسلامية لتعليمهم فى رحاب الأزهر ، وقد بنى الأزهر من أجلهم مدينة سكنية تتسع لخمسة آلاف ، يأكلون فيها ، ويبيتون ويتعلمون ، على نفقة الأزهر ، ويأخذون بعض المال كمصاريف شخصية . وقد رصد الأزهر الآلاف المؤلفة من أجل ذلك .

٢ ـ واذا كان الأزهر يستقبل الوافدين فانه فى الوقت نفسه يرسل المبعوثين الى مختلف البلاد فى العالم يدرّسون ويعظون وينشرون العلم الاسلامى فى بقاع هى فى حاجة الى ذلك . وقد رصدت الدولة لذلك نصف مليون من الجنيهات المصرية .

٣ ـ والدعوة الى الله عن طريق الكتب والرسائل تطبع وتباع بثمن رمزى .

٤ ـ والدعوة الى الله عن طريق رد الشبهات والرد على الانحرافات التى تفد من الغرب فى صور مختلفة .

٥ ـ ومن المشاريع التى يزمع الأزهر القيام بها ، مشروع دائرة المعارف الاسلامية ، وهو مشروع جليل يخطط الأزهر له ..

٦ ـ ويقوم الأزهر الآن بعمل تفسير وسيط للقرآن وهو يصدر تباعا ، وقد صدر منه بالفعل بعض الأجزاء .. وهكذا يتابع الأزهر الدعوة الى الله بشتى الوسائل وفى حدود امكاناته المادية ..

ولا يمكن أن ننهى الحديث عن نشاط الأزهر دون أن نشير الى مشروعين جليلين :

احداهما : مشروع تقنين الشريعة الاسلامية ، وقد انتهى الأزهر من تقنين الجانب المدنى من الشريعة بحسب كل مذهب ، وأصدر فى ذلك كتيبا عن كل مذهب مستقلا ، ثم بدأ بتقنين الشريعة على وضع موحد ، أى أنه يختار من المذاهب الأقوى حجة والأثبت دليلا والانسب للعصر الحاضر ..

أما المشروع الثانى : فهو موسوعة السنة ، وذلك بتحقق أمور ثلاثة :

أولها : جمع الأحاديث .

ثانيها : التعريف بالمصطلحات .

ثالثهما : التعريف برجال الحديث .

وهو مشروع طويل المدى ، ولكن العمل بدأ فيه ، ونرجو من الله التيسير .

وان المشاريع التى ذكرنا تنال من عناية الأزهر الكثير .. واذا كان الحديث يقتضى التنويه بميدان بالذات ، فانه من غير شك ميدان التعليم : وذلك أن الأزهر

تتبعـــه معاهد لتعليم القرآن ، ومعاهد أخرى للتعليم الابتدائى ، ومعاهد للتعليم الثانوى وجامعة الأزهر وحدها أى التعليم العالى فى الأزهر يبلغ طلبتها حوالى الأربعين الفا ، يدرسون مختلف العلوم ، وقد استكمل الأزهر الآن فى جامعتـــه مختلف العـــلوم . .

واذا كانت جامعة الأزهر وحدها تضم ما يقرب من الأربعين الفا فان معاهد الأزهر على مختلف مراحلها تضم آلافا من الطلبة ، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يهيىء لهم مستقبلا كريما . .

المؤسسة الاسلامية الماليـــة

اتفق وزراء مالية الدول الاسلامية على اقامة بنك اسلامى عالمى يكون سندا للدول الاسلامية تجابه به مطالب العصر وحاجاته ، والأمة الاسلامية وهى تملك الطاقة الضخمة من مصادر الثروة كما تملك فى نفس الوقت الطاقة الضخمة من القوة البشرية ، هذه الأمة أولى بها ثم أولى أن تدرك اهمية وحدتها الاقتصـــادية فى عصر قامت فيه التكتلات الاقتصادية العالمية بهدف نهب خيرات المســـلمين والسيطرة عليهم اقتصاديا واستغلال ثرواتهم لخـــدمة اغراضـــهم الاستعمارية ولتدعيم الكيان اليهودى المعادى للاسلام والمسلمين .

اليوم قد آن لأمتنا الاسلامية ذات التشريع الانسانى والحضارة التالدة التى اضاءت للعالم طريقه نحوا من عشرة قرون من الزمان ، أن تتأهب لاســتئناف القيام بدورها الحضارى من جديد ، فقد كان العالم الاســلامى ، وما يزال ، مصدرا للاشعاع الفكرى والحضارى ، تهتدى به البشرية فى مختلف عصـــور تقدمها . وهو أقدر اليوم على أن يبدد أسباب القلق وأن يكون مصدر خير وبركة على العـــالم كله .

ومن أجل ذلك يجب انشاء (المؤسسة الاسلامية المالية للتنمية الاقتصادية) برأسمال يوزع على أسهم أسمية ولا يجوز لغير المسلمين الاكتتاب فيها أو تلقيها بالتنازل وانما تكتتب فيها الحكومات الاسلامية والجمعياتوالمنظمات والمؤسسات والأفراد والشخصيات الاسلامية حتى تقوم على أغراض مشروعات التنميـــة الاقتصادية فى مختلف مظاهرها من صناعة وزراعة وتجارة وخدمات لحسابها أو لحساب الغير أو بالاشتراك معه .

كما يجب أن تحتوى فى مجالها أوجه الاستثمار فى مشروعات التنميـــة وقبول الودائع وفتح الحسابات الجارية وتنظيم الاكتتابات العامة وســـندات الشركات أو غيرها وانشاء صناديق مشتركة لاستثمارات الأوراق المالية وادارتها لحساب المشتركين وجميع الأعمـــال المتعلقة بالأوراق الماليـــة وتحصيل ودفع الاوامر وأذون الصرف وغيرها من الاوراق ذات القيمة .

ومؤسسة كهذه تهدف الى توحيد الكيان الاقتصادى للأمة الاسلامية ودعم وابراز أسسه ومقوماته علميا وعمليا فكرا وتطبيقا ، لا بد لها من أن تنشىء صندوقا للزكاة يقتطع له ٥ر٢٪ من صافى الارباح يضاف اليه ما يقدمه لها المسلمون من مال الزكاة لتنفق حصيلته على مصارف الزكاة الشرعية فى الاسلام بالنســـبة للمسلمين في جميع انحاء العالم وعلى خدمة نشر الدعوة الاسلامية واقامـــة المساجد والمدارس والمستشفيات .

وفقنـــا الله للخير والحق ، وهـــدانا لهديه الكريم ، وأنار قلوبنـــا بنـــور الاخلاص واليقين .

عن مجلة الشبان المسلمين القاهرية

بأقلام القراء

واجب علماء المسلمين

فى خضم هذا الصراع الداوى بين الاسلام وخصومه ، بين الحضارة الحديثة بكل ما تملك من قوى مادية وفكرية ، وبين الاسلام وما يحوى من مثل عليا ومنهاج سوى يبنى الحياة ويسعد الانسانية المعذبة من شقوتها المادية ، وعدالة تصبو إليها النفوس ولن تجدها الا فى هذا الدين .

فى هذا الصراع يقوم واجب علماء المسلمين لانقاذ شباب المسلمين من وهدة المادية ، وفلسفات الإلحاد ، وفساد القيم ، وضلال المناهج ، والتحلل فى الأخلاق والسلوك .

ويتساءل نفر كيف يؤدى علماء المسلمين واجبهم المقدس ؟ أيبعث الفكر من شتى العصور وطبعه على ورق صقيل بدلا من الأصفر ؟ أو التبويب والتنظيم لكل ما جاء فى التراث الاسلامى ، ليقف هذا التراث أمام الفكر المعاصر ؟ وهل يفى هذا التراث بكل حاجات العصر . ؟

ومع تقديرنا لهذا التراث المجيد ، وقد قام بالحفاظ على الاسلام وعقائده ، وكان مصدر قوة للاسلام وفخر واعتزاز . فإذا كان الاسلام قد انتصر عسكريا لدك صروح البغى والظلم فى امبراطوريتى فارس والروم ، فإنه قد انتصر فكريا وعقائديا وتمكنت جذوره فى نفوس البلاد المفتوحة حتى نسوا ماضيهم نهائيا ، واصبحوا هم هو ، وهو هم . يدافعون عنه كما يدافعون عن انفسهم أو اشد .

وهذا كل ما نطلبه اليوم من علماء المسلمين . أن يبرزوا الاسلام كقوة محطمة للفكر المنحل فى الاقتصاد ، والاجتماع ، والسياسة . ولن يكون هذا ببعث الفكر الاسلامى عبر العصور . بل بدراسة لغة الحاضر ومناهج فكره ، دراسة التخصص فى شتى الدراسات الحديثة فى علم النفس ، والاجتماع ، والنظم السياسية والاقتصادية ، ثم نقدها بالاسلام نقدا ينهى تعلق الشباب بها . نقدا منهجيا موضوعيا تحنى له الجباه ويبهت الذى كفر . وأى تخلف عن هذه الدراسة الجادة فلن يجد الشباب الحائر بين زخرف المدنية الحديثة وبين دينه ودين آبائه وأجداده إلا مزيدا من الحيرة والضياع ، والفناء فى الفكر الوافد .

والشباب اليوم يجد القصة العاطفية والتمثيل المسرحي ، وفنون الشعر من السهل الممتنع . تقوده الى ما يريد ، وتقنعه بكل ما يملى عليه ، حتى يظن القارىء أنه بلغ غاية الثقافة من كل ما يقرأ .

فأين القصة الاسلامية التى توحى بفكرة الاسلام عن الحياة ونظامه فى المجتمع ، وسمو فكرته فى بناء النفس الانسانية ؟ ! ولا أريد قطعا القصص البائدة التى لا تمس المشاعر ولا تحرك الأحاسيس .

والشباب اليوم يتخرج من الجامعة ، وكل ما عنده حضارة الغير وأفكار الغير . فهو يتقمص شخصية غير شخصيته ويقلد غيره ليبدو مفكرا متطورا ، ويلحق بأساتذته الغربيين . فأين الفكر الاسلامى الحديث الذى ينقد الفكر المعاصر وينهى قدسية العلم الحديث فى النفوس المصبوغة به ، وتقوم الجامعات الاسلامية بدراسته ؟ !

وعلى الرغم من وجود بعض المحاولات فى هذا ، فانه غير كاف . ولا هو بعمق الموضوعية الموسعة ، لنرى الفكر الاقتصادى الاسلامى منهاجا كاملا يحطم كل النظم الأخرى . ونرى الفكر السياسى الاسلامى يدك غرور النظم المعاصرة .

لقد نجحت النظم العصرية فى إقناع الفتاة . أن الاسلام قيد لا بد من التحرر والانطلاق من عقاله . رغم أن القيود الحديدية على حرية الانسان المعاصر لا تفكها الا الثورات الحمراء لكى تجدد قيودا أخرى لم تذق مرارتها بعد . كل هذه القيود السوداء على أعناق البشرية لا تظهر للعيان .

فهل أبان علماء المسلمين هذه القيود . لتحرر الانسان بالاسلام والى الاسلام ويقبل على الدفاع عنه كأشد ما يدافع عن نفسه وعرضه وأرضه ؟؟ !

أقدم هذه الصرخة المخلصة الى علماء المسلمين وانا اقل منهم باعا فى هذا . إنما حالة الاسلام تدفعنى الى هذا النداء الحار إليهم .

الشيخ محمد عبد الغنى ابو شرفى



أخبار العالم الاسلامي

اعداد : الأستاذ فهمي الامام

الكــويت :

● لقاءات خير وعمل تلك التى تمت فى لاهور بين ملوك وأمراء ورؤساء الدول الاسلاميــــة لخدمة الاسلام والمسلمين ، وقد كان للكويت دور بارز فى انجاح المؤتمر ، وكان لسمو الامير المفدى نشاط مرموق تجلى فى اللقاءات المباركة التى تمت بين سموه وقادة المسلمين .

● تفضل حضرة صاحب السمو امير البــلاد المعظم فادلى بتصريح عقب عودته من مؤتمــر لاهور الاسلامى جاء فيه : يمتاز هذا المؤتمــر بالنظرة الواقعية لما تواجهه الشعوب الاسلامية من قضايا ومشاكل ، وما يواجهه الاســـلام كعقيدة من تحديات .

● زار البلاد وفد جزائرى برياسة الرئيس الجزائرى هوارى بومدين ليبحث مع المسئولين الكويتيين الوضع الراهن وأحداث المنطقة . ويرى سمو الامير المعظم مع سيادة الضــيف ومعهما سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء وسمادة وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة .

● قام رئيس الاركان العامة بزيارة القــوات الكويتية وقوات سلاح الطيران الكويتى المرابطة فى جمهورية مصر العربية .

● تقيم وزارة الاوقاف والشئون الاســلامية احتفالها السنوى بذكرى مولد الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك فى مسجد السوق الكبير عقب صلاةعشاء الخميس ١١ ربيع الاول .

● تقوم الوزارة بارســال كميــات كبيرة من المطبوعات الاسلامية باللغات المختلفة الى منطقة جنوب شرق آسيا وقارة أفريقيا لما تتعرض له المنطقتان من تبشير نصرانى مركز .

● قرر مجلس الوزراء تقــديم مــزيد من المساعدات المالية للمسلمين فى الفلبين .



صاحب السمو الامير مع جلالة الملك فيصــل



سمو أمير البــلاد والرئيس الجزائــرى هوارى بومدين .



سمو أمير البلاد مع أمير دولة قطر بحضــور رئيس وزراء ماليزيا



سمو أمير البلاد يستقبل فى مقر اقامته بلاهور رئيس منظمة التحرير الفلسطينية .

مصـــر :

● ألغيت الرقابة على جميع الصحف والمجلات ما عدا كتب ومجلات الجنس ، والكتبوالنشرات التى تدعو الى الالحاد أو تطعن فى الانبياء أو تهاجم الاهداف القومية للبلاد .

● صادرت السلطات مجموعة مصاحف مزورة كانت مرسلة بالبريد الى هيئات ومؤسســات خاصة فى القاهرة والاسكندرية .. وتركــز التزوير على حذف الآيات التى تتحدث عن اليهود وعن عيسى عليه السلام ، ويعتقد أن هــذه المصاحف قد تم تزويرها فى اسرائيل .

● قرر الازهر عقد ندوات لطلبة الجامعــات والمعاهد العليا عصر كل يوم لنشر تحفيظ القرآن الكريم .. وقد افتتح الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر أولى هذهالندوات بالجامع الازهر.

● اجرى وفد اسلامى من جمهورية غينيــا بيساو محادثات مع المسئولين فى الازهر لبحث تدعيم العلاقات بين مصر وغينيا بيســاو فى المجال الاسلامى .

السعودية :

● ادلى السيد عمر السقاف وزير الـدولة للشئون الخارجية بتصريح جاء فيه : ان موقف المملكة من عروبة القدس قد أوضحه جــلالة الملك فيصل أكثر من مرة وهو يتمثل فى الاصرار التام على عروبة هذه المدينة المقدسة .

● أصبحت « رابطة العالم الاسلامى » عضوا فى الامم المتحدة .. كمنظمة عالمية غير حكومية .. وللرابطة نشاطات واسعة فى مجــال الدعوة الاسلامية والتقريب بين الشــعوب الاســلامية .

● زار مانيلا وزير الخارجية الســعودى للوقوف على أحوال المسلمين فى الفلبين .

الجـــزائر :

● يبحث الملتقى الثامن للفكر الاسلامى الذى يعقد أوائل هذا الشهر فى مدينة بجايه وضــع الاقليات والجاليات الاسلامية ، ومساهمــة الفكر الاسلامى فى مجالات العلوم والفنون ، ودور المفكر المسلم تجاه أمته والانسانية .

ســـوريا :

● أعلن الرئيس السورى أن الحرب مــع اسرائيل لم تنته ولن تنتهى بالنسبة الى سورية ما لم تتحرر الارض العربية بكاملها وما لم تعد الى شعب فلسطين حقوقه كاملة .

● صدر قرار حكومى بفرض غرامة ماليــة ضد كل من ينشر صورا مسيئة للاخلاق .

الســودان :

● سيفتتح فى السودان مركز اسلامى تساهم فيه الدول العربية والاسلامية وذلك لنشــر الاسلام فى افريقيا .

أخبــار متفرقة

الفلبين :

● لا يزال المسلمون يقاومون بعنف الحملات الشرسة التى تستهدف ابادتهــم ولا يزالون يترقبون من المسلمين الموقف الحازم لنصــرتهم وحمايتهم .

لاهـــور :

● رفع السكرتير العام للمؤتمر الاســلامى تقريرا الى ملوك ورؤساء الدول الاســلامية تضمن انشاء مجلس اسلامى أعلى يضم العلماء والفقهاء بهدف وضع خطة اسلامية ، تتمشى مع روح العصر ، وانشاء جامعتين اسلاميتين فى اوغندا والنيجر .

كوالا لامبــور :

● يقوم السيد تنكو عبد الرحمن رئيس اللجنة التحضيرية للبنك الاسلامى بجولة فى الاقطار العربية لشرح التقدم الذى احرزه بصدد انشاء البنــك .

بانكــوك :

● صــرح مصــدر مســئول بان عــددا من الشخصيات الاسلامية فى تايلاند بصدد تأسيس هيئة للدفاع عن مصالح المسلمين فى البلاد .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع الأول ١٣٩٤	مارس ١٩٧٤	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاثنين	١	٢٥	٤١٧	٥٤٧	١١٥٥	٣٢٣	٦ ٢	٧٢٠	١٠١٥	١١٤٥	٥٥٣	٩٢١	١ ١٨
الثلاثاء	٢	٢٦	١٦	٤٦	٥٤	٢٣	٢	٢٠	١٤	٤٤	٥٢	٢١	١٨
الاربعاء	٣	٢٧	١٥	٤٥	٥٤	٢٣	٣	٢١	١٢	٤٢	٥١	٢٠	١٨
الخميس	٤	٢٨	١٤	٤٤	٥٤	٢٣	٤	٢٢	١٠	٤٠	٥٠	٢٠	١٨
الجمعة	٥	٢٩	١٢	٤٢	٥٣	٢٤	٤	٢٣	٨	٣٨	٤٩	١٩	١٩
السبت	٦	٣٠	١١	٤١	٥٣	٢٤	٥	٢٤	٦	٣٦	٤٨	١٨	١٩
الاحد	٧	٣١	١٠	٤٠	٥٣	٢٤	٦	٢٥	٤	٣٤	٤٧	١٨	١٩
الاثنين	٨	ابريل	٨	٣٩	٥٣	٢٤	٦	٢٥	٢	٣٣	٤٧	١٧	١٩
الثلاثاء	٩	٢	٧	٣٨	٥٢	٢٤	٧	٢٦	٠٠	٣١	٤٦	١٧	١٩
الاربعاء	١٠	٣	٥	٣٦	٥٢	٢٤	٧	٢٦	٩٥٨	٢٩	٤٥	١٦	١٩
الخميس	١١	٤	٤	٣٥	٥٢	٢٤	٨	٢٧	٥٦	٢٧	٤٤	١٦	١٩
الجمعة	١٢	٥	٢	٣٤	٥١	٢٣	٨	٢٨	٥٤	٢٦	٤٣	١٥	١٩
السبت	١٣	٦	١	٣٢	٥١	٢٣	٩	٢٩	٥٢	٢٤	٤٢	١٤	٢٠
الاحد	١٤	٧	٠٠	٣٢	٥١	٢٣	٩	٢٩	٥١	٢٣	٤٢	١٤	٢٠
الاثنين	١٥	٨	٣٥٩	٣١	٥١	٢٣	١٠	٣٠	٤٩	٢١	٤١	١٣	٢٠
الثلاثاء	١٦	٩	٥٨	٣٠	٥٠	٢٣	١٠	٣١	٤٨	٢٠	٤٠	١٢	٢٠
الاربعاء	١٧	١٠	٥٧	٢٩	٥٠	٢٣	١١	٣١	٤٦	١٨	٣٩	١٢	٢٠
الخميس	١٨	١١	٥٥	٢٧	٥٠	٢٢	١١	٣٢	٤٤	١٦	٣٨	١١	٢٠
الجمعة	١٩	١٢	٥٤	٢٦	٤٩	٢٢	١٢	٣٢	٤٢	١٤	٣٧	١٠	٢٠
السبت	٢٠	١٣	٥٢	٢٥	٤٩	٢٢	١٢	٣٣	٤٠	١٣	٣٧	١٠	٢١
الاحد	٢١	١٤	٥١	٢٤	٤٩	٢٢	١٣	٣٤	٣٨	١١	٣٦	٩	٢١
الاثنين	٢٢	١٥	٥٠	٢٣	٤٨	٢٢	١٣	٣٤	٣٧	١٠	٣٥	٩	٢١
الثلاثاء	٢٣	١٦	٤٩	٢٢	٤٨	٢٢	١٤	٣٥	٣٥	٨	٣٤	٨	٢١
الاربعاء	٢٤	١٧	٤٨	٢١	٤٨	٢٢	١٥	٣٦	٣٣	٦	٣٣	٧	٢١
الخميس	٢٥	١٨	٤٦	٢٠	٤٨	٢٢	١٥	٣٧	٣١	٥	٣٣	٦	٢١
الجمعه	٢٦	١٩	٤٥	١٩	٤٨	٢٢	١٦	٣٨	٢٩	٣	٣٢	٦	٢٢
السبت	٢٧	٢٠	٤٤	١٨	٤٨	٢٢	١٧	٣٩	٢٧	١	٣١	٥	٢٢
الاحد	٢٨	٢١	٤٢	١٧	٤٧	٢١	١٧	٣٩	٢٥	٠٠	٣٠	٤	٢٢
الاثنين	٢٩	٢٢	٤١	١٦	٤٧	٢١	١٨	٤٠	٢٣	١٠٥٨	٢٩	٤	٢٢

ام المؤمنين
السيدة حفصة رضى الله عنهـا

اســـمها : حفصة ، وابوها أبو حفص عمر بن الخطـــاب ، وامها زينب بنت مظعـــون .

مولدهـــا : ولدت قبل البعثة المحمدية بخمس سنوات .

زواجهـــا : تزوجها الصـــحابى الجليل خنيس بن حـــذافة ، وكان من مهاجرى الحبشة وشهد أحدا ومات سنة ثلاث من الهجـــرة وكانت آنئذ فى سن الثامنة عشرة . وتزوجها رســـول الله بعد السيدة عائشة سنة ثلاث من الهجرة على الأرجح .

روايتها للحديث : روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين حـــديثا ، اتفق البخارى ومسلم على ثلاثة منها ، وانفرد مسلم بستة .

حفظها للمصحف : أم المؤمنين حفصة هى الحافظة الأمينة على أول نسخة من المصحف الشريف ، وذلك انه لما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه الأعلى جمع أبو بكر المصحف الكريم وأودعه عند أم المؤمنين حفصة ، وبقى المصحف لديها حتى أخذه عثمان بن عفان رضى الله عنه فنسخ منه النسخ التى وزعت فى الأمصـــار .

وفاتهـــا : تفرغت حفصة للعبادة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاشت صـــوامة قوامة حتى فارقت الدنيـــا ســـنة خمس وأربعين من الهجـــرة .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصــــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ـــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـــ ص.ب : (١٣٢) . بنغــازى : مكتبة الخــراز ـــ ص.ب : (٢٨٠) .
تونــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ـــ ١٧ شــارع فرنســا .
المغــرب	:	الدار البيضاء ـــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عــــدن	:	مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الأردن	:	عمــان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جــدة : مكتبة مكــة ـــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكــة ـــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ـــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ـــ مكتب التوزيع والنشر .
البحــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحــة : مؤسسة العروبة ـــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكــويت	:	مكتبة الكــويت المتحـــدة .

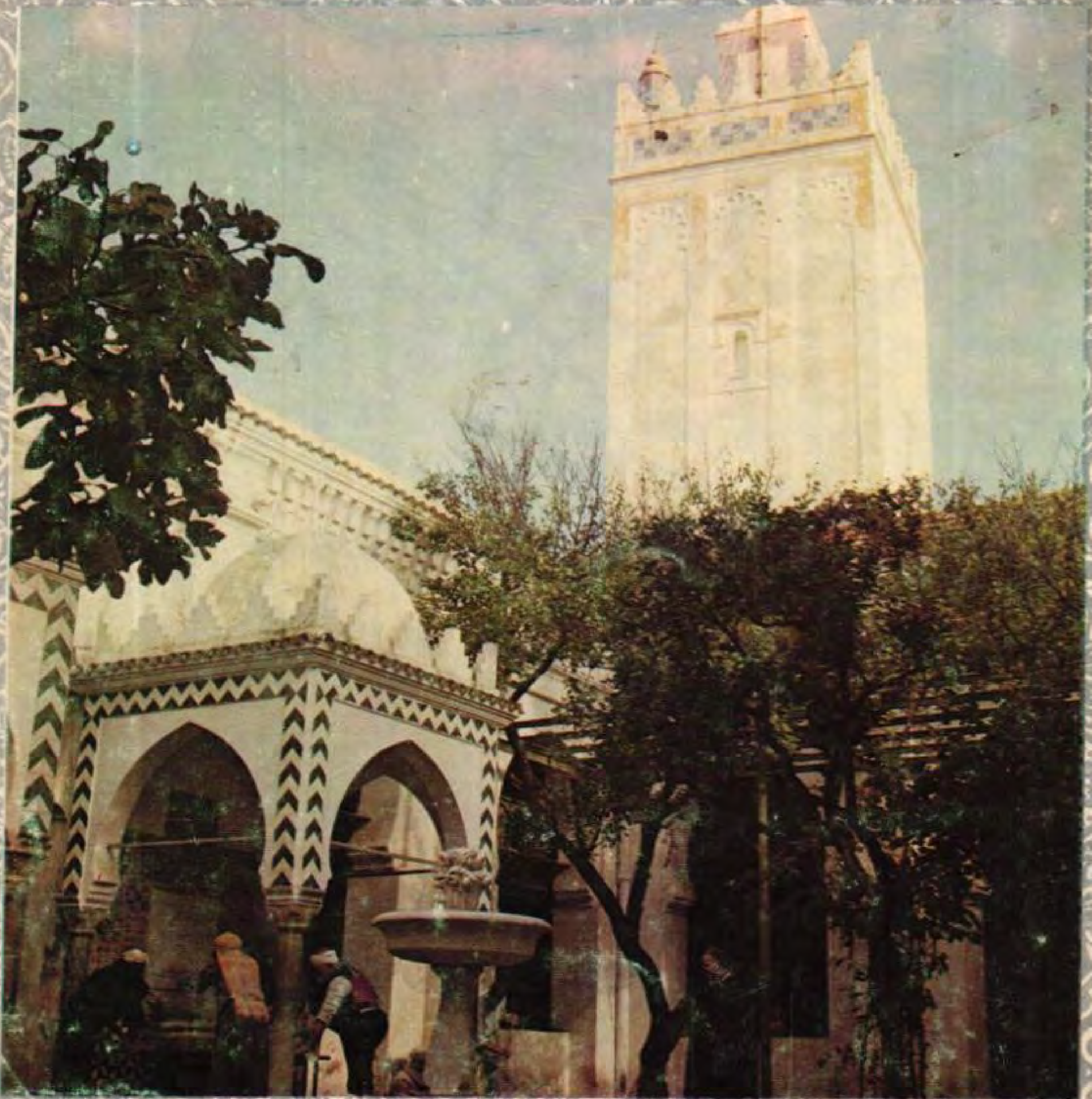
ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية



السنة العاشرة ـ العدد ١١٢ ـ غرة ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ ـ ابريل ١٩٧٤ م


لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم



الجامع الكبير فى مدينة الجزائـر وهو من أقدم مساجد العاصمـة والمرجح أنه شيد بين ٤٠٧ و ٤٧٥ هـ وتبـدو فى الصـورة منارتـه (صومعته) المربعة والقبة التى تعلو المطهرة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العـدد ١١٢

غرة ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ

ابريل ١٩٧٤

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالـكويت فى غـرة كل شـهر عـربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الافراد فيشـتركون راسا

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغـرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـوان المراسـلات :

مجـلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـئون الاسـلامية

صـندوق بريد : ١٣ ــ كـويت ــ هـاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم في مسجد السوق الكبير عقب صلاة العشاء يوم الخميس ١١ من ربيع الأول ، وقد افتتح الحفل كما اختتم بآيات الذكر الحكيم ، وارتجل الاستاذ وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الكلمة التالية في الحفل :

رسول الإنسانية

أيها الإخوة ،

يحتفل العالم الاسلامي اليوم بذكرى مولد محمد صلى الله عليه وسلم . ولذكريات الأبطال وأعمال الرجال الجليلة تقدير في نفوس الأمم والشعوب ، لذلك فإن الأمم الواعية تعتز بميلاد زعمائها وتحتفل بأبطالها الذين اشاعوا النور في بلادها ، والمسلمون اليوم من المشرق الى المغرب يحتفلون بهذه الذكرى العظيمة ، ذكرى مولد محمد بن عبد الله صلى الله تعالى عليه وسلم . واننا حين نحتفل بذكرى محمد ومولده صلى الله عليه وسلم انما نحتفل بذكرى ايجاد المجتمع الاسلامي الفاضل ذلك المجتمع الذي تفوق على المجتمعات المادية والراسمالية ، هذا المجتمع الفاضل الذي جمع الفضائل وزواج بين المادة والروح فقام على بناء الانسان .. حقا

ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بنى الانسان الذى أوجد المجتمع الفاضل بنى الانسان بالمثل العليا والفضائل الكريمة بعث فيه الروح التى عمت اعماله وحركاته وسكناته . اوجد فيه الفضائل الكريمة والمزايا الحميدة التى يقوم عليها ذلك المجتمع الفاضل ، ان الاسلام اهتم بالانسان قبل أن تهتم به الأمم المتحدة وقبل ان تهتم به الدول الشرقية والغربية .

لقد خلق الاسلام للانسان العزة والكرامة « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** »٠

نعم لقد كرم الله الانسان « **والعصر ٠ ان الانسان لفى خسر ٠ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » ٠

ايها السادة :

ان الجسد والمجتمع بلا روح كالخشب وكالحجر لا رحمة فيه ولا انسانية فالمجتمع الذى يتكون من بنى الانسان لا بد أن تكون به العواطف الانسانية ، لا بد ان تتحرك فيه المثل الانسانية . لا بد ان تتحرك فيه العواطف النبيلة والأخلاق الفاضلة الحميدة « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » حقا يا محمد لقد بعثك الله رحمة للعالمين .

أيها السادة :

احتفلت الأمم المتحدة منذ مدة بحقوق الانسان والقى بعض المندوبين المسلمين خطبة فى هذا الاحتفال وذكر فيها آية من القرآن الذى نزل على محمد عليه الصلاة والسلام فسمع هذه الآية أحد السياسيين الكبار وذهب يبحث فى الكتب عن تفسيرها ومعناها ولما لم يجد اتصل بأحد العلماء المسلمين يسأل عن معنى هذه الآية وتفسيرها فأدرك هذا الشيخ انه يعنى قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم » فدله على تفسيرها وشرحها ومعناها فصاح عجبا فوق عجب : كيف أن هذه الآية تعالج حقوق الانسان ، تقرر المساواة وتعالج التفرقة العنصرية وكل ما اتى به ميثاق الأمم المتحدة حول حقوق الانسان قبل ثلاثة عشر قرنا من الزمان . انه الاسلام ايها السادة انه القرآن الذى نزل على نبيكم والذى يتعجب منه الناس اليوم . انه الأخلاق الفاضلة انه المثل العليا انه القواعد الانسانية التى يجب أن تقوم عليها المجتمعات الفاضلة . ان الاسلام ربى فى المسلمين الشعور الطيب ، ومن ذلك نجد فى سورة الانسان

« ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا . فوقاهم الله شر ذلك اليــوم ولقاهم نضرة وسرورا » نعم من يعمل الخير ومن يؤثر الناس على نفسه . لقد ربى الاسلام فى الناس المثل العليا ، ربى فيهم الروح الى جانب الجسد . ربى فيهم الايثـــار فقد كان أهل هذا البيت فى أمس الحاجة الى الطعام ولكنهم يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وفى معركة اليرموك يسقط بعض الجرحى من المسلمين فى ساحة الجهاد فى سبيل الله فيأتى شخص بالماء الى احدهم يطلب الماء فيسمع انينا حوله ينادى بالماء فيقول اذهب الى فلان فيذهب اليه فيســمع الآخر انين اخ له ينادى بالمـــاء فيقول له اذهب الى اخى ويذهب الى الثالث ليسقيه المـــاء فيجده قد مات ويرجع الى الثـــانى فيجده قد مات ويرجع الى الأول فيجده قد مات . انه الايثار . انه الاســـلام . انه الروح التى بعثها محمد صلى الله عليه وسلم فى اتباعه . انه صلة الانسان بخالقه عز وجل . انه صـــلة العبد بربه التى يبتغى من ورائهـــا الأجر والثواب من عند الله لا من عند بنى الانسان ، فان الانســان يحب ويكره لأجل المصلحة المـــادية والمنفعة المؤقتة ، ولكن العمل الصالح الخالص لوجه الله هو الذى يبقى دائما وهو الصلة التى تربط العباد بعضهم ببعض ومن هنا نجد أن الاســـلام حرص كل الحرص على أن تكون افعالنا وحركاتنا وسكناتنا تقاس بمقياس الاسلام وتوزن بميزان الاسلام ان خيرا فخير وان شرا فشر ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . ولقد اعجبنى ما رايت فى الدورة الرياضـــية التى اقيمت فى الكويت رايت الروح الرياضية التى يتحلى بها شـــبابنا من حب وإخاء بين الغـــالب والمغلوب ، انها الروح الرياضية التى يســـمونها ، هى اخلاق الاسلام ، هى الروح الاسلامية التى يجب ان يتمسك بها كل مسلم ، يجب أن يتمسك بها الكبار والصغار الشباب والشيب الرجال والنســـاء ، هذه المثل العليا هذه الأخلاق الفاضلة التى تميز المسلم عن غير المســلم ، هذه الأخلاق هى التى تميز المجتمع الاسلامى عن غيره من المجتمعات الفاســـدة وكلنا يعلم او بعضنا قرا فى الصحف فى هذه الأيام أن بعض النـــاس فى البلاد الاوروبية خلعوا ملابسهم وساروا فى الشـــوارع عراة كما ولدتهم أمهاتهم ، اذا لم تستح فاصنع ما تشاء . واننا نخشى أن تسرى هذه العدوى الى بلاد المسلمين ، لأن المسلمين مع الأسف بدأوا يتركون أخلاقهم وأخلاق نبيهم ومثل دينهم التى أمروا أن يتبعوها وبدأوا يتخلون عن هـــذه الأخلاق الفاضلة ويقلدون الغرب فى كل ما يأتى منـــه من مفاسد واننا نحـــذر كل الحذر من اتباع هذه الأخلاق الفاسدة التى تدمر المجتمعات وصـــدق الله اذ يقول : **« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففســـقوا فيها فحق عليها**

القول فدمرناها تدميراً » . اننا يجب علينـــــا أن نتمسك بأخلاقنا ودينــــا وشيمنا وعاداتنا الأصيلة التى ورثناها عن آبائنا واجدادنا لأن الرسول عليه الصلاة والسلام جاء ليتمم مكارم الأخلاق ، يجب أن نتمسك بأخلاق العرب الفاضلة الكريمة التى تركوها لنا وان نزيد عليها من فضائل الاسلام التى جاء بها ، يقولون ان هذا العرى حرية .. لا .. إنه فوضى . انه جنون . انه نزوة وطيش .

ان الحريات أيها المسلمون اذا اطلقت دون أن تقيد ودون أن توزن وتقاس بميزان الاسلام ومقياس الاسلام فانها ستكون وبالا وفسادا . كثير من الناس اتخذوا من الحرية السياسية والديمقراطية منطلقا لنكران الدين ونكران العقيدة ونكران الفضائل الحميدة ، وكثير من الناس اتخذوا من الحريات واطلاقها طريقا للنيل من الناس فى صحفهم وفى جرائدهم ومجلاتهم ، وبعض الناس اتخذوا من الحرية طريقا لاعطاء المرأة مزيدا من التحلل والاباحية ، وكثير من الأعمال الفاسدة ارتكبت لتدمر المجتمع باسم الحريات الشـــخصية وحريات العقيدة حتى أفسدوا العقيدة ، وهؤلاء لا يريدون الا دمار مجتمعاتنا كما دمرت مجتمعات الغرب ، واننا كمســـلمين نرفض هذا المبدأ لأن ديننا الحنيف لا يرضى بالحريات المطلقة ، وقد روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما معناه : مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم فى أعلاها وبعضهم فى أسفلها فصار الذين فى أســـفلها اذا استقوا من المـــاء يمرون على من فى أعلاها فيقولون : لو انا نقرنا نقرا فى المكان الذى لنا فيه نصـــيب فلو أنهم تركوهم هلكوا جميعا ولو انهم أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا . هذا الحـــديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام يوضح الحرية ويحدد المســـئولية . فاذا أخفق الحكام يجب على الشعوب أن تقف وتحاسبهم ، واذا أخفق السياسيون يجب على الشعوب أن تقف وتردهم ، فاننا جميعا مسئولون ، واننا جميعا مسئولون أمام الله عز وجل عن أخلاقنا وعن مجتمعـــاتنا وكما يقول الله ســـبحانه وتعالى : **« والعصر . ان الانســـان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »** .

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

والسلام عليكم ورحمة الله .



خواطر في القرآن

للأستاذ : على الطنطاوى

تحت أيدى الناس اليوم اكثر من عشرين مليون كتاب ، بجميع الألسن والخطوط ، ولو سئلت : اى هذه الكتب افضل واكمل ، واجمل واشمل ، لقلت : القرآن .

وكل واحد من قراء هذه المجلة ، يجيب بمثل هذا الجواب ، لو سئل ذلك السؤال ، ما عندى فى ذلك شك ، ولا عند أحد منهم فى الجواب تردد .

ولكنى فكرت ، هل أقول هذا لأنى مسلم آمن به ونشأ عليه ، وتعوده حتى صار عنده من البديهيات (١) ، أم هو حق فى ذاته يقول به كل باحث منصف .. ؟

وفكرت كيف كان العربى يســـمع الآيات من القرآن ، فتملك قلبه ، وتمسك لبه ، حتى تقوده الى الاسلام كما فعلت بعمر ، أو تحمله على الاقرار بعظمته ، وغريب تأثيره ، ولو بقى على كفره كما صنع الوليد ، حين زعم أنه سحر ، واصل السحر فى لسان العرب ما بان أثره ، وخفيت علته .

فأخرجت مصحفا كان معى ، (وكنت لما خطرت لى هذه الخواطر فى سفر بالطيارة) وجعلت أقرأ ، احاول ان أجد مثل ذلك الشعور الـــذى وجده عمر المسلم ، والوليد الكافر ، والذى كان يحس به كل عربى يقرأ القرآن ، أو يسمعه .

فماذا كان ؟ أقول لكم أم أكتم الأمر عنكم ، خجلا منكم .. ؟

انى لم أجد ذلك الشعور ! حقيقة أقولها بأسف وخجل .

وفكرت مرة ثانية : لم لم أجده ؟

الأنى أعرف القرآن وليس جديدا على ، فصار احساسى به ، كاحساسى

عندما انظر الى الكعبة الآن ، بعد اقامة احد عشر عاما فى مكة ؟

لقد فقدت تلك الهزة الرائعة التى شعرت بها لما رايتها اول مرة ، واذهب الإلف روعة المفاجأة أم لأنى تعودت ان اقرأ القرآن مسرعا ، اصل الآية بالآية لأبلغ نهاية (الختمة) فلا اتذوقها ولا اتدبرها ولا ألمح اشاراتها ومراميها .. ؟ نعم ، هذا هو السبب ، ان قراءتى القرآن مثل سفرى من مكة الى جدة ، همى وهم السائق أن أصل فى خمسين دقيقة . لا أرى من الطريق شيئا ، الا بيوتا متناثرة فى (بحرة) أو (حداء) . وفضاء يرحب أو يضيق ، وجبالا تعلو أو تنخفض ، وتدنو أو تبعد .

ولو سئلت ما شكل هذه البيوت .. ؟ وماذا فيها من أناسى ومن فرش ؟ وما فى هذا الفضاء من تراب ورمل ؟ ما تركيبه ؟ وما فى هذه الجبال من صخور ؟ ما نوعها ؟ لما عرفت : لأنى لم انتبه لها ، ولم أسأل عنها .

ولكن البعثة الجيولوجية (٢) التى تجيء للكشف والتحرى ، وتمضى على الطريق خمسين يوما بدلا من خمسين دقيقة ، تعرف هذا كله ، وتقدم تقريرا عنه .

هذا هو مثال تلاوتنا وتلاوة الصحابة . نحن نكمل الختمة فى يوم أو يومين ولا نفهم شيئا،ومن الصحابة من كان يمضى فى دراسة السورة الواحدة سنين ، ولكنه يتدبر ويعى ، ويعمل بما تدبره ووعاه .

فهذه السرعة ، وما يقابلها من انصراف الأذهان عند سماع القرآن ، للصوت والألحان ، وظن كثير ممن يسمون بالقراء ، أن القرآن ليس الا كلاما معدا للتلحين ككلمات الأغانى ، وتنافسهم على اجادة تلحينه والتصرف فى أنغامه واتخاذنا القرآن مجرد شعار تفتتح به الحفلات ، هذا كله وأمثاله هو الذى حجز بينى وبين التنبه الى أسرار القرآن ، وحرمنى من الشعور بروعته ، وقد كان يشعر بها كل عربى يسمعه ولو كان كافرا .

ما تبدل القرآن ، بل تبدلت الألسنة التى تقرأ ، والآذان التى تسمع ، والقلوب التى تعى .

اننا نقرأ القرآن بلا فهم ، أو نطرب له بلا خشوع ، أو نتخذه وسيلة لـ (الشحادة) على أبواب المساجد فلا يحق لنا (لا لى ولا لغيرى) ان يتخذ من الشعور الذى يشعر به ميزانا لتقويم (٣) القرآن ، فلندع الشعور الى العقل .

ولنتصور لو أن رجلا مثلى يقرأ (كما اقرأ) ما معدله اكثر من مئة صفحة فى اليوم ، من أكثر من خمسين سنة . حتى اطلع على جانب كبير من المعارف البشرية ، وكان منصفا ولو كان غير مسلم ، وسئل السؤال الذى استهللت به المقال ، فبماذا يجيب . ؟

انه ينظر فيرى أن البشرية شهدت كتبا عالمية ، كان لها الأثر البالغ فى الناس . أو فى جمهور كبير من الناس .

منها ما نزل من السماء فحرفه البشر ، كالكتاب الذى يدعى اليوم بـ (الكتاب المقدس) ومنها ما هو أرضى قدسه أتباعه ، كالفيدا (Vedas) الهندية ، والأفستا (Avesta) الفارسية المنسوبة الى زراداشت ، ومكتوبات كونفوشيوس (واصل اسمه بالصينية : كونغ فوتس) .

ومنها كتب ادبية كالياذة هوميروس ، ومسرحيات شكسبير وموليير ولافونتين وخطب فيخته (Fichto) الألماني .

ومنها كتب فلسفية او علمية كجمهورية افلاطون ومحاورات سقراط وكتب ارسطو وخطبة المنهج لديكارت ونقد العقل لكانت ، والتطور المبدع لهنري بركسون ، والانسان ذلك المجهول لكاريل ، ونسبية آنشتاين .

وما كتب دارون ، وفرود ، ودوركايم ، ومكيافيلي ، ثم هيكل وماركس وغيرها من أمثالها ، فأنا انما اجمل وامثل ، لا استقصي وافصل — ولم أذكر كتب المسلمين لسببين :

الأول : انى احاول أن افكر بعقل باحث منصف غير مسلم وغير متعصب لدين او مذهب يمنعه من الانصاف .

والثاني : ان كتب المسلمين كلها ، متأثرة (من قريب أو بعيد) بالقرآن ، فهي كالفرع عنه وأنا اتكلم هنا عن القرآن ، فكيف احتج بالفرع للأصل ، واقبل شهادة الولد للوالد ؟

اقول : لو جاء هذا الباحث النزيه يوازن بين هذه الكتب وبين القرآن فماذا يجد .. ؟

يجد أن المثل العليا للبشرية ، والغايات القصوى للمعارف وللمشاعر الانسانية ، هي الحق والخير والجمال .

وهذه الكتب منها ما يبحث عن الحق ، بوساطة الفكر ، ولكنه لا يعني بالجمال ولا يفتش عن الخير ، ومنها ما يفتش عن الجمال من طريق الذوق ، بوساطة العاطفة ، ولكنه لا يهتم بالخير ولا بالحق .

اى ان منها كتبا في العلم وحده وكتبا في الأدب فقط وكتبا في الأخلاق وفلسفتها ويجد أن منها ما هو مخالف لفطرة البشر ، وطبيعة تكونهم ، والفطرة تأبى ما يخالفها ، كالكتاب الذى يقبح الغنى لأهله ، ويقول (لا يدخل الغنى ملكوت السموات) والانسان مفطور على حب المال . ويزين لهم التبتل والرهبانية ، والانسان مغروز فيه (غريزة) الميل الى الزواج . ويقول : (من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر) والانسان مجبول على دفع الأذى والرغبة في الانتقام .

والكتاب الذى يحاول أن يمحو الفرد ليثبت بزعمه المجموع ، ويحرمه الربح ، ويكلفه الجد في العمل . ويريد أن يطمس عقله فلا يفكر به ، بل بعقل طبقته . ويجعل الناس طبقات يجمعها الحرب والخصام لا الصلح والوئام . ويقول : بخرافة (حتمية التاريخ) مع أن التاريخ ليس الا الرواية والتعليل لما كان ، لا التحكم فيما سيكون — كما يهذى به الماركسيون .

ويجد كتب الفكر والعلم — تبلى على الأيام جدتها — وتنقص قيمتها ، فلا يبقى لها الا مزية السبق الزمني حتى ان طالب الجامعة يعرف اليوم من الطب اكثر مما كان يعرف بقراط (ايبوقراط) ، ومن الهندسة أكثر من اقليدس ، ومن الفلك اكثر من كوبرنيك ، ومن الكيمياء اكثر من لافوازيه .

وكتب الأدب يتبدل نظر الناس اليها ، وتقديرهم اياها ، بتبدل الأذواق ، وتباين العصور ، وان كانت اثبت (في الجملة) وأبقى من كتب العلم .

وكتب الأخلاق ، تختلف اسسها ، وتتعدد نظرياتها .

ويجد أن منها ما يظهر خطؤه فتخبو ناره ، وتنطفىء انواره ، كآراء فرود ، ونظرية دارون ، ومنها ما ينكشف لأتباعه ، (عند التطبيق) ما فيه من ضرر بالغ ، ونتائج مدمرة ، فضلا عن تعذر تطبيقه كاملا ، ككتاب (رأس

المال) و (الميثاق) لماركس .
فماذا تركها ونظر الى القرآن ، فماذا يجد ؟
يجد القرآن (أولا) قد احاط وحده بالمثل العليا كلها : الحق والخير والجمال ، فكان كتاب علم ولكنه لا يفرض نظريات ، ولا يسرد قوانين ، بل يوجه الناس الى إعمال عقولهم فى فهم اسرار الحياة الدنيا ويؤكد لهم أن لهذه الحياة سننا محكمة ، وقوانين ثابتة ، ويشير (بمقدار ما يفهم المجتمع الذى سمع القرآن اول مرة) الى بعض هذه القوانين والسنن ، ويدعوهم الى اكتشافها فى انفسهم : فى اجسادهم وعواطفهم ، وفى الحيوانات من حولهم : الابل والأنعام ، وفى النباتات كيف تتجرد وتكسى وتموت فى الشتاء ثم تحيا ، وفى الأرض وما فيها ، والسموات وما يرى منها . ويخبرهم ان كل شيء فى الكون محدد المقادير . قائم على نسب مضبوطة ، وعلاقات ثابتة . وان الذى اوتوه من العلم بها قليل وانه سيخلق ما لا يعلمون ، ويعطى من يأتى من البشر من المعرفة بالكون ما لا يعرفون .
والقرآن يشير دائما الى قوانين الطبيعة التى طبعها الله ، وينبه اتباعه الى استثمار كل ما فيها والى انه سخره لنا لننتفع به ، اذا اعملنا عقولنا وافكارنا ، (**وسخر لكم ما فى السموات والارض جميعا منه**) وليس هذا التسخير لمجرد الانتفاع بها فى هذه الحياة المؤقتة بل لتكون علامات وآيات نستدل بها على طريق الانتفاع الحقيقى ، فى الحياة الأخرى الدائمة : « **ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » .
فمن اهمل عقله من المسلمين قصر ، ولم يدرك هذه الآيات ، ومن انتفع بها ونسى خالقها وموجدها ، كان جاحدا للمعروف — اتستفيد من الهدية وتنكر حق مهديها ؟ هذا ما يفعله اتباع هذه الوثنية الجديدة . وثنية العلم ، الذين يكشفون بعقولهم التى هى عطية الله القوانين الطبيعية التى وضعها الله ، ثم لا يشكرون الله ، بل ربما انكروه وجحدوه .. !!
ومن انتفع منها النفع الذى وضعه الله فيها ، وشكره عليها ، كان مؤمنا عاقلا ، ومن عظمها لذاتها ، وترك النفع الذى وضع فيها ، كان احمق جاهلا ، كمن يحفظ الثوب ، ينظفه ويمسحه ولا يلبسه لدفع برد ولا حر ، ولا لستر ولا لتجمل ، ومن يجمع المال ويعده ويحبسه ، ولا ينفق منه على نفسه ولا على اهله ، ولا يشترى به دنيا ولا يشترى به أخرى ، لذلك ورد (تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة) اى الثوب .



وهو كتاب عقائد ولكنها ليست فصولا متسلسلة تشغل القلب بالعقيدة ، وتصرفه عن إعمال العقل ، وتذوق الجمال ، بل هى آيات تقرر العقيدة من خلال التفكر فى المخلوق وتأمل جماله للاستدلال به على خالقه .
وهو كتاب تشريع ولكنه ليس كمجموعة جوستينيان مثلا نصوصا واحكاما تبين الحكم فقط بل هو يصلها بالعقيدة ، ويربطها بالخالق ، حتى عندما يحدد حصص الورثة فى التركة ، او اسلوب التوثيق عند الكاتب العدل .
وهو كتاب تاريخ ولكنه لا يجمع اطراف القصة من قصص الأنبياء ويسردها سردا متصل الحلقات بل يأخذ منها فى كل موطن جانبا يعرضه ، للاعتبار به ، فهو يحرص على الاستفادة من الخبر ، لا على الإطاحة بالخبر .
ولعل حكمة هذا المزج بين القصص والعبرة ، وتكرير القصة على صور مختلفة ، وفى مواضع متعددة ، هى (والله اعلم) ان مستقر العقيدة هو

العقل الباطن (٤) . وهذا الأسلوب فى التلقين والايحاء ، غير المباشر ، يوصل اليه راسا لا سيما اذا اقترن بالتكرار ، وقد تنبه لهذا المربون من الاجانب واطالوا البحث فيه ، واستعملوه فى تلقين المبادىء التى يريدون الشباب عليها .

ولو كانت القصة معروضة عرضا مدرسيا ، يخاطب العقل الواعى ، لحفظتها (الذاكرة) لتقدمها الى العقل عند الطلب فيعمل فيها ، مناقشة وبحثا وتشكيكا ، ثم تنساها على مر الأيام ، كما ينسى التلميذ اذا كبر دروس المدرسة التى وعاها وامتحن فيها ، ولكنه لا ينسى توجيهات المدرس ، التى تجىء عفوا ، وانى لأذكر الآن والله من هذه التوجيهات العارضة ، اشياء سمعتها فى المدرسة خلال أيام الحرب العالمية الأولى .

وقد ظن قوم ضلوا وزلوا ، ان قصص الأنبياء فى القرآن ، كقصص الأدباء من أمثال اسكندر دوماس وشارلز دكنز ، يراد بها العبرة ولا يحرص فيها على الحق (٥) وهذا كلام باطل وجميع تلكم الكتب (الا ما كان سماويا وبقى كما نزل) ، مهما سما فيها الفكر ، ومهما رقت فيها العاطفة ، كتب ارضية منبثقة من حياة الانسان على هذه الارض ، محدود ما فيها بحدود هذه الحياة لا تعرف ما قبلها ، ولا ما بعدها ، لا تعرض له ولا تشير اليه ، الا بأصابع الخيال الذى لا تدعمه حقيقة ، أو التوهم الذى لا يسنده دليل ، والقرآن يشمل موضوعه ما قبل هذه الدنيا ، وما بعدها ، ويخبرنا معشر البشر (ولم نكن لنعلم لولا أن علمنا) : من اين جئنا ، ما اصلنا والى أين نمضى ، وما مصيرنا .

فان نظرنا الى الموضوع ، وجدنا القرآن وحده من بين تلك الكتب جميعا هو الذى يحوى الدستور الكامل ، للحياة الفردية والجماعية ، الجسدية والروحية ، ولحياة المجتمع المالية والاجتماعية والأخلاقية ، والحكومية ، حياته هذه القصيرة على الأرض ، وحياته المقبلة فى الآخرة .

بل إن من عجائب القرآن ، ان هذا الدستور قد اجمل فى اربع عشرة كلمة فقط . نعم أربع عشرة كلمة هى : **والعصر ، ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .**

يبدأ بالتذكير بحقيقة نعرفها ونوقن بها ، ولكننا قد ننساها ، هى أن رأس المال للانسان ، عمره ، فكلما مر عليه يوم خسر منه يوما ، حتى تجىء ساعة الموت فيكون الخسر الكامل ، لهذا اقسم بالعصر (أى الزمان) لا تعظيما له كما يقسم البشر ، بل للتنبيه اليه .

نخسر بالموت لاننا نترك كل شىء ونمضى . ولكن منا من لا يشمله هذا الخسر ، هو الذى يحمل معه من خيرات هذه الدنيا ما ينتفع به فى الآخرة ، اولئك هم (**الذين آمنوا وعملوا الصالحات**) ثم يضع لنا المنهج العام للمبدأ وللتطبيق ، للفرد فى نفسه وللجماعة فيما بينها ، فالمبادىء منها ما هو حق وما هو باطل ، فالمؤمن يتمسك بـ (الحق) ، والمتمسكون بالمبدأ الحق منهم من لا يصبر على مشاق التطبيق ، فالمؤمن يحرص على (الصبر) عليها ، حتى يطبقه تطبيقا كاملا .

ثم لا يكتفى كل واحد بنفسه ، بل يتعاونون عليها و (يتواصون بها) (٦) فيصلح الأفراد ويصلح بهم المجتمع .

هذا من حيث مجموعه ، ومن حيث موضوعه .

أما أسلوبه فأسلوب مفرد ، ليس فى كل ما عرف البشر من كتب كتاب آخر له مثل هذا الأسلوب الذى جاء جديدا ، وبقى جديدا ، لأنه لم يقلد ولم

يحتذ ، ولم ينسج احد على نوله ، والقرآن يدور كله على وصل الانسان الفانى بالله الباقى ، بتوحيده وتذكره ، وتجنب اشراك غيره فى الالوهية معه ، أو توجيه العبادة الى سواه وعلى وصل هذه الحياة الفانية بالحياة (الآخرة) الباقية بالايمان بها ، والاستعداد لها ، والعمل على ما ينفع فيها .

ولكنه لا يفصل بين الدين والدنيا ، كما يفعل اتباع الديانات الأخرى (٧) اذ يجعلون من الناس (رجال دين) يسلكون طريق الدين ، ورجال دنيا اى رجال علم وسياسة ومال ، فكل مسلم بنظر القرآن رجل دين ما دام متمسكا به ، قائما بواجباته ومبتعدا عن محرماته ، ورجل دنيا ما دام يبتغى فيها (من الحلال وحده) ، العز والقوة والمال ، ويقوم فيها بجلائل الاعمال .

واذا كان طريق الدنيا وطريق الآخرة عندهم ، كطريق قطر وطريق العراق للساكن فى الكويت مثلا ، فمثالهما فى القرآن كطريق العراق وطريق اسطنبول (٨) ، لا يختلفان بالاتجاه بل بالامتداد ، فطالب الدنيا يقف عندها ، ولا يجاوزها، وطالب الآخرة يتخذ الدنيا محطة فى طريقه اليها يتزود منها لها .

هذه مقاصد القرآن ، ولكنه خلال ذلك ، يلم بكل ما يحتاج اليه الانسان من أدوات توصله ، الى الكمال (الممكن) فى الفكر والجسد والعاطفة والخلق الكريم ، يمزجها مزجا مفردا ، بأسلوب هو الغاية فى الجمال فتصل به الى منطقة اللاشعور (Inconseience) أى العقل الباطن ، حتى اذا استقرت فيها ، ظهر أثرها فى فكر الانسان وعاطفته وسلوكه ، ومجموع اعماله ، لذلك (وبذلك) بدل الاسلام العرب ، حتى ولدوا به فى التاريخ ولادة اخرى ، وخذوا مثالا على ذلك عمر ، وتصوروا ماذا بلغ لما اسلم ، وماذا كان لو لم يسلم(٩) .

ما فرط القرآن فى شىء ، ولكن ليس معنى هذا أن فيه حل تمرينات الحساب فى دفتر التلميذ ، واعراب أبيات الاختبار فى كتاب القواعد ، وبيان عدد جبال البرازيل وطول أنهار فرنسا ، القرآن لا يقدم اليك صندوق التفاح ، بل يعطيك الأرض والخبرة التى تملك بها شجرة التفاح ، لا يذكر لك قوانين الفيزياء بل يمنحك العقل ويرشدك الى استعماله فى معرفة قوانين الفيزياء ، والفرنسيون يقولون فى أمثالهم : « من أهديت اليه سمكة اشبعته يوما ، ومن تعلمه صيد السمك تشبعه كل يوم » .

القرآن يدعو للتدبر والتفكر واعمال العقل ، فى فهم آيات القرآن ، وفى معرفة أسرار الأكوان ، خبرنا بأنه وضع لكل شىء قانونا ، واعطانا أبصارا وعقولا ، وقال لنا « **انظروا ماذا فى السموات والأرض** » . أنزل لكل داء دواء وقال ، ابحثوا عن الدواء للداء ، اكشفوا سنن الله وقوانينه فى هذه الدنيا ، واعرفوا (الطبيعة) التى طبعها عليها .

علم المسلم قبول التحدى والمناظرة العقلية والخضوع للبرهان القاطع ، وان نكلف الخصوم إبراز دليلهم ان كان لهم دليل (**قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين**) لأن الدعوى بلا برهان حقها الرفض .

وان نقول الحق ولو على أنفسنا ، اى أن نخضع رغباتنا وشهواتنا ، وآلامنا ولذاتنا لحكم الحق .

والقرآن يعلل احكامه وأوامره ، فى العقائد الأساسية التى هى من البديهيات (١٠) (**لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا**) وفى الشرائع (**ذلك ادنى الا تعولوا**) .

ويشير الى القوانين الاجتماعية ، اشارته الى القوانين الطبيعية ، والى انها من سنن الله الثابتة (**قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا**

كيف كان عاقبة المكذبين) .

هذا قانون الهى اجتماعى : الذين يكذبون الحق ، ويرفضونه ، ويسلكون غير سبيله تكون عاقبتهم الهلاك (**واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيهــا ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)** وهذا ايضا قانون .

ويمنع الاعتقاد بالخرافات ، أى النتائج المتوهمة ، لمقدمات غير مسلمة ، اى ما ينافى التفكير العلمى من الاعتماد على المصــــادفات ، كالاستقسام بالأزلام ، والأوهام كالبحيرة والسائبة ، وتصديق الدجالين من المشعوذين ، واتخاذ أسباب لا تؤدى بطبيعتها الى المسببات ، كالحجب والتمائم ، فهو بذلك يحرر الانسان من عبودية الخرافات .

ويجعل المؤمن لا يصدق الا باحد اثنين : بما ثبت لديه ثبوتا عقليا مستندا الى الحس الصحيح ، أو التجربة المضطردة . وبما جاء به الخبر اليقينى .

فهو دستور ، ودستور الدولة فى العادة يحدد الحدود العامة ، ويبين الأهداف الكبرى ولكن لا يدخل فى التفصيلات الا فى حالات خاصة لها ما يدعو الى ادخالها فى الدستور ، فالدستور ينص على أن اللغة الرسمية للدولة هى العربية مثلا ، وعلى وجوب الاعتناء بها ، لكن لا يشرح عمل اسم الفاعل والصفة المشبهة . وعلى أن القضاء مستقل ، ولكن لا يحدد مدد التبليغ وطريقة التنفيذ وكذلك القرآن قال لنا (**واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)** وترك لنا اختيار الطرق والأساليب للوصول الى تحقيق العدل .

للبحث بقية

---

(١) القياس الصرفى : بدهى ، ولكن كلمة بديهى وطبيعى مستعملة من اكثر من الف سنة ، وصقلتها الالسنة والأقلام .

(٢) جى : ارض ، ولوجى : علم باليونانية القديمة والواو للتركيب كمـــا يقولون مثلا (فرانكو آراب) .

(٣) تقويم بالواو — أما تقييم فلا صحة لها ، واذا ظنوا انها من (القيمة) فان قيمة أصلها (قومة) .

(٤) راجع كتابى (تعريف عام بدين الاسلام) .

(٥) منهم خلف الله فى اطروحته التى طلب بها شهادة الدكتورية ، وكنت تلك السنة (١٩٤٧) مقيما فى مصر موفدا من وزارة العدل فى الشام الى ادارة التشريع فى مصر ، وكنت اشرف على مجلة الرسالة لمرض صاحبها الاستاذ الزيات رحمه الله ، فأثرتها عليه حربا تطاير شررها وانتشر خبرها ، ووصلت الى القضاء فى دعوى اقامها على الشيخ أمين الخولي — وكانت النتيجة أن رفضت الاطروحة تلك السنة — ومن رجع الى مجلة الرسالة لسنة ١٩٤٧ وجد تفصيل الخبر .

(٦) لى تفسير مفصل لهذه السورة هذه خلاصته . اذعته فى رمضان من عام ١٩٦٠ من اذاعة دمشق .

(٧) ودين الحق واحد (ان الدين عند الله الاسلام) .

(٨) أصلها اسلامبول (اى بلد الاسلام) سماها بذلك السلطان محمد الفاتح رحمه الله .

(٩) لى كتاب كبير عن عمر جمعت فيه اخباره كلها مع ذكر مصادر بالجزء والصفحة طبع سنة ١٩٣٥ ثم عدلته وسميته أخبا ر عمر طبع سنة ١٩٥٩ ولا يزال يطبع .

(١٠) انظر كتابى (تعريف عام بدين الاسلام) .

نظرات في الحديث

(٤)

للدكتور محمد عبد الرءوف

مرحلة تدوين المصنف

كانت المرحلة الاولى من مراحل تدوين الحديث التى سميناها (مرحلة الصحيفة) تمثل البداية الطبيعية لحركات النمو والتطور ، فكانت بسيطة القدر والهدف ، أما بساطة القدر فلأن عدد احاديثها لم يتجاوز غالبا بضع العشرات ، وأما بساطة الهدف فلأن الصحيفة كانت ترمى الى نقل ما فى الصـــدور الى السطور دون اتباع منهج فى ترتيب أحاديثها للتيسير على الدارســين الذين كانوا بحاجة الى الحديث لاستنباط المبادىء العقيدية والأحكام الشرعية اذا عز عليهم الأمر فى الكتاب الكريم .

لذلك اتجه المدونون للحديث فى المرحلة التـــالية ، وهى التى نحن الآن بصددها ، الى منهج التصـــنيف والتبويب ، وقد بدأت هذه المرحلة فى العقد الثالث من القرن الهجرى الثانى ، أى ما بين سنة ١٢٠ و ١٣٠ هـ(١) ، أى فى

الوقت الذى كانت تحتضر فيــــه الدولة الاموية وتتحفز فيـــه للوثوب الدولة العباسية .

ويقصد (بالتصنيف) تنويع الاحاديث على حسب موضوعاتها ووضع كل نوع او صنف منها فى فصل من الكتاب تحت عنوان يدل على موضــــوعها ، واطلقوا على كل فصل من الكتاب المدون بهذه الطريقة اسم (كتاب) مثل كتاب الايمان وكتاب الطهارة وكتاب الصلاة وكتاب الزكاة وكتاب الصيام وكتاب الحج وكتاب البيوع وكتاب المناكحات وهكذا ، ولقد قسموا كل فصل من هذه الفصول او الكتب الى (ابواب) وجعلوا ايضا لكل باب عنوانا يدل على موضوع احاديثه، وذلك كتصنيفهم كتاب الطهارة مثلا الى باب المياه وباب الوضوء وباب الغسل وباب المســـح وباب التيمم وباب الحيض ، وقد اطلقــوا على هذا التنظيم : (التبويب الفقهى) ، وذلك لأن العناوين والموضـــوعات الفقهية كانت تغلب عليها .

ويتميز هذا النوع من تدوين الحديث فى هذه المرحلة بثلاث مميزات : اولها (الترتيب المنهجى) على الوجه الذى شرحناه من الاتيـــــان بالاحاديث المشتركة فى موضوع واحد معا فى فصل واحد تحت عنوان يدل على موضوعها العام ، ثم تقسيم كل فصل الى وحدات اصغر يسمى كل منها (بابا) تحت عنوان دال على موضوع الباب ايضا ، لذلك يوصف الكتاب الحديثى المدون على هذا المنهج بكونه (مصنفا) ، وحيث ان (المصنف) يهدف الى التيسير على الدارس الباحث الذى يسعى لاستنباط الاحكام ونحوها فان المؤلف لهذا النوع يروى مع الأحاديث فى كل فصل او باب ما قد يتيسر له من اقوال الصحابة والتابعين وفتاواهم المتعلقة بالموضوع ، واخيرا يتميز (المصنف) بغزارة المادة وكثرة ما يروى به من احاديث وآثار حيث ارتفع الحرج من تقييد العلم واشتدت الرغبة فى تسجيل ما وعته الصدور وتناقلته الالســــنة قبل ان يضيع بذهاب حفظته ، وساعد على ذلك انتشار فن الكتابة وتيسير ادواتها .

وقد سمى المؤلفون لمدوناتهم الحديثية على هذا المنهج لفظ (السنن) لاشتمال الكتاب عليها ، او (المصنف) لتصنيف ما به وتبويبه ، او (الجامع) او (المجموع) لكبره وشــــموله ، او (الموطأ) لأن ما به وطىء ومهد ويسر للطالبين .

ويقال ان عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المــكى ، المكنى ابا خالد ، المعروف غالبا باسم (ابن جريج) المتوفى عام ١٥٠ هـ فى بغداد ، كان اول من دون مصنفا حديثيا على هذا المنهج ، وقد سماه (كتاب السنن) ، كما كان من المبكرين ايضا فى هذا النوع من الجمع والتصنيف (معمر بن راشد) المتوفى سنة ١٥٣ هـ(٢) والذى سبق ان التقينا به فى حديثنا عن اسناد صحيفة همام ابن منبه ، وقد اطلق على كتابه اسم (الجامع) .

وسوف نشرع الآن مستعينين بعونه تعالى فى وصف ثلاثة نماذج لهذه التآليف التصنيفية ، اولها كتاب (المجموع) المنسوب للامام زيد بن على زين العابدين الذى استشهد عام ١٢٢ هـ ، والذى رواه عنه تلميذه ابو خالد عمرو بن خالد الواسطى المتوفى حوالى سنة ١٥٥ هـ ، وهو اخصر الثلاثة ، ثانيها كتاب (الموطأ) لامام دار الهجرة مالك بن انس المتوفى عام ١٧٩ هـ ، وهو اشهرها ، وثالثها كتاب (المصنف) للامام عبد الرزاق بن همام الصنعانى المتوفى ســـنة ٢١١ هـ ، وهو اطولها ، وسوف نتبع ان شــــاء الله تعالى وصف كل منهــا باختيارات من الكتاب مزيدا فى الفائدة .

(أ) المجموع الزيدى

نشأ الامام زيد الذى يروى عنه هذا المجموع فى بيت النبوة والعلم تحت رعاية أبيه الامام على زين العابدين الذى شهد صبيا مصرع ابيه الامام الحسين وكان الموت منه قاب قوسين ولكنه نجا منه بأعجوبة فقضى سائر حياته بالمدينة عاكفا على العلم والعبادة ومساعدة المساكين وذوى الحاجة ، وكان مهابا موقرا محببا الى القلوب ، وليس ادل على مكانته فى نفوس المسلمين رغم تواضعه وحسن أدبه مما حدث يوم اقبل هشام بن عبد الملك للطواف بالبيت أيام الحج ومعه حرسه وحشمه حيث كان ولى عهد الخليفة الاموى ، فقد عجز هشام بسبب الزحام ورغم الجهد عن الوصول الى الكعبة المشرفة واستلام الحجر ، فنصب له منبر فجلس عليه واستلم على بعد وحوله حاشيته ، وبينما هو كذلك راى الجموع المحتشدة تتنحى اختيارا وتفسح الطريق لقادم بدا فى شكل مليح ودنا من الحجر واستلم فى هيبة ووقار ، فأوغر ذلك صدر هشام لأنه عرف أن القادم الوقور على ابن الشهيد الحسين ، ولكنه قال استنكارا وغيظة : « من هذا ؟ » ، وتصادف أن سمعه الفرزدق الشاعر المشهور فبادر وانشد قصيدته البديعة التى مطلعها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطاته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا راته قريش قال قائلها : ... الى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى الى ذروة العز التى قصرت ... عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

هذا هو ابو صاحبنا زيد ، وفى بيته ــ بيت العلم والايمان ــ ولد زيد عام ٧٦ هـ ، وعلى يده نشأ زيد وترعرع ، وقد تعلم وحفظ وعنه روى وحكى ، حتى اذا توفى الأب ولم يكن زيد قد بلغ العشرين بعد ، واصل الدرس والتحصيل مع اخيه الاكبر الامام محمد الباقر الذى يقال عنه انه بقر العلم ، ومع ابن اخيه الامام الصادق الذى سارت بذكره الركبان ! فى هذا الجو المبارك شب زيد ونضج على التقوى وحفظ وارتوى من فيض العلم والعرفان حتى أصبح حجة ومنارا ومثلا فى الفصاحة والبيان ، وبحرا فى الحديث وعلما فى معرفة وجوه تلاوة القرآن ، وحسبك شهادة الباقر له حيث أجاب من سأله عنه بقوله : « سألتنى عن رجل ملىء ايمانا وعلما من اطراف شعره الى قدميه ! » .

والحديث عن الامام زيد وشجاعته وادبه وشعره وجهاده ممتع وطويل ، وقد يبعدنا عن الموضوع الذى نحن بصدده ، وقد حفزته شجاعته وايمانه واستنكاره لبغى بنى أمية على قبول البيعة له بالكوفة فى عهد خلافة هشام ابن عبد الملك ، ولكنه خر صريعا فى معاركه ضد جنود الامويين عام ١٢٢ هـ ، وهو لا يزال فى مقتبل العمر ، فمثل ببدنه تمثيلا وحشيا نمسك القلم عن وصفه ، وقد زاد ذلك من كراهية الناس لبنى أمية وضاعف عطفهم على بنى على ، وقد نما مذهب زيد واطلق عليه مذهب الزيدية ، وهو مذهب شيعى

معتدل ، ويكثر اتباعه فى جنوب شبه الجزيرة ، وكان لعلماء الزيدية يد طولى فى اثراء المكتبة العربية الاسلامية .

وكان اعظم تلاميذ زيد ومريديه واكثرهم به صلة واطولهم له صحبة عمرو بن خالد الواسطى المكنى بأبى خالد ، وقد روى ابو خالد هذا مجموعين عن الامام زيد ، احدهما مجموع حديثى والآخر مجموع فقهى ، فضم احدهما الى الآخر فى كتاب واحد هو (المجموع) ، وكما يقول العلامة المحقق الشيخ محمد ابو زهرة : تحمل ابو خالد هذا المجموع عن زيد « بطريق الرواية الشفوية أحيانا وبالاملاء احيانا »(٣) ويقول : « رواه ابو خالد الواسطى فيه الفقه وفيه الحديث ، فهو يشتمل على المجموعين الفقهى والحديثى »(٤) وذلك لأن ابا خالد تلقى عن الامام مجموعين ، المجموع الفقهى والمجموع الحديثى فرواهما ابو خالد معا كمجموع واحد مرتب ومبوب ، ويقرر الشيخ ابو زهرة ان هذا الترتيب كان من عمل الواسطى ولكن « يحتمل أن يكون التبويب قد جرى فيه بعض التغيير ، ولكننا لا نفرضه فرضا .. ولم يجىء فى كتب الزيديين ما يدل على هذا التغيير فى التبويب ، ولذلك لا ندعى وقوعه ولا نفرضه وانه لا تضعف الثقة فى الكتاب اذا حدث »(٥) .

وعلى هذا فالمجموع الذى بأيدينا يشمل ما تحمله ابو خالد عن الامام زيد من احاديث وما تعلمه عنه من فقه واحكام ، ولكنه خلط الفقه والحديث ، فنرى الباب الواحد مشتملا على الحديث والفقه ، وهذا هو شأن المدونات (المصنفة) كما شرحنا من قبل واليك المثال التالى ، وهو اول (باب ذكر الوضوء) من كتاب الطهارة الذى هو اول فصول المجموع :

قال ابو خالد الواسطى :

حدثنى زيد بن على

عن أبيه على بن الحسين

عن جده الحسين بن على

عن أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهم السلام ،قال :

«رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فغسل وجهه وذراعيه ثلاثا ثلاثا ، وتمضمض واستنشق ثلاثا ثلاثا ، ومسح راسه واذنيه مرة ، وغسل قدميه ثلاثا » .

قال ابو خالد رحمه الله :

« سألت زيد بن على عليه السلام عن الرجل ينسى مسح راسه حتى يجف وضوءه ، قال عليه السلام : (يعيد مسح راسه ويجزئه ولا يعيد وضوءه) » .

وقال زيد بن على عليهما السلام :

« الاستنجاء سنة مؤكدة ، ولا يجوز تركها الا ان لا يجد الماء» .

وقال زيد بن على عليهما السلام :

« المضمضة والاستنشاق سنة ، وليس مثل الاستنجاء » .

ثم يسوق ابو خالد فى هذا الباب اثرا عن ابيه فيقول :

« حدثنى زيد بن على قال : « كان يقول ابى على بن الحسين بن على عليهم السلام : اذا ظهر البول على الحشفة فاغسله » .

وتحت عنوان (باب المسح على الخفين) يسوق ما يلى :

حدثنى زيد بن على عن ابيه عن جده عن على عليهم السلام :

« أن رسول الله صلى الله عليه وآلهوسلم مسح قبل نزول المائدة ،

فلما نزلت آية المائدة لم يمسح بعدها » .

حدثنى زيد عن أبيه عن جده الحسين عليهما السلام قال :

« انا ولد فاطمة لا نمسح على الخفين ولا عمـامة ولا كمة ولا خمـار ولا جهاز » .

وسألت زيدا عليه السلام عن المسافر يخاف على نفسه من الثلج ، هل يجوز له أن يمسح على خفيه ؟ قال :

« نعم ، هذا عذر مثل المسح على الجبائر ، فان استطاع الغسل لم يجزه المسح » .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الاحاديث كلها الواردة فى (المجموع) مروية بسند واحد : زيد عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فكل رواته ــ كما نرى ــ من اهل البيت ، ولا تأخذ الشيعة الا عنهم . ولكن مع أن الراوى للمجموع عن زيد ــ أعنى ابا خالد الواسطى ــ ليس من أهل البيت ، فان آل بيت زيد أنفسهم قد تلقوا المجموع بالقبول ، كما تلقاه بالقبول سـائر جماعة الزيدية .

ويحتوى المجموع على اربعة عشر (كتابا) ، هى كتاب الطهارة فكتاب الصلاة فكتاب الجنائز فكتاب الزكاة فكتاب الصيام فكتاب الحج فكتاب البيوع فكتاب الشركة فكتاب الشهادات فكتاب النكاح فكتاب الطلاق فكتاب الحدود فكتاب السير فكتاب الفرائض ، وقسم كل كتاب منها الى ابواب ، فكتاب الشركة مثلا يشتمل على باب الاجارة وباب الرهن وباب العارية والوديعة وباب الهبة والصدقة وباب اللقطة واللقيطة وباب جعل الآبق ، وباب الغصب والضمان ، وباب الحوالة والكفالة والضمان وباب الوكالة ، وقد طبع المجموع أخيرا باسم (مسند الامام زيد) ، ولا تعنى كلمة (المسند) هنا المعنى الاصطلاحى الذى سنشرحه ان شاء الله عند الكلام على المرحلة القادمة من مراحل تدوين الحديث، ولعل المقصود لفظا (ما اسند) أى ما نسب الى الامام زيد أو عن طريقه ، أما تسميته بالمجموع فلما جمع به من أحاديث وأقوال وفتاوى .

ويشتمل المجموع على ٢٢٨ حديثا مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم، وعلى ٣٢٠ خبرا موقوفا على الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وخبرين مرفوعين الى الامام الحسين عليه السلام ، ويبدأ أبو خالد سند هذه الاحاديث والاخبار بقوله : (حدثنى زيد) ، أما ما يرويه عن زيد نفسه فيبدؤه بقوله : (قال زيد) ، وقد يقول :« سألت زيدا عن كذا » ويأتى بالجواب .

ونأتى هنا ــ كما وعدنا ــ بمختارات من (المجموع) لمزيد الفائدة :

حدثنى زيد عن أبيه عن جده عن على عليه السـلام قال : « دخلت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضى الله عنها فاذا نسوة فى جانب البيت يصلين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أم سلمة ، اى صلاة يصلين ؟ قالت : يارسول الله ، المكتوبة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلا أممتهن ؟ قالت : يا رسول الله : أويصلح ذلك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : نعم ، تقومين وسطهن ، لا هن أمامك ولا خلفك ، ولكن عن يمينك وعن شمالك » .

حدثنى زيد عن أبيه عن جده عن على عليه السلام قال : « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال : أما هذا فلو خشع قلبه لخشعت جوارحه » .

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب عليهم السلام قال : « اذا طهرت الحائض قبل المغرب قضت الظهر والعصر ، واذا طهرت

قبل الفجر قضت المغرب والعشاء » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عودوا مرضاكم ، واشهدوا جنائزكم ، وزوروا قبور موتاكم ، فان ذلك يذكركم الآخرة » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى لا يرفع العلم بقبض يقبضه ، ولكن يقبض العلماء بعلمهم فيبقى الناس جيارى فى الارض ، فعند ذلك لا يعبأ الله بهم شيئا » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « نزل القرآن على أربعة أرباع ، ربع حلال ، وربع حرام ، وربع مواعظ وأمثال ، وربع قصص وأخبار » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أنه قال : « من قرأ القرآن وحفظه فظن أن أحدا أوتى مثل ما أوتى فقد عظم ما حقر الله وحقر ما عظم الله تعالى » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يحب الحيى الحليم العفيف المتعفف ، ويبغض البذئ الفاحش الملح الملحف ، الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا ، بسم الله الرحمن الرحيم » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « من قرأ فاتحة الكتاب فقال : الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه صرف الله عنه سبعين نوعا من البلاء أهونها الهم » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « خرجت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل رجل من الانصار عدناه فاذا هو يضرب غلاما له والغلام يقول : (اعوذ بالله ،اعوذ بالله !) كل ذلك لا يكف عنه سيده ، قال : فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أعوذ برسول الله) فكف عنه الرجل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الم تعلم أن عائذ الله أحق أن يجار ؟) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرقاكم أرقاكم ! فانهم لم ينجروا من شجرة ، ولم ينحتوا من جبل ، اطعموهم مما تأكلون ، واسقوهم مما تشربون ، واكسوهم مما تكسون » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، الا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : أفشوا السلام بينكم وتواصلوا وتباذلوا » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أفضلكم ايمانا أحسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الواصلون لأرحامهم ، الباذلون لمعروفهم ، الكافون لأذاهم ، العافون عن قدرة » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « للمسلم على أخيه ست خصال : يعرف اسمه واسم أبيه ومنزله ، ويسأل عنه اذا غاب ، ويعوده اذا مرض ، ويجيبه اذا دعاه ، ويشمته اذا عطس » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « اذا

دخلت السوق فقل : « بسم الله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله ، اللهم انى أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة ومن شر ما أحاطت به أو جاءت به السوق » .

حدثنى زيد بن على عن ابيه عن جده عن على عليه السلام قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آوى الى فراشه عند منامه اتكأ على جانبه الايمن ثم وضع يمينه تحت خده مستقبل القبلة ثم قال : « باسمك اللهم وضعت جنبى وبك أرفعه ، اللهم ان أمسكت نفسى فارحمها وان أخرتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين » .

حدثنى زيد بن على عن ابيه عن جده عن على عليه السلام قال : « بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله ، تبعثنى وانا شاب لا علم لى بالقضاء ؟ قال : فضرب يده فى صدرى ودعا لى ، فقال : اللهم اهد قلبه وثبت لسانه ولقنه الصواب وثبته بالقول الثابت ، ثم قال : يا على ، اذا جلس بين يديك الخصمان فلا تعجل بالقضاء بينهما حتى تســـمع ما يقول الآخر ، يا على لا تقض بين اثنين وأنت غضـــبان ، ولا تقبل هدية مخاصم ، ولا تضفه دون خصمه ، فان الله عز وجل سيهدى قلبك ويثبت لسانك ، قال : فقال عليه السلام : فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما شككت فى قضاء بعد ! »

حدثنى زيد بن على عن ابيه عن جده عن على عليه السلام : « فى الرجل يطلق امرأته فيختلفان فى متاع البيت فقضى عليه السلام فى ذلك أن ما كان يكون للرجال فهو للرجل وما كان يكون للنساء فهو للنســـاء ، وما كان يكون للنساء والرجال فهو بينهما نصفان ! » .

حدثنى زيد بن على عن ابيه عن جده عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا نظر العبد الى زوجته ونظرت اليه نظر الله اليهما نظر رحمة ، فاذا أخذ بكفها وأخذت بكفه تساقطت ذنوبهما من خلال اصابعهما ، فاذا تغشاها حفت بهما الملائكة من الارض الى عنان الســـماء ، وكانت كل لذة وكل شهوة حسنات كأمثال الجبال ، فاذا حملت كان لهـــا أجر المصلى الصائم القائم المجاهد فى سبيل الله ، فاذا وضعت لم تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » .

حدثنى زيد بن على عن ابيه عن جده الحسين عليه السلام قال : بينما على عليه السلام بين أظهركم بالكوفة وهو يحارب معاوية بن أبى سفيان فى صحن مسجدكم هذا محتبيا بحمائل سيفه وحوله الناس محدقون به ، وأقرب الناس منه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتابعون يلونهم اذ قال له رجل من أصحابه : يا أمير المؤمنين ، صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنا ننظر اليه ، فانك أحفظ لذلك منا ، قال : فصوب رأسه ورق لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم واغرورقت عيناه ، قال ثم رفع رأسه ثم قال :

« نعم ، كان رسول الله صلى الله عليه وســـلم أبيض الوجه مشربا بحمرة ، أدعج العينين ، سبط الشعر ، دقيق العرنين ، سهل الخدين ، دقيـــق المشربة ، كث اللحية ، كان شعره مع شحمة أذنيه ، اذا طال كأنما عنقه ابريق فضة ، له شعر من لبته الى سرته يجرى كالقضيب ، لم يكن فى صدره ولا فى بطنه شعر غيره الا نبذات فى صدره ، شثن الكف والقدم كأنما ينقطع من صخر أو ينحدر فى صبب ، اذا التفت التفت جميعا ، لم يكن بالطويل ولا بالعـــاجز اللئيم ، كأنما عرقه اللؤلؤ ، ريح عرقه أطيب من المسك ، لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم ! » .



أصحيح أنّ عقائد أسباب التخلف

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

قرأت مقالا فى مجلة سيارة ، يحلل فيه كاتبه أسباب التخلف عند المسلمين ، ويتلمس أهم المعوقات التى أخرتهم فى سباق الانتاج عن اللحاق بغيرهم .

لقد كان من أهم أسباب ذلك فى نظر كاتب المقال ، تلك الآثار الباقية من الدين وغيبياته عندهم ، وتلك العقيدة التى تنسب كل شىء الى الخالق !!

والحقيقة أن ربط التخلف بالدين ، قد غدا عند كثير من الكتاب العرب ، حركة آلية فى سير تفكيرهم ، تماما كآلية تصور ارتباط الطعام بقرع الجرس عند الكلاب التى أجرى عليها بافلوف نظريته المشهورة عن رد الفعل الشرطى .

فمهما انحسر سلطان الدين (الذى هو الاسلام فى هذا المقام) عن مجتمعنا العربى وابتعد الناس عن سبيله وقيوده . ومهما ابتعد عنهم محصورا فى مخزن التاريخ ، منزويا فى مغربه الحضارى — فان هؤلاء الكاتبين يظلون يلصقون به جريرة تخلفهم كلما سئلوا عن أسبابه أو كلما تظاهروا بالنهوض لمعالجته والثورة عليه .

والتخلف كلمة تشمل كل مظاهر الضعف أو الجهل أو الفقر فى حياة الأمة . فهى اذا تنحط على تفرق المسلمين وتدابرهم ، وعلى استلاب اليهود لأراضيهم ، وعلى جمود الحركة العلمية فى حياتهم ، وقعودهم عن تسخير ما فى الأرض لمعاشهم .

يزعم هؤلاء الباحثون اذا ، بأن من أهم ما يمنع وحدة العرب اليوم بقايا الايمان بالدين وغيبياته فى حياتهم ، ومن أهم ما يمنعهم من رد عدوان اليهود بقايا هذا الدين أيضا ، ومن أهم ما يكبلهم عن الانطلاق فى آفاق المعرفة بقايا هذا الدين نفسه ، ومن أهم ما يقعدهم عن السبق الاقتصادى وكثرة الانتاج بقايا هذا الدين ذاته !

ويعلم هؤلاء الباحثون ، كما يعلم

الإسلام من أهم وضعف الإنتاج ؟

غيرهم ، أن هذه الأمة كانت فيما مضى خاضعة خضوعا تاما لسلطان الاسلام ، فحكمها ينبثق عن قانونه ، ومجتمعها قائم على نظامه ، وأخلاقها مستلهمة من روحه . وكان ذلك فيما أجمع عليه الباحثون هو سر اتحادها بعد تفرق ، وقوتها بعد ضعف وغناها بعد فقر .

فكيف ينعكس الأمر ، ويصبح ما كان سببا للوحدة والقوة والتقدم بالأمس ، سببا للفرقة والضعف والتخلف اليوم ؟ ..

ومع ذلك ، فلو أن من نسميهم اليوم مسلمين لا يزالون يحتكمون الى الاسلام فى قانونه ونظامه واخلاقه ، لأقررنا بالتناقض تحت سلطان الواقع ولقلنا — والعجب يملأ كياننا — ان الاسلام على ما يبدو ذو اثرين متناقضين !! ..

ولكن من نسميهم اليوم بالمسلمين ، بعيدون عن الاسلام بمقدار ما كان أسلافهم قريبين منه متعلقين به .

فأين هو مكان العتب على دين تراجع سلطانه عن الحكم ونظامه ، وتقلص ظله عن المجتمع واخلاقه ، ولم يعد اكثر من شعارات فى المساجد وكلمات تردد فى المحافل ؟ ..

ولئن كان ثمة بقية قليلة من المسلمين الذين لا يزالون على وفاء مع اسلامهم ، فانهم على كل حال يقفون — طوعا أو كرها — بعيدا عن طريق المتقدمين والمتوثبين الى الاصلاح ، لم يقف واحد منهم يوما ما عثرة فى سبيل وحدة ، ولم يصد عن طريق قوة ، ولا سعى الى اجهاض مصنع .

الجنس البشرى الثالث :

لم يقل واحد منهم لقطعان الكسالى سمار النوادى ، ونوام الضحى ، المتثائبين بين كل يقظة ونوم : اياكم أن تبرحوا نواديكم التى تعابثون فيها الحياة ، لتسلكوا سبيل غيركم فى علم يرفع لكم شأنا أو يثمر لكم مصنعا

او ينهضكم الى سبيل مع الآخرين فى ارتياد الفضاء .

اجل .. ولم يعمد اى واحد منهم الى جيش هـــذا الجنس البشرى الثالث ، الذى لم يعد يفهم الدنيا الا على انها ليلة حمراء وفتاة حسناء ، ولم يعد يذكر لأمته تاريخا ، ولا يؤرقه عليها مصير ، ولا يشاركها فى ألم ، ليقول لأحدهم : استمر كما أنت ، نائما فى ارجوحة الأحلام ، ولا توقظنك غيرة على وطن ، أو حرقة على اصلاح فانما انت كما قال الشاعر :

دع المكارم لا ترحـــل لبغيتهــا
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

ولم يتقدم واحد منهم الى أى فرد من هؤلاء الذين يتبرمون بالتخـلف ومظـــاهره ، ويطمحون الى التقدم واسبابه ، ويلومون فى سبيل ذلــك الدين والمتدينين والمؤمنين بخالقيــة الخالق ، ليغلله فى الأصفاد ، ويشده الى قاع التخلف حيث الفقر والجوع والجهل وقلة الانتاج ! ..

إنهم جميعا يتحركون كما يشاءون، ويتجهون الى حيث يريدون ، الميدان ميدانهم ، والساحة فارغة أمامهم ، والعدو — أيا كان — مكشوف تحت أبصارهم . فلماذا كل هذه الضجــة الراكدة فى ارضها ، والنزق الــذى لا يتحرك من مكانـــه ، والصراخ المتلاحق بدون موجب : اتركنى عليهم .. اتركنى عليهم ؟؟ !! .

لو كان بهذه البقية القليلـــة من المسلمين الأوفياء لدينهم ، بقية طاقة للوقوف عقبة فى وجه شىء ، لوقفوا عقبة فى وجه هذا الكسل الماجن الذى تحتضنه الملاهى الى لمة الصباح ،ثم يستقبله النوم الثقيل الى وهج الضحى بل لوقفوا عقبة فى سبيل هذه الأحلام الداعرة التى التفت على كينـــونة الجمهرة الكبرى من شباب هذه الأمة، نفسية وعقلا وتفكيرا . بل لوقفـــوا عقبة فى طريق نفاق يصطنع الحرقة على الأمة والوطن والمصير ظاهرا ، وينصرف الى اقتطاف ثمار هـــذه (الحرقة) مكاسب وأرباحا . باطنا .

ولكن هذه البقية المسلمة ليس لها من الأمر شىء .. ليس لها من الأمر شىء فى اصلاح هذا الفساد ، أفيكون لها الأمر كلـــه فى افساد ذلـــك الصلاح ؟ ..

حقيقة التهمة :

اذا فما هى حقيقة هذه التهمة ؟

حقيقتها أن الخـــائب الذى يغص بالاعتراف بخيبته ، يشتهى أن يلحق بغيره التهمة ويعـــوض عن خذلانـــه بجعجعة فارغة : اتركنى عليهم !!

والا ، فما من عاقل ذى نصيب ما من الثقافة والبحث ، الا وهو يعــلم أن اى أمة من الأمم الناهضة والمتقدمة لم تكلفها نهضتها أن تنبذ دينهـــا أو تاريخها او شـــيئا من عاداتهـــا وتقاليدها ، أيا كان مستوى ذلك كله .

لقد نهضت اليابان واخذت تنافس اليوم كبرى الدول الأوروبية فى شتى ميادين الصناعة والعلم ، فهل كلفها ذلك أن تتجرد عن شىء من طقوسها الدينية أو مقدساتها التاريخية أو أن تهجر شيئا من معابدها ، أو تجحـــد شيئا من غيبياتها ؟ .. بل هل تستطيع لدى المقارنة بين اليابان كما هى اليوم واليابان منذ مائة عام ، أن تقول انها اليوم أشد تحررا من الدين وغيبياته التى كانت منقادة لها بالأمس ؟ ..

يقول احد الصحفيين الاوربيين فى حديث له عن اليابان ونهضتها :

(ان ظفر اليابان بالصين لم يثبت علو الافكار والمبادىء العلمية التى أخذتها اليابان عن الغرب وكفى ، بل اثبت امرا آخر ، وهو أن شعبـــا آسيويا بمجرد ارادته وعزيمته عرف أن يختار ما رآه الأصلح له من مدنية

الغرب ، مع الاحتفاظ باستقـــلاله وقوميته وعقليته وآدابه وثقافته) .

ولقد تبوات اوربـــا مركزهـــا الحضاري الجديد في العالم، دون أن يحملها ذلك على ان تتنكر لمسيحيتها أو تتساهل في شيء من تقاليدهـــا وموروثاتها الدينية ، أو تجحد شيئا من غيبيات تلـــك التقاليـــد . بل ان بريطانيا ــ وقد كانت ولا تزال عنوانا من ابرز عناوين النهضة الاوربية ــ لا تفخر بشيء من علومها وصناعاتها كما تفخر بعتيق عاداتها وتقاليدهـــا والمحافظة على موروثاتها .

واليهود الذين يحتلـــون فلسطين وبعضا مما حولها ، لا يشك احد في انصرافهم الكـــلي الى العلـــوم والصناعات ، ولا يشك أحد في أنهم يحاربوننا بسلاح العلم والتنظيم اكثر مما يحاربوننا بسلاح من القوة العارية ومع ذلك فهل يجهل ادنى مثقف من الناس أن جميع نشاطاتهم هذه انمـــا تنمو عندهم في تربة الدين واحضانه ؟

افتكون هذه الأديان التقليديـــة ، عونا عند أربابها على التقدم الحضاري وكثرة الانتاج . ثم يكون الاسلام (وهو الدين الذي ينهض وجوده على دعائم العلم وينبذ كل أســـطورة وتقليد) هو وحده من بين الأديان جميعا سببا في التخلف وعثرة في طريق التقدم ومعوقا عن الانتاج ؟!

هل في العقلاء الأحرار من يستعد أن يبيع عقله ليعتنق هـــذا المنطق المعكوس ؟

. . . .

انا اعلم ان أرباب هـــذا الزعم العجيب قد يبادرونني قائلين :

وهل اوقف عجلة التقدم الاقتصادي عندنا غير الاسلام: عندما حرم الربا؟

وهل أوقف عجلة التقدم العلمي والاجتماعي والاقتصـــادي معا غير الاسلام ، عندما فرض على المرأة الحجاب وحرم عليها الاختلاط ؟ .

واقول في الجواب على هـــذا الـــكلام الذي غدا باليا من كثرة التكرار :

اولا : ها انتم اولاء تحرمون الربا ، وتفسحون له في حياتكم الاقتصادية سبيلا عريضا تغلغل منه الى سائـــر وجوه المعاملات . ومع ذلك فانه لم يساعدكم في تحقيق اى تقدم تحلمون به ولا في تخليصكم من اى تخـــلف تضجون منه .. فهل جربتم في مقابل ذلك ما ينادي به الاســـلام من ترك الربا ، وسرتم في اعمالكم الاقتصادية ذاتها ــ ولو عاما واحـــدا ــ ضمن هذه التجربة ، ولمستم النتيجة السيئة ليصح لكم ان تقولوا : لقـــد جربنا نصيحة الاسلام فوقعنـــا في شر من التخلف الذي كنا نعانيه ؟

بل استغفر الله ، ما هكذا ينبغي ان أقول .

انسيتم تجربة بنوك الادخار ، يوم قام بها العالم الاقتصـــادي المنصف المتحرق حقا على أمته ووطنه ، والمتألم حقا من التخلف وأسبابه ، في منطقة ميت غمر بمصر ؟ .. بنوك قائمة على احدث وجوه النشاطات الاقتصادية ، طاهرة مطهرة عن رجس الفائـــدة والربا ، حيث تحقق لها من النجـــاح العجيب في اقـــل من سنتين ما استقطب ثقة الأمة وحـــرك دولابا اقتصاديا خطيرا خلف كثيرا من البنوك المحيطة بها الى الوراء ، واستيقظ الناس من هذا الفتح الكبير على آمال يرونها مرسومة امامهم في منهـــاج علمي سليم ، يحقق لأول مرة اكبر حلم براود هذه الأمة المسلمة ، منذ ان استحالت عزتها الى احلام .. لقد راوا بأعينهم سبيل التخلص من تبعية الاسترليني والدولار .. والوصول من

ورائه الى حقيقة الاستقلال الاقتصادى الذى طالما هتف به (كلاما فارغا) تجار المناصب والأهواء ، استقلال يظلله ويرعاه الدينار الاسلامى ، من وراء تطبيق منهاج لبعث اقتصاد علمى دقيق ، يخضع لقانون الله ، وينسجم مع تطور الحياة ، ويتحرر من سجن اليهودية العالمية الكبير .

فلماذا وقف هذا المشروع ثم اختنق مع العلم بأنه انطلق منذ يوم وجوده يسير فوق أرفع ذروة من ذرى النجاح ؟ ! ..

بل ينبغى أن أكون دقيقا فى التعبير فأقول : لماذا أوقف هذا المشروع ثم خنق ؟ !

سلوا الرجل الذى خنقه بعد نجاحه (وهو حى يرزق) لماذا خنقه ؟ .. ولماذا أصر اصراره العجيب على أن لا يترك المشروع يواصل سيره الا اذا خضع لقانون الفائدة ؟ ! .

لقد سلكتم الى التقدم والازدهار الاقتصادى كل سبيل يعجبكم فما انتهى بكم السبيل الا الى مزيد من التخلف والضعف .

وسلك صاحب هذا المشروع الى الغاية نفسها سبيل الخالق الحكيم فحقق العجيب من الوان النجاح خلال عامين فقط (وسجلات الحساب والأرباح لا تزال محفوظة) ثم جاء منكم من أسرع هائجا وأغلق عليه فم الطريق .. فمن الذى يكرس أسباب التخلف ويقف فى وجه التقدم ؟ .

. . . .

ثانيا : فى أى قرآن أو سنة رأيتم أن الحجاب الذى فرضه الله قانونا على المرأة المسلمة ، انما يعنى أثقالا من الجمود تحت كلكل الماضى ، وانحباسا عن المجتمع فى كهوف العزلة ؟ .. والى أى دليل أو شبهة دليل استندتم فى الربط بين حشمة المرأة كما يأمر به الاسلام ومظاهر الجهل والسخف والتخلف التى يندد بها الاسلام ؟ ..

بل أقول : من أين لكم هذا التلازم المختلق بين أن تبرز المرأة عارية الجسم والمفاتن ، وأن تنطلق فى دنيا العلم والثقافة والتصنيع ؟

ها هى ذى الشوارع والأسواق ، قد فاضت كما تحبون بالعاريات صنوفا وألوانا ، وها هى دوائر الموظفين قد امتلأت بهن حتى لم تعد تتسع لمزيد ، فأى قيد من قيود التخلف حطمتموه .. ؟ وأى كسب من اكساب التقدم حققتموه .. ؟

اللهم الا أن جاء من يقول لنا من فوق سور المنطق والعقل : ان ظهور المرأة بهذا الشكل فى الشوارع والدوائر هو عين التقدم المطلوب ، فهو غاية بذاتها وليس وسيلة الى غيرها .

ونقول لهؤلاء : فاهنؤوا اذا بأنكم تقفون فى مصاف الدول المتقدمة الكبرى ، وكفاكم حديثا عن التخلف وتأففا عن الفقر والجهل والضعف ، فان ذلك كله ليس الا وهما تتخيلونه .. وحسبكم ان قارنتم أنفسكم بالمتقدمين أن تعلموا بأن نساءكم قد غدون نهودا ، مع الرجال فى كل ناد ودائرة وملتقى ، أكثر مما قد يكون ذلك لدى أى أمة من الأمم المتقدمة الأخرى ..

فأما اذا أردنا أن نعود فنخاطب العقلاء ، فانا نتابع الحديث فنقول :

سلوا الفتيات اللائى جربن حشمة الاسلام وحجاب القرآن ، هل منعهن ذلك من متابعة درس فى كتاب ، أو مواظبة حضور فى الجامعة ، أو هل صدهن ذلك عن القيام بأى عمل

انسانى سليم ، تستهدف منه الغاية ولا يستغل من أجل خدعة أو اثارة فتنة ؟ .. أو هن اثقلهن الحجاب عن ممارسة أى نشاط اجتماعى يبتغى من ورائه احقاق حق او ابطال باطل او معونة ضعيف .. ؟

اننا نعلم ، كما يعلم كل منصف ، ان فتياتنا المتحجبات الجامعيات ، هن الصفوة الأولى فى النجاح وقــوة الدراية وسلامة الوعى فى اى فرع من فروع الدراسة والعلم .. وأننا نعلم ، كما يعلم كل منصف ، أن فى فتياتنا المتحجبات من تمارس النشاط الاجتماعى فى سبيل امتها صنوفا ، والوانا ، بصدق وحزم واخــلاص وعلى مستوى من الاهتمام لا تبلغه اى واحدة من هؤلاء اللائى ينفقن أيــام حياتهن على النظر فى أعطافهن وتعهد زينتهن .

أجل .. لقد امتنعت المــرأة المسلمة من أن تعرض جسمها للرجل حتى ولو كان طبيبا . ولكنها لم تغلق الباب على نفسها لتعرض جسمها ، بدلا منه على الموت وأسبابه ، وانما انطلقت تدرس الطب كمـــا يدرسه الرجل وعادت فأخرجت لأخواتهــا مستشفيات تنهض على أحدث وسائل الرعاية والعلاج تشرف عليها نساء مسلمات يحملن أعلى درجات العــلم والاختصاص .

نعم .. ولقد امتنعت المرأة المسلمة عن أن تستعين بفن الرجـــل فى الميكانيك وقيادة السيارة ، فيما قــد يحوجها نشاطها الانسانى ، ولكنهــا لم ترتد بذلك على أعقابها ، ولم تطو شيئا من منهاج نشاطها ، بل اختصت هى الأخرى بالميكانيك وتعلمت قيادة السيارة وفن صيانتها ، ثم عادت وقد حققت مبدأ الاكتفاء الذاتى فــى المدارس التى ترعاها والمستشفيات التى تديرها وهكذا تجســد تكامل الدين والدنيا (وهذا هو الاسلام) فى مظهر امرأة مسلمة متحجبة تقود سيارة الاطفال ، وتســعف جرحى الحــرب ، وتطبب المرضى ، وتعلم الجهال . دون أن تتعثر فى طريق شىء من ذلك بحجابها المحتشم أو دينهــا القويم أو خوفها من الفاطر الحكيم(١) .

هذا كله على حين لم يتجســد النشاط الانسانى ــ فى غالب الأحيان ــ عند الأخريات ، الا فى عــرض مزيد من المفاتن ، واتقان مزيد من فن الاتيكيت ، ومزيد من فن الجلوس فى الصالونات .. تلــك هى الفتاة الاجتماعية الصالحة ، كمــا يروق للمتألمين من التخلف ، العاكفين فى هم منقطع النظير ، على معــالجته ودراسة اسبابه .. !!

... ...

اطلت ذيل هذا الكلام ، وانما أردت أن اجعله مقدمة بين يدى أصــل الموضوع وهو البحث فى أمـــرين اثنين :

أولهما : هذا الذى ينسبوننا اليه بتسميتنا : (غيبيين) ما هو الغيبى من الأشياء ؟ .. وهل كل غيبى وهم ؟ .. وهل فى العقلاء من لا يصــدق غيبا فى حياته ؟

ثانيهما : ما هى حقيقــة أسباب التخلف الاقتصادى وغيره ، كما هو واقع فى نفس الأمر ، لا كما تشتهيه نفوس أصحاب الأمانى ؟

وموعدنا فى معالجة ذلك لقاء فى عدد قادم ان شاء الله .

---

(١) ليس هذا خيالا نتمناه ، بل هو واقع معروف نخبر عنه .

رسالة الإسلام ..
ونسخها للرسالات السابقة

الأستاذ : عبد الكريم الخطيب

١ ـ من الحقائق التى ينطق بها كتاب الاسلام « القرآن الكريم » ويؤمن بها المسلمون ويعتقدونها ، ان الاسلام هو الدين الذى يرث الأديان السماوية التى سبقته ، ويحتوى حقائقها جميعها ، ويهيمن عليها ، إذ كان الإسلام خاتم الديانات ، فلا دين بعده ، وإذ كان رسوله خاتم النبيين ، فلا نبىّ بعد نبوته ، ولا رسالة بعد رسالته .. يقول الله تعالى : **إن الدين عند الله الإسلام »** (١٩ : آل عمران) ويقول سبحانه : **« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين »** (٨٥ : آل عمران) ..

ومن هنا كانت دعوة الاسلام عامة للناس جميعا ، على اختلاف السنتهم والوانهم واجناسهم واوطانهم ، على امتداد المكان والزمان ، الى يوم الدين .. فمن بلغته دعوة الاسلام بلاغا يكشف له عن وجهه ، ويبين له مضمونه ، ثم لم يؤمن بهذه الدعوة ، ويدخل فى دين الله ، ويأخذ نفسه بشريعته ، فهو من الكافرين ..

يقول ابن تيمية رحمه الله : « ومما يجب انيعلم ، هو ان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم الى جميع الإنس والجن ، فلم يبق إنسىّ ولا جنىّ الا وجب عليه الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، واتباعه .. فعليه أن يصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر ، ومن قامت عليه الحجة برسالته ، ثم لم يؤمن به فهو كافر ، إنسيا كان أو جنيا » (١) .

فالرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ هو رسول الله الى الثقلين

عامة ، والى الناس خاصة ، يقول الله تعالى : **« قل يايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ، الذى له ملك السموات والأرض ، لا إله الا هو يحيى ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى ، الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون »** (١٥٨ : الأعراف) ويقول جلّ شأنه : **« وأرسلناك للناس رسولا »** (٧٩ : النساء) . ويقول تبارك اسمه : **« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »** (١٠٧ : الأنبياء) ويقول سبحانه : **« وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون »** (٢٨ : سبأ) .

ومن هنا ، فانه لا حجة لاهل الكتاب ــ من اليهود والنصارى ــ بأنهم على دين سماوى من عند الله .. وعلى فرض التسليم بما يزعمون من أنهم لم يغيروا ولم يبدلوا فيما بين أيديهم من التوراة والانجيل ، وقد سجل القرآن الكريم عليهم بطلان هذا الزعم ، وانهم قد أحدثوا فى الكتابين الكريمين من التحريف ، والتبديل ، وفساد التأويل ما غير وجه الحق الذى فيهما ــ نقول على فرض التسليم بما زعموا ، فانهم محجوجون بما يعلمون من كتبهم ، وما فيها من بشارات بظهور هذا النبى الأمىّ ، كما يقول تعالى عن اليهود : **« ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين »** (٨٩: البقرة) . .ويقول جلّ شأنه فى اليهود أيضا : **«ولما جاءهم رسول من عند الله مُصدقٌ لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم ، كانهم لا يعلمون »** (١٠١ : البقرة) . ويقول سبحانه عن اتباع المسيح ، على لسان المسيح : **« وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدىّ من التوراة ، ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحرٌ مبين ، ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب ، وهو يدعى الى الاسلام ، والله لا يهدى القوم الظالمين »** (٦ و ٧ : الصف) .

٢ ــ ثم إنه من جهة أخرى ، اذا كانت دعوة الاسلام دعوة جامعة للإنس والجن ، فان من مفهوم ذلك أن تكون رسالة الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ فى مواجهة الإنس أولا ، ثم فى مواجهة الجن ثانيا ، بمعنى أن يواجه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بدعوته الناس جميعا ، ثم بعد أن يُبلى بلاءه معهم يتجه الى العالم الثانى المقابل للإنس ، وهو عالم الجن ، وهذا ما حدث فى مسيرة الدعوة الاسلامية ، فان الرسول الكريم بدأ دعوته فى مكة ، التى واجه فيها المشركين الذين يمثلون بشركهم وعنادهم ، الشرك والعناد فى جميع صورهما ، وقد ظل الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ فى هذا الموقف أكثر من عشر سنوات ، ثم كان استماع الجن الى ما يتلو من آيات الله ، وهو عائد من الطائف ، بعد أن ذهب الى أهل ثقيف ، لعله قد يجد منهم ما لم يجده من أهل مكة من الاستجابة لدعوته ، فكان موقفهم من تلك الدعوة أكثر إمعانا فى العناد والضلال من موقف قريش ، فانصرف النبى الكريم عنهم ، عائدا الى مكة ، وفى الطريق نزل بمكان يعرف بوادى نخلة ، وبات هناك ليلة مع مولاه زيد بن حارثة ، يرتل آيات الله ، وقد أقبل نفرٌ من الجن على هذه التلاوة يستمعون اليها ، ثم لم يلبثوا ان يؤمنوا بما سمعوا ، وان يدخلوا فى دين الله ، وان يكونوا حملة تلك الدعوة الى قومهم .. كلّ ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم بما حدث ، حتى تلقى ما أوحى

اليه من ربه فى قوله تعالى : ((**وإذ صرفنا اليــك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ، يهدى الى الحق والى طريق مستقيم .. يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويُجركم من عذاب أليم**)) (٢٩ ـ ٣١ : الاحقاف) .

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين باتفاق المسلمين ، وقد استمعت الجن القرآن ، وولوا الى قومهم منذرين » (٢) .. وفى القرآن الكريم سورة سميت باسم الجن ، وقد بدئت بقوله تعالى : ((**قل أوحى إلىّ أنه استمع نفرٌ من الجن ، فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبــا**)) .

٣ ـ ومن جهة ثالثة ، فان القرآن الكريم تحدى فى أكثر من آية ، أيا من الناس ، متفرقين أو مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثل القرآن ، أو بعشر سور ، حتى يكون مجال الاختيار متسعا أمامهم ، فقال تعالى : ((**وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ، ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ، أعدت للــكافرين**)) (٢٣ و ٢٤ : البقرة) ويقول سبحانه : ((**أم يقولون أفتراه ، قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من أستطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله**)) (٣٨ و ٣٩ : يونس) . ويقول جل شأنه : ((**أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من أستطعتم من دون الله ، ان كنتم صادقين**)) (١٣ : هود) .. ثم بعد أن تقوم الحجــة بالاعجــاز على الناس اجمعين ، ويبلسوا أمام هذا التحدى مرة ، ومرة ، ومرة ، يدعى عالم الجن معهم ، ليأخذ مكانه بينهم فى موقف التحدى ، اذ يقول سبحانه : ((**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**)) (٨٨ : الإسراء) .

والتحدى بالمعجزة التى بين أيدى الرسل ـ عليهم السلام ـ انما تكون فى مواجهة من يدعون الى الايمان بالرسول الذى يحمل تلك المعجزة ، وذلك فى محيط قومه الذين جاء اليهم .. فهؤلاء قوم نوح يتحدون نبيهم ان يأتيهم بالعذاب الذى تهددهم به إن لم يؤمنوا ، فانه ان فعل ذلك كان صادقا فيما يدعيه من أنه رسول من عند الله ، والا فهو عندهم على الوصف الذى وصفوه به من الكذب والافتراء : ((**قالوا يا نوح ، قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ، فأتنا بما تعدِنا إن كنت من الصــادقين .. قال انما يأتيكم به الله ان شاء ومــا انتم بمعجزين**)) (٣٢ و ٣٣ : هود) وهذا صالح ـ عليه السلام ـ يقول لقومه ، وهو يقدم بين يديه الآية المعجزة الدالة على صدقه ، بعد أن لجوا فى عنادهم وتكذيبهم له : ((**ويا قوم ، هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل فى أرض الله ، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب**)) (٦٤ : هود) وموسى عليه السلام يُرى قومه من آيات الله ، ما كانت تفعل العصا فى يده من انقلابها حيــة تسعى ، ومن فرق البحر بها ، ومن تفجير الماء من الصخر يضربه بها .. وعيسى ـ عليه السلام ـ يجىء الى قومه ، بنى اسرائيل بالآيات البينات ، كما يقول سبحانه : ((**ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم ، انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيــه فيكــون طيرا باذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون ومــا**

تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » (٤٩ : آل عمران) .

هذه هى معجزات الرسل — قبل معجزة خاتم النبيين وهى القرآن — مقصورة على جماعة من الناس بأعيانهم وأزمانهم ، تتحداهم وتقيم الحجة عليهم ..

فاذا كان التحدى بالقرآن الكريم تحديا للانس والجن ، وعلى امتداد الزمان ، فان منطق هذا التحدى هو أن يكون الإنس والجن مدعووين جميعا الى ما يدعو اليه الرسول الذى بين يديه تلك المعجزة .. فمن استجاب لتلك الدعوة فهو من المؤمنين ، ومن أبى ، فهو من الكافرين ، ولا ثالث بعد هذين الأمرين .. فاما إيمان فيه سلامة ونجاة ، واما كفر فيه بلاء وهلاك ..

٤ — ثم إنه لكى يستقيم هذا المعنى ، ويصدق هذا الحكم ، لا بد من أن تكون طبيعة هذه المعجزة المحمدية بحيث تسع الناس جميعا ، فى اى مكان واى زمان ، وبحيث يستطيع كل انسان أن يجدها حيث يطلبها ، وان ينظر فيها بنفسه ، وأن يرجع فيها الى عقله ، بحيث يشهد منها الدليل القائم على صدق الرسول ، وصدق ما يدعو اليه .

فهل فى المعجزة القرآنية ما يحقق هذه المعانى على تلك الصورة ؟

ونعم ، فان من تدبير الحكيم العليم ، لإقامة هذه المعجزة حجة على الناس جميعا الى يوم القيامة — ان جعلها سبحانه معجزة فى كلمات من كلماته سبحانه ، تخاطب العقل الإنسانى فى ادنى مستوياته الى اعلاها ، وأنها تضع هذا العقل أمام اختبار يسلمه دائما الى العجز بين يدى هذه المعجزات من آيات الله وكلماته .. وانه ما دام مع الانسان عقل ، فانه مدعو الى مواجهة هذه المعجزة أو المعجزات ، ومطالب بالتسليم لها بعد أن يستبين له موقع الإعجاز منها ، والا كان مكابرا معاندا ، يلقى جزاء المكابرين المعاندين

٥ — وليس إعجاز القرآن وجها واحدا من حيث بلاغته وفصاحته التى اعجزت العرب ، لأول آيات نزلت من الكتاب الكريم ، بل ان البلاغة والبيان ، وعلو الأسلوب عن قدرة ابلغ البلغاء وابين الأبيناء ، ليس الا وجها واحدا من وجوه النظم القرآنى ، الذى تقوم معه وجوه أخرى كثيرة للاعجاز .. منها مقررات الشريعة التى حملها كتاب الله الكريم فى أحكامها التأديبية للخارجين على حدود الله ، أو الخارجين على ناموس المجتمع ، وذلك فيما فرضت الشريعة من حدود فى القتل ، والزنا ، والسرقة ، وقذف المحصنات ، والإفساد فى الأرض ، كما يقول سبحانه : **« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الارض .. ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ، الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ، فاعلموا ان الله غفور رحيم »** (٣٣ و ٣٤ : المائدة) .. ثم من وجوه الاعجاز ايضا ما قررته الشريعة الاسلامية فى الاموال ، كسبا وانفاقا ، وفى المعاملات بيعا وشراء ، وفى الدين ، والربا ، وفى المواريث ، والزكاة ، والصدقات .. ثم من وجوه الاعجاز فى التشريع ما جاء فى الزواج وأحكامه ، وما لحقوق كل من الزوجين على الآخر ، وما للمولودين من حقوق على الوالدين ، من نفقة ، وارضاع ، وتربية ، وما للوالدين على الأولاد من طاعة وبر واحسان .. ثم ما يعرض للأسرة من عوارض بشرية تقتضى الطلاق ، أو التعدد ، مما يدفع به شر أعظم واخطر من أى شر ، حيث يحمى بذلك الأسرة من الانحلال ، والتفسخ والضياع ..

ثم قبل هذا كله ما جاءت به الشريعة الاسلامية فى التعرف على الله ، والتعريف به ، ووصفه الوصف الحق ، الذى لم تبلغه عقول الفلاسفة ، ولم تهتد اليه خطرات الكهان والرهبان ..

كل هذا ، وكثير غيره مما حمله كتاب الله من شريعة الله ، يمكن نقله الى اية لغة ، حيث يرى الناظر فيها من دقة الأحكام ، وروعة التشريع ، ووفائه بجميع متطلبات الحياة الروحية ، والعقلية ، والمادية ، على اكمل واحكم مـــا تتطلع اليه الانسانية فى أعلى مستوى تبلغه ، الأمر الذى عجزت عنه القوانين والأحكام الوضعية التى لا تثبت على حال ، ولا تستقر على وجه ، ولا تقيم الناس على سلام ، ولهذا تتبدل وتتغير يوما بعد يوم وكلما أصلح منها عيب بدت عيوب ، قد جرى عليها الاصلاح من قبل ولم يغن شيئا .

٦ ــ فاذا نظرنا الى اليهود والنصارى ، من أهل الكتاب ، كان شأنهم مع الدعوة الاسلامية ، شأن الناس جميعا ممن هم ليسوا على دين سماوى ..

ذلك أن أهل الكتاب ، هم على دين وعلى شريعة ، الى أن جاء النبى الأمى ــ صلوات الله وسلامه عليه ، للناس كافة ، حيث كان مبعثه ، وكانت رسالته ، وكانت شريعته ــ رحمة للناس جميعا ، ومنهم أهل الكتاب ..

ومن محامل الرسالة الاسلامية من رحمة الى أهل الكتاب ، أنها جاءت لتحمل عنهم ما أخذهم الله تعالى به من نكال وبلاء فى شريعتهم التى شرعها لهم ، وذلك لما كان منهم من إعنات لرسلهم ، ومكر بآيات الله ، وكفر بآلائه، حتى بلغ بهم ذلك حد العدوان على رسل الله المبعوثين اليهم بالرحمة ، فقتلوا كثيرا منهم ، كما يقول سبحانه عن اليهود : **« ولقد آتينا موسى الكتاب وقفّينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتـــلون »** (٨٧ : البقـــرة) .

ومن أجل هذا جاءت شريعة الله لليهود ــ وهى شريعة المســيحيين جميعـــا (٣) ــ تحمل اليهم الوانا من الابتـــلاء ، والإعنات ، جـــزاء بغيهم وعدوانهم ، يقول الله تعالى : **« فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلّت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنــــه ، وأكلهم أمـــوال الناس بالبـــاطل ، وأعتـــدنا للكافرين منهم عـــذابا أليما »** (١٦٠ و ١٦١ : النساء) .. ويقول سبحانه : **« وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحـــوايا أو ما اختلط بعظم ، ذلك جزيناهم ببغيهـــم ، وانا لصـــادقون »** (١٤٦ : الأنعام) .. ويقول جل شأنه : **« وضُربت عليهم الذلّة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون »** (٦١ : البقرة) .

وهكذا يظل أهل الكتاب من اليهود واتباع المسيح ، واقعين تحت هـــذا البلاء ، المضروب عليهم فى شريعتهم من الله ، الى أن يجىء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان دخلوا فى شريعته ، وآمنوا به ، واتبعوا النور الذى أنزل معه ، كان فى ذلك عافيتهم من هذا البلاء ، والا فهم فيه الى يوم الدين .. يقول تعالى : **« يا أهل الكتاب قد جـــاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتـــم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين »** (١٥ : المائدة) .. ويقول الله تعالى على لسان موسى عليه الســـلام ، وهو يستغفر لقومه بعد أن عبدوا العجل : **« واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة ، وفى**

ع

الآخرة ، إنا هدنا اليك » ويجيبه الحق سبحانه وتعالى بقوله : **« قال عذابى أصيب به من أشاء ، ورحمتى وسعت كل شىء ، فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبى الأمىّ ، الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة ، والانجيل ، يامرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به ، وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ، أولئك هم المفلحون »** (١٥٧ : الأعراف) .. فهذا الدعاء الذى دعا به موسى ربّه لرفع البلاء عن قومه ، هو دعاء موقوف اجابته على تحقق شرط منهم ، وهو أن يؤمنوا بهذا النبى الأمىّ ، الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، والذى يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث .. فاذا آمنوا بهذا الرسول رفع عنهم هذا الابتلاء الذى ابتلاهم الله تعالى به : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » والا فهم باقون قيد هذا الابتلاء ، ثم هم كافرون لأنهم لم يؤمنوا بما وجدوه فى التوراة والإنجيل من دعوة الى الايمان برسول الله ..

ثم يأتى بعد هذه الآية مباشرة قوله تعالى ، آمرا نبيّه الكريم ان يؤذّن فى الناس جميعا بتلك الدعوة الإلهية : **« قل يأيها الناس ، انى رسول الله اليكم جميعا ، الذى له ملك السموات والارض ، لا إله الا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمىّ ، الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون »** (١٥٨ : الأعراف) .

فهاتان الآيتان الكريمتان ، تقرران فى صراحة ، وبيان مبين ، أن رسالة الإسلام رسالة عامة شاملة ، للناس جميعا على امتداد الأزمان ، وأن اليهود والنصارى ، لن تكتب لهم رحمة الله ، ولن يخرجوا من الابتلاء المضروب عليهم ، ولن يكونوا من المؤمنين الا اذا تابعوا النبى الأمىّ ، واستجابوا لدعوته ، ودخلوا فى دين الله ، مسلمين ، ووسعتهم رحمة الله التى وسعت كل شىء .

٧ — واذا عرفنا أن هذه الآيات التىتدعو اهل الكتاب الى الايمان بالنبىّ الأمىّ ، الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، اذا عرفنا أن هذه الآيات آيات مكية ، فى سورة مكية ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن قد واجه أهل الكتاب بعد ، ولم يكن بينه وبينهم لقاء مباشر بدعوته — اذا عرفنا هذا ادركنا سرّ هذه الإشارات البعيدة التى كان يشير بها القرآن المكى الى اليهود من أهل الكتاب ، حيث كانت هذه ارهاصا بالمواجهة الصريحة التى ستكون بين النبى واليهود ، بعد أن يهاجر صلوات الله وسلامه عليه الى المدينة ، ويلتقى باليهود ، الذين يقابلون دعوته بالمكر الخبيث ، والكيد العظيم ، ثم المواجهة السافرة فى تحالفهم مع المشركين على حرب النبى وأصحابه فى غزوة الخندق ، مما انتهى به امرهم الى اجلائهم من المدينة فى عهد النبى ، ثم إجلائهم من الجزيرة العربية كلها ، فى خلافة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه.

ونخلص من هذا الى القول بأن دعوة الاسلام قائمة على أهل الكتاب

فى مشارق الارض ومغاربها ، على امتداد الزمن ، وأنهم مطالبون من دينهم ومن الكتب السماوية التى بين أيديهم ان يؤمنوا إيمانا مجددا بالدين الاسلامى ، وأن يصلوا إيمانهم بكتب الله التى فى ايديهم بالايمان ، بالكتاب المصدق لها ، والمهيمن عليها ، وهو القرآن الكريم الذى هو حجة الله عليهم ، كمـا هو حجة على كل من بلغته دعوته .. يقول الله تعالى : **« وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه »** (٤٨ : المائدة) .. ويقـول سبحانه : **« وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ »** (١٩ : الأنعام) .

فمن لم يؤمن بالاسلام ، وبرسول الاسلام ، وبكتاب الاسلام ، اذا بلغته الدعوة الاسلامية سواء أكان من أهل الكتاب ، أو من غير أهل الكتاب ، فهو من الكافرين : **« ومن يبتغ غير الاسـلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين »** (٨٥ : آل عمران) .

وقد أخذ الله تعالى الميثـاق على النبيين وأتبـاع النبيين ، أن يؤمنوا بالرسول الذى يأتى مصدقا لما معهم ، وأن ينصروا دعوته ، يقول سبحانه وتعـالى : **« وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصْرى ، قالوا أقررنا ، قـال فاشـهدوا وأنا معـكم من الشـاهدين »** (٨١ : آل عمران) ..

فالذين ينقضون هذا الميثاق من أتباع النبيين ، ولا يؤمنون بالرسول الذى جاء مصدقا لما معهم ، ولا ينصرون دعوته ضد المناوئين لها ـ هم واقعون تحت قوله تعالى : **« الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصـل ويفسـدون فى الأرض أولئـك هم الخـاسرون » (٢٧ : البقـرة) ..**



---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن ، وأولياء الشيطان ، لابن تيمية .. ص : ٨٠.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لابن تيمية .. ص : ٨١

(٣) ذلك لان المسيح عليه السلام ، ليس له شريعة . وانما كانت شريعة موسى هى شريعته ، وشريعة كل من يتبعه . وفى هذا يقول المسيح فى الانجيل : « ما جئت لانقض الناموس ، وانما جئت لاكمل » ولهذا فان كل مسيحى يدين بالتوراة ـ العهد القديم ـ وبالانجيل ـ العهد الجديد ـ والاول شريعة ، والثانى آداب وأخلاقيات ..

الاقتصاد الاسلامي

والدور الذي يمكن أن يلعبه

للدكتور محمد شوقى الفنجــرى

لعل من أهم الدراسات الاقتصادية اليوم ، الاقتصاد الاسلامى وليس ذلك لصلتنا بالاسلام فحسب ، وانما ايمانا منا بالدور الضخم الفعال الذى يمكن أن يؤديه الاقتصاد الاسلامى ، سواء :

— بالنسبة لمعركة القضاء على التخلف من خلال التنمية الاقتصادية .

— او بالنسبة للعالم الاسلامى .

— أو بالنسبة للعالم اجمع .

ونبين ذلك فيما يلى : —

دور الاقتصاد الاسلامى بالنسبة لمعركة القضاء على التخلف من خلال التنمية الاقتصاديـــة

١ — التنمية الاقتصادية ذات بعد جماهيرى :

ان معركة اليوم الاقتصادية ، هى معركة القضاء على التخلف عن طريق التنمية الاقتصادية ، ومن المتفق عليه لدى اساتذة التنمية الاقتصادية ، انه لا يكفى فى هذه المعركة هيمنة الدولة باعتبارها ممثلة للمجتمع على ما يسمى بالقطاعات المسيطرة على الاقتصاد القومى ، كالتجارة الخارجية والصناعات

الاساسية ووسائل النقل الرئيسية . كما لا يكفى أعداد خطط التنمية ومتابعة تنفيذها على المستوى الرسمى . وانما يتطلب الأمر التعبئة الشاملة للشعب كله لتحقيق التنمية بأعلى معدلات ، ومقاومة كافة صور الانحراف والاستغلال ، وبحيث تستقر خطط التنمية فى وعى المواطنين ، وتنتقل منه الى الممارسة الفعلية .

فالرأى الآن منعقد على ان عملية التنمية الاقتصادية ليست عملية فنية فحسب ، ولكنها عملية ذات بعد جماهيرى ، ومن هنا كان الحرص على اشراك الجماهير على كافة مستوياتها فى مناقشة مشروعات التنمية الاقتصادية وفى متابعة نتائج تنفيذها .

٢ ــ التنمية الاقتصادية والجهاد المقدس :

واذا كان من المسلم به ان حركة الشعب كله شرط أساسى لانجاح أية تنمية وأية معركة شاملة ضد التخلف ، فانه لا بد أن نتعرف على مشاعر كل شعب ونفسيته وتاريخه لتعبئة كل قواه وطاقاته للمعركة ضد التخلف ومن أجل التنمية . ولا شك انه بالنسبة للشعوب الاسلامية ، يعتبر الاسلام عاملا أساسيا ان لم يكن العامل الرئيسى ، لانجاح كل معركة تخوضهـا هـذه الشعوب ..

لقد استطاع جمال الدين الافغانى ان يربط بين فكرة الجهاد المقـدس والتخلص من الاستعمار . وبقوة تعاليم الاسلام ووضوحها فى العزة والحرية ، خاضت الشعوب الاسلامية معركتها من اجل الاستقلال . وما كانت تستطيع أندونيسيا وباكستان والشام وليبيا والجزائر وغيرها ان تقدم عن رضا واصرار ، ملايين الشهداء الا بتأثير تعاليم الاسلام (**ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما**) (النساء ٧٤) ، (**ولا تقولوا لمن يقتل فـى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون**) (البقرة ١٥٤) .

ولما كانت المشكلة الاساسية التى تواجه الشعوب الاسلامية اليوم ، هى مشكلة التخلف الاقتصادى ، فاننا نرى ضرورة ربط التنمية الاقتصاديـة بفكرة الجهاد المقدس تفجيرا للطاقات المختزنة فى الفرد المسلم ، وتحقيقـا للتنمية الاقتصادية باحالتها الى ممارسة دينية . ذلك ان قوام المجتمع الاسلامى هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**) (آل عمران ١١٠) . والأمر بالمعروف يتضمن فى رأينا بصفة اساسية العمل على تحقيق التنمية الاقتصادية ، والنهى عـن المنكر يشمل اساسا القضاء على أهم صوره الا وهو التخلف الاقتصادى ، ذلك التخلف الذى يؤدى الى كثير من المساوىء الاجتماعية والانحرافات الخلقية .

لذلك فانه لا بد من أن نعلنها حربا مقدسة ضد التخلف ومن اجل التنمية الاقتصادية . فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول (لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله) . وسئل عليه الصلاة والسلام : ما هو الافضل فى الاسلام ؟ فقال : (الايمان بالله واليوم الآخر ، والقتال فى سبيل الله) . ويقول عليه الصلاة والسلام : (الجهاد قائم حتى يوم القيامة) ، ذلك ان الحياة كلها صراع بين حق وباطل ، وبين ما هو كائن وما يجب أن يكون . فالجهاد وهو غاية الاسلام وذروة سنامه ، وسواء كان جهادا حربيا أو جهادا سلميا ، مقصوده واحد هو دفع الظلم واقامة مجتمع المتقين ، مجتمع الأمر بالمعروف والتنمية والنهى عن المنكر والتخلف .

والجهاد المقدس فى مجال الاقتصاد الاسلامى ، هو الجهاد ضد التخلف ومن أجل التنمية الاقتصادية . ومن هنا تبرز أهمية الاقتصاد الاسلامى ودوره فى معركة التخلف والتنمية الاقتصادية، بان تصبح خطط التنمية بالنسبة للشعوب الاسلامية جهادا مقدسا وممارسة دينية .

٣ ـ حقيقة التحدى الاسرائيلى :

وتزداد أهمية الاقتصاد الاسلامى ودوره فى معركة التخلف والتنمية الاقتصادية خاصة بالنسبة للدول العربية ، وذلك متى لاحظنا ان التحدى الذى نلقاه من قبل اسرائيل ليس تحديا حربيا فقط ، وانما هو أساسا تحد اقتصادى . فاسرائيل تنشد السيطرة الاقتصادية على المنطقة العربية . ومعركتنا مع اسرائيل ليست مقصورة على ازالة آثار العدوان ، وانما هى تتصل بتخلفنا الاقتصادى وما يتطلبه من ضرورة التنمية الاقتصادية العاجلة والتى يجب أن نجند لها كافة قوى وامكانيات الشعوب العربية .

ومن هنا نتبين أهمية الوحدة العربية الشاملة ، وانها وحدة حتمية مقدسة ، وانه لا يتطلبها التاريخ فقط ، وانما يستلزمها المستقبل قبل التاريخ فى عصر لم تعد فيه للكيانات الصغيرة مكان ، وفى ظروف أصبحت فيه مستلزمات التنمية الاقتصادية تتجاوز طاقة الدولة الواحدة .

وانه لكى يتم ذلك لا بد أن ندرك جيدا ، ان الوحدة العربية الشاملة لا تفرض ، كما انها لا تكون بالشعارات والعواطف ، ولا تتحقق بالطرق السياسية ومختلف الاشكال الدستورية . وانما تتحقق هذه الوحدة عمليا وتتأكد أساسا عن طريق ربط الدول العربية بعضها ببعض اقتصاديا . ان وحدة ولايات الشعوب الالمانية لم تتحقق الا عن طريق ربطها بالسكك الحديدية ، وباتفاق الزولفرين الذى هو اتحاد جمركى . وان التمهيد لوحدة أوربا الاقتصادية لم يتحقق الا عن طريق اتفاق البنلوكس بين هولندا وبلجيكا

ولوكسمبورج . وان التمهيد الآن لوحدة أوربا السياسية يأخذ مجـــراه عن طريق السوق الاوروبية المشتركة . وان نهوض اليابان بعد هزيمتها المنكرة فى الحرب العالمية الثانية ، وتحديها اليوم لامريكا وفرض ارادتها على المجتمع الدولى ، انما كان نتيجة حتمية لخططها الجديد الرشيد « السياسة فى خدمة الاقتصاد » وليس « الاقتصاد فى خدمة السياسة » .

وأيا كان الأمر ، فانه يجب ان نعلنها حربا مقدســـــة ضد العدوان الاسرائيلى وضد التخلف الاقتصادى ، وان نربط معركتنا من أجل ازالة آثار العدوان ومن أجل التنمية الاقتصادية بفكرة الجهاد المقدس ، وان ترتبط الدول العربية ببعضها اقتصاديا كخطوة أولى أساسية وكأقصر طريق يؤدى حتما الى ارتباطها سياسيا .

دور الاقتصاد الاسلامى بالنسبة للعالم الاسلامى

١ ــ الاقتصاد الاسلامى هو المنهج الاقتصادى الذى يتوافر له التجاوب لدى الشعوب الاسلامية :

يشمل العالم الاسلامى أكثر من ٦٠٠ مليون مسلم (منهم نحو ٨٥ مليون عربى) أى نحو ١٥٪ من سكان هذا الكوكب ، أو قل ان واحدا من كل ستة او سبعة اشخاص فى العالم يدين بالاسلام . « والاسلام بعد هذا فى توسع دينا ميكى مضطرد بعيد المدى ، بل لعله اليوم أكثر الاديان نموا عدديا . فهو من ناحية يكسب كل يوم أرضا جديدة وقوى مضافة على امتداد جبهة عريضة فى أفريقيا ، وربما فى آسيا المدارية ، بالاضافة الى العالم الجديد شماله وجنوبه ... ومن المرجح ان قوته النسبية فى ديموغرافية العـــالم ستزداد باستمرار وقد لا تحل دورة القرن الا وقد أصبح خمس البشرية من المسلمين » .

ومن هنا تبرز أهمية الاقتصاد الاسلامى ودوره بالنسبة للعالم الاسلامى ، بوصفه المنهج الاقتصادى الذى ترتبط به حضاريا جماهير هذا العالم ، ويتوافر له التجاوب والاطمئنان النفسى .

٢ ــ الاقتصاد الاسلامى هو المنهج الاقتصادى الذى تتوافر له الفاعلية وقوة التنفيذ :

يضاف الى ما تقدم ان أساس الاقتصاد الاسلامى هو الشريعة الاسلامية وهى أحكام يؤمن المسلمون بقدسيتها وحرمتها ووجوب تنفيذها بحكم عقيدتهم الدينية وايمانهم ان الاسلام دين نزل من السماء على خاتم النبيين ، وانه لا يقتصر على مجرد العبادة والهداية الروحية ولكنه أساسا أسلوب للحياة وتنظيم

سياسى واجتماعى واقتصادى للمجتمع .

ولا شك ان ارتباط الاقتصاد الاسلامى بالعقيدة الدينية ، يخلق له الجو والمناخ لتقبل احكامه وضمان قوة تنفيذها . واذا كان مدخل أى تحرك أو اصلاح اجتماعى أو اقتصادى ، هو غرس أفكاره ومبادئه فى العقول والنفوس قبل محاولة اخراجها الى ميدان العمل ، وهو اعداد المناخ وتهيئة الناس للاقبال عن اقتناع على هذا الاصلاح والمشاركة فى هذا التحرك قبل محاولة حملهم عليه بقوة القانون وسلطان الدولة ، فانه يجدر بنا ان نستفيد فى هذا المجال من العقيدة الدينية فى الاسلام التى هى عقيدة التقدم والتطور والصالح العام . والايمان فيها ليس ايمانا مجردا أو ميتافيزيقيا (غيبيا) ، وانما هو ايمان محدد مرتبط بالعمل والانتاج (**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)** (البينة ٧) ومرتبط بالعدل وحسن التوزيع (**أعدلوا هو أقرب للتقوى** — المائدة / ٨) ، وان أكبر تكذيب للدين هو ترك احد أفراد المجتمع يعانى الضياع والحرمان **(أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين .)** (الماعون ١ — ٣) . فيجدر بنا ، ان نقيم اقتصادنا على أساس تعاليم الاسلام لنضمن له الفاعلية وقوة التنفيذ ، وهو غاية ما يتطلع اليه أى تنظيم اقتصادى ينشد النجاح والاستمرار .

ومن هنا تبرز من زاوية اخرى ، أهمية الاقتصاد الاســـــلامى ودوره بالنسبة للعالم الاسلامى ، بوصفه المنهج الاقتصادى الذى ترتبط به عقائديا جماهير هذا العالم وتتوافر له الفاعلية وقوة التنفيذ .

٣ — الاقتصاد الاسلامى هو المنهج الاقتصادى الذى يحقق لجماهير العالم الاسلامى الوحدة والانسجام :

وثمة نقطة اخرى تحتم على المسئولين فى العالم الاسلامى إعمـــال الاقتصاد الاسلامى والتزامه وهى القضاء على هذا التمزق الذى يعانيه افراد الأمة الاسلامية موزعين بين ضميرهم الدينى وقوانينهم الوضعية .

حقا ان أغلب دساتير الدول الاسلامية تنص على أن الاسلام هو دين الدولة الرسمى ، وقد تنص على ان الشريعة الاسلامية هى مصدر التشريع أو المصدر الرئيسى له . ولكن ستبقى هذه النصوص مجرد شعارات جوفاء ، ما لم يقم علماء الاسلام بابراز تعاليم الاسلام الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وبيان كيفية أعمالها بحسب ظروف كل زمان ومكان ، وما لم يقم الحكام من

جانبهم بوضع هذه التعاليم موضع التطبيق وعلى راسها فى المجال السياسى الشورى وحرية ابداء الرأى ، وفى المجال الاقتصادى ضمان حد الكفاية لكل مواطن والقضاء على البؤس والحاجة .

ومن هنا تبرز من زاوية اخرى ، اهمية الاقتصاد الاســلامى ودوره بالنسبة للعالم الاسلامى ، بوصفه المنهج الاقتصادى الذى يحقق لجماهير هذا العالم الوحدة والتناسق بين حياتهم المادية والروحية .

دور الاقتصاد الاسلامى بالنسبة للعالم أجمع

١ ـ ذاتية السياسة الاقتصادية الاسلامية :

يتجاذب العالم اتجاهان ، الاتجاه الفردى (الراسمالى) والاتجاه الجماعى (الاشتراكى) . وقد راينا ان لكل منهما سياسة اقتصادية معينة ، لها محاسنها ولها مساوئها .

وقد سبق أن أوضحنا على صفحات الوعى الاسلامى ، ان للاســلام اتجاها خاصا ، وان له سياسة اقتصادية متميزة وهى سياسة ان اتفقت مع السياسات الاقتصادية الاخرى فى بعض الخطوط والفروع الا انها سياسة منفردة ذلك انها :

أولا : سياسة تجمع بين الثبات والتطور . فهى سياسة ثابتة خالدة من حيث اصولها العامة وضمانها ـ منذ البداية ـ الحاجات الاساسية للفــرد والمجتمع ، بغض النظر عن درجة تطوره وأشكال الانتاج . وهى سياســة متغيرة ومتطورة من حيث تطبيقاتها العديدة لهذه الاصول بحسب ظــروف الزمان والمكان .

ثانيا : وهى سياسة تجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة ، وكلاهما لديها أصل . فهى لا تهدر المصلحة العامة شأن النظم الفردية ، ولا تهــدر المصلحة الخاصة شأن النظم الجماعية ، وانما هى ـ منذ البداية ـ تعتــد بالمصلحتين على درجة واحدة وتحاول دوما التوفيق بينهما .
على انه اذا تعذرت هذه الملاءمة أو الموازنة بين المصلحتين . وهو ما لا يكون الا فى الظروف الاستثنائية أو غير العادية كحالة الحروب أو الاوبئــة أو المجاعات . فانه فى مثل هذه الحالات تضحى المصلحة الخاصة من أجــل المصلحة العامة .

ثالثا : وهى سياسة تجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية ، حيث تعتبر الفرد فى مباشرته نشاطه الاقتصادى البحت ، متعبدا طالما كان هذا النشاط مشروعا ومستهدفا به وجه الله تعالى . بل انه يكافأ ويثاب على ذلك النشاط بقدر اتقانه لعمله وبقدر ما يعود به من منفعة على أكبر عـــدد من الناس .

فليس هناك فى الاسلام اصطدام بين المادة والروح ، وليس هنـــاك انفصال بين الاقتصاد والدين . بل هناك ارتباط وثيق بينهما يحقق فلاح الدنيا والآخرة . فالدنيا هى مزرعة الآخرة ، والانسان هو خليفة الله فى أرضه ، وغاية النشاط الاقتصادى هو تعمير الدنيا واحياؤها .

٢ ــ جدلية السياسة الاقتصادية الاسلامية :

فالسياسة الاقتصادية فى الاسلام كما يتضح لنا ، سياسة شاملـــة منضبطة تنظر الى جميع الجوانب الانسانية وتدخل فى اعتبارها كافة الحاجات البشرية ، وتوفق بينهما بأسلوب جدلى (ديالكتيكى) . .

ولكنه أسلوب جدلى خاص . ذلك ان الاسلام يقر التناقضات الاجتماعية الموجودة فى الحياة : الثبات والتطور ، مصلحة الفرد ومصلحة الجماعـــة ، المصالح المادية والحاجات الروحية . الا ان نقطة الخلاف الاساسية فى نظرنا بين الاسلام وكافة المذاهب والنظم الوضعية السائدة ، تتمثل فى ان هذه التناقضات الاجتماعية ، تعتبر فى نظر الاسلام كالسالب والموجب ، للتعاون والتكامل لا للصراع والاقتتال ، ومن ثم فهو على خلاف كافة المذاهب والنظم الوضعية السائدة ، يعمل على التوفيق بين تلك التناقضات لا على جحد أو نفى احداها للاخرى . على أنه فى بعض الحالات الخاصة قد يغلب احداها على الأخرى ولكن ، بصفة مؤقتة وبقدر الضرورة وذلك لاعادة التوازن وتحقيق التعاون الذى هو مبتغاه .

واذا كانت السياسة الاقتصادية الاسلامية ــ على نحو ما سبق بيانـــه توفق بين كافة المصالح المتعارضة بما يحقق الصالح العام ، وتقدم الحل العملى للمشكلة الاقتصادية ، وبالتالى لمشكلة الحرب والسلام ، فانه من الخير ان تدلى هذه السياسة بدلوها ، وان يسهم الاقتصاد الاسلامى فى حل مشاكـــل العالم .

٣ ــ دور الاقتصاد الاسلامى فى رأى بعض العلماء الاجانب :

وقد اصبحنا نسمع اخيرا اصواتا أجنبية عالمية تدعو الى الأخذ بالمذهبية (الايديولوجية) الاسلامية . وكان ذلك لمجرد أن وضحت أمامها احدى جوانبها سواء ناحية جمعها بين المصالح المادية والحاجات الروحية ، أو عدم تضحيتها بالمصالح الخاصة أو المصالح العامة ومحاولة التوفيق بينها ، أو جمعها بين الثبات والتطور وجدليتها الخاصة .

ولا ندرى الى أى مدى تكون حماسة العالم المستنير للمذهبية الاقتصادية الاسلامية اذا اتضحت لها سياستها مكتملة ، واذا قدمت لها حلولها التفصيلية وتطبيقاتها العملية .

فهذا هو الاشتراكى الانجليزى والفيلسوف العالمى برنارد شو ، يردد بعد دراسة دقيقة قوله « اننى أرى فى الاسلام دين أوربا فى أواخر القــرن العشرين » ، ومن قبله يقول المفكر الالمانى الكبير جوته « اذا كان هذا هو الاسلام افلا نكون كلنا مسلمين » . .

وهذا هو استاذ الاقتصاد الفرنسى جاك أوسترى ينتهى فى مؤلفــه الصادر سنة ١٩٦١ (الاسلام فى مواجهة النمو الاقتصادى) ، الى ان طريق الانماء الاقتصادى ليس محصـــــورا فى الاقتصادين المعروفين الرأسمالى والاشتراكى ، بل هناك اقتصاد ثالث راجح هو الاقتصاد الاسلامى الــذى يبدو فى نظره انه سيسود عالم المستقبل لانه أسلوب كامل للحياة يحقق كافة المزايا ويتجنب كافة المساوىء . .

وهذا هو المستشرق الفرنسى رايموند شارل يعلق سنة ١٩٦٩ عــلى رسالتنا المقدمة باللغة الفرنسية للحصول على دكتوراه الدولة عن (مشكلة تخلف العالم الاسلامى) فيؤكد بدوره ان الاسلام يرسم طريقا متميزا للتقدم فهو فى مجال الانتاج يمجد العمل ويحرم كافة صور الاستغلال ، وفى مجال التوزيع يقرر أن « لكل حد الكفاية » كحق الهى مقدس تكفله الدولة لكل فرد بغض النظر عن ديانته أو جنسيته ثم « لكل تبعا لعمله » فالحديث النبوى يقول (لا بأس بالغنى لمن اتقى) . .

ونلمس اليوم لدى بعض المستشرقين ، الحاحا فى ضرورة العودة الى الاسلام ، والى دراسة قواه الكامنة خاصة السياسية والاجتماعية والاقتصادية منها . .

الإسلام

محمد مؤذن

وتحديات القرن العشرين

للدكتور/محمود زايد

هذه ترجمة لملخص المحاضرة الثانية التي القاها الدكتور محمود زايد استاذ التاريخ الاسلامي في الجامعة الامريكية ببيروت اثناء زيارته للكويت بدعوة من وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .

ان حاجات الانسان المستجدة والظروف الجديدة التى تواجهه من حين الى الآخر تخلق له تحديات لا بد له من الاستجابة لها .

والتحديات التى تواجه الاسلام فى هذا القرن كثيرة ، وفى رأسها ضرورة تنقية تصور الناس للاسلام خارج البلدان الاسلامية والعربية وحتى فى داخلها مما علق به من شوائب عمل المغرضون من مبشرين ومثقفين مزيفين ومسخرين ، ودعاة الاستعمار وقراصنته على ترسيخها فى النفوس ، ومن سخرية القدر أن عددا من كتابنا ومفكرينا عملوا ــ بوعى منهم حينا وبلا وعي حينا آخر ــ على الترويج لها فتسربت الى فكرنا وثمراته مفهومات غريبة يتفاوت مدى خطرها بمقدار ما تتنافى مع مبادىء الاسلام وتعاليمه .

ومن أخطر المفاهيم المستوردة التى تكمن وراءها فلسفة كاملة فى الكون والانسان والحياة وتتنافى مع مبادىء الاسلام وأسسه مفهوم مقبول فى ظاهره

فاسد المقاصد فى باطنه ، وهو مفهوم « الفلسفة اللبرالية الانسانية » او « الفلسفة التحررية الانسانية » التى استهدفت فيما استهدفته فصل الكنيسة عن الدولة ، واتخاذ الانسان مصدرا وحيدا للقيم .

لا يكفى الرد على التحامل على الاسلام لتنقية صورته فى الخارج والداخل من الشوائب فلا بد أيضا من عرضه عرضا واضحا وبلغة يفهمهـا الصغير والكبير ، على أن يجرى التركيز على جوهر مبادئه وتعاليمه .

ينبغى التركيز اولا على الايمان بالله تعالى ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والتأكيد على أن فى قولنا « الله أكبر » تحريرا للبشرية من كل استبداد وطغيان سياسى وفكرى مهما كان لونهما ومصدرهما .

والاسلام ليس دينا بالمعنى الأوروبى الضيق ، بل هو نهج شامل للاعتقاد والعمل والسلوك ، وأنه نظام واحد متكامل للحياتين الخاصـة والعامة ، والعبرة الكبيرة لنا فى تجربة الأوروبيين والأمريكيين الذين يعانون اكثـر ما يعانون من أزمة أساسها روحى وهى ازدواجية المبادىء الخلقية التى تنعكس فى تعارض واقع العلاقات الدولية والمثل الأخلاقية للفرد .

وللاسلام نظريتان متكاملتان فى الكون وفى الانسان ، وجوهر مفهوم الاسلام للانسان أنه يولد على الفطرة ثم يقع تحت تأثير أسرته ومجتمعه ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ، وابواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه » إى ان الانسان ابن المجتمع ، فاذا صلح المجتمع ونظامه صلح الفرد ، والاسلام أكثر الديانات **انسانية** من حيث انه يستهدف التيسير على الفرد ،ورفع الحرج عنه ، وفى صلب الاسلام وتعاليمه طلب القوة ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ان : « المسلم القوى خير وأحب الى الله من المسلم الضعيف » ومصادر قوة المسلم هى : فى العـلم والتربية والتقوى وصدق المعاملة مع الناس ، والتعاطف مع الغير ، وفـى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

كما أنه لا بد من التأكيد على ان الاسلام فى تاريخه الطويل قد واجه كل تحد بنجاح ، واثبت انه يساير الحياة ويضع اتجاهات المستقبل ، وفى الأحاديث النبوية الشريفة اكثر من حديث يرسم الطريق للعلماء ، مثل : « جهد البـلاء كثرة العيال مع قلة الشىء » ومثل : « ليأتين على الناس زمان يغبط فيه الرجل بخفة الحاذ كما يغبط اليوم ابو العشرة » .

وكم يتمنى المرء ان تدخل هذه الأحاديث الشريفة وغيرهـا فى صلب الأدب الاسلامى الذى يعلم للناشئة .

وفى ميدان الشريعة نؤكد مبدا التجديد ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يبعث لهذه الأمة على راس كل مئة سنة من يجدد لها امر دينها » ، كما ينبغى تأكيد واجب الفقيه فى أن يعمل دائما على النظر فيما يستجد من مشكلات وظروف ، وأن يفرغ جهده فى سبيل استنباط الحلـول استنادا الى مصادر الشرع ، واستنارة بمصالح المسلمين وتطلعاتهم الـى المستقبل .

نضيف الى هذا ان الفقهاء قد قاموا بدورهم بمقدار ما سمحت به ظروفهم

وأن من نسب التقصير اليهم ظلمهم ظلما كبيرا ، لقد صانوا الشريعة فى كل ظرف صعب ومحنة ، وبذلوا جهودا موفقة فى سبيل استنباط الأحكام لمواجهة ظروف جديدة ، مشكلة أكثر من ينتقدونهم أنهم لا يعرفون شيئا أبعد كثيرا من كلمة « شريعة » .

أعتقد أن من واجب ولاة الأمور أن ينصفوهم ، وواجب خريجى الجامعات ان يسعوا اليهم ، ويتعاونوا معهم .

ومن التحديات الكبرى للاسلام حاجة المسلمين الماسة الى الوحدة أو على الأقل الى الترابط الوثيق ، وأقرب سبيل الى هذا هو انشاء منظمة اسلامية مركزية لها فروع فى كل قطر اسلامى وفى كل بلد فيه أقلية اسلامية كبيرة ، ولها دوائر للدين والاقتصاد والتاريخ والمجتمع على أن تتجنب التدخل فى شئون البلدان الداخلية ، وذلك لكى تضمن تعاون الجميع وبالتالى الاستمرار .

ومن التحديات القضاء على الثنائية فى التعليم والمحاكم والقوانين ، وثنائية التعليم لا تنتهى باضافة كلية دينية الى الجامعات ، واضافة كليات لهذا العلم أو ذاك فى المعاهد الدينية ، انما تكون بادماج الدراسات الدينية فى صلب العملية التعليمية كلها ، وندعو المربين الى اعادة النظر فى مناهجهم .

وهناك تحديات نابعة من المشكلات التى تعانى منها البلدان الاسلامية وعلى راسها فلسطين ، ويكمن التحدى الكبير فى ضرورة انقاذ ثالث الحرمين وثانى القبلتين — اى القدس — من ايدى الغزاة .

لقد اثبت العرب فى حرب تشرين أن بامكانهم لا انقاذها فحسب وانما هزيمة اسرائيل هزيمة ساحقة ، ولكن شرف الانقاذ يجب أن يشارك فيه كل مسلم لكى نضرب مثلا للجيل الحاضر والأجيال القادمة على أن المسلمين كأعضاء الجسم اذا اشتكى بعضه تألم له الباقون وهبوا لنجدته ، وانقاذ القدس سيكون بمثابة أعادة الروح الى العالم الاسلامى وسيعيد الثقة بالنفس الى كل مسلم .

لكن مع هذا ينبغى أن نعير مشكلات الأقليات الأخرى كمسلمى الفلبين ومسلمى كشمير واريتريا وغرب أفريقيا ما تستحقه من اهتمام ، ولعل مشكلات مسلمى غرب أفريقيا أكثر الحاحا من الأخرى .

وهناك التحدى الناشىء عن تدفق المال والحاجة لصرفه فى عملية البناء فتوافر المال ينطوى على تحد كبير لمن تتوفر فيه الحكمة وينشد البناء ، والحكمة تقضى بأن نستثمر المال فى بلادنا أى فى العالمين العربى والاسلامى مهما كانت عوائده ، لا أن نظل تحت رحمة تقلبات الدولار والاسترلينى ، وليس لأحد أن يملى علينا كيفية صرفه أو التعاون معنا فى صرفه اذ لم نسمع بأحد من قبل سعى الينا يطلب تعاوننا معه فى صرف ماله ، والمال ليس عندنا وحدنا .

ومجال صرفه الأول فى بلادنا هو فى التعليم والزراعة والتصنيع ، فالجزء الأكبر من بلادنا لا يزال صحراء أو كالصحراء ، ولا بد لنا من أن نعتبر بما حدث للأمم التى تدفق عليها المال فصرفته فى وجوه كثيرة دون النظر الى المستقبل .

وأخيرا يمكن وصف ما يجرى فى الفكر الاسلامى المعاصر بأنه يمارس عملية تجديد ونأمل الا ينسلخ هذا القرن قبل أن يظهر مجدد يجدد للأمة دينها وحياتها .

هل نقيد تعدد الزوجات وتشريع الطلاق؟

للدكتور : نور الدين عتر

مركب النقص آفة تصيب العاقل فتقلق تصرفاته وتضل سلوكه . وحسبان العجز أمام المظاهر البراقة ، يضيع قوى الانسان ويفشل مساعيه فى بنيان نفسه وتخطى العقبات التى تواجهه .

ولا سلاح للأمة مثل سلاح الثقة بالنفس فان أمتنا تتمتع بكنوز حضارية تشريعية واخلاقية لا تعرف مثلها أمة من الأمم ، سيما وأن المسلمين والعرب خاصة يواجهون التحدى الاجنبى ويخوضون المعارك ضد الاعتداء ، وذلك يزيد من فريضة الاعتصام بالشخصية الاسلامية ويؤكد ضرورته ، كى تحافظ الأمة على كيانها وتستمد من خصائصها الذاتية قوة لا تغلب .

ونظام الاسرة أخص الانظمة بشخصية الأمة واكثرها التصاقا بذاتيتها ، يربطها بأصولها الاعتقادية وعاداتها واخلاقها ، ويمس تركيبها ، لذلك كان مساس هذا النظام بأى تبديل أو تحوير أو اقتباس من الامم الأجنبية أمرا خطيرا جدا لا بد أن يؤدى الى انتكاسات اجتماعية ومفاسد لا تعرف لها نهاية .

• متى نتخلص من مركب النقص في مواجهة المدنية الأجنبية ؟!
• إلى متى نقلد الأوروبيين في أمور عدلوا عنها ؟

لكنا للأسف نجد طائفة من أبناء مجتمعنا من عرب ومسلمين يولــون عقولهم وأفكارهم شطر الأمم الأجنبية يستمدون من نظمها في شؤون الاسرة أصولا يودون تطبيقها في بلادهم دون أن يفكروا في الافادة من رصيد أمتهم الضخم في هذا الجانب الحضاري الهام ، على حين أن أى مفكر لا يقبــل باستيراد سلعة أجنبية أيا كانت جهتها اذا كان في وطنه ما تسد مكان تلــك السلعة فكيف بما هو أهم وأعظم وهو مادة صناعة الشخصية للأمة أعنى الانظمة والقوانين والافكار .. ؟ !!

ولعل الكثيرين يغفلون عن اثر الدعاية الخطير في هذه المسألة ، تلــك الدعاية التي تسبغ قالب التطور أو التقدم على هذا الاقتباس ، أو على هــذه المتابعة غير الواعية لسابقة وقعت في دولة عربية او اسلامية لم يتعظ بنتائجها التي ربما يتكتم عليها أرباب تلك التجربة كي لا يظهر خطؤهم وكي لا ... !! وهكذا لا تكاد تهدأ محاولة لتعديل قانون الأحوال الشخصية الاسلامي في بلد حتى تقوم محاولة في بلد آخر ، ثم تعود محاولة أسوأ في البلد الأول .. الخ .

وإزاء ذلك فاننا ندعو كل منصف من هؤلاء متحرر حقا من الخضوع لأى مؤثر غريب عن هذه الامة لا يرغب الا في الخضوع للحق أن يتمعن معنـــا

خطوطا اساسية لأمرين اساسيين نجعلهما مدار النظر فى هذا المقام هما : تعدد الزوجات وتقييد الطلاق . يكونان مثالا لما يراد تعديله من هذا القانون والخروج به عن مقررات الفقه الاسلامى

تعـــدد الزوجـــات

إن الله جلت حكمته اذ شرع تعدد الزوجات احكم شرعته بما يزيح عنه كل نقد وعيب . وإن الشريعة لم تجعل نظام التعدد فرضا لازما على الرجل ، ولا اوجبت على المراة او اهلها ان يقبلوا الزواج من رجل ذى زوجة ، فلولا ان المراة واهلها يرون فى هذا الزواج منفعة ومصلحة محققة ، لما أقدموا عليه ، ولما قبلوا به اطلاقا فأين هو الضرر المزعوم بالمراة ، وهل يتصور عاقل فى انتقال المراة من العزوبة وشقائها واحتمالات الانزلاقات الى حصانة الزوجية ضررا او شرا ؟ ! .

ثم ان الشريعة اوجبت على الرجل ان ينفق على جميع زوجاته ، ويعاملهن بالقسمة العادلة السوية ، والمعاملة الحسنة الاسلامية ويتوعد النبى صلى الله عليه وسلم من اخل بهذا فيقول : « اذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط » (١) .

وذلك لا شك يشعر كل امراة بمكانة لا تحس أن غيرها يحتلها عند الزوج ، ولو فرضنا تحقق الضرر — وهو مستبعد جـــدا اذا روعيت شروط التعدد — فمن حق الزوجة المتضررة أن ترفع أمرها للقضاء تطلب الطـــلاق وفقا لما ذهب اليه المالكية وعملت به قوانين الاحوال الشخصية فى سورية . فالله سبحانه وتعالى أوجب على الرجل ان يراعى العدالة والانصـــاف فى سلوكه ، وحرم عليه التعدد اذا خاف الميل لأحد الجوانب وظلم الجانب الآخر فى معاشرة أو معاملة أو مال ، وهذا معناه أن الذى يسوغ له التعدد هو ذلك الرجل الحازم ، القوى الارادة ، الذى يتمتع الى جانب مزاياه الشخصيـــة بخلق رفيع ومراقبة لله عز وجل ولا شك أن مثله إذا تقى ربه ، وحزم أمره على اداء ما وجب عليه يستقيم به أمر الاسرة ويحل الوئام والوفـــاق بين الزوجات وبين الاولاد كما أن التعدد لهؤلاء ربح للمجتمع إذ يزود الأمة بأبناء يرثون تلك الصفات الممتازة ، كما نشاهد ذلك الآن فى بيوتات عريقـــة معروفة .

أما الذى يتزوج الثانية او الثالثة تبعا لهواه دون أن يتوفر فيه الشرط ، أو لمجرد ازعاج زوجه الأولى فهذا زواجه محرم شرعا ، وليست الشريعة مسؤولة عن تبعات مخالفته وانحرافه . لكن المجتمع مسئول إذ لا يقوم اعوجاجه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

أما قولهم إن تعدد الزوجات يؤدى الى كثرة النسل وهذه تسبب الفاقة والتشرد ، فإنا نعجب من هؤلاء إذ يرتعشون من كثرة النسل إن كثرة النسل خير وقوة للمجتمع ، وقديما واجه أجدادنا معاركهم المتلاحقة بكثرة النسل . ونحن اليوم امام معركة قد تستمر أمدا طويلا، ما دامت مصادر الكيان العدوانى

قائمة فى هذا الوجود ، تمده بأسباب القوة وتشجعه على العدوان فكيف يتصور من ذى حكمة أن يوقف كثرة النسل ، أمام هذه الاخطار المحدقة !

ثم إن كل داع لمنع التعدد يدعو لخروج المرأة الى العمل ، فأين هى الفاقة التى تؤدى للتشرد إذا كانت المرأة بزعمهم الفاسد ستعمل لا محالة !! ؟

إن كل الدلائل فى واقع الحياة تسير الى جانب تشريع تعدد الزوجات تدعمه وتشد من أزره ، والحقيقة أن البلاد التى تعادى هذا النظام وتشنع عليه ، لم تخرج عنه ولم تخالفه ، بل إن كل أوربا وامريكا تسير على نظام تعدد النساء العملى والواقعى ، وإن لم تقره شرعة القانون وهو نظام اقبح واشد سوءا من كل ما يزعمونه كذبا وافتراء من مساوىء تعدد الزوجات إذ أن نظامهم هو الشر والفساد والتفسخ الا وهو إباحة الزنى ، واتخاذ الاخدان والخليلات .

لقد حرموا تعدد الزوجات ، ثم ارغموا امام الضرورات الواقعية وعملوا بتعدد النساء غير الشرعيات . فأهانوا المرأة ، وداسوا كرامتها، ومرغوا عزتها وشرفها ، ثم اذلوها حيث ساقتها الضرورة والحرمان الى المصنع لتكسب قوتها وقوت أولاد الأوغاد الذين خدعوها ومكروا بها .

إن الواقع البشرى فى كل اقطار العالم المتحضر يقرر أن تعدد الزوجات أمر ضرورى لا مناص منه للانسانية ، وذلك لأن عقارب الساعة فى هذا الواقع تشير الى ضرورات عديدة تحتم التعدد :

١ ــ فهناك ضرورة تفرضها قوانين الطبيعة فى الحياة والموت إذ تقرر فى علم احصاء السكان أن الذكور الصغار اكثر تعرضا للموت من الاناث ، وهذا يؤدى إلى أن يكون الشبان اقل عددا من الفتيات بالرغم من أن نسبة مواليد الذكور قد تكون أكثر من الاناث (٢) .

٢ ــ وهناك الضرورة التى يحتمها نظام الحياة الاجتماعية ، فان هذا النظام يفرض على الرجال الأعباء الثقال فى الحرب والاشغال الشاقة فى المصانع الضخمة وغيرها مما يجعلهم اكثر عرضة للموت من النساء حتى بلغ عدد الأيامى من النساء فى أوربا ما يزيد على /٢٥/ مليون امرأة بعد الحرب العالمية الثانية . وإن وجد فى بعض البيئات الضيقة زيادة عدد الرجال على النساء فان هذا لا يسوغ العدول عن تشريع التعدد إلا اذا كان ثمة من يريد الغاء صلته القومية او الاعتقادية بأمته الكبرى التى ينتمى اليها ، وهو عمل خطير يدل على طبيعة هذا النوع من الناس . . !! على ان هذه الزيادة ظرف طارىء غير طبعى ، كما أن خلل الاحصاء يلعب دورا كبيرا فى ابرازها حيث تكون عادة أهل البيئة كتمان تسجيل نسائهم وبناتهم ولن يلبث تيار النظام الطبيعى أن يغير هذا الوضع المدعى .

٣ ــ وهناك اخيرا الضرورات الفردية التى تطرأ كثيرا لمريد الزوجة الواحدة اذ يفاجأ بما ليس فى حسبانه حيث يجد زوجته عقيما أو تصاب بمرض يمنعها من تحقيق غرض الزواج أو غير ذلك من الضرورات ، فهل نلزم الرجل بطلاق زوجته ، وإن كان يحبها ويريد الوفاء لها ، أم نرفع عنه الضيق ونحثه على ذلك الوفاء فنسمح له بالتعدد ؟ ! .

إن كثيرا من الزوجات يسمين لأزواجهن بالزواج الثانى ويخطبن لهم ، طيبة بذلك نفوسهن لأن هذا هو الذى يجيب به المنطق الصحيح ، ويقبله العقل الصريح .

واننا نعلن إزاء ذلك ان التعدد بشروطه المقررة شرعا مباح لا يملك احد تغيير حكمه الشرعى ، وان اى تقييد قانونيٍّ للتعدد لا يشكل تحريما شرعيا يلغى ما شرعه الله ، كما اننا نحذر من اى تقييد للزواج او لتعدد الزوجات سيقابله فى المجتمع انتشار الزنى والفواحش على قدر ذلك التقييد ، والا فأين ستذهب تلك الاعداد الزائدة من النساء التى دلت الاحصاءات على وجودها ، خصوصا وان الاثارة الجنسية يتطاير شررها ويستفحل ضررها فى كافة المجالات . وها هى ذى أوربا نفسها تشكو آثار الزواج الواحد واضراره الخطيرة . بل ان بعض البلاد الاسلامية لوت حكومتها المستبدة وجهها عن الاسلام واصدرت قانونا مدنيا منعت بموجبه تعدد الزوجات ، ولم تمض عليه ثمانى سنوات حتى هال أولياء الأمر فيها عدد الولادات السرية وعدد وفيات الاطفال المكتومة ... و ... !!

الحاجة إلى تشجيع الزواج

وقد أجمعت آراء الباحثين الاجتماعيين من الشرق والغرب على أن اكبر خطر يهدد المجتمعات هو تلك العزوبة المزمنة فى الرجال وفى النساء مما يهدد بالوقوع فى مهاوى الفواحش والرذائل ، وإن هذا الخطر قد أخذت بوادره فى مجتمعنا تظهر بوضوح لكل ذى عينين ، فما أكثر ما ترى اليوم من الأسر التى حرم بعض بناتها من الزواج ، وما أكثر ما ترى من شباب موسر مترف يعرض عن الزواج . وما أحسن ما اقترحه إزاء ذلك العلامة الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الاسبق — رحمه الله . حيث قال يرد على مشروع مصرى لتقييد التعدد بالقدرة على النفقة فقال ما نصه :

« إن مثل هذه الحالة جدير بأن يدفع الأمة الى التدهور الأخلاقى ، الذى شكا منه الغربيون لنفسهم ، وجربته دولة شرقية اسلامية ، وهو مما يوجب على عقلاء الأمة — اتقاء للانتكاس الخلقى — أن لا يفكروا لا فى منع التعدد أو تقييده ، وإنما فى وضع حد أعلى للعزوبة بالنسبة لأصل الزواج ، ووضع تشريع عكسى فى تعدد الزوجات ، اقل درجاته مساعدة الذين يتزوجون بأكثر من واحدة مساعدة تحفز غيرهم إلى السير فى طريقهم ، وتساعدهم على الانفاق على زوجاتهم وعلى أولادهم .

ولا ريب أن التشريع الذى يراد لتقييد تعدد الزوجات هو فى الواقع بملاحظة ما تقدم أكبر معين للناس فى التلخص من العلاقات الشريفة ذات الآثار الطيبة فى الاخلاق والاجتماع ، اكتفاء بما يقع فى أيديهم من أعراض لم تجد من يغار عليها أو يعمل على صيانتها .

خطأ آخر :

بقي أن المشروع قد اتخذ أصحابه الفقر وعدم القدرة على تربية الأولاد والانفاق على من تجب على الشخص نفقته اساسا لتقييد التعدد ، ومعناه انهم يبيحون للغنى أن يعدد كما يشاء ، وليس للفقير أن يتزوج أخرى .

ولو كان يصح اتخاذ الغنى والفقر اساسا لاباحة التعدد ومنعه لكان الواجب عكس القضية بأن يباح للفقير ويمنع عن الغنى ! ، فان الفقراء يطمئنون بعضهم إلى بعض ويتعاونون فى تحصيل رزقهم ، فيسعى الرجل بقدر استطاعته وتسعى كل زوجة بقدر استطاعتها ، وليس عنده ما يمكن أن يحابى به إحدى الزوجات على الأخرى . .

أما التباغض الذى يحصل من جراء تعدد الزوجات بينهن وبين أولادهن فمنشؤه غيرة طبيعية لا يمكن سلامة النفوس منها ، ولم تمنع من التعدد ، لما فى تعددهن من خير يربو على شر هذه الغيرة .

كما وجدت اساليب الكيد فى أعلى أولاد الضرائر « يوسف وإخوته » ومثل هذا الشأن الطبيعى لا يمكن وقف التشريع لأجله ، للفوائد العظيمة المترتبة على التشريع (يعنى تشريع التعدد) والله الذى يعلم أن الغيرة أمر طبيعى فى نفوس الزوجات شرع تعدد الزوجات فى قديم الزمن وحديثه ، ولم تر الحكمة الالهية أن وقوع الكيد فيما بينهن ، وفيما بين أولادهن مانع من إقرار التعدد ، فدل ذلك على أن مقاصد التعدد فى نظر المشرع الحكيم تسمو بكثير عما يقع من الكيد والتباغض اثرا لهذه الغيرة الطبيعية .

على ان هذا التباغض الذى يقع بين الزوجات يرى مثله كثيرا بين الزوجة وأحمائها ، ومثل ذلك عفو فى نظر التشريع ، لأنه وإن كان شرا إلا أنه شر قليل ، لا يترك لأجله الخير الكثير » انتهى .

والذى يثير الدهشة ولا ينقضى منه العجب ما يلحظه المطلع على القانون من التناقض العجيب حيث يقيد الزواج بأنواع القيود ، ويرسل الزنا مباحا لا شبهة فيه ، فهذا الشاب إذا أراد الزواج قبل خدمة التجنيد توضع أمامه العقبات ، ويطالب بالكفالات والتعهدات فاذا فجر وزنى فلا تثريب عليه .

والرجل اذا تزوج بفتاة تصغره كثيرا انحى عليه القانون اللوم والعقاب ، فاذا فجر بها ربت على كتفه !!

والزوج إذا تزوج على زوجته قامت قيامة القانون (أو هكذا يراد له) فاذا خان زوجه هدأت الثائرة وسكنت الغضبة .. !!

لقد بلغنا حد التضارب الفاضح بسبب التقليد ومحاكاة الأجانب ، على حين أن عقلاء الأجانب يزكون نظام التعدد وينادون به ، سواء فى ذلك رجالهم أو نساؤهم .

ففى انكلترا كتبت الكثيرات من النساء الانكليزيات فى الصحف السيارة وغيرها المقالات الطوال يدعون فيها للأخذ بنظام التعدد الاسلامى ، بل إن طائفة من رجال الدين ومن رجال البحث قررت الدفاع عن نظام تعدد الزوجات والمطالبة به .

فقد ذكر الاستاذ الخطيب المكى فى تفسيره المشهور : « إن وكالة

رويتر نقلت منذ سنوات قليلة خبرا من لندن يقول : إن اربعة من كبار القسس بزعامة اسقف كانتربرى ــ وهو من أكبر رجال الكنيسة البروتستانتية ــ قد اجتمعوا مع بعض الباحثين الاجتماعيين فى لندن وأصدروا قرارا دافع عن نظام تعدد الزوجات ، وطالبوا بإباحته للمسيحيين من اجل المصلحة العامة ومصلحة النساء أنفسهن » . وفى المانيا يصرح الاستاذ فون اهرمسلس « بأن قاعدة تعدد الزوجات لازمة أو ضرورية للسلائل الآرية » . وفى فرنسا وغيرها يصرح الكثيرون من الفلاسفة والمصلحين بهذا مما لا يتسع المقام لسرده والاطالة به ، وحسبنا من اقاويلهم هذه كلمة للفيلسوف الفرنسى غوستاف لوبون شرح فيها المسألة وفند مزاعم بنى قومه التى يتشدق بها بعض ابنائنا . قال لوبون فى كتابه : « حضارة العرب » (٣) .

« ولا نذكر نظاما أنحى الأوربيون عليه باللائمة كمبدأ تعدد الزوجات كما اننا لا نذكر نظاما اخطأ الأوربيون فى ادراكه كذلك المبدأ ، فيرى أكثر مؤرخى اوربة اتزانا أن مبدأ تعدد الزوجات حجر الزاوية فى الاسلام ، وأنه سبب انتشار القرآن ، وأنه علة انحطاط الشرقيين .. ذلك وصف مخالف للحق وارجو أن يثبت عند القارىء الذى يقرأ هذا الفصل بعد أن يطرح عنه اوهامه الأوربية جانبا أن مبدأ تعدد الزوجات الشرقى نظام طيب يرفع المستوى الاخلاقى فى الأمم التى تقول به ، ويزيد الاسرة ارتباطا ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تراهما فى اوربا .. ولا ارى سببا لجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعى عند الشرقيين أدنى مرتبة من مبدأ تعدد الزوجات السرى عند الأوربيين مع أننى ابصر بالعكس ما يجعله أسنى منه ، وبهذا ندرك مغزى تعجب الشرقيين الذين يزورون مدننا الكبيرة من احتجاجنا عليهم ، ونظرهم الى هذا الاحتجاج شزرا .. »

ويقول لوبون فى موضع آخر : « إن تعدد الزوجات على مثال ما شرعه الاسلام من افضل الأنظمة واوفاها بادب الأمة التى تذهب اليه وتعتصم به واوثقها للأسرة ، وأشدها لأصرته أزرا ، وسبيله أن تكون المرأة المسلمة اسعد حالا وأوجه شأنا وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية » (٤) .

(فاعتبروا يا أولى الألباب) .

تشريع الطلاق

وتشريع الطلاق أصبح مثلا معروفا لهزيمة النظام الأوربى ، بعد أن ظل الاوربيون قرونا طوالا يشنون الغارة على الاسلام بسبب تشريع الطلاق فيه .

لكن اوروبا وأمريكا لم تأخذا من نظام الاسلام حكمته فى محاولات الاصلاح وراب الصدع ، وجمع شمل الأسرة ، ولا التفتوا إلى ما يترتب على للطلاق من مسئوليات ونتائج فرضها الشارع الحكيم سيما فى الزام الزوج بالنفقة للعدة وحضانة الأولاد مما يعيق التسرع للطلاق ويضع له صمام الأمان .

غاية ما فعله القوم أن جعلوا أمر ايقاع الطلاق بيد القاضى يترافع اليه طالب الطلاق لينظر فى طلبه ، ويصدر الحكم فى شأنه قبولا أو ردا .

وها هنا تبدو محنة مجتمعنا ، إذ نجد جماعة من ابنائنا تنادى بتقييد الطلاق بأن يجعل محصورا باذن القاضى ، أو بأن تفرض غرامة على الزوج اذا لم يطلق باذن القاضى كالطلاق البدعى أو بدعوى الاضرار بالزوجة وهذا الموضوع اعنى تقيد ايقاع الطلاق بقضاء القاضى ومثله كل احتراز من شأنه ارجاع الطلاق للقاضى قد تناولناه فى بحث ناقشته لجنة من كبار علماء اساتذة الأزهر برئاسة فضيلة شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت . رحمه الله واثبتنا بما اقنع المتشككين بطلان هذا التقييد وفساده وأن الضرر كامن فيه ونلخص ههنا للقارىء توجيه ذلك من نواح .

١ — إن الاسلام قد علم ابناءه وجوب الحفاظ على رابطة الاسرة والتمسك بها واتبع أساليب متعددة من النواحى التوجيهية والنواحى التطبيقية لترسيخ هذا المعنى :

فى نطاق التوجيه يعلن القرآن الكريم هذه الوصية : (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) . والحديث النبوى : « لا يفرك (٥) مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها آخر » اخرجه مسلم .

وفى نطاق التطبيق العملى يخول الرجل الحق فى بعض التدابير للاصلاح بمقتضى قوامته التى شرعها الله فاذا لم تجد نفعا فان الخطاب الالهى يأمر بالتحكيم فى قوله تعالى :

(وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) .

فان فشلت كل وسائل الاصلاح جاء دور الطلاق .

ولا يخفى ان فى هذه المراحل من العلاج ما يكفى لتدارك الامر إن كان للتدارك مجال أو مكان ، فأى معنى لتقييد الطلاق باذن القاضى ، أو لفرض غرامة على الزوج لأى عذر كان .

٢ — إن الشريعة قد أناطت ايقاع الطلاق بالزوج ، فاذا طلق الرجل زوجته وقع الطلاق واحتسب عليه باجماع العلماء السابقين واللاحقين وبصريح نصوص القرآن والسنة .

أما القرآن ففى مثل قوله تعالى : « وإذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف » (٦) وقوله تعالى : « وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم » (٧) وقوله فى الطلقة الثالثة : « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » (٨) .

فكل آيات القرآن تحتسب الطلاق وتوقعه بمجرد صدوره عن الزوج ، دون أن يتقيد باذن القاضى أو موافقته .

وأما الأحاديث فأكثر من ان تحصر ، ومنها الحديث المروى فى الصحيحين وغيرهما بأسانيد كثيرة منها ما هو من أصح الأسانيد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « طلقت امراتى وهى حائض واتى عمر النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعها ، فاذا طهرت فان شاء فليطلقها » .

قال : فقلت لابن عمر : « فاحتسبت بها » . قال ما يمنعه ، ارايت ان عجز واستحمق » (٩) فطلاق ابن عمر الأول واضح انه لم يكن باذن النبى صلى الله عليه وسلم وإلا لما كان مخالفا للسنة ومع ذلك فقد وقع واحتسب عليه ، وكذلك الطلاق الذى جعل النبى صلى الله عليه وسلم له الحق فى إيقاعه لم يقيده بأن يرجع فيه الى النبى صلى الله عليه وسلم وان يستأذنه كى يقع عليه ويصح منه ، وإنما جعله حقا له يتصرف فيه بمشيئته واختياره ، فليس لأحد أن يطالبه بأى غرم لأى سبب كان من دعوى ضرر أو غيره ، فالزام الزوج بتعويض زيادة على النفقات التى اوجبها الشارع اكل للمال بالباطل .

٣ ــ إن الشريعة قد اوجبت على الرجل نفقات مالية بسبب ايقاعه للطلاق ، وهذه النفقة فى الواقع تشمل على معنى التعويض عن الضرر الذى يقترحه من يريد تبديل الحكم الشرعى ، ولذلك فانا نجدها تتناسب مع العروة الزوجية المنفصلة ضعفا او قوة ، كلما كانت العروة المفصومة اقوى كان الغرم اكبر فمن طلق قبل الدخول يجب عليه نصف المهر كما نص القرآن (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم » (١٠) .

وإن طلقها بعد الدخول أو الخلوة الصحيحة يجب عليه المهر كاملا .

« وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، اتأخذونه بهتانا وإثما مبينا ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » (النساء الآية ٢٠ و ٢١) .

وعليه ايضا أن ينفق على مطلقته ويسكنها مدة عدتها منه على ما ذهب إليه الحنفية وغيرهم وأقره قانون الاحوال الشخصية .

وإن طلقها بعد الدخول وقد ولد له منها ولد او اولاد فعليه زيادة على ما سبق نفقة الحضانة للأطفال ، وكثيرا ما تستغرق سنين تحتاج لأموال كثيرة ممايجعل هذه المسئوليات حجر عثرة امام ايقاع الرجل للطلاق ، تصده اكثر ما يصده التقيد باذن القاضى أو بغير ذلك من القيود . ثم إن هذا كله يشعرنا بأن الشريعة قد افترضت الزوج مسئولا عن الطلاق وحملته تلك الآثار والمسئوليات المالية (١١) ، فما حاجتنا بعدئذ الى ان نقول : إنه يحق للطرف المتضرر بالطلاق ان يطالب بتعويض إلا ان يكون غلوا يعقد قضايا الأسرة ، ويجعل كل واحد من الزوجين يقذف الآخر بالتهم الصحيحة او الباطلة بسبب هذا التعويض الزائد على ما شرعه الله ، وسيعود الضرر الاكبر فى ذلك على المرأة لأن أى كلام من الرجل فى حقها يجرحها جرحا بليغا ويقضى على مستقبلها فضلا عما سيؤدى إليهالتقاذف بالتهم من اضرام عداوات لا تنطفىء بين العائلات .

٤ ــ إن التجارب المشاهدة اثبتت انه لا يمكن لقوة ان تقف أمام طلاق

الزوجين الفاشلين ، وحسبنا دليلا على ذلك الدول التى أباح قانونها الطلاق ، فمع ان ديانة المسيحيين جميعهم تتجه الى تحريم الطلاق ، وانهم لما اباحوا الطلاق قيدوا وقوعه بحكم القاضى ، بالرغم من هذا كله بلغت نسبة الطلاق فى أمريكا ٤٨٪ أى أن كل مائة زواج ينتهى منها ثمانية واربعون بالطـــلاق والفراق كما دلت الاحصاءات .

وفى المانيا الغربية بلغت نسبة الطلاق فيمن دون سن الخامسة والعشرين ٣٥٪ خمسا وثلاثين بالمائة وهذا معناه أن القوم أدركوا أن جحيـــم الاسرة الفاشلة لا يقف أمام لهيبها أى عائق لذلك تساهل القضاة فى إيقاع الطلاق بمجرد تقديم الطلب ، أو لاتفه الاسباب ، حتى اصبح الناس يتسامعون عنهم أنباء تثير السخرية والضحك !!

بينما تجد الاحصاءات فى بلادنا التى يبيح دينها الطلاق ولا تقيده باذن القاضى ولا بأى قيد تقل عما ذكرنا من الطلاق فى تلك البلاد بمقدار كبير جدا ، كما تنبئك به هذه الأرقام الرسمية ، للاحصاءات للقطر السورى كله ، نقدمها اليك فى هذا الجدول :

السنة	المنطقــة	الــزواج	الطــلاق	النسبة
١٩٥٠	القطر السورى	٢٤٨٧٦	٢٤٠٩	٩ر٦ ٪
١٩٥١	القطر السورى	٢٠٦٤٤	٢٣٣٧	١١ ٪
١٩٥٢	القطر السورى	٢٢٥٤٧	٢٤٧٥	١٠ر٩ ٪
١٩٦٣	القطر السورى	٣٠٣٦٣	٣١٩٨	١٠ر٥٣ ٪
١٩٦٤	القطر السورى	٣٤٧٧٦	٣٢٧٣	٩ر٤١ ٪
١٩٦٥	القطر السورى	٣٤٦١٩	٣١٩٧	٩ ر٢ ٪

هذه الأرقام تكشف عن بون شاسع بين عدد حوادث الطلاق التى تقع فى بلادنا ، وبين عددها فى بلاد النصرانية التى يحرم دينها الطلاق وتأخذ بقانون مدنى يعتبر ايقاع التطليق بحكم القاضى ، حيث تبلغ النسبة عندهم اضعافها فى بلادنا . هذا مع احاطة القارىء علما بأنه ادخلت فى سنة ١٩٥٣ تعديلات على قانون الأحوال الشخصية اخذت من بعض المذاهب غير المعمول بها ، ومن اقوال غير معتمدة لدى الفقهاء لكنها لم تثمر أى فائدة الا لمدة يسيرة جدا ثم عادت لمجراها الاصلى .

على انه لا بد من القاء النظر على نسبة الطلاق بحسب البيئات المتعددة لما له من فائدة هامة فى الموضوع وذلك فى هذا الجدول :

السنة	المنطقة	الزواج	الطلاق	النسبة
١٩٦١	مدينة دمشق	٥٦٢٧	١٠٩٧	١٩ر٤٩ ٪
١٩٦٥	مدينة دمشق	٦١٢٥	١٠٩٥	١٧ر٨٧ ٪
١٩٦٦	مدينة دمشق	٥٩٤٦	١١٨٢	١٩ر٨٧ ٪
١٩٦١	مدينة حلب	٣٤٦٠	٥٠٢	١٤ر٥٠ ٪
١٩٦٥	مدينة حلب	٤٠٢٣	٥٢٤	١٣ ٪
١٩٦٦	مدينة حلب	٣٩٩١	٥١٧	١٢ر٩٥ ٪
١٩٦١	مركز محافظة حماة	١٢٥٤	١٣٣	١٠ر٦ ٪
١٩٦٥	مركز محافظة حماة	٢١٤٥	١٤٩	٦ر٩ ٪
١٩٦٦	مركز محافظة حماة	١٨٧٠	١٠٨	٥ر٧٧ ٪

إن هذه الاحصاءات توضح لنا بجلاء اثر البيئة فى وقوع الطلاق فالبيئة التى هى اكثر تعرضا لتيارات الغزو اللاخلاقى والتى تشيع فيها التقاليد الاجنبية اكثر تضعف فيها روابط الاسرة ، وتكون أكثر تعرضا للانفكاك والضياع كما هو الحال فى مدينة دمشق ، والبيئة التى يقل فيها ذلك التعرض للمفاسد الخلقية ، والمباذل ، تكون الأسرة فيها أشد تماسكا واقوى عروة ، كما هو ملاحظ فى مدينة حماة ثم حلب .

وحسبنا من العبرة فى ذلك تلك التطورات التشريعية التى حدثت أخيرا فى أعتى دولة متعصبة ضد تشريع الطلاق ، الا وهى ايطاليا فقد اقر البرلمان الايطالى منذ ثلاث سنوات فقط قانونا باباحة الطلاق ، ورقص احتفاء بـه جمهور الناس هناك ، لكى تواجه المحاكم الايطالية العدد الضخم من قضايا الطلاق ، والذى يبلغ مليون قضية أو يزيد ، ولم يمتنع القوم عن تشريع الطلاق خوفا من كثرة وقائعه ، علما بأنهم لم يضعوا من الضمانات للمرأة مثلما فرضت لها الشريعة الاسلامية . واذا كانوا قد وضعوا بعض القيود فى ايقاع الطلاق فلا ريب أنها لن تلبث أن تنقلب الى مجرد شكليات لا أثر لها بتاتا ، كما انقلبت اليه حال القيود فى الدول الأخرى .

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن العالم أيقن — فى حين يتشكك أناس ههنا — أن وضع القيود المصطنعة أمام وقوع الطلاق ليس تصرفا مثمرا ولا علاجا شافيا . وأيقن أن كثرة الطلاق لا يجوز أن تدعو إلى عرقلة وقوعه ومنع ممارسته ، بل نجدهم على العكس جعلوا كثرة الطلب على الطلاق سببا لاباحته وتشريعه والتوسع فى ايقاعه .

وهذا يثبت لكل ذى سمع متعقل ، وبصر متأمل أن للحفاظ على الأسرة اسبابا أخرى وراء التقييد بالقضاء ، وأن عوامل انهيارها أقوى من كل سد يصطنع أمام الطلاق ما لم تعالج تلك العوامل المخربة ، وتقتلع جذورها من الأساس .

ومن هنا فانا نقول بثقة كاملة : إن محاولة تقييد الطلاق بأى لون من التقييد رجعية موغلة فى الجمود ، والتقهقر الى الخلف .

ونبين ايضا أن الشريعة حكمت بوقوع الطلاق متى أوقعه الزوج ، فتقييده

بالقاضى لا يغير حكم الشرع ولا يلغى الحرمة التى يثبتها الطلاق ، لكن هذا التقييد يؤدى الى مفسدة عظيمة جدا هى الزام الرجل والمرأة بمعاشرة فاسقة يحرمها الله .

وهكذا نجد البحث العلمى الصحيح يأبى كل تعديل يراد اقتباسه من الأوروبيين ، سواء نظرنا إلى النظام الاسلامى من حيث طبيعتـه وصلتـه بمقومات امتنا وسلامة الاسرة فيها ، أو من حيث نتائج التعديل فى البـلاد العربية أو الاسلامية التى خاضت غمار تجربته واثبتت الاحصائيات فشلها .

كما أننا نجد الاتجاه العالمى أخذ يقتبس أخيرا من نظامنا الاسلامى حيث مهد لتعدد الزوجات كحل ضرورى لتزايد عدد النساء وكواجب يحتمه انقاذ المرأة من مهانة السفاح ويحتمه انقاذ النسل من الفوضى وسوء التربية ، وحيث أخذت الانظمة الأوربية بتشريع الطلاق ثم جعلت بصمة القاضى عليه أمرا شكليا محضا لا ينتظر الا تقديم الطلب .

والواقع أن ليس عندنا مشكلة تشريعية ، انما نحن بحاجة ماسةالـى حسن الوعى والتطبيق لشرعنا الاسلامى الأغر كما أننا بأمس الحاجة الى أن ننفض عنا غبار الشعور بالعجز ونتخلص من مركب النقص فى مواجهة المدنية الاجنبية لنقدم للعالم مدنية اسلامية صافية ، وحضارة مؤمنة تجمع بين الدين والعلم والتقدم ، تنقذ العالم من وهدته وتنير له الطريق .

---

(١) أخرجه أصحاب السنن ورجاله ثقات .

(٢) وقال الدكتور عبد السلام العجيلى فى مقابلة اذاعية : « ان المرأة اكثر وجودا على الارض من الرجل ، واحصاءات المواليد فى العالم تثبت أن مواليد الاناث اكثر من الذكور »

(٣) ص ٤٨٢ — ٤٨٤ .

(٤) يرجع للتوسع الى تفسير المنار ، وكتاب نداء للجنس اللطيف لمحمد رشيد رضا ، وكتاب الاسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ، وكتاب بيت الطاعة وتعدد الزوجات للدكتور على عبد الواحد وافى ، وكتاب الاسلام والاسرة للاستاذ معوض عوض ابراهيم من علماء الازهر .

(٥) أى يبغض بعضا يؤدى للفراق .

(٦) البقرة الآية — ٢٣١ — .

(٧) البقرة الآية — ٢٣٧ — .

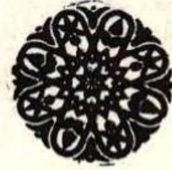
(٨) البقرة الآية — ٢٣٠ — .

(٩) البخارى ج ٧ ص ٥٩ (باب مراجعة الحائض) وانظر الحديث وطرقه فى صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٩ — ١٨٣ .

(١٠) البقرة الآية — ٢٣٧ — .

(١١) لهذا درج العوام على التعبير بهذا اللفظ « خرب بيته » فى حق من طلق زوجه . وضربت هذه الكلمة مثلا للنكبات الضخمة .

مَكانة المَـرأة في الإسـلام



للأستاذ : محمد عبد المنعم الخاقانى

يجدر بنا قبل ان ندخل فى تفاصيل وضع المرأة فى الاسلام أن نعيد الى الأذهان أن الاسلام دستور ونظـام إلهى يحيط بالحياة الانسانية بأسرها ويطبع كل فرع منها بطابع نظريتـه الأخلاقية الخاصة ويضع لها برنامجا اصلاحيا متميزا ، فللمرء الحرية التامة فى أن يرتضـى الاسـلام كله ، أو يرفضه جميعا ، وليس له بأى حال من الاحـوال أن يأخذ بجـانب منه ويستثنى امرا من الأمور مدعيا أن هذا أمر شخصى لا علاقة للدين به ، فان الاسلام فى صورته الحية كل متماسك الأجزاء مترابط الأعضاء بروابط داخلية حددتها عبقرية التشريع الاسـلامى التي وضعتها منسجمة مع الأهداف المنشودة ، فكل جزء فيه لا يمكن أن يؤدى وظيفته متكاملة إلا مع جميـع الأجزاء الأخرى ، فاذا انتزع منه جزء وركب في بنية أخرى فقد يؤدى شيئا من وظيفته ولو الى حين ، ولكن أنى له أن يؤديها تامة وبصفة مستمرة كما لو انتظم مع كل الأجزاء الأصيلة .

فللمرء اذن أن يخـرج عن دائرة الاسلام ليصبح له حق الاعتراض بما شاء ويطالب بالحجة العقلية ومن حقه ان يجاب الى طلبه ، أو أن يختـار الاسلام فيذعن لكل ما جـاء به ولا يتوقف امتثاله له على الاقتناع العقلى بكل جزئية على حدة ، وليس له أن يعتبر نفسه مسلما ثم يفسح لنفسه المجال للاعتراض على حكم من احكام الاسلام : **« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »** (النساء : ٦٥) .

نعم له أن يبحث ويجد في البحث عن هـذا الحكم بعينـه هل أمر به الاسلام ؟ أم لم يأمر ؟ أما بعد ثبوت الأمر به فليس أمامه الا الاذعان .

أجـل له أن يفتش عن الحجـة العقلية ولكن لا ليتوقف عليها الامتثال وانما لحصول الطمأنينة النفسية وزيادة البصيرة .

وقضية المرأة فى الاسلام جزء من الشريعة الاسلامية الشاملة فالنظر اليها بمعزل عن باقى أركان الشريعة عمل خاطىء وليس بمستقيم ، فان الذى يقصر نظره على عمود فى بناء يرى وضعه عبثا ، أما اذا شمل البناء كله بنظرته فانه سوف يلحظ اهمية ذلك العمود فى رفع السقف وما له من دخل فى محافظة البناء على توازنه وتماسكه .

ولهذا فان الاسلام لا يحتمل تبعات وضع المرأة فى المرحلة الحاضرة لدى الدول الاسلامية ، فانه وضع — لا شك — متدهور ومنحط ، ولكن السبيل لتقويم هذا الوضع ليس نفس السبيل التى سلكتها المرأة الأوربية التى صادفت ظروفا وانحرافات خاصة بها ، وانما الطريق لتصحيح وضعها — وحتى وضع الرجل — هى الاحتكام الى الشريعة الاسلامية الخالدة بايمان يعقبه تنفيذ بحرارة وصدق .

داعون الى التحرير ، ومطالبون بالابعاد :

هناك طائفتان تتوزعان العالم الاسلامى ، احداهما نصبت من نفسها الذائد عن حقوق المرأة ، والأخرى تطالب بابعادها من المجتمع .

وحين يتجاوز الباحث الامور السطحية ويفتش عن الدوافع النفسية العميقة التى تقود هاتين الطائفتين الى ما قالتا يصبح من اليسير عليه اكتشاف الدوافع الحقيقية ، وهى تلتقى جميعا عند أمر واحد هو : دوافع الغريزة الجنسية .

فالغريزة الجنسية هى المحرك الأول لكل منهما الا انهما تدابرا فى الطريق التى سلكا .

فالذين يطالبون بظهور المرأة فى صورة فاتنة مثيرة بأقوالهم الشعرية الحالمة انساقوا اليه فهم هذا تحت ضغط النزعة الجنسية ، ليوقظ ذلك غرائزهم ، ويستهوى انفسهم . أما الذين يؤمنون بوجوب ابعاد المرأة عن المجتمع وعزلها فى سجن ضيق فانهم مدفوعون — ايضا — الى موقفهم هذا بدافع تلك النزعة — وان بدا هذا غريبا لاول وهلة — لان الرجل الذى يمنع انثاه من الخروج لا يكفى فى تبرير عمله هذا اى سبب سوى خوفه من ان يشاركه فيها غيره . فمن أراد أن يجد حلا لمشكلة المرأة وجب عليه ان يستبعد كلا الرأيين ، لأنه لا امل فى أن نجد فى آراء تنبعث عن الغريزة حلا لأى مشكلة . فلا بد أن نشيح بوجوهنا عن الآراء العاطفية ثم نحاول حل المشكلة واضعين مصلحة المجتمع وتقدمه الحضارى وبالتالى مصلحة المرأة — القطب الثانى من المجتمع — فى الاعتبار الاول .

فعلى هذا لا يجوز اعطاء المرأة اى حق على حساب مصلحة المجتمع ، لأن ذلك سوف يؤدى الى انهيار المجتمع ، فيتدهور وضع المرأة لأنها عضو فيه . وحل مشكلة المرأة الاجتماعية لدينا لا يكمن فى تقليدها لمظاهر المرأة الاوربية دون اعتبار الأسس التى قررت المرأة الاوربية السير عليها ، بل هى مشكلة انسانية يتوقف على حلها استقامة المدنية .

يقول بافلوف : « ان التخطيط قد يخص الحالة (القشرية) فى الشخصية دون الحالة الداخلية » . فمحاولة تغيير مظهر الشخصية امر يسير ، أما تطوير ما يتصل بجوهرها اى تطوير النفس فانه يحدث نتيجة



لعمل بطيء ينحت الصورة المرغوب فيها نحتا عبر زمن طويل .

وسلوك المرأة المسلمة السبيل التى سلكتها المرأة الاوربية لا يحل المشكلة، لأن الحال التى عليها المرأة الاوربيـــة الآن تدعو الى الرثاء ، لأنها تخلت عن وظيفتها الطبيعية وهى حفظ الأسرة وبقـــاء المجتمع وفقـــدت الشـــعور بالعاطفة نحو الأسرة لتظهر فى مظهر لا يخاطب فى نفس الرجل إلا غريزته فاختارت الأزيـــاء الفاتنـــة والمثيرة وحددت النسل ومحت فى نفسها كل معانى التقديس للعلاقة الجنسية ، هذه هى بعض الأعمال التى تؤكـــد المعنى الجســـدى الذى يتمســـك به مجتمع يسوده الغرام باللذة العاجلة .

فمـــا العمـــل ، ومـــا هـــــو الحـــــل إذن ؟

ينحصر الحل ــ كما سبق لنا ذكر ذلك ــ فى أن نعيد الى المرأة المكانة التى وهبها إياها الاسلام ، لنجعـــل منها « سيدة » تساهم فى الحيـــاة وتوحى الى الرجل العواطف النبيلة دون أن نخلق منها مسيطرا عليه ، أو نمسخها خادما له .

ومشكلة المرأة تنحل الى فروع عدة، نستعرضها مع الحل الذى طرحـــه الدين الاسلامى كما نتصوره :

القيمـــــة الانســــانية :

ينظر الاسلام الى الرجـــل والمرأة على أنهما القطبان اللذان يكوّنان معا الانسانية دون امتياز لأحدهما على الآخر فيما لهما من قيمة انسانية : **« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحـــدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيـــرا ونســـاء »** (النساء : ١) . **« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكـــر وانثى وجعلناكـــم شعوبا وقبائل لتعـــارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم »** (الحجرات : ١٢) .

وهو ينيط بهما التكليف : **« يا أيها الذين آمنوا لا يســـخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهـــن ، ولا تلمـــزوا انفســـكم ولا تنـــابزوا بالألقاب »** (الحجرات : ١١) .

« ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضـــا » (الحجرات ١٢) .

ويحمل كلا منهما مسؤولية عمله : **« كل امرىء بمـــا كســـب رهين »** (الطور : ٢١) . **« ولتجزى كل نفس بمـــا كســـبت وهـــم لا يظلمـــون »** (الجاثية : ٢٢) . .

وينال لديه كل منهما ما يستحق من جزاء : **« فاســـتجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمـــل عامـــل منكم من ذكر أو أنثى بعضكـــــم من بعض »** (آل عمران : ١٩٥) .

وعنـــدما يوصى الانسان برعـــاية والديه يخص الأم بذكر ما عانت من آلام ويوجب الاحسان لهما جميعا : **« ووصينا الانسان بوالديه احســـانا حملته أمه كرها ووضعته كرها .. »** (الأحقاف : ١٥) .

وقد لا يرضـــى قوم بأن الاســـلام قد ساوى بين الرجل والمرأة فى القيمة الانسانية مستدلين على ذلك بمسألة اعتبار الاسلام شهادة امرأتين بشهادة رجـــل واحد ، مســـتلهمين منه أنه يساوى المرأة بنصف الرجل .

وليس هو كما يظنـــون ... أن التشريع الاســـلامى لم يفرض ذلك

لنظرته الى المرأة على أنها تساوى نصف الرجل ، وانما هو لغرض آخر هو أن يوفر كل الضمانات الممكنة فى الشهادة ، لأن المرأة تسيطر عليها الطبيعة العاطفية السريعة الانفعال ، فلأجل أن يتلافى تأثرها ـ فى بعض الملابسات للقضية ـ طلب أن تكون معها اخرى ، لأن من النادر جدا أن تتفق امرأتان على تزييف واحد : **« فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى »** (البقرة : ٢٨٢) .

الحقوق المدنية :

لقد سوى بين الرجل والمرأة فى القوانين المدنية والجنائية الاسلامية، فكل منهما محفوظ النفس والعرض والمال إلا بالقانون ، ولا يسلب حريته الفردية دون أن تثبت عليه جريمة ، وله الحرية فى ابداء رأيه ومبدئه دون ارهاب ، وتكفل الدولة لكل فرد من افرادها ـ مسلما كان أم غير مسلم ـ حاجاته الانسانية اللازمة .

وقد ترك للمرأة حرية اختيار شريك حياتها ، ومنحها حق الخلع والفسخ وأباح لها تجديد الزواج بعد طلاق أو فسخ دون أن تكون لأحد عليها سلطة . وقد أمر الرجل بمعاملة المرأة معاملة طيبة ومعاشرتها معاشرة سمحة : **« وعاشروهن بالمعروف »** (النساء : ١٩) . **« ولا تنسوا الفضل بينكم »** (البقرة : ٢٣٧) .

وأمره أن يشاورها فيما يعن لـه من أمر **« وائتمروا بينكم بمعروف »** (الطلاق : ٦) .

حق التعليم والثقافة :

حث الاسلام على تعليم المرأة كثيرا وجعل التثقيف لها لازما كلزومه للرجل ، فلم يميز فى ذلك بين رجل وامرأة ، الا انه طالما هو يرمى الى تربية المرأة لتصبح زوجة ذات حصافة فى تدبير شؤون الأسرة وأما تنمى جيلا يستطيع النهوض بأعباء الحياة ، فانه يوجه عنايتها الى العلوم التى تفيدها فى مجال نشاطها وتوسع أفق نظرها وتهذب أخلاقها .

أما اذا وجد فيها طموح الى أن تضيف الى ذلك ما سواه من علوم أو فنون لم يقف الاسلام حائلا بينها وبين ما تطمح اليه ما دامت ملتزمة بما وضعه لها من حدود . فهو يتيح لها الفرصة الكاملة لتنمى مداركها وكفاءاتها لتصبح مؤهلة للاضطلاع بنصيبها من العمل على رقى الحضارة الانسانية ، لكنه يمسكها عن أن تستغل اداة للانحطاط الخلقى المؤدى دائما الى دمار الحضارات .

الحقوق الاقتصادية :

إن منزلة الانسان تعتمد الى حد كبير على حالته الاقتصادية وقد كانت حالة المرأة الاقتصادية هزيلة فى ظل كل القوانين ، فأدى عجزها الاقتصادى هذا ـ بوصفه أحد الأسباب الهامة ـ الى استعبادها . ونهضت أوربا وأرادت الاصلاح فدفعت المرأة لتجعل منها عضوا فى المجتمع كاسبا ، فأفضى بها هذا التغيير الى مفاسد أخطر من الأولى .

أما الاسلام فقد سلك السبيل الوسطى فمنحها حقوقا واسعة فى الميراث ، وقد يثار الحديث هنا عن فرض الاسلام نصف نصيب الرجل للمرأة فى الميراث مكتشفين من ذلك أن الاسلام يخفض من قيمتها الانسانية ويحد من حقوقها الاقتصادية ، الا أن هذا الحديث قد عفى عليه الزمن فان الاسلام لم يفرض لها ذلك النصيب لأنه يعتبرها نصف انسانة أو رغبة



منه فى أن يجعل حقوق المرأة الاقتصادية فى المرتبة التالية بعد الرجل ، وانما فعل ذلك لأنه قد فرض للمرأة حقوقا اقتصادية أخرى هى النفقة والمهر اللذان كلف بهما الرجل، فلحفظ التوازن الاقتصادى بينهما كان ذلك التشريع ، فالتفرقة بينهما فى المال الموروث اذن لسبب واحد وظاهر وهو تكليف الرجل بالانفاق واعفاء المرأة من ذلك ولهذا نجده لا يبيح التفرقة بينهما فى الكسب والأجر .

وكل ما ظفرت به من مال بوسائل مشروعة ، منحت فيه كل حقوق الملكية ، ومنع غيرها أن يتدخل فى شىء من ذلك .

ولها الحق فى تثمير أموالها بالوسائل المشروعة ، ولا يرفع كل هذا وجوب صرف النفقة اليها من زوجها .

حق العمل :

إن شؤون الأسرة التى تهيىء السكن النفسى للزوجين حين يفقدانه فى أى مكان آخر وتهيىء الجو النقى لارساء الكيان النفسى للأطفال على أسس قويمة ــ انَ شؤون هذه الأسرة لكثيرة ومتشعبة فلا يستطيع الرجل منفردا أو المرأة وحدها القيام بمهام الأسرة جميعا ، فمن العدل أن توزع بينهما جريا على مبدأ توزيع العمل ، ثم لا بد أن يختص كل منهما بالقسم الذى هو أقدر عليه وبما هيىء له طبيعيا . وليس هناك شك فى أن الرجل قادر على أن يقوم بما تؤديه المرأة من تكاليف الأسرة والبيت وان المرأة تستطيع أن تشارك الرجل فى الحياة العامة ، الا أنه لا يصح للرجل أن يترك دائرة عمله ليتسلم المهام التى تؤديها المرأة ، وكذلك لا يصح للمرأة ان تتخلى عن البيت والأسرة لتنازع الرجل فيما يقوم به من دور ، لأن الرجل لا شك أصلح للجهاد خارج البيت ، والمرأة أصلح لتدبير السكينة فى الحياة .

فهنا حصتان لكل منهما الحصة التى أعد لها طبيعيا ووجدت فيه المؤهلات النفسية والجسدية للاضطلاع بأعبائها ، وليست احداهما بأهون ولا أوهن من الأخرى . فهما متعاونان متقاسمان الجهد والسعى لا متنازعان متصارعان .

لها حق الانوثة والأمومة ، وله حق الرجولة والجهاد . لها وظيفة اعداد جيل المستقبل ، وله وظيفة اعداد جيل الحاضر .

ويؤيد هذا علم الأحياء الذى أثبت أن تركيب جسم المرأة يختلف عن تركيب جسم الرجل فى الانسجة وحتى الخلايا عليها الطابع الانثوى .

فمنذ يبدأ الجنين فى النمو ، يرتقى كل من الصنفين فى صورة تخالف صورة الآخر ، فجسم المرأة ينمو نموا تستعد به للولادة والتربية ، فيصمم فى تركيب جسمها منزل ليستقبل الكائن الجديد ويعزل نصيب من غذائها ليتحول الى غذاء لذلك الضيف ، ومع الشباب يعروها المحيض الذى يتركها فى حالة شبه مرضية ويؤثر فى جهازها العصبى والذهنى فيصيرهما فى حالة ارتخاء وعدم انتظام ويحرمها كثيرا من حريتها العملية ، ثم تجيىء فترة الحمل فيختل جهازها العصبى

ويضطرب فيها اتزانها الذهنى وتصبح قواهـــا الروحيـــة فى حـــالة فوضى مستمرة . وتعقب ذلك فترة النفاس التى تكون فيهـــا عرضـــة لأمراض مختلفة لأن الجروح التى تعانى منهـــا تكون مســـتعدة للتســـمم ، وتكون اعضاؤها الجنسية فى حالة استعادة وضعها الاصيل .

وبعد أن تتجاوز هذه المراحل الشاقة والعسيرة تبدأ مرحلة جـــديدة وهى مرحلة الرضاع التى تحيا فى اثنائها لوليدها ، ثم يجيىء دور الحضـــانة والتربية الذى يستغرق زمنا طويلا ، ولم يجد شيئا تغذية الطفل بغير لبن أمه ، لأن الاخصائيين قد أجمعوا على ان لبن الأم ليـــس له بديل ، وقـــد اقترحـــوا لتربيـــة الناشـــئين دورا للحضانة ليوفروا للأم وقت العمل فى خارج البيت ، ولكنه اقتراح عقيم ، فليس هناك اى امرأة يمكن أن تغدق على الطفل ذلك الحنان الذى يجـــده عنـــد أمه .

هذا هو تركيبها الجســـدى الذى هيىء للحمل والولادة والرضاع .

أما الكيان النفسى الذى منحتـــه ليتمشى مع أهداف ذلك التركيب فهو تلك المشاعر النبيـــلة والصبر على العمل المتواصل والدقـــة فى الأداء والملاحظة والرقـــة فى العاطفـــة ، والسرعة فى الانفعـــــال ، واللين والمرونة فى السلوك ، وباختصـــــار فان الجانب العاطفى هو الذى يلون كيانها النفسى لأن الأمومة لا تحتـــاج الى الفكر بمقدار ما تستلزم العاطفة التى تستجاش بأول لمسة .

وحتى فى طبيعـــــة احساســـــها الجنسى تختلف عن الرجل بحيث يوائم وظيفتها الفطرية ، فاحساســـها به أعمق كثيرا من احساسه وأشمل ، وهو لا يتركز عندها فى نشوة الجنس الطارئة وانما يمتد ليشمل فترة الحمل والولادة والتربيـــة ، فان الاحساس الذى يرافق كـــل هـــذه الامور هو إحساس جنسى أصيل، بخلاف الرجل فان احساسه به يتركز فى النشـــوة الجنسية الطارئة وينتهى عند تفريغ تلك الشحنة الكهربية الجارفة ، وبينما تتركز الشهوة الجنسية عند الرجـــل فى نطاق محدود ، فان المرأة لا تعرف هذا التركيز ، لأن معظم جسمها موطن يصلح لذلك الاحساس على درجات متفاوتة ، وتحس المـــرأة بأكثر من موضع واحد حساسية شديدة بعضها فى جوف الجسم والآخر على سطحه أثناء العمل الجنسى . فاختلافهما فى طبيعة احساسهما الجنسى هيىء بتلك الطريقة الخاصة ليلائم وظيفة كـــل منهما فى الحياة .

فالرجـــل يشـــعر بالجنس الا أن شعوره به أشبه بالنزوة الطـــارئة المركزة التى تنزع الى التفريغ ، فاذا أفرغت هدأ ذلك الاحساس واستقر حتى يعود ، وفى أثناء ذلك ينصرف بفكره عنمسائل الجنس الى الوان أخرى من مسائل الحيـــاة وينصرف بجســـده أيضـــا ليمارس شـــؤون الصراع .

اماالمرأة فان شعورهـــا بالجنس أعمق وأوسع نطاقا وليس يتركز فى نشوة طارئة وانما يمتد ليشمل فترة الحمل والولادة والرضاع والتربيـــة لئـــلا تحملها آلام الحمل والوضـــع وتبعـــات الرضاعـــة والتربية على الافلات من هذه الوظيفة .

فهل من المساواة أن نضيف الى اعبائها هذه كلها التى انفردت بهـــــا أعباء كسب المعيشة ؟

أم هل هى مهيئة بكيانها الجسدى وتكييفها النفسى للصراع خارج البيت؟

كلا !! وانما هو من الظلم والحيف على طبيعتها أن تقوم بكل هذا الدور العظيم ثم تخرج لتكسب قوتها ، ومن خسة الرجل وأنانيته أن يطالبها بذلك وليس معنى اختلافهما فى الوظـــائف



كون احدهما افضل من الآخر ، وانما لكل فضائله ومخازيه فى ميـــدانه الخـــاص ويمارسها على طريقتـــــه المتميزة :

فالرجل الذى يهب نفســـه لفكرة فيكرس كل حياته من أجلها لا تزحزحه عنها كل ما فى الأرض من مغريات غير قاصد الى مصلحة شخصية وانما هو يفعل ذلك لخير الانسانية كلها ، تلك الانسانية التى يمنحها كل حبه ووده الخالص من كل حقد أو ضغينة ــ هذا الرجل يرتقى الى قمم لا ترقى اليها المرأة .

والمرأة التى تهب نفسها لحب عظيم تكنه لزوجها وأبنائها وبيتها فتتفانى فى ذلك الحب الى ابعد الحـــــدود فتنسى نفسها وتطرح أنانيتها لتتحول الى طاقة تنفق لاسعاد هؤلاء ــ هذه المرأة تصل الى قمم لا يدانيها الرجل .

اما الرجل الذى يهبط فى غرائزه الجنسية الى مستوى الحيـــوان فلا تهـــدأ نزواته البهيميــــة فينقلب الى حيـــوان مفترس لا يكاد ينتهـــى من افتراس عفاف صيد حتى يمضى قدما فى البحث عن صيد آخر ، فى صورة جنونية ــ أما هذا الرجل فانه ينحدر الى مســـتوى لا تنحط اليـــه المرأة السوية .

والمرأة التى تبلغ بها شدة الغيرة وضراوتها أن تضع حدا لحياة أطفال لامرأة أخرى ولو كانت تحت التراب ! ــ هذه المرأة تتردى الى هوة سحيقة تبعث على الخـــزى لا يهوى اليهـــا الرجل السوى .

هذه هى القاعدة الرئيسية فى نظام الاجتمـــاع الاســـلامى ، وللأحوال الاستثنائية والضرورات أجيز للمرأة أن تعمل ، كما لو فقدت المعيل أو فقد المعيل القدرة على العمل أو عجــز المال الذى يتقاضاه عن القيام بشؤون الأســـرة ، الى كثير من الاســـباب الأخـــرى .

الاشراف على شؤون الأسرة :

اكتشف التحليـــل النفســـى فـــى الانسان أن المرأة تسيطر عليها نزعة (Thnatos) وهو حب وقدرة خلاقة ، أما الرجل فان النزعة التى تغلب عليه هى نزعة (Thnatos) وهى جفاء وقدرة على التحطيم من جهة ، وقدرة مراقبة ونظيم من جهة أخرى . فاذا سيطرت نزعة (Eros) على المجتمع كان عليه طابع الامومة بما تملك الانثى من عبقرية ، واذا سيطرت عليه نزعـــة (Eros) كان عليه طــــــابع الأبـــوة بما للـــذكر من عبقريـــة . والحضارة التى تطبعها عبقرية الأنثى ــ وهى عندما تتولى فيه مقاليد الأمور وتقوم بأدوار البطولة وينزوى فيهـــا الرجل ليقوم بدور المخنث ــ ان هذه الحضــــارة لا بد مؤدية الى الفجـــور والانحلال والميوعة . والحضارة التى تطبعها عبقرية الذكر ــ وهى عندما يستقل الرجـــل بتسيير دفة الحيـــاة مهملا المرأة تعين على هامش الحياة ــ لا شك تنتهى الى الجفاف والعقم والتحجـــر .

وجاء الاسلام ليضع الاشراف على شؤون الأسرة بيد الرجل : **« الرجال قوامون على النساء بما فضل اللـــه بعضهم على بعض »** (النساء : ٣٤) الا أنه يحول بينه وبين نزعات الجفاء والتحطيم فحظر وأد البنـــات الـــذى كان يمارســـه المجتمع الذى طبعتـــه عبقرية الذكر ، ثم ترك له القدرة على ضبط النفس والتنظيم والتوجيه على أن يشـــاور المرأة : **« وعاشروهن**

بالمعـــروف » (النســـــاء : ١٩) . **« وائتمـــروا بينكـــم بمعـــــروف »** (الطلاق : ٦) . فصاغ مجتمعا نالت فيه المراة كل حقوقها ، وادت واجبها الفطرى وهو شؤون الزوجية ، ولم يفرض عليها الأعمال المنزلية كالطبخ والغسيل حتى ارضاع الوليد فانـــه ليس مفروضا عليها ، بل لها ان تأخذ عليه الأجـــر ان شـــاءت ، فتكافأت حقوقها مع واجباتها :

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجـــة » (البقرة : ٢٢٨) .

تعـــــدد الزوجـــات :

ان تعدد الزوجـــات تشريع سابق للاســـلام ، فقد أباحت الشريعـــة الاسرائيلية تعدد الزوجات فى حالة رغبة الزوج واستطاعته واطلقته من غير تحـــديد لعدد معين ، وجـــاءت المســيحية فالتزمت الصـــمت ازاء مسألة تعدد الزوجات ، وقد ورد فى كلام بولس الرسول ما يفضل الاكتفاء بواحـــدة لرجل الدين لأن ذلك أهون الشرين ! وظل العالم المسيحى يبيح ذلك حتى القرن السادس عشر وقد أقره المصلحون لديهـــم أمثال مارتن لوثر ، وقد أوجبته بعض الطـــوائف المسيحية ، ففى أوائل العقد الرابع من القرن الســـادس عشـــر نادى اللامعمدانيـــون فى مونســـتر بـــأن المسيحى الحق ينبغى أن تكون له عدة زوجـــات ، ويعتبر المورمون تعـــدد الزوجات نظاما إلهيا مقدسا ! كما نقل كل ذلك (Westermarch) فى تاريخه .

أما الاســـلام فانـــه أباح تعـــدد الزوجات على أن لا يزيد عن أربع : **« فانكحوا ما طاب لكم من النســـاء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتـــم الا تعدلوا فواحدة »** (النساء : ٣) . فأباحه ، مجرد اباحة ، لا وجوب فيها ولا استحســـان ، واشترط لاباحتـــه العدل بين الزوجات فمن لا يجد مـــن نفسه القدرة على العـــدل بينهن لم يجز له ذلك .

وقد اشار القرآن الكريم فى موضع آخر الى صعوبة العدل حتى يفكروا مرتين ــ كما يقولون ــ قبل أن يقدموا عليه : **« ولن تستطيعوا أن تعـــدلوا بين النساء ولو حرصتم »** (النساء : ١٢٩) . أما اباحة تعدد الزوجات فهو قانون لمواجهـــة الطـــوارىء وأمر ضرورى لحـــالات استثنائيـــة كثيرة تطرأ على المراةوالرجل وعلى المجتمع ايضا تكون فيها اباحة التعدد افضل الحلول .

فقد تصاب المراة بالعقم ، فان منعنا التعدد فاما أن يصـــبر الزوج ويبقى على زواج قد فقد معناه والهدف منه، واما أن يلجأ الى الطلاق . وكذا اذا أصيبت بداء اقعدها عن أداء وظيفتها المنزلية . فهل هذان الحلان افضل من اباحة التعدد ؟

لا شك أن صبر المـــراة العقيم أو المريضة على التعدد افضـــل لها من الطلاق ولفظها الى الخارج فى اشـــد الأوقات حاجة الى زوجها .

ولا شك ان اباحة التعدد افضـــل للزوج من الصبر عـــلى زواج فاقد المعنى والهدف وافضل له فى البقاء دون عقب يسكن ويطمئن اليه ويرضى به نزعته الى الخلود !

وقد تمر بالأمـــم أزمات يحـــدث بســـببها زيادة فى عـــدد النســـاء على عـــدد الرجال ، كما يحـــدث ذلك فى أعقاب الحروب والثورات وقد يحدث فى أعقاب الأوبئة الفتاكة حيث لا تتعرض لها المراة على الصورة التى يتعرض لها الرجل ، وحتى اذا تعرضا لها معا فان الاحصـــاءات تثبت قلة الفتك فىجانب النساء ولعله بسبب مناعة فى جسمها ضد الامراض اكثر



من المناعة التى يتمتع بها الرجل .

ويقــول بعض المشــتغلين بعلم الاحياء : أن هناك زيادة مطردة فى عدد الاناث لدى أنواع كثيرة .

ففى كل هذه الحالات لا يوجد حل أسلم من السماح بتعدد الزوجات ، لأننا اذا منعنا التعدد بقيت طائفة من النساء بغير زواج ، فإما أن تســلك سبيل الغواية وإما أن تحــافظ على عفافها ، وفى الحالة الاولى تصــبح شرا على نفسها وعلى المجتمع ، وفى الحــالة الاخــرى تبتــلى بالعقــم والاضــطراب النفســى الناشىء عن الكبت .

والذين ينقمون على الاسلام اباحته لتعدد الزوجات يغيب عن اذهانهم أن المراة ـــ فى الاســلام ـــ حــرة فى اختيار الزوج ، فان لم تشــأ الزوج الذى يجمعهــا مع امــراة اخــرى لم يكرهها النظام الاجتماعى عليه . أما حين تشاء ، فمن الذى يصــادر حريتها ؟ أهو القانون الذى يبيح تعدد الزوجات ؟ أم الذى يحظره ؟

بقى شىء واحد ، وهو أن هذا هو التشريع الأصيل ، أمــا أن يحســن استخدامه أو يساء فان تبعات ذلك لا تقع على عاتق التشريع .

الطــــلاق :

اذا استحال بقاء الزوجين متفاهمين فلا بد حينئذ من الطلاق ، لأنه أرحم بهما فى هذه العلاقة البالية .

ولِمَ لم تمنح حق الطلاق ؟ لأنهــا انســان عاطفى يوافق على الشــىء موافقة تامة ، فاذا تحولت عاطفته عنه فما أسرع ما يرفضه . والمراة تعرف ذلك من نفسها فلتفكر ـــ ولتكن واقعية فى ذلك ـــ كم مرة ســـوف تطلق لو منحت ذلك الحق ، فان كل ثورة عاطفية ـــ وما أكثرها ـــ سوف يعقبها طلاق ، فلا يقر للأسرة قرار ، ويختل توازن نفوس الاطفال فى هذا الوسط القلق المضطرب .

الا أن الاسلام منحها حق الخلع : وهو أن يطلقها لقاء فداء تدفعه اليه ويجوز أن يكون اكثر من المهر ، وهذا يقع فى حال كراهية الزوجة فحسب، ومنحها حق المباراة : وهو مثل الخلع الا انه لا يجوز فيه أن يكون الفــداء اكثر من المهر ، وهو يقع فى حــال كراهيتهما معا .

والاسلام ينظر الى الطلاق والخلع والمبــاراة عــلى انها قســـوة من المستحسن جدا اجتنابها مهما أمكن ، فالطلاق أبغض الحلال الى الله .

ولا يدخر الاسلام وسعا للحيلولة دون وقوعه : فاذا أحس الزوج بنفرة من زوجته فعليه بالصبر عسى أن تكون هذه النفرة عارضة وفى باطنها خير : **« فان كرهتموهن فعسى أن تكرهــوا شــيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »** (النساء : ١٩) .

واذا شعرت الزوجــة بجفوة من زوجها فعليهما بالصلح : **« وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير ، واحضــرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا »** (النســاء : ١٢٨) .

فان لم ينجح ذلك وبدت فى الافق امارات الشقاق بينهما : **« وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهــله وحكما من أهلها ان يريدا اصــلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليمــا خبيرا »** (النساء : ٣٥) .

واذا عجزت هـذه الوسائل كلها عن ايجاد الصلح بينهما فليس هناك مناص من الطلاق : **« وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما »** (النساء : ١٣٠) .

والاسلام يحفظ للمرأة حينئذ حقها فى المال فلا يجيز للرجل أن يمسك عنها شيئا فى صداقها : **« وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا »** (النساء : ٢٠) .

واذا تم الفراق وجب على الزوج أن يتكفل لها بمعيشتها مع ابنائها طول مدة العدة : **« ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف »** (البقرة : ٢٣٦) . **« أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى . لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاه ، سيجعل الله بعد عسرا يسرا »** (الطلاق : ٦ ، ٧) **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف »** (البقرة : ٢٣٣) . وكل الآيات التى وردت فى شأن الطلاق تؤكد المعاملة بالمعروف وتشدد فى النهى عن الايذاء او أى لون من ألوان الاساءة .

الحجاب :

يقول الله تعالى : **« يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين »** (الاحزاب:٥٩)

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن او ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » (النور : ٣٠ — ٣١) . **« يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا . وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى »** (الاحزاب : ٣٢ — ٣٣) .

فهذه الآيات الكريمة لا تترك مجالا للشك فى وجوب الحجاب على المسلمين ، فيجب على النساء أن يدنين عليهن من جلابيبهن ، والجلباب هو الثوب الواسع ، ويجب عليهن أن يضربن بخمرهن على جيوبهن أى أن يسترن صدورهن بما يغطين به رؤوسهن ، ولا يسمح لهن فى ابداء زينتهن الا ما ظهر منها دون ارادة ، ويجوز لهن أن يبدين زينتهن لازواجهن مع الآباء والنساء والمماليك والتابعين الذين لا يرتاب فيهم والطفل الذى لا يدرك الامور الجنسية .

ولم يكن الاسلام مبتدعا للحجاب بل قد سبقه الى ذلك كتب العهد القديم والأناجيل ، وفرض اليونان العزلة على نسائهم والرومان وان لم يصنعوا صنيع اليونان الا أنهم حرموا على المرأة الظهور فى الطرقات بزينتها وحرموا عليها المغالاة بالزينة حتى فى البيوت .



وعندما فرض الاسلام الحجاب لم يفعل ذلك محافظة على التقاليد وانما ليطهر الجو من كل آثار الفتنة ولهذا نراه قد أجاز للاتى لا تحتمل فى حقهن الفتنة أن يضعن ثيابهن بصورة لا تتكلف فيها بابداء ما عليها من زينة : « **والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا ، فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن** » (النور : ٦٠) .

وأوجب غض البصر على الرجال والنساء سواء بسواء لأن النظر هو الباعث للتورط فى الاثم .

وينفر من هذا بعض المثقفين زاعمين أن هذا يتنافى مع الشعور المرهف وتذوق الجمال ، ولا يحظر الاسلام على المرء أن يستمتع بالجمال وأن يرضى ذوقه فى ذلك بل يفتح أمامه سبيل الزواج ليظفر بذلك كله عن طريق مشروعة .

فالتشريع الاسلامى يمنع الانسان من النظرة الآثمة ويحتاط لذلك أشد الاحتياط لئلا يلحق بالناس دنس أو شرود فكر وضياع حيوية وهيجان على الاقل ، فيفقد المجتمع فكرا وحيوية وهدوءا نفسيا كان فى الأحرى أن يصرف نحو الرقى والتقدم .

ولم يعين الاسلام زيا خاصا ، لا للمرأة ولا للرجل ، لأن الزى أمر خاضع للتطور ، ولكل زمان زيه الخاص به .

فالحياة الهادئة تتطلب زيا خاصا يختلف عن الزى الذى تستلزمه الحياة المتحركة العنيفة ، فالعباءة مثلا كانت فى الماضى تناسب كل الطبقات من النساك والرعاة والامراء المترفين لأن الهدوء كان يسود حياتهم جميعا ، أما اليوم فلا يتصور أحد أن يرتدى العامل الذى يبنى أو يصلح الماكينة أو أى عامل آخر العباءة ، لأن حياة المصنع والمعمل تستدعى النشاط .

الا أن الملبس ليس كمًا مهملا بالنسبة الى التوازن الأخلاقى وانما هو أحد العوامل التى يناط بها ذلك التوازن ، لأن له روحا تخصه وهو يساهم الى حد ما فى تكوين الشخصية ، ويضفى عليها لونا مميزا ونستطيع ان نلمس ذلك فى الشاب القوى الذى يرتدى لباس العجوز فان ذلك يؤثر فى نفسه وحتى فى مسيره وكذلك العجوز الذى يخلع ملابسه ليحل محل ملابس الشباب محلها فانه سرعان ما يظهر أثر ذلك فى نفسه وسلوكه . ومثل آخر شاب ضعيف يلبس لباسا رياضيا فانه يشعر أن روحا رياضيا يدب فى جسمه .

فالملبس له أهمية اذن بالنسبة الى التوازن الاخلاقى ، الا أن هذا يجب أن لا يقودنا الى الاعتناء بالشكليات أكثر مما تستحق .

وهو فى تطور دائم لأن لكل رجال لباسا ، الا أن هذا يجب أن لا يسلمنا الى التقليد بغباوة ودون التفات الى ما تقتضيه أحوالنا الدينية والاقتصادية وما تطالبنا به أذواقنا وحاسة الجمال لدينا .

ويشد انتباهى نفر ممن أصابوا ثقافة ممتازة يلهجون بأن الاسلام لم يفرض على المرأة حجابا ، وينهضون الى كل من يتصدى لهم بالنقد فيمطرونه بوابل من الاتهامات !!

وهؤلاء قد أخذوا بالحياة الغربية واستقر فى أنفسهم أنمسايرة الزمن تنحصر فى تلقى كل ما جاء به الغرب بالقبول ، فأظهروا مرونة فائقة وحنوا رؤوسهم له واتخذوه قبلة لهم ،

وضربوا بالقرآن عرض الحائط ، وراحوا يفتشون عن منافذ « شرعية » يعززون بها آراءهم ، وهم يجيدون البحث فى ذلك فينقبون فى بطون الكتب ليعثروا على خبر هنا ورواية هناك يضمون بعضها الى بعض ليسوقوا لنا « دليلا » ! على أن الاسلام لم يفرض الحجاب ، بل هو قد حث على التخفف منه !!!

وليتهم جشموا أنفسهم عناء يسيرا فبسطوا القرآن ليتلوا تلك الآيات البينات التى ترفض الحجاب بما لا يدع مجالا لشك ، الا أنهم يمرون بها مهرولين دون أن يعنيهم الالتفات اليها واذا ذكرهم بها مذكر تصامموا عنه لأنه سوف يضيع عليهم فرصة العمر !

وكأنهم قد غاب عن أذهانهم أن الخبر مهما بلغ من القوة فانه ليس يقوى على الوقوف أمام آية صريحة من الذكر الحكيم .

أما المسلم الموضوعى فحين تصادفه مشكلة يريد حلها فى ضوء تعاليم دينه فانه يعالج الموضوع بجد ويستطلع رأى القرآن فى ذلك دون أن يأتى بفكرة مسبقة ثم يحاول أن يفسر عليها بعضا من آيات الكتاب ، ثم اذا اطمأن الى شىء عمل بدون هوادة على تغيير البيئة لتوافق عقيدته .

أما أن يقف موقفا متخاذلا يتقول فيه على الاسلام بما ليس منه ولا تواتيه الشجاعة أن يكون مسلما حقا أو غير مسلم ، فأحرى به أن يترك هذا الخور فى العزم ويمزق الأقنعة ليفصح عن شخصيته الحقيقية .

وليست مسألة الحجاب عقدة مستحكمة وانما تتطلب من الباحث شيئا واحدا وهو أن يمارس عملية « تعقيل الأهواء » .

فبدل أن نثير ضبابا يجعل الرؤية شبه متعذرة نلقى نظرة على الآيات التى استعرضت مسألة الحجاب دون أن نعتسف فى تفسيرها أو نأتى بطابور من الروايات ان صح سندها فليس هناك من يعتبرها فى مستوى حجية القرآن الكريم .

هذه هى المنزلة الرفيعة التى تحتلها المرأة فى التشريع الاسلامى والتى لم تمنح ما يقرب منها فى أى تشريع آخر قديم أو حديث ، فكل ما نالته المرأة من حقوق فى التشريعات الحديثة لم تظفر بها الا بعد انتفاضات عنيفة وثورات دامية واضرابات مستمرة .

أما المكانة والحقوق التى وهبت اياها فى الاسلام فقد حصلت عليها دون هذا كله . بل دون أن تطالب بها ، فخولت هذه المكانة ومنحت هذه الحقوق لكونها مخلوقا انسانيا خلقه الله سبحانه مكملا للرجل ومعينا له ، ولأن الشريعة الاسلامية قد أرسيت قواعدها على الحق والعدل .

وهناك قسم كبير من مجتمعنا الحاضر يعانى من نكسة كالنكسة التى لازمت المجتمع الجاهلى ، الا أننا لا نستطيع ــ اليوم ــ أن نئد البنات لأن هناك بقية من القانون الأخلاقى الاسلامى يمسكنا ، وقانونا جنائيا يغلّ أيدينا ، ولكننا ان لم ندسهن فى التراب وهنّ احياء فاننا ندفنهن فى ظلام الجهل !!

« واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » (المائدة : ١٠٤) .

مائدة القارئ

واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى‌اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التـــوراة ومبشرابرسول ياتى من بعدى اسمه احمـــد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحرمبين .

صدق الله العظيم

قال صلى الله عليه وسلم : ان لى‌أسماء : انا محمد ، وانا أحمد ، وانا الماحى الذى يمحو الله به الكفـــر ،وانا الحاشر الذى يحشر النـــاس على قدمى ، وانا العاقب الذى ليس‌بعده نبى .

الــم نشرح

حكى عن العتبى قال : كنت ذات ليلة فى البادية بحالة من الـــغم ، فالقى فى روعى بيت من الشـــعر فقلت :

أرى المـــــوت لمن أصبـ
ـــح مغمـــوما له أروح

فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف:

الا أيهــــا المرء الـــ
لذى الهـــــم به برح
وقــد أنشد بيتــــا لــم
يزل فـــى فكـــره يسنح
اذا استبــد بـــك العسر
ففكــر فى ((الــم نشرح))
فعســـــر بين يســـــرين
اذا أبصرتــــه فافـــرح

فحفظت الأبيات وفرج الله همى .

فقــه عــلى

جاء فى كتاب المغنى لابن قدامه : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنـــه استدعى يوما امراة لسؤالها ، فقالت: يا ويلها . ما لها ولعمر ؟ فبينما هى فى الطريق اذ فزعت وفاجأها الطلق ، فألقت ولدا صاح صيحتين ثم مات ، فاستشار عمر أصحابه ، فأشـــار بعضهم ان ليس عليك شىء انما أنت وال ومؤدب ، وصمت على رضى الله عنه ، فأقبل عليه عمر فقال له : ما تقول يا ابا الحسن ؟

فقال : ان كانوا قالوا برأيهم فقد اخطأوا رأيهم وان كانوا قالــوا فى هواك فلم ينصحوك .. ان ديته عليك لأنك افزعتها فألقته .. واستجـــاب عمر لهذا الرأى .

الغوغــــاء

الغوغاء : صغار الجــــراد ، ثم استعير للسفلة من الناس والمتسرعين الى الشر .

العتيق والهجين

العتيق : الجــواد الأصيــــل ، والهجين : الجواد غير الأصيــــل ، والهجنة فى الخيل انما تكون من قبــل الأم ، فاذا كـــان الأب عتيقا والأم ليست كذلك كان الولد هجينا .

وأول من فرق بينهما القائد الفاتح سلمان بن ربيعة الباهلى . اذ دعـا بطست فوضعت على الأرض ، ثم قدمت الخيل اليها واحدا واحدا ، فما ثنى سنبكه (طرف حافره) ثم شرب هجنه ، وما شرب ولم يثن سنبكــه جعله عتيقا ، لأن أعناق الخيل العتاق طوال ، فهى لا تثنى سنبكها لطــول اعناقها ، ولأن اعناق الهجن ، قصار ، فهى لا تنال المال الا بثنى سنبكها .

احسن من القمر

قال رجل لامراته مداعبــا : انت احسن من القمر ، فظنت الزوجة انه يسخر منها ، فاكد لها قائــلا (انت طالق ان لم تكونى احسن من القمر) فظنت الزوجة انها اصبحت طالقة ، فذهبت مع زوجها الى فقيه لاستفتائه فقال لها الفقيه ان يمين زوجــك صحيحة وانك لم تطلقى لانك فعــلا احسن من القمر والدليل على ذلــك قول الله عز وجل ((لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم)) فانت من بنــى الانسان ، وبنو الانسان خلقهم اللــه فى احسن صورة .



لحم القطــط

اتفق العلماء على حرمة لحم القطط التى تعيش فى البيوت وهى صاحبة انياب تفترس بها الطيــور الصغيرة والفئران ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم (انه نهى عن اكل لحم الهر) .

الإسلام

محمد حمودة

والصحة النفسية

للأستاذ على القاضى

الصحة النفسية تعبير حديث يقصد به : أن يكون الانســـان قادرا على التوافق مع نفسه ومع المجتمع الذى يعيش فيـــه بنفس خاليـــة مـــن الاضطرابات مليئة بالتفاؤل والأمل . فالشخص الصحيح نفسيا هو الـــذى يواجه مشكلات الحياة بأســـلوب موضـــوعى فيحـــلها وكأنها ليســـت مشـــكلته وبذلك لا يهرب منهـــا ولا يقابلها بانفعالات تؤذى ولا تفيد .

والاسلام جاء ليخـــرج الناس من الظلمات الى النور .

والقرآن أنزله الله ليكون شـــفاء ورحمة للمؤمنين **(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)** ذلك لأن الايمان بالله نور يشرق فى القلب فتشـــرق به النفس فيرى الانســـان الطـــريق أمامه واضـــحا فلا يصيبه اضطراب ولا قلق .

وعقيـــدة الاســـلام حين تتغلغـــل فـــى النفس تدفعهـــا الى ســـلوك ايجـــابى ســـليم يجعـــل المؤمن مطمئنا ثابتا **(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيـــا وفى الآخـــرة)** .

والاسلام يجعـــل المسلم مرتبطـــا بالله تعالى فى كل خطوة من خطواته فهو يؤمن بالله وحده لا شريك له ومنه يستمد القوة والعون وهو يصلى لله خمس صلوات فى كل يوم يتلو فى كل صلاة **(إياك نعبد وإياك نستعين)**

عدة مرات ، ومن يجعل الله هو العون له فـــانه يحس بالأمن والطمأنينـــة والراحة لأنه يحس بأقوى سند فى هذه الحياة .

الصحة النفسية فى الطفولة :

يقول علماء النفس : (ان شخصية الانســـان تبدأ فى التكوين فى الأيام الأولى من الحياة ويتم تكوينها سريعا وتتبلور ملامحها من الصور المتلاحقة التى يستقبلها جهاز الأطفال العصبى والتى تتجمع من سلوك الآباء والأبناء) ولهذا كانت الدعوة الى الصــــلاة والتمسك بها والصبر عليها من أهــم الأشياء التى دعـــا اليها الاســـلام **(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)** فالصلاة تجعل النفس تطمئن فتحس بأنها فى حمـــاية الله فتهدأ من قلق الوحدة وتشعر بالحماية من كل شر إلا ما شاء الله ، وفى الابتلاء تصبر هذه النفس على البلاء لتنال رضوان الله وتهدأ لأنهـــا تحس بأنها ليســت وحدها فى الوجود وكل ما حولها من صنع الله وهو صديق لها لأن اللــــه سخرها له **(سخر لكم ما فى الأرض جميعـــا)** فالنفس المسلمـــة ليســت كالنفس الغريبـــة التـــى تحس بـــأن الطبيعة عدو لها فهى لذلك فى صراع دائم معها .

ولقد حرص النبى الكريم على أن يغرس فى الناشئة من ابناء المسلمين اركان الصحة النفســـية حتى تكون حياتهم خالية من الاضطرابات والقلق وحتى تكون نفوسهم سليمة ومن ذلك أنه أوصى عبد الله بن عباس (وقـــد أردفه خلفه وهو صبى) أن يداوم الصلة بالله حتى يدوم له الأمن والطمأنينـــة فقـــال له : « يا غـــلام . احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشـــدة واذا سألت فاســـأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ولـــو اجتمعت على أن يضروك لـــم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك» .

ومن الملاحظ أن بلوغ سن الرشد الدينى للمسلم يأتى فى مرحلة مبكرة عن سن الرشد الاجتماعى وفى ذلك فائدة كبيرة للفرد المسلم ذلك لأنـــه سيخرجـــه الى الحيـــاة وهو حامل لرصيد كبير من الأسس النفســـية السليمة ومن الصلة القوية بالله ومن يقظة الضمير ومن توافق الانسان مع نفسه الأمر الذى يجعله يتغلب على صعوبات الحياة وتتزن انفعالاته فى فترة المراهقة بعد أن يكون قد تمكن من السيطرة على كافة نزعاته وذلك بفضل الإيمان الذى ينتج عن التربية الدينية الصحيحة وهـــو الدواء لكن مسلم إذ يحل له جميـــع مشـــكلاته ويجعـــله يعيش فى هـــدوء وعمل مستمر .

مطالب الإنسان فى الحياة :

لكل إنسان مطـــالب فى الحيـــاة بعضـــها يتحقق وبعضـــها لا يتحقق والإنســـان اذا أصـــابه خير فـــرح واستبشر واذا أصابه ضر ضاق وحزن وقد يؤثر هذا فى نفســـه ويؤثر فى سلوكه وقد يصيبه بالقلق والأمراض النفسية المختلفة والأمراض الجسمية المتنوعة .

والاسلام يعالج هذه الناحية فيبين للمسلم أن الشىء الذى يحبه قد لا يكون فيـــه الخير وأن الشىء الذى يكرهه قد لا يكون فيه الضر وعلم ذلك عند الله **(وعسى أن تكرهوا شـــيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شـــيئا وهـــو شر لكم واللـــه يعلم وأنتـــم لا تعلمـــون)** وبهذا يســـتريح قلب الانسان فلا يصبح موضع صراع لأنه يحس بأن ما أصابه من خير أو شر

هو خير بالنسبة له وان كان لا يعلم فيه وجه الخير .

قد يفكر الانسان فى عمل شىء ويقف مترددا هل يقدم او يحجم ؟؟ ان على الانسان أن يبحث هذا الأمر من جميع الزوايا وان يستشير فيه أهل الذكر والأصدقاء والأخوة فان لم يهتد الى راى قاطع فعليه أن يستخير الله ويطلب منه العون فى قالب عبادة يصلى ركعتين تطوعا ثم يدعو الله بدعاء مخصوص ثم يستخيره فأى شىء يوجهه الله اليه ففيه الخير ودعاء الاستخارة موجود فى كتب السنة وفى كتب الفقه وهو (**اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر (ويسمى حاجته) خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة امرى فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به**) .

وبهذا يستريح قلبه ويطمئن فؤاده فإن الله الكريم هو الذى اراد له هذا ففيه الخير كل الخير حتى وان كان لا يظهر له ذلك .

داخل المجتمع الإسلامى :

المسلم داخل المجتمع فى حاجة الى الأمن والطمأنينة ولذلك فقد جعل الله الصلة بين المسلمين هى صلة المودة فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر فهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وهو الناصح الأمين له وهو الصديق الذى يشاركه فى أفراحه وأحزانه .

والحب فى الله له مكانة عالية والاسلام يوجه المسلمين هذه الوجهة القوية ليستمر فيها ويسير عليها فالمتحابون فى الله لهم مكانة عالية عند الله يغبطهم عليها الأنبياء والشهداء (ان من عباد الله اناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم من الله قالوا : يا رسول الله من هم ؟ قال : قوم من أمتى تحابوا على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله انهم لفى نور ولا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس) .

والحياة بين المسلمين حياة تعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، والتسامح هو الطريق الذى يزيد المودة بينهم ويبعد البغضاء (**ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم**) وكظم الغيظ والعفو عن الناس دليل قوة النفس وتقوى الله ولقد كان الرسول الكريم قدوة فى ذلك كله .

والإنسان وحده قد يكون ضعيفا لا يقوى على تيار الحياة وصعوباتها وقد تنتابه الانفعالات المختلفة التى تؤثر على صحته الجسمية والنفسية ولذلك ينصحه القرآن بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه والمسلم بهذا مستقل عن القيم الزائفة فى مجتمعه لأنه يؤمن بالقيم التى اقرها الاسلام .

وتطلع الانسان الى ما فى يد غيره وتطلعه الى أن يكتسب أشياء فوق قدراته المادية والجسمية واستعداداته الفطرية يجعل الانسان دائم الضيق والألم وقد يدفعه هذا الى الانحراف حتى يصل الى مثل ما وصل اليه غيره والقرآن يعالج هذه الناحية فيطلب من المسلم القناعة (**ولا تتمنوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض**) فان اراد شيئا فليسأل الله من فضله فان أعطاه

شكر وان لم يعطه صبر وله الثواب فى الحالتين . ومع ذلك فقد يكون ما فى يد غيره مقصـــود به الفتنة وقد عافاه الله منها (**ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهـم فيه ورزق ربك خير وابقى**) فتستريح نفسه ويشكر الله الذى عافاه من هذا الابتلاء ويبعـــد نفسه بذلك عن كثير من المشـــكلات النفســـية وهو بهذا يســـتعلى عن المغـــريات ولو كان فى حاجـــة اليها ويتوج هذا كله بأن يطلب المسلم من الله أن يصفى قلبه والا يجعل فيـــه غلا لأحد (**ولا تجعل فى قلوبنا غـــلا للذين آمنوا**) .

والاســـلام يعطى للفرد اهميتـــه ويجعل له مكانا مستقلا عن الناس جميعا حتى ولو ظن غير ذلك (كلكم على ثغرة من ثغر الاسلام فلا يؤتين من قبله) وهو بهذا يجعله يثق بنفسه ويبعده عن الأمراض النفسية اذ هى نوع من فقدان الثقة بالنفس وفقدان الأمـــل .

وعلاج هذه الأمراض النفســـــية يكون بالايمان الذى ينتج عن التربيـــة الدينية الصحيحة .

المسلمون فى فترات الشدة :

تمر بالمجتمع الاسلامى فترات شدة حين تكون الحرب مستمرة بين الكفار والمسلمين وحين ينهزم المسلمون فى موقعة من المواقع فيستولى الحـــزن على نفوسهم لانتصار أعدائهم عليهم. وحتى لا تتأثر صحتهم النفسية وروحهم المعنوية بذلك يبين لهم القرآن الكريم أن المسلم قوى فى كل حالاته ما دام متصـــلا باللـــه مؤديا لواجبـــه وعلى المسلمين الا يهنوا ولا يضعفوا وعليهم الا يحزنوا ولا ييأسوا فهم الأعلون فى كل وقت حتى ولئن انهزموا فان كل ما لاقـــوه من صـــــعوبة هو فى ميزان حسناتهم ومن استشهد فله الجنة ، والى جـــانب ذلك فان الأعـــداء قد اصـــابهم من الشدة مثل ما أصـــاب المسلمين وما هذه الهزيمة الا اختبار لمدى صبرهم على البأســـاء والضراء حتى يتبين الصادقون من غيرهم (**ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلـــك الأيـــام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنـــوا ويمحق الكافرين**) .

ثم يطلب الله جـــل شـــأنه من المسلمين أن يكونوا متفائلين دائما وأن يبعدوا اليأس عنهم فان المؤمن متفائل دائما لأنه يحس بأن الله معه دائما (**ولا تياسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون**) . ويطمئنهم بأنه معهم دائما اذا سألوه فانه قريب منهم يجيبهم اذا دعـــوه (**واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعـــوة الـــداع اذا دعان**) . وهذا نهاية الأمن والطمأنينـــة التى يحتاج اليها الانسان .

وفى ظلال التربية الاسلامية لا نجد شـــيئا من الأمراض النفســـية التى تجعل حياة الناس جحيمـــا لا يطاق .

وفى ظلال التمسك بالقيم الاسلامية يعيش الناس جميعا فى رضا وفى هدوء وفى سعادة ، كل فرد يحس بكيانه يعرف حقوقه وواجباته يحس بأن من فى الكون وما فى الكون صديق له فالناس اخوة له يحبونه ويتعاونون معه ويعملون معه فى سبيل هـــدف مشترك لخير الناس جميعا والطبيعة كلها مسخرة لمصـــلحته يســـتخدمها بالطريقة التى تفيده . وبذلك يرضى عن نفسه وعن مجتمعه ويرضى عنه مجتمعه وهذا نهاية ما يؤمله كـــل مجتمع من المجتمعات التى تريد أن تحيا حياة سعيدة .

يومان في حياة

للدكتور محمد الدسوقى

١ ـ فى حياة الرسل والأنبياء والمصلحين والمجددين أيام مشهورة وأحداث بارزة تعكس مبلغ ما بذل هؤلاء من الجهاد والكفاح من أجل ان تسود كلمة الحق والخير ، كما تعكس أيضا سطوة الباطل وحرصه الشديد على التصدى دائما لدعوات الهداية والاصلاح .

وكان خاتم الهداة والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل فى كل شيء ، وكانت حياته المباركة كلها صفحة مشرقة بجلائل الأعمال ، ومن ثم تعد هذه الحياة بلا جدال الأسوة الحسنة للدعاة فى سبيل الله ، والصورة المثلى للبذل والفداء ، والآية الصادقة على أن الايمان الذى لا تشوبه شائبة ما لا تنال منه أعاصير البغى والكفر مهما قست وطغت ، ولا تزيده الشدائد والمصائب الا مضاء فى العزيمة وثباتا فى اليقين واصرارا على الجهاد والتضحية .

٢ ـ ولا مجال فى هذه الكلمة للحديث عن تلك الحياة الفريدة فى تاريخ البشرية ، ومهما يكتب الكاتبون فيها فانها ستظل أبدا فى حاجة إلى مزيد من الحديث عنها ، والكشف عن مثلها وقيمها الرائعة ، فهى غنية بالمثل والقيم التى يبحث عنها الانسان فى ظل الحضارة المادية الحديثة ، عله ينجو مما يقاسيه من القلق والاضطراب ، ولكنى ـ تحية لذكرى المولد الشريف ـ أقصر الحديث فى ايجاز على يومين من حياة رسولنا الكريم هما :

أ ـ يوم الطائف .

ب ـ يوم الفتح .

الرسول صلى الله عليه وسلم

لأنهما وإن تفاوتا من حيث ما وقع فيهما للرسول عليه الصلاة والسلام تجمعهما صفة الرحمة والرأفة فى حياة الرسول العظيم .

٣ ــ والحديث عن يوم الطائف يقتضى الاشارة الى طرف من الأحداث قبله، فقد كانت الجاهلية فى مكة منذ صدع محمد بأمر ربه تحاول ما استطاعت أن تحول بين محمد وما يدعو اليه ، وكانت تسوم المؤمنين برسالته كل الوان الأذى والعنت ، بيد انها ما كانت تجرؤ على إيذاء الرسول كما كانت تؤذى اصحابه واتباعه ، لمكانة عمه أبى طالب فى قريش ، ولبطولة هذا العم فى الدفاع عن ابن أخيه (١) ، وليس أدل على هذا من موقفه يوم قدم وفد قريش اليه قائلا له ! يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه ، فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فقال لهم ابو طالب قولا جميلا ، وردهم ردا رفيقا فانصرفوا عنه ، وهم يحسبون أنه سيقف دون محمد وما يدعو اليه ، ولكن محمدا مضى فى طريقه يبلغ رسالة ربه غير عابىء بما تضعه الجاهلية من اشواك أمامه وأمام الذين آمنوا به .

وذهب وفد قريش مرة ثانية الى أبى طالب واتسمت لهجتهم فى الحديث معه هذه المرة بالحدة والتهديد بالحرب إن لم يمنع ابن اخيه من سب الآلهة والآباء ، وتسفيه الأحلام وفتنة الأرقاء والضعفاء ، واحتار الشيخ الوقور بين مشاعره نحو ابن أخيه واحساسه بالانتماء إلى قومه ، ولم يجد خلاصا مما هو فيه من حيرة سوى أن يبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه ما قالت قريش ، ثم أردف هذا بقوله : ابق على نفسك وعلى ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق ، وما كاد ابو طالب يلفظ بهذه العبارة فى هدوء يشوبه القلق والأسى حتى استولى على الرسول احساس بأن عمه قد خذله وضعف عن نصرته ، غير أن هذا الاحساس لم ينل من الإيمان الذى لا يغلب ولا يهن ، فقال الرسول

لعمه تلك القولة التى اصبحت شعارا للفداء وثبات اليقين : يا عماه والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على ان اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك دونه .. ما تركته (٢) .

ويروى أن الرسول بكى بعد هذا وقام منصرفا ، ولكن عمه ناداه وقال له : اذهب يا ابن اخى فقل ما احببت فوالله لا اسلمك لشىء أبداً ، وأنشد :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى اوسد فى التراب دفينا (٣) .

٤ — فلما توفى أبو طالب فى السنة العاشرة من المبعث ، وتوفيت بعده بقليل السيدة خديجة رضى الله عنها حزن الرسول لموتهما حزنا شديدا حتى سمى العام الذى ماتا فيه عام « الحزن » .

وبموت أبى طالب وخديجة تتابعت الشدائد والمصائب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ، فخديجة رضى الله عنها كانت سندا لزوجها بما توليه من حبها وبرها ومن رقة نفسها وطهارة قلبها وقوة إيمانها (٥) لقد كانت له وزير صدق على الابتلاء يسكن (٦) اليها فتهون عليه كل شدة وتزيل من نفسه كل خشية ، وأما أبو طالب فقد كان لابن اخيه حمىوملاذا من خصومه وأعدائه ، ومن ثم تجرات قريش على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موت عمه وزوجه ، واسرفت فى إيذائه والاساءة اليه ، فقد روى عن ابن مسعود قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند البيت وابو جهل واصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى جزور بنى فلان فيضعه بين كتفى محمد « عليه الصلاة والسلام » إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه .

فلما سجد النبى صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه فاستضحكوا ، وجعل بعضهم يميل على بعض ، وأنا قائم أنظر ، لو كانت لى منعة طرحته عن ظهره ، والنبى صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع راسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة .

فجاءت — وهى جويرية — فطرحته عنه ، ثم اقبلت عليهم تشتمهم (٧) . كما يروى أن بعض سفهاء قريش نثر على رأس الرسول ترابا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إحدى بناته تغسله وتبكى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تبكى يابنية فإن الله مانع أباك .. ثم كان يقول بين ذلك : ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب (٨) .

٥ — وضاق الرسول بمكة بعد أن ضاقت به وتنكر له الناس حتى أقربهم إليه وادناهم منه ، فخرج إلى ثقيف بالطائف يلتمس عندهم النصر والعون والجوار (٩) ، وبين مكة والطائف نحو خمسين ميلا والطريق وعر ، يخترق سلسلة من الجبال ، وقد قطع محمد صلى الله عليه وسلم هذه المسافة — فى ذهابه ورجوعه — على قدمه ، ولم يكن معه غير مولاه زيد بن حارثة ، وحين انتهى الرسول الى الطائف عمد الى جماعة من أشراف ثقيف ، ودعاهم الى الاسلام ، فسخروا منه وهزئوا به ، ومكث الرسول يتردد على منازل القوم

عشرة أيام ، فما رأى منهم جميعا إلا ردا منكرا ، فلما يئس عليه السلام من خيرهم طلب منهم أن يكتموا عليه أمره معهم حتى لا تزداد عداوة أهل مكة له ، وشماتتهم به ، ولكن القوم كانوا أخس مما ينتظر ، فقد قالوا له : اخرج من بلدنا ، ولم يكتفوا بذلك ، فقد حرشوا عليه الصبيان وأغروا به السفهاء والعبيد يسبونه ويرمونه بالحجارة ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس فى صورة كريهة تبعث على الأسى والألم وزيد بن حارثة يحاول — عبثا — الدفاع عنه حتى شج فى ذلك رأسه (١٠) .

وكان الرسول يحاول أن ينأى عن هؤلاء السفهاء الذين تملكتهم حمى السخرية والايذاء ، ولكنهم ظلوا يطاردونه ويركضون وراءه حتى وجد نفسه أخيرا يدخل بستانا ، فانصرفوا عنه ، وقد أدموه وأرهقوه كل ارهاق .

٦ — وأوى الرسول إلى ظل شجرة فى بستان ابنى ربيعة بعد هذه المطاردة المؤلمة ، وقد عز عليه ما كان من ثقيف التى سعى اليها يدعوها للتى هى أقوم ، ويلتمس لديها الجوار والنصرة ، فلم يجد منها الا القسوة والجفوة وسوء الخلق وكان هذا الذى حدث له فى الطائف ذكره بما حدث له فى مكة فاتجه الى السماء قائلا : اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، أنت أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى ، ، إلى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، غير أن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك ، أو ينزل بى سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك (١١) .

٧ — وكان يوم الطائف أو ثقيف لما أومأت اليه أشد الايام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وظل عليه السلام يذكر هذا اليوم وما كان فيه من حماقة أهل الطائف ، فقد روى عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل اتى عليك يوم أشد من أحد(١٢) ؟ قال : لقيت من قومى ما كان أشد ، قال : وكان أشد ما لقيت منهم يوم ثقيف ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى الى ما أردت فانطلقت على وجهى وأنا مغموم فلم استفق الا أنا وبقرن الثعالب (١٣) فرفعت راسى فاذا أنا بسحابة قد اظلتنى فنظرت فاذا فيها جبريل فنادانى فقال : ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فنادانى ملك الجبال ، فسلم على وقال : يا محمد : انا ملك الجبال ، وقد بعثنى ربى اليك لتأمرنى بما شئت فان شئت ان اطبق عليهم الأخشبين (١٤) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا (١٥) .

هذا يوم الطائف ، يوم بلغت فيه الجهالة والضلالة ذروة المنكر والشر ، كما تجلت فيه بعض أخلاق النبى الأمى الذى بعثه ربه رحمة للعالمين وأثنى عليه فى كتابه المبين بقوله تعالى : وإنك لعلى خلق عظيم (١٦) .

٨ — ولم يستطع الرسول دخول مكة بعد رجوعه من الطائف حزينا إلا

فى جوار المطعم بن عدى ، فالجاهلية فى تلك المدينة قد اهتبلت تلك الأحداث التى المت بالرسول فأدخلت على قلبه الحزن الشديد ، وأخذت تفكر جديا فى قتله وتصب العذاب صبا على كل من آمن به ، فكان دخول مكة بعد يوم الطائف محفوفا بالمخاطر الجسيمة ، وكان الجوار ضروريا لتجنبها حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

واخذت الاحداث تترى بعد ذلك ، والكفر لا يدخر وسعا فى عدوانه وطغيانه والرســـول الأمين لا يألو جهدا فى تبليغ ما أمره الله به ، ثم كانت الهجرة الى يثرب لا فرارا من البطش والاضطهاد ولكن تحولا إلى بيئة جديدة تصلح للدعوة الخاتمة حتى يمكن أن تقام الدولة وتعد القوة ، حماية للحق وتمكينا له ، وردعا للباطل وقضاء عليه ، فالحق بلا قوة تذود عنه فكرة ذهنية مجردة لا تستطيع أن تعيش فى دنيا الناس ، ولهذا خاضت القلة المؤمنة بعد الهجرة معارك عديدة ضد الكثرة المشركة ، فما اجدت كثرة هؤلاء شيئا ، وما حالت قلة المؤمنين بينهم وبين الظهور على اعدائهم من المشركين والمنافقين واليهود .

٩ ــ وأما يوم الفتح فقد كان فى شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، كان قمة الانتصار لدعوة الحق ، ففى هذا اليوم دالت دولة الشرك ، وطهر البيت الحرام من الاوثان والاصنام ، ودخل الناس بعده فى دين الله أفواجا .

على أن يوم مكة أو فتحها لا يمثل عدوانا على أهلها ، فهم قد نقضوا ما شرطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية ، إذ كـــان من مبادىء هذا الصلح أن من أحب ان يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ، فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده (١٧) .

ودفعت سورة الحقد الجاهلى قريشا وحلفاءها من بنى بكر الى مهاجمة خزاعة ــ وهى مع المسلمين فى حلف واحد ــ وقاتلوهم فأصابوا منهم رجالا وانحازت خزاعة الى الحرم ، اذ لم تكن متأهبة لحرب ، فتبعهم بنو بكر يقتلونهم وقريش تمدهم بالسلاح وتعينهم على البغى(١٨) .

١٠ ــ وفزعت خزاعة ، لما حل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تخبره بما اصابها وبما كان من تحالف قريش مع بنى بكر عليها ، بالاضافة الى أن ما قامت به قريش نقض صريح للعهد ، ولا سبيل إلى نصر خزاعة والرد على نقض العهد الا بإعداد الجيوش لفتح مكة حتى لا تكون فتنة ويكـــون الدين كله لله .

ولم يمض وقت طويل حتى كان المسلمون قد تجهزوا للسير نحو مكـــة ، ولم تنجح محاولات قريش فى اقناع الرسول بالعدول عن عزمه ، ولم يترك الرسول لأهل مكة الفرصة حتى يستعدوا للقائه ، حرصا منه عليه السلام على ان يباغت القوم فى غرة منهم فلا يجدوا له دفعا فيسلموا من غير أن تراق الدماء ، ولذلك كانت أوامر الرسول للقواد الا يحاربوا أو يسفكوا الدم الا اذا اكرهوا على ذلك ، ليدخل المسلمون البلد الحرام آمنين مطمئنين ، وليظل

لهذا البلد قدسيته وحرمته فلا يخاف فيه انسان ولا تزهق فيه أرواح ، ولـــذا يروى أن زعيم الأوس سعد بن عبادة حين ذكر ما فعل أهل مكة وما فرطوا فى جنب الله ، وأدرك أنهم لا حول لهم أمام قوة المسلمين صاح قائلا : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة . وبلغت هذه الكلمة مسامع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأمر بنزع اللواء من سعد ، ودفعه الى ابنه مخافة أن تــكون لسعد صولة فى الناس (١٩) .

١١ ــ وكان جيش المسلمين نحو عشرة آلاف مجاهد ، وقد دخل هذا الجيش مكة دون مقاومة او قتال اللهم الا ما كان من الفرقة التى قادها خالد ابن الوليد ، فقد اعترض لها بعض المشركين ، ولكنهم لم يصمدوا أمام بأس خالد ورجاله وولوا منهزمين .

وبعد أن أخذ الرسول الكريم حظا قليلا من الراحة فى قبته التى ضربت له على مقربة من قبرى أبى طالب وخديجة امتطى ناقته القصواء ، وسار بها حتى بلغ الكعبة فطاف بالبيت سبعا ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحــة ففتح الكعبة ، فوقف الرسول على بابها وتكاثر الناس فى المسجد فخطبهم قائلا : يا معشر قريش ، ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمهـــا بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب ، ثم تلا قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » ثم قال : يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء(٢٠) .

وبهذه الكلمة صدر العفو العام عن قريش وأهل مكة جميعا ، وهو عفو لا يصدر الا عن قلب كبير لا يعرف غير الحب والتراحم والرأفة ويزيد من جلاله وروعته صدوره فى لحظة القوة والغلبة ، فالقوى الذى ينتصر من الضعيف أضعف الضعفاء ، والقوى الذى يصفح عن عدوه وهو قادر عليه أرحم الرحماء وأشرف الأقوياء .

١٢ ــ وبعد فهذه كلمة موجزة عامة عن يومى الطائف والفتح ، وفيهما تجلت عظمة الرسول الانسان الذى جاهد فى الله حق جهاده ، والـــذى تحمل ما تحمل من المشقات فى سبيل انقاذ قومه من دياجير الكفر والوثنية ، وما كان يؤلمه إيذاء قومه له بقدر ما كان يؤلمه عكوفهم على أصنامهم وجاهليتهم وعـــدم ايمانهم بما جاءهم به من عند ربه ، لأنه يعلم ان مآلهم بهذا الضلال والعناد جهنم وبئس القرار ، ولذلك كان عليه السلام فى ساعـــات العسر واليسر ولحظات الهزيمة والنصر الانسان الرحيم الذى بلغ الذروة فى الحب والعفو والصفح ، والذى واجه الاذى والاضطهاد بالاغضاء والدعاء بما هو خير كما حدث فى يوم الطائف ، فلم يشأ أن ينزل العقاب المدمر بهؤلاء السفهاء ، وانما رجا الله تبارك وتعالى أن يخرج من أصلابهم من يعبده وحده .

وفى يوم الفتح وقف أمامه فى ذلة وضعف من كانوا بالأمس يأتمرون به ليقتلوه ، ومن أساءوا اليه والى أصحابه اساءة تجاوزت كل حد ، وكـــان عليه السلام يستطيع أن يعاقب هؤلاء القساة الظالمين ولا جناح عليه فى

ذلك، فجزاء سيئة سيئة مثلها، ولكن محمدا صلى‌الله عليه وسلم رحمة مهداة تعفو عمن ظلم وتدفع دائما بالتى هى احسن ، وهذا بعض اسرار العظمة الانسانية فى حياته عليه السلام .

لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم رحيما عظيما فى ضعفه وقوته ، ما عرف الانتقام سبيلا الى فؤاده ، وما جازى مسيئا باساءته ، وما حرص على شىء حرصه على أن يخرج قومه من الظلمات الى النور ، وصدق الله العظيم « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » (٢١) .

فما أجدر الدعاة والقادة والحكام والناس كافة أن يسترشدوا بسيرة هذا النبى الانسان الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فهى كلها دروس رائعة تنير معالم الطريق نحو حياة انسانية كريمة تليق بالانسان الذى كرمه الله وجعله خليفة له فى أرضه وصدق الله العظيم « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (٢٢) .

---

(١) فقه السيرة للاستاذ محمد الغزالى ص ١٢٩ .
(٢) فقه السيرة ص ١١٤ .
(٣) فقه السيرة ص ١١٥ .
(٤) أنظر السيرة النبوية لابن كثير هـ ٢ ص ١٢٢ .
(٥) حياة محمد لهيكل ص ١٨٦ .
(٦) السيرة النبوية لابن كثير .
(٧) فقه السيرة ص ١٢٩ .
(٨) انظر سيرة ابن هشام م ١ ص ٤١٦ .
(٩) على هامش السيرة هـ ٣ ص ١٤٠ .
(١٠) فقه السيرة ص ١٣١ .
(١١) السيرة لابن هشام م ١ ص ٤٢١ .
(١٢) فى احد كسرت رباعية الرسول وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه ، واصيبت ركبتاه فضلا عن استشهاد عدد كثير من الصحابة ومنهم حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم (انظر امتاع الاسماع للمقريزى هـ ١ ص ١٣٥) .
(١٣) موضع تلقاء مكة على مرحلتين منها . (١٤) الاخشبان : جبلان بمكة .
(١٥) الدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر ص ٩٨ .
(١٦) الآية ٤ فى سورة القلم .
(١٧) السيرة لابن هشام م ٢ ص ٣٩٠ .
(١٨) فقه السيرة ص ٤٠٣ .
(١٩) المصدر السابق ص ٤١٣ .
(٢٠) السيرة لابن هشام ، م ٢ ص ٤١٢ .
(٢١) الآية ١٢٨ فى سورة التوبة .
(٢٢) الآية ٢١ فى سورة الاحزاب .



أساليب التعليم عند.. المسلمين



للأستاذ محمد الحسينى عبد العزيز

شجع النبى عليه الصلاة والسلام المسلمين على طلب العلم وامتدح من يتعلم القرآن الكريم والفقه واثنى على من يعلم جيرانه ، وبعث الرسول الى يثرب مصعب بن عمير بن عبد مناف ليعلم الاثنى عشر مسلما من الانصار ممن بايعوه فى العقبة الأولى امور دينهم ويقرأ عليهم كتاب الله ويفقههم فى أمور الشريعة ، ويؤمهم فى صلاتهم ، كما استخلف عتاب بن أسيد على اهل مكة ليعلمهم القرآن ، كما ارسل عمرو بن حزم الخزرجى الى نجران ليفقه أهلها فى الدين ويعلمهم القرآن المبين ، وبعث أبا عبيدة عامر بن الجراح الى بلاد اليمن ليعلم اهلها ممن اسلموا اصول الدين وقراءة القرآن .

وما أعظم قوله تعالى « **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » ففى هذه الآية الكريمة أبلغ دلالة على فضل العلم وأهميته ، كما امتدح سبحانه اهل العلم وفضلهم على غيرهم درجات . وكان هذا حافزا للمسلمين على مواصلة العلم وطلبه مهما لاقوا من صعوبات وما صادفوا من عقبات لأن العلم ينير العقول ويشرح الصدور ويرفع من مستوى الانسان ويجعله قادرا على أن يميز بين الخير والشر . وهكذا وجهت

دعوة الاسلام العرب الى التفقه فى الدين وطلب العلم وتنافسوا فى هذا السبيل ورحلوا من مكان الى مكـان للاستماع للعلماء والمحدثين فصقلت عقول العرب المسلمين واستنارت أفئدتهم ونمت مواهبهم وازدادوا ثقافة وعلما فكان لهذا أكبر الاثر فى تمدنهم وتحضرهم .

وكان القرآن الكريم هو المصـدر الاول لعلوم اللغة والدين فأقبـل المسلمون على قراءته وفهم معانيه والاقتباس من محكم آياته ومن أساليبه البليغة وعباراته الفصيحة مما رفع مستوى العقول العربية وزاد مـن ثقافة العـرب ووسـع مداركهم إذ عرفوا كثيرا من قصصه فعلموا اخبار الأمم والشعوب السابقة ، واسهمت دراسة الكتاب الحكيم فى تقدم علوم النحو والبلاغة وظهرت طبقـة مـن القراء والمفسرين الذين فهموا تفسير القرآن وأسباب نزولـه كما أصبـح البعض قادرا على استنباط الأحكام التى كانت الخطوة الاولى لنشأة علم الفقه وبحوثه .

كما اهتم المسلمون فيما بعد بجمع الحديث النبوى الذى يضـم شرحـا للعبادات وتفصيلا لما جاء فى القرآن من احكام المعامـلات والتشريـع والجنايات ، كما ان الحديث حـوى كل ما يتعلق بحياة النبى فى مكـة وحياته فى المدينة بعد هجرته اليهـا وغزواته ، وأعمال الخلفاء والفتوحات التى تمت فى عهدهم مما عرف بالسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشديـن وكان المنطلق لعلم التاريخ والأساس الذى سار عليه المؤرخون فى كتـب المغازى التى اتبعت نظام الروايـة بنفس طريقة الحديث .

وهكذا كانت علوم الـدين أول العلوم التى اشتغل بها المسلمـون وكان القرآن تدوينـه وتفسيـره والحديث وروايته والفقه أول العلوم التى مارسها المؤمنون ، وجاء بعدها الاهتمام بعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة . وظل الحال كذلك فى العصر الأموى حيث كانت مسائل العلم تدور حول القرآن وتفسيره ، وعلم الحديث وشرحه ، بل ان علم النحو نفسه جاءت كتابته ووضع قواعده بعد ان كثر اللحن بين الناس .

اما فى العصر العباسى فقد ظهرت الى جانب علوم الدين واللغة التـى عرفت باسم العلوم النقلية علـوم مستحدثة عرفت بالعلوم العقليـة كدراسة الطب والكيمياء والطبيعـة والفلك وغيرها ، وقد أوضح ابـن خلدون فى مقدمته هذين النوعين من العلوم بقوله : « إن العلوم صنفان : صنف طبيعى للانسان يهتدى اليـه بفكره ، وصنف نقلى يأخـذه عمـن وضعه . والأول هى العلوم الحكمية الفلسفية ، وهى التى يمكن أن يقف عليها الانسـان بطبيعـة تفكيـره ، ويهتدى بمداركه البشريـة الـى موضوعاتها ومسائلها ، وانمـاء براهينها ، ووجوه تعليمها ، حتـى يوقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو انسـان ذو فكر ، والثانى هى العلوم النقليـة لوضعية ، وهى كلها مستندة الـى الخبر عن الوضع الشرعـى ، ولا مجال فيها للعقـل الا فى الحـاق الفروع من مسائلها بالاصول . »

وقد وصلت الى العرب العلـوم العقلية متطورة منظمة فلما ترجمـت كادت تكون مكتملة ، ولم يكن أمام المؤلفين الا دراسـة هذه العلـوم وتمحيصها والعمل على تحسينها بما توصلوا اليه من تجربة ودراسـة

وتطبيق . وكان التطبيق والتجربة وامتحان الحقائق عمليا هو طريق علماء المسلمين فى البحث وبهذا سبقوا المفكرين الاوروبيين ووضعوا اصول العلم والدراسات التجريبية ونقدوا الاخطاء وتوصلوا الى الصواب .

المساجد معاهد للعلم :

وكان مسجد الرسول فى المدينة مكانا للدراسة كما ظل كذلك ايام الخلفاء الراشدين والأمويين حيث كان الفقهاء يحدثون ويفسرون آيات الكتاب المبين ويروون الأحاديث ويشرحون النصوص للمسلمين . وكان ربيعة الرأى يجلس فى مسجد النبى بالمدينة ويلتف حوله التابعون ، وكذلك كان الحال فى مسجد البصرة حيث كان يجلس الحسن البصرى ويشرح بأسلوب قصصى ، وبجانب حلقات الدين كانت هناك حلقات اللغة لمن يريد أن يجيد ويتقن اللغة العربية وقد حدث هذا فى مسجد عمرو بالفسطاط بمصر .

واصبح مسجد عمرو بن العاص فى مصر المدرسة الاولى لتعليم اصول الدين وعلومه ففى رحابه جاءالصحابة والتابعون ليشرحوا ويفسروا القرآن ويوضحوا الاحكام الشرعية ، وعلى رأسهم عبد الله بن عمرو بن العاص، ويزيد بن حبيب والليث بن سعد ومحمد بن ادريس الشافعى ممن اخذ عنهم اهل مصر امور دينهم .

ولما اسس جوهر الصقلى الجامع الازهر ليكون مركز الدعوة الفاطمية كان المسجد معهدا تعقد فيه حلقات العلم ودروسه وكلف العزيز بالله الخليفة الفاطمى وزيره يعقوب بن كلس ليرعى العلم فصرف الوزير كل جهوده ليصبح الأزهر اعظم المساجد والمعاهد العلمية فى عصره ولينافس بغداد ومعاهدها العلمية ورصد الأموال للدارسين والاساتذة ووفر لهم العيش الكريم والحق بالجامع مكتبة فخمة .

كما اصبحت دار العلوم التى انشأها العزيز بالله مكانا للبحث العلمى .

وضمت مكتبة الأزهر انفس المخطوطات من كل مكان فانصرف الطلبة والباحثون للدراسة والتأليف مما ظهرت آثاره واضحة فى الانتاج الأدبى والتاريخى الذى ظهر فيما بعد فى انتاج الموسوعات الادبية مثل صبح الأعشى فى صناعة الانشا للقلقشندى والنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى ، والخطط للمقريزى الذى يعتبر مرجعا تاريخيا وجغرافيا ومعماريا عن مساجد مصر وآثارها ومدارسها وعمائرها .

واعتمد نظام التدريس فى الأزهر على نظام الحلقات حيث كان الاستاذ يقف ويحاضر امام تلاميذه ويبدا النقاش والجدل ، ويعهد لكل طالب بكتابة بحث ودراسة موضوع معين وهذا ما يعرف فى ايامنا بالرسائل الجامعية للماجستير والدكتوراة فكان الجامع الأزهر اول جامعة دينية وعلمية تبتكر هذا الاسلوب وتصبح تبسا للجامعات فى العصور الوسطى بأوروبا .

وقد حاضر فى هذا المعهد العتيق نوابغ الاساتذة وفحول العلماء أمثال العالم المؤرخ ورائد علم الاجتماع ابن خلدون ، كما تولى التدريس به عبد اللطيف البغدادى الرحالة والمؤرخ المشهور الذى قال انه القى به دروسا فى الطب ، وشارك فى هذه المحاضرات أئمة الحديث أمثال الشافعى والبخارى والغزالى ومن

الشعراء أبو نواس وأبو تمام وأبو الطيب المتنبى وغيرهم .

وقد انتعشت الحركة العلمية فى مصر واينعت بسبب هجرة كثير من علماء المشرق خاصة بعد سقوط بغداد فى يد المغول كما نزح الى مصر علماء من الأندلس وقد حضر هؤلاء وحملوا الى مصر مؤلفاتهم وافكارهم فأسهموا فى تطوير النهضة الأدبية والفكرية فى البلاد .

وتعتبر مكتبة الفاطميين لا نظير لها فى العالم حيث كانت تضم زهاء مليون وستمائة الف مجلد ومن بينها ستة آلاف وخمسمائة كتاب فى الرياضيات وثمانية عشر الف فى الفلسفة .

هذا بخلاف المكتبة التى اسسها الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى والتى كانت تشغل ثمانى عشرة قاعة للدراسة والاطلاع .

ومن أعظم علماء الطبيعة الذين ظهروا فى مصر الحسن بن الهيثم الذى استدعاه الخليفة الحاكم الى مصر لينظم فيضان النيل والذى ابتكر نظريته الخاصة بالأشعة والانكسار التى تعتبر نقطة تحول فى أبحاث العالم فى علم الضوء كما اكتشف أن جميع الأجرام السماوية ومن بينها النجوم الثابتة ترسل نورها عدا القمر الذى يستمد نوره من الشمس . وأدرك هذا العالم المصرى أخطاء علماء اليونان وقال ان العين لا ترسل اشعة بصرية بل العكس هو الصحيح فان الجسم المرئى هو الذى يرسل اشعة الى العين وأن عدسة العين هى التى تحوله . وهكذا أثبتت الأبحاث صحة نظرية ابن الهيثم الذى يعتبر واضع أساس النظرية التجريبية وقد سبق بهذا العالم الاوروبى روجر بيكون الذى ينسب اليه الاوروبيون وضع الأبحاث التجريبية .

ولم تقتصر أبحاثه على هذا بل أوجد رأيه الخاص بمصادر الضوء وأوجد دراسة خاصة بطبيعة القاء الظل كما سماها وأول تجربة قام بها هى الخاصة بجهاز يشبه آلة التصوير الذى أثبت عن طريقه استقامة خطوط الضوء وأوجد تعليلا لانكسار الاشعاعات عندما تمر خلال وسيط كالهواء وطبق معلوماته على أجهزة البصريات وحسب الانعكاس فى قطاع المرآة الكروية واهتدى الى قوانين كشاف الضوء ومعظم نظرياته فى الطبيعة ظلت مسيطرة على هذا العلم فى أوروبا حتى القرن الحالى .

كما ازدهرت الحركة العلمية فى مصر أيام الأيوبيين والمماليك اذ وجه صلاح الدين الأيوبى عنايته الى انشاء المدارس السنية لتولى تعليم الناس الفقه السنى وكانت هذه المدارس هى الطريق الى الدراسات العليا فى المعاهد العلمية كالأزهر الذى أصبح جامعة لدراسة الشريعة الاسلامية والمذاهب الأربعة المعروفة الى جانب قيامه بحفظ التراث الاسلامى وحمل مشعل الثقافة الدينية واللغوية وعلوم التاريخ والجغرافيا والطبيعة والفلك والاحياء وغيرها .

الاجازات العلمية :

وفى حلقات المساجد الجامعية تكون المرحلة النهائية للدراسة حيث تعقد بها حلقات فى الفقه وثانية فى اللغة وثالثة فى النحو ورابعة فى الحديث وللمتعلم أن ينضم الى أى حلقة وله أن يختار أى أستاذ يشاء ، فاذا وجد الطالب فى نفسه المقدرة جلس مكان المعلم ليناقشه العلماء فاذا أثبت جدارة وكفاية صار من حقه أن يرأس احدى الحلقات .

ولم تكن الشهادات العلمية معروفة فى صدر الاسلام فكان الطالب يسعى لطلب العلم اذا اتيحت له فرصة من فراغ واذا كان يحترف العلم واظب على حضور حلقات الدرس ليكون جديرا بمهنة المعلم التى يسعى للوصول اليها والتى تحتاج منه لعلم ومنطق ومقدرة للوقوف أمام الطلبة والاجابة على أسئلتهم المحرجة واذا استطاع هذا حق له أن يتصدر حلقات العلم وعندما يتأكد المدرس من استيعاب الطالب للعلم كتب له شهادة على الورقة الاولى أو الاخيرة من الكتاب الذى عهد إليه بدراسته يبين فيها أن الطالب قد أتم قراءة الكتاب وأجاز له تدريسه .

وتدل الاجازة العلمية على المستوى العلمى الذى وصل اليه الطالب ولا تمنح الاجازة الا لذوى المعرفة الذين تهىء لهم اجازة تدريس الكتاب المجاز به أو رواية الحديث المأذون لهم فى روايته ، ويشترط للمجيز أن يكون عالما بما يجيز وثقة فى دينه ، معروفا بالعلم وأن يكون المستجيز من أهل العلم متسما بسمة حتى لا يوضع العلم الا عند أهله .

هذه هى الأساليب العلمية التى بدأت بالمساجد والقصور والمدارس والتى كانت قبسا للجامعات الأوروبية التى سارت فى نظامها على هذه الطريقة خاصة حينما نشأت الجامعات فى انجلترا .

وبهذا كان المسلمون هم رواد الحركة العلمية والبحث وواضعى أساس النظام التجريبى فى البحث العلمى التى أدت الى النهضة العلمية التى ينعم بها الانسان وأسهمت فى تنمية المعرفة وازدهار العلوم والفنون وأدت الى التقدم العلمى الذى وصلت اليه البشرية فى العصر الحديث .





ـ صاحب الموسوعة الضخمة فى التاريخ التى لم تنشر بعد .
ـ ومؤلف عمدة القارى فى شرح البخارى .
ـ والعالم الذى قربه السلاطين فحسده اقرانه .

. . . . .

ذلك هو العينى محمود بن احمد ابن موسى الملقب ببدر الدين أو البدر على ما هو معروف ومشهور . ويعتبر البدر العينى من أشهر مؤرخى مصر فى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى ، على كثرة ما ظهر بمصر فى هذا القرن من المؤرخين الموسوعيين أمثال القلقشندى والمقريزى وابن تغرى بردى وابن حجر والسخاوى وابن الصيرفى وابن عرشاه وابن اياس والسيوطى وغيرهم .

الأصل والنشأة :

وينتسب العينى الى بلدة عينتاب التى ولد فيها عام ٧٦٢ هـ (١٢٦٠ م) وكانت هذه البلدة تعتبر فى ذلك الوقت من اعمال مدينة حلب وهى اليوم واقعة فى الاراضى التركية المتاخمة للحدود الشمالية لسوريا . وينتمى صاحبنا الى أسرة عربية ذات علم وفضل كانت تقيم فى حلب ثم انتقلت منها الى عينتاب ، حيث عين والد العينى القاضى شهاب الدين أحمد قاضيا فيها من قبل ممثلى دولة المماليك التى كان معظم المشرق العربى آنذاك موحدا تحت رايتها . وقد تأثر العينى ببيئته العلمية التى هيأت له فرصة الاطلاع والتعلم فتلقى العلوم على والده وعلى غيره من الشيوخ فى عينتاب واظهر تفوقا مبكرا فيها حتى انه استطاع فى

للأستاذ : احسان صدقى العمد

شبابه أن يتولى القضاء نيابة عن والده وأن يجيد القيام بالاعباء الموكلة اليه .

ولما كان التعليم فى ذلك الوقت لا يكتمل لطالبه الا بشد الرحال للأخذ عن مشاهير العلماء والرجال ، فقد ارتحل العينى من أجل هذه الغاية الى حلب ودمشق والقدس ومكة المكرمة والقاهرة ، حيث اتصل بكبار العلماء والفقهاء فى هذه الحواضر وأخذ عنهم وسمع منهم . وكان من شيوخه وأساتذته علاء الدين السيرامى وزين الدين العراقى وسراج الدين البلقينى وجمال الدين الملطى وحسام الدين الرهاوى وعيسى بن الخاص وغيرهم كثير .

وقد منحه معظم هؤلاء العلماء بعد التثبت والاختبار أجازات علمية « أهلته للافتاء فى الواقعات المعضلة والحادثات المشكلة والتدريس والتعليم والتبليغ والتفهيم والتذكير من تفسير القرآن الكريم ورواية الحديث بالاتفاق لكونه للمنزول أهلا وسلوك الطريقة سهلا على ما قرره استاذه عيسى بن الخاص فى اجازته له ، كما مهدت هذه الاجازات للعينى الطريق الصعب نحو الشهرة والمجد وسط مجتمع زاخر بالمشاهير من العلماء والفقهاء والمؤرخين الذين كانوا بحق الشعلة المضيئة فى عصر ساده التدهور فى الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وظل العينى وفيا لشيوخه وأساتذته طوال حياته حتى أنه وضع لهم ترجمات فى كتاب أسماه « معجم الشيوخ » اعترافا بفضلهم .

بداية الشهرة :

لكن الشهرة التى نالها البدر العينى لم تبدأ الا عام ٧٨٨ هـ عندما التقى فى القدس وهو فى طريقه لاداء فريضة الحج بشيخ علماء ذلك العصر علاء الدين على بن أحمد ابن محمد السيرامى الذى كان يعتزم الحج ايضا ، فأعجب به العينى وقرر ملازمته وسافر معه بعد اداء الفريضة الى القاهرة حين دعاه السلطان الظاهر برقوق للتدريس بمدرسته البرقوقية التى كانت احد المراكز العلمية الهامة فى مصر آنذاك ، وبقى العينى على هذه الحال حتى تهيأت له جملة أسباب قربته الى عدد من امراء المماليك وسلاطينهم الذين نال عند معظمهم الحظوة والمكانة ، وساعده على ذلك ما كان يتحلى به من علم وفضل وثبات على الولاء والطاعة للسلطان برقوق فى أثناء محاصرة التركمان لعينتاب ، فضلا عن اتقانه التركية التى كانت اللغة الرئيسية للسلاطين والامراء وبعض الخاصة فى ذلك الوقت ، واستطاع البدر العينى أن يحتل بذلك مكانة رفيعة فى بلاط ثلاثة من سلاطين المماليك

الجراكسة هم المؤيد شيخ المحمودى والظاهر ططر والسلطان الاشرف برسباى ، ويبدو أن العينى كان يعرف من أين تؤكل لحم الكتف فوضع لكل من السلاطين الثلاثة كتابا أشاد فيه بسيرته فكان الاول بعنوان « السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد » نشر عام ١٩٦٧ ، والثانى « الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر (ططر) مطبوع .

والثالث فى سيرة الأشرف برسباى لا زال مفقودا ، كما وضع القصائد الكثيرة فى مدحهم . وتحدثنا المصادر أن العينى كان من اخصاء السلطان المؤيد وندمائه فولاه المناصب الرفيعة وعهد اليه بتدريس الحديث فى المدرسة المؤيدة واختاره سفيرا للدولة القرمانية التى كانت تدين بالولاء الاسمى لدولة المماليك ، كما علت منزلته عند السلطان ططر لصحبة قديمة كانت بينهما ، وقام العينى بترجمة كتاب القدورى فى فقه الحنفية الى اللغة التركية بناء على رغبة هذا السلطان ، وزادت مكانته لدى السلطان الاشرف برسباى الذى لم يعرف من العربية الا القليل ، فكان العينى يجلس الى حضرته ساعات من الليل يعلمه أمور الدين ويفسر له غوامض الفقه والشريعة ويقرأ عليه موسوعته التاريخية التى كتبها بالعربية وهى « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » ثم يترجمها له الى التركية رأسا لتقدمه فى اللغتين كما يقول السخاوى ، وقد اعترف برسباى بفضل العينى حتى حكى أنه كان يقول « لولا البدر العينى لكان فى اسلامنا شىء » .

العينى يتقلد أرفع المناصب .

وقد هيأت له مكانته العلمية الراسخة أولا وعلاقاته الوطيدة بالأمراء والسلاطين ثانيا أن يتقلد أرفع المناصب فى مصر ، فتولى حسبة القاهرة مرات ومرات وعرف بالنزاهة والشدة فى اثناء مباشرته هذا المنصب اذ « كان يعزر من يخالف أمره بأخذ بضاعته غالبا واطعامها للفقراء والمحابيس ، وبذل جهودا كبيرة فى ضبط أسواق القاهرة ومراقبتها فكان ينام فى المراكب غالب الليالى ولا يقطع الركوب ليلا ونهارا حتى طاب الوقت وحسنت الحال » كما تقلد منصب « نظارة الاحباس » أى الاشراف على الاوقاف الخيرية ، وولاه برسباى بالاضافة الى هذين المنصبين منصب قاضى قضاة الحنفية ويقال فى هذا الشأن إنه « لم يجتمع القضاء والحسبة . ونظر الاحباس فى أحد قبله » .

جهوده العلمية :

وبرغم كثرة مشاغل العينى التى استدعتها طبيعة الوظائف الهامة التى شغلها فانه لم ينقطع عن الاطلاع والتدريس والتأليف ، واستمر فى تدريس العلوم الدينية فى المدرسة المؤيدية طوال أربعين سنة ، ومارس التدريس أيضا فى مدرسته « العينية » التى انشأها لهذا الغرض النبيل بالقرب من الجامع الأزهر ، وأوقف عليها الكثير من كتبه القيمة التى يضيق المقام عن ذكرها ، لكثرة ما خلفه البدر العينى من المؤلفات الموسوعية والشروح الطويلة التى أربت على الأربعين وتراوحت بين التاريخ والفقه والحديث واللغة والأدب أضافة الى مؤلفاته باللغة التركية نفسها . ومن المؤسف أن كتبه المطبوعة لا تتجاوز السبعة هى « البناية فى شرح الهداية ، للامام المرغينانى » « ورمز الحقائق فى شرح كنز الدقائق للنسفى » « والروض

الزاهر فى سيرة الملك الظاهر » « والسيف المهند فى سيرة الملك المؤيد » « وعمدة القارى فى شرح البخارى » « والمقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الالفية » « وفوائد القلائد فى مختصر شرح الشواهد » .

وقد أورد السخاوى قائمة طويلة بأسماء الكتب والرسائل الأخرى التى صنفها العينى بعضها مفقود والبعض الآخر لا يزال مخطوطا وموزعا فى عدد من مكتبات العالم . ومن أهم كتبه المخطوطة موسوعته التاريخية الكبيرة « عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان » وشرح سنن أبى داود وتحفة الملوك فى المواعظ والرقائق ، والدرر الزاهرة فى شرح البحار الزاخرة للرهاوى ، والعلم الهيب فى شرح الكلم الطيب لابن تيمية ، ومنحة السلوك فى شرح تحفة الملوك ، ونخب الافكار فى شرح معانى الاثار ، وقد لاحظ السخاوى كثرة مؤلفات العينى فقال أنه « كان لا يمل من المطالعة والكتابة ، كتب بخطه جملة ، وصنف الكثير بحيث لا أعلم بعد شيخنا (ابن حجر) اكثر تصانيف منه » . ومع ذلك فان موسوعتيه عقد الجمان وعمدة القارى تعتبران من أهم ما خلفه العينى للمكتبة العربية . ويبدو أن دعوة الدكتور زيادة قد لقيت أخيرا استجابة فى القاهرة ، حيث يقوم الدكتور احمد دراج بتحقيق قسم من عقد الجمان يبدأ من النصف الثانى للقرن الثامن الهجرى وذلك بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .

عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان :

ويتألف هذا الكتاب الضخم فى الأصل من تسعة عشر مجلدا ومنه نسخة فى دار الكتب المصرية مصورة عن نسخة استانبول تقع فى تسعة وستين مجلدا . وقد اتبع العينى فى تاريخه الترتيب السنوى على عادة معظم المؤرخين المسلمين فى كتابة الحوليات ، وانتهى به الى عام ٨٥٠ هـ (١٤٤٦م) فجاء تاريخا شاملا لأخبار مصر الاسلامية حتى تلك السنة ، وقد اعتمد فى تأليفه على تاريخ ابن كثير واعترف صراحة بذلك حين قال عنه « وهو عمدة تاريخى هذا الذى جمعته » . ويعتبر القسم الأخير منه أهم أجزاء الكتاب وذلك لأنه يغطى حوادث العصر الذى عاشه العينى ووعاه وشارك فى بعض وقائعه وأحداثه ، ومن هنا كان هذا القسم الذى يشمل الفترة الواقعة بين ٧٢٥ — ٨٥٠ هـ سجلا عاما يصور المجتمع الذى ورثه العينى وعاش فيه . ويحتوى هذا القسم على اخبار دولة المماليك الجراكسة وحروبها وعلاقاتها الخارجية بالاضافة الى ظواهر المجتمع وطبيعة جهاز الحكم فيه وما أصاب الناس فى تلك الفترة من أوبئة ومجاعات هزت الحياة الاجتماعية والاقتصادية للناس وأثرت فيها . فضلا عن أن هذا القسم يضم الكثير من المعلومات المتعلقة بحياة العينى وذويه مما لا يستغنى عنه باحث فى سيرة هذا المؤرخ الفقيه . وقد اعتمد عليه ابن حجر فى كتابه إنباء الغمر بابناء العمر برغم المنافسة الحادة التى كانت قائمة بينهما . وذكر ابن حجر ذلك بصريح العبارة حين قال « كتبت منه ما ليس عندى مما أظن انه اطلع عليه من الامور التى كنا نغيب عنها ويحضرها » . ومن هنا كان عقد الجمان وابناء الغمر يكمل احدهما الآخر فى كثير من المواضع . وقد لفت المرحوم الدكتور محمد مصطفى زيادة الانظار الى اهمية تاريخ العينى وقال « ان هذا الكتاب من أعظم ما كتب العينى فى التاريخ ، وهو كذلك من أهم ما أهمله القوامون على نشر المخطوطات العربية واحيائها حتى الآن . »

عمدة القارى فى شرح البخارى :

اما الكتاب الآخر الشهير للعينى فهو « عمدة القارى فى شرح البخارى » فى واحد وعشرين مجلدا، وقد جاء تصنيفه فى وقت كان فيه العلماء والفقهاء يشعرون بحاجة الى شرح الجامع الصحيح للبخارى شرحا وافيا . وقد سبق العينى فى انجاز هذا العمل الكبير العلامة الشهير ابن حجر العسقلانى بأربع سنين مما جعل البدر العينى يستفيد من شرح ابن حجر المعروف « بفتح البارى فى شرح البخارى » وينقد كثيرا من آرائه ويعترض عليه . وقد انبرى ابن حجر للرد على اعتراضات العينى وتعريضه به ووضع فى ذلك كتابا لم يتمه ، فكان ذلك من الامور التى اوجدت جفوة كبيرة بين العالمين لم تلبث أن انتقلت الى تلاميذهما الذين عملوا على تعميقها . وبرغم أن شرح العينى للبخارى لم يحقق الانتشار والشهرة اللتين حققهما شرح ابن حجر الا ان عمدة القارى جاء ايضا حافلا على حد قول السخاوى أشهر انصار ابن حجر . وقد اتبع العينى فى تصنيفه طريقة البسط والايضاح واعطاء الاحاديث النبوية حقها من البحث والتمحيص فيتم سياق الحديث اذا اختصره البخارى ويذكر اختلاف الرواة اذا كان هناك اختلاف ، ويستوفى الكلام فى ذكر الرجال وضبط الاسماء والانساب ، ويفصل معانى الكلمات ووجوه الاعراب وينتهى الى استخراج المعانى واستنباط الاحكام . ولا يزال شرح ابن حجر وشرح العينى للبخارى يعتبران بحق من اهم المراجع التى يعتمد عليها المحدثون وعلماء الشريعة فى دراسة صحيح البخارى . وقد اثار الاختلاف العلمى الذى وقع بين العينى وابن حجر اهتمام عدد من الباحثين والمستشرقين بينهم بروكلمان وجلودسيهر . كما حاول المرحوم الشيخ عبد الرحمن البوصيرى التوفيق والفصل بينهما فى كتابه المعروف باسم « مبتكرات الالى والدرر فى المحاكمة بين العينى وابن حجر » .

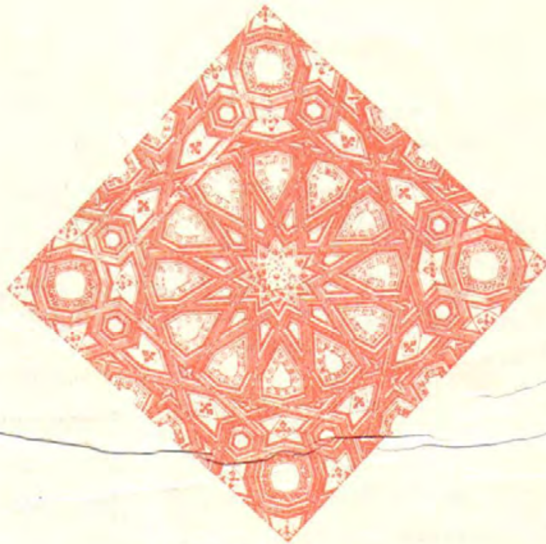
تنافس المتعاصرين :

لكن هذا الاختلاف بين الرجلين يظل فى جوهره مظهرا من التنافس المعروف بين العلماء المعاصرين وبخاصة أن عصر العينى حفل كما ذكرنا بالعديد من العلماء والفقهاء والمؤرخين الكبار الامر الذى جعل فرصة التقدم وسطهم لا تتوفر الا لذوى القدم الراسخة والجهد العلمى المتواصل . وقد نشأت بين البعض منهم منافسات حادة بلغت حد التشهير يهمنا منها ما كان بين العينى وابن حجر والسخاوى والمقريزى . ويرجع سبب هذه المنافسات الى حسد اقران العينى اياه على ما بلغ من حظوة ومكانة لدى الامراء وما ناله من مناصب رفيعة كانوا يطمعون فيها ويرون أنهم أحق منه بها كما كان الحال بالنسبة للمقريزى الذى حل العينى محله عدة مرات فى تولى منصب الحسبة . وامثال هذه الخصومة وان كانت مما يؤسف له الا انها معروفة ومألوفة بين العلماء المتعاصرين يقف الباحث منها موقف الحذر الشديد . وقد نبه الى ذلك ابن عباس بقوله « لا تقبلوا قول العلماء بعضهم على بعض » .

ومع ذلك فقد انصف العينى كثير ممن عاصروه او جاءوا بعده واعترفوا بمكانته العلمية الرفيعة ، وذكر أبو المحاسن ابن تغرى بردى أن زعامة المؤرخين كانت قبله فى البدر العينى

الذى وصفه بأنه « كان بارعا فى عدة علوم مفتيا كثير الاطلاع واسع الباع فى المعقول والمنقول ، قل ان يذكر علم الا وله فيه مشاركة جيدة .

وأشاد به السخاوى برغم تعصبه لاستاذه ابن حجر ، ووصفه بأنه « كان اماما عالما علامة عارفا بالصرف والعربية وغيرها حافظا للتاريخ واللغة مشاركا فى الفنون لا يمل من المطالعة والكتابة كتب بخطه جملة ، وصنف الكثير بحيث لا أعلم بعد شيخنا أكثر تصانيف منه ، واشتهر اسمه وبعد صيته مع لطف العشرة والتواضع ، كما تتلمذ عليه واخذ عنه جمهور من المتعلمين نبغ منهم بعده غير واحد وكان لهم مثله فضل فى حمل شعلة الثقافة والعلم . وقد ظل العينى وفيا لرسالته العلمية ، حتى وفاته اذ بقى يمارس التدريس والتعليم فى مدرسته العينية ، الا ان الحال قد ضاقت به فى أواخر حياته بعد عزله عن نظارة الاحباس حيث اضطر الى بيع بعض أملاكه ومؤلفاته لسد حاجته واستمر كذلك الى أن توفى عام ٨٥٥ هـ (١٤٥١ م) بعد أن جاوز التسعين من عمره ، ودفن فى القاهرة حيث « عظم الاسف على فقده ولم يخلف بعده فى مجموعة مثله » بشهادة خصمه السخاوى . ولا زال هناك فى القاهرة اثر عظيم يذكرنا بالعينى وهو « القصر العينى » الذى ينسب الى حفيده الأمير احمد بن عبد الرحيم بن المؤرخ والفقيه المشهور البدر العينى الذى نتطلع الى اليوم الذى ينشر فيه باقى تراثه العلمى المخطوط .



حمزة السقاء

للأستاذ : على حسن الشكرجى

ترجع بنا أحداث هذه القصة الى قرن من الزمان خلا حينما كانت القيم الروحية لا القيم المادية متغلغلة فى القلوب فتغلغل معها ما حرم منه عصرنا : اطمئنان النفس وسعادة الروح وان لم تكن آنذاك وسائل الترفيه والراحة البدنية التى وفرها لهذا العصر العلم الحديث .

وكان ممن نعموا بالايمان سقاء اسمه حمزة يكسب رزقه الحلال بسقى الماء يحمله بقربته من نهر ليس بقريب . فهو على أميته ملىء بالاطمئنان والسكينة يفتقدهما ويحسده عليهما كثير من أهل العلم فى هذا العصر ذى العين الواحدة التى لا يبصر بها الا الماديات .

بلغ حمزة مبلغ الرجال وما زال عزبا . يود لو يتزوج ، انه يتقلب فى فراشه ليلا . متى يكون أبا ومتى يرد بعض جميل أمه فى زوجة تعينها فى أمور بيتها الكثيرة من طحن وخبز وطبخ وحياكة وكلها يدوية مجهدة . كان يقول لها : « يا أمى ادعى لى أن يوسع الله على رزقى ويوفقنى الى زوجة صالحة ، ان دعاء الأم مستجاب » فتدعو له بعد كل صلاة .

لم يستطع حمزة أن يدخر مما يكسب شيئا فلا يكاد رزقه يسد ضرورات العيش آنذاك . وقد عزم الا يتزوج حتى يوسع الله عليه رزقه . وتمضى سنون وما زال رزقه شحيحا ويشتد شوقه الى زوجة وكان يقول : « لك فيها ارادة يا خالق الجرادة » .

ذات صباح رجع حمزة الى بيته بعد أن صلى صلاة الفجر فى الجامع جماعة وقد هيأت له أمه طعام الفطور المعتاد الذى لو يأكله طبيب اليوم لظهرت عليه بعد أيام أعراض نقص الفيتامينات والمعادن والبروتين .. لكن حمزة لم تظهر عليه أية أعراض .. غسل حمزة يديه وقال « بسم الله الرحمن الرحيم » واكل ومعه أمه . وما أن انتهى حتى قال : « الحمد لله رب العالمين » .

قال : توكلت على الله ، وحمل قربته يضمها حزام جلد الى جنبه الايمن بمساعدة كتفه اليسرى التى مر عبرها الحزام . ودعت أمه معيلها

الوحيد بالدعاء وانطلق صوب النهر . وضع قربته على الارض وشد أذيال جبته الى حزامه وحمل القربة باسم الله ونزل الى النهر وهو يريد أن يملأ قربته من الماء الجارى البعيد عن الجرف فهو أطهر . وبينما هو كذلك اذ يرى تفاحة يحملها جريان المـــاء وقبل أن تجوزه يلتقطها حمزة بيده اليسرى وما زالت يده اليمنى تمسك بالقربة . انها تفاحة ناضجة شهية وما أن امتلأت القربة حتى حملهـــا خارجا ووضــــعها على الارض ثم بسم الله الرحمن الرحيم يقضـــــم التفاحة ، ما ألذها انها رزق من حيث لا يحتسب ، وفجأة يعلو وجه حمزة وجوم وقد امتقع لونه ، كان قسم من التفـــــاحة فى يده وآخر فى فمه ممضوغا وآخر قد نزل جوفه . كيف يأكل تفاحة ليست ملكا له ولم توهب له ؟ انه اذن مغتصب سارق .

يجب أن يكفر عن ذنبه ويتدارك ما بدر منه . الطريق أمامه واضح لكن ماذا يفعل بما مضـــــغ فى فمه أيأكله ، أيلفظـــه على الأرض ؟ أم ماذا ؟ أيضعه فى منديله مع القطعـــة الباقية فى يده ؟ والعمل الاخير هو الحل الذى أرضى ضميره وتقواه ..

أخرج منديله ووضـــع فيه قطعة التفاح التى فىيده وما كان يمضغهفى فمه . كيف يجد صاحب هذه التفاحة ليعطيه ما بقى منها وليوهبه ما أكل منها حلالا طيبا ، كيف .. كيف .. ؟

وما لبث أن برقت عينـــاه فرحا وأسرع يسير بمحاذاة النهر من حيث أتت التفاحة يحملها الماء وترك القربة فى مكانها على الارض . يسير وهو يتأمل الاشجار القريبة من النهر . يرى شــــــجرة تفاح ويهرع اليهـــا ويتفحصها عله يجد ما يشير الى أن تفاحة سقطت منها وتدحرجت الى النهر . لم يجد ما يقتنع به ليبت بالأمر ، انها بعيدة نوعا ما عن النهر ويستبعد أن تتدحرج تفاحة منها الى النهر والارض غير منحدرة .

تابع حمزة سيره وهو يفتش عن أشجار التفاح حتى رأى شجرة تفاح كبيرة وقد مالت بأغصانها الى النهر . نعم ، لا بد أن التفاحة سقطت منها وراح يتأملها : حمدا لله !! هذا مكان التفاحة الساقطة !! وأشرق وجهه ، انه سيستطيع أن يكفر عن ذنبه .

وأسرع مبتعدا عن النهـــر وراح يسأل كل من يصادفه حتى علم أن البستان يملكه ثلاثة أشخاص وما أن علم أين يمكن أن يلقاهم حتى انطلق الى أحدهم وأخرج منديله وقال له بعد السلام عليه متلعثما : « انى أكلت تفـــــاحة من تفاحك .. بل أكلت قسما كبيرا من تفاحتك . كان قسم منها فى يدى والقسم الآخر فى فمى ممضوغا وكنت قد أكلت شيئا منها ودخل جوفى .. كنت لا أدرى .. لم يخطر ببالى .. انه ذنبى .. »

فقاطعه الرجل : « مهلا !! لم أفهم أية تفاحة هذه ؟ » .

أجاب حمزة : « تفاحة وجدتها وأنا أملأ قربتى وأكلت منها ولم تكن لى .. انى والله لم أعلم الا بعد أن أكلت منها ، فقلت يجب على أن أبحث عن صـــاحبها ليجعل ما أكلت حلالا كيف

يشاء واعطيه بقية التفـاحة وسرت بمحاذاة النهر حتى وجدت الشـجرة التي سقطت منها التفاحة، وقالوا لي إنك أحد مالكيها الثلاثة .. والآن .. في هذا المنديل ما كان في يدي من التفاحة وما كان ممضوغا في فمي » وقرب اليه المنديل .

قال الرجل مشمئزا : « لا ، اني اتنازل عن حصتي في هذا » .

قال حمزة وقد امتلأ غبطـة : « جزاك الله عني خيرا كثيرا و .. »

قاطعه الرجل : « أما ما أكلت من حصتي في التفاحة فسأجعله لك حلالا بعد أن تنجز لي عملا » .

قال حمزة مندهشا : « أي عمل ؟ انه يجب على أن ارضيك .. اني مستعد » .

قال الرجل : « هناك في أرضي مستنقع أريد أن تطمره بتراب تل ليس ببعيد كثيرا عنه وحينما تتم هذا العمل فأنت مبرأ الذمة فيما يخصني »

سأل حمزة : « بأي شيء أحفر وبأي شيء أحمل التراب ؟ » .

أجاب الرجل : « سـأعطيك ما تحتاج لهذا العمل » .

كان الوقت ضحى وأمامه عمـل يتطلب وقتا طويلا وجهدا كثيرا وعليه أن يعود قبل اشتداد الظلام والا فأمه سوف تقلق كثيرا وهذا ما يثقل عليه . يجب أن يتم عمله بأسرع ما يستطيع ثم يسرع الى المالكين الآخرين . شمر عن ساعديه وشد أذيال جبته الى حزامه وراح يحفر وينقل التراب الى المستنقع والعرق يتصبب من جسده، الجو كان حارا . وما أن انتهى من طمر المسـتنقع حتى حمل أدواته وانطلق الى صاحبها وسأله هل أدى ما يريد . ولما كان الجواب بالايجاب انطلق الى الآخر مسرعا فقد زالت الشمس قبل مدة . وحكى له القصة وكيف صـاحبه برأ ذمته . فأطرق الرجل ثم قال : « إنني ايضا اهبك حصتي في بقية التفاحة . ان في بيتي حوضا فيه ماء وسخ آسن أريد منك أن ترمي ماءه في النهر وتنظفـه ثم تملأه بماء النهر وسأجعل لك ما أكلت من حصتي حلالا » .

قال حمزة : « لا سبيل لي الا الرضوخ . سأصلي الفريضة ثم أبدأ بالعمل » .

قال الرجل : « أنت وشـأنك . وسأجلب لك ما تحتاج في عملك » .

لم يشعر حمزة بسمو روحه وقربه الى الله في أية لحظـة مضت من حياته كتلك اللحظات وكأنه في صلاته قد طار الى السماء وحلق في عليائها وجرد منه كل ما يثقل ويحبس الروح من اثم وجشع واغتصاب وشهوة .. وأسرع الى العمل وكأن يدا خفيـة تحمل معه الماء الثقيل ما كان يتصور أنه يمكنه أن ينجز ما عمل وهو على ما عليه من جوع ونصب .

وحينما رضي المالك الثاني من عمله انطلق الى المالك الثـالث وحكى له القصة ، وما كان من شريكيه . أخذ الرجل ينظر اليه ثم أطرق ثم قال : « قف مكانك حتى آتيك » .

دخل بيته ثم يعود بعد دقائق ويقول لحمزة : « اني ايضا أهبك حصـتي فيما بقي من التفاحة . ان لي بنتا أريد أن أزوجك منها .. »

تهلل وجه حمزة ، انه الفرج بعد الشدة ، ابنة غني تزف اليه !! حمدا لله وشكرا ، ستكون له زوجة وطالما اشتاق الى زوجة وسيكون له أولاد وستكون لأمه معينة وأنيسة !!

وواصل الرجل كلامه : « ولا أبرىء ذمتك فيما أكلت من مالي حتى تتزوجها على ما هي عليه » .

هنا انكفـأ وجه حمزة . قال : « ما عليها ؟ » .

أجاب الرجل : « انها عميـاء ، خرساء ، صماء ، مقعدة ، عجوز ، والى جانب ذلك سوداء كالفحم » .

قال حمزة متقززا : « لا ، لا يمكننى أن أتزوجها ليس لى رغبة فيها » .

قال الرجل : « اختر بين أمرين : اما أن تبقى آثما حتى تموت وتلقى الله يوم الحساب واما أن تتزوج ابنتى هذه .. » .

قال حمزة وقد شعر أن جسده يثقل عليه ثقل الجبال : « ودى أن أفعل ما تريد لكن ليس هذا فى مقدورى وفى ارادتى » .

قال الرجل : « أنت وشأنك فهى قد وافقت على الزواج منك وبقيت موافقتك لتعتق رقبتك من النار » .

قال حمزة مؤيدا وقد أظلمت الدنيا فى عينيه : « كلامك صحيح لكن لا أستطيع ، انه فوق طاقتى . وليس عندى ما يعيننى على اعالتها » .

قال الرجل : « هل تطيق نار جهنم ؟ وأنت تعلم أن عذاب الدنيا ليس كعذاب الآخرة » .

شعر حمزة أن نور روحه قد انطفأ وأن جسمه يغوص به فى الارض . ما العمل وكيف يحمل نفسه على هذا الامر ..

قال حمزة وقد قرر أمرا : « سأعطيك الجواب بعد قليل » .

أخذ حمزة يجمع من على الارض عيدانا وقطع قماش والرجل ينظر اليه مندهشا . يضع حمزة ما جمع على الارض ثم يضرم فيه النار ذلك ما زاد اندهاش الرجل .

وحينما علت النار شمر حمزة عن ساعده الأيمن واذا به يدخل يده فى النار وما لبث أن أخرجها وقد انكمش وجهه ألما وقد حبس آهة عميقة ثم ينطق قائلا : « كيف أتحمل نار الله ولم أتحمل نار الانسان » . ثم خرجت من فمه كلمة : « وافقت » .

تم عقد الزواج بوكالة الرجل . نهض حمزة ليذهب الى غرفة عروسته ليحملها (لأنها مقعدة) الى امه قبل اشتداد الظلام . وما أن دخل حمزة غرفتها حتى خرج مرتجفا ممتقع اللون مضطرب اللسان وهو يردد كلمات الاستغفار ، وحينما سأله الرجل ما باله قال حمزة متلعثما : « انى توهمت ودخلت غرفة بنت غير زوجتى والله يعلم أنى غير قاصد ذلك » . قال الرجل : « لا عليك » ويهدأ حمزة ويسرع بخياله : « كيف تكون الحور العين ما أظن تلك البنت الا منهن . تكاد روحى تخرج من جسدي شوقا الى الحور العين سأصبر حتى يزوجنى الله منهن يوم القيامة » .

قال الرجل مبتسما : « يا أيها المؤمن الطيب انك لم تتوهم وما رأيت الا زوجتك ابنتى » . وتساءل حمزة مندهشا : « كيف ؟ ألم تقل لى إنها عمياء سوداء عجوز .. وهذه البنت لم أر أجمل منها فى حياتى » .

فقاطعه الرجل : « نعم قلت ذلك . ان عاهاتها ليست كالعاهات قلت لك عمياء لأنها لم تنظر الى ما حرم الله وقلت خرساء لأنها لم تنطق بما حرم الله وقلت صماء لأنها لم تنصت الى ما حرم الله وقلت لك إنها سوداء لأنه لم يرها أجنبى الا وهى ملفعة بعباءة سوداء وقلت عجوز لأن لها عقلا كالكبار وقلت إنها مقعدة لأنها لم تسر الى ما حرم الله . انى قد آليت الا أزوجها الا ممن كان له تقوى كتقواها على كثرة من طلبوا يدها حتى هداك الله الينا فأنت الذى كنت أبحث عنه فهنيئا لك فقد نلت سعادة الدنيا ونعيم الآخرة . وأشركك رزقى الحلال لوجه الله تعالى » .

وما كان من حمزة الا أن انهال على يد الرجل يقبلها شاكرا الله .



اعداد الاستاذ عبد الستار محمد فيض

مكتبة المجلة

لمحات فى الثقـافة الاسلامية
للأستاذ عمر عوده الخطيب

كتاب يرمى الى تزويدنا بثقافة نافعة عن اســـلامنا ، تؤدى الى ترسيخ مبادئه والايمان بمثله ، وفهم نظمه ، ورد الشبهات عنه ، واحباط المكائد التى تحاك ضده من أعدائه وبخاصة فى المضمار الفكرى والثقافى — وهو يزود العقل بالحقيقة الناصعة عن هذا الدين وسط ضباب كثيف من أباطيل الخصوم ، ويربى فيه ملكة النقد الصحيح التى تقوم المبادىء والنظم والمذاهب التقويم السليم .

والكتاب يحتوى على ستة فصول تشمل كل مدلولات الثقافة . منها الثقافة والمجتمع ، والثقافة والحضارة ، وركائز الثقافة الاسلامية وخصائصها والقوى المعادية لها ، والاستشراق والثقافة . وغير ذلك مما احتواه الكتاب المذكور الذى يقع فى (٣٨٠) صفحة ومن نشر الشركة المتحدة للتوزيع ص. ب (٧٤٦٠) بيروت — لبنان .

عالم الاسلام
للدكتور حسين مؤنس

موضوع هذا الكتاب هام بالنسبة لكل مثقف عربى يريد أن يأخذ صورة واضحة عن حقيقة المجتمع الاسلامى وتطوره التاريخىالسياسى والاجتماعى .

وهو أساس لكل من يدرسون المجتمع العربى ولا يستغنى عنه طلاب الثقافة الاسلامية ، فهو يعرض بصورة موجزة وشاملة قيام عالم الاسلام ومقومات مجتمعه على عهد الرسول عليه السلام ، ثم نمو ذلك المجتمع فى الاتساع والعمق مع دراسة مستفيضة الملامح للمجتمع الاسلامى .

كما يتعرض الكتاب لما يسمى بعصور الركود فى تاريخ المسلمين ، ويحاول التعرف على حقيقـــة ذلك الركود وأسبابه ، مع الالمام بتاريخ الـــدول الاسلامية الكبرى التى ظهرت فى العصور المتأخرة .

والكتاب يقارب الستمائة صفحة ومن نشر دار المعارف بالقاهرة .

الفتاوى

صلاة الظهر

أثناء صلاة الجمعة

السؤال :

أنا ملازم للفراش بأمر الطبيب ، ولا أستطيع الذهاب الى المسجد لأداء صلاة الجمعة ، فهل يصح لى أن أصلى الظهر فى فراشي حال صـــلاة الامام الجمعة التى أســمعها من المذياع ، أو يجب على أن أنتظر حتى يفرغ الامام من صلاته .. ؟

الاجابة :

يرى الشافعية والمالكية والحنابلة أن من سقطت عنه صـــلاة الجمعة لعذر من الاعذار كالمرض يسن له تعجيل صلاة الظهر فى أول وقتها ولا ينتظر فراغ الامام من صلاته ، وبناء على هذا فاذا صلى الظهر أثناء صـــلاة الامام الجمعة صحت صلاته مع ترك الســـنة ، أما الأحناف فقالوا يسن للمعذور تأخير صـــلاة الظهر الى ما بعد صـــلاة إمام الجمعة ، أما صـــلاته قبل ذلك فمكروهة ، وبناء عليه تكون صلاتك الظهر صحيحة أثناء صلاة الامام الجمعة مع الكراهة .



وجه هذا السؤال الى فضيلة الشيخ عبـــد الله بن عبد العزيز بن عقيـــل فاجاب عليه بما يلى :

حكم نقل المسجد

السؤال :

شارع ضيق احتيج الى توسيعه من المســـجد بهدمه كله ونقله الى محل آخر أو بأخذ جزء من المسجد .. فهل يجوز مثل هذا فى الشريعة المطهرة .. ؟

الاجابة :

قد أمر الله سبحانه بعمارة المساجد وحث عليها ، وعمارة المساجد تكون ببنائها وترميمها . وتكون بذكر الله فيها واحيائها بطاعته . قال الله سبحانه :

« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » . وفى حديث عثمان رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة » . وفى حديث أبى ذر : « من بنى لله مسجدا ولو قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة » ، وقال الله سبحانه : **« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة »** . فعمارة المساجد من اوجب الواجبات وافضل القربات كما أن السعى فى خرابها والاستهانة بها من اعظم المحرمات ، فيجب احترام المساجد وتعظيمها كما عظمها الله ، ولا تجوز الاستهانة بها ، وتقذيرها ، والاستخفاف بحقها ، لأنها بيوت الله وموضع عبادته ، ومشاعر دينه . فالاستخفاف والاستهانة بحرمتها من اعظم انواع الجراة على الله والاستخفاف بدينه ، وقد تكاثرت الأدلة فى الحث على احترامها وتنظيفها وتطييبها ، واماطة الأذى والأوساخ والقمامة عنها ، كما جاءت النصوص بالنهى والتحذير عن السعى فى خرابها ، وعمل كل ما ينفر عنها أو يقلق راحة المصلين فيها ، وقد ورد فى الحديث : « البزاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها » وورد ان النبى صلى الله عليه وسلم حينما رأى نخامة فى المسجد غضب وامر بحكها ، وكذلك ورد انه صلى الله عليه وسلم عزل الامام الذى تنخم فى قبلة المسجد ، ونهى آكل الثوم والبصل عن قربان المسجد ، فاذا كان الأمر كما ذكر من وجوب احترام المساجد وتعظيمها والتحذير من كل ما ينفر عنها علم من ذلك تحريم الاقدام على هدمها ونقلها لمجرد تصور متصور من غير حصول على افتاء شرعى مدعم بالدليل ، ولا تكون الفتوى فى مسجد بعينه فتوى فى عموم المساجد ، بل كل مسجد يحتاج الى فتوى تخصه بعينه .. لان الأصل المنع ، ويحتاج كل مسجد الى نظر جديد ، وتأمل فى جنس المسوغات حتى يتحقق المسوغ الشرعى ، فهدم المساجد ونقلها بدون تحقق مسوغ شرعى لم يقل بجوازه أحد من علماء المسلمين .

اما نقلها لمصلحة او لتعطل منفعة فهذا فيه خلاف بين العلماء ، منهم من منعه ، وهم الجمهور من العلماء واستدلوا بحديث : لا يباع اصلها ولا توهب ، ولا تورث . ومنهم من اجازه اذا تعطلت منافعه ولم يجزه لرجحان المصلحة ، ومنهم من اجازه لمجرد رجحان المصلحة ، ومنهم الشيخ تقى الدين بن تيمية واتباعه ، قال فى الإنصاف : يجوز نقل المسجد لمصلحة الناس . وهو من مفردات المذهب واختاره صاحب الفائق وحكم به ، وقال أيضا : وجوز الشيخ تقى الدين ذلك — اى بيع البقعة والمناقلة فيها — لمصلحة ، وقال : هو قياس الهدى ، وذكره وجها فى المناقلة ، وقال فى الإنصاف أيضا : وأما اذا تعطلت منافعه أى الوقف فالصحيح من المذهب انه يباع والحالة هذه ، وعليه جماهير الأصحاب ، وقطع به كثير منهم ، وهو من مفردات المذهب ، وعنه لا تباع المساجد لكن تنقل آلتها الى مسجد آخر ، اختاره أبو محمد الجوزى ، والحارثى ، وقال : هو ظاهر كلام ابن أبى موسى . وعنه لا تباع المساجد ولا غيرها لكن تنقل آلتها ، وقال فى الانصاف : فعلى المذهب المراد من تعطل

منافعه المنافع المقصـــودة بخراب محلته ونقله عبد الله ، وهذا هو المذهب وعليه اكثر الأصحاب ، وقدمه فى الفروع .

وقال فى المغنى : وجملة ذلك أن الوقف اذا خرب وتعطلت منافعه كدار انهدمت وأرض خربت وعادت مواتا ولم تمكن عمارتها أو مســـجد انتقل أهل القرية عنه وصار فى موضع لا يصلى فيه ، أو ضاق بأهله ولم يمكن توسيعه فى موضعه . أو تشققت سقوفه ولم تمكن عمارتها ولا عمارة بعضه الا ببيع بعضـــه جاز بيع بعضـــه لتعمر به بقيته ، وان لم يمكن الانتفاع بشىء منه بيع جميعه . اهـ .

فظهر مما تقدم أن نقل المسجد لحاجة الشارع اليه لا يجوز على المذهب ، وهذا على قول الجمهور أظهر ، وعلى أصل الشيخ تقى الدين لا يعد هذا بمجرده مسوغا لكن على أصله فقط أنه لو نقل فى هذه الصورة الى موضع آخر لكونه أصلح وأسهل لجماعة المسجد ، وكان بمقدار المسجد الأول سعة وصفة أو أتم ساغ الافتاء بذلك ، وقد استدل أصحابنا الحنابلة على جواز نقل المسجد عند تعطل منفعته بما يروى أن عمر رضى الله عنه كتب الى سعد لما بلغه أنه قد نقب بيت المال الذى فى الكوفة : أن انقل المسجد الذى بالتمارين ، واجعـــل بيت المال فى قبلة المسجد فانه لن يزال فى المسجد من يصلى ، قالوا وكان هذا بمشهد من الصحابة ولم يظهر خلافه ، فكان اجماعا ، وأجابوا عما استدل به الجمهور بأن البيع المنهى عنـــــه فى الحديث هو بيعه كبيع الأمـــلاك ، أو لا يحل ثمنه . وابطال وقفيته ، وهذا مما لا نزاع فيه ، والنقل عند تعطل المنفعة أو لرجحان المصلحة ليس من هذا فى شىء ، وانما هو من تكميل الوقف والسعى فى حصول مقصود الواقف أو ما هو أكمل من مقصوده ، وهذا من الاحسان والتعاون على البر والتقوى الذى أمر الله به .

والله أعلم .



بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « شهرا عيد لا ينقصان : رمضان وذو الحجـــة » . . ؟

عبد العزيز لطفي — كويت

ليس المراد بالنقص فى الحديث النقص فى عدد الأيام فى كل من الشهرين بمعنى أنه لا يكون رمضان ولا ذو الحجة الا ثلاثين يوما ، لأن الواقع يخالفه فقـد يكونان تامين وقد يكونان ناقصين ، وقد يكون أحدهما ثلاثين والآخر تسعة وعشرين ويدل على أنه ليس المراد العدد قول رسول الله صلى الله عليه وســلم : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا العدة » فانه لو كان رمضان أبدا ثلاثين يوما لم يحتج الى هذا .

والمراد أنهما لا ينقصـــان فى الأجر والثواب المترتب عليهمـــا وان نقص عددهما ، بل يتفضل الله عز وجل بالحاق الناقص بالتام ، فى الثواب ، وسمى رمضان شهر عيد مع أن شهر عيد الفطر شوال لقرب رمضان من العيد .

الخمر وموقف الاسلام منها :

تساؤلات . . . وأجوبة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وامام المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، والتابعين . .

وبعد ، فقد بعثت الى مجلة (الوعى الاسلامى) مشكورة برسالة تلقتها من المواطن الكريم السيد/أحمد عبد الفتاح مصطفى بكلية زراعة القاهرة ، يسأل عن أشياء دارت بخاطره ، وهو يقرأ مقالا لى ، نشر فى المجلة ، ضمن سلسلة بحوث نشرتها المجلة عن : « الحدود فى الاسلام » ومن بينها موضوع : « الخمر وموقف الاسلام منها » وهو الموضوع الذى دار حوله تساؤلات المواطن الكريم .

. . . .

يقول الأخ الكريم فى رسالته : « وكانت ثمرة هذا الموضوع القيم أن الخمر بجميع أنواعه ، وأصنافه وطرق اعداده ، وكميته ، محرم شرعا » .

ثم يقول : « ولكن يخطر ببالى تساؤلات أرجو الاجابة عليها :

١ — « تفاوت درجات تحريم الخمر فى القرآن الكريم ، فقد ذكر فى سورة البقرة ، قول الله عز وجل : **« يســئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما »** . . الآية .

ويسأل الأخ الكريم : « ما المقصود بالمنافع للناس ، والموازنة بين اثمها ونفعها ؟ وهل اتخاذ الغرب الخمر والميسر نافع لهم هذا النفع المقصود فى الآية الكريمة ؟ وما منافع الخمر والميسر ؟

٢ ــ قوله تعالى فى سورة المائدة : **((يايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون))** ويسأل الأخ الكريم : « فى الآية السابقة الأمر النهائى بتحريم الخمر والميسر واجتنابهما .. فما حكمة التدرج فى التحريم ، بالمقارنة الى سورة البقرة السابقة ، التى ذكرت أن للخمر منافع وآثاما » ؟ .

٣ ــ وننتقل فى نهاية المطاف الى سورة محمد ، حيث يقول الله عز وجل : « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات » .. الآية .

ويسأل الأخ الكريم : « ما المقصود بأنهار الخمر اللذيذة للشاربين ؟ وهل هى مسكرة كخمر الدنيا وما هى صفاتها حتى لا يحدث فيها اختلاط بين خمر الدنيا المحرمة ، وخمر الجنة ؟ » .

ذلك هو محتوى رسالة الأخ الكريم نقلناه بنصه .

وانى لأحمد الله تعالى للأخ الكريم أن حمى شبابه من هذه الغفلة التى تستولى على كثير من الشبان فلا يلتفتون الى ما ينبغى أن يلتفتوا اليه من أمور دينهم ، صارفين جل أوقاتهم فيما يترضون به أهواء الشباب ونزواته .. نسأل الله العافية لشبابنا ، والسلامة لهم من الغرق فى تيارات الآراء ، والمذاهب المضللة الزاحفة الينا من الغرب فى صور شتى من المنطوق ، والمسموع ، والمنظور ..

... ...

ويسعدنى بعد هذا أن التقى مع الأخ الكريم ، لأجيب على أسئلته ، راجيا أن أوفق فى الاجابة الى ما يزيده ايمانا بدينه ، ويقينا بما فى كتاب الله تعالى من حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبما فى شريعة الاسلام ، من بصائر للناس ، وهدى ورحمة للمؤمنين ..

... ...

فأولا : ما يتساءل عنه الأخ الكريم : « من تفاوت درجات تحريم الخمر فى القرآن الكريم » .

ولعله يقصد بهذا ما جرت عليه الشريعة السمحة من اليسر والترفق بالناس فيما تلزمهم به من أحكامها ، تقريرا أو تحريما ، وذلك بالتدرج فيما يدعو الناس الى الأخذ به أو الكف عنه ، وخاصة فى التكاليف التى تشق على الناس فى أول عهدهم بها .. كالصلاة مثلا .. فانها فرضت أول ما فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيدت ركعاتها بعد ذلك الى ما هو معروف منها .. بل وأكثر من هذا فان ثقيفا حين أرادت أن تدخل فى الاسلام اشترطت على النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا بوحدانية الله ، وبأن محمدا رسول الله ، وألا يؤدوا الصلاة ، ولا الزكاة ولا الجهاد فى سبيل الله .. فقال لهم الرسول الكريم : أما الصلاة ، فانه لا خير فى دين لا صلاة فيه .. فقبلوا أن يصلوا ، ولم يقبلوا أداء الزكاة ولا الجهاد فى سبيل الله ،فقبل منهم الرسول الكريم دخولهم فى الاسلام على هذا الشرط ، وحين راجعه بعض أصحابه فى هذا ، قال : انهم سيؤدون الزكاة ، وسيجاهدون اذا دخلوا الاسلام » وقد كان فحسن اسلام ثقيف ، وأدوا الزكاة وجاهدوا مع

المجاهدين ، حتى انه حين ارتدت بعض قبائل العرب لم يرتد أحد من ثقيف ، وكانوا جندا من جند الله فى حروب الردة .

وكذلك الشأن فى الخمر التى جـاء الاسلام والجاهليـون يتعاطونها ، ويتواردون شيبا وشبانا على مجالسها ، توارد عطاش الابل على الماء .. فكانت الحكمة الربانية التى قضت بتحريمها أن تنتزع هـذا الداء الخبيث المتمكن مـن النفوس ، بتلطف ورفق ، وأن تسقيهم الدواء الشافى لهذا الداء جرعة جرعة .. فذلك هو الذى تصلح عليه النفوس .. كما تصلح عليه الأبدان .

وأول لمسة من لمسات القرآن الكريم لهذا الداء جاءت بالاشارة من طرف خفى الى أن فى الخمر شيئا ، ينبغى للعاقل أن يتجنبها من أجله ، والا يجعلها تجارة من تجارته أو زادا من زاده .. وفى هذا يقول الله تعالى فى سورة النحـل : « **ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا** » (الآية ٦٧) .. وفى هذا اشارة من بعيد الى أن ما يتخذ من ثمرات النخيل والأعناب ، منه ما هو رزق حسن ، كالذى يتخذ للأكل أو للتجارة ، ومنه ما هو غير رزق حسن . وهو ما يتخذ سكرا ، وخمرا .. « **ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سـكرا ، ورزقا حسنا** » .. فالسكر شىء ، والرزق الحسن شىء آخر ، حيث لا يستحق السكر هذا الوصف الكريم ..

هذه لمسة أولى من لمسات القرآن الكريم الخفية الخفيفة للكشف عن هذا الداء ، لينبه الغافلين عنه .

ثم تجىء اللمسة الثانية ، جوابا لتساؤلات السائلين عن الخمر والميسر ، بعد أن رأوا منها هذا الوجه الخبيث ، القبيح ، الذى يعزلها عن أى وصف حسن ، فيقول جل شأنه : « **يسألونك عن الخمر والميسر .. قل فيهما اثم كبير ، ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما** » .. وفى هذا تصريح بعد التلميح الذى حملته آية النحل ، بما فى الخمر ، وصاحبها الميسر من اثم كبير ، الى جانب ما قد يحسبه يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .. ذلك أن ما قد يجده شارب بعض الناس من نفع فيهما .. وان هذا النفع المتوهم اذا نظر اليه العاقل نظرة مبرأة من الهوى ، بعيدة عن الخداع النفسى ، وجد أنه لا يعدو أن يكون سرابا يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شـيئا ذلك أن ما قـد يجده شـارب الخمر من انتشاء وخفة ومرح ، هو شىء يخف ميزانه ، الى جانب ما يعقب ذلك من فقدان الوعى ، وضياع المروءة . وسقوط الكرامة ، والنزول من مقام الانسان الكريم ، الى عالم الحيوان البهيم .. وكذلك شأن من يتجر بالخمر ،صانعا أو بائعا ، أو جالبا ، أو ساقيا ، هو لا بد شـارب لها يوما ما ، ان لم يكن اليـوم ففـى غد ، أو بعد غد . وبهذا يجنى ما يجنى شاربوها من هذا الثمر المر القاتل منها .. ثم هو الى جانب هذا يحمل الى غيره من الناس ما يوردهم موارد الضياع والهلاك ..

وفى اقتران الميسر بالخمر فى هذه الآية الكريمة ، وفى غيرها ، اشارة الى أن هذين الداءين الفتاكين ، متآخيان متلازمان ، فحيث كانت موائد خمر ، كان المجتمعون عليها شاربين ومقامرين ، وحيث كانت موائد قمار ، كان الملتفون

حولها مقامرين وشاربين .. وهكذا يجتمع الخبيث الى الخبيث ويأتلف به .

ثم يجىء القرآن الكريم بعد هذا البيان المبين الكاشف عن الخمر والميسر ، وعما فيهما من اثم كبير ، يرجح بكل ما قد يلتقطه بعض الناس من منافع متوهمة لهم من معاقرة الخمر ، أو لعب الميسر — يجىء القرآن فيكشف عن وجه آخر خبيث من وجوه الخمر ، فيقول سبحانه : « **يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون** » (النساء : ٤٣) .

وكفى بالخمر شناعة وبلاء أن تعزل شاربها عن جماعة المسلمين ، وأن تبعده عن مقام القرب من الله فى هذا الموقف الكريم ، الذى يقفه المصلون بين يدى الله ، يناجون ربهم ، ويتلقون ما يتلقون من سوابغ فضله ، وعظيم رضوانه ..

وكفى بشارب الخمر ضياعا وخسرانا أن يجد نفسه معزولا عن الناس فى أشرف مقام وأكرم منزلة .. وحسبه أن يرى الناس يدخلون من أوسع الأبواب الى لقاء الله ، والى مناجاة ربهم فى محاريب الصلاة ، ثم يظل هو واقفا على الباب ، لا يؤذن له ، حتى يذهب عنه داء الخمر ، الذى أخذ عقله ، وذهب بلبه ، واغتال انسانيته .

وفى هذا الموقف الذى يدخل فيه المسلم فى تجربة عملية مع الخمر وما جرته عليه من ويلات ، ومساءات يرى كيف أزرى بانسانيته ، وفقد أهليته أن يقف مع الناس بين يدى الله ، على قدم المساواة ، لينال ما ينالون من خير ، ويذهب بما يذهبون به من أجر — فى هذا الموقف يتهيأ هذا الانسان للخطوة التى ان خطاها أخذ مكانه بين الناس ، وصف قدميه مع أقدامهم ، وهذا لا يكون الا بأن يجتنب الخمر ، ويقطع صلته بها .. وهنا يجد هذا النداء الكريم من رب كريم يدعوه اليه ليكون من عباده المفلحين : « **يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » (المائدة ٩٠) .. فالفلاح كل الفلاح لمن جانب هذه المنكرات ، وأبى أن يمد يده الى ما عمله الشيطان ، وزينه له .. وانه لا فلاح أبدا لمن استجاب للشيطان ، وتناول من يده هذا الرجس الذى يفتنه به ، ليضله عن سبيل الله ..

تلك هى بعض حكمة التدرج فى تحريم الخمر ، وما يدور فى محيطها من منكرات ، جريا على سنة الشريعة السمحة الحكيمة ، فى سياسة النفوس ، ومعالجة أمراض القلوب ، وذلك بالرفق والحكمة واليسر ، حيث تستجيب النفوس ، وتلين القلوب ..

... ...

ولا أرانا بعد هذا فى حاجة الى اجابة الأخ الكريم اجابة مسهبة مفصلة على تساؤله : « وهل اتخاذ الغرب الخمر والميسر نافع لهم هذا النفع المقصود فى الآية الكريمة » ؟

ويكفى أن نقول : ان ما يصدق على المسلمين من أمر الخمر والميسر ، ومن

ان ضررهما أكبر من نفعهما عقليا وجسديا وماديا ــ يصدق على غير المسلمين فى الشرق والغرب ، من حيث اشتراكهم جميعا فى الانسانية ، وأن الضرر الذى يقع على المسلم من أى منكر يتعاطاه ، أو اثم يقترفه مما نهاه الله عنه ، يقع على غير المسلم . والفرق بينهما أن المسلم يتلقى أوامر ربه ونواهيه مؤمنا موقنا بالخير الذى يناله من امتثال أمر ربه ، ومطمئنا مستيقنا بالأمن والسلامة باجتناب ما نهى عنه .. أما غير المسلم فان أهواء نفسه وشهواتها ، هى صاحبة الأمــر والنهى له ، فبسلطان أهوائه ، وبنزعاته يأتى ما يأتى ، ويدع ما يدع ، ولو كان فيما يأتيه بلاؤه وشقاؤه ، وكان فيما يدعه خيره وسعادته .. والله سبحانه وتعــالى يقــول : **((أفمن كان على بينة من ربــه كمن زين له سوء عمله واتبــعوا أهــواءهم)) ؟** (محمد ١٤) ..

*** *** ***

ونقف مع الأخ الكريم وقفة عند تساؤله عن خمر الجنة التى وعد المتقون ، اذ يتساءل عن « المقصود بأنهار الخمر اللذة للشاربين ، وهل هى مسكرة كخمر الدنيا ؟ وما هى صفاتها حتى لا يحدث اختلاط بين خمر الدنيا المحرمة ، وخمــر الجنة »

ونقول للأخ الكريم : ان خمر الجنة لا تسكر ، ولا يسكر شاربوها ، ممن انزلهم الله تعالى منازل جنته ورضوانه .. يقول الحق جل وعلا : **((يطاف عليهم بكاس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها غــول ولا هم عنها ينزفــون))** (الصافات ٤٥ ــ ٤٧) . ومعنى : (لا فيها غول) أى ليس فى هذه الخمر ما ينال من العقول ، ويغتال ملكة الادراك فيها .. ومعنى (ولا هم عنها ينزفون) أى ولا يجد شاربو هذه الخمر اثرا لها فى عقولهم .. وذلك أن أهــل الجنة طيبــون ، لا يقبلون الا طيبــا ولا يســـمعون الا طيبــا ، كما يقول ســـبحانه : **((لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما . الا قيلا سلاما سلاما))** (الواقعة ٢٥ ، ٢٦) ومجالس الخمر لا يسمع المجتمعون عليها الا ما كان من لغو الأحاديث ، لأن من سكر هذى . ولغا .

وأما كون خمر الآخرة من وسائل النعيم لأهل الجنة ، فذلك مما لا شــك فيه ، اذ الجنة كما وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله : **((وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين))** (الزخرف ٧١) وبقوله سبحانه : **((ولكم فيها ما تشتهى انفســكم ولكم فيها ما تدعون))** (فصلت ٣١) .

فكل ما تشتهيه نفوس أهل الجنة يجدونه بين أيديهم من غير ان يتكلفوا له عملا .. وليست الخمر هى كل ما يشتهيه أهل الجنة . فهناك ما لا عين رات ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، كما يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ..

ان ثم كثيرا من الناس فى هذه الدنيا قد دعتهم انفسهم الى شرب الخمر فردوا انفسهم عنها ، امتثالا لما نهاهم الله عنه،وخشية لجلاله ، ومراقبة لسلطانه، فكان من فضل الله عليهم أن هيأ لهم فى الجنة مجالس يتعاطون فيها الخمر مبرأة مما يصيب شاربيها فى الدنيا ، من صداع الرءوس ، وفتور الأجسام وذهاب العقول : **((يطــوف عليهم ولدان مخلدون . باكواب واباريق وكاس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون))** (الواقعة ١٧ ــ ١٩) .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

عبد الكريم الخطيب

بأقلام القراء

حول تعـدد الزوجات

لا يدرى الانسان البصير الى متى يظل هذا الدين عرضة للهجوم ، ومجالا للاتهامات الباطلة ، والى متى تظل هذه النفوس فى حالة هروب عن الهدى ، وعمى عن الحق ، بل الى متى يظل هذا المنهج الالهى القويم مثارا للافتراءات والأكاذيب التى تهدف الى نزعه من الصدور ومحوه من القلوب . ولقد ظل تعدد الزوجات فى الاسلام أمرا كثر فيه القول والجدل بغير دليل ولم ترض النفوس الحاقدة أن تعرف الحكمة من وراء هذا التعدد والسبب فى مشروعيته ، وفى هذه الأيام تتوارد علينا الاحصائيات التى نشرت فى العالم عن عدد الأناث وعدد الذكور ، فلقـــد نشرت صحيفة الأهرام القاهرية الاحصائية التالية يوم الأربعاء ١٩٧٤/١/٩ تحت عنوان (نساء العالم فى ازدياد) : « تشير الاحصاءات الى أن عدد النساء فى العالم يزداد بدرجة ملحوظة على عدد الرجال ، وأن هذه الزيادة مستمرة ففى امريكا أصبح عدد النساء يفوق عدد الرجال بنسبة ٣٠٪ ، وفى السويد ٢٤٪ ويوجد فى بريطانيا الآن ١٥ مليون أنثى فى مقابل ١١ مليون رجـل وفى الاتحـاد السوفيتى تبلغ الزيادة فى تعداد الاناث اللاتى فى سن الزواج عن عدد الرجال فى نفس السن ٩ ملايين فتاة » هذه هى الاحصائية .

فماذا يفعل العالم الآن ازاء هذا العدد الكبير من النساء فى مقابل العدد القليل من الرجال ؟ وماذا يضع فى تشريعاته الوضعية من حل لهذه المشكلـة الخطيرة والمتفاقمة ؟ نفس هذا التساؤل يضعه الأستاذ محمد الغزالى ، فهو يقول (اما اذا كان عدد النساء أربى من عدد الرجال فنحن بين واحد من ثلاثة :

١ — اما أن نقضى على بعضهن بالحرمان حتى الموت .
٢ — واما أن نبيح اتخاذ الخليلات ، ونقر جريمة الزنا .
٣ — واما أن نسمح بتعدد الزوجات .

ونظن أن المرأة — قبل الرجل — تأبى حياة الحرمان ، وتأبى فراش الجريمة والعصيان ، فلم يبق أمامها الا أن تشرك غيرها فى رجل يحتضنهما وينتسب اليه أولادها ، ولا مناص بعدئذ من الاعتراف بمبدأ التعدد الذى صرح به الاسلام .

هذا هو الحق وربما ظهرت الحكمة الربانية من وراء التعدد ، وبالاضافة الى التساؤل السابق نضع هذه الأسئلة الواقعية التى تطلب حلا وتلح فيه :

ما هو السبيل الى ذرية صالحة اذا كانت الزوجة عقيما ؟ وما الحل الأم اليتامى التى فقدت الزوج الذى كان يرعاها ؟ ، وما الخلاص للتى طلقت من زوجها ؟ أو للعانس التى فاتها سن الزواج ؟ أو للأرملة التى مات زوجها ؟ أو حتى للتى اعوج بها السبيل فى ريعان الشباب ؟

الى غير ذلك من الأسئلة .

ثم هناك السؤال الكبير والخطير ، ان التعدد تشريع من الله سبحانه وتعالى الله الذى خلق والذى أحيا وأمات ورزق ، الله الذى يعلم السبيل الوحيد لانشاء مجتمع مثالى صالح ، فكيف يمكن ويجوز لنا ، أو حتى لغيرنا ، أن يرضى بمنهج

الخلق على منهج الخالق ، وبقانون العبد عن تشريع المعبود ؟ ثم (**أأنتم أعلم أم الله**) ؟ (**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) .

خليل محارب السويركى

المساعى المشكــورة

تساعد وزارات الأوقاف فى الدول الاسلامية طلاب العلم الفقراء باعانة شهرية طول مدة الدراسة وقد أحصى صاحب كتاب اشتراكية الاسلام واحـــدا وثلاثين غرضا تتوجه الأوقاف لتحقيقها .. ثم يتخـــرج الطالب طبيبا أو مهندسا أو صيدليا أو مدرسا أو مذيعا أو صحفيا أو ممثلا أو مخرجا .

فهل يرد الجميل الذى اسدى اليه بعد أن أصبح غنيا قادرا على رد الجميل ؟

أم يكون اول القصيدة كفرا فلا تنال منه أوقاف المسلمين الا العيب والشتم والطعن لأنه راى فيها ما لا يعجبه ؟

وما اكثر واعقد بذور السخط والتمرد فى نفسه ويتمنى لها الخراب والفناء والالغاء وان كان خيرها عليه من مفرق راسه الى أخمص قدميه .

لأنه تأثر بالحضارة الغربية أو شم هوى الشيوعية واصبح فى حب البيضاء او الحمراء اصغر او أحقر عبد ورحم الله أبا العلاء حين قال :

والقلب من اهوائــــه عابــــد ما يعبــد الكافــر من بــره

فتراه يفزع من ظلال الاسلام والشرق والعروبة والفلاحة والبادية والمصرية كما يفزع الملدوغ اذا راى الحية .. واذا ذكر بماضيه الذى يمد جذوره الى هذه المعانى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما (ذكر) به ، مع أن رسول الله لم يستنكف بعد الرسالة من رعى الغنم قبلها ..

هل يستعد هذا الطالب القديم بعد أن يصبح صاحب سيارات أو عمارات او عيـــادات أو أراضى أو مصانع أن يهب ايراد بعض هذه الأشياء لطلاب العلم وقد كان منهم قبل أن يغير جلده ؟

كم هم اصحاب المئات والألوف والملايين الذين ينزلون عن شىء من اموالهم طائعين مختارين لجهات البر التى تنفق عليها وزارات الأوقاف ؟

وما دامت مواردها قد اصابها الكساد وجفت الأمطار التى تغذى منابع اموالها لتغير الأحوال ودناءة النفوس وميلها للأثرة وحبها لأن تأخذ ولا تعطى ومعرفتها للحق دون الواجب ومطالبتها بالعدل اذا كان لها وتجاهله اذا كـــان عليها .. فلا بد أن تراجع الأوقاف نفسها وان تتكيف مع البيئة فيكون العطاء عندها بمقدار فى وقت الحاجة ، وأنا اقترح على الوزارة والهيئات والمصالح التى تساعد طلاب العلم ان تكون هذه المساعدات ديونا عليهم تقرضها لهم فى وقت الفقر ثـــم تستردها بعد اليسار والسعة لتعين بهذه الأموال غيرهم بدلا من أن يوكل استمرار الأوقاف فى مساعدة طلاب العلم الى ضمائرهم وقد أصبحت كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .

وليس من الحكمة أن تضع الأوقاف رسالتها واستمرار حياتها تحت رحمة هذه الضمائر التى شاعت أقوالها وأفعالها وهى لا تبشر بخير ولا تسر الصديق ولا العدو .

أليس اخذ اموال المساعدات من هؤلاء ضمانا لاستمرار الرســالــة التى اسسها الرواد الأوائل من الواقفين خيرا من انفاقها فى المصايف والمشاتى والملاهى وعلى الغوانى والزخارف ؟

عبد الرحمن احمد شادى



الطريق الى حياة العزة والـكرامة

لقد أصبح واضحا الآن بما لا يدع مجالا للشـك ، وبما ليس فى حاجة الى برهان : أن الأمة التى لا يتعدد فيها الضحايا ، ولا يكثر فيها طلاب الشهادة دفاعا عن عقائدهم وشرائعهم ، وآدابهم وقيمهم وحرماتهم ومقدسـاتهم ، ومبادئهم ومثلهم التى أمروا بالدفاع عنها أو الموت من أجلها ، والتى تنتظم الحياة بأكملها وتحفظ الهيبة والـكرامة ، والحق والحرية والعدالة للأحياء من أفرادها .. هى أمة غير جديرة بحياة العز وعيش الكرامة ، بل انها لحرية أن يتخطفها الناس من كل صوب ، وأن يطمع فيها القوى والضعيف والصالح والطالح من كل جانب ..

ومن هنا ــ وليس من أى شىء آخر ــ كان الشهداء من الأمة ــ بحق ــ هم بمثابة القاعدة من البناء ، على جثثهم الطاهرة المباركة ينهض بناء الأمم ويسمو حتى ليطاول السحاب : علوا وشموخا وعزة واباء وبدمائهم الطاهرة الزكية تروى أشجار عزها وتزدهر أزهار مجدها وفخـارها على تعاقب الأيام ومر الأجيال .. بل اننا لا نغالى اذا قلنا : ان الشهداء من الأمة بمثابة الروح للجسد ، والعافية للبدن ، كما أننا لا نتجاوز الحق اذا قلنا : ان دماءهم الزكية الطاهرة هى وقود حياة الأمم ، بل انها الطاقة الخفية التى تشق للأمم طريقها الى الخلود والمجد ، وتظلها بسحائب الرحمة والخير والطمأنينة والرخاء .. ذلك لأن كل قطرة من دماء الشهداء تهرق على أرض أوطانهم المباركة ، وتشربها تربتها المقدسة .. لا تضيع سدى ، ولا تذهب هباء : بل انها لتأتى بالغرائب ، وتصـنع الأعاجيب فى حيـاة الأمم والاوطان ، ان لم تكن تأتى بالمعجزات الباهرات ..

ذلك : لأنه اذا كان من شأن الماء حين يمس الأرض أن يهزها من أعماقها حتى يشقق من بنيانها ويفتت من مادتها ، ويخرج منها من خلال النبات وأغصان الشجر حبا جنيا وثمرا شهيا ، وأكلا طيبا هنيا كما حدث الله تعالى عباده فردا فردا فقال : « وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » الحج . فان دم الشهيد لا يكاد يسيل من عروقه ويسقى أديم الأرض ويسوخ فى أعماقها : حتى يبرز من جديد .. من خلال أحاسيس البشر وأفكارهم ، وطاقاتهم الوجدانية ، غضبا عاصـفا يموج فى الأثير ، ثم ينصب على رءوس الظلمة الغاشـمين فى كل زمان وفى كل مكان ، على مر الأيام وتعاقب الأجيال .

مسئولية الكتاب والمثقفين والشباب

ان أخطر ما تواصى به المسلمون مستمدا من أعمق مقومات الاسلام هو القدرة الدائمة على مواجهة الحرب النفسية التى تحاول اخراجهم عن قيمهم وذاتيتهم . فقد عمل الاسلام على تحرير اتباعه من التأثير الاجنبى بكل أنواعه ودعا الى اليقظة ازاء الحرب النفسية التى تهدف الى تغيير المعالم الأصيلة لعقيدتهم وفكرهم وثقافتهم ومزاجهم النفسى . فقد كان أعداء الاسلام يعلمون أن الطريق الوحيد الى تمزيق وحدة الأمة هو ضربها من خلال قوائم فكرها باثارة الشبهات وادخال مفاهيم وتفسيرات غريبة تختلف عن التفسيرات الأصيلة .

ولقد كافح المسلمون فى تاريخهم كله لتحرير الفكر الاسلامى من هيمنة أى فكر آخر أو عقيدة أخرى ، ولذلك فان أهم المسؤوليات الملقاة على الكتاب والمثقفين والشباب اليوم هو النفاذ المستنير والقدرة الواعية على تعرف أبعاد الأخطار التى تحيط بالمجتمع والأمة والفكر .

ان هناك عدوا خطيرا لا يتوقف عن القاء السموم والشبهات ، فعلينا أن نتحصن بالحذر واليقظة ، ولنكن قادرين على مواجهة هذه الشبهات ودحضها ، وان هناك حربا نفسية تعمل على تشكيك أمتنا فى وجودها ، رغبة فى تدمير صمودها ومقاومتها تمهيدا لتدمير وجودها نفسه .

وتحاول الحملة النفسية أن تشكك فى عشرات من الحقائق وأن تثير الشبهات فى عدد من القضايا فضلا عن القاء مفاهيم وافدة لا تتفق مع ذاتية الاسلام وطبيعته الأصيلة القائمة على التوحيد والايمان والاخلاق .

ولذلك فقد كان من الضرورى أن يوفق المسلمون الى الحقائق الاصيلة التى يراد دحضها وأن يقفوا من أجل الدفاع عن ذاتيتهم الخاصة التى يراد تدميرها .

ان الذين يردون ركود المسلمين الى الاسلام نفسه يخطئون ، فان الاسلام براء من كل عناصر التأخر والركود . ولقد أقام نهضة وأنشأ حضارة ما زالت تضيء للانسانية من خلال الاجيال ، والحق أن ضعف المسلمين انما يعود الى انفصالهم عن أصول الاسلام ومقوماته باندفاعهم فى حياة الترف ، وتعطيلهم الجهاد .

ولقد تواصى المسلمون بالحذر من أهداف تحريف مفاهيمهم التى تتمثل فى العصر الحديث فى أهداف التغريب والاستعمار والغزو الثقافى التى تحاول هزيمة العقيدة باذاعة الالحاد وتقويض المجتمع والاسرة بنشر الالحاد .

ولقد كان الاسلام قادرا دوما على التجدد من خلال مقوماته ، ولم تخل حقبة فى تاريخ الاسلام حتى فى أشد عصوره ضعفا من المصلحين والمجددين من ذوى العقول المستنيرة والقلوب المؤمنة ، ولقد كان شغل أعلام المسلمين الشاغل هو الرفض بالسماح لشخصية الاسلام الحضارية أن تذوب أو تتلاشى فى أى حضارة أخرى .

لقد كانت للاسلام انتفاضات بين فترة وفترة تسقط كل ما أدخل الى جوهره من قيم غريبة عنه ، ولقد كان الفكر الاسلامى قادرا دوما على رفض الدخيل وطرد البديل . وحضانة الاصيل .

عن (أخبار العالم الاسلامى) — مكة المكرمة

أخبار العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ : فهمى الامام

الكويت : عاد حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بحفظ الله ورعايته الى أرض الوطن بعد أن قضى فترة من الراحة والاستجمام فى ربوع لبنان وكان فى استقباله فى مطار الكويت الدولى سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء والشيوخ والوزراء ورؤساء البعثات الدبلوماسية وكبار ضباط الجيش والشرطة ، وجمهور غفير من المواطنين .



● استقبل سمو أمير البلاد المعظم فى الشهر الماضى وزير خارجية بنغلادش الدكتور كمال حسين . ويبدو فى الصورة وزير الخارجية يصافح سمو الأمير المفدى .

● احتفل فى الشهر الماضى بالذكرى العاشرة لقيام مؤسسة الدراسات الفلسطينية وذلك بقاعة الاجتماعات الكبرى بمبنى غرفة تجارة وصناعة الكويت .



وفى الصورة سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم يلقى كلمة الافتتاح .



● وصل الى البلاد وفد اسلامى من جمهورية غينيا بيساو .. وقد استقبل الوفد فى المطار الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية .. ويرى سيادته فى الصورة مع الوفد فى قاعة مطار الكويت .

● احتفلت جامعة الكـــويت فى الشهر الماضى بتوزيع الشهادات على الخريجين فى العام الدراسى ٧٢ — ٧٣ . ويبدو فى الصورة سعـــادة وزير التربية والرئيس الأعلى للجامعة وهو يسلم شهادة لأحد الخريجين .

● قرر مجلس الوزراء دعم الجامعة الأردنية بمبلغ خمسين الف دينـــار للمساهمـــة فى بعض الانشاءات الجامعية .

كما وافق مجلس الوزراء على مشروع قانون بمساهمة دولة الكويت فى صندوق الدعم العربى للـــدول الافريقية بمبلغ ثلاثين مليون دينار .

● أعلن وزير التربية ووزير الدولة بالنيابة ان الكويت التى قـدمت الدعم لسورية ستستمر ، وأن جيشنا يقاتل فى الجولان الى جانب اخوانه .

مصر : أمر الرئيس أنور السادات باهداء الكويت احدى الـــدبابات الاسرائيلية التى غنمتها القـــوات المسلحة أثناء حرب أكتوبر .

● تجرى اتصالات بين القاهـــرة والدول الاسلامية لانشاء جمعيـــة عالمية تساهم فـــى انقـــاذ الآثار الاسلامية على الصعيد العـــالمى . وسوف تسند رئاسة الجمعية للدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية .

● اشترك فضيلة الامام الأكبـــر الدكتور عبد الحليم محمود شـــيخ الأزهر فى مؤتمر المنظمات الاسلامية الذى عقد بمكة المكرمة مؤخرا .

● زار فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير الأزهر يرافقه عدد مـــن العلماء جبهة القناة والتقى بالمقاتلين فى مواقعهم داخل سيناء ... وأدى معهم صلاة الشكر ، وصلاة الغائب على أرواح الشهداء فى مدينة القنطرة شرق .

السعودية : أمر جلالة الملك فيصل بمنح الجمعية الاسلامية الايرلنديـــة



مبلغ (١٧٠٠٠) جنيه استرلينى لاقامة مركز للشبان المسلمين والذين يعدون بالآلاف .. وقد تسلمت الجمعيـــة المبلغ .

● عقدت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة مؤخرا مؤتمرا للمنظمات الاسلامية استمر خمسة أيام حضرته وفود عن مختلف الهيئات الاسلاميـــة فى العالم .

● أصدر وزير المعارف قرارا يقضى باعتبار مادة الثقافة الاسلامية مادة أساسية فى جميع الكليات الجامعية وفى كل سنوات الدراســـة دون استثناء .

الجزائر : عقـــدت فى الجـــزائر اجتماعات الدورة السادسة لاتحـــاد الاذاعات العربية وذلك لبحث التنسيق وتدعيم التعاون بينها .

● دفعت الجزائر خلال حـــرب رمضان مبلغ ١٠٠ مليون دولار ثمنـــا لأسلحة اشترتها لصالح المعركة مـــع اسرائيل .

سورية : تتصاعد الاستباكات يوميا بين الابطـــال السوريين وقـــوات الاحتلال الاسرائيلى وقد صرح مصدر سورى مسئول بأن قرار وقف اطلاق النـــار لم يعد لـــه وجـــود فـــى جبهة الجولان .

فلسطين المحتلة : قام الفدائيـــون مؤخرا بعمل بطولى داخل مدينـــة « الخالصة » .. وكبـــدو العدو خسائر فادحة فى الأنفس والأموال .

● ما زال العدو الاسرائيلى يعانى من الاضطراب والقلق بعد حـــرب رمضان وقد استقالت رئيسة وزراء العدو مؤخرا .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع الأخر ١٣٩٢	ابريل ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الثلاثاء	١	٢٣	٣٣٩	٥١٥	١١٤٧	٣٢١	٦١٨	٧٤١	٩٢١	١٠٥٧	٥٢٩	٩٠٣	١ ٢٣
الاربعاء	٢	٢٤	٣٨	١٤	٤٧	٢١	١٩	٤٢	١٩	٥٥	٢٨	٢	٢٣
الخميس	٣	٢٥	٣٧	١٣	٤٧	٢١	٢٠	٤٣	١٧	٥٣	٢٧	١	٢٣
الجمعة	٤	٢٦	٣٥	١٢	٤٦	٢١	٢٠	٤٣	١٥	٥٢	٢٦	١	٢٣
السبت	٥	٢٧	٣٤	١١	٤٦	٢١	٢١	٤٤	١٣	٥٠	٢٥	٠٠	٢٣
الاحد	٦	٢٨	٣٣	١٠	٤٦	٢١	٢٢	٤٥	١١	٤٨	٢٤	٨٥٩	٢٤
الاثنين	٧	٢٩	٣٢	٩	٤٦	٢١	٢٢	٤٦	١٥	٤٧	٢٤	٥٩	٢٤
الثلاثاء	٨	٣٠	٣١	٨	٤٦	٢١	٢٣	٤٧	٨	٤٥	٢٣	٥٨	٢٤
الاربعاء	٩	مايو	٣٠	٧	٤٥	٢٠	٢٣	٤٨	٧	٤٤	٢٢	٥٧	٢٤
الخميس	١٠	٢	٢٩	٦	٤٥	٢٠	٢٤	٤٩	٥	٤٢	٢١	٥٧	٢٥
الجمعة	١١	٣	٢٧	٥	٤٥	٢٠	٢٤	٤٩	٣	٤١	٢١	٥٦	٢٥
السبت	١٢	٤	٢٦	٥	٤٥	٢٠	٢٥	٥٠	٢	٤٠	٢٠	٥٥	٢٥
الاحد	١٣	٥	٢٥	٤	٤٥	٢٠	٢٥	٥١	٠٠	٣٩	٢٠	٥٤	٢٥
الاثنين	١٤	٦	٢٤	٣	٤٥	٢٠	٢٦	٥٢	٨٥٨	٣٧	١٩	٥٣	٢٦
الثلاثاء	١٥	٧	٢٣	٢	٤٥	٢٠	٢٧	٥٣	٥٦	٣٥	١٨	٥٣	٢٦
الاربعاء	١٦	٨	٢٢	١	٤٤	٢٠	٢٧	٥٣	٥٥	٣٤	١٧	٥٢	٢٦
الخميس	١٧	٩	٢١	٠٠	٤٤	١٩	٢٨	٥٤	٥٤	٣٣	١٧	٥٢	٢٦
الجمعة	١٨	١٠	٢٠	٠٠	٤٤	١٩	٢٨	٠٥٥	٥٢	٣٢	١٦	٥١	٢٧
السبت	١٩	١١	١٩	٤٥٩	٤٤	١٩	٢٩	٥٦	٥٠	٣٠	١٥	٥٠	٢٧
الاحد	٢٠	١٢	١٩	٥٨	٤٤	١٩	٣٠	٥٧	٤٩	٢٩	١٥	٤٩	٢٧
الاثنين	٢١	١٣	١٨	٥٨	٤٤	١٩	٣٠	٥٨	٤٨	٢٨	١٤	٤٩	٢٧
الثلاثاء	٢٢	١٤	١٧	٥٧	٤٤	١٩	٣١	٥٩	٤٦	٢٦	١٣	٤٨	٢٨
الاربعاء	٢٣	١٥	١٦	٥٦	٤٤	١٩	٣٢	٨٠٠	٤٤	٢٥	١٣	٤٨	٢٨
الخميس	٢٤	١٦	١٥	٥٦	٤٤	١٩	٣٢	٠٠	٤٣	٢٤	١٢	٤٧	٢٨
الجمعة	٢٥	١٧	١٤	٥٥	٤٤	١٩	٣٣	١	٤١	٢٢	١١	٤٦	٢٨
السبت	٢٦	١٨	١٣	٥٤	٤٤	١٩	٣٤	٢	٣٩	٢١	١١	٤٦	٢٩
الاحد	٢٧	١٩	١٢	٥٤	٤٤	١٩	٣٤	٣	٣٨	٢٠	١٠	٤٥	٢٩
الاثنين	٢٨	٢٠	١١	٥٣	٤٤	١٩	٣٥	٤	٣٧	١٩	١٠	٤٤	٢٩
الثلاثاء	٢٩	٢١	١٠	٥٣	٤٤	١٩	٣٥	٥	٣٥	١٨	٩	٤٤	٢٩

أم المؤمنين
السيدة أم حبيبة رضي الله عنها

اسمها : رملة بنت ابى سفيان صخر بن حرب بن أميه بن عبد شمس الاموية .
أمها : صفية بنت ابى العاص بن امية .

مولدها : ولدت قبل البعثة بسبع عشرة سنة .

اسلامها : اسلمت هي وزوجها عبيد الله .. وقاست ما قاست من اضطهاد أهلها وتعذيبهم لها .

هجرتها : لم تجد بدا من الهجرة بصحبة زوجها عبيد الله الى الحبشة فرارا بدينها .. تاركة الاهل .. مفارقة الديار .. رغم أنها كانت حاملا .. وهناك وضعت ابنتها « حبيبة بنت عبيد الله » .. وصارت تكنى بها « أم حبيبة » . وفى المهجر ارتد زوجها عبيد الله عن الاسلام .. واعتنق النصرانية .. فاصابها هم كبير .. فقد اصبحت وحيدة فى دار الهجرة .. حيث فارقها زوجها ..

زواجها : ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنبأها أرسل الى النجاشي يطلبها منه فجاءها رسول النجاشي ــ جارية تدعى (ابرهة) ــ تقول لها : « ان الملك يقول لك : وكلى من يزوجك من نبى العرب فقد أرسل اليه ليخطبك له » ..
فوكلت : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية .
فقال له النجاشي : « زوجها من نبيكم ، وقد أصدقتها عنه اربعمائة دينار » .
وبذلك تم زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فى المدينة : عادت أم حبيبة رضى الله عنها من أرض الحبشة لتحتفل المدينة بها زوجة فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولتكون أما للمؤمنين .

روايتها للحديث : روت عن النبى صلى الله عليه وسلم احاديث .. كما روت حبيبة ابنتها عن زينب بنت جحش أم المؤمنين .

وفاتها : رحلت الى جوار ربها فى سنة ٤٤ من الهجرة فى خلافة معاوية .. ودفنت بالبقيع . رضى الله عنها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغــازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
تونـــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســا .
المغـــرب	:	الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧) .
الأردن	:	عمــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جــدة : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــــدة .

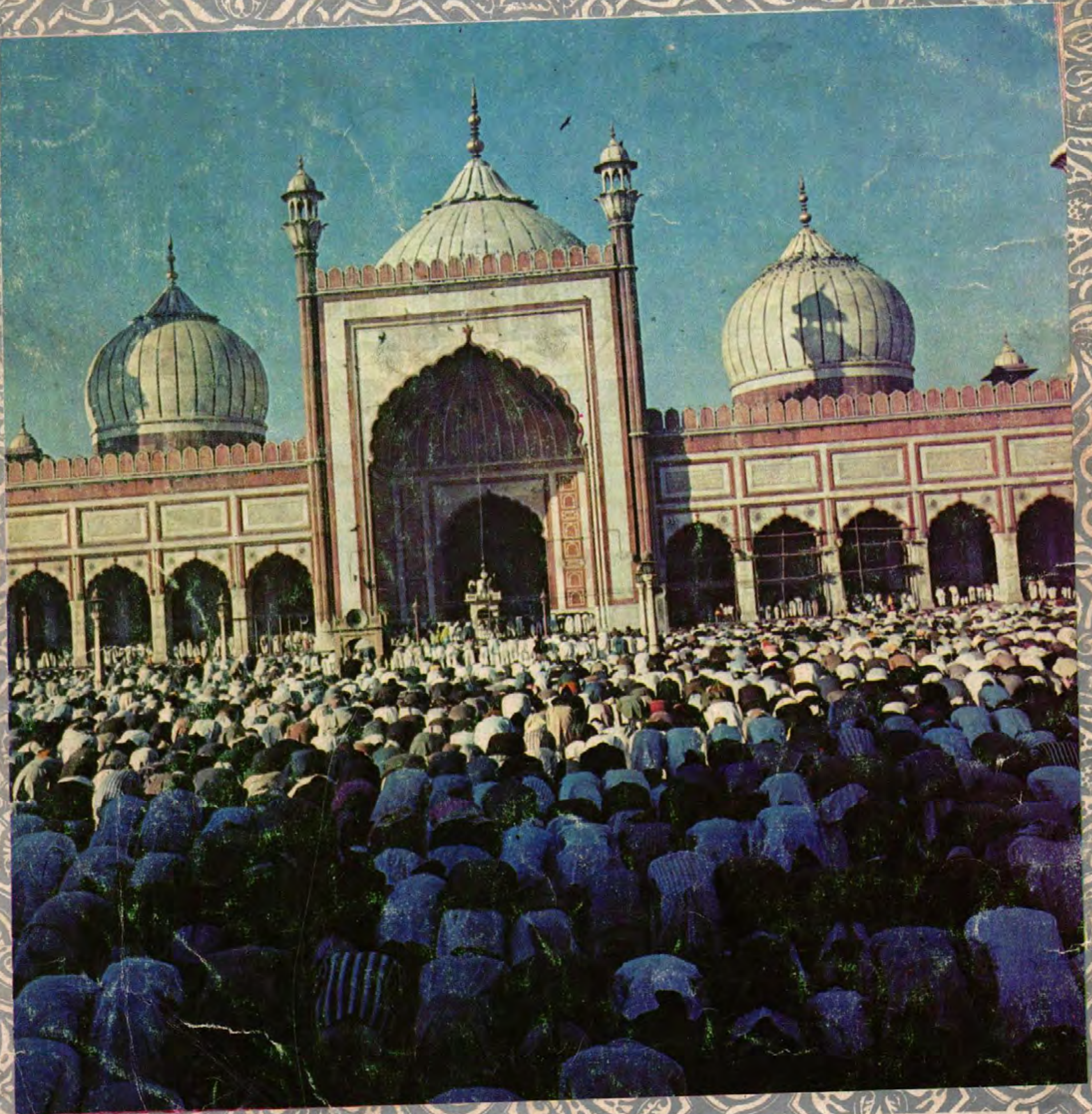
ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

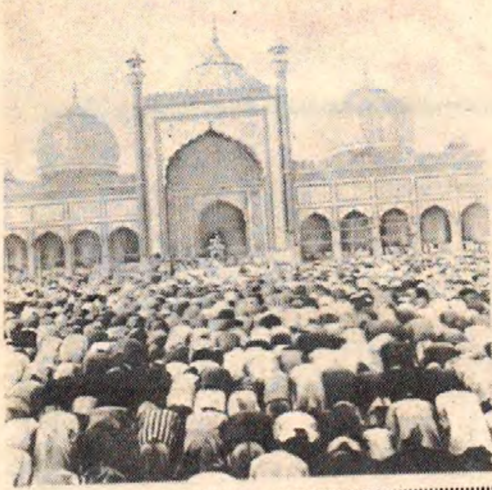


السنة العاشرة — العدد ١١٣ — جمادى الأولى ١٣٩٤ هـ — مايو ١٩٧٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم
له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء
وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم

١٣٧٤



المسجد الجامع بمدينة دلهى فى الهند ويعتبر هذا المسجد من أكبر وأفخم المساجد وله شهرة تاريخية واسعة وقد شيده الامبراطور شاه جيهان ويرى فى الصورة جموع المسلمين أثناء تادية صلاة الجمعة .

الوعى الاسلامى

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العدد ١١٣

جمادى الأولى ١٣٩٤

مايو (ايار) ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى — وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ — كويت — هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾
فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

يخطىء من يظن ان المرأة فى الجاهلية كانت صفرا ، لا راى لها ولا وزن .

ان التأمل فى النشاط النسائى ــ عند ظهور الاسلام ــ يفيد ان المرأة كانت صديقا للدعوة ، له آثاره النافعة وانها ــ كذلك كانت خصما، له خطره المحذور .

وقبل أن نذكر عداوة أم جميل ــ زوج أبى لهب ــ للدعوة الاسلامية، وتحاملها السيىء على الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ نريد أن نذكر نماذج لبعض النسوة اللائى وسعن رقعة الاسلام ، وشرحن به صدورا ضيقة ، أو انرن به عقولا كانت مظلمة .

اخرج أحمد عن أنس ــ رضى الله عنه ــ ان ابا طلحة ــ رضى الله عنه ــ خطب أم سليم ــ رضى الله عنها ــ (يعنى قبل ان يسلم) فقالت : يا ابا طلحة ألست تعلم ان الهك الذى تعبد نبت من الارض ؟ فقال بلى . قالت : أفلا تستحى تعبد شجرة ؟ ان اسلمت فانى لا أريد منك صداقا غيره .

قال حتى انظر فى أمرى فذهب ثم جاء فقال : أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله .

واخرج الواقدى ، وابن عساكر ، عن عبد الله بن الزبير ــ رضى الله عنهما ــ قال : لما كان يوم الفتح ، أسلمت أم حكيم بنت الحارث بن هشام ــ امرأة عكرمة بن ابى جهل ثم قالت أم حكيم : (يا رسول الله ، قد هرب عكرمة منك الى اليمن ، وخاف أن تقتله فآمنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ (هو آمن) ، فخرجت فى طلبه ــ ومعها غلام لها ــ فادركته ، وقد انتهى الى ساحل من سواحل تهامة فركب البحر فجعل نوتى السفينة يقول له : اخلص قال : اى شىء اقول ؟ قال : قل (لا اله إلا الله) . قال عكرمة ما هربت الا من هذا فجاءت أم حكيم على هذا من الامر فجعلت تلح عليه وتقول : يا بن عم جئتك من عند أوصل الناس ، وابر الناس ، وخير الناس ، لا تهلك نفسك فوقف لها حتى أدركته ..

فقالت : انى قد استأمنت لك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: أنت فعلت ؟ فقالت نعم أنا كلمته فأمنك فرجع معها ــ وقد شرح اللــه بالاسلام صدره ــ فلما دنا من مكة قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لاصحابه (يأتيكم عكرمة بن ابى جهل مؤمنا مهاجرا فلا تسبوا أباه ، فان سب الميت يؤذى الحى ، ولا يبلغ الميت ، فلما التقى برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال له ، بعدما أعلن اسلامــه ، ووثق بالحق صلته ــ : أما والله يا رسول الله لا أدع نفقة كنت انفقها فى صد عن سبيل الله الا أنفقت ضعفها فى سبيل الله ، ولا قتالا كنت أقاتل فى صد عن سبيل الله ، الا أبليت ضعفه فى سبيل الله . ثم اجتهد فى القتال حتى قتل شهيدا .

من السبب فى هذا الخير ؟ من صانع هذه البطولة ؟ زوجة مؤمنة مخلصة متحركة أدت واجبهــا ، ونصحت لله ورســوله ، فكانت يمنا على رجلها ودينها .

كانت زوج أبى لهب تستطيع أن تكون واحدة من اولئك السيدات الراشدات المرشدات ، لكنها كانت امرأة شريرة ، سيطر الحقد علــى فؤادها فراحت تبعثر الفتنة هنا وهناك .

أغرت أبا لهب بالكفر ، فكفر وصد عن سبيل الله ، وصبت غضبها على بنات النبى صلى الله عليه وسلم فأغرت بتطليقهن ، وهددت بيوتا كانت مستقرة ، وأخذت تنتقل فى أحياء قريش توغر الصدور على رسول الله ، وتضع العوائق امام دعوته .

وقد عبر القرآن عن هذه السيدة الشرسة بقوله ــ جل شانه ــ (تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب .فى جيدها حبل من مسد)

ولم تكن امرأة أبى لهب ممن يحملن الحطب للوقود فى بيوتهن ، ــ فهى امرأة غنية عريضة الجاه ، انها بنت أبى سفيان ، وامرأة رجل من عظماء بنى هاشم ولديها من الخدم ما يكفيها هذا العمل ــ ولكن المقصود بهذه العبارة أنها تشعل الفتن ، وتثير النفوس ضد محمد ، وانها تحكم الوسائل لبلوغ هدفها ، ولا تتراجع عن كيد بدا لهــا .. وهذا سر التعبير بان فى عنقها حبلا من مسد ، والمسد هو الصوف ، والتركيب كله يعنى انها تحارب الاسلام بعنف ، وتوغر الصدور ضد نبيه ، وتنشر الاشاعات المثبطة ، والانباء المحرضة على النيل منه .

وأرى أنها السبب فى ضلال زوجها ، فهو من هذا الصنف الــذى يتبع امرأته ويطلب رضاها ، ولو كان فى ذلك حتفه ، وقد كان أبولهب أول المكذبين لرسول الله مع أنه عمه الشقيق ، وهو لــم يكذبه فقط بل انطلق وراءه ينفر منه ، ويحول دون دخول الناس فى دينه ، روى عــن طارق المحاربى انه قال : رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى السوق يقول : أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ، ورجل خلفه يرميه بالحجارة ، وقد أدمى عقبه ويقول : لا تطيعوا محمدا فانه كذاب فقلت : من هذا ؟ قالوا : محمد وعمه أبو لهب .

لم يكن هذا المسلك جديدا من أبى لهب فانه منــذ سمع بنبوة محمــد ودعوة التوحيد عارض بعنف ذلك الدين الحنيف ، وخاصم الرسول الكريم،

ولم تحجزه قرابته عن عمل شائن يسيء به الى ابن اخيه ، واستعان بغناه ووجاهته على مقاومة الاسلام فى كل مكان .

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : لما نزلت الآية (وأنذر عشيرتك الاقربين) صعد النبى — صلى الله عليه وسلم — على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر ، يا بنى عدى — لبطون قريش — حتى اجتمعوا، فجعل الذى لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لنظر ما هو ؟ فجاء ابولهب وقريش ، فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا . قال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبا لك سائر هذا اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فنزل قوله تعالى (تبت يدا ابى لهب وتب ..)

وروى ابن الاثير قال جعفر بن عبدالله بن أبى الحكم لما أنزل الله على رسوله (وأنذر عشيرتك الاقربين) ، اشتد ذلك عليه ، وضاق به ذرعا فجلس فى بيته كالمريض فأتته عماته يعدنه فقال ما اشتكيت شيئا. ولكن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى — فقلن له فادعهم ولا تدع أبالهب فيهم، فانه غير مجيبك — فدعاهم فحضروا ومعهم نفر من بنى المطلب بن عبد مناف ، فكانوا خمسة وأربعين رجلا ، فبادره أبو لهب وقال (هؤلاء هم عمومتك ، وبنو عمك فتكلم ودع الصباه ، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وأنا أحق من أخذك فحسبك بنو أبيك، وان أقمت ما أنت عليه، فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش ، وتمدهم العرب فما رأيت أحدا جاء على بنى أبيه بشر مما جئتهم به) فسكت رسول الله ولم يتكلم فى ذلك المجلس . ثم دعاهم ثانية وقال (الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له . ثم قال ان الرائد لا يكذب أهله ،والله الذى لا اله الا هو انى رسول الله اليكم خاصة والى الناس عامة والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن ، وانها للجنة أبدا ، او النار أبدا) .

فقال أبو طالب ما أحب الينا من معونتك ، وأقبلنا لنصيحتك ، وأشد تصديقنا لحديثك وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون ، وانما أنا أحدهم ، غير أنى أسرعهم الى ما تحب ، فامض لما أمرت به ، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك غير أن نفسى لا تطاوعنى على فراق دين عبد المطلب .

فقال أبولهب : هذه والله السوأة خذوا على يديه قبل أن يأخذه غيركم ، فقال أبو طالب : والله لنمنعنه ما بقينا .

وبلغت الخسة بابى لهب وامرأته مداها عندما أمرا ابنيهما بتطليق بنات الرسول صلى الله عليه وسلم .

ان الحقد على الدين الجديد ، تادى بهما الى هذا التصرف النابى ، فعاقبا أولاد محمد بهذه القطيعة الشاذه ، فكان عاقبتهما أن حقت فيهما كلمة الله ، فقد هلك أبو لهب ومات مفجوعا بانتصار المسلمين فى بدر ، ثم انتقل الى آخرته ليصلى نارا ذات لهب .

وجمع العذاب بينه وبين قرينته هناك مصداق قوله تعالى : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم) .

لعالم كبير

القصص القرآنية

١

للأستاذ : محمد عزة دروزة

- ١ -

تشغل القصص حيزا كبيرا فى القرآن الكريم . وقد شغلت نتيجة لذلك حيزا كبيرا فى كتب التفسير . وتشغل دائما أذهان قارئى القرآن من مسلمين وغير مسلمين ولا سيما الذين يأخذونها على موضوعيتها التاريخية فيكون منهم المتوسع ومنهم المستنبط ومنهم المتسائل ومنهم الحائر ومنهم المتحفظ أو المشكك .

ولقد قرأنا فى الوعى الاسلامى أكثر من مقال فى صدد القصص القرآنية ومداها . وهذا بحث تناول هذه المسألة بأسلوب ومدى آخرين نرجو ان يكون فى نشره الفائدة ان شاء الله .

- ٢ -

أولا : فى القرآن شواهد وقرائن عديدة تدل على ان ما ورد فيــه من قصص وأخبار الأمم السابقة واحداثها وانبيائها بما فى ذلك معجزات الأنبياء عليهم السلام وما وقع على الأمم الجاحدة من عذاب الله ونكاله لم يكن غريبا عن سامعى القرآن لأول مرة اجمالا سماعا أو مشاهدة آثار أو اقتباســا

وتناقلا . وسواء منه ما هو موجود فى أسفار وكتب أهل الكتاب وغيرهم المتداولة مماثلا او زائدا او ناقصا او مباينا لما جاء فى القرآن . أم ليس موجودا فيها مما يتصل بالأمم والأنبياء الذين وردت اسماؤهم فيها مثل قصص ابراهيم عليه السلام المتعددة مع قومه وتسخير الجن والريح لسليمان عليه السلام ومائدة المسيح عليه السلام . او مما يتصل بغيرهم من الأمم والبلاد العربية وأنبيائها مما لم يرد اسماؤهم فيها مثل قصص ثمود وعاد وسبأ وتبع وشعيب ولقمان .

من ذلك هذه الآيات التى لها امثال اخرى :

١ — « **ألم يأتهم(١) نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** » التوبة : ٧٠ .

٢ — (**بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما ارسل الأولون ..**) الانبياء : ٥ .

٣ — « **وأن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود . وقوم ابراهيم وقوم لوط . وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير . فكاين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد . أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور** »(٢) الحج : ٤٢ — ٤٦ .

٤ — « **ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا** »(٣) الفرقان : ٤٠ .

٥ — « **وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين** » العنكبوت : ٣٨ .

٦ — « **وان لوطا لمن المرسلين . اذ نجيناه وأهله أجمعين . الا عجوزا فى الغابرين . ثم دمرنا الآخرين . وانكم لتمرون عليهم مصبحين . وبالليل أفلا تعقلون** »(٤) الصافات : ١٣٣ — ١٣٨ .

ولقد جاء فى سورة القلم التى هى ثانية سورة فى ترتيب النزول هذه الآيات :

« **فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم . لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم . فاجتباه ربه فجعله من الصالحين** » القلم : ٤٨ — ٥٠ .

فالاكتفاء بهذه الاشارة الخاطفة الى قصة يونس ونعته بصاحب الحوت فى هذه السورة المبكرة جدا فى النزول دليل قاطع على أن هذه القصة لم تكن مجهولة عند النبى صلى الله عليه وسلم والسامعين قبل البعثة . واذا كانت سور اخرى نزلت بعد واختوت تفصيلا اكثر عن القصة مثل ما جاء فى آيات سورة الصافات ١٣٩ — ١٤٨ فالمتبادر أن لذلك حكمة سامية . ولكنها لا تنقض الدليل من دون ريب . وهذه القصة واردة بتفصيل فى سفر يونان بن متاى من أسفار العهد القديم المتداول اليوم فى أوساط الكتابيين . وهناك حديث رواه مسلم وأبو داود عن النبى صلى الله عليه وسلم جاء فيه : (ما ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) ونسبه الى أبيه . واسم الأب لم

يرد فى القرآن . وانما فى سفر يونان بصيغة (متاى) وفى سيرة ابن هشام حديث يذكر أن النبى حينما ذهب الى الطائف قدم له غلام طبقا عليه قطف عنب فسمى أولا باسم الله ثم أكل فأكب الغلام على يده يقبلها ويقول ان هـذا كلام لا يقوله اهل هذه البلاد . فسأله النبى من اى بلد هو . فقال له انه من نينوى فقال له بلد يونس بن متى . فقال له ومن أين عرفت يونس بن متى . فقال له هو نبى أنا نبى مثله . ونينوى لم تذكر فى القرآن وانما ذكرت فى السفر المذكور .

ومثل هذا يقال فى الاشارة الخاطفة المقتضبة فى سورة المزمل ثالث سورة فى ترتيب النزول الى فرعون وهى (**انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا . فعصى فرعون الرسول فاخذناه أخذا وبيلا**) ١٥ ، ١٦ .

فان قصص موسى وفرعون مما كان معروفا متداولا فى بيئة النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ومبثوثا بسعة فى أسفار العهد القديم التى كان يتداولها أهل الكتاب فيها ، وفى آية سورة القصص هذه (**فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى**) ٤٨ . دليل قاطع على أن هذه القصص كانت معروفة عند أهل بيئة النبى صلى الله عليه وسلم من المشركين العرب قبل البعثة .

ومثل هذا يقال أيضا فى أولى اشارة الى قصة صالح عليه السلام وقوم ثمود وناقتهم فى سورة الشمس التى هى من السور المبكرة جدا فى النزول وهى : (**كذبت ثمود بطغواها . إذ انبعث أشقاها . فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها . فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها**) ١١ — ١٤

فالاشارة المقتضبة فى سورة مبكرة جدا دليل على أن سامعى القـرآن يعرفون القصة . وهى قصة عربية . ومنازل ثمود وآثارهم فى حدود الحجاز الشمالية مما يسمى اليوم مدائن صالح . ولا ريب فى أن قصة النبى صـالح عليه السلام وقومه وناقته ودمارهم من القصص التى كان يتداولها أهل بيئة النبى صلى الله عليه وسلم جيلا بعد جيل فجاءت أولى الاشارات اليها مقتضبة لأنهم يعرفونها . وفى سـورة العنكبوت آية ٣٨ تذكرهم بأنهم يعرفون ذلك معرفة مشاهدة وسماع معا وهى : (**وعـادا وثمـود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين**)

ومثل هذا يقال أيضا فى الاشارات المقتضبة الواردة فى آيات سورة (ص) ١٢ و ١٣ وسورة (ق) ١٢ — ١٤ وسورة (الفجر) ٦ — ١٤ الى الأقوام حيث يصح القول بجزم ان هذه الاشارات دليل على أن السامعين للقرآن من العرب يسمعون أسماء اقوام يعرفون قصصها قبـل أن يتنزل القرآن الكـريم .

- ٣ -

ثانيا : ان القصص القرآنيـة لم ترد فى القـرآن لذاتها وموضوعها التاريخى وانما وردت للعظة والتذكير والافحام والالزام والتنديد والوعيـد والتسلية والتثبيت وبكلمة أخرى قصدت الرسالة المحمدية ، وهذا ظاهر فى

اسلوب جميع القصص القرآنية الذى لم يكن سردا تاريخيا ، والذى تخلله الوعظ والارشاد والتبشير والانذار . بل الذى جاء سبكه وعظا وارشادا وتبشيرا وانذارا وتنبيها وتذكيرا . ثم فى سياق ايراد القصص حيث تورد على الأعم الأغلب عقب التذكير والتنديد والتسلية والتطمين والموعظة وحكاية مواقف الكفار وعنادهم وحجاجهم أو بين يدى ذلك . ثم فى تكرار القصص فى سور عديدة وبأساليب وصيغ متنوعة ومختلفة بعض الشىء لسبب تنوع وتجدد المواقف النبوية دعوة وحجاجا وتنديدا وبيانا وعظة وتذكيرا وانذارا وتبشيرا سنين طويلة . وتجاه فئات مختلفة مما هو مبثوث فى مختلف السور وبخاصة المكية وفى غنى عن التمثيل مع بروز القاسم المشترك الذى يجمع بين هذه الصيغ وهو الاسلوب من جهة ، وقصد العظة والتذكير والمثل من جهة ، ولكون ما جاء فيها مما ليس قريبا كليا أو جزئيا عن الســـامعين من جهة .

ونلفت نظر القارىء الى آيات سورة الحج ٤١ ــ ٤٦ وآية ســـورة العنكبوت ٣٨ وآيات سورة الصافات ١٣٢ ــ ١٣٨ التى اوردناها قبل ثم الى آية سورة الأنعام هذه (**ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبا المرسلين**) ٣٤ حيث يبدو هذا الهدف صريحا قاطعا وماثلا أمامه . وفى سورة يوسف هذه الآية بعد تفصيل قصة يوسف واخوته التى تخللها حكم ومواعظ وعبر عديدة (**لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**) ١١١ حيث يبدو الهدف المذكور صريحا وقاطعا أيضا كما يبدو فيها دليـــل أو قرينـــة على النقطـــة الأولى .

اما كون القصص لم ترد لذاتها وموضوعها التاريخى فانه بالاضافة الى ان هذا متمثل فى تكرارها وتنوع صيغها واساليبها وهدف العظة والعبرة البارز عليها فانه متمثل فى كون ما جاء فيها ليس فيه سرد للتاريخ والأحداث وفيه كثير من الثغرات أو الحلقات المفقودة من ناحية الموضوعية التاريخية ، مما هو ملموح فيها حتى فى ما قد يبدو أنه قصة متكاملة مثل قصة يوسف وموسى وفرعون وبنى اسرائيل . ويستطيع القارىء أن يتبين ذلك بسهولة وهذا يغنى عن التمثيل .

- ٤ -

ثالثا : ان القصص القرآنية من المتشابهات التى يحتمل كثير من صيغها وعباراتها وجوها عديدة للتأويل أو التى فى بعض صيغها وعباراتها ما يعجز العقل الانسانى عن ادراك سره وتأويله . ويكون من واجب المؤمن المخلص أن يكتفى بالقول (**آمنا به كل من عند ربنا**) كما علمنا الله عز وجل فى قوله : (**هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنـــة وابتغـــاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الألباب**) آل عمران (٧) .

وهذا ماثل فى كثير من آيات القصص وصيغها المتنوعة لا يعيا عن لمحها المتوسطون فى الثقافة فضلا عن الراسخين .. ومن الأمثلة البارزة على ذلك قصة خلق آدم فقد ذكرت آية البقرة (٣٠) أن الله سبحانه أراد من خلقه أن يجعله ويجعل نسله خلفاء فى الأرض . ومع ذلك فانه أسكنه الجنــة مع زوجته ولم يخرجهما منها الى الارض الا عقوبة على اكلهما من الشجرة الممنوعة كما جاء فى آيات البقرة (٣٥ ــ ٣٧) وغيرها . وقد ذكر فى بعض الآيات أن الله خلقه من تراب (٥٩ آل عمران مثلا) وفى بعضها أنه خلقه من طين (سورة ص ٧٦ مثلا) وفى بعضها انه خلقه من صلصــال كالفخار (سورة الرحمن ١٤) وفى بعضها أنه خلقه من صلصال من حمــأ مسنون (سورة الحجر ١٨) وخوطب فى بعضها جميع الناس فى معرض خلق الانسان الاول (سورة الأعراف ١١) و (سورة المؤمنون ١٢ ــ ١٥) و (السجدة ٧ ــ ٩) وذكر فى بعضها مراجعة الملائكة لله وحوارهم معه فى صدد خلق آدم وخلافته فى الأرض . وان الله علم آدم الأسماء كلها . وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا الا إبليس فطرده الله فطلب إنظاره فأنظره الله فآلى على نفسه أن يغوى ذرية آدم (سورة البقرة ٣٠ ــ ٣٦) و (سورة الأعراف ١١ ــ ١٨) و (سورة ص ٧١ ــ ٨٥) .

فمما احتوته هذه الآيات ما يتحمل تأويله وجوها عديدة . ومنه لا يدرك سره عقل الانسان . وقد يقاس على ذلك ما جاء فى قصص سليمان وداود فى سورة النمل وسبأ و ص وغيرها وغيرها .

— ٥ —

ومن الحكم المتبادرة فى النقطة الأولى أن المخاطبين يتأثرون بما احتوته الحادثة أو القصة التى تورد عليهم من موعظة ومثل أو تذكير أو زجر أو تنبيه أو دعوة الى الاعتبار والارعواء والتأسى والتدبر فى العاقبة اذا كانت مما يعرفونه أو يسمعون عنه حتى ولو كان فى نطاق هذه المعرفة والسماع ضيق من حيث التفصيل أو عدد الأشخاص العارفين والسامعين . أما اذا لم يكن أحد يعرف ذلك فان الكلام لا يستحكم الالزام والافحام والتأثير والعبرة ، ولا سيما على مخاطبين جاحدين لأصل الدعوة التى يراد التذكير بمواقف الغير والسابقين من مثلها ومصائرهم بسبب هذه المواقف أو جاهلين للحادثة التى يراد استخراج العبرة من سيرها وظروفها وعواقبها .

وملاحظة ذلك مع ملاحظةهدفالقصص القرآنية وكونها لم ترد لذاتها أو للسرد التاريخى ومع ملاحظة أن كثيرا من عباراتها يدخل فى نطاق وصــف المتشابهات التى تحتمل وجوها عديدة للتأويل أو التى يعجز عقل الانســان عن سرها وتأويلها ضرورية بل واجبة على من حسنت نيته من الناظرين فى القرآن والراغبين فى فهم مداه . ومن شأن ذلك أن يعصمه من الاستغراق فى ماهيات ووقائع ما احتوته من اشارات الى أحداث ووقائع وأشخاص . وأن يغنيه عن التكلف والتجوز والتمحل فى التخريج والتأويل والتوفيق . وأن ينجيه من الحيرة أو التساؤل فى صدد تلك الماهيات والوقائع . وأن يجعــله

يبقى القرآن الكريم فى نطاق قدسيته وهدفه من التذكير بالمعروف والارشاد والعظة والعبرة . ولا يخرج به الى ساحة البحث فى الوقائع وما يكون من طبيعته من الأخذ والرد والنقاش والجدل والتشكيك علي غير طائل ولا ضرورة . ولا سيما أنها ليست من المحكمات والأسس الدينية وانما هى كما قلنا من الوسائل القديمة والمتشابهات التى لا ضرورة دينية للاحاطة بوقائعها وماهياتها ومداها ولا للتوسع والتزيد فيها فى سياق تفسير القرآن وفهمه .

واذا كان غير واحد من المفسرين المطولين قد تورطوا فى ذلك وأوردوا بيانات كثيرة على هامشها فيها كثير من الخيال والاغراب والتكلف حتى شغل ذلك الحيز الأكبر من كتبهم وصارت القصص نتيجة لذلك قديما وحديثا شاغلة لأذهان الناس والمسلمين . وكادت تغطى على أهداف القرآن ومحكماته . وصارت مثار جدل بسبيل اثباتها وانكارها وتعليلها . واستكشاف الحقائق والأحداث التاريخية منها حتى تعرض القرآن للجدل والنقاش بسببها فان القرآن لا يتحمل مسئوليته . وان كان ذلك يدل على أن بيئة النبى صلى الله عليه وسلم كانت تتداول كثيرا من الروايات المتصلة بهذه القصص وبالتالى يؤيد ما قلناه من أن أهل هذه البيئة كانوا يعرفون ويتداولون الشىء الكثير منها . وانما يتحمل مسئوليته الذين رووا وتوسعوا وتزيدوا وتكلفوا وجمعوا الغث والسمين والخيال والمبالغة مع الحقائق والمعقول وغير المعقول ثم الذين دونوها فى كتبهم بدون غربلة وكانوا جديرين بذلك ، فكان حصيلة ذلك تلك الفصول الطوال التى يسميها بعضهم بالاسرائيليات والتى شغلت أذهان الناس وشوشت على أهداف القرآن ومحكماته وما تزال . ولا سيما أن فى القرآن كما شرحنا الدليل الناصع القاطع على أن ذلك ليس من أهداف قصصه وأن أهداف قصصه هى العظة والعبرة والانذار والتبشير والتسلية والتطمين . ويظل الوقوف منها عندما اقتضت حكمة التنزيل ايحاؤه منها بالأسلوب الذى أوحى به هو الحق الأولى بالقول والتقرير . مع واجب التنبيه على أن آيات القصص جاءت بأسلوب يجعل ما احتوته من هذه المقاصد غير قاصر على سامعى القرآن لأول مرة . بل شاملا وعاما ومطلقا على الأعم الأغلب ليكون كذلك بالنسبة للأجيال الانسانية التالية الى ما شاء الله ليجدوا فيها العبرة والعظة والتلقين والتوجيه والتشريع والطمأنينة ، وهو الأسلوب الذى تميز به القرآن الكريم ورشحه للحضور والشمول .

---

(١) الضمير عائد لكفار العرب السامعين باسلوب انكارى يفيد الايجاب .
(٢) الآية الاخيرة تفيد أن السامعين عرفوا اخبار السابقين ونكال الله بهم اثناء تطوافهم فى بلادهم .
(٣) الآية تفيد انهم رأوا القرية التى امطرت مطر السوء وآثار ذلك .
(٤) المقصود هم قوم لوط وبلادهم المدمرة الواقعة على ضفاف بحيرة لوط فى غور الاردن . وكان تجار الحجاز يمرون بها اثناء ذهابهم الى فلسطين ومصر للتجارة وعودتهم فيرون آثار الدمار ويسمعون قصته .

ولاية الرّجل على نفسه

في الطلاق وتعدّد الزوجات

للدكتور محمد البهى

مقال يستهدف توضيح راى القرآن فى حق الرجل فى الطلاق .. وفى حقه كذلك فى تعدد الزوجات ، وقد شوهت الرغبة الملحة فى تقليد الغرب فى شئون الأسرة فيه راى الاسلام فى هذين الامرين .

ورسالة الاسلام يوم ان جاء الوحى فيها بتاصيل هذين الحقين للرجل قصدت الى ابعاد كثير من الأضرار التى تصيب البشرية . ويقضينا النصح لله ورسوله ان يعلم المسلمون امر دينهم .

استقلال المجتمعات الاسلامية من الاستعمار العسكرى لم يكن استقلالا لها عن نفوذ التوجيه الاجنبى ، الذى ارتكز فيها على مطاردة الاســــلام من الحياة الاسلامية فى مجالات : السياسة .. والتشريع .. والاقتصـــــاد .. والروابط الاجتماعية .. والأحوال الشخصية أو شئون الاسرة .

ويعود توجيه الاستعمار الذى كان يمارســــه فى هذه المجتمعات الى ما يسميه بالفصل بين الدين والدولة ، أو الى ما يعرف باسم العلمانية . ويتضح هذا الفصل بين الدين والدولة فى هذه المجتمعات فى أن تأخذ الدولة فى اتجاه معين لها فى حياة المجتمع بتوجيه للغرب مثلا ، وتترك توجيه الاسلام فيه يقرأ فى كتب التراث وحدها ، ولا يتعدى ترديد المشتغلين بالفقه الاسلامى له فى الدراسة ، أو فى العرض النظرى :

* ففى العلاقات الخارجية مثلا قد توالى الدولة فى المجتمع الاسلامى : أعداء الايمان بالله من أصحاب الوثنية المادية ، وربما تؤثرهم بالولاء والمودة على بعض المسلمين الذين يشاركون مجتمعها فى الايمان . بينما يبقى توجيــه القرآن هنا فى عزلة تماما عن صنيع الدولة .

فالقرآن ينهى عن موالاة الأعداء الملحدين الماديين بصفة عامة الا فى حالة واحدة ، وهى حالة اتقاء شرهم . اذ ترقب النفع منهم أمر لا يقع اطلاقا . يقول تعالى فى سورة آل عمران :

« لا يتخذ المؤمنون الـــكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء ، الا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، والى الله المصير » .

ويعلل القرآن ذلك فى سورة أخرى ، وهى ســـــورة الممتحنة ، بقوله سبحانه وتعالى :

« يا أيهـــا الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ، تلقون اليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق » .. الى أن يقول :

« ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ، ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ، وودوا لو تكفرون »(1) .

ولكى يزيد القرآن فى توضيح الأمر يعلن أنه لا يجتمــع ايمان بالله ومــودة لمـــادى ملحد فى نفس واحـــدة ، ولا يوجد مؤمنون بالله يوادون من حاد الله ورسوله :

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو اخوانهم ، أو عشيرتهم »(2) .

وعدم سؤال الدولة آنئذ فى المجتمع الاسلامى عن رأى الاسلام فى معاملة الأعداء ــ فضلا عن عدم تطبيقه ــ وسلوكها مع ذلك فى معاملتهم مسلكا آخر على النقيض هو فصل للدين عن الدولة فى المجال السياسى ، مهما أعلنت فى نظام حكمها عن أن الاسلام مصدر رئيسى فى التشريع ، وأنه الدين الرسمى للدولة .

* واذ جعلت الدولة فى مجال تشريعها ــ فى قانون العقوبات مثلا ــ أن الزنا جريمة شخصية ، على معنى اذا تم الزنا برضاء الطرفين فليست هناك عقوبة على أى من الزانى والزانية . واذا وقع الزنا من الزوجة وعفا زوجها

عنها تسقط اقامة الدعوى عليهـــا وعلى الزانى بها .. اذا نظرت الدولة الى الزنا على هذا النحو ، وتركت رأى القرآن ونظرته اليه جانبا : تكون الدولة فى المجتمع الاسلامى حينئذ قد فصلت بين الدين والدولة . لأن الاسلام يرى فى الزنا جريمة اجتماعية ، وليس جريمة شخصية ، وان وقعت بين شخصين . أى انه يرى فيه اعتداء على المجتمع ككل ، وليس اعتداء على عرض واحدة فقط . ولذا كانت عقوبة الزنا هى جلد الزانية والزانى مائة جلدة ، على مشهد من مجموعة من أعضاء المجتمع ، وفى غير رأفة اطلاقا على أى منهما . ولو أن الاسلام كان يرى فى الزنا جريمة شخصية لما أوجب العلن فى توقيع عقوبته ، ولأفسح مجالا للرأفة فى توقيع هذه العقوبة . يقول تعالى :

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين »(٣) .

والزنا فى نظر الاسلام يساوى قتل النفس بغير حق ، ويساوى سرقة المال من حرزه . فهى الجرائم التى تصيب المجتمع كله ، ان وقعت . فاختلاط الانساب عن طريق الزنا .. واضعاف المجتمع عن طريق القتل .. وحرمان أصحاب الحاجة فى المجتمع من منفعة المال المسروق تصـــور أضرارا اجتماعيـــة توجه الى كيان المجتمع وقوته فى الكثرة والتماسك ، وان وقعت على بعض أفراد منه .

* وفى الاقتصاد ان أباحت الدولة فى المجتمع الاسلامى المعاملات المالية على أساس الربا وسعر الفائدة المصرفية تكون قد فصـــــلت بالفعل بين الدين والدولة . لأنها تتجاوز بذلك عندئذ رأى الدين فى الربا . فالاسلام يرى للربا آثارا مدمرة للمجتمع البشرى وهى آثار الصراع الطائفى . ولذا ينذر مجتمع المؤمنين بالحرب من الله ، ان استمر هؤلاء المؤمنون فى التعامل به ، واستمروا فى نظرتهم اليه على أنه مثل البيع فى نفعه وفى بعده عن الإضرار . يقول تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقى من الربا ، ان كنتم مؤمنين (أى ان كنتم قد تحولتم الى الايمان بالله فعلا ، من ماديتكم واتجاهكم المصلحى وحده) **فان لم تفعلوا** (فان لم تتركوا التعامل على أســـــاس من الربا) **فأذنوا بحرب من الله ورسوله** (وهى الحرب التى يثيرها أصحاب الحاجة ضد الأثرياء والمترفين على حساب المحرومين .. هى تلك الحرب التى تجعل آكل الربا غير مستقر وغير مطمئن فى حياته كالذى يتخبطه الشيطان من المس) **وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ، ولا تظلمون »** (٤) .

وصراع المجتمعات الغربية اليوم .. صراع الماركسية ضد الرأسمالية .. صراع الماديين ضد بعضـــهم بعضا ، هو صراع دفع اليـــه شـــــيوع الربا فـــى المعاملات المالية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فى أوروبا . والحربان العالميتان الاولى والثانية ـــ وكذلك الحرب العالمية الثالثة القادمة اليوم أو غدا ـــ من نتائج التوجيه المادى فى البشرية كدافع للمعاملات الربوية السابقة فى الغرب الصناعى .

ومجتمعات الغرب اليوم هى مجتمعات غير مستقرة .. هى مجتمعات قلقة كشأن من يتخبطه الشيطان من المس .

* وان أخذت الدولة بنظام التأمين الاجتماعى وتركت نظـــام الزكاة فى التكافل : تكون قد عزلت الاسلام أو الدين عن الدولة . فنظام الزكاة يختلف

كثيرا عن نظام التأمين الاجتماعي . فالزكاة السنوية ليست قسطا يؤديه المزكى لحسابه المادى ، كما يؤدى المؤمن قسطه المفروض عليه من التأمين . وانما هى عبادة وقربى لأصحاب الحاجة ، الذين حددتهم آيه التوبة فى قول الله تعالى .

« انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » (٥) .

وأنواع المصارف المختلفة للزكاة ــ كما ذكرتها الآية هنا ــ تغطى جوانب عديدة فى حياة المجتمع :

١ ــ تغطى جانب الحــاجة للفقير ، وهو العــاجز عن الكسب لعاهة أو شيخوخة .. وللمسكين ، وهو الذى لا يقوم دخله من عمله بمتطلباته اليومية هو وأسرته : « **انما الصدقات للفقراء ، والمساكين** » .

٢ ــ وتغطى جانبا من سياسة الدولة الاسلامية ازاء اضعاف قوة الأعداء ، عن طريق استمالة بعض منهم : « **والمؤلفة قلوبهم** » .

٣ ــ وتغطى تحرير الرقيق ، فردا أو مجتمعا ، ليعود له اعتباره البشرى : « **وفى الرقاب** » .

٤ ــ وتغطى جهد الخيرين من المؤمنين الذين يســــعون بين المؤمنين لاستمرار التماسك فيما بينهم ، أو يسعون لزيادة عدة المؤمنين واعدادهم لمواجهة الأعداء فينفقوا مالهم فى سبيل هذا أو ذاك : « **والغارمين** » .

٥ ــ وتغطى شئون الدعوة الى الله : « **وفى سبيل الله** » .

٦ ــ وتغطى أخيرا حاجة المار فى سفره من المسلمين ودعت حاجة سفره وبعده عن موطن اقامته الى كفالة المسلمين له .

والتأمين ــ وان كان صورة من صور التعاون بين مجموعات معينة من الأفراد ــ الا أن قصوره عن تغطية أهداف الزكاة من جهة ، وقيامه على أساس الالزام فى دفع القســـــط من جهة أخرى : يبعده عن أن يكون قربى الى الله خالصة ، كما يبعده عن أن يكون البديل عن الزكاة ، وأن يحل محلها فى تقوية أواصر الأخوة بين أفراد المجتمع .

* وان سلكت فى التوجيه مسلكا قوميا وجعلت من القومية وثنا .. أو سلكت فيه مسلكا أجنبيا تتبع فيه أيديولوجية غريبة عن تاريخ المجتمع وتراثه .. أو خرجت فيه عن أخلاقية الاسلام فشجعت أفلام الجنس ، والجريمة ، وقوت الاختلاط فى سن المراهقة بين الجنسين .. الخ . تصــبح الدولة فى المجتمع الاسلامى دولة علمانية أو دولة تقر الفصل بين الدين والدولة .

* وان الغت فى شئون الاسرة : المحاكم الشرعية التى كانت مختصة بشئون العلاقة بين الزوجين والولاية على النفس ، وأحالت أمر هذه الشئون الى دائرة من دوائر المحاكم التى تسيطر على تشريعها مصادر التشريع الاوربية .. وان قبلت باسم تنظيم النسل : شرعية الاجهاض ، واباحة صرف حبوب منع الحمل للبنت أو المراة غير المتزوجة .. وان قبلت باسم الانسانية مساواة الطفل غير الشرعى بالطفل الشرعى ، بعد أن تقر بما وقع من علاقة عابرة بين أبيه وأمه .. وان قبلت باسم حرية المراة أو تحريرها : مساواة المراة بالرجل فى الميراث .. ان قبلت هذا ومثله : تكون الدولة عندئذ قد فصلت فى شئون الاسرة بين الدين والدولة ، ويكون تصرفها عندئذ تصرفا علمانيا ، أى بعيدا عن الدين وفى عزلة منه .

* وان حاولت الدولة أن تسقط ولاية الرجل على نفسه فى الطلاق .. وفى تعدد الزوجات ، وتجعل للقاضي بدلا منه حق الترخيص بهما فى الأمرين : تكون الدولة آنئذ قد سارت بالعلمانية أو بفصل الدين عن الدولة الى نهاية الشوط فى شئون الأسرة .. وبالتالى الى ترك الاسلام كلية وابعاده عن مجالات العلاقات بين الأفراد ، الى خصوصياتهم .

ولكن عليها عندئذ أن تجلب العوض من الغرب فى شئون الاسرة : العوض عن حق الرجل فى الطلاق .. والعوض عن حقه كذلك فى تعدد الزوجات .. على معنى أن تستطرد الدولة فى التشريع فتلغى ما يترتب على الرجل مما كان مرتبطا بحقه فى الطلاق .. وتتيح له الفرصة التى كانت متاحة له فى مجال تعدد الزوجات فى صورة أخرى عن طريق التشريع كذلك .

* ان مباشرة الزوج لحق الطلاق فى الاسلام واضح ، وولايته على نفسه فى هذا الشأن أمر لا يشك فيه اطلاقا . فقوله تعالى :

« فان طلقها (أى طلق الزوج زوجته) **فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ، فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله ، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » (٦) .**

.. يسند طلاق الزوجة الى زوجها ، وليس لأجنبى عنه .. بجانب أن يعلن في هذا القول : أن الطلاق غير البائن يتضمن فرصة لعودة العلاقة الزوجية ان ظن الزوجان أن يسيرا فى هذه العلاقة مستقبلا ، وفقا لما يطلبه الله فيها من البعد عن الضرر والاضرار فى المعاشرة بينهما .. وان الطلاق البائن ، بعد فوات فرصة المراجعة : يصير الى تحريم الزوجة ، حتى تنكح زوجا آخر .

ويسمى هذه الأمور الثلاثة :

١ — مباشرة الزوج للطلاق .

٢ — وجواز مراجعة الزوجة من زوجها فى عدتها .

٣ — وعدم جواز نكاحها من زوجها ان بانت ، الا بعد أن تنكح زوجا آخر غيره : حدود الله .

فمباشرة الزوج حق طلاق زوجته حد من حدود الله . واسقاط هذا الحق بالتالى عنه ، واضافته الى القاضى : اغفال لحد الله فى كتابه .

ويرتب القرآن على مباشرة الزوج لهذا الحق فى طلاق زوجته : التزامه — ولو كان سوء العشرة من جانبها — بالانفاق على مطلقته ، ولو لم يكن قد دخل بها أو فرض لها مهرا ، فترة أخرى من الزمن بعد الطلاق ، يعينها على تدبير أمرها فى حياتها المستقبلة ، مما يسميه القرآن نفسه (متاعا) . وقد جاء ذلك بوجه عام فى قول الله تعالى :

« وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » (٧) .

وجاء كذلك عقب طلاق غير المدخول بها أو غير المفروض لها مهرا فى قوله جل شأنه :

« لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره ، متاعا بالمعروف ، حقا على المحسنين » (٨) .

فحق المتعة — أو حق الزوجة فى الانفاق عليها من زوجها بعد طلاقها منه — يعود الى استقلال الزوج بأمر الطلاق ، وولايته الذاتية على نفسه فى

هذا الشأن . فطالما هو كان صاحب المشيئة فى فراق زوجته ، ولو كان من أجل تجنبه أضرار معاشرتها له ، فانه يلتزم بحق المتعة لزوجته . وذلك هو منطق الحقوق . فان ممارستها تستتبع أداء واجبات للآخرين .

فاذا جاءت الدولة ـ تحت تأثير فصل الدين عن الدولة ـ فى مجتمع اسلامى وأسقطت فى تشريع الأحوال الشخصية حق الرجل فى مباشرة طلاق زوجته ، واضافته الى القضاء فانها يجب عندئذ أن لا تلزمه بأداء المتعة لمطلقته سنة عن كل خمس سنوات فى الحياة الزوجية مثلا ، أو سنة مرة واحدة ، الا اذا ثبت أنه كان السبب فى سوء العشرة الزوجية وفى الاضرار بزوجته . على نحو ما عليه تشريع الغرب العلمانى . اذ هذا التشريع يسقط نفقة المطلقة ان كانت هى السبب فى الفرقة بينها وبين زوجها .

على أن الزوج ـ فى نظر الاسلام ـ باستقلاله بحق الطلاق ليس مستعليا على المرأة ، ولا منفردا بحق ليس له نظير للمرأة فى عقد الزواج كما يروج من الحاقدين على الاسلام . فالزواج بين الذكر والأنثى هو عقد له خصائص العقود فى المعاملات . ومن أهم هذه الخصائص أن لا يكون مصدرا ولا مؤديا لضرر أحد الطرفين المتعاقدين ، فضلا عن أن يكون مصدر ضرر لهما معا .

فالزوجة ـ فى نظر الاسلام كذلك ـ ان تضررت بالحياة الزوجية رخص لها فى أن تعيد جزءا من مهرها لزوجها ، ورخص لزوجها عندئذ فى قبول ما تعيده اليه من هذا المهر ، كمقدمة لفسخ عقد الزواج بحكم القاضى ، اذا لم يسارع الزوج الى طلاقها .

والآية التى تحدد الطلاق كحق يباشره الزوج بثلاث مرات هى نفسها التى تعلن هذا الترخيص فى شأن المهر للزوجة وللزوج معا . يقول تعالى :

« الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف ، أو تسريح باحسان ، ولا يحل لكم (أيها الأزواج) **أن تاخذوا مما آتيتموهن** (أى من المهور) **شيئا الا أن يخافا** (الزوجان) **ألا يقيما حدود الله** (وهى تلك الحدود التى تطلب أن يكون الامساك بين الزوجين بالمعروف . أى بعيدا عن الضرر) ، **فان خفتم ألا يقيما حدود الله** (وذلك لوجود الضرر فى المعاشرة الزوجية ، ولو كان من جانب الزوجة وحدها) **فلا جناح عليهما** (أى على الزوجين فى تنازل الزوجة ، وقبول الزوج) **فيما افتدت به** (أى فيما أعادته من مهرها لزوجها تعبيرا عن فداء نفسها من أسر سوء المعاشرة الزوجية) **تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون » (٩) .**

فافتداء الزوجة ـ وهو ما يعرف فى الفقه الاسلامى بالخلع ـ هو السبيل لها فى طلب الفراق من زوجها ، ولكنه لا يصل الى مستوى الطلاق فى أن الزوجية تباشره ، كما يباشر الزوج حقه فى الطلاق ، فتتم الفرقة بينهما . وانما لاتمام الفرقة فى الخلع يجب أن ترفع الزوجة الأمر الى القضاء للحكم بفسخ عقد الزوجية بينها وبين زوجها .

والرأى الواضح فى الفقه الاسلامى فى شأن الخلع هو رأى ابن القيم فى أن الخلع فسخ للعقد يعلنه ولى الأمر ـ وهو القاضى ـ دون حاجة الى ارتباطه بطلاق الزوج . ويؤسس ابن القيم رأيه هذا على الأمور التالية :

أولا : أن عدة المختلعة هى شهر واحد ، أو حيضة ، وليست ثلاثة أشهر أو ثلاث حيضات . لأنها كارهة لمعاشرة زوجها . ولذا كان من التيسير عليها للخروج من أزمة زواجها واعطائها حرية الزواج من آخر أن تكون عدتها أقل

مدة ممكنة تدل على براءة الرحم . وهذه المدة هى الشهر . اما المطلقة فكانت عدتها ثلاثة أشهر لا لبيان براءة الرحم فقط ، ولكن لاعطاء فرصة لمراجعة الزوجة ، ابقاء على العلاقة الأسرية . وزيادة العدة للمتوفي عنها زوجها الى اربعة أشهر وعشر فلمعنى اجتماعى . وهو مشاركة الزوجة مشاركة وجدانية لأهل المتوفى فى وضع الاسرة بعد وفاته .

ثانيا : أن طلاق المختلعة طلقة واحدة لو تم من زوجها يعتبر طلاقا بائنا بينونة صغرى . أى طلاقا غير رجعى . ومعنى ذلك أن الزوج لا يجوز أن يراجعها بعد الطلقة الواحدة ، كما يمكن أن يفعل مع المطلقة طلاقا عاديا . وانما كل ما يمكن للزوج ان يفعله الآن بعد الطلاق الواحد — ان أراد العودة لزوجته — أن يعقد عليها عقدا جديدا . وعندئذ تتاح للزوجة الفرصة فى اختيار الزواج الجديد أو رفضه ، حسب مستوى كراهيتها لمعاشرة زوجها . والفقهاء اذ يطلقون على طلاق المختلعة بأنه بائن بينونة صغرى يقصدون أنه لا تحتاج الزوجة عند عقد زواجها مرة اخرى على زوجها السابق ، أن تنكح زوجا غيره ، كما فى الطلاق الثلاث .

ثالثا : لو كان الخلع طلاقا لكان عدد الطلقات أربعا ، بدلا من ثلاث . فالآية عندما تقول : **((الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف أو تسريح باحسان))** .. تجعل الطلاق الآن ثلاث مرات . فاذا جعل قوله فيما بعد فى الآية نفسها : **((فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به))** (وهو ما تعارف عليه الفقهاء باسم الخلع) طلاقا جديدا ، كان طلقة رابعة مضافة الى الطلقات الثلاث السابقة . والاجماع على خلاف ذلك .

ورأى ابن القيم هذا لم يؤخذ به فى تشريع الاحوال الشخصية فى المجتمعات الاسلامية لا لعدم الاعتداد به . ولكن لأن مذهب أبى حنيفة كان مذهب الخلافة الاسلامية فى تركيا ، واستمر التقليد على الأخذ به منذ الغاء الخلافة حتى الآن .

واذن : اذا كان الطلاق فى جانب الرجل وسيلة للفرقة بين الزوجين عندما يتضرر بالزوجية .. فالخلع فى جانب المرأة هو وسيلة الفرقة عندما تتضرر بها . وهنا يكون قول الله تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » . وكل ما فى الأرض من فرق هو أن مباشرة الزوجة حقها فى الفرقة يتوقف على ولاية القضاء . ويروى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد قضى فى شأن جميلة بنت عبد الله بى أبى ، زوجة ثابت بن قيس بن شماس عندما أتت اليه تشكو زوجها فسألها عليه السلام : أتردين عليه حديقته (وكانت الصداق الذى أصدقه اياها) ؟ قالت : نعم ، وزيادة . فقال النبى : أما الزيادة فلا ولكن حديقته ؟ قالت : نعم . فأخذها له وخلى سبيلها . فلما بلغ ذلك ثابت بن قيس بن شماس قال : قد قبلت قضاء رسول الله (١٠) . وفى رواية الربيع بنت معوذ : أن الرسول عليه السلام أرسل فى قضية جميلة : فى طلب زوجها ثابت وقال له : خذ الذى لها عليك (وهو الحديقة) وخل سبيلها . قال : نعم . فأمرها الرسول عليه السلام أن تتربص حيضة واحدة ، وتلحق بأهلها .

وعلى أية حال فان الخلع هو وسيلة الزوجة للفرقة ، كالطلاق فى يد الزوج . والاسلام بذلك لا يمكن طرفا فى العقد من اذلال الطرف الآخر أو الاستعلاء والسيطرة عليه كما يقال . كما لا يمكن أيا من الطرفين من الحاق الضرر بالطرف الآخر .

* واذا جاءت الدولة فى مجتمع اسلامى — تحت تأثير الفصل بين الدين والدولة ، أو تحت التأثر بحركة تحرير المرأة — وسلبت كذلك الرجل حقه فى تعدد الزوجات وجعلت النظر فى شأن هذا التعدد من اختصاص القضاء : فيجب عندئذ أن تعدل فى تشريع العقوبات وتفسح المجال لبديل عن هذا التعدد لا يكون محظورا على الرجال .. وهذا البديل هو قبول صـــور عديدة من صور الزنا واللواط على انها مشروعة لا يتناولها القانون بالعقوبة ، على نحو ما هو فى التشريع الغربى الآن الذى يمنع تعدد الزوجات . كتبادل الزوجات فى الاندية ، أو فى المساكن الخاصة .. وكالزواج الجماعى .. وممارسة اللواط لمن بلغ سن الواحدة والعشرين فأكثر .

فالقرآن عندما حرم الزنا ونهى عنه فى سورة الاسراء فى قوله تعالى :
« ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة ، وساء سبيلا » (١١) .
.. قرن ذلك باباحة تعدد الزوجات فى سورة النساء فى قول الله جل شأنه :

« وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء ، مثنى ، وثلاث ، ورباع (ويقول الزمخشرى فى تفسيره الكشـــاف ، وقيل كانــوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولايـــة اليتامى فقيـــل : إن خفتم الجور فى حق اليتامى ، فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ، ولا تحوموا حول المحرمات) (١٢) **فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة »** (١٣) .

فتعدد الزوجات من وجه : رخص به ليعين على حل مشكلة انتشار الزنا ، وهى المشكلة التى كانت متفاقمة — وتتفاقم عادة فى المجتمع المادى — ويساعد على تحويل المجتمع الاسلامى الى مجتمع انسانى يواجه مسئولياته ازاء المرأة والاولاد فى علن وصراحة . ولذا بعد نزول هذه الآية التى أباحت تعدد الزوجات الى أربع — وقد نزلت فى سورة النساء ، وهى السورة الرابعة فى الوحى المدنى — نزل حد الزنا فى السورة السادسة عشرة فى الوحى المدنى ، وهى سورة النور ، فى قوله تعالى :

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلــدة ، ولا تأخذكم بهمـــا رأفة فى دين الله ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (١٤) .

.. وهذا الحد يبرره وجود الترخيص ببديل مشروع فى نظر الاسلام عن الزنا الذى هو منـــكر فى رأيه . اذ عدم مشروعية الزنا يعود الى اختـــلاط الأنساب .. وضياع المسئولية الشخصية عن الاولاد الذين هم ثمرة العلاقة السرية الآثمة بين المرأة والرجل .. وضياع المسئولية كذلك ازاء المرأة التى تنتهك حرمتها وان كان برضاها ، بسبب لذة عابرة . والمجتمع السليم فى بنائه وتماسكه يتوقف على تحديد المســئوليات ومباشرتها . أى يتوقف على أداء الحقوق والواجبات .
وهكذا : اباحة تعدد الزوجات من شأنه أن يقلل فرص الزنا . بينما من شأن قصر الزواج على واحدة أنه يتيح الفرصة للزنا فى أشكال عديدة .

والغرب ــ كنتيجة للفصل بين الدين والدولة ، أى بين سلطة الكنيسة وسلطة الدولة ــ يلتزم بالزوجة الواحدة . لأن شــــئون الاسرة من زواج ، وتفريق ، وأولاد في تعميدهم : تدخل فى اختصاص الكنيسة وحدها . ومن ثم ان حاولت الدولة أن تتدخل فى هذه الشئون من غير موافقة الكنيســة تلقى العنت والاحتجاجات المتكررة . كما حصل فى قانون الطلاق الذى أصدرته الجبهة الاشتراكية والشــيوعية فى برلمان ايطاليا فى مواجهــة الحزب الديمقراطى المسيحى . فانه بعد أن صدق عليه رئيس الدولة ســيعاد عليه الاقتراع الآن اقتراعا شعبيا ، بعد أن وقع مليون من الايطاليين التماسا يدعون فيه الحكومة الى هذا الاقتراع ، طبقا للدستور .

والتزام الدولة فى الغرب بالزوجة الواحدة جعل الدولة تعيد النظر فى موقفها من الزنا ، بعد أن شاع وانتشر فى سن مبكرة للشباب فى سنى الدراسة فى المدارس المتوسطة والثانوية . ففى تشريع الدانيمارك الآن لم يعد زنا الزوجة بغير رضاء زوجها سببا للتفريق بينهمـــا أمام القضاء . أى لم يصبـــح جريمـــة ولا أمرا غير أخلاقى . وفى تشريع المانيا الاتحادية اقر البندستاج (البرلمان) فى العام الماضى : رفع الحظر عن تبادل الزوجات فى المساكن الخاصة . أى أن النيابة العامة الفيدرالية لا تبيح التفتيش على المساكن التى يتفق الضــــيوف القادمون مع زوجاتهم أو صديقاتهم ، مع سكان هذه المساكن على تبادل النساء بين الرجال فى حفلة تقام لهذا الغرض فى المسكن .. كما لا ترفع دعوى الزنا على صاحب المسكن ولا على ضيوفه ، لأن المعاشرة الجنسية التى تتم الآن تقع وفقا لتراض فيما بين الجميع . كما اقر تشريعا آخر باباحة اللواط لمن فى سن الحادية والعشرين فأكثر ، اذا وقع بالاتفاق بين الطرفين . وفى الولايات المتحدة الامريكية ترخص الحكومات المحلية بنوادى تبادل الزوجات ، وترى النيابة العامة هناك عدم الحرج فى هذا الترخيص . لأن الزنا عندئذ هو بالاتفاق والتراضى . وفى انجلترا وافق البرلمان هناك فى العام الماضى أيضا على اباحة اللواط منذ الحادية والعشرين . وفى السويد يوجد الزواج الجماعى ، ولا تتدخل الدولة فى شأنه . وهو أن يتزوج خمسة من الشبان مثلا بخمسة من الشابات . كل واحد بواحدة . وعندئذ لا يوجد تعدد للزوجات فى حكم القانون . ثم يسكن الجميع بيتا مكونا من عدة مساكن على أن تكون النساء شيوعا بين الشباب الخمسة . والولد الذى يأتى من أية واحدة ينسب الى زوجها الرسمى ، رغم معاشرتها الجنسية للخمسة من الشبان (١٥) .

وهذه الصور من الزنا هى صور عادية ومنتشرة ، بالاضافة الى الصورة المألوفة تحت عنوان (الصــداقة) أو (الزواج التجربى) . وفى الاتحـــاد السوفيتى يوجد بحكم القانون بجانب مكاتب التسجيل المدنى للزواج : مكاتب اخرى لتسجيل (الحب) وتمكين المحبين من المعاشرة الجنسية لفترة محدودة . وبكارة البنت لم تعد فى تلك المجتمعـــات التى تعارض تعـــدد الزوجـــات رمزا للعفة . وانما بالاحرى أصبحت دليلا على تخلفها فى العلاقات الجنســـية والاجتماعية .

— ● —

والدولة فى المجتمع الاسلامى اذن ان هى حاولت الآن السير الى النهاية

فى طريق العلمانية ، والفصل بين الاسلام والدولة ، وقيدت تعدد الزوجات بحكم القاضى ، وبعبارة اخرى الغته فى صورة مقنعة أو سلبت بذلك ولاية الرجل على نفسه فى هذا المجال فمنطق هذا الالغاء يقضى عليها بأن تترقب شيوع الزنا وانتشاره فى المجتمع ، ومن ثم فلا مناص لها من تعديل القوانين القائمة بحيث يخفف هذا التعديل حدة النظرة الى الزنا على انه فاحشة كما يراه الاسلام ، وبالتالى يسقط أمره كلية من بين الجرائم الشخصية أو الاجتماعية ، ويترك أمر ممارسته مباحا فى صوره المختلفة للشباب ، واصحاب الفراغ ، والمال . وهذا المنطق القائم على الغاء حق الرجل فى المجتمع الاسلامى فى تعدد الزوجات هو منطق تطبيق الحضارة الغربية المعاصرة التى ترهب هذا التعدد بسبب نفوذ الكنيسة التى جعلت شئون الاسرة من اختصاصها .

وكما تترقب الدولة عندئذ فى المجتمع الاسلامى ان هى الغت حق الرجل فى تعدد الزوجات : شيوع الزنا ووجوب تيسير أمره بالسماح باقامة بيوت الدعارة وغير ذلك ، فانها تتوقع لا محالة انهيار المجتمع وانحلاله ، ثم زواله وزوال قيادته : **« واذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »** (١٦) . وارادة الله التى تتمثل هنا فى ترتب هلاك المجتمع على شيوع الفسق والفاحشة فيه هى قانون الحياة الانسانية فى مجتمعاتها ، الذى لا يتخلف اطلاقا . والذى يبقى شكلا على المجتمعات الاوربية اليوم هو قوتها المادية الماضية .

والقرآن عندما نهى عن الزنا ووصفه بالفاحشة والسبيل السىء فى حياة الانسان يريد حماية المجتمع من التفكك والسقوط واستمراره قويا عزيز الجانب : **« وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » (١٧)** .

والدول فى المجتمع الاسلامى كذلك ان الغت حق الرجل فى الطلاق فلا تنتظر العسر فى الحياة الزوجية ، والتعقيد فى حياة الناس فحسب . بل لا بد ان تجارى واقع الحضارة الاوروبية اليوم التى ترى الطلاق — ان رأته — أمام القضاء : فى اعفاء الرجل من وجوب النفقة عليه لمطلقته ان ثبت لدى القاضى أنها كانت السبب فى الفرقة . وماذا تصنع هذه الدولة فى المجتمع الاسلامى ان هى أصبحت غدا أو بعد غد فوجدت الحضارة الاوربية تأخذ بتعديل قانون الاحوال الشخصية الذى تم فى السويد فى سنة ١٩٧٢ خاصا بجواز الطلاق بدون القاضى والاكتفاء بقيده فى السجل المدنى عندما تتفق الزوجة والزوج بينهما على الاطلاق .. ؟

واخيرا ان سلب ولاية الرجل على نفسه فى الطلاق .. وفى تعدد الزواج فى المجتمع الاسلامى امعان فى العلمانية وفى فصل الدين عن الدولة فيه ، لم يلغه المجتمع الاوربى بعد حتى الآن . لأن هذا المجتمع لم يستطع الى هذه اللحظة فى اجراءات الفصل : أن يستهين بالكنيسة ، ويتغاضى عن اختصاصها فى شئون الاسرة . بينما الدولة فى المجتمع الاسلامى بمحاولاتها المتكررة لا تعير اهمية للهيئات الاسلامية المختصة بالرأى فى شئون الاسلام ، وفى شئون

الاسرة على الخصوص ، وتصدر من القوانين ما تمليه التبعية للتفكير الاجنبى والسير فى تخطيط حياته : فتسوى فى الميراث بين الذكر والأنثى .. وتبيح الاجهاض وحبوب منع الحمل لكل راغبة أو مكرهة .. وتحـــاول بين الفينة والاخرى : أن تقيد الطلاق والزواج وتعود بهذا الشأن الى نظام الانفصال البدنى .. وتبيح الافطار فى رمضان .. وتسقط الزكاة .. بينما الدولة فى المجتمع الاوربى تقوم بجباية رسوم الكنيسة وبالخدمات الاخرى التى ينص عليها عقـــد الفصل بين الكنيسة والدولة .

وكم كان يرجى أن يعيش المسلم فى مجتمعه بكرامة الانسان كما يريد الاسلام .. وكم كان يرجى أن تكون الدولة فى مجتمعه حفية بالتقدم العلمى والصناعى متبعة رأى الاسلام فى القوة والاعداد .. وكم كان يرجى أن يكون الحاكم فيه مسلما وانسانا ، وأن تكون المرأة فيه على وعى بالامومة والزوجية وواجبات الخدمة الوطنية .. وأن يكون الرجل مسلما وأمينا فى علاقته بأسرته وبالآخرين معه فى مجتمعه ، وفى أخذ حقوقه وأداء واجباته . وتلك هى مهمة الدولة فى التوجيه .

ان الانحراف فى تطبيق المبدأ الحق لا يدعو الى الغاء المبدأ . وانما يدعو فحسب الى اعادة التوجيه السليم : « **ولتكن منـــكم أمـــة يدعـــون الى الخيـــر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر** » .

---

(١) الآيتان الاولى والثانية .
(٢) المجادلة : ٢٢ .
(٣) النور : ٢ .
(٤) البقرة : ٢٧٨ و ٢٧٩ .
(٥) آية : ٦٠ .
(٦) البقرة : ٢٣٠ .
(٧) البقرة : ٢٤١ و ٢٤٢ .
(٨) البقرة : ٢٣٦ .
(٩) البقرة : ٢٢٩ .
(١٠) نيل الاوطار ﻫ ٦ ص ٢٦١ .
(١١) آية : ٣٢ .
(١٢) ﻫ ١ ص ١٨٨ طبع المطبعة الشرقية .
(١٣) النساء : ٣ .
(١٤) النـــور : ٢ .
(١٥) لزيادة الايضاح فى هذا الموضوع يراجع كتابنا : الفكر الاسلامى المعاصر ـ مشكلات الاســرة والتكافل . طبع دار الفكر ببيروت .
(١٦) الاسراء : ١٦ .
(١٧) هود : ١١٧ .



الغيبيون حقاً.. هم

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى

كلمة (الغيبية) و (الغيبيون) و (اليقين بالغيب) هى ينبوع الاسلوب الجديد فى نقد الدين ، وانما نعنى بالدين فى هذا الصدد الاسلام .

والكلمة تعنى عند هؤلاء الناقدين، ان الاسلام لما كان يحمل أصحابه على اليقين بأمور غيبية ، فقد حملهم بذلك على القفز من فوق سور العلم دون أى التزام بقواعده واحكامه ، وهو دليل على بطلان الاسلام من أساسه .. !

ولكن لست ادرى ما الذى يفهمه هؤلاء من معنى (الغيب) أو (الغيبيات) .

فان كانوا يفهمون منها انها تعنى كل ما غاب عن قناعة العقول ويقينها ، فان الاسلام حقا ما ينبغى أن يكون فيه شىء من ذلك ، اذ الامر الذى لا سبيل للعقل الى اليقين به لا يمكنه تبينه الا بواسطة القسر والارغام . وحسبك من الأمر الذى لا يعقل معناه الا يلتزمه الانسان الا تحت سلطان القسر والاكراه . ولكن الاسلام لا ينطوى على شىء من هذا

الجاحدون بغيبيات الإسلام

القبيل ، وهذا ما اردنا بيانه فى هذا المقال .

أما ان كانوا يفهمون من الـكلمة انها تعنى الامور الغائبة عن الابصار او الحواس ، وأن كل ما كان كذلك فهو مفصول عن دائرة العلم مقطوع النسب اليه ، فهو خطأ شنيع لا يأتى الا نتيجة غيبوبة شنيعة عن معرفة حقيقة العلم وضوابطه وأحكامه .

وهيهات أن يكون فى اخبـارات الاسلام عن شىء من هذه الغيبيات (بهذا المعنى الثانى) اى دليل على انه يناقض قوانين العلم أو يقفز من فوق سور المنطق ومدارك العقول .

اذ من المقطوع به انه ليس كل ما لا تراه عيناك ولا يلمسه حسـك ، محكوما عليه بالانعدام . وما قال عالم من العلماء ان وسـيلة العلم بالشىء محصورة فى طريق العين او الأذن أو الذوق أو الشم أو اللمس . والا لما قال العلماء انفسـهم ان المعلومات تنقسم الى معلومات حسية وغير حسية .

لو كان كل ما غاب عن حسـك وهما باطلا يجـافى العلم ويناقض مكانة العقل ، اذا لكانت سـائر دراسـاتنا التاريخية وهما باطلا ، ولكانت سائر أحكامنا على المستقبل وجميع توقعاتنا الغيبية فيـه خرافة يتنزه عنها العقل . واذا لانبتر فكر الانسان عن النظر فى الماضى ، وعن التأمل فى المستقبل ، ولانحصر عمله فى استعراض الصور والاحداث التى تمر تحت حسه ، لا يسال عقله من اين جاءت ولا يسـتهديه الى اين تسير .. !!

فهل من عاقل فى الدنيا يتعامل مع الحياة على هذا الاساس ؟!

وهل هذا الا الجنون الصافى فى اتم خصائصه ومزاياه ؟!

— ● —

وبلاؤنا بصنف من الناس اليوم ، انهم يتحمسون فى استعمال شعارات وتعبيرات غامضة ، دون أن يتبينوا اى حجم لمعانيها او يقفـوا على اى ضابط لمدلولاتها .. ثم يمتطون صهوة هذه الـكلمات لينطلقوا فى حرب كلامية بها على غير هدى .. !

★ يحاربون الاسلام بكلمة (العلم) او (البحث العلمى) دون أن يضعوا

انفسهم امام اى مدلول علمى لهذه الكلمة .. ! وانما معناها عنـدهم ان يبتعد الباحث عما يقرره الاسلام، ثم يتجه فى بحثه عن الحقيقة الى اى جهة شاء ويصبغ حديثه بكلمات العلم واسلوبه ويشـــقق فى ذلك الآراء والاحتمالات .. ! وقد يسلك هؤلاء (العلميون) بعد ذلك طرائق قددا ، وينتهون الى آراء وأفكار متناقضة ، ومع ذلك فان العملية كلها بنتائجهـا المتضاربة المتناقضة تعتبر علمـــا ، وتسمى الســـبل المختلفة الى هذه النتـــائج ابحاثا علمية أو منــــاهج علمية .. !

فداروين ، ولامارك ، وفرويد ، وماركس ، وديكارت ، هم العلماء . وأحكامهم هى العـلم الذى لا نقض فيه ، مهمـــــا جاءت متخالفة عن بعضها ، ومهما ظهر التناقض فيما بينها .. !

ولكن ما هو معنى (العلم) .. ؟ وما هو المنهج السليم اليه .. ؟ وكيف تكون جملة أفكار متناقضة علما ؟! .. هذا ما لا يجيب عليه ولا يعلمــه (العلماء) الذين يحاربون الاســـلام بكلمة العلم .. !

★ ويحـــاربون الاســـــلام بكلمة (التطور) و (الجمـــود) دون أن يضعوا للمسلمين اى ميزان ينضبط به معنى التطـــــور الذى يريدون ، ومعنى الجمود الذى يكرهون ، ودون أن يلزموا أنفســـهم بأى منهج علمى يفصل لنا التطور عن التهور ويميز لنا الثبات عن الجمود .. !

★ ويحاربون الاســــلام بتهمـــة (الغيبية) ويجسدون من هذه الكلمة غرضا يعلقونه على اللائحةالاسلامية المتضــــمنه عقائد الاسلام واحكامه وآدابه ، ثم يصوبون سهامهم اليها عن طريقه ويحاربونها فى مظهره .

ولكن ماذا يعنى هؤلاء بالغيبية ؟ .. أهى غيبوبة العقل عن الفهم ، أم العلم عن الحكم ، أم هى غيبوبةالعين عن الرؤية أو الحس عن اللمس ؛ .. أم لعلها غيبوبة المعلوم فى تلافيف الماضى ، أو غيبوبة المحـــكوم به فى ضمير المســــتقبل .. ؟ وأى هذه الغيبيـــــات تعتبر امتهانا للعلم أو ارتكاسا للفهم ، أم هل أن جميعهـــا محكوم عليه بالخروج عن قانونالعلم واحكامه .. ؟ وكيف تم هذا الخروج وبأى قانون .. ؟ بل اين هو الخط الذى يفصل بين العلم الذى هو العلم والظن الذى هو الظن ، والشـــك الذى يسمى الجهل ، والغيبية التى لا ندرى ما الذى يقصدون بها .. ؟

اليس من اخص واجبـــات هؤلاء الذين يتباهون بالعلم ، أن يستعينوا بالعلم للاجابة على هذه الاسئلة ، وأن لا يكونوا غيبيين فى اغمـــاض اعينهـــم عنها ، ثم أن لا يكونوا عشوائيين فى اقتحام الامر على غير بصيرة ولا هدى .. ؟!

— ● —

اننى اتجه الآن بالســـؤال الى راس كبير ممن ينعتون الاســـلام (بالغيبية) من حيث ينزه نفسه من اوضارها :

انك تستمع فى الصباح الباكر الى نشرة الارصاد الجوية ، وهى تخبر بأن البلاد ستتعرض لمنخفض جوى أثناء النهار ، فتخرج من بيتك وقد

اخذت للبـــــرد عدته وارتديت له لباسه .. ! فلماذا تستقبل شيئا غير موجود ، وتؤمن بوهم غير منظور ، وتستيقن امرا لم يولد من غيبه بعد ؟!

وتمسك بيدك مجلة أجنبية ، فتقرأ في احدى صحائفها خبرا عن جهـــاز عجيب اخترع أخيرا ، تلتقـــط به الذبذبات الصـــوتية المنطلقة الى الفضاء منذ عشرات السنين ، لتعاد من جديد الى الاسماع كما كانت يوم انطلاقها . فتســـتقبل الخبر بكل يقينك ، وتمضي تحدث الناس عنـــه كأنه تحت يدك ، وكأنك تراه بعين راسك ! .. فكيف صح لك في قانون العلم الذي تعتز به أن تسلم بما لم تره عيناك ، وأن تستيقن بما لا علم لك منه بكيفية ولا تحليل ولا تركيب ؟ .. ثم كيف صح لك أن تقفز اليه فوق قنطرة من احتمالات الـــكذب في الاخبار واللبس في الموضوع والنقص في الشروط .. ؟!

ويلتفت الطبيب الذي تثق بطبـــه وتؤمن بصدقه ، الى الـــكأس التي تدنيهـــا من فمك ، فيحـــذرك من شربها ، لأن فيها شيئا ان دخل جوفك هددك في حياتك ، فتقصي الكأس عن فمك ، وترفع عنها يدك وتستيقن أن فيها الهلاك ! .. فكيف آمنت بما لم يوجد ، وتصورت ما لم يولد ، وأنت لا تعلم شيئا عن طبيعة ما في الكأس ولم تطـــلع على شيء مما قد عرفه الطبيب .. ؟

كيف تنعت المســـلمين بالغيبيين وترميهم بالتجافي عن منهج العلم من اجل ذلك ، وانت لا تكاد تتحرر عن سلطان هذه الغيبيات نفســـها يوما واحدا في حياتك .. ؟ ! وما سعيك واعمالك وافكارك الا مخازن لهـــذه الامثلة وعشرات من أمثالها لو تنبهت وتأملت ..

أنا لا أعيرك في غيبيتك هذه كمـــا تعير انت المســـلمين بنظيرها . ولا أستعجل فأجعلها منك عنوان جهل ودليل غفلة ، كما تســـتعجل أنت فتجعلها عند المسلمين مصدرا لذلك . ولكني أســـأل فقط : ما هو المنهج العلمي « وانت رجل عـــلم » الـــى يقينك بهذه الامور الغيبية التي ضربت لك المثل ببعضها .. ؟

لو كنت رجل علم حقا ، لأدركت أن الامر في ذلك قائم على منهج علمي ذي شروط وقيود وضوابط . ولو أدركت هذا المنهـــج ، لمـــا أغمضت العين ورحت تصم اسلام المســـلمين بالغيبية التي لا تعلم حدود مدلولها .

والخطيئة الاولى ــ وهي أخطـــر الاخطاء واهمها في هذا الصـــدد ــ أنك لم تدرك بعد معنى (العلم) ! .. فأنت تظن ، ككثير من أمثالك ، أن العلم ليس الا نتيجة التجارب التي يجريها علماء الطبيعة على الظواهر المرئية أمامهم ، فلا وجود لحقيقـــة العلم فيما وراء ذلك .. !

والواقع المتفق عليه عند جميـــع العلمـــاء أن العلم انما هو **ادراك الشيء مطابقا لما هو عليه في الواقع** . أيا كانت وســـيلة هذا الادراك وطريقه . وليست وسيلة التجـــربة على الظواهر المحسوسة الا واحدة من وسائل كثيرة مختلفة .

وتختلف الوســـائل الى ادراك الحقيقة مطابقة لما هي عليه ، حسب اختلاف الحقيقة نفسها . فالحقائق المتعلقة بالطبيعة والظواهر المرئيـــة او المحسوسة ، لا يغني في اليقين بها الا الاعتمـــاد على ميزان من

التجربة والمشاهدة ، اذ هى سبيلها الطبيعى الوحيد .

أما الحقـــائق المتعلقــة بماض منصرم ، أو مستقبل لم يأت بعد ، أو بواقع غير خاضع لأى سبيل من سبيل الخبـــر اليقينى — عنـــدما بها أحد شيئين .

أولهما : قانون (التلازم البين) أو (القياس الجلى) . ولسنا بصـــدد شرحهما الآن ، واذكر القارىء بأنى كنت قد فصلت القول فيهمـــا فى سلسلة مقالات متتابعة فى هـــذه المجلة منذ عدة أعوام .

ثانيهما : الخبر اليقينى الصادق . وهذا ما يتعلق به بحثنا الآن .

ومعلوم عند العلمـــاء جميعا ، أن سبيل الخبر اليقينـــى — عنـــدما يتعذر سبيل التجربة والمشاهدة — يعتبر منهجا علميا سليما للوصـــول من طريقه الى الحقيقة ، اذا توفر فيه شرطان اثنان :

أولهما ، أن يكون مصدر الخـــبر موثوقا به مقطوعا بأنه اهل لأن يكون مصدرا له .

ثانيهما ، أن يكون الســـبيل الى ذلك المصدر سندا من الرواة المتصلين بلغ درجة الصحة ، ثم تجاوزها الى درجة التواتر . والصحة فى السند أن تكون سلسلة رواة الخبر موصولة الحلقات الى مصدره الاخير ، وأن يكون جميـــع الرواة ممن عرفوا بالصدق والضـــبط والوعى . أما التواتر ، فهو أن تكون كل حلقة فى هذه الســـلسلة جماعة كثيرة من الرواة ، بحيث يجزم العقل باستحالة تواطئهم جميعا على الكذب .

فاذا توفر فى الروايـــة هـــذان الشرطان ، فلا جرم أن مضـــمون الخبر يصبح عندئذ حقيقة علميـــة لا مناص من قبولها واليقين بها . وهو قانون تخضع له الفطرة الانســـانية قبل أن ينساق وراءه العقل . فما من انسان عاقل يجد نفســـه أمام خبر توفر فيه هذان الشرطان الا وينبعث كل من نفسه وعقله للتفاعل معـــه واليقين به .

ان كثيرا منا لم ير جدار الصين ، ولم يشـــاهد أهرامات مصر ، ولم يزر تاج محل ، ولم ير الـــكعبة ولا طاف بها . ولكن أى واحد من هؤلاء لا يساوره أدنى شك فى وجود هذه الاماكن والآثار . بل هو لو رآهـــا بعينه لما زاده ذلك يقينا بوجودها ، مهما كانت ثقافته ، ومهما كان علميا فى أفكاره واعتقـــاداته ، فما السبب .. ؟!

السبب انه اعتمد على منهج علمى سليم ، لا يقل بحد ذاته عن منهج التجربة والمشاهدة فى القضـــايا المحسوسة التى تخضـــع للتجربة والمشاهدة . الا وهو منهج الرواية بشروطها العلمية المعروفة .

واذا ، فان اليقين الذى رسخ فى كيانك بأن منخفضا جويا ســـيفاجئك أثناء النهار ، انما جاء بسبب يقينك بصـــدق علمـــاء الارصاد ودقة اختصاصهم — أولا . ثم بسبب السند الصحيح المتواتر الذى نقل لك خبرهم ثانيا .

واليقين الذى رسخ فى كيـــانك بالجهاز العجيب الذى لم تره ، ولم تعلم شيئا عن كيفيته ودخيلة أمره ، انما كان بسبب ثقتك بما يتمتع بـــه العلماء الاوربيون من الطاقة العلمية الهائلة ، وبسبب التواتر الذى تحقق فى نقل هذا الخبر ، اذ تضـــافرت

على نقله شتى وكالات الانباء .

واليقين الذى يستقر فى عقلك ونفسك بأن الذى يقتل عدوانا مع سبق عمد واصرار ، سيلاقى عقوبة القتل قصاصا ، انما جاء بسبب اطلاعك على المادة التى تنص نصا واضحا عليه فى قانون العقوبات (فهذا هو السند) ثم بسبب يقينك بأن الدولة التى تبنت هذا القانون صادقة فى اتخاذه جادة فى تطبيقه (وهذا هو مصدر الخبر) . وحينئذ تتفاعل مع هذه المادة التى ليست فى جوهرها أكثر من إخبار عن أمر غيبى لم يقع بعد .

وهكذا ، فان تواتر السند + توفر الصدق والعلم بمصدر الخبر = يقينا علميا لا يشوبه أى وهم بالخبر الذى جاءك عن طريقه ، رغم أنه بحد ذاته أمر غيبى خارج عن سلطان أى نافذة من نوافذ التجربة والحس .

فاذا كان هذا الكلام واضحا (ولا اظنه يخفى على عاقل ، ولا أتصور أن منصفا يمارى فيه) فان المسلم لا يحمله اسلامه على الاعتقاد بأمر غيبى ، الا اذا كان خاضعا لسلطان هذا القانون . وما كان للاسلام الذى يقول دستوره الالهى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » أن يكلف أتباعه بأن يغمضوا العين وينغضوا الرأس ويبتعدوا عن العقل ، ليحملوا أنفسهم على اليقين بما لا يعلمون والاعتقاد بما لا يصدقون .

لقد آمن المسلمون أولا بوجود الله ووحدانيته ، ولم يكن سبيلهم الى هذا الايمان مشوبا بأى غيبية أو عفوية فكر أو تقليد واتباع . بل كان معتمدهم هو رؤية الآثار ولمس الدلائل المباشرة ، وهى دلائل بلغت من الكثرة والوضوح حدا جعل كثيرا من العلماء يقررون بان مظاهر وجود الله عز وجل أوضح دلالة مما قد يحتاج معه الانسان الى وساطة فكر ونظر ، ومعلوم ان من هؤلاء العلماء «كانت » .

ثم ان ايمانهم بالله عز وجل استلزم ايمانهم بنبوة الانبياء عامة وبنبوة محمد عليه الصلاة والسلام خاصة . وقام عندهم هذا الاقتضاء فى اجماله وتفصيله على أدلة علمية مباشرة لم يتوصل اليها بواسطة غيب ، ولا تقليد . وليس فى هذا المقال الوجيز أى مجال لعرض هذه الأدلة ، ولكن ارجع اذا شئت الى مصادرها التى تتحدث عن ظاهرة الوحى فى حياته عليه الصلاة والسلام ، وعن القرآن وتحليله والدراسات العلمية المختلفة حوله ، وعن تحليل شخصية محمد عليه الصلاة والسلام ودراسة الاحتمالات المختلفة فى تفسير دعوته وتحليل ذاته ، والى كثير من المصادر التى بحثت بحثا علميا مستفيضا فى هذا الموضوع مثل كتاب (دلائل النبوة) للقاضى عبد الجبار وغيره .

فلما آمنوا بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، كان معنى ذلك الايمان بأن القرآن الذى جاء به انما هو كلام الله عز وجل لم يتقوله محمد صلى الله عليه وسلم على الخالق ولا كذب به على مخلوق . على أنهم وجدوا فى القرآن ذاته دليل هذه الحقيقة . ويطول بنا الكلام لو انتقلنا الى البحث فى القرآن لاستخراج ما فيه من البراهين العلمية التى لا مرد لها ولا مطعن عليها والتى تجزم بأن القرآن ليس كلام بشر وما ينبغى أن

يكون كلام بشر . ولكن ارجع اذا شئت الى المصادر التى تتحدث عن هذا كله بأسلوب علمي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فاذا استقر الايمان عند المسلمين بهذه الحقائق الثلاثة ، وثبت ذلك فى يقينهم بأدلة علمية قائمة على منهج لا لبس فيه ولا خداع ولا تضليل ، فما الذى يقتضيه العلم بعد ذلك ، اذا رأوا أن هذا القرآن الذى ثبت لهم أنه ليس الا رسالة من الله عز وجل الى عباده فى الارض ، يخبرهم عن أن هناك حشرا للاجساد مع أرواحها من بعد الموت ، وأن هناك حسابا وميزانا وجنة ونارا ، ويخبرهم عن وجود عوالم أخرى من حولهم وان كانوا لا يرونها ولا يقعون منها على أثر كالملائكة والجان ، ويخبرهم أن لحياة كل انسان ميقاتا تنتهى عنده لا تتجاوزه ولا تتخلف عنه مهما كانت المحاولات والاسباب ؟!

ما الذى يقتضيه قانون العلم تجاه هذه الاخبارات من كتاب ثبت باليقين انه كتاب الله ، وثبت باليقين انه موجود بكل ما يقرره العلم له من صفات الحكمة والكمال .. ؟

لماذا تكون اخبارات القرآن عن الحساب والجنة والنار غيبيات لا يقرها العلم والعقل . فلا وجه لانصياع الانسان لها ، ثم تكون اخبارات قانون العقوبات التى اصدرته دولة ما ، حقائق يقينية جديرة بالانصياع لها والاهتمام بها ، مع أن مضمون كل منهما لا يزال فى ظهر الغيب ومن وراء سور المستقبل .. ؟!

لماذا يكون القرآن الذى اخبر عن ذلك كله مشكوكا فيه ، ثم يكون الكراس الممهور بختم الدوله مصدرا قطعيا لا شك فيه .. ؟ ولماذا يكون تحذير القرآن من العقوبات التى يخبر عنها ويجزم بها حديثا غيبيا لا ينبغى أن يلتفت اليه ويكون اتباعه سببا للتخلف وضعف الانتاج ، ثم يكون تحذير ذلك الكراس من عقوبات الدولة حقيقة خطيرة جديرة بالاهتمام .. ؟

لماذا تصدق نشرة الارصاد الجوية فى إخبارها عن أمر تزعم أنه سوف يقع بعد حين ، ثم لا تصدق نشرة رب العالمين ورب الارصاد والمرصدين ، فى إخبارها عن مصيرك ، وكلاهما فى وصف الغيبية سواء .. ؟!

اتريد أن اتولى الاجابة عنك .. ؟

ان الذى يحملك على هذا التفريق، ليس عائدا الى شىء مما تسميه بالغيبية أو الغيبيات ، فان كلا الأمرين سواء ، يقر بذلك كل ذى بصيرة وعقل .

ولكن الذى يحملك على ذلك ، هو عدم يقينك بالمصدر الذى تنزلت منه غيبيات الاسلام ، على حين انك آمنت واستيقنت بالمصادر الاخرى التى بلغتك منها تلك الاخبارات التى عرضت لك نماذج منها .

فلو انك آمنت بالله عز وجل ، ايمانك بالقائمين على الارصاد والمختصين بشؤونه ، ولو انك آمنت بالله ايمانك بوجود الدولة التى توعد وتهدد ، ولو انك آمنت بالله ايمانك الأعمى بالطبيب الذى تسلمه كل يقين عقلك وطمأنينة نفسك — اذا لما فرقت بين متماثلين ، ولما خالفت بين مثالين لحقيقة واحدة ، ولاتبعت القانون العلمى الذى تخضع له سائر

العقول ، وتنقاد له فطر البشر اجمع ، وهو القانون القائل : يقينك بالمصدر + تواتر الخبر عنه = ضرورة اليقين بالمضمون ، وان لم تره عيناك ولم يدخل تحت سلطان احساسك .

لقد أخبرك الله عز وجل بأنه خلق الانسان من صلصال من حمأ مسنون ، وانه خلق الانسان منذ أوجد أول أصل منه فى أحسن تقويم .

ولكن داروين أخبرك بأن الانسان يحتمل أن يكون قد تصاعد من حيوانات أقل شأنا . وكلا الخبرين من الغيبيات التى تشمئز منها . ولكنى أراك مع ذلك تعتنق غيبية داروين (رغم تحفظه فى الاخبار عنها) من حيث تنصرف عن غيبية القرآن (رغم قطعه بالاخبار عنها) ! .. فما السبب .. ؟

السبب أنك آمنت بداروين وصدق فراسته وواقعية حدسه ، ايمانا غيبيا لا يرفده اثارة من برهان ولا علم ، فى حين أنك لم تؤمن هذا الايمان ولا نصفه بالخالق الحكيم جل جلاله رغم ما هو متوفر بين يدى ذلك من براهين وعلوم . فآمنت بحدس الاول وتخمينه وذهبت تسمى ذلك بحثا وعلما .. ! وأنكرت اخبارات الفاطر الحكيم جل جلاله وذهبت تسميها غيبية وجهلا .. !



فرق ما بينك وبين المسلمين اذا ، ليس ما قد تتوهمه أو توهمه، من أنك تتسامى على الغيبيات ، لأنك رجل علم ، وأنهم ينحطون اليها لأنهم دون مستوى العلم . فانك خاضع شئت أم أبيت فى كل تقلباتك الفكرية والسلوكية لأمثالها ولأشد منها فى المعنى الذى تقول . وما فى العقلاء عاقل ولا فى العلماء عالم الا وهو يؤمن بأن الاخبارات الغيبية لا مناص من قبولها واليقين بها ، اذا جاءت الينا ضمن سلم من القانون العلمى بشروطه وقيوده المعروفة عند العلماء .

انما الفرق بينك وبينهم ، انهم آمنوا بمصدر الخبر ، ووجدوا تواتر السند وارتفاعه الى درجة اليقين ، فآمنوا به علما ، وصدقوه قانونا ، والتزموه حقيقة لا مرد لها ، وأنك جحدت أو شككت بالمصدر الأول ، فلم تبال بعد ذلك بأن يأتى السند متواترا أو ظنيا ، وجحدت بالأمر كله من حيث جحدت بالمصدر ذاته .

وحديثنا معك اذا ، ما ينبغى أن يكون فى تحليل أمر الغيبيات وموقعها من العلم واليقين . وما ينبغى منك — وأنت رجل علم كما تقول — أن تخدعنا وتجرنا الى هذا البحث الذى لن يأتى بطائل . وانما ينبغى أن يكون حديثنا معك محصورا فى الدليل العلمى على وجود الله ، وأن تكون جريئا معنا فى عرض المشكلة على هذا الاساس .

وعندئذ ننتقل بك الى موضوع آخر ، ونكلف أنفسنا القيام بايضاح الواضحات ، والكشف عن أمر لم يبق خافيا عن أى عاقل ينصف فى التفكير ويتحرر من ذاتيته وما تنطوى عليه من عصبيات وعقد وردود فعل ، هو أدرى بها وأعرف الناس بأنه انما يفكر بها ، أجل بها فقط ، دون أن يكون معها شىء مما يسميه العقل أو العلم أو البحث العلمى .

نحو اقتصاد إسلامي متحرر

للاستاذ عبد الكريم الخطيب

١ ــ الدعوة التى يدعو اليها كثير من زعماء المسلمين لتحرير الاقتصاد الاسلامى من التبعية للغرب ، وللمذاهب الاقتصادية التى تتحكم فى أفراده وجماعاته ــ هذه الدعوة من الدعوات الرشيدة ، اذ تحمل فى طياتها أكثر من معنى كريم من معانى العزة والسيادة ، والقيادة لركب الحياة ، لا الانقياد لغير شريعة الاسلام ، واتباع سبيل غير سبيل المؤمنين .. هذا فضلا عما تحمل تلك الدعوة الطيبة من تصحيح للمشاعر النبيلة الكريمة التى أفاضها الاسلام على أتباعه ، اذ ربط بعضهم ببعض بروابط الاخوة ، والمودة ، والرحمة ، والايثار ، وجمعهم جميعا على مائدة واحدة ، لا يرد عنها جائع أو محروم ..

وانه ليس يصح فى وجودنا أن نتخلص من أغلال الاستعمار ، وأن تجلو جيوشه عن أوطاننا وحسب ، فان ذلك وحده لا يعطى معنى التحرر الذى تنشده الامم التى تريد أن تساير ركب الحياة ، وتأخذ مكانها فيه ، فضلا عن أن تكون رائدة لهذا الركب، وممسكة زمامه بيدها .. بل لا بد من أن نضم الى هذا التحرر من الاستعمار ــ لكى تثبت أقدامنا فى الحياة ــ التحرر من النظم والتقاليد الاقتصادية والاجتماعية ، والاخلاقية ، التى نقلناها ، أو نقلت الينا من الغرب ، واتخذناها دستورا لنا فى مختلف شئوننا .. فهذا التحرر هو الذى يرفع تلك الحواجز التى أوهت الصلات التى بيننا وبين تراثنا العريق ، وهو الذى يرينا فى شريعتنا السمحة المعطاءة لكل خير ، ما رآه فيها أسلافنا الكرام ، فأقاموا على مشاعل أضوائها ما أقاموا من صروح المدنية والحضارة ، بما مكن الله تعالى لهم فى الارض ، وبما أوسع لهم فى مجال الحياة ، وأحلهم محل العزة والسيادة فيها ..

فليست الدعوة الى (اقتصاد اسلامى) دعوة الى عصبية قومية ، أو تناد الى لون من ألوان الطائفية ، وانما هى دعوة الى تصحيح أوضاع ، وتناد الى اعادة مجد مسلوب ، والى

استرجاع حق ، والى نصرة عقيدة .
٢ ــ وقد يفهم بعض الناس غير هــذا ، وقد يحرفون الــكلم عن مواضــعه ، وقد يبدو لقــائلهم أن يقول : ان هذه الدعوة ان لم تكن عن نزعة عصبية أو طائفية ، فهى عن فهم خاطىء لأوضاع الحياة فى هذا العصر ، الذى تشابكت فيه الامم ، وترابطت مصالحها ، وتلك دعوة أقل ما فيها انها دعوة انعزالية ، تحرم المجتمع الاسلامى ثمرة التعــاون والتبادل بينه وبين بقية أمم العالم ، وخاصة فى المجال الاقتصادى الذى يدور فى فلكه كل نشاط انسانى فى هذا العصر ، سواء أكان فرديا أو اجتماعيا ، وســواء أكان ماديا او عقليا ، حيث يتحكم الاقتصاد اليوم فى عالم الانســان ، الخــارجى والداخلى ، وفى نشاطه الذهنى ، أو الجسدى !!

ومن قال هذا .. ؟ اننا لا ندعو الى عزلة ، ولا جفوة وقطيعة ، بيننا وبين العالم غير الاسلامى ، وانما الذى ندعو اليــه ، هو شىء يتعلق بوجودنا نحن كأمة لها دين ، ولهذا الدين شريعــة ، ولهذه الشريعة مبادىء وأحكام ووصايا ، هى دستور سماوى وضعه لنا الحكيم العليم ، رب العالمين ، ودعانا الى اتباع هذا الدستور ، كى تطيب لنا هذه الحياة ، ونملك زمامها ولا تملك زمامنــا ، ونتزود منها بالزاد الطيب لآخرتنا ، حيث نلقى الله بما وعدنا به من حسن المثوبة وكريم الجزاء ، كما يقــول سبحانه : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبــة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (النحل : ٩٧) .

ان من حق أتباع هذه الشريعة ، بل من الواجب المفــروض عليهم أن ينزعوا المنزع الذى يرتضيه دينهم ، وتدعو اليه شريعتهم .. فاذا اتجه المجتمع الاسلامى الآن الى احيــاء أمجاده ، وبعث تراثه ، وتصــحيح مسيرته على الوجهة التى يوجهها اليه دينه ، فانما يتجه الى كل أولئك ، وليس فى تفكيره مثل هذه التصورات الخاطئة التى يصرخ بها فى وجوهنا أولئــك الذين لا يرجون لهذا المجتمع خيرا ، ولا يريدون له ان يتخلص من تبعية الغرب ، ووصايته عليه ..

وما أكثر ما تصدق المنى وتتحقق الاحلام .. !!

فلقد بلغ المجتمع الاسلامى اليوم رشده ، وزايلته تلك النكسة التى أصابته بالضعف والضمور ، والتى قضت عليه زمنا أن يدور فى فلك الاستعمار ، وأن ينهج نهجه ، ويتبع اثره ، فى كل ما يأخذ أو يدع من أمور ، دون أن يكون له فى هــذا مجال للاختيار .. وكيف يكون للتابع خيرة مع قائده ، والقيم عليــه .. ؟

اما وقد انجلت هذه الفاشية عــن سماء المجتمع الاسلامى ، وتكشفت غيومها ، فقد آن لهذا المجتــمع ان يدير النظر فى خاصة شئونه ، وان يقيم أوضاعه على ما يحب ويؤثر ، وان يصبغ حياته كلها ــ المادى منها والمعنوى ــ بالصبغة التى يأخذها عن شريعته ، ويستمليها من دينــه ، ويقيسها على ظروف بيئته ، وأحوال مجتمعه ..

والاقتصاد ، هو ــ فى هذا العصر بخاصة ــ المجال الحيوى الذى تظهر فيه انطبــاعات المجتمع الروحيــة والمادية ، وفيه تتجلى خصــائص الامم ، وتتكشف عنــاصر الخير أو الشر فيها ..

فاذا دعونا الى (اقتصاد اسلامى) فانما ندعو الى أكثر مما يحمل منطوق هذه الدعوة من تحــرير المجتمع الاســلامى من التبعية للغرب ، أو صــيانة الاقتصاد الاســلامى من استغلال الدول الاستعمارية له ..

انما ندعو فوق هذا ، بل وقبل هذا ، الى ما هو أجل واسمى .. اننا ندعو الى استنقاذ أخلاق ، وتصحيح عقيدة ، وبعث أمة !!

٣ ـ لقد طغت على الغرب مادية غليظة معتمة ، امتصت من الناس كل عصارات التعاطف والتراحم والتواد ، وقطعت ما بين الناس من أواصر الحب ، والحنو والمواساة ، وأفرغت الكيان الداخلى للانسان من كل عاطفة نحو الغير ، حتى لقد بلغت فى ذلك الى الحد الذى جار على عواطف الابوة والبنوة ، التى هى غريزة فى الكائن الحى ، فلا تكاد تجد سقف الاسرة الغربية يضم تحت سمائه اسرة تسكن فيها عواطف الزوجية وأرواح الابوة والبنوة ، الا فى القليل النادر من الأسر ، والا فى صورة باهتة لا تكاد ترى او تحس ، وانما الذى تجده فى غالبية هذه الأسر اشخاصا جمعتها المصلحة الذاتية ، وربطت بينها المادة .. فكل شىء هناك محسوب بحساب المال ، مقدر بما فيه منفعة ذاتية ..

الزوج والزوجة شريكان فى اقامة بيت ، وفى توفية مطالبه ، كل يؤدى نصيبه فى هذه الشركة .. الزوج يعمل ، والزوجة تعمل .. انهما ـ فى واقع أمرهما ـ شريكان فى ادارة محل تجارى ، يقتسمان فيه الربح والخسارة ، ولكل منهما نصيبه على قدر ما يعمل ، وليسا انسانين ألفت بينهما رابطة مقدسة ، وجعلتهما كيانا واحدا ، مجتمعا على المودة والرحمة ، وعلى السكن النفسى لكل من الزوج وزوجه .. ان هناك حواجز مادية غليظة تحول بين الزوج والزوجة ان يستشعرا هذا الشعور ، ويعيشا فيه .. ودع عنك ما ترى من مظاهر تمثيلية يبدو فيها الزوجان وكأنهما نغم موسيقى منسجم .. انها مجرد مظاهر تمثيلية يتحرك فيها الناس كما تتحرك الدمى ، بلا مشاعر ولا عواطف ..

والآباء والأبناء ، هم كذلك فى عزلة شعورية ، لا يربط بينهم الا خيط واه ضعيف لا يكاد يمسك بين الطرفين الا ريثما يعرف الابناء كيف يحصلون على لقمة ، ثم ينقطع هذا الخيط ، وتتناثر حبات هذا العقد ، فتذهب كل حبة مذهبا لا تلتقى فيه واحدة بأخرى أبد الدهر !

مادية الغرب هذه مادية طاغية ، قد كادت تغير خلق الله ، وتحيل الانسان حيوانا مجردا من كل عاطفة .. ان حب المال وتسلطه على المجتمع الغربى ، لم يدع فى النفوس قطرة من عاطفة ، تندى بها القلوب ، وتترطب بها المشاعر .. بل ان الجرى اللاهث وراء المال قد نزع من الناس هناك عواطف الرحمة حتى نحو أنفسهم ، فلا تراهم أبدا الا فى حركة دائبة مسعورة وراء المال ، يكاد يتساقط الناس فيها ، وهم فى هذا السباق المجنون ، كما تتساقط أوراق الشجر فى عواصف الخريف ..

يقول العالم الفيلسوف : « كاميل فلامريون » وهو من كبار مفكرى الغرب :

« لا يجوز لنا أن نخجل من الاعتراف بما وقعنا فيه من الانحطاط ، لأننا رضينا به ، وأصبحت عقولنا المتشبعة بالأثرة ، والتى لا هم لها الا اغراضها الذاتية .. أليس حظنا اليوم قد استحال كله الى جمع الثروة دون مبالاة بوجوه جمعها ، وأصبح همنا الحصول على المجد بطريق الاغتيال لا الكسب .. ان من التناقض البين أن نرى الرقى الذى حصل فى العلوم بما لا مثيل له فى التاريخ ، وهذه الفتوحات التى تمت للانسان فى الطبيعة ـ نرى هذا الذى رفع عقولنا الى الدرجات العالية ، قد أهبط انسانيتنا الى

اخس الدركات .. وان من المحزن ان نحس بأنه بينما نشعر بنماء قوتنا المادية يوما بعد يوم ، تنطفىء شعلتنا الروحية ، وتتصوح زهرة حياتنا القلبية ، بتأثير المطامع المادية والشهوات الجسدية » .

ولقد زحف علينا من الغرب هذا الداء الذى اصاب كثيرا منا ، فوقع تحت وطأة هذا الوباء الخبيث ، وجعل همه كله اشباع هذا الشره الذى لا يشبع من جمع المال ، والجرى وراءه لاقتناصه من كل وجه ، غير واقف عند حرام أو حلال ، مع الضن به عن الانفاق فى الوجوه التى تدعو اليها المروءة ، وتوجبها الشريعة ..

فالزكاة مثلا ، التى هى الركن الثانى فيما افترض الله تعالى علينا من عبادات قد خف ميزانها فى المجتمع الاسلامى ، حتى لا يكاد اكثر المسلمين ينظرون اليها ، أو يعدونها مما افترض الله تعالى عليهم .. وهؤلاء المستخفون بالزكاة ، يقيمون الصلاة ، ويصومون رمضان ، ويحرصون على أداء فريضة الحج ، لا مرة واحدة بل عشرات المرات .. اما الزكاة فهيهات أن تخطر لهم على بال .. فهم ان أعطوا فقيرا أو مسكينا شيئا من مالهم ، لم يخرجوه مخرج الزكاة المفروضة ، ولم يضيفوه اليها ، ولم يقع فى شعورهم أنهم مطالبون بأداء ما افترض الله تعالى عليهم فى أموالهم ، وانما يعدون هذا الذى أعطوه سماحة نفس ، ورقة شعور ، وسخاء يد ، يفعلونه اذا شاءوا ، ويغفلون أو يتغافلون عنه متى ارادوا .. وما علموا ان هذا الاحسان وان حمد لهم ، فانه لا يعدو أن يكون نافلة من النوافل ، وانه لا تقبل نافلة حتى تؤدى فريضتها !

ولا أحسب أن وضع الزكاة فى المجتمع الاسلامى قد صار الى تلك الحال من الغفلة عنها ، والتهاون بها ، الا لأمرين :

أولهما : المشاعر المادية الضاغطة على الناس فى هذا العصر ، والتى اصطبغ بها تفكيرهم ، فكانت الأثرة وحب الذات دافعا قويا لا شعوريا يدفعهم بعيدا عن المظان التى ينفقون فيها المال ، ويخرجونه من أيديهم دون مقابل عاجل له ، كما يجرى ذلك فى المعاملات الدائرة بينهم ، من بيع وشراء ، واخذ وعطاء ..

وحال كهذه ، لا بد فيها من ان يكون هناك دافع قوى ، قائم على الانسان فى كل لحظة ، ينبهه اذا غفل ، وينخسه اذا تغافل ، حتى يخرج من هذا التفكير المادى المسلط عليه من مجريات الحياة من حوله ، وحتى يذكر أن فى هذا المال الذى بين يديه حقا لله ، ولعباد الله ، وأنه محاسب عليه حسابه على الصلاة ، والصوم ، والحج .

وثانى الأمرين ، اللذين يرجع اليهما التهاون بأمر الزكاة ، الجهل المستولى على كثير من الناس بوضع الزكاة فى شريعة الاسلام ، وبمكانها المكين فى تلك الشريعة ، حيث يكثر حديث العلماء ، والوعاظ ، والخطباء فى المساجد ، وفى حلقات الدرس بعد الصلاة ، عن الصلاة ، وعن الصوم ، وعن الحج ، وعن الآداب والاخلاق الاسلامية ، ثم لا يكاد الناس يسمعون شيئا عن الزكاة ، حتى لكأن هذه الفريضة العظيمة المحكمة نافلة من نوافل الدين .. الأمر الذى جعل أولئك الذين يستمعون الى هذه الخطب وتلك الدروس يستصغرون شأن الزكاة ، التى يعرفون أنها فريضة من فرائض الاسلام ، ولكن اغفال الحديث عنها فى تلك المواقف من أهل العلم والفقه ، يوقع فى نفوس الناس أن للزكاة شأنا دون شأن غيرها من الفرائض ، والا لكثر

الحديث عنها ، كما يكثر الحديث عن الصلاة والصوم .

ومن هنا كان العامل (الاقتصادى) عنصرا غالبا متحكما فى مسارب حياتنا ، وفى الوان تفكيرنا ، وفى صلات بعضنا ببعض .. وكان لهذا سؤال اكثر ما يتردد فى خواطرنا هو: ماذا نستفيد من مادة ؟ وماذا نحصل من مال ؟ وكيف نضاعف من ثرواتنا ، وننمى من دخلنا دون أن نسأل سؤالا واحدا عن كيف ننفق من هذا المال ؟ وفيم نوجه الفائض منه ؟ وما حق الله فيه ؟ وما نصيب الزكاة منه ؟ ان ذلك كله بعيد عن دائرة تفكيرنا ، ومنزع مشاعرنا ..

لقد كانت (الزكاة) فى الصدر الاول للاسلام مصدرا عتيدا لتمويل بيت مال المسلمين بالمال الكثير الذى يسد مفاقر الفقراء ، ومسكنة المساكين ، ويقضى ديون الغارمين ، ويجهز جيوش المجاهدين ، وذلك على رغم ما كان من قلة المال فى أيدى الناس ، وقلة الاعداد من الذين يعدون فى الاغنياء ..

وانه لو أخذت الزكاة مكانها الصحيح فى هذا العصر ، الذى فاضت فيه الاموال بين أيدى الناس ، وكثرت أعداد أصحاب الثراء العريض ، من أشباه (قارون) — نقول لو اخذت الزكاة مكانها الصحيح فى المجتمع الاسلامى اليوم ، وحوسب عليها الذين تجب عليهم ، لقام للمسلمين منها بيت مال يسع كل فقير ومسكين ، ويحمل كل عاجز وضعيف ، ويقرض كل ذى حاجة من أولئك الذين يقعون فى مصيدة المرابين ، فلا يخرجون منها الا وقد ذهبت دنياهم ودينهم جميعا ..

لقد ربى الاسلام المسلمين تربية اقتصادية سليمة تشيع فيها معانى الانسانية الطيبة الكريمة ، حيث دعا الى العمل الجاد المثمر ، لاستخلاص اطيب ما فى الحياة من ثمرات ، دون بغى ، أو عدوان على مال احد بالسرقة أو الاختلاس ، أو النصب والاحتيال ، أو الغش والاحتكار .. فاذا جمع المرء ما جمع من مال عن هذا الطريق المستقيم ، ولو كان القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، لم يكن لأحد سلطان عليه ينازعه فى شىء مما ملك ، اذا هو أدى ما افترض الله تعالى عليه من حق فى هذا المال ، هو زكاة لهذا المال ينميه ويبارك عليه ، ويطهره من كل ما قد يكون علق به من شوائب فى اكتسابه عن غير قصد من صاحبه ..

يقول الله تعالى لنبيه الكريم : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ، وتزكيهم بها » (التوبة : ١٠٣) .

لقد وضع الاسلام المال بموضعه الصحيح فى الحياة ، حيث جعل منه اداة نفع عام ، لا مصدر تسلط على الناس ، ولا مظهر تفاخر واعتزاز به ، وانما المال — فى الاسلام — وسيلة لا غاية ، وسيلة لحفظ كيان الفرد والجماعة ، ولقيام مجتمع قوى سليم من آفات الفقر والذلة والمسكنة .

ان وظيفة المال — فى الاسلام — هى سد المطالب ، وقضاء الحاجات ، ووصل الأقارب وذوى الأرحام ، وعون البائس والمحتاج ، فمن حصل فى يده المال ولم ينل منه حظ نفسه ، وحظ أهله وولده من كل ما أحل الله من طيبات ، فقد ظلم نفسه ، وأساء التصرف فى استخدام هذه النعمة التى أنعم الله تعالى بها عليه .. ومن كان فى يده المال ، ثم ضن به عن اداء حق الله تعالى فيه ، وما أوجب للمجتمع منه ، فقد عرض نفسه لسخط الله ، وأنزل نفسه منزل المذنبين المحاسبين أشد الحساب عليه .. يقول الله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ،

يوم يحمى عليها فى نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » (التوبة : ٣٤ ، ٣٥) ..

وعن أبى ذر رضى الله عنه ، قال : انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس فى ظل الكعبة ، فلما رآنى مقبلا ، قال : « هم الأخسرون ورب الكعبة » فقلت ، مالى ، لعلى أنزل فى شىء .. من هم يا رسول الله ، فداك أبى وأمى ؟ فقال : « الأكثرون أموالا ، الا من قال هكذا » وحثا بين يديه وعن شماله ، ثم قال : « والذى نفسى بيده ، لا يموت أحد منكم ، فيدع إبلا ، أو غنما ، أو بقرا ، لم يؤد زكاتها ، الا جاءت يوم القيامة أعظم مما كانت وأسمنه ، تطؤه بأخفافها ، وتنطحه بقرونها ، كلما نفدت أخراها عادت اليه أولاها ، حتى يقضى بين الناس » (رواه الإمام أحمد والترمذى .. ومثل الإبل والغنم والبقر فى هذا كل مال لم تؤد زكاته .

وفى القرآن الكريم ، وفى السنة المطهرة كثير وكثير من النواهى والزواجر التى من شأنها أن تقتل فى النفوس دواعى الشح والأثرة ، وتشيع بين الجماعة الاسلامية مشاعر التعاطف ، والتآلف ، والتواصل ، والتواصى بالبر والمرحمة ، مما يوثق روابط الاخوة ، ويمسك بنيان الجماعة من التصدع والانهيار .

والزكاة باب من أوسع الأبواب الذى يدخل منه الناس الى مرضاة الله ، والى غرس مكارم الاخلاق فى النفوس ، والى نشر ألوية الألفة ، والحب ، والإخاء بين أفراد الأمة الاسلامية وجماعاتها ..

وانه لمن اليسير اعادة بناء هذا الركن الذى تداعى أو أوشك أن يتداعى من أركان الاسلام ، وذلك بفرض نظام شبيه بنظام الضرائب فى محاسبة أصحاب رءوس الاموال ، وفى قيام مؤسسة حكومية مهمتها تحصيل نصيب الزكاة من أصحاب الاموال التى بلغت النصاب الذى تجب فيه الزكاة ، ثم اقامة بيت مال — كمصرف أو نحوه — تجتمع فيه أموال الزكاة ، ثم يصرف من هذا المال على أولئك الذين جعل الله تعالى مصارف الزكاة فيهم فى قوله تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » (التوبة : ٦٠) .

واذ لم يعد للمؤلفة قلوبهم ، ولا لمن فى الرقاب وهم الأرقاء ، مكان اليوم فى الحياة ، فانه يمكن أن يوجه نصيبهم فى نشر الدعوة الاسلامية وفى تأليف القلوب اليها ، بما ينفق على الدعاة لدين الله ، وبما ينشر من رسائل وكتب فى الكشف عن حقائق الاسلام ، وفى الرد على الذين يفترون الكذب عليه .

ثم ان فيما يجتمع من حصيلة الزكاة ما يسد باب المعاملات الربوية التى تشوه وجه الاقتصاد الاسلامى ، وتوقع كثيرا من المسلمين فى هذا الاثم الغليظ ، تحت وطأة الحاجة ، وذلك باقراض المحتاجين للمال ، سواء أكان ذلك للاستهلاك أو للانتاج ، مع قيام أجهزة متخصصة لدراسة المشروعات الانتاجية ، وتوجيه المقترضين الى أحسن الوجوه للعمل والانتاج .. وبهذا تتحرر نفوسنا من أسر الحاجة ، والفقر والمسكنة ، ويتحرر اقتصادنا من آفة الربا ، وتحكمها فى رقاب كثير من الناس ، وافساد دينهم ودنياهم جميعا .

عاقبة التساهل بمقدمات الحرام!

للدكتور وهبه الزحيلى

لقد شاعت فى مجتمعنا ظواهر مرضية خطيرة ودخيلة بسبب طغيان المادة على القيم الخلقية ، وفى أعقاب رحيل الاستعمار عن بلادنا ، وانتشار آفات المدنية الحاضرة ، فبدأ استشراء الداء أولا من زاوية الوسائل والمقدمات ، واخفاء المقاصد والغايات الخبيثة واستخف الناس بالمحظور شرعا ، وتنكروا للمبادىء الأولية واستهانوا بأحكام الحلال والحرام فى الاسلام ، وساقهم الجهل بمقاصد الشريعة الى ادعاء الحل والحرمة بالعقل والمنطق الأعوج ، واتسع الخراب بشكل ملموس فى مجتمع الاسرة وفى بعض أوجه النشاط والسلوك والتعامل بين الافراد .

وتجاهل الناس ذلك المبدأ الخطير فى الاسلام والذى لا يقبل التغير أو التطور والتبدل الا وهو (سد الذرائع) الذى تضافرت على تقريره كأصل عام فى الشريعة آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، وأحكام فقهية مستنبطة من مصدرى الشريعة الاصليين .. وهما القرآن والسنة .

ومعنى المبدأ : أن كل ما يتوصل به الى الشيء الممنوع المشتمل ، على مفسدة يكون ممنوعا أي أن كل ما كان وسيلة الى المحرم فهو محرم . فالله سبحانه حرم على المرأة الضرب بالارجل والكعاب ، حتى لا يكون ذلك ذريعة الى اجتذاب الأنظار اليها وافتتان الرجل بالمرأة . قال تعالى : « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » ، وحرم الله على المؤمنين سب آلهة المشركين من الأصنام .. والأوثان المزيفة ، حتى لا يكون ذلك ذريعة الى أن يسب المشركون الاله الحق جهلا وزورا وعنادا : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » .

وحرم القرآن النظر الى النساء وأمر بغض البصر ، لأنه يؤدي حتما أو غالبا الى الزنى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم .. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن » . وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم مع آكل الربا موكله وشاهده وكاتبه، لأنهم كانوا عونا على المعصية وذريعة الى ارتكاب الحرام . كذلك لعن عليه السلام في الخمر عشرة وليس شاربها فقط : وهي ذات الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها وبائعها ومبتاعها وآكل ثمنها ، لأنهم كانوا وسطاء الحرام ووسيلة المعصية ، وطريق الاثم . وحرم عليه الصلاة والسلام الخلوة بالمرأة الاجنبية ، فانه ما اختلى رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما ، وحرم أن تسافر المرأة لمسافة تزيد عن ٨٠ كم مع غير ذي رحم محرم كأب أو ابن أو أخ بالغين عاقلين أو زوج ، لأن في الاسفار سواء بالطائرة أو الباخرة أو السيارة أو الدواب تعرضا للمخاطر وخدشا للعرض ، ووقوعا في الفواحش وان ندر ذلك ، أو طمس واخفى الضرر والاثم عن الناس . ونهى النبي عن بناء المساجد على القبور وعن الصلاة اليها لتجنب الوقوع في الشرك من البسطاء والجهلة والعامة .

ونهى عليه السلام ايضا عن الجمع في الزواج بين المرأة وعمتها وخالتها ، كما نهى القرآن عن الجمع في الزواج بين الاختين وقال النبي : « انكم ان فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » وحرم خطبة المعتدة ونكاحها في أثناء العدة حتى لا تكذب في ادعاء انتهاء العدة ، ونهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه وأن يستام على سوم أخيه ، أو يبتاع على بيعه ، سدا لذريعة التباغض والشحناء واثارة المنازعات .

وقال عليه السلام : « لا تقبل شهادة خصم ولا ظنين » خشية الشهادة بالباطل ، ومنع شهادة الآباء للأبناء وبالعكس منعا من التهمة ، وصاغ النبي صلى الله عليه وسلم المبدأ الشامل لمثل هذه الحالات بقوله : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات » ، « المؤمنون وقافون عند الشبهات » ، « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه » « الاثم ما حاك في الصدر

وكرهت أن يطلع عليه النـــاس »
« استفت قلبك وان افتاك المفتون »
« ان من اكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل : يا رسول الله ، كيـف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب أبا الرجل فيسب اباه ، ويسب أمه فيسب أمه » .

وبه يتبين أن الشرع حرم الوسائل والمقدمات كتحريم المقاصد والغايات ، سدا لذرائع الفساد والشر ، وحماية لمقاصد الشريعة من الخلل والهدم ، حتى تؤدى الغرض منها فى اصلاح الناس على أسس صالحة من الخير والسداد فى النظم الاجتمـــاعية والاقتصادية والسياسية ، وهو يدل دلالة واضـــحة على أن الآداب والفضائل الانسانية والاعتبـــارات الاخلاقية لها صفة الالزام والايجاب كبقية التكاليف والالزامات القـانونية أو الشرعية . وســأذكر هنا بعض الأمثال من فقه الشريعة التى تعطينا كل يوم برهانا جديدا على صـــحة ما تهدف اليه ، بوضع كل المؤيدات والوسائل الحامية لحمـاية أحكام الشريعة الاصلية ، من ذلك ما يأتى :

فى الخطبة :

يتخطى الشباب والشابات حدود ما سمح به الشرع من النظر الـى المخطوبة ومعاشرتها ، ويتســـاهل الآباء والأمهات غالبـــا فى مراعاة قواعد الشريعة ، فينظر الخاطب الى نواح اكثر مما اباحته الشريعة فى الوجه والكفين والقدمين والرقبـــة وتنعقد الجلسات السرية الطويلة بين الخاطبين ، ويتواعدان سرا أو جهرا على اللقاء فى مكان ما ، ويغـــدوان ويروحان صباح مســـاء الى الاندية والملاهى والحدائق ودور الخيالـــه ، ولا بد حينئد من الوقوع فى ما حرم الله قبل العقد ، وتقع الطامه الكبرى أحيانا ، وتتم المعاشرة النهائية ، ثم يعدل الخاطب عن الخطبـــة ويدع خطيبته فريســـة اللقاءات المحرمه وحسن النية المزعوم ، ويقضى على مستقبل الفتاة .

اليس اذا فى التساهل بالمقدمات « وهى حرمة الاطلاع على المخطوبة وحرمة معاشرتها تذرعا بادعاء معرفة طباعها » ما يؤدى الى افدح النتائج الخطيرة ، واضطراب الحياة ، واثارة المشاكل والعداوات بين الأسر .. ؟!

التبرج والاختلاط :

حظر الشرع ابداء الزينة وكشف العورات ، والاختلاط بين الجنسين (الرجال والنساء) فى غير ضرورة شرعية كالتعليم والمعـــالجة الطبية والمعـــاملة بيعا وشراء ونحـــوهما . ولكن المراة خرجت كاشـــفة الرأس واليدين والرجلين والنحر والصدر ، وتساهل الشباب فى ستر عوراتهم أمام بعضهم بعضا ، علما بأن الفخذ عورة ، وأنه يحرم ابداء ما بين السرة والركبة ، سواء فى أماكن النـــوم المشتركة أو فى المســـبح والملعب الرياضى ، وادعى اناس أن مثل ذلك مما عمت به البـــلوى ، ولم يعد التستر بالنســـبة للمراة أو للرجل محترما أو ملتزما به . وعم الاختلاط بين الجنسين فى المدارس والجامعات والزيارات العائلية المشتركة فى غير الحدود المسموح بها وفوق القدر الذى تقتضيه المصلحة العامة أو الضرورة

العملية . واذا تكلم الواعظ أو المذكر بحكم الاســــلام فى هذا المجال اتهم بالرجعية ومعاداة التطور والمدنية ، وكانت النتائج طبعا ســــيئة للغاية تحت ستار العلم والتمدن والتحــرر والتطور ، وأصبحت الوســـــائل والذرائع الممنوعة شرعا مســتساغة طبعا وذوقا وعرفا ومكابرة ، بالرغم من الوقوع فى أخطاء متعددة صارخة على مرأى ومســــمع من الآباء والأمهات .

تدخل الأبوين فى الزواج والطلاق :

يخطىء الأبوان فى اعتبار زوجة الابن بمثـــابة الابن ، فيتــدخلان فى اختيار هذه الزوجة ، وكأنها مخطوبة الأب ، دون مراعاة لاعتبــــارات الثقافة والملاءمة فى السن وتطــور الأعراف والعــادات ويكرهان الابن أحيانا على زوجة معينـــة ، فاذا لم تعجبهما أكرهاه على مفارقتها ، وكلا التصرفين خاطىء ، وليست طاعتهما المطلوبة ومصاحبتهما فى الدنيــــا بالمعروف تقتضيان السماع لرأيهما فى حالى الزواج والفـــراق . فالزواج ينبغى أن يــكون بمحض الرضـــا والاختيار دون اكراه ولا اجبار من أحد ، ويكفى تقديم النصــــيحة والارشاد ، لا الزجر والتعنيف ، فقد رد النبى صلى الله عليه وسلم زواج امرأة زوجها أبوها كارهة ، ومنــح الخيار فى حالة أخرى لفتـــاة بأن تفسخ زواجها الذى أبرمه وليها ، وهى كارهة للزوج وغير راضية بهذا الزواج . واذا كان الخيار ممنوحا للمرأة بالرغم من أن وليها له الحق فى مباشرة العقد حفاظا على اللياقات والأخلاق المرعية ، فان .. الرجل أحق بهذا الخيار ، اذ لا ولاية لأحد عليه فى مباشرة عقد زواجه اذا كان بالغا راشدا . كذلك لا حق للأبوين فى اجبار الولد على مفارقة امرأته ظلما وعدوانا ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، انما الطاعة فى المعروف شرعا وعرفا ، وليس فى المنكر ، ومن أشد المنكرات الوقوع فى ظلم امرأة بريئـــة لم تلتق فى طباعها وسلوكها مع أبوين شـــاخا ونبت الشيب فى عارضيهما . ومثل هذه الوسائل المنكرة تعقب حسرة وندما شديدا ، سواء فى حال الابقاء على امرأة مكروهة من زوجها منذ أول عهده بهـــا أو فى فراق امرأة يحبها زوجها ، ولا ذنب لها ، الا أنها لم تتمكن من ارضاء أبوى زوجها .

زواج الكبار من الصــغار تحت اغراء المال :

لا يصح فى الوسط الاســــلامى الواعى اســـتغلال ما يبيحه الشرع أحيانا فى بعض الحـــالات مراعاة لبعض الظــروف القاســـــية أو الاضطرارية ، ومنها مشروعية زواج الكبير من فتاة أصغر منه ســـنا بعشرات السنوات ، فمثل هـــذا الزواج الذى يتم غالبا طمعا فى مال ثرى من قبل الفتاة أو من أهلهـــا لا يمكن فعلا أن يحقق الغاية المقصودة منه عاجلا أو آجلا ، ويتخذ ذريعـــة للانحراف والشذوذ ، وتكون هـــذه الفتاة ضحية الطيش العارض والطمع القـــاتل ، وحلم الثراء العريض ،

واغراء المال الذاهب ، فماذا ينفع المال أمام حاجات الجسد العارمة ، والشهوة المسيطرة ، فى وقت تخور فيه عزيمة الرجل ، او تأتيه المنية عاجلا ، أو لا تتحقق فيه الامنية المرجوة على وجه صحيح ، ان فى الاقدام على مشروع زواج كهذا يعد طعنة موجهة للقيم والاخلاق والأعراض فى الغالب ، وأما الاحوال النادرة التى تتوفر فيها عواصم العصمة من تربية عالية ودين قوى وتقوى أصيلة ، فلا يقاس عليها ، وتظل جائزة شرعا لأهداف وغايات نبيلة وانسانية كريمة ، ومثل ذلك فى عصرنا بعيد المنال .

مشكلة غلاء المهور :

لم يشرع تقديم المهر فى الاسلام الا وسيلة بناءة للزواج ورمزا لتكريم المرأة وتطييب خاطرها واشعارها بذاتيتها ومجاملتها ، وليس المهر ثمن شراء ، أو وسيط مزايدة أو مكافأة غلاء معيشة أو عوض تربية ، لهذا أدى تنافس الناس فى تقديم مهور عالية الى أزمة زواج مستعصية عند الشباب المتوسطى الدخل الذين يشكلون اكثرية ساحقة فى المجتمع ، فأعرضوا عن الزواج، أو تقدمت بهم السن ليوفروا المال اللازم ، وصارت الفتيات كأنهن إماء رقيقات يبعن فى سوق النخاسة لمن يدفع المهر الاعلى ، وتناسى الآباء والأمهات القيم الخلقيةالتى لا تشترى بالمال ، والتى هى أصون وأعز وأخلد شىء فى الحياة ، بل وأضمن سبيل لبقاء رابطة الزوجية بين الفتى والفتاة : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه ، فزوجوه ، الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير »

والفساد الاكبر الذى نوه عنه الحديث النبوى جاثم فى محيلاتنا هذا الزمان، بالتماس ارضاء الشهوة عن طريق الحرام بسبب تعذر الوصول الى المطلوب من طريق حلال ، وتلك مفسدة خلقية واجتماعية تعم الأسر كلها .

واذا كان صحيحا ان الشرع الحكيم لم يحدد مقدارا أعلى للمهور ، تاركا للوازع الدينى والخلقى مجاله الخصب للتامل والالتزام ، فان سيرة المسلمين الاولى ، وسنة النبى صلى الله عليه وسلم القولية والعملية خير قدوة للمسلمين اليوم فى التسامح بمطالب المهر ، وترك المزايدات الحاصلة بين الأسر ومحاربة الانفاق والبذخ فى حفلات الزفاف التى يدفع اليها حب الشهرة والسمعة والرياء .

ومن المعلوم أن النبى عليه السلام ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتى عشرة أوقية من الفضة أى ٤٨٠ درهما ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ان أعظم النساء بركة أيسرهن مئونة » « خير الصداق أيسره » ومما يعد عيبا واكلا للسحت والاثم أن تمتد يد الأب الى مهر ابنته فيستحل أخذه وصرفه فى موكب الزفاف أو على مصالحه الشخصية لقاء التربية وبدل النفقة التى أنفقها عليها فى حياتها الاولى ، وكأنها غير انسانة ولا ابنة ، فأين اذن المعانى الانسانية وأين البر والخير ، وأين الروابط الكريمة التى تربط الفتاة بأسرتها وذويها .. ؟ هل نسى الآباء فضل آبائهم فى تربيتهم، وهل أعرض الآباء عن الثواب العظيم الذى يدخره الله تعالى لهم فى الدار الآخرة بتربية البنات ، وهل من المروءة

والكرامة أن يأخذ الوالد حق ابنته الشرعي ، وهي من ضلع قاصر ، وتحتاج الى دعم الأب ومساعدته ومساندته لها .. ؟! ان خلقا كهذا لا يرضى به الاسلام ولا تتقبله الكرامة الحقة والقيم الصحيحة والرجولة الأبية ولا مصلحة البنت ذاتها ، اذ هل يكون لهذه المرأة قدر أو احترام عند زوجها الذى يرى كأنه اشتراها ، وهل مثل هذا التصرف الا داعية خطيرة لكثرة الطلاق كما يحصل فعلا فى بعض البلاد .. ؟

ومثل هذا المال الذى يستحله الأب بغير حق : ذلك المال الذى يأخذه بعض الكفلاء من العمال الاجانب بدون مقتضى ولا عذر مبيح شرعا ، علما بأن الكفالة عقد تبرع تمليه قواعد التعاون والتضامن والمثل الاسلامية والانسانية ، فبأى حق يستحل كفيل من جنسية معينة جهد عامل وعرق صانع ، يقدم جهده وخبرته فى سبيل بناء وطن الآخرين ، فهو مشكور مأجور ، لا منبوذ مستغل . الا فليبحث الناس عن مورد رزق حلال وليبتعدوا عما يخل بالمروءات ، فكل ما أعطى كرها لا بركة فيه ، وكل جسم نبت من حرام فالنار أولى به . ومما يشبه هذا أنه بأى حق تقوم دولة اسلامية بمصادرة أموال المسافرين منها بعد أن سمح لهم بدخول أراضيها والعمل فى ربوعها ؟

الاقامة والسفر :

لا تجبر الزوجة بالاقامة مع من تكره من أهل الزوج ، ومن حقها الا يغيب عنها زوجها أكثر من ستة أشهر أو سنة كحد أقصى ، فاذا اكرهت المرأة على الاقامة مع قريب ، أو بعيد ، أو غير أمين ولا ثقة فى فى دينه وخلقه ، وقعت بعض المفاسد الدينية أو الخلقية التى لا يمكن تسوية آثارها ، فيحدث الفراق بين الزوجين بسبب التساهل فى المقدمات المكروهة ، كما يحدث ذلك أحيانا بسبب غيبة الزوج عن زوجته مدة طويلة اقصاها سنة عند فقهاء الاسلام ، وتكون العاقبة وخيمة والنتائج سيئة ، مع أنه لو التزمت تعاليم الاسلام ، وامتنع الزوج عن وسائل الضرر بالمرأة ، لما وقع محظور ، ولا حدث فراق ، ولما وجدت مشكلة اللقطاء ، أو قتل الأولاد أو الاجهاض بسبب الحمل غير المشروع . وهنا يجدر القول : ان المؤمن بحق معطاء للحقوق ، مقدر لمقتضيات الطبيعة البشرية ، غيور على الحرمات ، محافظ على موجبات العفة والمروءة والشرف ، حذر من المخاطر ، ليس بضار ولا ظالم ولا متهاون ولا مفرط ، وانما متوسط فى الامور كلها .

اليمين بالطلاق :

استخف الناس بالحلال والحرام وتخطوا حدود ما أنزل الله وأكثروا من ايقاع الطلاق لأسباب شيطانية ونزوات طائشة واتخذوا آيات الله هزوا ، فتلاعبوا بالطلاق ومزجوا الهزل بالجد ، واللعب بالحزم والعزم ، ولم يراعوا الوجه الشرعى الصحيح الذى شرع من أجله الطلاق ليكون يسرا ورحمة ومنفذا من بعض الحالات المستعصية الحل ، فأصبح مشكلة ونقمة وهدما وتخريبا ، سواء بالنسبة للزوجة أم للأولاد ، كذلك اتخذوا من تعدد الزوجات المباح

للضرورة أو الحاجة الملحة مثل الطلاق سبيلا للكيد والاغاظة والتشفى والعبث واهدار مصلحة الاولاد وعنوانا للتشهير بالاسلام .. مع ان شرع الله برىء من فعل هؤلاء الجهلة والعابثين وأرباب الأهواء ، وحينما تستحكم المشكلة بسبب الطلاق أو تعدد الزوجات يشيع الندم وتأكل الحسرة الأكباد ، ويلجؤون الى الترقيع والفتاوى بالآراء الضعيفة أو الشاذة حفاظا على رابطة الزوجية . وكان جديرا بكل مسلم الا يجرى الطلاق على لسانه لا جادا ولا هازلا ولا أن يطلق احد امراته الا بسبب خطير أو حاجة شديدة ، لأن هزل الطلاق كجده ، ولأن أبغض الحلال الى الله الطلاق ، وان الله لا يحب الذواقين والذواقات ، ولا تطلق النساء الا من ريبة ، كما شرع لنا النبى صلى الله عليه وسلم ، ولقوله تعالى : « فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » وبما أن أحكام الزواج والطلاق مبنية على الورع والاحتياط فى الدين ، فمهما قيل عن اليمين بالطلاق (أى الطلاق المعلق على شرط) من أنه مجرد يمين فيها الكفارة أخذا برأى ابن تيمية ، فان الورع يقضى باحترام اختلاف الآراء بين العلماء والتى منها المذاهب الاربعة القاضية بوقوع الطلاق عند تحقق الشرط ، كما قضوا بوقوع الطلاق بلفظ الثلاث ثلاثا ، وان أفتى بعضهم عملا برأى ابن تيمية ومن وافقه بوقوعه واحدة وأخذ برأيه بعض قوانين الاحوال الشخصية .

عدة الفراق :

ان وقع الطلاق او حدثت وفاة الزوج لم تعد اغلب النسوة يلتزمن أحكام العدة المقررة بصريح القرآن الكريم . والعدة : مدة حددها الشرع تمكث فيها المرأة فى بيت الزوجية ولا تخرج منه الى اى مكان الا لضرورة قصوى ، مثل احضار حوائج البيت اذا لم يكن لها قريب يوفر لها مطالبها ، ولا يجوز لها التزين ولبس الألبسة الزاهية ، ولا الخطبة ولا الزواج فى فترة العدة : وهى التى تنتهى بوضع الحمل ان كانت حاملا ، وبمضى مدة ثلاثة اشهر ان كانت مطلقة لا تحيض او أربعة أشهر وعشرة أيام ان كانت متوفى عنها زوجها ، أو ثلاث حيضات أو اطهار على حسب اختلاف العلماء ان كانت مطلقة تأتيها الدورة الشهرية وهى الطمث : « واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ، ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة » : ومن المعروف أن تشريع العدة كان لحكم جليلة منها : منع اختلاط الأنساب وتقدير نعمة الزواج ، ورعاية حق الزوج ، وتمكينه من مراجعة المرأة أو العقد عليها من جديد ان جاز له ذلك ، وصيانة سمعة المرأة من التلوث والطعن وكلام الناس ، ونحو ذلك . لكن من المخالفات الصارخة فى زمننا لحكم العدة : أن تخرج المرأة من بيتها ، أو أن يخطبها أحد ، أو أن تتزوج فعلا بزوج آخر ، وفى ذلك البلاء المبين الذى أعقب العجلة ، وعدم انتظار نهاية العدة مما يؤذى الرجل والمرأة معا .

زواج التحليل :

ان كثرة حوادث الطلاق بالثلاث أو المفرق ثلاث مرات يؤدى الى ندم

شديد عند الرجل كما نوهنا ، وحينئذ اما أن تعاد المرأة الى زوجها بفتوى باطلة عن طريق افساد عقد الزواج الاصلى ، واما أن يلجأ الى التحليل بتزويجها من زوج آخر ينام معها ليلة ثم يطلقها ، وبعد انتهاء عدتها يعقد عليها زوجها الأول عقد زواج جديد . وعملية التحليل هذه سواء صرح فى العقد بأنها عملية مؤقتة ، او اتفق سرا على اجراء الطلاق ، فانها أشبه بالزنا ، وهى عقد فاسد عند الله وفى عرف الناس ، ولا يجوز للمحلل الاستمتاع ، ولا تحل المرأة بهذا الفعل لزوجها الأول ، لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لعن الله المحلل والمحلل له » وسمى المحلل فى رواية أخرى بالتيس المستعار ، وكان يعده الصحابة سفاحا ، وقال سيدنا عمر : لا اوتى بمحلل ومحلل له الا رجمتهما ، وأما القصد من قوله تعالى : « حتى تنكح زوجا غيره » فهو تنفير الزوج من ايقاع الطلاق وتحذيره من الوقوع فى وضع يستقبحه وينفر منه ، ولا تتقبله الطباع السليمة والأذواق الصحيحة وأولو الغيرة والحمية . فان تم زواج طبيعى بعد البينونة الكبرى أى الطلاق الثلاث ، وقصد به الدوام والبقاء ثم طرأ على الزواج الجديد ما ينقضه ونقض فعلا ، أمكن للزوج الأول اجراء عقد جديد على هذه المرأة التى كانت قد بانت منه .

بيوع الربا :

ومثل زواج التحليل بالمناسبة تلك البيوع الصورية التى تحدث كثيرا فى عصرنا ويقصد منها فعلا التوصل الى الربا أو الفائدة ، بأن يبيع الشخص شيئا لآخر بثمن مقسط أو مؤجل لأجل محدد ، ثم يقوم المشترى فورا ببيع الشىء الذى اشتراه لبائعه الأول بثمن نقدى معجل أقل من الثمن الأول المؤجل الذى اشترى به السلعة ، فيكون الفرق بين الثمنين ربا ، لصالح البائع الأول الذى هو فى الحقيقة مقرض الفائدة ، والمشترى منه مقترض ، هذا البيع حرام لأنه ذريعة للربا ويسمى فى السنة (بيع العينة) ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة ، واتبعوا أذناب البقر — أى شغلوا بالزراعة — وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، أنزل الله عليهم بلاء ، فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم » وقد فعله صحابى اسمه زيد بن أرقم ، فقالت له عائشة رضى الله عنها : « انه أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن يتوب » . ولا غرو فان فقهاء المالكية والحنابلة بالذات أصابوا بحكمهم على زواج التحليل وبيوع الربا بالفساد والبطلان عملا بقاعدة الامور بمقاصدها .. وقوله صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » .

أى أن النية والباعث الفاسد يفسد العقد ويبطله ، وبه يأثم صاحبه عند الله . وأخيرا أليس فى اهمال المقدمات والوسائل الفاسدة فيما ذكرناه ونحوه دليل على التوصل لأخطر النتائج وأفدح الغايات بسبب التهاون فى ذرائع الحرام فى الاسلام ؟! وهكذا يقضى المنطق ويوجب الشرع والواقع أن كل فساد مهمل فى المقدمات يستتبع خللا خطيرا فى النتائج ، وكل ما أفضى الى الحرام فهو حرام ، وكل ما أدى الى الشر فهو شر .

مائدة القارئ

(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم) .
(ولهن مثل الذى عليهن بالمعروفوللرجال عليهن درجة) .
ـ قرآن كريم ـ

« استوصوا بالنساء خيرا »

« خيركم خيركم لأهله وانا خيركملأهلى » .
ـ حديث شريف ـ

القضاء والقدر

قال رجل للامام على كرم الله وجهه : أخبرنا عن سيرنا أكان بقضاء الله وقدره .

قال الامام : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ـ ما وطئنا موطئا ، ولا هبطنا واديا الا بقضاء الله وقدره ، ومع هذا فقد عظم الله أجركم فى سيركم وفى متصرفكم ، ولم تكونوا فى شىء من احوالكم مكرهين ولا مضطرين .

إن الله أمر تخييرا ، ونهى تحذيرا ، وكلف تيسيرا ، ولم يعص مغلوبا ولا كارها ، ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثا ، والقضاء والقدر هو الأمر من الله تعالى ، والحكم ، ثم قرأ قول الله سبحانه (وقضى ربك الا تعبدوا إلا إياه ..) .

جمل عبود

كان للوالى (عبود) جمل يسرح ويمرح فى مزارع الرعية ، فاتفق أصحاب المزارع فيما بينهم على أن يرسلوا وفدا الى الوالى ليمنع جمله من اتلاف الزرع ، فلما مثل الوفد بين يدى الوالى تكلم واحد منهم عن الجمل والضرر الذى يلحقه بالحرث ، فغضب الوالى وصار يتهدد الوفد. ويتوعدهم وخيم الصمت على الجميع ولم يتلفظ أحد منهم ولم يجد المتكلم من ينصره ، فاستأنف الحديث :

وقال يا طويل العمر : ان هذا مسكين ومعذور حقا لأنه وحيد بلا انيس ولا جليس ، ولهذا قررنا أن نساهم فى شراء ناقة له تؤنسه فسر الوالى ، وجيىء للجمل بناقة .

هــذه حقيقــة

كان رجل مطلوبا للشرطة ، وكان قد أخذت له صور فى ستة أوضــاع مختلفة ، ووزعت الصورة على مكاتب الشرطة ، وبعد أيام كتب المسئول عن أحد المخافر كتبا الى رياسته يقــول فيه : تسلمنا الصور الست الخاصة بأشخاص مطلوب القبض عليهم ، وقد تم اعتقال خمسة منهم ، أما السادس فسنعتقله قريبا .

انسان ملــــون

قال الطاهى لسيــده : ماذا نطبخ اليــوم .

السيد : والله لا أدرى . انطبــــخ باذنجانا ؟

الطاهى : الله . نعم ما ذكرت أنه لذيذ الطعم مفيد للجسم .

السيد : ولكنه يتعب معدتى .

الطاهى : صدقت ، ما أثقله ، وما أعسر هضمه ، وما أقل فائدته .

السيد : يا رجل إنك من لحظــة واحدة تمدحه ، وتقر بفائدته .

الطاهى : اسمع يا سيدى — أنا خادمك أو خادم الباذنجان .

الديــك الرومى

اهدى صديق الى الأديب الكبير عبد الله باشا فكرى (ديكا روميا) فكتب اليه كتابا ظريفا جاء فيه :

حصل من الأنس — بما وصل من ديك الانس — ما يقصر عن بيانه (ديك الجن) ولا أدرى لماذا أختلفت فيــه الأحساب وتدافعته النساب فتــرى الناس فى مصر يسمونه روميا ، وفى بلاد الروم يسمونه مصريا وفى البصرة (ديك خيبر) والانجليز يسمونه هنديا فان لم يأتنى بحقيقــة نسبه وحسبــه لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنــه أو ليأتينى بسلطان مبين .

بدعة التقليد

يحكى أن ثنية (البنطلون) سببها أن لوردا انجليزيا سافر الى أمريكا ، وكان مدعوا الى حفلة عاجلة ، ولم تكن حقيبة ملابسه قد وصلت بعد ، فاشترى بدلة على عجل ، ولبسها على عجل ، وكان البنطلون طويلا ، فثنى رجليه ، فأصبح ذلك تقليدا ، ولو فعل ذلك غير (لورد) لضحــــك الناس عليه .

قــريش

القرش : الكسب ، يقال هو يقرش لعياله اى يكتسب ، وسميت قريش بهذا الاسم لتجارتهم وجمعهم المال .

ويروى أن معاوية سأل ابن عباس رضى الله عنهم : لم ســـميت قريش قريشا ؟

فقال : بدابة تكون فى البحر يقال لها القريش لا تمر بشىء الا أكلته ، وانشد :

وقريش هى التى تسكن البحر بهاسميت قريش قريشا وقيل سموا بهذا الاسم لاقتراشهم بالرماح . قـــال الشاعر :

ولما دنا الرايات واقترش القنا   وطار مع القوم القلوب الرواجف،

الحاجة إلى توحيد

للشيخ عبد الحميد السائح

فى العدد الممتاز ١٠٩ من مجلة (الوعى الاسلامى) تاريخ غرة محرم ١٣٩٤ هـ ، يناير ١٩٧٤ م قرأت مقالا هاما للدكتور محمد عبد الرؤوف بعنوان « الحاجة الى تقويم هجرى موحد » ، وبما أن الموضوع فى ذاته جدير باهتمام علماء المسلمين فى العصر الحاضر ، فى مشارق الارض ومغاربها ، وبما ان الامور التى ذكرها الدكتور فى مقاله أسباب وجيهة وكافية لضرورة الاستجابة وتلبية النداء ، واخراج الفكرة الى حيز الوجود ، حرصا على تأمين وحدة المسلمين فى أعيادهم ، وتوفيرا لمصالح جماعة كبيرة من المسلمين ، موزعين فى أنحاء المعمورة ، يجب أن يهتم بهم ، ويشعروا أن المسلمين — حيثما كانوا — يتعاطفون معهم ، ويعملون على حل مشاكلهم ، وان الإسلام فى تشريعه ومبادئه وأهدافه ومقاصده ، صالح لكل زمان ومكان ، رأيت أن أساهم فى ذلك ، ببيان بعض المراحل التى مرت بها الفكرة حتى نستبين الطريق السليم الذى نسلكه ، والباب المرجى الذى نطرقه .

١ — منذ مدة وأنا شاعر بالحاجة الماسة الى توحيد المواسم والاعياد الاسلامية ، لما رأيت فى شرقنا العربى من حالات مؤسفة ، بسبب التفاوت فى تاريخ الصوم أو العيد ، فى كثير من الاحيان ، ففى سنة ١٩٥٢ م بدأ صوم رمضان فى الاردن وسوريا ، يوم السبت فى ١٩٥٢/٥/٢٤ ، وفى مصر يوم الأحد فى ٢٥ من الشهر المذكور ، وفى المملكة العربية السعودية

المواسم والأعياد الاسلامية

يوم الاثنين فى ٢٦ منه ، وعلى اثر ذلك كتبت مقالا نشر فى جريدة الدفاع الاردنية يوم الاثنين فى ١٠ رمضان سنة ١٣٧١ هـ (١٩٥٢/٦/٢ م) بينت فيه مذاهب الأئمة الاربعة ، وان المعتمد عندهم ــ عدا الشافعية ــ عدم اعتبار اختلاف المطالع ، فيصـــوم أهل المشرق برؤية أهل المغرب ، وان الشافعية اختلفوا وصحح الامام النووى فى المنهاج عدم اعتبار اختــلاف المطالع .

٢ ــ بما أن الاختلاف فى تاريخ الصوم وتاريخ الاعياد قد تكرر فقد أعدت الكتابة فى الموضوع للمراجع الرسمية ــ فى الاردن ــ وطلبت عقد مؤتمر اسلامى ، يضم علماء المسلمين ، لبحث هذا الموضوع ، بكتابى تاريخ ٤ شوال ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥/٥/٢٨ م) .

٣ ــ اهتمت الحكومة الاردنية بالموضوع ، وكتبت للجامعة العربية ، فتألفت فيها لجان متعددة ، كان حصيلتها الموافقة المبدئية على الفــكرة ، وضرورة عقد مؤتمر فى نطاق الجامعة ، وقد عقد هذا المؤتمر سنة ١٩٦٣ م فى تونس ، ولم يتفق مندوبو الدول العربية على راى معين ، وأصرت تونس على الأخذ بالحساب ، وانتهى عند هذا الحد فى الجامعة .

٤ ــ حينما انعقد المؤتمر الأول لمجمع البحوث الاسلامية فى القاهرة

سنة ١٩٦٤ م قدمت اقتراحا برغبة ، لبحث هذا الموضوع ومناقشته ، مع دعم ذلك بكتابة بحث فيه بيان وجهة النظر الشرعية ، والأدلة التى تستوجب الاعتماد على الحساب فى العصر الحاضر ، وان ذلك مما تقتضيه رحابة الشريعة الاسلامية ومرونتها ، وسعة افقها ، وشمول احكامها ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

فأحال المجمع الموضوع ، مع البحث الذى قدمته ، لأحد أعضائه فضيلة الشيخ على السايس ، فقدم بحثا مستفيضا ، بين فيه مختلف آراء علماء المسلمين ، ووجهة كل منهم ، وذكر فى آخر بحثه أن الحساب الفلكى الشرعى ، المبنى على الوضع الهلالى ، وامكان رؤيته بعد غروب يوم ٢٩ من الشهر السابق ، بحساب الرؤية ، يصلح مناطا مستقلا لاثبات الشهر ، كما اختاره طائفة من العلماء الاثبات كالسبكى وابن سريج وابن مقاتل وغيرهم ، ورجحه فضيلة المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعى ، وان ذلك لا يتنافى مع أحاديث اثبات الشهور بالرؤية أو الاكمال ، بناء على أن المراد العلم بالرؤية لا حقيقتها .

ويدل على ذلك ما جاء فى بعض روايات الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم : « فان غم عليكم فاقدروا له » . فقد فسر من يرى من العلماء الأخذ بالحساب القطعى قوله « فاقدروا له » بمعنى فانظروه وتدبروا فيه ، من قولهم : قدرت الأمر ، نظرت فيه وتدبرته ، وذلك بالحساب عند من خصهم الله بهذا العلم . قال السبكى : والبحث فى الحديث فى موضعين ، احدهما قوله : فاقدروا له ، قال بعض من يقول باعتماد الحساب ، معناه : احسبوا له ، ويكون معناه قدره بالحساب والمنازل ، كما قال تعالى : « وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » (٥ يونس) ، قاله مطرف بن عبد الله من التابعين ، وابن قتيبة من المحدثين ، وابن سريج من الشافعية ، وابن مقاتل من أصحاب محمد بن الحسن ، وطائفة من المتأخرين ، قالوا : ولا يلزمنا مقال المازرى « من أن الناس لو كلفوا بالحساب لضاق عليهم ، لأنه لا يعرفه الا افراد قلائل » ، لأنه انما يلزمهم ذلك ، لو كلف عامة الناس بالحساب ولم يقل بذلك أحد .. الخ .

رأى المرحوم الشيخ ابو العلا البنا

مدرس الفلك بكلية الشريعة بجامعة الأزهر

٥ ــ وممن تحدثت معه فى الموضوع ، المرحوم الشيخ محمد ابو العلا البنا ، وكان مؤيدا لفكرة التوحيد ، بناء على ما توصل اليه من معلومات دقيقة ، وحسابات صحيحة ، ومن المفيد أن أنقل بعض ما ذكره :

— ان جميع الحكومات الاسلامية تقع بين شاطىء آسـيا الشرقى ، وشاطىء أفريقيـا الغربى ، أعنى مـن شرقى جرينتش الى غربى جرينتش ، بمقدار تسع ساعات من ٢٤ ساعة دورة اليوم بقسميه الليل والنهار ، حـول الارض من الشرق الى الغرب .

اذا علمنا ذلك تأكدنا أن البلاد الاسلامية كلها تجتمع فى يوم واحـد ، دون تفرقـة ، اذ يبدأ اليـوم الاسبـوعى والتاريـخ للعـالم الاسـلامى كله ، من أبعد البلاد الاسلامية شرقا ، وهى الفلبين وأندونيسيا والملايو قبل جرينتش ب ٨ ساعات ، ومثل العراق وباكستان ، ب ٥ سـاعات ، وقبل مصر والسودان ب ٦ ساعات وقبل تونس ب ٧ ساعات ، وقبل مراكش ، التى هى أبعد البلاد الاسلامية غربا ب ٩ ساعات ..

ثم قال ، وأما وحدة هذا اليوم فى باقى بلاد الدورة من سطح الارض كأميركا فأمرها ظاهر ، (اذ أنه اذا ثبت رؤية الهلال فى أبعد البلاد الاسلامية غربا وهى مراكش ، واذيع الخبر) فان أهل أميركا مثلا يكونون حينئذ فى عصر اليوم السابق أو فى ظهره أو فى شروقه ، وعندئذ يسـتقبلون هذا اليوم الجديد من أوله دون تغيير فى اسمه أو تاريخه .. الخ .

مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية

٦ — بعد الاطلاع على كل تلك البحوث والآراء ، قرر ما يلى :

أ) ان الرؤية هى الأصل فى معرفة دخول أى شهر قمرى ، للحديث الشريف ، لكن لا يعتمد عليها اذا تمكنت فيها التهمة .

ب) يكون ثبوت الرؤية بالتواتر والاستفاضة كما يكون بخبر الواحد ، اذا لم تتمكن التهمة فى أخباره ، ومن أسباب التهمة مخالفة الحساب الفلكى الموثوق به الصادر ممن يوثق به .

جـ) خبر الواحد ملزم له ولمن يثق به ، أما الزام الـكافة فلا يـكون الا بعد الثبوت عند من خصصته الدولة لذلك .

د) يعتمد على الحساب فى الاثبات اذا لم تتحقق الرؤية ، ولم يتيسر الوصول الى اتمام الشهر السابق .

هـ) يرى المؤتمر أنه لا عبرة باختلاف المطالع ، وان تباعدت الأقاليم ، متى كانت مشتركة فى جزء من ليلة الرؤية ..

و) يهيب المؤتمر بالشعوب والحكومات الاسلامية أن يكون فى كل

اقليم اسلامى هيئة اسلامية يناط بها اثبات الشهور القمرية ، مع اتصال بعضها ببعض ، والاتصال بالمراصد والفلكيين الموثوق بهم .

٧ ـ فهذا مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة الذى يضم عددا من العلماء المسلمين فى عدة اقطار اسلامية ، فتح الباب لاعتماد الحساب الموثوق به ، فى حالات خاصة ، يضاف الى ذلك ما يلى :

أ) ما قاله العلامة العبادى من الشافعية : اذا دل الحساب القطعى على عدم رؤية الهلال لم يقبل قول العدول برؤيته وترد شهادتهم أ. هـ. وعلق عليه القليوبى بما نصه : وهو ظاهر جلى ، ولا يجوز الصوم حينئذ ، ومخالفة ذلك معاندة ومكابرة (حاشية القليوبى على شرح المحلى للمنهاج ج ٢ ص ٤٩) .

ب) ما ذكره شيخنا المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعى ، مفتى الديار المصرية سابقا ، فى رسالته « ارشاد أهل الملة الى اثبات الأهلة » ، من اختيار القول بالعمل بالحساب الصحيح ، وان مما يؤيد ذلك ، أن أهل الشرع والفقهاء وغيرهم يرجعون فى كل حادثة الى أهل الخبرة وذوى البصيرة فيها .

الا ترى ان الحاسب اذا قال ـ بناء على حسابه ـ ان الخسوف أو الكسوف يقع ساعة كذا من يوم كذا ، وقع كما قال قطعا ولا يتخلف .. الى ان قال : ولم يكن السبكى مخترعا للقول بالاعتماد على الحساب ، بل ذلك قول فريق من العلماء ، منهم ، ابن سريج ومطرف ، وابن قتيبة وابن مقاتل الرازى وهو قول بعض كبار التابعين وكفى بأولئك قدوة .

جـ) ما بينه المرحوم الشيخ أحمد شاكر فى رسالته فى اثبات العمل بالحساب ، استنادا الى نصوص الأئمة الذين قالوا به ، من قبل ، وان الحديث الشريف : إنا أمة أمية .. الخ . خرج مخرج الكلام المعلل .. الخ .

د) ما أوضحه الاستاذ علال الفاسى ، من علماء الطبقة الاولى بجامعة القرويين ، فى رسالته (التى تتعلق بمبدأ الشهور الاسلامية العربية) .

فقد استعرض أقوال الفقهاء فى العمل بالحساب ، ونقل عن القرافى فى الفروق ، فى الفرق الثانى والمائة ، ان فى الموضوع قولين عند المالكية وعند الشافعية .. ثم بين أن المشهور فى كل مذهب هو القول بعدم العمل بالحساب .. وان السبب فى ذلك يعود الى :

أولا : فهم الحديث الذى رواه البخارى ومسلم : انا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب .. الخ . على أن المقصود به المنع مطلقا من العمل بالحساب ، وان الرؤية هى الامارة الشرعية الواحدة حتى لو تبدلت الاحوال .

ثانيا : التخوف من الوقوع فيما وقع فيه البابليون وقدماء الامم الذين خالطوا التنجيم ، والخلط بين عبادة النجوم والسحر بها ، وبين استعمال الحساب والرصد لفائدة المعرفة وتدقيق السنين والحساب .

ثالثا : كون الاغلبية الساحقة فى العصور الاولى ، بل جميع الامم فيما قبل العصر العباسى كانت بعيدة عن اتقان الفلكيات حتى تستفيد منها .

وقد تطـــورت الاحوال وبقي معظم علمـــــائنا على القول بما قال به الأولون ، الا فئة يسيرة ، ممن أعملوا رأيهم من العلماء في كل عصر ، من بينهم ابن دقيق العيد ، فقد قال في شرح عمدة الاحكام .. اذا دل الحســـاب على أن الهلال قد طلع في الأفق على وجه يرى لولا المانع كالغيم مثلا ، فهذا يقتضي الوجوب لوجوب السبب الشرعي ، وليس حقيقة الرؤية بمشروطة في اللزوم .. الخ .

ومن بينهم الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي فقد قال في الفتوحات المكية : اختلف العلماء اذا غم الهلال (وبعد أن نقل الاقوال المعروفة) قال : ومن قائل إن ذلك يرجع الى الحساب بتسيير القمر والشمس ، وهو مذهـــب ابن الشخير وبه أقول .

ثم قال الاستاذ علال ، واذن فالقول باعتبار الحساب هو مذهب مطرف ابن عبد الله بن الشخير من أعيان التابعين ، وابن سريج والشافعي في احدى المنقولات عنه ، ومحمد بن مقاتل الرازي ، وقال به بعض المالكية ، وهو مذهب ابن طاووس من الامامية ، وحكوه عن جماعة منهم ، كما يؤخذ من كتاب « فرج المهموم في نهج الحـــــلال والحرام من علم النجوم » لابن طاووس ، وكذلك العاملي في الحبل المتين ، واليه مال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة . ثم أيد رأي الاستاذ أحمد شاكر ، في أن حديث : انا أمة أمية .. الخ . خرج مخرج الكلام المعلل ، وهو ان العرب ، بل الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من أمم العالم ، لم يكونوا على درجة من العلم يجعل نتائج حساباتهم قطعية .

أما اليوم فقد تطورت حال معرفة المســـــلمين للفلك ، ومنذ العصر العباسي وعلماؤنا يتعاطون هذا الفن ، وانضمت اليه الدراسات العصرية ، فلم يعد من الممكن القول بأن النتائج الحسـابية ظنية ، بل هي قطعية بقدر ما تكون الرياضيات قطعية .

وعليه فما دام الحكم قد خرج معللا ، وما دامت العلة قد انتفت ، أي لم نعد أمة أمية ، بل اصبحنا نقرأ ونحسب ، فقد أرشدنا الحديث الى العمل بالحســـاب ، طبقا للقاعدة الاصــــولية ، العلة تدور مع المعلول وجودا وعدما .. الخ .

ثم ختم رسالته بنصيحة الى جلالة ملك المغرب وولاة أمور المسلمين في كل الارض بالقيام بعمل موحد لضمان توحيد المواسم والاعياد والصوم والافطار تحقيقا لأعظم مظهر للاخوة الاسلامية في هذا العصر .

٨ ـــ وبعد هذا الاستعراض للمراحل التي مر بها بحث الموضوع ، ولأقوال أئمة المسلمين وعلمائهم في القديم والجديد .

رأيي ..

أرى أنه يجب على ولاة أمور المسلمين بحث هذه المسألة ، والخروج منها بموقف موحد ، يتفق مع ما يشعر به المســـلمون في كل صقـــع وقطر ، بحيث ييسر لهم أن يصوموا معا ، ويفطروا معا ، ويضحوا معا .

الى المؤتمر الاسلامى وأمينه العام

واعتقد — بعد أن أصبح للمؤتمر الاسلامى جهاز — أن المكـــان المناسب او الجهة المناسبة لبحث ذلك ودراسته والخروج به من حيز الفكرة والدراسة الى حيز التنفيذ ، هو ذلك المؤتمر ، لهذا اتوجه لأمينه العام الاستاذ حسن التهامى أن يهتم بالموضوع اهتماما متناسبا مع حاجة المسلمين اليه ، وأرجو أن يطلع على الاسباب الوجيهة التى ذكرها الدكتور محمد عبد الرؤوف فى المقال المشار اليه آنفا ، وان يوجه الدعوة لولاة أمور المسلمين مع جماعة من علماء المسلمين من كل صوب ، حتى يتفقوا على مخرج مناسب للعصر الحاضر ، ولكون الاسلام صالحا لكل زمان ومكان ، وأنه يتسع لحل المشكلات والمعضلات فى كل آن ، فانه دين الله الخالد وخاتمة الشرائع ، وليس فى القول باعتماد الحساب القطعى منافاة لاحكام الشريعة الغراء ، ولا مصادمة لخبر قطعى ، وحديث صوموا لرؤيته ، وحديث انا أمة أمية ، يمكن فهمها فهما لا يتعارض مع اعتماد الحساب ، ولا يتنافى مع اللغة العربية ، ولا مع ما قاله الأئمة الموثوقون ، وقد ألمعت الى ذلك فيمـــا نقلت أعلاه ، وكون المشاهدة للهلال هى الوسيلة التى كانت معتمدة ومعولا عليها فى العصور الاولى ، لا ينفى الاعتماد على غيرها ، من وسائل العلم .

واعتقد انه لو اتفق على أن تكون مكة المكرمة مركزا لمجمع اسلامى ، يضم العلماء الواعين من كل ناحية ، الذين يفقهون شريعة الله على حقيقتها ، سهلة سمحة ، كما يضم خبراء الحساب الموثوقين فى دينهم وعلمهم ، مع تأسيس مرصد اسلامى هناك ، والاستعانة بأحدث الوسائل والآلات ، لأمكن حينئذ أن يخرج المسلمون برأى موحد ، بالموافقة على تقويم اسلامى موحد ، يعين تواريخ صيامهم وافطارهم ، ومواسمهم واعيادهم ، وفى ذلك خدمة للاسلام ، ووسيلة ناجحة فى هذا العصر ، من وسائل الدعوة اليه ، واثبات جدارته ليكون دين البشرية ، وأعتقد أن لنا فى كنوز المسلمين من الأئمـــة السابقين ، ما يساعدنا على الوصول لتلك النتيجة ، فليس من الحرص على الاسلام ، التمسك بأقوال ومفاهيم معينة ، ولو خالفت روح العصر ومصالح الناس ، ما دامت لا تتصادم مع آية قرآنية أو سنة نبوية ، وباب الاجتهاد لأهله مفتوح ميسر ، ويمكن للعلماء المشـــار اليهم وذوى الخبرة ، أن يروا رأيهم فى ذلك كله ، خصوصا أن أولئك العلماء الأثبات من الســــابقين واللاحقين ، رأوا صحة الاعتماد على الحساب ، وان القول بالزام المسلمين بشهادة واحد أو أكثر ، بأنه رأى الهلال ، لا يمكن أن يتساوى بشهادات علماء الحساب القطعى ، والا وقفنا موقفا لا نحسد عليه ، ولا تؤيدنا فيه القواعد الصحيحة ، ولا روح التشريع الاسلامى ، وكنا كما قال القليوبى ، فى موقف المعاندة والمكابرة .

والله ولى التوفيق ، وهو الهادى لأقوم طريق .



اعداد الاستاذ عبد الستار محمد فيض

مكتبة المجلة

كيف ندعـو النـاس

صدرت هذه الرسالة سنة ١٩٤٠ ، ثم أعيد طبعها عـدة مرات ، وكان حجمها لا يتجاوز ٤٠ صفحة من القطع المتوسط ، وقد نفدت جميع طبعـاتها منذ سنة ١٩٤٨ .

ويقول المؤلف الأستاذ عبد البديع صقر أنه اعاد كتابتها مع شيء من التوسع والتنقيح على ضوء ما أفاد من التجربة ، وقد قسمها الى عدة رسائل منفصلة وهي : كيف ندعو الناس ، كيف تصبح داعيـة ، كيف تختار مكتبتك ، كيف تسلك في جماعة ، وقد روعي فيها تجنب الاكثار من ايراد الاستشهادات والأمثلة وليس البحث ـ كما يقول المؤلف ـ تحقيقا علميـا ، وانما هو خطة ارشاد وكان هدفنا الحرص على الايجـاز ، فأثبتنا الكلمة المطلوبة لذاتها فقط مع مجانبة أي تعقيـد في اللفظ أو تكلف في المعاني فهو حديث النفس للنفس لكي يفيـد منه العـامة والمثقفون على السـواء .

والكتاب من منشورات المكتب الاسلامي ويقع في ١٨٠ صفحة .

مناهج الاجتهاد في الاسلام

بحث جديد وفريد في موضوعه يتناول الاختلافات الفقهية ومناهج الفقهاء في الأحكام الفقهية والعقائدية ، وقد تحدث المؤلف الدكتور محمد سلام مدكور في التمهيد لهذا الكتاب على التعريف بالفقه الاسلامي والحكم الشرعي والدليـل ونشأة الفقه الاسلامي وطرق استنباطه وبدء ظهور علم الأصول ومنهج الفقهاء وقسم الكتاب بعد ذلك الى ثلاثة أقسام تناول فيها مواد البحث باسهاب وتفصيل الى أن اختتمه ببيـان ما يجب على المسلمين من الفقهاء المتخصصين والعلمـاء المخلصين في مختلف العلوم والمعارف حيال الفقه الاسلامي في عصرنا والكتاب بجزئيه يقع في ثمانمائة وخمسين صفحـة ومن طبع المطبعـة العصريـة ونشر جامعة الكويت .



فكرة الحق من

للأستاذ سعيد زايد

يعرف الفيلسوف لينبز فكرة الحق بأنها نوع من القدرة الاخلاقية هى فى الغالب سبب لانتاج اى عمل أخلاقى أو منعه . وهذه القدرة هى الضابط الذى يقف حدا مانعا بين ما للإنسان وما عليه ، وبها يمكن للانسان أن يسمح لظاهرة معينة بالحدوث أو يتدخل فى سبيل منعها .

وفكرة الحق وان كانت قديمة الا أنه من الصعب التماسها فى الفلسفات القديمة وخاصة عند اليونان والرومان فعنصر المساواة لم يكن سائدا عندهم ، وهم الذين كتبوا كثيرا فى أخلاق السادة وأخلاق العبيد ، فطبقة الاشراف ــ عند الرومان ــ هى التى كانت تنتظم العشائر الرومانية القديمة ، أما العامة فلم يكن لهم شرف الدخول فى العشائر ولا يخضعون لحماية الاشراف ، ولقد كان أفراد طبقة الاشراف يتمتعون بجميع الحقوق العامة والخاصة ، أما طبقة العامة فقد كانوا محرومين من مباشرة معظم هذه الحقوق ، فلم يكن لهم ــ مثلا ــ حق الاقتراع داخل المجالس القديمة ولم يكن لهم حق تولى المناصب العامة ، ولم يكن لهم ايضا حق الزواج بالاشراف ولقد كانت الثروة العقارية فى أيدى الاشراف لأن الأرض كانت ملكا للعشائر الرومانية التى تتكون منها المدينة وهذه بالتالى كانت مقصورة على الاشراف وها هو أرسطو يرى المرأة أقل عقلا وليس بصحيح أن الطبيعة هيأتها للمشاركة فى الجندية والسياسة وانما وظيفتها العناية بالأولاد وبالمنزل تحت اشراف الرجل والعبيد يحصلون الثروة الضرورية لقوام الاسرة ويعتبر أرسطو الرق نظاما طبيعيا ، فالعبد آلة للحياة أو آلة منزلية يعاون على تدبير الحياة داخل المنزل . ويرى أرسطو أن هناك من الناس من ولد حرا ومنهم من ولد عبدا . فاليونانى ــ فى رأيه ــ سيد



الناحية الأخلاقية

حر ، والاجنبى عبد له لأنه بربرى ، ولا يستعبد اليونانى اخاه بأى حال .

ولقد أبرز الاسلام فكرة الحق واظهرها بوضوح فى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وتصرفات النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مما لا يدع مجالا للشك . فقد قال تعالى : « إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » ، « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والانثى بالانثى » . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى » ، وقال عمر بن الخطاب : « أخطأ عمر وصدقت امرأة » .

واهتمت الثورة الفرنسية أيضا بفكرة الحق ، فمحت الفوارق الاجتماعية ، ووضعت مبادىء الانسانية أو حقوق الانسان ، فأصبحت الفكرة بعدها ذات طابع علمى على أيدى العلماء والفلاسفة الذين وضعوا مبادىء الثورة فى قوالب علمية .

وبعد ، فما هى مقومات الحق وخصائصه .. ؟

ان أول صفة تظهر للعيان هى صفة القداسة ، وهذه الصفة تظهر فى ثورات الجماهير اذا ما أحست باعتداء على حقوقها التى اكتسبتها بمضى الزمن ، أو بالعرف أو بالتشريع ، أو حتى بمجرد المقارنة والتشبه بالمثل . وتظهر أيضا فى الشعور النفسانى الذى يعقبه الانفجار دفاعا عن حق مسلوب ماديا كان أم أدبيا .

ولكن هذه القداسة لا تعنى الانانية ، فللحق صفة أخرى متميزة هى صفة العمومية . وهى أن يقر الانسان لنفسه ما يقره لغيره ، ويعتبر المساواة عنصرا هاما من عناصر الحياة .

وهناك صفة ثالثة للحق هى أن ينشأ بمجرد ولادة الانسان ، فمن صفات الانسانية أن تصبح لأفرادها حقوق أولية ، مثل حق البقاء وحق الفكر .

ولقد انصبت فكرة الحق فى قوالب مختلفة عبر التاريخ ، فأخذت شكلا دينيا عند قدماء المصريين فى نظام القساوسة والكهنة ، وأخذت شـكلا عرفيا عند اليونان فقامت على العرف السائد عندهم ، هذا العرف الذى كان له أثر فى كتابة فلاسفتهم . وهذا ما ظهر عند أرسطو فى فكرة (الشـعب المختار) ، فقد ظنها أولية كلية ضرورية ، ولم يستطع أن يسمو فوق عرف عصره فيفطن أن الدهر قلب وأن المرء لا يدوم له حال فمن يتمتع بمزية اليوم قد يفقدها غدا ومن حرم من مزية اليوم قد يكتسبها غدا ، فالنظم فى تحول دائم ، بل ان ارسطو لم يكن منطقيا مع فلسفته هو فقد قال بوحدة الماهية وثباتها ، وأن العوارض لا تحدث هذه الهوة ــ التى ذكرها فى التفرقة بين أفراد البشر ــ بين جزئياتها . فالعبد أولا وأخيرا انسان وهذا يتعارض مع اعتباره مجرد آلة حية ، وتفاوت الناس خلقا وذكاء لا يخلق أنواعا جديدة ، ولا يخرج جزءا من الاجزاء عن نوعه وطبيعته ..

وأخذت فكرة الحق شكلا قانونيا عند الرومان ، فالحضارة الرومانية ، وان كانت ترديدا للحضارة اليونانية ، الا أن العقلية الرومانية اتجهت الى الناحية العملية أكثر من الناحية التجريدية ، ومن ناحية أخرى كثرت الحروب والفتوحات الرومانية ، فتطلب ذلك أن توضح حقوق الغـالب من حقوق المغلوب ، فصبت كل فى قوانين وتشريعات وبذلك يمكن التمييز عندهم بين حقوق ثلاثة هى : الحق المقدس ، والحق الانسانى ، والحق التشريعى الذى كان سائدا ويشرف على تنفيذه مجلس الشيوخ بروما .

ثم عادت فكرة الحق فأخذت شكلا دينيا فى القرون الوسطى على يدى المسيحية والاسلام ففى أواخر القرن الثالث للميلاد انتشرت النصرانية فى أوروبا فغيرت الافكار ونشرت أصـول الاخلاق التى وردت فى التوراة ، وعلمت الناس أن الله مصدر الاخلاق ، فهو الذى يضع لنا القواعد نراعيها فى معاملاتنا ويبين لنا الخير من الشر ، والخير كل الخير فى ارضاء الله وتنفيذ أوامره ، وقد أقامت الاولياء والقديسين مقام الفلاسفة عند اليونان ولاسيما الرواقيين ، ولم تخالفهم كثيرا فى تقويم الاشياء خيرها وشرها ، وانما أهم ما خالفتهم فيه النظر الى الباعث النفسى على المعاملة ، فعند فلاسفة اليونان كان الباعث على عمل الخير المعرفة أو الحكمة مثلا ، وعند النصرانية انما ينبعث عمل الخير عن حب الله والايمان به . كانت النصرانية تطلب من الانسان أن يجتهد فى تطهير نفسه فكرا وعملا ، وتجعل للروح سلطانا تاما على البدن وعلى الشهوات ، ولذلك غلب على أتباعها الأولين احتقار البدن واعتزال العالم والميل الى الزهد والتنسك والرهبانية .

أما الاسلام فقد دعا الى الاعتقاد بأن الله مصدر كل شىء فى العالم ، فما فى الكون من ظواهر مختلفة ومخلوقات متنوعة من الحبة فى ظلمات الأرض الى السماء ذات البروج فانما عنه صدر ، وبه قام وانتظم . وكما خلق الانسان وضع له نظاما يتبعه وطريقا يسير عليه وشرع له أمورا من صدق وعدل أمره باتباعها وجعل السعادة فى الدنيا والنعيم فى الآخرة جزاء من اتبعها . وجعل عكسها من كذب وظلم رذائل نهى عنها وحذر من ارتكابها ،

وجعل الشقاء فى الدنيا والعذاب فى الآخرة عقوبة من ارتكبها . وان الله لم يأمر بما أمر اعتباطا ، ولا نهى عما نهى كذلك ، بل ان الله جعل صلاح الدنيا يتوقف على أمور : من عدل وصدق وأمانة ، وجعل فسادها بأضدادها ، فأمر بما يتوقف عليه صلاح الدنيا وانتظام شؤونها ، ونهى عما يسبب فسادها . ولقد اخذ أغلب من بحثوا فى الاخلاق من العرب عن الدين ، وكان الدين عمادهم فى أغلب ما كتبوا كالغزالى والماوردى . ولكن الفارابى وابن سينا واخوان الصفاء وابن مسكويه تأثروا بفلاسفة اليونان فى بحوثهم الأخلاقية .

واستمرت فكرة الحق تعتمد على أساس دينى حتى القرن الثامن عشر الذى ضعفت فيه الحقوق على أيدى النظام الاقطاعى ، الى أن قامت الثورة الفرنسية وأقامت فكرة الحق على أساس اخلاقى متميز تقابل فكرة الواجب .

وكما انصبت فكرة الحق فى قوالب مختلفة عبر التاريخ فقد اخذت أشكالا متباينة تبعا للمجتمعات التى قامت فيها ، وتطورت مع الزمن . ففى القبيلة مثلا كان الحق يأخذ شكلا جماعيا وينظر اليه كوحدة متماسكة يندرج تحتها المجموع ، فاذا اعتدى شخص من خارج قبيلة معينة على آخر ينتسب اليها هبت القبيلة تدافع عن الكرامة المهدرة والشرف المهان . ولقد تطور الحق الى أن صار حقا فرديا يحفظه القانون ويحميه الرأى العام ، سواء أكان عرفيا أم مكتوبا ، وأصبح أساسه التجريد والضمير ، فاحترام الحقوق الآن أميل الى الاخلاق منه الى القانون .

بقى أن نتكلم عن طبيعة الحق ، وهى عبارة عن ذلك الشعور الذى ينشأ مع طبيعة الانسان والذى يشعر به من حيث هو انسان له حق الحياة الحرة الكريمة . فالشعور بالحق سابق لكل تشريع ، يفهمه الفرد بمحض تفكيره الخالص ، فهو مخلوق له حق المساهمة فى بناء التراث الانسانى والاجتماعى ، وهذا هو الحق الطبيعى .

ففهم الحق مشتق من طبيعة الانسان ككائن عاقل ، ولقد أشار اليه أرسطو فى كتابه عن الاخلاق ، وشيشرون فى نواميسه . ويذكر العلامة هوفدنج فى كتابه عن تاريخ الفلسفة أن الحق الطبيعى مظهر يمليه علينا العقل السليم ، وبه نحكم على أعمال الناس بالعدل أو بالأنانية . ويعتقد العلامة ديكارت أن الناس يولدون وكلهم متساوون فى المقدرة العقلية والمقدرة على التخلق ، وما الضعف الا عرض طارىء لاسباب خارجية . ونجد مثل هذا الفهم عند العلامة روسو والعلامة كانط . وهو الفهم الذى قامت على أساسه الثورة الفرنسية .

ولكن هناك نظرية أخرى تبنى الحق على القوة وتشترط فيمن ينال حقا القدرة على حمايته ، وتاريخ البشرية خير شاهد على هذا ، فهو سلسلة من انتصارات القوة وما تبع ذلك من حقوق . ورائد هذه الفكرة هو العلامة الالمانى هيجل ومن تبعه من المفكرين . فالاخلاق شىء جميل حقا ، وهى تبشر

بالفضيلة الحقة التى تنزوى أمامها كل فضيلة أخرى ، الا وهى القوة . ومن يقل بغير ذلك انما يتستر خلف المبادىء البراقة التى تخدع البصر وتتخذ من فكرة الحق والانسانية ستارا لاستعباد الناس .

ولكن العلامة ميل والعلامة سبنسر ومن تبعهما مثل العلامة جيرنج المشرع الالمانى لا يبنون طبيعة الحق الا على المنفعة الاجتماعية أو الصالح العام ، فالأنانية شعور متأصل عند الانسان ، وهى الشعور الذى بنى عليه الحق . فمنذ القدم مارس الانسان الفتح والحروب وروى غليله من الانتصارات ورتب لنفسه حقوقا بناء على ذلك ، فعند الرومان — مثلا — كانت التشريعات تبنى على فكرة الانتصار والتمييز بين حق الغالب وحق المغلوب .

ومن هذه الروح التى تطورت على مر العصور ظهرت روح المنفعة الكلية والصالح العام ، وعليه فان الحقوق تبنى على المنفعة الكلية والصالح العام . وهكذا كانت الانانية أساسا للغيرية .

ويحسن — ختاما للبحث — أن نذكر أنواع الحقوق :

فهناك حق الحياة الذى ينشأ مع مولد الفرد ، وتجب المحافظة عليه واحترامه . وهناك حق الملكية ، وحق الحرية الشخصية ، وحق التفكير ، وأهم من هذا كله حق الجنس ، أى حق الانسان فى التناسل . ولقد قال عنه العلامة أوجيست كونت : « ان الذى يحجم عن تحقيق هذا الحق الطبيعى اما شخص مريض جسميا أو عقليا ، واما أنانى عديم الاحساس الوطنى والدينى » .



بين المركز الثقافي الاسلامي في نيويورك والمركز الثقافي الاسلامي في ايطاليا

الافتاء والقضاء

للدكتور : سليمان دنيـا

نشرت مجلة « الهدى الاسلامى » التى تصدر فى الجمهوريـة العربية الليبية فى عددها الصادر فى شهر يوليو سنة ١٩٧٣ « بيانا صادرا عن المركز الثقافى الاسلامى بايطاليا تحت عنوان « موقف الاسلام من جراحة نقل القلب وغيره من الأجزاء البشرية » اشتمل على فتاوى لبعض مشاهير العلماء ، والمركز الاسلامى فى نيويورك يريد أن يلقى بدلوه بين الدلاء مشاركة منه فى البحث عن الحقيقة فيقول :

الافتاء والقضاء مهام يقوم بها المفتي والقاضى نيابة عن الله وعن رسول الله فان المفتى يقول عن فتواه « هذا ما أفادنا به الله ورسوله بخصوص هـذا الأمر المستفتى عنه » وان القاضى يقول فى قضائه « هـذا حكم الله ورسولـه بخصوص الأمر المتنازع فيه » فأى خطأ يقع فيه القاضى والمفتى نتيجة لعدم البحث والتحرى والاحتياط ، هو أشبه بالكذب على الله ورسوله والله سبحانه وتعـالى يقول (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضـل الناس بغير علم) من سـورة الأنعام الآية ١٤٤ .

ونعرض الآن للبيان :

أولا : يقول البيان (ان علماء الشرع الاسلامى الذين كانوا دائما وابدا من دعاة العلم والمعرفة والبحث فى أصول الأشياء والوقوف على حقائقها هم دائبون . فى بحث هذا الموضوع ، والقاء الأضواء عليه ، وتبيان مواقف الشريعة الاسلامية منه) ..

ثانيا : ويقول البيان (يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أنزل الله داء الا أنزل له دواء » ويقول صلى الله عليه وسلم أيضا « تداووا عباد الله ، فان الذى انزل الداء ، أنزل الدواء » وله صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث تعتبر من المبادىء الأساسية فى الطب ، كالحمية ، والحجر الصحى ، والنظافة ، وغير ذلك) .

وهذه الفقرة تبين موقف الاسلام من الطب ، فهو يأمر به ، ويبين أهميته ، ويشرح بعض أصوله ومبادئه .

ثالثا : ويقول البيان أيضا (وللتداوى لا بد من عالم بأصوله ، واقف على حقائقه ، وان تعلم الطب والعمل به فرض كفائى يتعلق بذمة الأمة ، فاذا فعله البعض سقط وجوبه عن الآخرين .

وإن لهذا العلم عند المسلمين مكانته المرموقة ، وهو مقدم على علم الأديان ، وإن هذا التقديم من قبيل عموم منفعته لكل البشر ، حتى الحيوانات والنباتات) .

أ ـ حقا إنه لا بد للتداوى من عالم بأصوله ، واقف على حقائقه .

ب ـ وحقا إن تعلم الطب والعمل به فرض كفائى يتعلق بذمة الأمة ، فاذا فعله البعض سقط وجوبه عن الآخرين .

جـ ـ وحقا إن لعلم الطب مكانته المرموقة عند المسلمين . كما تدل على ذلك الأحاديث السالف ذكرها .

د ـ أما أن علم الطب مقدم على علوم الدين ، من قبيل عموم منفعته لكل البشر حتى الحيوانات والنباتات ، فشىء أخذت أقلبه على وجوهه :

١ ـ فقلت : لعل المقصود أن علم الطب مقدم على علم الدين بالزمان ، لا بالرتبة ، فالأمة قبل أن تتعلم ما يلزمها من الدين عقيدة وعملا ، يجب أن تتعلم ما يلزمها من الطب دراسة وتطبيقا .

ولكن هذا الترتيب الزمنى بين الطب والدين بحيث أن الأمة تتعلم الطب أولا وبعد ذلك تتعلم الدين ، أمر لا نجد له مساغا يبرره .

فانه ، كما ان العلم بأصول الطب والوقوف على حقائقه ، فرض يتعلق بذمة الأمة إذا فعله البعض سقط عن الباقين ، كذلك العلم بأصول الدين والوقوف على حقائقه ، يتعلق بذمة الأمة ، إذا فعله البعض سقط وجوبه عن الباقين ، كما قال تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذ رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) .

وليس هناك ضرورة تدعو الى أن يتأخر علم عن علم ، ما دام كل منهما فرضا كفائيا ، فان فى وسع الأمة أن تقوم بتعلم العلمين فى وقت واحد ، بأن يتخصص فريق منها فى دراسة هذا العلم ، وفريق آخر فى دراسة العلم الآخر .

واذن فالحكم بأن علم الطب له الأولوية فى أن تبدأ به الأمة قبل علم الدين ، غير صحيح .

٢ ـ لذلك قلت : لعل المقصود أن علم الطب مقدم على علم الدين بالرتبة والمنزلة بمعنى أن الأمة ينبغى أن تضع علم الطب فى المنزلة الأولى ، وعلم الدين فى منزلة بعد ذلك ، ويبدو أن هذا المعنى هو المراد من العبارة ، بدليل ما

جاء فيها من أن منفعة الطب أعم من منفعة الدين ، حيث يستفيد من الطب جميع البشر مؤمنين وكافرين ، وايضا الحيوانات والنباتات .

ولست اظن ان فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسول الله ، ولا فى كلام الائمة المجتهدين شيئا يؤيد هذا الراى ، او يشهد بصحته .

واذن فالعبارة غير صحيحة بأى معنى من المعانى ، ومن المؤسف أن يوجد فى سجلاتنا الاسلامية عبارات كهذه مبعثرة هنا وهناك ، لا يعرف قائلها ولا ما يشهد بصحتها ، تقع عليها اعيننا ولا نقف عندها نبحثها ونمحصها ، ثم تحت تأثير كثرة سماعها وقراءتها يقع فى انفسنا شعور بصدقها ، ثم لا نلبث أن نحكيها ونستشهد بها . وهذا خطأ كبير ينبغى ان لا يفوتنا تداركه .

رابعا : ويقول البيان (وبصدد نقل القلب فقد أفاد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر بيانا يتضمن : ان نقل قلب الميت ، او أى جزء منه ، إلى غيره من الأحياء ، أمر جائز شرعا،ولايعتبر إهانة للميت ، ولا ماسا بكرامته الآدمية ، لأنه مقصود بمنفعته الحى ، والانسان لم يخلق لنفسه فقط ، بل لنفسه ومجتمعه ، فهو مطالب بالجهاد والتضحية بالنفس ، فى سبيل الذود عن الأمة والوطن ، وان أخذ جزء من الميت لينتفع به الحى أيسر عملا وأهم شأنا من التضحية بالنفس فى باب المنفعة العامة) .

ويتضمن بيان رئيس لجنة الفتوى ما يلى :

أ ــ أن نقل قلب الميت الى غيره من الأحياء جائز شرعا .

وهذه هى الدعوى .

ب ــ أن هذا النقل (لا يعتبر إهانة للميت ولاماسا بكرامته الآدمية ، لأنه مقصود بمنفعته الحى) .

وهذا تبرير للدعوى ، ببيان أن شق صدر الميت وانتزاع قلبه منه ، ليزرع فى صدر مريض ، لا يلحق بالميت إهانة ولامساسا بكرامته ، لأن القصد من وراء ذلك ، هو نفع غيره من الاحياء .

وفى هذا التبرير مجال لقول ، لأن سلامة القصد لا تغير من طبيعة الفعل . ارايت لو أن شخصا صفع آخر على وجهه فى مجتمع عام ، فذهب المضروب يشكو الى القاضى ما لحق به من إهانة ، فأدلى الضارب أمام القاضى بما جعله يقتنع بأن لهذا الصفع ما يبرره ، فماذا يقول القاضى للشاكى ؟ انه لا يقول له : أنت لم تهن ؟ بل يقول له : انك تستحق ما نزل بك من اهانة ، فتبرير الاهانة لا ينفى انها اهانة، كذلك الجمع الذى شهد الصفع ، يقول عن الضارب إنه ظالم لأنه أهان المضروب ، لكنه بعد أن يعلم أن الضارب ينتقم لنفسه من ظلم سبق وقوعه عليه ، يقول : ان المضروب يستحق ما نزل به من إهانة ، وايضا فالمضروب نفسه حين يلقى هذا الجمع بعد الضرب ، يحس بالخزى من الاهانة التى لحقت به ، ولا يمحو عنه الشعور بالخزى علمه بأن هذا الجمع مقتنع بعدالة ما لحق به .

واذن فالحق أن يقال : إن شق صدر الميت وانتزاع قلبه منه ، اهانة له ، ومن أجل ذلك اعتبر ذلك محظورا ، لكن دعت الى ارتكاب هذا المحظور ضرورة

وعند ذلك نجد انفسنا وقوفا أمام القاعدة القائلة : (الضرورات تبيح المحظورات) كما فعل فضيلة المفتى فى فتواه التى سنعرض لها فيما بعد .

جـ ــ (أن الانسان لم يخلق لنفسه فقط بل لنفسه ومجتمعه ، فهو مطالب بالجهاد والتضحية بالنفس فى سبيل الذود عن الأمة والوطن ، وإن أخذ جــزء من الميت لينتفع به الحى ، أيسر عملا ، واهم شأنا من التضحية بالنفس فى باب المنفعة العامة) .

وهذا تبرير آخر للحكم ، وهو أشبه بعمل قياسى ، مفاده : أن شق صــدر الميت وانتزاع قلبه منه ليزرع فى صدر حى آخر تتوقف حياتــه على زرعه يقاس على تضحية الانسان بحياته دفاعا عن أمته ووطنه .

فأركان القياس كما تؤخذ من الفتوى هى ما يلى :

(١) الفرع المقيس وهو نقل قلب الميت الى جسم شخص مريض .

(٢) الأصل المقيس عليه ، وهو بذل المجاهد روحه ، دفاعــا عن وطنه وأمته .

(٣) ووجه الشبه الجامع بينهما الذى هو علة الحكم ، وهو بذل ما تدعو إليه المصلحة ، الشامل (لبذل قلب الميت ، للمريض المحتاج اليه) و (بذل روح المجاهد دفاعا عن وطنه وامته) .

ويلاحظ على هذا القياس ما يلى :

أ ــ أن حكم البذل فى الأصل المقيس عليه ، هو الوجوب ، فان الجهاد فى سبيل الأمة والوطن حين تتوفر أسبابه ، يكون واجبا . وحكم الأصل يثبت للفرع ، فعلى هذا يكون حكم نقل قلب الميت الى المريض المحتاج إليه ، واجبا . ولكن صاحب الفتوى لم يشأ أن يسير مع القياس الى نهايته ونتيجته ، فعــدل بالجهاد عن حكمه الذى هو الوجوب ، الى شىء آخر أسماه المطالبة ، والمطالبة كلمة عامة تشمل الطلب الحتمى الذى هو الوجوب ، والطلب غير الحتمى الــذى هو الاستحباب .

فان أخذناها بمعنى الوجوب ، وقعنا فيما وقعنا فيه سابقا . وأن أخذناها بمعنى الاستحباب ، غيرنا حكم الجهاد الذى هو الوجوب . وان أخذناها الى جانب نقل القلب بمعنى الاستحباب ، وإلى جانب الجهاد بمعنى الوجــوب ، خالفنا طبيعة القياس ، فان القياس هو إلحــاق شىء بشىء فى حــــكم لمعنى جامع بينهما هو علة الحكم .

وفضلا عن هذا كله : فإن الدعوى التى كان هذا القياس من أجل اثباتها هى أن نقل قلب الميت الى جسد المريض جائز ، ولا سبيل الى جعل الجهاد جائزا حين تدعو دواعيه وتتوفر أسبابه ، فالقياس على أية حال غير تام .

ب ــ أن الفتوى جعلت الفرع المقيس الذى هو نقل قلب الميت الى جسد المريض أولى بالحكم من الاصل المقيس عليه الذى هو الجهاد وذلك حيث تقول (وان أخذ جزء من الميت لينتفع به الحى أهم شأنا من التضحية بالنفس فى باب المنفعة العامة) .

ثم هى تجعل حكم الفرع ، المقيس ، الجواز ، وذلك ينزل بحكم الجهاد الى ما دون الجواز .

جـ ـ وهل صحيح ما تدعيه الفتوى من أن المنفعة الخاصة اهم شأنا من المصلحة العامة ، ان المعروف أن الأمر على العكس ، وأن المصلحة العامة أهم من المصلحة الخاصة .

د ـ ثم إن الفتوى تقول : (ان اخذ قلب الميت لينتفع به الحى أيسر عملا من التضحية بالنفس) وقضية اليسر فى العمل أمر غير واضح ، فان المرء فى الحرب قد يقتل بضربة ، أو طعنة برمح ، أو بسيف ، أو بشظية من قنبلة ، وشق الصدر وانتزاع القلب منه ، أشد من ذلك كله عنفا ، واكثر مشقة . اللهم الا أن يقال : ان الفتوى تقصد أن شق صدر الميت وانتزاع قلبه منه ، يتم دون أن يشعر الميت بألم ، مع أن التضحية بالنفس دفاعا عن الأمة والوطن ، تتم مصحوبة بألم ، ولكن اذا كان هذا هو المراد فصحة العبارة (أيسر ألما) على أنى لا اسلم أن عملية شق صدر الميت وانتزاع قلبه منه ، تتم بدون الم ، فقد مر بى من الآثار ما يفيد أن الميت يتضرر كما يتضرر الحى .

هـ ـ ثم ان الدعوى قد سيقت سياقة عامة تشمل نقل قلب الميت المؤمن الى جسد المشرك وبالعكس . فهل القياس الذى أوضحناه فيما سبق ينتج أن نقل قلب الميت المؤمن ، الى جسد المريض المشرك . أهم شأنا من الجهاد فى سبيل الأمة الاسلامية والوطن الاسلامى ، أو يساويه ، اللهم لا .

خامسا : ويقول البيان (ومما قاله مفتى الديار المصرية ، تقرر القاعدة الاسلامية « بأن الضرورات تبيح المحظورات » ففى ضوء هذه القاعدة نقرر أن استعمال القلب بأخذه من جسم انسان أمر غير جائز ابتداء ومحظور ، لأن الواجب تكريم جثة الميت والمحافظة عليها الا اذا دعت الضرورة الى غير ذلك ، فيجوز العدول عن هذا الأساس بالقدر الذى تقتضيه الضرورة ، فاذا قرر الاطباء المختصون أن زرع القلب فى جسم آخر ، مما يفيد وينقذ من الموت ، جاز ذلك وايدته الشريعة الاسلامية ، فى الحدود السابقة) .

ولا شك أن القاعدة المذكورة فى الفتوى هى من مقررات الفقه الاسلامى ، ولكن تطبيقها يتطلب دقة واحتياطا شديدين ، رغم ما يظن بها من السهولة والوضوح . فمثلا لو كان لرجل بيت الى جانب المسجد ، وضاق به البيت ، وظن أن له الحق فى أن يضم اليه قطعة من المسجد بناء على قاعدة (أن الضرورات تبيح المحظورات ورفع الأمر الى أولى الأمر قائلا : انى أعلم ان أخذ قطعة من المسجد محظور ، ولكن ضيق بيتى ضرورة تبيح لى هذا المحظور ، فلا شك أن أهل الفقه فى دين الله يرفضون طلبه رغم ما يبدو من أن القاعدة تشهد له ، وتؤيد وجهة نظره ، لان تأييد القاعدة الفقهية لوجهة نظره انما هو فى الظاهر فقط ، أما بعد أن نتبين مقدار الحظر ومقدار الضرورة ونقارن بينهما فسوف يظهر أن الواقع على خلاف الظاهر ، هكذا :

المسجد هو المكان الذى يؤدى فيه المسلمون الصلوات ، ويعكفون فيه على

عبادة ربهم أوقاتا متفرقة من العام ، ويتلقون فيه دروسا فى الدين ، ويجمعون فيه التبرعات للأعمال الخيرية ، وفيه يتدارسون مشاكلهم الدينية والسياسية والاجتماعية والحربية ، وهو مملوك لله ليس من حق أحد أن يتصرف فيه الا بما يرضيه ، وفى تضييقه تفويت لهذه المصالح أو لبعضها وفى تفويت هذه المصالح أو بعضها مضار تلحق بجماعة المسلمين .

أما البيت فهو مملوك ملكية خاصة ، تعود منفعته على صاحبه خاصة وفى ضيقه مضرة تلحق بصاحبه خاصة .

وفى الاخلال بمصالح المسلمين فى هذه النواحى كلها ، مضار أعظم من مضرة ضيق المنزل التى تلحق بصاحبه خاصة . ولا يضحى بمصلحة كبيرة صيانة لصلحة صغيرة ، لذلك فانه اذا كان ظاهر القاعدة يؤيد وجهة نظر من يطالب بتوسيع بيته باضافة جزء من المسجد اليه ، فواقع أمرها يشهد ضده ويعارضه ولا يؤيده . .

فهل تمنا بتطبيق هذه القاعدة الفقهية على فكرة نقل قلب الميت الى شخص مريض ، على هذا النحو من المقارنة بين الضرورة التى تدعو الى هذا النقل ، وبين الحظر الذى يمنع هذا النقل .

ان الفتوى تعترف صراحة بأن هذا النقل محظور شرعا ، ولكنها اقتصرت حين تعرضت لذكر أسباب هذا الحظر على ما ورد الامر به من وجوب تكريم جثة الميت والمحافظة عليها ، كأن لم يكن هنالك من الاسباب سوى ذلك ، فما رأى صاحب الفتوى فيما اشترطه بعض رجال القانون من ضرورة استئذان الميت قبل موته ، أو استئذان صاحب الحق فى ذلك بعد موت الميت اذا فات الحصول على اذن منه نفسه . وأنه اذا لم يتم الحصول على هذا الإذن فلا يجوز نقل القلب ؟ وما رأى صاحب الفتوى أيضا فيما أثر من أن جسد الميت يتضرر كما يتضرر جسد الحى ، فهذان سببان مانعان ينضمان الى السبب الذى ذكرته الفتوى نفسها فتكون الأسباب ثلاثة . ولعل هنالك أسبابا أخرى يكشف عنها البحث ، لو اعطينا الامر من العناية ما يستحقه . هذا هو جانب الحظر وهذه هى أسبابه .

أما جانب الضرورة ، فهو الأمل فى شفاء المريض ، وهذا الأمل قد يكون من وجهة نظر رجال الطب يقينا أحيانا ــ رغم أن علم البشر المحدود لا يمكن أن يبلغ فى مثل هذا الأمر درجة اليقين ، لأن أمر الحياة والموت بيد من لا يملك الطب ورجاله ان يعترضوا طريق ارادته ــ وقد يكون هذا الامل أحيانا أخرى ظنا راجحا ، وقد يكون امكانا صرفا ، وقد لا يكون هناك أمل قط ، وهذه الحالات ليست كلها جديرة بالاعتبار ، فينبغى أن لا يؤخذ منها الا ما يكون يقينا او ظنا راجحا .

وقد احتاطت الفتوى فذكرت ــ كشرط لجواز نقل قلب الميت ــ أن يقرر الاطباء المختصون أن زرع القلب فى جسم آخر مما يفيد وينقذ من الموت .

ولكن هل هذه الفائدة المذكورة فى جانب الضرورة ، تعدل الامور الثلاثة المذكورة فى جانب الحظر ــ امتهان ما أمر الله بتكريمه ، والاعتداء على حق

الغير بدون اذنه ، وايقاع ألم بالغ به ــ ولا سبيل الى الحكم بجــواز نقل قلب الميت ما لم يتم التأكد من أن هذه الفائدة الواحدة ترجح هذه الأمور الثلاثة ، أو على الاقل تعدلها ، وعندى أن هذا التأكد أمر بعيد المنال ، ثم لو كان هذا المريض مشركا ، أيرجح انتفاعه بقلب الميت المسلم ، هــــذه الامــور الثلاثة ؟ إن الحكم بالايجاب جراة ليس لها ما يبررها .



انى لا أشك فى اخلاص النوايا التى تكمن وراء هذه الفتاوى ، انها تريد عقد لقاء بين الاسلام والمدنية الغربية ، حتى لا يتهم الاسلام بالتخلف والرجعية ، ولكن أية مدنية هذه ، تلك التى يراد للاسلام أن يلتقى معهـــا أهى التى أبـــاحت الزنا والخمر والميسر والربا وأكل الميتة ، والاجهاض والتلقيح الصناعى ، وسلبت الحريات ، وقتلت الأبرياء ، وكفرت بأنعم الله ؟ ان الاسلامقد نزل لاصلاح مثل هذه الجاهلية التى أطلقوا عليها زورا وبهتانا اسم المدنية . وكيف يتم اللقاء بينهما والأمر كما قال القائل :

سارت مغربة وسرت مشرقـــا　　　شتان بين مشرق ومغـــرب

انى لأذكر أنه حينما ثار جدل فى الصحف والمجلات حول جواز أو عدم جواز تشريح جثة الميت لمعرفة تكوينها ، وأمراضها ، ووسائل علاجها ، صارت رؤوس الموتى توجد ملقاة هنا وهناك فى الازقة والطرقات ، وتهتم الشرطـــة ظانة أن جنايات ارتكبت ، فيهديهم بحثهم الى أن بعض طلبة الطب أشتروا هذه الرؤوس من حراس المقابر لفحصها ، ثم بعد أن يتموا عملهم عليها ، يلقون بها من نوافذ حجراتهم ، والعلوم ومنها الطب تتقدم بسرعة مذهلة ، فربما يصبح فى أمكان رجال الطب زرع العين والاذن واللسان والمخ والرئة والكبد والكلية والمعدة والايدى والأرجل ، وعندئذ يصبح الموتى من الاهمية بمكان للأحياء ، وعندئذ يقال : ان الضرورة تقضى بحفظ الصالح من أجسام الموتى فى الثـــلاجات والفترينات كقطع غيار طبيعية عوضا عن قطع الغيار الصناعية .

فيا عباد الله اتقوا الله فى دين الله ، ولا تكونوا أحرص منه على دينه فهو أعرف بمصلحة عباده واحرص عليها من غيره ، وحسبكم أن تبلغوا الدين كما بلغ اليكم ، فالله تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم (فانما عليــك البلاغ) ويقول جل شأنه لعامة خلقه (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها)

تراثنا الحضاري

علم مؤمن وعمل عامر

للشيخ : محمد الصادق عرجون

تقوم الحضارات كيفما كان لونها وزمنها على دعائم العلم فى صوره وأشكاله وفنونه التى أبدعها ويبدعها الفكر الانسانى منذ انطلق العقل البشرى جوابا فى أودية الحياة ، يمهد لها ، ويدفعها فى مدارج التقدم العملى ، تبنى وتشيد ، وتجدد .

فالعلم هو الأصل فى بناء الحضارات ، والعمل ثمرته وتطبيقه ، فلا وزن لعلم لا يثمر عملا ، ولا ثمرة لعلم لا يأخذ مجاله من التطبيق الايجابى الذى يعطى الحياة قوتها الدافعة ، ويدفعهـــا الى مداها المقدور لها فى آفاق الرقى الفكرى والاجتماعى ، والعمرانى ، ليسعد فى ظلها الذين يواكبونها فى سيرها المنطلق من اغلال الجمود ، والذين يسيرون معها فى موكبها التقدمى حذرين ، يخافون الطفرة ، ويخشون المزالق ، ولكنهم لا يتخلفون فى الطريق ، لأنهم يعرفون أن للعلم نزواته وأن للجهل سقطاته ، فلا يطغيهم العلم ببريقه فيندفعون معـــه دون تقدير لموضع خطوهم ، ولا يتقاعسون عن وثبة جهالة لمسالكه ، فـــاذا علموا عملوا ، واذا عملوا جددوا ، واذا جددوا كان تجديدهم دعما لركائز الحياة الكريمة ، والحياة الكريمة لا ترتكز الا على دعائم الايمان بقيوم السموات والأرض ، والايمان بسننه التى جعلها وشـــائج فى نظام الكون ، تعتمـــد عليها روابط ذراته فى جميع أنحائـــه « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهمـــا من أحد من بعده » ، « الم تر أن الله ســـخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى

البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم » .

وسنن الله فى الكون هى آياته التى لا ينفرد العقل الانسانى بادراك اسرارها التى تكمن وراء ظواهرها ، فلا بد له من مرشد يرشده ويوجهه ، وينصب له فى طريق سيره منائر الهداية حتى لا يضل الطريق ، اولئك رسل الله الدين يصطفيهم الله لهدايه الانسانيه بمقود الوحى الذى يطلع الرسل على غيب الله ، فيريهم مكنون صنع الله تعالى فى ملكه مشهودا لهم ، لأنه تعالى يرفع عن بصائرهم حجب الغيب فيشهدون الحقائق الكونية كما هى فى واقعها من الكون ، فاذا أخبروا عن حقيقة من هذه الحقائق الكونية كان إخبارهم عن يقين الشهود الذى خصهم الله به ، ليرشدوا العقل الانسانى فى سيره الى كشف حقائق الكون بطريقته النظرية المتدرجة حتى لا يفجأ بما ليس فى طاقته احتماله .

وهذا الايمان بالله تعالى قيوم السموات والارض ، والايمان بسننه فى نظام الكون وآياته ، والايمان بضرورة مرشد للعقل يهديه الطريق فى سيره للتعرف على أسرار الكون ومظاهره وآياته الدالة على جلال الله وحكمته فى تدبير ملكوته ، وانعامه على الانسان بما سخر له من عوالم الملك والملكوت ، ومعرفة أن هذا المرشد الذى يتهدى به العقل هو رسول من الله ، يدعو الخلق الى اخلاص الايمان لله تعالى ، وتفريده بالعبودية له وحده ، والقيام بحق شكره على إنعامه وفضله .

هذا الايمان بضروبه وأنواعه هو فيصل التفرقة بين تراثنا معشر المسلمين الذى قامت على دعائمه حضارتنا الاسلامية ، واحتلت مكانها فى تاريخ البشرية ، وبين تراث غيرنا الذى قامت عليه حضاراتهم فى الماضى والحاضر .

فتراثنا الحضارى علم مؤمن يعتمد على معرفة الله تعالى مدبر الكون وخالقه ، وإفراده بالتعبد له ، والشكر على إنعامه وفواضله ، ويعتمد على الاعتراف برسالات الله وتصديق رسله فيما أخبروا به عن الله تعالى من آيات ودلائل وبراهين ، وشرائع للتعبد ، وارشاد الى ما يصلح الحياة للناس حتى يمكنهم تسخيرها والافادة منها فيما يعود عليهم بالنفع والاصلاح ، وأن هؤلاء الرسل هم الذين يستهدى بهم العقل فى سيره لكشف آيات الله فى الكون ، وهذا الاستهداء بالرسل هو العاصم من الوقوع فى المزالق التى يواقعها العقل اذا جمح واستقل بنفسه فى سيره ، كما هو مشهود فى وثبات العقل التى انطلقت متحررة من مراشد الاستهداء برسالات الله تعالى ، وما جاءت

به من آيات بينات ، ترسم للعقل محجته التى يسلكها فى اقامة الحياة الفكرية على دعائم الايمان .

هذا هو العنصر الأول فى تركيب التراث الحضارى فى الاسلام ، وهذا العنصر لم يقف به تاريخ الاسلام والمسلمين فى عصور ازدهار الحضارة الاسلامية عند حد التفكير والنظريات المجردة ، والشطحات المثالية ، ولكنه حوله الى عمل يعمر الحيـــــاة ، ويقيمها على ركائز الاصلاح والتقدم فى سبيل منفعة الانسان وسعادته ، ومنفعة الانسان وسعادته ليست شهوات تقضى ، ورغائـــب غرزية تحقق ، وانمـــا هى تطييب للحياة ، واحلاء لتذوقها بمقاييس تعتمد على التناسق فى مظاهر الوجود الحسى ليتناسب مع عمل الفكر .

فالعمل العامر للحياة هو العنصر الثـــانى فى تركيب تراثنـــــا الحضارى ، ذلـــك التراث الذى خلفه الرعيل الأول من بنـــاة المجتمـــع الاســــلامى على دعائم العلم المؤمن ، والعمل العامر ، فالايمان عند المسلمين اكسب علمهم قوة الدفع الى خوض مجالات التعرف على الظواهر الكونية ، بما اتاحه الله تعالى للانسان من نعمة تسخير تلك الظواهر ، حتى يملك الانسان زمامها ، ويخضعها لارادته فى الافـــادة منها والانتفاع بها تحقيقا لمعنى قوله عز وجل « الم تروا أن الله سخر لكم ما فى الســـــموات وما فى الأرض وأســـبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » .

ولا يمكن أن تتحقق نعمة التسخير الا بالعمل الذى ينهض الحياة ويجدد ديباجتها ويعمرها بمظاهر الحضارة والتقدم فى كل جانب من جوانبها .

وقد كان للتراث الاسلامى القـــائم على العلم المؤمن ، والعمل العامر ، أثره القوى فى بناء الحضارة الاسلامية وتوجيهها فى مجالات الفكر والاجتماع ، والتربية السلوكية للأفراد والجمـــــاعات ، والأمم والشعوب ، توجيها وضع فى يد هذه الحضارة المؤمنة زمام القيادة الانسانية ، ردحا من الزمن ، كانت فيه تلك الحضارة رائدة الاصلاح والتقدم فى الحياة ، يوم أن كانت حضارات الغابرين رسوما واطلالا ، لا حس فيها ولا شعور لها ، وانما هى ذكريات جامدة لا تحلى ولا تمر ، ويوم لم يكن لمعاصرى الحضارة الاسلامية أثر من آثار حضرية توضع معها فى ميزان .

والتاريخ شاهد على تفرد الحضارة الاسلامية فى اعطاء الحياة صورتها التقدمية الناهضة ، قبل أن تستلب منها أسبابها وعواملها ، بما منيت به الأمة الاسلامية من فرقة شتتت جمعها ، ومزقت شملها ، وأخفتت صوتها ، وأوقفت ســــيرها ، وعطلت عملها فى العمران

والتشييد ، وجمدت تفكيرها ، وحلت عقد نظامها الاجتماعى ، وفصمت عروة وحدتها ، وبددت أهدافها ، وقلصت آمالها ، وناءت كواهل ابنائها عن تحمل عبء تراثها ، فلم يستطيعوا أن يسيروا فى طريق أسلافهم ، ولا أن يهتدوا بهديهم ، فلم يحسنوا توجيـــه تراثهـــم ، بل عجزوا عـــن حراسته والحفاظ عليه ، فتبدد منهم فى متائه الحياة ، وتخاطفته ذئاب الأمم المتربصة بالاسلام وحضارته ، الحاقدة على المسلمين وتقدمهم ، فحرفوا تراثهم إلحادا ، بما أدخلوه عليه من مذاهب ونحل وخرافـــات وأساطير ، وآراء ونظريات لا يعرفها الايمان ، ولا تعرفهـــا شرائع الاسلام .

وغفى المسلمون فى ظل هذا التحريف اغفاءة طال فيها غطيطهم ، وامتد فيها زمن جهالتهم التى صحوا منها على حشرجة كابوسها وهو يكتم انفاسهم ، وتحسسوا حياتهم فاذا هى فراغ يلفه فراغ ، يفكرون بغير عقولهم ، ويعيشون فى أوطانهم على غير شخصيتهم الاسلامية ، ويحيون حياة مستعارة لا تمثل شيئا من خصائصهم الحضارية التى كانت لهم ، يوم أن كانوا باسلامهم أمة التراث الحضارى العليم المؤمن العامل العامر .

وشـــغلنا تفرقنا شيعا وأحزابا ، ومذاهب وآراء عن حقيقـــة أمرنا فى واقعنا وتاريخنا ولم تشغل أعداء الاسلام شهواتهم ومتعهم عن احتضان تراثنا الفكرى ، فتدارسوه ، وتخيروا منه لأنفسهم ما رأوا فيه خير دنياهم ، فعملوا به ، واتخذوه منهجا لحياتهم ، وآتاهم الله حرث الدنيا بأيدينا ومنهج تراثنا ، تحقيقا لسنته فى الحيـــاة ، فانه سبحانه وعد من أراد الدنيا وعمل لها بجد وصدق أن يؤتيه منها ، قال عز شأنه : « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها » . وقال تبـــارك اسمه « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مـــا نشـــاء لمن نريد » وقال جل جلاله « ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب » .

هذه سنة الله تعالى فى المجتمع البشرى ، يقررها القرآن الكريم فى مواضع منه متعددة يؤكد بعضها بعضا للتدليل على أن اللـــه تعالى يحقق للعزائم القوية والارادات المصممة مقاصدها فى هذه الحياة التى لم يجعلها دار جزاء فى الثواب والعقاب ، ولكنه تعالى جعلها دار كفاح وكد ونصب من عمل فيها عملا فلا يحرمه الله ثمرة عمله ، عدلا منه تعالى مقرونا بالتفضل ، ابقاء على عمارة الكون ونهضة الحياة .

ولم تهمل السنن الاجتماعية التى يقوم عليها نظام الكون العاملين للدار الآخرة فى ظل العـــلم المؤمن اذا عملوا عملا عامرا تفيد منه الحياة ، فقرر القرآن الكريم جزاء هؤلاء من ثواب الله تعـــالى الذى أعده لهم فى دار الجزاء فقـــال متمما للآية الاولى « ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » وقال جل شأنه معاقبا للآية الثانية « ومن أراد

الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا » وقال فى مفتتح الآية الثالثة « من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه » .

فهذه الآيات الكريمة تجعل الارادة الانسانية هى مصدر تقويم العمل فى هذه الحياة ، ووزنه بميزان الجزاء ، فالذى يريد الدنيا بعمله ، ويعمل لها بارادة قوية وعزيمة صادقة ، له جزاء عمله يناله فى دنياه ، والذى يريد الدار الآخرة بعمله فى هذه الحياة وهو مؤمن بسنن الله وعدله وفضله ، له جزاؤه فى دار الجزاء ، وله ثمرة عمله فى هذه الدار ، لا يحرمه الله تعالى من هذه الثمرة ، كما يشير الى ذلك قوله تعالى « نزد له في حرثه » ، وهذا معناه ان الله تعالى يؤتيه حصيلة عمله ، وثمرة جده وكده ، ويؤخر له عظيم ثوابه الى الدار الآخرة التى هى دار المجازاة بالثواب والعقاب .

فالمؤمن الصادق فى ايمانه العامل المجد فى عمله ، الذى أراد الله والدار الآخرة بعمله يعطى ثواب عمله وجزاءه مزدوجا ، لأنه زاوج بين ارادة الآخرة والعمل لها فى دنياه ، فالعامل القوى الذى أراد الدنيا بعمله يعطى ثمرة عمله فيها ، تحقيقا لسنة الله تعالى فى عدم حرمان العامل من ثمرة عمله .

والعمل العامر للحياة اذا قام على أساس العلم المؤمن كان من اعظم مقاصد التراث الحضارى فى شريعة الاسلام ، وهو الذى نهضت به الأمة الاسلامية فى بناء حضارتها ، التى كانت لها أرفع منزلة فى تاريخ الحضارات البشرية .

فلما انصرف المسلمون عن العلم المؤمن بفنونه ومعارفه ، ولاسيما الفنون التجريبية والمعارف العملية ، صرف الله حياتهم عن العمل العامر الناهض بحياتهم ، وأخلدوا الى الأرض ، يستجدون ما تساقط من فتات موائد الناهضين ليجعلوا منه وسائل نهوضهم وتقدمهم ، بينما الذين نهضوا واستعلوا عليهم بالعلم والعمل انما نهضوا معتمدين على تراث المسلمين الذى استلبوه من أيديهم فى غمرة الفرقة وتمزيق الوحدة الاسلامية فى الأندلس وغيرها من أوطان العزة الاسلامية .

لقد أخذ هؤلاء المستلبون للتراث الاسلامى من هذا التراث جانبه العملى فأقاموا على دعائمه دنياهم حتى جعلوها على أرفع شرف من السلطان والقوة والحمية والتعزز المستكبر ، ونالوا به من رفغ العيش وترف مظاهر الحياة ألوانا أخذ بريقها أبصار المسلمين المستضعفين ، وملكوا بهذا التراث الاسلامى عناصر العلم الطبيعى والمعارف الكونية التى كشفوا بها عن كثير من ظواهر الطبيعة ، فسخروها لحياتهم ، وأفادوا منها قوة فكرية ، وأنظمة سياسية واقتصادية ، وتحولا اجتماعيا

جعل منهم قادة الانسانية يوجهون الحياة فى أوطانهم وجهة تضمن لهم السلطان والغلبة وقهر الامم المستضعفة ليتمكنوا بسلطانهم العلمى واستبدادهم السياسى من امتصاص دمائها واغتصاب خيراتها واستعباد أفكارها ، وافساد أخلاقها ، والتحكم فى مصائرها .

واذا كان التراث الاسلامى علما مؤمنا ، وعملا عامرا ، فالعلم المؤمن يعتمد أول ما يعتمد على رسوخ العقيدة التوحيدية فى القلب ، تملؤه نورا وهدى ورحمة ، وهذه العقيدة التى هى أصل اصول التراث الاسلامى يجب أن تقوم على معرفة الله باسمائه الحسنى وصفاته العليا ، كما يجب أن تقوم على الايمان برسالات الله وشرائعه التى انزلها على رسله نورا وهدى للناس ، وختمها بشريعة الاسلام ، المنزلة على خاتم النبيين محمد عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه .

لكن الذين استلبوا من التراث الاسلامى جانبه العملى حولوا علمه المؤمن الى علم كفور ، يلحد فى آيات الله ، ويتخذها هزوا ، ويجحد معرفته بأسمائه وصفاته ويكفر بالغيب ولا يؤمن الا بالمادة العمياء ، وهؤلاء قد ابتدعوا فى علمهم مذاهب فلسفية فاسدة ، وأباطيل من الآراء والأفكار أشبه بخيالات المبرسمين وهلوسة المررورين .

بيد أنهم حاولوا أن يزينوا ذلك كله بزينة التفلسف الخادع والعلم المغرور ، واستمرأ كثير من شباب المسلمين هذه الترهات الخادعة ، لأنهم كانوا خلوا من العواصم الدراسية الواقية فى فهم التراث الاسلامى ، لتعصمهم من الوقوع فى حبائل ضلالات هذا التفلسف الملحد وتحفظهم من السقوط فى مزالق الخداع الفكرى ، ولا سيما أن الاستقامة الخلقية كانت مفقودة من فهارس هذه الفلسفات الضالة ، وحل محلها التحلل الخلقى ، والانطلاق من قيود الفضائل وموجبات استقامة السلوك .

وقد حاولت هذه الفلسفات الضالة المخربة أن تلبس الايمان ، وهو صنو العقيدة فى التراث الاسلامى ، جلابيب المذلة والاستسلام لمكاره الحياة ، ومظالم العباد ، وطغيان الاستبداد لتوحى الى عامة المسلمين المستضعفين فى الأرض أن العنوان المميز للمسلم فى ايمانه هو الخنوع ، والرضا بما يناله وينال دينه ووطنه وأمته من مكاره ظالمة ، ومظالم منكرة ، حتى لا يحاول المسلم صدها عن نفسه ، ولا عن أمته ، ولا عن دينه ولا عن وطنه بزعم الرضا بالقضاء والقدر ، وقد كذب المتفلسفون وتلاميذهم من المخدوعين وافتروا على الايمان وقوته ، لأن عقيدة الرضا بالقضاء والقدر فى التراث الاسلامى هى القوة التى فتح بها المسلمون البلاد ، وقلوب العباد ، وهى القوة التى نشرت الدعوة الى الله حتى بلغت عقيدة التوحيد أقاصى الشرق والغرب ، وهى التى كتبت بدماء العزة تاريخ أبطال الاسلام فى فتوحاتهم المجيدة .

العقوبات السالبة للحرية

للدكتور : احمد على المجدوب

ليس هناك ما هو ادعى لحزن المرء من رؤيته للعلماء فى جهلهم او تجاهلهم لتراث أمتهم الحضارى .

ولقد عانيت من هذا الاحساس الجارف بالحزن ذات يوم فى مؤتمر علمى حضرته ، كانت المنظمة العربية للدفاع الاجتماعى التابعة لجامعة الدول العربية قد نظمته لدراسة ما يسمى بقواعد الحد الأدنى فى معاملة المسجونين . وحرص فيه المجتمعون وبالذات الذين اهتموا بتقديم مذكرات فى الموضوع والذين اشتركوا فى المناقشة ، على ذكر البيانات الخاصة بنظام العقوبات السالبة للحرية ونظام ادارة السجون فى بلادهم وما طرأ على هذا وذاك من تطور ربطوه كله فضلا عن نشأته بالنظريات التى ظهرت فى الغرب فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بشأن السجون ومعاملة المسجونين وبالفلسفات التى نادى بها بعض فلاسفة الغرب أمثال جان جاك روسو وبنتام ومونسكيو وبيكاريا وغيرهم .

وعز على ان نتجاهل العلماء والفقهاء المسلمين الذين سبقوا بآرائهم فى هذا الصدد نظراءهم فى الغرب بمئات السنين والا نشير لهم ولو من طرف خفى ، طالما ان التصريح قد يعود علينا بالوبال ويجعلنا هدفا للسخرية والاستخفاف ، فطلبت الكلمة ودعوت المشتركين فى المؤتمر الى اعطاء جزء ولو ضئيل من اهتمامهم لآراء بعض هؤلاء العلماء الاجلاء الذين اسعفتنى الذاكرة باسمائهم أمثال أبو يوسف وتاج الدين السبكى وابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن سهل وسحنون وابن عبد الحكم .

ولشد ما كانت دهشتى عندما رأيت كلمتى تقابل بردود فعل لم تشمل فيما شملته ، على قدر اختلافها وتباينها ، الترحيب أو التأييد أو حتى التصديق ،

في الشريعة الإسلامية

وكان اخفها وطأة الرثاء ، ووصلت فى أقصاها الى التحدى الممتزج بالسخرية ان اثبت صحة ما اقول بل ووقف أحد الأعضاء لينفى بصورة جازمة أن عقوبة السجن أو الحبس فضلا عن نظام الحبس ذاته قد عرفها المسلمون فى تاريخهم الطويل قبل أن يستعيروها من الغرب ، وقبلت التحـــدى ووعدت بالكتابة فى الموضوع عند عودتى الى القاهرة ، الا أنه شغلتنى أمور عديدة عن الكتابة وان لم تحل بينى وبين التصدى للمشكلة فى المحاضرات التى القيتها والندوات وحلقات البحث التى اشتركت فيها وهأنذا اليوم اكتب لهؤلاء الذين نفوا وسخروا والذين رثوا واشفقوا وايضا للذين تظاهروا بالتصديق أو حتى صدقوا دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث ومشقة الدراسة ، بالرغم مما يقال عن علمهم الذى أهلهم للاشتراك فى مؤتمر علمى متخصص .

واذا كان الغرب قد خرج من الثورة الفرنسية بتلك الكلمة المأثورة التى تقول : أيتها الحرية كم من الآثام ترتكب باسمك ، فحرى بنا أن نخرج من مأساتنا الحضارية بكلمة تقول « أيها العلم كم من الآثام ترتكب باسمك » . ولكم الله يا علماء الاسلام وفقهاءه يا من تركتم ميراثا عظيما لورثة سفهاء .

الهـــدف الاصلاحى للعقوبـــة : ــ

لعل هؤلاء العلماء الذين يرددون ترديدا ببغائيا ما يقرأونه فى كتب الغرب عن الهدف الاصلاحى للعقوبة زاعمين أن أول من صرح به ودعا اليه هو بيكاريا ؛ لا يعلمون أن أول من ذكر ما يجب أن يكون للعقوبة من هدف اصلاحى هو ابن تيمية فى السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية (١) حيث قال

(والقصد من العقوبة رحمة الخلق ، بكف الناس عن المنكرات ، ولذلك يجب أن يكون ولى الأمر فى تنفيذه لها بمنزلة الوالد اذا أدب ولده ، فإنه لو كف عن تأديب ولده ، كما تشير به الأم رقة لفسد الولد، وانما يؤدبه رحمة به واصلاحا لحاله) ، وقد يتسرع المتسرعون وتلاميذ الغرب المخلصون وحفظة كتبه الواعون لما تتضمنه من أضاليل الى القول فى حماس الجهل متساءلين : كيف يمكن أن يكون هناك أصلاح للمذنبين والغالبية العظمى من العقوبات فى الشريعة الاسلامية ، كما يزعم علماء الغرب عقوبات بدنية ، أما رجم أو جلد أو قطع ، بينما الاصلاح يستلزم وضع المذنبين ، وبدون أدنى مساس بسلامة اجسامهم ، فى مؤسسات عقابية يخضعون خلال وجودهم فيها لاجراءات وتدابير علاجية اصلاحية تهدف الى تأهيلهم واعادتهم الى المجتمع مواطنين صالحين زاهدين فى الجريمة كارهين للاجرام .. ؟

والحقيقة خلاف هذا على طول الخط فالعقوبات البدنية فى الشريعة الاسلامية لا توقع الا فى جرائم قليلة تنحصر فيما يسمى بجرائم الحدود وهى الزنا والقذف والسرقة وشرب الخمر والردة والبغى يضاف اليها عدد قليل آخر من الجرائم التى يمكن فيها القصاص من الجانى بالحاق اذى به مماثل لما الحقه بالمجنى عليه كالقتل والجرح العمديين ، وهذه وتلك لا تكاد تبلغ عشر جرائم من اجمالى الجرائم التى بلغت فى قوانين العقوبات الحديثة نيفا وثلاثمائة جريمة فضلا عما تزدحم به القوانين الفرعية التى تعالج العديد من صور السلوك المضاد للمجتمع التى يستحدثها المشرع لسبب أو لآخر ، كجرائم التموين والتسعير والمرور وغيرها وهذه وتلك يصح أن توقع على مرتكبيها عقوبات سالبة للحرية مما تقرره القوانين الحديثة بل وغيرها من العقوبات والتدابير الاصلاحية كالغرامة والمصادرة والمراقبة والمنع من الاقامة والابعاد والايداع فى مؤسسة اصلاحية أو فى مؤسسة علاجية أو سحب الترخيص بمزاولة مهنة معينة أو القيام بنشاط ما ، أو اغلاق المحل ، أو النشر عن الجريمة أو الحرمان من بعض المزايا والحقوق مما تمتلىء به القوانين المختلفة وما عرفته الشريعة الاسلامية منذ ثلاثة عشر قرنا .

العقوبات البدنية فى القوانين العقابية الغربية :

إن من يدرس قوانين العقوبات الغربية فى الماضى أو يتتبع بطريقة علمية محايدة تاريخ العقوبات فى الغرب سوف يصاب بالفزع عندما يعرف الحقائق المروعة لهذا التاريخ الحافل بالتعذيب والتنكيل والتمثيل المبالغ فيه ، فقد كانت عقوبة الاعدام هى العقوبة الغالبة فى التشريعات الجنائية الغربية يعقاب بها على جرائم تبدو اليوم فى نظر الناس بسيطةأو قليلةالاهمية فالقتل كان يتم بعشرات الطرق التى تمثل أبشع ما تفتقت عنه قريحة الانسان ، فمن فصل الرأس بالسيف الى فصلها بالبلطة أو بالمقصلة ومن القاء للمحكوم

عليه فى البحر حيا وقد اثقلته الحجارة الى القائه من فوق الصخور حتى تمزقه وتشوه جسده ووجهه الى وضع المحكوم عليه فى الزيت المغلى أو سحقه تحت صخرة أو تمزيقه أربا بين أربعة خيول جامحة أو اسالة دمه بوضعه فى تابوت برزت المسامير الحادة من ضلفتيه الى وضعه على خاذوق أو شده على آلة تفصل أطرافه ، الى تقطيعهذه الأطراف وغيرها بالتدريج . ولعلنا لم ننس تلك الصور البشعة التى امتلأت بها كتب التاريخ تصف فيها حفلات التعذيب التى كانت تقيمها الحكومات فى روما القديمة وتقدم خلالها المذنبين الى الحيوانات المفترسة ، وغير ذلك من الوسائل الوحشية التى كانت الحكومات الغربية تلجأ اليها عند معاقبة المذنبين ، ولقد بلغت الجرائم التى كان يحكم فيها بالاعدام أكثر من ثلاثين جريمة بعضها من البساطة بحيث لا يستحق فاعله ان توقع عليه مثل هذه العقوبة القاسية ، ففضلا عن اعدام القاتل والساحر والمجدف فى الدين والخائن لوطنه أو للملك ، فأن السارق للمرة الثالثة كان يعاقب بالاعدام فى عهد الامبراطور الفرنسى شارلمان فى حين كانت تفقأ عينه فى السرقة الاولى ويجدع أنفه فى السرقة الثانية .

كذلك كان الوضع فى المانيا طبقا لقانون كرولين الصادر سنة ١٥٣٢ فقد كانت المادة ١٦٢ منه تنص على ان من يسرق للمرة الثالثة يعدم وكذلك من يسرق لاول مرة مستخدما الاكراه وكانت طريقة الاعدام هى الشنق بالنسبة للرجال والاغراق فى الماء بالنسبة للاناث .

وكانت النساء اللاتى يفسدن اخلاق الشباب يعدمن اذا عدن الى ارتكاب هذه الجريمة طبقا للامر الذى أصدره لويس الحادى عشر فى ١٤ مارس سنة ١٤٧٨ .

ويقول العالم الفرنسى ايسمان انه فى فرنسا فى القرن الخامس كانت العقوبات التى فرضها الملوك ورجال الكهنوت بالغة القسوة فقد جعلوا عقوبة الاعدام تطبق على من يرتكب جرائم مثل الخيانة وعدم الولاء للملك والهروب من الجيش وتزييف النقود وشهادة الزور وقطع الطريق والسرقة من الكنائس .

واحياناكانت جثث الموتى تعاقب باعتبارها مسئولة جنائيا مثال ذلك ما حدث فى فرنسا سنة ١٩٧٠ عندما صدر أمر ملكى ينظم العقوبات التى توقع على أنواع من المجرمين بعد اعدامهم وبالذات الذين ادينوا بارتكاب جريمة العيب فى ذات الملك والمنتحرون .

أما البقية الباقية من الجرائم فكان يعاقب عليها بعقوبات بدنية تتسم بالبشاعة وعدم التماثل بين الضرر الذى وقع والألم المحقق للردع أو للتكفير مما جعل العقوبات مجرد اجراءات انتقامية خالصة .

فقد عرفوا أنواعا من العقوبات لا تقل بشاعة عن الصور السابقة ، منها عقوبة قطع لسان المجدف فى الدين وبتر الاعضاء التناسلية والكى بالنار ووسم المذنب بوضع علامات بالحديد المحمى من النار على جسده ، وغير ذلك

الكثير من العقوبات التى لم يكن هناك مبرر لها اللهم الا ما جبل عليه الغرب منذ فجر تاريخه من حب القسوة ومبالغة فى التنكيل جعلت تاريخه كله مخضبا بالدماء سواء فى ذلك دماء المذنبين أو دماء الابرياء من أبناء الشعوب التى نكبت به وباستعماره البشع وعنصريته البغيضة التى أصابت مشاعره بالبلادة ازاء جرائم ابادة الجنس التى ارتكبتها جيوشه ضد الشعوب المختلفة وراح ضحيتها مئات الآلوف بل شعوب بأكملها بالرغم مما هو معروف عنه من رقة المشاعر والاحاسيس ازاء اضرار تافهة أو شديدة تصيب غير الادميين من حيوان أو طير وما قصة حزنه على فقد الكلبة (لايكا) فى الفضاء ببعيدة عن الذاكرة .
ومع ذلك فان هذا الغرب يعبر عن ضيقه الشديد واشمئزازه من معاقبة من يزنى بالاعدام طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية ، بل يستنكر قطع يد السارق أو جلد شارب الخمر ، بالرغم مما تنطوى عليه هذه الجرائم من أضرار محققة تصيب المجتمع ويتعلل علماء الغرب ذوو القلوب الرقيقة فى ذلك بأنه لا يجوز الاعتداء على سلامة جسم أو حياة الجانى سواء كان قاتلا أو زانيا أو سارقا أو شارب خمر ، لافتقار المجتمع الى السند الذى يمنحه الحق فى توقيع هذا النوع من العقاب ويمضون فى دفاعهم عن الجناة وانسانيتهم وكرامتهم وحريتهم حتى يحسب المرء انهم سوف يطالبون بمنحهم أوسمة أو مكافأتهم بمبالغ من المال ، ويكاد يحمد لهم هذه الغيرة على الانسانية لولا ما يلاحظه من سكوتهم المشبوه ازاء مذبحة دير ياسين فى فلسطين أو مذبحة ماى فى فيتنام ، فيدرك على الفور أن الحمية ليس مبعثها الايمان بفكرة أو الاعتقاد بمبدأ أو حتى مجرد موقف أخلاقى أملته المثل العليا وانما سببها التعصب ومصدرها الرياء بل فى كثير من الأحيان شذوذ الفكر وانحراف الطبع .

العقوبات المالية فى الشريعة الاسلامية : —

طبقت الشريعة الاسلامية هذا النوع من العقوبات فى نطاق ما يسمى بجرائم التعزير وهى التى ترك أمر فرض عقوباتها وتقديرها لولى الامر بحيث يمكنه أن يعاقب عليها بعقوبة بدنية أو بغيرها من العقوبات كالحبس أو الغرامة أو المصادرة أو النفى .

وقد كان طبيعيا أن يظهر هذا النوع من العقوبات فى هذه المرحلة بعد أن أتاح التطور فى القيم والعادات والتقاليد والاعراف وبصفة عامة الاوضاع والظروف الاجتماعية وجود ونمو حقوق عديدة لم تكن موجودة من قبل أو كانت موجودة ولكنها ضعيفة عاجزة فنمت بحيث أصبح المساس بها من جانب المشرع يحقق الايلام لصاحبها الذى خرج على النظام وخالف القانون .

فبعد أن حصل الناس على حريتهم ومارسوها بالفعل وتخلصوا من أصفاد العبودية ونير الخضوع لسواهم أصبح سلب حريتهم بحبسهم أو سجنهم محققا لعنصر الايلام المقصود من العقوبة وللردع بنوعيه الخاص والعام .

كذلك الحال بالنسبة للعقوبات المالية التى تمس الذمة المالية للخارجين على القانون ، ففي ظل الحرية الشاملة واستقلال الناس بعضهم عن بعض اقتصاديا ، وحماية الدولة للحرية الاقتصادية وكفايتها الرزق الكريم للرعية ، لم يعد هناك فرد يعتمد على غيره فى الحصول على رزقه ، ونمت التجارة وامتلأت الذمم المالية للناس وأصبح الايلام متحققا بمجــرد المساس بذمـة الجانى وبحقوقه المالية . فعرفت عقوبات مالية جديدة لم يكن لها وجود من قبــل ..

وقد اعترف الفقهاء المســلمون بالتعزير بالعقوبات المــالية ، وأقــروا بمشروعيته فى مواضع مخصوصة فى مذهب مالك واحمد بن حنبل وأحد قولى الشافعى ، وقد جاءت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه بذلك فى مواضع كثيرة منها : أمره بكسر دنان الخمر وشق ظروفها ، وأمره بتحريق متاع من يغش البضاعة ومضــاعفته الغرم على الشــخص الذى سرق مالا قليلا لا يجوز فيه الحكم بقطع يده ، ومضاعفته الغرم على من وجد مالا ضائعا وأخفاه لنفسه ، وصادر نصف مال من امتنع عن اداء الزكاة كذلك حرق عمر وعلى رضى الله عنهما المكان الذى يباع فيه الخمر وحرق عمر قصر سعد ابن أبى وقاص لما احتجب عن الرعية .

العقوبات السالبة للحرية فى الشريعة الاسلامية : ـ

أما العقوبات السالبة للحرية فقد عرفها المسلمون منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ثم عرفوا نظام السجون فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذى اشترى بيتا فى المدينة اتخذه سجنا ، وتبعه الولاة فى مختلف الامصار فاتخذوا بدورهم سجونا أودعوا فيها الجناة فى الاحوال التى يرتكبون فيها جريمة من جرائم التعزير ..

واعترف الفقهاء المسلمون للحبس بطبيعته كعقوبة فقالوا « ان الحبس عقوبة ، والعقوبة انما تسوغ بعد تحقق سببها وهى من جنس الحدود فلا يجوز ايقاعها بالشبهة بل يتثبت الحاكم ويتأمل حال الخصم ويسأل عنه »(٢) .

وبانتشار السجون وزيادة عددها تبعا لزيادة الجرائم المعتبرة من التعازير نتيجة للتغير الشامل الذى أصاب الحياة فى المجتمع الاسلامى والتطور العميق فى العلاقات الاجتماعية مما ادى بالمشرع الى التوسع فى تطبيق عقوبة الحبس فأتاح ذلك للعلماء أن يلمسوا مضار الحبس ويعاينوا بانفسهم الاذى المترتب الى الحد الذى جعل الامام مالك يرى أن الحبس أشد وطأة من الضرب(٣) وهو رأى لابن قيم الجوزية أيضا الذى قال « لا ريب ان الحبس من جنس الضرب ، وقد يكون أشد منه »(٤) .

وهذا النظر راجع الى تقديرهم لحرية الانسان التى ينال منها الحبس

بتقييده لحركة الجاني وتعطيله لمواهبه وقدراته وتحويله الى مجرد حيوان خطر وكائن ضار فقد اعتزازه بنفسه وتقديره لذاته ، مما جعلهم يذهبون الى قصر هذه العقوبة على المجرمين الخطرين والمعتادين ويروى مطرف عن الامام مالك انه قال فى هؤلاء الذين عرفوا بالفساد والاجرام ان الضرب لا ينكلهم ولكن أرى ان يحبسهم السلطان فى السجون حتى تظهر توبتهم وتثبت عند السلطان فيطلق سراحهم(٥) .

وفى احكام ابن سهل انه « اذا شهد عند الحاكم على رجل انه من أهل الشر والأذى للناس ومن أهل الفساد والردى فيجب عليه الأدب الموجع والحبس الطويل(٦) .

وهو ما يدل على ان لجوءهم الى الحبس كان فى أضيق الحدود وفى الاحوال التى تبلغ فيها خطورة الشخص حدا يجعل بقاءه طليقا فيه اضرار بالناس ، لذلك فقد تجنبوا العقوبات الطويلة المدة ولم يتصوروا امكان حبس شخص مدة تزيد على سنة ، لما فى ذلك من ظلم وافساد له .

كذلك ناقشوا المشكلات التى تترتب على سلب حرية الشخص وايداعه السجن ومن أهمها ما يتعلق بحاجاته الجنسية فرأى البعض أنه يحق للمحبوس أن تأتى اليه زوجته فى السجن بين وقت وآخر ليعاشرها حتى لا يؤدى حرمانه من هذه العلاقة الى انحرافه .

ولكن الفقيه سحنون عارض هذا الرأى قائلا « لا يمكن الرجل من دخول امرأته اليه فى الحبس وان كان مسجونا فى حقها ، لان المقصود من السجن التضييق ، ولا تضييق عليه مع تمكينه من لذته »(٧) ، فى حين يرى ابن عبد الحكم ان يقتصر ذلك على من كان معروفا بشدة خطورته دون الشخص قليل الخطورة فيكون لهأن يلتقى بزوجته ، كذلك يرى ان للزوجين ذلك اذا حبسا مبوضع خال حتى ولو طلب الغرماء أن يفرق بينهما .

وهو ما تأخذ به بعض الدول الاسلامية الآن كالمملكة العربية السعودية التى تسمح للمحبوسين بالسجون بالالتقاء بزوجاتهم وازواجهم بين وقت وآخر .

هذا فضلا عما دعا اليه الفقهاء المسلمون من وجوب معاملة المحبوس معاملة انسانية فالحبس الشرعى عندهم « ليس هو الحبس فى مكان ضيق ، وانما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه »(٨) فلا يجوز أن يتجاوز هذا الحد فيمتد الى حقه فى سلامة جسمه أو سلامة عقله أو عقيدته أو شرفه أو سمعته وهذه جميعا مما دعت اليه قواعد الحد الأدنى فى معاملة المسجونين وطالبت به المؤتمرات العديدة لعلماء الجريمة والعقاب .

العقوبات السالبة للحرية فى التشريعات الغربية : ـــ

لم يصبح تقييد الحرية وسيلة عامة من وسائل العقاب الا فى القرن

السابع عشر فى اعقاب حركة اصلاح التشريع الجنائى وبعد أن ثار الناس على ما اتسمت به العقوبات السائدة من قسوة بلغت حد البشاعة الا أن العقوبات المقيدة للحرية سواء كانت سجنا أو حبسا لم تكن لتأخذ مكانها بين العقوبات لولا التطور الذى صادفته المجتمعات الغربية وادى الى ظهور مبادىء الحريـة والعدالة والمساواة مما جعل تحقيق عنصر الايلام المقصود من العقوبة وبلوغ هدف الردع ممكنا يعكس ما كان عليه الوضع فى السابق حيث لم يكن الافراد **يتمتعون بأى قدر من الحرية** وليس لهم الحق فى شىء اللهم الا الحق فى الحياة مما كان سمة عامة فيما يسمى بالعصور الوسطى وما تلاها ، فلم يكن تقييد الحرية محققا الغاية من العقوبة بل كان على العكس ضارا بالامير أو الاقطاعى الذى كان حبس الجانى يؤدى الى حرمانه من عمله باعتباره أحـد رقيق الارض .

ولذلك كانت العقوبات بالغة القسوة معبرة عن ثورة الحـاكم أو الاقطاعى أو الامير على عبده أو تابعه الذى جحد نعمته وانكر فضله بخروجه على قوانينه ونظمه وشريعته وحتى بعد ان اصبح الحبس أو تقييد الحريـة وسيلة من وسائل العقاب لم تتوقف عمليات تعذيب الجانى والتمثيل به والتفنن فى الحاق كافة صنوف الايذاء به وحرمانه من كافة حقوقه كإنسان ومواطن مما يزخر به تاريخ السجون الرهيب .

وكان جديرا بالعلماء ان يثوروا على هذه الاوضاع ويتنكروا لها ويطالبوا بالقضاء عليها ووضع الحدود أمام سلطة العقاب حتى لا تتجاوزها فتنال من حقوق ليس لها أن تعتدىعليها وارتفع من بينهم صوت يردد ما سبق أن قاله ابن قيم الجـوزية من أن الحبس هو تعويق للشـخص ومنعه من التصرف بنفسه أى أنه منع للشخص من أن يأتى من الافعال ما يدعم به موقفه غير المشروع أو ما يؤدى الى ارهاب الغير أو ما يترتب عليه فوزه بثمرة عمله الاجرامى وعدم مقابلته باجراء رادع يمنعه من العود الى الجريمة ويردع غيره فلا يقلده أو يحاكيه .

كذلك ترددت من جديد أصداء كلمات أبى يوسف وتاج الدين السبكى التى تقول أن الحق فى العقاب لا يجب أن يمتد الى حق المحبوس فى سلامة جسده وعقله ودينه وشرفه وانما يقتصر فقط على تعويقه ومنعه من التصرف بنفسه كما يتصرف الاسوياء من الناس لما فى ذلك من اهدار لمعنى الجزاء . الا ان التطرف يؤدى دائما الى التطرف ، فكما تطرف الحكام فى الماضى فى فرض العقوبات الصارمة بل القاسية وبالغوا فى تنفيذها ، فقد تطرف العلماء فـى مطالبتهم بالتخفيف من وطأة العقوبات والتحلل من شدتها فذهب بعضهم الـى حد اقتراح الغاء العقوبات واحلال ما يسمى بالتدابير محلها .

وبطبيعة الحال فقد تدرجت هذه الدعاوى فى تطرفها فبدأت بالمطالبـة بالغاء بعض العقوبات التى كان الغاؤها منطقيا بلا جدال كالنفى والوسم بعلامة

تطبع بحديد محمى بالنار الى غير ذلك من العقوبات ، فضلا عن التنفيذ الـذى يتسم بالوحشية ولا يحقق أى غرض اضافى يمكن ان يقال انه يحققه كالاعدام بالاغراق فى الماء أو بالقطع أو بالالقاء من فوق جبل الى آخر هذه الصور التى عرفتها الشعوب الاوروبية حتى القرن الثامن عشر . وكذلك **التكليف باشغال** شاقة اثناء فترة السجن .

ثم امتدت المطالبة بالالغاء الى عقوبات معينة كعقوبة الاعدام بغض النظر عن طريقة تنفيذها أو الجرائم التى تطبق بشأنها . وثار الجدل حول حق المجتمع فى تطبيق هذه العقوبة وسنده فى هذا التطبيق وفى غمرة الاهتمام بالجانى الذى اصبح قطب الرحى فى كل ما يدور من نقاش أو يثور من جدل حول العقوبات نسى العلماء الجريمة وما تحدثه من اضطراب فى المجتمع وما تلحقه بالافراد وبالجماعة من اضرار ، بل الادهى من هذا ان العلماء اصيبوا بما يشبه انفصام الشخصية فهم حين يناقشون مشكلة الجريمة والحد الذى بلغته من الاستفحال والخطورة ينعون على المشرع ضعف الجزاءات وبساطة العقوبات وحين يبحثون مشكلة المجرمين والمنحرفين يبدون أسفهم لشـدة العقوبات وقسـوتها وتظهر من بينهم الآراء التى تنادى بإلغـاء العقوبات والسجون بل وقانون العقوبات وتستبدل كل هذا بمـا يسمى بالتدابيـر والمؤسسات العلاجية وقانون الدفاع الاجتماعى وكلها مسميات مختلفة لنفس الاشياء . والجدل يدور وبقدر دورانه واشتداده تدور عجلة الاجرام وتشتد فتزداد نسبة الجرائم وتتضاعف معدلاتها .

ويحضرنى فى هذا المقام قول الفقيه ابن الجوزية(٩) « أعظم المعاقبة ان لا يحس المعاقب بالعقوبة وأشد من ذلك ان يقـع الشرور بمـا هـو عقوبة » . .

---

(١) ص ٨٥ .
(٢) ابن قيم الجوزية ــ الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ص ٧٥ .
(٣) تبصرة الحكام فى اصول الاقضية ومناهج الاحكام لابن فرحون الجزء الثانى ص ١٦٢ .
(٤) الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ص ٧٥ .
(٥) تبصرة الحكام الجزء الثانى ص ١٦٢ .
(٦) المرجع السابق ص ١٦٣ .
(٧) المرجع السـابق ص ٢٠٥ .
(٨) ابن قيم الجوزية ــ الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ص ١١٩ .
(٩) صيد الخاطر الجزء الاول ص ٢٨ .



آخر كلمات في حديث الوداع مع الشيخ

أبو زهرة

للأستاذ : محمد نعيم

فقد العالم الاسلامى مؤخرا علما من أعلام الشريعة الاسلامية المبرزين ورائداً من روادها الاوائل ، هو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة ، الأستاذ بالأزهر والدراسات العليا ، وعضو مجمع البحوث الاسلامية .

— قبل وفاته كنت أزوره بمنزله . وامتدت جلستنا اكثر منساعتين . ثم ودعنى وداعا حارا وكان وداع الحياة ..

هكذا ذهب الجسد وبقيت الكلمات ..

وترددت هل انشر حديثه معى فى جريدة (الجمهورية) القاهرية حيث أعمل ، أم أخص به (مجلة الوعى الاسلامى) الكويتية لتقراه جماهير المسلمين فى العالم .. وكان هذا هو الاختيار ..

انه أقل واجب نحو شيخ جليل قل أن يجود الزمان بمثله فى علمه وفكره وشجاعة رأيه .. كان عملاقا فى كل شيء ، لم يعرف المجاملة أو المهادنة على حساب الدين وفى أصعب الظروف تصدى للأيدولوجيات الوافدة والغزو العقائدى وحارب بايمانه وكلمته دعاة العلمانية





ومستحدثات العصر وفضح أهدافهم الخبيثة لتقويض شريعـــة الله فى أرضه ..

وكان شجاعا فى وقت قلت فيـه شجاعة الرجال فى مواجهة السلطان .. وعالما أثرى بعلمه الحيـــاة الاسلامية دعوة وفكرا وتعريفـا ودرسا لأصول الفقه الاســلامى وفروعه ..

ولنبدأ حديث الوداع مع الشيخ العلامة أبو زهرة من أوله ، وكما كان معدا لنشره فى حياته دون تغيير أو تبديل أو اضافة ..



على

امتداد خمسين عاما ..
عرفته محافل العلم هنا
وهناك ..
ودانت بفضله حلقـــات الدرس فى الازهر والجامعات ودور العلم والمساجد ..

واهتزت بآرائه منابر الصـحافة والاعلام ..

سعادته أن يرى تلاميذه الالوف وقد ازدادوا تلميذا جديدا ..
وأن يضيف الى مؤلفاته الســتين كتابا آخر ..

.. ويدور الحديث مع الشـــيخ العلامة محمد أبو زهرة وحديثه دوما يفيض ..

☐ قلت : أنا حر .. وأنا حرة ، عبارة يرددها بعض الشباب لتبرير تصرفاتهم وان كانت خاطئـــة ، أو للخروج عن التقاليد والعـــادات الاصـــيلة فى المجتمع .. فما هو المفهوم الاسلامى للحرية .. وما هى الحدود التى يرسمها الدين لحـــرية الفرد .. ؟

ـــ قال الشيخ الجليل :

ان قال قائل ان الاســـلام دين الحرية الكاملة العاملة الهادية فذلك حق لا ريب فيه ، انه دين الحرية من رق التقاليد والعادات غير المعقولة فهو يدعو دائما الى تحكيم العقل فى كل شىء ، لمـــا دعا المشركين الى التوحيد قالوا له بل نتبع ما ألفينـــا عليه آباءنا فقال القرآن الـكريم : « أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ودعا الى الحرية وجعل الكرامة ملازمة للحرية ، فلا كرامة الا مع الحرية ، ولما ضرب ابن عمرو ابن العاص الفتى القبطى لأنه سبقه فى سباق خيـل وقال له : أتسبـــق ابن الاكرمين ؟ ذهب الشاب القبطى الى عمر فأمره بأن يضرب ابن عمرو فى حضرته كما ضربه ، ثم التفت الى عمرو وقال كلمته فى الحـــرية التى تنبعث بالنــــور فى هذا الوجود ، ويستشهد بها أحرار الاوروبيين تلك الكلمة هى قوله : يا عمرو . متى



استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا .. فالحرية والكرامة متلازمان ، فلا حرية من غير كرامة ، ولا كرامة الا بين الاحرار . وان كلمة عمر تفيد أن كل انسان مولود حر .. وعبارة القرآن السامية التى تلوناها تفيد بأن الحرية كما تسير مع الكرامة سيرا مطردا هى أيضا تسير مع العقل ، فالحرية الحقيقية لا تخالف أحكام العقل ، ولا تنأى عنها وان معنى كلمة حرية فى اللغة العربية يؤدى تفسيره الى أن تكون الحرية الحقيقية مقيدة بالعقل وضبط النفس، لأن كلمة حرية من نوع ما يسميه النحويون المصدر الصناعى ، فهى مأخوذة من الحر ، والحر هو الرجل الذى يسود نفسه ويسيطر عليها ، فلا تكون نفسه أمة لشهوة جارفة ولا هوى مترف ، بل يجعل العقل هو السائد ، والاهواء والشهوات أمة ذلولة للعقل وليست سيدا مطاعا .

وفرق بين الحرية والانطلاق ، ان الحرية مقيدة أولا بالعقل ، ومقيدة ثانية بعدم الاضرار بالغير ، وأما الانطلاق فهو استرسال فى اجابة سلطان الهوى وسلطان الشهوة ، وامتناع عن مراعاة حرية الغير ،وان الحر الصادق فى حريته يقدر الحرية فى غيره كما يقدرها فى نفسه ، فاذا كان حرا فى أن يعمل ويقول فانه يراعى فى قوله وعمله أيمنع حرية الغير أم لا يمسها ، فان كان يمسها توجب عليه الحرية الا يفعل، وان كان لا يمسها فهو حر فى أن يفعل ، فاذا كنا لا نتصور الحرية الا مقيدة ، فانها مقيدة بأن لا تضر بحرية الغير ..

الحرية فى ظل المجتمع الفاضل

وأضاف الشيخ الجليل :

وتعجبنى كلمة لرجل الحرية والقانون سعد زغلول اذ يقول : كل تقييد للحرية لا بد أن يكون له مبرر من قواعد الحرية ذاتها .. أى أن كل تقييد للحرية يلاحظ فيه الا تمس حرية الغير ، وهذا بخلاف الانطلاق ، فانه لن يكون الانطلاق الا اذا كان منع الحرية فى جانب آخر .. ولنضرب مثلا اذا كان كاتب تنطلق به شهوة التجريح لمخالفه والنيل من كرامته فان ذلك بلا ريب يقيد حرية من يخالف ذلك الكاتب المنطلق ، وقد يكون وراءه من يؤيده ، فهذا واضح من أن انطلاقه منع غيره من حرية القول وهكذا كل انطلاق هو جناية على الحرية وليس من الحرية فى شىء ..

ويجب أن تكون الحرية فى ظل المجتمع الفاضل ، فلا ينطلق الفتى والفتاة باسم الحرية تهجما على كل رباط اجتماعى فاضل ، فليست الحرية ترك الحياء ، ولا البعد عن اللياقة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « الحياء خير كله » .. ويقول : « لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء » .

حرية الوطن فى ظل الله
وحرية المرأة فى ظل زوجها

ويستطرد الشيخ الجليل :

.. وتعجبنى كلمة للمرحوم لطفى المنفلوطى صدر بها روايته (الفضيلة) تعجبنى الشجاعة فى الشباب ، والحياء فى الفتاة .. وقد كان رحمه الله ورضى عنه يرى أن الحرية لا تنمو وتترعرع الا فى ظل جو اجتماعى وأدب خلقى فهو يقول :

« تعجبنى حرية المرأة فى ظل زوجها ، وحرية الرجل فى ظل وطنه ، وحرية الوطن فى ظل الله » .

ويضيف الشيخ الجليل :

ان أخشى ما نخشاه فى وطننا العربى والاسلامى عامة هو شيوع الاقوال والافكار التى تدعو الى الانطلاق فى كل شىء ، كما نرى فى الروايات الماجنة ، وفى المعابث الساخرة ، وفى الكتاب الذين لا يعرفون واجبهم من قيادة الفكر العربى ، ومن كتب تدعو الى هتك الحياة الانسانية فى علاقة الرجل بالمرأة ، ومن انحرافات يسمونها مذاهب تحارب الأديان والسلوك الانسانى أينما كان ، مثل ما يسمونه بالوجودية والهيبز وغيره .. هذا ما نخشاه ، وهو وباء سيطر على كل وسائل التوجيه النفسى والخلقى والاجتماعى ، ولا مانع يمنع الا اذا علمنا أنه وباء تفشانا وان علينا أن نتخذ كل أساليب الوقاية من الاعتصام بدين ، ومراعاة للمقومات الخلقية ، ودعوة الى ضبط النفس ، وأن نعمل على تشجيع كل من يستعصم بخلق ودين ونتجه اتجاها كاملا الى الفضيلة ..

الطموح والزهد فى الحياة

□ قلت .. وماذا عن الطموح والزهد وهل يتعارض أحدهما مع الآخر .. وما هى الحدود المشروعة لكل منهما .. ؟

ــ قال الشيخ الجليل :

الطموح اتجاه الى طلب الرفعة والعلو الى أعلى المعانى والسمو على سفاسفها ، ولا شك أن هذا أمر مستحسن فى ذاته ، ومن نوع الطموح يمكّن الحكم على الشباب والرجال ، فمنهم من يطمح الى خدمة قومه وأن يكون فى المنزلة العليا بين المجاهدين أو المدبرين لمصلحة الكافة، ومنهم من يتجه به الطموح الى ناحية المادة وهذا منه ما يكون خيرا كأولئك الذين يعملون على تنمية الاقتصاد القومى ، وانشاء المصانع واقامة معالم الحضارة فيكون عاملا للنفع العام ، والنبى عليه الصلاة والسلام يقول : « خير الناس انفعهم للناس » .. ومن الطموح ما يكون معنويا بحتا أو دينيا بحتا كبعض المتصوفة

الزاهدين فى ماديات الحياة الطالبين للسمو الروحى فهــؤلاء فى زهدهم يعــدون طامحين أيضا ، ولـــكن السؤال الذى يحوم دائمـــا حول الطموح : أمن الخير للجماعة أن يكون الطموح فى المعنويات الصرفة كعمل الزهاد أم فى الماديات الصرفة كعمل الاقتصاديين ؟ . الجواب على ذلك أن عمل الاقتصاديين وأمثالهم من الماديين ان كان يتجه الى المصلحة الشخصية دون غيرها فليس فى ذلك خير ، أما اذا كان يتجه الى النفع العام والى تنمية ثروات الأمة لتكون قوية بالمال ونحو ذلك فاننا نرى أن ذلك أولى من الزهد المطلق ونقول فى ذلـــك : إن الزاهد ينمى روحه وعبادته وذلـــك يعود على شخصه هو ، أما الذى يعمل للمادة للنفع العام أو يجـــاهد لحماية الامة أو يدبر سياستها عاملا لخيرها فان عمله يعود على الجماعة بالخير .. ســـئل الامام احمد عن أميرين للجيش أحدهما ضـــعيف تقى والآخر قوى غير تقى مع أيهما ينبغى أن يعمل المجاهد فقال رضى الله عنه يعمل مع القوى غير التقى لأن قوته للمسلمين وعصيانه على نفسه ، ولا يعمل مع الضعيف التقى لأن تقواه لنفسه وضعفه على المسلمين ..

مستحدثات العصر للشريعة .. والعكس خطــأ

□ قلت : فضيلة شيخنا الجليل .. البعض يردد أن الاسلام (كنظام) لم يعد صالحا لحل مشكلات العصر .. فما القول .. ؟

— وأجاب الشيخ الجليل :

ان الاسلام نهى عن أمور وحث على أمور فان كان المستحدث ينطوى تحت ما أجازه الاسلام أصبح مقبولا وحسنا ما دام فيه نفع للناس ، وان كان المستحدث يدخل فى أمر منهى عنه كفوائد البنوك والقمار .. الخ . فان ذلك لا يجوز ويدخل فى قوله عليه السلام : « ان شر الامور مستحدثاتها وكل مســـــتحدث بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » .

ان باب الحلال متسع يســـع كل مستحدثات هذا العـــصر ، ان أريد الاســـتمساك بالدين ، فشـــركات المساهمة حلال ، والشركات الصناعية حلال ، والمؤسسات الزراعية حلال ، وهكذا ان تجنبنا المنهيـــات فان باب الحلال واسع .

وأرى أن كثيرين ممن يتكلمون فى الشريعة الاسلامية أو باسمها يريدون أن يطوعوها لمستحدثات العصر بمعنى أنهم يحاولون التأويل فيما لا يحتمل التأويل ليخضعوا الشريعة للعصر مع أن الواجب أن يخضع العصر للشريعة والا كنا غير مسلمين .



كتاب الشهر

الاجتهاد
ومدى حاجتنا اليه في هذا العصر

تأليف : سيد محمد موسى توانا
عرض وتحليل : محمد عبدالله السمان

هذه الدراســـة التى بين أيدينا والتى تقع فى نحو ســـتمائة صفحة من القطع الـــكبير ، نال بها مؤلفها الدكتوراه فى أصـــول الفقه من كلية الشريعة بالأزهر ، والمؤلف أفغانى الأصل وهو عضو الآن بهيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة (كابل) أفغانستان .

يشير المؤلف فى مقدمته الى أن الحاجة ماسة اليوم الى التشبث بأذيال الاجتهاد والانتفاع به حسب اقتضاء الظروف ، ومتطلبات الزمن ، وذلك بعد ان أصبحت الأمة الاسلامية وقد توانت عن أداء رســـالتها ، بل لقد فقد بعض أفرادها استقلاله الفكرى ، وثقته بتعاليم دينه وأحكام فقهه ، واصبح العمل بالفقه مظهرا من مظاهر التخلف ، وأثرا من آثار الماضى البغيض — على حد بعض التعبيرات — وهذا ما دعا المؤلف الى الاسهام فى خدمة الفقه الاسلامى ، والقيام بعمل ما لأجل المسلمين ، ولا سيما أن موضوع الاجتهاد — لكونه مفتاح باب الدخول فى حلبـــة الصراع الثقـــافى ، وســـبيلا الى النهوض بالشريعة الاسلامية ، ووسيلة لاثبات صلاحية الفقه الاســـلامى لأن يكون قانونا للوطن الاسلامى الكبير — قد جلب اهتمام المؤلف الى الموضوع الذى بذل فيه جهدا مضنيا بحثا وتنقيبا .

والمؤلف يقسم دراسته الى احد عشر بحثا قدم لها بتمهيد مسهب عرض فيه لتاريخ الاجتهاد منذ وجوده الى عهد بلوغه ذروة الكمال ثم أخذه فى النزول ، وبخاصة بعد أوائل القرن العاشر الهجرى ، حيث لم يبق من الاجتهاد الا اسمه فى ظل سلطان التقليد ، واصبحت دعوى الاجتهاد بل دعوى امكان وجوده ذنبا لا يغفر وقد ساعد على استحكام التقليد فى نفوس العلماء وجود الرغبة فى تقييد القضاة ، وقصر التدريس على مذهب معين ، ووجود تلاميذ للأئمة ذوى مكانة علمية ومنزلة رفيعة بين العامة ، كذلك تحاسد العلماء وتزاحمهم فى الفتوى ، وايضا وجود المؤلفات فى الفقه وسهولة المراجعة اليها ، مما أضعف بدوره روح الاستقلال بالاضافة الى أن التعصب لمذهب فى العصور الاخيرة

أضر بالمنتسبين اليه ، فلم يفيدوا بآراء غير إمامهم ، مما يفتح أمام الباحث آفاقا أخرى غير أفق معلوماته الخاصة على الأقل .

فى البحث الأول تناول المؤلف تعريف الاجتهاد وما يتفرع عنه ، وفى البحث الثانى تناول شروط الاجتهاد وآراء العلماء فيها ، وفى البحث الثالث تناول حكم الاجتهاد وحكمة تشريعه ، وفى البحث الرابع تناول كيفية اجتهاد المجتهد ثم أسباب الاختلاف ، وفى البحث الخامس تناول مراتب الاجتهاد المطلق ، والمقيد ، والعام ، والخاص ، ثم مراتب المجتهدين ، وفى البحث السادس تناول أزمة المجتهدين فى بعض العصور ، وفى البحث السابع تناول تكرار الاجتهاد واعادته وسبب ما ينسب الى مجتهد واحد من أقوال مختلفة فى مسألة واحدة ، وحكم ذلك ، وفي البحث الثامن تناول موضوع نقض الاجتهاد وعدم نقضه فى الحالات المختلفة ، وفى البحث التاسع تناول الاجتهاد غير الفقهى أى الاجتهاد فى المسائل الاعتقادية ، والالهام ، والاجتهاد الصوفى ، وفى البحث العاشر تناول آراء بعض المستشرقين فى الاجتهاد ، وفى البحث الحادى عشر والاخير تناول المؤلف الحاجة الى الاجتهاد ، وكانت الخاتمة بعد ذلك التى اشتملت على بيان مواضيع التفويض ، والتقليد ، وخلاصة موجزة للبحث .

لا شك فى أن المؤلف قد بذل غاية جهده الفكرى بحثا وتنقيبا واستقراء فى موضوع ذى أهمية خاصة فى حياة المجتمعات الاسلامية ، وبخاصة اليوم ، بل فى موضوع له متاعبه الخاصة لدى كل باحث يريد تناوله فى دراسة متكاملة ، وقد يبدو الموضوع للمثقف العادى سهلا ميسرا تناوله لكثرة ما كتب فيه قديما وحديثا .

وينسى أن مصدر المتاعب للدارس لهذا الموضوع هو كثرة ما كتب فيه ، وتشعب الآراء المختلفة حوله ، اذ تكون مهمة الكاتب عسيرة حين يحاول تجلية الموضوع تجلية تيسر للناس استيعابه والاقتناع به ، ليس هذا وحسب بل يجب أن يأتى الكاتب بجديد فى الموضوع يوائم تطور الحياة وتشعب مشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية والفكرية معا .

فى البحث الأول أشار المؤلف الى أركان الاجتهاد الاربعة — الحدث أى بذل الجهد ، والمجتهد أى الفقيه ، والمجتهد فيه وهى الاحكام الشرعية : الفرعية والظنية ، ثم الأدلة الشرعية التفصيلية بمساعدة الأدلة الاجمالية ، ويرى المؤلف أن وجه جعل التفصيلى هو الركن مع عدم الاستغناء عن الاجمالى بحال من الاحوال ، هو أن التفصيل أصل للاجمالى ، كما انه أصل للأحكام أيضا ، وهذه الأركان الاربعة ليست على سبيل الحصر ، لأن من العلماء من أضافوا اليها غيرها ، ومنهم المرحوم الدكتور عبد الله دراز الذى عد من أركان الاجتهاد علم اللغة ، وعلم أسرار الشريعة ، وهذا خلاف لما يراه بعض علماء الأصول — لا جميعهم — من أن علم اللغة وعلم اسرار الشريعة من شروط الاجتهاد ، ومن الفقهاء أيضا من اقتصر على أركان ثلاثة مع حذف الأدلة الشرعية ، كالغزالى ، والزركشى ، ومنهم من اقتصر على ركنى المجتهد والمجتهد فيه .

الا أن المؤلف ذكر أن المجتهد فيه هى الاحكام الشرعية : الفرعية والظنية ، وحسب ، لأن الاحكام الأصلية ليست مما يبحث عنها الفقيه بصفته فقيها ، ولأن القطعية للحكم لا تأتى الا من قبل الدليل القطعى الثبوت والدلالة ، فالحكم الذى يجتهد فيه لا بد وأن يكون ظنيا ، ومثل هذا الرأى فى حاجة الى توقف ، أو على

الأقل فى حاجة الى تعقيب ، والمؤلف نفسه فى البحث الذى عقده للاجتهاد فى عصر الصحابة يسرد علينا اجتهاد عمر فيما فيه نص قطعى الدلالة والثبوت ، فقد منع الزواج من الكتابيات مع النص القرآنى الصريح بحلهن ، ولجأ عمر الى ذلك درءا للمفسدة المقدم على جلب المنفعة ، أو كما قال : « وكفى بذلك فتنة لنساء المسلمين » كذلك سرد علينا اجتهاد أبى بكر وغيره ، والاستاذ الإمام المراغى شيخ الأزهر الأسبق يقول فى رسـالة له عن الاجتهاد ، نشرت فى العدد الحادى عشر من سلسلة الثقافة الاسـلامية ــ القاهرة ــ يقـول : « وتغيرت الفتوى بتغير العرف ، وحكم بعضهم ــ اى الفقهاء ــ العرف فى تخصيص النصوص الصريحة ، وما اباحة رعى حشيش الحرم دفعا للحرج مع النهى عنه صراحة ، واباحة تبادل النقود عدا وان اختلف وزنهـا ، واباحة الاستصناع مع النهى عن بيع ما ليس بموجود ، الا نوع من هذا .. ولعل تتبع فروع المصالح المرسلة والاستحسان ، وفروع العرف العام والخاص يكشف الى حد بعيد عن مرامى الفقهاء » .

فى الفصل التاسع تناول المؤلف مسألتى الالهام والاجتهاد الصوفى ، وكم كنت أود الا يلجأ المؤلف الى حشر هذا البحث فى مثل هذه الدراسة الجادة فقد امتعنا بالفصول السابقة من حيث احاطته الشاملة بكل ما يتصل بقضـايا الاجتهاد فى اطار من آراء كبار الفقهاء والأصوليين ، فاذا به ينقلنا فجأة من جو هادىء ممتع الى حلبة مزدحمة بالجلبة والمتاهات ، والعجيب أن المؤلف فى تمهيده للبحث يصدر حكمه كمسلمة من المسلمات فى مسألة كثر فيها الجدل فيقول : « من الثابت أن المسلم اذا تخلق بالأخلاق الفاضلة وتأدب بآداب نبيه زكت نفسه فأخرج من قلبه محبة ما سوى الله تعالى ، ووزن كل ما يعرض له بميزان الشرع ، وراقب المولى جل جلاله فى السر والعلانية ، وحاسب نفسه على ما فعل وما ترك لظهرت على يديه الكرامات .. وقد يكون منها معرفة بعض الحقائق معرفة غير المعرفة العقلية والحسية ، وقد يعرف بعض ما يعرفه المجتهدون بطرقهم الاجتهادية المعروفة » .

بل ان المؤلف يذهب الى أبعد من هذا فيقول : « ان الفقيه من علمـاء الظاهر يستنبط الحكم من الأدلة الفقهية من الكتاب والسنة ، وبالنظر العقلى ، بخلاف الإلهام ، فانه ليس كذلك ، وبخلاف الملهم ، فانه يعرف الحكم بالذوق ، ولا يستدل له بما وكما يستدل علماء الظاهر ، ويعتبر الصـوفية علمهم علم مشاهدة وعيان بينما الفقيه يعترف بأنه قد يصيب الحق وقد يخطئه » .

معنى هذا أن الصوفى يرى فى الكتاب والسنة والعقل أيضا قصورا ، ولكل هذه القيم ضوابطها ، فيلجأ الى الإلهام حيث لا ضوابط على الاطلاق ، والعجيب أن المؤلف يضع فى كفتى الميزان أمثال ابن الهمام الحنفى ، وابن السبكى الشافعى وغيرهما من جلة الفقهاء الذين لا يرون فى الالهام حجة على الاطلاق ، وأمثال بعض الصوفية الذين يقولون بحجية الالهام ، بل والجعفرية الذين نسب اليهم : ان لا دليل سوى الالهام ، بل الروافض الذين نسب اليهم القول بعصمة أئمتهم مثلما هو شأن الأنبياء ، وأعجب من هذا أن المؤلف يسوق الأدلة على السنة أمثال أبى يزيد البسطامى ، وغيرهم ممن بلغوا شوطا بعيـدا فى الشطحات ، ثم يذكر لنا بعد ذلك قول الجنيد وهو من ائمة الصـوفية : مذهبنا هذا مقيد بالأصول : بالكتاب والسنة ، فمن لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ، ولم يتفقه لا يقتدى به .

ويبدو أن المؤلف فى نهاية هذا البحث قد أحس بالقلق فى الزج بمسألة

لا تليق بها رسالة علمية ، فبعد أن اشار الى أن حجية الالهام تثبت على الملهم نفسه فيما اذا لم يخالف أدلة الشرع الثابتة ، لأنه هو الذى يدرك هذه الحجة دون غيره ، والى أن جواز العمل بما علمه الانسان علم يقين لا يقبل المناقشة على فرض وقوعه — ولست أدرى من أين له هذا الحكم .. ؟ راح يقول : « ولا يمكن أن يهمل جانب الاحتياط ولا سيما فى مثل هذا العلم ، ولا يلزم مما قلناه عدم التعرض لكل من يدعى الالهام ، فيكفينا ما عانيناه من ادعياء الكرامات وأشباه الصوفية ممن أفسدوا عقيدة المسلمين وشوهوا التصوف الحق ، وقدموا صورة غير صحيحة من مثالية الاسلام » .

والبحث العاشر « الاجتهاد والمستشرقون » عرض فيه المؤلف لآراء بعض المستشرقين حيال الاجتهاد ، كجولد تسيهر ، وهنرى ماسيه ، وماكدونالد ، وادوارد سخاو ، وعرض المؤلف لآراء جولد تسيهر فى الاجتهاد فيما قد يقبل منه ، بدون تعليق مسهب ، أما ادعاء هذا المستشرق اليهودى بأن الفقه الاسلامى تأثر بثقافات أجنبية منها الفقه الرومانى ، فقد آثر المؤلف الا يناقش هذا الادعاء بعد أن رد عليه غير واحد من العلماء ، واكتفى بقوله : ان كل جزئية من جزئيات الفقه الاسلامى يمكن ردها الى أصل قريب لها أو بعيد منها من أصول الأحكام الفقهية المعروفة ، وأن من استعان بها فى سن القوانين واستخراج الاحكام لم يحتج الى غيرها لذلك .. ثم ان لكل مذهب من المذاهب الفقهية التى كتب لها البقاء أصحابا أسسوا مذهبهم على أصول ومناهج معروفة وموجودة .

وقد تعقب المؤلف بقية المستشرقين المذكورين وكم كنت أود أن يكون لهذا البحث عناية أكبر من المؤلف ، ولا أظن أن أقل من عشر صفحات كفيل بتغطية قضية من أخطر القضايا ، قضية الغمز الملفوف فى غلالة من الحرير ، فليس هؤلاء المستشرقون وحدهم هم الذين حاولوا الاقلال من شأن الفقه الاسلامى ، وجهود رجاله ، بل كثير غيرهم .

أما البحث الختامى (الحادى عشر) فقد تناول فيه المؤلف « حاجتنا الى الاجتهاد » فعرض لموقف العلماء من الفقه الاسلامى ، ومن المصادر الأصلية للفقه ، وبلوغ مرتبة الاجتهاد ، وضرورة التوصل الى الاجتهاد المطلق والدعوة الى العمل بالفقه الاسلامى ، ثم التلفيق ..

ونحن مع المؤلف فى ضرورة التوصل الى الاجتهاد المطلق بعد أن دخلت الانظمة الحديثة فى حياتنا ، فى مجال الاقتصاد وغيره ، ولا بد من وجود من يجد لمشكلاتها حلا من الفقه الاسلامى بالاجتهاد فى المذهب ، أو بالاجتهاد المطلق ، كما أن هناك أمورا يتغير حكمها بتغير الزمان والمكان ، ولا يمكن أن يحكم فيها بما حكم فى الأزمنة الماضية ، ولذلك لا بد من اللجوء الى الاجتهاد المطلق كما يقول المؤلف ..

والدعوة الى العمل بالفقه الاسلامى هى أمنية كل مسلم ، لكن يجب أن يسبق ذلك فقه مدون صالح للعمل ، يتوافر فى اعداده الفقهاء الاسلاميون ، وعلماء القانون المخلصون لدينهم ووطنهم ، وبذلك نسد الطريق أمام بعض الفقهاء المنحرفين الذين لا مانع لديهم من أن يرتدوا رداء المجتهدين ، ويبذلوا ما فى وسعهم لإرضاء شهوات السياسة ورغباتها .

وبعد — فالمؤلف — والحق يقال — أمتعنا بدراسة جادة بدا فيها إخلاصه لدينه ، وحرصه على أن يساير الفقه الاسلامى الحياة ، ليكون فى مقدمة الركب ، وما ذلك على الله بعزيز .

خولة بنت الأزور

الفصل الأول

معركة بصرى بالشام

للدكتور : احمد شوقى الفنجرى

المنظر : خيمة كبيرة جلس فيها على الارض خالد بن الوليد بقلنسوته المشهورة ولحيته العريضة السوداء .. وفى يده عود من الحطب يخط به خريطة على الرمال وقد جلس حوله شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله وقائد جيش الحصار على بصرى .. والفارس العظيم ضرار بن الأزور وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ورافع بن عميرة الطائى ..

وخلف الرجال بعض النسوة فى الخيمة يتناقشن بدورهن فى شئون الاسعاف والطعام والتموين والحرب .. وبينهن الفارسة خولة بنت الأزور أخت ضرار التى لا تترك سلاحها اينما سارت ومعها أم تميم زوجة خالد بن الوليد وعفرة وامامة وأم ابان ..

وخلف الخيمة من بعيد تبدو ساحة الحرب .. كما ترى مدينة بصرى بأسوارها والطعام والتموين والحرب .. وبينهن الفارسة خولة بنت الأزور أخت ضرار التى السلاح والصلبان ويرفعون الرايات الرومانية .




خالد : يا أخى شرحبيل .. لقد طال حصاركم لمدينة بصرى .. وأنت تعلم ان أمير المؤمنين ابا بكر قد اقلقه تاخر فتح الشـــام .. فطلب منى ان اترك ارض فارس واتوجه اليكم على عجل لقيادة جيوش الشام .

شرحبيل : والله لقد فرحت بقدومك يا أبا سليمان فلعل الله يعجل على يديك بالفتـــح فانت سيف الله المسلول .. وقد دعا لك رسول الله بالنصر .

خالد : اكرمك الله يا كاتب وحى رسول الله .. فهلا تخبرنى يا اخـــى لماذا تاخرتـــم فى حصار هذا البلد شهرا كاملا ..

شرحبيل : يا أبا سليمان .. انك ترى ان هذه مدينة حصينة فيها قلاع واسوار عالية .. وقد جمعوا فيها زادا يكفيهم شهورا .. ولديهم ينابيع ماء وفيرة ..

خالد : فهل حرزتم قوة دفاعها .

شرحبيل : نعم .. فيها حامية من اثنى عشر الف فارس على قيادتهم ثلاثة من كبار قادة الرومان هم بطرس واخوه بولس والدرنجار .. ونحن هنا ثلاثة الاف فارس غير الألف فارس الذين قدموا معك من أرض العراق .

خالد : يا لهم من شجعان يحتمون بالحصون وهم ثلاثة اضعافنا فى العدد .. ولكنى اعرف يا شرحبيل أن مدنا اقوى واكبر من هذه قد سلمت لكم من قبل ..

ضرار : هذه المدينة يا ابا سليمان تختلف عن مدن الشام الاخرى .. كنا فى المدن الاخرى نجد المساعدة من اهل الشام كى يتخلصوا من ظلم حكامهم الرومان . وكانوا يقولون حكم العرب ارحم واعدل .. اما بصرى فيحكمها بطريق رومانى عادل اسمه رومانوس يحبه اهل البلد ومن اجله يساعدون الحامية ويحاربون معها وهذا هو ما جعل الرومان يصمدون لنا كل هذه المدة ..

خالد : هل درستم أسوار المدينة ودفاعاتها لعلكم تجدون فيها ثغرة .

شرحبيل : لقد بعثت يا ابا سليمان عيوننا من العرب المتنصرة فدخلوا المدينة وخرجوا منها اكثر من مرة دون أن يجدوا من اهل المدينة تعاونا .. ولم ياتونى بما يفيد ..

خالد : اترون لو تخلصنا من هذا البطريق .. الا يساعدنا ذلك ..

ضرار : لقد حاولت ذلك ايضا يا ابا سليمان .. لقد خرجت بالامس اطلب منهم المبارزة .. وطلبت ان يظهر لى البطريق نفسه ..

خالد : وهل خرج لك يا ضرار ..

ضرار : نعم .. فوالله ما وجدت فى فرسان الروم من هو اثبت منه ولا اكثر خبـــرة بفنون الحرب والطعان .. لقد ظللت انا وهو ساعة نتبارز ونتحاور دون ان يتمـــكن احدنا من صاحبه ..

خالد : عجبـــا لامرك يا ابن الأزور .. ما كنت احسب ان احدا من الروم او الفرس يثبت لسيفك هذا فماذا دهاك ..

ضرار : لقد حانت لى من هذا اللعين فرصـــة واحدة فضربته بملء عزمى ولـــكنه اسرع وتلقى السيف بدرعه فتكسر سيفى على الدرع فقال لى بلغة عربية : والآن تمكنت منك يا بدوى .. اما كان خيرا لك أن تبقى ســـالما مع غنمك !! فقلت له ومع ذلك فلا بد لى من قتلك ولو بسيفك الذى فى يدك .. ثم ترجلت عن حصـــانى .. واخذت




اتلقى ضرباته بدرعي واطعنه برمحي . الى ان رأيت اختي خولة قادمة نحوى بفرسها لتعطيني سيفا جديدا ..

خالد : لك الله يا خولة من بطلة .. دائما نعرف قدرك عند الشدة ..

خولة : لقد كنت ملثمة يا ابا سليمان فلم يتبين الرومانى اننى امرأة واخذ يصيح فى وجهى : يا معشر العرب .. هل من اخلاقكم الغدر .. هل اتيت ايها الفـــارس لتساعد زميلك بعد ان كدت انال منه .. والله لاقتلنك قبله .. ثم انقض على يهاجمنى .

شرحبيل : والله يا ابا سليمان لقد ظلت خولة تكيل له الضرب والطعان وترينا من حيل وفنون الحرب حتى قال المسلمون لولا أن خالد بن الوليد غائب فى العراق لقلنا أن خالد هو هذا الفارس نفسه ..

خالد : وماذا فعلت بالبطريق يا خولة .. ؟

خولة : لقد كدت أنال منه لولا انه عندما احس بالتعب انهزم ورجع الى الحصن .

خالد : فماذا ترون أن نفعل يا صحابة رسول الله .. لقد أمرنا الله بالتشاور فاخبرونى برأيكم .

عبد الرحمن : الرأى عندى يا ابا سليمان ان نترك هذه المدينة فهى غير هامة وقد يطول صبرهم على الحصار .. وأن ننتقل الى دمشق فى الشمال فاذا ســـقطت دمشق انقطعت عنهم الامدادات واضطروا الى التسليم دون قتال .

شرحبيل : هذا هو ما كنت اريد أن اكتب به الىّ أبى عبيدة ولكن ما دام امير المؤمنين قد ولاك امارة الجيش مكانه فهذا هو رأيى أنا ايضا يا ابا سليمان .

خالد : الديكم افضل من ذلك فانى لا أحب أن أترك وراء ظهرى عدواً متحصنا .

عبد الرحمن : لقد مكثنا هنا شـــهراً كل يوم نجرب حيلة أو ندرس خطة فلعلك يا أبا سليمان تجد الحل الذى يعيى كل الحيل .

خالد : ليست الحيلة وحدها يا صحابة رسول الله .. ولكن بالاخلاص لله فوالله لقد نصرنى الله فى مواقع كثيرة على قوم اكثر منى حيلة ودهاء .. فكنت ادعو الله وانشده النصر الذى وعده لجنوده المؤمنين المخلصين العاملين اذ يقول تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمـــكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبـــدوننى لا يشركون بى شـــيئا » فلتتوجهوا الى الله بصـــلاتكم ودعائكم أن ينصرنا .. فانتم يا صحابة رسول الله قوم مباركون ..

ووالله يا اخوتى اننى أحس ببركة رسول الله الذى دعا لـــى بالنصر فى كل موقـــع .. احس بأن الله سيفتح علينا حصن بصرى هذه الليلة ..

(ضرار وعبد الرحمن وشرحبيل وخولة وأم تميم يقولون فى وقت واحد) .

الجميع : هذه الليلة يا أبا سليمان .

خالد : والله ما أدرى كيف تكون .. ولكنى رأيت فى منامى وكأننا هذه الليلة ناكل داخل الحصن ورسول الله يزورنا فيه ..

الجميع : الله أكبر ..

(تسود فترة صمت ودعاء .. تقطعها خولة بقولها) ..




خولة : يا أبا سليمان .. وانى أرى البطريق الذى بارزنى فى الصباح قد خرج من باب الحصن ..

ضرار : والله لقد سعى الى حتفه بظلفه .. فهذه المرة لن يفلت منى ولعل الله يحقق رؤياك يا أبا سليمان .

خولة : يبدو أنه لم يخرج للمبارزة فهو يشير الينا يريد المفاوضة يا ابا سليمان .

خالد : أشيروا له ودعوه يقدم علينا فلعل الله يمكننا منهم بالحيلة ..

رومانوس : يا معشر العرب .. لا يبرز لى اليوم الا اميركم فانا حاكم بصـــرى وبطريقها ..

الجنود المسلمون : تقدم ايها العلج فهذا هو اميرنا ..

(يذهب رومانوس فى زينة عظيمة وعليه بيضة موشاة بالذهب والياقوت وفوقها صليب الذهب وعليه درع وزرد يلمع منه الذهب .. ويظهر له خالد بن الوليد خارج الخيمة ..) .

رومانوس : هل انت أمير القوم ..

خالد فى تواضع : كذلك يزعمون أنى اميرهم ما دمت على طاعة الله ورســـوله فان عصيته فلا طاعة لى عليهم .

رومانوس : هل انت خالد بن الوليد .. ؟

خالد : نعم هو انا ..

رومانوس : وانا رومانوس حاكم بصرى وقد رأيت ان افاوضـــــكم لحقن دمائنا ودمائكم ..

خالد : تفضل يا رومانوس لنجلس ونتكلم .

(يشير خالد الى ارض الخيمة ويهم بالجلوس .. فيتردد رومانوس ويقول له) :

رومانوس : أتجلس على الارض وأنت أمير القوم .. اهذا من اوامر دينكم .. ؟

خالد : كلا يا اخا الروم .. ولكنها سنة عن نبينا أن نتقشف فى مجلسنا وملبسنا .. فمن الارض أتينا ومنها غذاؤنا وحياتنا .. واليها مصيرنا .. فماذا يضـــيرك لو جلست عليها ..

(يراه خالد مترددا فيخلع عباءته ويقول له) :

خالد : هذا ثوبى فاجلس ان اردت ..

رومانوس : كلا والله اجلس مثلك على الارض ..

خالد : ومن أين لك هذا اللسان العربى يا أخا الروم ..

رومانوس : ان بصرى قريبة من ارض العرب .. وقد تربيت فيها عندما كان أبى حاكمها من قبلى .. وبها تمر قوافلكم الى الشام . وقد سمعت الكثيـــر عن دينكم قبـــل أن تدخلوا هذه البلاد ..

خالد : فماذا تريد أن تفاوضنا عليه .

الحق أننى أريد أن استعلم منك عن اشياء كثيرة وارجو ان تصدقنى الجواب ..

خالد : اسأل ما بدا لك .. فكما وجدتنا صادقين فى الحرب والضرب ، فستجدنا باذن الله صادقين فى القول .




رومانوس : قبل أن نبدأ بالحديث هل لك أن تعرفنى بالفارسين الذين بارزتهما بالامس .. أحدهما كان يحارب عاريا الا من سرواله .. والآخر كان ملثما لا يبين منه الا عينه .

خالد : أيهمك أن تعرفهما يا أخا الروم .

رومانوس : نعم والله يهمنى .. لا لهذا التناقض فى الملبس .. ولا لما أبداه كل منهما من مهارة وفروسية .. ولكن ..

خالد : ولكن ماذا .. !!

رومانوس : لقد قيل لى أن الفـــــارس الملثم الذى بارزته امرأة بدوية .. فهل هذا حق .. ؟

خالد : من قال لك ذلك فقد صدق .. أما الفارس العارى فهذا هو أمامك ضرار بن الأزور قائد ميمنتى ولعلمك انت الوحيد بين علوج الروم الذى صمد لضرار فى المبارزة وهذه شهادة كبيرة فى حقك ..

(رومانوس يمد يده الى ضرار ويسلم عليه قائلا) ..

رومانوس : لقد سعدت بلقائك يا ضرار ..

خالد : أما الفارس الملثم فهذه هى أخته خولة بنت الأزور وقد حسبتها انت جاءت تساعد اخاها ولكنها فى الواقع كانت تريد تسليمه سيفه ..

خولة : أتريد أن تبارزنى مرة أخرى يا أخا الروم .

رومانوس : ما لهذا جئت يا أخت العرب ..

خالد : لقد جاءنا رومانوس ضيفا مسالما يا خولة وما أحســـــبه جاء متحديا أو مبارزا ..

رومانوس : صدقت يا خالد .. والله ما جئت متحديا .. ولا مقاتــــلا .. ولكنــى جئت لأمر عظيم أفكر فيه طوال يومى وأمسى .. لقد حكمت بصرى وعشت فيهــــا .. وكانت قبائل العرب وأولها قريش تمر بهذه البلد فى طريقها الى الشام . فكنت أرى قوما جياع الاكباد ، وكانوا اذلة فى هذه البلاد .. نفرض عليهم الضرائب وهم صاغرون ونضرب رجالهم بالسياط وكان بعض الرومان يسبون نساء العرب ويبيعونهم فى أسواق العبيد .. فماذا غير أحوالهم حتى أصبحت راعية الغنم فارسة تصمد فى القتال .. وماذا جعلهم يزهدون فى الحياة ويقبلون هكذا على الموت .. واذا فلا بد أن فى الامر معجزة من السماء .. وهذا هو ما جئت لأسالك عنه .

خالد : والله انك لرجل عاقل من عقلاء الروم .. وأن الحــق لا يخفى على ذى بصيرة . وما أصدق قولك أن فى الامر معجزة .

لقد كنا كما قلت ياكل بعضنا بعضا كالوحوش فى الغاب .. وكانت حياتنا على السطو وطعامنا ما نستخلصه من أيدى بعضنا فارسل الله لنا المعجزة التى غيرت حياتنا ووحدت كلمتنا وبعثت المحبة فى قلوبنا .. الا وهى الاسلام ..

رومانوس : خبرنى بالحق والصدق يا خالد .. أحقا أن الله أرسل على نبيكم سيفا من السماء فاعطاكه فلا تسله على قوم الا هزمتهم .

خالد : لا ..




رومانوس : فيم سميت سيف الله .

خالد : ان الله عز وجل قد بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم فدعانا فنفرنا وابينا ونأينا عنه جميعا ثم ان بعضنا صدقه وتابعه وبعضنا باعده وكذبه فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ثم ان الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه فقـــال لى الرسول « أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين » ودعا لى بالنصر فسـميت بذلك سيف الله فانا من أشد المسلمين على المشركين .

رومانوس : صدقتنى يا خالد .. فاخبرنى الام تدعونى .. ؟

خالد : الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله والاقرار بما جاء به من عند الله ..

رومانوس : فمن لم يجبكم ..

خالد : فالجزية ونمنعهم .

رومانوس : فان لم يعطها ..

خالد : نؤذنه بحرب ثم نقاتله ..

رومانوس : ولماذا لا تكون هناك رابعة .

خالد : ما هى الرابعة .

رومانوس : أن تتركونا فى سلام ونتركم لا تقاتلوننا ولا نقاتلكم ..

خالد : اذا تفسد الارض والله يريد صلاحها ..

رومانوس : كيف الا يكون صلاحها الا بالقتال ..

خالد : نعم يا اخا الروم .. هل أنتم تحكمون بالعدل بين الناس .

رومانوس : لا والله .. ولكن اين هو العدل فى هذه الارض .

خالد : هذا هو ما جئنا من اجله وما حملنا الله به . فديننا هو العـــدل .. (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) .

رومانوس : أهذا فى كتابكم .. ؟

خالد : نعم .

رومانوس : والله لقد كنت أفكر فى هذا المعنى طوال يومى فاذا به عندكم فى كلمات قليلة .. فما منزلة الذى يدخل فيكم ويجيبكم الى هذا الامر اليوم ..

خالد : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا .. شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا .

رومانوس : هل لمن دخل دينكم اليوم يا خالد مثل ما لكم من الاجر والذخر .

خالد : نعم وافضل .

رومانوس : كيف يساويكم وقد سبقتموه ..

خالد : انا دخلنا فى هذا الامر وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حى بين اظهرنا تاتيه اخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات .. وحق لمن يرى ما رأينـــا ويسمع ما سمعنا ان يسلم ويبايع .. وانكم انتم لم تروا ما راينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج فمن دخل فى هذا الامر بحقيقة ونية كان افضل منا ..




رومانوس : بالله صدقتنى ولم تخادعنى ولم تالفنى .. ؟

خالد : بالله لقد صدقتك وما بى اليك ولا الى احد منكم وحشة وان الله لولى ما سالت عنه ..

رومانوس : اذا كان هذا مكانه فى الاخرة فما حظه بينكم فى الدنيا ..

خالد : يكون كواحد منا .. له ما لنا وعليه ما علينا ..

رومانوس : حسبى هذا والله انكم لعلى حق .. ودينـــكم هو العدل .. ومن يتاخر عنكم اليوم فقد خسر الدنيا والاخرة .. وانى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ..

(ضرار وشرحبيل وعبد الرحمن وخولة وام تميم فى وقت واحد) :

الجميع : الله اكبر .. الله اكبر ..

(يقوم خالد ورومانوس فيحتضنان بعضهما فى تاثر ..)

رومانوس : والآن اعطنى اسما مسلما يا خالد ..

خالد : خذ لك اسم واحد منا ..

رومانوس : ايحق لى ان اتسمى باسم نبينا احمد بن عبد الله .

الجميع : نعم نسميك احمد بن عبد الله رومانوس .

خالد : ما دمت قد اصبحت واحدا منا فانى اقدم اليك كل فوادى واعقد الاخـــوة بينك وبينهم كما كان يؤاخى رسول الله بين المهاجرين والانصار .

(يشير خالد الى ضرار الذى يتقدم الى رومانوس ويحتضنه) :

خالد : هذا اخوك ضرار بن الازور . بالامس كنتما تتقاتلان قتال الموت واليوم قد الف الله بين قلبيكما فى الاسلام .

رومانوس : اهلا بك يا اخى ضرار .

ضرار : اهلا بك يا اخى رومانوس .

خالد : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصـــبحتم بنعمته اخوانا » (١٠٣ آل عمران) .

رومانوس : ما احلى هذا الكلام يا خالد لا بد ان هذا ايضا من الكتاب .. ؟

خالد : نعم .

رومانوس : ان اعطانى الله العمر فلا بد ان احفظ هذا الكتاب .

(يشير خالد الى شرحبيل الذى يتقدم ويحتضن رومانوس) .

خالد : وهذا اخوك شرحبيل بن حســـنة كاتب وحى رسول الله وقائد جيش الحصار .

شرحبيل : اهلا بك يااخى احمد .

رومانوس : انت والله من بركات رسول الله ..

خالد : وهذا عبد الرحمن بن خليفتنا ابى بكر الصديق وجندى من جنود الله ..




عبد الرحمن يحتضنه .

عبد الرحمن : اهلا بك يا اخى فى الله .

رومانوس : سبحان الله .. ابن الخليفة جندى كغيره من الجنود .. وعنـدنا ابن الرئيس يصبح رئيسا ولو كان طفلا فى المهد .

خالد : وهذه اختك التى بارزتها اليوم خولة بنت الازور اخت ضرار ..

تسلم عليه خولة فيقول رومانوس اهلا بالفارسة البطلة .

خالد : وهذه زوجتى أم تميم لا تفارقنى فى حرب أو سلم ..

رومانوس : نعم الزوجة والرفيقة من تشارك زوجها ..

خالد : خبرنى بالله يا رومانوس .. لقد احسست منذ لحظة ندائك على انك تريد الاسلام .. فمتى فكرت فى أن تسلم .

رومانوس : ان لهذا قصة طويلة وقديمة لعلك تعجب لها ..

لقد كان أبى حاكم هذه المدينة قبلى .. وقد قص على انه رأى نبيـكم فى دير بحيرا الراهب القريب منا منذ ثلاثين عاما .. فذات يوم وصلت عير قريش وفيهـا تجارة .. فنظر بحيرا الى القافلة ونبيكم فى وسطها .. فرأى سحابة على رأسه تظله من حر الشمس وتسير معه اينما سار .. فقال بحيرا لأبى ان فى الكتب أن نبيا يبعث من تهامة اسمه احمد وأنا دائما أنتظره فلعله يكون هذا الرجل .. فدعا بحيرا القوم الى دخول الدير وأعد لهم طعاما فنظر فى القوم فلم يجده بينهم .. فقال هل تخلف أحد منكم .. قالوا نعم تخلف فتى يتيم اسمه محمد بن عبد الله ليرعى الابل ويحرس التجارة قال : هل مات أبوه وأمه وهو صغير قالوا : نعم . قال هل كفله عمه وجده ؟ قالوا : نعم ، قال هل له اسم غير هذا : قالوا اسمه أحمد ونحن نلقبه بالأمين لعظم أمانته .. قال بحيرا لأبى : لعله يكون صاحبنا الذى ننتظره وبشرت به الأديان كلها .. فهيا نذهب لننظر ماذا يصنع .. فذهبا اليه .. فوجداه نائما تحت شجرة فقال بحيرا :

— وحق المسيح هذه الشجرة كانت يابسة منذ سـنوات وهذه هى قد اخضرت وأورقت لكى تظله .. فليتنى أعيش حتى يبعث ويأتيه أمر السـماء فأكون أول من يؤمن به ..

وكان أبى يؤمن بما يقوله بحيرا .. فقبل أن يموت أبى قال لى : يا بنى لقـد اختارك الملك بعدى حاكم بصرى ، فلا تكن كغيـرك من حكام الرومـان وسر فى النـاس بالعدل .. واذا سمعت بهذا النبى الذى من تهامة فلا تتأخر عن نصرة دينه .. قلت يا أبى وكيف لى أن أعرفه .. قال : يا ولدى سيملأ خبره الدنيا وسيأتيك خبره هنـا بين عينيك ..

خالد : هذه كلها والله صفات نبينا عليه افضل الصلاة والسلام .

رومانوس : وذات يوم دعانى الملك هرقل الى القسطنطينية .. وقال لى انت خبير بشئون العرب وتعرف لغتهم .. وقد وصلنى هذا الخطاب من نبيهم يدعونى فيه أن أتبع دينه .. فلما قرأت الخطاب أصابتنى رجفة فقد تذكرت قصة أبى .. فقـال لى الملك : ماذا بك .. فأخبرته بقصة بحيرا الراهب .. وقلت له أن هذا رجل مبارك .. وقد تنبأ بانتصارك على ملك الفرس قبل موعده بعشر سنين .. والرأى عنـدى أن




تكرم رسوله وان تحسن الرد اليه ولا تكون مثل كسرى الذى مزق خطابه فدعا عليه أن يمزق الله عرشه شر ممزق .. فقـــال لى اكتب انت الرد .. فكتبت الرد بيدى رغم اعتراض البطارقة الآخرين وسخطهم على .

خالد : جزاك الله خيرا يا رومانوس ..

ضرار : ولكن هل لى أن اسالك يا رومانوس .

اذا كنت تريد ان تسلم فلماذا حاربتنى وبارزتنى بهذه الشدة حتى كاد احدنا ان يقتل الآخر .. ؟

خولة : ولماذا حاربتنى انا ايضا حتى كدت اقتلك .. ؟

(الجميع يضحكون) ..

رومانوس : والله ما حسبت يا خولة انك امرأة فخبرتك بالمبـــارزة وضربات ذراعك لا تختلف عن اخيك ضرار حتى قلت لنفسى والله كأنهما اخوان أو أن معلمهما واحد ..

اما انت يا ضرار فانت الذى طلبت قتالى ولعلك رأيتنى أسرع بالخروج وكأننى على موعد .. فقد كنت والله ارجو هذه الفرصة حتى لا تظنوا اننى اسلمت خوفا منكم أو طمعا فيكم ... وحتى لا يظن اهل المدينة أننى خذلتهم عن خيانة أو جبن ..

خالد : هذا والله نعم الرأى ولو كنت مكانك لفعلت ذلك ..

رومانوس : هل تعلم ان هذه المبارزة يا ضرار هى التى اعطتنى القرار الاخير فى اسلامى وهى التى حسمت ترددى .

ضرار : كيف يا اخى .. لعلى يكون لى فضل عند الله فى اسلامك .

رومانوس : بعد هذه المبارزة ظللت طوال نهارى افكر فى أمر هذا الدين الذى ملك عليكم كل حواسكم وجعلكم تستهينون بالموت .. وعندما نمت فى الليل رأيت أبى فى الحلم .. يقول لى يا بنى لماذا لا تعمل بوصيتى لك .. هؤلاء اصحاب هذا النبى قد جاءوا حتى بابك فلماذا تحاربهم .. الى متى تتردد .. فقمت منزعجا ثم نمت مرة اخرى فرأيت انكم جالسون معى تأكلون الطعام فى قصرى داخل المدينة .. فاقسمت اذا جاء النهار أن اخرج من المدينة بأى حجة أو سبب لكى اتصل بك يا خالد واعلن اسلامى ولم اخبر بذلك حتى زوجتى واطفالى الصغار ..

ضرار : سبحان الله هذه هى نفس الرؤيا التى رأيتها يا خالد بالأمس .

خالد : نعم والله وكأننا على موعد .. وفى نفس الليلة ..

ولكن خبرنى يا رومانوس بأى حجة خرجت من المدينة لتقابلنا ..

رومانوس : لقد ذهبت الى بطرس قائد الجيش وقلت له اننى اعرف لســـان العرب ولى منهم معارف .. فدعنى اذهب اليهم وافاوضهم على السلام فلعلى احقن دماءكم وتسلم المدينة من التخريب .. فرفضوا اول الامر وقالوا ان حصــــوننا منيعة ولدينا مؤن تكفينا عاما كاملا .. فلماذا نطمعهم فينا بالتفاوض .. فلم احاول الالحاح حتى لا يشكوا فى امرى ثم اخذ بطرس واخوه والدرنجار يتناقشون .. ثم قالوا لى : اذهب الى اصحابك العرب .. وقابل اميرهم وقل له اننا سنعطيهم زادا وهدية لكل واحد منهم ولاميرهم عشرة امثالها على ان يعودوا الى بلادهم ولا يحاربوننا ..




فكدت أضحك من جهلهم .. ولكنى قلت لهم السمع والطاعة فانتظرونى آتيكم بالرأى .

خالد : اننا يا رومانوس نقدر موقفك ووجود أهلك فى ايديهم .. فلك كل الخيار .. اما ان تعود اليهم ويبقى ما بيننا سرا الى أن يفتح الله علينا البلد فتعلن اسلامك كما تشاء .. واما أن تبقى بيننا وتحارب معنا ..

رومانوس : ليس هذا بالرأى يا خالد .. اننى لم اسلم لكى اقعد فى بيتى .. أو أطلب لنفسى وأولادى الامان .. بل أسلمت لاجاهد مثلكم ويكون أجرى كأجركم ..

خالد : اذا تبقى معنا .

رومانوس : ولا هذا ايضا .. فلو بقيت وعلموا باسلامى لقتلوا زوجتى وأولادى .

خالد : فماذا ترى .

رومانوس : أرى ان اعود الى المدينة واخبرهم انكم رفضتم عرضهم ثم اعمل فى الليل على فتح الحصن سرا ليتم النصر وترتفع كلمة الله ..

خالد : كيف بالله يا رومانوس ..

رومانوس : ان قصرى ملاصق للسور . .وسوف اجعل اهلى وخدمى ينقبون ثغرة فى القصر فاذا جاء الليل اشرت اليكم فيدخل عشرة من خيرة رجالكم فيقتلون حراس الابواب ويفتحون لكم المدينة .

خالد : هذا والله الجهاد الحق يا رومانوس .. وهؤلاء اخوتك عبد الرحمن بن أبى بكر ، وضرار بن الازور تعطيهما تفاصيل خطتك واشارتك وموعدك حتى يكونوا على اهبة ..

رومانوس : حبذا لو كانت لديكم ملابس جنود الرومان .

ضرار : لدينا منها الكثير يا أخى مما اخذناه من الغنائم ..

رومانوس : ان لى شرطا واحدا أطلبه منك يا خالد .. ولا مطلب لى سواه .

خالد : اطلب يا رومانوس .

رومانوس : اذا تم فتح هذا البلد بهذه الطريقة ان تعتبروها فتحت صـــلحا لا حربا ..

خالد : وماذا يهمك من هذا الامر .. ؟

رومانوس : يهمنى ان اكسب قلوب أهل البلد للاسلام ، وأن يعرفوا اننى ما خنتهم ولكن حفظت دماءهم وأموالهم فى ظل الاسلام .

خالد : لك هذا العهد بينى وبينك يا رومانوس .

رومانوس : حتى لو قتلت فى هذه المعركة يا خالد يظل هذا العهد ساريا ..

خالد : حتى لو استشهدت يا رومانوس .

رومانوس : بقى أهم شىء لا أريد أن يفوتنى فقد حضر من الامر ما رأيت وقد اقتل فى المعركة فهل تعلمنى ماذا أفعل لكى يتم اسلامى فاموت مسلما .




خالد : لقد دخلت الاسلام فعلا بهذه الكلمات القليلة التى نطقت بها الساعة فديننا بسيط وغير معقد وليس فيه طقوس ويمكنك بعد ذلك ان تغتسل وأن تصلى ولكن هـــذا أمر نعلمك اياه بعد المعركة .

رومانوس واذا مت فى المعركة قبل أن اغتسل وأصلى اينقص ذلك من أجرى فى الجنة .. ؟

خالد : لا والله لا ينقص ذلك من اجرك شيئا . فالله يحاسبنا على نيتنا وما فى قلوبنا .

رومانوس : سمعتم ذلك من رسول الله .. ؟

خالد : نعم سمعناه من رسول الله .. وهذا هو أخوك شرحبيل بن حسنة كاتب الوحى يحدثك بما سمعه من رسول الله ..

شرحبيل : نعم والله اخبرك بالصدق : خرج رجل من صفوف المشركين وتقدم من النبى وقال له : اشهد أن لا اله الا الله وانك عبده ورسوله . ثم تقدم فقــاتل مع المسلمين حتى قتل فقال الرسول « عمل هذا يسيرا وأجر كثيرا » .

رومانوس : أين كنتم من هذا العلم كله .. والله هذا اعجاز الهى ..

والآن أيها الاخوة فى الله أستودعكم الله والملتقى فى الجنة ..

ضرار : انما ندعو لك يا أخى بالسلامة وطول العمر ..

خولة : وفقك الله لنصرة الاسلام وحماك لخدمته ورفع رايته وباذن الله تخرج من الحرب سالما وتتفقه فى هذا الدين ..

رومانوس : بفضلكم يا اخوتى دخل الاسلام قلبى وباذن الله بعد اسلامى سوف يسلم أهل بصرى جميعهم فلى تاثير كبير عليهم ..

خالد : انتظر يا رومانوس ..

ان رجعت الى القوم بغير قتال بينى وبينك وبعد طول حديثنا شكوا فى أمرك .. وخصوصا أننى أرى الدرنجار وبطرس يرقباننا فوق الاسوار .. فقم الى فرسك واحمل على وقاتلنى حتى لا يتهموك أو يشكوا فى أمرك ..

(يقوم الاثنان الى سلاحهما وفرسيهما . ويتحاوران ويتبارزان) .

خالد : والله انك لفارس ضرغام حقا .. فما يفلت من ضرباتى هذه الا خبير بفنون الحرب .. والآن عليك ان تنهزم امامى وتعود الى قومك .. وموعدنا داخل القلعة .

رومانوس : اذا كتب الله لى السلامة اليوم فلن أفارقكم فى الجهاد ابدا وسأذهب معكم الى فتح دمشق وباقى مدن الشام وكل بلاد العالم حتى يعم نور الاسلام الدنيا كلها .

خولة : على بركة الله .

(يتبع)

الفتاوى

دجـــل

الســـؤال :

تدعى امرأة أنها متصلة بمن يكشف عن الغيب ، ويخبرها بالسرقة ومكانها وأسماء السارقين ، وبالمرض وعلاجه ، وكثيرا ما تصف الحشيش دواء للمرض وتتهم الأبرياء ، وتسبب بين الناس عداوة وفتنة ، فما حكم ذلك شرعا ؟

الاجـــابة :

اتخذ الدجالون هذه المزاعم خداعا للبسطاء من العامة ، وطريقا للكسب الحرام ، وهى ضرب من الكهانة المحرمة شرعا ، ولا فرق بين من يستعين فى تكهنه بالنجوم أو الضرب بالحصى أو قراءة الكف ونحوه مما هو محرم شرعـا ، وبين من يزعم كذبا أنه يستعين بقرين من عالم الجن يسميه سيدا أو خادما ، ويوهم الناس أنه يحدثه ويخبره عن الغيب ، فان الـكل فى الضرر والحرمة سواء .

وكما تحرم هذه الأعمـال على ، ويحرم التكسب بهـا ، يحرم على المسلمين أن يذهبوا اليهم لمثل هذه الأغراض ، وأن يصدقوهم فيما يزعمون ، وأن يعطوهم أجرا على ما يفترون .

واذا كان الحجر واجبا شرعا على من يضر العامة كالطبيب الجاهل والمكارى المفلس والمفتى بغير علم ، فهو على هؤلاء الدجالين أوجب والزم ، لخطورة عملهم وعظم مفسدتهم وأكلهم أموال الناس بالباطل . وعلى المسلمين أن يتواصـوا بالقضاء على هذه المفاسد ، وينصحوا العامة حتى لا يقعوا فى حبائلهم ، والله ولى المصلحين .

صـلاة الوتر

الســؤال :

ما حكم صـلاة الوتر ؟ وما مقدار ركعاته ؟ وما حكم القنـوت فيه فى رمضـان ؟

الاجـــابة :

أعلم أن الوتر واجب عند الحنفية وسنة مؤكدة عند الأئمة الثلاثة ، وهو ثلاث ركعات عنـد الحنفية . وركعة واحدة عند المالكية . وأقله ركعة عنـد الشافعية والحنابلة . وتجوز صلاته جماعة فى رمضان دون سائر الشهور عند الحنفية وتندب عند المالكية . وتسن عند الشافعية والحنابلة .

وأما القنوت فيه فواجب عند الحنفية فى رمضان وغيره . وسنة فى رمضان وغيره عند الحنابلة . وسنة فى النصف الثانى من شهر رمضان عند الشافعية . وغير مشروع فى الوتر فى رمضان وغيره عند المالكية ، والله أعلم .

هل المسجد شرط فى صحة الجمعة ؟

السؤال :

اراد اهل بلدة تجديد مسجدهم فهدموه ليقيموا بدله ، وليس فيها مسجد سواه ، فهل يتركون أداء الجمعة فى مدة اقامة البناء لعدم وجود مسجد أو يصح أن يقيموها فى غير المسجد ؟

الاجابة :

ذهب الحنفية والشافعية والحنابلة الى انه لا يشترط لصحة الجمعة اداؤها فى المسجد ، قال ابن قدامة الحنبلى فى المغنى : لا يشترط لصحة الجمعة البنيان ، بل يجوز اقامتها فيما قاربه من الصحراء وبهذا قال أبو حنيفة لما رواه كعب بن مالك قال : « أسعد بن زرارة أول من جمع بنا فى هزم النبيت فى حرة بنى بياضة ، فى نقيع يقال له نقيع الخضمات » (رواه أبو داود) .

وقال عطاء : وكان ذلك بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، والنقيع بطن من الأرض يستنقع فيه الماء مدة ، فاذا نضب نبت الكلأ وحرة بنى بياضة قرية على ميل من المدينة ، وكان الأصل عدم اشتراط ذلك ، ولا نص فى اشتراطه ولا معنى نص اهـ .

وفى المجموع للنووى ولا يشترط اقامتها فى مسجد ، ولكن تجوز فى ساحة مكشوفة بشرط أن تكون داخلة فى القرية أو البلدة معدودة فى خطتها فلو صلوها خارج البلدة لم تصح بلا خلاف سواء كانت بقرب البلدة أو بعيدا عنها ، وسواء صلوها فى ركن أم ساحة ، ولو انهدمت أبنية القرية ، أو البلدة ، فأقام أهلها على عمارتها لزمتهم الجمعة فيها سواء كانوا فى سقائف ومظال أم لا ، لأنه محل الاستيطان قال القاضى أبو الطيب : ولا يتصور اقامة الجمعة عند الشافعى فى غير بناء الا فى هذه المسألة .

أما المالكية فذهبوا كما فى الشرح الكبير الى أن المسجدية شرط وجوب وصحة معا أو شرط صحة فقط ، ولا تصح فى براح أحيط بأحجار من غير بناء ، لأنه لا يسمى مسجدا ، اذ المسجد ماله بناء وسقف على المعتمد ، فلا يصح لأهل القرية انهدم مسجدهم وبقى بلا سقف أن يؤدوا الجمعة فيه الا على القول الأول .

وقال الشوكانى فى نيل الأوطار : قال أبو حنيفة والشافعى وسائر العلماء ان المسجد ليس شرطا لاقامة الجمعة اذ لم يفصل دليل وجوبها ، وأيده بما روى انه صلى الله عليه وسلم ، صلى الجمعة فى بطن الوادى ، وقد روى ذلك أصحاب السير ومنهم ابن سعد . اهـ ملخصها .

ومن هذا يعلم أن أهل هذه القرية يلزمهم أداء الجمعة فى الأرض البراح التى فى قريتهم على بعض المذاهب ، وعلى ما ذهب اليه الجمهور من وجوب الجمعة على أهل القرى أيضا كالأمصار ، وهذا هو الأحق بالاعتبار حتى لا تهجر الجمعة بها ، والله أعلم .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

الفيلم الممنوع

أوقفت المغرب تصوير الفيلم السينمائى الذى قامت احدى شركات السينما باخراجه عن حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فلماذا ، وما هى الاخطار الجسيمة التى تنجم عن ظهور مثل هذا الفيلم .

اسماعيل الغزنوى ـ سوريا

عندما أعلن عن انتاج هذا الفيلم قامت الهيئات العلمية الاسلامية بدراسته من الناحية الدينية ، واستقر رأيها بالاجماع على وجوب الحيلولة دون اتمامه ، وتدخلت مراجع اسلامية عليا ، وطلبت من حكومة المغرب ايقاف تصويره ، واستجابت الحكومة مشكورة لهذا الطلب ، وصدرت عن هيئات علمية اسلامية بيانات مستفيضة تشرح أسباب الايقاف منها مجمع البحوث بالازهر الشريف ، ورابطة العالم الاسلامى بمكة ، وهيئة الافتاء بلبنان ، وهيئات اخرى فى الهند وباكستان ، ونشرت الصحف والمجلات آراء كثير من علماء المسلمين ، وممن أخذ رأيهم فى هذا فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى قال فضيلته :

(الموضوع ببساطة اما ان نجنى على التاريخ ، واما أن نجنى على الشخصيات المقدسة التى ستظهر فى الفيلم ، فاذا ظهر أصحاب الرسول وآل بيته فى صورتهم التى كانوا عليها .. وهى صورة لا تعجب الذوق الحاضر ، فنكون قد اعتدينا على أشخاصهم المقدسة ، واما أن نلبسهم صورة أخرى تعجب الذوق الحاضر ، فنكون قد اعتدينا على التاريخ .. ولا خير فى الاعتداء لا على الشخصيات المقدسة ولا على التاريخ !

ـ أعداء الاسلام يصورون محمدا صلى الله عليه وسلم دائما بصورة الانسان الذى أقام دعوته الى الاسلام على القوة والسيف .. ومن بين أحداث الفيلم معركتا بدر وأحد ، وهذا يعنى تأكيد الدعوة الكذوب التى يقوم بها أعداء الاسلام من أن الاسلام قام بقوة السيف ، وليس بقوة الاقناع .

ـ وقال : اخواننا الذين قدموا فيلما عن السيد المسيح عليه السلام فى امريكا اشترطوا على من مثل شخصيته ان يحكم على نفسه بالموت الاجتماعى .. فلا يرقص ولا يجلس فى مقهى .. ولا يأتى بأى صغيرة تمس كيانه بين الناس لأنــه فى رأيهم سوف يكون صورة للسيد المسيح .. فاذا كان فى تصرفه عمل ناقص نسب الناس هذا العمل الى المسيح ، وسخروا منه ، وهذا معنى جليل يجب التنبه له ..

ثم قـــال :
وأنا لا أقول (لا) عن مثل هذا الفيلم .. ولا ممنوع قانونا .. ولكننى أقول (عيب) وهو أقوى تعبيرا من حرام ديناً ، وممنوع قانونا .

عمليـــة الخالصـــة

تعتبر عملية الخالصة نقطة تحول فى تاريخ العمل الفدائى الفلسطينى وقد أثلجت صـــدورنا وشفت غليلنا نحن المسلمين الذين يعيشـــــون فى الولايات المتحدة ويهمنا أن نعــــرف موقعها فى الارض المحتلة .

آدم محمد ــ واشنطن

قرية الخالصة تقع فى الجليـــــل الاعلى وتعتبر من أكبر المســــتعمرات الاسرائيلية وأقدمها فى هذه المنطقة ، وقد سماها العدو مستعمرة (كريات شمونة) ومعناها القرية الثـــامنة ، وأكثر سكانها من اليهود الشرقيين .



مصور جغرافى يحدد موقع الخالصة

خسائر اسرائيل
فى حرب رمضان

عرفنا من الصحف والبيانات الرسمية عدد اسرى العدو فى حرب رمضان، ولم نعرف عدد القتلى والمفقودين من أفراده ، فهل لديكم حصر لهم ؟

عيسى الداعوق ــ استراليا

أصدرت وزارة الدفاع الاسرائيلية كتابا يضم أســـماء وصورا ومعلومات عن (٢٥٢٢) قتيلا ومفقودا من الجيش الاسرائيلى فى حرب رمضان . وقد رفضت ٥٠ عائلة ادراج أسماء ابنائها فى الكتاب (٣٢ قتيلا و ١٨ مفقودا) . وبين القتلى والمفقودين ٥٨١ ضابطا (لواء واحد ، وعقيدان ، و ٢٥ مقدما ، و٨٩ رائدا ، و ١٩٥ نقيبا ، و٢٣٤ ملازمـــا أول ، و ٣٥ ملازمـــا ، و ١٩٤١ جنديا . (دافـــار ١٩٧٤/٣/١٢ م الاسرائيلية) .



قالت صحف العالم

كرسي للقـــرآن

فى محاضرة بالمجمع العلمى الفرنسى بباريس وقف وزير خارجية فرنســا ليقول فى محاضرة علميـــة سنوية لهذا المجمع .. وقف وهو ممســك بالقرآن ليقول أن هذا الكتاب هو العدو الوحيـــد للاستعمار الذى قابلناه فى شـــمال افريقيــا وهو لم يقل ذلك الا بعد أن فشل الفرنسيون فى فرض اللغة الفرنسية بالجزائر وبعـــد أن يئس آلاف المستشرقين ورجال الأعمال من غزو الحيـــاة المادية والذهنيـــة لشعب الجزائر .

وقبل ذلك كان الأزهر الشريف هو الذى قاوم لدرجة أن دخلته جيوشـــها بالخيـــول لتجبره على الخضوع وبعد ذلك أيضا كانت نفحة بسيطة من التأثر بالقرآن هى التى صدمت اسرائيل يوم ١٠ رمضان .

كل هذا يشير الى أن القرآن فعلا فيه شىء ما يقاوم الاستعمار ويبقى على الأمة الاسلامية رغم ضعفها وفقرها وتخلفها .. ويبقى على اللغة العربية كمــا هى منذ ١٣٠٠ سنة فى حين أن اللغة الانجليزية مثلا أيام شيكسبير تختلف تماما عن اللغـــة الانجليزية اليوم وكم من لغة اندثرت بينما بقيت العربية .

وكم قامت حروب صليبية علنية وسرية ضد كل أجزاء العالم الاســـلامى وافراده فلم تسمع أن مسلما دخل فى مسيحية أو يهودية . وقد لفتت هـــذه الظواهر أنظار الغرب . فأنشئت كراسى لدراسة الدين والقانون والســـياسة الاسلامية فى جامعات منيسوتا واللينوى وهارفاردبل اننى أؤكد أن هنـــاك كرسيا لهذه الدراسات فى اسرائيل حتى أن ٦٠ رسالة قدمت للجامعة العبرية فى اسرائيل عن ابن خلدون وحده والأمر العجيب أن يكون عندنا كلية للاقتصاد والسياسة وليس فيها كرسى لدراسة القرآن من الوجهة السياسية علما بأن هذه الكلية تدرس النظم الوضعية من أمريكية وسوفيتية ، والأغرب من ذلك ألا يكون فى كليـــات الآداب فى مصر كرسى للأدب القرآنى كنـــوع راق من الآداب اللغـــوية .

عن مجلة الشبان المسلمين القاهرية

* * *

المواجهـــة الدائمـــــة

النـــور والظلمـــة ..

من يوم كان النور كانت هناك الظلمة ، وكان العـــراك المستمر الدائم ، فالظلمة لا تريد للنـــور أن ينتشر والنور من طبعه الانتشار ، لأنه هو الحق ، وللحق العلو والديمومة والانتصـــار .

ظهر نور الاسلام ، ورأت الانسانيـــة فيه مخرجا من الأزمات وعـــلاجا للأمراض ، وتنظيما لشؤون الحياة ، فانشرحت القلوب لدين الله ، ولكن أعداء النور وقفوا فى وجـــه الحق فى عناد وجمـــود ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههـــم .

لقد وقف يهود فى وجه الحق . مع أنهم يعلمون أنه هو الحق ، وخططوا الخطط للقضاء على الدعوة ، بالقضاء على الداعية ، وحرضوا مشركى مكة على ذلك ولكن الدعوة انتصرت فما كان منهم الا أن وضعوا خططا أخرى للهدم ، فظهر النفاق ، وتسربوا بأفكارهم الى التفاسير ، وكانوا وراء كل المحاولات الهدامة والفرق الضالة .

وبقيت عداوتهم للاسلام تزداد على مر الأيام حتى جاء العصر الحاضر فظهر حقدهم ، ووجدوا من يؤازرهم ويساندهم من أعداء الاسلام — والكفر ملة واحدة — فوضعهم أولئك الأعداء فى قلب الوطن الاسلامى . لينطلقوا من فلسطين متوسعين فى البلاد العربية مؤملين أن يحققوا حلمهم فى الوطن الكبير من النيل الى الفرات .

واليوم .. بعد هزيمة ٦٧ وعودة الروح فى حرب رمضان .. ماذا ينتظر الأمة الاسلامية ؟

— ينتظرها ويتوجب عليها الصمود الدائم والمواجهة الدائمة والاستعداد المستمر ، فلا حل بالحلول السلمية ، ولا بالمهمات الكيسنجرية .
— يتوجب على المسلمين الاستعداد بالتصنيع والبناء الداخلى المتماسك لتكون القوة .
— يتوجب على المسلمين أن يعملوا للوحدة الاسلامية الشاملة وذلك بالعودة الى الاسلام وتحكيمه وجعله هو المنظم لشؤون الحياة .. آنذاك تقوم الوحدة وتباشير الخير يراها من له بصيرة ، وان نصر الله قريب من المحسنين .

عن مجلة النور المغربية

الحرب النفسية

ان المسلم الحق لا تؤثر فيه اشاعات الأعداء أو دعاياتهم ، لأنه لا يعتمد على قوته فقط فى حربهم بل يعتمد على عون الله وتوفيقه له . فاذا خوف العدو المسلمين من الموت ، وهددهم بالقاء المتفجرات عليهم فانهم لا يأبهون لذلك لأنهم يعلمون تمام العلم أن الموت والحياة بيد الخالق سبحانه .

واذا حاول العدو ايهام المسلمين بأن قوته لا تقهر لم يأبهوا لذلك لأن الله سبحانه وتعالى معهم وناصرهم ، فليس النصر بقوة السلاح بقدر ما هو بقوة الايمان والصبر والمصابرة فالسلاح وحده ليس هو الوحيد فى المعركة . يقول صلى الله عليه وسلم : ((**نصرت بالرعب**)) ويقول الله سبحانه وتعالى : ((**وما النصر الا من عند الله**)) ويقول : ((**ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**)) .

والمؤمن لا يصدق بالاشاعات التى يبثها الأعداء . يقول الله سبحانه وتعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**)) .

وقال تعالى : ((**واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**)) .

فاذا سمع المسلم أمرا لا يعلم حقيقته فلا يذيعه أو ينشره بين الآخرين بل يجب رفعه الى رؤسائه وقادته ليبينوا له حقيقة الأمر ، ويوضحوا ما خفى عليه لتكون الحقائق كلها وبصراحة أمام الناس .

عن صحيفة الدعوة الاسلامية

بأقلام القراء

الاضــطهاد الدينى

لقد قرأت مقالة الأستاذ عبد القادر طاش التركستانى فتألمت أشد الألم وحدثت نفسى متأوها آه لو كنت صاحب سلطة أو قوة فأساعد هؤلاء بكل ما أوتيت من قوة ولقد اعتصرنى الألم لأن المسلمين شغلتهم الحياة الدنيا بملذاتهم وشهواتهم وشغلتهم المادة حتى أصبحوا عبيدا لها لا يحسون بما يحدث لاخوانهم المســلمين فى بقاع الأرض ــ ليت شعرى ما الذى أوردهم هــذا المورد المهلك ان أمامهم النور ويتركونه ليسيروا فى الظلام وأمامهم الحق ويتبعون الضلال كلما ظهــر منهم من يدعوهم للايمان ليجمع شملهم آذوه واضطهدوه تبا لكم أيها الغافلون من المسلمين كيف يهدأ لكم بال وتغمض لكم عين وأخوة لكم يؤمنون بالله وبرسوله ينكل بهم ويؤذون ويقتلون فى سبيل الله من أجل تمسكهم بعقيدتهم وايمانهم وأنتم تنظرون وكأن على أعينكم غشاوة ــ ان العلاج ورب الكعبة سهل لا يفزع ولا يروع وانمــا يبشر ويسعد ذلك أن المسلمين يجب أن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا تجمعهم عقيدتهم الدينية القوية ويجب أن يعمل حكامهم على جمعهم على أســاس من الحب فى الله حتى اذا ما قوى عــدوهم واشتدت شكيمتهم هبوا لنصرة اخوتهم فى كل مكان وانه لمن العار ومن الذلة والمسكنة ، ومن الهوان أن يسمع المسلمون بتعذيب وابادة اخوانهم المسلمين ولا تتحــرك مشاعرهم نحوهم ويثيرون العالم كله على أعدائهم ويمنعون معونتهم عنهم بترولا أو غير ذلك كما فعلوا مع المتعاونين مع اسرائيل فلما لا تنذر الفلبين بقطع البترول عنها اذا لم تكف عن ايذاء المسلمين ولما لا نوجه نظر الدول التى تؤذى المسلمين ونتخذ الوسائل الكفيلة بردعهم عن ملاحقة المسلمين بالتشريد والتعذيب والقتل ، انا لن نعدم وسيلة نحن المسلمين اذا أخلصنا النية لله فسنجد كثيرا من الوسائل لوقف هذا التيار المجرم من الاضطهاد وكم أكون سعيدا اذا بعثت مجلة (الوعى الاسلامى) كما فعلت السعودية أكرمها الله وأكرم عاهلها العظيم جلالة الملك فيصــل حينما بعث لجنة لتقصى الحقائق للتعرف على أحوال المســلمين ومد يد المعونة والمروءة اليهم فانهم أخوة فى الدين وفى العقيــدة والاسلام وما ينبغى لمؤمن مسلم يؤمن بالله ورسوله ، أن يهدأ له بال وتقر له عين ويغمض له جفن الا بعد أن يرى هؤلاء المسلمين وقد انقشعت عنهم غشاوة الظلم والاضــطهاد ونعموا بعيشهم واطمأنوا على حياتهم وحياة أولادهم واستطاعوا أن يقيمــوا شعائرهم فى ظل من الأمن والأمان لا يروعهم ظالم ولا يعتدى على حرماتهم معتد.

مصطفى مصطفى القرمانى

العصر الذهبى لعلم الحديث فى الهند

دخل علم الحديث فى أوائل الفتح الاسلامى فى بلاد الهند ، وكان من جملة من وفد اليها من المجاهدين فى سبيل الله الربيع بن الصبيح السعدى الذى قال عنه الحلبى فى (كشف الظنــون) هــو أول من صــنف فى الاســلام ، ولا

شـــك أنه من أول المؤلفين فى عـــلم الحـــديث ، وقـــد مات ودفن فى الهنـــد سـنة ١٦٠ هـ ، وقد رافق علم الحـــديث العرب الذين غزوا هـــذه البـــلاد ، وكان يرافقهم فى كل غزوة علماء محدثون ، وكان فيهم من ســـكن الهند ومات فيها ، وانتشر علم الحديث فى الهند ، وادركت الهند العناية الالهية ، فأتحف الله هذه البـــلاد بالوافدين الكرام من المحدثين ، من الحجاز ، وحضرموت ، ومصر ، والعراق ، وايران ، وذلك فى القرن العاشر الهجرى ، ثم سافر بعض علمـــاء الهند الى الحرمين الشريفين مصدر هذا العلم ومعقـــله واخذوا علم الحديث ، ومن أشهرهم الشيخ على التقى صـــاحب (كنز العمـــال) المتوفى سنة ٩٧٥ هـ وتلميذه الشيخ محمد بن طاهر الفتنى صاحب (مجمع بحار الأنوار) المتوفى سنة ٩٧٥ هـ فخدما علم الحديث خدمة باهرة ، ثم جاء دور الشيخ العلامة عبد الحق البخارى الدهلوى المتوفى سنة ١٠٥٢ هـ ، فأخذ علم الحديث من علماء الحجاز ونقله الى الهند واتخذ دار الملك (دهلى) مركزا له ، ونشر علم الحديث تدريسا وتعليما ، شرحا ، وتعليقا ، فأقبل العلماء على علم الحديث ، وانتشرت الصحاح ، ثم جاء دور شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولى الله المتوفى سنة ١١٧٦ هـ فرحل الى الحجاز وأخذ علم الحديث ثم رجع الى الهنـــد وشمر عن ساعد الجد لنشره ، فقامت دولة الحديث فى الهند ، وتقرر تدريس الصحاح الستة فى كل حلقة تدريس ، وانتشر تلاميذه ، وتلاميذ تلاميذه فى طول الهند وعرضها .

أشرقت الهند بنور هذا العلم وانتشرت فى جميع نواحيها كالكواكب الدرية ، وقامت فى وقت واحد فى مدن كثيرة حلقات مختصة لتدريس علم الحـــديث ، وتخرج منها علماء محدثون ، ولا تزال تتسع الدائرة الى ما يشاء الله ، وكذلك الفوا مؤلفات ضخمة فى شرح الحديث والسنة وفى الرجال ومصطلح الحديث وفى الدور الثالث من أشهر المحدثين فى الهند المحـــدث الجليل والمربى الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفورى صاحب (بذل المجهود فى حل أبو داود) المتوفى سنة ١٣٤٦هـ .

و (بذل المجهود فى حل أبو داود) ليس شرحـــا وافيا لسنن أبى داود فحسب ، بل انه سفر ضخم يتضمن بحوثا ذات قيمة كبيرة فى علم الحديث وشرح كلام النبوة ، ورواة الحديث ومكانتهم ، وتراجمهم فى ضوء أقوال الأئمة والمحدثين الكبـــار ، ليس له مثيل فى شرح الحديث فى جميع مؤلفات علماء الهند قد طبع ونشر وتلقى بقبول عام من العلماء ، ثم قامت المكتبة الامدادية . باب العمرة مكة المكرمة . على طبعه بالحروف العربية الحديثة فى القاهرة ، وطبع الكتاب فى عشرين جزءا ، وكـــذلك فى عصرنا هذا من أشـــهر المحدثين فى الهنـــد تلميذ صاحب (بذل المجهود) المحدث الكبير العلامة ، محمد زكريا المعروف فى شبه القارة الهندية ــ بشيخ الحديث ، نزيل المدينة المنورة ، كتب عنه المصلح الكبير الداعية الاسلامى أبو الحسن على الندوى : ليس الحديث له علماء صناعة بل هو ذوق وحال يعيش به ويعيش فيه عدد مؤلفاته مائة وخمسون ، بل أكثر من ذلك ومعظمها على علم الحدث ومن أهمها (أوجز المسالك الى موطأ الامام مالك) فى ثلاثة عشر جزءا . . يطبع حاليا فى القاهرة ، وصدر الجزء الاول على نفقة المكتبة الامدادية ــ مكة المكرمة ، فشكرا للمكتبة وصاحبها من جميع أهل العلم والمشتغلين بالحديث .

تقى الدين الندوى المظاهرى

أخبار العالم الاسلامي

اعداد : الاستاذ فهمى الامام



الكويت — زار البلاد السيد مختار بن داده رئيس الجمهورية الاسلامية الموريتانية ويرى وهو يتحدث مع صاحب السمو الامير المعظم .



● احتفل بتخريج الدفعة الخامسة من طلبة الكلية العسكرية ، ويبدو فى الصورة سمو الامير المعظم وهو يسلم الشهادة لأحد الضباط الخريجين .

● ترأس الاستاذ راشد الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلاميةاول اجتماع للجنة التقويم الاسلامى .. والتى ضمت ممثلين من العلماء المسلمين لكل من الكويت ومصر وتونس والجزائر .. وقد انتهت اللجنة الى تكليف السيد صالح العجيرى — الفلكى الكويتى — بوضع تقويم اسلامى موحد للاعياد والعطل الرسمية .. على أن يكون جاهزا لعرضه على مؤتمر وزراء الاوقاف والشئون الاسلامية القادم .

● زار البلاد السيد محمود رياض الامين لعام لجامعة الدول العربية ، وأجرى مباحثات مع المسئولينتناولت الاوضاع الخليجية ، ورغبة سورية فى عقد مؤتمر قمة عربى . وصرح سعادة الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية والاعلام بالوكالة : ان الكويت ترحب بالدعوة السورية ، وستحضر الكويت أى مؤتمر قمة عربى يحقق الخير للامة العربية .

● أبرم مجلس الامة الكويتى مشروعا يقضى بمد دول المواجهة

بمساعدة مالية تبلغ فى جملتها ١٥٠ مليون دينار كويتى .

القاهرة — ارسل الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الازهر الى رئيس وزراء المملكة المغربية برقية تقول : « أرجو ان تنوبوا عنا فى تبليغ خالص شكرنا وتقديرنا لجلالة الملك الحسن لايقاف العمل فى فيلم « محمد رسول الله » حرصا على قداسة الرسول الكريم وجلال الصحابة » .

● بحث الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الاوقاف مع السيد تنكو عبد الرحمن الخطوات التى قطعها البنك الاسلامى ويساهم البنك فى المشروعات الانتاجية .. ويبلغ راسماله الفى مليون دولار .

● خصصت وزارة الاوقاف نصف مليون جنيه للاحتفاظ بالتراث الاسلامى للمساجد الاثرية ، وتجديد وترميم ما تهدم منها . وقد بدا العمل فعلا بمسجد عمرو بن العاص .

● تقوم بعثة تمثل المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بجولة فى أوربا ، وستزور بريطانيا لدراسة الوسائل التى تمكن المجلس من تقديم الدعم العملى للنشاطات الاسلامية بما فى ذلك انجاز المسجد المركزى الذى يقام فى لندن ، والذى تبلغ تكاليفه ٢٫٥ مليون جنيه استرلينى .

● صدر بيان رسمى يفيد انه لم يعتقل أى فرد من الاخوان المسلمين، وان الذين تم استجوابهم فى حادث الكلية الفنية العسكرية منهم اطلق سراحهم فور استجوابهم .

السعودية — شكلت لجنة من كبار علماء الفلك لاستكمال الدراسات الخاصة بانشاء المرصد الاسلامى الذى تعتزم رابطة العالم الاسلامى انشاءه بمكة .

● تدور مباحثات جادة مع اسبانيا لاعادة مسجد غرناطة الى عهده الاول .

● قررت السعودية تقديم ٢٠ منحة دراسية فى جامعاتها لطلاب من ازاد كشمير المسلمة .

سورية — قررت سورية اعتبار مادة التدريب العسكرى من المقررات الالزامية — من حيث النجاح والرسوب — على طلاب الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة .

الاردن — تقوم وزارة الاوقاف والمقدسات الاسلامية باجراء مسح شامل للاملاك الوقفية فى البلاد كجزء من خطة الوزارة لتنمية مشاريع الاوقاف ورعايتها وصيانتها .

اليمن — أقيم فى مدينة «اريان» احتفال كبير بمناسبة وضع حجر الاساس لمدرسة اريان المقدمة هدية الاساس لمدرسة اريان المقدمة هدية من دولة الكويت ضمن مساعدتها لليمن .

فلسطين المحتلة — صادف يوم ١٥/٥ الذكرى السادسة والعشرين لاغتصاب فلسطين . وتأتى الذكرى والفدائيون العرب يشنون هجماتهم الجريئة على العدو فى قلب الأرض المحتلة .

نيجيريا — خصصت السعودية مبلغ ٣٠ الف ريال للمساهمة فى بناء مسجد جامعة «ايفى» بنيجيريا .

موزنبيق — قام وفد من مسلمى موزنبيق بزيارة لباكستان . وقد ذكر رئيس الوفد ان عدد المسلمين فى موزنبيق يبلغ ثلاثة ملايين نسمة ، يشكلون ٣٣٪ من مجموع السكان .

كندا — عقد فى «تورنتو» أول اجتماع لمجلس الجالية المسلمة فى كندا . ويبلغ عدد المسلمين فى كندا حوالى ٨٥٫٠٠٠ مسلم ، منهم ٢٥٫٠٠٠ مسلم يعيشون فى مدينة تورنتو وحدها .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الأولى ١٣٩٤	مايو ١٩٧٤	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاربعاء	١	٢٢	٣ ١٠	٤ ٥٢	١١ ٤٤	٣ ١٩	٦ ٣٦	٨ ٦	٨ ٣٣	١٠ ١٦	٥ ٨	٨ ٤٣	١ ٣٠
الخميس	٢	٢٣	٩	٥٢	٤٤	١٩	٣٧	٧	٣٢	١٥	٨	٤٣	٣٠
الجمعة	٣	٢٤	٨	٥١	٤٤	١٩	٣٧	٧	٣١	١٤	٧	٤٢	٣٠
السبت	٤	٢٥	٨	٥١	٤٤	١٩	٣٨	٨	٣٠	١٣	٧	٤٢	٣٠
الاحد	٥	٢٦	٧	٥٠	٤٤	١٩	٣٨	٨	٢٩	١٢	٦	٤١	٣٠
الاثنين	٦	٢٧	٧	٥٠	٤٥	١٩	٣٩	٩	٢٨	١١	٦	٤٠	٣٠
الثلاثاء	٧	٢٨	٦	٥٠	٤٥	٢٠	٤٠	١٠	٢٦	١٠	٥	٤٠	٣١
الاربعاء	٨	٢٩	٥	٤٩	٤٥	٢٠	٤٠	١١	٢٥	٩	٥	٣٩	٣١
الخميس	٩	٣٠	٥	٤٩	٤٥	٢٠	٤١	١٢	٢٤	٨	٤	٣٩	٣١
الجمعة	١٠	٣١	٤	٤٩	٤٥	٢٠	٤١	١٣	٢٣	٧	٤	٣٨	٣١
السبت	١١	يونيو	٤	٤٨	٤٥	٢٠	٤٢	١٤	٢٢	٦	٣	٣٨	٧١
الاحد	١٢	٢	٣	٤٨	٤٥	٢٠	٤٢	١٤	٢١	٦	٣	٣٧	٣٢
الاثنين	١٣	٣	٣	٤٨	٤٦	٢٠	٤٣	١٥	٢٠	٥	٣	٣٧	٣٢
الثلاثاء	١٤	٤	٢	٤٨	٤٦	٢٠	٤٣	١٥	١٩	٤	٢	٣٧	٣٢
الاربعاء	١٥	٥	٢	٤٨	٤٦	٢٠	٤٤	١٦	١٨	٣	٢	٣٦	٣٢
الخميس	١٦	٦	٢	٤٧	٤٦	٢٠	٤٤	١٦	١٨	٣	٢	٣٦	٣٢
الجمعة	١٧	٧	٢	٤٧	٤٦	٢١	٤٥	١٧	١٧	٢	١	٣٦	٣٣
السبت	١٨	٨	١	٤٧	٤٦	٢١	٤٥	١٨	١٦	٢	١	٣٥	٣٣
الاحد	١٩	٩	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٦	١٩	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الاثنين	٢٠	١٠	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٦	١٩	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الثلاثاء	٢١	١١	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢٠	١٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣
الاربعاء	٢٢	١٢	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢٠	١٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣
الخميس	٢٣	١٣	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢٠	١٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣
الجمعة	٢٤	١٤	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٨	٢١	١٣	٩ ٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
السبت	٢٥	١٥	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٨	٢١	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
الاحد	٢٦	١٦	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٨	٢١	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
الاثنين	٢٧	١٧	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٤ ٥٩	٣٣	٣٣
الثلاثاء	٢٨	١٨	١	٤٨	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاربعاء	٢٩	١٩	١	٤٨	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الخميس	٣٠	٢٠	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣

أمّ المؤمنين

السيدة أم سلمة رضي الله عنها

اسمها : هند بنت أبى امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .
وأمها : عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك الكنانية .

هجرتها : كانت زوجة للصحابى الجليل عبد الله بن عبد الأسد بن المغيرة .. وهو ابن عمة الرسول .. هاجرت بصحبة زوجها الى الحبشة حيث ولدت هناك ابنهما (سلمة) . ثم عادا الى مكة ولما ضاقت بهما هاجرا الى يثرب .. فحال المشركون بينها وبين زوجها .. فهاجر زوجها أولا .. ثم لحقت به فى دار الهجرة الثانية .
فكانت (أم سلمة) ـ بين المهاجرات ـ أول ظعينة دخلت المدينة .. كما كانت أول مسلمة هاجرت الى الحبشة .. وكان زوجها أول من هاجر الى يثرب من أصحاب النبى .

فى المدينة : ولدت لأبى سلمة : (عمر) و (درة) و (زينب) .. وبعد موقعة أحد التى جرح فيها أبو سلمة جرحا خطيرا .. عقد له الرسول لواء سرية عدتها (١٥٠) رجلا لغزو بنى أسد الذين أرادوا بالمسلمين شرا .. وبعد أن انتصر عليهم .. اشتد عليه جرحه وظل به حتى قضى عليه ، فرحل الى جوار ربه .

ام المؤمنين : وبعد انقضاء عدتها خطبها أبو بكر فرفضت فى رفق ، وتلاه عمر فكان حظه كحظ صاحبه .. ومن بعدهما بعث النبى يخطبها .. فتمنت لو يتاح لها هذا الشرف ولكنها أشفقت الا تملأ مكانها فى بيت النبى الى جانب عائشة وحفصة وقد جاوزت سن الشباب ومعها عيال صغار فأرسلت للنبى تقول : « انها غيرى ، مسنة ، ذات عيال » فأجاب الرسول : « أما انك مسنة ، فأنا أكبر منك ، وأما الغيرة فيذهبها الله عنك ، وأما العيال فالى الله ورسوله » وتمت خطبتها للرسول . ودخل بها فى شوال من السنة الرابعة للهجرة .

مكانتها : نزل الوحى على الرسول فى بيتها ، وكان لها فى (صلح الحديبية) دور عظيم فقد أشارت على الرسول بعد أن أمر أصحابه بأن ينحروا ثم يحلقوا ولم يستجب أحد ـ أشارت عليه قائلة : « يا نبى الله ، أتحب ذلك ؟ أخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك » . ففعل وفعل المسلمون مثله . وصحبت الرسول فى خروجه لفتح مكة ثم فى حصاره للطائف وغزوه هوازن وثقيف .

وفاتها : كانت آخر من مات من نساء النبى ، وصلى عليها (أبو هريرة) الصحابى الجليل ، ودفنت بالبقيع .. ولم يبق بعدها من أمهات المؤمنين غير ذكرى وتاريخ .. رضى الله عنها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .

المغـــرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنــــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع ص.ب : (٤٢٢٧) .

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

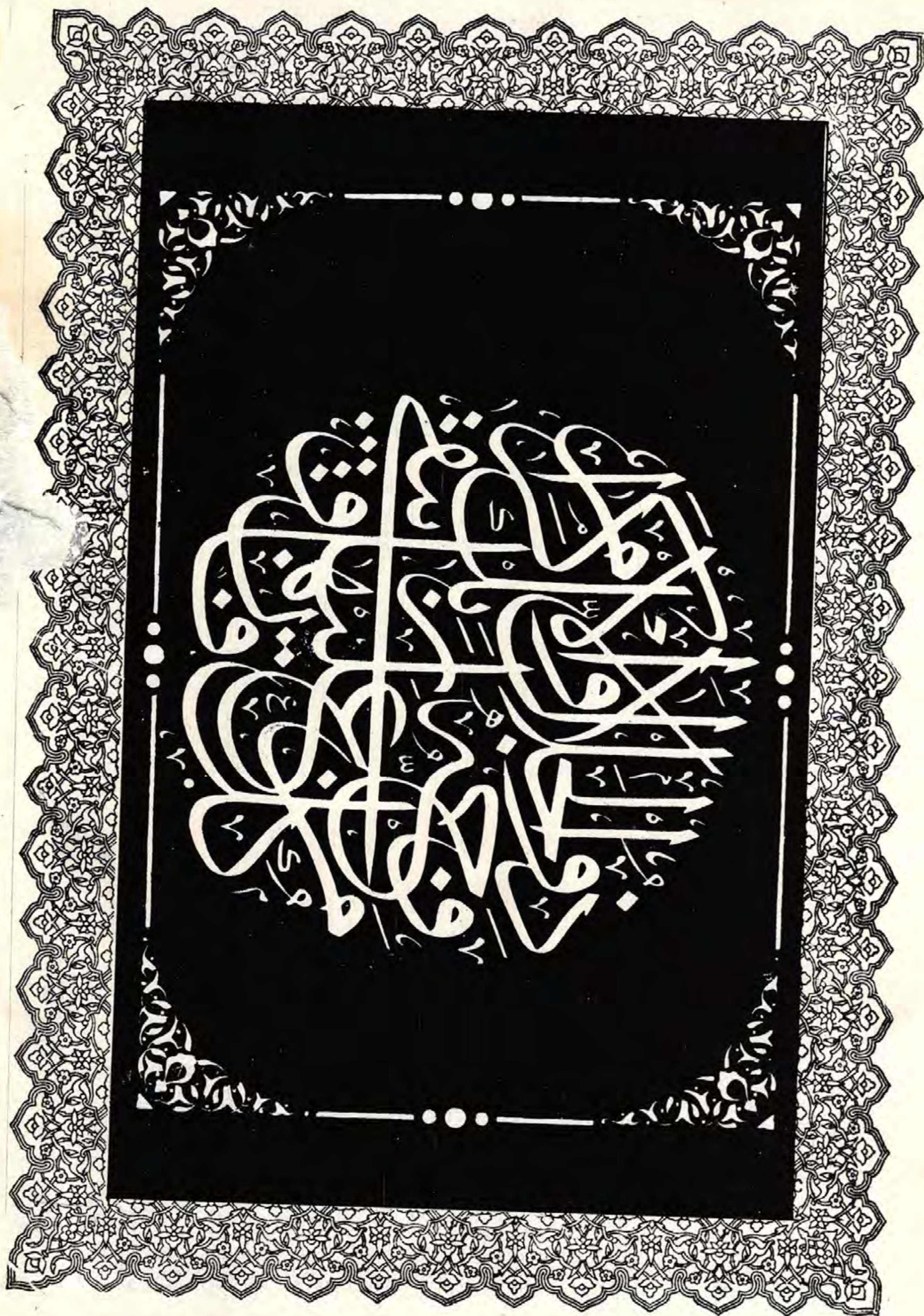
مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



السنة العاشرة — العدد ١١٤ — جمادى الآخر ١٣٩٤ هـ — يونيو ١٩٧٤ م





مسجد الروضــة

أحد المساجد الفخمة بمدينــة دمشق .. ويقــع فى حى من أرقى أحيائها وهو مشيد على الطــراز العربى الجميل وجمع بين روعة الفن وجمال الموقع .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العــاشرة

العدد ١١٤

جمادى الآخر ١٣٩٤ هـ

يونيو (حزيران) ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والســياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالــكويت فى غــرة كل شــهر عــربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الأفراد فيشــتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمــن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريــال
العــراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجــزائر	دينار وربع
المغـــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنــوان المراســلات :

مجــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشــئون الاســلامية

صــندوق بريد : ١٣ ــ كــويت ــ هــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

آية الكرسي

لعـــــالم كبير

« الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الارض ، من ذا الذى يشـــفع عنده الا باذنه ؟ يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يئوده حفظهما ، وهو العلى العظيم » .

هذه الآية تعرف بين المسلمين بآية الكرسى ، وقد نوهت الســـنة النبوية بفضلها ومكانتها ، وتتكون من عشر جمل متصلة المعنى فى الحــديث عن ذات الله وصفاته .

(١) **« الله لا اله الا هو .. »** ليس فى الوجود أحد يتجاوز مرتبة العبودية ، فكل ما عدا الله عبد له ، وهو وحده المتفرد بالألوهية فى الســـموات والأرض .

من قال عن نفسه أنه اله فهو كاذب ، ومن قال عنه الناس ذلك فهم عليه كذبة ، وقد تمر بالناس أعصار يتخذون فيها بعض الجمادات والدواب آلهة ، وهذه أعصار الانحطاط الذهنى والنفسى التى نرجو أن يتم خلاص البشر جميعا منها .

ولكن الضلال الشائع الى اليوم اتخاذ بعض البشر الطيبين آلهة مع الله بحجة أنهم انبثقوا منه أو أنه حال فيهم .

وقد حارب الاسلام هذه الضلة حربا شديدة ، وأكد أن البشر مستحيل أن يرتفعوا الى مصاف الآلهة ، وان الله العلى الكبير لا يمكن أن يهبط الى منازل البشر .

انه الاله الذى خلق غيره ، ومنحه الحياة ، وقام على أمره من المهد الى اللحد : « **واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا** » .

ورسول الاسلام ــ وهو قمة البشرية ــ عندما يدعو الله يؤكد هذه الحقيقة : « اللهم أنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك وفى قبضتك . ناصيتى بيدك ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك » .

(٢) « **الحى القيوم ..** » والأحياء من الخلق ليس لهم من أنفسهم ما يوجب الحياة ، ان الحياة عرض مفاض عليهم من خارج أنفسهم .

وهو عرض يفارقهم يوما ولا يعود اليهم الا وفق مشيئة مفيضه جل شأنه ، الحى الذى لا بداية لحياته ولا نهاية ، فحياته وصف ملازم له أزلا وأبدا ، وذلكم الفارق بين حياة الخالق والمخلوق .

ومن ثم يقول الله لنبيه : « **انك ميت وانهم ميتون** » أما المتفرد بالحياة العظمى فهو الله .

ولما كانت هذه الحياة وضاحة نفاحة ناسب أن يجىء عقبها وصف القيوم أى الذى يمد الأكوان والخلائق كافة بحركاتها وسكناتها ، ويشرف اشراف احاطة وهيمنة على شئونها وأحوالها فهى أحوج ما تكون اليه وهو أغنى ما يكون عنها ..

وقد ورد فى الآيات والآثار أن الله قائم على كل نفس بما كسبت وأنه القيم على السموات والأرض ومن فيهن .

والقائم على الشىء ، والقيم عليه أو القوام عليه ، ألفاظ تتفاوت فى الكشف عن هذه الاحاطة الشاملة لفنون التصريف وألوان السيطرة على العالم .

ولكن لفظ القيوم جاء على هذه الصيغة فى المبالغة ، اشارة الى أنه من المستحيل أن يفلت زمام الامور من الخالق ، أو أن تسير فى وجهة غير ما قضى ، اذ كل شىء يستند فى وجوده وبقائه وتقلبه الى هذا الوجود الأعلى : « **ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده** » .

وهذه الجملة ــ الحى القيوم ــ أولى الجمل التسع التى ترادفت أشبه بالاستدلال على الوحدانية المتقررة فى الجملة الاولى من آية الكرسى .

اذ هذه الأوصاف تنفى الشركة نفيا حاسما ، وتشهد للبارى أنه لا اله غيره .

(٣) « **لا تأخذه سنة ولا نوم** » السنة ما يخالط الاجفان من أوائل النعاس ، والنوم هو الاستغراق التام .

والمراد أننا نحن البشر تدركنا ساعات غفلة نفقد فيها الشعور بأنفسنا وما حولنا .

بل نحن فى ابان اليقظة يختلف انتباهنا ونشاطنا الذهنى نحو ما نفكر فيه وما يحيط بنا .

وعند الكلال يضعف هذا الانتباه ، وتهن العزيمة ، وتكثر الأخطاء .

لكن رب العالمين لا يشغله شأن عن شأن ، ولا يغفل عن أمر فى السماء لاهتمامه بأمر فى الأرض ، ولا تلحقه عوارض الوهن والاعياء ، ولا تنفك قبضته الواعية عن ذرة فى العرش أوالفرش لسهو أو اغفاء ..

(٤) « **له ما فى السموات وما فى الأرض** » الله واســـع الملك . وما تقول فى غنى يشمل آفاق السموات وفجاج الأرض .. ؟

ان العالم كله ، علوه وسفله ، ملك لله وحده .

والذين يظنهم الجاهلون شركاء لله ، ليس لهم فى هذا العالم ذرة ، ان كانوا أصناما فما هى الأصنام .. ؟ تماثيل نحتها المصـــورون فهم فى الحقيقة يملكونها ولا تملكهم .

ان كانوا بشرا ، فهؤلاء البشر ملك لمن صـــــورهم فى الأرحام ، وجعل صدورهم تهبط وتعلو بالشهيق والزفير ، ولو شاء أن يقف دقات قلوبهم فى أية لحظة من ليل أو نهار ما رده راد ..

ان هناك ملاكا على المجاز يضـــعون أيديهم على بعض التراب ليرتفقوه حينا ، وربما طغوا بما يملكون ظاهرا ، ثم .. يجيئهم الموت فيدعون الحيـــاة صفر الأيدى ، يدعونها لمالكها الحق الذى له ميراث الســموات والأرض « **ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم** » .

(٥) « **من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ..** » القاعدة العامة فى الاســلام انه لا شفاعة لمشرك ، أو ملحد .

وانه لا حق لأحد من الملائكة أو المرسلين يذهب به الى الله ليقول له أعف عن فلان أو اترك فلانا .

وان الاساس الأول للنجاة هو الايمان والعمل الصالح .

ولذلك قال الله تعالى قبل هذه الآية مباشرة : « **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والــكافرون هم الظالمون** » .

ويقول مخبرا عن مصاير المشركين والمجرمين « **انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار** » .

ويقول أيضـــا « **وان تدع مثقلة الى حملهـــا لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى** » .

وقد يقع ـــ لمن ينجون بأعمالهم ـــ شىء من الفضل ترتفع به درجاتهم فوق ما يستحقون .

أو يقع ـــ لمن قاربوا ولم يصلوا ـــ شىء من العفو ينجحون به ولا يرسبون ويجعل الله السبب الظاهر فى ذلك شفاعة المرسلين أو الصالحين .

وهى شفاعة لا ترجع الى أن هؤلاء المرسلين أو الصالحين يجيرون على الله أو ينقذون منه من يريد عقوبته ، كلا ، فما يجرؤ ملك ولا نبى على أن يقف من الله هذا الموقف .

انهم لا يشفعون الا باذنه ، ولا يشفعون الا لمن ارتضى .

قال تعالى : **« لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون »** .

« يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا » .

وربما قال قائل : ولم هذه الشفاعة وما قيمتها ؟ والجواب انهـا لا تعدو لونا من اكرام الله فى الدار الآخرة لمن أهينوا بسببه فى الدنيا ، فيريد الله ان يصلح بالهم وأن يعلى قدرهم ، وأن يشعر عباده بما لهم عنده من مثوبة ومنزلة ، وأن يطوى قلوب المقصرين والمتأخرين على محبتهم واعزازهم لما سبق اليهم من فضل على أيديهم .

بيد أن الشفاعة المذكورة لا تهدم قواعد العدل ، ولا تعطل موازين الحساب ولا يحتاج اليها سابق بالخير ، ولا ينتفع بها مارق من الحق .

(٦) **« يعلم ما بين أيديهم وما خلفهـم »** ليس يخفى على الله شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وعلم الأمس واليوم والغد عنده سواء . كأن العالم منذ خلق ، والى أن تبدل معالمه صفحة واحدة يستوى فيها القريب والبعيد والأول والآخر .

وذاك ــ بداهة ــ لأن الخالق يعلم ما خلق ، ولا يتصور أن أحدا صنع من ورائه شيئا فيكون هو ــ سبحانه ــ جاهلا به .

ان الابداع ــ وهو ابراز شىء من العدم ــ لا يقدر عليه الا الله .

والتغيرات التى تحدث فى المادة ــ وهو محور الأعمال البشرية ــ لا تتم الا باقدار الله ، ومن هنا كانت احاطة العلم .

ومن هنا كان معنى قولنا : ان الله لا يعلم هذا الشىء . ان هذا الشىء لا وجود له . اذ لو كان موجودا لعلمه حتما ، وهذا معنى الآيات الكريمة .

« ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون » .

ولقد تجول الفكرة فى خاطرى ــ وكم يحمل تيار الشعور السـارى فى كيان المرء من خطرات ، وسوانح ــ فأقول : ان الله يعلم هذه الخطرة المارة ، كما تمر السحب بالآفاق .

ثم أقول : وعلمه بها منذ أجيال !

واستتلى القول : وهو يعلم من غيرى مثل ما يعلم منى !

ومن غيرى ؟ الوف مؤلفة تزحم أرجاء العالم .

وعلمه يسع هؤلاء فى عصرنا . وما قبل عصرنا وما بعد عصرنا !!

وما يملك المرء وهو يتابع هذا التصور الا أن يهتف بالآية .

« ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم » .

(٧) **« ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء »** ينابيع المعرفة تنبجس ابتـداء من مشيئة الخالق ، حتى العلم بما يقع فى مجال السمع والبصر ، انه لولا ما ركب فى الانسان من عقل مدرك لماح ، ما استطاع أن يفقه مما حوله شيئا .

والاطلاع على ما هو أعمق من ذلك موكول الى مراتب الذكاء الانسانى ، وأنصبتنا من هذا الذكاء مقسومة علينا ونحن أجنة فى بطون الأمهات .

ومن هنا كان فتح نوافذ قليلة يطل منها العقل البشرى على آفاق من العلم محدوداً بما تهيىء المشيئة العليا من أسباب عادية أو غير عادية .

ومصادر المعرفة المعتادة مبثوثة فى كتاب الكون المفتوح ، وفى تجارب الناس مع الحياة العامة ، ويمكن بالوعى والتأمل والتجربة أن نبلغ آمادا بعيدة فى هذا المضمار دون حرج ودون قيد .

أما المعارف الغيبية التى مصدرها الوحى الاعلى ، فان الله قد اصطفى لها رسله الأولين وقد انتهى هذا المصدر بالرسالة الخاتمة .

ولن يحيط أحد بشىء من هذا العلم عن الاتصال بالله أو بملائكته ، ومن زعم ذلك فهو كاذب .

وقريب من ذلك الانباء بالغيوب ، فان هذا ليس من العلوم الميسرة ، للخلق حتى تتاح فرصها للبشر على سواء ، ولا مكان لوحى ينزل به بعد انقضاء النبوات .

ومن ثم فلا يقبل من أحد القول بأنه داخل ضمن الامكان العام فى قوله تعالى : ((**ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء**)) .

(٨) ((**وسع كرسيه السموات والأرض**)) .

المتبادر الى الأذهان أن السموات والأرض هما حدود الملك الالهى ، وهذا خطأ ، فانهما بعض آثار القدرة العليا فحسب ، وكذلك قال فى آية أخرى :

((**ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة**)) .

وقال : ((**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ..**)) .

هما من آيات الله ، وآيات الله الشاهدة بجلاله لا يحاط بها ، وكرسيه من الرحابة بحيث يسع السموات والارض وسائر ما لا نحصى من آيات .

ونحن لا ندرى ما الكرسى ؟ ولا نكلف باكتناه ذلك .

وكل ما ندركه من هذه الجملة هو ما توحى به من الاشراف الالهى العالى على سائر الخلق ، ما نرى منه وما لا نرى منه ، وأن السموات والأرض ما يستغرقان الا جزءا من الملكوت الواسع الذى اشتمل عليه هذا الكرسى ((**والله من ورائهم محيط**)) .

(٩) ((**ولا يئوده حفظهما**)) لا يتجشم أية مشقة فى ضبط السموات والأرض وتدبير الأمر بينهما ، كما أنه لم يتجشم أية مشقة فى الخلق الأول ، وهذا ما ذكره فى قوله ((**والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون**)) .

اى أن ذلك البناء شىء هين الى جانب ما فى وسعنا ، كما ينفق صاحب القناطير المقنطرة من الذهب والفضة فلوسا قليلة ، فلا يرى انه أعطى شيئا طائلا ، كذلك ـــ ولله المثل الاعلى ـــ بناء العالم وحفظه ، وما يتعب الخالق المدبر ، ولا يثقله ولا يرهقه ، لفرط عظمته .

والجملة السابقة فى وصف الكرسى تشير الى علو الذات . ولذلك جاءت الجملة الاخيرة .

(١٠) ((**وهو العلى العظيم**)) .

تذييلا يختم المعانى السابقة بذكر اسمين من أسماء الله الحسنى مناسبين للمقام ، مقام العلو والعظمة الواجبين لذى الجلال والاكرام .

القصص القرآنية

٢

للأستاذ محمد عزة دروزة

– ٦ –

يجنح بعض العلماء والمفسرين الى القول أو الظن بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم شيئا من القصص القرآنية التى كان يوحى اليه بها قبل نزولها . بل والى القول ان جميع معارف النبى صلى الله عليه وسلم ومكتسباته هي من الوحي وحسب .

ولسنا نرى هذا وجيها لا من وجهة نظر الوحى القرآنى ولا من وجهة نظر النبــوة . ولا من وجهة نظر الوقائع والحقائق . فالنبى صلى الله عليه وسلم كان يعيش قبل نزول الوحى عليه فى بيئة فيها كتابيون يروون ما فى كتبهم من قصص ويتداولونها . وهناك روايات تذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجلس اليهم ويسمع منهم . وفى القرآن اشارة ما الى ذلك حيث كان المشركون يعرفون اتصاله بهم فنسبوا ما يبلغه وحى الله له ويتلوه على الناس إلى تعليمهم . وقد تضمن ذلك آية سورة النحل هذه (**ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشــر لسان الذى يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين**) (١٠٣) وآية سورة الفرقان هذه (**وقال الذين كفروا أن هذا إلا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون**

فقد جاؤوا ظلما وزورا) والآيات تنفى التعليم والاعانة دون الاتصال . ولم يكن المشركون يقولون ذلك لو لم يروا اتصاله بهم . وهو ما ايدته روايات عديدة فى كتب السيرة والتفسير مع ذكر اسماء لأفراد من اهل الكتاب كانوا فى مكة . وكان اهل بيئة النبى صلى الله عليه وسلم يرحلون الى البلاد المجاورة للجـــزيرة العربيـــة التى كانت بيئات متحضرة وكتابية على الأغلب مثل العراق والشـــام ومصر والحبشة وجنوب الجزيرة ويرون فيها مختلف المشاهد الحاضرة والغابرة . وقد أشير الى ذلك فى بعض آيات قرآنيـــة أوردناها قبل . وكان النبى صلى الله عليه وسلم نفسه قد قام ببعض الرحلات فى شبابه الى هذه البلاد وسمع ورأى وشاهد . ورواة العرب يروون ما يتناقله الأجيـــال من اخبار واحداث وقصص عربيـــة . فليس من المعقول ولا من الطبيعى أن يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجهل هذه القصص كليا أو جزئيا . وفى ما ذكرناه قبل فى صـــدد قصة يونس دليل بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة . وبالنسبة لمـــا كان يتداوله اهل الكتاب من احداث أسفارهم وما فيها من أسماء وشخصيات . ومعرفة النبى لهذه القصص قبل نزول القرآن الكريم لا يمكن أن تتعارض مع وحى الله القرآنى بها ولا مع نبوة النبى صلى الله عليه وسلم . لأن الوحى القرآنى بالقصص قد اســـتهدف كما قلنا التمثيل والتـــذكير والانذار والموعظة والتسلية والتثبيت ولم يستهدف التاريخ والأخبار والسرد والتعريف . ويتبادر لنا أن ذلك القول أتى من عدم النفوذ الى مرمى وهدف الوحى بهذه القصص عن حسن نيـــة ، وليس من تعارض قط بين وحى ما اقتضت حكمة التنزيل ايحـــاءه منها بالأسلوب الذى أوحيت به وبين ما يمكن ويصح أن يكون النبى صلى الله عليـــه وسلم قد عرفه منها قبل نزول الوحى بما نزل منها . ولقد كان فى بيئة النبى صلى الله عليه وسلم تقاليد دينية واجتماعيـــة متنوعة . وكان يجرى فيها احداث متنوعة شاهد النبى بعضها وسمع بعضها . وعاش بعضها . ولقد ذكر القرآن كثيرا من ذلك . وليس من احد يدعى أو يصح أن يدعى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف ذلك قبل بعثته .

وهذا وذاك من باب واحد .

وواضح أن هذا ليس مخلا بقدر النبى صلى الله عليه وسلم وعظمته التى انما كانت تقوم فى الحقيقة على ما امتاز به من عظمة الخلق وقوة العقـــل وصفاء النفس وكبر القلب وعمق الايمـــان والاستغراق بالله . ولقد قرر القرآن طبيعـــة النبى البشرية فى آيات عديدة وأمره الله ان يعلنها للناس كما جاء فى آية سورة الكهف هذه **(قل إنما انا بشر مثلكم يوحى الىّ انما إلهكم إله واحد)** . وآية سورة الأعراف هذه **(قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن انا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون)** وهذا متصل بهذه الطبيعة التى من البديهى جدا أن لا تتناقض مع معرفة النبى صلى الله عليه وسلم ما كان متداولا فى بيئته أو فى اى بيئة ونحلة تيسر له الاتصال بأهلها من اقوال وأفكار واخبار وعقائد وتقليد وظروف واحداث حاضرة وغابرة . بل ان من البديهى جدا أن يكون عارفا ملما بكل ذلك غير غافل عنه . وان هذا هو المعقول الذى لا يصـــح فى العقل غيره . واننا لنشـــعر بالدهشة مما ابداه ويبديه بعض العلمـــاء المسلمين من حرص على توكيد كون النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن له معارف مكتسبة . مما لا يتسق مع المنطق

والعقل والبداهة توهما بأن فى هذا مأخذا ما على كون ما بلغه النبى من القرآن الذى فيه الاخبار والقصص السابقة أتى من هذه المعارف . ونرى فى هـــذا التوهم خطأ اصليا فى فهم معنى ومدى الرسالة النبوية التى هى هداية وارشاد ودعوة التى لا يعهد بمهمتها العظمى الا لمن يكون أهـــلا لها فى عقله وخلقـــه وروحه وإيمانه ووعيه ومعرفته بمـــا يدور فى المجتمع الذى بعث اليه كما ذكرت آية الأنعام (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) كما أنه آت فيما يتبادر لنا من عدم ملاحظـــة كون القرآن نوعين متميزين اسسا ووسائل أو محكمات ومتشابهات وكون الوحى القرآنى هو الأسلوب الذى يوحى به فى ما يجب على النبى وعلى الناس عمله والسير عليه والتذكير والتبشير والانذار به .

ومما يورده بعضهم آيات سورة العنكبوت هذه (**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون**) (٤٨ و ٤٩) التى فيها دلالة على أمية النبى صلى الله عليه وسلم حيث يظنون على ما يبـــدو أن اكتساب المعـــارف والاطلاع على ما عند الناس من أخبار وأفكار وكتب انما هو حصر على القـــارىء الكاتب . وليس هذا صحيحا دائما كما هو المتبادر . وهـــو ناشىء من قياس الغائب بالحاضر . وهو قياس مع الفارق ايضا . والآيات والله أعلم بسبيل تقرير كون الدعوة التى يدعو اليها النبى صلى الله عليه وسلم وما يبلغه فى صـــددها انما هو وحى ربانى غير مقتبس من كتاب . وبسبيل تنبيه المشركين الى أنه لا يصح أن يكون عندهم شك فى ذلك لأنهم يعرفون أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ ويكتب . وانهم اذا جحدوا آيات الله التى يبلغهم اياها النبى الذى اختصه الله بمهمته وبيناته فيكونون ظالمين مكابرين . وأمية المرء لم تكن فى وقت من الأوقات مانعـــة من أن يختزن كثيرا من المعارف والصور والروايات والنصوص الطويلة سماعا ومشاهدة . وهناك من يفوق فى ذلك على غير الأميين . وهذا بالاضافة الى أن الأمية فى الزمن القديم وفى بيئة النبى كانت هى السائدة ولم يكن هذا ليمنع نبهاء هذه البيئة من اختزان المعارف والصور والروايات والنصوص المحليـــة والعالمية التى كانوا يشاهدونها ويسمعونها فى بيئتهم وخارج بيئتهم .

ومما يورد ايضا للتدليل على أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن ذا نشاط وحركة وتطلع ما قبل نزول الوحى عليه هذه الآيات :

١ ــ **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ..** (يونس ١٦) .

٢ ــ **وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك .** (القصص٨٦)

٣ ــ **قل ما اسالكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين .** (ص ٨٦) .

٤ ــ **وكذلك أوحينا اليـــك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتـــاب ولا الإيمـــان ..** (الشورى ٥٢) .

والآيات قد تفيد شيئا من ذلك . ولكنها لا يمكن أن تفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان غافلا عما يجرى ويروى ويتداول فى بيئته من اخبار وأحـــداث وصور ومشاهد حاضرة وغابرة .

- ٧ -

ويغمز الملحدون والمبشرون الحاقدون النبى صلى الله عليه وسلم بسبب

ما بين القصص القرآنيــه والأسفار والكتب التى وصلت الينا والتى كانت على الأغلب متداولة فى زمن النبى بين أيدى أهل العلم والكتاب من تطـابق ما . ويقولون انها مقتبسة منها . ولقد قال كفار العرب ذلك فى مواجهة النبى صلى الله عليه وسلم وحكاه القرآن عنهم بدون اى حرج مؤكدا أن الله الحكيم الذى يعلم السر هو الذى أوحى به وانزله كمـا جاء فى آيات سورة الفرقان هـذه **(وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما)** (٥ و ٦) .

ونقول ردا على الغامزين المحدثين أن ما بين القصص القرآنية والأسفار والكتب القديمة من تطابق ليس من شأنه أن يطعن بصحة وحيها الإلهى . لأنها لم تجىء للسرد التاريخى وانما للعظة والعبرة والتذكير . وليس من تعارض بين هذا وذاك بل ان ذلك من الحكمة المتبادرة من ايرادها فى القرآن كذلك على ما شرحناه قبل من حيث أن السامعين يتأثرون بما يعرفون . فليس من محل ولا معنى للغمز والنقد كما هو واضح . بل ان فى الغمز والنقد دليـلا على غفلة الغامزين والناقدين عن مدى وهـدف الوحى القرآنى بالقصص . اى العظـة والعبرة والتذكير والانذار والتبشير وضرب المثل .

ولقد غمزوا النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن من ناحية اخرى اى من ناحية ورود بعض القصص القرآنية متباينة أو زائدة أو ناقصة بالنسبة لما ورد فى الأسفار . ومن ذلك مثلا تسـخير الجن والريح والطير لسليمان والجبـال والطير والحديد لداود وقصص ابراهيم مع قومه ومع الملك . وجزئيات كثيرة فى قصص آدم ونوح ويوسف وموسى وفرعون وبنى اسرائيل ويونس وأيوب الخ . وقالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم خلط أو أخطأ فيها أو اخترع ما ليس واردا منها فى الأسفار والكتب . وهذا القول متهافت . والمتمعن فى ما جاء فى الصيغ القرآنيـة لا يجد له ضرورة فنية ولا اسلوبية ـــ ونقول ذلك من قبيـل المساجلة ـــ حتى يخترعه النبى صلى الله عليه وسلم أو يزيد عليه أو ينقص منه ، ولا يستطيع أحد أن يدعى بصدق أن الأسفار والكتب المتداولة اليوم هى كل ما كان فى أيدى أهل العلم والكتاب والأمم الأخرى فى زمن النبى وقبله كما أن احدا لا يستطيع أن يدعى بصدق انه لم يكن نسخ أخرى مما وصل الينا فيها ما ورد فى القرآن مما لم يرد فى النسخ التى وصلت الينا . فالكتب كانت تنسخ وكان النساخون وهذا ديدنهم فى كل وقت ينسون ويخطئون ويزيدون وينقصون فتكون النسخ للكتاب الواحد متباينة وفى بعضها زيادة وفى بعضها نقص . وفى أسفار العهد القديم التى وصلت الينا أسماء أسفار كثيرة من جملتها سـفر التوراة شريعة موسى لم تصل الينا . وفى الأناجيل المتداولة اليوم والأسـفار الملحقة بالعهد الجديد ذكر لانجيل عيسى ولم يصـل الينا . وهناك روايات عن أناجيل عديدة أخرى لم تصل إلينا وبين نصوص الأسفار التى وصلت إلينا من مجموعتى العهد القديم والعهد الجديد تضارب وتناقض وزيادة ونقص واختلاف مشاهد حيث يفيد هذا أن الذين كتبوها قد استقوها من مصادر مختلفة ضـاعت أو بادت . ولقد اكتشف فى مغارة فى جهة البحر الميت أوراق من سـفر اشعيا قال الدارسون : إن بينها وبين ما هو متداول معروف من هذا السفر تباينا . وفى القرآن آيات تذكر أن أهل الكتاب كانوا يخفون كثيرا مما فى أيديهم منها هـذه الآيـات :

١ ـ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنت تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . (المائدة ١٥)

٢ ـ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتــاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعــلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا .. (الأنعام ١٦٠) .

وفى سورة النمل هذه الآيات : **(ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين)** (٧٦ و ٧٧) حيث تفيد أن القرآن قد جاء بما هو الحق والصدق والصحيح .

وفى سورة المائدة هذه الآية **(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ..)** (٤٨) حيث تفيــد أن القرآن متطــابق فى الأسس والأهداف مع كتب الله السابقة وانه ضابط لما هو الصحيح من وحى الله . ومصحح لما يمكن أن يكون وقع فى هذه الكتب من تحريف ورقيب عليها .

ولقد كانت هذه الآيات والقصص القرآنية تتلى علنا . ويسمعها أهل الكتاب ولا يمكن أن يكون ما جاء فيها جزافا ، وغير وارد فى أسفار وقراطيس فى أيدى أناس أو غير مروى على السنة أناس ثم ضاع أو نسى . ولقد آمن كثيرون منهم تدروا على التغلب على أنانيتهم وأهوائهم . وأعلنوا صدق القرآن كما حكى ذلك عنهم فى آيات عديدة منها هذه الآيات :

١ ـ وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم . (آل عمران ١٩٩) .

٢ ـ لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك . (النساء ١٦٢) .

٣ ـ ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما انزل الى الرســول ترى أعينهــم تفيض من الدمع مما عرفــوا من الحــق .. (المائدة ٨٢ و ٨٣) .

٤ ـ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخــرون للأذقان ســجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعــد ربنا لمفعــولا . (الاسراء ١٠٨) .

وليس هناك اية رواية فيها انكار أهل الكتاب لشيء ممــا ورد فى قصص القرآن . ولقد حكى القرآن بدون حرج نسبة الكفار الى النبى صلى الله عليه وسلم بافتراء القرآن وكذبه ورد عليهم .

وقد حكى القرآن الكريم كثيرا من مواقف اليهــود من النبى والاســلام ومحاولاتهم الدس والتفرقة والتشكيك . فلو كان صدر شيء من ذلك لحكاه ورده عليهــم .

وفى كل هذا حجة لاقناع من يبغى الحق ، ولا يكون موقفه موقف المكابر العنيــد الذى جعل إلهه هواه .

— ٨ —

ونحن نعرف أن هناك ما يمكن ايراده بالنسبة للنقطــة الاولى . اى كون

القصص مما كان معروفا من النبى صلى الله عليه وسلم والسامعين من قومه . حيث ورد فى القرآن آيات قد تبدو أنها تناقض ذلك وهى :

١ ــ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون .. (آل عمران)

٢ ــ تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين .. (هود ٤٩) .

٣ ــ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا امرهم وهم يمكــرون .. (يوسف ١٠٢) .

ونقول فى صدد ذلك : ان قصتى نوح ويوسف عليهما السلام قد وردتا فى سفر التكوين أول أسفار العهد القديم المتداول اليوم والذى نعتقد أنه كان متداولا فى بيئة النبى صلى الله عليه وسلم . وأهل بيئته وهو نفسه كانوا متصــلين بالكتابيين ويعرفون أخبارهم وما عندهم وما فى كتبهم على ما تفيده آيات عديدة أوردناها قبل وعلى ما جاء فى شرحنا السابق . فليس مما يصح فرضه أن يكون النبى صلى الله عليــه وسلم والعرب السامعــون او بعضهم جاهلين هــاتين القصتين .

ولقد اشير الى نوح وموقف قومه منه اشارات خاطفة فى سور مبكرة فى التنزيل بأسلوب يلهم أن قصــتهم مما كان معروفا متداولا مثل ســورة النجم (الآية ٥٢) وسورة ق (الآية ١٢) وسورة القمر (الآيات ٩ ــ ١٥) وســورة ص (الآيــة ١٢) .

ولقد ذكر فى سورة نوح أسماء أصــنام قوم نوح (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) وذكرت الروايات أن بعض قبائل عربية فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وقبله كانوا يعبــدون هذه الأصنام ويعرفون ويقولون أنها أصنام قوم نوح . ولقد وردت قصة نوح مفصلة فى سور ترتيبها سابق لسورة هود فى النزول مثل سور الأعراف ويونس والقمر . وليس فيها تنبيه مثل التنبيه الذى احتوته آية سورة هود . ووردت مفصلة أيضا فى سور الشعراء والصافات ونوح والأنبيــاء والمؤمنون والعنكبوت خالية من مثل هذا التنبيه .

ولقد جاء فى مطلع قصة يوسف فى سورة يوسف هذه الآية **(لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين)** (الآية ٧) وهذا النص يفيد أن من السامعين منكان يسمع قصة يوسف وانهم قد يكونون طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم تفصيلا ذلك فأوحى الله بالقصة كما جاءت فى سورة يوسف . ومتطابقة كثيرا مع ما جاء فى سفر التكوين مع تباين فى بعض الجزئيات . ولا نرى هذا يتناقض أو يتعارض مع احتمال أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم يعرف تفصيل هــذه القصــة فى سفر التكوين أن نسخه المختلفة التى يمكن أن يكون بينهما تباين ولم يصل الينا منها الا النص المتداول .

وقصة بشارة الملائكة لمريم بعيسى عليهما السلام واردة فى الاصحاح الأول من انجيل لوقا المتداول اليوم بما يقرب لما ورد من ذلك فى سورتى مريم وآل عمــران . وفى الاصحاح خبر حبل امرأة زكريا بيحيى عليهما السلام وهى فى شيخوختها بأمر الله وقدرته . ووصفت بأنها نسيبة مريم . وهذا يعنى أن حياة مريم قبل ولادتها لعيسى ونذر أمها بما فى بطنها وكفالة زكريا لها والاختلاف على كفالتها والاقتراع على ذلك بما عبر عنه القرآن بجملة **(يلقون أقلامهم أيهم يكفل**

مريم) كل كذلك مما يمكن أن يكون متداولا فى أوساط النصارى فى البيئة ،النبوية ومما يمكن أن يكون قد سمعه وعرفه كليا أو جزئيا النبى صلى الله عليه وسلم وقومه . وفى كتب تفسير الطبرى وابن كثير بيانات فى صدد ذلك معزوة الى علمـــاء الاخبار من أصحاب رسول الله وتابعيهم مما يؤيد ذلك .

ولقد قال المفسر الخازن تعليقا على آية سورة هود : ان قصة نوح مشهورة وانه ليس ممـــا يحتمل أن لا تكون معروفة وانه يجب صرف الآية الى قصـــد عدم معرفة النبي وقومه جميع تفصيلاتها . وهذا قول وجيه مع اضافة شيء عليه وهو عدم معرفة النبى وقومه جميع التفصيلات التى جاءت فى سورة هـــود بخاصة . لأن مثل هذا التنبيه لم يرد فى سياق القصة فى السور الأخرى ثم عدم نفى أن تكون التفصيلات التى لم يكن النبى وقومه يعرفونها قد وردت فى أســـفار وقراطيس كان الكتابيون يتداولونها . والله تعالى أعلم .

ويصح أن يشمل هذا القول ما جاء فى سورة يوسف من تفصيلات فى قصة يوسف واخوته . وما جاء فى سورة آل عمران فى قصة مريم ايضا حيث تكون حكمة التنزيل اقتضت الايحاء بما كان النبى صلى الله عليه وسلم وقومه لا يعرفونه من تفصيل القصص الثلاث مع عدم تعارض ذلك مع احتمال أن يكون ذلك واردا فى أسفار وقراطيس أخرى .

وهناك آية أخرى تساق ايضا . وهى آية سورة يوسف هذه **(نحن نقص عليك أحسن القصص بمـــا أوحينا اليـــك هذا القـــرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ..** (الآية ٣) . وازاء ما ذكرناه وشرحناه من حقائق ووقائع لا مناص من تأويل الآية بتأويل لا يتناقض مع ذلك أيضا فيقال والله أعلم أن القصد هو التنبيه على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان غافلا عن حقيقة تلقى وحى الله القرآنى أو عن أمور كثيرة من هذه القصص .

— ٩ —

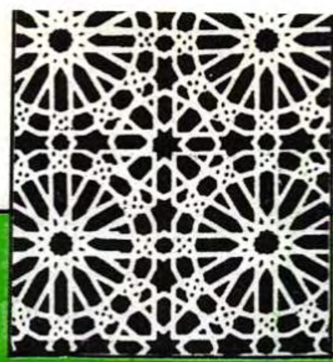
ويتظارف بعض الأدباء ومنهم مسلمون فيطلقـــون على اسلوب القصص القرآنيـــة نعت (الفن القصصى) فى القرآن . ولا ندرى ماذا يقصدون من ذلك . فاذا كانوا يعبرون بهذا الوصف عن توهم كون القصص القرآنية حبكت بالخيال والتزويق والافتعال كما هو شأن القصص ففى ذلك تجـــوز وسوء أدب . لأن القصص القرآنية منزهة عن كل ذلك . فقد كانت كما قلنا معروفة مروية متداولة. فأوحى الله بها بالأسلوب والفحوى اللذين أوحيت بهما لتحقيق هدف الموعظـــة والتذكير والمثل والعبرة والالزام والافحام والانذار والتبشير . وقد يكون من مقاصدهم بذلك النعت التنويه بروعة الاسلوب الفنى الادائى الذى جاءت عليه هذه القصص وما فيها من صور كلامية رائعة . وهذا خطأ بدوره . لأن روعـــة الاسلوب والصور الكلامية فى القصص القرآنية ليست أمرا متميزا عن روعـــة الأسلوب والصور الكلامية فى سائر مواضيع القرآن وآياته وفصوله . فكل هذا بارز فى كل مواضيع القرآن الأخرى . سواء أكانت أمثالا أم آيات فى مشـــاهد الكون والخلق أم فى المشـــاهد الأخروية . أم فى الجهاد . أم فى الأخـــلاق والاجتماع . أم فى الجدل والحجاج أم فى الانذار والتبشير . ففى ذلك كما

فى فصول القصص من الصور الكلامية الرائعة والأسلوب الآخاذ ما هو نافذ الى أعماق القلوب والعقول . وكل ما جاء فى القرآن من ذلك قد هدف الى هدف وحقق الهدف الذى جاء من أجله .

– ١٠ –

هذا . وقد يسأل سائل عما اذا كانت القصص القرآنيـــة حقائق ووقائع تاريخيـــة فى جزئياتها وكلياتها . ومع أن بعض علماء المسلمين قالوا انه ليس فى قصص القرآن ما هو مستحيل عقلا أو ما يثبت قطعيا عدم وقوعه أو ممـــا ليس محتملا أن يكون وقائع تاريخية حقيقية . ومع ما فى هذا القول من ســـداد فاننا نرى الأولى والأفضل أن نكتفى بالقول وأن يكتفى المسلم معنا بالقول ان كل ما فى القرآن وحى ربانى وانا **(آمنا به كل من عند ربنا)** مع القول أيضـــا أن هذه القصص لم يوح بها لتقرر وقائع تاريخية . وان الوقائع المذكورة فيها كانت معروفة عند سامعى القرآن أو واردة فى كتب وقراطيس أو متداولة فى روايات شفوية فى بيئة النبى صلى الله عليه وسلم فاقتضت حكمة التنزيل بأن توحى قرآنا بالأسلوب والفحوى اللذين أوحيت بهما وبتكرارها فى سور متعددة وبصيغ متنوعة لتحقيق الأهداف المستهدفة منها التى ذكرناها قبل . وانها من الوسائل والمتشابهات التى لا ضرورة الى استقصاء حقائق جزئياتها ووقائع ما فيها من أحداث أو استنباط ذلك منها أو المجادلة أو النقاش والأخذ والرد فيها . وان من الواجب الدينى بل مقتضى الحق والعقل الوقوف عند ما ذكره القرآن منها دون تزيد وتكلف وتخمين .

ومن الجدير بالذكر والتذكير أن القرآن لا يحتوى استقصاء لحوادث القصص الواردة فيه . ولم يكن ما احتواه منها سردا تقريريا لوقائعها حيث اكتفى بذكر ما اقتضت الحكمة ذكره بالأسلوب والفحوى اللذين اقتضت هذه الحكمة ومناسبات السياق لتحقيق الهدف الذى جاءت من أجله من عظة وتذكير وتمثيل وانذار وتبشير وتوضيح وتلقين . وهذا واضح ملموح لكل من يمعن النظر فيها . ولو كان متوسط الثقافة . وهو ضابط مهم يجب على الناظر فى القرآن أن يلتزم به . وفى القرآن ظاهرة مهمة فيها توكيد لذلك واتساق معه . وهى أن أسلوب القرآن فى القصص وهدفه قد اتسقا مع ما ورد فيه من ذكر الوقائع الجهادية والمواقف القضائيـــة والحجاجية وغيرها من أحداث السيرة النبوية بحيث أن الناظر فى القرآن يجد أن ما ورد فيه من ذلك انمـــا ورد للعظة والتذكير والتنبيه والحث والتحـــذير والارشاد والتعليم والتسلية والتثبيت والتشريع . وهذا ظاهر من كون المذكور فى القرآن من ذلك لا يحتـــوى كل الصور والمشاهد والتفصـــيلات للمـــواقف والأحداث . وانما احتوى ما اقتضت الحكمة ذكره منها لتحقيق المقاصد المذكورة . وفى هذا دليل على الانسجام فى الأساليب القرآنية ومراميها . والخروج من هذا النطاق هو خروج عما يلهمه القرآن من نطاق مرسوم لقصصه وتعريف له كمـــا قلنا للنقاش والجدل . واخراج له عن هدفه وهو الهدى والموعظة والذكرى . وهو بعد ليس كتاب تاريخ . ولا يجوز النظر اليه على هذا الاعتبار . والله أعلم . والحمد لله رب العالمين .



أضـــواء على حركة المنافقين في عهد النبوّة

للأستاذ عبد القادر طاش التركستاني

مـــا إن بزغت شمس الدعـــوة الاسلامية وعمت أنوارها حتى التف الأعداء حولها يكيدون لها ،ويحاولون القضاء عليها بكل ضراوة واستماتة . وكان المنــــافقون ــ الذين أظهروا الاسلام بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ــ أشد أولئك الأعداء وأخطرهم أثرا في حياة الدعـــوة . وذلك لأنهم كانوا يختلطون بالمجتمع المسلم ويندسون في الصف الاسلامي ويفعلون أفاعيلهم ــ النابعة من حقدهم على الاسلام ، وحسدهم للمؤمنين ــ وهم آمنون من أن يلومهم أحد .

وقد بدأت حركة المنافقين بدخول الاسلام الى المدينة المنورة واستمرت الى قرب انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى .

ويصـــور ابن القيم خطـــورة تلك الحركة وأثرها السيء على الاســـلام وأهله فيقول : (فلله كم من معقل للأسلام قد هدموه وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه. وكم من علم له قد طمسوه ، وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوهـــا وكم عموا عيون موارده بآرائهـــم

ليدفنوها ويقطعوها ، فلا يزال الاسلام واهله منهم فى محنة وبليه ، ولايزال يطرقه من تسببهم سرية بعد سرية ويزعمون انهم بذلك مصلحون **(الا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)** (١) **(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)** (٢) .

وهذه صفحات عن صفات أولئك المنافقين وأسلحتهم فى محاربة الدعوة وعن دورهم فى المعارك التى خاضها الرسول أردت منها أن القى بعض اضواء على تلك الحركة الخطيرة عسى ان ننتفع بها فى معرفة المنافقين الذين يعيشون بيننا اليوم وكشف حقيقتهم وفضح نواياهم لنعمل بعد ذلك على تصفية المجتمع المسلم والصف المسلم منهم حتى نستطيع مواصلة المسيرة الاسلامية بعزم وإيمان دون ان يخذلنا مخذل أو يعوقنا معوق .

● تعريف النفاق :

المعنى اللغوى : يقول علماء اللغة : ــ إن النفاق مشتق من نافقاء اليربوع ، ولليربوع جحران احدهما النافقاء والثانى القاصعاء ، والنافقاء موضع يرققه بحيث اذا ضرب رأسه عليه ينشق وهو يكتمه ويظهر غيره فان ارتاب أو رأى الصائد آتيا اليه من قبل القاصعاء (وهو الجحر الظاهر) ضرب النافقاء برأسه فخرج .

وقيل : ان المنافق مأخوذ من النفق وهو السرب تحت الأرض ويراد بذلك انه يستتر بالاسلام كما يستتر صاحب النفق فيه (٣) .

وقال الزرقانى فى شرحه على المواهب : ــ ان النفاق أسم اسلامى لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو فعل المنافق الذى يستر كفره ويقيه بالاسلام كما يستر الرجل النفق وهو السرب فى الأرض له مخرج غير الذى يدخل إليه منه (٤) .

المعنى العام : ــ والمعنى العام للنفاق هو: اظهار الانسان خلاف ما يبطن فى شتى نواحى الحياة فيتضمن الدخول فى الاسلام ظاهرا فقط ويتضمن غير ذلك مما يكون فيه الظاهر مخالفا للباطن(٥) ، مثل التظاهر بالفضيلة فى الوقت الذى لا يؤمنبها الانسان أو لا يمارسها فى الواقع . والنفاق بذلك يكون ضربا من ضروب الكذب ولكنه (يمتاز عن باقى أنواع الكذب بأنه ينحط الى دركات الكذب السفلى ويلف فى طياته كلما تلوى اشتاتا من الجبن والصلف والخسة والصفاقة ويدعو الى الحقد والحسد والضغينة ويفتن فى اخراج المآسى المروعة من الخبث والدهاء والمكر السىء وأكل الحقوق) (٦) .

المعنى الخاص :ــ أما المعنى الخاص له فهو : اظهار الاسلام واضمار غيره أو هو التضارب بين العقيدة الباطنة والعقيدة الظاهرة ، يقول ابن القيم : هو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو فى الباطن منسلخ من ذلك كله ، مكذب به . (٧) وقد أورد الفخر الرازى فى تفسيره جدولا مؤسسا على التقسيمات المنطقية ، وتابعه على ذلك البدر العينى فى شرحه للبخارى ، وقد عرفا النفاق بأنه (الانكار القلبى والاقرار باللسان اضطراريا) (٨) .

ولقد حكم القرآن الكريم بكفر المنافقين فقال تعالى : **(ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم)** (٩)

وقال تعالى : **(إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار)** (١٠) . وقال تعالى : **(إن الله جامع المنافقين والمشركين فى جهنم جميعا)** (١١) .

● أسباب النفاق :

للنفاق أسباب كثيرة تدعو اليه نذكر منها : ــ

١ ــ الخوف : فقد يؤمن الشخص بشيء ثم يرى وجوب ستر ذلك خوفا من المجتمع كالايمان بنظرية فاسدة او الرغبة فى سيطرة او ملك ونحوه.

٢ ــ الحسد : وقد ينافق الشخص حسدا لغيره على ما وهبه الله له كحسد عبد الله بن أبى بن سلول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعطاه الله القيادة والمكانةالسامية فى المدينة .

٣ ــ وقد ينافق حبا فى مال او طمعا فى شهوة وهوى .

٤ ــ وقد ينافق حبا فى جاه عريض ومركز كبير وجلبا لدعاية يطرق فى سبيل بلوغها كل الوسائل خيرها وشرها .

٥ ــ وقد ينافق عداوة لشخص أو مذهب ليحيك بنفاقه وتظاهره بالاخلاص مؤامراته ويختلق دسائسه

● مناحى النفاق :

وللنفاق مناح متعددة وخطيرة ولكن أخطرها وأكثرها اثرا ما يتعلق بالنفاق فى الدين والنفاق فى الحرب والسياسة .

١ ــ النفاق فى الحرب : ان الناظر فى صحائف التاريخ والواعى لوقائعه فى جميع عصوره يرى جليا أن كثيرا من الحروب والمآسى التى وقعت كانت تستند ــ فى اغلبها ــ على قواعد من النفاق والخديعة والمكر وكلنا يعلم أن الجاسوسية والمخابرات ترتكز على النفاق والكذب فى نطاقات واسعة ، وما الحرب النفسية أيضا الا نوع من أنواع الخداع والنفاق(١٢) .

٢ ــ النفاق فى السياسة والحكم: ومجال النفاق فى هذه ممتد الأطراف فما أكثر المؤتمرات والهيئات التى تعقد لتخرج الى الناس : (منتهى ما وصل اليه العقل البشرى من افانين النفاق والكذب وأساليب الخداع والدهاء والخبث مخلوطا بالالفاظ المعسولة الجميلة ومصبوغا بألوان مستعارة من الحق والمنطق) (١٣) .

(ومن أكبر ميادين النفاق دعاوى الاصلاح عندما يكون موضوعها من المسائل التى يمرن فيها الجدل وليس لها روابط محدودة كوسائل التعليم وبرامجه واختلاط الجنس والرقص وأساليب السلوك واغلبها يدور حول محور واحد كامن هو ارضاء الشهوات والغرائز وستر ذلك بالصور الفلسفية) (١٤) .

وللاعلام والدعاية والبلاغة البارعة دور بارز فى تنميق الأقوال وإلباس الباطل ثوب الحق فكم من الأنظمة تتشدق بأناشيد الحرية والمساواة وهى التى تخنق الحريات وتكتم الأنفاس ، وكم من المسؤولين وذوى الأمر والنهى فى الامة يدعون الفضيلة وهم أبعد الناس عنها .

٣ ــ النفاق الدينى : ــ فقد اتخذ ذوو النفوس المريضة المنحرفة الدين ستارا لأعمالهم الخبيثة وجرائمهم البشعة فتجدهم يدعون التقوى

والصلاح والاستقامة ويغرون الناس بمظاهرهم ثم ياتون خباثتهم فى الخفاء مطمئنين من ان يلومهم أحد لانهم فى نظر الناس ابعد الناس عن الرذيلة ، وهذا المنحى من مناحى النفاق جد خطير واثره فى نفوس الناشئة عظيم .

٤ ــ النفاق فى الأفكار : ــ وبما أن النفاق يقضى على الانسان أن يعتبر ظواهر الامور من كل شىء دون نظر الى حقائقها فلا ضير لدى المنافق إن جرى وراء التيارات المتناقضة والمعانى المضطربة والنظريات الفارغة . بل انه ليتعمد خلق النقاش والجدال فى المسائل التافهة الحقيرة أو التى لا اصل لها البتة .

٥ ــ النفاق فى المجتمع : ــ وهو صورة متكررة فى حياة الناس تجدها فى كل مكان . فالمرؤوس ينافق رئيسه والصديق ينافق صديقه والزوج ينافق زوجته التى تنافق هى أيضا ، وأكثر الناس ينافقون ذوى السلطان عليهم وذوى الجاه والمال فيهم ــ ونحو ذلك .

● الاسلام والنفاق :

أتى الاسلام بتعليمات خاصة ومبادىء معينة تتنافى كليا مع النفاق وقد رسم الاسلام للانسان الطريق الأسمى نحو بلوغه كماله ، وتحليقه فى سماء الفضيلة والمثل العليا ، وقد كان ذلك الطريق متمشيا مع الطبيعة البشرية لا يصادمها أبدا ، ولا يكبت طاقاتها ومن ثم فاننا نقول بكل اطمئنان : ان الاسلام لا يلجىء الانسان الى النفاق لانه لا يتطلب من الناس ما يحوجهم الى النفاق فهو مثلا (لا يقول لهم ان الشعور الجنسى قذر فى ذاته فتطهروا منه وتعالوا عليه فاذا عجزوا عن اطاعة هذا النداء ــ تلبية لدوافعهم الفطرية ــ نافقوا ليحافظوا على تعاليم الدين . . كلا انه يقول لهم انه أمر طبيعى ونظيف فى ذاته الى أبعد الحدود (حبب إلىَّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة) بل يدعوهم دعوة صريحة الى أخذ نصيبهم من المتاع الجنسى اذ يدعوهم الى الزواج والتبكير فيه كل ما فى الأمر انه يمنعهم من أخذ هذا النصيب فوضى على طريقة الحيوان ويتيحه لهم نظيفا طاهرا كما يليق بالانسان . فاذا أطاع الناس تعاليم دينهم فى هذا الموضوع فلا نفاق إذن ولا حاجة الى النفاق وانما الصراحة الكاملة والسعى الواضح المكشوف ، وكذلك الأمر فى بقية تعاليم الاسلام لا تجد فيها النفس السوية حرجا يدعو الى النفاق) (١٥)

● بدء حركة النفاق وأسبابها :

بدأت حركة النفاق بعد الهجرة النبوية الى المدينة ولم يكن لها وجود بمكة ، أما الاسباب التى أدت الى نشوء هذه الحركة فى المدينة : فهى الاوضاع الجديدة والتغييرات الجذرية التى حدثت بعد هجرة المصطفى اليها فلم تكن للاسلام فى مكة دولة أو قوة أو عصبية يخشاها أهل مكة فينافقونها أما فى المدينة (فقد أصبح الاسلام قوة يحسب حسابها كل أحد ويضطر لمصانعتها قليلا أو كثيرا وبخاصة بعد غزوة بدر وانتصار المسلمين فيها انتصارا عظيما وفى مقدمة من كان مضطرا لمصانعتها نفر من الكبراء دخل أهلهم وشيعتهم فى الاسلام وأصبحوا هم ولا بد لهم لكى يحتفظوا بمقامهم الموروث بينهم وبمصالحهم كذلك أن يتظاهروا

باعتناق الدين الذى اعتنقه أهلهم وأشياعهم ومن هؤلاء عبد الله بن أبى ابن سلول الذى كان قومه ينظمون له الخرز ليتوجوه ملكا عليهم قبيل مقدم الاسلام على المدينة) (١٦) .

ومن المؤكد أن للجالية اليهودية التى كانت تقيم بالمدينة الدور الأساسى والخطير فى نشوء حركة النفاق (فان لليهود تاريخا قديما وعريقا فى النفاق وتدبير الدسائس والمكائد واشعال الفتن هكذا كانوا منذ آلاف السنين ولا يزالون كما كانوا) (١٧) .

● العلاقة بين المنافقين واليهود :

واذا كان لليهود دور أساسى فى نشوء حركة النفاق فما هى الأسباب التى دعت اليهود الى اثارة تلك الحركة واخراجها الى حيز الوجود وتغذيتها وامدادها بالوقود اللازم ؟.

يمكن تلخيص تلك الأسباب فيما يلى :

١ ــ أن اليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار لذلك فانه يجوز لهم بل يجب عليهم أن يسخروا كل وسيلة ــ مهما كانت ــ لبلوغ مقاصدهم ومن تلك الوسائل : أسلحة النفاق والخديعة والدسيسة والكيد الماكر .

٢ ــ أن الاسلام حينما شع نوره فى أرجاء المدينة الف بين قلوب الاوس والخزرج المتناحرة وصاغ منهم مجتمعا متماسكا متضامنا قويا متوحدا مما أفسد على اليهود فرصتهم فى استغلال الخصام الدائر بين الفريقين لصالحهم فعملوا على تغذية حركة النفاق لخلخلة وحدة المجتمع المسلم وتشتيت كلمته .

٣ ــ كان اليهود يتطلعون الى أن يكون الرسول الأخير الذى بشرت به التوراة والانجيل منهم فلما جاء من العرب .. حسدوه حسدا شديدا وحقدوا عليه وعدوا دعوته لهم الى الاسلام اهانة واستطالة ، وأخذتهم العزة بالاثم فعملوا على الانتقام من الرسالة والرسول باشعال نار فتنة النفاق .

٤ ــ شعور اليهود بالخطر المحدق بهم من جراء عزلهم عن المجتمع المدنى الذى كانوا يزاولون فيه القيادة العقلية والتجارة الرابحة والربا المضعف .

لكل تلك الأسباب كان اليهود يقفون من الاسلام موقف العداء الشديد ويغذون حركة النفاق ضده بل كان كثير منهم مشتركا فى تلك الحركة يعمل مع المنافقين جنبا الى جنب أمثال : أوس بن قيظى وشاس بن قيس وزيد بن اللصيت وسعد بن حنيف .

ومن أساليب اليهود التى اتخذوها لمحاربة الدعوة وزرع الشك والتردد فى نفوس المؤمنين ما يلى :

١ ــ كان جماعة منهم يأتون رجالا من الانصار ويخالطونهم ينتصحون لهم فيقولون : لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر فى ذهابها ولا تسارعوا فى النفقة فانكم لا تدرون علام يكون .

٢ ــ وكانوا يثيرون الاسئلة عن أشياء مريبة ومشككة فلقد جاء نفر منهم يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : متى تقوم الساعة ؟ فنزل

قوله تعالى : « يســـــألونك عن الساعة .. » .

وجاءه مرة جماعة منهم فقالوا : يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله .. ؟!

٣ ـــ وكانوا يحرضـــون المنافقين على أعمالهم التخريبية ويدلونهم على الخطط التي يمشـــون بمقتضاهـــــا (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجـــه النهـــار واكفـــروا آخره لعلهـــم يرجعون) (١٨) .

٤ ـــ وكانوا يطلبون من المشركين أن يسألوا رســــول الله مثل تلك الاسئلة التي كانوا يثيرونها فقد سألت قريش رسول الله بايعـــــاز من اليهود عن ذى القرنين .

٥ ـــ ولشدة حنقهم على الاسلام وحسدهم للمسلمين فقد كانت قلوبهم تكره اجتماع المسلمين والفتهم ويروى أن شاس بن قيس اليهودى مر يوما على نفر من أصـــحاب رسول الله مجتمعين فغاظه ما رأى من اجتماعهم وتحاببهم فأمر شابا من اليهود كان معهم أن يذكر في المجلس يوم بعاث وبعض اشعار الاوس والخزرج في ذلك ففعل فتكلم القوم وتفاخـــــروا وتنازعوا فيما بينهم حتى بلغ بهـــم الأمر أن تواعدوا للقتال فخرج عليهم رسول الله وهدأ من ثورتهم وعرفهم أن ذلك نزعة من الشيطان وكيد من العدو فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا .

ومن أجل هذه العلاقة الحميمـــة والترابط الوثيق بين اليهود والمنافقين وبسبب من هذا التشابه الكبير بينهم فى الأساليب التى يكيدون بها للاسلام وأهله وفى الطرق التى يتبعونهـــــا لبذر الفساد والشـــقاق وزرع الفتن والقلاقل فان القرآن الكريم حينمـــا يتحدث عن المنافقين يوضح لنا هـــذه العلاقة بينهم وبين اليهـــود ويصفها (بالأخوة) قال تعالى : **(ألم تر الى الذين يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ...)** (١٩) وامتدادا لهذه الأخوة فى الدنيا فهم اخوة فى المصير الأبدى **(إن الله جـــامع المنـــافقين والكافـــرين فى جهنـــم جميعـــا)** (٢٠) .

---

(١) البقـــرة ١٢
(٢) الصـــف ٨
(٣) راجع القاموس ومختار الصحاح والمصباح المنير (مادة نفق) .
(٤) الزرقانى ج ٣٥٦/١ .
(٥) النفاق والمنافقون لابراهيم على سالم ص ٣
(٦) نفس المصدر ص ٤
(٧) صفات المنافقين لابن القيم ١٥
(٨) تفسير الفخر الرازى وشرح العينى على البخارى ج ٢١٧/١ .
(٩) المنافقـــون ٣ .
(١٠) النســـاء ١٤٥ .
(١١) النســـاء ١٤٠ .
(١٢) سنرى صورا للنفاق فى الحرب فى حلقة قادمـــة .
(١٣) و (١٤) النفاق والمنافقون ١١ و ١٢ .
(١٥) فى النفس والمجتمـــع لمحمـــد قطب ١٠٤ و ١٠٥ .
(١٦) فى ظلال القرآن م١ ج٢٧/١ و ٢٨ .
(١٧) النفاق والمنافقون ٧٦ .
(١٨) آل عمـــران ٧٢ .
(١٩) الحشـــر ١١
(٢٠) النســـاء ١٤١ .



كتاب الشهر

أبو حيان التوحيدي

عرض وتحليل الدكتور : يوسف نوفل

ما تزال الندرة تكتنف جنبات تراثنا المشرق ، وما يزال رجال هذا التراث وأعلامه يتوارون خلف غلالات التجاهل والنسيان على الرغم من روعة الدور الذى قام به هؤلاء الاعلام وعلى الرغم من أهمية ما يلقيه التراث من أشعة تترامى الينا عبر مسافات السنين وتنائى العصور .

وقليل أولئك الباحثون الأفذاذ الذين أعطوا من وقتهم وجهدهم وتفكيرهم الكثير لهذا التراث القابع خلف تراكم الزمن ، وللاعلام الراقدين تحت جبال النسيان ، واستاذنا الاستاذ الدكتور أحمد محمد الحوفى واحد من هؤلاء ، فقد قدم لنا من قبل دراسات عديدة طيبة عن أعلام التراث مثل كتابه عن ابن خلدون حيث عرض آراءه فى التربية وعلم الاجتماع التى لم يعرض لها الدارسون من قبل ، كما درس أدبه النثرى والشعرى ، وكتابه عن الطبرى الذى شمل دراسة لعصره ، وبيئته ، وحياته ، ومصادر ثقافته ، والوانها ، وعرض لتلاميذه ، ولمؤلفاته ، ودراسة لشخصيته ، ولمناهجه فى التفسير والتاريخ والفقه ، وكتابه عن الجاحظ الذى قدم فيه دراسة لعصره ، وحياته ، وعالم شخصيته ، ومؤلفاته وخصائصه الفنية ، مع تحليل بعض كتبه .

والى جانب دراساته عن أعلام التراث هناك العديد من جولاته الفنية حول القيم والمعانى المبثوثة فى تراثنا القديم ، مثل : الفكاهة فى الأدب ، والبطولة والبطل ، وسماحة الاسلام،

وأدب السياسة فى العصر الأموى ، والغزل فى العصر الجاهلى ، والمرأة فى الشعر الجاهلى ، والمثل السائر لابن الأثير (تقديم وتحقيق وتعليق) وفن الخطابة وغير ذلك من مجالات البحث .

.. .. ..

ونحن اليوم أمام دراسة جـــادة لباحثنـــا الكبير حول أبى حيـــان التوحيدى ، وقد يحســن أن نلتقــى بشىء مما جاء بمقدمة الكتاب :

(اللهم لك الحمد ، وبك الاستعانة ومنك التوفيق ، وبعد :

فهذا كاتب قدير ممن زاوجوا بيــن العبارة الناصعة واللغة البارعـــة والفكرة الثرية ، وممن خلفوا للأعقاب ينبوعا ثرا من المعرفـــة ما زالــوا يرتشفون من سلساله ويرتوون .

اتصلت به عن بعد حينما قـــرات على عجل موضوعـــات من كتابه (المقابسات) ، وموضوعات أخـــرى من كتابه (الهوامل والشوامل) ولكن هذا الاتصال العاجل أوحى الى باكبار علمه والاعجاب بفنه .

ثم اتصلت به عن قرب قريـــب ، وعشت معه مدة من الزمن ، حينما شرعت اكتب هذه الدراسة ، فعظم اكبارى لعلمه واعجابـــى بفنـــه ، وأيقنت أن الرجـــل مغبون القـــدر ، مهضوم المكانة ، وأيقنت أنه أجـــدر بالدراسة والتقدير من ارباب الصناعة اللفظية ، الذين ذاعت شهرتهم فى حياتهم وبعـــد مماتهم ، ومـــا زالوا يدرسون الى اليوم على أنهم زعمـــاء مدرسة أو اصحاب طريقة فى الكتابة كابن العميد ، وابن عباد ، والقاضى الفاضل ولسان الدين بن الخطيب .

والحق ان أبا حيان يفضل هـــؤلاء جميعا ، ويفضل اضرابهم من كتـــاب الزخرف والزينة كبديـــع الزمـــان ، والحريرى ، والقاضى الفاضل .

نعم يفضلهـــم بعـــدة مزايـــا ، سأعرض لها حين أوازن بينه وبيـــن كتاب عصره ، وحسبه أنه كاتب يحفل بالفكرة والعبارة معا ، وانه يستلهـــم مشاعره وعواطفه ، كما يعتمد على التأنق والافتنان وانه قد جال بقلمـــه فى ميدان العلم والمعرفـــة ، فطوع النثر للترجمة عن الثقافة فى تعبير من الأدب الرفيع ، وبهذا اكمل ما فعلـــه الجاحظ من قبل) .

وقد يحسن بعد هذا الجزء مـــن المقدمة أن نلتقى بنظرة عامة حـــول خطوات هذا البحث ومجالاته .

يبدأ الفصـــل الاول وعنوانـــه : أعاصير السياسة ، بتعريف بالخلافة والخلفاء والظروف السائدة آنذاك ، وما نشب من اختلاف وصراع ، ثـــم ما جد على الدولة من توسع .

أما الفصل الثانـــى ، وعنوانـــه : تيارات ثقافية ، فيعرض لاستمـــرار النشاط العلمى والأدبـــى وقوتـــه ، ويذكر امثلة من تشجيع الدويـــلات للعلم والأدب ، وحركة الترجمة مـــن اللغات الاجنبية ، واتصال أبى حيان بكثير من التراجمة ، وازدهار مراكز الثقافة والأدب ، وكثرة العلمـــاء والأدباء ، ومتابعة ظواهر جديدة فى النشاط العلمى والأدبى ، ونضـــج العلوم وكثرة المكتبات ، واتخاذ اللغة العربية واللغة الرسمية والادبيـــة ، وتنافس المدن والعواصم ، الجديدة التى أصبحت مراكز للثقافة .

أما الفصل الثالث ، وعنوانـــه ، معالم حياته ، فيتناول بوعى واحاطة تعريفا وافيا بأبى حيان : اســـمه وكنيته ، ومولده ، ووفاته ، وأصله ، وترجيح عروبة أصله ، وحرفته .

اما الفصل الرابع ، وعنوانـــه : ثقافته ، فيحيط بذكاء بثقافة عصره ، وينابيع ثقافته ، وابرز الوانها من : فلسفة ، وفقه ، وحديث ، ولغة ، وعلم الكلام ، والادب .

أما الفصل الخامس ، وعنوانه فى قصور الخلفاء ، فيتناول الحيـــاة الادبية من خلال اتصال الأدبـــاء

بالخلفاء ، ويبرز هنا ابن العميد ، وابن سعدان .

أما الفصل السادس فهو عن معالم شخصية أبى حيان ببيان آثار عصره فيه ، وشغفه بالمعرفة ومظاهر شغفه ، واعتداده بعمله ، وبواعث هذا الاعتداد ، وطموحه الى التقدير وبواعثه وتطلعه الى ما نسميه اليوم منحة التفرغ ، ومظاهر طموحه ، وصراحته ، وبواعثها ، والرد على اتهامه بالتجنى فى الثلب والتجريح ، وأمانته فى ذكر المحاسن والمساوىء وحسن ظنه بالناس ، وأخلاقه ، وشكواه ، وتدينه ، والشهادة بسلامة عقيدته ، والرد على اتهامه بالزندقة ، وتصوفه ، ومظاهر هذا التصوف ، ونوع تصوفه ، والفرق بينه وبين المتصوفة ، ووجوه الاتفاق بينه وبينهم ، وأمانته فى الرواية وبواعثها ، ومظاهرها ، كما يناقش باحثنا الكبير — فى هذا الفصل — اتهام أبى حيان بالوضع ومصدر هذا الاتهام والباعث عليه وأدلة ابن أبى الحديد فى نسبتها الى أبى حيان ومناقشة آراء كل من :

محمد كرد على ، والدكتور عبد الرزاق محيى الدين ، والنويرى ، ويخلص باحثنا الفاضل الى أن الرسالة قد وضعها أبو حامد المروزى أو أبو حيان ، ثم يقيم الأدلة على تبرئة ساحة أبى حيان ، ويمضى مع أبى حيان حتى نصل الى احراق كتبه ، وخلاصة دفاعه عن فعلته .

أما الفصل السابع وعنوانه : أضواء على مؤلفاته ، فيعرض لمؤلفاته بالعرض الواعى والتحليل العميق مثل :

المقابسات ، والهوامل والشوامل ، والامتاع والمؤانسة ، والصداقة والصديق ، وأخلاق الوزيرين والبصائر والذخائر ، والمحاضرات ، وتقريظ الجاحظ ، ورسالة العلوم ، والزلفة ، والاشارات الالهية .

أما الفصل الثامن فيعرض لخصائصه الفكرية والفنية .

أما الفصل التاسع فيعرض لمكانة أبى حيان بين كتاب عصره .

ثم يأتى الفصل العاشر ليعقد موازنة بينه وبين الجاحظ .

.. .. ..

والكتاب يعتمد على ثلاثة وسبعين مصدرا ومرجعا كلها من عيون الفكر والأدب والثقافة الاسلامية ، وهى عيون نجد أنفسنا فى أمس الحاجة الى الالتقاء بها والنيل من ينابيعها الثرة وعطائها العظيم ، غير أن الجدير بالالتفات حقا ليس ما تحتويه المراجع والمصادر فحسب ، فكثير من النقول قد يصنع مؤلفات ضخمة ، وانما الخطير فى الأمر ما يكمن وراء الرجوع الى المراجع من فطنة وذكاء واحاطة شمول ، ومعرفة ودراية ، واخلاص وصدق ، وتلك أمور أربعة لا يستقيم بدونها منهج فكرى ، أو مبحث أدبى ، فبالفطنة والذكاء تتولد لدى الباحث يقظة للأمور وتنبه للقضايا ويتبع ذلك حسن معاملة هذه القضايا ، وبالاحاطة والشمول يلقى الباحث نظرة (صقر) تعبر المسافات وتحلق فى الأزمان ، فتربط ما مضى بما هو حاضر ، أما المعرفة والدراية فتجنب الباحث الزلل والعثرات وتجعله واعيا بمشكلات بحثه وقضاياه مقدما ما يستحق التقديم مؤخرا ما يستوجب التأخير ، ثم يجمع ذلك كله وعاء خطير هو وعاء الاخلاص والصدق ، فالبحث أمر شاق وعسير لا يأتى الا لمن يتجرد له بمواهب وقدرات محاطة بقدرة على التحمل ، وصبر وجلد ، وصدق فى المعاناة وتقمص شخصية البحث والتجرد من الزمان والمكان الخاصين بالمؤلف واحلال البحث محلا كريما فى نفسه يجعله قطعة من نفسه على نحو ما يفعل

الصوفى أو العاشق . وكل هـــذه الامور قد اجتمعت لدى باحثنا فأثمرت هذا البحث الجاد .

قضايا ومشكلات :

ونجد أنفسنا ازاء بعض القضايا التى تستأثر بالاهتمام وتنتزع قارئها ليخلص اليها ويقف عندها متأملا فاحصا مستوعبا ، وخاصة اذا كانت هذه القضية مما يتصل من قريب أو بعيد . بمبادىء ديننا الحنيف وعقيدتنا السمحة .

اتهامه بالزندقة :

« هذا الرجل الذى لم يجد من رفاهية الحياة ما يلائم علمه وأدبه ، ولم يلق من رعاية الوزراء والأمراء فى عصره بعض ما لقى من هم أقل منه علما وأدبا ، فقضى حياته يائسا ناقما هذا الرجل قد اتهم فى عقيدته ، وهى تهمة أشد ايلاما من البؤس ، وأقسى نكالا من الفقر ، لأنها تبغضه الى الخاصة والى العامة ، وتلقى على انتاجه غبارا كثيفا من الشك ، وتكاد تطوح بمكانته الأدبية والعلمية فى عصر لم يكن يحتمل من الزندقة والإلحاد ما يوصف بأنه زندقة وإلحاد وان كان بريئا .

وربما كان أول من اتهمه بالزندقة الكاتب اللغوى الأديب ابن فارس (المتوفى سنة ٣٩٠ هـ) فى كتابه الفريدة والخريدة ، فقد نقل عنه قوله : كان أبو حيان قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان .. الخ . ثم جاء ابن الجوزى (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ) فقال : « زنادقة الاسلام ثلاثة : ابن الراوندى والتوحيدى ، وأبو العلاء المعرى وشرهم على الاسلام أبو حيان ، لأنهما صرحا وهو مجمج ولم يصرح » ثم ردد الذهبى هذه التهمة ، وجرت دائرة المعارف على أنه نفى لزندقته ، قال مرجليوث : (نفاه المهلبى المتوفى سنة ٣٥٢ هـ ٩٦٣ م) من بغداد .. لزندقته) ووافقهم محمد كرد على ، ولكن علماء آخرين شهدوا له بسلامة العقيدة وصحة الدين فهو فى رأى ياقوت صوفى السمت والهيئة ، متعبد ، والناس على ثقة من دينه ، وابن النجار يصفه بأنه كان فقيرا صابرا متدينا صحيح العقيدة ، ودافع عنه السبكى وأرجع حملة الذهبى عليه الى محاكاته لما قاله ابن فارس، والى ما قاله ابن الجوزى والى أمر ثالث هو بغضه الشديد للمتصوفة .

وقد ذهب باحثنا الثقة الى تبرئة ساحة أبى حيان وقال :

(ومن الميسور أن أبطل هذه التهمة الجائرة بعدة ردود :

١ ــ المفهوم من كلام ابن فارس أن الصاحب بن عباد طلبه ليقتله ففر منه ، ثم تعقبه الوزير المهلبى فاستتر منه حتى مات فى الاستتار ، وهذا كلام تعوزه الصحة ، لأن أبا حيان ، كما تبين فى صلته بابن عباد تركه سنة ٣٧٠ هـ ، والوزير المهلبى توفى سنة ٣٥٢ هـ ، فكيف يتفق هذا ؟ لقد اتصل أبو حيان بالصاحب ، ثم تركه بعد ثمانية عشر عاما من وفاة الوزير المهلبى الذى قيل إنه تعقبه ليقتله .

٢ ــ لم يشر أبو حيان ــ على دقته فى وصف الأشخاص والأحوال ، ولا سيما حالته ــ الى أن ابن عباد فكر فى قتله وأوعز بحبسه ، ولو أن شيئا من هذا حدث لذكره ، على عادته فى تفصيل الأحداث والتشنيع على ابن عباد ، ووصف ما لقى من حرمان وخيبة فى صلته به .

٣ ــ يحملنى على الشك فيما زعم ابن فارس من نسبة الزندقة الى أبى حيان ومن نسبة التفكير فى قتله الى ابن عباد أن ابن فارس كان أستاذا لابن عباد قبل أن يلى الوزارة ، وكان صديقا له لما تولاها ، وكان أستاذا لأبى الفتح ابن العميد .

وقد هجا أبو حيان ابن عباد وابن العميد ، فمن المرجح أن ابن فارس أراد أن يشوه سمعته ويثأر منه ،

فألصق به تهمة الزندقة وأراد أن ينسب الى ابن عباد الغيرة على الدين ، فزعم أنه هم بقتل أبى حيان ولكنه هرب منه .

٤ ــ كان ابن فارس معاصرا لأبى حيان ، وقد ذمه أبو حيان ذما شنيعا، وتنقصه فى مجلس ابن سعدان بقوله : انه شيخ فيه محاسن ومساوىء ، الا أن الرجحان لما يذم به ، لا لما يحمد عليه ، فمن ذلك أن له خبرة بالتصوف ، وهناك أيضا قسط من العلم بأوائل الهندسة وتشبه بأصحاب البلاغة ، الا أن هذا كله مردود بالرعونة والمكر والايهام والخسة والكذب والغيبة .

٥ ــ ابن فارس الذى يسند اليه اتهام أبى حيان بالزندقة والموت فى الاستتار قد مات قبل أبى حيان ، وسواء أكانت وفاة ابن فارس سنة ٣٦٠ ه أو ٣٦٩ ه أو ٣٧٥ ه أو ٣٩٠ أو ٣٩٥ ه ، فانها كانت قبل وفاة أبى حيان .

فكيف يقرر وفاة شخص آخر لم يمت بعد .

واذا أراد أحد أن يأخذ بشق رايه وهو الاتهام بالزندقة ، وذهب الى أن الشق الثانى مدخول عليه فان اتهامه بالتحيز لابن عباد وابن العميد ما زال قائما يقدح فى طعنه أبا حيان ، وموت الوزير المهلبى قبل أبى حيان يقطع ببطلان تعقبه ليقتله .

على أنى لا أستبعد أن يكون خصوم أبى حيان هم الذين فعلوا ذلك ، ولكنهم أسندوه لابن فارس ليزيدوه قبولا وتثبيتا فى نفوس سامعيه .

٦ ــ ابن الجوزى ــ كما ذكر السبكى ــ متعصب على الصوفية ، مبغض لهم ، لهذا زاد من عنده قوله : (وأشدهم على الاسلام أبو حيان) .

٧ ــ اذا وازنا بين أبى حيان وابن الراوندى وأبى العلاء المعرى لم نجد تشابها يبيح لابن الجوزى أن يجعله أشد الثلاثة ضررا على الاسلام ، أو يسلكه فى عداد المعادين للاسلام .

أما ابن الراوندى فلا جدال فى زندقته وكفره ، لأنه زعم أن فى كلام أكثم بن صيفى ما هو أحسن من بعض القرآن ، وادعى أن القرآن غير معجز بأن المسلمين احتجوا لنبوة نبيهم بالقرآن الذى تحدى به النبى العرب، فلم يقدروا على معارضته فقال لهم : لو ادعى مدع لمن تقدم من الفلاسفة مثل دعواكم فى القرآن فقال : الدليل على صدق بطليموس أن اقليدس ادعى أن الخلق يعجزون عن أن يأتوا بمثل كتابه لكانت نبوته ثبتت .

وأما أبو العلاء فقد اتهم بالالحاد لبعض آرائه التى رددها فى لزومياته ولما قيل إنه عارض القرآن بكتابه الفصول والغايات على نسق السور والآيات وان كان مظلوما فى اتهامه بالمعارضة لأن كتابه لا يشير الى ذلك ، وأما أبو حيان فليس فى كلامه ما ينبىء عن زندقة أو الحاد .

٨ ــ بل ان فى كلام أبى حيان ما ينقض دعوى خصومه نقضا لا يبقى ولا يذر ، فقد كان يغار على الدين منذ حداثته .

٩ ــ وفى سلوكه ما يكفى لنقض هذا الاتهام ، لأنه كان يصلى بالمسجد ، ويشكو أنه لا يرى بجواره الا قصابا أو ندافا .. وقد حج سنة ٣٥٤ ه ، ولأنه كان متصوفا طول حياته ، ثم منقطعا للتصوف فى أخريات حياته ، اذ قضى سنواته الاخيرة بين الصوفية ، وانطبع بطابعهم ، ومات بينهم ، ودفن بجوار علم من اعلامهم .

ولم يكن تدينه ليخفى على معاصريه ولهذا يقول ياقوت : إنه كان يتأله والناس على ثقة من دينه .



وإذاً.. فما من التخلف

للدكتور : محمدسعيد رمضان البوطى

عقبت على كاتب جاء يقول : ان من أهم أسباب التخلف وضعف الانتاج عندنا ، الاعتقادات الغيبية واحالة الامور الى الله والتواكل الذى يتولد من ذلك . فقلت أولا :

ان أصحاب الاعتقادات الغيبية والمتبصرين — حقا — بسلطان الله فى الكون ، هم اليوم بعيدون عن الطريق .. وليس بيدهم ما يضيقون به سبيلا على أحد ، أو يعيقون به تقدم أى مخلص للأمة والوطن .. وافردت هذا الحديث فى مقال .

وقلت ثانيا : ان الغيبيين حقا هم الجاحدون بغيبيات الاسلام .. وليس كل ما قد غاب عن الحس وسلطانه مقضيا عليه بالوهم أو العدم .

والانسان يخطو فى سلوكه العلمى والمعاشى معتمدا على التاريخ الماضى وتصورات المستقبل . وكلاهما خارج عن سلطان الحس مغموس فى ظلمات الغيب . والذى يريد أن يستعلى فى سلوكه عن وحى كل منهما ، لا يستطيع أن يستفيد من عقله شروى نقير ، ولا يملك الا أن يسجل اسمه ، بكل فخر ، فى ديوان المجانين ، وافردت هذا الحديث أيضا فى مقال .

واذا ، فلنعد الى صلب الموضوع ولنتساءل : فما هو سر تخلفنا اذا ؟

—— ● ——

هنالك فئة من الباحثين ، يوفرون على أنفسهم عناء التفكير فى هذا

هو السّر فيما نعانيه

وضعف الانتاج..؟

البحث ، عندما يطيب لهم أن يتبنوا الرأى القائل بأن للحضارات أعمارا كعمر الانسان ، فهى تنشأ فى ضعف ، ثم تسير الى قوة ، ثم تعود الى ضعف ، ثم تنتهى بموت .. وهى لا بد أن تنتقل فى هذه المراحل ، ثم أن تلقى حتفها أخيرا ، مهما أحيطت به من رعاية وحفظ . كالانسان ذاته ، لا بد أن يسير فى مثل هذه المراحل ذاتها مهما حذر وحاول ، بل كأى شىء مادى دخل تحت سلطان هذا الوجود ، لا بد أن تجده ممهورا بطابع هذا القانون : ضعف ، فقوة ، فضعف ، فموت .. !

وهم يعللون ادخالهم للحضارة فى هذا الشمول ، بأن الحضارة ليست الا ثمرة جهود متناسقة بذلتها الموجودات الخاضعة لهذا الحكم ، بدءا من الانسان الى أصغر مظهر من مظاهر الطاقة . فلا بد أن ينعكس على الثمرة سلطان القانون الذى يخضع له المثمر .

وربما أدخل بعض هؤلاء الباحثين اسم ابن خلدون فى قائمة أصحاب هذا الرأى . وربما استدلوا على ذلك ببعض ما قد جاء فى مقدمته ، مما يشبه أن يكون تقريرا لهذا الرأى ..

والحقيقة أن ابن خلدون ، وان يكن شبه الحضارات بأعمار الناس ، ولكنه لم يقرر حتمية غروبها ، كالحتمية الثابتة لغروب أعمار الناس ، بل أسند كلا من نشأتها وقوتها وضعفها الى أسباب داخلة فى اختيار الناس وخاضعة لما من شأنهم أن يملكوه من طاقة وجهد . فهو

ليس من هذا الرأى وأصحابه فى شيء .
والحقيقة أيضا ان التعليل الذى يعتمدونه لذلك ، تعليل باطل ، وان جاء فى مظهره الشكلى منطقيا سليما .
ذلك لأن الوجود الذى يتصف به جنس الانسان والمكونات ينقسم الى قسمين :
وجود فردى ، يتمثل فى المشخصات الجزئية ، فهذا هو الذى يخضع لقانون الولادة والفناء وما بينهما من مراحل قوة وضعف .
ووجود نوعى ، يتمثل فى الماهيات المتنقلة ضمن سلسلة المشخصات المستمرة . وهذا لا يخضع للقانون المذكور ولا شأن له به ، فان الوجود النوعى للقوة مستمر متصل ، وان تنقل ضمن حلقات متغايرة فى سلسلة الموجودات الفردية أو الجزئية . وانما يتم النسيج الحضارى لأمة ما بقوة من هذا الوجود الثانى ، لا بحراسة قصيرة من الوجود الجزئى الأول .
واذا ، فالحق الذى لا مناص منه ، هو أن نجهد الفكر فى البحث عن أسباب هذا التخلف الذى نعانيه ، فان لذلك أسبابا عائدة الى تقصيرنا . وان للتغلب عليها وسائل خاضعة لجهودنا وامكاناتنا . وما الشيخوخة التى انتهت إليها حضارتنا اليوم الا ثمرة حكم اختيارى تسببنا له بملء اختيارنا وحريتنا .

ـــ ● ـــ

ان ما يسمونه بالتخلف أو ضعف الانتاج ، عندنا ، يعود الى أسباب ، سأتحدث عنها بالقدر الذى يسمح به المجال .. فلا جرم أنى سأختصر الكلام فى بعضها رغم أهميته ورغم الحاجة الماسة الى الافاضة فيه . ولكنى أترك لذهن القارىء الحصيف أن يفهم تفصيل ما أختصره ويقف على شرح ما أوجزه . وهذه الأسباب ما أظن أنها تزيد على الامور التالية :

أولا ـ فقد الاستقرار الفكرى والنفسى :

وهذا السبب ينشأ بدوره عن الوان شتى من الاضطرابات ، كلها موفورة فى مجتمعنا بحمد الله ، وهو الالهالعادل الذى لا يحمد على مكروه سواه .
ان من هذه الالوان ، الاضطرابات فى فهم القيم والمعتقدات ، ونشوء الصراعات المختلفة حولها .. فى كل الاماكن والمجالات ، بدءا من مدارس الاطفال ، الى مجالس الشورى ومؤسسات التشريع والتقنين .. !
ومن هذه الالوان الاضطرابات السياسية الناشئة عن عوامل خارجية كالعدوان أو الاحتلال الاجنبى لبقاع من البلاد العربية والاسلامية ، وما يتبع ذلك من استنزاف الفكر والقوى ، وتبديد الطاقات المختلفة على جبهات شتى .
ومن هذه الالوان اضطرابات الحكم الناشئة عن قلاقل داخلية أو خارجية .. يطول الحديث عن تحليل أسبابها والكشف عن خفاياها ، ومن

أهم نتائجها انصراف الحكام — فى أكثر الاحيان — الى بذل اكبر قدر من الفكر والجهد ، لتغذية الحــذر من شعوبهم ، وتشديد الرقابة على احوالهم وأوضــــاعهم وأوجه نشاطاتهم .

ان من البداهة بمكان ، ان هذه الاضطرابات — وهى نمــاذج لألوان كثيرة أخرى — من شأنها أن تعصف بالاستقرار الفكرى والنفسى فى كيان الامة ، وأن تجعلها عاجزة عن ان تتفرغ للنظر فى اى مشاركة حضارية أو نهضة علمية أو للعكوف على اى عمل انتاجى دائب .

ثانيا — فقد الثقة بين قطــاعات الأمة عامة ، وبين الحاكم والمحكومين خاصة :

وقبل ان اشرح لك هذا السـبب الثانى ، يجب أن اذكرك بأن الدخول فى أى مشروع انتاجى مهما كــان نوعه ، انما يعتمد قبل كل شىء على رصيد من التفاعل والتعاون ، ولا يمكن لشىء من ذلك أن يولد بجهود جانب واحد . وانما أعنى بالتفاعل والتعاون ذلك القدر الشامل الــذى يغطى رقعة الامة كلها ، فلا قيمــة لتعاون ينهض به أفراد طرف واحد ، مهما كثرت الافراد ، ومهما تنوعت اختصـــاصاتهم ، ومهما انبســط سلطانهم .

أى أن اتصافهم بكونهم طرفا أو فئة ، يفسد كل قيمة ذاتية لكثرتهم وقوتهم . ذلك لأن أول مظــهر من مظاهر قوة الطــرف الواحد — فى مثل هذا الصدد — أن يتلاقى على صعيد من التفـــاهم والتواثق مع الاطراف الاخرى . واخطــر بادرة لضعفه وخيبة مساعيه أن يتقــوقع سعيه ونشاطه الاصلاحى ضــمن واقعه الخاص به وجانبــه الذى لا يشركه فيه غيره .

ان فئة ما من أفراد الأمة تستطيع بقوتها أن تحطم دولة وتقهر شــعبا وتسيطر على حكم، ولكنها لا تستطيع ابدا أن تخلق بقوتها هذه تقــدما وازدهارا وانعتاقا من أسباب التخلف والضعف . ذلك لأن بين طبيعــة الأمرين فرقا كبيرا :

الأمر الاول منهما لا يعتمد الا ما لدى تلك الفئة من عزيمة وقوة ودقة تخطيط .

أما الامر الثانى فانما ينهض على استخراج أسباب القوة ومقــومات التقدم من جميع فئات الشــعب وأفراده ، ثم ضــفرها جميعا فى سبيل الرقى والانطلاق . ان الأمر الاول ليس أكثر من لكمة تسدد الى هدف ، وانمــا يكفى من أجلها يد واحدة ، أما الامر الثانى فانما هــو كالتصفيق لا ينبعث صــوته الا باجتماع الكفين والتقائهما — فى خيرة وحرية تامة — على القيام بعمــل واحد .

ولنتأمل فى مثال واحد ، من أمثلة المشاريع التى تســـتهدف التقدم والازدهار . انه مثال العمــل على التنمية الاقتصادية .

ان (التنمية الاقتصادية) كلمة ارتفع لواؤها فى اكثر البلاد العربية منذ سنوات طويلة ، ولقد فاضت بالحديث عنها الاذاعات ، وامتلأت برسم حروفها الصحف والمجلات ، وفلسف الناس عنها فى مئات من المحاضرات والندوات . ثم وضعت لتنفيذها الوسائل والمخططات .. وتأتى اليوم بعد ذلك كله تبعث العين بحثا وراء نتيجة ذلك الغليان كله ، فتسمع جعجعة ولا ترى طحنا .. !

لماذا .. ؟ لأن الذين رفعوا لواء هذه التنمية وراحوا يهدرون بالحديث عنها ، انما انطلقوا فى ذلك من خطة انفردوا عن سواد الناس فى الايمان بها والاعتماد عليها ، فلم يقفوا — فى سعيهم هذا — على اى أرضية من التعاون مع الآخرين . فبقيت أسباب التنمية ووسائلها وأدواتها مبعثرة فى أيدى سواد الأمة ودهمائها على اختلاف طبقاتها ، وبقى فى أيدى أولئك الهائجين مجرد أوراق مكتوبة ومشاريع مخطوطة .

سيقول قائل : ولكن ما الذى يمنع سواد الأمة من التعاون .. ؟ ان العيب فيمن يدعى ثم لا يستجيب ، وليس العيب فيمن دعى فلم يستجيبوا له .

والجواب أن الذى يصد عن التعاون انما هو فقد الثقة. والثقة قاعدة أساسية لا بد منها بين يدى الانطلاق الى أى عمل اصلاحي لاسيما ان كان يستهدف ثمرة اقتصادية عامة .

ومن أين تأتى الثقة .. ؟

تأتى الثقة من مصدرين اثنين لا يغنى أحدهما عن الآخر ..

المصدر الأول : يقين الأمة باخلاص أولئك الذين يتحرقون فى الحديث عن التخلف والتنمية وأسبابها .. ولا مجال للاطالة فى هذا المصدر الاول، فلأترك التفصيل والشرح لحصافة القارىء الكريم ، كما قلت .

المصدر الثانى : التلاقي على مبادىء متفق عليها لمعالجة التخلف على أساسها ، ولاقتباس خطة التنمية وسبيل التقدم منها . فاذا لم يجتمع السواد الاعظم من الامة ، حكاما ومحكومين ، على مبادىء متفق عليها ، فان الدعوة الى التعاون فى سبيل وضع خطة للتنمية لا تلقى استجابة كافية ، لأن الثقة بهذه الدعوة معدومة ، أو هي من القلة والضعف فى حكم المعدومة . واليك المثال :

السواد الاعظم من هذه الأمة لا يرى للازدهار الاقتصادى وسيلة خيرا من تلك التى تعتمد على النظام الاسلامى فى شؤون المال والاقتصاد . فاذا قام من يضع خطة للتنمية الاقتصادية على هذا الاساس ، واستشم الناس صدقه واخلاصه ، أحدق به الناس من كل صوب ومدوا اليه يد التعاون بأشكاله المختلفة ، وقدموا له رؤوس أموالهم فى غبطة وسرور ، وازدهر من ذلك تعاون مثمر بناء .

أما اذا قام من يروج لمبدأ مستورد (أيا كان) يزعم أنه يبنى عليه منهاجا اقتصاديا رائعا ، فانه مهما روج لما يقول ، ومهما جادل عن مبدئه بالأدلة والبراهين ، ومهما استخرج أموال الناس من جيوبهم ، أو من تحت « البلاط » في بيوتهم ، فانه لن ينجح في العثور على أى استجابة مفيدة منهم . ذلك لأنهم لا يثقون بالمبدأ ، ومن ثم فهم لا يثقون بالداعى اليه ، ومن ثم فهم لا يثقون أيضا بالتقدم الاقتصادى المستند اليه .

ومرة أخرى اذكر القارىء بتجربة بنوك الادخار فى ميت غمر ، لقد كان رأس مال هذا المشروع قبل كل شىء الاستحواذ على الثقة .. ثقة الناس بأنه مشروع قام ليخدم مصالح الناس على سبيل من مرضاة الله ، ولم يقم ليستغل رؤوس أموالهم ويربح من وراء ظهورهم ، وانه ليس الا تحقيقا لمنهج القرآن فى محق الربا وتربية الخيرات والاموال لاصحابها ..

عندئذ ظهرت الاموال الحبيسة ، وتقدمت الايدى المتعاونة ، ودار دولاب العمل ، وسعى سعيه الحثيث العجيب ، وانتج نتائجه المعروفة لكل باحث ومهتم بحقائق الأمور .

ثالثا ــ اعتماد الهويات والتبعيات السياسية بدلا من الكفاءات العلمية :

وهذا السبب يتفاوت فى الشدة والضعف ما بين مجتمع وآخر .

ولكنه فى الجملة يعتبر من أخطر أسباب التخلف ، أيا كان نوعه ، فى بلادنا العربية .

وينبع هذا السبب من ظاهرة أشد خطورة وضررا ، وهى اتخاذ المذهب السياسى (الذى قد يعبر عنه بشعارات وألفاظ عدة) غاية مقدسة برأسها ، لا سبيلا الى تحقيق بعض مظاهر الخير للمجتمع . ان أعظم كسب تقدمى ، انما يتمثل (فى فلسفة من تعيش لديهم هذه الظاهرة) ، فى انتصار هذا المذهب بحد ذاته ! .. ومهما عظمت التضحيات وتلاحقت النكبات ، فان فى بقاء هذا المذهب سليما ، ما يهون شأن ذلك كله .

ان خطة التنمية الاقتصادية ، وبرامج التقدم العلمى ، ومقومات التوسع الصناعى ، كل ذلك ما ينبغى أن يأتى ــ فى فلسفة أصحاب هذه الظاهرة ــ الا فى دور الجندى المحافظ على وجود ذلك المذهب السياسى وسلامته .. !

واذا ، فأين تبقى الكفاءات العلمية المختلفة ــ وما أكثرها فى بلادنا ــ عندما تفضل أن تكون متحررة عن سلطان اى تبعية مذهبية أو سياسية ؟ .. انها تعيش متراكمة فوق بعضها فى أركان قصية جدا على هامش بعيد من الدنيا التى كان ينبغى أن توجد فيها .. ومن هم الذين يحلون أماكنهم من قيادة الحركة العلمية والنشاط الاقتصادى فى المجتمع .. ؟ انهم أصحاب تلك

الهويات والتبعيات السياسية .. !
وما ضر أنهم ليسوا من الطاقة والكفاءة العلمية فى شىء ما داموا يحملون فى صدورهم ، أو فى جيوبهم ، هذه الهوية .. !
ولك أن تتصور الضرر المزدوج من وراء هذه الظاهرة :

أولا : ضرر حرمان المجتمع من ارباب الاختصاص والكفاءات فيه .

ثانيا : ضرر انقياد المجتمع لجهال يخبطون به خبط عشواء ، ويدفعونه الى مغامرات وتجارب تستنزف كل عزيز من الطاقة والمال والعمر .. !

الا ان من أعظم جنايات الظلم أن يقول قائل : ان هذا الشرق العربى فقير فى العباقرة من الرجال ، والعظماء من أولى العلم ، وأن الغرب أغنى بهم من الشرق .

اجل ، انه لظلم عظيم للحقيقة أن يقول ذلك قائل . فالشرق العربى كان ولا يزال فياضا بالفطاحل من العلماء والعباقرة ، ولكنهم — لسوء طالع هذا الشرق — لم يجدوا يدا مخلصة تمتد اليهم ، ولم يروا أمامهم سبيلا مفتوحا لخدمة أوطانهم .
كثيرون هم هؤلاء العلماء .. تجدهم منثورين فى الزوايا ، يفكرون فى معضلة المعضلات وأصعب المعادلات : من اين يوفرون لأولادهم وذويهم رزقهم الضرورى .. ؟!

رابعا — عدم ضفر المعارف وأصول الثقافة كلها لمحاربة التخلف :

يظن الكثير ممن يثورون على التخلف وأسبابه ، ويخططون للتقدم بأنواعه ، أن مفتاح التقدم العلمى والرقى الاقتصادى كامن فى الوسائل العلمية ، والتنظيمات والتخطيطات المباشرة. ولا يتصورون أن للمعارف والاخلاق الانسانية وأصول الثقافة أى دور فى الموضوع .
فأنت ترى ان اهتمام هؤلاء الكثيرين منصرف الى الحديث عن التقنية وما يسمونه بالمناهج العلمية فى الاقتصاد وعملية الانتاج .. وربما توهموا أن الكثير من العلوم والمعارف الاخرى ان هو الا تفاهات نظرية تقصى الامة عن مجال العلم والانتاج .. !
هذه النظرة تنطوى على سذاجة بالغة فى تصور طبيعة الحياة ، وعلاقة العلوم المختلفة بعضها ببعض ، وعلاقتها جميعا بحوافز الجد والنشاط العملى .
ليست قواعد التكنولوجيا واصول الاقتصاد ، هى التى تخلق فى الامة سعيها العلمى ودأبها على التطور الاقتصادى ، بل هى ليست اكثر من سلم موضوع فى عرض الطريق . وانما الذى يوجد حوافز الصعود عليه ويخلق فى النفس رغبة استغلاله فى الوصول الى الهدف ، انما هو حصيلة المعارف الانسانية مضمومة الى الثقافة القومية ، أى ثقافة تلك الامة المتمثلة فى لغتها وآدابها وتاريخها وأعرافها .

فالجماعة التى لا تملك حصيلة كافية من ذلك كله ، لا يمكنها أن تتصور وجه الاستفادة من سلم العلوم والصناعات ، بل لا يمكنها أن تستهدف أى غاية علمية تسيطر على كيانها ورغباتها بالدفع والتحميس .

لا بد لمن يؤرق فكره لنهضة علمية وتقدم صناعى فى بلده ، أن يبدأ السبيل الى ذلك بتنمية هذه المعارف الانسانية والثقافية بدءا باللغة وحل مشكلاتها وترقية آدابها وترسيخ جذورها ، الى التاريخ واستخراج صورة حقيقية (غير مشوهة) عن علاقة الامة بماضيها وعن تقويم ذلك الماضى دون تبديل ولا تغيير ، الى التشريع والقانون وبسط موازين العدالة فى المجتمع ، الى الاخلاق والتربية وتلمس جذورها الانسانية البعيدة .

فاذا ما غذيت الامة بهذه المعارف وانصبغت بها عواطفها ووجداناتها ، تكونت لها من ذلك الرغبات الدافعة والآمال المهيجة . وعندئذ تجد نفسها بسبيل من الاستفادة من العلوم وقوانينها .

وما قامت ثورة انسانية فى تاريخها القريب أو البعيد ، فنجحت فى تحقيق آمالها ، الا لأنها اتجهت بالاهتمام الى جميع شروط النهضة فحفلت بها وأولتها كلها العناية والرعاية الكافية . وما قامت ثورة تستهدف الرقى والاصلاح فأخفقت ، الا لأنها — فى أحسن أحوالها اخلاصا — حصرت اهتمامها ، فى سذاجة وبساطة ، فى الاسباب اللماعة المباشرة للقفزات العلمية والصناعية، فجمدت أمام هذه الاسباب دون أن تقتحمها ، واكتفت بعبارات التغزل بها والاطراء لها ، ثم انتهت كما بدأت لم تستفد علما ولم تحقق رقيا .

لقد قامت الثورة الفرنسية ، وهى نموذج للثورات الناجحة فى تاريخ العالم ، فهل تظن أنها حصرت اهتمامها ، بهذا الشكل الساذج ، فى معالم الاصلاح الضيقة ، ووقفت عند حدود أسبابها المباشرة ؟. انها لم تنجح الا لأنها نظرت نظرة اصلاحية الى الحياة الفكرية والانسانية (عندهم) بكل جذورها وجوانبها وتاريخها وآدابها .

وحسبك لتصور هذا المعنى الذى أقول أن تعلم أن هذه العبارات التالية كانت من أبرز ما ركز عليه البيان الاول لمجلس الثورة الفرنسية .

« أيها المواطنون : ليدفع كلا منكم تسابق مقدس للقضاء على اللهجات فى جميع أقطار فرنسا ، لأن تلك اللهجات رواسب من بقايا عهود الاقطاع والاستبداد » .

ولا ريب أن كثيرا من الناس ، عندنا ، يعجبون من أن تعنى الثورة الفرنسية فى أول بيان لها بمثل هذه الشئون التى قد يظنونها تافهة . ولكن السذاجة كل السذاجة فى أن نراها ، وأشباهها ، تافهة ولا نوليها العناية ، ولا نجعل من هذه العناية

اساسا لتحقيق اهم مظاهر التقدم والاصلاح .

ولو تأملت واقعنا الذى نعيش فيه ، لرأيت الاهمال محيطا بمعارفنا الانسانية وأصولنا الثقافية ، ولرأيت ميادينها مسرحا لفوضى الاغراض والآراءِ ، ولرأيت انعكاسات الشقاق والاضطراب تنقدح منها الى حياتنا الاجتماعية دون توقف .

خامسا ــ التجزؤ بمختلف مستوياته :

وأقصد بذلك ، التجزؤ الذى يبدأ فى الاسرة الواحدة ، ثم يتعداها الى الحى الصغير ، فالبلدة ، فالاقليم ، فالامة العربية بمجموعها . وأصغر هذه الدوائر سبب للذى بعده ، وهكذا ..

ولست أهدف مما اقول الى زعم ان الخلاف ما ينبغى أن يوجد ، والآراء المتباينة ما ينبغى أن تطرح . لا .. فان أى عاقل من الناس لا يزعم ذلك ، ولا يحيى الناس ، طالما كانوا مجتمعين ، الا فى ظلال من مخض الآراء والأفكار المتخالفة .

ولكن الخلاف شىء والتجزؤ شىء آخر ..

التجزؤ هو النتيجة السيئة للخلاف . أما الخلاف بحد ذاته فيمكن ان يكون سبيلا الى تمحيص مفيد ولقاء مثمر ، ويمكن أن يصبح سببا فى تجزؤ قتال . والامة الواعية هى التى تعرف كيف تتخذ من خلافات جماعاتها سلما الى تمحيص الفكر وسبيلا للاتفاق أخيرا على ما هو الاصلح والاكمل . أما الامة المتخلفة فهى التى تترك الخلافات الناشئة فيها لتتحول الى بركان دمار وعلة تجزؤ واضمحلال .

فهذا التجزؤ من أهم الاسباب التى تكرس أسباب التخلف بشتى أنواعه، وهو تجزؤ يعيش فى حياتنا على شتى المستويات ، بدءا من أضيقها وهو الاسرة ، الى أوسعها وهو الامة العربية .

وعوامل هذا التجزؤ عديدة ورهيبة .. لا مجال فى هذا الصدد للوقوف عندها وتفصيل القول فيها .

ولكنى اقول ، فى نطاق البحث عن سبيل مفيد للقضاء على هذا التجزؤ :

ان سبيل ذلك البدء بأضيق الدوائر ، وهو الاسرة ، ثم السير الى الاوسع فالأوسع ، الى أن ينتهى العلاج ويتوج بوحدة الامة العربية قاطبة . ولا ريب أن هذه المرحلة الاخيرة اسهل المراحل كلها ، بل هى تكاد تكون آلية بعد الانتهاء من المراحل السابقة .

اى ان سبيل توحيد الأمة العربية، لا يكون الا بالقضاء على اسباب التجزؤ فى الاسرة والبلدة والاقليم . ومن اعجب العجب أن تجد أناسا لا يعلمون الى اليوم هذا القانون

الطبيعى ، يثورون ويصولون بحثا — فى زعمهم — عن تحقيق الوحدة العربية ، فى الوقت الذى يزرعون فيه الارض التى تحت أقدامهم بمزيد من أسباب التجزؤ والتمزيق : يبددون الطاقات التى تعيش تحت أبصارهم ، ثم يبكون عليها ويبحثون عنها على طول الصحارى والقفار الفاصلة بين الاقاليم .. !!



هذه الاسباب الخمسة ، هى وحدها مكمن داء التخلف وضعف الانتاج فى بلادنا .

ولعلك ، ان تأملت ، رأيتها اسبابا متداخلة ، اى يؤثر بعضها فى تقوية بعض .

ومع ذلك فانها جميعا نتائج فرعية لسبب رئيسى خطير ، هو سبب الاسباب كلها . الا وهو انصراف المسلمين عن اسلامهم ، ونقضهم للبيعة التى كانوا بايعوها ربهم .

هذه حقيقة ثابتة لا جدوى فى انكارها ، بل لا سبيل لانكارها ، عند من آمن بالله الها واحدا موجودا متصفا بكل صفات الربوبية والكمال . غير أنها حقيقة خيالية لا جدوى من الحمل على اليقين بها عند من لم يؤمن بعد بهذا الاله . ونقاش ما بين هذين الفريقين لا ينتهى الى شىء .

غير انى انما أخاطب فى هذا المقال الموقنين بوجود الله عز وجل ، أو المتظاهرين بهذا اليقين على أقل تقدير .

ان عمارة هذه الدنيا أمانة ، يشرف الله بها عباده المسلمين طالما كانوا مسلمين فعلا .. فاذا انحرفوا استلب الامانة منهم واستودعها عند غيرهم ، وربما كانوا شرا منهم ، لا ضير .. فان الله لا يوقف عمارة الارض ومسيرة الحياة من أجل عيون الذين ارتدوا على أعقابهم وانحرفوا عن منهج التشريف والتكريم .. لا بد أن تظل الحياة مستمرة وقانونها نافذا ، ان لم يكن زمامها بيد هؤلاء كان بيد آخرين .. الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

واليك نصوص هذا القانون فى بيان الفاطر الحكيم :

— « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين » القصص : ٥ .

— « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا .. » النور : ٥٥ .

— « وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا ، فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين . ولنسكننكم الارض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد » ابراهيم : ١٣ و ١٤ .

— « إلا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ، ويستبدل قوما غيركم . ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير » التوبة : ٣٩ .

الاسس والآثار الحضارية في نظرة الإسلام العامّة

للدكتور مازن المبارك

لنقف الآن عند نظرة الاسلام العامة الى الكون والى الانسان لنرى ما فيها من اسس صالحة لبناء الحضارة ، ولنرى بعد ذلك ما ينتج عنها من آثار حضارية .

لقد كان للنظرة الاسلامية الى الكون والى الانسان اثرهـا البعيد فى تاريخ الحضارة وفى اتجاه تلك الحضارة ، كما كان لها اثرها فى تطور حياة الانسان وجعلها حياة مزدهرة مثمرة . ولقـد كان من ابرز خصائص هذه النظرة الاسلامية انها ارست للحضارة اسسا ثابتة تنطلق الحضارة عنها فى كل مجال ، وانها نظرة واقعية تحققت فى عالم الواقع لا فى اوهام الفلاسفة وخيالات المشرعين فكانت مثلا رائعا للحضارات على مدى التاريخ .

١ — ففي مجال الحياة الفردية كانت لنا ثلاثة اسس :

اولها : ان للفرد حرية تكفل له نشاطه ولا تصل الى حد الاضرار بمصلحة غيره .

وثانيها : انها ايقظت فى نفس الانسان ضميره ، فاصبح له من نفسه حارس عليه .

وثالثها : انها حررته من كل عبودية لغير الله تعالى .

اما الأساس الأول وهو ان تترك للانسان حرية لا تضيق حتى تشل حركته وتقتل موهبته ولا تستطيع حتى تطغى على مصالح الآخرين ، ففيه حل لمشكلة من ابرز مشاكل المجتمعات البشرية التي يدور فيها اليوم صراع شديد بين النظام الحر والنظام الموجه . ونحن نعتقد انه اذا اردنا أن نحفظ على الانسان انسانيته وعلى المرء مروءته فلا بد أن نتركه حرا ينطلق فى تحقيق مواهبه واستثمار كفاءاته ليتنافس الأفراد في تقديم الخير لأنفسهم ولمجتمعاتهم ، ولن يكون هذا التنافس فى ظل الاسلام وتحت اشرافه الا تنافسا خيرا يرعى حقوق الفرد وحقوق الجماعة . ونحن نستطيع أن نطبق هذا المبدأ القائم على الحرية المعتدلة فى كل ميدان من ميادين الحياة ، فنطبقه فى ميدان الفكر كما نطبقه فى ميدان الاقتصاد ، وذلك بان نترك للأفراد أن يفكروا كيف يشاؤون وان يكتبوا ما يشاؤون على الا يكون فى شىء من ذلك مساس بمصلحة جماعتهم وعقيدتها . ولقد كانت لهذا المنهج الحكيم ثمراته الخيرة فى تاريخ حضارتنا يوم طبق فلم يشل حركة الفكر بل هيأ للعالم علماء أفذاذا كابن سينا والغزالى وابن رشد وغيرهم ممن قال عنهم علماء الغرب انهم ظلوا اساتذة للغرب حتى القرن التاسع عشر . قال غرونباوم « ليس ثمة ميدان من ميادين الخبرة الانسانية لم يضرب الاسلام فيه بسهم ولم يزد ثروة الثقافة الغربية فيه غنى » ..

وأما الأساس الثانى ، وهو ايقاظ الضمير ، فمتصل بالأساس الأول اذ قد يجنح بعض الأفراد أو ينحرفون ، وتستعبدهم شهوة الكسب أو شهوة الشهرة فيظلمون المجتمع بوسائل كسبهم الجشعة كاحتكار القوت ، أو يسيئون اليه باتخاذ مخالفة العقيدة طريقا الى الشهرة .. فكان لا بد لهؤلاء وأولئك من رادع ورقيب فكان الأساس الثانى لذلك قائما على ايجاد ذلك الرادع وتنبيه الضمير ليكون حارسا امينا أو صمام امان يحرص المسلم على بقائه نقيا طاهرا يقظا لان الله سبحانه مطلع عليه وهو الذى يعلم الجهر وما يخفى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه .) . وأما اذا صدىء هذا الضمير أو قصر فى واجبه فان الحاكم يقوم بوظيفة الرقيب والرادع ليحفظ حقوق الجماعة من المنحرفين ويعيد الى المجتمع توازنه المطلوب .

واما الأساس الثالث ، وهو تحرير الانسان من عبودية الانسان ا[illegible] كان وربطه مباشرة بالله الخالق القوى ، فقد كان ذا آثار بعيدة فى [illegible] الانسانية من اقربها انه انقذها من حياة الفوضى والقلق تلك [illegible] تعيشها ، واوجد فيها سكينة وطمانينة اتاحت لها فرصة العمل [illegible]

النافع . ان الاسلام حين ربط نفس الانسان بالله فقد ربطها بمصدر قـوة كبرى تفزع اليه عند الملمات (ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسـه الشر جزوعا) ولقد قرر العلماء ان الايمان بالله هو الدواء الناجـع والوحيـد للتخلص من القلق والاضطراب النفسى ، وراحوا يعملون اليوم على ابراز هذا الجانب الروحى وبيان قيمته فى العلاج النفسى ، وحسبك ان تقرأ كتاب ((دع القلق وابدأ الحياة)) لديل كارلنجى وكتاب ((العودة الى الايمان)) لموريس كريسون .. فكارلنجى يقول ((ان اطباء النفس يدركون ان الايمان القوى والاستمساك بالدين كفيلان بان يقهرا القلق والتوتر العصبى)) ويقول الدكتور بريل ((ان المرء المتدين حقا لا يعانى قط مرضا نفسيا .)) والحقيقة أنه متى انتصرت النفس الانسانية على شهواتها ، وأصغت الى ضميرها ، وراقبت ربها ، وتحررت من كل عبودية لغيره ، اندفعت بناءة فى ميدان الخير تعمل لنفسها ولمجتمعها وللانسانية جميعا . هذا الى جانب مالصلة الانسان بربه من أثر فى رفعة الخلق وسمو الغاية .

٢ ـــ وفى مجال الحياة الاجتماعية وضع الاسلام التكافل الاجتماعى اساسا يقوم عليه المجتمع وهو تكافل عام شامل لكل ميدان ، لا يقتصر على توزيع الثروات أو اعانة الفقراء وانما يمتد ويعم حتى يشمـل ميدان الصناعات . وذلك ان الاسلام أوجب على المجتمع الاسلامى ان يكفى نفسه فان خلا مجتمع أو بلد من صناعة يحتاج اليها المسلمون فكل أهل البلد آثمون ومعنى ذلك أن على المسلمين اليوم أن يسهموا فى كل ميدان من صناعة النعال الى انتاج الذرة .

ولم يكتف الاسلام بجعل المجتمع شركة يتقاسم أبناؤه الأعباء والمغانم ، وانما جعله أسرة واحدة قائمة على المحبة والتعاون والتراحم تلك المثل التى يفتقدها عالم اليوم ، وواضح أن هذا الشعور العاطفى لم يكن ليفسد النظرة الموضوعية الى المجتمع وواقعه ، وحسبك بنظرة ابن خلدون مثالا للنظرة الموضوعية الاسلامية فى دراسة المجتمعات البشرية .

٣ ـــ وأما فى ميدان الانسانية عامة فكان الأساس الـــذى ارساه الاسلام ان البشر جميعا من اصل واحد والى مصير واحد ، وأنهم متساوون لا يفرق بينهم نسب ولا لغة ولا لون ولا جنس ، فالناس جميعا بشعوبهم واممهم ورجالهم ونسائهم .. مخلوقون للتعارف والتعاون على بناء العالم وازدهار الحياة . وكان من آثار هذه النظرة الاسلامية أن التقت لأول مرة فى تاريخ الانسانية امم وشعوب تعاونت على بناء العالم ورقى حضارته رغم ما بينها من فروق الجنس واللون واللغة . وكان من اثر هذه النظرة ايضا أن فاضت الحضارة الاسلامية بخيرها على العالم اجمع فتمتعت بها اقوام وأمم ، سواء منها من خضع لحكم المسلمين ومن لم يخضع .

٤ ـــ وفى ميدان العلم قامت نظرة الاسلام على اساسين : ايمانى

وتجريبي . أما الايماني فخاص بما أخبر به الله تعالى وما تنزل به الوحي ، وليس للمسلم الا ان يقبل ويسلم ، وقد اخبر الله تعالى انه قد تمت الرسالة وانتهى الوحي وختمت النبوات . وأما العلم التجريبي فهو الذي لفت القرآن اليه اذهان الناس وحثهم على البحث فيه واخضاعه بالتجربة العلمية الموضوعية لمنافعهم ، وقد رأينا كيف كان القرآن يحض على استخدام العقل والفكر في الآيات الكونية فكان صوته اول نداء مزق في العالم حجب الوهم والخرافة ودعا الانسان الى اكتشاف قوانين الكون ومعرفة اسراره .

وكان من اثر هذه النظرة أن نقل الاسلام العلم من مرحلة النظر الى مرحلة العمل والتجربة ، فعرف العالم المناهج التجريبية وعرف النابغين من العلماء كالبيروني وابن الهيثم والجاحظ والرازي .. وغيرهم ممن كانوا اساتذة العالم في الطب والفلك والكيمياء . وكان العصر الزاهر للحضارة الاسلامية عصر العلم والعلماء .

ولقد اثبت الاسلام — كما يقول غوستاف لوبون — أنه من اكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم . بل ان لوبون يصرح بان المناهج العلمية الحديثة مدينة للمسلمين وحدهم بالفضل الأول فيقول « لم يلبث العرب — وهو يعني المسلمين — بعد ان كانوا تلاميذ معتمدين على كتب اليونان ان ادركوا أن التجربة والترصد خير من افضل الكتب » ويقول : « ويعزى الى بيكون على العموم انه أول من أقام التجربة والترصد اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الأستاذ ، ولكنه يجب أن يعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم .. » ويورد لوبون آراء عدد من العلماء الذين يؤيدون رأيه هذا ثم يقول « قام منهاج العرب على التجربة والترصد ، واختبروا الأمور وجربوها ، وكانوا أول من ادرك هذا المنهاج في العالم ، وظلوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا » .

٥ — وأخيرا ، أرسي الاسلام اساسا لا بد منه لازدهار الحضارة الانسانية وسعادة البشرية وهو السلام ، فالاسلام والسلم والسلام من اصل لغوي واحد ، والله تبارك وتعالى هو السلام ، ولقد بلغ من حرص الاسلام على السلام ان اتخذه شعارا له فكان اول ما يذكر في اللقاء بين مسلمين بل كان هو شعار المسلمين يوم يقدمون على ربهم (تحيتهم يوم يلقونه سلام .) .

والحق ان الاسلام منح السلام للعقل الانساني الذي كان قلقا يبحث عن الخالق واسرار الكون فلا يهتدي ، ومنح السلام للنفس الانسانية التي كانت مضطربة تعتقد أنها في حرب دائمة مع الآلهة والأرواح الشريرة ، فهي دائمة اللهفة لاسترضائها ودفع سخطها فجعلها الاسلام مطمئنة راضية تؤمن باله واحد ، وهو اله يحبها ويفرح باهتدائها ويدعوها لانهاء الخصومة والاستسلام له أو الاسلام له (وأنيبوا الى ربكم واسلموا له .) (ومن احسن ممن أسلم وجهه الى الله وهو محسن .) ومتى وجد السلام في

النفس والعقل ، ومتى وجد فى الارض بين بنى البشر فقد وجد الاستقرار، ومتى وجد الاستقرار فقد وجدت الحضارة .

أ — على ان الاسلام لم يترك فكرة السلام مجرد دعوة أو مجرد فكرة قد تضعف أو تعصف بها شهوات النفوس الجامحة وانما دعمها بالقوة تحرسها وتسهر على تحميمها ، انه يؤثر السلام (فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) ولكنه يدعو الى ان تكون بجانب السلام قوة تدعم الحق الحق وتنتصر له فأمر باعداد القوة (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وامر بقتال الفئة الباغية (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله) .

وهكذا فقد هيأ الاسلام العالم للحضارة اذ أوجد لها ظروفها الملائمة ، وأية ظروف أجدى على الانسانية وحضارتها من دفع العقل البشرى الى التفكير والعمل والتجربة ، وتهذيب النفس وحراستها بالضمير وربطها بالله ووضعها موضع الرغبة فيه والرهبة منه ، ثم كفالة الاستقرار بتأمين السلام ؟؟ وأى دليل اصدق على ملاءمة هذه الظروف من دليل الواقع الحى الذى يشهد له التاريخ ؟ لقد شهد التاريخ لهذه المبادىء الاسلامية بالنجاح الواقعى . وشهد أنه بفضلها أخصبت الحياة وازدهرت فى ميادين التجارة والصناعة والزراعة والعمران ، ويكفى أن نتذكر ما كانت عليه عواصم العالم الاسلامى — يوم سادت تلك المبادىء — من تقدم وما بلغت الحياة فيها من رقى ، وما شاد الفن فيها من آثار ما زالت قرطبة وغرناطة والقاهرة ودمشق وبغداد شاهدة عليه حتى اليوم .

ان التاريخ ليشهد ان تلك الأسس وهذه الآثار الحضارية ليست شيئا يزينه الوهم أو يبدعه الخيال كما هو الأمر فى أكثر الدعوات وما تزخرفه للناس أو تغرى به السذج ، وانما هى أسس عرفها واقع الحياة الاسلامية وعرف العالم حضارتها ، بل لقد شهد لتلك الحضارة علماء ومؤرخون من غير المسلمين فكان منهم من قال : (لم يفتح الاسلام العالم ، ولكنه غزاه بحضارته .) وكان منهم من قال : (الحق أن أتباع محمد ظلوا أشد من عرفته أوربا من الاعداء ارهابا عدة قرون ، وأنهم كانوا عندما لا يرهبوننا بأسلحتهم كما فى زمن الحروب الصليبية كانوا يذلوننا بافضلية حضارتهم الساحقة .) وقال (ان للحضارة الاسلامية تأثيرا عظيما فى العالم . وأن أوربا مدينة بحضارتها للعرب) .

ونختتم بحثنا هذا بالتاكيد على أن هذه الأسس التى وضعها الاسلام للحضارة تمتاز بخصائص تجعلها اسسا صالحة لبناء حضارة انسانية عالمية فهى تمتاز :

اولا : بالنزعة الانسانية التى لا تعرف حدود الأرض او القوم أو اللغة ، ولا تقبل بتفرقة الجنس او اللون او غيرهما من العصبيات .

ثانيا : بالبساطة وعدم التعقيد مما يجعلها ملائمة لشتى الظروف ومختلف المتطلبات .

ثالثا : بالشمول لجميع جوانب الحياة التى تحتاج اليها الحضارة من خلق وعقل وعمل .

رابعا : يمتاز الجانب الاخلاقى فيها بشمول رائع للفرد والجماعة والدولة ، فكما لا يقبل الاسلام من الفرد مثلا ان يكذب او يخدع او يخون او يعتدى من أجل مصلحته الخاصة ، فكذلك لا يقبل هذه المفاسد من الجماعة أو من الدولة من أجل القوم أو الوطن أو سياسة الدولة ..

وبعد ، فان الحضارة الاسلامية ذات اساس ايمانى ، لأن الايمان بالله هو الاساس الأول الذى ترتكز اليه ، وهو ايمان يحرسها ويجنبها الكثير من العثرات ، ويجعل عطاءها عاما لجميع عباد الله . وهى حضارة تنبعث كما رأينا من نظرة الاسلام الى الكون والى الانسان ، تلك النظرة التى تعطى كل شىء فى الحياة نصيبه ، وتضع كل شىء موضعه ، فللايمان فيها موضع وعمل ، وللعقل فيها موضع وعمل ، وللروح فيها نصيب كبير ، ثم ان الروح والجسم فيها اليفان يساعد أحدهما الآخر ، ولا يطغى جانب فيها على جانب ، فلا ينسى الانسان فيها ربه ، ولا تطغى فيها العبادة حتى تشل العمل أو تعيق الانتاج .

على أنه يجدر بنا ان نشير الى أن الاسلام نظام شامل ، وانه اذا اردنا له أن يقوم نظاما حضاريا ، وأن يؤتى ثماره الطيبة فلا بد من رعاية الأسس التى نادى بها جميعا ، وأنه لا جدوى من الايمان ببعض الاسلام دون بعض الآخر . ولا بد لنا بعد ذلك ان ندرك أنه ما من مذهب من مذاهب الارض ولا دين من اديان السماء جاء كالاسلام بانيا للحضارة فى كل ميدان من ميادين الحياة فاذا هو فى حياة الفرد حرية لا تعرف العبودية لغير الله ، ولا تحدها فى الارض غير مصلحة الجماعة ، وهو فى نفس الانسان ايمان يدفعه الى العمل ويحضه على الاتقان فيه فان الله يحب اذا عمل احدكم عملا أن يتقنه ، وهو ضمير يقظ يحول بين المرء والآثام ، وهو بعد ذلك أمر للانسان بالعمل الدائم وبكل طاقاته لتسخير الكون لمنفعته ، واعداد القوة لاقامة الحق والعدالة والمساواة فى الارض .

هذا هو الاسلام ، وتلك هى نظرته ، فما أحوج عالمنا اليوم اليه والى نظرته لينظر من خلالها الى الكون والى الانسان ، وليبنى على أساسها حضارته الجديدة .

ما أحوج عالمنا اليوم الى هذه النظرة الاسلامية التى تحرره من اخلاق الجاهلية بما فيها من شرك آثم وخضوع لغير الله ، وبما فيها من شهوات رعناء ، وعصبيات ضيقة . ما أحوج عالمنا اليوم الى الاسلام ليعود الى الارتباط بالله خالقه العلى العظيم .

وما احوجه الى النظرة الاسلامية التى تتفرد بأنها وحدها من بين اديان السماء ومذاهب الارض تجمع ما فى الدين من سمو روحى الى ما فى العقل من طموح علمى الى ما فى العمل من فعالية دائبة ، مستثمرة ذلك كله فى سبيل المثل الاعلى والكمال المطلق .

ولا يسألنى سائل بعد الذى ذكرت أين هى اليوم أسس الاسلام فى حياة المسلمين ؟ ولا أين هى حضارة الاسلام فى واقع المسلمين ؟ فما أصدق من قال : ان الاسلام اليوم محجوب بالمسلمين .

عبد الله التل

للاستاذ : انور الجندى

لقد افضى (١) (عبد الله التل) الى ما قدم وعبر الى الشاطىء الآخر بعد أن أدى حق الله بالسيف والقلم فكان نموذجا كريما من نماذج المجاهدين المسلمين فى العصر الحديث فقد شارك عبد الله التل محاربا وقائدا عسكريا فى معركة فلسطين عام ١٩٤٨ وفتحت هذه المعركة الحاسمة التى انتهت بقيام اسرائيل ذهنه وقلبه الى الخطر الصهيونى العالمى ، ودفعته الى دراسة واسعة عميقة لهذا التحدى الخطير الذى واجه العرب والمسلمين فى العصر الحديث . وبذلك انتقل هذا المجاهد المسلم العربى من معركة الى معركة شأنه فى هذا شأن اللواء محمود شيت خطاب الذى اشترك فى نفس معركة فلسطين عام ١٩٤٨ ومنها انطلق الى دراساته الاسلامية والسياسية .

ولا ريب ان هؤلاء المجاهدين قد اقاموا فى العصر الحديث صورة صحيحة لمفهوم الاسلام نفسه الجامع بين الجهاد باليد والجهاد بالقلم ولقد كان كذلك عدد كبير من مفكرى الاسلام ورجاله .

ويعد عبد الله التل فى مجاله العسكرى حبة من عقد ظهر منه الشيخ القسام وعبد القادر الحسينى واحمد عبد العزيز . يقول : اكرمنى الله تعالى وقدر أن أكون قائدا للقوات العربية التى خاضت معركة القدس واستطاعت ان تطهر القدس القديمة من اليهود وتحفظ للمدينتين الاسلامية والمسيحية مقدساتهما التاريخية الخالدة . وانتصارنا فى معركة القدس أبقى للعرب منطقة نابلس ومنطقة الخليل ، لأنه لو قدر لنا أن نخسر المعركة وننسحب من المدينة لما بقى بيد العرب شبر واحد فى فلسطين . ذلك لأن مدينة القدس هى الدعامة التى ترتكز عليها الميمنة (نابلس) والميسرة (الخليل) كما أن بيت المقدس هو فلسطين ومن يمتلكه وما فيه من مقدسات خالدة يعد مالكا لفلسطين ومن يخسره يخسر فلسطين كلها .

وقد استطاع عبد الله التل عرض القضية فى دراساته المختلفة : وأولها (كارثة فلسطين) ، الذى اصدره عام ١٩٥٩ وكان قد هاجر الى القاهرة فى اكتوبر ١٩٤٩ وبدا يدرس هذه القضية دراسة متأنية واسعة شاملة . ثم اصدر كتابه الضخم (خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية) عام ١٩٦٤ ثم اتيحت له فرصة اخرى لاعداد دراسة ضخمة قصد بها نيل الدكتوراه من جامعة الأزهر نشرها فيما بعد تحت اسم (جذور البلاء) (عام ١٩٧١) .

وفى كل هذه الدراسات التى استمرت أكثر من عشرين عاما لم يدع (عبد الله التل) شاردة ولا واردة حول هذه القضية فى أفقها الواسع المتصل بالصهيونية العالمية وبالاستعمار وبتاريخ اليهود منذ الوف السنين حتى اليوم ، كل ذلك فى اسلوب دقيق ومنطق علمى .

وكان (عبد الله التل) هو فى مقدمة المفكرين والقادة الذين اعلنوا الحقيقة التى أوصلهم اليها علمهم وتجربتهم وهى : « أن قضية فلسطين هى قضية دينية مقدسة فى المقام الأول وان أية معالجة لها لا تكون على أساس دينى جهادى مكتوب عليها الاخفاق لا محالة » .

يقول : « وايمانى هذا مبنى على تجارب عسكرية عشتها وحقائق تاريخية لمستها ووعيتها» .

ويشير فى هذا الى تجربة الجزائر التى قامت على هذا الفهم الواضح .

« لم أنس بعد تجربة الثورة الجزائرية الكبرى التى هزمت الاستعمار الفرنسى وقضت على خرافة فرنسة الجزائر يوم خيل للاستعمار انه استطاع القضاء على عروبة الجزائر فجاءت الثورة وسلاحها الأول : (جهاد دينى فى سبيل الله) مخيبة لآمال الغرب ومؤكدة عظمة الطاقة الكامنة فى الاسلام فتمت المعجزة واستقلت الجزائر بعد استعمار فرنسى بشع دام (١٣٠) عاما كاد خلالها ان يهلك الحرث والنسل وأن يقضى على اللغة العربية ، بيد انه أخفق فى القضاء على الاسلام » .

وقد هاجم عبد الله التل منذ ذلك الوقت البعيد تلك الدعوات المنحرفة التى كانت تخرج معركة فلسطين من مضمونها الأصيل ومفهومها الصحيح يقول :

« ويتناسى دعاة العلمانية الذين يسقطون من حسابهم العامل الدينى فى قضية فلسطين : انها القضية الوحيدة فى العالم التى قامت منذ ثلاثين قرنا وما زالت تقوم على أسس دينية روحية ، وانه ان صحت معالجة اية مشكلة على أسس مادية فان قضية فلسطين لا تعالج الا على اسس دينية بالدرجة الأولى وأسس مادية بالدرجة الثانية ويتناسى قادة الأحزاب والحركات العربية العلمانية ان جميع المعارك الحاسمة فى تاريخ العروبة والاسلام من القادسية واليرموك وحطين وعين جالوت الى بور سعيد والجزائر كانت صيحة الحرب فيها دينية مقدسة : الله اكبر » .

ولقد صدق الله وعده فكانت معركة العاشر من رمضان على النحو الذى تمناه لها (عبد الله التل) ولعل روحه قد قرت ورضيت بأن تحول تيار الفكر الاسلامى العربى نحو هذه الحقيقة واصبح موقنا بها .

كذلك أشار (عبد الله التل) فى دراساته الى القوى المادية فى الوطن

العربى مثل البترول وقال انها أسلحة خطيره لا بد من استخدامها لكسب المعركة وقد تحقق ذلك .

ولقد كان على قدر كبير من الوعى والايمان حين قال :

« اما اذا اقتصرنا على استخدام السلاح المادى فى المعركة فان قوى الأعداء المادية تفوق قوانا ولا يمكن التغلب عليه فى مجال المادة وحدها فاذا ما ضممنا « القوة الروحية الكامنة فى الاسلام » الى قوانا المادية نتج عنها قوة عظيمة وطاقة جبارة » .

ولقد كان فهم عبد الله التل ــ رحمة الله عليه ــ لهذه القضية الحاسمة فهما عميقا وحاسما فلم يكن من أمثال الباحثين والمؤرخين الذين يقفون عند الأحداث وحدها ولكنه كان قادرا على النفاذ الى الأعماق وتحليل الأزمة على نحو لم يعرف الا عند عدد قليل من المقتدرين فهو من ناحية يصل الى أعماق الايدلوجية التلمودية قديما منذ خصومة اليهود للاسلام فى المدينة ويتحدث عن الدور الذى قام به اليهود فى المنفى البابلى حين أعادوا كتابة التوراة على طريق المطامع والأهواء على النحو الذى كشفه القرآن الكريم ، وقطع بالرأى فى علاقتهم بسيدنا ابراهيم عليه السلام وكيف كانوا يخفون الجانب الاسماعيلى العربى من تاريخه ليقصروه على جانبهم الاسرائيلى وحده واستطرد الى فهم اليهود للحياة وعبادتهم للذهب واشتغالهم بالربا وكيف كانت أقامتهم الأولى فى فلسطين سوداء الصفحة مفعمة بالقتل والذبح والنهب والسلب والبطش والارهاب والغدر والاسر والسبى وكيف ان عمليات القتل الجماعى والفتك بالناس دون النظر الى الجنس والتمييز بين الرجال والأطفال والشيوخ قد اوجدها اليهود انفسهم ولم يسبقهم اليها شعب من شعوب الأرض ومن يقرأ سفر استير فى التوراة وهو سابق على عهد الرومان فى فلسطين يجد كيف أن اليهود قد ذبحوا (٧٥) الف نسمة فى يوم واحد بايعاز من هذه اليهودية الجميلة التى استغلت جمالها عند ملك الفرس وهم يعتزون بهذا اليوم ١٤ مارس ويعتبرونه عيدا قوميا لهم (٢) .

ثم يتحدث الكولونيل عبد الله التل عن التلمود ويورد تاريخا مطولا للأحداث ويكشف موقف أوربا من اليهود وكيف استطاعوا السيطرة عليها بالثورة الفرنسية وكيف أمكنهم احتواء الفكر الغربى المسيحى ثم كيف قاومتهم أوربا وفتحت لهم الطريق الى بلاد العرب والمسلمين تخلصا منهم .

ثم يصل عبد الله التل الى كشف جوانب خطيرة من التاريخ الحديث غابت عن كثير من شبابنا ومثقفينا ، مما يختلف عما أوردته كتب التاريخ التى قررها الاستعمار فى مدارسنا العربية والاسلامية . وكيف نشأت الماسونية وجمعية بناى برث ثم كيف ظهرت الصهيونية وحركة التنوير وكيف جرت الحركة من اجل اسقاط الدولة العثمانية والخلافة الاسلامية وذلك كله مما لم يكشف الستار الا عن جانب منه كان لعبد الله التل فضل اى فضل فى الكشف عنه وخاصة فى كتابه (جذور البلاء) .

ولا ريب ان المسلمين والعرب فى حاجة كبرى الى أن يعرفوا هذه الجوانب الخفية وأن يصلوا الى هذه الابعاد الحقيقية التى تكشف لهم ابعاد الموقف الخطير الذى يعيشون فيه والذى ليس قاصرا على وجود احتلال استيطانى يهودى فى فلسطين وانما هناك محاصرة ضخمة للعالم الاسلامى

ومخططات خطيرة فى سبيل احتواء العالم الاسلامى . فكره وتراثه وثروته وكيانه كله . وان هذا العمل بدا من وقت بعيد واستهدف فى أول الأمر احتواء الفكر الغربى المسيحي وقد تحقق ذلك ثم مضى للسيطرة على الفكر الاسلامى بالحرب العالمية الاولى والثانية وقد انكشف ذلك كله بتسرب بروتوكولات حكماء صهيون عام ١٩٠٢ ميلادية،هذه البروتوكولات التى حجبت عن المسلمين والعرب اكثر من خمسين عاما حتى يظلوا جاهلين ما يدبر لهم .

ويكشف عبد الله التل عن أن اليهود هم الذين أضرموا نار الحربين العالميتين الأولى والثانية وتسببوا فى قتل أكثر من ٤٠ مليون مسيحى .

ويصل عبد الله التل الى اعلان حقيقة هامة حين يقول : لقد كان سقوط الخلافة الاسلامية هو العامل الأول فى انجاح خطة اليهودية العالمية لاغتصاب فلسطين ، صحيح ان الوعد (وعد بلفور) قد صدر فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ قبل احتلال فلسطين وانهيار الخلافة ، الا ان ذلك الوعد كان نظريا ولم يترجم الى حقيقة وعمل الا بعد أن اقتحم الجنرال اللنبى مدينة القدس من باب الخليل وقال عبارته المشهورة : « الآن انتهت الحروب الصليبية » . هذا الجنرال اللنبى الذى ظن انه ينتقم لهزيمة حطين ويسترد سلطة الصليب على بيت المقدس كان جاهلا لا يدرى انه آلة صغيرة فى الجهاز الكبير الذى تسيره اليهودية العالمية لتحقيق اهدافها الجهنمية : اذ لم تكد تمضى بضعة أشهر على حكم الانتداب البريطانى على فلسطين حتى أصبح واضحا ان حكومة الانتداب مجنده لخدمة اليهود وتسهيل عملية استيلائهم على مرافق فلسطين لتحويلها الى دولة يهودية لا مكان فيها لهلال ولا صليب .

ثم كيف نذكر انهيار الخلافة الاسلامية دون أن نشير الى أن اليهودية العالمية كانت عاملا قويا فى ذلك الانهيار . فاليهود لم ينسوا ان السلطان قد رد الصهيونى الاكبر هرتسل وايقنوا انه لا أمل لهم ولا فائدة فى السلطان فقررت الحكومة اليهودية المستورة القضاء على الخلافة وحينما نجح اليهود فى تحطيم الخلافة لم يكتفوا بذلك وانما رسموا لتركيا خطط المستقبل قرروا ان تتخلى تركيا عن الخلافة وعن اللغة العربية وان تتخلى عن الاسلام ثمنا لتأييد دول الحلفاء لها فى ثورتها التى قادها مصطفى كمال باشا ولقد كان الوسيط الذى اشرف على تنظيم اتفاقية الحلفاء مع مصطفى كمال هو الحاخام حايم نحوم الذى كان فى تركيا قبل انتقاله الى مصر حاخاما أكبر ليهودها (٣) .

وهكذا كشف عبد الله التل حقائق كثيرة وقدم فى مجال الفكر والعقيدة جهدا بالغا له أجر المجاهد الشهيد ، فكان بالقلم محاربا كما كان من قبل بالسيف وقد جمع الحسنيين ، مقاتلا بالكلمة ومقاتلا بالمدفع فى سبيل القضاء على أكبر خطر يتهدد الاسلام والعالم الاسلامى فى هذا العصر فجزاه الله أجر العاملين وكتبه فى الابرار المجاهدين .

---

(١) توفى عبد الله التل فى اواخر عام ١٣٩٣ هـ ولم ينتشر خبر وفاته الا بعد ذلك وقد قرأنا أول نعى له فى مجلة (العرفان) التى تصدر فى صيدا فى عدد اخير وصلنا خلال شهر صفر ١٣٩٤ هـ .

(٢) اقرأ ذلك بالتفصيل (ص ٣٦) من كتاب خطر اليهودية العالمية للكولونيل عبد الله التل .

(٣) راجع ص ٢٣١ من كتاب عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية .

صلاة

قصيدة للشاعر فى مهرجان عيد الشهداء بدمشق
٦ مايو ١٩٧٤ .

ماذا اغنى ؟

والسماء بقدسها وبنورها ،
غنت لهم ؟؟
والارض الملت العبير وضمخته ،
بعاطر من ذكرهم
والله قربهم ، ومد العرش اظلالا ،
لرفرف خلدهم
وكتائب الاحرار شدت فى النضال ضياءها ،
من دربهم
وخطا الشعوب تضل ان لم تستمد حياتها
من خطوهم
.. عرفوا طريق الخلد ، فاتجهوا اليه ،
وعانقوه بعمرهم
وبروحهم ، وبسرهم ،
وبكل ما ملكت منابت كرمهم ،
وبكل ما وهبته اقداح الحياة
لدمعهم ولخمرهم ..
بالنور .. والاغلال ترفض ضوءه
من عزة فى ليلهم

للشهداء

للشاعر محمود حسن اسماعيل

بالحـب .. والأغـلال تنسـخه لـظى ،
متاججا مـن سخطهـم
بالـدم .. وهـو النـار عاطشـة مدمدمـة ،
لساعـة ثارهـم
بالحلـم .. وهـو تميمـة الجبنـاء ،
تخجل أن تطوف بمهـدهم !
بالـروح .. وهـى الطائـر المجـروح ،
من غيظ التـراب بارضهم
بوجودهـم .. ووجودهـم هذا التـراب الحـر ،
يصرخ تحتهـم :
ان لـم أكـن حـرا ، فلا عبـرت على وجهـى
عروبـة وجههم !
ردوا عليـه بـان سقـوه ، بـكل آخـر قطـرة
مـن كأسـهم
بدمـائهم ، بفـدائهم ، بمضـائهم ،
قطفوا الحياة بموتهـم
واللـه ما ماتـوا .. ولا عـرف البـلى عرقـا
يجف بجسمهم !
عرفـوا طريـق اللـه ، فاتجهـوا اليـه
وبايعوه بعمرهم !!

من هــؤلاء ؟

هــم الذين مشــاعل الانســـان تحمــل ضــوءهم

صنعــوا من الآجــال مصبــاحا ، عرفــت بــــه

اشعـــة شمسهم

فعرفتهـــم .. لمـــا رايت العــار تغسلــه الدمـــاء

بجرحهم ..

وعرفتهم .. لمـــا رايت الـــذل يحصـــده الابـــاء ،

بكبرهم ..

وعرفتهـــم .. لما رايت اليـــاس بـــدده اليقيــــن

بعزمهم ..

وعرفتهــــم .. لمـــا رايـــت الأرض ترفع راســـها

من بأسهم ..

وبـــــكل يـــوم تشتهيهـــم حاصـــدا لعـــدوهـــا

من تربهـــم ..

وعرفتهـــم .. لما رايـــت كرامـــة الأوطان تهـــزج

باسمهم ..

وعرفتهم .. لما استـــعدت وجـــود وجهى فى الوجـــود

بيومهم ..

قـــد كـــان ضـــاع ، وضـــاع . حتـــى عـــاد

ممتشق الابـــاء بكفهم !

شهـــداء .. تخشـــع كـــل ذرات الفضـــاء ،

لهالـــة من طهرهم

وتميس رايــــات المعـــارك كلمـــا نشقـــت

معارج عطرهم !

كل البطولـــة قطرة شربـــت رحيـــق مضائهـــا

من بحرهـــم

كــل الثــرى عبــــد اذا لـــــم يرشــــقوه
بوقدة من جمرهم ..
شهـــــداء !! صــوت الحــق جلجـــل كالأذان ،
محلقا من صوتهم ..
شــهداء .. ريــح النصر هبت مــن لظى قبس اللظى
من صدرهم
نبحــوا اســـــاطير الطغــــاة .. ولقنوها آيــــــة
من درســـهم
ومضـــــوا .. ويمضـــى كـــــل يـــوم للفــرادس
زائــر من ركبهــم
حتى تغـــرد فــى التـــراب حقيقـــــــــــــة
تشجى سرائر طيرهم
.. حييتهـــم فـــى كل شبـــر اهلكـــوا فيــــه
ســلاسل قيدهم
وعـــــــرجت بالأوتــــــــــار حتـــى شــــــارفت
الق النبوة حولهــم
وطرقــت بــــــاب الخلــــد اســــــال اى روض
فى الأرائك ضمهم ؟
وبــــاى رفـــرف جنــة املاكهــــا وطيورهـــــا ،
حظيت بهم ؟
فعلمـــــــــت ان اللــــــــــه كرمهـــــــم
ونعم بالشهـــادة قربهم !!
ماذا اغنى ؟؟ والســماء بقدسها وبنــورها غنت لهــم
.. فاذا شدوت .. فلن اكون سوى صدى لقصيدة من
شـــعرهم !!.

منهج الاسلام

للدكتور محمد فوزى فيض الله

١ ــ ربما كانت هذه التسمية حديثة فى البحث الاسلامى ، وربما كانت المانيا المهد الأول الذى نبتت فيه فكرة التضامن أو التكافل الاجتماعى فى العصر الحديث ، ومنها انبثت الى الأقطار الاوروبية ثم الشرقية ، وكتب فيها الباحثون والمقننون .

لكن هذا لا يعنى أبدا ، خلو النظام الاسلامى من فكرة التكافل ، أو غض نظره عنها ، أو اهماله أو تقصيره فى تطبيقها . وسنرى فى هذا البحث القصير ، كيف أن الاسلام سبق الى فكرة التكافل الاجتماعى ، وأقام لها نظرية مستقلة ، ورسم لها الخطوط العريضة ، ووزع المسئولية فيها على المجتمع المسلم وجهاته ، وأشرف الحاكم والمحكوم على السواء على تطبيقها ، كما يتضح ذلك من الصور العملية ، والوقائع التاريخية ، التى أبرزتها فى المجتمعات الاسلامية ، فى عهود النهضة ، وأزمنة التخلف .

٢ ــ ويمكن تحديد التكافل الاجتماعى ــ بوجه التقريب ــ بأنه : تنظيم مالى دينى ، يقوم على فكرة التعاون بين الدولة وبين الكاسبين ، افرادا وجماعات ، لسد حاجات الفقراء ، وحفظ كرامة المحرومين ، وتهيئة سبل العيش الكريم لهم ، من غير استغلال أو تجاوز .

وليس من المهم فى الاسلام التحديد الصورى ، بعد تحقيق التكافل روحيا وعمليا فى المجتمع ، بدون اعتبار العرق والدم ، والعنصر واللغة ، ومجالات الاقتصاد ، وبيئات الفلاحين والعمال ، كما اقتصرت عليها بعض المذاهب الاجتماعية المادية الحديثة ، فهبطت ، واستهدفت للنقد اللاذع ، الذى قلل من انسانيتها .

كما يمكن رسم الهدف منه فى الاسلام ، وهو ــ كما يبدو من التحديد ــ : قطع دابر الفقر ، والعوز ، وصون كرامة الانسان ، واحباط أساليب التجاوز والاستغلال ، فى المجتمع الاسلامى .

٣ ــ وقد وزع الاسلام المسئولية التكافلية ــ اذا صح هذا التعبير ــ على جميع الجهات التى يتصدر منها الامداد المادى ، فى المجتمع الاسلامى ، بادئا بالفرد المسلم ، ومنتهيا بالدولة المسلمة ، والمجتمع الاسلامى موصول الرحم ، موثوق عرا المودة ، يتعاون أفراده على الخير فيما بينهم ، لاصلاح شأنهم كله ، فى الدين والدنيا ، متضامنين .

وقرر الاسلام ــ فى هذا الصدد ــ مبادىء ، من شأنها اذا طبقت أن تيسر تحقيق التكافل الاجتماعى فى الأمة ، وأن تقطع السبيل على كل ما يعوق وجوده أو يناقضه ، ثم حصر المسئولية التكافلية فى أربع جهات :

في التكافل الاجتماعي

١ ــ الجهة الاولى : مسئولية الفرد .
٢ ــ الجهة الثانية : مسئولية ذوى القربى .
٣ ــ الجهة الثالثة : مسئولية الجماعة المسلمة .
٤ ــ الجهة الرابعة : مسئولية الدولة .

وسنلم بهذه الجهات إلماما خفيفا بعد لمس سريع للمبادىء الشرعية الأولية المؤيدة ، التى تحقق التكافل تلقائيا ، وتحبط كل ما يعوقه .

اولا ــ المبادىء الأولية المؤيدة :

٤ ــ ان تكافل المسلمين ــ بالمعنى الذى رسمناه ــ حكم شرعى أصلى ، قرر له الشارع مبادىء سلبية ، وإيجابية ، وأخلاقيــة : من شــأنها أن تيسر تحققه ، وأن تحول دون تركز المال فى أيد قليلة .

القسم الأول ــ المبادىء السلبية :

٥ ــ ونعنى بها تحريم الاسلام كل كسب غير مشروع ، من ذلك ــ على سبيل المثال ــ :

أ) الربا .. وقد حرمته الأديان السماوية كلها ، لما فيه من اســـتغلال كدح الآخرين ، دون تعرض لتعب أو مخاطرة . وكذب اليهود بزعمهم حله لهم ، ونطق القرآن بتحريمه عليهم .

ويؤخذ من نصوص الشرع فى الربا انه محرم عموما ، والتحريم يشمل القليل والــكثير ، والاســتهلاك والانتاج ، وقد أكد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلغاءه فى حجــة الوداع ، التى لخص فيها خصــال الدين ، وخص بالذكر ربا عمه العباس ، وكان يمول التجار والمستوردين .

ب) الاحتكار :

وهو حبس ما يحتاجه المســلمون من السلع الضرورية ، ابتغــاء غلاء الأسعار ، بوقوع الأزمات . ولا شك أن هذا مطلب سيىء ، بل هو أنانيــة مسرفة ، ينطبق عليهــا المثل العربى القديم : « نعمَ كلب فى بؤس أهله » . وقد ورد فى الترهيب منه حديث : « من احتكر حكرة ، يريد أن يغلى بها على المسلمين ، فهو خاطىء ، وقد برئت منه ذمة الله ورسوله » .

جـ) الغش :

وقد حرمه الشرع لانطوائه على الخيانة ، وإلحاق المكروه بالآخرين . وفى الحديث : « من غشنا فليس منا . والمكر والخداع فى النار » .

٦ ــ وحرم الاسلام كل ما فيه أخذ مال الآخرين بغير حق : كالسرقة ، والغصب ، والقمار ، والرشوة ، وأكل أجرة العامل ، وقرن ذلك بقتل النفس ،

فقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم** » . وفى الحديث : « لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا من أخيه إلا بطيب نفس منه » .

القسم الثانى ــ المبادىء الايجابية :

٧ ــ ونعنى بها توزيع المال بين المسلمين بما يكفل تفتيت الثروة ، ويمنع تكتلها فى جانب أو جوانب محدودة . فمن ذلك :

٨ ــ أ) **التقريب بين الطبقات ،** باستغلال بعض المناسبات ، لايجاد نوع من التوازن بين الناس . كما فعل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى أموال بنى النضير التى صالحهم عليها ، فقد وزعها على المهاجرين على التخصيص من دون الانصار ، لأنهم افتقروا بسبب الهجرة ، والخروج من ديارهم وأموالهم ، ولم يشرك معهم سوى ثلاثة من الأنصار ، كانوا فقراء .

وكما امتنع عمر ــ رضى الله عنه ــ من تقسيم أراضى العراق بين الفاتحين ، الذى اقتضته النصوص ، واكتفى بأخذ خراجها للدولة ، ووجد مستنده فى قوله تعالى : « **كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم** » .

ب) الميراث :

٩ ــ فبينما حظرته بعض المذاهب المادية باطلاق ، وحصرته بعضها فى أفراد محدودين ، عمد الاسلام الى التوسط ، فوزع التركة على الأقارب الأقربين والأرحام ، بحيث تتحول الملكية الضخمة فى التركة ، الى ملكيات صغيرة متعددة .

وهذا أمثل طريق لتقليل الفروق الاجتماعية . ولذلك جعله الاسلام من النظام العام الذى لا يخالف عنه ، وحرم كل تصرف يناقضه ، كالوصية للوارث ، وحرمان الوارثين .

فأين من هذا النظام الحكيم ، نظم الغرب الحديثة ، التى ينقل بعضها ثروة المتوفى ، كلها أو معظمها الى البكر من أولاده ، ويدع كثير منها المالك حرا فى أن يوصى بتركته لمن يشاء .. ؟ فتجمعت من جراء ذلك ثروات ضخمة فى يد أفراد محدودين من الناس ، وأثار هذا حفيظة الفقراء ، وأورثهم الحقد على المجتمع ونظمه . فنشأت المذاهب المتطرفة الهدامة ، واضطرب نظام الحياة الاقتصادية أيما اضطراب ، وأدى هذا الى معظم الانقلابات ، والثورات العنيفة ، التى تعرضت لها أوروبا ــ وغيرها ــ فى العصور الحديثة .

جـ) محاسبة العمال :

١٠ ــ ونشاط عمر ــ رضى الله عنه ــ وشدته فى هذا الجانب معروفة :

أ) مر ببناء يبنى من الحجارة لا الطين . فقال : لمن هذا .. ؟ فذكروا له عاملا ، فقال : أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها . وشاطره ماله .

ب) وناقش أبا هريرة ــ رضى الله عنه ــ وقسا عليه ، ودارت بينهما محاورة قوية . ورد فيها قوله : استعملتك على البحرين ، وأنت بلا نعلين .. ولما تبينت له براءة ذمته ، أراد أن يعيده عاملا كما كان ، فاعتذر أبو هريرة .

جـ) حتى عمرو بن العاص ، الصحابى الجليل ، الفاتح الوالى ، يرسل اليه عمر محمد بن مسلمة ليحاسبه ، ويوجه معه هذه الكلمات : « فأطلعه وأطعه ، وأخرج اليه ما يطالبك به ، واعفه من الغلظة عليك » .

والأصل فى هذه المحاسبات والمشاطرات ، حديث ابن اللتيبة المعروف . وقد ورد فيه : « هلا جلس فى بيت أبيه وأمه ، فينظر أيهدى اليه أم لا ؟ » .

القسم الثالث ـ المبادىء الأخلاقية :

١ ـ ومما يعين على تحقيق التكافل فى المجتمع الاسلامى ، هذه المبادىء التى تعد من مكارم الأخلاق ، كالكف عن الظلم ، والشح ، والترف والسرف ، والحث على التراحم والكرم ، والتعاون والتوادد ، واطعـام الجائع ، وحفظ الضائع ، وتقريب الفقراء ، واتخاذ الأيادى عندهم ، فهم أصحاب الدولة يوم القيامة .

وقد بلغ من حدب الاسلام عليهم ، أن دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يحيا ويموت ويحشر مع المساكين . ولما سألته فى ذلك عائشة ، قال : « إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا . يا عائشة : لا تردى مسكينا ولو بشق تمرة . يا عائشة : أحبى المساكين وقربيهم ، فان الله يقربك يوم القيامة » .

ثانيا ـ جهات المسئولية :

وبعد أن فرغنا من تبيان هذه المبادىء الأولية ، التى هى بمثابة مقدمة للتكافل الاجتماعى ، نتناول الأسس والجهات التى أقام عليها الاسلام نظريته فى التكافل :

الجهة الاولى ـ مسئولية الفرد :

١٢ ـ وتتمثل هذه المسئولية في العمل . وهو ركن البقاء والحيـاة ، سواء أكان زراعة أم صناعة أم حرفة أم وظيفة . وهو بهجة الدنيـا ، مهما استنزف من جهد . واللقمة المزوجة بعرق الجبين وكد اليمين ، أهنأ من التى تأتى احسانا ، أو على موائد الآخرين : « ما أكل أحد طعاما قط ، خيرا من أن يأكل من عمل يده . وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » .

ان العامل يكفى نفسه ، ويغنى ذويه ، ويسـعد المجتمع الذى يعيش فيه .

وان التقدم الحضرى ، والنشوء والارتقاء فى الحياة ، رهين بالعمل . ولولا أن يعمل الانسان لبقى عائشا فى المغارات والكهوف ، ولما تطـور على مر العصور ، ولما وجدنا بيتا نسكنه ، أو ثوبا نلبسه ، أو كتابا نقرؤه ، ولمـا اتصل الانسان بأخيه الانسان ، ولا قامت مدنية ، ولا ازدهرت حضارة .

الحياة هى العمل ، والعمل هو الحياة . وليست الحياة من الكسل فى شىء ، لأنه العجز والموت .

١٣ ـ وقد فجر الله تعالى ينابيع الرزق عندما ذرأ الحياة على الأرض ، وسخر ما عليها وما فى جوفها لخدمة الانسان . لكن اقتضت حكمته أن لا تجود الأرض بخيراتها من دون جهد ، فأمر الانسـان بالعمل ، وجعله ضربا من العبادة ، وربما جعل من العبادة قوة على التدبير والمعاش ، فقال تعـالى : **« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله »** . وقال : **« واستعينوا بالصبر والصلاة »** . وأثنى على الجائبين من رواد الرزق ، كما اثنى على المجاهدين بأنفسهم ، وقال : **« وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله »** .

وامتن على عباده إذ مكنهم من عمارة الأرض ، والتزود منها بالخير الذى تصلح به حياتهم ، فقال : **« ولقد مكناكم فى الأرض ، وجعلنا لكم فيها معايش »** وأشار الى الصلة بين الانسان والعمل والفكر ، ليتقن الانسان عمله ، ويتعرف على عظمـة الله وتوحيده من خلال ما ينتجه : **« والله جعل لكم مما خلق**

ظلالا ، وجعل لكم من الجبال أكنانا ، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ، وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم ، لعلكم تسلمون » .

١٤ — وقد عقل الأنبياء والعلماء — ورثتهم — والسلف الصالح من هذه الأمة ، شرف العمل : فباشر آدم الزراعة ، وعمل نوح فى النجارة ، وتمرس داود بصناعة الحديد ، وامتهن عيسى الطب ، ورعى موسى الغنم ، كما رعاها نبينا — عليه وعليهم الصلاة والسلام — وأكد أن رعى الغنم قسمة بين الأنبياء جميعا ، وقال : « ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم » .

١٥ — واشادت نصوص السنة بفضل العمل ، ونوهت بمنزلته :

أ) فمنها ما قطع للعاملين الكادحين بالمغفرة : « من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له » .

ب) ومنها ما فضل عمل اليد بخاصة : « أفضل الكسب عمل مبرور ، وعمل الرجل بيده » .

جـ) ومنها ما سما به الى درجات العبادة ، واعتبره من الجهـــاد اذا صلحت النية : « فعن كعب بن عجرة ، قال :

مر على النبى — صلى الله عليه وسلم — رجل ، فرأى أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله : لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقال :

« ان كان خرج ليسعى على ولده الصغار ، فهو فى سبيل الله ،
وان كان خرج ليسعى على أبوين شيخين كبيرين ، فهو فى سبيل الله ،
وان كان خرج ليسعى على نفسه يعفها ، فهو فى سبيل الله ،
وان كان خرج ليسعى رياء ومفاخرة ، فهو فى سبيل الشيطان » .

د) ومنها ما سما بالعمل الى ما وراء الجهـــاد . فعن أنس مرفوعا : « ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه فى سبيل الله ، انما الجهـــاد من عال والديه ، وعال ولده ، ومن عال نفسه فكفها عن الناس ، فهو فى جهاد » .

١٦ — العمل لا ينافى التوكل :

ولهذا يرى أهل العلم أن العمل لا ينـــافى التوكل على الله ، بشرط أن يكون الاعتماد فى الرزق على الله ، لا على العمل نفسه ، لأن الله تكفل بكفاية مخلوقاته ، حين قال : **« وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها »** . لكن الانسان مأمور باتخاذ السبل للكسب المشروع ، معتقدا أن الرزق من لدن رب العالمين ، وأن الرزق ليس من حتميات العمل . وهذا ما أشارت اليه الجملة الحالية فى قوله سبحانه : **« وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضـــل الله »** .

واذا تخلف الرزق عن الكسب ، كان لانعدام التوكل ، كما روى من حديث عمر : « لو أنكم توكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما ترزق الطير ، تغدو خماصا ، وتروح بطانا » .

قال الرواة : خـــرج شقيق البلخى ، يريد التجـــارة ، وودعـــه صـــديقه ابراهيم بن أدهم . ولم تمض أيام حتى عاد شقيق ، ورآه ابراهيم فى المسجد ، فقـــال له : ما الذى عجل بعودتك ؟ قال : رأيت فى بعض الفلوات طـــائرا مكسور الجناحين ، أتاه طائر صحيح الجناح ، فى منقاره جرادة ، فوضـــعها فى منقار الطائر المهيض الجناح . فقلت لنفسى : يا نفسى : الذى قيض لهذا

الطائر الكسير الجناح ، هذا الطائر السليم الصحيح فى هذه الفلاة من الارض ، قادر على أن يرزقنى حيث كنت . فتركت التسبب ، واشتغلت بالعبادة .

فقال له ابراهيم : ولم لا تكون أنت الطائر الصحيح الذى أطعم الطائر المكسور ، حتى تكون أفضل منه .. ؟ أما سمعت عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أن اليد العليا خير من اليد السفلى .. ؟ ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين فى أموره كلها ، حتى يبلغ منازل الأبرار .. ؟

فأخذ شقيق يد ابراهيم فقبلها وقال : أنت أستاذنا يا أبا إسحق ، وعاد الى تجارته .

الاسلام يأمر بإتقان العمل ..

١٧ — ويأمر الاسلام العاملين باتقان العمل ، بحيث لا يكون فيه عيب أو خلل ، وفى الحديث : (ان الله يحب من العامل اذا عمل أن يحسن » . بل يعاقب المولى تعالى من قصر فى عمله بعذاب بئيس ، مستصعب الشفاء ، فورد : « اذا قصر العبد فى العمل ، ابتلاه الله بالهم » .

الاسلام يأمر بالاحسان الى العامل :

١٨ — اذا أدى العامل عمله ، استحق أجره المشروط له فى العقد ، بالغا ما بلغ . ويلاحظ ما يأتى :

أ) ان العامل يستحق الأجر بمجرد الانتهاء من العمل ، ما لم ينص فى العقد على خلافه ، ويعلل لذلك الفقهاء : بأن العامل سلم المعقود عليه ، فاستحق بدله ، كالبائع اذا سلم المبيع المعقود عليه ، استحق الثمن ، وهو البدل . بل لقد ورد مرفوعا : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » .

ب) لا حد لأجر العامل ، الا ما جرى به العقد . ولا يتدخل الشارع بالتحديد الا لرفع الضرر عن العامل ، اذا تحكم صاحب العمل فى أجره ، فيتدخل الشارع لانصاف العامل ، وذلك بفرض أجر المثل . ويعتبر ذلك ابن القيم — رحمه الله — من قبيل تدخل الحاكم عند احتكار الأقوات ، وتدخله هنا لاحتكار الصناعات .

ويشبه رفع الضرر هنا عن العامل فى الاجارة ، رفع الضرر عن البادى فى البيع ، اذ لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام .

جـ) لا يجوز ارهاق العامل ، وينبغى أن ينال قسطا من الراحة ، كغيره من المجاهدين . والله — تعالى — لم يكلف عباده الا وسعهم . ونهى الاسلام عن تكليف الرقيق المملوك ما لا يطيق ، فكيف بالعامل المالك .. ؟ « ولا تكلفوهم ما لا يطيقون ، فاذا كلفتموهم فأعينوهم » .

د) يتصرف العامل فى أجره كما يشاء ، انفاقا ، واستهلاكا ، وتمليكا ، وتملكا ، ولو لوسائل الانتاج ، كالأرض والآلة والمصنع ، والاسلام لا يعرف قاعدة : « من كل بحسب طاقته ، الى كل بحسب حاجته » .

توفير العمل للعاطلين ..

١٩ — فى نظام الاسلام ، تتعاون الدولة والأمة ، لايجاد العمل لذوى البطالة ، مهما كان نوع العمل ، مما يكفيه ، ولا يشقيه ، ويحميه من التكفف والمسألة .

وقد ورد : « لأن يأخذ أحدكم حبله ، ثم يغدو الى الجبل فيحتطب ، فيبيع فيأكل ويتصدق ، خير له من أن يسأل الناس » .

كما روى « عن أنس ، أن رجلا من الأنصار أتى النبى — صلى الله عليه وسلم — يسأله ، فقال : أما فى بيتك شىء ؟ قال : بلى ، حلس (أى كساء) نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب (أى إناء) نشرب فيه الماء . قال : ائتنى بهما . فأتاه بهما ، فأخذهما ، فقال : من يشترى هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم . قال : من يزيد على درهم ؟ — مرتين أو ثلاثا — قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين .

فأعطاهما اياه ، وأخذ الدرهمين ، وأعطاهما الأنصارى ، وقال : اشتر بأحدهما طعاما ، وانبذه الى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما فائتنى به . فشد فيه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عودا بيده ، ثم قال : اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما .

فذهب الرجل يحتطب ويبيع ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم . فاشترى ببعضها ثوبا ، وببعضها طعاما . فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « هذا خير لك من أن تجىء والمسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة . ان المسألة لا تصلح الا لثلاثة : لذى فقر مدقع ، أو لذى غرم مقطع ، أو لذى دم موجع » .

٢٠ — وفى هذا الأثر دروس وعبر : فلم يشأ النبى — عليه الصلاة والسلام — له المسألة ، وكون له رأس مال من يسير ما يملكه (الكوب والكساء) ، ووجهه الى حرفة تناسبه ، وحدد له مدة للعمل ، ووازن له بعدها بين الحرفة والتكفف ، وقرر له أن المبدأ فى الاسلام هو النهى عن المسألة ، وانها لا تحل الا لمن أرهقه الفقر ، أو أثقله الدين ، أو فدحته الدية .

وقد سبق هذا الهدى النبوى : فى مكافحة البطالة ، واتاحة فرصة العمل للعاطلين — فى يسر وأصالة وتوفيق — القائمين على شئون العمال فى أيامنا ، بقرون طويلة ، وأغنى بمبادئه عن تقنيناتهم ، وفلسفاتهم المادية .

كراهية الاسلام التكفف ..

٢١ — وأخذا من الحديث السابق وغيره قرر أهل العلم : أن من كان قادرا على العمل ، وهو يجده ، حرم عليه السؤال . فان كان غير قادر ، أو لم يجد العمل اللائق ، واحتاج الى النفقة ، جاز له السؤال ، بشرطين :

١ — أن لا يذل نفسه .

٢ — أن لا يؤذى المسئول .

فان فقد شرط منهما حرم السؤال اتفاقا .

نعم ، اذا ثبت العجز المطلق عن العمل ، لطفولة أو شيخوخة أو أنوثة أو آفة ، فان الشريعة تلزم أقارب العاجز بالنفقة عليه ، ويقضى له بها عند الامتناع ، كما سنرى الآن .

الجهة الثانية — مسئولية ذوى القربى :

٢٢ — وهذه أولى الجهات التى يتمثل فيها التكافل الاجتماعى .

وما تزال الأسرة فى الشرق ، الذى هو مهبط النبوات موئل الحنان الرحيب ، والعطف الدافىء ، والتناصر المؤزر . ومهما اهتزت فى الأسرة هذه المعانى ، فى عصور الصناعة ، وطغيان المادة ، فما يزال فيها بلغة من كفاف ، وسداد من عوز ، بفضل تعاليم الدين الحنيف .

وفى الفقه الاسلامى ــ فضلا عن الكتاب والسنة ــ نسقت أحكام الفقراء من ذوى القربى ، فى تدرج دقيق ، لا يدع محتاجا فى الأسرة إلا كفاه وأغناه .

ومن أهم ما ورد فى القرآن الكريم فى رعاية حق القريب قوله تعالى : **« واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، وبذى القربى »** . رفع الاحسان الى القريب الى منزلة الاحسان الى الوالدين ، وقرر وجوبهما بعد عبادة الله . وهذا وضع فريد ، لا يعرف عند غير المسلمين .

بل سمى القرآن الكريم الاحسان الى القريب حقا ، وجعله مختصا به باضافته اليه ، فيترتب عليه ما يترتب على سائر الحقوق ، من الالتزام والتنفيذ . قال تعالى : **« فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، وأولئك هم المفلحون »** .

وكذلك ورد فى السنة : «أمك وأباك ، وأختك وأخاك .. حق واجب ، ورحم موصولة » .

وعلق ابن القيم ــ رحمه الله ــ على هذا الحديث بقوله :

« فأى قطيعة أعظم من أن يراه يتلظى جوعا وعطشا ، ويتأذى غاية التأذى بالحر والبرد ، ولا يطعمه لقمة ، ولا يسقيه جرعة ، ولا يكسوه ما يستر عورته ، ويقيه الحر والبرد ، فان لم تكن هذه قطيعة ، فانا لا ندرى ما هى القطيعة المحرمة ، والصلة التى أمر الله بها » .

التكييف الفقهى لنفقة القريب ..

٢٣ ــ لما أن القريب يرث قريبه اذا مات ، فان من العدالة أن يحكم لهذا القريب على قريبه بالنفقة ، اذا احتاج أو اضطر . والغرم بالغنم ، وكل حق فى الاسلام يقابله واجب . وهذا من العدالة الظاهرة البارزة فى التشريع الاسلامى العظيم .

مذاهب الفقهاء فى نفقة الأقارب ..

٢٤ ــ تعددت مذاهب الفقهاء فى نفقة الأقارب ومشمولاتها ، بالنظر الى سببها :

أ) فذهب مالك الى وجوب النفقة بين الأبوين وأولادهما فقط ، من دون الاجداد . وذلك اعتبارا للولادة المباشرة . فتجب نفقة الوالدين الفقيرين أو العاجزين على الولد القادر ، كما تجب نفقة الاولاد الفقراء والعاجزين على الآباء المباشرين .

وقد نص المالكية على انه : لا يجب أن ينفق الجد على ابن ابنه ، ولا ابن الابن على الجد .

فانحصرت النفقة عند المالكية فى حدود الولادة المباشرة .

ب) وتوسع الشافعى ، فأوجب النفقة ، بسبب الولادة ، مهما طال خط القرابة ، وامتد عمود النسب ، علا أو دنا .

جـ) بينما ذهب الحنفية الى وجوب النفقة بسبب قرابة المحرمية ، التى تحرم الزواج ، فتجب عندهم علاوة على ما تقدم للاعمام والعمات والأخوال والخالات على أقاربهم ، ولا تجب لأبناء هؤلاء على أقاربهم . وهذا الرأى أوسع من الرأيين السابقين .

د) وذهب الحنبلية ــ متوسعين ــ الى وجوب النفقة بسببين :

الأول : بسبب القرابة فى عمود النسب ، مهما بعدت ، بشرط اتحاد الدين .

والآخر : بسبب القرابة فى غير عمود النسب ، بشرط الإرث .

٢٥ — ويتضح من هذا العرض الموجز أن مذهب الحنبليين فى هذه الجزئية ، هو أوسع المذاهب الفقهية الاربعة . ولذلك اقترحت حلقة الدراسات الاجتماعية العربية الثالثة ، التى انعقدت فى دمشق سنة ١٩٥٢ م . العمل به ، فيما عدا نفقة الاصول ، فانها اقترحت العمل بمذهب الحنفية ، لإيجابه النفقة فيما بينهم ، مع اختلاف الدين .

٢٦ — وربما وجد فى غير المذاهب الاربعة ، من ذهب الى أبعد مما ذهب اليه الحنبليون ، فقد نقل الإمام الكاسانى — الملقب بملك العلماء — عن ابن أبى ليلى ، إيجاب النفقة لذوى الأرحام من غير المحارم ، على أقاربهم ، ووجد دليله فى قوله تعالى : « **وعلى الوارث مثل ذلك** » من غير تفصيل بين المحارم وغيرهم .

وقد نص الحنفية وغيرهم ، على أن الفقير العاجز اذا لم يكن له قريب غنى ، كانت نفقته واجبة فى بيت مال المسلمين ، فى جميع موارده . ولما حكمت بعض المحاكم الشرعية بذلك ، فى بعض البلاد العربية المسلمة ، نقض حكمها ولى الأمر ، ولفت نظرها الى رفض كل قضية من هذا النوع .. !

مشمولات نفقة الأقارب ..

٢٧ — وتشمل نفقة الأقارب : الغذاء ، والكساء ، والسكن وملحقاته ، والعلم الضرورى ، وكل ما تنسد به حاجته ، كالتطبيب فى أيامنا ، لأنه أصون للحياة من شئون الغذاء والكساء .

وألحق الحنبلية بها الخادم إن احتاج اليه المنفق عليه ، لأنه من الكفاية . بل نصوا كالحنفيين : على وجوب اعفاف من تلزمه نفقته ممن هو فى عمودى النسب . بل قال القاضى : « وكذلك يجىء فى كل من لزمته نفقته ، من أخ وعم ، وغيرهما ، لأن أحمد نص فى العبد ، يلزم أن يزوجه اذا طلب ذلك ، وإلا بيع عليه » .

ثم نصوا على أن « كل من لزمه اعفاف رجل ، لزمته نفقة امرأته ، لأنه لا يتمكن من الاعفاف الا بذلك » .

وهذا التشريع الفقهى القضائى من فرائد التشريع الاسلامى ، الذى غمطه حقه ذووه وجاهلوه ، وراحوا يبحثون عن حلول مشاكلهم عند أهل الشرق والغرب ، مع أن هؤلاء بحاجة الى مثل هذه الحلول العملية المعقولة المقبولة ، التى لا يعرفونها فى أنظمتهم .

٢٨ — ومن طريف ما ذكره المرحوم ، الاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ، قوله ، فى حديثه عن الأسرة وعناية الاسلام بها :

« انى حين اقامتى بفرنسا ، كانت تخدم الأسرة التى نزلت فى بيتها فترة من الزمن ، فتاة يظهر عليها مخايل كرم الأصل . فسألت ربة البيت : لماذا تخدم هذه الفتاة ؟ اليس لها قريب يجنبها هذا العمل ، ويوفر لها ما تقيم به حياتها .. ؟

فكان جوابها أنها من أسرة طيبة فى البلدة ، ولها عم غنى موفور الغنى ، ولكنه لا يعنى بها ، ولا يهتم بأمرها . فسألت : لماذا لا ترفع الأمر الى القضاء ليحكم لها عليه بالنفقة .. ؟ فدهشت السيدة من هذا القول ، وعرفتنى أن

ذلك لا يجوز لها قانونا .

وحينئذ أفهمتها حكم الاســـلام فى هذه الناحية ، فقالت : ومن لنا بمثل هذا التشريع .. ؟ لو أن هذا جائز قانونا ، لما وجدت فتاة أو سيدة تخرج من بيتها للعمل ، فى شركة أو مصنع أو معمل ، أو ديوان من دواوين الحكومة » .

٢٩ ــ وبعد هذا العرض الموجز ، نســـتطيع أن نقول مطمئنين : ان الاسلام فى تقرير نظام النفقات على الأقارب ، الأصول والفروع ، والمحـــارم وغير المحـــارم من الارحام ، قد ثبت الركن الأســـاسى الأول فى التـــكافل الاجتماعى ، وسبق بذلك التقنينات الوضعية ، ان لم يكن قد انفرد عنها به .

وهو ــ مع ذلك ــ قد أخضعه للقضاء ، ولم يجعله من قبيل التوصيات والاحســـان الفردى الموكول الى رغبة القريب ، والموقوف على مبلغ تأثره بالأوامر الدينية . وان إناطته بالقضـــاء تعنى اخضـــاعه للعقـــوبة ، والتعزير بالحبس ، والتغريم عند الامتناع .

ولا نعرف نظيرا لهذه التشريعات الدقيقة ، لهذه المسألة الخطيرة ، عند غير المسلمين . وقد طبقت لحسن الحظ منذ فجر الاسلام ، وما تزال مطبقة ــ بحمد الله ــ حتى يومنا هذا فى معظم المحـــاكم الشرعية فى البـــلاد الاسلامية .

للبحث بقيـــة



قصة من الأدب الديني

لمن تدق الأجراس

بقلم : محمد لبيب البوهي

امر ابليس اعوانه بالاستعداد للحفل الدورى الذى يقام فى العالم السفلى ، وفى هذا الحفل يمنح الشيطان الأكبر جائزة التفوق والتقدير لأكثر أعضاء الأسرة الابليسية فسادا وافسادا فى الارض ، وقد حرض أتباعه على تنفيذ أوامره بغير تأخير ولا تأويل ، فهم يدعون من شتى بقاع الكوكب الأرضى كل شيطان مريد ليشارك فى هذا الحفل الأسود ، وليستمع الى الفضائح السوداء ، التى تزداد قيمتها سوادا يوما بعد يوم .

ولما تكامل الحفل افتتحه ابليس بصيحة مدوية وقال : لقد أصبحتم فى هذه الأيام تعانون من الراحة التى تنزل عليكم بغير حساب ، ان افسادكم لبنى البشر لم يعد يكلفكم جهدا كبيرا ، فان فريقا كبيرا منهم يتولون عنكم هذه المهمة ، ولذلك فانكم لن تسألوا اليوم أمامى عن نوعية أعمالكم ، وانما ستسألون عن الكم فيها ، وما كان منكم من ابداع جديد ، أو اختراع ،

انكم لن تسألوا عن حجم الفساد ، ولا عن عدد الجرائم ، فكل ذلك أصبح تلقائيا ، وهم — أعنى الناس — يؤدونه بطريقة منتظمة كما تدور عجلات الآلات .. ويزدادون منها كلما طلعت شمس أو غاب نهار ، من أجل هذا سوف أوجه اهتمامى الى الحيل التى تضاعف من حجم الخيبة على هذا الكوكب البئيس ..

يا أبناء الجحيم هل تسمعوننى .. ؟ وهل تفقهون قولى ؟ .. أريد أفكارا جديدة — والآن اطفئوا الأنوار فاننى أريد أن أسمع وأرى .. لقد درست الأمر من قبل ، وقامت بفحص أعمالكم طوال العام لجنة من أكبر أساطين الاثم والشر والعار .. وقد وقع الاختيار على من سوف تستمعون اليه .. والآن تقدم يا أعز الأبناء ، واذكر للخالدين فى سقر ، كيف استطعت أن تضع الغامة الجديدة السوداء على عيون بنى الانسان .

... ...

تقدم التلميذ الأول وهو وسيم على أحسن ما تكون صور الوسامة ، ذلك أن الشياطين لم يعودوا يظهرون فى الفترات الأخيرة بقرونهم الملتوية ، وعيونهم التى ينبعث منها الشرر .. لقد أخذوا عن الناس صورهم ... الصور ولا شىء غير الصور فمن الناس من يعجبك مظهره فى الحياة الدنيا وفى قلبه تفور براكين الأحقاد .

وانحنى الشيطان الحائز لجائزة التفوق أمام أخوانه كما ينحنى بنو الانس فى حفلات الكوكتيل قال :

اننى اتبع فى عملى فنا جديدا ، ان من فنون الصيد مثلا أن تعرف كيف تجعل السمكة تسرع الى الطعم المسموم لتبتلعه مأخوذة فى البداية بما يثيره فى نفسها من شهية بعناصر الاغراء البادية فيه ، أما ما يحدث بعد ذلك فأنتم تعلمونه .

قال ابليس الكبير : ولكننا قد بعثنا بك الى قوم يصلون ويصومون .. ومكثت فيهم طوال العام .. ولقد ظن كثير من أخوانك أن مهمتك ستكون صعبة ..

قال التلميذ النجيب ضاحكا فى تلطف : ان أخوانى هؤلاء من السذاجة بمكان عظيم ..

قال أحدهم غاضبا : لا نسمح لك أن ترمينا بالسذاجة .. ان نيلك للجائزة لا يمنحك علينا نوعا من الاستعلاء ..

فانحنى مرة أخرى حتى كاد جبينه أن يمس الأرض ثم قال :

انما أعنى بالسذاجة .. انكم كنتم تظنون الصعوبة فى مهمتى حين علمتم اننى بعثت الى قوم يصلون ويصومون ..

قال الشيطان الغاضب : وهل استطعت ان تصرفهم عن ذلك ؟ .

قال الذى أوتى حظا كبيرا من ذكاء ابيه : أيها الزملاء من أبناء الجحيم .. اننى لم أصرفهم عن صلاتهم ، ولا عن صومهم ، لقد تركتهم يفعلون .. تركتهم يأخذونها بظاهرها لا ينفذون من سطحها الى اللباب والهدف والجوهر ، انهم فقط يقومون ويقعدون .. وتتمتم السنتهم بما لا تحاول أن تفقهه قلوبهم ، ثم يجوعون فى صومهم ويعطشون ، ولا يصعد من ذلك الا أقل القليل ، وأما أكثر الكثير فالى مدارج الضياع ، اننى لم أصرفهم عن صومهم ولا عن صلاتهم لأنهم بأسلوبهم هذا لم يكونوا يحصلون منها على شىء .. ان النتائج دائما تدور حول الصفر ..

ونظر بعض الشياطين الى بعض وراحوا يتهامسون : ان أخانا الذى نال جائزة التقدير لم يبذل شيئا من مجهود .. وقال بعضهم لبعض : كيف يمنحه ابليس الأكبر وسام التقدير ؟ أيكون زعيمنا قد هرم وشاخ وهرمت معه أفكاره وشاخت عنده المقاييس .. ! ؟ فهو يخبط خبط عشواء ويعطى الجائزة لمن لا يستحق كما يفعل اكثر بنى البشر حين يجعلون للوساطة أو المجاملة المحل الأول من موازينهم .. ؟ ترى أيكون هذا الابليس الصغير الجديد مرشحا للزواج من أحدى قريبات العاهل الهرم .. ! ؟

قال صاحب الجائزة : يا أبناء الدخان .. أعيرونى اسماعكم واصغوا الى بوعى حصيف :

اننى لم أكن لاعبا ولا لاهيا .. لقد كان هدفى النفاذ الى قلوبهم فأزين لهم ظواهر الأشياء وأقف بينهم وبين الحق .. فى احدى المدن الكبيرة جسر فوق النيل وضعوا على مداخله تمثالين كبيرين يمثل كل منهما أسدا مجرد تمثال من حديد ممتلىء من الداخل بالهواء .. ان السذج من الاطفال يقفون عنده مأخوذين بروعته وهم يرون فى النظر اليه متعة أكثر من النظر الى الأسد الحى الهصور .. ان الأسد الحقيقى المنطلق فى آفاق الغابات هو الانسان المؤمن القوى الذى يستمد قوته من غذاء السماء .. أما الذين تخلو قلوبهم من النور ، فانهم يصبحون صورا مزيفة انهم يحملون أسماء تدل على الايمان الذى ليس لهم من حقيقته الا الصورة .. مثلهم كمثل الأسد المصور القائم على قاعدة تمثال .. انه مملوء بالهواء .. أعنى ليس هناك شىء فى الداخل اى القلب .. وحين تشتد الريح فانه لن يصمد أمامها .. انها قد تلقيه فوق الأرض ويتحطم .. وهكذا العبادة الظاهرة التى لا تتحول الى ارادة للسلوك ، قال الشيطان الغاضب :

زدنا شرحا .. فانه لا يصح أن تؤخذ جوائز التقدير لقمة سائغة سهلة بغير حساب .

قال الذى عنده علم البشر : لا بأس .. سوف أزيدكم شرحا وايضاحا .. ان الناس قد خلقوا على هذه الارض ليعمروها بالأسلوب الذى أمرهم به ربهم وعلمهم اياه الرسل .. وكل عمل تصح فيه النية الممتزجة بالعلم تحت جناح العزم والارادة .. كل عمل لابن آدم تتوفر فيه هذه الأركان يكتب له فى سجلات اليمين .. ان هؤلاء الذين خلقوا من طين لازب قد فتحت أمامهم ابواب المعارج ، ومن حقهم أن يصعدوا الى صفوف الملائكة .. ان الطرق أمامهم ممهدة بالعلم والمثابرة وارادة الصعود .. اصغوا الىّ جيدا لا يمكن أن يتم عمل ناجح بغير علم وارادة .. اننى أحاول أن أبعدهم عما يدعوهم اليه نبيهم الأعظم حين يحثهم على طلب المزيد من العلم .. ومع أنه قد أوتى العلم كله ، فقد أمر أن يطلب لنفسه المزيد ، ليكون المثل الأعلى الدائم لهم — اننى أحاول أن أصدهم عن هذا .. أزين لهم السطح الظاهر من الأشياء حتى يخلدوا اليه فى راحة ونوم لذيذ ، كما يفعل مدخن الأفيون ..

قالت الشياطين الحاقدة فى صوت واحد : ولكنك ذكرت أنك تركتهم يصلون .. لقد كنا نتصور انك ستجعلهم يتركونها ..

قال : مهلا ايها الرفاق .. لقد تحدثت لكم عن الصور والتماثيل .. ان انسان القرن العشرين قد اخترع شيئا أسماه (الروبوت) أى الانسان الآلى (الميكانيكى) ولقد صنعوا هذا الانسان على صورة البشر .. ووضعوا فيه من الآلات ما يجعله يتحرك أماما أو يرجع الى الخلف ، أو يصعد أو يهبط أو يطير ، كما استطاعوا أن يجعلوه يرفع يده حين يؤمر بذلك أو يغمض عينيه .. أو يضحك أو يبكى وان الذين صنعوا الصواريخ استطاعوا أن يغزوا بها الفضاء البعيد وأن يحركوا هذه الآلات من مسافة تبعد مئات الألوف أو الملايين من الأميال .. ان هؤلاء يستطيعون أن يجعلوا هذا (الروبوت) أو الانسان الآلى ، يستطيعون أن يضعوا فيه من الأجهزة ما تجعله ينهض خمس مرات فى اليوم ليؤدى ما يشبه الصلاة .. وفى وسع هذه الآلات أن تجعله يصوم عن الوقود شهرا كل عام ..

ان العلم يستطيع أن يفعل هذا وأن يصنع مئات الألوف أو الملايين من هذه الأجهزة الميكانيكية التى على صورة الانسان .. وأن تؤدى هذه المخلوقات الصناعية بدورها ما يسميه بعض الناس صلاة لهم .. أفتظنون أنه يصبح من حق هذا (الروبوت) أى الانسان الآلى أن يطالب بدخوله الجنة .. ؟

تبسم الشيطان الغاضب وصفق بيديه وصاح : أحسنت .. لقد فهمت .. قال الذى رشح للجائزة ان اكثرهم هكذا يفعلون — صلاة بلا روح — لا تهدى الى بر .. ولا تنير طريقا ولا تنقى قلبا .. ولا تشد عزما .. ولا تصل رحما .. مجرد حركات قد يبالغون فيها وهم يظنونها شيئا ، وهى ليست بشىء ، إن (الروبوت) أو الانسان الميكانيكى له عذره ، لأنه لم يعد لهذه الغاية .. أما هؤلاء فحسبى فخرا اننى استطعت ان اجعل اكثرهم هكذا .. صورا ولا شىء غير الصور .. هكذا اصبح اكثرهم الا الذين يحسنون وقليل ما هم ..

... ...

وحدث هياج بين الجموع ... وامتلأ الجو بلغط كبير ، قضى عليه ابليس بأن نفخ من فيه عاصفة من نار دعت الجميع الى الانصات وقال :

ولكن هناك الوف والوف من المنابر تقال عليها الخطب .. وهناك الوان من الثقافة يحرصون عليها ، فتحدث الى أخوانك عنها ، ان حفل الجائزة يجب أن يثير فيهم مزيدا من المعرفة .

قال الذى سينال التقدير : إن اكثرهم يغرمون بكل ما يأتى من الغرب .. آن مثلهم كمثل العصفور الذى أراد أن يقلد الغراب .. ان الغرب الآن يمر بفترة انهيار حتمى .. ان الثقافة الغربية ثقافة مريضة .. وهم يعرفون هذا ، ولكن ليس لديهم من شىء آخر يعطونه .. ذلك أن فاقد الشىء لا يعطيه .. هناك ثقافة هابطة تمجد الفردية .. والشذوذ .. وترفع من شأن الانحراف وهذه هى البضاعة التى يصدرونها ... لأنها تجد سوقا رائجة .. لقد سمعتم أنهم يطلقون على بعض ثقافتهم اسم العبث .. أو اللامعقول .. وتدور فلسفتهم حول اللذة والتماسها من كل سبيل .. والتحلل من القيم والمثل وهؤلاء الآخرون الذين نبتت من أرضهم القيم والمثل فأداروا لها ظهورهم .. هؤلاء الذين هم اكثر شبها (بالروبوت) يفعلون تماما كما فعلت العصافير حين طاب لها أن تقلد الغربان ..

قال قائل من الشياطين : أدرك تماما انك عملت جاهدا على تثبيت هذا المعنى .. انك لم تدفعهم من فوق المنحدر .. وانما زينت لهم حلاوة الهبوط الى الوادى المظلم ، الذى وضعت فيه بمهارتك اللذات المغناطيسية .. ولكن الذين ينادون بالثقافة الهابطة أعنى العبث واللامعقول هم قلة من المثقفين ..

قال الفائز بالجائزة .. نعم .. ان الأمر لم يصل بعد الى حد الخطر الكبير .. ولكن المكروب قائم فى

الجو .. والحالات الفردية من الكوليرا تسمح بالانتشار البعيد .. ان أخشى ما أخشاه أن ينهض آخرون من الأمناء على المثل فيدقون الأجراس .. وهنا تبرز مهمتكم أنتم .. أما أنا فقد استطعت أن أغرى عددا كبيرا بأن يكونوا غربيين ولو لم يضعوا على رءوسهم القبعات ... ليس شيء أشد ضلالا من المرء حين يفقد ذاته .. ان صفحات كثير من كتبهم وصحفهم تحتفى بما يسمى الوجودية .. والبرجمائية .. ان أصحاب هذه المبادىء المستوردة لا يطيب للواحد منهم أن يكون تلميذا لمحمد .. لكن يسعده أن يفتح قلبه لترهات البير كامى أو العجوز سيمون بوفوار أو نحو ذلك من الذين يرون أن الحياة لا معنى لها .. وأنه يجب انتهاز فرصتها لانتهاب اللذات .. اننى أيها الأخوة أباشر انفاق الملايين فى سبيل اقامة نواد لنشر هذه الفلسفات الهابطة .. ان كل كتاب منها خير من ألف شيطان .. ان الترهات التى تملأ العقول لا تدع مجالا لأنوار الكتاب الحكيم .. انها مثل ثمار شجرة الزقوم ..

... ...

صفق عدد كبير من الحاضرين .. وهبوا واقفين يحيون البطل وهم يقولون : اننا نعترف لك بالبراعة . قال صاحبهم : شكرا لكم .. غير أن هناك ما هو أكثر اسعادا لنفسى من نيل الجائزة .. ذلك أن أكثر من ثمانين فى المائة من أصحابى هؤلاء أميون .. لا يعرفون كيف يخطون على الورق خطا أو يقيمون من الارقام الاولية حسابا .. لقد كنت أخشى أن يدركوا أن معنى الثقافة الحقة هو فى الدرجة الاولى المحو لهذه الامية .. ذلك واجب الفئة المثقفة ولكننى شغلت هؤلاء بأنفسهم .. وباللامعقول .. وبالسينما العابثة .. وشغلت الآخرين بالعبادة على طريقة (الروبوت) الانسان الآلى ، انها عبادة ميتة لا روح فيها ولا أخشى منها شيئا لانها لا ترفع صاحبها الى جنة السماء .. ولا تنقذه من جحيم الارض ..

قال قائل من الشياطين : لقد علمنا ما يحدث ونحن نوشك أن نودع القرن العشرين .. حيث أصبحت مهمتنا سهلة مع بنى الانسان حتى يستطيع مثلك وهو يلهو لاعبا متنقلا بين الربوع أن ينال جائزة التقدير .

قال الشيطان الذكى الفائز : أيها الاخوة .. لم يعد الأمر سهلا كما تظنون .. لقد هب من بينهم من راح يدق النواقيس .. وهناك أضواء تتجمع فى الأفق من بين الغمام .. فخذوها منى نصيحة أخيرة .. عليكم أن تفتعلوا مزيدا من الضجيج حتى لا تقرع دقات الأجراس آذان الذين ما زالوا قائمين .

بالإسلام سنتدين للإنسانية

للاستاذ عبد الكريم الخطيب

١ ـــ من الحقائق المسلمة التى تقع موقع البدهيات فى العقول ، هى أن الأديان تعانى فى هذا العصر أزمات حادة وأنها تقف موقفا حرجا فى الحياة بعد أن غلبت المادية على منازع التفكير الانســـــانى ، وبعد أن أصبحت المحسوسات هى أساس التعامل فى مجال الفكر ، كما هى أساس الأخـــذ والعطاء فى مناحى النشاط الانسانى العصرى كله .

إن انسان العصر الحديث ، لا يقبل التعامل مع الغيبيات ، ولا يدخل إلى عقله شيئا لا تلمسه حواسه ، وتختبره ، وتطمئن إليه ، تماما كما لا يدخل إلى جيبه شيئا من المال إلا اذا نظر فيه بعينيه ، وتحرى سلامته ، واطمأن الى خلوه من الزيف .

فلا عجب ـــ والأمر كذلك ـــ أن تقف مقررات الأديان التى تتحدث عمـــا وراء المحسوس ، من إيمان بالله واليوم الآخر ، والبعث ، والحساب ، والجزاء والجنة والنار ـــ لاعجب أن تقف هذه المقررات موقفا قلقا مضطربا ، فى مجال العقل المـــادى ، الذى يطلب لكل مقولة من تلك المقولات الدينية شـــاهدا شاخصا بين يديه ، يمسك به ، حتى يأذن المرء لعقله بالتعامل مع هذه المقولات وإلا أعرض عنها ، وصك أذنيه دونها . .

ان الدين الغالب اليوم ، وخاصة فى العالم الغربى ، هو دين المادة ؛ التى تغل ثمرا حاضرا معجلا . . ومن أجل هذا فقد زهد الناس فى الأديان التى لا تعامل الانسان على هذا الأساس ، ولا تضع فى يديه نقدا معجلا لكل حركة من حركات عقله ، أو جسده !!

٢ ـــ والذى نريد أن نقوله هنا ، هو أنه ينبغى على الذين ينتصرون للدين والذين لا يزالون فى جماعة المتدينين أن يعرفوا هذه الحقيقة جيدا . وأن يواجهوا هذا الواقع ، مواجهة صريحة . .



كلها فى هذا العصر!

وان أول ما ينبغى ان يفعله اصحاب الدين فى صراعهم مع الماديين والملحدين . أن ينظروا فى دينهم . وأن يكشفوا عن معطياته للحياة الدنيا ، إلى جانب معطياته للحياة الآخرة — فان كان فى الدين الذى يدينون به شيء ينفع الناس فى دنياهم ، ويسد حاجات الجانب المادى منهم — كان لهم أن يقفوا من الماديين والملحدين موقف المنكرين عليهم عداوتهم للدين ، ومجا نبتهم له ، اذ كان الدين ملبيا حاجتهم المادية ، حفيظا عليهم أن يغرقوا فى تيارها المتدافع ، أو أن يحترقوا فى نارها المتضرمة .. أما إذا لم يكن فى الدين ما يستجيب — فى غير حرج أو ضيق — لحاجة الانسان المادية ، فليمض أصحاب هذا الدين بدينهم ، ليعيشوا فيه وحدهم ، وليتركوا الحياة تمضى فى مسيرتها بالناس الى حيث يشاءون !!

٣ — وبعيدا عن الأديان ، والمذاهب ، والمعتقدات ، ننظر الى الانسان من حيث طبيعته وفطرته ، نجد أنه كائن جمع كيانه النور والظلام ، والهدى والضلال ، والخير والشر ، والروح والجسد ، والانسان والحيوان ، حيث التقت فيه نفخة الحق بتراب الارض .. فهو سماوى أرضى ، يعلو ، ويصفو حتى يطاول السماء ، ويصاف الملائكة ، ويتدلى حتى يكون فى قطيع البهائم ، أو مسارب الديدان .. وهو فى علوه وتدليه ، هو هذا الكائن الذى التقى فيه النقيضان ، فاذا علا الى أقصى غاياته من العلو ، فانه لا يزال مشدودا الى الارض ، أشبه بالطائر المحلق فى السماء ، وعينه ناظرة دائما الى الارض . واذا تدلى الانسان إلى أسفل سافلين ، فان فيه بقية من أشواق الى العالم العلوى الذى تكمن أسراره فى أعماقه .. فأحسن الناس حالا . وأعلاهم منزلة من سمت روحه على جسده ، فكانت اليها قيادة الانسان، روحا وجسدا فأخذت الروح حقها ، ولم تحرم الجسد حظه .. وأسوأ الناس حالا ، وأضلهم

سبيلا من كان جسده غالبا على روحه ، مستوليا عليها ، حيث تنقلب حقيقته ، وتنتكس خلقته ، ويصبح قياده إلى الحيوان الكامن فيه . .

هذه حقيقة مسلمة من مسلمات العلم لا يمكن أن يمارى فيها حتى أشد الماديين اغراقا فى المادية ، وايمانا مطلقا بها . . وإن أيا من هؤلاء الماديين ، مهما تكن المادة قد غطت على الجانب الانسانى منه ، وما فى هذا الجانب من مشاعر العطف ، والرحمة ، والمودة ، والاخاء الانسانى — فانه لا يعدم أبدا حالا من الاحوال ، تهتز فيها مشاعره ، ويخفق لها قلبه ، ويتوهج منها ضميره ، واذا هو خارج من عالمه المادى ، فيبكى كما يبكى الناس ، ويحب كما يحب الناس ، ويعطف ويرق كما يعطف الناس ويرقون . . ان ذلك هو بعض الدين الذى ينكره الماديون ، ويفرون منه وهو ساكن فى أعماقهم !!

٤ — ولكن أى دين هذا الذى يقيم الانسان هذا المقام الكريم المكين فى هذه الحياة الدنيا ، وفى الآخرة ؟

لا شك أن الأديان السماوية ، المنزلة من عند الله الى عباد الله ، هى وحدها الكفيلة بشريعتها ، وأحكامها وآدابها — أن تضمن للانسان حياة طيبة فى الدنيا ، وخلودا فى جنات النعيم فى الآخرة . . ذلك أن الذى شرع هذا الدين ، هو أحكم الحاكمين رب العالمين ، قدره بعلمه ، وأحكمه بحكمته ، مقدورا بقدر الانسان ، وما أودع فيه الخالق جل وعلا ، من غرائز وملكات فمن أخذ بدين الله ، أخذ بكل خير ، ومن استمسك به استمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وهدى الى الحق ، والى صراط مستقيم . . ومن عدل عن دين الله ، واتبع هواه ، غوى وضل ، وكان من الهالكين .

٥ — والديانات السماوية التى يعيش فيها المتدينون الآن ، هى : اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام . . ولو جرت الامور على طبيعتها لكان أهل هذه الديانات الثلاث على دين واحد ، هو دين الله ، الذى جاء به رسل الله ، والذى أخذ الله به الميثاق على أنبيائه ، أن يصدق بعضهم بعضا ، وأن ينصر بعضهم بعضا ، وفى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم : « **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** » (٨١ : آل عمران) . . ويقول تبارك اسمه لنبيه الكريم : « **قل آمنا بالله وما أنزل علينا ، وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** » (٨٤ : آل عمران) ويقول سبحانه لأتباع محمد — صلوات الله وسلامه عليه — : « **قولوا آمنا بالله ، وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** » (١٣٦ : البقرة) .

هذا هو موقف المسلمين من رسالات السماء ، يؤمنون بها جميعها ، ويصدقون برسل الله الذين جاءوا بها ، اذ كانت دعوتهم قائمة على أصول عامة من الايمان بالله ، واليوم الآخر ، والحساب ، والجزاء ، والجنة والنار ، تلك الأصول التى هى الدعامات الأولى لدعوة كل نبى — أما الفروع الخاصة بتنظيم

أوضاع المجتمع ، فقد كان من الطبيعي أن تختلف صورها وأشكالها حسب اختلاف الزمان والمكان ، والحال التي عليها كل مجتمع ، وذلك مراعاة لسنة التطور في الحياة ، وانتقال الانسان من طور الى طور ، كانتقاله من البداوة الى سكنى المدن ، وما ينشأ في المدن من حضارة وعمران، وما يجد في الحياة من وجوه مختلفة في الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، وما يقتضيه ذلك من تشريعات وأحكام ، وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم** »(٤٨ : المائدة) .

ولو أن أهل اليهودية والنصرانية استقاموا على دين الله ، لكان الاسلام وجهتهم ، ولكانوا أول الداخلين فيه ، المؤيدين له ، لأنه دين الله المصدق لما معهم من كتاب الله ، ولكنهم أبوا الا عنادا وضلالا ، لا يرون الدين الحق الا دينهم وأنهم قد اختصوا به دون الناس جميعا ..

أما اليهود ، فقد زين لهم الغرور أن الله تعالى خلقهم خلقا متميزا عن أبناء آدم جميعا ، وأنهم الشعب المختار عند الله ، واليهم وحدهم تنزل كتب الله ، وفيهم وحدهم تبعث رسله ، وأن الناس جميعا انما خلقوا ليسخروا لهم كما تسخر الحيوانات للناس .. ولهذا فانهم قد احتفظوا بنسبهم ، وعزلوا جنسهم عن بقية الأجناس الاخرى ، واحتفظوا بالدين الذى أنزله الله عليهم — احتفظوا به في محيطهم ، دون أن تكون لهم دعوة في الناس به ، لأنهم يرون الناس — دون بنى اسرائيل — غير أهل للاتصال بالله ، وتلقى رسالاته ، تماما كما نرى نحن ذلك الرأى في عالم الحيوان .. !!

ثم انهم لكى يرضوا هذا الغرور الذى استبد بهم ، عبثوا بالتوراة ، وغيروا كثيرا من نصوصها ، وحرفوا الكلم فيها عن مواضعه ، حتى يتطابق منطوق التوراة ومفهومها مع مدعياتهم الباطلة التى يدعونها من أنهم شعب الله المختار ، حتى لقد أصبح هذا الادعاء دينا ومعتقدا ، يدينون به ويعتقدونه .

فالتوراة التى في أيدى اليهود ، والتى في أيدى المسيحيين أيضا ، لانها كتاب الشريعة للنصارى ، كما أنها كتاب الشريعة لليهود ، اذ أن المسيح عليه السلام ، لم يأت بشريعة ، وإنما كانت شريعته ، وشريعة اتباعه هي شريعة موسى ، ولهذا يقول في الأناجيل التى في أيدى المسيحيين : « ما جئت لأنقض الناموس — أى شريعة موسى — وانما جئت لأكمل » .. فليس في الانجيل الذى بشر به المسيح أحكام تشريعية ، وانما كل ما فيه آداب وأخلاقيات هي تطبيق عملى لشريعة موسى ، وتفسير مشرق لمضمونها — نقول : إن التوراة التى في أيدى اليهود والمسيحيين ليست على الصورة الكريمة التى جاء بها موسى من عند الله ، اذ قد اختلطت بأهواء اليهود ومفترياتهم ، التى طمست معالم الحق والخير فيها ..

وإذا كان الناس في عماية الجهل ، وتحت نشوة الحماس الدينى — قد تقبلوا ما في التوراة من متناقضات لا يقبلها عقل ، وسوغ لهم رجال الدين — بصورة أو بأخرى — أن يقرعوا في التوراة أن أنبياء الله يزنون في بناتهم ، ويخونون أبناءهم في زوجاتهم ، كما تقول التوراة المحرفة إن لوطا قد شرب

الخمر حتى سكر ثم زنا فى ابنتيه وحملتا منه ، وأن يعقوب زنا مع زوجة أحد أبنائه ــ ثم لا ينكرون نسبة هذا الفسق الى أنبياء الله وحملة رسالاته الى الناس ــ نقول : اذا كان الناس قد دخل عليهم هذا الزور وهم فى عماية من الجهل ، فان العقول اليوم فى عصر العلم والتنوير لتصاب بصدمة مذهلة حين تقرأ فى كتاب سماوى مقدس مثل هذا الاستخفاف بالقيم الأخلاقية تكون من عامة الناس فضلا عن أنبياء الله ، وحملة مشاعل الهداية للناس .

وليس هذا كل ما فى التوراة من مفتريات على الله ، ينكرها العقلاء من الناس ، بل ان فى التوراة ما لا يحصى من أمثال هذه المقولات بحيث لا يكاد يخلو سفر من أسفارها من عشرات المتناقضات ، التى تخف بها موازين الحق، والعدل والاحسان ، حيث تستباح الدماء ، والأموال ، والأعراض ، وحيث تضيع معانى المثل الفاضلة : والأخلاق الكريمة ، اذا كان ذلك لحساب بنى اسرائيل ، الذين يرون الناس حمى مستباحا لهم ، دون تحرج أو تأثم : « **ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** » (٧٥ : آل عمران) .. والأميون هم الناس جميعا غير اليهود ، أهل الكتاب ، لأن الناس عند اليهود ، اما يهود ، أو أميون .. أما المسيحيون ، وهم أصحاب التوراة والانجيل ، فان فيما معهم من التوراة من متناقضات هو ما مع اليهود ، فضلا عن الانجيل وما فيه من حلول الله فى رحم مريم ، وولادته منها فى صورة المسيح .. ثم صلب هذا الإله فى شخص المسيح ، ودفنه ، ثم قيامته من بين الأموات بعد ثلاثة أيام من دفنه ، وظهوره لبعض حوارييه وأتباعه ثم اختفاؤه بعد هذا .. !!

كل هذه المعتقدات التى يعتقدها المسيحيون فى المسيح ــ عليه السلام ــ قد أنكرها العقل فى هذا العصر ، بعد أن استنار بنور العلوم والمعارف .. وكان من هذا أن انتشرت فى أوربا وأمريكا ــ حيث يدين الناس بالمسيحية انتشرت مذاهب الالحاد ، وخفت موازين الدين فى هذه المواطن ، وقام هذا الصراع الحاد بين مقولات العلماء ومقررات الدين ، واستمر هذا الصراع سنين طويلة ، انتهى بفصل العلم عن الدين ، بمعنى أن تكون مقولات العلم لحساب العلم ، ليس للدين شىء منها ، وأن تكون مقررات الدين لحساب الدين ليس للعلم شأن بها ..

٦ ــ وفصل الدين عن العلم ، هو فى الواقع هروب بالدين عن منطقة النور ، التى تتجلى فيها حقائقه ، وتتكشف فيها جواهر تلك الحقائق .. ثم إن هذا الفصل للدين عن العلم فى كيان الانسان أمر غير ممكن، اذ الانسان كل لا يتجزأ فى مداركه ، ومشاعره ، ونوازعه ، وعواطفه .. وكل حقائق العلم التى تبلغها مدركات انسان ما لا يمكن أن تعيش بمعزل عن أية حقيقة ترد عليه من حقائق الدين ، أو الفن ، وغيرها .. فالعلم اما أن يقبل حقائق الدين ، وبهذا تدخل تلك الحقائق فى دائرة العلم ، واما أن يرفض حقائق الدين . وبذلك يخرجها من محيط العلم .. وهذا ما حدث فعلا فى العالم المسيحى ، فى أوربا وأمريكا ، بعد أن رفض العلم ما تحدثت به الديانة المسيحية من مقولات عن ميلاد الله ميلادا بشريا فى المسيح ، وعن صلب الله فى المسيح ليكفر خطايا البشر التى ورثوها عن خطيئة أبيهم آدم . ثم عن قيامة المسيح أو الاله بعد

دفنه بثلاثة أيام .. الى غير ذلك من المقولات التى رفضها العقل الحديث . وأبى أن يدخلها فى محيط العلم الذى يطمئن الى معايشته والحياة معه .

ان أوربا وأمريكا تعيشان اليوم بغير دين .. وهذا أمر غير طبيعى ، لا يمكن أن يعيش الناس فيه طويلا ، لان الدين والتدين غريزة فطرية فى الانسان فاذا لم يجد الانسان الدين الصحيح الذى يقبله العقل ويطمئن اليه القلب . استبد به القلق ، واستولت عليه الحيرة .. ومن هنا كان هذا الذى نشهده فى أوربا وأمريكا من اغراق فى المادية والالحاد ، ومن تهالك فى الجرى اللاهث وراء حاجات الجسد واشباع غرائزه ، وليس ذلك الا تعويضا للجوع الروحى الذى يعانيه القوم هناك ، ولا يجدون سبيلا الى سد حاجتهم من هذا الجوع الا بالذهول عنه ، والقاء أنفسهم فى هذا التيه الصاخب بموائد القمار والخمر ، وحانات الموسيقى والرقص والعربدة .

وإنه لمن الخطأ أن نحسب أن هذا العقل العصرى الذى بعد عن الدين هذا البعد البعيد قد اطمأن الى تلك الحياة التى يحياها بلا دين .. فالانسان — كما أشرنا من قبل — متدين بطبعه ، والدين مطلب قوى من مطالب الانسان ، على أى مستوى يكون عليه من مستويات الانسانية ، وأيا كان عقله ، وأيا كان مبلغه من العلم ..

فالانسان البدائى ، وسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ، والفارابى ، وابن سينا ، وابن رشد — هم جميعا سواء فى الحاجة الى الدين ، والى تصور المعتقد الدينى الذى يدينون به ، والذى يغذى عاطفتهم ، ويروى الجدب الروحى الذى يجده الانسان — أى انسان — اذا هو بات ليلة أو بعض ليلة على غير دين .. !!

وإن هؤلاء الملحدين الذين تعج بهم دنيا الناس فى الغرب وفى الشرق ، هم أكثر الناس ظمأ الى الدين ، وتطلعا اليه ، ووسواسا به ، وطلبا له ، وبحثا عنه ، فاذا وجد أحدهم الدين الصحيح الذى يطمئن اليه قلبه ، ويستريح اليه ضميره ، أقبل عليه اقبال الظمآن على الماء ، وفرح به فرح الغريق بالنجاة .. أما من لم يصادفه التوفيق الى الدين الصحيح فسيظل فى هذا الاضطراب المحموم الى أن يموت .. !!

٧ — وهنا يجد الاسلام فرصته فى انقاذ المجتمع الانسانى الملحد من هذا الضياع ، حيث هو الدين الذى يحترم العقل ، ويعطيه حقه كاملا من البحث والنظر ، ومن تقليب الحقائق الدينية على جميع وجوهها ، وهو الدين الذى يؤاخى العلم ، ويزكى جهاد العلماء ، وما يكشفون من حقائق الوجود وأسرار الكون .. وفى هذا يقول الله تعالى : « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** » (١١ : المجادلة) ويقول سبحانه : « **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون** » (٤٣ : العنكبوت) ويقول جل شأنه : « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولو الألباب** » (٩ : الزمر) ويقول تبارك اسمه : « **وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون** » (٢٣٠ : البقرة) .

هذا ، وقد ورد ذكر العلم ، ومشتقاته فى نحو تسعمائة موضع من القرآن الكريم ، الأمر الذى لم يكن لغيره من الحقائق التى ورد لها ذكر فى كتاب الله

.. ويكفى تنويها بالعلم ، ورفعا لقدره وقدر اهله أن كان صفة من صفات الله سبحانه وتعالى ، فهو جل شأنه : عالم ، وعليم ، وعلام .

والقرآن الكريم هو جامعة العلم ، ومورد العلماء ، وإنه بحسب المرء من العلم أن يقبس قبسة من أضوائه ، فتكون له زادا عتيدا لكل علم ، ومنهلا طيبا الى كل معرفة .. ولهذا كثر الداخلون فى الاسلام من علماء أوربا وأمريكا ممن أتيح لهم الاتصال بالشريعة الاسلامية ، وبكتابها الكريم ، من غير دعوة لهم من أحد .. ففى كل يوم يدخل فى الاسلام أعلام من علماء الغرب وحكمائه، لما ظهر لهم من الحق المنزل من عند الله .. ولو جرت الامور على ظاهرها لما امتد بصر أحد من هؤلاء الداخلين فى الاسلام الى الاسلام ، لما صارت اليــه حال المسلمين من التخلف ، والفقر والجهل ، الأمر الذى يشوش على الدين نفسه ، ويسىء الظن به ، اذ كان المسلمون ـ وتلك حالهم ـ هم الوجه الذى ينظر الناظرون فيه الى الاسلام من خلاله .. ولكنه الحق أكبر من أن تحجب أنواره سحب عارضة ، أو أن تطفىء سراجه أنفاس محمومة !!

٨ ـ ان هذا العصر ، عصر العلم والشك ، عصر الامتحان لكل شىء ، عصر غربلة الأديان والمعتقدات ، وعرضها على محك العقل ـ هــــو عصر الاسلام ، وهو اللسان المجدد لدعوته ، حيث يجلى حقائق هذا الدين ، ويكشف عن الخير الكثير المخبوء للناس فيه ..

ولا يريد الاسلام من الناس أن يتلقوا دعوته قضية مسلمة ، دون بحث واختبار وتحقيق ، فان ذلك مما تأباه طبيعة هذا الدين ، الذى أراده الله تعالى ليكون خاتمة الرسالات السماوية ، وليكون من كتابه الكريم رسولا يلتقى مع العقل الانسانى على امتداد الزمان والمكان ، حيث يجد فيه العقل فى أعلى مستوياته الحجة القاطعة ، والبرهان المبين على كل مقولة يقولها ، وعلى كل قضية يقضى فيها ..

فالذى يريده الاسلام ، ونريده له ، هو أن يضع العلماء ، والفلاسفة والمفكرون ـ فى الغرب والشرق ـ قضايا الاسلام كلها ، موضع الشك أو الانكار ـ إن شاءوا ـ ثم ليعاملوها معاملة القضايا العلمية التى ينكرونها ، أو يتشككون فيها ، وليسلطوا عليها نظراتهم باحثة فاحصة ، ثم ليقلبوها فى أيديهم على جميع الوجوه الممكنة لهم ، وليمتحنوها بكل ما فتح به العلم عليهم من أساليب الامتحان، ثم ليحكموا بعد هذا على الاسلام بما يظهر لهم منه على محك الفحص والاختبار .. وان الاسلام ليتقبل هذا الحكم فى اطمئنان ورضى ، لأنه لن يكون الاشهادة بينة الحجة ، ساطعة البرهان ، على أن هذا الدين ، هو دين الله ، دين الحق الذى أراده الله تعالى لخير الانسانية واسعادها .

ان العلم الحديث ـ كما قلنا ـ هو فرصة الاسلام التى تتجلى فيهـا معجزاته من جميع جوانبها ، العلمية ، والسياسية ، والاجتماعية والاقتصادية حيث يشهد العقل الحديث من النظر فى حقائق الاسلام أنه أمام معجــزات قاهرة ، ينقاد لها العقل ، انقياده لما ينكشف له من أسرار الكون ومعجزاته على ضوء العلم ، ومكتشفات العلماء .

وهذا هو كتاب الاسلام ، وتلك هى حجته القائمة ، ودستوره المسطور

فى القرآن الكريم .. انه يقدم نفسه لكل من يريد النظر فيه ، والتعرف اليه ، غير مستند الى تأويل المؤولين ، أو تفسير المفسرين ، فلسانه افصح من كل لسان ، وبيانه أوضح من كل بيان ..

فالذين يعرفون العربية ، يعرفون طريقهم اليه فى غير عناء ، ويضعون أيديهم على حقائقه فى يسر ، وفى غير معاناة .. والذين لا يعرفون العربية ، يمكن أن تترجم لهم حقائقه الى اللغات التى يحسنونها ، كما تترجم الحقائق العلمية ، والقضايا الاجتماعية ، والأحكام القانونية .. ثم لا عليهم ان فاتهم اعجاز الكلمة ، ومعجزة البيان فى اللسان العربى الذى نزل به القرآن الكريم ، فان فى الحقائق التى تصل اليهم عن طريق الترجمة ما يكفى للكشف عن وجوه أخرى من الاعجاز القرآنى ، ممثلة فى محكم احكامه وروعة حقائقه ، وخلود مقرراته ، وضبطها على أحكم ميزان واعدله .

والاسلام — فى يسره ، وسماحته ، ومواءمته للفطرة الانسانية — قريب من كل نفس ، متجاوب مع كل عقل ، واقع فى فهم كل ذى فهم .. تلتقى عنده عقول المتعلمين والعلماء ، وتجتمع عليه أنظار العامة والفلاسفة ، بحيث يجد فيه كل ذى عقل ما يرضيه ويغنيه ، ويأخذ منه كل ذى نظر ما يرشده ويهديه .. هكذا دائما تكون آيات الله المبثوثة فى هذا الوجود ، مما يمسك على الناس حياتهم ، ويحفظ وجودهم ، لا تقصر عنها يد ، ولا يستأثر بها انسان دون انسان أو تختص بها جماعة دون جماعة ، او أمة دون أمة .. انها من الله ، ولعباد الله ، كما نرى ذلك فى الماء ، والهواء ، والشمس والقمر ، والنجوم .. فان كان لأحد ، أو لجماعة ، او لأمة ، نصيب أوفر ، أو حظ أعظم ، من هذه النعم العامة ، فهو مما زاد عن الحاجة التى لا تتطلبها ضرورات الحياة ، وان كان فيها متعة فوق متعة ، ورضى فوق رضى : فصاحب النظر الحديد ، والقلب السليم يرى من جمال الوجود وروائع الكون ما لا يراه صاحب النظر الكليل أو القلب السقيم .

ومثل هذا تماما موقف الناس جميعا بين يدى القرآن الكريم .. كلهم بين يديه مائدة طيبة ، طعامها هنىء لكل عقل ، وشرابها مرىء سائغ لكل ذى قلب .. ثم هم مع ذلك على حظوظهم من تلك المائدة ، بقدر ما تتسع العقول وتنشرح الصدور ..

وتلك هى معجزة القرآن القائمة على الناس أبد الدهر ، وتلك حجة الله على من أخلى عقله وقلبه من الدين ، أو دان بغير دين الحق ، دين الله الذى ارتضاه لعباده ، كما يقول سبحانه : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين** » (٨٥ : آل عمران) .

٦ — والأمر الذى ينبغى أن ننتبه اليه فى هذا المقام ، هو أن رجال الدين المسيحيى يدركون تماما هذه الحقيقة من أمر الاسلام ، ويعلمون أن الذين يتركون المسيحية لا يجدون دينا غير الاسلام يدينون به ، متى أتيحت لهم فرصة للتعرف عليه .. ولهذا اشتدت حملات المسيحية على الاسلام ، بالطعن فيه ، ومحاولة تشويه حقائقه ، حتى ينصرف الذين خرجوا من المسيحية عن الاتجاه الى الاسلام ، الذى ان اتجهوا اليه لم يولوا وجوههم عنه أبدا .. ومن هنا تحولت حركات التبشير بالدين المسيحى الى حملات حرب مسعورة على الاسلام ، فيما يكتبه المستشرقون من رجال الدين المسيحى ، يظاهرهم فى

ذلك المستشرقون من اليهود ، لا لشيء الا لازالة أى معلم من معالم الحق تفيء اليها الانسانية ، وتستعصم بها .. ولا يسع المسلم فى هذا المقام ، وهو يتلو كتاب الله ، الا أن يذكر قول الله تعالى فى سورة التوبة : « **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويابى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** » (الآية ٣٢) ثم يذكر بعدها قوله تعالى : « **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » (الآية : ٣٣) .

ففى هاتين الآيتين الكريمتين نبأ من أنباء الغيب ، قد أخذت دلائله تظهر فى هذا العصر ، وتحدث بأن تلك الأفواه التى تقذف بحمم الضلال ، وترمى بها فى حمى الاسلام ، لن تنال من دين الله شيئا ، لان الله سبحانه وتعالى يأبى الا أن يتم نور هذا الدين ، على كره ومضاضة من الكافرين ، وأن تمام هذا النور انما يكون بتمام دورته فى فلك الكوكب الارضى ، فيطلع نهاره على الغرب ، كما طلع نهاره على الشرق ، فيمحو بنوره ما ران على القلوب من ضلال ، وما استولى على العقول من زيغ وبهتان ، فلا يبقى على وجه الارض دين غير دين الله ، وبذلك تبلغ رسالة رسول الله كل دان وقاص ، وتنال الرحمة التى حملها بين يديه كل قريب وبعيد ، حتى تشمل العالمين جميعا ، كما يقول سبحانه : « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » (١٠٧ : الأنبياء) .

وقد جاءت هذه البشارة بظهور الاسلام على الأديان كلها ــ جاءت فى سورة الصف ، وهى من القرآن المدنى أيضا مؤكدة لما جاء فى سورة التوبة وهى من أواخر ما نزل من القرآن ، وذلك فى قوله تعالى : « **ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين . يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رســـوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » (الآيات : ٧ ، ٨ ، ٩) .

ونحب هنا أن نشير الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رواه البخارى عن أبى هريرة ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها . » ومعنى هذا أن دولة الصليب ستنتهى ، وأن ما يؤمن به أتباع المسيح من صلب المسيح سينكشف الغطاء عن بهتانه ، وقد بدأ أتباع المسيح أنفسهم يكسرون الصليب بأيديهم ، ويخرجون من المسيحية قبل أن يظهر المسيح ، وليس وراء هذا الالحاد الذى شاع فى أوربا وأمريكا المسيحيين الا الايمان الحق بالله ، والدخول فى الاسلام دين الله ، « **ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » .

١٠ ــ هذا ، وقد استظهر بعض المشتغلين بالدراسات الاسلامية من علماء الاسلام(١) ــ استظهر من مسيرة الاسلام فى فلك النبوة ، والذى كانت دورته فيها ثلاثا وعشرين سنة ، فى مكة ، والمدينة ــ أن للاسلام دورة فى فلك خارج فلك النبوة ، أشبه بهذه الدورة التى دارها فى فلك النبوة ، وأن مدة هذه الدورة ثلاثة وعشرون قرنا ، أى أن كل سنة من عصر النبوة تمثل قرنا كاملا من تلك الدورة الواقعة بعد عصر النبوة .

كما استظهر أيضا ، أن الثلاثة عشر عاما الاولى من بعثة الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — والتى عاشتها الدعوة الاسلامية فى دائرتها الضيقة فى مكة ، تواجه الكيد لها ، والمكر بها ، والتضييق على اتباعها — هذه المدة تمثل الثلاثة عشر قرنا التى انسلخت بعد عصر النبوة من حياة الاسلام وأن الاسلام بعد هذه القرون الثلاثة عشر سينطلق من دائرته الضيقة ، كما انطلق بعد الثلاثة عشر عاما التى عاشها فى المدينة ، والتى انتقل بعدها بالهجرة الى المدينة ، فكان النصر ، وكان الفتح ، وكان دخول الناس فى دين الله أفواجا ، وكما دانت الجزيرة العربية كلها خلال عشر السنوات التى بعد الهجرة ، ستدين الانسانية كلها بالاسلام ، خلال عشرة القرون التالية للثلاثة عشر قرنا التى انسلخت من مسيرة الاسلام . حيث يتحقق قوله تعالى : « **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » — كما تحقق قوله تعالى خلال عشر السنوات الاخيرة من مبعث النبى — صلوات الله وسلامه عليه — اذ يقول سبحانه : « **اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا** » .

١١ — وبعد ، فهل يقعد بنا هذا الوعد الكريم من الله تعالى بنصر دينه . وإظهاره على الدين كله — هل يقعد بنا ذلك عن أداء حق الله تعالى علينا نحو ديننا ، وما أوجبه جل شأنه على كل مسلم من الجهاد فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، والدفاع عنها ، والتضحية فى سبيلها بالأموال والأنفس ؟ إن ذلك إن يكن من المؤمن بالله ، فهو خيانة لله ، ولرسول الله ، ولدين الله .. فما كان وعد الله سبحانه وتعالى لرسوله وللمؤمنين بالنصر لدينه ، بالذى القى عن الرسول الكريم وأتباعه عبء الجهاد فى سبيل الله ، ولقاء المشركين فى مواقع القتال ، وبذل الأنفس والأموال فى سخاء ، وابتغاء مثوبة الله ورضوانه ، والله سبحانه وتعالى يقول : « **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** » (١٤٢ : آل عمران) ويقول تبارك اسمه : « **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم** » (٣١ : محمد) .

فلا بد اذن من بلاء وتمحيص ، لما فى القلوب من ايمان بالله ، يكون محكه الغيرة على دين الله ، والدعوة اليه ، والدفاع عنه ، وبذل النفوس والاموال فى هذا الجهاد المبرور ، وبذلك الامتحان تثقل موازين العاملين المجاهدين ، وتخف موازين الغافلين ، والمتكاسلين : « **فأما من ثقلت موازينه . فهو فى عيشة راضية . وأما من خفت موازينه . فامه هاوية . وما أدراك ما هيه . نار حامية** » (٦ — ١١ : القارعة) .

وهذا ميدان الجهاد مفتوح لكل مسلم ، يدخله من أى باب ، بما له ، أو بنفسه ، وبيده ، أو لسانه ، أو قلمه ، « **فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما** » (١٠ : الفتح) .

---

(١) هو المرحوم الاستاذ محمد فريد وجدى ، فى كتابه : « الاسلام فى عصر العلم » .



اليهود وتآمرهم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

للدكتور محمود محمد زيادة

اليهود وجمع الاحزاب :

كانت قريش وكان يهود بنى قينقاع ويهود بنى النضير وعرب غطفان وهذيل والقبائل المتاخمة للشام تتربص كل واحدة منها بمحمد وأصحابه الدوائر ، وتود كل واحدة منها أن تجد الفرصة لادراك ثأرها من هذا الرجل الذى فرق العرب فى دينها شيعا ، والذى خرج من مكة مهاجرا لا حول له ولا قوة الا ما يملأ نفسه الكبيرة من الايمان وها هو ذا فى خمس سنين قد أصبح له من الحول والقوة ما جعله مرهوب الجانب فانتصر على كثير من قبائل العرب واخرج بنى قينقاع من المدينة، وأجلى بنى النضير عن ديارهم ، وذهب كثير من هؤلاء وهؤلاء الى خيبر والشام ، فهل يسكتون ويطمئنون الى ما حدث ؟ أم يحاولون تأليب العرب عليه ليأخذوا بالثأر منه .. ؟

كانت الفكرة الثانية هى التى اختمرت فى نفوس أكابر بنى النضير وتنفيذا لها خرج نفر منهم ، ومن بينهم حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق ، وكنانة بن أبى الحقيق ، ومعهم من بنى وائل هوذة بن قيس، وساروا حتى قدموا مكة ، فسأل أهلها حييا عن قومه ، فقال : تركتهم بين خيبر والمدينة يترددون حتى

تأتوهم فتسيرون الى محمد واصحابه .. وسألوه عن قريظة فقالوا : اقاموا بالمدينة مكرا بمحـــمد حتى تأتوهم فيميلوا معـــكم : وترددت قريش اتقدم ؟ أم تحجم ؟ فليس بينها وبين محـــمد خلاف الا على الدعوة التى يدعوها ، اليس من الجائز ان يكون على حق ما دامت كلمته تزداد كل يوم رفعة وسموا .. ؟

فقالت لليهود : يا معشر يهــود انكم أهل الكتاب الأول واهل العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد . أفديننا خير أم دينه ؟ فأجاب اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وانتم اولى بالحق منه : والى ذلك يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الـــكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هــؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا » .

فكان قول اليهود هذا من الدوافع لقريش على الترحيب بالمحـــالفة ثم خرج الوفد اليهودى من مكة قاصدا ديار غطفان وهى قبيلة حربية لهـــا خطرها فى صحراء بلاد العرب وتقع على بعد ١٢٠ ك. م الى الشـــمالى الغربى من المدينة . وقد انضم الى هذا الحلف قبائل اخرى من العرب . وبذلك بلغت قوات قريش وحلفائها عشرة آلاف محارب فساروا جميعا تحت امرة ابى سفيان قاصـــدين المدينة ، ويستشير الرسول اصحابه فى الدفاع عن المدينة ويستقر الراى على حفر الخندق فى الجهة الشمالية من المدينة لان الجهات الاخرى كانت محصـــنة بالتلال والنخيل والبيوت المتراصة . وديار بنى قريظة متروكة لحراسة قوة خفيفة متحركة ، وينتهى المسلمون من حفر الخندق وتصـــل قريش الى خارج المدينة فى جموع كثيرة من احابيشـــها واحلافها ، وجموع تأتى من أسفل المسلمين وهم قريش ومن جاء معهم وجموع أخرى تأتى من فوقهم وهم أهل نجد من حلفاء قريش وجلهم من غطفان ورأت هذه الجموع الخندق ، فاعترتهم الدهشة، وداخلهم الاضطراب لعدم معرفتهـــم بوسائل القتال أمام الخنادق ، ولم يكونوا يتوقعون هذا النوع من الدفاع المجهول لديهم، وبلغ منهم الغيظ حتى زعموا أن الاحتماء وراء الخنـــدق جبن لا عهـــد للعرب به وبدأ رماة المســـلمين يطلقون عليهم من خلفـــه سهامهم الفاتكة فانسحبوا سريعا ، وأخذوا يسوون صفوفهم على مسافة آمنة من مرمى الســـهام والنبـــال واستمر الجيشان يرقب كل منهمـــا الآخر لأيام قليلة نفد فيها صبر أبى سفيان الذى كان يعتقد أن محـــق المسلمين ما هو الا رهن لقائهم فى المعركة . وكان قد وعد حلفـــاءه بالغنائم السريعة السهلة ثم يعودون أدراجهم يتغنون بأناشيد الفـــوز ثم تبين له أن الأمر مختلف تمـــام الاختلاف ، وأنه يحتـــاج الى وقت طويل لا يؤمن معه أن تفـــكر بعض القبائل فى ترك القتال والعـــودة ولاسيما والشتاء قارس البرد وأهل المدينة يمكنهم المقاومة شهورا طويلة ما دام بنو قريظة يمدونهم بالمؤن ، فكر ابو سفيان فى كل هذا وبدأ يقدر من الخير للأحزاب أن يعـــودوا ادراجهـــم ويتركوا الأمر لفرصـــة اخرى .. ؟

نعم لـــكن جمع هؤلاء الاحزاب لحرب محمد ليس بالأمر الميسور ، وقد استطاع اليهود وحيى بن اخطب

على راسهم ان يجمعوها هذه المرة للانتقام لانفسهم من محمد واصحابه عما أوقع بهم . فان افلتت هــــذه الفرصه فهيهات أن تعود . ثم لا شك أن انسحاب الاحزاب انتصار لمحمد ، وبعد ذلك الويل كل الويل لليهود ، فلو ان بنى قريظة نقضوا عهدهم مع المسلمين لفقد الخندق قيمتـــه فى الدفاع من ناحية ولانقطـــع المدد والميره من ناحية أخرى وكمـــا قدر ابو سفيان ذلك كله قدره ايضا حيى ابن اخطب ، فتلاقت الفكرتان واوحى حيى الى الاحزاب أنه مقنع بنى قريظة بنقض عهد موادعتهم محمدا واصحابه وبالانضـــــمام اليهم . وسرى عن الاحزاب بما ذكر حيى .

تآمر بنى قريظة :

وبدات المحادثات تجرى سرا بين (حيى) وكعب بن اسد ، صاحب حصن بنى قريظة وانتهت بعد حوار الى الموافقة على انضـــمامه الى الاحزاب ونقض عهده مع محـــمد والمسلمين على ان تمهل الاحــزاب قريظة عشرة أيام تعد فيها عدتهـــا وتتخلص من عهودها مع المســلمين وعلى أن تقاتل الاحزاب المسـلمين فى هذه الايام العشرة أشد القتال ، ووصلت انباء هذه الاتفـــاقية الى الرسول فبعث (سعد بن معاذ) سيد الأوس ، و (سعد بن عباده) سيد الخزرج ومعهما (عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير) ليقفوا على جلية الأمر على أن يلحنوا عند عودتهم ان كان حقا حتى لا يفتوا فى أعضاد الناس ، فلما اتى هؤلاء الرســل قريظة وجدوها على أخبث ما بلغهم عنها ، فقد نال كعب من رسول الله صلى الله عليه وســلم وقال : من رسول الله : لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . وحدثت مشـــاده بين بنى قريظة وسعد بن معاذ ، ثم رجع الرسل الى النبى فسـلموا عليه ، وقالوا : عضل والقارة ـــ اى كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيــع ـــ فاشتد الأمر على الرسول واشــتد الوجل على المســلمين ، وزلزلوا زلزالا شديدا لأن العدو جاءهم من فوقهم ، ومن اسفل منهم ، وزاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر .

ولا غرابة أن يبلغ الفــزع من المسلمين مبلغا عظيما ، فقد كــان الحصار شديدا عليهم ، فقد صاحبه ضيق على فقراء المدينة ، وقطعت قريظة المدد والميرة عن المســلمين عامة منذ تم اتفاقها مع الاحزاب : والاحزاب نفسها قد استعدت للقتال حسب الاتفاق ايضا . وقريظة عما قريب تدخل الميدان ، والمنـــافقون يجهرون بما يريدون . فقـــد قال بعضهم : كان محمد يعدنا ان نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليــوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الــى الغائط . وقال بعضهم الآخر لرسول الله : ان بيوتنا عورة من العــدو فائذن لنا أن نخرج فنرجع الى دورنا فانها خارج المدينة ..

ويضاف الى ما ســبق الخطر الداهم الذى يهددهم به عبد الله بن ابى ذلك الشــيطان الرجيم الذى انسحب يوم احد بثلث النــاس من صفوف المسلمين فانه كان قد أعد العدة لطعن المســلمين من الخلف واشعال ثورة فى المدينة من عناصر المنافقين فكان من الضرورى حمــاية قلب المدينة نفسها بما فيها من نساء المسلمين واطفالهم : فأرسل النبى

فرقة من الجيش عددها ثلثمائة الى داخل المدينه . وظلت جنود تلك الفرقة تغدو وتروح فى شوارعها ليـــلا ونهارا

وبدأ أبو سفيان القتال تنفيـــذا لاتفاقيته مع بنى قريظة ، واستمر يشن الغاره على الخندق ليلا ونهارا حتى تصرمت الأيام العشرة ، وظهرت بوادر غدر بنى قريظة خلال هذه الأيام العشرة ، فقد بدأ المتحمسون منهم ينزلون من حصونهم الى منازل المدينة القريبة منهم يريدون ارهاب اهلهـــا وخشى الرسول أن يعجل القرظيون بالغدر ، فيزحفون على المدينـــة ، ويفتحون ثغرة من الجنـــــوب حيث حصونهم فيتدفق الاحزاب منها الى المدينة ، ويصبح المســــلمون على ما هم فيه بين عدوين ، واتقاء لهذا وما يترتب عليه فكر فى محاربة قريش بنفس الوســـيلة التى استخدمتها قريش فى استمالة بنى قريظة حتى يفرق الأحزاب ، فأرسل الى عينية بن حصن الفزارى والحـــارث بن عوف المرى قائدى جيش غطفان فراوضهما أن يعطيهما ثلث ثمار المدينة . على أن ينصرفا بجيوش غطفان فقبلا ، ولكنه قبل أن يبرم الأمر أرسل الى السعدين (سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة) فاســتشارهما فيما رأى ، وعرفا من الرســـــول أن هذا أمر يصنعه لهم ، فلم يقبلا ، وأعجب الناس بحماس الانصار ، وفوض أمره لربه اللطيف بعباده المدبر لأمورهم ، فقد جاء فى هـــذا الوقت (نعيم بن مسعود الأشجعى) وهو صـــديق قريش واليهود ، ومن غطفـــان الى رسول الله ، وأعلمه باسلامه وأن قومه لا يعلمون بذلك ، ويطلب منه أن يأمره بأمر يساعد على انتصـــار المسلمين فيقول له الرسول : « خذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعه » فيقوم بدور عظيم لصالح المسلمين ، فينصح قريشا بان اليهود سيطلبون منهم رهائن يقــــدمونها الى محمد ليعفو عنهم ، وينصـــــح اليهود بأن يطلبوا من قريش رهائن قبل دحولهم المعركة المشتركه ضد المسلمين .. حتى يضــــمنوا بقاء قريش معهم ، ويحدث ارتباط مصيرى وطلب من كل طرف ان يكتم هذا الامر ، وقد جازت الخدعه فحينما طلب ابو سفيان من يهود بنى قريظه دخول المعركة طلبوا رهائن ، فاعتقدت قريش وآمنت أن ما قاله نعيم صــحيح ، فامتنعت ، وفشل التحالف . ثم كان نصر الله بإرسال الرياح العاصفة كل العصف .. الباردة اشد ما يكون البرد .. الممطرةمطرا غزيرا . أطفأت نيرانهم، وأكفأت قدورهم على أســــافيها ، واقتلعت خيامهم ، وافسدت طعامهم، وأجفلت دوابهم ، فأدخلت الرعب فى قلوبهم ، فارتحلوا فارين ليلا وكفى الله المؤمنين القتال ، وأقبل الصباح ونظر المسلمون الى الجانب الآخر من الخندق فلم يجدوا من الآلاف أحدا فانصرفوا الى منازلهم .. رافعين أكف الضراعة الى الله شكرا أن كشــف الضر عنهم .

غزو بنى قريظة :

لقد خان بنو قريظة العهد خيانة ما بعدها خيـــانة ، وظهر عداؤهم للمسلمين بصورة بشــــعة ، كانوا يريدون استئصال شأفة المسلمين . فلا بد من حسابهم حسابا عسيرا على ما ارتكبوا من جنايات ، ولا بد أيضا من الاسراع حتى لا يقوموا بعمــل اجرامى من تدمــير لآبار المـــاء ،

وما شاكل ذلك ، وهذا ما كان من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد جاءه الوحى يأمره بالقضاء على بنى قريظة حتى يطهر دار الاسلام من قوم جبلوا على الخيانة والغدر فلا تنفع معهم العهود ، ولا تربطهم المواثيق ، فأمر عليه السلام مناديا فنادى فى الناس : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة .

ومع ما كان عليه المسلمون من نصب . بعد طول حصار الاحزاب فقد خفوا لهذا القتال فخرج ثلاثة آلاف ، وتوجهوا الى حصون بنى قريظة فى الجنوب الشرقى من المدينة ، وحين رأى بنو قريظة جيش المسلمين القى الله الرعب فى قلوبهم ، وارادوا التنصل مما فعلوا ، ولكن انى لهم ذلك ؟ وقد ثبت للمسلمين غدرهم ، فلا مناص من مقاتلتهم ، فأسرعوا باغلاق حصونهم عليهم ، فحاصرهم المسلمون ، وقد ظل هذا الحصار خمسة وعشرين يوما أو شهرا ولم يجرؤ بنو قريظة خلال مدة الحصار على الخروج من الحصون مرة واحدة ، وايقنوا انه اذا استمر الحصار اكثر من ذلك سيموتون جوعا وأن حصونهم غير ما نعتهم من الهلاك شيئا . بل لا بد من وقوعهم فى قبضة المسلمين ، وحينئذ يعرضون على الرسول الجلاء واللحاق باخوانهم فيأبى الرسول الا التسليم دون قيد أو شرط . ولا بد من الرضا بما يحكم به عليهم ، فاختاروا (سعد بن معاذ) زعيم الأوس وحليفهم قبل الاسلام ، فحمل سعد ــ لأنه كان جريحا ــ ويأخذ العهد على الطرفين بقبول الحكم .

فماذا حكم سعد .. ؟ حكم بقتل المقاتلة ، وسبى الذرية والنساء ، وقسم الأموال . فقال الرسول عقب الحكم : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة .

ثم خرج الرسول الى سوق المدينة وأمر بحفر خنادق فيها ، ثم جىء باليهود ارسالا فضربت أعناقهم ، وفيهم حيى بن اخطب من بنى النضير لأنه كان معهم وقت الموقعة وفى عنقه دمهم ، وفى هذه الخنادق دفنوا ، وكان عدد القتلى ما بين اربعمائة الى ستمائة فى أصح الروايات . فان بعضها تقول كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة ، ويبدو لنا أن هذه الرواية تذكر عددهم جميعا لأن القتل لم يعمهم جميعا .

كما هو ظاهر قوله تعالى : « وانزل فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » كما الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب ان عددا قليلا منهم أسلم .

وقد وزع الرسول أرض بنى قريظة على المسلمين .

الجريمة والجزاء :

لم يكن بنو قريظة يتوقعون هذا الحكم من سعد حليفهم ، بل كانوا يظنون انه سيصنع معهم مثل ما صنع ابن أبى مع بنى قينقاع أو مثل الحكم على بنى النضير ، ولكن شتان بين

الرجلين وبين الموقفين ، فسعد قد ذهب الى بنى قريظـــة ليثنيهم عن موقفهم فى غزوة الاحزاب ــ كما سبق لنا ذلك ــ فقالوا : من الرسول ؟ امامه ، ويضاف الى ذلك ان جريمتهم تختلف عن جريمة كل من بنى قينقاع ، وبنى النضير ، وان كانت كلها جرائم غدر وخيانة . غير ان جريمة بنـــى قريظة كانت اشد خطرا واعظم فتكا من الجريمتين الســـابقتين . لأن المسلمين كانوا فى كل منهما فى حالة تمكنهم من الدفاع عن انفسهم . أما موقفهم وقت جريمة بنى قريظة ، فقد كان محفوفا بالخطر من جراء الحصار المحـــكم الذى ضربه الاحزاب حول المدينة ، فلم يكن فى امكانهم الدفاع عن انفسهم .

ولعل سعدا ذكر وقت نطقـــه بالحكم . ماذا كان يحدث . لو ان الاحزاب انتصروا بخيانة بنى قريظة ؟ نقـــدر انهم كانوا سيســـتأصلون المسلمين ويمثلون بهم فان ســـعدا حليفهم ويعرف طبيعتهم ، وما جبلوا عليه من غدر وخيانة وتآمر وخلق ردىء ، فيؤمن بأنه لو أبقى علـــى حياتهم لا يهدأ لهم بال حتى يؤلبوا الاحزاب من جديد ضد المسلمين ، ولو ظفروا بهم لقطعوهم اربا اربا . فالحكم الذى أصدره ســـعد على قسوته انما أصدره متأثرا بالدفاع عن النفس معتبرا بقاء اليهـــود أو زوالهم مسألة حياة أو موت بالنسبة للمســـلمين فهو حكم تقره قوانين الحرب ، وقوانين السلم ولا عجب فهو حكم السماء ألهمه الله لسعد .

ولم يكن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم الا منفذا ، فأمر بقتـــل المقاتلة ، وسبى الذرية والنساء ، وقسم الاموال ، واورث الله المسلمين ارضهم وديارهم فنـــالوا جزاءهم وشربوا الكأس المرة . كما تجرعهـــا فى الوقت نفسه اخوانهم بالشام من يد (هرقل) بعد غلبته (كسرى) من جراء ما فعلوه بنصارى الشام حينما كان الظفر لفارس .

وأيا ما كان الامر فقد طهـــرت قاعدة الاسلام (المدينة) من الخطر اليهودى الذى كان مسيطرا على جزء من منطقة قلب المدينة ، وعلى نقطة حاكمة فى الجنوب الشرقى . واراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين تعودوا الغدر والخيانة ، ولم يبق الا بقية من كبارهم بخيـــبر من أهلها ، وعما قريب يشربون الكأس حتى الثمالة .

ووطد القضاء على طوائف اليهود الثلاث للمســـلمين فى المدينـــة فقد كسرت شوكة المنافقين حلفاء اليهود وخفت حدتهم ، وقل خطرهم ، ولم يعد فى المدينة قوة غير قوة المسلمين ، وذهبت العرب تتحدث بقوة المسلمين وسلطانهم وقوة محمد ورهبة جانبه ، فمهد هذا لنشر الدعوة الاسلاميـــة على اوسع نطاق ومهد للقضاء على اليهود الذين يقيمون قرب المدينة .

حتى تطهر بلاد العرب من رجسهم ، وتستقر الدولة الاسلامية ، فكان غزو خيـــبر ، وفدك ، وتيماء ووادى القرى ..

فالى خيبر ..

مائدة القارئ

الزهـــــراوان

روى أبو امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :
اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران ، فانهما يأتيان يوم القيـــامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف . اقرءوا البقـــرة فان أخذها بركة ، وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة .

رواه مسلم

عـــد الى ظـــلك

بينما عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ فى ارض له ، فى العالية ، فى يوم صائف اذ راى رجلا يسوق جملين ، ، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر !!.. فقال عثمان : ما على هذا لو اقام بالمدينـــة حتى يبرد ثم يخرج حينئذ ؟.. ثم دنا الرجل ، فقال عثمان لمولى له : انظر من هذا ؟.. فقال : أرى رجلا معمما بردائه يسوق بكرين ، ثم دنا الرجل ، فقال : انظر من هذا ؟.. فنظر.. فاذا هو عمر ابن الخطاب .. فقال: هذا أمير المؤمنين ! فقام عثمان فاخرج راسه من الباب ، فاذا لفح السموم !!.. فأعاد راسه ، حتى اذا حاذاه قال : ما اخرجك فى هذه الساعة ؟ فقال : بكران من ابل الصدقة تخلفا ، وقد مضى بابل الصدقة ، فأردت ان الحقهما بالحمى ــ المرعى ــ وخشيت أن يضيعا فيسألنى الله عنهما ..!! فقال عثمان : هلم الى الظل والماء ونكفيك !. قال : عد الى ظلك قال عندنا من يكفيك !. قال : عد الى ظلك !!. ومضى ..
فقال عثمان : (من أحب أن ينظر الى القوى الأمين فلينظر الى هذا !!) .

جهـــاد العلمـــاء

استدعى المندوب السامى الفرنسى الشيخ عبد الحميد الجزائرى وقال له : اما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الافكار والا أرسلت جنودا لاغلاق المسجد الذى تنفث فيه هذه السموم ضدنا واخماد أصواتكم المنكرة .

فأجاب الشيخ عبد الحميد : أيها المسيو الحاكم أنك لا تستطيع ذلك ..

فاستشاط غضبا وقال : كيف لا أســـتطيع ؟.

فقال له : اذا كنت فى عرس علمت المحتفلين ، واذا كنت فى مأتم وعظت المعزين ، وان جلست فى قطار علمت المسافرين وان دخلت السجن ارشدت المسجونين ، وان قتلتمونى التهبت مشاعر المواطنين ، وخير لكم أيها المسيو أن لا تتعرضوا للامة فى دينها ولغتها .

(وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)

سورة يوسف



التسبيح أو الاستغفار

قال رجل للامام ابن الجوزى :
أسبح أو استغفر ؟.
فقال : الثوب الوسخ أحوج الى الصابون منه الى البخور .

مع الامام الشافعى

لما قدم الشافعى مصر قال له عبد الله بن الحكم :
اذا أردت أن تسكن هذا البلد فليكن لك قوت سنة ، ومجلس من السلطان تتعزز به .
فقال له الشافعى :
يا أبا محمد من لم تعزه التقوى فلا عز له .. ولقد ولدت بغزة وربيت بالحجاز ، وما عندنا قوت ليلة ، وما بتنا جياعا قط .

أبو العتاهية وخادمه

عرف أبو العتاهية بالبخل والتقتير ، وتندر به الرواة :
يقول أبو الفرج عن الخريمى : (كان لأبى العتاهية خادم أسود طويل كانه محراك أتون ، وكان يجرى عليه فى كل يوم رغيفين ، فجاءنى الخادم يوما ، فقال : والله ما أشبع ، فقلت وكيف ذاك ؟ قال : لأنى لا أفتر عن الكد وهو يجرى على رغيفين بغير إدام فان رأيت أن تكلمه حتى يزيدنى رغيفا فتؤجر ، فوعدته بذلك فلما جلست معه مر الخادم بنا ، فقلت : يا أبا اسحاق . كم تجرى على هذا الخادم فى كل يوم قال : رغيفين . فقلت : لا يكفيانه . قال : من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير ، وكل من أعطى نفسه شهواتها هلك .
ثم مات الخادم فكفنه فى ثوب خلق ، فقلت : خادم قديم الحرمة طويل الخدمة تكفنه فى ازار خلق ، وانما يكفيك له كفن بدينار ، فقال : انه يصير الى البلى والحى أولى بالجديد من الميت ، فقلت له : يرحمك الله فقد عودته الاقتصاد حيا وميتا) .

المفاوضات بين العرب ابان فتوح الشام في ضوء ماورد

للأستاذ احسان صدقى العمد

عرف العرب فى تاريخهم قبل الاسلام نماذج مختلفة من العلائق والاتصالات سواء فيما بينهم داخل الجزيرة العربية ، أو بينهم وبين الدول والشعوب المجاورة لجزيرتهم ، وكان يحكم هذه العلاقات بصفة عامة عوامل اقتصادية سياسية كما هو الحال بالنسبة لنظام الايلاف الذى وطدته قريش وأمنت بموجبه الطرق التجارية داخل الجزيرة وحرية التبادل التجارى والاقتصادى مع الاقطار المجاورة ، وما كان من تحالف سياسى معروف بين مناذرة الحيرة والفرس من جهة والغساسنة والروم من جهة أخرى .

لكن جوهر تلك العلاقات وهدفها كان فى المقام الاول تحقيق المنافع المادية والمصالح المشتركة بين الاطراف المعنية دون النظر الى أى اعتبار آخر ، وهو أمر طبيعى فى غياب حمل أى من تلك الاطراف لعقيدة سامية او مذهب صالح يسعون لنشره والانتصار له .

الاسلام والجهاد فى سبيله :

واستمر الحال على هذا المنوال حتى ظهر الاسلام فى جزيرة العرب ، وقضت حكمة الله عز وجل ان تكون الامة العربية طليعة المؤمنين بالدين الجديد والمكلفة بتبليغ رسالته الى أمم الارض وشعوبها . فكان أبناؤها خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وقد اختط الله لهذه الأمة طريق الجهاد فى سبيل الله وأمرهم بازالة الحواجز والقوى المعادية التى تقف فى وجه انتشار دعوة الاسلام ووصولها بحرية وسلام الى عقول الناس وأفئدتهم كما نص على ذلك العديد من الآيات البينات وبخاصة فى سورة التوبة .

وحياة الرسول صلى الله عليه

المسلمين والروم
في كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفي

وسلم كلها كانت جهادا فى سبيل الله، وكان آخر عمل قام به من أجل هذه الغاية ، هو تجهيز جيش عربى اسلامى لفتح بلاد الروم التى تم فتحها فى عهد خليفتيه أبى بكر وعمر . ذلك ان الاسلام حدد موقفه بشكل واضح وصريح من جميع أقطار الارض وشعوبها . فهو يرى أن الارض ملك لله الذى استخلف عليها الناس ، وان أحق من يمتلك هذه الارض عباده الصالحون . ووفقا لهذه النظرية ينقسم العالم كله فى نظر الاسلام الى منطقتين أو دارين كما يذهب الفقهاء دار اسلام ودار كفر أو دار سلام ودار حرب . لان المنطقة التى يظلها الاسلام هى دار السلام ، والتى يسيطر عليها الكفر انما هى دار حرب ينبغى على المسلمين مجاهدة أهلها حتى يدخلوا فى ظلال الاسلام . ولم يكتف الاسلام بذلك بل حدد طريقة الجهاد ونشر الرسالة الاسلامية وذلك بالدعوة الى سبيل الله أولا بالحكمة والموعظة الحسنة وهو ما يعرف بالدعوة السلمية ، فأذا لم يستجب أهل الكفر لهذه الدعوة كان عليهم ان يختاروا بين اثنين لا ثالث لهما فأما الحرب والقتال ، واما القبول بحكم الاسلام حتى يتسنى للكافرين ان يتصلوا بالمسلمين اتصالا مباشرا فى حرية ويتعرفوا منهم على دينهم واخلاقهم ومعاملاتهم . فأذا تم لهم ذلك انشرح صدرهم للاسلام ودخلوا فى دين الله أفواجا دون جبر أو اكراه ، لان الاسلام دين الفطرة يتقبله ويقبل عليه كل صاحب عقل منزه عن التعصب والهوى .

وعلى هذا الهدى وهذه المبادىء وليس غيرها خرجت طلائع جيوش العرب المسلمين للجهاد والفتح . وقراءة متأنية فى المصادر والاصول

تكشف عن يقين اى امة كنا واى ايمان كان يحرك المسلمين ويجعل منهم عمالقة تتضاءل عند أقدامهم قامات الرجال .

كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفى :

وتلك وقفة قصيرة لا بد منها لفهم المفاوضات التى جرت بين العرب المسلمين والروم ابان فتوح الشام ، كما أوردها الأخبارى المؤرخ أحمد بن محمد بن على المعروف بابن أعثم الكوفى المتوفى عام ٣١٤هـ/٩١٦م ، فى كتابه المسمى كتاب الفتوح ، والذى يطلق عليه صاحب الذريعة فى تصانيف الشيعة اسم كتاب فتوح الاسلام . ويتناول الكتاب فتوح المسلمين الاولى حتى نهاية الدولة الاموية ويذيله بأهم الوقائع التى حدثت فى عهود الخلفاء العباسيين الاول حتى المعتصم بالله . وبالرغم من ان الكتاب كان معروفا بين كتب التاريخ الاسلامى حتى أنه ترجم الى الفارسية أواخر القرن السادس الهجرى ، الا أنه لم يعثر الا مؤخرا على نسخ عربية مخطوطة عنه . وتقوم بنشره حاليا مشكورة دائرة المعارف الاسلامية بحيدر آباد الدكن بالهند ، وتوجد منه بجامعة الكويت نسخة مصورة عن نسخة استانبول . وقد بدأ هذا المخطوط يحظى باهتمام المشتغلين بالدراسات الاسلامية لما يتضمنه من معلومات قيمة وتفصيلات ضافية ، توضح بعض الروايات المختصرة لدى الطبرى بالاضافة الى انفراده ببعض الاخبار المتعلقة بحروب الردة وفتوح العراق والشام وخراسان وارمينيا واذربيجان والحروب بين العرب والخزر والعلاقات بين العرب والبيزنطيين .

بدء المفاوضات بين المسلمين والروم :

ويهمنا فى هذا المقال روايات انفرد صاحب الكتاب بذكرها حول مفاوضات جرت بين المسلمين والروم ابان فتوح الشام . ذلك ان ابا عبيدة عامر بن الجراح قائد جيوش المسلمين التى توجهت الى بلاد الشام ، أراد قبل أن يباشر الروم وحلفاؤهم من العرب الغساسنة القتال . ان يدعوهم الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ويقيم الحجة عليهم فأرسل اليهم بعثة سلام وهداية برئاسة هشام بن العاص شقيق عمرو ابن العاص ضمت جماعة من المسلمين من اهل الدين والحسب . ويصور لنا ابن اعثم لقاء البعثة أول الأمر بجبلة بن الايهم زعيم الغساسنة الذى كان يعسكر فى أربعين الفا من العرب المتنصرة فى غوطة دمشق ، فيقول ان افراد البعثة المسلمين « دخلوا عليه فى مجلس له مزخرف وعلى يمينه كراسى الذهب والفضة ... وعلى جبلة يومئذ ثياب سود وتاجه على رأسه فلما نظر المسلمين أومأ اليهم ان اجلسوا ، فجلس المسلمون بعيدا منه واذا رسول جبلة قد أقبل اليهم فقال لهم : يقول لكم جبلة ما حاجتكم ؟ فقال هشام للرسول : ارجع اليه فقل له : ان اردت كلامنا فانزل عن فرشك وكلمنا ، فانطلق اليه الرسول فخبره بذلك ، فنزل جبلة عن فرشه تلك المرتفعة التى كان عليها الى فرش دونها ، ثم جلس عليها واومأ الى المسلمين تقدموا ، فتقدموا وجلسوا قريبا من فرشه ، ثم كلمه هشام بن العاص ودعاه الى الاسلام ورغبه فيه وقرأ عليه كتاب الله عز وجل وخبره بأمر الجنة والنار ، فأبى جبلة ذلك ونفر من الاسلام نفرا شديدا . فقال له

هشام : اذ قد ابيت ما دعوناك اليه فانى مسائلك ما هذه الثياب السود التى اراها عليك ؟ فقال جبلة : انى لبستها نذرا على ان لا انزعها حتى اخرجكم من الشام . فتبسم هشام ثم قال : يا جبلة انك والله لن تقدر ان تمنع مجلسك هذا منا والله لنأخذنه ولناخذن ملك الملك الأعظم (قيصر الروم) وبذلك خبرنا نبينا الصادق عليه السلام ... فلا تشك فى ذلك يا جبلة فأسود وجه جبلة ... ثم قال : الى بعثتم أم الى الملك الاعظم ؟ فقال هشام بعثنا اليك واليه . قال : فسيروا اذا اليه فأن اجابكم الى ما تريدون اجبتكم ولم اتأب عليكم .

وهكذا ادت البعثة الاسلامية دورها المشرف وختمت مهمتها بتوجيه انذار شديد اللهجة الى جبلة الذى اضطر الى تعليق قبوله مطالب المسلمين على موقف قيصر الروم .

قيصر يرفض دعوة البعثة :

غادرت بعثة المسلمين برئاسة هشام بن العاص مقر جبلة فى غوطة دمشق وتوجهت الى انطاكية لتبليغ قيصر الروم رسالتها . ويحدثنا ابن أعثم كيف كبر المسلمون لدى وصولهم باب قيصر حيث منعهم من مواصلة التكبير وادخلهم قصره باعتبارهم رسلا . وكيف كان الروم يحسبون الحساب كله للتكبير الذى كان يطلقه المسلمون لدى فتحهم المدن والحصون .

غير ان هرقل قيصر الروم الذى أكرم وفادة البعثة رفض دعوة الاسلام خوفا من أن يؤدى ذلك الى انتزاع ملكه وسلطانه . وقد رفض هشام واصحابه قبول أى هدية من هرقل ، وعادوا الى ابى عبيدة بن الجراح ، فاخبروه بما كان من أمر جبلة وهرقل . فاستشهد أبو عبيدة بالآية الكريمة « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم » .

وهنا لم يبق امام المسلمين من خيار سوى قتال المشركين فاجتاح المسلمون البلقاء فى شرق الاردن ، وواصلوا تقدمهم شمالا حتى افتتحوا دمشق واوقعوا فى جموع الروم وحلفائهم فى اجنادين بفلسطين . الا أن الروم لموا شعثهم من جديد وجاءتهم أمداد كثيرة من الشمال حتى اجتمع لديهم حوالى مائة الف ، لقيهم المسلمون فى موقعة فحل شمال وادى الاردن ، وانتصروا عليهم بالرغم من أن عدد المسلمين لم يكن يزيد على عشرين الفا .

مفاوضات بين الروم والمسلمين قبيل موقعة فحل :

ويورد ابن أعثم أخبار مفاوضات طويلة جرت بين الروم والمسلمين قبيل موقعة فحل ، نوردها بشىء من التفصيل باعتبارها نموذجا ممتازا لمفاوضات العرب المسلمين مع أعدائهم فى ذلك الوقت . فقد بعثت الروم برسالة شديدة اللهجة الى ابى عبيدة جاء فيها : « أيها الشيخ أخرج انت ومن معك من أهل دينك من بلادنا هذه التى تنبت الحنطة والشعير والفواكه والاعناب والخير الكثير ، وارجعوا الى بلادكم بلاد القحط والجوع والبؤس والفقر ، والا اتيناكم فيما لا قبل لكم به من الخيل والجنود ثم لا تنصرف عنكم وفيكم عين تطرف وقد أعذر من أنذر . »

رد ابى عبيدة :

ولم يكن أبو عبيدة ولا أى فرد من المسلمين ليقبل هذه الرسالة أو الانذار

فحمل رسول الروم رسالة جوابية قال فيها : ان الله تبارك وتعالى هو الذى جاء بنا اليها ــ اى بلاد الشام ، ولم تكن بالدى نخرج عنها فقد ورثنا الله اياها فاخذناها باسيافنا وفتحناهــا عنوة وغنما ونزعها الله من ايديكم وجعلها فى ايدينا ، وانما البلاد بلاد الله والعباد عباد الله ، وهو ملك الملوك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شىء قدير .. ولما راى الله تبارك وتعالى قلة صبركم وكثرة صبرنا وقلة شكركم وكثرة شكرنا ، رآنا لهذه البلاد اهلا وابدلنا بلاد البؤس والشقاء ببــلاد الخير الكثير والعيش الرفيع والجناب الخصيب ، وكنا أحق بها واهلهــا لايماننا بالله وكفركم به ، فلا تحسبونا تاركيها ومنصرفين عنها ولا خارجين منها الى غيرها ، فذروا عنكم تمنى الاباطيل والامانى الكاذبة . وأما قولكم بأنكم تأتوننا فيما لا قبل لنا به فوالله لا تأتوننا بجند الا اتيناكم بمثلــه أو أضــعافه ان شــاء الله ولا قوة الا بالله ، فكونوا من ذلك على يقين .

تراجع الروم عن التهديد والوعيد :

فلما أطلع الروم على هذا الجواب الشديد داخل قلوبهم الرعب والخوف وأرسلوا الى أبى عبيدة يقولــون : « ابعث الينا رجلا من صلحاء اصحابك حتى نسأله عما تريدون وتطلبــون وتسألون ، ونخبره بما عندنا وندعوكم الى حظكم ورشدكم . »

سفارة معاذ بن جبل :

لم يمانع أبو عبيدة فى ذلك حتــى يقيم الحجة على الكافرين قبل قتالهم ، فأرسل اليهم معاذ بن جبل الصحابى المعروف ، فأقبل اليهم معاذ علــى فرس له أدهم كما يصفه ابن أعثم وعلى رأسه عمامة حمراء عليه درع له سابغقد ظاهره بحريرة صفراء وقد تقلد بسيف له يمــان ، حتى اذا دنا من القوم نزل عن فرسه وأخذ بعنانه وجعل يقوده وهو يمشى اليهم . فقال بعضهم لبعض غلمانه : اذهب فامسك عليه فرسه . فقال معاذ للغــلام اليك عنى فانى أمسك فرسى ولا أحب أن يمسكه غيرى واستطاع معاذ بن جبل بنفاذ بضيرته وقوة موقفــــه وسلوكه ان يلتزع أعجاب أعدائه به من قبل أن تبدأ المفاوضات بينـــــه وبينهم .

ونوجز ما فصله ابن أعثم من أمر هذه المفاوضات فى أن الروم سألوا معاذ عما يريد المسلمون وعن دعوتهم وحذروه من الاستهانة بقوة الروم . وقد أجابهم معاذ بأن الله تعالى قد أمر المسلمين بجهاد الكفار فى كل مكان حيث قال فى كتابه الكريم « يا أيها الذين آمنــوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » وأكد لهم أن المسلمين لا يعتمدون فى النصر على كثرة عددهم وانما يعتمدون فى ذلك على ربهم عز وجل . وقدم معاذ شرحا موجزا لرسالة الاسلام وبعض أحكامه الهامة وتعاليمه ، ومن بينها رأى الاســلام فى عيسى بن مريم عليه السلام . وأكد لهم أن دخولهم فى الدين الجديد هو الذى يضع حدا للقتال ويجعلهم أخوة فى الاســـلام للعرب المسلمين فيتحد الجانبان لقتال الأعداء . وعرض عليهم أن أبوا ذلك دفع الجزية والاقرار بالــــولاء والا فالقتال والمناجزة .

الروم يبداون فى تقديم التنازلات للمسلمين :

وهنا حاول الروم ان يزحزحــــوا معاذا عن موقفــــه بتقديم بعــض

التنازلات فقالوا له : « انا نرى الأمر متباعدا بيننا وبينكم متفاوتا جـدا . وقـد بقيت خصلـة واحـدة نحن نعرضها عليكم ، نعطيكم أرض البلقاء وما والاها مما غلبتم عليه وتتنحون عن بقية أرضنا ومدائننا وتكتبون لنا عليكم بذلك كتابا نسمى فيه خياركم وصلحاءكم ونأخـذ فيـه عهـودكم ومواثيقكم ، انكم لا تطلبون من أرضنا شيئا الا ما صالحنـاكم عليـه ، ونعطيكم منا من الوفاء مثل ذلـك وتنصرفون عنا ، وعليكم بأرض فارس فقاتلوا أهلها ونحن نعينكم على ذلك . فأجابهم معاذ : أما ما ذكرتم انـكم تعطونا أرض البلقاء ، فأن البلقاء وغير البلقـاء من أرضـكم بأيدينا ونحـن عازمون على ان نجليكم من جميـع أرض الشام ، وتكون بأجمعها لنا ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله » .

غضب الروم من كلام معاذ وطلبوا منه الرجوع الى المسلمين ، بعد ان توعدوه وقومه بأن يشتتوا شملهم فى الجبال لانه لم يقبل بشروطهم . فـرد عليهم معاذ : أما فى الجبال فلا يكون ذلك أبدا . ولكن والله لنقتلن عـن آخرنا أو نخرجكم منها اذلة وانتـم صاغرون . وفى ذلك دلالة وأى دلالة على مدى أصرار المسلمين على النصر أو الشهادة ورفضهم المطلق للتراجع أو الانسحاب .

الروم توفد مبعوثا آخر لابى عبيدة :

ويبدو أن الروم لم يكونوا ليتوقعوا هذا الموقف الصارم من المسلمين كما مثله معاذ ، وخشوا أن يكون معاذ قد سلك هذا الموقف من تلقاء نفسه ، دون موافقة أبى عبيدة ، فطلبوا من الاخير أن يرسل لهم رجلا آخر من المسلمين لتوضيح الامر ومواصلـة التفاوض أو يرسلوا اليه رسولا من عندهم فوافق أبو عبيدة على استقبال مبعوثهم الجديد . ويحدثنا بن أعثم عن الحيرة التى انتابت المبعـوث الرومى لما شاهده من بساطـة المسلمين وعدم استطاعته التفريق بين أميرهم وعامة جنده . وقد عـرض مبعوث الروم على أبى عبيـدة أن يأخذ كل راجل من جنـد المسلمين دينارين والفارس خمسـة دنانير وثوبين ، فى حين يأخذ أبو عبيدة الف دينار ، وخالد بن الوليد خمسمائة ، ويرسلوا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الفى دينار ، مقابل جـلاء المسلمين عن بلاد الشام واحتفاظهم ان شاءوا بأرض البلقاء وما والاها من بلاد الاردن .

فرد عليه أبو عبيدة ردا واضحـا فصلا قال فيه : انى اخبرك ما عندى يا رومى . ان الله تبارك وتعالى بعث الينا رسولا وانزل عليه كتابا جعلـه رحمة للعالمين وحجة على الكافرين ، وقد أمرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال : اذا لقيتم الذين كفروا فادعوهم الى الايمان بالله ورسوله والاقرار بما جاء من عند الله ، فمن أجابكم منهم الى دينكم فهو أخوكم فى دينكم وشريككم فى حظكم له ما لكم وعليه ما عليكم . ومن ابى منهـم الايمان فاعرضوا عليه اذا الجزيـة حتى يؤديها عن يد وهم صاغرون فأن كرهوا ان يؤمنوا وابوا أن يـؤدوا الجزية فقاتلوهم . فأن قتيلـكم المحتسب بنفسه شهيد فى جنـات النعيم ، وقتيل عدوكم فى النـار والعذاب الاليم ، فأن صدقتم يا رومى بما سمعتم وقبلتم ما اعلمتم فحظكم أصبتم والخير أريد بكم وان كرهتم ذلك وادبرتم عنه وكذبتم ، فابرزوا الينا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين » . .

وهو ما حدث فعلا فى موقعة فحل

عام ١٣ هـ التى انتصر المسلمون فيها على جموع الروم بعد ان اقاموا عليهم الحجه ودعوهم الى دعوة الاسلام والسلام .

مفاوضات اخرى بين المسلمين

والروم قبيل معركة اليرموك :

ويذكر ابن أعثم الكوفى أخبارا عن مفاوضات اخرى جرت بين المسلمين والروم قبيل معركة اليرموك فقد بعث ما هان قائد قوات الروم مبعوثا الى ابى عبيدة يطلب منه ارسال رجل من المسلمين له حب للتفاوض معه قبل الحرب . فاختار ابو عبيدة خالد بن الوليد للقيام بهذه المهمة التى رافقه فيها ميسرة بن مسروق العبسى مستشارا له .

خيمة المفاوضات :

ويصف لنا ابن اعثم الخيمة التى نصبها خالد لتكون مقرا لوفد المسلمين المفاوض بقوله « فلما أصبح ابن الوليد وعزم على المسير الى ماهان أمر بقبة حمراء فضربت له قريبا من معسكرهم ، ثم ركب خالد وركب معه ميسرة وسارا جميعا حتى نزلا على باب القبة ، ثم دخل خالد الى قبته فجلس وجلس معه ميسرة بن مسروق ووقف غلام ميسرة على باب القبة يمسك فرسيهما . » ويمضى ابن أعثم فى القول أن المفاوضات جرت فى مقر ماهان الذى أعجب بخالد ورجاحة عقله ، وبخاصة عندما أصر خالد على أصطحاب مستشاره ميسرة بن مسروق ، وأكد لماهان أن فى عسكر المسلمين اكثر من الف رجل لا يستغنى عن رأيه ومشورته . وهنا يقف المرء اعجابا بالعبقرية العربية فى ذلك العصر ، ويفهم السر الكامن وراء الانتصارات الباهرة والمكانة المرموقة التى احرزها العرب المسلمون خلال فتره وجيزة من الزمن .

وقد حاول ماهان أن يتقرب الى خالد ويتودد له ، وابدى أعجابه بفسطاطه فوهبه خالد اياه ، ولكن ذلك لم يثن خالدا عن هدفه الاصلى وموقفه الثابت من المفاوضات وقد عرض ماهان على خالد ان يتنازل الروم للمسلمين عن جميع الاموال والاسرى الذين وقعوا فى قبضتهم خلال الحروب الاولى مع الروم ، وعرض دفع عشرة آلاف دينار لعمر ابن الخطاب وخمسة آلاف لابى عبيدة ومثلها لخالد ، ولمائة من رؤساء المسلمين لكل منهم الف دينار ولكل من راجليهم خمسون دينارا . وذلك فى مقابل انسحاب المسلمين من بلاد الشام وعدم العودة اليها .

ولم يكن من الممكن قبول هذا العرض المادى الذى يصور المسلمين وكأنهم انما خرجوا طلبا لعرض الدنيا ومنافعها المادية لا لنشر الاسلام والدعوة الى رسالته الجديدة . وكان رد خالد واضحا كل الوضوح وهو أن المسلمين عندما خرجوا لفتح بلاد الشام كانوا يعرفون قوة الروم وحلفائهم وانهم انما خرجوا يحملون الاسلام لتبليغ رسالته للمشركين ، وبسط له تعاليم الدين الجديد ومبادئه وقال له : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا أن نقاتل من زعم ثانى اثنين أو ثالث ثلاثة حتى يقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، فان قلتم ذلك فقد حرمت علينا دماؤكم واموالكم الا بحقها ، وانتم أخواننا فى ديننا وشركاؤنا فى حظنا ، وان انتم ابيتم ذلك فأدوا الجزية عن يد وانتم صاغرون ، فأن ابيتم ذلك قاتلناكم على

بصيرة ويقين انه من قتل منا كان حيا عند الله شهيدا مرزوقا ، ومن قتل منكم كان كافرا وصار الى النار مخلدا فيها ابدا . فاختر الآن يا ماهان ما احببت ، واعلم انه قد جاءك قوم هم احرص على الموت منكم على الحياة ، فاخرجوا بنا على بركة الله حتى نحاكمكم إلى الله ، فأن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

وصدق الله العظيم وعده وكتب النصر للمجاهدين الصابرين على الروم المشركين الذين رفضوا قبول دعوة الهدى والايمان .

ونتبين من هذه المفاوضات التى يفيض ابن أعثم الكوفى فى ذكر تفاصيلها ، أن العرب المسلمين خرجوا من جزيرتهم مجاهدين فى سبيل الله ونشر دعوته الاسلامية متمسكين بتعاليم دينهم وقدموا المهج والارواح رخيصة من أجل انتصار الاسلام . وقد حرصوا على دعوة المشركين الى اعتناق الدين الجديد قبل قتالهم ، ومن اجل ذلك أرسلوا الوفود واستقبلوا رسل الكفار واتصلوا بهم لتوضيح موقفهم وتبليغ المشركين رسالتهم الاسلامية بالطرق السلمية . الا أن أعداءهم أصروا على رفض دعوة الحق ، ولم يفطنوا الى التغيير الشامل الذى أحدثه الاسلام فى نفوس العرب وجعل منهم خير أمة أخرجت للناس لهدايتهم . وظلوا يحسبون العرب المسلمين قوما خرجوا من الجزيرة من أجل الغزو والمغانم ، ولذلك كانت عروضهم خلال المفاوضات كلها تتمشى مع هذه النظرة الضيقة . وهو أمر كان لا بد أن يؤدى الى فشل جميع الاتصالات التى جرت مع الروم وبخاصة أن كل فرد من المسلمين كان يؤمن بحقه ويعرف هدفه ولا يفرط قيد انملة فيه ، مما أكسب العرب المسلمين قوة على قوة ومكنهم من الانتصار على أعدائهم ونشر الاسلام فى ربوع بلاد الشام وغيرها من أقطار المعمورة التى تعرف اليوم بالعالم الاسلامى .



مع الأمين العام للمنظمة الاسلامية العالمية

المؤتمر الإسلامي

تحقيق الأستاذ عبد الحليم عويس

منظمة المؤتمر الاسلامى

أسئلة كثيرة تتدافع الى ذهنك وأنت فى طريقك لمقابلة الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى الاستاذ « حسن التهامى » .

إن منظمة « المؤتمر الاسلامى » هى المنظمة الرسمية المسئولة عن المسلمين فى شتى أرجاء الأرض ، وهى الجهة المخولة من قبل الحكومات الاسلامية بالنظر فى الامور التى تتعلق بالمسلمين فى حاضرهم ومستقبلهم .

وعقب قمة الملوك والرؤساء العرب فى الرباط (١٩٦٩ م) نشأت « منظمة المؤتمر الاسلامى » كتعبير عن ملامح مرحلة جديدة فى تاريخ المسلمين المعاصر .

وقبل ظهور المنظمة كان هناك « المؤتمر الاسلامى » الذى كان مقره القاهرة ، لكنه الغى بالاتفاق بين الدول المؤسسة له . ثم حاولت « رابطة العالم الاسلامى » ، وهى منظمة شعبية تتعاون مع الدول الاسلامية ، أن تلعب دور المؤتمر الاسلامى ، وقامت بجهود طيبة ، لكن المجال كان لا يزال بحاجة الى « منظمة رسمية » لها سمات العمل الرسمى وتنظيماته وامكاناته .

ومن هذا المنطلق ، ولدت منظمة المؤتمر الاسلامى ، التى يتولى أمانتها المستشار الاستاذ « حسن التهامى » الذى أعطانا — مشكورا — ساعة من وقته ، أثناء زيارة رسمية قصيرة (ليوم واحد) قام بها لدولة الكويت .

كن مع المتفائلين :

— هل نبدأ حوارنا مع الأمين العام للمؤتمر الاسلامى من نقطة « واقع

○ "القدس" المقر الدائم لمنظمة المؤتمر الاسلامي ..
○ بليون دولار : رأس مال البنك الاسلامي ..
○ جامعتان اسلاميتان في أوغندا والنيجر ..
○ قضية مسلمي الفلبين قضية ساخنة ..
○ تقنين الشريعة الاسلامية هو البداية لوجود الدولة الاسلامية

المسلمين » أم من نقطة « مستقبلهم »؟

— لقد حدد الأمين العام مسار الحوار (ومسار الاتجاه الحديث الذى يجب أن يتسم به العمل الاسلامى) حين قال لى :

« كن مع المتفائلين » ان كل الدعوات التى غيرت وجه التاريخ قد انطلقت من نقطة « تجاوز الواقع » ودعوتنا الاسلامية الانسانية العامة على رأس هذه الدعوات . ان الواقع المزلزل لم يمنع الرسول صلى الله عليه وسلم فى « ظروف الخندق » أن يثق فى أن الله سيحقق وعده ، وأن رسالة الاسلام ستمتد من فوق أسوار « المدينة » المحاصرة ، الى آفاق الأرض كلها .. حتى يفتح الله بلاد كسرى وقيصر !!

— ومنظمة المؤتمر الاسلامى تنطلق فى « استراتيجيتها العليا » من هذه النقطة ... نقطة « استيعاب الواقع » والامساك بخيوط الأمل والنور من خلاله ، والتخطيط بالتالى للمستقبل .

● كيف .. ؟

أجاب الأمين العام :

— أن مقر الأمانة العامة للمؤتمر الاسلامى موجود فى « جدة » بصفة مؤقتة ، لكن مقره الرسمى ومركزه الاساسى الدائم فى مدينة « القدس » — كما قرر مؤتمر الرباط — ووجودنا فى « جدة » وجود مرحلي مؤقت .

ونحن — فى المنظمة — نواجه العصر ببرنامج انسانى عالمى ملائم لعالمية الدعوة الاسلامية .. اننا لا نريد أن تحد انطلاقتنا « جزئية وقتية » ولا « وجهة نظر عابرة » .. هناك — بجانب « مشروع عالمية الدعوة الاسلامية » — برنامج « النشاط العالمى للشباب المسلم » فى البلاد الاسلامية وغيرها .

وهناك برامج ثقافية وفكرية ورياضية واجتماعية ،سترصد لها أجهزة الرعاية الملائمة ، على مستوى الامكانات المادية وغيرها من العناصر اللازمة للنجاح . وهذه البرامج كلها عالمية الطابع .

● وعن المشروعات الأخرى التى طال انتظارنا لها .. البنك الاسلامى مثلا .. ؟

ـ اطمئنك ، واطمئن الذين طال انتظارهم مثلك ، نحن فى عصر الدراسات الأكثر عمقا واناة .. وفى ١٥ مايو الماضى ، عقد اجتماع للنظر فى اتمام الدراسات اللازمة التى قام بها المختصون . وبعرض المشروع على مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية المنعقد بماليزيا ، يعلن قيام البنك الاسلامى ، وتتحدد فيه حصص الدول الاسلامية للمشاركة فى راس المال ، ويتم ـ بالتالى ـ تشكيل مجالس ادارته ، ومشروعاته فى خدمة العالم الاسلامى .

ومن المقرر أن يبدأ « البنك الاسلامى » خطوته الأولى برأس مال قدره بليون دولار (الف مليون دولار) .

● ووكالة الانباء الاسلامية ؟

ـ لقد دخلت ضمن مشروع « التضامن الاسلامى » ، وبازدياد تجميع رأس المال اللازم ستقوم هذا العام (١٣٩٤ هـ) ، فان مشروعها المدروس مشروع متكامل ، وسيتم تمويله هذا العام ان شاء الله .

● ونمد الطرف قليلا ، لنتعرف على خطة « المؤتمر الاسلامى » فى نشر الاسلام بافريقيا .. ؟

اجاب أمين عام المؤتمر الاسلامى :

ـ يقوم تخطيط منظمة المؤتمر الاسلامى لنشر الاسلام فى أفريقيا على ثلاث دعائم ، تمثل حصاد دراسة علمية طويلة واعية .

أولا : رعاية الشعوب الاسلامية والجماعات الاسلامية بافريقيا ، وذلك لتثبيت انتمائهم للأمة الاسلامية . وأهم وسائلنا لتحقيق هذه الغاية معاونة هذه الشعوب وتلك الجماعات على الحياة ، فقد أصاب الجفاف والقحط كثيرا من البلاد التى يقطنها هؤلاء . وان معاونتهم فى هذه الناحية ستفيدهم فى التغلب على هذه المصاعب ، وتثبيت قضيه وجودهم وانتمائهم الاسلامى ، فضلا عن سد الباب أمام الذين يستغلون أمثال هذه الظروف لحرب الاسلام وغرس المبادىء المستوردة .

ونحن نأمل أن يتم ذلك التعاون ، بجانب اطار التعاون العربى الافريقى ودعما له .

ثانيا : تعليم الدين الاسلامى وتحفيظ القرآن الكريم ، وذلك عن طريق مد هذه الدول بالمدرسين والمبعوثين المسلمين . وهذا يتم ثنائيا بين الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الاسلامى وافريقية .

والمنظمة بصدد دعم وتوسيع رقعة التعاون فى هذا المجال وتمويله .

ثالثا : تدعيم المراكز الاسلامية فى هذه البلاد ـ برسالتها المعروفة ـ وانشاء عدد من الجامعات الاسلامية بها . وهى آخر ما تقرر فى مؤتمر لاهور ، لكى تتخرج من هذه الجامعات اجيال من المثقفين ، يشاركون فى اقامة نظام الدولة الاسلامية ، واطارات الحكومة الاسلامية الطابع ، بما فى ذلك تأسيس كليات « للتكنولوجيا » والطب وغيرهما .

ونحن نرى أن الدول الافريقية تحتاج وتهتم فعلا بهذا المستوى الرفيع من الثقافة الاسلامية ، وتتمنى أن تحل محل الثقافات الأخرى الدخيلة عليها .

ـ والمؤتمر الاسلامى ، بصدد تنفيذ قرار « مؤتمر لاهور » الخاص بدراسة امكانية اقامة كليات الجامعات الاسلامية على أحدث النظم وأكثرها أصالة ، وضرورة دعم الفكر والعلوم والثقافة الاسلامية فى شتى ميادين الحياة الاسلامية .

ومعروف أن مؤتمر لاهور قد قرر ـ كبداية ـ بناء جامعتين : احداهما

فى أوغندا والأخرى فى النيجر .
وليس ثمة مانع من زيادة عدد الجامعات فى البلاد الافريقية ــ بعد ذلك ــ فالاستعداد والقبول متوفران لدى كل دول المنظمة .

● الأقليات الاسلامية ــ كما تعلم سيادتكم ــ تؤرق الضمير الاسلامى. ولكى أكون « عمليا » أركز ــ فى سؤالى حول قضية الأقليات ــ على قضيتين ، يتميزان بمستويين مختلفين: الفلبين وتايلاند .. ؟

ــ أبدأ بالفلبين ..
المؤتمر مهتم بالفلبين ، لأنها قضية « ساخنة » كما يقولون . وقد نجحت المنظمة فى أن تصل مع الرئيس الفلبيني « ماركوس » الى نتيجة ايجابية .. فقد وافق ماركوس « كتابيا » لدول المؤتمر الاسلامى على اقامة وكالة اغاثة للمسلمين فى الفلبين . ويتركز البحث الآن فى وسيلة اقامتها واسلوب عملها وراس المال اللازم لها .

ــ أما قضية « تايلاند » فليست « ساخنة » على مستوى الفلبين . ومسلمو تايلاند يلقون رعاية واستعدادا طيبا للتفاهم من حكومتهم ولا تشابه بين مشكلتهم ومشكلة الفلبين .

والذى نسعى اليه الآن هو تثبيت دعائم المسلمين فى جنوب تايلاند ومشاركتهم فى الحكم .
وقد لقيت شخصيا من المسئولين الكبار فى حكومة تايلاند الاستعداد الطيب لهذا التعاون ، وسأقوم بجولة لاحقة لإتمام ذلك ان شاء الله .

● والتبشير ، بوسائله المعروفة ، أيضا ، من مؤرقات الضمير الاسلامى . كيف يخطط المؤتمر الاسلامى لمواجهته ؟

ــ نحن ــ فى المؤتمر الاسلامى ــ نواجه التبشير ببرنامج ايجابى محدد، انه برنامج « احياء الدعوة الاسلامية » على مستوى عالمى ، وفق تنظيم عالمى وتمويل اسلامى عالمى . وذلك هو الطريق الوحيد القادر ــ بعون الله ــ على وقف التيار الزاحف على أطراف الأمة الاسلامية ، ومواجهته ، وتثبيت عقائد الأمة الاسلامية ، بل وتنميتها .

ومن الواجب علينا الا ننزعج كثيرا مما حدث فى العامين الأخيرين من منجزات تبشيرية ، لأن الدين الاسلامى قوى متين ، سوف لا يلبث أن يعيد الأمور الى نصابها ، بمجرد أن يبدأ هذا البرنامج . ومن واجبنا كذلك أن نخاطب وجدان المسلمين فى المناطق النائية التى تتعرض للزحف التبشيرى ، ونرعى مصالحهم ، ونحميهم من ذلك الزحف الطارىء المؤقت الانتهازى الطابع .

● ومسلمو أوربا ــ سيادة الأمين العام ــ هل يلقون رعاية ثقافية من المنظمة .. ؟

ــ هناك مشروع قائم بذاته خاص بأوربا ، يهدف الى رعاية المراكز الثقافية الاسلامية بها .
وقد تشكلت ــ فعلا ــ لجنة دائمة لمتابعة تحقيق هذا الهدف . وسوف يتبعها عمل مماثل فى الأمريكتين هذا العام (١٣٩٤ هـ) . وكلما توفر المال اللازم لهذه النشاطات ، كلما زادت خطى السعى فى هذا الشأن .
ولستأخفى أن المؤتمر الاسلامى يرحب بمعاونة الدول الاسلامية فى دعم المنظمة العالمية بالمال والجهد . ونعتبر ذلك ركنا أساسيا من أركان الجهاد فى سبيل الله ، فى عصرنا الحالى .. عصر العلم والحضارة والاقتصاد والفكر والحرب والسلام .

● هل تتكرمون بتحديد موقف المنظمة من قضية « تغريب » المرأة المسلمة .. ؟

ــ للمرأة فى الاسلام دورها وكرامتهاوشرفها وأصالتها واحترامها، سواء كانت ربة بيت أو عاملة فى

المجتمع . لكن الاسلام عندما يقيم دعائم المجتمع المتين ، يصر على احترام وضع المراة المسلمة ، فى الدرس والبيت والمجتمع .

ويفكر المسئولون فى المؤتمر الاسلامى ، كجزء من برامج النشاط الاسلامى — فى افريقيا مثلا — فى احياء المجتمع الاسلامى ، حتى يتحقق المستوى الرفيع لكيان هذا المجتمع بشتى افراده وطبقاته .

وفى رايى .. انه مهما تحدثنا عن دور المراة فى بناء المجتمع الاسلامى ، فانه يبقى علينا ان نقرر فى كل تشريعاتنا تنظيم مشاركة المراة فى العمل الايجابى ، بحيث تتحقق لها كرامتها الآدمية ، ويتحقق لها احترامها كامراة ، وايضا .. نحافظ على شعور المجتمع الاسلامى .

فاذا شاركت المراة فى عمل رسمى فلا بد أن ترعى هى — أولا — شروط الشريعة الاسلامية فى معاملاتها وآدابها .. ويبقى على المشرع — بعد ذلك — أن ينظم تعاملها مع المجتمع ، وينسق ذلك فى اطار حياة الأمة الاسلامية .

وعلينا جميعا شبابا وشيوخا — كمسلمين — أن نقف حراسا على المراة ، حتى تنسجم مع المجتمع الاسلامى ، وحتى نحافظ على كرامتها وشرفها وسترها ، مهما تشعبت بنا السبل فى عملية تخويلها ممارسة اعمال ما فى الدولة الاسلامية .

● وسؤالنا الأخير — مع الشكر — يتعلق بموقف المنظمة الاسلامية العالمية من « القوانين الوضعية » فى العالم الاسلامى .. ؟

— ثمة محاولة فى « المؤتمر الاسلامى » لتقنين الشريعة الاسلامية فى شتى المجالات ، بل حتى فى الاقتصاد والقانون والتعليم ، بل وفى نظم الحرب وآدابها .

وغنى عن القول : ان هذه الأمة الاسلامية ، والانسانية بعامة ، لن تجد خيرا من الشريعة الاسلامية اساسا رئيسيا لكل قوانينها . والمهم الآن : تقنينها ، بالشكل الذى يغنى الأمة الاسلامية — تلقائيا — عن الرجوع الى دساتير وقوانين اجنبية .

وانى لآمل من الله سبحانه وتعالى ان يمكن منظمة العالم الاسلامى من ايجاد هذه الموسوعة القانونية الشرعية فى مدى عام ، لتكون مرجعا لكل الدول الاسلامية فى التشريع .

وأحمد الله ، فان لدى العالم الاسلامى من المفكرين والباحثين ما يكفى لانجاز هذا العمل العظيم . ولا ينقصنا الا جمعهم على مستوى عالى ، بعد توفير الامكانات اللازمة ، وبذل الجهد — بعد ذلك — لاخراج هذه الموسوعة ، وتعميمها بالطرق الممكنة .

وهذا العمل — من وجهة نظرى — هو بداية وجود الدولة الاسلامية الكبرى ، حيث تعم الشريعة والقانون والدستور الاسلامى كل هذه الرقعة العريضة من الارض التى تعيش عليها الأمة الاسلامية ، وحيث يتمكن قادتنا وزعماؤنا الذين تضمهم منظمة « المؤتمر الاسلامى » العالمية — من الاستناد الى ذلك التشريع ، لتطوير النظم التقليدية الوضعية الاجنبية ، على الأسس الاسلامية ، بالتدريج ، عاما بعد عام . فيحققون — بذلك — الوجود الحضارى الأمثل للأمة الاسلامية .

نحو اقتصاد اسلامي متحرر ـ ٢

للدكتور : ابراهيم فؤاد احمد على

تعرضت فى المقال السابق الذى تفضلت المجلة بنشره فى عددها الممتاز رقم ١٠٩ الصادر فى غرة المحرم ١٣٩٤ هـ ـ يناير ١٩٧٤ م ، الى الدعوة الى الاخذ بالنظم الاقتصادية الاسلامية ، واشرت الى بعض المفاهيم الاسلامية التى تعتبر أساسا للمذهب الاسلامى والتى يدور فى اطارها النظم الاسلامية المختلفة بحسب الظروف الاقتصادية والاجتماعية لكل دولة اسلامية ، كما أوردت فى ختام ذلك المقال بيانا بموارد بيت المال الاسلامى .

وفى هذا العدد أتعرض لمورد (الزكاة) وهو من الموارد الرئيسية الشرعية لاية وزارة للخزانة او المالية فى كل بلد اسلامى .

اولا ـ تعريف الزكاة

الزكاة فى اللغة هى الطهارة والنماء « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » والصدقة زكاة والزكاة صدقة ، يفترق الاسم ويتفق المسمى ، سميت بذلك لأنها تطهر المال وتنميه . يقال زكا الزرع اذا كثر ريعه ، وزكت النفقة اذا بورك فيها . والزكاة فى الشريعة هى « حق واجب فى مال خاص لطائفة مخصوصة فى وقت مخصوص » فهى عبادة من ناحية ، وواجب اجتماعى من ناحية أخرى ، وهى طهارة للضمير والذمة بأداء الحق المفروض ، وطهارة للنفس من فطرة الشح وغريزة حب الذات ، فالمال غال وحين تجود به النفس للآخرين انما تطهر وتسمو وتشرق ، وهى طهارة للمال بأداء حقه وصيرورته بعد ذلك حلالا خالصا لصاحبه .

ولأن فى الزكاة معنى العبادة لطلبها من المسلمين ، بلغ من لطف الاسلام الا يطلب من أهل الذمة من اهل الكتاب (النصارى واليهود مثلا) اداؤها واستبدل بها الجزية ليشتركوا فى النفقات العامة للدولة دون أن تفرض عليهم عبادة خاصة من عبادات الاسلام .

والزكاة ركن من أركان الاسلام الخمسة ، وفرض عين على كل من توافرت فيه شروطها . وقد فرضت فى السنة الثانية من الهجرة ، ودليل فرضيتها الكتاب والسنة والاجماع ، قال تعالى « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « بنى الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » وحين بعث الرسول معاذ بن جبل الى اليمن قال له « ادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم » وهذا الحديث يشير اشارة صريحة الى ان الزكاة من الموارد المالية الرئيسية للهيئات المحلية ، اذ أن الرسول أمر بجبايتها من اغنياء اليمن وانفاقها على فقرائهم .

وقد تشدد الاسلام فى ضرورة أداء الزكاة حتى أن الامر بأدائها ورد مقرونا بالصلاة فى اثنين وثمانين موضعا فى القرآن الكريم وتوعد مانعها بالعقاب الشديد ، قال تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباهم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » سورة التوبة ٣٥ ، ٣٦ . وعن النبى انه قال « ان الله فرض على أغنياء المسلمين فى اموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا وعروا الا بما يصنع أغنياؤهم ، الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما » .

وقد قرر الفقهاء أن من منع الزكاة معتقدا وجوبها اخذت منه قهرا ، أما من انكر وجوبها وكان ناشئا ببلاد الاسلام بين أهل العلم فهو مرتد تجرى عليه أحكام المرتدين ويستتاب ثلاثا فان تاب والا قتل . وما حروب الردة التى قام بها الخليفة الاول ابو بكر الصديق حين منعت بعض قبائل العرب أداء الزكاة الا تطبيق عملى لبيان أهمية استيفاء الزكاة بمعرفة الدولة ، ولبيان عقوبة من يمتنع عن أدائها أو ينكر فرضيتها .

ثانيا ــ خصائص الزكاة

للزكاة خصائص متعددة لا يتسع هذا المقال القصير لتناولها ، ولكنى سأقتصر على ابراز أهم خصائصها باختصار . ومن خصائص الزكاة ما يأتى :

اولا ــ الزكاة ضريبة للدولة حق جبايتها وانفاقها :

يعتقد الكثيرون أن الزكاة احسان فردى متروك للفرد الحرية فى منحه أو منعه ولكن المدقق فيها يجد أنها ضريبة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ، وأنها من أهم الموارد الرئيسية للتكافل الاجتماعى فى المجتمع الاسلامى ، كما أن الحاكم مأمور بجبايتها وانفاق حصيلتها فى الأوجه التى حددها القرآن الكريم ، قال تعالى آمرا الرسول بجبايتها « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » وقال تعالى مبينا أوجه انفاقها « انما الصدقات للفقراء والمساكين » الآية . ويتبين أن مصارفها كما توجه لنواحى التكافل الاجتماعى فى معظمها ، فانها توجه كذلك لقضاء المصالح العامة فى الدولة . وقد قام الرسول بجبايتها وانفاقها ، كما أرسل عماله لجبايتها من القبائل ، وبين لهم وعاءها وكيفية انفاقها . وقام بذلك الخلفاء الراشدون من بعده . وأبادر الى بيان أن الامر بأخذ الصدقة فى الآية

الشريفة المقصود به صدقة الفريضة وهى الزكاة ، وهى بخلاف صدقة التطوع المتروك امر منحها أو منعها للفرد ، فان اداها استحق المثوبة وان منعهـــا فلا تثريب عليه .

ونحاول الآن اثبات ان الزكاة ضريبة . فالضريبة تعرف بأنها فريضة من المال تستأديها الدولة أو السلطات المحلية من رعيتها والقاطنين بها على قدر يسار كل مكلف لتمكينها من اداء المرافق العامة التى تضطلع بها . ولنبحث الآن اركان الضريبة لنرى مدى انطباقها على الزكاة :

١ — الضريبة فريضة ، اى ان اداءها واجب على المكلف فهو ليس حرا فى ادائها ولا فى اختيار مقدار ما يدفع منها ، ولا فى كيفية الدفع وموعده ، بل يحدد المشرع ذلك كله ويلزم الكافة باحترام هذا التحديد حتى ولو كان منهم من يعارضها . والزكاة ايضا فريضة فأداؤها واجب على كل من عنده النصاب حتى أن اليتيم يكلف وليه بأدائهـــا ، وحدد الشرع كيفية ادائها وموعده ، فمثلا زكاة الزروع تستحق عند نضج المحصول « وآتوا حقه يوم حصاده » .

٢ — لا تفرض الضريبة الا على الاشخاص لأن الضريبة تكليف او واجب وليس غير الشخص من يؤدى هذا الواجب فاذا فرضت ضريبة على المبانى مثلا فان الذى يكلف بدفعها هو صاحب المبانى وكذلك الزكاة فان محل التكليف فيها الاشخاص مع انها مفروضة فى أموال مختلفة .

٣ — أن الضريبة لا تكون ضريبة الا اذا فرضتها سلطات عامة كالدولة بالنسبة للضرائب المركزية والسلطة المحلية بالنسبة للضرائب المحلية . وكذلك الزكاة فلم يتركها الله سبحانه وتعالى للحكام يفرضونها حسب أهوائهم ، بل فرضها الله وجعل ولاية جبايتها وانفاقها للسلطات العامة بشروط معينة ، وقد أوجب كثير من الفقهاء دفعها الى الامام حتى ولو كان جائرا .

٤ — تجبى الضريبة لاداء المرافق العامة التى تضطلع بها الســــلطات العامة ، فلا يدخل فى حسبان مقدار ما يفرض منها على المكلف مقدار النفع الذى سيؤول اليه بالذات من اداء هذه المرافق بل يوزن هذا التكليف بمقدار اليسار قل نفع المكلف او كثر او انعدم . وكذلك الزكاة فانها تجبى وينفق جزء منهـــا لأداء المرافق العامة فى الدولة بصرف النظر عما يعود على دافعها من منافع مادية وبقدر يسار كل مكلف تفرض الزكاة الواجبة فى أمواله .

ويتبين من هذا مدى توافر أركان الضريبة فى الزكاة والتى تجعلنا نحكم عليها بأنها فريضة تقوم الدولة بجبايتها وانفاقها ، وليست كما قد يظن البعض فى عداد الصدقات الفردية والتى يترك أمرها للافراد انفسهم يخرجونها ان شاءوا أو يمنعونها .

ثانيا — الزكاة من الضرائب المحلية :

من المعروف فى المالية الحديثة ان هناك ضرائب تفرضها الحكومة المركزية تتسم بالطابع الشخصى كضرائب الدخل واخرى تفرضها الحـــكومات المحلية تحصلها وتنفقها فى نطاقها المحلى وان لم تف الضرائب المحلية بنفقات الهيئات المحلية ، فعلى الحكومة المركزية أن تمدها باعانات مالية . والمعروف كذلك أن الاساس فى مالية الدولة الاسلامية انها قائمة على أساس اللامركزية أو على نظام مالية الهيئات المحلية فى العصر الحديث ، فكل اقليم له موارده المـــالية الخاصة به ينفق منها ما يحتاج اليه من نفقات فى المرافق والمصالح المختلفة فان

بقى فضل من موارده ارسل الى بيت المال المركزى وان لم يبـق شىء من تلك الموارد واحتاج الاقليم الى معونة بيت المال الرئيسى كان عليه اعانته .

والزكاة من الضرائب المحلية التى تؤخذ من المكلفين فى مكان وتنفق على المستحقين من أهل ذلك المكان وما بقى بعد ذلك يرسل الى بيت المال الرئيسى لينفق على القرى القريبة من ذلك المكان والتى تحتاج الى الاعا[illegible] وقد اهتدت كثير من الدول حديثا مثل انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الا[illegible] وغيرها من الدول الى قواعد مالية الهيئات المحلية التى عرفها الاسلام منذ [illegible] أربعة عشر قرنا وجعلت للضرائب المحلية اهمية كبيرة من ناحية تحصيلها وانفاقها فى مكانها .

وهناك الكثير من الأدلة التى تثبت أن ضرائب الزكاة بأنواعها المختلفة من الموارد المحلية ، أولها الحديث الشريف الذى أوردناه عندما أرسل النبى معاذا الى اليمن وأمره بأن يأخذ الزكاة من أغنيائهم وينفقها على فقرائهم ، وكذلك فان معاذا مكث باليمن أيام الرسول وأيام خلافة الصديق أبى بكر وأيام خلافة عمر بن الخطاب وحدث أن بعث معاذ الى عمربن الخطاب بثلث صدقة الناس فأنكر عليه عمر ذلك وقال له : لم أبعثك جابيا ولا آخذ جزية ولكن بعثتك لتأخذ من أغنيـاء الناس فتردها على فقرائهم . فرد عليه معاذ بقوله : « ما بعثت اليك بشىء وأنا أجد أحدا يأخذه منى » فلما كان العام الثانى بعث اليه بشطر (بنصف) الصدقة فتراجعا بمثل ذلك فلما كان العام الثالث بعث اليه بها كلهـا (أى بعث اليه بالصدقة كلها) فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل ذلك فقال معاذ « ما وجدت أحدا يأخذ منى شيئا » ويتبين مما حدث بين معاذ وعمر بن الخطاب أن الوالى على اليمن وهو معاذ لم يرسل الى بيت المال المركزى الا الفائض من موارد بيت المال الفرعى باليمن وأن مفهوم مالية الهيئات المحلية كان متأصلا فى فهمه وثابتا لديه بدليل أنه كان يرد على عمر بقوله : إنه انما بعث اليه الفائض وانه لم يجد احدا يستحق شيئا من أهل اليمن .

وهناك دليل آخر على أن موارد بيت المال الفرعى ــ ومنها الزكاة ــ تنفق حيث تجبى وهذا الدليل يبين من أنه روى أن زيادا أو أحد الأمراء بعث عمران على الصدقة فلما رجع عمران للأمير قال له الامير : أين المال ؟ فقال له عمران « اللمال بعثتنى » ؟ « أخذناها من حيث كنا نأخذها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعناها حيث كنا نضعها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهذه الواقعة تبين أن الامير سال عن المال اعتقادا منه أن عمران كسـائر العمال الذين يجمعون الاموال ويحملونها الى الامراء ليصرفوها فى مصارفهم الخاصة فأنكر عليه عمران ذلك وأوضح له أن المتبع فى عهد النبى هو صرف الزكاة لمستحقيها فى المكان الذى جبيت منه . الا اذا فاض منها شىء فانه ينقل الى مكان آخر عن طريق بيت المال الرئيسى .

وحديث آخر عن الامام احمد بن حنبل أنه قال : « لا نخرج صـدقة قوم من بلد الى بلد الا أن يكـون فيها فضـل عنهـم لأن الـذى كان يجىء النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر من الصدقة انما كان فضل عنهم يعطون ما يكفيهم ويخرج الفضل عنهم » ومن هذا يتضح أن نظام جباية الزكاة وانفاقها [illegible]فق مع أحدث النظم المالية للهيئات المحلية .

ثالثا ــ الزكاة ضريبة على رأس المال والدخل :

من القواعد الاساسية فى النظم المالية أن الضرائب لا تقع الا على الدخل

لأنها تتجدد سنويا فيجب أن يكون وعاؤها مماثلا لها فى التجدد والتكرار والوعاء الذى تنطبق عليه تلك الشروط هو الدخل حيث انه مال دورى يؤول للفرد . أما اذا تجاوزت الضرائب دخول الافراد وامتدت الى رؤوس أموالهم المنتجة لهذا الدخل وأخذت جانبا منها فانها تلتهم الثروة القومية تدريجيا وتمحق شيئا فشيئا راس المال القومى ولو انه قد تحصل بعض الاستثناءات لهذه القاعدة وتفرض الضريبة على رأس المال بنسبة كبيرة بقصد الاستيلاء على جانب منه يفوق الدخل الذى يدره .

وهناك أسلوبان لربط الضرائب المباشرة على الدخل احدهما ربطها على اساس رأس المال المنتج لهذا الدخل بحيث لا تقع الضريبة الا على الدخل المنتظر نتاجه من هذا المال ، والاسلوب الثانى ربطها على الدخل مباشرة بعد أن يقاس هذا الدخل باحدى طرق القياس المعروفة لدى السلطات المالية ، وللدولة الخيار فى اصابة دخل الفرد بطريق الضرائب المباشرة بين ربطها على الدخل ذاته أو ربطها على رأس المال لاصابة الدخل المنتظر أو الجائز نتاجه منه .

وقد روعى فى فرض الزكاة انه لا بد من توافر النصاب المحدد لها والذى يختلف بحسب نوع المال المفروضة فيه كما أنها لا تجب الا فى مال نام فعلا أو تقديرا حال عليه الحول (أى مضى عليه سنة) الذى هو مظنة انتاجه واثماره ومظنة لأن يكون أداء الزكاة من ثمرته لا من أصله وقد أوصى الرسول باستثمار الاموال لتعطى عائدا تؤدى منه الزكاة فتحافظ بذلك على رؤوس الاموال وتكون متداولة غير عاطلة . ويؤيد ذلك الحديث الشريف « الا من ولى يتيما له مال فليتجر له فيه ولا يتركه فتأكله الصدقة » وفى هذا الحديث اشارة واضحة الى استثمار الاموال بمعرفة ولى اليتيم فما بالنا بأموالنا نحن .. ؟ من البديهى انها أولى بالاستثمار ليمكن اداء الزكاة من عائدها .

وعلى ذلك فهل الزكاة ضريبة على رأس المال أم على الدخل .. ؟ الواقع أن للزكاة وضعا فريدا بين الضرائب فهى تجب فى رأس المال المتداول كالنقود وعروض التجارة (السلع المعدة للاتجار) ولا تجب فى رأس المال الثابت كالمبانى والارض وادوات الحرفة التى يستعملها الصناع والحرفيون .. الخ . والزكاة بالنسبة للنقود وعروض التجارة تعتبر ضريبة على رأس المال المتداول والدخل معا حيث أنها تفرض فى نهاية العام على هذه الاموال بالنسبة لأصلها والدخول التى تولدت عنها ، أما بالنسبة لرأس المال الثابت فانها لا تجب فيه انما تجب على الدخل الناشىء عنه فقط ، فمثلا فى زكاة عروض التجارة فانها تجب على رأس المال المتداول وصافى الربح معا حسب نتيجة الجرد والحسابات الختامية فى نهاية العام اذ على التاجر أن يجرد ما عنده من سلع ويقومها ويضيف الى قيمتها ما عنده من أموال وديون قوية له فى ذمة الغير ويخصم من ذلك الديون التى عليه للغير (المطلوبات) والناتج هو وعاء ضريبة الزكاة . أما فى حالة المحاصيل الزراعية فان الزكاة لا تجب على الارض الزراعية وهى أصل ثابت بل تجب على المحصول الناتج منها بنسب خاصة فهى ضريبة على الدخل فى حالة رأس المال الثابت .

ونخلص من ذلك الى أن ضريبة الزكاة تجب على رأس المال المتداول أو العامل والايراد معا ، لا الايراد وحده كما هو الحال فى الضرائب الحديثة .

وسيكون موضوع المقال التالى باذن الله أنواع الاموال التى تجب فيها الزكاة .



قالت صحف العالم

وليس هو إلا الدين

لم يتعرض الدين اى دين كان ، والدين الحق بالخصوص ، فى جميع العصور الماضية ، لمثل ما يتعرض له فى العصر الحاضر من انكار وتشنيع ، فمن وصفه بأنه خرافة ، وانه افيون الشعوب ، وانه ضد العلم وضد الحضارة .. الى الازراء على اهله ورميهم بأقبح التهم كالتعصب والنفاق والتخلف والرجعية ، وما الى ذلك ، هذا على حين أن الأكثرية من الأمم والشعوب ما تزال متمسكة بعقيدتها الدينية ، ومتشبثة بشعائرها من عادات وعبادات ، سواء كانت من اتباع الأديان السماوية أو من منتحلى الأديان الأخرى حتى الوثنية منها ، وذلك لأن حاجة البشر الى الدين كحاجتهم الى الطعام والشراب ، فإذا كان الجسم لا بد له من غذاء لاستكمال نموه والمحافظة على سلامته واستوائه ، فان الروح التى بها يعد الانسان إنسانا ، أولى بما يقيم أودها ويذكى شعلتها ، وليس هو إلا الدين .

وإنك لترى كثيرا من المسرفين على أنفسهم فى ساعات الحسرة والضيق والاضطرار ، فتلاحظ من تعلقهم بالله والتضرع اليه ورجاء رحمته ما تقضى منه العجب ، بل انى لا أشك فى أن أكبر الملحدين حين تنزل به النازلة لا يقوى لها على دفع ، من خطر عظيم يتعرض له ، أو داء عضال يصيبه ، بله حادث الموت إذ يستيقنه ، لن يتردد فى التطلع الى السماء والرجوع عن غلوائه ، مما يدل على أن التدين غريزة طبيعية فى الانسان لا يمكنه أن يتخلص منها ولا أن يتخلى عنها وأن أنكرها احيانا وتوهم أنه يستطيع أن يعيش بدونها ، ولنقرأ على سبيل المثال قوله تعالى فى شأن فرعون : **(فلما ادركه الغرق قال آمنت)** ، والأمثلة على ذلك من غير القرآن فى الواقع المحسوس ، والتاريخ المتداول ، والنصوص الأدبية ، شعرية ونثرية ، وصفية وذاتية ، كثيرة لا نستطيع أن نلم بها هنا .

إنما المشكل الذى تحار فيه الأذهان ، هو أن يكون هذا مقام الدين فى النفوس وعلى الصعيد العملى ، فى الوقت الذى تشن عليه الحرب التى لا هوادة فيها ، ويقاوم بكل الوسائل ، سواء فى البلاد التى أعلنت لا دينيتها بصراحة ، أو التى ما تزال تدعى بأنها متدينة رسميا .

والحقيقة أن المعركة ضد الدين ، ليست معركة الأمم والشعوب ، وإنما هى معركة طائفة من الناس استولوا على مقدرات بلادهم واخذوا زمام السلطة فيها أما باستعمال القوة والعنف أو بطريق المكر والخداع ، فاستطاعوا أن ينفذوا مخططاتهم فى السياسة والاقتصاد ، وأن ينشروا أفكارهم التى تهدم دعائم المجتمع المتدين ، لأنه لا يتلاقى ومخططاتهم المبنية على فلسفة مادية إلحادية .

عن مجلة (الرائد) الهندية

الفتاوى

اذان الفجر

السؤال :

يطالب بعض الناس بمنع أذان الفجر من مكبرات الصوت بدعوى انه يزعج الاطفال ويؤذى المرضى ، فما راى الاسلام فى هذه الدعوى .. ؟

الاجابة :

الأذان شرع لاعلام أهل المدينة أو القرية أو الحى بدخول وقت الصلاة للتوافد على المسجد لأداء الفريضة ، ونظرا لاتساع المدن والقرى والأحياء وما تحدثه المواصلات والمصانع وازدحام الناس من جلبة وضوضاء فان الحاجة ماسة الى استعمال مكبرات الصوت للاعلام بدخول وقت الفريضة ، وصلاة الفجر تحين والناس نيام ، فهم فى أمس الحاجة الى صوت يسمعهم ، ونظرا لما يطرأ على المسلمين فى هذه الفترة من كسل وتراخ واستسلام للنوم الذى يحرمهم من ثواب حضور هذه الصلاة المشهودة كانت الحاجة أشد الى من يهزهم للمبادرة لادراك فضل الله الذى يفيضه على من يشهد هذه الصلاة .

ولصلاة الفجر اهمية خاصة فقد قال الله تعالى : « وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا » وقال صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » والتبكير فى اليقظة من النوم من أمارات النشاط والصحة والتأخر فى النوم من علامات الخمول والضعف ، ونحن فى عصر ننادى فيه بمضاعفة الانتاج ، واليقظة مبكرا خير عون على النشاط والعمل ، والاعتراض على أذان الفجر فى مكبر الصوت نتيجة لعدم تذوق حلاوة وثمرة اليقظة المبكرة ، ونتيجة لعدم تذوق حلاوة الطاعة والوقوف بين يدى الله سبحانه فى هذه الفترة من اليوم ، ونتيجة للسهر المضنى فيما لا ينفع ولا يفيد ، ولماذا لا نعود أطفالنا منذ نعومة أظفارهم هذه العادة الاسلامية الكريمة ، واى شىء يقوى نفسية المريض أكثر من ذكر الله والالتجاء اليه سبحانه وطلب الشفاء من عنده ؟.

على أصحاب هذه الدعوة أن يتقوا الله ويجربوا بانفسهم حلاوة الطاعة والعبادة والامتثال لأمر الله .

اجرة المواصلات

السؤال :

ركبت سيارة عامة ، واعطانى راكب (تذكرته) قبل ان ينزل فامسكتها بيدى ، ولما رآها المحصل لم يطالبنى بثمن تذكرة ، فهل هذا حرام ام حلال .. وما الحل اذا كان حراما .. ؟

الاجابة :

هذا تهرب واحتيال على دفع ثمن اجرة الركوب ، والراكب الذى أعطاك تذكرته شريك لك فى الاثم ، ويجب عليك أن ترده (للهيئة التى تملك السيارة) وذلك بأن تشترى تذكرة ولا تركب بها ، أو تشترى تذكرتين واحدة لسداد الدين الذى عليك ، والاخرى ثمنا لركوبك مرة ثانية ، ولا داعى لاعلام المحصل بالقصة والله ستار كريم .

تصفيف الرجال
شعر النساء

السؤال :

هل هناك مانع شرعا يمنع الرجال من تصفيف وقص شعر النساء .. ؟

الاجابة :

قيام الرجل بتصفيف ، أو قص شعر المرأة الاجنبية عنه حرام شرعا ، اذ يحرم على الاجنبى لمس جسم المرأة أو شعرها الا عند الضرورة ، كأن يكون طبيبا لتشخيص المرض والعلاج ، وتصفيف الشعر أو قصه ليس من الضرورات التى تبيح ذلك .

ويجوز للمرأة أن تقوم بهذا العمل .

فى الميراث

السؤال :

توفيت زوجة عن زوج وبنتين واب وام ، ولم تترك الا اثاث منزلها ، وقدرت قيمته بالف دينار ، وتركت مؤخر صداقها وقدره ثلاثمائة دينار ، فهل يضم مؤخر الصداق الى التركة .. ؟ وهل يرث الزوج فيه .. ؟ وما نصيب كل وارث .. ؟

الاجابة :

مؤخرا الصداق يعتبر شرعا دينا للزوجة على الزوج ، يحل سداده أما بالطلاق أو بالوفاة ، وبناء على هذا اذا توفيت الزوجة كان مؤخر الصداق تركة لها ويورث عنها ، فيضم الى جميع تركتها ويأخذ كل وارث نصيبه الشرعى فيها بما فى ذلك مؤخر الصداق ، وتوزع التركة على النحو التالى :

ــ للزوج الربع . وللبنتين الثلثان . وللأب السدس وللأم السدس .

فتجمع التركة وتقسم على ١٥ مضروبة فى سهم كل وارث ليخرج نصيبه من التركة .

بريد الوعي الإسلامي

تفسير آية

أرسل القارىء السيد **وليد ابراهيم سعيد** يستفسر عن معنى قوله تعالى : **(وان منكم ألا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)** .

. . . . .

ونقول للقارىء الكريم جاءت هذه الآية الكريمة فى معرض الحديث عن البعث والمنكرين له :

(ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا) ؟ .. ويقرر القرآن الكريم ان البعث أقرب الى التصور من النشأة الاولى (أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئا) ؟ ثم يقسم الله سبحانه أنهم سيحشرون بعد البعث لا محالة **(فوربك لنحشرنهم)** ولن يكونوا وحدهم بل (والشياطين) جاثين على ركبهم فى ذلة وفزع حول جهنم .. ثم ينزع منهم من كانوا أشد عتوا وتجبرا ويلقون فى النار .. وان الله ليعلم من هم أولى بأن يصلوها .. وان المؤمنين ليشهدون هذا العرض الرهيب .. فهم يردون فيدنون منها وهى تتميز وتتلمظ ويرون الطغاة العتاة يقذفون فيها .. **(وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا)** .. ثم يزحزح المؤمنون عنها وينجون بأعمالهم **(ثم ننجى الذين اتقوا)** ويبقى فى العذاب أولئك **الطغاة (ونذر الظالمين فيها جثيا)** .

ومن هنا نرى أن ورود الجحيم المقصود فى الآية الكريمة بالنسبة للكفار دخول فيها .. وبالنسبة للمؤمنين مرور بها ومشاهدتها عن قرب ..

وقيل : جميع الخلق يدخلونها فتكون بردا وسلاما على المؤمنين .. ووبالا ونكالا على الكافرين .

وقيل : ان الورود ممر عليها .. قال ابن مسعود : يرد الناس النار ، ثم يصدرون عنها بأعمالهم ، فأولهم كلمح البرق ، ثم كالريح ، ثم كحضر الفرس (اى : كعدو الفرس) ، ثم كالراكب فى رحله ، ثم كشد الرحل ، ثم كمشيه .

وقيل : ورودها : حضورها .

وقيل أيضا : ورود المسلمين مرور على الجسر ، وورود المشركين دخولها .

نظرية دروين

كلما قرأت عن نظرية دروين أجد شكا فى صدرى وحيرة وقلقا .. فبعضهم يقول : نظرية دروين تتعارض مع الدين .. وبعضهم الآخر يقول : بل هى لا تتعارض مع الدين ...

ارجو إجابتي عن الآتي :
١ ــ هل اصل الانسان قرد او اصله أنسان . وما رأى العلماء ؟
٢ ــ هل ما ورد في تفاصيل نظريه النشوء والارتقاء حقائق علميه يستطيع صاحبها ان يجزم بصحتها ام انها مجرد احتمالات ؟
٣ ــ هل تتعارض فكره التطور مع الدين ام لا ؟
ارجو التكرم باجابتي مع الشكر .

على دهب عبد الجابر
كلية الاقتصاد ــ جامعة الخرطوم

ونقول للقارىء الكريم :

اولا : ان اصعب مسالة من مسائل علم الحياة استبهمت على علماء الطبيعه هي : ما هو مبدأ الحياة ؟

ودينا يجيب على هذه القضية في يسر وسهولة .. بما يتفق مع العقل الواعي والفطره السليمة .. فهناك قوة عليا هي التي أوجدت الحياة والاحياء .. وجعلت بين المخلوقات تنوعا وتفاضلا يدل على الخالق الحكيم .. الله سبحانه وتعالى (**انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون**) . وكل الآثار الموجودة في الكون والمشاهدات والقوانين الطبيعية المحسوسة تدل عليه سبحانه وتعالى بما لا يدع مجالا للشك أو الجدل ..

أما بعض علماء الغرب : فلسبب او لآخر لم يشاءوا ان يؤمنوا بما هو فوق الطبيعة فراحوا يبحثون عن علة هذه الحياة .. وكيفية نشوئهاوتطورها ضاربين هنا وهناك محاولين التملص من الاقرار بوجود قوة عليا .. قادرة .. خالقة .. فلجأوا في تسفير ظواهر الحياة الى القياس والخرص والرجم بالغيب . وقد قال الله : (**ما اشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق انفسهم**) .

لذا فالقول الحق هو قول القرآن الكريم (**لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم**) .. فقد خلق الانسان انسانا منذ اللحظة الأولى .. ولم يكن شيئا آخر غير كونه انسانا ..

ثانيا : ما قال دروين انه قد ادرك الحقيقة .. والقائلون بنظريته لا يعتبرون قياسهم حقيقة وفكرتهم واقعا .. بل قال دروين وقالوا : (نظن كذا) .. و (لعل كذا) .. ولكن اناسا ادعوا العلم تلقفوا النظرية ولقنوها لتلاميذهم على انها حقيقة واقعة بعد أن حذفوا (نظن) و (لعل) . فما تزال نظرية النشوء والارتقاء حتى اليوم مجرد نظرية خيالية لا اساس لها في الواقع .. والأمر الجدير بالاعتبار هو اليقين والواقع لا التخمين والرجم بالغيب .

ثالثا : ان الله سبحانه وتعالى خلق جميع الخلائق على ما هي عليها .. وأبقى منها على قيد الحياة ما تدعو اليه حاجة الانسان .. وهلك ما لم تعد هناك حاجة له (الله خالق كل شيء) .. وقال تعالى (**يايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب**) .

فليس هناك دليل واحد على تطور هذا من ذاك .. ولو انطلق دروين في بحثه من حقيقة وجود الخالق لعلم ان التنوع والتفاضل من الخلية الواحدة الى الانسان الكامل جاء نتيجة لتخطيط حكيم مدبر .. وان الحكيم المدبر ما زال يخرج كل الانواع الى حيز الوجود بمزاياها المخصوصة المتنوعة بالتدريج .. تعالى الله وجلت قدرته .

بأقلام القراء

للاستاذ : ق . ق

ان المبادىء البشرية مهما تعددت اسماؤها ، وتغيرت الوانها تجمعها سمة واحدة وميزة بارزة ، وهذه الميزة البارزة هى انها لا تعترف بتوحيد الله ، وهذه المبادىء البشرية تسلك احد سبيلين لا ثالث لهما فى انكار وحدانية الله .

السبيل الأول هو أن تغالط ، وتكذب ، فتنكر وجود الله متخذة من هـــذا الانكار تبريرا لتصرفها فى وضع هذه المبادىء البشرية المعتمدة على الالحاد وانكار وجود خالق السموات والارض .

والسبيل الثانى ان تشرك بالله آلهة اخرى ، وتحدد واجبات كل اله .

وهذا النهج الذى نهجته المبادىء البشرية التى تدعى انها لا تنكر وجـــود الله ، أو لا تمنع عبادته وتقصد بالعبادة المفهوم الضيق الذى تحدده هى ، أو انها لا تمنع الناس من دخول المساجد أو وجود بعض المساجد التى لم تستطع هدمها حتى الآن والتى يؤمها بعض العجزة فى الوقت الذى لا يكون للشريعة أو المسجد اى توجيه فى الحياة العامة ، انه مسلك تعدد الالهة الذى انتشر فى بـــلاد اليونان فى عصرهم الذى يسمى بالعصر الذهبى فقد تعددت الالهة عندهم ، وحددوا واجبات كل اله ، فبعد ان صنعوا آلهة من حجر قالوا : هذا هو اله الجمال ، وهذا هو إله الحب ، وهذا هو إله الرياضة ، وهذا اله الحرب ، وهذا اله الزرع.

والمنطق الصحيح يقضى أحد أمرين ، اما أن تكون هذه آلهة حقا ، واما الا تكون كذلك ، فان كانت آلهة حقا فلا يستطيع أحد من البشر ان يحدد واجباتها . فيقول لها أنت الهة للجمال فقط ، أو غيره . واياك اياك أن تتدخلى فـــى أمـــور اخرى . يا لها من آلهة عاجزة زائفة يحدد واجباتها المخلوق .

ولقد تكررت المهزلة فى القرن العشرين وظن مخترعو المبادىء البشرية ان خالق السموات والارض شأنه شأن الآلهة الزائفة ، التى اخترعها اليونان ، فقالوا انه داخل المسجد فاعبدوه داخله ، واياكم اياكم أن تعبدوه خارجه . وهذا يقال دائما على السنة أنصار المبادىء البشرية بلسان الحال ان لم يكن بلسان المقال ، بل أنهم يقولونه بلسان المقال وان اختلفت الاساليب والمعنى واحد ، فيقولون اتبعوا الاسلام داخل المسجد وأدوا الصلاة لا نمنعكم منها ، ولكن إذا خرجتم من المسجد فاتبعوا سبيلا غيره اتبعوا للاقتصاد سبيل الاقتصاد الجماعى فانه لا

يتعارض مع الاسلام واتبعوا سبيل الديمقراطية للسياسة فان الاسلام ديمقراطى واتبعوا سبيل الوجوديه للتفكير فان بعض فلاسفة الوجوديه مؤمنون ، فلا ضير عليكم اذا اتبعتم سبيلها ، وعليكم باتباع فلسفة البراجماتزم النفعيه للاخلاق أو فلسفة فرويد سواء بسواء ، اما قواعد علم الاجتماع فعليكم باقتباسها من الغرب فان الاسلام يؤيد الحضارة الغربية بقضها وقضيضها وبشرها وخيرها (ان كان فيها خير) هذه الاقوال التى يرددها الكثيرون ، ويرددها البعض بجدية تامة لا اثر فيها للهنه ، ولا ادرى من يخادع هؤلاء ، الا يعلم هؤلاء انهم اذا استطاعوا خداع بعض السذج والبسطاء فانهم لا يستطيعون مخادعة رب السماء وهم يتجراون على مبارزته ومسخ شرعه .

ان مثل هذه الحكايات التى تصدر من هؤلاء الذين يريدون تطبيق شرائعهم بدلا من شرع الله بدعوى انهم مسلمون وانهم مؤمنون وانهم يحبون الاسلام ويريدون الخير له وهم يتصدرون لتصحيحه فى نظرهم أو بالاحرى لتحريفه ان هذه الحكايات لا تروج الا على الجهلة فكيف على رب العالمين ؟ ان هؤلاء فيما اعتقد لم يبلغ بهم الغباء الى هذه الدرجة ، ولكنهم يريدون شق الطريق لدعواتهم الباطلة وأوهامهم الزائفة بالخداع والغش .

والخلاصة هناك ثلاثة طرق فحدد ايها المسلم موقفك منها :

١ ــ طريق الاخلاص والوضوح والاستقامة وذلك بتوحيد الله واتباع نظامه الذى أنزله من السماء وقام رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بتبليغه الى الناس على صورته النهائية سالما من التحريف والتغيير ، ومن مستلزمات اتباع هذا الطريق أن يكفر الانسان بما عداه لانه النظام الحق ، وما عداه باطل ، وهذا هو سبيل الاسلام ، وهذا هو المبدأ الذى مبناه على شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، ولا يبنى مبدأ سواه على هذا الاساس .

٢ ــ طريق التلون والخداع وانصاف الحلول والتسليم الجزئى ايثارا للسلامة ومعرفة الضعف الكامن فى السبيل الذى يتبعونه وهو سبيل الاشراك بالله آلهة أخرى ، وهو الجانب النظرى فى هذا الطريق ، وأما الجانب العملى فهو الاشراك مع نظام الاسلام أنظمة أخرى ، وهو فى الحقيقة عقد الهدنة بين الكفر والايمان وهى محاولة باطلة ، فهؤلاء يقومون بتشريع ما يشاؤون ، ثم يقولون ان هذه الامور خارج نطاق صلاحية الخالق ، ويشمل هذا الطريق جميع الانظمة التى اخترعها البشر خارج حدود الخلافة التى منحها الله للبشر للتصرف فى هذه الارض بمقتضى حدود الله وتشريعه واوامره ونواهيه ، وهذه هى الانظمة التى تزعم انها لا تحارب الدين أو لا تتعارض معه أو تؤيده مثل الديمقراطية والرأسمالية والاقطاعية والفوضوية والوجودية والجاهلية العربية التى تزعمها أبو جهل وابو لهب والتى حاربها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم رضخت لله فى كل شأن من شؤون حياتها وكل مبدأ يدعى انه لا ينكر الله صراحة أو جهرة وهذه المبادىء تقول ان هناك آلهة أخرى سوى الله بلسان الحال ان لم تقلها بلسان المقال .

٣ ــ طريق المكابرة والمغالطة وتزوير الحقائق وهو طريق انكار الله ، وهذه الفكرة ترتكز عليها كافة المبادىء الالحادية التى تنكر الله جهرة وعلى هذا الاساس وهو انكار الله سولت لنفسها أن تضع تشريعا بدلا من تشريع الله ، وقد تكون منطقته أكثر من الثانية لولا أن اثبات ما استندت عليه ضرب من المحال .

والله سبحانه وتعالى لن يقبل من البشرية الا أن تتبع الطريق الاول « ان الدين عند الله الاسلام » « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » .

أخبار العالم الاسلامي

اعداد الاستاذ فهمى الامام

الــكويت :

● احتفل بتخريج الدفعة الرابعة من الطلبة الضباط فى كلية الشرطة برعاية سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء ، وتتألف الدفعة من خمسين ضابطا كويتيا وضابطين من دولة الامارات العربية ودولة البحرين .

● أعلن الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية والاعلام بالوكالة أن دعم الكويت لنضال الدول العربية يتم بدون اية مطالبة بثمن لهذا الدعم ، وأوضح أن تأييد الكويت المطلق لدول المواجهة لا صلة له بأى اعتبار آخر غير التضامن الحقيقى والطبيعى بين الدول العربية .

● شاركت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية فى الاحتفال بيوم البيئة العالمى ، وذلك عن طريق الوعظ والخطب لزيادة توعية المواطنين للمحافظة على نظافة بيئتهم .

● انتهت لجنة التقويم الاسلامى المنبثقة عن مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الدينية والاسلامية العرب من وضع مشروع التقويم وفقا للأسس المتفق عليها ، والتى تجمع بين الحكم الشرعى والحساب الفلكى .

● أعلنت نتيجة امتحان الدور الأول فى دار القرآن الكريم ، وكانت نسبة النجاح كالآتى :

السنة الأولى : فترة صباحية ٦٢٪
فترة مسائية ٨٠٪ .
السنة الثانية : فترة صباحية ٧١٪
فترة مسائية ٦٧٪ .
السنة الثالثة : فترة صباحية ٥ر٨٢٪ فترة مسائية ٩٠٪ .



● يبدو فى الصورة سيادة الوكيل الاستاذ عبد الرحمن المجحم وسيادة الوكيل المساعد الاستاذ عبد الرحمن الفارس وهما فى زيارة لدار القرآن الكريم أثناء الامتحان .

● بدأت الدراسة الصيفية فى مراكز جمعية الاصلاح الاجتماعى لتحفيظ القرآن الكريم ، وعددها ١٧ مركزاً للبنين و ٣ مراكز للبنات ومما يذكر أنه مع تحفيظ القرآن الكريم تلقى دروس فى التفسير والحديث والسيرة والفقه .

● وافق مجلس الوزراء على

المساهمة بمبلغ ٣٦ الف دينار . فى دعم المختبرات والمعامل العلميه لجامعة الازهر .

● اصدرت وزارة العدل احصائية بحالات اشهار الاسلام التى تمت فى قسم الاحوال الشخصية خلال عام ٧٣ . وقد بلغ عدد من اشهروا اسلامهم ٤٥ شخصا من جنسيات مختلفة .

مصر :

● صرح الأمين العام للجامعة العربية بأن مؤتمر القمة العربى سيعقد فى الأسبوع الأول من شهر سبتمبر المقبل بالرباط .

● استنكر مجمع البحوث الاسلامية فى اجتماع عقده برئاسة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر مشروع تيسير اللغة العربية وذلك بالتخلى عن القواعد الاساسية للغة واحلال العامية مكان الفصحى .

وحذر المجمع من خطورة هذا المشروع الذى يهدف الى قطع صلة المسلمين بقرآنهم وتراثهم الاسلامى .

السعودية :

● أمر جلالة الملك فيصل بتسليم قصر النيابة بجدة ليكون مقرا مؤقتا للبنك الاسلامى .

● بلغ عدد المسلمين فى الدنمرك ١٥ الف مسلم ، وقد تبرع جلالة الملك بمبلغ ١٠٠ الف جنيه استرلينى لمشروع بناء مركز اسلامى هناك .

● تلقى الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى قائمة تتضمن أسماء ثلاثين ضابطا فى حكومة الغابون قد اعلنوا اسلامهم .

ابو ظبى :

● بدأت وزارة الشئون الاسلامية الحديثة عملها بفتح مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ، وتعميمها فى جميع الامارات .

عمان :

● قدمت وزارة الاوقاف وشئون المقدسات الاسلامية فى الاردن مجموعة من الكتب الثقافية الاسلامية الى الجامعة العربية الاسلامية فى الولايات المتحدة .

ليبيا :

● وافقت الحكومة الايطالية على انشاء مركز ومسجد ومكتبة اسلامية بروما وستتولى ليبيا الاشراف على هذا المشروع الاسلامى .

لبنان :

● افتتح فى بيروت المؤتمر الاسلامى العام . اشتركت فيه مختلف الهيئات الاسلامية فى لبنان . . وذلك للتنسيق بينها وتوحيد جهودها فى محيط الدعوة الى الله والعمل المثمر .

اخبار متفرقة

روما :

● وافق المجلس البلدى لمدينة روما على منح قطعة ارض مساحتها ٣٠ الف متر مربع فى شمال المدينة لمشروع بناء مسجد وقاعة محاضرات ومركز اسلامى .

اكرا :

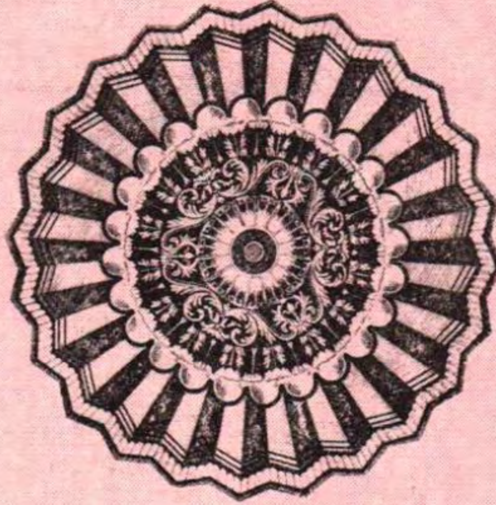
● تدرس منظمة الاغاثة الدولية الخاصة بالمسلمين انشاء جامعة اسلامية فى مالى تكون مهمتها الاشراف على كافة الدورات الاسلامية التى تعقد فى جامعات غرب أفريقيا .

جاكرتا :

● أصدر وزير الداخلية قرارا باغلاق دور الفسق فى جاكرتا الشمالية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الاخرة	يونيو	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الجمعة	١	٢١	٣ ٢	٤٤٨	١١٤٨	٣٢٣	٦٥٠	٨٢٣	٨١٢	٩٥٨	٤٥٩	٨٣٣	١٣٣
السبت	٢	٢٢	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاحد	٣	٢٣	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاثنين	٤	٢٤	٢	٤٩	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الثلاثاء	٥	٢٥	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاربعاء	٦	٢٦	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩	٣٤	٣٣
الخميس	٧	٢٧	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩	٣٤	٣٣
الجمعة	٨	٢٨	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٥٠٠	٣٤	٣٣
السبت	٩	٢٩	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
الاحد	١٠	٣٠	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
الاثنين	١١	يوليو	٥	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤	١٤	٠٠٠	٠٠١	٣٤	٣٣
الثلاثاء	١٢	٢	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣
الاربعاء	١٣	٣	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣
الخميس	١٤	٤	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الجمعة	١٥	٥	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	٢	٣٥	٣٣
السبت	١٦	٦	٧	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٦	٢	١	٣٦	٣٣
الاحد	١٧	٧	٨	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٧	٢	١	٣٦	٣٣
الاثنين	١٨	٨	٨	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٣	١٨	٣	٢	٣٧	٣٢
الثلاثاء	١٩	٩	٩	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٢	١٩	٤	٢	٣٧	٣٢
الاربعاء	٢٠	١٠	١٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥٠	٢٢	٢٠	٥	٣	٣٧	٣٢
الخميس	٢١	١١	١١	٥٥	٥٣	٢٨	٥٠	٢٢	٢١	٥	٣	٣٨	٣٢
الجمعة	٢٢	١٢	١١	٥٦	٥٣	٢٨	٥٠	٢١	٢٢	٦	٣	٣٨	٣١
السبت	٢٣	١٣	١٢	٥٦	٥٣	٢٨	٤٩	٢١	٢٣	٧	٤	٣٩	٣١
الاحد	٢٤	١٤	١٣	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٤	٨	٤	٣٩	٣١
الاثنين	٢٥	١٥	١٤	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٥	٩	٥	٤٠	٣١
الثلاثاء	٢٦	١٦	١٤	٥٨	٥٣	٢٨	٤٨	١٩	٢٦	١٠	٥	٤٠	٣١
الاربعاء	٢٧	١٧	١٥	٥٨	٥٣	٢٩	٤٨	١٩	٢٧	١٠	٥	٤١	٣١
الخميس	٢٨	١٨	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٨	١٨	٢٨	١١	٦	٤١	٣١
الجمعة	٢٩	١٩	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٢٩	١٢	٦	٤٢	٣٠



ام المؤمنين ..
السيدة زينب بنت جحش (رضى الله عنها)

اســـــمها : زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمـــر بن صـــبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة .

امهـــــا : أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم . عمة الرســـول صلى الله عليه وسلم .

زواجهـــا : تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تطليقها من مولاه ومتبناه زيد بن حارثة .. لتشريع ابطـــال عادة التنبى التى كانت معروفة عند العرب ، وقد ذكر الله قصتها فى القرآن « فلمـــا قضى زيد منها وطـــرا زوجناكها لكى لا يكـــون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا » .

روايتها للحديث : روت عن النبى صلى الله عليه وســـلم أحاديث .. وروى عنها عدد من الصحابة .

فضـــلها : قال الرسول صلى الله عليه وسلم عنها : « ان زينب بنت جحش أواهة » فقال رجل يا رسول الله : ما الأواه ؟ قال : « الخاشع المتضرع وان ابراهيم لحليم أواه منيب » .
وقالت عنها أم سلمة : « كانت صالحة صوامة قوامة » .
وقالت عنها عائشـــة حين ماتت : لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل . وكانت رضى الله عنها تصنع بيديها أشياء وتتصدق بها فى سبيل الله .

وفاتهـــا : قالت حين حضرتها الوفاة : انى قد أعددت كفنى وان عمـــر سيبعث الى بكفن فتصدقوا بأحدهما وان اســـتطعتم أن تتصدقوا بحقوى فافعلوا . وكانت أول من ماتت بعـــد النبى صلى الله عليه وسلم من أزواجه .
رحلت الى جوار ربها سنة عشرين ، وقد صلى عليها عمر بن الخطاب .
رضى الله عنها وأرضاها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ـــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـــ ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ـــ ص.ب : (٢٨٠) .
المغـــرب	:	الدار البيضاء ـــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
تونـــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ـــ ١٧ شـــارع فرنســـا .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧) .
الأردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ـــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ـــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ـــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

إسلاميّة ثقافيّة شهريّة



السنة العاشرة ـ العدد ١١٥ ـ غرة رجب ١٣٩٤ هـ ـ يوليو ١٩٧٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم



وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

دار القرآن الكريم

انشــــــــاؤها : بالهام من الله وتوفيقـــه فكر المســئولون فى الوزارة فى انشاء دار للقرآن الكريم تيسر للمسلمين حفظه وفهمه ، وقد قوبلت هذه الفكرة بترحيب وتشجيع من الدولة ، فلله الحمد والمنة ، وبدأت الدراسة فيها فى شعبان ١٣٩١هـ .

هدفهـــــــــا : المحافظـــة على كتاب الله باتاحة الفرصـــة للراغبين فى اتقانه حفظا وترتيـــلا وتجويدا .

مدة الدراســـة : مدة الدراسة في الدار (ست سنوات) يحفظ الطالب فى كل سنة (خمسة أجزاء) من القرآن الكريم .

نظـــام الدراسة : تسير الدراسة فى الدار على فترتين :
فترة صباحيـــة ، وفترة مسائية .
وذلك لاتاحة الفرصة للراغبين فى الانتساب الى الدار مع تمكينهم من انتظامهم فى أعمالهم اليوميـــة .

مواد الدراســـة : القرآن الكـــريم حفظا وترتيلا . التجـــويد . التفســـير . النحـــو .

الامتحــــــــان : يمتحن الطالب فى المقرر عليه حفظــــه ودراسته كل عام ، ويكون الامتحان من دورين .

شروط الانتساب : الدار للمسلمين جميعا ليس لها شروط معينة للالتحاق بها سوى الالمام بالقراءة والكتابة ، ويعفى المكفوفون من هـــذا الشـــرط .

الطلبات الجديدة : تقدم الطلبات هذا العـــام فى مقر ادارة مجـــلة (الوعى الاسلامى) اثناء الدوام الرسمى حتى نهاية سبتمبر ١٩٧٤م والله ولى التوفيـــق .



أحد المساجد الفخمـــة فى دمشق.. ويرى من الداخل..

« وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا » .

قرآن كريم

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العــــدد ١١٥

غرة رجب ١٣٩٤ هـ

يوليو (تموز) ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـــكويت فى غـــرة كل شـــــهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الافراد فيشـــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـــن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـــال
العـــراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـــزائر	دينار وربع
المغـــــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـــوان المراســـــلات :

مجـــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـــــئون الاســــــلامية

صـــــندوق بريد : ١٣ ــ كـــويت ــ هــــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

التبشير والاستعمار وآلام أخرى

يكاد المراقبون والنقاد يجمعون على أن الاوروبيين والامريكيين ليسوا مولعين بالتدين ، ولا ميالين الى التقوى ، وأن صلتهم بالله لا تتجاوز الشكل الى الموضوع ، وأن احتفاءهم بالمناسبات الدينية يقوم على تحويل أيام الآحاد ومختلف الاعياد الى فرص للاستجمام وشباك للهو والمرح بريئا أو غير برىء .

والاوروبيون والامريكيون — أجمالا — يجنون ثمرات تقدم علمى رائع رفه معايشهم ، ونعّم حضارتهم ، وربما اســـتطاع هذا التقدم أن يلطف مسالكهم ويهذب غرائزهم الا أن بيئات كبيرة فى كلتا القارنين لم يرفع العلم
مسالكهم ويهذب غرائزهم الا أن بيئات كبيرة فى كلتا القارتين لم يرفع العلم الانسانى مستواها الا فى الكلمات والملابس .. !

أما ما وراء ذلك فهناك القتل ، والخطف ، والاغتصـــاب ، والفوضى الجنسية ، والكبرياء العنصرية ، وعبادة الحياة الدنيا ، والتجهم أو الانكار لما وراءها ..

ومع هذا السلوك الهابط فان الاوربيين والامريكيين يهتمون بالتبشير ويرصدون لرجاله واغراضه اموالا طائلة ، ويتابعون نشاطه ونتاجه بيقظة !!

ومع أن الحكومات فى كلتا القارتين لا تبالى أن يؤمن أبناؤها أو يلحدوا .. الا أنها تولى الدين فى افريقية وآسيا قدرا ملحوظا من رعايتها ، وتتوسل

به الى تذليل الصعاب ، وحطم الخصوم .

ولننظر الى فلسطين فى ظل (الانتداب البريطـــانى) لنرى آثار هذا الاتجاه فى تحقيق الاغراض الاستعمارية بين سكان هذا القطر المحروب .. كان تسعة أعشار الفلســـــطينيين مسلمين عربا فكيف يمكن تذويب عروبتهم واسلامهم معا ؟ وكيف يمكن خلق الظروف التى تتمخض عن قيام (اسرائيل) كما وعدت بذلك بريطانيا .. ؟!

لن أتعرض هنا للأساليب الاقتصـــــادية والعسكرية على شـــناعتها ووحشيتها ، وانما أتعرض للنواحى الدينية وحسب .

كان بفلسطين معهد لتخريج الدعاة المسلمين يسمى (الكلية الصلاحية) أمر الانتداب البريطانى بالاجهاز عليه عشية باشر الحكم فى البلاد .

وقد نشرت احدى الصـــــحف تاريخا موجزا لهذه الـــكلية جاء به :

« كلية صلاح الدين الأيوبى » .

كانت تقوم فى الناحية الشمالية الشرقية على بعد عشرات الامتار من الحرم الشريف فى المكان المعروف بدير القديسة حنا ويقال ان هذا المكان جعل مدرسة اسلامية قبل صلاح الدين الايوبى .

ولكن اسمها قد التصق بصلاح الدين حينما جعل منها مدرسة للفقه الشافعى بطلب من فقهاء الشافعية ومر عليها زمن تقلبت فيه بين يد النصارى والمسلمين .

« حتى كانت سنة ١٩١٤ م — ١٣٣٣ هـ . وقام على بلاد الشام القائد التركى (جمال باشا) حيث أعادها مدرسة دينية اسلامية لاعداد مبشرين للعالم الاسلامى وبالأخص للهند والصين . وسماها (كلية صـــلاح الدين الأيوبى) وعرفت بين الناس بالكلية الصلاحية كما درس بها علماء من مختلف البلاد فى ذلك الوقت من أمثال : محمد اسعاف النشــــــاشيبى ، وجودت الهاشمى ، وعبد القادر المغربى السورى الذى كان فيما بعد نائب رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق ، ثم عبد العزيز جاويش ، ورستم حيدر ، وجميل النيال ، وعبد الرحمن سلام .. الخ . وكان شيخ الاســـــلام فى الأستانة يحول مرتبات هذه المدرسة من تركيا بوساطة متصرف القدس . وبدخول الجيش الانكليزى القدس فى ١٩١٧/١٢/٨ م أعيدت هذه المدرسة الى يد الآباء البيض الفرنسيين وهى اليوم مدرسة اكليريكية دينيـــة للروم الكاثوليك » .

والواقع ان هذا التاريخ مدخول ، فالمدرسة كانت تقوم بتعليم الفقـــه الاسلامى ثم حولها الترك الى كلية للدعاة تخدم الاسلام فى الداخل والخارج .. فلما ملك الانكليز الامر حولوها الى كلية لتخريج المبشرين المسيحيين ، وسلموها الى جماعة الآباء البيض الفرنسية وهى جماعة لها دور هائل فى محاولة تنصير المغرب العربى ايام الاحتلال الفرنسى .

والتعبير بأنها (أعيدت) للفرنسيين يتمشى مع الفكر التبشيرى الذى يرى أن آسيا الوسطى ومصر والشمال الافريقى كله كانت مســــتعمرات رومانية ، ويجب أن تعود كما كانت وقد بذل الاحتلال البريطانى لمصر جهودا شاقة لابعاد الأمة عن دينها ، وعن المناسبات التاريخية التى تربطها به .

نشرت جريدة الاخبار تحت عنوان « احتج الانجليز على الاحتفال بعيد

الهجرة فى اذاعة القاهرة منذ ٤٠ عاما » قالت : احتفل العالم الاسلامى أمس بعيد الهجرة ، وهو بداية العام الجديد منذ أمر عمر بن الخطاب بجعل الهجرة أساس التقويم الاسلامى . وقد احتفلت به الاذاعة المصرية لأول مرة سنة ١٩٣٤ ميلادية بقرار من (مدحت عاصم) اول مدير للاذاعة المصرية بعد أن أصبحت حكومية — وكانت من قبل تشرف عليها مؤسسات اهلية — وأمر المدير المصرى أن يبدأ الاحتفال بصلاة الفجر .. !

وعُدّ ذلك حدثا غريبا ، وواجه المدير المصرى معارضة شـــديدة من الانجليز المشرفين على الاذاعة .. !

وكانت الحجة المعلنة أن الاداريين والفنيين سوف يسهرون الى الثانية صباحا ، ورد عليهم السيد مدحت عاصم بأن هؤلاء يسهرون فى رأس السنة الميلادية حتى مطلع الفجر ، وبعده الى الصباح ، واذن فلا بد — بالقياس — من الاحتفال بالسنة الهجرية وسكت المعترضون كارهين فان الاحتفال بالسنة الميلادية لذيذ أما الاحتفـــال بذكرى الهجرة فشىء ممجوج ، أو لعله شىء رجعى .. !!

المهم ان الانكليز بعد ان الغوا الكلية الصلاحية ، واطمانوا الى أنه لن يكون للاسلام دعاة مرشدون فى فلسطين راوا ان يســـتجلبوا الى الارض المستباحة مللا اخرى تثير الفوضى الدينيـــة فيها ، وتبلبل الافكار ، وتكثر الظروف المهيئة لقيام اسرائيل .. وهم من قبل شجعوا البهائية ، واحتضنوا طاغيتها الداهية عباس عبد البهاء ، ورفعوا منزلته ماديا وأدبيا ، فجعلوا (عكا) كعبة البهائيين المبثوثين فى بقاع شتى ، وربطوهم بفلسطين روحيا ، ووثقوا الصلات بين المحافل البهائية ودعاة الصهيونية ، حتى تخدم احداهما الاخرى ويتظاهران جميعا على الاسلام .

بيد أن ذلك لا يكفى فلا بد من استقدام القاديانية الى فلســـطين هى الاخرى كى تشارك فى صنع الشتات الاسلامى وتمهد للوجود اليهودى .

وغلام احمد منذ نشأ فى الهند كان صوت سادته ومنفذ ارادتهم ، وأذكر انى لما زرت (أوغنده) منذ عامين وجدت مسجدا للقاديانية فى أعظم ميادين العاصمة ..

وشاء الله أن ينقرض هؤلاء السماسرة من (أوغنده) بعد أن انقطع الاستعمار الانجليزى منها ..

لكنهم فى فلسطين بقوا بعد ان تركت لليهود يبنون بها دولتهم التى رفع الانكليز قواعدها .. والمجلة التى نقلنا عنها خبر الكلية الصلاحية البائسة تذكر النشاط القاديانى داخل اسرائيل وكأنه ولد ونما بطريقة طبيعية ، فهى تسوق القصة على هذا النحو :

« لقد كان الأستاذ المولوى جلال الدين شمس أول مبشر أوفد من قبل الخليفة الثانى للجماعة الاحمدية الى بلدان الشرق الاوسط . وذلك فى أواخر العشرينات من هذا القرن . وكان قد مهد لهذه الحملة حضرة المولوى دين العابدين أستاذ تاريخ الأديان فى كلية صلاح الدين الايوبى فى القدس . وقد بدأ عمله فى دمشق الشام الى ان اضطر الى الانتقال لمدينة حيفا بفلسطين بسبب المعارضة الشديدة التى لقيها من علماء المسلمين هناك وبناء على طلب من الحكومة الفرنسية آنذاك .

وفى حيفا اسس جماعة وبشر بدعوة المهدى زمنا ما حتى تسنى له

الاتصال بأهل قرية الكبابير الواقعة على جبل الكرمل والمجاورة لحيفا فقبل معظم سكانها الاحمدية وأقام بها مركزا تبشيريا سنة ١٩٢٩ م وفى السنة التالية بنى المسجد الموجود حاليا ثم أضيفت اليه دار التبليغ ، وأنشئت سنة ١٩٣٤ م المطبعة الاحمدية وبدأ المركز يصدر مجلة (البشرى) وهى المجلة الاحمدية الوحيدة فى بلاد الشرق الاوسط التى لا زالت تصدر باسرائيل كما بوشر فى الحال بفتح مدرسة ابتدائية لتعليم البنين والبنات وكذلك مدرسة ليلية لتعليم الكبار .

وقد تطورت المدرسة مع الزمن الى ان أصبحت اليوم تضم ثمانية صفوف ابتدائية وروضة أطفال ولها بناية أنيقة وقاعة جميلة .

والمدرسة الاحمدية فى الكبابير هى أيضا المدرسة الاسلامية الوحيدة فى البلاد التى تدار بصورة مستقلة عن جهاز التعليم الحكومى .

لقد كان المركز فى الكبابير حتى قيام دولة اسرائيل يشرف على الاعمال التبشيرية الاحمدية فى جميع بلدان الشرق الاوسط . وكانت الكبابير نقطة انتقال للمبشرين القاصدين من الشرق الى الغرب أو العائدين من الغرب الى الشرق .

لكن نشاطه انحصر بعد سنة ١٩٤٨ م فى اسرائيل وحدها ..

وبعد حرب الأيام الستة سنة ١٩٦٧ م امتد نشاط الجماعة الى الضفة الغربية والى قطاع غزة وللاحمدية اليوم عدد غير قليل من الاتباع فى هذه المناطق .

ولا بد من التنويه الى أن الجماعة الاحمدية فى اسرائيل تمارس نشاطها بحرية ولها مكانة محترمة لدى الاوساط الرسمية والشعبية فى هذا البلد .

ويشرف على المركز اليوم الاستاذ بشير الدين عبيد الله تساعده هيئة ادارية ينتخبها أفراد الجماعة المحلية . وكذلك جمعية خدام الاحمدية للشباب ولجنة اماء الله للنساء يقومون كل يوم بواجباتهم نحو الجماعة تحت رعاية المبشر .

وفى الكبابير اليوم نحو ثمانمائة أحمدى يكونون الغالبية الساحقة من سكان القرية .. والمعروف أن كلتا النحلتين المبتدعتين ، البهائية والقديانية ، تخدم الاستعمار العالمى وتشد ازره فى ضرب الاسلام والعدوان على أمته ، وهى لون آخر من التبشير يتفق فى الغاية ويختلف فى المنهج .

وليس كل مدد يصل الى المبشرين من الشعوب الاوروبية والامريكية يتسم بالعدوان ، ويتعمد مقدمه النيل منا والعدوان علينا .. ففى الدهماء عدد كبير من السذج والقاصرين يحسب أنه يرضى الله بما يبذل من مال .. وربما عذر حكومته وهى تباشر أحط وسائل الفتنة والسرقة للعقائد والمقدسات ..

على أن الحكومات الاستعمارية عقدت صلحا دائما بين ضميرها وهواها ، وأقنعت به نفسها ورعاياها ، واستمرأت بمقتضاه تسخير الدين فى تحقيق ما تسعى وراءه من أطماع ..

والتبشير يتطلب أمرين متكاملين :

أولهما : العنوان الذى يستر خبيئته ويجعل له — فى الظاهر — وظيفة اخرى ثقافية أو اجتماعية أو طبية .. الخ يمضى تحت شعارها الى هدفه .

والثانى : — وهو فى نظرنا شديد الخطورة — تكوين الظروف التى

تشغل الشعوب بجوار مفتعل ، أو قضايا وهمية ، أو مسالك محيرة تتبدد فيها الطاقة ، وتتشعب الآراء والأهواء .

ان هذه الظروف المصنوعة تشبه سحب الدخان التى تتحرك خلفها الجيوش الزاحفة ، فلا يوضع أمامها عائق ولا يوقفها استعداد أو حذر .

وما اشك فى أن التبشير العالمى ، جند أقلاما كثيرة فى الأمة العربية والاسلامية :

- تشن حربا من الصمت مثلا على كتب جيدة نافعة لتقدم أخرى ضارة تافهة ..
- أو تطفىء شعلة من الحق فى مكانها قبلما تتحول الى سراج وهاج لو تركت للنمو الطبيعى ..
- أو تخلق سرابا من المناهج تحدو اليه الوف الشباب ليلهثوا فى طلبه ثم يعودوا بخفى حنين .
- أو تسوى بين اليقينيات والأوهام لتهدم مكانة الاولى وما ينبغى لها من قداسة أو تتدخل فى الجبهة المناوئة لها كى تساعد على جعل قيادتها معتلة هزيلة ..

المهم إحداث شتات وبعثرة فى الوقت الذى يجدّ فيه رجال التبشير للقيام بدورهم كاملا والميدان خال من الحراس ، أو الحراس مشغولون فيه بغيرهم .

وقد وصل الذين يعملون فى خدمة الأغراض التبشيرية الى أعداد رهيبة ، وننقل هنا ما ذكرته مجلة دعوة الحق التى تصدرها وزارة الأوقاف المغربية فى عددها الاخير قالت :

نشرت دائرة معارف الكنيسة (انسكلوبيديا) الارقام التالية عن النشاط الكنسى :

(١) لدى الكنيسة الكاثوليكية ٢٥٠,٠٠٠ الف متفرغ فى العالم (مبشرين) بينما يبلغ مجموع العاملين لخدمة الكنيسة الكاثوليكية ١,٦٠٠,٠٠٠ مليون وستمائة الف نسمة .

(٢) خلال ربع قرن من عام ١٩٢٥ الى ١٩٥٢ حول المبشرون ١٣,٠٠٠,٠٠٠ ثلاثة عشر مليون شخص الى الكاثوليكية بمعدل نصف مليون سنويا .

(٣) لدى الكنيسة البروتستانتية ٤٣,٠٠٠ ثلاثة وأربعون ألف متفرغ (مبشرين) يديرون ١٦٠٠ الفا وستمائة مركز ومستشفى فى العالم لأغراض التبشير .

وقد زاد عدد البروتستانت فى ربع القرن من عام ١٩٢٥ الى ١٩٥٢ حوالى ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ ثلاثين مليونا والجدير بالغرابة أن هذا النشاط الباهر يتم فى صمت ، وأن صحفنا البارعة الذكية متواصية على كتمانه ، زاهدة فى الاشارة اليه .

وتلتحق بحرب التبشير حرب الاسكان والتهجير ، وقد تمت ــ بتآمر عالمى ــ جريمة محو الوجود العربى فى فلسطين ، وتسليم الارض الى المستوطنين اليهود المجلوبين من أطراف الدنيا ..

وقد ذكرنا فى بعض كتبنا :

كيف اخذت انجلترا جزيرة قبرص من تركيا ، وكانت اسلامية خالصة طول ثلاثة عشر قرنا فاستقدمت اليها المستوطنين اليونانيين حتى كادت

تذهب بصبغتها الاولى .. وتقوم الآن حركة لضـمها الى اليونان ، التي لم تعرف هذه الجزيرة من بدء التاريخ .. !!

وفى ظلام الغفلة والصمت تحـاول عناصر معينة شراء اراضى ذات قيمة تاريخية أو عسكرية ثم تحشد اتباعها فيها ليظهروا بغتة بمطالب شاذة يحميها القانون .. !!

ولا أدرى الى متى يبقى العرب والمسلمون ذاهلين عن مصيرهم مع تلك المؤامرات المدروسة التى تفاجئهم بين حين وحين ..

ولا أحس غضاضة من التنبيه الى قضية تحديد النسل .. ان اعداء الاسلام يعرفون النتائج المادية والمعنوية التى تترتب على الكثرة العددية للأمة الاسلامية ، ومن ثم يجتهدون فى اقناع المسلمين ــ وحدهم ــ بجدوى قلة النسل ، واقول مؤكدا ــ وحدهم ــ لأن رؤساء الأديان الاخرى أجمعوا امرهم على تكثير نسلهم ..

ومن المفيد أن أذكر أن المسلمين فى الاقطار الشـيوعية بعد ذبول معروف الاسباب اخذوا يكثرون .

لعل هذه الكثرة مصداق المثل السائر « بقية السيف أنمى » .. !!

وقد قرأت دراسة علمية دقيقة نشرتها مجلة (دعوة الحق) فى هذا الموضوع ختمته بهذه الحقائق « بعد انحسار دام نصف قرن على الأقل أخذ المسلمون يتزايدون تزايدا طبيعيا كبيرا فى كل المناطق التى درسناها ، وبهذا زادت نسبتهم فى السنين الاخيرة فى البلاد الشيوعية الاربع (الاتحـاد السوفيتى ، يوغسلافيا ، البانيا ، بلغاريا) ، التى سبقت دراستها ..

- فمن بين كل الف سوفيتى كان ١١٣ مسلما سنة ١٩٣٩ فصار ١٣٦ مسلما سنة ١٩٧١ .
- ومن بين كل الف يوغسلافى كان ١١٢ مسلما سنة ١٩٣١ فصار ١٥١ مسلما سنة ١٩٧١ .
- ومن بين كل الف البـانى كان ٦٨٦ مسلما سنة ١٩٣٠ فصار ٧٠٧ مسلما سنة ١٩٦٩ .
- ومن بين كل الف بلغـارى كان ١٣٣ مسلما سنة ١٩٤٩ فصار ١٧٠ مسلما سنة ١٩٧١ .

وهذا هو نفس الوضع فى معظم بلاد العالم حيث يتزايد المسـلمون اكثر من غيرهم وهذا يكشف هدف الدعايات الخبيثة لتحديد النسـل بين المسلمين .

فواجب كل مسلم من جهة الوقوف ضد هذه الدعايات ومن جهة اخرى العمل على تحسين وضع المسلمين المادى والمعنوى .

ونحن نضع بين أيدى قرائنا هذه المعلومات ليدركوا الكثير مما يغيب عمدا عن العيون .

لعـالم كبير

السُّنَّة

المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي

للأستاذ محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الا إنني اوتيت الكتاب ومثله معه . الا يوشك رجل شبعان متكىء على اريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه . الا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله » .

(حديث شريف)

السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد كتاب الله عز وجل ، وقد كتب الله جلّ شانه لهما البقاء حتى في عصور تغلب فيها الاستعمار على الأمة الاسلامية ، وعمل بكل ما في طاقته من قوة على تقويض اركانها .

لقد بقي كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يعصمان الشعوب الاسلامية من الانهيار ، وقامت الأمة الاسلامية بمجهود كبير على يد علمائها لحفظ السنة النبوية الشريفة ، وتهذيبها وتنقيتها من كل زيف حاول اعداء الاسلام أن يلحقوه بها ، حتى وصلت الى ايدينا صافية خالصة من كل شائبة ، ولا يزال العلماء يبذلون جهودا كبيرة لشرحها وتبسيطها ونشرها .

وربما وجدنا بعض المحاولات الخبيثة الفاشلة في عصرنا هذا للتقليل من شأن السنة النبوية الشريفة واهميتها ، مع أنها هي المذكرة التفسيرية الشارحة للقرآن ، ومما يؤكد فشل هذه المحاولات ازدياد تمسك المسلمين بالسنة عندما يشعرون ببادرة للنيل منها ، هذا الى جانب ما يقوم به العلماء من جهود عظيمة لتوثيق السنة ، وان الحضارة الانسانية لتفخر بهذه الجهود .

والسنة النبوية الشريفة هي : اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، وما أقرّ عليه الصحابة بالقول أو بالصمت والسكوت ، وصفاته الخلقية والخلقية ، وقد جاءت السنة بأمور موافقة لما جاء في كتاب الله عز وجل ، وجاءت بتبيين ما أجمل فيه من أمور ، وعلى سبيل المثال فقد أمرنا القرآن الكريم بإقامة الصلاة ، ولكنه لم يبين عدد أوقاتها ، وركعاتها ، وشروطها ، وهيئاتها ، وأركانها ، مما وضحته السنة النبوية الشريفة ، كما بينت ميراث الجدّة وهو غير مذكور في القرآن الكريم كما أن هناك آيات من القرآن الكريم يصعب فهمها بغير السنة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إنني أوتيت الكتاب ومثله معه . ألا يوشك رجل شبعان متكىء على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجد تم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . ألا إن ما حرم رسول الله مثل ماحرم الله » ، فالمقصود بالكتاب هو القرآن ، المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته ، المنقول بالتواتر ، المفيد للقطع واليقين ، المكتوب في المصاحف من أول سورة « الفاتحة » الى آخر سورة « الناس » .

معنى السنة :

ان كل واحد من الأنبياء والرسل لا شك له كلام يرشد به الناس وينصحهم، وعمل يكون به لهم قدوة ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على أن يقرن بين العلم والعمل ، فكان يقول : « صلوا كما رأيتموني اصلي » ، وقال

للمسلمين فى حجة الوداع وكان عددهم قد ازداد عن مائة الف : « يأيها الناس : خذوا عنى مناسككم ، فلعلى لا القاكم بعد عامى هذا » .

وكل نبي او رسول له اخلاق وسلوك وآداب ، ومجموع الاقوال والأفعال والسلوك والاخلاق وموافقته لبعض صحابته فى أمر من الأمور أو عدم موافقته إياهم كل ذلك يسمى بالسنة .

والسنة فى الوضع اللغوى : الطريقة المسلوكة ، وتطلق على الشيء المعتاد محمودا كان أو مذموما ، ولكن اذا أريد بها السنة النبوية الشريفة فلا يكون معناها إلا السنة الحسنة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« من سنّ سنة حسنة فله ثوابها وثواب من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » .

وهى عند الفقهاء : ما طلب فعله لا على جهة الواجب ، او ما اثيب على فعله ولم يعاقب على تركه ، وعند الأصوليين : ما صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير من جهة دلالته على احكام الشريعة ، وفى اصطلاح علماء الحديث : اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وافعاله وتقريراته سواء صدرت عنه باعتباره رسولا أم باعتباره إنسانا ، وصفاته الخلقية والخلقية ، فمن اقواله : « المسلم أخو المسلم . لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره » ، ومن افعاله : انه توضأ فغسل يديه ثلاثا ، ثم تمضمض ثلاثا ، ثم استنشق ثلاثا ، ثم غسل وجهه ثلاثا ، ثم غسل يديه الى مرفقيه ثلاثا ، ثم مسح رأسه ثلاثا ، ثم غسل رجليه ثلاثا ، وقد نقل عنه هذا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه .

أما تقريراته فهى أن يفعل أحد شيئا او يقول قولا وهو حاضر ويؤيده بالكلام او يقرّه بالسكوت ، لأنه من المحال ان يرى الرسول صلى الله عليه وسلم منكرا او محرما ويسكت عليه .

ولقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم احد اصحابه الى جماعة من الناس يدعوهم الى الاسلام ، فارسلوا اليه رجلا منهم يقول له : « لقد جاءنا رسولك فزعم أنك تزعم ان الله ارسلك الى الخلق كافة » ، فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بتصديق رسوله ، فهذا تقرير بالقول .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : « كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نقول : أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ثم عثمان ، والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر ذلك » ، وهذا تقرير عن طريق السكوت .

ومن أوصافه الخلقية أنه كان أبيض البشرة مشربا بحمرة ، مفتول الأعضاء قوى البنية ، اذا مشى فكأنه ينزل من مكان مرتفع ، وكان لا يتمايل فى مشيته .

وأما أوصافه الخلقية فهى لا تحصى ولا تعد ، فقد كان عفيفا ، أمينا ، جوادا ، صابرا ، شجاعا ، وغير ذلك من الصفات الحميدة التى كان فيها أسوة حسنة للمسلمين ، وصدق الله تبارك وتعالى حيث يقول : **« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة »** ، واذا أردنا أن نتحدث عن الفضيلة فعلينا أن نتذكر الآيات القرآنية التى تحدثت عنها ، والأحاديث النبوية الدالة عليها .

معنى الحديث والأثر والخبر :

الحديث عند علماء اللغة ضد القديم ، ويطلق أيضا على القليل والكثير من

الكلام ، ومنه قول الله تبارك وتعالى : **« فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين »** ومعنى هذه الايه : ان الله عز وجل يأمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه بان يتحدى المنكرين للقرآن الكريم بأن يأتوا بحديث مثله ، ولو كان اقل حديث .

أما الحديث عند العلماء المحدثين فمعناه السنة كما سبق تعريفها ، وهذا راى غالبية العلماء ، بيد ان البعض يرى أن الحديث هو الأقوال ، وان السنة هى الأعمال ، ولا يطلق الحديث الا على كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، أما السنة فقد تنسب لغيره بشرط أن تكون مقيدة ، مثل ما فعله الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مما لم يوجد فى كتاب ولا سنة ، لكونها اما اتباعا لما ثبت عندهم ولم ينقل إلينا ، واما صدر منهم على جهة الاجتهاد ، وعلى هذا فان جميع المصالح المرسلة والاستحسانات تدخل فى مدلول السنة ، وإذن فيصح اطلاق السنة على سنة الخلفاء الراشدين بالمعنى الأصولى للكلمة ، والدليل على هـذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتى وسنة الخلفـاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ » ، أى الزموا التمسك بها لأنها سر النجاح فى الدارين ، ويقول أيضا : « إياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة » .

والأثر هو : أقوال الصحابة والتابعين ، فيقال مثلا : فى الأثر عن عمر أو على .. وهكذا ، فاذا قيل : فى الأثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيكون معناه الحـديث .

والخبر بمعنى الحديث عند بعض العلماء ، والراى الصـحيح أن الخبر يشمل الحديث وغير الحـديث ولذلك ينظر العلماء الى المحـدث نظرة أكبر من نظرتهم الى صاحب الاخبار ، لأن المحدث من أهل التحقيق فهو يتحدث عن الأحكام ويبين الحلال والحرام ، أما صاحب الاخبار فهو كالمؤرخ ، وعلى هذا فالزيادة أو النقص فى الاخبار لا يعودان بضرر على الدين ، ولذلك كان الصحابة ومن جاء بعدهم يتحرون الدقة فى الحديث .

مكانـة السـنة من الـدين :

لقد بين الله عز وجل مكانة السنة من الدين فى قوله تبارك وتعـالى : **« يايها النبى : إنا ارسلناك شاهـدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيـا الى الله بإذنه وسراجا منيرا »** ، و **« وانزلنا إليك الذكر ، لتبين للناس ما نزل اليهم »** ، فكان على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوضح للناس معانى القرآن الكريم ، لأن القرآن الكريم قد نزل ليكون دستورا محفوظا فى الصدور : **« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »** ، فليس فى القرآن الكريم مجال للتفصيلات الفرعية .

وهناك أمور جاءت فى السنة كما جاءت فى القرآن الكريم ، مثل قوله عز وجل : **« واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »** ، وبين الحـديث الشريف أركان الاسلام بأنها : **« أن تشهد ان لا إله الا الله وان محمـدا رسول الله ، وان تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة »** ، وهناك أمور مجملة تأتى فى القرآن الكريم ثم توضحها السنة وتفصلها ، من ذلك ما روى عن الامام الشافعى رضى الله عنه من قوله : يقول الله تعالى : **« ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا »** . ويقول الله تعالى : **« واتموا الحج والعمرة لله »** ولكن القرآن الكريم لم يبين كيفية الصلاة ،

وعدد ركعاتها ، وهيئاتها ، فمن الذى بينها ؟ وما هى الصلاة ؟ وما طريقتهـــا ؟ وما شروطها ؟ كل ذلك يبينه الرسول الداعى الى الله بإذنه ويبين بأقواله التى ينقلها عنه صحابته ، ويبين بأعماله فيصلى ويرونه ويقول : صلوا كما رأيتمونى أصلى . اذن لا بد للقرآن الكريم من تفصيل بوحى من الله ، وهذا هو ما اصطلح العلماء عليه بأنه السنة النبوية .

وقد تأتى السنة بأمور ليست فى القرآن الكريم ، ومن ذلك أن القرآن الكريم لم يتعرض لميراث الجدة ، وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم جاءت جدة الى أبى بكر رضى الله عنه تطلب نصيبها فى الميراث الذى تستحقه فى ميراث حفيد لها مات ، فقال لها أبو بكر : « لا أجد لك فى كتاب الله نصيبا » ، قال هذا الكلام ولم يكن قد أطلع على الحديث ، فجاء أحد الصحابة واخبره بأن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل لها السدس ، فنفذ أبو بكر ما قاله الصحابى ، وكذلك لم يرد فى القرآن الكريم أن القاتل لا يرث قريبه اذا قتله ، ولكن ذلك ورد فى السنة ، وقد ورد فى السنة أيضا تقديم الدين على الوصية ، بينما لم يرد ذلك فى القرآن الكريم .

وفى القرآن الكريم آيات يصعب أو يستحيل فهمها بغير السنة ، ومنها قول الله عز وجل : « **ان الصفا والمروة من شـــعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما** » ، فالمعنى الذى يتبادر الى الذهن لهذه الآية الكريمة أن الله تبارك وتعالى رفع الإثم والحرج عمن لم يسع بين الصفـــا والمروة ، ولكن إذا نظرنا فى الســـنة وعرفنـــا سبب نزول هذه الآيـــة الكريمة وجدنا معنـــاها يخالـــف تماما ما يتبـــادر الى الـــذهن ، فقـــد روى عروة بن مســـعود أن أباه سأل السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن معنى هذه الآية ، وذكـــر لها هذا المعنى الذى يتبادر الى الفهـــم ، فقالت : « ليس الأمر كذلـــك ، ولو كان الأمر كذلك لقال الله : لا جناح عليه ألا يطوف » . وقد نزلت هذه الآية لمـــا تحرج الصحابة من أن يسعوا بين الصفا والمروة ، وقد كانوا يطوفون فى هذا المكان بين الاصنام فى الجاهلية ،فنزلت هذه الآية الكريمة لرفع الحرج .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم اختصاص السنة بالتشريع ، ودعا اليه وقام بتنفيذه ، ولا يتأتى تفسير القرآن الكريم بغير السنة ، وعندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل الى « اليمن » قال له : « يا معاذ : اذا عرض لك قضاء فبماذا تقضى ؟ » ، قال : « بكتاب الله » ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « فان لم تجد ؟ » ، قال : « اقضى بسنة رسول الله » ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « وان لم تجد ؟ » ، قال : « اجتهد رايى ولا آلو » ، فيفهم من هذا الحديث أن الانسان اذا لم يجد فى القرآن الكريم حلا لمسألة تهمه اتجه نحو السنة ليبحث فيها عن الحل ، فان لم يجده فعليه بالاجتهاد فى الحدود التى رسمها الشرع الحكيم ، فيقيس ما لم يرد على ما ورد بقدر ما يستطيع .

اقســـــام الســـــنة :

والسنة قسمان : متواترة ، وأخبار آحاد .

فالمتواتر : ما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم برواية جماعة يؤمن

تواطؤهم على الكذب عن جماعة مثلهم حتى يصلوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل ما ليس كذلك فهو خبر آحاد .

ويجعل الحنفية بين المتواتر والآحاد درجة الأحاديث المستفيضة أو المشتهرة وهى التى استفاضت فى زمن التابعين وتابعى التابعين ، ويرى الحنفية أن هذه تخصص علوم القرآن الكريم ، وتقضى بالعلم والعمل ، وتفيد العلم الضرورى مثل الأحاديث المتواترة ، وان لم تبلغ حد التواتر .

واما الأحاديث التى اشتهرت بعد زمن تابعى التابعين فهى عند الحنفية وغيرهم من أخبار الآحاد الا اذا توافرت فيها شروط المتواتر ، والأحاديث المتواترة نادرة ، ومما لا خلاف فيه بين العلماء صحة الاستدلال بالحديث المتواتر ، سواء فى الاعتقادات أو فى الأعمال أو فى الفضائل ، وأما الحديث الصحيح من أخبار الآحاد فجمهور الأئمة على أنه يعمل به فى غير العقائد ، ويستدلون على ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « نضر الله امرأً سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

وبالنسبة للعقيدة فأخبار الآحاد لا تقوى على إثباتها ، لأنها ظنية الثبوت ظنية الدلالة ، ولا يمكن الاعتقاد الا فيما هو قطعى الثبوت ، وأما غير الصحيح من أخبار الآحاد فقد اتفق الأئمة على العمل بها فى فضائل الأعمال اذا لم يشتد ضعفها ، ولم تتعارض مع غيرها من الأخبار الصحيحة .

ويشترط فى صحة الحديث :

أ — عدالة الراوى .

ب — أن يكون حافظا واعيا ضابطا لما يسمع ويعى .

جـ — أن لا يكون فى المتن المروى شذوذ يخالف ما فى القرآن الكريم أو الحديث المتواتر أو الحديث الصحيح مخالفة صريحة لا تقبل الجمع .

د — أن يكون السند متصلا ، أى ليس فيه انقطاع ولا إرسال .

بدء تدوين السنة

كان الرسول صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحى يدعو أحد الكتاب ليكتب ما نزل منه أمامه ، وكان أصحابه يكتبون القرآن الكريم فى قطع من الرقاع والأكتاف والعسب .

وبعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى حدثت فى أول تولى الصديق أبى بكر خلافة المسلمين حركة « الردة » ، وقد قتل فى موقعة « اليمامة » عدد كبير من حفاظ القرآن الكريم ، الأمر الذى جعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه يفكر فيما عسى يكون عليه الحال لو تلاحقت المواقع وقتل فيها مثل من قتل فى موقعة « اليمامة » ؟ ، واستقر عمر على رأى ، ثم ذهب الى أبى بكر وهو بمجلسه فى المسجد ، فقال له : « ان القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة ، وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن كلها ، فيذهب قرآن كثير ، وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن » .

ولم ير أبو بكر الصديق بدًا من تلبية نداء مستشاره ، وتنفيذ اقتراح ساعده الأيمن ابتغاء مرضاة الله عز وجل ، وحرصا على كتاب الله من الضياع ، فأمر بتشكيل لجنة من الصحابة جعل على رأسها زيد بن ثابت ، الذى كان يمتاز بالكفاءة والنزاهة ، والذكاء وطهارة القلب ، فجمع القرآن الكريم من الرقاع

والأكتاف والعسب وصدور الرجال ، وقد ضم أبو بكر الى اللجنة سالم مولى أبى حذيفه ــ وكان من كتاب الوحى ــ ، ليعاونه فى جمع القران الكريم ، وعهد بتدوينه الى زيد بن ثابت ، وتم جمع القرآن الكريم فى كتاب روعيت الدقه التامة فى كتابته ، وقد حفظت الصحف المدون بها القران الكريم عند ابى بكر ، ثم عند عمر بن الخطاب الذى عهد بها الى ابنته السيده حفصه زوجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه لم يكن بويع لأحد بالخلافة بعد عمر فى ذلك الوقت .

أما السنة النبوية فقد اكتفى الرسول صلى الله عليه وسلم بحفظ أصحابه لها ، ولم يأمرهم بكتابتها لئلا يشق عليهم ذلك وفيهم أمية ، وقد روى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تكتبوا عنى غير القرآن ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى فلا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وبناء على هذا اتجه كثير من الصحابة الى عدم كتابة الحديث بيد أن البعض استأذن الرسول فى كتابته فأذن له لأنه كان كاتبا قارئا مثل عبد الله بن عمرو بن العاص ، والبعض استأذنه فى ذلك خوفا من النسيان فأذن له .

وكان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يدركون أهمية السنة ، وأنها الأصل الثانى للتشريع وتوضيح الأحكام ، وكان الرسول الكريم يشجعهم على حفظها فيقول : « اللهم ارحم خلفائى » ، فيسألونه : « ومن خلفاؤك يا رسول الله ؟ » ، فيقول : « هم الذين يروون أحاديثى ويحفظونها ويعلمونها الناس » ، وقال أبو هريرة رضى الله عنه : « ما من أحد من أصحاب رسول الله كان أكثر حديثا منى الا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص ، فانه كان يكتب وأنا لا أكتب » .

وقد يظهر أن هناك تنافيا بين النهى عن كتابة الحديث والاذن به ، وذهب كثير من العلماء الى التوفيق بينهما ، بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى عن كتابة الحديث فى أول الأمر خشية أن يختلط على الصحابة أثناء تلقيهم القرآن الكريم وكتابته بما يكتبون من السنة ، فأراد الرسول الكريم أن يحتاط لذلك ، فأمرهم بالاقتصار على حفظ السنة عن طريق الرواية والتحمل ، والعناية بكتابة القرآن الكريم وحده ، ثم أذن لهم بعد ذلك بعد انتشار العلم بالقراءة والكتابة ، واستطاع الناس التمييز بين الكتــاب والســنة ، فيكون الإذن بالكتابة ناسخا للنهى عنهــا .

واننا اذا نظرنا فى الأحاديث وجدنا أن إسلام أبى هريرة كان فى الســـنة السابعة من الهجرة ، وإسلام أبى سعيد الخدرى فى السنة الأولى من الهجرة ، وحينما فتح الرسول صلى الله عليه وسلم « مكة » وقف أمام المسلمين خطيبا ، فقام رجل يدعى أبا شاة فقال : « يا رسول الله : أكتب لى » أى ائذن لى أن أكتب ، أو أكتب لى هذه الخطبة ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أكتبوا لأبى شاة » ، وكان فتح (مكة) بعد الهجرة بثمانى سنوات ، فيكون بين حديث أبى سعيد بالنهى عن الكتابة وبين فتح (مكة) ثمانى سنوات ، وهذه أدلة تظهر لنا أن النهى عن كتابة الحديث نسخ ولم يستمر .

وأصبح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته حريصين على أن يكتبوا ما حفظوه من الأحاديث ، بل كانوا يقطعون المسافات الشاسعة فى سبيل سماع الأحاديث ممن حفظها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان عبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله فى قدمة من يسافرون من أجل ســـماع

الأحاديث ، وكان ابن عباس يذهب فى اليوم الشـديد الرياح الى بيت احـد الصحابة فيجده نائما فلا يوقظه ، بل ينام على بابه الى الصباح ، فيخرج الصحابى فيراه فيقول له : « يا ابن عم رسول الله : لِمَ لَمْ ترسل لى وأنا آتيك ؟ » ، فيقول له : « أنا أعلم ذلك ، ولكنى انا الذى أسعى اليك ، لأنى اريد أن احمل عنك حديث رسول الله » .

عصـر التـــابعين :

وقد جاء التابعون بعد عصر الصحابة ، وأخذوا يهتمون بدراسة الأحاديث وحفظها وكتابتها ، وكان منهم عروة بن الزبير ، وابو يعلى ، وسعيد بن المسيب ، وابن شهاب الزهرى وغيرهم ، وعندما جاء عهـد عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين ، ورأى أن الظروف تقتضى تدوينا عاما للسنة ، كتب الى جميع العلماء فى كل البلاد يقول لهم : « انظروا الى ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه ، فانى خفت دروس العلم وذهاب العلمـاء ، ولتجلسوا للناس حتى يعلم من لا يعلم ، ولتفشوا العلم ، فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا » فأقبل العلماء على تدوين السنة .

ومن هنا نعلم أن السنة النبوية الشريفة قد بدأ تدوينها فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم زاد فى عهد الصحابة ، ثم زاد أكثر فى التابعين ، ولم يتأخر تدوينها الى القرن الثالث كما يزعم بعض المستشرقين .

وقد بدأ جمع السنة وتدوينها بعد أن استقر الأسلوب القرآنى ، واتخذ التدوين الصفة الرسمية فى القرن الثانى ، أى كان جمع الأحاديث بأمر الحاكم ، ومن السهولة بمكان أن يدون أفراد المجتمع الاسلامى أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتى يجدون فى ظلها سعادة الدارين ، وعلى ذلك فمشكلة حفظ السنة من اختراع أعداء الاسلام للتشكيك فى صحتها ، فقد تم جمع السنة فى كراريس بأمر عمر بن عبد العزيز فى القرن الاول الهجرى ، وبيـد ابن الشهاب الزهرى الذى أعطاها للخليفة ، وقام الخليفة بتوزيعها على الأمصار .

ومما يدل على مكانة المرأة فى الاسلام ، وأن الناس كانوا يتعلمون منهـا السنة ، أن عمر بن عبد العزيز أرسل الى ابن حزم واليه على « المدينة » ليكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارى ، وأرسل الى واليه على « حمص » يأمره بتأسيس جامعة اسلامية تخصصية ، فقال له : « اجعل للعلماء اجـرا ليتفرغوا لكتاب الله والحفاظ على السنة ـ لا ليتكلوا أو يستريحوا ـ ، ولكن ليعملوا وليدونوا أحاديث رسول الله ، وليحافظوا على الثروة التى انطلق نورها فى المشرق والمغرب » ، وقد جمعت الأحاديث من غير تبويب ، فحديث الصيام قد يكون بجانب حديث الصـلاة مثلا .. وهكذا ، والمهم هو ذكـر اسم راوى الحديث ، وجميع المعلومات الخاصة به حتى يرجع اليه فيما بعد فترة تمحيصية ، وقد حدث هذا .

وجاء بعد ذلك الجيل الثانى ، جيل الامام مالك رضـى الله عنه ، إمام « المدينـة » المشهور بالورع والتقوى ، والذى بلغ من ورعه وتقواه انه كان

يمتنع عن الركوب فى « المدينــــة » ، لأنها تضم جسد الرسول صلى الله عليه وسلم ، جاء هدا الإمام الجليل وجمع كتابه وبوبه ، وكان كتابه اول كتاب مبوب على نظام كتب « الفقـــه » : باب الطهاره ، باب الصلاه ، باب الصيام .. وهكدا ، ولكنه لم يستوعب كل ابواب السنة ، غير ان مسلما ، والبخارى ، قد تعلما منه التدوين واكملا ما بداه من جوامع الابواب .

وقد قال الإمام الدهاوى : « وكتب الحديث من حيث الشهرة الطبقة الاولى ثلاثة كتب : موطأ الإمام مالك ، وصحيح الإمام البخارى ، وصحيح مسلم بن الحجاج » ، وقد كانت طريقة الإمام مالك فى التأليف أن يأتى بالأحاديث المرفوعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم ياتى بأقوال الصحابة ، ثم اقـــوال التـــــابعين .

العصـــر الذهبى للتـــــدوين :

لقد ازدهر التأليف فى القرن الثانى ، ولكن مما يؤسف له أن معظم الكتب التى ألفت فى هذا القرن قد ضاعت أيام أن سقطت الدولة العباسية أمام الغزو التترى ، ولم يبق منها سوى موطأ الإمام مالك .

واخذ العلماء يتجهـــون اتجاها آخر فى أواخر القـــرن الثانى ، فألفوا « المسانيد » ، ومنها مسند الإمام أحمد ، وكانوا يجمعون الأحـــاديث بحسب أسماء رواتها من الصحابة ، فكانوا يجمعون أحاديث أبى بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان .. وهكذا ، الى نهاية العشرة المبشرين بالجنة ، ثم من يلونهم فى المنزلة ، وقد جمع الإمام أحمد أكثر من خمسين ألف حديث .

أما فى القرن الثالث فقد ظهر عدد من كبـــار العلماء ، وكان لهم طريقتان :

الطريقة الأولى : ذكر الأحاديث الصحيحة فقط ، وأول من اتبع هذه الطريقة الإمام البخارى ، وسار على نهجه تلميذه وصاحبه مسلم ، فذكرا فى كتابيهما الأحاديث الصحيحة .

الطريقة الثانية : ذكر الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة ، وقد سار عليها أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه .

وكتاب الحديث الست المشهورون هم : البخـــارى « ١٩٤ ــ ٢٥٦ هـ » ، ومسلم « ٢٠٥ ــ ٢٦١ هـ » ، وأبو داود « ٢٠٢ ــ ٢٧٥ هـ » ، والترمذى « ٢٠٩ ــ ٢٧٩ هـ » ، والنسائى « ٢١٥ ــ ٣٠٣ هـ » ، وابن ماجة « ٢٠٩ ــ ٢٦٣ هـ » وبعض المحـــــدثين يذكر (موطأ) الإمام مالك بدل ابن ماجه ، لأن « الموطأ » فى منزلة الصحيحين « البخارى ومسلم » ، أما الذين جعلوا ابن ماجه من ضمن الكتاب الستة فقد نظروا الى ما زاد فى كتابه من الأحاديث عن الكتب الأخرى أكثر من الأحاديث التى انفرد بها (الموطأ) عن كتب الستة .

ومن هنا نستطيع أن نقول ان الغالبية العظمى من السنة قد تم تدوينها فى القرن الثالث ، وأكمل البقية القليلة الباقية أهل القرنين : الرابع والخامس ومن جاء بعدهما .

ما تم فى القرنين الرابع والخامس :

وبعد أن تم تدوين السنة النبوية فى الكتب الستة أخذ المؤلفون يضمون بعض كتب الأحاديث الى بعض ، أو يجمعون الأحاديث المتجانسة بعضها الى بعض ، وجمعت السنة جمعا دقيقا .

وقد ألفت فى السنة كتب أخرى لا جديد فيها الا فى منهجها ، فيأتى المؤلف على كتاب البخارى مثلا فى أحد أحاديثه فى السند المتصل عن أبى هريرة ، فيأتى هو بطريق آخر لهذا الحديث ، اى برجال آخرين يوصلونه الى أبى هريرة ، فيرويه بنفسه ويستخرجه لنفسه ، ويطلق على مثل هذا النوع من التأليف اسم « مستخرج » ، ويمتاز بتقوية الحديث ، لأنه يأتى به من أكثر من طريق للدلالة على صحة الحديث .

ووجدت هناك مناهج أخرى فى التأليف تهدف الى خدمة السنة النبوية الشريفة ، كجمع أحاديث الأحكام ، أو شرح النصوص ، وقد وجد فى عصرنا هذا من سارع الى خدمة السنة فجعل لها فهارس تساعد على كشفها .

إن الجهود التى بذلها العلماء المخلصون لخدمة السنة النبوية الشريفة لا تعد ولا تحصى ، وقد جعلت هذه الجهود الاطلاع على السنة النبوية أمرا ميسورا لجميع الباحثين والمثقفين .





كلهم يبكي ..

نقل عن سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، أنه نظر يوما الى تلامذته من حوله ، فرآهم جميعا يبكون ، وقد افتقد احدهم مصحفه ، فقال عاجبا : كلكم يبكى .. فمن سرق المصحف ؟

والمسلمون اليوم — أيها الأخوة الشباب — كلهم يبكون .. فمن سرق المصحف ؟

* الزعامات تشكو من رعاياها ، والرعايا تشتكى من زعاماتها !!
* الرئيس يشكو من موظفيه ، والموظفون يشتكون من رئيسهم !
* المعلمون يتضايقون بطلابهم ، والطلاب يسأمون من معلميهم !
* التجار يتباكون من كساد مزعوم ، والمستهلكون يجأرون من احتكار التجار ، وتغاليهم بالأسعار ، وغشهم فى السلع .
* الأطباء يضيقون صدرا بالمرضى ، لأنهم لا يلتزمون بالحمية الواجبة ولا بالدواء الموصوف ، ومع ذلك يترددون عليهم ، ويتوجعون لهم .!
* والمرضى حاقدون على الأطباء ، لأنهم لا ينصحون فى فحص الداء ولا يخلصون فى وصف الدواء !
* الآباء والأمهات يشكون من الأولاد : جهدا فى التربية والتعليم وسوءاً فى المعاملة والجزاء . والأولاد يسخطون رقابة آبائهم وامهاتهم على سلوكهم ، وحزمهم

فمن سرق المصحف ؟

للاستاذ احمد محمد جمال

كلهم يقول : ان الزمان فسد — وكذبوا فما فسد الزمان ، وإنما الناس هم الفاسدون المفســدون للزمان .
وصدق ابو الطيب اذ يقول :
نعيب زماننــا والعيب فينــا
وما لزماننــا عيب ســوانا
ان الواقع المؤسف : انهم جميعــا سرقــوا المصحف ! فكلهــم راع ، وكلهــم مسؤول عن رعيته : الرجل راع وهو مســؤول عن بيتــه واهله وولده ، والمــراة راعيــة فى بيت زوجها ومســؤولة عــن رعيتهــا ، والرئيس والمرؤوس راعيان مؤتمنان على مصالح الأمة ، ومسؤولان عن الأمانة الثقيلة الجليلة .
والطبيب مســؤول ، والمــريض فى معاملتهم ، وحرصهم عــلى نجاحهم .

* الأزواج تزعجهم معاملة زوجاتهم لهم : نشوزا أو إعراضا ، أو إسرافا فى مطالب الزينة ، أو إهمالا لشئون البيت ، أو تقصيرا فى رعاية الأولاد .
* والزوجات لا يعجبهن الا الرجل المطواع ، الجواد ، الصبور ، المستجيب لكل مطلب ، الملبى لكل نداء ، الراضى بكل إهمال ، الساكت على كل تقصير .

كلهــم .. يبكى ، فمــن سرق المصــحف ؟ من المخطىء منهم ومن المصيب ، أو من الظالم فيهم ومن المظلوم ؟.

مســـؤول ، والتـــاجر مفروض عليه الأمانة والرفق ، وحرام عليه البخس والتطفيف والغش والاحتكار والآباء والمعلمون رعاة أمناء ، وهداة ايقاظ ، والأبناء مطلوب منهم أن يبروا آباءهم وامهاتهم ، وان يحترموا معلميهم ، وان يستفيدوا منهم .

■ ■ ■

ان المجتمـــع الاســـلامى بلغ من (العبث) درجة انعدم فيها الرابـــط والضـــابط ، واســـتوى الســـائل والمسؤول ، واختلط الحابل بالنابل ، حتى أصبح كلهم يبكى ، وكلهم سرق المصحف !.

يقول الله عز وجل : (**الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) ونحن المسلمين اليوم خائفون حزنى لماذا ؟ لأننا نفتقـــد شـــروط الأمن ، وأسباب الفرح .. فقد وصف الله أولياءه الآمنين بأنهم : ((**الذين آمنوا وكانوا يتقون**)) . ووعدهم فى الآية التالية : (**لهم البشرى فى الحيـــاة الدنيا ، وفى الآخرة**) .

ويقول تبارك وتعالى : (**الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمـــات الى النور**) ونحن المسلمين اليـــوم نعيش فى ظلمـــات الفرقـــة والذل والمعصية ، وظلمات الجهل والضعف والمرض .

ويقول سبحانه : (**ومن يتـــول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون**) ونحن المســـلمين اليوم مغلوبون لأحقر عدو واذله واقله مع كثرتنا وقلته ، وغنـــانا وفاقته .

ويقول عز وجل : (**كمـــا أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنـــا ويزكيكم ، ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعـــلمكم ما لم تكونوا تعلمـــون ، فاذكرونى اذكركم ، واشـــكروا لى ولا تكفرون**) .

فالله قـــد بعث الينا رســـولا من انفسنا ، وهو يمن علينا بذلك منا ، أفبعثه لكى نلهو ونلعب ؟ ونرقص ونطرب ونملأ فراغات حياتنا بأباطيل القول والعمل ، ولذائذ الأكل والشرب ومحرمات السمع والبصر ؟.

لا . انما بعثـــه الينا ليتلو علينـــا القرآن الذى سرقناه وبعناه بأبخس الأثمان .. تماما كاللص الذى يسرق الجوهرة الثمينة ، أو السوار الذهبى النفيس ، ثم يبيعه بثمن بخس دراهم معـــدودة .

ولا تستغربوا هـــذا التشـــبيه والتمثيل ..

فنحن سرقنا القرآن لأننا لم نقف عند حدوده ، ولا حرمنا حرامه ، ولا حللنا حلاله ، ولا اتمنا معالمه ، ولا حفظنـــا مكارمـــه . وكذلك وصـــف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الرجـــل الذى لا يتم صـــلاته ركوعا وسجودا وقياما وقعودا بأنه (سارق) بل انه أسرق الناس .. فى حـــديثه الذى يقول فيه : (**أسرق الناس الذى يسرق صلاته . قيل يا رسول اللـــه كيف يسرق صـــلاته ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها**) .

وبعثه الله الينا ليزكينا ويعلمنا الحلال والحرام . ثم أمرنا أن نذكره بالايمان والتقوى ، ليذكرنا بالحفظ والنصر ، ووعدنا أن صدقنا وعملنا صالحا أن نحيا حياة طيبة فى الدنيا ، ثم اجر الآخرة أعظم وأكرم : **(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى ، وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون)** .

وقال فى المقابل : **(ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى)** .

فلكل هذه المعيشة الضنك ، وهذا العبث الطاغى على شؤون المسلمين فى كل أوطانهم ، ولهذا الهوان المضروب عليهم : سبب واحد لا ثانى له : هو اتخاذهم القرآن مهجورا ، هو اهمالهم لذكر الله فى كل احوالهم وهجرهم للدين أمرا وزجرا ، ووعظا وذكرا .

ونحن المسلمين اليوم لا ننتفع بصلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حج . ولا اى منسك أو عبادة او عمل مما افترضه الله علينا . لأن فريقا منا لا يؤديه اطلاقا ، والفريق الثانى يؤديه رسما لا موضوعا ، وشكلا لا حقيقة ، وقليل جدا هم الصادقون.

والاسلام دين النوايا والموضوعات والحقائق . وليس دين الرسوم والأشكال . انه ليس دين النفاق والمنافقين الذين **(يخادعون الله ــ وهو خادعهم ــ واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ، ولا يذكرون الله الا قليلا .)**

والمسلمون اليوم لا يذكرون الله الا قليلا ، لا يذكرونه بقلوبهم وعقولهم وأعمالهم ، ولا يذكرونه فى متاجرهم وأسواقهم ولا يذكرونه فى مكاتبهم ومدارسهم ، ولا فى بيوتهم وأسرهم ، ولا فى سلمهم وحربهم .



لو كان المسلمون اليوم يذكرون الله كثيرا ، ويلتزمون الصدق والأمانة والوفاء .. فى كل ما يقولون ويعملون لكان لهم من الله عز وجل سلطان ونور .. فى أبصارهم واسماعهم وايديهم وأقدامهم ــ وكانت سلمهم هناءة وعزا ، وكانت حربهم للعدو غنيمة لهم ونصرا .

وصدق الله الجواد الكريم اذ يقول فى الحديث القدسى : (ما تقرب الىّ عبدى بأحب مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها . ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه) .

ويؤكد القرآن حقيقة عواقب الايمان والتقوى والذكر الدائم لله عز وجل .. بركات من السموات والأرض : **(ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ..)** .

ويقول عن أهل الكتاب ــ ونحن المسلمين مخاطبون بكل ما جاء فى

حديث مع الشباب

القرآن من توجيه وتنبيه للأمم الغابرة **(ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ، وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) .**

كذلك نحن المسلمين لو أقمنا القرآن عقيدة وشريعة وخلقا وسلوكا ــ وذكرنا الله قياما وقعودا وعلى جنوبنا لأكلنا من فوقنا ومن تحت ارجلنا ، ولانتصرنا فى حربنا ، وعوفينا فى سلمنا : **« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض .. »**

ولو أن المسلمين اقاموا القرآن ، فذكروا الله ، وتذكروا أمره الحازم المكرر فى عديد من الآيات القرآنية : بالا يتخذوا اعداءهم واعداء دينهم أولياء .. لما تفرق شملهم ، ولا تصدع كيانهم ، ولا اختلفت كلمتهم ، ولا نزع الله مهابتهم من صدور أعدائهم ، ولا كانوا غثاء كغثاء السيل ، كما جاء ذلك فى تصوير رائع لحديث نبوى جليل .

■ ■ ■

لقد حدثنا الله تبارك وتعالى على ذكره فى تقلبنا لطلب المعيشة ، واكتساب الرزق ، فقال : **(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) .**

وكرر ــ عز وجل ــ الحث نفسه ، بعين العبارة والفاظها ، حين حثنا على ذكره عندما نلقى العدو المتربص بنا فقال : **(يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) .**

وهكذا ترون أن الفلاح فى معركة الرزق والكسب ــ أى فى السلم ــ وفى معركة الحرب مع العدو ، مترتب على ذكر الله عز وجل .. بمعنى تقواه ومراقبته وطاعته ، واللجوء اليه بطلب التوفيق والنصر .

ولذلك هزم المسلمون فى الجولة الأولى من معركة احد ، وانهزموا ــ كذلك ــ فى و[illegible]ة حنين . مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قائدهم ورائدهم ــ لما خالفوا سنة الله فى اكتساب النصر ، فعصوا أمر قائدهم فى الموقعة الأولى واغتروا بكثرتهم فى الثانية ، فقال بعضهم : (لن نغلب اليوم من قلة) وأنزل الله فى ذلك قرآنا يتلى على مر العصور ، ليكون لنا موعظة وذكرى : **(ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم ، فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين) .**

ان قضية فلسطين مثل واحد من امثلة كثيرة على هزيمة المسلمين ، فى معاركهم مع اعداء دينهم ، ومخربى حضارتهم ، ومغتصبى أوطانهم ، ومذلى أعناقهم ، وآكلى ثرواتهم .. ولو أنهم آمنوا واتقوا ــ كما يؤكد القرآن الكريم ــ لفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض ، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ولجاءهم النصر مبينا على عدوهم المبين :

للأستاذ أحمد محمد جمال

* «ان ينصركم الله فلا غالب لكم ، وأن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ؟» .
* «ان تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم» .
* «أذكرونى أذكركم ، واشكرونى ولا تكفرون» .
* «ادعونى استجب لكم . ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين» .

■ ■ ■

لقد تكرر توجيه القرآن للرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه الى ذكر الله وتسبيحه والاستعانة به فى كل شؤونهم ، فهم مأمورون بذكر الله ذكرا دائما لازما لكل أحوالهم . وهم حين نسوا الله انساهم أنفسهم .. عطل طاقاتهم عقليا وجسديا ، فلم يعد عندهم تفكير سليم ، ولا عمل صالح ، ولا شجاعة عند لقاء العدو ، ولا بركة فى طلب العلم والتماس الرزق . ولم تعد لهم معرفة صحيحة بعدوهم وصديقهم ، فاتخذوا الأعداء أولياء ، وهجروا الأقرباء والأصدقاء ، بل اعلنوا على اهليهم وذويهم واخوتهم فى العرق والدين حربا يضرب بعضهم رقاب بعض .. بينما عدوهم اللدود الذى اغتصب أرضهم وديارهم واموالهم ينظر اليهم ضاحكا شامتا ، متمنيا لهم مزيدا من الفرقة والخلاف ، ومزيدا من التخريب وسفك الدماء .

وهم حين نسوا الله نسيهم .. فلم يعد عز وجل يذكرهم برحمة ولا لطف ولا توفيق الى الخير ، ولا هداية لأسباب النصر ، فهم فى غناهم فقراء وفى جماعتهم ضعفاء ، وهم على علمهم جهلة ، وعلى كثرتهم غثاء كغثاء السيل .

■ ■ ■

أيها الأخوة الشباب أنتم — ولا ريب — أمل الحاضر ، وذخر الغد . انكم اليوم ناشئة وشباب ، ولكنكم غدا رجال وقادة واصحاب راى وسلطان .

آباؤكم ومعلموكم والناس من حولكم ، والدولة من فوقهم جميعا — كل هؤلاء بأموالهم وقلوبهم وعقولهم ، لا مرجى لهم عندكم ، الا أن تعدوا الاعداد الصالح ، وتنشئوا التنشئة السوية ، وتعلموا التعليم النافع ، لتكونوا غدا علماء عاملين ، وقادة راى راشدين ، وسادة مجتمع كراما تصلحون فى الأرض والعمل ولا تفسدون ، وتعدلون قولا وحكما ، ولا تظلمون ، وتقيمون على دينكم الحق ، ولا تزيغون .

من اجل ذلك .. من أجل أهميتكم الذاتية آثرت أن أتحدث اليكم بما أراه (موضوع الساعة) أو (قضية العمر) . فلعل الله ان يجعل للمسلمين على أيديكم غدا فرجا ومخرجا .. اذا أحسن إعدادكم ، وصلح استعدادكم ، وصدقت نياتكم وصحت عزائمكم ، فانما الأعمال بالنيات ، ولكن (الايمان) ليس بالتمنى والتحلى .. ولكنه ما ثبت فى القلوب ، وصدقته الأعمال .

الايمان بالقدر قوة

للدكتور احمد الحوفى

ليس من شك فى أن قضية القضاء والقدر قضية قديمة غامضة ، شغلت كثيرا من المفكرين على اختلاف أديانهم ، وتباين نزعاتهم ، ولم يهتد فيها أحد الى رأى حاسم ، تطمئن اليه النفوس جميعا ..

ولست أزعم أننى فى هذه العجالة سأبلغ ما لم يبلغوه ، ولا أنى ساعرض القضية كلها مفصلة مسهبة ، وأناقش الآراء والمذاهب المتشعبة فيها ، بل انى سأعتمد على التركيز وعلى الاصول العامة ، مقتصرا على ابطال الفرية التى افتراها علينا نحن المسلمين فريق من أعدائنا ، اذ زعموا أن تخلفنا الاخير راجع الى عقيدتنا فى القضاء والقدر .

ويقتضى الموضوع أن أمهد له بعدة قضايا :

١ — القدر (بفتح الدال وسكونها) هو التقــدير ، اى تدبير الشىء قبل وقوعه ، والعلم به وبحالاته التى سيقع عليها .

وقدر الله تعالى هو علمه الأزلى بالأشــياء والاحداث وزمانها ومكانها وأحوالها ومقاديرها وكل ما يتصل بها من وجود وفناء ، وصلاح وطلاح ، وكبر وصغر ، وقوة وضعف ، وجمال وقبح ، ما شاكل هــذا ، فلا تقع الا مطــابقة لعلمه .

قد يطلق القدر على القوانين التى أودعها الله فى الكائنات ، لتسير على مقتضاها الاحياء ، ولتخضع لها الجمادات ، كرسوب بعض المواد فى الماء ، وطفو بعضها فوقه ، وتمدد المعادن بالحرارة ، وتبخر الماء بالتسخين ، وتجمد السوائل بالبرودة .

أما القضاء فهو الخلق والتفصيل والتنفيذ .

لهذا ذهب الغزالى الى أن القدر أعم من القضاء ، لأن القدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر ، والقضاء هو الخلق ، وقال ان تدبير الأوليات قدر ، وان سوق تلك الأقدار بهيئاتها ومقاديرها الى مقتضياتها هو القضاء ، ومعنى هذا أن القدر تقدير الامور بدءا ، والقضاء هو فصلها وقطعها ، كما يقـــال قضى القاضى ، اى فصل الحكم وقطعه وفرغ منه .

روى بعض اصحاب أبى عبد الله جعفر بن محمد قال : كنت عنده فقلت فى كلامى : ما شاء الله وأراد وقضى وقدر ، فقال : أخطأت ، انما هو ما أراد الله وشاء وقدر وقضى ، ان الله تبارك وتعالى اذا أراد شيئا شاءه ، فاذا شاءه قدره ، فاذا قدره قضاه ، فاذا قضاه أمضاه .

وفى حديث النبى عليه الصلاة والسلام انه كان اذا مر بحائط مائل أو بهدف أسرع المشى ، فقيل له يا رسول الله أتفر من قضاء الله .. ؟ فقال : أفر من قضائه الى قدره .

اى أفر من الشىء قبل أن يقع فيصير قضاء فصـــلا الى ما قدر ولم يفصَّل ، فان الله يزيله عنى ويغيره ويمحوه ، وهو عز وجل قادر على ذلك .

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن القدر فقال : الناس فيه على ثلاث منازل : من جعل للعباد فى الأمر مشيئة فقد ضـــاد الله فى أمره ، ومن أضاف الى الله شيئا مما تنزه عنه فقد افترى على الله افتراء عظيما ، ورجل قال : ان رحمتُ فبفضل الله ، وان عذبت فبعدل الله ، فذاك الذى سلم له دينه ودنياه جميعا ، ولم يظلم الله فى خلقه ، ولم يجهله فى حكمه .

والآيات القرآنية كثيرة فى اثبات قدر الله ، منها قوله تعالى : « إنا كل شىء خلقناه بقدره » ، وقوله سبحانه : « وكان أمر الله قدرا مقدرا » ، وقوله جل وعلا : « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ، وقوله جل ثناؤه : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » ، وقوله تعالى : « ويستعجلونك بالعذاب ، ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب » ، وقوله سبحانه وتعالى : « قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم » .

٢ ــ أرأيت الى المهندس الخبير الحاذق الذى اخترع آلة اســـتقل هو بصنعها ، كيف يعلم تفصيل أجزائها ، وكيف يعلم طريقة عملها وسيرها ، وكيف يعرف مقدار قوتها ومدى صلاحيتها .. ؟

أرأيت الى صانعى الاقمار الصناعية والصواريخ الدوارة والموجهـــة كيف يعلمون علم اليقين اتجاهها وسرعتها والمناطق التى ستمر بها ، ويحددون ازمان مرورها على المدن والاصقاع ، وكيف يعرفون ما شاكل ذلك معرفة دقيقـــة يندر أن يتخلف بعضها .. ؟

فكيف ينكر عاقل أن الله سبحانه وتعالى وهو الخـــلاق العظيم والعليم البصير يعزب عن علمه شىء مما فى السموات والأرض .. ؟

لا عجب اذن فى أننا نعتقد اعتقادا جازما راسخا أن بارىء الكون ورب

الكاشفين والمخترعين يعلم أزلا علما لا يتغير ، ويقدر تقديرا لا يتبدل . واذا كان من صفات علم الانسان أنه قاصر ومحدود فان من صفات علم الله انه لا حدود له ولا قصور فيه ، لأنه العلم العام الشامل الكامل .

كذلك يتصف العلم الانسانى بأنه لا يتعلق الا بالاشـــياء الموجودة ، لأنه نتيجة لها وأثر من آثارها ، أما العلم الالهى فانه يشمل حاضرها ومستقبلها ، شاهدها وغائبها ، لأنه السبب فى وجودها .

فالله سبحانه وتعالى يعلم الاسباب والمسببات ، يعلم الاشياء والاحداث ويعلم آثارها ونتائجها علما أزليا خاصا به وحده .

لهذا كان علم الغيب مقصورا على الخالق سبحانه ، قال تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله » ، وقال سبحانه : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الارض ، ولا رطب ولا يابس الا فى كتـــاب مبين » وقال جل وعلا : « وســـتردون الى عالم الغيب والشـــهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

وبديهى أن العقل الانسانى لا يستطيع أن يعرف حقيقة علم الله تعـــالى للأشياء المستقبلة ، لأن هذا العقل عاجز عن معرفة حقيقة الذات العلية ، فمن الطبيعى أن يعجز عن معرفة صفاتها ، بل ان هذا العقل الانسانى عاجز عن معرفة كثير من أحوال النفس الانسانية وأحوال الجسوم البشرية ، وكثير من ظواهر الكون التى يشهدها ، فهو أحرى بأن يســـتبين عجزه التام عن معرفة ما وراء المادة ، وعن ادراك صفات الله سبحانه وتعالى .

واذا كان من شأن الانسان أن يفرق بين علمه للماضى وعلمه للحـــاضر وظنه فى المستقبل ، فان هذه التفرقة تنطبق على الانسان وحده ، وليس من الجائز أن تنطبق على علم الله تعالى ، لأن علمه أزلى أبدى ، لا فرق بين ماض وحاضر ، ولا بين حاضر ومستقبل ، ولا بين شاهد وغائب ، فلا يقع فى ملكه حدث الا مطابقا لعلمه ، وموافقا لما لا ينفك عن علمه من قدرة ومشيئة وارادة .

يدل على هذا قوله تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمـــات الارض ، ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » .

وقوله سبحانه : « الله يعلم ما تحمل كل انثى ، وما تغيض الأرحام ، وما تزداد ، وكل شىء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » .

وقوله سبحانه وتعالى : « وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون . وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين » .

وقوله جل وعلا : « انا نحن نحيى الموتى ، ونكتب ما قدموا وآثارهم ، وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين » .

وقوله سبحانه : « ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، ان ذلك على الله يسير » .

٣ — ولا منفذ الى شك فى علم الله تعالى ولا فى قدره وقضائه وأنه واقع لا يتخلف ، قال تعالى : «ولقدكذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا ، وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله » .

وقال ســـبحانه : « ولقد ســـبقت كلمتنا لعبادنا المرسـلين وانهم لهم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون » .

وقال تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

والأحاديث النبوية تجرى على هذا النسق ، كقوله صلى الله عليه وسلم : مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله تعالى : ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الارحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، ان الله عليم خبير .

وقوله صلى الله عليه وسلم : كل شىء بقدر ، حتى العجز والكيس .

لماذا نؤمن بالقدر .. ؟

نؤمن نحن المسلمين بقدر الله ايمانا وطيدا لا يتزعزع ، لعدة أسباب :

١ ـ لأننا نؤمن بعلم الله وقدرته وارادته ، وندين بما يلائم عظمته وجلاله ، ونصدق بكتابه وبأحاديث رسوله ، وبما تضمناه من قضاء الله وقدره .

٢ ـ ولأن هذا الايمان يعصمنا من الغرور اذا ما حالفنا نجاح وظفر ، فقد تسول لظافر نفسه أنه بجده وحده ظفر ، فيتمرد ويطغى ، وينسى أن يشكر لربه ، ويتعامى عن حقوق من حوله ، كما فعل قارون ، اذ أبطره ثراؤه ، وزعم أنه كسب ماله الكثير بعلمه ، ونسى حق الله فيه ، فجعله الله نكالا وعظة لغيره ، قال تعالى : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، اذ قال له قومه : لا تفرح ، ان الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض ، أن الله لا يحب المفسدين .

قال : انما أوتيته على علم عندى . أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد قوة وأكثر جمعا ، ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون .

فخرج على قومه فى زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا : يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون ، انه لذو حظ عظيم .

وقال الذين أوتوا العلم : ويلكم ، ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ، ولا يلقاها الا الصابرون .

فخسفنا به وبداره الارض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين .

وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون : وى كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ، لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، وى كأنه لا يفلح الكافرون » .

٣ ـ على أن هذا الايمان اذ يعصمنا من الغرور يبعد عنا الخور والضعف واليأس والسخط ان نزلت كارثة ، أو حدث اخفاق ، لأن المؤمن بالقدر يصبر على ما نزل به ، ويستمد من صبره قوة على مغالبة عوامل القنوط والاستسلام ، فيستأنف حياته فى جد مثمر ، بعزيمة قوية ، وأمل متجدد ، وقلب متفتح .

٤ ـ ثم ان ايماننا بقدر الله وقضائه يبعث فى نفوسنا كثيرا من الفضائل ، لأن المؤمن بالقدر شجاع يعلم أنه لن يصيبه الا ما سبق فى علم الله من موت أو حياة ، ومن سلامة أو اضطهاد ، ومن نفع أو ضرر .

والمؤمن بقدر الله أبى عزيز النفس لا يذل لأحد ، ولا يدنس ضميره أو يلوث كرامته لقاء ثمن ، لأنه يعتقد أن النفع والضرر بيد الله تعالى ، وقد سبق به علمه وقدره ، فلو اجتمع الانس والجن على أن ينفعوه أو على أن يضروه

ما استطاعوا شيئا سوى ما سبق به قدر الله . وهو راض دائما ، مستبشر دائما ، متفائل فى جميع حالاته ، لأنه مطمئن الى رحمة الله ولطفه وعدله .

٥ ــ ولا شك أن هذا الايمان يحفظنا من رذيلة الحقد والحسد والسخط ، لان الذى يحسد غيره على نعمة انعم الله بها عليه ساخط على قدر الله ، والذى يحقد على ذى نعمة متبرم بحظه من الحياة ، والذى يسخط نصيبه من الدنيا ضعيف الثقة بقدر الله ، غافل عن نعم أخرى أسبغها عليه الله .

٦ ــ واننا اذ نؤمن بقدر الله تعالى نؤمن بأنه أوجب علينا أن نعمل وأن نسعى ، وأن نتخذ من الاسباب والوسائل الشريفة ما يحقق غاياتنا المشروعة ، فلا كسل ولا تكاسل ، ولا خمول ولا تواكل .

فمثلا أمرنا سبحانه وتعالى بالسعى والعمل للحصول على الرزق ، قال سبحانه : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض ، وابتغوا من فضل الله » ، وقال تعالى : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا ، فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه » .

وأمرنا بالدفاع عن الدين وعن الوطن فى قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، وفى قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ، وفى قوله جل وعز : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » ، وفى قوله سبحانه : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة » .

وأمرنا سبحانه وتعالى بعمل الصالحات ، ونهانا عن فعل المنكرات ، فقال تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، وقال سبحانه : « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها » .

وهكذا تتكرر الاوامر والنواهى فى آيات كثيرة .

والأحاديث النبوية تتفق مع كتاب الله فى الحض على العمل ، فطالما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمل ، وطالما عمل بنفسه فى السلم وفى الحرب ، فقاد الجيوش ، وأعد السلاح ، وحفر الخندق ، وادخر القوت .

وهو القائل : لان يحمل احدكم حبله على ظهره فيحتطب به خير له من أن يسأل الناس اعطوه أو منعوه .

وهو القائل : المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير . احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وان أصابك شىء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله ، ما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان .

وهو القائل للرجل الذى عرض عليه أن يتصدق بماله كله : انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس .

وهو القائل : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

وهو القائل : تداووا يا عباد الله ، فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء ، الا داء واحدا : الهرم .

وقد سأله بعض الصحابة : يا رسول الله ، أرأيت أدوية نتداوى بها ، ورقى نسترقى بها ، وتقى نتقى بها ، هل ترد من قدر الله شيئا .. ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هى من قدر الله .

٧ ــ ونحن نؤمن بالقدر ، ولا يعوقنا هذا الايمان أيما تعويق عن العمل ،

لان الاحداث قبل أن تقع سر محجب عنا ، خفى علينا ، لا يعلمه الا الله الذى قدر وقضى ، وليس فى استطاعة مخلوق ان يعلم المقدور . وكيف يتطلع احد الى معرفة الغيب ، وقد أمر الله رسوله أن يقول : « قل لا أملك لنفسى نفعـــا ولا ضرا الا ما شاء الله ،ولوكنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

لهذا نعى الله على المشركين اعتذارهم عن شركهم بأنه قدر من الله ، ونعى على من يعتذرون بالقدر فى انصرافهم عن الخير واقبالهم على الشر ، قال تعالى : « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل : هل عندكم من علم فتخرجوه لنا .. ؟ إن تتبعون الا الظن ، وان أنتم الا تخرصون » .

وقد قال سراقة بن مالك لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن ، فيم العمل ؟ أفيما جفت به الاقلام ، وجرت به المقادير ؟ أم فيما يستقبل ؟ قال رسول الله : فيما جفت به الاقلام ، وجرت المقادير .

وروى عن على بن أبي طالب : كنا فى جنازة ، فأتانا رسول الله ، فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مخصرة ، فنكس وجعل ينكث بمخصرته ، ثم قال : ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ، ومقعده من الجنة ، فقالوا : يا رسول الله ، أولا نتكل على كتابنا ، وندع العمل ؟ قال : اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل أهل الشقاوة ، ومن كان من أهل السعادة فيصير لعمل أهل السعادة ، ثم قرأ قوله تعالى : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » .

وهكذا تتوالى أحاديث رسول الله ، كقوله : ما منكم من احد الا قد كتب مقعده من النار أو الجنة ، فقال أحد السامعين : الا نتكل يا رسول الله .. ؟ قال : لا ، اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له .

وقوله : اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك .

٨ ـ لهذا كله كان الايمان بالقدر وبالقضاء نعمة على البشر ، لأنه ظل من الطمأنينة وارف ، ونعمة من السكينة الراضية ، ولأنه حافز الى قوة العزائم ، وباعث على العمل والعزة والصبر والشجاعة ، ووقاية من الشرور التى تصيب الافراد والجماعات ، كالأثرة والحسد والشماتة والنفاق والجزع واليأس .

ولست أريد أن أكرر ما سبق من آيات وأحاديث فى الدلالة على هــذه المعانى ، بل أريد أن أذكر أن المنافقين كانوا يتخلفون عن مشاركة رسول الله فى صد العدوان عن المدينة وعن الاسلام ، وهم فى أعماق نفوسهم يودون أن ينهزم الرسول ، ليفرحوا بهزيمته ، وليبرروا تخلفهم عن نصرته ، فأنزل الله تعالى على رسوله أن المسلمين الصادقين لا يأبهون بما يجول فى نفوس المنافقين ، لأنهم مؤمنون بأن ما يصيبهم من خير أو شر قد سبق به قدر الله ، ولأنهم قد أرضوا ربهم ، وأرضوا نفوسهم بجهادهم فى حماية العقيدة وصـــيانة الوطن ، فاذا انتصروا لم يبطروا وان انكسروا لم ييأسوا .

قال تعالى : « ان تصبك حسنة تسؤهم ، وان تصبك مصيبة يقولوا : قد أخذنا أمرنا من قبل ، ويتولوا وهم فرحون . قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ، هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

الإسلام

دعوة كل الرسل

للدكتور : أحمد عمر هاشم

إن الاسلام هو دعوة كل الرسل ، ويتناول اطلاقه جميع الأديان التى أمر الله تعالى رسله أن يبلغوها للناس ، لأنه روحها الكلى ، على اختلاف فى بعض التكاليف والأعمال وينضوى الانسان تحت راية الاسلام عندما تصح عقيدته ، وتخلص من كل شائبة من شوائب الشرك والنفاق .. ويخلص فى ايمانه وعمله لله تعالى .. من اى دين كان ، من الاسلام أو الأديان السابقة ــ وهذا هو المراد بقوله تعالى : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » فالاسلام بمفهومه القرآنى المشرق اسم للدين الالهى الذى جاء به جميع الانبياء والرسل وانتسب اليه اتباعهم جميعا . يقول نوح لقومه : « وأمرت أن أكون من المسلمين » ، ويوصى يعقوب بنيه قائلا : « فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » ويجيب أبناء يعقوب أباهم قائلين : « نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون » ويقول موسى عليه السلام لقومه : « ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » ويقول الحواريون لعيسى : « آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » ويقول بعض أهل الكتاب حين سمع القرآن : « قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين » .

وقد وجه القرآن الكريم الأمة الاسلامية ، إلى بيان هذه الحقيقة

فى قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ، كما خاطب الله تعالى الرسل جميعا مبينا أن الاسلام والتوحيد قد أمر به كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وكافة الامم فالملة واحدة ، متحدة فى أصول الشرائع ، لا تتبدل بتبدل العصور ، قال تعالى :

« وان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

وتتلخص دعوة الملة القيمة فى التوحيد الخالص لله الواحد الأحد ، البعيد عن العقائد الزائغة ، مع اتباع جميع الأحكام المنوطة بأتباع الاسلام ، كما قال تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » .

وقال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

فعلاقة الاسلام إذاً — بالأديان الأخرى علاقة الشىء بنفسه ما دام جوهره هو جوهر كل الرسالات ، ودعوة رسوله هى دعوة كل الرسل . وأما ما اختصت به العقيدة الاسلامية الخاتمة من شرائع وأحكام فهذا مدلول معين ، كما أن اليهودية مدلول معين على شريعة معينة ، والمسيحية كذلك . وعلاقة الاسلام كشريعة للرسول صلوات الله وسلامه عليه بالاديان الأخرى تقوم على أساس تصديق القرآن لما بين يديه من الكتب والهيمنة عليها . .

وهذه العلاقة تأخذ اتجاهين واضحين : الاتجاه الاول : علاقة الاسلام بالشرائع السماوية قبل تطورها وتغييرها . والاتجاه الثانى : علاقته بها بعد تطورها وتغييرها :

أما عن الاتجاه الأول : فالقرآن جاء مصدقا لما قبله من الكتب ، وقد أخذ رب العزة سبحانه على كل نبى اذا جاءه رسول مصدق لما معه أن يؤمن به وينصره . . وتصديق الكتب المتأخرة للمتقدمة لا يعنى أنها لا تغير منها شيئا ، لا . فهى مع أنها مصدقة لها الا أنها تغير منها كما حدث أن جاء الانجيل بتعديل أحكام التوراة ، فأعلن عيسى عليه السلام أنه جاء ليحل لبنى اسرائيل بعض الذى حرم عليهم . . وأيضا فقد جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الانجيل والتوراة اذ أعلن أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، جاء ليحل للناس كل الطيبات ويحرم عليهم كل الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم . وليس فى هذا تناقض من اللاحق للسابق ، ولا انكار منه له ، وانما هو توافق وتناسب للزمن الذى تعيشه كل أمة ، ليتواءم مع ظروفها وطبيعتها وأطوارها المختلفة ، فان الذى يتناسب مع أمة من الأمم فى طورها الاول ، قد لا يتناسب معها فى

الطور الثانى ، والذى يتناسب معها فى الطورين الاولين قد لا يتناسب معها فى الطور الثالث وهكذا ..

نعم هناك من الامـــور ما تأذن الشريعة اللاحقة بابقائه واستمراره فى نطاق ظروفه السابقة : كالوصايا العشر مثلا ، ما عدا الوصية العاشرة التى تحرم العمل يوم « السبت » ، فمثل ذلك من التشريعات الخالدة التى لم تتغير بعد .. أما ما هنالـــك من تشريعات مؤقتة بآجال طويلــــة أو قصيرة فهى تنتهى بانتهاء وقتهـــا ، وتأتى الشريعة اللاحقـــة بمـــا يوافق الاوضاع مصداقا لقوله تعــــالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » اذا ففى كل شريعة من الشرائع عنصران ضروريان للدعوة :

عنصر مستمر : يربط حاضرهـــا بماضيها .

وآخر غير مستمر : ويقوم بالتجديد بما يتناسب مع تطورها فى كل زمان ومكان .. فمثلا نرى شريعة التوراة تنص ضمن قوانين السلوك الاخلاقى على (النهى عن القتـــل والســـرقة .. الخ) ومن أهم ما تبرزه : طـــلب العدل والمساواة — ونرى شريعـــة الانجيل تقرر هذه المبادىء وتزيـــد عليها : « لا تراء الناس بفعـــل الخير » و « أحسن الى من أســــاء اليك » وأوضح ما فيهـــا التسامح والاحسان .. فتأتى شريعة القرآن فتقرر المبدأين معا : « إن الله يأمر بالعدل والاحسان » « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله » وقال تعالى : « وأن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم بـــه ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

وقد أضافت الشريعة الاسلامية كل مكارم الأخلاق ، فلم تدع جانبـــا من جوانب السلوك فى التحيـــــة ، والاستئذان ، والمجالسة ، والمخاطبة وما الى ذلك من الآداب الساميـــة ، والأخلاق الرفيعة ، كما هو موضح فى سورة النـــــور ، والحجــــرات ، والمجادلة ..

اذا فالشرائع كلها بمثابة اللبنات فى بناء الدين ، ومهمة اللبنة الاخيرة: إكمال البناء وامساكه ، وبلوغــــه الكمال الخلقى ، كما قال عليه الصلاة والسلام :

« انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .. وقد وصف الله تعالى رسولـــه صلوات الله وسلامه عليه بأكمـــل وصف ، وأعظم خلق اذ يقول سبحانه وتعالى للرسول عليه الصلاة والسلام « وانك لعلى خلق عظيم » .. ويقول القرآن الكريم فى بيان إكمال الـــدين واتمام النعمة الالهية على العباد على يدى خاتم المرسلين صلوات اللــــه وسلامه عليه : « اليوم اكملت لـــكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت

لكم الاسلام دينا » . ويوضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه موقفه من الأنبياء السابقين عليه كرسول خاتم — فيقول : « مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

وأما عن علاقة الاسلام بالاديان السماوية الاخرى بعد تطورها وتغييرها : فقد عرفنا أن القرآن الكريم ، جاء « مصدقا » لما بين يديه من الكتب و « مهيمنا » على تلك الكتب ، والهيمنة تعنى الحراسة الامينة عليها ، والحماية الواعية لها، من الدخيل الذى يدس فيها ، ويطرأ عليها ، وإبراز ما تدعو اليه الحاجة من حقائق قد أخفيت عنها ، وتأييد ما خلده التاريخ من حق وخير .

وهكذا كانت مهمة القرآن الكريم .. فنفى وجود الأمور الزائدة ، وتحدى ادعاء وجودها فى الكتب : « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين » وابراز ما أخفوه « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب » فعلاقة الاسلام اذا بالأديان الأخرى فى طورها الأول علاقة تأييد كلى ، وأما فى طورها الاخير المتطور فهو تصديق لما بقى من اجزائها الاصلية ، وتصحيح لما طرأ من البدع والاضافات الغريبة عنها .

وقد أمر الإسلام اتباعه بالتعامل الحسن ، حتى مع أبعد الأديان عنه ، قال تعالى :

« وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » ان سماحة الاسلام لتنفسح جوانبها ، وتمتد ظلال الأمن فيها وارفة فتجير المشرك وتؤويه وتكفل له الامن ، وتقدم له الرشد الناجح ، والتوجيه السديد بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتى هى أحسن كما قال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » بل وتكفل له الحماية والرعاية والأمان من كل غائلة .. كما ندب الاسلام اتباعه أن يكون موقفهم من غير المسلمين موقف بر ورحمة ، وقسط وعدل : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » .

وما أروع قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه — يوم الحديبية :

« والله لا تدعونى قريش الى خطة توصل بها الارحام ، وتعظم فيها الحرمات الا أعطيتهم إياها » .

الاحتكار وتسعير السلع
وحكمها في الفقه الاسلامي

للدكتور / محمد سلام مدكور

النزعة السائدة فى التشريع الاسلامى انه يعمل على الحد من سلطان الفرد اذا تعارض مع الصالح العام ، أو أساء الفرد استعمال ما له من حق ، اذ الحقوق فى استعمالها مقيدة بمراعاة مصلحة الآخرين وعدم الاضرار بالجماعة . ولذا فقد نص الفقهاء على أن المرء قد يمنع شرعا من عمل هو فى الاصل مباح وفيه مصلحة اذا ترتب عليه الاضرار بالمجتمع .

والاسلام اذ يعترف بالملكية الفردية فانه يفرض على المالكين لمصلحة الجماعة طائفة من التكاليف والالتزامات . فالشارع لم يطلق للمالك حق التصرف فى ملكه على وجه لا يحد من سلطانه فيه شىء ولا يصد هواه ورغباته قاعدة ولا قانون ، ولكنه ملكه ملكية محدودة بقيود رسمها الله . فاذا التزمها كان آمنا على ملكه وتصرفاته ، وان اخل بها كان عرضة للحجر عليه أو معاملته بالشدة والقهر .

ولذا فان التشريع الاسلامى — كما سنبين — منع احتكار الطعام وما فى معناه مما تتعلق به حاجة الناس واجاز — كما يرى كثير من الفقهاء — التحكم فى تسعير السلع التى لا غنى للناس عنها فى معاشهم ، ومن أبى الانقياد لتوجيه الاسلام ، وعزفت نفسه ، وخلا قلبه من التقوى . فقد سلط الله عليه سلطة الحكام يقومون زيفه ويعدلون ميله فيبيعون عليه ما عنده من حكرة لما يحتاج اليه الناس تنفيسا للكربة عنهم .

وفى ذلك خير لنفس المحتكر فى الواقع ، فربما كان أخذه بالشدة والقوة مما ينبه ضميره الآثم ويبعث قلبه الميت فيندم على تعنته مع جماعته ويعود فى تعامله الى ما يحقق التعاون والوئام ، وصدق الامام العادل عثمان (يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

معنى الاحتكار :

جاء فى المصباح : احتكر فلان الطعام اذا حبسه ارادة الغلاء ، ومن الفقهاء من عرفه بأنه اشتراء الطعام ونحوه وحبسه الى الغلاء لمدة اختلفوا فى تقديرها (وكلمة ونحوه تجعل الاحتكار شاملا للقوت وغيره مما يحتاج اليه الناس ويكون من مستلزمات معيشتهم) ، وينقل الشرنبلالى فى حاشيته على درر الحكام شرح غرر الاحكام عن أبى يوسف الفقيه الحنفى : أن كل ما أضر بالعامة حبسه فهو احتكار وان كان ذهبا أو فضة أو ثوبا . . وقد خصه بعض الفقهاء بحبس الاقوات فقط انتظارا للغلاء يقول البابرتى الحنفى أن المراد بالاحتكار حبس الاقوات تربصا للغلاء وهذا ما اتجه اليه الفقه الشافعى والحنبلى والاباضى . بل يقصر الفقه الجعفرى الاحتكار على سبعة أشياء من القوت : الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن والزيت والملح .

ويتوسع المالكية فى مفهوم الاحتكار كأبى يوسف الحنفى . فقد روى سحنون أنه سمع مالكا يقول : الحكرة فى كل شىء فى السوق من الطعام والزيت والكتان والصوف وجميع الاشياء وكل ما أضر بالسوق . فيمنع من يحتكر شيئا من ذلك الا اذا كان غير ضار بالسوق فانه لا يمنع . والى هذا اتجه الزيدية .

والذى نتجه اليه فى تصوير الاحتكار الذى حظرته الشريعة الاسلامية بناء على ما تفيده القواعد العامة ولا يتنافى مع نصوص الشارع : انه شامل لحبس أى شىء تشتد حاجة الناس اليه ويستعملونه فى حياتهم ويتضررون من حبسه عنهم على ما سنبينه تفصيلا بعد .

دليل منع الاحتكار :

لا نجد فى نصوص القرآن حكما خاصا بموضوعنا شأنه فى كل الاحكام المتعلقة بالمعاملات التى يكتفى بالنسبة لها بوضع القواعد الكلية . غير أن القرطبى المالكى ذكر عند تفسيره لآية : (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم) أن أبا داود روى عن يعلى ابن أمية أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (احتكار الطعام فى الحرم إلحاد فيه) وهو قول عمر ابن الخطاب) . وقد فهم هذا صاحب الاختيار الحنفى : (أن الآية اصل فى افادة تحريم الاحتكار) . وان كان التحريم فيما نرى مستفادا من الحديث نفسه .

وبالرجوع الى السنة فى موضوع الاحتكار نجد جملة احاديث واردة فى الموضوع . بعضها عام ، وبعضها مخصص ببعض السلع دون بعض . ومما جاء عاما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (من احتكر فهو خاطىء) ، وفى رواية أخرى : (لا يحتكر الا خاطىء) .

كما روى أحمد فى مسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من احتكر حكرة — بمعنى الاحتكار — يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء وقد برأت منه ذمة الله ورسوله) .

وعن معقل بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة) أى بمكان عظيم ، رواه أحمد فى مسنده . وعن ابن عمر أن رسول الله قال : (الجالب مرزوق والمحتكر ملعون) رواه ابن ماجه والحاكم والدارمى وغيرهما وضعفه الحافظ .

ومما ورد خاصا باحتكار الطعام والقوت . ما رواه ابن ماجه بسنده

الى النبى صلى الله عليه وسلم : (من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجزام والافلاس) وما رواه احمد والحاكم وابن ابى شيبة والبزار وابو يعلى : (من احتكر الطعام اربعين ليلة فقد برىء من الله وبرىء الله منه) .

ويقول الشوكانى : (ان احاديث الباب بمجموعها تدل على عدم جواز الاحتكار ، وظاهر احاديث الباب أن الاحتكار محرم من غير فرق بين قوت الآدمية والدواب وبين غيره) وقال الصنعانى : (لا يخفى ان الاحاديث الواردة فى منع الاحتكار وردت مطلقة كما وردت مقيدة بالطعام ، وما كان من الاحاديث على هذا الاسلوب فانه عند الجمهور لا يقيد فيه المطلق بالمقيد لعدم التعارض بينهما) وقد أوضح ذلك الامام الشوكانى حيث قال (والتصريح بلفظ الطعام فى بعض الروايات لا يصلح لتقييد بقية الروايات المطلقة ، بل هو من التنصيص على فرد من الافراد التى يطلق عليها المطلق) .

ونحن من جانبنا نلاحظ أن احاديث الاطلاق أقوى من احاديث التقييد التى طعن فى سندها كما هو مبين فى نيل الاوطار للشوكانى وغيره من كتب الحديث بينما ما ورد مطلقا ثابت فى الصحيح وما رواه احمد قال الشوكانى : ان رجاله رجال الصحيح . وعلى هذا فيجب أن نقدم احاديث الاطلاق على فرض تعارضها مع احاديث التقييد ، فكيف وقد ثبت انه لا تعارض لأن هذا من قبيل التقييد باللقب ومفهوم اللقب لا عبرة به على ما بيناه فى موضعه .

آراء فقهاء المذاهب :

يبدو مما جاء فى كتب الفقه الحنفى ان هناك خلافين فى المذهب . احدهما بين الامام وبين أبى يوسف اذ يرى الامام أن جلب الطعام من مكان بعيد وحبسه لا يعتبر احتكارا محتجا بقول الرسول (الجالب مرزوق) ومن يشترى من مكان بعيد جالب . وعلى هذا فمن زرع ارضا فامسك طعامه فلا يعد محتكرا عند الامام وان كان الافضل عنده ألا يفعل ذلك . بينما يرى ابو يوسف أن كل ذلك من قبيل الاحتكار .

الخلاف الثانى : بين أبى يوسف ومحمد بن الحسن اذ عمم أبو يوسف الاحتكار فى حبس كل ما يضر بالناس بينما قصره محمد على قوت الناس وعلف الدواب لأن الضرر فى الاعم الاغلب انما يلحق العامة بحبس ذلك عنهم .

ونحن من جانبنا نرى رجحان راى ابى يوسف لانه اقرب الى تحقيق مقاصد الشريعة من التيسير على الناس ودفع الضرر عنهم ومراعاة مصلحة الجماعة . فضلا عن أن ما استدل به الفقهاء السابقون لقول ابى حنيفة من حديث (الجالب مرزوق) لا وجه فيه للاستدلال اذ تمام الحديث (ان المحتكر ملعون) ، فينبغى على هذا ان يفسر الجالب بمن ليس بمحتكر والا تضارب صدر الحديث مع عجزه فكيف يجلب الشخص الطعام من مكان بعيد ليمتنع عن بيعه للناس مع حاجتهم اليه . فهذا أمر يتحقق فيه معنى الاحتكار المحظور .

كما نرى وجاهة مسلك أبى يوسف ايضا فى الخلاف الذى بينه وبين محمد ابن الحسن لأن الاضرار بالعامة لا يختص بالقوت والعلف فقط .

كما نرى أن حابس غلة أرضه آثم ايضا اذا كان الناس فى حاجة اليها فينبغى أن يأخذ حكم المحتكر لتوافر الحكمة التى من اجلها منع الاحتكار . ولذا فان ابن عابدين يعلق على ما قاله صاحب تنوير الابصار من أن من حبس غلة أرضه لا يعد محتكرا فقال: الظاهر ان المراد انه لا يأثم إثم المحتكر وان أثم

بانتظار الغلاء أو القحط .

مذهب المالكية :

والفكر المالكى يتجه وجهة التعميم تقليل القيود فى الجملة فهم يصرحون ى المنقول عن الامام مالك وفيما لستنتجه القرطبى المالكى من حديث لا يحتكر الا خاطىء أن الاحتكار يتحقق فى كل شىء من القوت وغيره يقول الحطاب : يمنع احتكار ما يضر بالناس والمقصود بمنع الاحتكار هو منع التجار من الادخار . فلا خلاف فى أن ما يدخره الانسان لنفسه وعياله من قوت وما يحتاجون اليه جائز ولا باس به .

ويقول الحطاب أيضا : ان المنع فيمن اشترى من الاسواق فأما من جلب طعاما من خارج المدينة فان شاء باع وان شاء احتكر الا أن نزلت حاجة فادحة أو أمر ضرورى فيجب على من كان عنده ذلك أن يبيعه بسعر وقته . ويفهم مما أورده فقهاء المالكية أن من يحبس غلة أرضه لبيعها وقت الغلاء لا يعتبر محتكرا .

مذهب الشافعية :

خص الشافعية الاحتكار ــ كما تفيده نصوصهم ــ باشتراء القوت الخاص بالناس وقت الغلاء ليمسكه ويبيعه بعد ذلك بأكثر من ثمنه . وعلى هذا فلا يعد حبس صاحب الضيعة غلته احتكارا ، ولا يعد حبس الامتعة ونحوها احتكارا بل ولا يعد حبس قوت الماشية احتكارا ، ولا يعد ما اشتراه وقت الرخص احتكارا .

فهم يضيقون دائرة الاحتكار وان كانوا لم يقيدوا الشراء بأن يكون من اسواق المدينة بل يعتبر جلب قوت الآدميين وقت الغلاء من الخارج وحبسه ليبيعه بعد ذلك بأكثر من ثمنه احتكارا .

ومع تقييد الاحتكار بهذه القيود عندهم فانهم قالوا : ان اشتدت ضرورة الناس لزمه البيع مما حبسه ولو لم يعد احتكارا فان ابى اجبره القاضى ، وعند عدم الاشتداد الاولى ان يبيع ما فوق كفاية سنة لعياله من محصول زراعته ، وقالوا : يكره امساك الثياب على سبيل الاحتكار .

مذهب الحنابلة :

الفقه الحنبلى اضيق دائرة حتى من الفقه الشافعى فى مفهوم الاحتكار اذ قصروا الاحتكار المحرم على شراء شىء مما يأكل الناس على سبيل الاقتيات وان يكون الشراء من أسواق المدينة بقصد التضييق على الناس وعلى هذا فما اشتراه من خارج المدينة ، وما شتراه من غير ما اعتاد الناس اقتياته ، وما اشتراه من علف البهائم ومن مأكولات كمالية ، وما انتجته مزارعه ، ومصانعه كل ذلك اذا حبسه عن الناس لا يعتبر احتكارا . ولذا فان ابن القيم يصور الاحتكار بقوله : (من المنكرات الاحتكار . فان المحتكر الذى يعمد الى شراء ما يحتاج اليه الناس من الطعام فيحبسه عنهم ويريد إغلاءه عليهم فهو ظالم لعموم الناس) .

الفقه الظاهرى :

يصور ابن حزم مذهب الظاهرية فى هذا بقوله : ان الحكرة المضرة بالناس حرام فى الاشتراء وفى امساك ما ابتاع ويمنع من ذلك (فهو لم يقصر هذا على قوت الانسان ، ولا على القوت عموما ، ولم يقصر الشراء على ما كان من أسواق المدينة . وان كان قيد ذلك بوقت الضيق والغلاء . ولذا فانه يقول : المحتكر فى وقت رخاء ليس آثما ..) .

فقه الزيدية :

تنص كتب الزيدية على انه يحرم احتكار قوت الآدمى والبهيمة لعموم قوله صلى الله عليه وسلم (من احتكر الطعام ..) وانما يحرم فى الفاضل عن كفايته ومن يمون الى القلة ، وانما

يحرم مع حاجة الناس اليه ولا يوجد الا مع مثله .. ولا يحرم احتكار غير ذلك اذ لا ضرر .

وهذا يفيد انهم لا يقصرون الاحتكار على الشراء ولا يخصونه بالمصر اذا كان بطريق الشراء وعلى هذا فاحتباس غلة الضيعة يعد عندهم احتكارا ايضا . وان كانوا قصروا الاحتكار فيما يحبس من قوت الآدمى والبهيمة مع حاجة الناس اليه .

الفقه الشيعى الجعفرى :

جاء فى الروضة البهية : ان احتكار الطعام وحبسه بتوقع زيادة السعر . الاقوى تحريمه مع استغنائه عنه وحاجة الناس اليه .. فيجبر على البيع من احتكر الطعام على هذا الوجه .. وتثبت الحكرة فى سبعة اشياء : الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن والزيت والملح .. والاحتكار فيها يتحقق بالشراء من المصر أو بالاستيراد من الخارج أو بالانتاج .

الفقه الأباضى :

يخص الأباضى الاحتكار بشراء المقيم طعاما ينتظر به الغلاء ، وكذا المسافر الذى يتجر بمال المقيم ، ويلاحظ ان يكون الشراء بقصد الاتجار والاحتكار يتحقق بشراء كل ما يطعم .. وقيل بما يسمى فى العرف طعاما .

حكم الاحتكار فى الفقه الاسلامى :

الاحتكار الذى تتحقق فيه القيود على اختلاف المذاهب فيها محظور ، وقد اختلفت عبارات الفقهاء فى التعبير عن هذا الحظر فمنهم من صرح بالحرمة كالكاسانى الحنفى ، والشيراملسى الشافعى الذى عده فوق ذلك من الكبائر ، وابن قدامة الحنبلى وابن حزم الظاهرى ، واحمد بن يحيى المرتضى الزيدى ، واطفيش الاباضى .

ومنهم من صرح بالكراهة . ومن ذلك ما قاله كثير من فقهاء الحنفية . ولعل هذا يرجع الى اعتبارهم الاصولى فى المكروه وهو انه ما دل على منعه دليل ظنى ، على ما بيناه فى كتابنا مباحث الحكم عند الاصوليين وكذلك فان الحطاب من المالكية لم يذكر اكثر من انه ممنوع ولعله من احتياطات المالكية المعروفة عن امامهم ، كما أن الجعفرية ذكروا الاحتكار بعد الانتهاء من الكلام فيما يحرم فى المتاجرة وتكلموا عنه ضمن ما يكره . وان كان صاحب الروضة عاد فقال : ان الأقوى التحريم .

والنتيجة أنه ليس فى المذاهب كلها من اباح الاحتكار . وكيف يتسنى لفقيه أن يستسيغ القول باباحة شىء مضت السنة على حظره فضلا عما ورد فيه من التهديد والوعيد .

وعلى هذا فان ولى الأمر يلزم المحتكر ببيع ما عنده ازالة للظلم وان تكرر منه ذلك ولم يؤثر فيه الوعظ والتهديد حبسه وعزره كما يرى الحنفية زجرا له عن سوء صنعه ويبيع القاضى الشىء المحتكر من غير رضاه عند الصاحبين وقيل باجماع الامام وصاحبيه وهو الصحيح فى المذهب .

ويصرح المالكية والشافعية والحنابلة والزيدية والأباضية بأن ولى الأمر يجبره على البيع بسعر وقته ولو امتنع من بيعه الا باكثر من سعره أخذ منه بقيمة المثل . وهو ما يفهم من كلام الظاهرية والجعفرية .

وجدير فيما نرى الا يكون حظر الاحتكار واجبار المحتكر على البيع موضع خلاف ، وقد تهدد الشارع عليه بذاته بوعيد شديد قل أن يذكر فى معصية من المعاصى ، وما ذلك الا لأنه أمر يتعلق بالصالح العام .فهو مظهر ضرر ودليل قسوة فى قلب من سمحت له نفسه به وآية على جشعه وان المحتكر لم يستكمل الايمان فى قلبه .

فاذا لم يتداع بعض المؤمنين لبعض عند وجود الحاجه فجدير بهذا الذى لم يتداع لاخوانه ان يحرج من حظيره المسلمين ، واذا كان بعض الناس قد استباح لنفسه الاحتكار لشبهه ان المال ماله وهو مالك له فله مطلق حرية التصرف فى اخراجه أو حبسه . فان ذلك شخص قد قصر نظره وساء فهمه .

فان شريعة الاسلام تنادى بأنه اذا تعارض الصالح العام مع الصالح الخاص قدمت المصلحة العامة .

واذا كان الفقهاء قالوا : ان الامام يجبر المحتكر على ان يبيع بضاعته دون اغلائها على الناس فذلك لأن المحتكر لم ينجح فيه توجيه الدين ولم تخالط بشاشته قلبه الضعيف المهين مصداقا لقول عثمان بن عفان : ان الله يزع بالسطان ما لا يزع بالقرآن .

وسياسة الحكام فيما يرونه نافعا مفيدا لمقاومة البغى وتحقيق الصلاح تختلف باختلاف اعتبارات كثيرة تؤثر على سياسة الحاكم . واذا كان روى أن الامام عليا أحرق طعاما احتكره صاحبه عقابا له فان عمر من قبله يروى أنه خرج ذات يوم مع بعض أعوانه فرأى طعاما كثيرا قد القى على باب مكة فقال ما هذا الطعام ؟ فقالوا : جلب الينا . قال : بارك الله فيه وفيمن جلبه . فقيل له : انه قد احتكر فقال : من احتكره ؟ فلما اخبر قال للمحتكرين ما حملكما على احتكار طعام المسلمين ؟ فقد سمعت رسول الله يقول (من احتكر على المسلمين طعامهم لم يمت حتى يضربه الله بالجذام والافلاس) واكتفى بهذه الموعظه التى استجاب لها احدهما واما الاخر فقد سلك مع امير المؤمنين مسلك المناقشه ، ولا سيما ان هذه الواقعة جلب فيها الطعام من خارج مكه ، كما انه لم تثبت حاجه الناس اليه مما يجعل اعتباره احتكارا محل نظر . ولولا ذلك لبطش به عمر وهو الأمير الحازم . الا انه مع ذلك كان رجاعا الى الحق ولا يستعمل العنف فى موضع اللين .

وسياسة عمر وعلى وان اختلفتا فى هذا المضمار تبعا لاختلاف ما يتطلبه الحكم فى عصر كل منهما وفى الواقعة نفسها فان الأبى الفقيه المالكى المتوفى سنة ٨٢٧ نقل لنا فى شرحه على صحيح مسلم عن الخليفة فى عصره أنه كان اذا غلا السعر ترفق بالمسلمين فأمر بفتح مخازنه وأن يباع بأقل مما يبيع الناس حتى يرجع الناس عن غلوهم فى الأثمان . ثم يأمر مرة اخرى أن يباع بأقل من ذلك حتى يرجع السعر الى أوله أو القدر الذى يصلح بالناس حتى يغلب الجالبين والمحتكرين بهذا الفعل .

وما أشبه هذا بما تتجه اليه الحكومات من انشاء جمعيات تغمر الأسواق بالبضائع عند ما يتلاعب التجار فى أسعار السلع أو عند محاولتهم اخفاءها .

والى لقاء فى مقال قادم نختتم به الموضوع ونتكلم فيه عن ما نراه فى احتكار غير القوت من مختلف أنواع السلع المستوردة والمنتجة محليا بل والأعمال ، وحكم تسعير السلع فى الاسلام .

الإسلام..

محمد مؤذن

للدكتور : عماد الدين خليل

إن المتتبع لتاريخ العقود الأخيرة فى القارة الافريقية ، يجد بوضوح أن قوى الاستعمار والتبشير والصهيونية بذلت كل محاولة ممكنة لوضع يدها هناك ، وتقدمت الى القارة من كل مكان ، من الشمال والجنوب ، من الشرق والغرب ، جاءت إليها بالسفن والطائرات والقطارات السريعة ، وتسللت إليها مع كل قطعة غيار أو أداة مصنع أو مؤسسة تعليمية أو اجتماعية ، ونفخت فى عقول ابنائها وقلوبهم بكل نشرة أو كتاب أو مساعدة اقتصادية او بعثة متبادلة أو نشرة اخبارية . وكان الخطر يزداد يوما بعد يوم بسبب ما هنالك من تعايش وتعاون متبادل بين هذه القوى الثلاث ، رغم ما بين بعضها من عداء دينى وتقليدى .

والمسلمون الأفارقة السود تحيط بهم الأخطار ويضيق الخناق على أعناقهم يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة . ان جدرانا هائلة تقام كل يوم لتعزلهم عن إخوانهم العرب فى كل مكان ، انهم غدوا بمرور الوقت ، معزولين أكثر من أى وقت مضى لأن الصراع بين الاسلام والقوى المضادة بلغ حده الأقصى .. انهم يجردون من سلاحهم ومن وسائل معاشهم ، يحرم عليهم التعلم ، ويفتك بأعراضهم ويداس شرفهم بالأقدام وتسلط عليهم الوان التعذيب والتخويف والقتل والافناء .. وماذا يبقى للمسلم عندما يجرد من سلاحه ويغدو - بتصميم مسبق - جائعا جاهلا ، مسلوب العرض مسحوق الشرف ، معرضا للذبح فى كل لحظة ؟ لا يبقى أمامه الا أن يرتد عن دينه لكى يعيش ويتعلم ويحفظ عرضه وشرفه ، بل لا يبقى أمامه - ان أراد الحياة بأية صورة من صورها - الا أن يتنازل عن بيعته



والإفريقي المعاصر

لله ورسوله ويضع يده المهزولة المرتجفة فى احدى الأيادى القوية الثلاث التى امتدت اليه من كل مكان تدعوه : أن هلم الينا .

ورغم ذلك كله فان هناك عزاء يتنزل على العقول والقلوب ، آملا من الأمل ويقينا من اليقين ، عزاء ينبثق عن الاسلام نفسه ، ذلك الدين السمح الواضح العادل المتماسك القيم .. عن قدرته الفذة العجيبة على التقدم والانتشار رغم اشد الصعوبات واقسى العقبات ، عن قوته الذاتية فى الاقناع وإزالة الجدران التى يحيط بها أعداؤه الشعوب فى كل مكان . انه يمحو — بقدرة قادر — هذه السدود ، وينطلق خفيفا واضحا مستقيما الى عقول الناس وأفئدتهم فى كل مكان فيملؤها بالنور واليقين ، ويعلمها كيف تعيش متوحدة ، نظيفة ، منطقية مع ذاتها ومع مجتمعها ومع العالم الذى تعيش فيه والكون الذى ترسم مصيرها على صفحات كتابه الكبير ، ويعطيها الأرضية الصالحة التى تتحرك فوقها فى أجواء يسودها العدل والاخاء والتعاون والفهم المشترك .

ان الاسلام ، هذا الخلاص الإلهى الأخير لأحزان البشرية وآلامها وتعقيداتها ظل ، وسيظل الى أن يشاء الله ، يحمل فى بنيته المعجزة القدرة على خطاب الآخرين والنفاذ بيسر وسهولة الى وجدانهم وأفكارهم .

ولقد علمنا التاريخ ، فضلا عن هذا وذاك ، خصيصة أخرى من خصائص هذا الدين الذى يحرسه الله ويدفع عنه ، تلك هى أنه ما ان كان يتعرض فى ساحة من ساحات الأرض لمحنة قاسية .. لهجوم عنيف من أعدائه .. لحصار صعب استخدمت فيه أشد

الأســلحة المــادية والأدبيــة مضاء وقســوه ، ما ان كان يتــوقف عن الحركه والفاعليــه فى مكان ما من مكانات الأرض ، بما يكيد له اعداؤه من كيد ، حتى كان يسرع فى التعويض عن توقفه هناك ، بالتحرك السريع فى أماكن أخرى ، والاندفاع السهل العجيب لتغطية مساحات أوسع وأبعد من تلك التى أراد اعداؤه الا تطأها قدماه .

وفى الوقت الذى كان فيه الاسلام يهاجم ويحاصر فى مناطق واسعة من آسيا وسواحــل البحر المتوســط ، وأخذت الدولة العثمانيــة تتحول من مواقف الهجوم الى الدفاع ، وتنسحب من أرض واسعة من آسيا وسواحل البحر المتوسط تاركة اياها لجحافــل الأعداء الذين لم يوقفوا حركة الاسلام فى تلك المناطق فحسب ، بل راحــوا يقومون بهجوم مضاد لفتنة المسلمين عن دينهـــم وأضعاف قدرتهــم على الصمود ... فى ذلك الوقت كانــت افريقيا الوثنية تستقبل يوما بعد يوم حشود الدعاة إلى الاسلام ، معلمين ومشايخ وتجاراً ، وتفتح لهم عقلهــا وقلبها ووجدانها . وسرعان مــا راح الاسلام ينتشر هناك بسرعة مذهلة ، لكى يغطى فى فترة قصيرة من الزمن مساحات واسعة من افريقيا شرقــا وغربا وجنوبا .

كان نشاط هؤلاء الدعاة يقوم فى الغالب على الارشاد ، ويعتمد على انتشار التعــاليم الاسلامية ، ويقوم على حب الجــار والتســامح مــع المخالفيــن واستخــدام كل وســائل الترغيب فى نشر الدعوة الى الاسلام رغبة فى نشر الدين ابتغاء مرضــاة الله وحسن الثواب فى الآخرة وهداية الناس وذلك بتأسيس المساجد وفتح المدارس والمصاهرة مع أهالى البلاد التى يتردد عليهــا المســـلمون أو يستوطنونها او بشراء العبيد لتعليمهم مبادىء الدين الحنيف ثم اعتاقهم لوجه الله واعادتهم الى اوطانهم ليدخلوا اخوانهم فى الدين . اضف الى ذلك مبــدا الحــرية والاخاء والعــدالة والمساواة العنصرية (١) .

وقد حاول دعاة المسلمين هــؤلاء أن يشقوا طريقهم الى بلاد الحبشة وان ينتشروا على حدودها الشرقيــة بالاضافة الى ما كان يفد الى هــذه البلاد من التجار .. كان هؤلاء الدعاة والتجار يفدون الى شرقى أفريقيــا عن طــريق بلاد اليمــن وحضرموت والبحرين .. وأخذ الاسلام يشــق طــريقه معهــم الى بلاد الحبشــة والصومال ليس عن طريق الفتــح والغزو بل عن طريق التجارة ، حيث اخذ التجار المسلمون يفدون على هذه البلاد ويدخــلون الكثيرين فى الدين الاسلامى(٢) . وكذلك شق الاسلام طريقه الى أوغندا فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، كما شــق الاسلام طريقه من الساحل الشرقى الى نياســالاند على أيدى العرب ، وخلفائهــم المسلمين فى أفريقيــا ، فانتشر بسرعة غريبة فى أوائل القرن العشرين وعلى أيــدى العرب أيضــا انتشر الاسلام بين السواحلية ، أهالى زنجبار ، وفى جزيرة مدغشقر حيث تحولت قبيلة أنتيمورنا التى تمثل جزءا كبيرا من الساحل الشرقى ، بل لقد نفذ الى كينيا وأوغنده وتنجانيقا والى اقصى جنوب القارة الافريقية(٣) .

وفى الغــرب تمكن الدعــاة من اختراق نطاق الغابات والوصول الى الساحل الشرقى ، كما دخل مع بعض المهاجــرين من سكان شبه القــارة الهنــدية الى جنــوب أفريقيــا والكونغو (٤) .

أما فى غرب القارة فقد سلك الاسلام فى انتشاره ، طريقين رئيسيين أحدهما الطريق الساحلى عبر حوض السنغال ، وهو الطريق الذى سلكه المرابطون وعدد من الحركات الصوفية التى أعقبتهم ، والآخر طريق التجارة الذى يبدأ من افريقيا الشمالية متجها صوب الجنوب عبر واحات الصحراء الى المدن الكبرى فى السودان الإفريقى (٥) .

ويرجع السبب فى تحول كثير من أهالى هذه البلاد الى الاسلام ، الى أن الداعى المسلم كان منذ اللحظة الأولى التى يعترف فيها المتحول الى الاسلام بالعقيدة ، يسير على المبادىء القائمة على الإخاء والمساواة ومحاربة الطبقية ، وهى مبادىء يشترك فيها الاسلام مع المسيحية ، غير أن الداعى المسلم اسرع فى القيام بهذا العمل من المبشر المسيحى الذى يعد مضطرا الى المطالبة بدليل قوى على اخلاص المتنصر قبل أن يصافحه مصافحة المسيحى الأبيض سيدا والوثنى الأسود عبدا . ومن المهم أيضا أن نلاحظ ان لون الزنجى وجنسه لم يحملا بأية حال اخوانه فى الاسلام على أن يتعصبوا عليه وقد تقدم نجاح الاسلام فى أفريقيا الزنجية تقدما جوهريا بسبب عدم وجود كل احساس باحتقار الأسود الذى لم يعامل قط على أنه من طبقة منحطة ، كما هو الحال فى كثير من الأحيان فى العالم المسيحى . وبينما نجد المبشرين المسيحيين لا يتزوجون من الزنجيات حتى لا يثيروا أبناء جنسهم عليهم ، نجد الدعاة المسلمين ينفذون الى قلب أفريقيا ويحولون الوثنيين بسهولة الى الاسلام ويتزوجون من الزنجيات ، ويسيرون مع أهالى هذه البلاد على المبادىء القائمة على الإخاء والمساواة .

لهذا لا نعجب اذا نظر الزنوج الى الاسلام على أنه دين السود والى المسيحية على أنها دين البيض ويرون ان المسيحية تدعو الزنجى الى الخلاص ولكنها تضعه فى مكان منحط بحيث أصبح يعتقد انه ليس له نصيب فى هذا الدين ، أما الاسلام فانه يدعو الناس الى الخلاص ليكفل لهم الوصول الى أسمى الدرجات (٦) .

ان الداعى المسلم يستطيع أن يمد القبائل الزنجية غير المتحضرة بكثير من الحقائق المتعلقة بالله وبالانسان ، تصل الى القلب ، بل يستطيع الى جانب ذلك أن يمنحهم ترخيصا بالدخول فى وحدة اجتماعية سياسية تخولهم حق الحماية والمساعدة من البلاد الاسلامية التى تمتد من المحيط الأطلسى غربا الى سور الصين شرقا وحينما يستطيع المسلم ان يجد هناك دارا اسلامية ، يجد الافريقى الذى تحول الى الاسلام يردد أركان عقيدته واثقا من المأوى والقوت والنصيحة (٧) . ويتبين مدى ما يشعر به المسلم الافريقى فى المجتمع الاسلامى وتعلقه بدينه واطمئنانه اليه من هذه العبارة التى ذكرها موريل فى كتابه (نيجيريا : أهلها ومشاكلها) .. أنه ليخيل اليك انه يقول : ان كلا منا يختلف عن الآخر ولكننا جميعا بشر . وان انتشار الاسلام الذى نشهده اليوم فى نيجيريا الجنوبية ليؤثر بصفة خاصة تأثيرا اجتماعيا ، ويمنح الاسلام هؤلاء الذين يتحولون اليه منزلة أرقى وفكرة أسمى عنمكانة الانسان من العالم المحيط به ، ويحرره من ربق ألف من الأوهام الخرافية (٨) .

ونستمر فى استعراضنا الموجز السريع للأسباب التى يسرت سبل انتشار الاسلام فى افريقيا والنتائج الحضارية التى ترتبت على ذلك ، فنرى الكاتب يؤكد فى كتابه (ص ٧٩٨ — ٨٠٠) ان أقبح الرذائل ، وهى اكل لحوم البشر ، وتقديم الانسان قربانا ، ووأد الأطفال أحياء ، تلك الرذائل اختفت فجأة والى الأبد . والأهالى الذين كانوا يعيشون حتى ذلك الوقت عراة أو اشباه عراة، بداوا يرتدون الملابس ، بل اخذوا يتأنقون فى ملابسهم ، والأهالى الذين لم يغتسلوا من قبل قط بداوا يغتسلون ، بل انهم يكثرون من الاغتسال لأن الشريعة الاسلامية تأمر بالطهارة .. ويميل النظام القبلى الى فسح المجال لأساس أوسع نطاقا ، وبعبارة أخرى الى اندماج القبائل بعضها فى بعض لتصير امما وبازدياد النشاط والمعرفة تصير الأمم امبراطوريات .. ومتى اثير الروح الحربى على هذا النحو تكون الحرب احسن تنظيما . وهم لا يثيرون القتال دونما سبب من الأسباب .

وقد قل السلب كما زاد تأمين الناس على أملاكهم وارواحهم . وقد انشئت مدارس اولية لو اقتصرت على تلاوة القرآن لكانت ذات قيمة فى نفسها ، وقد تكون خطوة فى سبيل ما هو أعظم منها بكثير كما اصبح المسجد الجيد البناء ، النظيف، بما فيه من آذان للصلاة خمس مرات فى اليوم وقبلة تتجه الى مكة ، وإمام وصلاة جمعة ، ومركز للقرية ، بدلا من دار عبادة الأوثان ذات المنظر البشع . وقد قهرت عبادة الله الواحد القهار ، الكائن فى كل مكان ، العليم الرحيم ، كل ما لقن الأهالى عبادته من قبل قهرا لا حدّ له . وظهرت صناعات وتجارة ، لا كالتجارة الصامتة التى تقوم الاشارات فيها مقام اللغة فى التفاهم .. ولكنها صناعة تنطوى على مهارة فائقة وتجارة منظمة نظاما محكما .. وظهرت المدن الكبرى فى أرض الزنوج بتأثير هذه الصناعة والتجارة وتأثير الحكومات الأكثر استقرارا التى جاء بها الاسلام . أما فيما يتعلق بالفرد فمن المسلم به من كل الوجوه ان الاسلام يمد السود الذين تحولوا اليه بالنشاط والعزة والاعتماد على النفس واحترام الذات ، وهذه كلها صفات يندر جدا أن نجدها فى مواطنيهم الوثنيين أو المسيحيين (٩) .

وكتب ت.هـ.ب سايلر عميد الدراسات التبشيرية فى الولايات المتحدة فى كتابه (المسلم يواجه المستقبل) الذى طبع منذ عام ١٩٢٦ وتحت عنوان : لماذا يجلب الاسلام الزنوج ؟. يقول : (والوضع الآخر الذى أثار الاهتمام الكبير هو انتشار الاسلام فى السودان وغرب أفريقيا . لقد كتب الكثير عما يسمى بالجاذبية الطبيعية من قبل الافريقيين نحو الاسلام . ولقد اعتبر البعض هذا الاتجاه مرغوبا وحتميا لأن الاسلام يلائم الزنوج جدا ، وهو يحسن من اوضاعهم ، ولا أمل للمسيحية فى منافسة الاسلام . أما الآخرون فقد اعتبروا التحول الى الاسلام سوء حظ كبير للرجل الأسود لأن الاسلام يجعله أكثر مقاومة للمسيحية . ولذلك فهم ينادون الكنيسة لتشديد الجهود وعلى نطاق كبير لوقف المد الاسلامى) ثم يقول : ومن المهم جدا أن نعتبر بعض الحقائق .. لماذا انتشر الاسلام فى أفريقيا بشكل كبير وأكثر من المسيحية ؟

أولا : لأن الاتصال الاسلامى كان أكثر .

ثانيا : التجار والمعلمون المسلمون كانوا أقرب الى الأفارقة (لذلك كان الاستعمار الانجليزى يحارب دخول التجار المسلمين الى جنوب السودان والى مناطق أخرى) .

ثالثا : العامل الأكثر أهمية فى الموضوع هو أن رسالة الاسلام ايجابية ومحددة وسهلة الفهم وليست مغالية جدا فى تطلباتها (١٠). الاسلام يعطى رؤيا محددة تجلب الشعور بالراحة لشىء قد أنجز اتمامه ، كما تمنحه المساعدة على الانجاز . ان المتحول الى الاسلام يصلى بجانب أستاذه كما أنه بمجرد تكوين مجتمع اسلامى فان صلاة المسجد والواجبات الدينية الأخرى تعطيه الشعور بالوحدة الاجتماعية .. ان الأخوة فى الاسلام ليست دينية فقط وانما اجتماعية ايضا ، المسلم لا يرسم خطا لونيا بين الأبيض والأسود ، المسلم يأكل ويتزوج من ذوى الجلود السوداء) .

وفى النهاية يصل سايلر الى وجوب عمل الكنيسة المسيحية بسرعة أكبر وعلى مجال أوسع . ثم يضع الخطوط العامة لاستعمار العالم الاسلامى بواسطة الطرق المختلفة بما فيها التعليم لافساد المرأة المسلمة والتطبيب البشرى والاحتلال العسكرى ، ويضع الأبعاد المثلى للاستعمار فى افقاد المسلم شخصيته (١١) ..

ولن ننسى هنا — ونحن نتكلم عن التأثيرات الحضارية للاسلام فى أفريقيا الدور الكبير الذى لعبه هذا الدين فى القضاء على النزعات القبلية التى مزقت القوى الافريقية ردحا طويلا من الزمن ، والتى أتاحت للتبشير والاستعمار أن يشقا طريقهما فى القارة السوداء (وبينما تموت القبيله تحت ظلال الاسلام ، نجد المبشرين يحاولون صنع قبيلة دينية رغم منافاة ذلك لحضارة الرجل الغربى نفسه .. وبالاضافة الى ذلك فالقبيلة مرتبطة أساسا بالوثنية (التى يحرمها الاسلام) . وكما ذكر بريان (ان القبيلة هى القوة الماسكة فى أفريقيا والتى تزاحم الاسلام وتحاربه) ويشير بريان كيف أن الكاتب التبشيرى النشط (أدوين سميث يجد فى القبيلة كل الفائدة) . كما يقوم الكتاب الاستعماريون بالدور نفسه . فمثلا نشرت مجلة نيويورك تايمز الأمريكية (١٩٥٩) مقالا مطولا تحت عنوان : (طبول التغير تقرع لقبائل أفريقيا) ، جاء فيه : (انه سيكون من المأساة لافريقيا لو أن القبيلة ضعفت فيها وتركت الجماهير دون شعور بالوحدة والطمأنينة والانضمامية الى مجموعة) (١٢) .

وقد كتب الزعيم النيجرى الراحل أحمدو بللو ، قبيل استشهاده معللا سرعة تقبل الوثنيين والأفارقة للاسلام يقول : (أعتقد أنه ثمة قيما ذاتية فى أسلوب الحياة الاسلامية يعتبرها الوثنيون — وذلك فى اغلب الظن — أسمى وأجدر بالقبول من غيرها ، كالنصرانية مثلا . هذه القيم هى انعدام التمييز العنصرى والطبقى ، وكرم المسلم الذى تضرب به الأمثال لكل من هو فى حاجة الى عون ، وفضائله فى الصحبة والرعاية والاحترام ، واخلاصه الذى يؤدى به فرائض دينه . واخيرا وليس آخرا .. فشل الأشياء فى التأثير على حكم المسلم الصادق وأعماله .. ان

الوثنى ينتقل فى لحظة اهتدائه الى الاسلام الى أحضان الجماعة الاسلامية ، عضوا كامل العضوية والحقوق ، وليس ثم حاجز من أى نوع يمنعه من أن يرتقى — بحق — سلم مجتمعه الجديد) (١٣) .

ويمكن أن نضيف الى ما سبق عوامل أخرى تعطى للاسلام فى أفريقيا موقعا أكثر قوة وتمكنا وامتيازا من الموقع الذى يحتله النشاط التبشيرى هناك .

أولا : ان المبشرين كانوا يقومون — فى الوقت نفسه — بتجارة الأرقاء وكان الرق قد وجد تشجيعا وانتشارا على أيدى المستعمرين القادمين من الدول الأوربية ، حيث قاموا بتسيير وقيادة تجارة الأرقاء فى أفريقيا على نطاق واسع لأنها كانت تشكل مصدرا واسعا للربح والدخل الحكومى . ثم ان مظالم الحكم الاستعمارى والقمع والضغط السياسى والاقتصادى ، ساهمت جميعها فى عدم رضا الافريقيين عن التبشير وعدم انخداعهم به .

ثانيا : ليس من السهل على الافريقيين استيعاب تعقيدات الدين المسيحى وتمثلها ، كما أن التحول اليها يبعد عنهم الاستقرار والسكينة . أما الاسلام فانه يعطيهم شعورا بالعزة والثقة بالنفس ، وهو ما لم يقدمه التبشير لهم . والافريقيون — لدى دخولهم الدين الاسلامى لأول مرة — يشعرون انهم كائنات حية لها شعورها وعواطفها وعقولها وشخصياتها المستقلة ، وتتفتح لهم كافة المجالات للتعبير عن الذات كما ان كافة الفرص لتطوير شخصياتهم الى المدى الأقصى تصبح متوفرة لهم . ان الافريقى اليوم يبحث عن دين يكون عمليا وحركيا وطبيعيا وقادرا على الانسجام مع أمور الناس وشؤونهم الدينية والدنيوية .. دين يجعله — اذا ما فصل عن عقيدته الوثنية — لا يجد أية صعوبة فى اعلان طاعته لقوة الإله الواحد الذى خلق العالم ويدبر أمره على السواء .. والاسلام لكونه حرا وغير مقيد بالأساطير المعقدة والأسرار المحيرة (١٤) ، يقف وحده كمنارة تشع الآمال للملايين من سكان افريقيا ، وهو يدعوهم للخروج من بحار الشكوك العاصفة والفوضى والحيرة الى دين السلام الروحى والطمأنينة .

ثالثا : ان الأخوة تحت ظلال التبشير ليست إلا أكذوبة ، فالحاجز الناتج عن اللون والعرق هو جزء اساسى من الحياة الغربية والنمط الغربى للحياة ، كما ان التمييز العنصرى فى التعليم والتوظيف وأماكن العبادة والطعام والمواصلات أمر لا يمكن انكاره . وقد ادى ذلك الى خلق حقد مرير واستياء شديد فى عقول (الافريقيين) فلا شىء — اذن — يمكن أن يكون افضل وأغلى من أخوة الاسلام العالمية بالنسبة للافريقيين الذين استعبدوا لفترة طويلة وعوملوا معاملة قاسية على أيدى الأوربيين المستعمرين .

رابعا : ان المستوى المتدنى الحالى للأخلاق ، الذى يقدمه الغرب وينشره فى افريقيا ليس الا نتيجة طبيعية للتبشير ، وبما أن الافريقيين يحاولون الآن أن يرتفعوا فوق ماضيهم فان كل شىء يدعو اليه البيض يجب أن يزول . وقد تنبأ المبشر (بيلى غراهام) ، بعد عودته من سياحة فى قارة افريقيا بزوال النصرانية من هناك (١٥) .

× × ×

تلك هى — باختصار تام — مواقع النصرانية والاسلام فى افريقيا ،

والتى اتاحت لدين التوحيد والسماحة والأخوة والوضوح والعدالة واليسر ان يتغلب ببساطــة على منافســيه واعدائه رغم تفوق أساليبهم وضخامة امكاناتهم المادية والدولية . الا أن تلك الغلبة المنبثقة ــ كما ذكرنا ــ عن قوة الاسلام الذاتية ، واخلاص دعاته وتجردهم ، كانت أمرا واقعــا حتى الأمس القريب . أما الآن فيجب الا ننسى أن أعداء الأمس غير أعــداء اليوم ، هؤلاء الذين يتحركون بسرعة على كل الجبهات ، بما يسرته لهــم التكنولوجية المعاصرة من قدرة على الحركة السريعة وامكانية فى ضــم الكرة الأرضية جميعا ووضعها تحت انظار الأقوى ووصايته ومبادئه .. ومن ثم فهم مستعدون فى كل لحظــة لمعرفة البثق الذى يتسرب منه الاسلام الى مناطق جــديدة ، لكى يضــعوا بسرعة سدا فى ذلك البثق ، ولكى يحاصروا الحركة الاسلاميــة هنا ، ويوقفوها عن التقــدم ، وينزلوا بها ــ بعدئذ ــ ضرباتهم الماحقــة .. يساعدهم على هــذا كله مخططــات عقائدية وسياسية فى غاية المكــر والدهاء والتعقيد ، لم تكن معروفة من قبل يسهم فى وضعها واخراجها رواد الحركات المعادية جميعا .

وهذا ولا شك يضــع على عاتق المسلمين المعاصرين ، شعوبا وقادة وتنظيمات ودولا وحكومات مسؤولية أكبر بكثير من تلك التى كانوا مكلفين بها فى ذلك العالم المتباعد ، السهــل البطىء .. وان يكونوا مفتحى الأعين دوما للتحركات التى يقوم بها اعداء الاسلام والمخططات التى يبنون عليها تحركاتهم المعقدة تلك .. صحيح ان الاسلام سيظل يحتفظ بقدرته الفذة على تغطية مساحات أوسع والنفاذ الى قلوب أكبر عددا .. الا أنه قد ذهب ذلك اليوم الذى كانت تتاح فيه لدعاة الاسلام المدنيين وكبار شيوخهم وقادتهم ، أن يقابلوا وجها لوجــه جماهير الأفارقة الوثنية ويجلبوهــا الى حظيرة الاسلام بالعشرات والمئات

ولقد جاء مقتل (احمد وبللو) ذلك الداعية العظيم ، بتلك الصــــورة الصليبية المفجعة عام ١٩٦٥ م ايذانا بانتهاء عهد فى حركة الاسلام وبــدء عهد جديد .. عهد يجب أن يتحرك الداعية المسلم فيه وهو على حــذر تام من الأشراك والكمائن التى ينصبها اعداؤه فى الطريق .. يتحرك وهو يحمل السلاح الذى يمنحه فرصــة الدفاع ، والنفاذ الى هدفه ، عنــدما ينقض عليــه المهاجمــون .. ثم ان التحرك الفردى الذى عرفته أفريقيــا فى عهدها السابق مضى أوانه وغدا على الدعاة أن يتحركوا جماعات وعلى ضوء خطــوات محــددة ومدروسة مسبقا لكى يضمنوا الوصــول الى أهدافهم ، والتصــدى للمخططــات المضادة التى تنتظرهم عبر الطريق .

ان مؤسسات الأوقاف وشــؤون الدعــوة فى وطننا العــربى مدعوة للاسهام الشامل الملتزم العميق فى قضية المصير الافريقى هــذه ، فى القــارة التــى تمتــد وراء ظهورنا ، وتحمى وجودنا ، وتعزز استراتيجيتنا فى صراعنــا ضــد الصهيونيــة والاستعمار الجديد .

اننا أمام طريقين لا ثالث لهمــا : اما أن نكسب (الافريقى) فى صراعنا مع محتلى أرضنا ، ومشردى شعبنا .. نكسبه كلية ، وليس على مستوى العلاقات الديبلوماسية والمجــالات الدولية فحسب وبهذا نضيف ســلاحا خطيرا الى اســلحتنا .. وأمــا أن نخسره كليــة ، ونسلمه لاغــراءات اليهود ومن ورائهم أمريكا وتخطيطها

ومكايدها .. والمفتاح دائما هو دعوة الافريقي الى الاسلام وتعميقه في قلبه وعقله (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) .

---

(١) توماس أرنولد : الدعــوة الى الاسلام ص ٢٨١ و ٢٨٢ ، حسن ابراهيـم حسن : انتشار الاسلام في أفريقيا ص ٤٢ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : المصــدر السابق ص ٣٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٥ و ٣٦ ،

(٤) أرنولد : المصدر السابق ص ٣٨١ و ٣٨٧ .

(٥) حسن ابراهيـم حسن : المصــدر السابق ص ١١ و ١٢ .

(٦) المصدر السابق ص ٧٦ و ٧٧ ، أر نولد الدعوة الى الاسلام ص ٣٩٩ .

(٧) حسن ابراهيم حسن : انتشــار الا سلام ص ٦٢ وأنظر نفس المصدر ص ٣٣ و ٣٥ .

(٨) المصدر السابق ص ٧٧ و ٧٨ عــن « موريل » نيجيريا ص ٢١٦ و ٢١٧ .

(٩) عن حسن ابراهيم حسن : المصدر السابق ص ٧٩ و ٨٠ .

(١٠) هذا لا يعني وبالطبع — أن الاسلام أدنى في مستواه العقلي من المذاهب الاخرى ذات الطابع الفلسفي المعقــد ، والتحليــل النظرى العميق ، كما لا يعني أن الشرقيين بعامة أقل قدرة على التفكير في المسائل المعقدة من الغربيين ، كما اعتقد عدد من كتاب الغرب (رينان مثلا) .. والذى يذهب هذا المذهب في نظرته للاسلام ومعتنقيــه ليس الا ساذجا جاهــلا ، أو طائفيا متعصــبا ، لان هنــالك فرقا واضحا بين اعجــاز الاسلام في مواجهتــه للنفس البشــرية بوضــوح ويسر وانسجام عجيب مع متطلبات هذه النفس في شتى مستوياتها الثقافية والحضارية ، وبين قدرة الاسلام ومعتنقيه على التفكير والبناء في أشد المسائل الفكرية تعقيدا والتواء . وليس بعد العبارات الفكرية : فقهية وكلامية وفلسفية ومنطقية ولغوية .. الخ .. تلك التي شهدتها حضارة الاسلام وليس بعد تأكيد القرآن في أكثر من ألف موضــع على ضــرورة التــدبر والتفكير والتفقه في خلق السموات والارض ، ليس بعد هذا وذاك مجال لاصدار حكم ساذج أو متعصب لهذا الذى يدور في بعض الاذهان.

هذا الى أن عددا من الاديان السابقة لاتعني بما أضيف اليها فيما بعد — من تعقيدات والتواءات أنها تمتلك ميزة فكرية راقية أوقدرة على مجابهة المســائل العقيــدية بعمق واتساع نظر ، اذ ليست هذه التعقيــدات والالتواءات سوى مجموعة من الاســاطير الساذجة والرموز الوثنية البعيدة عن جوهر الاديان ، ومناقشات كلامية خاوية أدارها رجال الدين عبر العصور دون أن يبتغوا من ورائها وجه الله والحقيقة المجردة . ولا يمكن لمفكــر جاد أن يقول بأن مواضعات كهذه لا تنبثق عن نظرة موحدة متماسكة ، يمكن أن تصمد أمــام حجج الفكر العميق وبراهينه وأدلته التي طالب القرآن اتباعه أن يلتزموها في مجــابهة المبادىء والاديان كيلا يقعوا في مظنة اعتناق الظنون والاوهام وما تهوى الانفس !!

(١١) مجلة الشهاب اللبنانية ، سنة ٢ عــدد ١٩ ترجمــة وتعليــق محمــد نذير السنكرى .

(١٢) المرجع السابق سنة ٢ عدد ٣٤ .

(١٣) مجلة المجتمع اللبنانية ، ســنة ٥ عــدد ١٣ .

(١٤) انظر هامش رقم ١٠ من هذا البحث

(١٥) مجلة حضارة الاسلام الدمشقية ، سنة ٨ عدد ٦ (معوقات انتشار الاسلام في افريقيا) قسم الترجمة ، والمرجع نفســه سنة ٨ عــدد ٩ .

في مجال الدعوة :

خطب الرسول

قال ابن القيم :

كانت خطبه صلى الله عليه وسلم إنما هى تقرير لأصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه ، وذكر الجنة والنار وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته وما أعد لأعدائه واهل معصيته فيملأ القلب من خطبته إيمانا وتوحيدا ومعرفة بالله وأيامه ، لا كخطب غيره التى انما تفيد أمورا مشتركة بين الخلائق ، وهى النوح على الحياة والتخويف بالموت فان هذا أمر لا يحصل فى القلب إيمانا بالله ولا توحيدا له ولا معرفة خاصة ولا تذكيرا بأيامه ولا بعثا للنفوس على محبته والشوق الى لقائه ، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسم أموالهم ويبلى التراب أجسامهم ، فيا ليت شعرى أى إيمان حصل بهذا وأى توحيد وعلم نافع يحصل به ؟ ومن تأمل خطب النبى صلى الله عليه وسلم وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جلّ جلاله وأصول الايمان الكلية والدعوة الى الله وذكر آلائه تعالى التى تحببه الى خلقه وأيامه التى تخوفهم من بأسه والأمر بذكره وشكره الذى يحببهم اليه فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه الى خلقه ، ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم اليه فينصرف السامعون وقد احبوه وأحبهم ، ثم طال العهد وخفى نور النبوة وصارت الشرائع والأوامر رسوما تقوم من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والأوضاع سننا لا ينبغى الاخلال بها واخلوا بالمقاصد التى لا ينبغى الاخلال بها فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر وعلم البديع ، فنقص ، بل عدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها .

منهج الاسلام

للدكتور/محمد فوزى فيض الله

الجهة الثالثة ــ مسئولية الجماعة :

٣٠ ــ الاسلام يعتبر الجماعة المسلمة هيئة متماسكة ، واسرة واحدة ، يحنو قويها على ضعيفها ، ويرحم كبيرها صغيرها ، ويكفى غنيها فقيرها . وفى هذا ورد فى الصحيح : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وازاء مسئولية الجماعة ، شرع الاسلام نوعين من الحقوق المالية لتكون موارد للفقراء : أحدهما الزامى ، والآخر أدبى .

النوع الأول ــ الحقوق الالزامية :

٣١ ــ وتنطوى تحتها موارد كثيرة ، نذكر هنا اهمها :

اولا ــ النذور . ومع أن الشارع نهى عن النذر وقال : « لا يأتى بخير ، وانما يستخرج من النجيل » ، الا انه أمر بتوفية النذر ، فى الحياة وبعد الممات لأنه حق الفقراء .

ثانيا ــ الأضاحى . والقصد منها التوسعة على المكتفين والمحتاجين : **« واطعموا القانع والمعتر »** .

ثالثا ــ صدقة الفطر . لإغناء الفقراء عن المسألة يوم العيد . ولو اخرج هذا الواجب القليل ، لكفى الفقراء شهرا ، لا يوم العيد . وكذلك يعالج الاسلام مشاكل الحياة ،بالرفق والحكمة ، لا بالطفرة والثورة .

رابعا ــ الكفارات بأنواعها : كفارة الفطر العامد فى رمضان ، والفدية عن العاجز فيه عن الصوم ، وكفارة اليمين ، وكفارة الظهار ، وقد جاءت النصوص بصرفها الى الفقراء والمساكين .

خامسا ــ حق الجار : وقد اكده القرآن الكريم مرارا فى مناسبات عدة ، واخذ عليه المواثيق .

ومما ورد فيه من السنة حديث : « ليس بمؤمن من بات شبعان ، وجاره الى جنبه جائع ، وهو يعلم به » . وحديث ابن عمر : « لم يزل يوصينا بالجار ، حتى ظننا انه سيورثه » . وحديث : « ما زال جبريل يوصينى بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه » .

سادسا ــ حق الفقير ، ان لم يقم به بيت المال والزكاة .

يقول ابن حزم : « وفرض على الأغنياء من اهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ، ان لم تقم الزكاة بهم ، ولا فىء سائر أموال المسلمين » . بل انه قرر تضمين البلد الذى يموت أحد افراده جوعا ، فيؤدى أهله جميعا ديته متضامنين ، كأنهم شركاء فى موته .

وقد صح من حديث أبى سعيد مرفوعا : « من كان عنده فضل ظهر ،

في التكافل الاجتماعي

فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضـــــل زاد ، فليعد به اعلى من لا زاد له ، **فذكر أصنافا من المال** ، حتى رأينا أن لا حق لأحد منا فى فضل » .

النوع الثانى ــ الحقوق الادبية :

٣٢ ــ والاسلام يؤدب المسلمين ، ليكونوا للمسلمين ، اكثر مما يكونون لانفسهم، وليؤثروا لا ليستأثروا . وما أكثر نصوص **الكتاب والسنة فى الحث على** التصدق ، وما أكثر ما انتفع بها المســـــلمون تطبيقا وامتثالا ، عبر التاريخ الاسلامى المشرق ، وقدموا الى المجتمع الاســـــلامى ، عن طريق الاوقاف الخيرية ، من ألوان الاحســـــان والبر ، ما يثير الدهشـــــة والاعجاب ، فبروا الفقراء ، وواسوا المكروبين ، وداووا الجرحى ، وعالجوا المرضى ، وحنوا على العجماوات ، وبنوا المساجد ، وشيدوا المدارس والمعاهد والمكتبات ، وحفظوا شعائر الدين ، وأحيوا العلم ، وكرموا العلماء .

٣٣ ــ كان أكثر الأوقاف مصروفا الى الفقــــراء ، وطلاب العـــــلم ، والمستشفيات والأيتام والأرامل . والى جانبها أوقاف خصص ريعها لتزويج الشــــباب ، الذين لا يجدون نفقات الزواج . ومنها أوقاف لتقديم الحليب مع السكر للمراضع ، ويصرف فى قاعة صلاح الدين فى دمشق .

وكانت أرض معرض دمشــــــق الدولى الآن ، المترامية الأرجاء ، فى أصلها ، وقفا على الحيوانات العاجزة ، تأكل من مروجها حتى تموت ، دون أن يضطر صاحبها الى قتلها ، تخلصا منها .

وكانت فى بلاد الاسلام أوقاف على علاج القطط ، وتمريض الـــكلاب ، وسقى الحيوان .

هكذا كان عطفنا على الحيوان ، فكيف كان عطفنـــا على الانســـان الذى كرمه الله .. ؟

٣٤ ــ هذه نتف من وثيقة مستشفى **قلاوون ، فى عهد المماليك فى مصر .** فقد ذكر واقفه انه انشأه : لمداواة مرضى المسلمين ، الرجال والنساء ، من الأغنياء المثرين ، والفقراء المحتاجين ، بالقاهرة وضواحيها ، من المقيمين بها والواردين عليها ، على اختلاف أجناســــهم .. يقيم به المرضى لحين برئهم ، ويصرف ما هو معد للمداواة ، ويفرق على البعيد والقريب ، والأهل والغريب ، من غير اشتراط لعوض من الأعواض .

ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف ، ما تدعو حاجة المرضى اليه ، من سرر أو لحف محشوة قطنا .. لكل مريض من الفرش والسرر على حسب حاله .. عاملا فى حق كل منهم بتقوى الله وطاعته ..

ويباشر المطبخ فى هذا (المســــــتشفى) ما يطهى للمرضى ، من دجاج

ومراريج ولحم . ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف لمن ينصـــــبه من الأطباء المسلمين .

ومن كان مريضـــا فى بيته وهو فقير ، كان للنـــــاظر أن يصرف اليه ما يحتاجه ، من الأشربة والأدوية والمعاجين ، وغيرها ، مع عدم التضييق فى الصرف ..

٣٥ ــ هذا ، ويقول المراقبون من أهل الفكر والقلم : كان سبع الأراضى الزراعية فى بعض الديار الاسلامية أوقافا . فكتبت بعض الصـحف فى تلك الديار قبل فترة ، تتساءل قائلة : ماذا بقى لوزارة الأوقاف .. ؟

اترك للقارىء الكريم ، تفسير عبث المســــلمين بأوقافهم فى البـــلاد الاسلاميـــة ، وبعثرتها هبـــات وقربات ، ونقضها وتخـــريبها وإلغائها بأيدى المصلحين الخيرين الأتقياء منهم .. !! كما ألغاها الاســــتعمار من قبل فى باكستان والجزائر وغيرهما ، وتفسير بقاء أوقاف النصارى فى بلاد الاسلام ، فى حرز حريز ، لا يجرؤ مخلوق ، أن يمسها بسوء .

الجهة الرابعة ــ مسئولية الدولة :

٣٦ ــ من أهم واجبات الدولة ، بث الأمن فى الربوع ، وحفظ الحدود ، واقامة العدل ، ونشر الثقافة . وزادت المهـــام فى العصر الحديث ، بعد أن تقسم العالم ، المذهب الحر والمذهب الجماعى ، فكادت تتركز المهمة فى تحقيق خصائص كلا المذهبين عند معتنقيهما .

ومن المؤسف أنه مع الدعاية العريضة الطويلة لكليهما ، لم يكن للفقراء نصيب ولا نصير فى كليهما .

فالمذهب الحر يحمى الملكية من الذين لا يملكون ، كما يقول آدم سمث ..

والمذهب الجماعى ينادى باتحـــاد العمال ، ولا ينادى النـــــاس ، لأن الانسان ــ عنده ــ حيوان منتج والفقراء والأرامل والمستضعفون لا ينتجون ، فلا محل لهم من الاعراب فى دولته .

٣٧ ــ ولقد كانت دعوة محمد بن عبد الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ صرخة مدوية فى سبيل الأخـــوة الاسلامية ، على صعيد المســـاواة ، بغض النظر عن أى اعتبـــار للعرق أو الدم أو الجنس .. كانت انطـــلاقا من الاخـــاء وللاخاء ، لا من العداء وللدماء .. ولهذا كان من أول من آمن بها المستضعفان : الرقيق والفقراء . وكان هؤلاء الفقراء نصب عين الشارع فى كل مناسبـــة ، وكانت همة الخلفاء منصرفة اليهم ، ويذكر الناس مواقف الفاروق منهم .

وهذا عمر بن عبد العزيز ، تعروه حالات تستغربها زوجه ، وتسأله ، فيجيب باكيا : « أجل ! لقد وجدتنى وليت أمر هذه الأمة ، أسودها وأحمرها .. فذكرت الغريب القانع الضائع ، والفقير المحتاج ، والأسير المقهور ، وأشباههم فى أطراف الأرض ، فعلمت أن الله تعالى سائلنى عنهم ، وأن محمدا حجيجى فيهم . فخفت أن لا يثبت لى عند الله عذر ، ولا يقوم لى مع محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ حجة ، فخفت على نفسى .. » .

بهذه الروح الشفافة ، والمراقبة المشـــــفقة ، ملأ الدنيا عدلا ، واغنى الناس ، ولم يحكم سوى ثلاثين شـــهرا تقريبا .. وكان خامس الخلفـــــاء الراشدين .

٣٨ ــ ان اهم واجبات الدولة ، مما يتصل بالمســــئولية التكافلية ، هو جباية الخراج ، والعشر ، والزكاة ، والجـــزية ، والفىء ، والغنائم ، وصرفها مصارفها ..

وأكتفى هنا بالحديث المختصر عن جوانب هامة من الزكاة فقط ، نظرا لطابعها الجماعى البارز ، وواقعيتها فى حياتنا ، وتيسر تطبيقها :

ركنية الزكاة ..

٣٩ — هى الركن الثالث فى الاسلام .. وهى الركن المالى الاجتماعى البارز الظاهر .. وتشير النصوص القرآنية الى شرعيتها — من حيث الأصل — فى جميع الأديان السماوية . ولا يخالف أحد من أهل القبلة فى ركنيتها ، وارتهان اكتمال الاسلام بأدائها .

وصف الزكاة الفقهى :

٤٠ — يظن بعض البسطاء أو السفهاء من الناس ، ان الزكاة احسان فردى مفوض الى ضمير الأغنياء ، يخرجونه من تلقاء أنفسهم ، بوازع من الدين .

ومن هنا انفسح المجال لنقد نظام الزكاة ، لأنها ليست — على هذا — حقا مستقرا ثابتا لازما ، وكثيرا ما يعرو الضمير ضعف فى الايمان ، والتفويض الى الأفراد يقلل من أهميتها ، لغلبة الشح عليهم .

ولا اساس لهذا الكلام من الصحة ، بل هو مخالف لنظرة الاسلام الى المال ، ولوصف الزكاة فى النصوص الشرعية .

٤١ — المال فى تقرير الاسلام هو مال الله ، والملك كله لله وحده ، لا يشاركه فيه أحد من المخلوقين . ويد أرباب الاموال على الاموال يد ارتفاق واستخلاف ، وليست يد ملك : ((**لله ما فى السموات وما فى الأرض**)) ، ((**إنا نحن نرث الارض ومن عليها**)) ، ((**وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**)) ، ((**ولله ملك السموات والأرض**)) .

وقد صور أبو العلاء هذه الملكية المطلقة تصويرا اسلاميا ، يهز القلوب ، فقال :

الملك لله ، من يظفر بقيد غنى — يردده قسرا ، وتضمن نفسه الدركا
لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة — من التراب ، لكان الأمر مشتركا

٤٢ — والزكاة — فى نظر الاسلام الذى قرر حكمها — حق معلوم ، قدره الشارع ، وبين موارده ، وحدد مصارفه ، وأوجب على حاكم المسلمين أن يتولى بنفسه أو بأعوانه جباية هذا الحق ، وصرفه فى مصارفه . وطبق ذلك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وصحابته من بعده ، وسلف هذه الأمة فى خير القرون . واستقر العمل والاجماع على ذلك . وجاءت السنة بوقوع الزكاة فى كف الرحمن قبل وقوعها فى كف الفقير ، وهذا لأنه سبحانه هو صاحب الحق .

٤٣ — واذا كان الحق فى الشرع — عند أهل العلم — : اختصاصا يقرر به الشرع سلطة أو تكليفا ، فان لهذا الحق من قوة الثبوت ما لا يسقط معها بالاسقاط ، بالنظر الى أثره فى الفرد ، وخطره فى المجتمع ، بل يبقى قائما بعد موت المكلف به ، يستخرج من تركته ، ويقدم على الوصية ، وحقوق الورثة . وهذا قول الله تعالى : ((**من بعد وصية يوصى بها أو دين**)) . ولا شك أن الزكاة دين الله : و ((**دين الله أحق أن يقضى**)) بعد الموت ، كما ورد فى الصحيح . وهذا الحديث دليل من ذهب من الأئمة المجتهدين الى ان دين الزكاة مقدم على سائر الديون .

وإذا كانت التقنينات الحديثة تجعل للضرائب الحكومية أفضلية الاستيفاء من التركات على سائر الديون العادية ، نظرا لرجحان الحق العام على الخاص ، فإن هذا الحكم قد تقرر فى بعض المذاهب الفقهية الاسلامية ، بالنسبة الى الزكاة ، قبل قرون سحيقة ، للاعتبار المذكور نفسه ، وهو حق الجماعة ومصلحتها .

ولا عيب فى هذا الملحظ الفقهى ، سوى اهتمام الحكومات باستيفاء ضرائبها ، وكثير منها غير مشروع ، أو مرصود لغير مشروع ، ثم اطباقها على تعطيل الزكاة ، وهى حق الفقراء الثابت المقرر فى الشرع ، وأفضل حقوق المستضعفين والمساكين فى المجتمع المسلم .

مجالات الزكاة :

٤٤ — تؤخذ الزكاة — كما يقول الفقهاء — من كل مال فاضل عن الحوائج الاصلية ، خال من الدين ، معد للنماء ، بعد مرور سنة كاملة على تملكه ، اذا بلغ النصاب ، وهو حد الغنى فى الشرع .

ففى النقود — بناء على ذلك — زكاة ، وفى المواشى والزروع زكاة ، وفى السلع التجارية زكاة ، وفى الابنية المعدة للايجار أو البيع زكاة ، وفى المصانع والمعامل زكاة ، وفى الشواحن وسيارات الاجرة زكاة ، وفى الأوراق المالية وأسهم الشركات زكاة . وفى كل ما أعد للاسترباح زكاة .

مقدار الزكاة :

٤٥ — تتراوح المقادير الزكوية فى نسب مختلفة ، بين العشر وهو الحد الأعلى ، وربع العشر وهو الحد الأدنى . وهذا المقدار يسير ، يسد حاجة الفقير ، ولا يرهق الغنى .

وقد تولى الشارع بنفسه بيان مقدار هذه الوظيفة ، وحددها فى كل مورد مالى . ولا دخل للرأى فى المقدرات ، ولا ينفسح المجال للزيادة عليها ، أو النقص منها ، مهما يكن من الأمر .

جباية الزكاة :

٤٦ — يجبى الزكاة فى نظام الاسلام حاكم المسلمين أو نائبه ، فى أجهزة ادارية منظمة . وهذا ما قررته النصوص ، وتوارثته الأمة .

ومما ورد فى هذا الصدد قوله تعالى : ((**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**)) . ويشير القرطبى الى أن هذا الخطاب خص به النبى — صلى الله عليه وسلم — لفظا ، وأريد منه جميع الأمة ، معنى وفعلا .

وللتعبير بالأخذ فى هذه الآية دلالة واعتبار . وأسلوب القرآن استعمال الأخذ فى مواطن الحوز الجاد الحازم ، كالمواثيق : ((**قد أخذ عليكم موثقا من الله**)) وفى مواطن القهر والعنف : ((فأخذتهم الصيحة)) ، ((**فأخذهم أخذة رابية**)) . وفى مناسبة التحصيل القوى : ((**خذوا ما آتيناكم بقوة**)) .

بينما يلاحظ أن القرآن حينما يأمر الواجدين الموسرين بالاعطاء ، يؤثر استعمال لفظ : الايتاء ، لأنه اعطاء قاصد فاعل سهل ميسر .

وقصد القرآن من المغايرة بين التعبيرين ، الأخذ والايتاء ، وهو يضع الحل لمشكلة الفقر فى المجتمع : أن يؤتى المؤدون لحق الله ، الذى هو حق

الجماعة فى المال ايتاء ، وأن يأخذ المدبرون لهذه الحقوق أخذا جادا حازما ، لأن طبيعة هذا الجانب من الحياة حازمة ، وحاجة الفقير ناجزة ، لا تحتمل التأخير ، ملحة لا تطيق الابطاء والتسويف ، فهى حاجة ضرورية متجددة دائمة قاهرة ، يفسد التدبير لها بالتهاون .

٤٧ — ومن المعروف موقف الصديق من مانعى الزكاة ، وقتالهم مع المرتدين عن الدين جملة ، ومحاجته الصحابة فى ذلك ، وقولته المصممة : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال . والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لقاتلتهم على منعها » .

وهو موقف يدل على تقدير عميق لأبعاد المسئولية الكبرى فى جباية الزكاة وصرفها ، وقوله السابق يعد من كبار الاعمال ، وفى الذروة من جليل الاقوال المأثورة البينة المعبرة .

ولما اقتصر عثمان على جباية الاموال الظاهرة فقط : اعتبر ذلك تفويضا وتوكيلا منه للأغنياء باخراج زكاة أموالهم الباطنة ، وكانوا يؤدونها ويحملونها الى الأئمة الذين كانوا يقبلونها منهم . فاذا شحت النفوس ، وغلت الأيدى ، عادت الجباية الى الأصل ، وهو الحاكم .

ولا شك أن جباية الزكاة من قبل الحاكم اكثر ضمانا لحق الفقراء ، وأكرم لهم ، وهو أضمن لصرفها فى مصارفها المنصوصة ، وهو — أيضا — بحيث يسبغ على وظيفة الزكاة من الجدية والحزم والحيوية ، ما يلبسها ثوب الحق الملزم .

مصارف الزكاة :

٤٨ — حصرت آية الصدقات ، صرف الزكوات الى الاصناف الثمانية . ويتصل ببحثنا منهم ثلاثة :

١ — الفقراء الذين لا يملكون شيئا .
٢ — المساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم .
٣ — الغارمون : الذين فدحهم الدين للناس ، فى غير سفه ولا فساد .

صفة الواجب :

٤٩ — اتفق الفقهاء على وجوب الاكتفاء بأخذ النوع الوسط ، بين الجيد والردىء ، مما تجب فيه الزكاة . وهذا من النصفة ، اذ هو مما يسد الخلة ، وتجود به نفس المزكى ، وهو من سياسة الاسلام المالية الرشيدة العادلة . وهو بعد ذلك وقبله ، مما أوصت به السنة ، وجرى به العمل .

فمما أوصى به الرسول — صلى الله عليه وسلم — بعض جباته ، قوله : « لا تأخذ من حزرات انفس الناس شيئا ، خذ الشارف ، والبكر ، وذات العيب » .

وقالت عائشة : « مرّ على عمر ، بغنم من الصدقة ، فرأى فيها شاة حافلا ، ذات ضرع عظيم ، فقال عمر : ما هذه الشاة ؟ قالوا : هى شاة من الصدقة . قال : ما أعطى هذه أهلها وهم طائعون . لا تفتنوا الناس ، لا تأخذوا حزرات أموال المسلمين .. » .

وروى أبو يوسف بسنده عن زياد بن أبى مريم : « أن النبى — صلى الله عليه وسلم — بعث مصدقا ، فجاءه بإبل مسان ، فقال له رسول الله — صلى

الله عليه وسلم ــ : هلكت وأهلكت . فقال : انى كنت أعطى البكرين بالجمس المسن . قال : فلا إذاً » .

ويروى عن الشعبى قوله : « المعتدى فى الصدقة كمانعها » .

وهذا الحرص الظاهر المؤكد على الرفق بأرباب الأموال ، والاعتدال فى الواجب المأخوذ ، مجال مقـــارنة بالتحديات المسرفة فى النزعات المذهبيـــة الاجتماعية المتطرفة فى العصر الحديث ، وهو أيضا من أسباب الخلود فى هذه الشريعة الغراء .

صفة الجابى :

٥٠ ــ انما يوظف للجباية الأمناء ، الصالحون لها ، القادرون عليها ، من أهل الدين والعفاف . ومن قبل ، اتجه أبو يوسف القاضى الى هارون الرشيد ، يخاطبه فى هذا ناصحا ، يقول :

« ومر يا أمير المؤمنين ، باختيار رجل أمين ثقة ، عفيف ناصح ، مأمون عليك ، وعلى رعيتك ، فوله جميع الصدقات فى البلدان ، ومره فليوجه فيها أقواما يرتضـــــيهم ، ويسأل عن مذاهبهم وطرائقهم وأماناتهم ، يجمعون اليه صدقات البلدان ، فاذا جمعت اليه أمرته فيها بما أمر الله جل ثناؤه به .

وقد بلغنى ان عمال الخراج ، يبعثون رجالا من قبلهم فى الصدقات ، فيظلمون ويعسفون ، ويأتون ما لا يحل ولا يسع . وإنما ينبغى أن يتخير للصدقة اهل العفاف والصلاح » .

شروط الفقير الذى تدفع اليه الزكاة :

٥١ ــ يعطى الفقير الزكاة بشروط :

١ ــ أن لا يكون مالكا للنصاب النامى الفاضل عن الحاجة .

٢ ــ وأن يكون مسلما ، الا ما روى عن عمر وابن عبـــــاس من جواز صرفها الى مساكين أهل الذمة .

٣ ــ وأن لا يكون من أصول المزكى ولا فروعه .

واختلف فى شرط عدم القدرة على الكسب .

من تطبيقات الشروط :

٥٢ ــ لا ينبغى أن يظن من ذكر هـــذه الشروط ان الزكـــاة لا تصرف الا للفقير المعدم ، ففى نصوص الفقهاء ما يشير الى صرفها لذوى الحاجة ، سدا لحاجتهم ، وارتفاعا بهم الى مستوى أفضل .

أ) فقد روى الحنفية عن الحسن البصرى قوله : « كانوا ــ يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ يعطون الزكاة لمن يملك عشرة آلاف درهم من الفرس والسلاح والخادم والدار » . وعللوا ذلك بأنه من الحوائج اللازمة التى لا بد للانسان منها ، فكان وجودها وعدمها سواء .

وانبعاثا من هذا نص من أئمتهم ، كزفر ومحمد ، على أن من له حوانيت ودور للغلة لا تكفيه غلتها ، ولا تكفى عياله ، هو فقير يحل له أخذ الصدقة . وقاسوا عليها من له أرض يستغلها ، أو كرم يستثمره .

ب) ونص الشافعية على أن من له عقار ، وينقص دخله عن كفايته ، فهو فقير أو مسكين ، فيعطى من الزكاة تمام كفايته ، وصرحوا بأنه لا يكلف بيعه .

جـ) وجاء فى معتمدات كتب الحنبلية أن الامام أحمد ـ رحمه الله ـ سئل فى الرجل اذا كان له عقاريستغله ، أو ضيعة تساوى عشرة آلاف درهم ، أو أقل من ذلك أو أكثر ، ولكنها لا تقيمه ، فقال : يأخذ من الزكاة .

د) وترددت نصوص المالكية فى هذا الصدد . وان يكن المروى عنهم عند الحنفية ــ والمذهبان يتقاربان ــ أن من يملك ما قيمته ربع النصاب لا يحل له أخذ الصدقة ، استدلالا بالمروى عن بعض الصحابة ، ومنهم على وابن مسعود . ويبدو هذا الاتجاه عندهم كاتجاه أبى يوسف من الحنفيين .

وفى كتبهم عن بعض أئمتهم جواز دفع الزكاة لمن يملك نصابا أو أكثر لكثرة عياله ، ولو كان له الخادم والدار .

ومن هذه النصوص ، يعرف المستوى المعشى الانسانى الكريم ، الذى كان فقهاؤنا يرمقونه فى ضوء الاسلام .

مقدار المدفوع الى الفقير من الزكاة :

٥٣ ــ لئن تردد الحنفية فى جواز اعطاء الفقير نصابا ، أو ما يكفيه سنة ، وقصروا المعطى على شهر باتفاق بينهم ، فان اجتهاد الجمهور استقر على جواز اعطائه ما يكفيه سنة ، بالغا ما بلغ .

أ) وقد أطلق الشافعية الاعطاء بما يخرج به الفقير عن وصف الفقر ، ويكفيه على الدوام ، وفصلوا فقالوا :

١ ــ من كان من أهل الضياع يعطى ما يشترى به ضيعة أو حصة فى ضيعة تكفيه على الدوام .

٢ ــ ومن كان من أهل الصنائع يعطى ما يشترى به الآلات التى تصلح لمثله ، قلت قيمة ذلك أو كثرت .

٣ ــ ومن كان تاجرا أو عطارا أعطى بنسبة ذلك .

٤ ــ ومن كانت حرفته بيع الجواهر يعطى عشرة آلاف درهم ، اذا لم يتأت له الكفاية بأقل منها .

ب) ومذهب الشافعية هذا مروى مثله عن الإمام احمد . وفرعوا على فتواه السابقة : أن يعطى المحترف ثمن آلة حرفته ، ويعطى التاجر رأس مال يكفيه . ويعطى غيرهما من فقير أو مسكين تمام كفايتهما مع كفاية عائلتهما سنة ، لتكرر الزكاة بتكرر الحول ، فيعطى ما يكفيه الى مثله .

٥٤ ــ ومما يشهد للذى تقدم من الآثار ، ما يروى أبو عبيد أن امرأة تشكت من محمد بن مسلمة عند عمر بن الخطاب ، فدعا لها بجمل ، فأعطاها دقيقا وزيتا . وقال : خذى هذا ، حتى تلحقينا بخيبر ، فإنا نريدها . فأتته بخيبر ، فدعا لها بجملين آخرين ، وقال : خذى هذا فان فيه بلاغا ، حتى يأتيكم محمد بن مسلمة ، فقد أمرته أن يعطيك حقك للعام ، وعام أول .

كما روى عن عمر أن رجلا جاءه يشكو اليه ، فأعطاه ثلاثا من الابل : وقال للمصدقين : « كرروا عليهم الصدقة : وان راح على أحدهم مائة من الابل » .

وروى عن عطاء قوله : « اذا أعطى الرجل زكاة ماله أهل بيت من المسلمين ، فجبرهم ، فهو أحب الى » .

٥٥ ــ ولم نسمع فى القديم ولا فى الحديث أن دولة تسمح باعطاء مثل هذا الذى ذكرنا من رؤوس الاموال لموظفيها الذين يعملون لها ، فضلا عن الفقراء والذين يعملون لأنفسهم .

لكن بهذه الروح الاسلامية العمرية المعطاءة ، تساس القلوب ، وتجبر الكسور ، ويؤتدم بين الناس ، فلا يشعرون بالفوارق بين الطبقات ، فضلا عن اثارة الحروب الدموية الطبقية ، التى تشعلها المذاهب المادية ، المعزولة عن البشرية . والخطر لا يعالج بما هو أدهى وأمر ، انما هو كالضرر ، يزال ، ولا يزاد .

الضرائب لا تغنى عن الزكاة :

٥٦ — يتساءل بعض السذج عن امكانية سد الضرائب المالية سد الزكاة ، وعن جواز دفع الضرائب الى الدولة بنية الزكاة .

والواقع أن هناك فروقا واضحة بين الزكاة والضريبة ، فلا تغنى هذه عن تلك . ونذكر من الفروق :

أولا : أن الزكاة قربة خاصة ، وعبادة مالية خالصة لله رب العالمين ، مهما لبست ثوب الوظيفة المالية الاجتماعية . أما الضريبة ، فهى — فى الأصل — واجب مالى يلزم به الافراد ، فى نظير حقوق يتمتعون بها .

ثانيا : ان الزكاة تجب فى مستوى خاص من اليسار ، وشروط مقدرة محددة ، لا يمكن اعتبارها فى الضريبة .

ثالثا : ان الزكاة فريضة دينية مؤبدة ، لا تسقط حتى باستغناء الفقراء . والاصل فى الضريبة أنها وظيفة زمنية ، توضع لضرورة أو مصلحة ، فاذا زالت الضرورة ، أو غطيت المصلحة ، سقطت الضريبة .

رابعا : والزكاة مقدرة فى الشرع بالنص ، كعدد الركعات ، وشهر الصوم ، لا يزاد عليها ، ولا ينقص منها ، بخلاف الضريبة فى كل ذلك .

خامسا : مصارف الزكاة محصورة فى الاصناف الثمانية ، فى آية الصدقات ، ولا يصح اجماعا صرف الزكاة فى غيرها ، الا للضرورة ، وعلى أن يكون دينا يرد الى خزانة الزكاة ، كما نص عليه السرخسى من الحنفية ، وغيره ، بخلاف الضريبة .

لهذا لا محل للقول بالاستغناء بالضرائب عن الزكاة ، كما يقترح بعض المفسدين المغرضين ، أو يسأل بعض البسطاء ، مع وجود هذه الفروق والأبعاد السحيقة .

من آثار الزكاة فى المجتمع :

٥٧ — بل نقول : ان الضرائب ، مع ما خصص منها لرعاية المحتاجين ، لم تسد الحاجة ، ولم تحقق للفقراء حياة كريمة . واستطاع نظام الزكاة حين تطبيقه فى القرون الاولى أن يسد العوز ، ويعزل الفقر عن المجتمع الاسلامى ، بل ويشبع حاجات يذهل الناس اليوم أن يسمعوها ، وقد وقعت فى التاريخ ، وهو شاهد صدق .

روى ابو عبيد القاسم بن سلام بسنده ، أن معاذ بن جبل بقى فى اليمن حتى زمن عمر ، فبعث اليه بثلث صدقة الناس ، فأنكر عمر ذلك ، واستكثره ، وكتب الى معاذ : لم ابعثك جابيا ، ولا آخذ جزية ، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس ، فترد على فقرائهم . فقال معاذ : ما بعثت اليك بشىء وانا اجد احدا يأخذه منى .

فلما كان العام الثانى بعث اليه بشطر الصدقة ، فتراجعا بمثل ذلك .

فلما كان العام الثالث ، بعث اليه بها كلها ، فلما راجعه عمر قال معاذ : ما وجدت أحدا يأخذ منى شيئا .

٥٨ — بل روى أيضا أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وهو بالعراق أن أخرج للناس أعطياتهم . فكتب اليه : انى أخرجت للناس أعطياتهم ، وقد بقى فى بيت المال مال .

فكتب اليه أن انظر كل من استدان فى غير سفه ولا سرف ، فاقض عنه . فكتب اليه قد قضيت عنهم ،وبقى فى بيت مال المسلمين مال .

فكتب اليه أن انظر كل شاب ، ليس له مال ، فشاء أن تزوجه فزوجه ، وأصدق عنه ، فكتب اليه : انى قد زوجت كل من وجدت ، وبقى فى بيت مال المسلمين مال .

فكتب اليه عمر : انظر من كانت عليه جزية — يعنى من أهل الذمة — فضعف عن أرضه ، فأسلفه ما يقوى به على انماء أرضه ، فإنا لا نريد منهم الجزية لعام ولا لعامين .

٥٩ — وبعد هذا العرض الموجز ، يتضح أنه لا تستقيم الموازنة بين آثار الزكاة الشرعية ، وبين الضرائب وغيرها ، الا استقامت الموازنة بين العملاق والقزم .

اجمال ..

٦٠ — وبعد : فهذه إلمامة خاطفة بنظرة الاسلام الى التكافل الاجتماعى ، مبادئه وأسسه ، وقد تجلى لنا فيها ما يأتى :

١ — أن الاسلام لا يعتبر التكافل تنظيما انسانيا فقط ، بل هو يدمجه فى جملة الواجبات الدينية المالية ، بين الكاسبين وبين الكادحين المحتاجين .

٢ — أن المجتمع الاسلامى مجتمع متكافل متضامن : الفرد فيه مسئول عن غيره فى الجماعة ، والجماعة فيه مسئولة عن الفرد .

٣ — وأن الدولة رمز لوحدة المجتمع الاسلامى ، وتعاونه وتساانده وتكافله .

٤ — وأن الاسلام حقق التكافل الاجتماعى منبثقا من الايمان والتوحيد ، مصطبغا بمراقبة الله — عز وجل — مترفعا عن الفلسفات المادية ، وتعثرها وتخبطها .

٥ — وان وسائل التكافل فى الاسلام سلمية واقعية ، معقولة مقبولة ، لا تعقيد ولا اثارة ، ولا أحقاد ولا دماء .

٦١ — هذا ، وان المذاهب الاقتصادية والاجتماعية المتطرفة والمعتدلة فى العالم اليوم ، لم تستطع أن تفعل ما فعله الاسلام بالامس ، فيما يتصل بالتكافل الاجتماعى ، وهى ناظرة فيما يفعله المسلمون اليوم ، ويقدمونه من حلول لمشاكل المال والحرمان .

وقد رأينا أن مبادىء التكافل فى الاسلام عادلة هادئة هادفة فذة . ولا يعوزها الا التنفيذ ، وشق الطريق للنهضة الأصيلة ، التى لا تقليد فيها ولا زغل .

فهل لنا أن نعقد العزم ، ونستأنف تطبيقها ، متكافلين متساندين ، متكلين على الله غير متواكلين .. ؟

إنا لنرجو ذلك متفائلين : ((**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**)) .

تحقيق حول

التعليم الاسلامي في الكويت

اعداد الأستاذ : عبد الحليم عويس

- الجهد الشعبى يتضافر مع جهود المسئولين فى التعليم الاسلامى .
- ٧٠٠ طالب من الكويت والبلاد الاسلامية فى دار القرآن الكريم .
- ٣٠٠٠ طالب يمضون عطلتهم الصيفية فى حفظ القرآن الكريم ودراسته .
- فى وزارة التربية جهاز فنى لتوجيه التربية الاسلامية ميدانيا .

فى الكويت ... فى هذا البلد الاسلامى العربى ، يحظى التعليم الدينى ، وتحظى التربية الاسلامية باهتمام كبير ، على المستويين : الرسمى والشعبى .

والاهتمام بالتعليم الاسلامى فى الكويت،سواء على المستوى الرسمى فى وزارتى الأوقاف والتربية ، او على المستوى الشعبى فى مراكز تحفيظ القرآن والمجالات الاسلامية الاهلية — لا ينطلق من كونه مادة ثقافية ، تعطى العقل لونا من الغذاء الفكرى فحسب ، بل ينطلق هذا الاهتمام من قناعة بأن التربية الاسلامية — فى حقيقتها — الضمير القوى المهيمن على كل الأنشطة العلمية والاجتماعية ، والأساس الذى تنبنى عليه شخصية الأمة الاسلامية وشخصية الفرد المسلم ، والدعامة الأولى فى تنشئة جيل صالح معد للنهوض بواجباته نحو الله والأمة والوطن والأسرة .

ويمتاز التعليم الاسلامى فى الكويت — فى بعض مجالاته — بأنه تعليم مفتوح ميسر للجميع ، يقف فيه الشاب مع الشيخ ، ويلتقى فيه



الراغبون من أبناء الأمة الاسلامية المقيمين بالكويت جميعا ، دون تقيد بسن او مستوى ثقافى ، أو شروط أخرى . فباستطاعة الجميع ان يجدوا لهم مكانا ملائما لمستوى تحصيلهم ، وأن ينمو — بالتالى — معارفهم الاسلامية ، ويقووا صلتهم بكتاب الله وسنة نبيه ، عليه الصلاة والسلام .

● **دار القرآن الكريم :**

فى سنة ١٣٩١هـ ، راى المسئولون فى وزارة الاوقاف أن « الحاجة ملحة لتكوين جيل من العاملين فى حقل الدعوة الاسلامية ، تكوينا أكثر تخصصا فى الدراسات القرآنية ، واكثر قدرة على حفظ القرآن ، وترتيله ترتيلا شرعيا ، ومعرفة احكام تجويده ، وما يتصل بذلك — فى الحدود الممكنة — من نحو وتفسير .

وقد دفعتهم « الحاجة الملحة » ، والشعور بالمسئولية تجاه « القرآن الكريم » ، وقناعتهم بضرورة الحفاظ على الكتاب الكريم ، والوقوف فى وجه المؤامرات اليهودية والصليبية التى تحاك له .

دفعهم ذلك وغيره الى انشاء « **دار القرآن الكريم** » فى العام الهجرى نفسه ، كى يعتمد عليها فى تحقيق الأهداف السالفة الذكر .

وتحقيقا لأكبر نفع ممكن ، لم يشأ المسئولون فى وزارة الأوقاف ، جعل الدار وقفا على التابعين لوزارة الأوقاف فحسب ، بل أتاحوا الفرصة لجميع الراغبين فى الدراسات القرآنية ، ما داموا يجيدون القراءة والكتابة ، بصرف النظر عن السن أو الجنسية ، وقد اعفى من شرط القراءة والكتابة المكفوفون .

وتنقسم الدراسة فى الدار الى فترتين : الفترة الصباحية ، وينتظم فيها موظفو وزارة الاوقاف ، ويبلغ عددهم اربعمائة دارس . والفترة

المسائيه ، وينتظم فيها الحريصــون على تقويه صلتهم بالقرآن الكريم من عامه الشعب ، ويبلغ عددهم ثلاثمائة دارس .

ومدة الدراسة فى دار القــرآن ست سنوات ، يتلقى الدارس خلالها زادا طيبا من الدراسات القرآنية ، بجانب الأساس القوى فى الدراسة ، وهو حفظ القرآن الكريم وتجويده ، مقسما على السنوات الدراســـية الست .

وتقوم وزارة الأوقاف ، بالإضافة الى توفير الأساتذة الذين يبلغ عددهم فى هذا العام ستة وعشرين استاذا ، بتوفير الكتب للدارسين على نفقتها الخاصة ، وتقديم مكافأة تشجيعيــة شهرية لكل دارس منتظم ، هذا عدا ما تقدمه من جوائز مالية ســـنوية للعشرة الأوائل لكل صف دارس فى فترة الصباح ، أو فى فترة المساء .

وجدير بالذكــر ــ قبل أن نترك الحديث عن دار القرآن الكريم ــ أن هذه الدار إنما أسست كمرحـــلة جديدة متطورة ، بعد أن انتهت مهمة « معهد الإمامة » الذى كانت الوزارة قد انشأته عام ١٣٨٧هـ ، بقصد تدعيم المستوى الفكرى والمادى للعـــاملين فى وزارة الاوقاف . وبعد أن تمكن « معهد الإمامة » من تخـــريج أربع دفعات من الائمة ، بلغ مجموعهـــم (١٣٦) خريجا : (فى السنة الاولى ٤٧ خريجا ، والثانية ٢٩ ، والثالثة ٢٢ ، والرابعة ٣٨) ، وسد بذلك حاجة الوزارة ــ فى المرحـــــلة السابقة ــ الى الائمة الأكفاء .

بعد ذلك أسست الوزارة « دار القرآن » لتقوم بدور أشمل وأعمق ، وهذا ما نأمله ويأمله القائمون على أمر الدار ، بإذن الله .

● مراكز تحفيظ القرآن الكريم :

ومن بين الجهود البارزة فى خدمة التعليم الدينى وتكوين « جيل قرآنى » بالكويت ــ تلك الجهود التى تبذلها « جمعية الاصلاح الاجتماعى » فيما يعــرف « بمراكـــز تحفيظ القرآن الكريم » .

ففى كل عطلة صيفية ، منذ ست سنوات ، ، دابت الجمعية بالتعـــاون مع وزارتى التربية والأوقاف ، علـــى فتح « مراكز لتحفيظ القرآن الكريم » تتلقى فيها الأطفال والشباب ، بنين وبنات ، على اختلاف مستوياتهم ، وتشرف على تحفيظهم أجزاء محددة من القرآن الكريم ، وأعطائهم دروسا فى الحديث والفقه والسيرة النبوية ، فى حدود قدراتهم ، وما تسمح به أعمارهم العقلية .

وخلال ستة أعوام مضت ، قفــز عدد المنتمين الى مراكز تحفيظ القرآن من « مائة » طالب الى « ثلاثة آلاف » طالب ، من بينهم أكثر من تسعمائة وسبعين فتاة .

وقد ازداد عدد المراكز ــ بزيادة الإقبال من الفتيان والفتيات ــ فوصل الى واحد وعشرين مركزا ، تقــوم الجمعيـــة بتوفير الأساتذة والأدوات والكتب اللازمة لكل مركز منها .

ويخصص لحفظ القرآن الكـــريم ــ وحده ــ عشر حصص فى الخطة الاسبوعية ، بالاضافة الى الحصص الأخرى المخصصة للمواد الدراسية الثلاث السابقة ، وحصص الوضـــوء العملى والصـــلاة الجماعيـــة ، وبالاضافة الى «ربع ساعة» تخصص ــ يوميا ــ قبل بداية الدراســـة ، لتجميع الطلبة والطالبات فى طـــابور الصباح ، الذى يبدأ بالقرآن الكريم ، ثـم الدعاء المأثور الذى يردده الجميع ، وكذلك الأناشيد الاسلامية .

وفى صيف العام الدراسى الماضى (١٣٩٣هـ) بلغ عدد الاساتذة العاملين فى هذه المراكز تسعين معلما ، من بينهم ثلاثون معلمة ، يقمن بالعمـــل فى المراكز المخصصة للفتيات .



وفى كل مركز من مراكز تحفيظ القرآن،توجد مكتبة صغيرة اسلامية، تضم بعض كتب السيرة والحديث وأجزاء من التفسير . ويسمح للتلاميذ والتلميذات بالاستعارة الداخلية والخارجية من هذه المكتبة .

وبين الحين والحين يقوم كل مركز بعمل رحلات علمية الى الضواحي النائية فى الكويت ، أو المعالم الأثرية أو المتاحف أو المعارض العلمية ، حيث يتولى المشرفون على المراكز قيادة الطلاب وتوجيههم وشرح ما غمض عليهم .

وفى نهاية كل دورة صيفية ، يقوم كل مركز من مراكز تحفيظ القرآن — على حده — بعقد امتحان للدارسين فيه ، ويمنح الناجحين شهادات تدل على المرحلة التى انتهوا منها ، كما يمنح المتفوقين جوائز مالية وأدبية ، ثم يجرى احتفال كبير عام ، فى مقر جمعية الاصلاح ، تسلم فيه شهادات تفوق وجوائز للأوائل على مستوى المراكز كلها .

● توجيه خاص للتربية الإسلامية بوزارة التربية

تتعاون أجهزة كثيرة على خدمة العلوم الدينية والتربية الاسلامية فى وزارة التربية بالكويت ، وأبرز الأجهزة العاملة فى خدمة المادة بالوزارة « توجيه التربية الاسلامية » وهو « التفتيش » الذى يقوم بمتابعة سير المادة ميدانيا ، وتوجيه معلميها التوجيه الفنى والعلمى الأمثل .

وعلى نحو قد يكون جديدا ، بالنسبة لكثير من البلدان العربية ، يقف « توجيه التربية الاسلامية » كتفتيش قائم بذاته ، يركز جهوده كلها فى خدمة التربية الاسلامية ، ولا ينظر اليها نظرته الى مادة تابعة للغة العربية ، كما كان الحال قبل ذلك .

وقد أخذ التفتيش المذكور وضعه ذاك منذ عام ١٣٩٠هـ ، حين أحس المسئولون بضرورة تفرغ جهاز فنى توجيهى لخدمة التربية الاسلامية ، ومن ذلك التاريخ ، والتربية الاسلامية (كما يحدثنا الأستاذ محمد عبد الحليم



الشيخ الموجه العام لمادة التربية الاسلامية) تحظى بعناية كبيرة ، فى الميدان والمنهج والكتاب المدرسى المتطور المشوق .

وقد نما التفتيش ـ خلال السنوات الثلاث التالية لانشائه ـ كيفا وكما ، وبلغ عدد موجهى المادة فى العام الدراسى (٩٤/٩٣ هـ) ستة وعشرين موجها ، موزعين على المراحل التعليمية المختلفة ، والتعليم الخاص والأجنبى .

وعلى رأس جهاز التوجيه الفنى ، يقف « الموجه العام » يساعده ، وفق التنظيم الأخير للتوجيه الفنى فى الوزارة ـ مفتشون أوائل للمراحل التعليمية الثلاث : الابتدائية والمتوسطة والثانوية .

ويقوم التوجيه المذكور ، بالتعاون مع مراقبة المناهج والكتب ، بالاشراف على تأليف الكتب المدرسية وتعديلها ، ووضع المناهج الدراسية المطورة لمادة التربية الاسلامية ، كما يقوم بالتعاون مع ادارة النشاط المدرسى ، باجراء مسابقات سنوية فى بحوث اسلامية ، بالاضافة الى مسابقة سنوية أخرى خاصة بحفظ « القرآن الكريم » ، تنتظم الطلاب فى المراحل الدراسية المختلفة ، وتوزع فيها جوائز مادية وأدبية قيمة على المتفوقين من التلاميذ والتلميذات .

● المعهد الدينى :

يعتبر المعهد الدينى ، التابع لوزارة التربية ، أقدم جهاز تعليمى ، قائم على أمر الدراسات الاسلامية فى الكويت .

وقد انشىء هذا المعهد سنة ١٩٤٧م ، على نمط المعاهد الأزهرية الموجودة بمصر . وكان يضم ـ الى عامين دراسيين سابقين ـ المراحل التعليمية الثلاث ، لكن الاتجاه الاخير الجارى تطبيقه مرحليا ، سيجعل المعهد قاصرا على المرحلتين : المتوسطة والثانوية ، أسوة بالمعاهد الأزهرية فى مصر !!

ويبلغ عدد الطلبة المنتظمين بالمعهد فى العام الدراسى الحالى ٢٦١ طالبا، يقوم على أمرهم ٣٨ أستاذا ، عدا الجهاز الادارى (كما أخبرنا الأستاذ أحمد عبد القادر وكيل المعهد) .

وتنتظم هؤلاء الطلاب صفوف المرحلتين المتوسطة والثانوية الثمانية والصفان الثالث والرابع من المرحلة الابتدائية .

اما مناهج المعهد ، فشأنها شأن المعاهد الازهرية ، تنقسم فيها الدراسة الى نوعين : علوم انسانية عامة ، وهذه يخضع المعهد فيها لمناهج وزارة التربية فى المراحل التعليمية العامة . وعلوم شرعية ولغوية ، وهذه يطبق فيها ما يطبق فى المعاهد الأزهرية بمصر ، ويقوم المعهد بادارته وأساتذته المتخصصين فى هذه العلوم بالاشراف عليها وتوجيهها على الأسس المطبقة فى المعاهد الأزهرية المصرية .

والمجالات المتاحة لخريجى المعاهد الأزهرية (القسم الأدبى) هى نفسها المجالات المتاحة لخريجى المعهد الدينى . فأمامهم كلية الآداب (قسم لغة عربية) وكلية التربية وكلية الشريعة بجامعة الكويت . وأمامهم الكليات النظرية بالجامعات العربية وكليات الجامعة الاسلامية بالمدينة ، والكليات النظرية بجامعة الازهر ، وكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

● **معهد الإيمان الشرعى :**

لم يتم افتتاح هذا المعهد رسميا إلا فى غرة العام الدراسى الحالى (١٧ رمضان ١٣٩٣هـ) ، فهو بذلك أحدث المعاهد الاسلامية الموجودة بالكويت .

والفكرة من إنشاء هذا المعهد — كما يأمل القائمون على أمره — إخراج جيل يؤمن بالله تعالى عن طريق العلم والمعرفة ، لا عن طريق التقليد ، ثم إخراج جيل عارف بشريعة الله تعالى من فقه واصول وتفسير وحديث وغير ذلك .

وعلى الرغم من ان المعهد اسس بجهود فردية « غير رسمية » فالخطة الموضوعة لسيره ، تقتضى ادراجه فى سلك المعاهد الرسمية الشرعية — فى أقرب فرصة ممكنة — حتى تتاح لأبناء الكويت الفرصة لبلوغ آمالهم فى إحياء شريعتهم وتفهمها ، وبخاصة وان العلماء المتخصصين فى الدراسات الاسلامية يتناقصون يوما بعد يوم .

ومنهج الدراسة بالمعهد قريب من منهج المعهد الدينى ، فهو يدرس المواد الانسانية المقررة فى وزارة التربية ، ويضيف اليها العلوم الشرعية واللغوية .

وقد بدأ المعهد عامه الدراسى الأول بصفين فقط هما الصف الأول المتوسط والثانى المتوسط ، وعدد طلاب الصفين يقارب الخمسين طالبا ، ينتمون الى جنسيات مختلفة . ويضم المعهد هيئة تدريس تتكون من سبعة أساتذة ، ويديره متخصص على مستوى عال من التخصص فى العلوم الشرعية .

والدراسة فى المعهد مجانية ، بدون مقابل ، كما أن الكتب المدرسية والأدوات تعطى للطالب بدون مقابل ايضا ، بالاضافة الى وجبة غذائية يومية مجانية .

وليس للمعهد جهة رسمية تموله — كما ذكرنا — وانما هو قائم على تبرعات المهتمين بأمور دينهم من المؤمنين المخلصين فى الكويت .

● **ونظرة عامة أخيرة :**

الحق أن التربية الاسلامية — فكرا وسلوكا — انما تمثل قضية حيوية بالنسبة لبناء المجتمع الاسلامى ، وحفظ شخصيته ، ودفعه فى مضمار الحضارة خطوات الى الامام .

— ومن زاوية تاريخية وعقلية ، لا يمكن تصور وجود أمة مسلمة دون

تربية قائمة على دستورها الإلهى وسنة نبيها وسلوك راشديها وإيجابيات تراثها العظيم .

واذا كانت « الجهود الفردية » والجهود « الجماعية الشعبية » تلعب دورا حضاريا كبيرا فى تدعيم التربية الاسلامية والعلوم المتصلة بها ، فمما لا شك فيه أن النتائج المرجوة من هذه الجهود لن تتحقق الا بالتكامل والتعاون والتنسيق مع جهات كثيرة فى المجتمع ، تملك هى الأخرى إمكانية التأثير فى مجالى التربية والتعليم .

ولكى نضع بعض المعالم المحددة فى هذا الشأن ، فاننا نشير الى أن لأجهزة « الاعلام » من تلفاز واذاعة وصحافة — دورا مهما جدا فى تحقيق أهداف التربية الاسلامية فى المجتمع الاسلامى .

وأيضا فان « المسجد » يجب أن يلعب دورا تعليميا وتربويا بصورة أوضح فى المجتمع الاسلامى . وليس ذلك مجرد « إعادة » لرسالة المسجد الحقيقية فحسب ، بل يرجع ذلك الى طبيعة المناخ الذى يتحقق فى المسجد ، ولا يتحقق فى المؤسسات التعليمية الأخرى .

ومما لا شك فيه أن تدعيم المؤسسات التعليمية بالمساجد الداخلية اللازمة ، والكفايات العلمية المتخصصة المتفرغة للتربية الاسلامية ، بالاضافة الى وضع القواعد اللازمة لضمان استمرار « المعهد الدينى » ، وضمان أدائه لرسالته ، وتطوير أساليب الأداء . .

— لا شك أن توفير ذلك كله ، سيكون له أكبر الأثر فى تمكين التربية الاسلامية من تحقيق أهدافها ، وتأدية رسالتها الاجتماعية والانسانية والحضارية على أفضل نحو ممكن .



وأين هو أيضا انجيل عيسى عليه السلام ؟

للأستاذ : محمد عزة دروزة

لقد ذكر الانجيل في القرآن الكريم مرارا كثيرة ، وجاء ذكره في بعضها مقرونا بعيسى عليه السلام . وفي الآيات التي ذكر فيها مقرونا باسمه صراحة بأن الله تعالى آتاه اياه وعلمه اياه كما جاء في هذه الآيات مثلا :

١ — « **ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل** » (آل عمران ٤٨ ، ٤٩) .

٢ — « **وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين** » (المائدة ٤٦) .

٣ — « **اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل** » (المائدة ١١٠) .

وهناك آيات كنى عنه فيها بالكتاب جاءت حكاية عن لسان عيسى مثل هذه الآية : « **اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا** » (مريم ٣٠) .

وفي بعض الآيات ما يفيد ان في الانجيل أحكاما ربانية كما جاء في هذه الآيات :

١ — « **وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون** » (المائدة ٤٧) .

٢ — « **قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم** » (المائدة ٦٨) .

وتقتضي هذه النصوص أن الانجيل كتاب واحد انزله الله او أوحى به او علمه أو آتاه لعيسى عليه السلام وفيه تبليغات وأحكام ووصايا ربانية . هذا في حين أن النصارى

اليوم يعترفون ويتداولون اربعة اناجيل هى أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا . ويسمى المجلد الذى يضمها مع سفر اسمه (سفر أعمال الرسل) وأربع عشرة رسالة من بولس الى اهل بلاد عديدة والى اشخاص والى العبرانيين ، ثم رسائل بطرس ويوحنا ويعقوب ورؤيا يوحنا باسم (العهد الجديد) مع اعترافهم بأسفار (العهد القديم) فىنصوص يتداولونها وضم أسفار العهدين فى مجموعة ضخمة وتسمية المجموعة (الكتاب المقدس) .

وهناك خلاف فى عدد رسائل العهد الجديد وأصحابها عدا الاناجيل الاربعة . حيث أن الطبعة البروتستانتية لا تثبت بعضها ولا تعترف به فى حين أن الطبعة الكاثوليكية تثبتها جميعا وتعترف بها والنصارى يعولون على هذه الرسائل تعويلا لا يقل عن الاناجيل . لأن فيها شرحا للعقائد والتعاليم النصرانية التى لم ترد فى الاناجيل بصراحة وقطعية .

والاناجيل الاربعة صريحة بأنها كتبت بعد عيسى عليه السلام لتحتوى قصة حياته ورسالته وتعاليمه واقواله ونهايته . وبأنها كتبت بعد توفيه بمدة ما . وهناك من يذكر أنها كتبت خلال ستين سنة ما بين سنة ٣٧ وسنة ٩٨ بعد الميلاد .

وهناك خلاف فى ظروف ولغات واشخاص كتاب الاناجيل الاربعة . ومتى صاحب أول الاناجيل من تلامذة المسيح أو حوارييه الاثنى عشر على ما تذكره الروايات التى تذكر أيضا أنه كتب انجيله بعد ١٢ سنة من توفى المسيح بالعبرانية . وفى رواية بالسريانية . ثم ترجم الى اليونانية . وظلت الترجمة اليونانية هىالمعروفة دون الاصل المفقود حتى ظن أن اليونانية هى الاصل الوحيد له . وبعض الروايات تذكر أن الذى ترجمه الى اليونانية هو يوحنا . ومرقص صاحب ثانى الاناجيل تلميذ لبطرس فى رواية ، ومن الرسل الاثنين والسبعين الذين انتدبهم المسيح للبشارة فى رواية . ومما تذكره الروايات أنه كتب انجيله فى روما حينما رحل اليها مع بطرس . وأنه كتبه باليونانية مع بعض عبارات باللاتينية . وهناك رواية تذكر أن كاتب انجيل مرقص هو بطرس نفسه . وقد عزاه اليه . ولوقا صاحب الانجيل الثالث طبيب من انطاكية . وقد كتب انجيله باليونانية لينقل الى صديق له اسمه تاوفلس ما سمعه من سيرة المسيح . ويوحنا صاحب الانجيل الرابع مختلف فى شخصيته . حيث يروى أنه يوحنا بن زبدى أحد تلامذة المسيح الاثنى عشر أو حوارييه كما يروى أنه شخص آخر . وقد كتب انجيله فى آخر حياته وبعد الاناجيل الثلاثة الاولى كما تذكر الروايات .

وبين الاناجيل الاربعة تطابق فى كثير من الاقوال المعزوة الى عيسى عليه السلام وتعاليمه وسيرة حياته ومعجزاته مع اختلاف فى الصيغة والاسلوب والعبارات غير أن بينها اختلافات كثيرة أيضا . ففى بعضها ما ليس فى بعض آخر ، وفى بعضها ما يتباين مع ما فى البعض الآخر . وهذا وذاك ملموحات فى الاحداث والجزئيات والكليات . وفى بعضها ما يلمح بقوة أنه من بنات الخيال أو التوهم أو شيب بكثير من المبالغة حتى أن بعض الباحثين يقطعون بكذب بعض محتوياتها أو على الاقل بأنها من تزيينات الاوهام .

ويبدو من كل هذا أن كتابها سجلوا ما كتبوه من الروايات والمسموعات والمنقولات والتوهمات التى يقع فيها عادة مباينات ومناقضات وزيادة ونقص ومبالغة وكذب مقصود وغير مقصود وخداع

رؤية وسماع . ولو كان العهد قريبا وليس فيها أية دلالة على أن شيئا مما فيها من املاء عيسى عليه السلام مباشرة . والوهية عيسى مثلا لم تذكر بصراحة الا فى انجيل يوحنا . وقد لحظ دارسو هذا الانجيل بخاصة آثار الفلسفة اليونانية الجديدة فيه . وهذا ما جعلهم يتوقفون فى رواية كون كاتبه هو يوحنا الحوارى بن زبدى ويذهبون الى انه شخص يونانى من القرن الثانى متأثر بتلك الفلسفة .

والى ما تقدم فان هناك روايات تذكر أن عدد الاناجيل كثير . والعدد الذى تذكره يتراوح بين العشرين والثمانين . ومن الاناجيل التى قرأناها غير الاربعة انجيل برنابا . وبرنابا ذكر فى الاسفار الملحقة بالاناجيل الاربعة كأحد رسل المسيحية بعد المسيح مباشرة . ومن الاناجيل التى قرأنا خبرها أو أسماءها أناجيل الطفولة والولادة ومريم وانجيل مرقيون وانجيل التذكرة وانجيل سرين . ولقد كان النصارى فرقا عديدة فكان لكل فرقة انجيل يختلف عن انجيل الفرقة الاخرى قليلا أو كثيرا .

وفى القرآن الكريم أمور عديدة لم ترد فى الاناجيل المتداولة مثل فزع وحزن مريم حينما أخذها المخاض واجراء الله لها عين ماء لتشرب منها وهزها النخلة ليتساقط عليها رطبا جنيا وخطاب عيسى عقب ولادته لتهدئتها وتخفيف حزنها وفزعها . وخطاب بنى اسرائيل لها حينما اتت به تحمله وغمزهم لها وخطاب عيسى لهم واعلانه أنه عبد الله ونبيه وانه مأمور بالصلاة والزكاة من الله . وصفات النبى الأمى ومثل طلب الحواريين انزال المائدة وانزال الله المائدة بناء على ذلك الخ الخ ونعتقد أن كل هذا كان واردا فى أناجيل لم تصل الينا ايضا .

ومن الجدير بالذكر أن الاناجيل الاربعة التى يقال أنها كتبت بين سنتى ٣٧ و ٩٨ بعد الميلاد لم يذكر خبرها أى أثر تاريخى قبل سنة ٢٠٠ بعد الميلاد ثم المصادر تذكرها . غير أنه ليس هناك ما يثبت علميا أن النصوص المتداولة هى نفس النصوص التى كتبت لأول مرة بقطع النظر عما بينها من تناقض وتباين وما فيها من هنات وثغرات .

والنصارى يقولون عن غير الاناجيل الاربعة إنها منحولة ودخيلة ومزورة . وقالوا عن انجيل برنابا الذى فيه كثير من التطابق مع ما جاء فى القرآن من سيرة وحقيقة واقوال عيسى عليه السلام . انه مزور فى زمن الاسلام أو بقلم مسلم على ما قرأناه فى كتبهم . ولم نطلع على اقوال لهم عن زمن الاناجيل الأخرى التى يصفونها بتلك الأوصاف ولا عن واضعيها ومزوريها وكيفية ذلك .

وهذه الاقوال جزافية وليس من شأنها أن تمنع كون هذه الاناجيل واناجيل اخرى لم تعرف أسماؤها كانت موجودة قبل الاسلام بدليل ما فى القرآن الكريم من أمور عديدة لم تذكر فى الاناجيل المتداولة .

ومما قرأناه فى كتبهم أن من جملة الاناجيل المنحولة انجيلا آخر لمتى فيه مباينات كثيرة لانجيله المعترف به . حيث يبدو من هذا انه كان للاناجيل المعترف بها اليوم ايضا نسخ عديدة فيها مباينات لنسخ اخرى منها . ومن المحتمل أن يكون للاناجيل الاخرى غير المعترف بها مما ذكر اسمه ولم يذكر مثل ذلك .

ولقد مرت النصرانية والنصارى بدور اضطراب واضطهاد عصيب فى كنف الامبراطورية الرومانية التى كان لها السلطان فى فلسطين وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقية والاناضول والاقسام الشرقية الجنوبية من أوروبا مدة ثلاثة قرون . ولا شك فى أنه كان لذلك أثر فى اضطراب

لروايات والكتابات عن حياة المسيح وأقواله وأفعاله ونهايته .

ولقد ذكرت بعض المصادر القديمة التى تعود الى القرن الثانى بعد الميلاد أنه وقع تبديلات كثيرة فى الاناجيل التى كان يتداولها النصارى الاولون بل أن فى بعض رسائل بولس اشارة الى أن هناك من كان يحاول تحويل انجيل المسيح ويقلبونه ويحرفونه .

وحينما نشب خلاف بين علماء ورجال الدين المسيحى فى القرون الاربعة الاولى واستمر لما بعدها وما يزال فى صدد المسيح وأمه وروح القدس والله عز وجل والاقانيم الخ وصاروا فرقا عديدة واخذوا يتراشقون بالتهم ويكذب بعضهم بعضا صار لكل فريق أناجيل وقراطيس مباينة للفرقاء الآخرين وصار كل فريق يقول أن ما فى يده هو الصحيح وما فى يدى الفرق الاخرى مزور ومحرف .

وعلى كل حال فان الواضح مما تقدم أن الاناجيل الاربعة المتداولة المعترف بها لا يمكن أن يصدق عليها ولا على أى واحد منها تسمية (الانجيل القرآنية) ، والوصف الذى وصف القرآن الانجيل به ، ولا يصح أن ينسب أى منها الى الله تعالى أو المسيح عليه السلام . ويجب أن يظل يذكر اسم مؤلف كل انجيل مع انجيله منسوبا اليه .

على أن آيات سورة المائدة (٤٧ ، ٦٥ ، ٦٧) التى أوردناها قبل وآية سورة الاعراف هذه : « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون »

قد تفيد أن الانجيل الذى آتاه الله عيسى وعلمه اياه وانزله عليه وفيه أحكامه وتعاليمه ووصاياه والذى أمر القرآن أهله بالحكم بما جاء فيه وقال لهم : انهم ليسوا على شىء حتى يقيموا أحكامه ، مع ما أنزل الله اليهم ، كان موجودا فى أيدى النصارى حين نزول القرآن الكريم .

ولقد جاء فى الاصحاح الأول من انجيل مرقص هذه العبارة : « وبعد ما أسلم يوحنا أتى يسوع الى الجليل ليكرز بانجيل ملكوت الله قائلا قد تم الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالانجيل » وفى الاصحاح السادس عشر من هذا الانجيل هذه العبارة : « قال لهم — أى المسيح عليه السلام — اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » وجاء فى الاصحاح الاول من رسالة بولس الى أهل روما هذه العبارة : « فان الله الذى أعبده بروحى فى انجيل ابنه شاهد لى بانى لم أزل أذكركم » وجاء فى الاصحاح التاسع فى رسالة بولس الاولى الى أهل كورنثوس هذه العبارة : « بصرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء . صرت للكل كل شىء لأخلص على كل حال قوما . وهأنا أفعله لأجل الانجيل » وفى رسالة بولس الى أهل غلاطيه هذه العبارة : « انى اعجب كيف تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر وان لم يكن انجيل آخر لكن قوما يبلبلونكم ويريدون أن يقبلوا انجيل المسيح » .

فهذه العبارات تفيد انه كان هناك فعلا انجيل منسوب الى الله تعالى والى عيسى عليه السلام وكان عيسى يبشر به ويدعو الناس الى الايمان به . ومن الجائز ان يكون ظل موجودا متداولا الى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وانه هو الذى كان القرآن الكريم يعنيه. ومادام انه لا يوجد الآن انجيل يصدق عليه وصف القرآن

الكريم فلا مناص من القول انه قد فقد فى ظرف ما كما فقد سفر توراة موسى الذى كان موجودا هو الآخر يقينا بنصوص بعض أسفار العهد القديم التي أوردناها فى مقالنا (أين هى توراة موسى عليه السلام) ثم بنصوص القرآن كما ذكرنا قبل .

وقد يكون فى الاناجيل المتداولة المعترف بها اشياء مما تلقاه عيسى عليه السلام من ربه أواحتواه الانجيل الذى آتاه الله وعلمه اياه وأنزله عليه . غير انها لا يمكن أن تكون من وجهة نظر القرآن والمنطق والواقع بديلة عن الانجيل الذى انزله الله على عيسى وآتاه اياه . لانها ليست هو أولا ولأن فيها ما لا يمكن أن يكون من ذلك الانجيل . ومن ذلك على سبيل المثال سيرة عيسى عليه السلام منذ ولادته الى نهايته . وفيها كما قلنا تباين وتناقض وتوهمات يتنزه كتاب الله عنها . وليس فيها أمور عديدة وردت فى القرآن تذكر بعض محتويات انجيل الله . ومن ذلك على سبيل المثال صفات رسول الله النبى الأمي بصراحة التى ذكرت آية سورة الاعراف (١٥٧) التى أوردناها سابقا أنها مكتوبة فى الانجيل . ومن ذلك ما ذكر فى آيات قرآنية عديدة بصراحة قاطعة بأن عيسى عبد الله ونبى من أنبيائه وانه جاء مبشرا برسول من بعده اسمه احمد وداعيا الى عبادة الله وحده ربه ورب العالمين جميعا كما جاء فى هذه الآيات :

١ — « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » (المائدة ٧٢) .

٢ — « فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا . قال انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » (مريم ٣٠ — ٣٣) .

٣ — « ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون أن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » (الزخرف ٦٣و٦٤) .

٤ — « واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » (الصف — ٦) .

وقد يكون فى الاناجيل المتداولة المعترف بها عبارات يمكن تأويلها بما يتفق مع التقريرات القرآنية الواردة فى هذه الآيات . كما ترى فى هذه الامثلة :

١ — فى انجيل متى (أراه ابليس جميع ممالك العالم ومجدها . وقال له أعطيك هذه كلها ان خررت ساجدا لى . حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان . فانه قد كتب : للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد) و (لا يستطيع احد أن يعبد ربين) و (اطلبوا أولا ملكوت الله وبره) و (ليس كل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات لكن الذى يعمل ارادة أبى الذى فى السموات) و (لا تدعو لكم أبا على الارض . فان اباكم واحد وهو فى السموات) و (أجاب يسوع وقال اعترف بك يا أبت رب السموات والارض) و (لكى تعلموا أن ابن البشر له سلطان على الارض أن يغفر الخطايا) و (فقال له يسوع لماذا تدعونى

صالحا . انه لا صالح الا الله وحده) ــ اصحاح ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٣ .

٢ ــ وفى انجيل مرقص (من قبلنى فليس مقبلا لى بل للذى ارسلنى) و (أول الوصايا أن الهنا رب واحد) ــ اصحاح ٩ ، ١٠ .

٣ ــ في انجيل لوقا (فقال لهم انه ينبغى ان أبشر المدن الاخرى بملكوت الله لأنى لهذا أرسلت) و (اذا صليتم فقولوا أيها الأب ليتقدس اسمك) ــ اصحاح ٤ ، ١١ .

٤ ــ من انجيل يوحنا (الحق الحق اقول لكم ان من يسمع كلامى ويؤمن بمن ارسلنى له الحياة الابدية) و (واما انا فلى شهادة أعظم من شهادة يوحنا لأن الاعمال التى أعطى لى الأب أن اتممها هذه الاعمال التى انا اعملها هى تشهد أن الأب قد ارسلنى) و (قالوا ماذا نصنع حتى نعمل أعمال الله . اجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى ارسلنى) و (فأجابهم يسوع وقال ان تعليمى ليس هو لى بل للذى أرسلنى) و (فقال لهم يسوع انى لست افعل شيئا من عندى ولكن كما علمنى الأب كذلك أقول) و (صاح يسوع وقال من آمن بى فليس بى يؤمن بل بالذى أرسلنى) و (انى لم آت من عندى لكن الذى ارسلنى هو محق . وأنتم لا تعرفونه اما انا فأعرفه لأنه هو الذى أرسلنى) اصحاح ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ .

وننبه على اننا لم ننقل كل ما فى الاناجيل حيث يجد متصفحها عبارات كثيرة أخرى من باب ما نقلناه .

٥ ــ فى الاصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا عبارة يفسرها علماء المسلمين بأنها مصداق لآية الصف التى تحكى عن لسان عيسى عليه السلام قوله (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) وهذه هى (أنا الآن منطلق الى الذى أرسلنى وليس أحد منكم يسألنى الى اين انطلق . ولكن لأنى كلمتكم بهذا ملأت الكآبة قلوبكم . الا انى اقول لكم الحق أن فى انطلاقى خيرا لكم لأنى ان لم انطلق لم يأتكم المعزى ولكن اذا مضيت ارسلته اليكم . ومتى جاء يبكت العالم على الخطيئة وعلى البر وعلى الدينونة) .

ومع ذلك فاننا نقول إن النصارى يؤولون هذه العبارات تأويلا يجعلها غير متفقة مع تقريرات القرآن فضلا عما ورد فى الاناجيل المتداولة من عبارات كثيرة لا تتفق مع هذه التقريرات . ولا يمكن على اى حال ان تكون هذه الاناجيل بذلك بديلة عن الانجيل الذى قرر القرآن الكريم انه انزله وآتاه عيسى عليه السلام .

وقد يكون فى القرآن ما يتطابق قليلا أو كثيرا مع ما جاء فى الاناجيل المتداولة المعترف بها . ومن ذلك على سبيل المثال قصة بشارة زكريا ومريم بيحيى وعيسى التى ذكرت فى الاصحاح الاول وانجيل لوقا مقاربة جدا لما حكاه القرآن فى آيات سورة مريم ١ ــ ٢١ وسورة آل عمران ٣٥ ــ ٤٧ . ومن ذلك قصة معجزات احياء الموتى وشفاء ذوى العاهات التى ذكرت فى آيات آل عمران ٤٦ ــ ٤٩ والمائدة ١٠٩ حيث ورد ذلك فى انجيل متى (الاصحاحات ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٦) وورد فى أناجيل اخرى . وكل ما يمكن أن يعنيه هذا ان الاناجيل الاربعة أيضا كانت متداولة فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بالاضافة الى انجيل عيسى الذى آتاه الله اياه .

ومن مزاعم المبشرين ان الاناجيل الاربعة هى وحى من الله . وان كتابها هم كتاب وحى الله .

وما ذكرناه من محتويات واسلوب وتاريخ الاناجيل الاربعة يجعل القول الاول عجيبا متهافتا . أما القول الثانى فالراجح أنهم أرادوا الاقتباس

مما كان فى أمر كتاب وحى الله الذين كان النبى صلى الله عليه وسلم يملى عليهم ما يوحى الله اليه به .

وفى هذا غباء ومفارقة . فالنبى كان يوحى اليه القرآن من الله تعالى فيملى ما يوحى اليه به على كتابه فسموا لذلك كتاب الوحى . فى حين ان كتاب الأناجيل قد دونوا احداثا سمعوها من رواة ولا يمكن الا أن تكون شيبت بالزيادات والنقص والتوهم والتناقض بدليل ما بين الاناجيل من تباين كثير فى الاحداث والصور والاقوال . وليس فيها شىء من املاء عيسى عليه السلام .

وللمبشرين طرافة فائقة أخرى اشد مفارقة من اقتباس اصطلاح الوحى حيث تطرق بعضهم الىأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف وزعم أن عثمان بن عفان رضى الله عنه قد أسقط ستة أحرف وكتب مصحفه بحرف واحد وقال انه بذلك أضاع علينا معرفة ما كان فى الحروف الستة الاخرى من مباينات ومناقضات واختلافات بالنسبة الى الحرف الذى أثبتوه فى حين أن الانجيل نزل على اربعة أحرف تمثلت فى أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا . ولم يكن فيها ما يخشاه النصارى من تناقض وتباين فاحتفظوا بها كما نزلت كشهادات متعددة على صحة الإنجيل، ووحدة جوهره واتفاق معانيه مع اختلاف ألفاظه . والشرع العالمى الدينى والمدنى لا تقوم صحته على شهادة واحدة . وهكذا يكون لصحة الانجيل أربع شهادات بينما ليس للقرآن الا شهادة واحدة .. !

وهكذا تجر المفارقة فى القياسالى الزعم صراحة أو ضمنا الى القول انه كان للقرآن سبع نسخ مختلفة فى العبارات والترتيب والتبويب والألفاظ والسور والسياق والاحكام والمشاهد مثل الاناجيل الاربعة . وينسى الهوى والضلال قائلى هذا الهراء أن الاناجيل ليست الا ترجمة لحياة عيسى عليه السلام كتبها أناس بعده سماعا أو رواية . وليس فيها ما يدل على انها أو أن فيها شيئا من املائه مثل القرآن الذى هو من املاء النبى محمد صلى الله عليه وسلم مباشرة . وانها ليست أربعة بل أضعاف أضعاف هذا العدد وأن هناك من الدلائل ما يدل بصورة قاطعة على أنها أكثر من أربعة وما يدل على أنها لم ترو كل ما ألقاه عيسى عليه السلام وبلغه ولا كل ما كان من مشاهد حياته ومعجزاته فضلا عن ما فيها من الثغرات العديدة على ما نبهنا عليه قبل بحيث يكون فى ذلك الزعم سخرية بالعقول والحقائق وجرأة غبية على الحق والمنطق .

وهذا فضلا عن أنه لم يقل أحد من المسلمين أن معنى نزول القرآن على سبعة أحرف هو اختلاف وتعدد فى النصوص . والذى اجمع عليه أئمتهم أن ذلك كان لتيسير قراءة القرآن بأداء وهجاء واملاء مختلف بعض الشىء حسب اختلاف قدرة الناس وقابلياتهم وبسبب اختلاف اللهجات والأداء عندهم . وأنه كان مدونا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وان عثمان رضى الله عنه أمر بنقل مصحفه عن المصحف الامامالذى أمر بكتابته أبو بكر رضى الله عنه بعد انقطاع الوحى واشتمل على كل ما مات النبى صلى الله عليه وسلم عنه وهو قرآن يحفظ ويتلى . وكل ما فعله عثمان هو أمره بكتابة المصحف الجديد بهجاء ورسم واملاء ولهجة قريش لأن القرآن نزل بلغتهم ، وطلبه من المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها أن ينقلوا مصاحف جديدة عن هذا المصحف ليكون الرسم واحدا . وأطاع المؤمنون ذلك ايمانا واحتسابا .

والحمد لله رب العالمين .

مائدة القارئ

« إن هـو الا وحى يوحى . علمـه شـديد القـوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتـدلى . فكان قاب قوسـين أو ادنـى . فاوحـى الى عبـده ما أوحـى . »

قرآن كريم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(عـرج بى حتى ظهرت بمستوى اسـمع فيه صريف الأقلام)

(رواه البخارى والطبرانى)

حفظ اللسـان

قال احد الحكمـاء :

اخزن لسانك كما تخزن مالك ، وزنه كما تزن نفقتك .
وانفق منه بقـدر ، وكن منه على حذر .
فان انفاق الف درهم فى غير وجهه افضل من اطلاق كلمة فى غير حقها .

الدين والعـرض

قال ابن المقفـع :

ابذل لصـديقك دمك ومالك ، ولمعرفتـك رفدك ومحضرك ، وللعامة بشرك وتحيتك ، ولعدوك عدلك ، وضن بدينك وعرضـك عن كل أحـد .

نصـــــيحة

عندما ولى عمر بن الخطاب الخلافة قال له الامام علي :
إن سرك أن تلحق بصاحبيك (النبى وأبى بكر) فقصر الأمل ، وكل دون الشـــبع ، وارقع القميص ، واخصـــف النعـــل ، واســـتعن عـــلى النـــاس بفقـــرك ـــ تلحـــق بهمـــا . »

الأنبيـــاء للهـــداية

كتب أحد الولاة الى الخليفة عمر بن عبد العزيز أن الجـــزية نقصت فى بيت المال ، لكثرة الداخلين فى الاســـلام ، ويستأذنه فى ابقائها مع أن الاسلام يوجب رفع الجزية عمن أسلم ، فقال عمر :
(قبح الله رأيك ، ما بعث الله محمدا جابيا ، بل هاديا) .

لبـــاقة الرد

هجا ابو نواس اسماعيل بن سهل هجاء مرا بعدة قصائد وبعدة مناسبات ثم اتى اليه بعد ذلك راغبا فى صحبته فقال له اسماعيل :
ـــ بأى وجه تاتينى اليوم وكنت بالأمس تهجونى ؟

فقال ابو نواس : بالوجه الذى القى به ربى .. فان ذنوبى عنده اكثر من ذنوبى عندك !

فاعجب اسماعيل بن سهل من حسن جوابه ولباقة اسلوبه فعفا عنه وعاد الى مودته .

بيان عن مشروع العربية الأساسية

اتضح لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ان هناك حركة يقوم بها نفر من اعداء اللغه العربية ، وقد اتخذوا مقرا لهم بعض المدن العربيـــة ، ويدل المشروع الذى اعدته هذه الجهات على انه يقصد هدم اللغة العربية بالتخلى عن عدد من قواعدها الاساسية ، وباحلال الألفاظ العامية الشائعـــة محل الألفاظ العربية الفصيحة وتبعا لذلك يكون البعد باللغة العربية وباهلها عن القرآن الكريم ، كما يفرق أهل اللغة ببعدهم عن المقوم المشترك بينهم وهو الفصحى وتبين له ان جماعـــة فى بيروت يتحمسون له وأن المركز التربوى للبحوث والانماء يتبنى هذا المشروع وان الأعضاء الأساسيين الذين يقومون على المشروع ينتمون الى مؤسسة فورد الأمريكية .

لذلك عقد مجلس مجمع البحـــوث الاسلامية بالأزهر جلسة بتـــاريخ ١٦/٥/١٩٧٤م .

واصدر البيان التالى :

يرجع تاريخ الفكرة وتطبيقها على اللغة الانجليزية الى نحو ثلث قرن . حينما تبنى المشروع السياسي البريطانى ، تشرشل ، بأمل اذاعة اللغة الانجليزية فى العالم بتيسيرها وخفض مفرداتها الى ٨٥٠ كلمة يتألف منها فى تركيبها بعضها مع بعض فى صور متعددة أهم الأفكار التى يحتاج المتحدث الى التعبير عنها فى الحياة اليومية وكانت الفكرة التى يستند اليها تنفيذ هذا المشروع فى اللغة الانجليزية ان مفرداتها تنقسم اساسا قسمين :

احـدهما :

من أصل انجلو سكسونى ، وهو يتسم بقلة الحروف واعتماد الكلمات فى تحديد معانيها على مكملات للجملة مما يشبه الظرف والحال فى اللغة العربية .

والقسم الثانى :

من أصول لاتينية ويونانية ، وتتسم كلماته بكثرة حروفها واستغنائها بصفة عامة فى دلالاتها عن المكملات اذ أن هذه المكملات تكون قد الصقت بالكلمات جزءا منها بناء على قواعد الاشتقاق الخاصة بها .

وقد اختار مشروع الانجليزية الاساسية القسم الاول من الألفاظ وعدد الأفعال فيه قليل جدا بالنسبة الى عدد الأفعال المشتقة من الأصول اللاتينية واليونانية . وبضم المكملات الى الفعل السكسونى يتغير معناه مع كل مكمل وبذلك زعم أصحاب المشروع أن المتعلم يوفر جهدا كبيرا حين يحفظ فعلا واحدا ويركب معه الظروف والأحوال المتعددة التى تغير معناه فمثلا فعل : Get يحضر يأتى منه :

ينزل GetDown يصعد Get Up
يدخل Get In يخرج Get Out
يمرق Get Through
يبتعد Get Away
يستمر Get On وهكذا :

واذا كانت هذه الطريقة نافعة بعض النفع فى اللغة الانجليزية لاعتمادها على اساس قائم فى تلك اللغة ، فانها لا تصلح لتطبيقها فى اللغة العربية .

على انها مع ذلك لم تلق شيوعا كافيا لأنها لم تزد على أن تكون وسيلة تفاهم للسياح واشباههم دون أن توصل الى أسرار اللغة وآدابها وبذلك يتضح أن محاولة المشروع تسمية نفسه باللغة الأساسية ليست الا ستارا يكشف عما وراءه . ان فى اقتراح المشروع أن يقتصر على الجملة الاسمية مسخا لطبيعة اللغة العربية بل سائر اللغات السامية ، التى تمتاز بأسلوب التعبير بالجملة الفعلية فى مواضع لا تغنى فيها الجملة الاسمية كذلك ترك التثنية فى الافعال وتوحيد صيغة الأسماء الخمسة ، وصرف الأسماء الممنوعة من الصرف وفتح همزة أن مطلقا والاقتصار فى جمع المذكر السالم على صيغة الياء والنون .

كل ذلك هدم لقواعد اللغة العربية وتحويلها الى لهجة عامية يبدو واضحا أنه هو المقصود من المشروع ، بدليل دعوته الى احلال الالفاظ العامية الشائعة فى قطر (اختاره المشروع وهو لبنان) محل الألفاظ الفصيحة .

وبذلك نجد اننا وجها لوجه أمام

مشروع احلال العامية محل الفصحى وهو مشروع قديم روج له أعداء العربية والعرب ، وخصوم الاسلام منذ أمد طويل ورفضته الأمة العربية فى جميع الصور التى قدم بها فى مراحل متعددة .

ونحن نعجب لاختصاص اللغة العربية بهذا الهجوم الذى يدعى أصحابه أنهم يقصدون به تيسيرها .

ان فى كثير من اللغات من الصعوبات مثل ما فى اللغة العربية ومع ذلك لم يجرؤ أحد من أهل تلك اللغات ولا من أدعياء الاصلاح من غير أهلها ، أن يتقدموا باقتراحات تشبه ما يقحمونه على العربية .

هل يجرؤ هؤلاء المدعون للاصلاح ان يطلبوا الى اللغة الالمانية مثلا أن تتنازل عن أربعة الأحوال التى يتغير اليها الاسم رفعا ونصبا وجرا بحرف الجر وجرا بالاضافة ؟ أو هل يجرؤون على محاولة اصلاح صيغ الجمع فى تلك اللغة بتوحيدها فى صورة واحدة بدلا من صورها الأربع ؟

ان هذا المشروع واضح الهدف فى هدم معالم اللغة العربية وتبعا لذلك البعد بها وبأهلها عن القرآن الكريم .

ثم ما ينتج عن ذلك من مساس بالاسلام وأصوله كما هى مصونة فى كتاب الله وسنة رسوله الكريم .

ذلك الى ايجاد الهوة الواسعة بين ما تؤول اليه اللغة (لا قدر الله) وما احتوته من تراث فى صورتها السليمة يمتد عبر أربعة عشر قرنا فى نحو أربعة عشر اقليما .

ان فكرة التيسير على صغار المتعلمين وعلى الأجانب تتحقق بوسيلتين معقولتين هما :

منهج التدريس ، اختيار أسهل الفاظ الفصحى .

فعل ذلك علماؤنا من قبل فى مثل : مختار الصحاح من صحاح الجوهرى ، وتهذيب المصباح المنير . ونفعله الآن فى مجمع اللغة العربية فى المعجم الوسيط ثم فى المعجم الوجيز الذى يعد الآن لتلاميذ المدارس

ان مجمع البحوث الاسلامية يرى فى هذا المشروع خطرا داهما على اللغة العربية والعلوم الاسلامية فهو من شأنه أن يقطع صلة المسلم بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، والتراث الفقهى الذى يعتمد فيما يعتمد عليه ، على دلالة المفهوم والمنطوق وأساليب القصر والتقديم والتأخير وما الى ذلك مما لا يتحقق فى لغة أساسها العامية بل انه يقطع صلة المسلم بالتراث العلمى الاسلامى بصفة شاملة .

ويحذر المجمع ابناء العروبة والاسلام من قبول المشروع ، ويدعو القائمين عليه الى الانصراف عنه حرصا على منع الفتن وبلبلة الافكار . والله الهادى الى سواء السبيل .

الامام الاكبر وشيخ الأزهر
ورئيس المجمع
الدكتور عبد الحليم محمود

خولة بنت الأزور

معركة سحورا

الفصل الثاني

للدكتور : أحمد شوقى الفنجرى

(المكان : نساء الصحابة فى جمع كبير فى وادى سحورا قرب دمشق .. كل فريق منهن منهمك فى عمل .. فريق يحمل السلاح على الإبل وفريق يحمل الخيل والبغال بالطعام .. وفريق يداوى الجرحى وينقلهم ، جلس أبو عبيدة الجراح على الأرض يشرب القهوة العربية وحوله عدد كبير من نساء الصحابة بينهن زوجته ام عبيدة وأم تميم زوجة خالد بن الوليد — وأم حكيم زوجة عكرمة ابن أبى جهل . وخولة بنت الأزور وأم أبان بنت سعيد وعفرة وامامة ورعلة .)

أبو عبيدة : يا صاحبات رسل الله .. لقد ألقت المقادير عليكن اليوم عبءا كبيرا وعملا عظيما لنصرة الاسلام .

خولة : نحن لها ايها الامين .. مر بما تشاء فستجدنا باذن الله باذلات صابرات مؤمنات بالله ورسوله .

أبو عبيدة : كما اريتن اليوم .. لقد اتفق أمراء الاجناد مع خالد بن الوليد على أن نخلى كل مدن الشام التى فتحناها وان نجمع جيشنا كله فى وادى اليرموك ، وقد اختار أبو سليمان ذلك المكان لكى يقابل فيه جيش الروم فى معركة فاصلة تنهى كل الحروب التى بيننا وبينهم .

خـــــولة : حسنا رأيتم أيها الأمين .. ولكنا رأينا خالد ينسلخ اليوم بالجيش ويترك النساء وحدهن .. فهل يريد المحاربة دوننا ؟

ابو عبيـــدة : هذا هو الموقف الذى أريد شرحه لكن يا خولة .. ان خطـة خالد تعتمـد على سرعة الحركة .. وهو يريد ان يصل الى وادى اليرموك قبل وصول جيش الرومان وبذلك يضع جيش المسلمين فى المكان الذى يريده هو ولا يبقى امام الرومان الا المكان الذى يريده هو لهم ويأخذ منهم زمام المبادرة .. ولو انتظر خالد تحرك النساء وقوافل التموين لضاعت الفرصة منا .. وقـد اتفقت معه ان ينفصل بسرعة بالرجال واسير انا على مهل بالنساء والتموين والعتاد الثقيل لكى نلحق به ..

خولة (ضاحكة) : اذا فقد اصبحنا جيشا مستقلا من النساء فقط .

ابو عبيـــدة : نعم .. انتن الآن لأول مرة جيش مستقل من النساء فيما عداى انا وبعض الرجال من الجرحى والمرضى وكبار السن الذين لا يقدرون على السرعة .. ولو علم الرومان بالأمر فلا بد ان يهاجمونكن ولو بقصد اعاقة جيش خالد وافساد خطته فماذا انتن فاعلات ؟.

خـــــولة : يا امين امـة الاسلام .. لا تخش علينا ابدا .. فنحن والله لها .. نحن بنات تبع وحمير ومن نسل العمالقة .. وقد اعتدنا والله هجوم الليل وركوب الخيل . وكلنا تجيد الحرب والطعان .. فلو حسبنا الرومان كنســائهم للزينة والملبس فقد والله غرتهم امانيهـم ..

ام تميــــــم : ليت الرومان حقا يهاجموننا لكى نريهم قتالنا ..

ام حكيــــم : ولو انتصرنا عليهم لأصبحنا اول جيش من النساء ينتصـر على جيش من الرجـــــال .

ام ابـــــان : لا اظن ان الرومان يجرؤون على مهاجمتنا يا ابا عبيـــدة . لقد اصبحوا اذل من ان يفعلوا ذلك بعد ان هزمناهم فى كل موقع وكل لقاء .

ابو عبيـــدة : ان الانسان العاقل يا إخوتى لا يصغر من أمر عدوه .. لأنه اذا ظفر لم يحمد واذا عجز لم يعـذر ..

خـــــولة : صدقت يا ابا عبيـــدة .

ابو عبيـــدة : ولا تنسين ان موقفكن الآن اخطر من اى جيش من الرجال فمعكن اطفالكن الصـــــغار ..

ام حكيــــم : وهذا ادعى لنا للاستماتة والاستبسال فى الحرب ..

ابو عبيـــدة : ومعكن ايضا مؤن الجيش كله وتموينـــه ..

خـــــولة : سنؤدى الأمانة الى اهلها باذن الله سالمة كاملة ولو نموت جميعنا دونها .

ابو عبيـــدة : بارك الله فيكن .. هذا والله ما كنا نقوله عنكن فى اجتماع امراء الأجناد .

النســـــاء : حقـــا أيها الأمين .. وماذا كنتم تقولون عنـــا ؟..

ابو عبيـــدة : (مبتسما) كنا نقول ان نساء العرب فى الحرب اكثر جلدا وضــراوة من علوج الروم والفرس .

ام عبيـــدة : فى الحرب فقط أيها الأمين .. ومع العدو وحده . (تضحك النسوة) .

أبو عبيـــدة : اى والله يا أم عبيـــدة .. فانتن سكننا وريحانة قلوبنا .. وأنتن فى السلم القوارير التى نخشى عليها ..

ام عبيـــــدة : الآن أحســـنت ..!!

أبو عبيـــدة : والآن انى أترك لكن تقسيم العمـــل بينكن .. فلتكن احداكن أميرة هـــذا الجيش فرسول الله يقول : « اذا كنتم ثلاثة بالفلاة فلتؤمروا أحدكم عليكم » .

خـــــولة : وأنت أيها الأمين .. أنت أميرنا ..

أبو عبيـــدة : انا ممكن ولكن من يتولى امارة قوم يجب أن يعرفهم جيـــدا حتى يضع كـــلا فى مكانه وموضعه .. ولا بد لقيادة النساء من امرأة منهن ..

النساء جميعا : اذا نختارك أنت يا خولة بنت الأزور لقيادة الجيش وحراسته فأنت فارسة الميدان وقاهرة الفرسان وقد رأينا بلاءك فى معركة بصرى وفى حروب الردة .

خـــــولة : حبـــا وكرامـــة ..

النســـــاء : ونختارك أنت يا أم حكيم لشئون الاسعاف والتمريض فقد خبرت هذا الفن وكنت تداوين الجرحى على عهد رسول الله ..

أم حكيـــم : حبـــا وكرامـــة ..

النســـاء : واخترناك يا أم تميم لشئون التموين .. تموين السلاح وتموين الطعـــام .

أم تميـــم : حبـــا وكرامـــة ..

أبو عبيـــدة : (مبتسما) والآن يا خولة .. هل تعلمين تعـــداد جيشك ؟.

خـــــولة : نعم أيها الأمين .. نحن ألف وخمسمائة من النســـــاء وخمسمائة من الأطفال والغلمان ومن الرجال ..

أبو عبيـــدة : لا تعتمـــدى كثيرا على الرجال يا خولة .. فما فيهم الا مريض أو جريح أو كبار السن الذين أتعبهم السفر .. فهذا أبو سفيان عمره يزيد عن الثمانين .. وعمرو بن معد يكرب الزبيدى عمره مائة وعشرون عاما .

أم تميـــم : هؤلاء الشيوخ هم بركتنا أيها الأمين .. فقد رأيت الشباب وأولادهم وأحفادهم يستبسلون فى القتال عند سماع كلمة منهم ..

خـــــولة : اذا سندافع عن الرجال أيضا فلا تقلق أيها الأمين ، ومن الآن يا أم تميم قومى ووزعى السلاح والدروع على النساء .. ومن ليس لها سلاح فليكن سلاحها الحجارة وأوتاد الخيـــام ..

أبو عبيـــدة : أستطيع أن أطمئنكن الى شىء واحـــد ، لقد جعل خالد بيننا وبينه كتيبـــة رصـــد من أسرع فرسانه فاذا أحسوا بدنو الخطر منا ساعدونا وبادروا بابلاغـــه ..

خـــــولة : ومن فى هـــذه الكتيبـــة أيها الأمين .؟

أبو عبيـــدة : اطمئنى يا خولة .. انه أخوك ضرار وأخوه فى الله رومانوس .

أبو عبيـــدة : أخى ضرار ورومانوس .. لقد أصبحا والله ألزم من الشقيقين فى كـــل موضـــــع .

ام عبيـــــدة : مسكين رومانوس .. لقد ضحى بكل أهله فى ســـبيل الاسلام وأصبح وحيدا فى هـــذه الدنيـــا ..

أبو عبيـــدة : كيف ذلك يا أم عبيـــدة ؟.

ام عبيـــــدة : عندما أسلم رومانوس عرض على خالد أن يفتح هو وزوجته ثغرة فى أسوار

قصره فى بصرى ليدخل منها المسلمون .. وعندما علم بطرس قائد الحامية بذلك انتقم من رومانوس بان قتل زوجته وأولاده ثم هرب من بصرى قبل ان يصل المسلمون اليـه ..

ابو عبيـدة : قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا .. وعسى الله أن يمكنه من عدوه هذا .. الحق يا اخوتى لقد دخل قلبى حب هذا الفتى منذ رأيت حسن اسلامه وصدق بلائه .. وقد كتبت عنه الى الخليفة أبى بكر الصديق .

أم تميـم : ان رومانوس أيها الأمين يريد أن يتزوج من فتـاة عربية مسلمة حتى يكمل بذلك اسلامه وينسى خسارة زوجته الرومية .

ابو عبيـدة : ولم لا .. لو كانت لى أخت شابة لزوجتها له ..

أم تميـم : لقد طلب يد خولة ولكنها تماطله ولم تعطه رداً شافيا ..

ابو عبيـدة : إنما القلوب بيـد الله .. ولكن هل لى أن أسالك يا بنية لماذا لا تقبلينه .. فالفتى صاحب خلق ودين ..

أم تميـم : وهو شباب ومليح .. وكان حاكمـا بين قومه ..

عفـرة : ولن تكون لها ضرة .. فرجال الروم لا يتزوجون الا بواحدة (الجميع يضحكن).

خـولة : بعض هذا .. ان هذا كله لن يجعلنى أتعجل أمرى فما جئت هنا للزواج .. ولكنى جئت للجهاد فى سبيل الله ..

ابو عبيـدة : اذا كان هذا فليس بسبب .. فديننا ولله الحمد لا يحرم علينا الدنيـا من أجل الآخـرة .. ولك فى رسول الله أسوة حسنة فقد كان صلى الله عليه وسلم يقول : « أنى أصوم وأفطر .. وأقوم وأرقد وأتزوج النسـاء وهذه سنتى .. فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

أم تميـم : أنا أخبرك بالسبب أيها الأمين .. أن خولة هى الفتـاة الوحيـدة العـذراء والغير متزوجة بيننا .. وقد خشيت أن يكون رومانوس قد طلب يدها من أخيها ضرار لانه لم يجد غيرها لا لانه يريدها ويحبها ..

ابو عبيـدة : هذا سبب وجيه ومعقول .. فكما قال رسول الله : « إنه أحق بكما أن يؤدم بينكما » ولكن يا خولة لا تطيلى على الفتى حيرته وانتظاره ..

خـولة : صدقت أيها الأمين وانصفتنى .. فوالله ما أريد أن أعيش مع رجل يتزوجنى لانه لم يجد غيرى .. أو لانه يريد أن يتزوج باعرابية فحسب .. ولكنى أريد رجلا يتزوجنى لشخصى ولدينى ..

أم تميـم : اما هذا فلا أحـد يعارضك فيـه ..

(يسمع نداء من بعيد واحدى النساء تصرخ قائلة) :

المـرأة : يا بنت الأزور .. يا أبا عبيدة .. هذه غبرة كبيرة تبدو من بعيد وراءنا .. واحسب أنهم جماعة من الرومان .

(يسمع هرج كبير .. وتقوم النساء الى العمل ولبس السلاح مسرعـات وخولة تصبح فيهن صيحات الحرب ويخرج أبو عبيدة ليحمل سلاحه) .

الى السلاح .. الى السلاح ..

خـولة : الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. الجنـة تحت ظلال السـيوف .. الى السـلاح .. الى السـلاح ..

(يعلو صوت خولة وهى تلقى تعليماتها) .

خــــولة : الى السـلاح يا صاحبات رسول الله .. يا ام تميم انطلقى بفرسك الى زوجك خالد والى اخى ضرار وابلغيهم بالأمر ، يا ام ابان بنت عتبة انتِ على فريق الرماة .. اين سلمة بنت زارع .. اين لبنة بنت حـازم .. اين مزروعة بنت عملوق .. اين مسلمة بنت النعمان ؟.

النســـوة : لبيـك .. لبيـك ..

خــــولة : رتبن النســاء فى حلقة كبيرة .. ولا ينفك بعضكن عن بعض ولا تفرقن فتملكن فيقع بكن التشتيت .. واحطمن رماح القوم واكسرن سيوفهم .. من ليس لها سلاح فلتتناول عامود خيمتها ولتضربن ارجل الخيل بها ..

(يظهر فرسان الروم ويطوفون حول حلقة النساء وتسمع اصوات الخيـل واقدامها وزئير النساء يدوى فى الفضاء وهن يضربن قوائم الخيل باعمـدة الخيام ويصحن متنمرات) :

النســـوة : الله اكبر .. الله اكبر .. الله اكبر .. سنريكم قتالنا يا علوج الروم .. الجنـة تحت ظـلال السيوف ..

(يظهر من بين صفوف الرومان قائدهم بطرس ويتقدم على حصـانه نحو حلقـة النساء ويقول) :

بطـــــرس : يا نساء العرب ان جنودى قد احاطوا بكن فالقين السلاح فلم تات لقتالكن .. يا نساء العرب انتن اسرى الآن لدى جيش الملك هرقل ولن نصيبكن بضرر وسوف تكرمن لدينا فالقين هذه السيوف والعصى .

(يرى خولة فى المقدمة تصدر الأوامر وتحمل الراية فيقول لها) :

بطـــــرس : ايتها الاعرابية .. يا حاملة الراية هل انتِ اميرة هؤلاء النسوة ؟.

(تتقدم خولة منه حاملة الراية بيد وسيفها باليد الاخرى) .

خــــولة : ماذا تريد منا يا بطرس الويل لك اليوم منا ..

بطـــرس : كيف عرفت اسمى يا حلوة ؟.

خــــولة : انت قاتل زوجـة سيدك رومانوس واطفاله .. لقد هربت منا فى بصرى واليوم لن تفلت منا ..

(بطرس يلتفت الى اخيه بولس ضاحكا ويقول مشيرا الى خولة) :

بطـــــرس : اترى هذه الاعرابيـة الجميلة الكثيرة الصراخ يا بولس .؟

بولــــس : نعم يا اخى اتريدهـا لك ..!!

بطـــــرس : إنها من الآن لى وانا لها لا يعارضنى فيها احـد .. وانتم ايها الجنـــود فلياخذ كل واحد منكم ما يشاء من هذه الغنيمة تكون اسيرته وعبدته .. اما صاحبتى هذه فلا يتعرض لها واحد باذى .

(يتقدم احد العلوج الروم من عفرة يريد الامساك بها قائلا) :

العـــلج : ايتها الجميـلة انتِ لى وانا لك .

(تضربه عفرة بعامود خيمتها على راسه فتسقطه على الأرض يسيل الدم من راســه) .

عفـــرة : وهـذا منى لك ..

(يتراجع العلج مسرعا الى صفة وهو يضع يده على راسه) .

العـــلج : ما هـذا .. يا ويلكن ما هذه افعال النساء ..

عفـــرة : هذه فعال نساء المسلمين ايها الجبناء .. لا بد لنا من قطع اعماركم وانصرام آجالكم يا اهل الكفر ..

بطـــــــرس : يا معشر الرومان .. أحيطوا بالنســوة كالسوار بالمعصـم . ولا تبـذلوا فيهن السيوف . ولا أحد منكم يقتل واحدة منهن وخذوهن أسارى ومن وقع منكم بصاحبتى فلا ينالها بمكروه ..

بولــــــس : يا أخى بطرس .. أن هؤلاء النسوة شرسات متمرات فلا يصـلح لهن الا القتل والقتال .. فلم يدن جندى من احداهن الا هاجمته بالحجارة وأعمدة الخيام وقد جرح الكثير من الجنود ..

العلج الأول : ايها الامير ان نسوة العرب لا يصلحن لنا عبدات ولا زوجات .
(يشير الى رأسه والدم يسيل منها) أنظر الى ما اصابنى منهن .. دعنا ايها الامير نقتلهن ونعود قبل أن تاتى الامدادات لهن ..
(تقف خولة خطيبة فى جموع النســاء) :

خــــــولة : يا بنات حمير وتبع .. اترضين لانفسكن علوج الروم .. ويكون اولادكن عبيداً لأهل الشرك فاين شجاعتكن وبراعتكن التى تتحدث بها عنكن فى أحيـــاء العرب ومحاضر الحضر .. ولا أراكن الا بمعزل عن ذلك .. وانى أرى القتل عليكن أهون من هذه المصائب وما ينزل بكن من خدمة علوج الروم الكلاب .

عفرة بنت غفار الحميرية . لبيك يا بنت الأزور .. نحن أهل الشجاعة والبراعة .. نحن أهل المشاهد العظام والمواقف الحسام . نحن أهل الخيل وهجوم الليل .

خــــــولة : يا بنات التبابعة والعمالقة .. ان الفرج قريب .. وكتيبة ضرار فى الطريق . فهيا ننال الفخر والشهادة .. احملن أعمدة الخيام وأوتاد الاطناب ونحمل على هؤلاء اللئام حمـلة واحدة صـادقة فلعل الله ينصـرنا ونستريح من معرة العــــرب ..
(تتقدم خولة بعامود خيمتها من بطرس فيتراجع عنها ويصيح فيها غاضبا) .

بطـــــــرس : أيتها العربية الشرسة .. اقصرى من فعالك فانى مكرمك بكل ما يسرك .. أما ترضين أن أكون أنا مولاكِ وأنا الذى يهابنى أهل الشام ولى الضـياع والاموال وأنا القائد المقرب عند الملك هرقل .. وجميع ما أنا فيه مردود إليكِ .. أما ترضين أن تكونى سيدة أهل دمشق .. فلا تقتلى نفسك يا حلوة .

خــــــولة : يا ملعــون يا ابن ألف ملعون .. والله لئن ظفرت بك لاقطعن رأســـك الفارغ .. وما أرضى أن ترعى الابل فكيف ارضاك أن تكون لى كفءا .. خذ هذا لترى قتال الاعرابية .
(تضرب قوائم حصانه بعامود خيمتها فيثور الحصان ويسقطه على الأرض فتضربه على رأسه ضربة تشج رأسه .. فيلحق به أخوه بولس ويستخلصه منها فتعود خولة الى الصف وهى تقول) :

خــــــولة : هذه المرة أصبتك من بعيــد .. ولكن اذا اقتربت اكثر قطعت رأسك .

بطــــــرس : لعنة المسيح عليكِ أيتها المجنونة .. أعطونى حصانا بدلا من هذا ..
(يقف على حصانه ويخطب فى جنوده ، قائلا) :

بطــــــرس : يا جنود الرومان .. يا من هزمتم كسرى واستعدتم منه مصر والشام أترون عاراً أكبر من هذا فى بلاد الشام أن النسوة العرب تغلبنكم فاتقوا غضب الملك وغضب المسيح عيسى بن مريم واهجموا على هؤلاء النسوة ولا تبقوا على أسيرة واحدة .. اقتلوهن جميعا ..

خــــــولة : يا صاحبات رسول الله .. الجنة تحت ظلال السيوف .. متن كراما ولا تمتن لئاما ..

نحن بنـــــات تبع وحمـــير
وضربنا فى القـــوم ليس ينـــكر
لأننـــا فى الحرب نار تســـــــعر
اليوم تسقون العـــــذاب الأكبر

(يسمع صوت خيل من بعيـد وصيحات حرب) .

الصوت من بعيد : الله أكبر .. الله أكبر .

بولـــــس : يا أخى هـذه غبرة جـاءت من بعيـد للعـرب وما احسبها الا نجـدة من خالد بن الوليـد .. فدعنا ننسحب بسـلام .

(تقترب الأصوات .. الله أكبر .. الله أكبر) .

بولـــــس : (فى قلق) يا أخى أنى أرى فى مقدمتهم رومانوس ومعه هذا الشيطان العارى.

خـــولة : إلينا يا أخى .. يا ابن أمى وأبى .. الينا يا فرسان الاسلام .. (بحماس) الله أكبر .. جاء الفرج يا نساء المسلمين .. فاضربن هؤلاء اللئام بشدة .. جاءت الكتائب المهدية .. أبشرن بالنصر ولا تدعوهم يفلتون من أيديكن ..

بطـــرس : يا معشر النسوة .. أن الشفقة والرحمة قد دخلت فى قلبى فلنا أخـوات وبنات وأمهات مثلكن . وقد وهبتكن للصليب .. فاذا قدم رجالكن فاخبرنهم بذلك .. هيا يا رجال أطلقوا سراحهن لنعود ..

خـــولة : إلىّ يا أخى ضرار .. الينا يا رومانوس قبل أن يفلت عدوك ..

بطـــرس : ويحـك .. أنتِ أخت هذا الشيطان العارى .. انطلقى الى أخيـك فقد وهبتـك له وأخبريه بكرم معاملتى ..

خـــولة : تجرى وراءه بسلاحها وتقول :

خـــولة : انتظرنى أيها الفارس الكريم حتى أرد لك هديتك ..

(يتلفت حوله مذعورا خائفا يريد الهرب بعد أن انسحب جنـوده ولم يبـق غيره فى الميـدان) .

خـــولة : ليس هذا من شيم الكرام .. تظهر لنا المحبـة والقرب ثم تظهر لنا الساعة الجفـاء والتبـاعد .

(تجرى وراءه وهو يحاول الهرب فيقول) :

بطـــرس : قد زال عنى ما كنت أجده من محبتـك .

خـــولة : لا بد لى منك على كل حال . ولو اقطع راسك واحتفظ بها .

(يتبارزان معا ويتحاوران فيضربها بطرس على راسها فتسقط على الارض وهى تصرخ) :

خـــولة : إلىّ يا ضـرار ..

(يصل اليها رومانوس قبل أن ينالها بطرس بسيفه) .

رومـــانوس : لبيك يا خولة .. أخوك قادم ورائى ..

(يصل اليها رومانوس فينقض على بطرس ويتبارزان حتى يتمكن رومانوس من بطرس ويسقطه على الارض ويضع السيف فوق رقبته ويقول) :

رومـــانوس : الآن حانت منيتـك يا بطرس .

بطـــرس : أنت والله رومانوس حاكم بصرى .. لقد سحرك هؤلاء العرب فجعلوك تترك دينـك ثم جئت تحاربنا .. أتقتل أخاك الرومانى يا رومانوس .. أما تخشى غضب المسـيح ..

رومـــانوس : لقد هدانى الله الى الاسلام .. ثم اوقعك بين يدى بعــد ان قتلت زوجتى واولادى .. فابشر بنار جهنم على يدى يا بطرس .

بطـــــرس : لقد تركت دينــك من اجل هذه الاعرابية التى لا ارضاها عبدة لى .

رومـــانوس : لقد تركت دينى فى سبيل ما هو خير منه .. فاسلم تسلم من القتــل ويكون لك ما لنا وعليك ما علينا واعفو عن قتلك لزوجتى واولادى ..

(يصل ضرار بن الازور ويسعف اخته ويسمع الحديث فيقول) :

ضـــــرار : اتعفو عنه حقا يا احمد بعـد ان قتل زوجتــك واولادك .. الحقه باخيــه بولس فقــد قتلته الآن ..

رومـــانوس : اذا اسلم فوالله اعفو عنه وانسى له قتله زوجتى واولادى .

ضـــــرار : انت وشانك فهــو اسيرك .

خـــــولة : وانا ايضــا اذا اسلم عفوت عنــه .

بطـــــرس : احقا ايها الشــيطان انك قتلت اخى بولس .

ضـــــرار : اكون شيطانا اذا كذبت عليك .. واذا لم تصدق احضرت لك راسه .

بطـــــرس : وما مصير جنــودى .

ضـــــرار : جنودك واحد من ثلاثة .. اما قتيل .. واما اسير واما هارب فى الوديان يهيم على وجهه ..

بطـــــرس : الحقونى باخى وجنودى فلن اترك دين الصليب بل اموت على ما مات عليــه اخى وجنــودى ..

رومـــانوس : (للجنود) خــذوا هذا والحقوه باخيــه .

خـــــولة : (فى زهو) الحمد لله .. انتصرنا .. لاول مرة فى تاريخ الحــروب جيش النساء يغلب جيش الرجــال .

رومـــانوس : لا يا خولة .. ان الاسلام هو الذى غلب الشرك .. فوالله لولا الاسلام لما غلبنــا الرومان ابدا .. فاذكرى الله اذا نسيت يا خولة ..

خـــــولة : صدقت والشكر لله .. ولك يا اخى رومانوس فقد انقذتنى من هذا الجبان .

رومـــانوس : لعلمك يا خولة .. اننى اعرف بطرس جيــدا .. فهو ليس جبانا كمــا تقولين .. ولكن الرومان اصبحوا لا يعرفون لمن يقاتلون ولماذا يقاتلون ونحن نعرف لمن نقاتل ولماذا نقاتل . لقد كان بطرس هذا من اشجع فرساننا .. ولم ابارزه فى مباراة او اسابقه فى سباق الا غلبنى..وهانذا منذ اسلمت ودخل قلبى هذا الدين..لم يعد احد من فرسان الروم يغلبنى .. لقد بدا لى بطرس اليوم كانه قزم بكفره وانا عملاق بايمانى .. كان هو يقاتل بفجوره وفسوقه .. وكنت انا اقاتل بصلاتى وصيامى . كان هو يقاتل من اجل الملك هرقل وعرش الملك .. وكنت انا اقاتل من اجل الله وحده .. هم حريصون على الدنيا وعلى الذهب والجوارى والنعيم .. ونحن نحرص على الشهادة .. فلا نخشى الموت بل نحرص عليه .. ومن حرص على الموت وهبت له الحياة .. هذه يا خولة هى الموعظة من كل قتالنا هذا ..

خـــــولة : اخجلتنى يا احمد بعلمك وفقهك .. والله لقد اصبحت اكثر منا فقها بهذا الدين.

ضـــــرار : كيف لا وقد تفقه على يدى شرحبيل بن حسنة وابى عبيدة الجراح لقد رايته والله يقاتل بالنهار ويسهر الليل يدرس فى كتاب الله ..

رومـانوس : الفضل كله لله .. ولأخوتنا فى الله يا ضرار .. فقد كنت أنت وخالد وخولة أول من صادقتهم فى حياتى من المسلمين وأنا الآن اتركك لأختك لتضمد لها جراحها وترتاح من جهد القتـال .. أما أنا فذاهب لأبحث فى الأسرى عن أصدقائى القدامى لادعوهم الى الاسلام ..

(يذهب رومانوس .. ويترك خولة وأخاها ضرارا . وتسود بينهمـا فترة صمت يضمد لها جراحها .. ثم يبتسم ضرار ويقطع الصمت قائلا) :

ضـرار : يا أختى الحبيبة .. لو علمت لهفة رومانوس عليك اليوم لما ترددت فى قبـوله زوجـا .

خـولة : كيف يا ضرار حدثنى بمـا عندك ..

ضـرار : لقد كنا نسير معا فى مؤخرة جيش خالد .. فاذا برومانوس يتوقف فجـاة ، ويقول لى : قلبى يحدثنى بأن الرومان قد هاجموا النساء وراءنا .. قلت له ضاحكا : أحقا قلبك يحدثك حسبت أنك تركت قلبك وراءك ..

خـولة : يا لجـرأتك يا ضرار ..

ضـرار : ولم نلبث حتى رأينا الغبرة مقبـلة نحونا وأم تميم تنطـلق كالريح وتنادى علينا .. ولم يمهلنى رومانوس ولم يصبر .. بل انطلق يسابق الريح ولهذا وصل إليكِ قبلى ..

خـولة : لقد جاء والله فى لحظة الحسم .. فقد ضربنى بطرس بسيفه على رأسى فلما رأيت الدم حسبت أن منيتى قد حانت .. ولو تأخر عنى رومانوس قليلا لكان بطرس قد قضى علىّ وقتلنى ..

ضـرار : ألا يشفع هذا كله لديك حتى تعرفى أنه صادق فى حبه لك وتقبلين زواجه ..

خـولة : أبلغه أننى قبلت زواجه ولكن بشرط واحد أخير .

ضـرار : لقد أكثرت عليه الشروط يا خولة وهو صابر عليكِ .. ولولا ثقته بنفسه وحبه لك لمل منك ..

خـولة : الشرط أن يتم الزواج بعد معركة اليرموك القادمة ..

ضـرار : ومن يدرى ربما تموتين أو يموت هو فى معركة اليرموك ..

خـولة : اذا يكون زوجى فى الجنـة والله على ما أقول شهيد ..

ضـرار : ولكن لماذا بعـد اليرموك ؟.

خـولة : لأنها فى ظنى المعركة الأخيرة التى تنهى حروب الشام كلها وتخلصـنا من الرومان فاستقر معه فى بيت كأى امرأة .

ضـرار : ما أظن ذلك يحدث يا خولة .. فالجهاد مكتوب علينا الى يوم القيامة واذا انتهينا من فتوح الشام ينزاح المسلمون لفتوح مصر وأفريقيا والأرض كلها .. وما أظنك تقعدين فى بيتك كغيرك من النساء .

هذا أمر مكتوب علينا .. فهل يا ترى تؤجليه بعد ذلك ..

خـولة : لا ... لن أؤجل بعد اليرموك ان شاء الله .. له علىّ عهد الله بذلك .



ابن خلدون

مقنن التاريخ ومؤسس علم الاجتماع

الاستاذ : عزت محمد ابراهيم

كان التاريخ قبل ابن خلدون فنا من فنون الادب ولونا من الوان الكتابة الانشائية ، يعنى فيه بجمال السرد ، وانتقاء العبارة ، وتزويق اللفظ ، وتنميق الكلام ، ثم سرد الأحداث التاريخية كما وقعت ، أو كما تصورها صاحبها ، ففى سنة كذا حدث كذا وكذا من الاحداث ، ثم دخلت سنة كذا ، فحدث غيرها او مثيلها ، وهو نمط لا يكاد يتغير فى كتب التاريخ ، الا ان يختلف اسلوبه بين كاتب وكاتب ، ويتراوح بين الركاكة والاجادة ، بما يختلف على العصور من رقى وانحطاط .

وانشا ابن خلدون من التاريخ علما يغوص فى اعماقه ، ويحلل احداثه ويسبر اغواره ، ولا يكتفى فيه بالسرد المجرد ، علم هو عنده (نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقـ واسبابها عميق ، فهو لذلك اصل فى الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد فى علومها خليق) .

واختلف الناس فى تفسير ما عناه ابن خلدون بكلمة (علم) ، راى بعضهم انه كان يعنى بها العلم كما نفهمه نحن اليوم : نظرا ودرسا واستقراء واستنباطا ، ورأى البعض الآخر انه ما كان ليخطر على باله مثل هذا المعنى للعلم ، وان كل ما كان يعنيه هو العلم بمعنى المعرفة .

نظر اصحاب الراى الاول الى ما صاحب لفظ ابن خلدون من تفسير له ، وما اقترن به من الفاظ عن التعليل والكيفية ، فلم يستكثروا عليه ان يكون قد فطن الى مدلول العلم باوسع نطاقه ، ونظر اصحاب الراى الثانى الى ظاهر اللفظ دون سواه ، واستكثروا على عربى ان ينشىء علما او يستنبط منهجا .

وكان من اصحاب الراى الاول (دى سلان) و (سارتون) ، وقد ترجم (دى سلان) مقدمة ابن خلدون ، فنقل كلمة (علم) بمفهومها العلمى الحديث ،

وتحدث عنه (سارتون) فى كتابه (مدخل لتاريخ العلم) فقال : انه من المدهش أن يكون ابن خلدون قد توصل فى تفكيره الى ما يسمى اليوم بطريقة البحث العلمى ، أما اصحاب الراى الثانى فقد كان منهم طه حسين الذى راى ان (دى سلان) قد اخطأ فى ترجمة كلمة (علم) عند ابن خلدون وانه أسرف فى اعطائها مفهوم العلم فى العصور الحديثة ، وان ابن خلدون لم يكن يقصد بها سوى مفهوم المعرفة .

وقد يكون راى طه حسين صحيحا ، ولكننا لا نستنبط تجديد ابن خلدون للتاريخ ، أو انشاء علمه انشاء ، من لفظة قالها ، يختلف الناس فى تفسيرها ، وانما نستنبط ذلك من جملة رايه فى التاريخ ، وعامة قوله فيه ، اما الوقوف عند ظاهر لفظة واحدة نريد أن نستنتج منها نتيجة ، أو نقرر بها رأيا ، فهو جهد لا يستقيم ، وعبث لا طائل من ورائه .

واذا كان لا بد من رد على طه حسين ، فقد تكفل به (ايف لاكوست) فى كتابه عن ابن خلدون بقوله : إن « المهم أن يكون قد صدر عن ابن خلدون فى القرن الرابع عشر الميلادى تصور للتاريخ لا يزال يحتفظ الى يومنا هذا بطابعه العلمى » .

واذا كان ابن خلدون قد صدر عنه هذا التصور العلمى للتاريخ ، فانه قد وضع أسس علم جديد كل الجدة ، ذلك هو علم الاجتماع ، وهو مدار بحثه فى كتابه (العبر وديوان المبتدا والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر) الذى يعده هو نفسه علما مستقلا قائما بذاته موضوعه (العمران البشرى والاجتماع الانسانى) .

وقد تعرض ابن خلدون فى هذه المقدمة الى موضوعات فى هذا العلم ظن العلامة (دور كايم) بعد خمسة قرون انه أول من فطن اليها ، ودرس ظواهرها ، وحلل اسبابها ، فقد تحدث ابن خلدون عن الظواهر المتصلة بطريقة التجمع الانسانى واثر البيئة الجغرافية فيها ، وفى غيرها من شئون الاجتماع ، وهو ما سماه (دور كايم) (المورفولوجيا الاجتماعية) ، وحسب انه اول من درس ظواهرها ، وعلل عللها .

ولم يكن للناس قبل امرن خلدون عناية بربط الاسباب بمسبباتها فيما يتعلق بظواهر العمران والاجتماع ، وتقنين القوانين لها ، انما كانت عندهم مجرد ظواهر لا تخضع لقانون ، ولا ترتبط بعلة ، ولا يتقدمها سبب يؤدى الى نتيجة .

ولم يكن للناس قبل ابن خلدون عناية بربط الاسباب بمسبباتها فيما والجغرافيا وعلم الحياة والرياضة ، اما ظواهر العمران والاجتماع ، أو علم الاجتماع فلم يكن لهم بقوانينه معرفة أو علم .

والظواهر الاجتماعية هى مجال البحث فى علم الاجتماع ، وهى متقلبة لا تثبت على حال فى الأمة الواحدة ، ولا تتشابه لها أحوال فى الامم المختلفة ، فالعادات والتقاليد ، والمثل والقيم والمقاييس هى فى تغير دائم فى المجتمعات المختلفة ، وما يعتبر خيرا فى مجتمع قد يعد شرا فى غيره ، وما يستحسنه اناس فى امة ، قد يستهجنه غيرهم فى امة سواها .

ومن هنا كانت الصعوبة التى تعرض لدارس علم الاجتماع ، ولا تعرض لغيره من دارسى العلوم الأخرى ، بما لها من ثبات واستقرار فى ظاهرها وخافيها .

وقد انتهج ابن خلدون فى بحث الظواهر الاجتماعية النهج الذى لا يزال حتى اليوم أساس علم الاجتماع ، فهو يدرس ظواهر الشعوب التى عاش بين ظهرانيها ، وعرف طباعها ، وخبر أحوالها ، ثم يوازن بينها وبين ما عرف من أشباهها ونظائرها من بطون الكتب ، وسرد التاريخ ، ليصل من ذلك الى معرفة ما تخضع له الظواهر من قوانين ، أو ما يسميه بالأعراض الذاتية .

وكأنما كانت مباحث ابن خلدون فى علم الاجتماع سابقة لأوانها ، متقدمة على تفكير عصره ، فلم يتابعه أحد من المفكرين فى آرائه ، أو يستمد منها آراء جديدة تعمل على انمائها وذيوعها ، فوقفت حيث هى ، وظلت مجهولة من الباحثين مدى قرون من الزمان فى الشرق والغرب على السواء ، فلم يكد يعرف الغرب عنه شيئا الا فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى حين نشر المستشرق الفرنسى (دى ساسى) ترجمة لابن خلدون مع ترجمة لبعض اجزاء من المقدمة ، أما ما سبق ذلك من ترجمة له فى (دائرة معارف دربلو) فلا تعد بداية لمعرفة الغرب به ، فقد كانت موجزة حافلة بالأخطاء ، واعقب ترجمة (دى ساسى)ما قام به (كاترمير) من نشر المقدمة كاملة بنصها العربى فى منتصف القرن التاسع عشر ، قبل ظهور طبعة بولاق بعشر سنوات ، وما قام به (دى سلان) من ترجمة كاملة لها باللغة الفرنسية ، ومنذ ذلك الحين بدأ الاهتمام الحقيقى بابن خلدون .

واذا تركنا النتائج التى توصل اليها ابن خلدون فى علم الاجتماع ، واتجهنا صوب أوروبا ، رأينا ان دراسة مفكريها له قد بدأت من نقطة البداية التى لم يستفيدوا منها بآراء غيرهم ، وانما اختلفت دراساتهم فيه عن دراسة ابن خلدون فى نظرة الشمول والعموم التى نظر بها الى ظواهر الاجتماع ، فامتاز عليهم بذلك ، حين تناولت كل فئة منهم ناحية من نواحى الاجتماع تدرسها وتحلل ظواهرها ، فمن دراسة التاريخ وفلسفته على يد (فيكو) الايطالى ، الى دراسة ظواهر ازدياد السكان ونموهم على يد (مالتس) الانجليزى ، الى دراسة الطبقة الاجتماعية على يد (كيتيليه) البلجيكى ، الذى اهتم بالاحصاء الخلقى فى الأحوال والظروف المختلفة ، وفى الامم والشعوب المتباينة ، وكان له أثره الواضح فى (أوجست كونت) الذى نفترض فيه انشاء علم الاجتماع .

ونفترض هذا الفرض لانه لم يصل ابحاثه بابحاث ابن خلدون ، ولأنه اهتدى الى بعض نتائجه غير متأثر به ، ولا ناسج على منواله ، ثم لا نمضى فى هذا الفرض الى غاية بعد هذه الغاية ، لأن من الثابت المحقق ان ابن خلدون قد سبقه الى ذلك .

ولهذا نجد لعلم الاجتماع شأنا يختلف عن غيره من العلوم التى تأثرت فيها أوروبا بالعرب ، وانتفعت بمآثرهم فيها ، وانما بدأ علماؤها فى بحوثه بداية جديدة مستقلة ، واعتقد — لهذا السبب — ان الذين يقولون بانشاء (اوجست كونت) لعلم الاجتماع هم على شىء من الصواب ، وهو صواب لا يضيع معه حق ابن خلدون ، فـ (أوجست كونت) انشأ علم الاجتماع فى الغرب ، وابن خلدون انشاه فى الشرق ، وكلاهما قد سلك سبيلا غير سبيل صاحبه ، ثم التقيا معا على غاية واحدة ، ويظن لابن خلدون فضل

السبق على (أوجست كونت) بمدى خمسة قرون من الزمان ، دليلا على مقدرة العقلية العربية وامتيازها ، وردا قويا على زعم الذين يقولون بقصور الحضارة العربية عن الابتداع والابتكار ، أو الاتيان بالجديد المبتكر .

واذا كان (أوجست كونت) هو منشىء علم الاجتماع فى رأى البعض ، فما اكثر من يرى أن ابن خلدون وحده هو منشؤه دون سواه ، فهو لم ينسج على منوال أحد سبقه فيه ، ولم يترسم خطى باحث مهد له طريقه ، وعكس ذلك كان شأن (كونت) فقد شق له طريقه (كيتيليه) البلجيكى ، و (كوندورسيه) و (مونتسكيو) الفرنسيان .

وهذا باب من أبواب القول فى ابن خلدون ، يحسن أن نعرض له بشىء من التفصيل ، فأصحابه من غير العرب ، وهذا أدعى الى الاطمئنان الى اقوالهم ، والركون الى أحكامهم ، ونتائج أبحاثهم .

من هؤلاء (لودفيج جمبلوفتش) الذى حلل نظريات ابن خلدون ، واثبت أنه سبق (كونت) الفرنسى و (فيكو) الايطالى فى دراسة الظواهر الاجتماعية ، وخلص من درسه وتحليله الى القول بأن ما كتبه هو (ما نسميه اليوم علم الاجتماع) .

ويؤيد (لودفيج) فى اعتبار ابن خلدون مؤسسا لعلم الاجتماع كل من (فريرو) الايطالى ، و (ليفين) الروسى ، أما (كولوزيو) فقد قال أن الفضل فى تقرير مبدأ الحتمية الاجتماعية الذى يقوم عليه علم الاجتماع الحديث ، يعود الى ابن خلدون قبل (أوجست كونت) ومدرسته .

ويشير العلامة فارد الامريكى فى (علم الاجتماع النظرى) الى الاتجاه الخاطىء الذى يقول بأن (مونتسكيو) و (فيكو) كانا اول من عرف مبدأ الحتمية الاجتماعية ، ويصحح هذا الخطأ بقوله : إن ابن خلدون قد اثبت خضوع الظواهر الاجتماعية لقوانين ثابتة قبل هذين بزمن طويل .

ويقول العلامة (سميث) فى كتابه عن (ابن خلدون : عالم الاجتماع والمؤرخ والفيلسوف) : إنه قد قطع آمادا فى علم الاجتماع لم تتحقق لـ (كونت) فى القرن التاسع عشر ، وان (كونت) واصحابه لو كانوا قد اطلعوا على ما حققه ذلك العبقرى فى هذا العلم ، لتيسر لهم التقدم فيه بسرعة أوسع خطى ، ولحققوا فيه تقدما ابعد مدى . وهو يرى فى تحليل آرائه ودرس نظرياته انه قد اهتدى الى نظرية الاجيال الثلاثة الخاصة بنهوض الأسر وانحلالها ، قبل أن يهتدى اليها (أوتوكار لورنتس) فى أواخر القرن التاسع عشر .

أما العلامة الاسبانى (التاميرا) فيقول عنه فى كتابه (تاريخ اسبانيا والحضارة الاسبانية) :

« يكفى ابن خلدون عظمة أن يكتب مقدمة تاريخه فى القرن الرابع عشر ، حين كانت الدراسات التاريخية غاية فى النقص والبعد عن الموضوعية ، وان يدرس ابن خلدون فى مقدمته كل المسائل التى غدت فيما بعد أهم ما يشغل المؤرخين المحدثين » .

ثم يصف مقدمة ابن خلدون بقوله :

« انها مؤلف فى الاجتماع والفلسفة التاريخية ، لم يفقه حتى يومنا هذا اى مؤلف آخر » .



كتاب الشهر

بين العقيدة والقيادة

تأليف : اللواء الركن
محمود شيت خطاب
عرض وتحليل :
الأستاذ محمد عبد الله السمان

هذا الكتاب الجديد الذى نشرته دار الفكر فى بيروت للمفكر الاسلامى . والمجاهد العربى اللواء الركن محمود شيت خطاب يقع في اكثر من خمسمائة وخمسين صفحة من القطع الكبيرة ، ولن يكون الا من تحصيل الحاصل اذا قلنا : ان المؤلف الجليل غنى عن التعريف ، فقد أثرت المكتبة الاسلامية والعربية بعشرات الدراسات التى هى على جانب من الاهمية ، فى الشئون العسكرية الفنية ، وفى التراجم لقادة الفتح الاسلامى ، وفي العسكرية التاريخية ، وفى السياسية العسكرية ، وفى اللغة العسكرية ، وفى التراث العسكرى العربي الاسلامى .

لقد كتب مقدمة الكتاب فضيلة استاذنا الشيخ محمد أبى زهرة فى زهاء عشرين صفحة ، والحقيقة أنها مقدمة لها مغزاها ودلالتها ، وكان مما ذكره : أن المؤلف قد جمع الله له صفات أربعا : أولها — الاخلاص فى القول والعمل . وثانيها — الادراك الواسع ، وثالثها — الإيمان الصادق بالله عز وجل ورسوله — صلوات الله عليه ، ورابعها — الهمة العالية والتجربة الماضية والخبرة بالعلم والحروب ، وازاء هذه الصفات الاربع الجوامع التى توافرت فى شخصية المؤلف ، لا أرى مكانا للمزيد من القول ، الا أن أشير الى أن القارىء الذى تابع ما كتبه

المؤلف يشمله احساس صادق بأن المجاهد العربي لا يكتب الا عن عقيدة وغيرة : عقيدة يتجلى فيها ايمانه بالحركة الاسلامية ايمانا مطلقا لا حدود له ، وغيرة تتجلى فيها آلامه لما وصل اليه الاسلام من انزواء ، وما وصلت اليه الأمة الاسلامية اليوم من وضع مهين يكاد يطمس أمجد ماض لها على مسار عدة قرون .

وكتب المؤلف مقدمة موجزة للكتاب فى بضع صفحات عن بداية حياته العسكرية ، وبالرغم من هذه الصفحات المعدودة الا أن المؤلف قال فيها كل شىء ، ولقد بدأت بقراءتها وما أن انتهيت منها ، حتى اصبت بشبه دوار ، وكان من العسير أن أواصل قراءة الكتاب الا بعد أن التقط انفاسى ، فالتربية العسكرية فى بلد عربى مسلم تؤكد أن مقاييس النجاح للضابط بعد تخرجه أن يكون مستعذبا للموبقات الثلاث : الخمر والميسر والنساء ، وليس العقيدة والاخلاص والاخلاق الذاتية النبيلة ، حتى التقارير السرية التى يرفعها القواد عن الضباط الصغار كانت تتضمن عن أصحابها مدى تجاوبهم مع تلك الموبقات الثلاث ، أما التدين فى نظر التربية العسكرية فى بلد عربى مسلم فهو مظهر من مظاهر التخلف الذى لا يليق بضابط عسكرى .. الحقيقة أننى التمست فى هذه المقدمة نهاية للحيرة التى طالما أرقتنى ، فالهزائم التي لحقت ولا تزال تلحق الامة العربية والاسلامية ، من أبرز اسبابها التربية العسكرية التى ترفعت عن الدين والخلق فهبطت الى الحضيض .

— ● —

مهد المؤلف لهذه الدراسة المستفيضة ببحثين طويلين فى أكثر من ثمانين صفحة .

الأول عن العقيدة ، تناول فيه العقيدة والقيادة ، واشار الى : أن الانسان لا قيمة له من الناحية العسكرية ، بدون عقيدة تجمع شمله وتوحد صفوفه، وتشيع فيه الانسجام الفكرى الذى بدونه لا يتم تعاون ولا اتحاد ، وأن روح الانسان اغلى ما يملكه الانسان ، فمن المستحيل أن يضحى بها مقبلا غير مدبر الا اذا كانت لديه عقيدة راسخة وأهداف سامية ، كذلك عرض المؤلف للتراث العربى الاسلامى فى العلوم العسكرية ، فدحض الشبهة التى روجها أعداء الاسلام من المفكرين الصليبيين وغيرهم ، والتى تتلخص فى أن الفكر الاسلامى فقير فى العلوم العسكرية ، مع أن أوروبا نفسها اقتبست من العرب هذه العلوم ، وأن مكتباتها ومتاحفها . ومكتبات المخطوطات العربية فى شتى أصقاع العالم تزخر بعشرات من تراث المسلمين فى هذا المضمار ، وقد اكتفى المؤلف بالاشارة الى خمسة كتب مقتصرا على ما ورد فيها عن صفة (العقيدة) من بين صفات القائد الاخرى ، وهى : « مختصر سياسة الحروب » للهرثمى الذى عاش الى ما بعد عام ٢٤٣ هـ ، و « الاحكام السلطانية » للماوردى المتوفى عام ٤٥٠ هـ و « السياسة الشرعية » لابن تيمية المتوفى عام ٧٢٨ هـ ، و « الاحكام السلطانية » لأبى يعلى المتوفى عام ٤٥٨ هـ ثم « الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية » لابن منكلى ، الذى كان نقيب الجيش فى سلطنة الاشرف شعبان على مصر ٧٦٤ ــ ٧٧٨ هـ ، كذلك تناول المؤلف فى هذا البحث شخصية القائد الغربى (مونتكومرى) الذى أحرز أعظم الانتصارات العسكرية فى الحرب العالمية الثانية ، فسلط عليه الاضواء ليكشف عن صفة العقيدة

الدينية فيه ، ليصحح ما علق بالاذهان ـ أذهان ـ العسكريين العرب والمسلمين بأن العسكريين المحدثين في الغرب والشرق لا يهتمون بالعقيدة والمثل العليا ..

أما البحث التمهيدي الثاني ، فقد كان عن (الاسلام والنصر) فعرض لأثر الاسلام في العرب سياسيا واجتماعيا واقتصاديا مهتما بأثر الاسلام بالعرب في الناحية العسكرية ، أثره في مجال التربية العسكرية ، فالاسلام لم يكتف ببناء الرجال ليكونوا أعضاء نافعين في جيش المسلمين ، أو باعداد جيش المسلمين ماديا ومعنويا ، بل حرص على تطبيق (الحرب العادلة) في الجهاد .



قسم المؤلف هذه الدراسة القيمة المستفيضة ـ في مجال التطبيق العملي ، الى ست مراحل من مراحل الفتح الاسلامي ، منذ مطلع فجر الاسلام الى أن فتح المسلمون القسطنطينية عام ٨٥٧هـ بقيادة محمد الفاتح ، وما حدث بعد ذلك من فتوحات للمسلمين في آسيا وأوروبا ، فالمؤلف اذن قد أرخ للفتوحات الاسلامية مع مسار زهاء تسعة قرون ، تأريخا شاملا مبرزا من خلاله دور العقيدة الاسلامية ومثالياتها الاخلاقية في احراز النصر .

● المرحلة الاولى : « التطبيق العملي في عهد النبوة » مع مستهل القائد ـ صلوات الله عليه ـ في مكة ، في الهجرة ، في المدينة ، في الجهاد ، ومع الصحابة ، في مكة حيث التعذيب ، وفي الحبشة حيث الهجرة الى الله ، وفي المدينة حيث المجتمع الجديد ، وفي بدر واحد ، ويوم الاحزاب ، ويوم الحديبية ..

● المرحلة الثانية : « التطبيق العملي في أيام الفتح الاسلامي العظيم » مع الصحابة والتابعين ، تناول المؤلف في هذه المرحلة المخطط الاول للفتح : وبعث أسامة وحرب الردة ، وفي اليرموك والقادسية ، وفي المدائن وفي أفريقية وفي الاندلس ، وقدم لنا المؤلف نماذج بطولية من القيادات العسكرية : البراء بن مالك الذي زحف في معركة فتح (تستر) بين المسلمين والفرس مائة زحف ، فاستشهد في آخرها ، والنعمان بن مقرن المزني ، الذي قاتل في معركة (نهاوند) حتى استشهد ، فتناول الراية أخوه (نعيم) قبل أن تقع ، وسجى النعمان بثوب ، وكتم مصاب أخيه حتى لا يؤثر في معنويات رجاله ، وكان أن انتصر المسلمون ، وعبد الرحمن بن ربيعة الباهلي الذي قاتل في (بلنجر) ببلاد الخزر حتى استشهد .

● المرحلة الثالثة : « التطبيق العملي بعد الفتح الاسلامي العظيم » وقد اختار المؤلف لهذه المرحلة نموذجه من شخصية (أسد بن الفرات) فاتح (صقلية) وقدمه الينا : عالما وفاتحا وانسانا وقائدا ، ثم مكانه في التاريخ حيث كان اماما من ائمة المسلمين ، وشيخا من شيوخ الافتاء ورئيسا من رؤساء القضاة ، وحيث كان أول من جمع القضاء والقيادة في افريقية ، كما يذكر له التاريخ : أنه قدم روحه ضحية من أجل اعلاء كلمة الله ، فخضب أرض صقلية بسيل من دمه الطاهر .

● المرحلة الرابعة : « التطبيق العملي بعد الفتح الاسلامي العظيم » أيضا ، تناول المؤلف في هذه المرحلة الحروب الصليبية التي واجهتها البلاد الاسلامية ، واختار نموذجه من شخصية القائد البطل .. صلاح الدين الايوبي ، قاهر الصليبيين

ومحرر بيت المقدس ، هذا القائد الاسطورى لم يحظ بتقدير المؤلفين العرب والمسلمين فحسب ، بل بتقدير المنصفين من المؤلفين الغربيين القدامى والمحدثين ، الصليبيين وغير الصليبيين ، وحتى الذين حاربوه من الافرنج ، قوموه وقدروا له فضله وشجاعته ، واعجبوا أيما اعجاب بمزاياه الحميدة وخصاله الفذة .

● المرحلة الخامسة : « التطبيق العملى بعد الفتح الاسلامى العظيم » ـــ ثالثا : تناول المؤلف فى هذه المرحلة حروب التتار التى اكتسحت أمامها بلاد المسلمين ، واختار نموذجه من شخصية القائد الفذ (قطز) قاهر التتار ، وقد ركز المؤلف على أسباب النصر ، ورأى أن كل الحسابات العسكرية تجعل النصر الى جانب التتار بدون أدنى شك ، سواء فى مجال الخبرات العسكرية أم فى مجال معنويات الجيش ، بالمقارنة بين التتار والمسلمين ، اذن فهناك أسباب أخرى جعلت جيش المسلمين يحرز النصر ، من أبرزها التوعية الدينية لقطز من علماء الدين وعلى رأسهم المعز بن عبد السلام ، وارادة القائد قطز التى تجلت بأجلى مظاهرها فى التصميم على خوض المعركة مع التتار مهما تحمل من مشاق وتضحيات ، وايمان قطز بالله واعتماده عليه ومن خلفه المجاهدون الصادقون .

● المرحلة السادسة : « التطبيق العملى بعد الفتح الاسلامى العظيم » رابعا : وفى هذه المرحلة تناول المؤلف (فتح القسطنطينية) واختار نموذجه من شخصية (محمد الفاتح) الذى خاض معركة المواجهة مع البيزنطيين ، حتى أنهى امبراطوريتهم فى الشرق ، وحيث لقى (قسطنطين) آخر أباطرتهم ـــ مصرعه تحت أقدام الجيش الاسلامى المجاهد بقيادة (محمد الفاتح) والمحاولات العديدة لفتح هذه القلعة المحصنة ، والتى بدأت منذ خلافة عثمان ، وتكررت فى عهود الخلافة الاموية ، والخلافة العباسية وسلاطين آل عثمان قبل محمد الفاتح ، هذه المحاولات العديدة التى لم تحرز توفيقا فى قهر القسطنطينية ، تجعلنا نقف خاشعين أمام قائد مسلم من طراز نادر ، وقد كانت أخلاقيات هذا القائد مع عقيدته الراسخة عاملا من أبرز عوامل النصر العظيم .

—●—

أما خاتمة المطاف فى هذه الدراسة التاريخية المستفيضة ، فهى الخاتمة المستفيضة أيضا ، والتى ختم بها المؤلف الكتاب فى ثمانين صفحة ، حيث ركز فيها ـــ فى تحليل دقيق ـــ على الصفات التى يجب أن تتوافر فى القائد وفى شتى القيادات وبخاصة القيادة العسكرية ، فأشار الى أن التزام القائد بالمثل العليا ضرورى . وهذه المثل العليا التى هى العقيدة الصالحة ، هى من مزايا القائد المنتصر عسكريا ، وهى من سمات القائد المدنى الناجح ، فلا نصر فى الحرب ولا نجاح فى السلم بدون عقيدة ، ولعل الذين دققوا بامعان ـــ كما يقول المؤلف ـــ فى سيرة قادة العرب والمسلمين الفاتحين فى أيام الفتح الاسلامى العظيم وبعده ، قد وجدوا أن (القاسم المشترك) فى صفاتهم جميعا ، هو تمسكهم بتعاليم الدين الحنيف ، ورغبتهم الصادقة فى اعلاء كلمة الله ، كانوا أبطال الاسلام لا أبطال شعوبهم التى ينتسبون اليها ، وكانت الفكرة الاسلامية تملأ نفوسهم ومشاعرهم ، ولم تكن تحدوهم فى جهادهم أية فكرة قومية أو عنصرية أو اقليمية ، فاذا نحن أسبغنا على أولئك القادة الفاتحين والمنتصرين أو

على مشاريعهم وأهدافهم وجهادهم فى سبيل الله اى صفة أخرى غير الصـفة الاسـلامية ، واذا نحن نسبناها الى بواعث قومية أو عنصرية او اقليمية ، فاننا بذلك نجنى على سير هؤلاء الابطال الاسلاميين العظام ، اذ نجردهم من أروع الحوافز البطولية واشرفها ، كما نجنى على الواقع وحقائق التاريخ .. !



وبعد ،

فان المؤلف الجليل استطاع أن يقنع المثقف العربى والمسلم — فى هذه الدراسة المستفيضة — بأن العقيدة من أهم صفات القائد المنتصر، لا فى تراثنا فقط ، بل فى المصادر العسكرية الحديثة المعتمدة أيضا ، كما استطاع أن يصحح ما علق بأذهان العسكريين العرب والمسلمين وغير العسكريين ايضا ، بأن العرب والمسلمين القدماء ، يهتمون بالعقيدة وحدهم ، وأن العسكريين المحدثين فى الغرب والشرق لا يهتمون بالعقيدة والمثل العليا .. وأمل المؤلف — فى الله عز وجل — بعد ذلك — أن يعيد الذين يحبون بكل جوارحهم أن يستعيدوا حقوق العرب فى الارض المقدسة ، الى طريق الحق والصواب ، وقطع دابر الانحلال الخلقى والميوعة والضياع الذى يعانيه العسكريون فى هذه الظروف العصيبة ، وهم فى حرب عصيبة مصيرية أصابت شرفهم وبلادهم بأفدح الخسائر والاضرار ، وذلك بالعودة الى عقيدتهم ومثلهم العليا ، اذ لم يغلبوا من قلة أشيائهم ، ولكن من ضعف عقيدتهم .. !

ولئن كان المؤلف فى هذه الدراسة المستفيضة ، مؤرخا راعى أمانة التاريخ فى كل ما سجل قلمه ، ومعلما ، قدم لنا دروسا على جانب من الاهمية من خلال تحليله للاحداث التى سارت مع مسار الفتوحات الاسلامية ، فان ما كنت أوده ، هو اهتمام المؤلف اكثر بواقع الامة الاسلامية المعاصر ، وهو واقع يفيض بالآلام ، لتدرك الشعوب المسلمة المغلوبة على أمرها اليوم ، كم جنت عليها قياداتها العسكرية والمدنية التى تخلت عن عقيدتها ، وأسلمت ارادتها لصداقات الغرب الصليبى والشرق الالحادى على السواء .. أما الاسلام فلم يصبح لديهم الا مجرد شعارات يلوحون به فى المناسبات للاستهلاك .. وليس الا .. وحسبنا الله وحده .. !



مركز المرأة

للدكتور أحمد الحجي الكردي

لقد حظي مركز المراة عبر التاريخ باهتمام كبير لدى العلماء والباحثين في الحقول الاجتماعية والقانونية والدينية ، ولم لا فالمراة نصف المجتمع أو اكثر من نصفه عددا في كثير من الاحيان . وقد اختلفت نظرة هؤلاء العلماء والدارسين الى المراة عبر العصور اختلافا كبيرا ، فمنهم من كان يهبط بالمراة الى الحضيض حتى يسلخها عن طبيعتها البشرية ، ومنهم من كان يرتفع بها وينصفها بعض الشيء فتنال بعض التكريم والاحترام .

ولكن كل الدراسات الماضية السابقة على الاسلام لم تستطع ان تحل المراة محلها اللائق بها ، ولم توصلها الى حقوقها المشروعة التي تستحقها ، وذلك حتى بزوغ فجر الاسلام الذي انصف المراة واحلها المحل اللائق بها في المجتمع .

وفيما يلي عرض لمجمل حال المراة ومركزها لدى الامم السابقة على الاسلام ، ثم عرض موجز ايضا لمركزها في الاسلام ، ومن ذلك يظهر مدى تكريم الاسلام للمراة وانصافه لها .

اولا : المراة لدى الامم القديمة السابقة على الاسلام :

أ ـ لدى اليونان :

لقد كانت المراه لدى اليونان تسمى رجسا من الشيطان ، فهي بعيده عن رحمة الله تعالى لحملها خطيئة حواء أمها العليا، وهي محرومة لذلك عندهم من كافة حقوقها المدنية كالبيع والشركة وغير ذلك .. كما انها محرومة من حق الارث من أي من أقاربها ، ذلك أن حق الارث عندهم وقف على الذكور دون الأناث .

هذا حال المرأة لدى قدماء اليونان ، ولكنه تحسن بعض الشيء في أواخر أيامهم حيث منحت المراة بعض الحقوق وسمح لها بالاتصال بالرجال الا أن المراة اليونانية لم تكن حسنة الحظ بذلك فهي لم تكد تتمتع بهذه الحرية لبعض الوقت حتى أفل نجم الحضارة اليونانية وزالت شمسها .

ب ـ لدى الرومان :

لم تكن المراة الرومانية بأحسن حظا من المراة اليونانية ، فالنظام الابوي لدى الرومان شديد الوطأة على المرأة والرجل معا حيث السلطة على الاسرة كلها بيد الاب وحده لا يشاركه فيها احد ، وهي سلطة مطلقة ، الا أن الابن الذكر سرعان ما يتحرر من هذه السلطة بوفاة أبيه فيصبح بذلك رب

اسره جديده تضم ابناءه وبناتـــه وابناءهم ، لكن المراة حبيسه هــذا الظلم الى الابد فهى ان مات ابوهــا انتقلت السلطه عليها منه الى احيها او الى زوجها ان هى تزوجت . وبذلك تبقى أسيره مهضومه الحقوق طيلــه حياتها .

جـ ـ لدى شريعة حمورابى :

اما المراة فى شريعه حمورابى فهى كالماشية تماما من حيث مركزهــا الاجتماعى ، لا تفترق عنها فى شىء ، ولذلك فان على من يقتلها ان يقــدم بنتا غيرها بدلا عنها الى وليها أو يقدم قيمتها ، وفى ذلك نهاية الامتهان لها .

د ـ لــدى الهنــود :

والمراة لدى الهنود قاصرة طيلــة عمرها ، ولا تملك شيئا من أمرها ، بل كل حقوقها واموالها منوطة بزوجها فاذا مات زوجها حكم عليها بالاعدام واحرقت معه وكأنها قطعة حقيقية منه تابعة له .

هـ ـ لــدى اليهود :

اما المراة لدى اليهود فهى لعنــة ينبغى التحرز منها والابتعــاد عنها وعدم ائتمانها على سر أو أمر ، وقد جاء فى التوراة تحذيرا منها (المراة اشد من الموت) .

و ـ لدى المسيحيين :

والمراة لدى المسيحيين حالها امتداد لحال المراة لدى كثير من الأمم السابقة على المسيحية فهى عندهم تحمل لعنة امها العليا حواء الى يوم القيامة ، وقد جاء التحذير منها فى نصوص دينية كثيرة معتمدة لدى المسيحيين اهمها :

١ ـ قول القديس ترتوليان : (أنها مدخل الشيطان الى نفس الانســان ، ناقضة لنواميس الله) .

٢ ـ وقول القديس سوستــام : (انها شر لا بد منه ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ، ومصيبة مطلية مموهة) .

٣ ـ وفى القرن الخامس الميلادى اجتمع مجمع (ماكون) للبحث فى مسالة (هل المراة مجرد جسم لا روح فيه ؟) وبعد البحث قرر المجمع (انها خلو من الروح الناجية من عـــذاب جهنم ما عدا أم المسيح) .

٤ ـ كما عقد الفريسيون عـــام /٥٨٦/م مؤتمرا قرروا فيه (أنهــا انسان خلق لخدمة الرجل فحسب) .

٥ ـ ثم ان القانـــون الانجليزى المسيحى البروتستانتى حتى عـــام /١٨٠٥/م كان يبيح بيع الزوجات .

٦ ـ اما الثورة الفرنسية التــى تفخر بها اوربا المسيحية وتعتبرهــا منطلق التحرر فى العصر الحــديث فانها اعتبرت المراة انسانا قاصرا ، وهذا اقصى ما وصلت اليه المــراة المسيحية من الحقوق .

ز ـ لدى العرب فى الجاهلية :

واما المراة لدى العرب فى الجاهلية فاننا نستطيع ان نحدد مركزها من خلال الاحكام التاليــة التى كــانت تعيشها :

١ ـ محرومة من حق الأرث مطلقا لان الارث قاصر على الرجال عندهم .

٢ ـ يجوز للزوج طلاق زوجته فى اى وقت من غير عدد معين ، وله أن يراجعها فى اى وقت أيضـــا دون رضاها ، وليس لها هى مثل هــذا الحق .

٣ ـ ليس للزوجات عدد معين ، فيجوز للزوج أن يتزوج بعشرة او عشرين أو اكثر من ذلك .

٤ ـ الزوجة تعتبر جزءا من تركة زوجها ، فاذا مات ورثها ابناؤه من غيرها مع تركه ، ثم لهم بعد ذلــك أن يتزوجوها أو يزوجوها من يشاؤون وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك فى معرض النهى عنه فقال تعالى (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) .

٥ ـ وأد البنات كان منتشرا فى كثير من قبائل الجزيرة العربية خشية

الفقر أو خشية العار . وقد سجل القرآن الكريم على العرب ذلك فقال تعالى (واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) .

٦ ــ البنت شيء مكروه يستعاذ بالله تعالى منه ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : (واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، الا ساء ما يحكمون) .

٧ ــ شيوع نكاح الاستبضاع ، وذلك بارسال الزوج زوجته بعد استبرائها الى أحد زعماء القبائل المعروفين بالشجاعة والقوة ومكارم الأخلاق لتحمل منه ثم تعود الى زوجها بعد ذلك ، وذلك طلبا لنجابة الولد ــ على حد زعمهم .

٨ ــ عموم نكاح الشغار بينهم وهو أن يزوج الرجل ابنته من آخر على أن يزوجه الآخر ابنته مقابلا لذلك ، أو أخته باخته .. فتكون بذلك المرأة مهرا لزوجة أبيها أو زوجة أخيها .. وتكون سلعة مثلها مثل السلع الاخرى لا فرق بينها وبينها .

ثانيا) المرأة فى الاسلام :

أما موقف الاسلام من المرأة فانه لا يحتاج الى تعليق فيما أظن لانه واضح وضوح الشمس المشرقة فى رابعة النهار ، ولذلك فاننى سوف أكتفى بعرضه فى نقاط محددة واترك المقارنة بينه وبينما سبق من شرائع ونظم للقارىء يستنتجها بنفسه :

١ ــ من حيث بشريتها :

فانها بشر مثلها مثل الرجل تماما لا فارق بينهما مطلقا ، خلافا للمسيحية كما تقدم ، وذلك مصداقا لقوله تعالى: (يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) ، وقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما رواه عنه أبو داود واحمد أنه قال : (انما النساء شقائق الرجال) .

٢ ــ من حيث علاقتها باللعنة الناشئة عن خطيئة أمها حواء :

فان الاسلام يعتبر المرء ذكرا كان أو أنثى مسؤولا عن عمله هو لا غير ، وليس مسؤولا عن عمل غيره وذلك مصداقا لقوله سبحانه : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، هذا الى جانب أنه يعتبر آدم وحواء مسؤولين مسؤولية مشتركة عن المخالفة لأمر الله تعالى بالأكل من الشجرة مصداقا لقوله سبحانه : (فأزلهما الشيطان عنها) .

٣ ــ من حيث قبول الاعمال عند الله تعالى :

فان الاسلام يجعلها مساوية للرجل تماما فيقول سبحانه فى تقرير ذلك : (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) .

٤ ــ من حيث التشاؤم منها :

فان الاسلام يقف من ذلك موقف الناعى المؤنب حيث يقول سبحانه يحكى حال العرب (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا .. الا ساء ما يحكمون) .

٥ ــ من حيث الأمر بإكرامها :

فان الاسلام جاء بنصوص عدة توجب على الرجل اكرام المرأة واحترامها سواء أكانت أما أو بنتا أو زوجة أو .. تماما كما جاء بنصوص توجب على المرأة احترام الرجل واكرامه :

فقال تعالى فى حق الابوين (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) دون تفريق بين الاب والام .

كما قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ موصيا بالمرأة عامة

(استوصوا بالنساء خيرا) .

اما البنت فقد حض النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ على اكرامها اشد الحض فقال (ايما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها ، وادبها فاحسن تأديبها .. دخل الجنة) .

٦ ــ من حيث حقها فى الإرث من اقاربها :

فقد منحها الاسلام حق الإرث من اقاربها مثلها فى ذلك مثل الرجل تماما ــ من حيث أصل الحق ــ فقال تعالى : (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا) .

٧ ــ من حيث مساواتها بالرجل فى الحقوق والواجبات :

فقد ساوى الاسلام بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات على خلاف ما كان معروفا فى الجاهلية كما تقدم ، فاعطى المرأة من الحقوق مثل ما أعطى الرجل ، وحملها من الواجبات مثل ما حمله ، هذا مع مراعات ما خلق له كل من الرجل والمرأة ، فقال تعالى : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) والدرجة هنا هى القوامة والاشراف على ادارة البيت ، وهو أمر ضرورى منحت المرأة مقابلا له هو الاعفاء من النفقة على نفسها وعلى أولادها .

هذا مركز المرأة فى الاسلام جلى واضح ، ولكن هنالك بعض النقاط والاحكام تفارق فيها المرأة الرجل لضرورات خاصة اقتضتها طبيعة الحياة البشرية يشتبه أمرها على بعض الناس فيظنها ميلا من الاسلام نحو الرجل دون المرأة أو العكس ، والاسلام برىء من ذلك لما تقدم .

واننى ــ توضيحا لهذه الشبهات ومحاولة للكشف عن الحقيقة ــ سوف اورد بعض الامثلة على هذه المفارقات مبينا وجه الحق فيها ، وأن الداعى اليها مصلحة عامة لا حيف ولا جور .

أ ــ الاختلاف فى مقدار الارث ، فان مرده أن الرجل مكلف بالنفقة على نفسه وعلى من يعول ما دام غنيا وفقيرا قادرا على العمل ، زوجا كان أو ابا او اخا . . أما المرأة فانها لا تكلف بالانفاق على أحد مطلقا ، حتى نفسها اذا كانت زوجة فان نفقتها على زوجها .

ب ــ الاختلاف فى الدية : فان مرده الى أن دية القتل الخطأ تعويض عن خسارة وخسارة العائلة بفقد معيلها أكبر دون شك من خسارتها بفقد ربة البيت من حيث الحاجة اليهما ، هذا مع الانتباه الى ان القتل العمد يستوى فيه الرجل والمرأة من حيث العقوبة ، فيقتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل على حد سواء ، وذلك لما فى هذا القتل من اعتداء على الكرامة وهى متساوية بين الرجل والمرأة ، بخلاف القتل الخطأ فلا أعتداء فيه على الكرامة .

جـ ــ فى الشهادة : الاختلاف فيها مرده الى طبيعة العزلة الجزئية التى تقع فيها المرأة بنتيجة ممارستها أغلب اعمالها داخل المنزل فانها تعرضها للنسيان بعض الشىء فى الامور العامة ، ولذلك افترض القرآن أن يضم للشاهدة شاهدة أخرى تذكرها اذا نسيت ، وليس فى ذلك ما يمس الكرامة بدليل أن شهادة المرأة مقبولة بمفردها فى بعض الامور الخاصة بها كالولادة والبكارة وغير ذلك ، ولو كان الاسلام يعتبر المرأة ناقصة الكرامة كما يظن لرد شهادتها مطلقا .

وعلى هذه الامثلة يقاس غيرها مما تفارق المرأة فيه الرجل أو الرجل المرأة من الاحكام الشرعية .

الفتاوى

ذكر السيادة فى التشهد

السؤال : نرجو شرح حديث (لاتسيدونى أو لا تسودونى فى الصلاة) .

الاجابـــة :

هذا ليس بحديث بل هو كذب . قال فى شرح الدر وحاشيته : وندب السايدة أى ذكر كلمة سيدنا فى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد الأخير لان زيادة الاخبار بالواقع عين سلوك الأدب فهو أفضل من تركه كما ذكره الرملى الشافعى فى شرحه على منهاج النووى ، وأما حديث لا تسودونى فـــى الصلاة فكذب وباطل لا أصل له ، وكذلك حديث لا تسيدونى فمع كونه كذبا هـــو لحن لغة .

صلاة الشكر غير مشروعة

السؤال : هل فى الشريعة الغراء صلاة تسمى صلاة الشكر ؟
الاجابة :

لم يرد فى الكتاب ولا فى السنة نص مشروعية هذه الصلاة لا فرادى ولا جماعة . وأمر العبادات يقتصر فيه على ما ورد عن الشارع ، ولا سبيل فيه الى القياس ، ولا مجال فيه للرأى ، وانما الذى أثر عن النبى صلى الله عليه وســـلم السجود لله تعالى شكرا اذا أتاه ما يسره أو بشربه ، ففى حديث أبى بكـــرة أن النبى صلى الله عليه وسلم : (كان اذا أتاه امر يسره أو بشر به خر ساجدا شكراً لله تعالى) (رواه الستة الا النسائى) ، ورواه احمد بلفظ : (انه شهد النبـــى صلى الله عليه أتاه بشير يبشره بظفر جند له على عدوهم ورأسه فـــى حجـــر عائشة ، فقام فخر ساجدا ، فاطال السجود ثم رفع رأسه فتوجه نحو صدقته) . وروى انه صلى الله عليه وسلم سجد لله شكراً حين أحضر عبد اللـــه بـــن مسعود رأس اللعين أبى جهل بين يديه يوم بدر . وسجد أبوبكر الصـــديق حين بشر بفتح اليمامة . وسجد على حين بشر بوجود (ذى الثدية) بين قتلى الخوارج . اذ عرف أنه فى الحزب المبطل ، وانه هو المحق . وسجد كعب بن مالك لما تيـــب عليه فى حديث تخلفه عن تبوك ، فمن تجددت له نعمة ظاهرة أو رزقه الله مالا أو

ولدا أو وجد ضالته أو اندفعت عنه نقمة أو شفى له مريض أو قدم له غائب ونحو ذلك يستحب أن يسجد شكرا لله تعالى على ما أولاه من الخير والنعمة سجدة كسجدة التلاوة فى كيفيتها وشروطها ، فيكبر بدون رفع اليدين فيحمد الله تعالى ويشكر ويسبح ثم يرفع راسه مكبرا . وليس بعدها تشهد ولا تسليم ، والسجود لله عز وجل أبلغ مظاهر العبودية واصدقها .

ومن ذهب الى استحباب هذه السجدة احمد والشافعى وداود ، وابن المنذر واسحاق ، وأبو ثور ، وأبو يوسف ، ومحمد ، وهو المفتى به عند الحنفية ، وروى عن أبى حنيفة انه لا يراها ، وفسر ذلك بأنه لا يراها مشروعة على الوجوب، وقيل لا يراها سنة . والمعتمد كما فى الاشباه انه لا خلاف بينه وبين صاحبيه فى الجواز وانما الخلاف فى السنية . وروى عن مالك روايتان اشهرهما الكراهة ، والثانية انها ليست سنة ، واستبعد الشوكانى فى نيل الأوطار هذه الروايات بعد ورود حديث أبى بكرة ، وحديث عبد الرحمن بن عوف اللذين أوردهما صاحب المنتقى .

هذا هو المشروع فى مقام الشكر وخلافه بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، والله أعلم .

الحلف بايمان المسلمين

السؤال : صدر منى يمين ورد ، ثم صدر منى اليمين الثانى ، ونصه : (وايمنات المسلمين ما تتمدى فى طولى طول حياتى) فهل وقع به طلاق أم لا ؟

الجواب :

الواقع بهذه الصيغة حسب المفهوم منها عرفا وأن من الايمان يمين الطلاق طلقة واحدة رجعية ، وهى طلقة ثانية لسبقها بطلقة . والله تعالى أعلم .



بريد الوعي الإسلامي

تفسير آيات من سورة النساء

أرجو التكرم ببيان معانى هذه الآيات :

١ ــ قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) .**

٢ ــ قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ، ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا ، وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط او لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ان الله كان عفوا غفورا) .**

٣ ــ قوله تعالى : **(ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما) .**

ولكم جزيل الشكر .

محمد عبد الله محمد الكندرى

ونقول للأخ الكريم فى تفسير الآيات الكريمات :

١ ــ كان بعضهم فى الجاهلية اذا مات الرجل منهم وترك زوجته ورثها احد أوليائه ... ان شاء تزوجها وان شاء زوجها وأخذ مهرها وان شاء عضلها وأمسكها فى البيت دون تزويج حتى تفتدى نفسها بشىء .

ثم جاء القرآن الكريم يحرم وراثة المرأة كما تورث السلعة .. وحرم العضل الذى تسامه المرأة ويتخذ وسيلة للاضرار بها ــ الا أن يأتين بفاحشة ــ وكان ذلك قبل تقرير حد الزنا .. ثم دعا القرآن الكريم الرجال الى معاشرة زوجاتهم

بالمعروف حتى فى حالة كراهية الزوج لزوجته .. فربما كان هناك الخير فيمسا يكره .. وذلك حتى تستقر الحياة الزوجية ولا تبقى كريشة مسلمة فى الهواء .. عرضة لكل نزوة عاطفية .

وما أعظم قول عمر رضى الله عنه لرجل اراد ان يطلق زوجه لأنه لا يحبها (ويحك : الم تبن البيوت الا على الحب ؟ فاين الرعايه وأين التذمم ؟) .

.—.—.—.—.

٢ — منعت الآية الكريمة المؤمنين من أن يقربوا الصلاة وهم سكارى حتى يعلموا ما يقولون وكان ذلك حكما تدريجيا فى الطريق الى تحريم الخمر علـــى الاطلاق .. حيث نزل قوله تعالى : **(انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)** .

كما منعتهم من الصلاة وهم جنب حتى يغتسلوا .. الا (عابرى سبيل) أى الا أن يكون عابرا بالمسجد مجرد عبور .. وقد كانت بيوت بعض الصحابة تفتح أبوابها فى المسجد والمسجد طريقهم من والى هذه البيـــوت فرخص لهم المرور — وهم جنب — لا المكث فى المسجد ولا الصلاة فيه إلا بعد الاغتسال .

ثم تمضى الآية فتخبرنا بحكم من يعجز عن استعمال الماء لمـــرض ، أو فقده فى سفر وقد أصابه حدث اكبر — يوجب الغسل — أو حـــدث أصغر — يوجـــب الوضوء — كمن جاء من الغائـــط .. (والغائط مكـــان منخفض كانوا يقضـــون حاجتهم فيه) أو لامس النساء .. (بمعنى الجماع فيستوجب الغسل .. أو بمعنى لمس أى جزء من جسم الرجل لجسم المرأة فيوجب الوضوء فى بعض المذاهـــب الفقهية) .. فى هذه الحالات حين لا يوجد الماء أو لا يمكن استعماله مع وجوده لضرورة مثلا يغنى عن الغسل والوضوء التيمم (**فتيمموا صعيدا طيبا**) .

والصعيد : كل ما كان من جنس الارض مـــن تراب أو حجر أو حائـــط .. والطيب . الطاهر ، وفى شرعية التيمم تيسير على المؤمنين : **(ان الله كان عفوا غفورا)** يعطف على الضعيف .. ويغفر فى التقصير .

.—.—.—.—.

٣ — ان النفس البشرية ذات ميول لا تملكها .. من ذلك أن يميل القلب الى احدى الزوجات ويؤثرها على الأخريات .. وهذا ميل لا حيلة له فيه .. والاسلام لا يحاسبه على أمر لا يملكه بل يصرح بأن الناس لن يســـتطيعوا أن يعـــدلوا بين النساء ولو حرصوا على ذلك لأن هذا الميل القلبى خارج عن ارادتهم . أما العدل فى المعاملة والقسمة والنفقة والحقوق الزوجية كلها فأمر مطلوب وهو فى حيـــز الامكان .. ولذا نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فى قسمه بين نسائه : (**اللهم هذا قسمى فيما املك . فلا تلمنى فيما تملك ولا املـــك**) . يعنى القلب (أخرجه أبو داود) .

فالمنهى عنه اذن هو الميل فى المعاملة الظاهرة فتبقى الزوجة معلقة لا هى بالزوجة ذات الحقوق ولا هى بالمطلقة (**فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة**).ثم طالبت الآية الكريمة بالمودة والرحمة والاصلاح والتقوى فى المعاملة بين الزوجين .. وبالتسامح والتغاضى عن الأشياء البسيطة (**فان الله كان غفورا رحيما**) .



قالت صحف العالم

المسلمون فى الولايات المتحدة
حقيقة اليجا محمد وجمعيته المسماة بـ (المسلمون السود) .

عدد المسلمين التقريبى فى الولايات المتحـدة الآن أكثر مـن نصف مليون بعضهم من المهاجرين الذين هاجروا الى أمريكا من البلاد الاسلاميـة المختلفة ، وحوالى نصفهم الآخر أو أكثر من الأمريكيين الذين أسلموا وكـانوا مسيحيين أو يهود من قبل ، واغلبية هؤلاء من الافرو ـ أمريكيين أو (السود) فمن الممكن أن يمثل هذا العدد أكثر من ٩٠٪ منهم بسبب حرية الأديان فى الدستور الأمريكى .

وليس للحكومة الأمريكية طريقة شرعية مباشرة ضد هؤلاء المسلمين ، ففى معظم الأحيان اذا ارادت الحكومة الأمريكية أو أى منظمة اخرى أن تتخـذ اجراء ضد المسلمين يجب عليها أن تجد طريقة غير مباشرة ، فمن أكبر الموانع ضـد انتشار الاسلام الصحيح فى الولايات المتحدة الآن وجود حركة اليجا ـ أو ـ الياس محمد المعروفة فى العالم الاسلامى باسم (المسلمون السود) وللأسف نجد كثيرا من المسلمين يريدون أن يبرروا هذه الحركـة على الرغم مـن انهـم لا يعرفون شيئا عنها أو عن دورها الذى تلعبه فى الولايات المتحدة ضد انتشار الاسلام الصحيح .

فمن المهم أن نعلم أولا أن جمعية الياس محمد لا تمثل الاسـلام أبـدا ولا يستحق أعضاؤها اسم (مسلمين) ان الياس محمد يدعى أنه رسول اللـه ويقول انه يمثل النبى الياس فى التوراة والنبى محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن .

وتعاليم هذا الرجل الكذاب تعاليم عنصرية ، فمن تعاليمـه : أن الرجـل الأبيض شيطان والرجل الأسود اله ويعلم الياس محمد أيضا أن الله عز وجل قد ظهر اليه فى مدينة ديتروت فى الولايات المتحدة فى شكل رجل فعلمه كل ما يعلم عن الاسلام وأسرار الغيب .

والياس محمد ينكر وجود الآخرة ولا يسمح لاتباعه أن يقرأوا القرآن الكريم، ولقد أخذ بعض الآيات من القرآن وجمعها فى كتاب دعاه بـ (قرآن الياس محمد) وكان فى أغلب الاحيان يعتمد على الانجيل والتوراة .

ولا يسمح الياس محمد لأى شخص غير اسود ان يدخل جمعيته وفى نفس الوقت لا يسمح لكل رجل اسود ان يدخل هذه الجمعية ، فيختار الياس محمد واصحابه المقربون هؤلاء الذين يمكن ان يدخلوا هذه الجمعية ، انه يريد فقط هذا النوع من الناس الذين يطيعون كل أمر ويؤمنون بكل عقيدة من عقائد جمعيته دون تفكير ودون برهان منطقى وبانقياد اعمى ، وعند بعض المسلمين فى العالم الاسلامى حسن الظن بالياس محمد ، ويظنون انه لو علم الياس محمد حقيقة الاسلام وتعاليمه الصحيحة لأسلم واصبح عاملا فى خدمة الاسلام وانتشاره فى الولايات المتحدة .

وقد زار كثير منهم هذا الرجل الكذاب فى بيته أو فى مركزه فى شيكاغو او غيرها وكل هذا دون نتيجة تذكر ، فكان هذا الرجل يعلم الاسلام الحقيقى من قبل ، ولكنه يعمل ضده وكان الياس محمد ممن دخل فى حركة القاديانى فى الثلاثينيات من قبل ان يؤسس جمعيته .

وفى رايى كمسلم أمريكى أن الياس محمد يمثل اكبر مانع ضد انتشار الاسلام الصحيح عند الامريكيين لأسباب مختلفة منها أنه يمثل الاسلام فى عين الرجل العادى من آلافرو — أمريكيين أو بعض الأمريكيين الآخرين ، فعندما يفكر الأمريكيون فى الاسلام أو يهتمون بتعاليم هذا الدين الحنيف يذهب فكرهم الى التعليم الناقص أو من ناحية اخرى ولعلها تكون الأهم يمارس الياس محمد وتابعوه الضغط والبطش ضد المسلمين الحقيقيين من الافرو — أمريكيين فمثلا فى العام الماضى قتل ثمانية من المسلمين السنيين الافرو — أمريكيين فى مدينة واشنطن على أيدى جمعية الياس محمد ، فكان رب هذا البيت يهتم بالدعوة الاسلامية فى شوارع واشنطون فقال : عموما أن الياس محمد لا يمثل الاسلام وأن تعاليم الاسلام الحقيقى شىء آخر تماما وارسل بعض الرسائل لالياس محمد واكبر رجال جمعيته قال فيها أن الياس محمد رجل كذاب وشيطان .... الخ .. ودعا الناس الى الاسلام الحقيقى وبعد ذلك ذهب الى بيت هذا المسلم المجاهد ثمانية رجال من جمعية الياس محمد فقتلوا زوجته وبناته الثلاث وشابا واحدا وثلاثة أطفال .

وليست هذه أول حادثة من هذا النوع فمن المعروف أنه اذا أسلم تابع لالياس محمد واصبح مسلما صحيح الاسلام فمن المحتمل أن يكون هذا الرجل وعائلته فى خطر القتل على ايدى جمعية الياس محمد ، وممن المعروف أيضا أن الحاج مالك (مالكم اكس) قتل بأيدى هذه الجمعية وذلك لانه كان أحد أعضائها ثم تركها واصبح مسلما حقيقيا وادى فريضة الحج ، ثم رجع الى امريكا ودعا الناس الى الاسلام الصحيح والى التخلص من تعاليم الياس الباطلة ، فكان نتيجة ذلك أن قتل على أيدى جماعة الياس محمد كما ذكرت آنفا ، ومن المحتمل أن سبب قتله يعود لنشاطه السياسى عند الافرو — أمريكيين ونشاطه الاسلامى ، ومن المحتمل أن تكون الحكومة قد استعملت جمعية الياس محمد كوسيلة غير مباشرة ضد الحاج مالك .

والواجب على كل مسلم أن يعرف حقيقة جمعية الياس محمد ودورها ضد انتشار الاسلام فى أمريكا ويجب عليه الا يبرر هذه الجمعية ، فهى من اكبر الموانع ضد انتشار الاسلام فى أمريكا وعلى أيديها أريق دم بعض اخواننا الذين كانوا يدعون الأمريكيين للاسلام الصحيح .

عن مجلة : الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

بأقلام القراء

التنزيل والحضارة

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ محمد رمضان يقول :

ان هذه الحضارات التى دعا اليها الأنبياء نشأت أول ما نشأت على أساس معرفة الله والايمان به إلها واحدا قديرا حكيما توحيدا للمسئولية وبعثا للهيبة والخشية من قدرة الله تعالى حتى يتكون الوازع الدينى فى النفوس ، فتعمل مخلصة متعاونة فى نطاقها الانسانى الفسيح .

وينهض الدين من هذا الأساس الى العناية بعناصر الحضارة ينظم طاقاتها لتحقيق الحيـــــاة الكاملة التى دعا الله اليها بقوله تعالى « **يأيها الذين آمنوا** استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » وهذه العناصر هى الانســــــان والارض والوقت . وقد عنى الدين بالعنصر الأول بوصفه أهم العناصر ، فانه العنصر الذى منه واليه يرجع فضل الحضارات ومزاياها .

لقد دعا الى تعليمه وتهذيب نفسه وبعث عواطفه الخيرة وصقل شعوره ووجدانه واعداده اعدادا صالحا بعد تخليته عن الرذائل والشوائب والرواسب النفسية والخلقية على أساس من الرغبة والرهبة ، وبهذا يتكون العنصر الروحى فى كيان الحضارة وهو القوة الرهيبة المسيطرة التى تولد الطاقات الخلاقة فى مادتها ، وقد عنى الدين بوسائل التهذيب بما فرض من عقائد وعبادات لتحقيق الغاية منها فى خلائق الاحسان والصبر والاخلاص والتعاون متقصيا فى ذلك أغوار النفس وظلمات القلب وخلجات الصدر ومجريات السر ، حتى اذا ما علم الانسان « انها ان تلك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير » باشر عمله عن أمانة واخلاص واحسان .

وعلى أساس من صنع الانسان فى عواطفه ووجدانه وشعوره يستطيع ان يتفاعل هذا العنصر الانسانى فى مادة الحضارة مع عنصريها الآخرين الارض والزمن ، حتى يستخرج من الارض كنوزها وثمارها ، ويشق أنهارها ويحيى

مواتها ويغرس أشجارها ويستنبت زروعها ، وينحت احجارها ويرفع بناءها ، ويمتطى سحابها ويغوص بحارها ويستخرج طاقاتها ويصنع موادها ، حتى يحقق بذلك حياة طيبة رضية ناعمة بالحب والسلام .

من هنا نرى كيف أن الدين قد حرص على استخدام العناصر الخلاقة للحضارة على وجه يجعلها لخير الانسانية .

ولقد خسر الذين قالوا ان الاسلام يعوق الحضارة ويقف بالانسانية عند حدود ضيقة ، ولعل أفكارهم قد ارتدت حسيرة على واقع المسلمين وحاضرهم ، وما يرونه في بلدانهم من فقر وحرمان وجهل ومرض وانحطاط ونقص فى الاموال والثمرات وتأخر فى الفنون والصناعات ، ونحن لا ندعى أن ما عليه المسلمون الآن يمثل حضارة الاسلام ، بل انما يمثل حضارة شوهاء لا هى شرقية ولا غربية ، ولا هى دينية ولا غير دينية ، انما هى كثوب من مرقعات عديدة لا تخلق شخصية ولا تبعث على تقدير .

ان حضارة الاسلام كانت أزهى الحضارات إبان أعصارها الاولى ، عصور العلم والايمان والمعرفة والقوة حين كانت تنشر الحق والعدل والمساواة والأمن والسلام ، وتنظر الى البلاد المفتوحة نظرة الاخاء والوفاء ، ويوم كانت الحظوظ من الطيبات ليست قصرا على الاغنياء دون الفقراء ، ولا على بعض الشعوب دون بعض كما هو واقع الآن .

ان كل حضارة تنحرف عن أصولها الدينية وعناصرها الروحية تنحرف عن قصدها ، كالحضارات الغربية والشرقية فانها تنحرف عن أصولها المنزلة ، وانها لتنهض على أساس من الأثرة والانانية وحب الذات ، وقد تحكمت فيها الشهوات والأهواء والنزوات ، وأصبحت لا تعرف لوصايا الله حقا ولا للانسانية واجبا ، واضطربت فيها مفاهيم الحقائق فى العلم والفن والفلسفات ، فانحرفت فيها هذه الحقائق عن أهدافها ، وأصبح العلم كما أصبح الفن من اكبر أسباب الشقاء والحرمان . والانسان وان ظن أنه قد رقى ، فولد الكهرباء واستخدم الذريات وسكن القصور وتدثر بالحرير الا أنه لا يحس بالسعادة فى نفسه ولا بالأمن فى وطنه ولا بالسلام فى عالمه ، بل بأت خائفا يترقب فجعل كل امكانياته وقدراته وخبراته واقتصادياته وعلومه وفنونه فى خدمة الحرب وترويع البشرية ، فأصبحت فى هم خانق وعذاب واصب ، وانتشر الفقر والحرمان فى بقاع الارض ، وتقطعت أوصال الانسانية وأمست حربا على نفسها فى ظلال ما يسمونها حضارة القرن العشرين .

ان الحضارة يجب أن تكون فى النفس والقلب والشعور والوجدان ، قبل أن تكون فى الاحجار والكهرباء والذريات .

وان المدارس والمعابد والمصانع وتعبيد الطرقات واقامة الجسور واحياء الموات وبناء البيوت والارتفاع بمستوى المعيشة الى جانب الحب والتعاون والاخلاص والتعاطف والتراحم والتواد ، ليست الا عوارف الحضارة النافعة التى تعطى البشرية كفليها من ثواب الدنيا وثواب الآخرة « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين » .

أخبار العالم الإسلامي

إعداد : الأستاذ فهمى الإمام

الكويت : غادر البلاد سمو الأمير المعظم فى زيارة رسمية للبنان الشقيق تعقبها زيارة خاصة للراحه والاستجمام ، وقد اجتمع سمو الأمير بالمسئولين اللبنانيين هناك .. وتدارسوا الوضع الراهن فى المنطقة .

● دعت الكويت على لسان سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الى اجتماع مجلس الدفاع العربى المشترك فى نطاق الجامعة العربية لوضع خطة للدفاع عن جنوب لبنان وعن الثورة الفلسطينية ضد الاعتداءات الاسرائيلية الغادرة وقد اجتمع المجلس فى القاهرة واتخذ القرارات المناسبة .

● أرسل الأستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الى المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة يستطلع رايه فى التقويم القمرى الذى أعدته لجنة التقويم الاسلامى .. وذلك لعرض رأى المجلس على المؤتمر القادم لوزراء الأوقاف والشئون الاسلامية والدينية ..

● زار الكويت الزعيم الدينى فى جنوب السنغال الشريف ادريس حيدر بدعوة من وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية وأجرى مباحثات مع المسئولين فى الوزارة تتعلق بوضع المسلمين فى السنغال وزيادة الدعم المالى لهم .

مصر : بدأ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى ترجمة التفسير القرآنى الى اللغة اليابانية ، والتى ستقدم هدية من الرئيس السادات الى مسلمى اليابان . ويعتبر هذا التفسير أول تفسير علمى للقرآن الكريم ، وبه تعليق علمى عن اعجاز القرآن الكريم .

● تقرر انشاء جامعة جديدة بالمنوفية تضم كليات متعددة من بينها الكلية التكنولوجية الجديدة للنسيج والآلات الزراعية والقوى الكهربائية .. وتكاليف انشاء الجامعة تقدر بسبعة ملايين جنيه .

● تلقى الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الأوقاف الدعوة لالقاء بعض

المحاضرات فى البرنامج الثقافى الذى تقيمه وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات بالأردن .

● أعرب السفير اليونانى بالقاهرة لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر عن ترحيبه بتنفيذ اى مشروع دينى يشرف عليه الأزهر فى اليونان .

السعودية : تقرر انشاء مسجد حديث للجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة .. وسوف يتسع المسجد لمائتين (٢٠٠) من المصلين .

● ساهمت رابطة العالم الاسلامى بمبلغ (٤٦١/٩٧١) دولار أمريكى لبناء مسجد فى سيلان .

● وافقت السعودية على منح منظمة الشئون الاسلامية الماليزية مبلغ (٢٠ الف جنيه) استرلينى لمساعدتها فى القيام بنشاطاتها فى مجال الدعوة .

سورية : أقيمت صلاة الجمعة فى مدينة القنيطرة وذلك بعد تحريرها من الاحتلال الاسرائيلى والذى دام بسبع سنوات .. وقد اشترك فى أداء الصلاة مئات الأهالى السوريين .

● نهب الاسرائيليون جميع الثروات الأثرية ، وحطموا المواقع القديمة والمنشآت التاريخية فى مرتفعات الجولان .

الاردن : تبرع جلالة الملك حسين بمبلغ ٢٠ ألف دينار لفرش القسم الذى تعرض للحرق من المسجد الأقصى المبارك فى القدس عام ١٩٦٩ .

اخبــار متفرقة

نيجيريا : اعلنت الخطوط الجوية النيجيرية انها ستقوم بنقل خمسة آلاف حاج نيجيرى الى المملكة العربية السعودية فى موسم الحج القادم .

كوالالمبور : اختتم مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية اجتماعه الخامس فى كوالالمبور والذى استمر خمسة أيام ، وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات بشأن القدس والعدوان الاسرائيلى على لبنان ، ومسلمى الفلبين ، وجميع القضايا المطروحة على جدول أعماله . هذا وسوف يعقد المؤتمر الاسلامى السادس فى القاهرة فى النصف الثانى من شهر أيار ١٩٧٥ م .

ترنداد : تعقد نقابة الدعوة الاسلامية فى ترنداد والكاريبى مؤتمرها السنوى الدولى التاسع فى ٢٥/٨/ ١٩٧٤ ويستمر المؤتمر ستة أيام وذلك لبحث الشئون الاسلامية فى البحر الكاريبى :

بريطانيا : تسعى الجالية الاسلامية فى مدينة توننج هام بانجلترا فى انشاء مركز اسلامى فيها حيث يبلغ عدد المسلمين فى المدينة اكثر من ٢٠٠٠ مسلم .

الولايات المتحدة الامريكية : وجه اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا الدعوة لحضور المؤتمر الثانى عشر والذى سيعقد فى الفترة الواقعة بين ٣ أغسطس ١٩٧٤ حتى ٢ سبتمبر ١٩٧٤ م فى جامعة توليدو بولاية أوهايو وسيكون موضوع بحث المؤتمر مستقبل الاسلام والمسلمين فى أمريكا الشمالية ..

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	رجب ١٣٩٤	يوليو ١٩٧٤	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
السبت	١	٢٠	١٧	٠٠٣	٥٣٥	٢٩١١	٤٧٣	١٧٦	٣٠٨	١٣٨	٧١٠	٤٢٥	٣٠٨
الاحد	٢	٢١	١٨	١	٥٣	٢٩	٤٦	١٦	٣١	١٤	٧	٤٣	٣٠
الاثنين	٣	٢٢	١٩	١	٥٤	٢٩	٤٦	١٥	٣٣	١٥	٨	٤٣	٢٩
الثلاثاء	٤	٢٣	٢٠	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٥	١٧	٩	٤٤	٢٩
الاربعاء	٥	٢٤	٢١	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٦	١٨	٩	٤٤	٢٩
الخميس	٦	٢٥	٢١	٣	٥٤	٢٨	٤٤	١٣	٣٧	١٩	١٠	٤٥	٢٩
الجمعة	٧	٢٦	٢٢	٣	٥٤	٣٠	٤٤	١٢	٣٨	٢٠	١٠	٤٦	٢٩
السبت	٨	٢٧	٢٣	٤	٥٤	٣٠	٤٣	١١	٤٠	٢١	١١	٤٦	٢٨
الاحد	٩	٢٨	٢٤	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٢	٢٣	١٢	٤٧	٢٨
الاثنين	١٠	٢٩	٢٥	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٣	٢٤	١٢	٤٨	٢٨
الثلاثاء	١١	٣٠	٢٦	٦	٥٤	٣٠	٤١	٩	٤٤	٢٥	١٣	٤٨	٢٨
الاربعاء	١٢	٣١	٢٧	٧	٥٤	٣٠	٤١	٨	٤٦	٢٦	١٣	٤٩	٢٧
الخميس	١٣	غسطس	٢٨	٧	٥٤	٣٠	٤٠	٧	٤٨	٢٧	١٤	٤٩	٢٧
الجمعة	١٤	٢	٢٩	٨	٥٤	٣٠	٣٩	٦	٥٠	٢٩	١٥	٥٠	٢٧
السبت	١٥	٣	٣٠	٨	٥٤	٣٠	٣٨	٥	٥١	٣٠	١٥	٥١	٢٧
الاحد	١٦	٤	٣١	٩	٥٤	٣٠	٣٨	٤	٥٣	٣١	١٦	٥٢	٢٦
الاثنين	١٧	٥	٣١	٩	٥٣	٣٠	٣٧	٣	٥٤	٣٢	١٧	٥٢	٢٦
الثلاثاء	١٨	٦	٣٢	١٠	٥٣	٣٠	٣٦	٢	٥٦	٣٤	١٧	٥٣	٢٦
الاربعاء	١٩	٧	٣٣	١١	٥٣	٣٠	٣٦	١	٥٨	٣٥	١٨	٥٤	٢٥
الخميس	٢٠	٨	٣٤	١١	٥٣	٢٩	٣٥	٠٠	٥٩	٣٦	١٨	٥٤	٢٥
الجمعة	٢١	٩	٣٥	١٢	٥٣	٢٩	٣٤	٥٩	١٧	٣٨٩	١٩	٥٥	٢٥
السبت	٢٢	١٠	٣٦	١٣	٥٣	٢٩	٣٤	٥٨	٢	٣٩	٢٠	٥٦	٢٥
الاحد	٢٣	١١	٣٧	١٣	٥٣	٢٩	٣٣	٥٧	٤	٤٠	٢٠	٥٧	٢٤
الاثنين	٢٤	١٢	٣٨	١٤	٥٣	٢٩	٣٢	٥٦	٦	٤٢	٢١	٥٧	٢٤
الثلاثاء	٢٥	١٣	٣٨	١٤	٥٣	٢٩	٣١	٥٥	٧	٤٣	٢٢	٥٨	٢٤
الاربعاء	٢٦	١٤	٣٩	١٥	٥٣	٢٩	٣٠	٥٤	٩	٤٥	٢٣	٥٩	٢٤
الخميس	٢٧	١٥	٤٠	١٥	٥٢	٢٨	٢٩	٥٣	١١	٤٦	٢٣	٥٩	٢٤
الجمعة	٢٨	١٦	٤١	١٦	٥٢	٢٨	٢٨	٥١	١٣	٤٨	٢٤	٠٠	٢٣٩
السبت	٢٩	١٧	٤١	١٦	٥٢	٢٨	٢٧	٥٠	١٤	٤٩	٢٥	١	٢٣
الاحد	٣٠	١٨	٤٢	١٧	٥٢	٢٧	٢٦	٤٩	١٦	٥١	٢٦	١	٢٣

أمّ المؤمنين
السيّدة سودَة بنت زمعَة
رضي الله عنها

اســـــمها : سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس .. القرشـــية العامرية .

امهـــــا : الشموس بنت قيس بن زيد الأنصارية .. من بنى عدى بن النجار .

اســــلامها : اسلمت وبايعت النبى واسلم زوجها السكران بن عمرو معها .. وهاجرا الى الحبشة .. وكانت ذات اخلاق حميدة ، تحب الصدقة .. وفيها نزلت آية الحجاب .

خطبتهـــــا : ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم يخطبها لنفسه بعد أن توفى عنها زوجها السكران بن عمرو . وكان لها منه خمسة صبية او ستة ..

وكانت أرملة ، مسنة .. ادركت ان الرسول تزوجها اشفاقا عليها بعد ان توفى عنها زوجها . ولما خاف الرسول الا يعدل بينها وبين ازواجه الاخريات فى الحب العاطفى .. قالت له : « امسكنى ، ووالله ما بى على الأزواج من حرص ، ولكنى احب ان يبعثنى الله يوم القيامة زوجا للرسول » .

زواجهـــــا : تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم فى رمضان سنة عشر من النبوة بعد وفاة السيدة خديجة بمكة .. على صداق قدره ٤٠٠ درهم ، وهاجر بها الى المدينة .

روايتها للحديث : روت عن الرسول صلى الله عليه وسلم خمسة احاديث . لها فى الصحيحين حديث واحد .. وفى رواية ان البخارى روى لها حديثين .

وروى عنها ابن عباس ، ويحيى بن عبد الرحمن بن اســـعد ابن زرارة .

وروى لها أبو داود والنسائى .

وفاتهـــــا : توفيت بالمدينة فى شوال سنة ٥٤ هجرية فى خلافة معاوية .. وفى رواية أنها توفيت فى خلافة عمر بن الخطـــاب . ورحلت الى جوار ربها .. رضى الله عنها وأرضاها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغــازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شــارع فرنســا .

المغــرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الاردن : عمــان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جــدة : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحــرين : المكتبة الوطنية : شارع بــاب البحرين .

قطــر : الدوحــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبــى : مطبعة دبى

الكــويت : مكتبة الكــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة العاشرة — العدد ١١٦
غرة شعبان ١٣٩٤ هـ اغسطس ١٩٧٤ م

وقال ربكم ادعوني أستجب لكم

"وقال ربكم ادعوني أستجب لكم"

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا

مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ



"وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العـــدد ١١٦

غرة شعبان ١٣٩٤ هـ

أغسطس (آب) ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الأفراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغـرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـوان المراسـلات :

مجلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـئون الاسـلامية

صندوق بريد : ١٣ ــ كويت ــ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

فى الاحتفال الذى اقامته وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ارتجل معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الأستاذ راشد عبد الله الفرحان الكلمة التالية :

قضيتنا قضية الحق والحق أساس لاقرار السلام والعدل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

أيها السادة : تحتفل الكويت الليلة كما يحتفل سائر العالم الإسلامى بذكرى الإسراء والمعراج : **(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله)** ، اسرى الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهذا الحدث التاريخى ، وهذا الحدث الدينى أساس وقاعدة عظيمة من مقومات الإسلام ، ومن دعائم الإيمان ، فالإسراء والمعراج أمر غير منظور ، ولا معقول ، ولكننا أمرنا أن نصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن نؤمن بالإسراء والمعراج كما حدثنا القرآن وأخبرنا صلوات الله وسلامه عليه ، ولأهمية هذا الحدث العظيم فى تاريخ الإسلام والمسلمين ، الذى يجب على كل مؤمن ومسلم أن يوقن ويؤمن به ، لأهمية هذا الحدث ، اكده الله سبحانه وتعالى بالقرآن العظيم ، وورد ذكره فى الأخبار والروايات، والأحاديث الصحيحة .

فالإسراء والمعراج حقيقة من حقائق الإيمان التى ينبغى أن يؤمن بها كل مسلم . وهذه الحقائق غير المعقولة ، وغير المنظورة فى الاسلام هى التى يجب أن تبنى عليها الماديات ، والإسراء من مكة الى المدينة ، يثبت حقيقة من حقائق التاريخ ، وهى ارتباط بيت المقدس ، ارتباط قبلة المسلمين الاولى بقبلة المسلمين الثانية ، ارتباط فلسطين بالجزيرة العربية ، ارتباط بيت المقدس بالمسجد الحرام ، ارتباط المسجد الأقصى بمساجد الإسلام ، ارتباط ما حول المسجد الأقصى من الأرض التى باركها الله سبحانه وتعالى بأرض المسلمين بل بقلوبهم ، بأفئدتهم ، بايمانهم .

أيها السادة : لذلك لا يكفى فى الإسلام أن يؤمن المرء بالحقائق المعقولة والحقائق المنظورة حتى يؤمن بالحقائق غير المنظورة وغير المعقولة ، حتى يكمل إيمانه ، ويكمل إسلامه ، ويكمل دينه .

لان الذى آمن بالعقيـــدة الكبرى عليه أن يؤمن بسائر الفروع وسائر الأخبار التى تأتى عن طريق هذه العقيـــدة ، ولذلك وجب على كل مؤمن أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقضاء خيره وشره ، حلوه ومره .

أيها السادة : لقد أدرك اليهود بل الصهيونيون ، أدركوا هذه الحقيقة حق إدراكها ، فأخذوا يبثون هذا المعنى فى نفوس أتباعهم،وأخذوا ينشرون هذا المبدأ بجميع وسائل الدعاية التى يملكونها ، وإذا ما نظرنا إبان الاستعمار البريطانى لفلسطين فاننا نجد أن اليهود لم يكن عددهم آنذاك يزيد على ٥٠ الف شخص بمساحة لا تزيد عن ٢ر٥٪ ، بينما كان عدد الفلسطينيين فى ذلك الوقت يفوقهم أضعافا مضاعفة بمساحة من الأرض أكثر من ٩٧ر٥٪ .

ولكن اليهود الذين اتخذوا من هذا الشعار ــ شـــعار الدين ــ ومن الإيمان بالحقائق غير المعقولة والمنظورة وسيلة لتحقيق أطماعهم كرسوا لها جميع الوسائل ــ وسائل الدعاية ــ وأخذوا يبثونها فى قومهم وأتباعهم ، بل فى غير اتباعهم ، أخذوا يبثون هذه الحقيقة ، بأن هناك أماكن مقدســـة يجب أن نسعى لها ، وأن نموت ونستميت فى سبيل احتلالها ، أخذوا يبثون هذه الحقيقة ، فقالوا : علينا بأرض الميعاد ، فتوجهوا أفرادا وجماعات الى فلسطين ، ثم قالوا بعد ذلك : علينا أن نتوجه الى هيكل سليمان ، وبثوا هذه الدعاية ، فتوجهوا أفرادا وجماعات الى فلسطين ، واحتلوها . وها نحن الآن نسمع الأخبـــار أن حثالة من اليهود تحاول أن تحتل أجزاء من مدينة نابلس والقرى المحيطة بها ، وتعتبر ذلك من الأماكن المقدسة اليهودية ، كما احتلوا من قبل بعض الأماكن التابعة للمسجد الأقصى . وقالوا : انها حائط المبكى .

وهكذا أيها الأخوة نجد أن اليهود ، ومن ورائهم الاستعمار ، ومن ورائهم الكفر يؤيدهم ضد الاسلام ، وضد العرب ، ليحتلوا ارض العرب شبرا بعد شبر ، وذراعا بعد ذراع ، وها هم يحتلون الآن فلسطين ، ويتحكمون فى المسجد الأقصى ، يتحكمون بمسرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكان الأولى والأجدر بنا أن نموت فى سبيل القدس ، وفى سبيل المســجد الأقصى ، وإن من الأمور التى فرضت على المسلمين ، وجعلت من العبادات التى يؤجر الانسان عليها ، الجهاد فى ســـبيل الله ، وعلينا أن نهتم بهـــذه الحقيقة حتى نستطيع أن نخلص المسجد الأقصى وما حوله من هذه الطغمـــة المستعمرة .

أيها السادة : وفى الأســـبوع الماضى حملت إلينا الأحـــداث أن أمريكا استطاعت أن ترغم رئيسها على الاستقالة وقدم استقالته ، وقيل ما قيل ، بأن الشعب الأمريكى ، وأن الكونجـرس الأمريكى ، وأن مجلس الشـــيوخ الأمريكى ، يهدف من وراء ذلك إلى احقاق الحق ، وإلى تحقيق الديمقراطية ، والى وضع العدالة فى نصابها ، وقد أمرنا ديننا بذلك من قبل ، سار خلفاؤنا على هذا المنهج ، وها هو أبو بكر رضى الله تعالى عنه عندما اعتلى الخلافة وعندما انتخب رئيسا ، وأميرا للمؤمنين قال : أيها الناس : لقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتمونى على حق فأعينونى ، وان رأيتمونى على باطل فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له الحق . هكذا أيها السادة كان أبو بكر رضى الله عنه ، خليفة المسلمين ، وأمير المؤمنين .

وها هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، عندما اعتلى الخلافة ، واعتلى منبر المسلمين اول ما بدأ قال : من كانت له مظلمة عندى فانى على استعداد الأن انزل معه فأتحاكم الى اى رجل يختاره من الشعب .

وهكذا أيها السادة : أيها المسلمون ، الإسلام دين العدل ، والمساواة ، يعلمنا الحق ، والحق احق أن يتبع ، واننا لا يعنينا استقالة رئيس ، وأن يأتى بعده رئيس ، فذلك من شأن الحكومة الأمريكية ، وشأن الشعب الأمريكى ولكن الذى يعنينا ، ان الذين وصلوا لهذا الحس عليهم ان يحسوا بشعب بكامله قد شرد من أرضه ، ووسد التراب ، وانزل بالخيام ، عليهم أن يشعروا بهذا الآدمى الذى طرد من دياره ، والذى احتلت أرضه ، وهدمت منازله ، وليس هذا فقط ، وإنما يوما بعد يوم يضرب بالقنابل ، ويوما بعد يوم يلاحق فى خيامه ، ويلاحق فى ملاجئه ، ويلاحق فى رزقه وفى مكمنه ، أليس هناك حقوق للإنسان ، أليس هناك أمم متحدة ، أليس هناك دول تعمل للعدالة ، أليس هناك مجلس أمن ينصف الضعيف من القوى ، يا ليت المسلمين الذين يملأون مشارق الأرض ومغاربها ، يصحون من سباتهم ، ويتحركون بقواتهم ويضحون بأرواحهم فى سبيل إخوانهم ، وفى سبيل إنقاذ مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أيها المسلمون : أيها السادة : إن القضية التى تناقش فى أرقة الأمم المتحدة ، والتى تناقش فى أروقة عدة دول ، ليست هى قضية السلام والأمن ، وإنما هى قضية حق وباطل ، قضية باطل بغى على الحق فاعتدى عليه ، قضية ظالم ومظلوم ، هكذا يجب أن تعرف هذه القضية ، قضية شعب آمن فى بلده ، آمن فى منازله ، آمن فى رزقه ، تسلط عليه شعب آخر ، تسلط عليه شعب أتى من آفاق مختلفة ، من بلاد شتى ، أتت هذه الجموع ، وزحفت على هذا الشعب ، فأخرجته من اوطانه ، ومن دياره ، ويتمتهم ، وقتلت الشيوخ والأطفال .

هذه هى قضية فلسطين كما ينبغى أن تفهم ، وينبغى أن تعرف ، وينبغى ان نناضل فى سبيلها على هذا الأساس .

فعلى المسلمين ، وعلى العرب على وجه الخصوص بأعدادهم وقواتهم وبأموالهم بدل ان يبنوا القصور ، وبدل أن يعيشوا مترفين ، وبدل أن يركبوا السيارات الفارهة ، عليهم أن يتجهوا الى الجهاد أولا ، والى تحرير هذه الأرض ، فانها جزء لا يتجزأ من بلادهم ، وهذا الشعب جزء منهم لا يتجزأ ، وكل مسلم آثم اذا لم يتحرك الجهاد فى قلبه ، وفى بدنه ، ولم يقاتل فى سبيل الله ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان .

وإننا نسأل الله سبحانه وتعالى فى هذه الليلة المباركة أن يشد أزرنا ، وأن يقوى عزائمنا ، وأن يوحد صفوفنا ، وأن يهيئنا للجهاد والقتال لتحرير الأرض المقدسة ، ولتحرير فلسطين ، إنه نعم المولى ، ونعم النصير ، ونعم المجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله .

تفسير سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

من الأخطاء التى وقع فيها الكثيرون ، تعريفهم للعبادة بأنها (مطلق الخضوع) سواء كان خضوعا أعمى ، أو خضوعا كارها .

ونحن — المسلمين — عندما نقول : اننا عبيد الله ، لا نقصد شيئا من ذلك ، فنحن نخضع لربنا خضوع حب وبصر ، أى أن شدة حبنا له ، ومعرفتنا به ، هى التى دفعتنا الى الانقياد له والاتباع لأمره .

وليست علاقتنا بالله ، علاقة المغلوبين على أمرهم تحت وطأة حاكم ظالم، أو علاقة الهائمين على وجوههم وراء قوة مبهمة .. كلا .. كلا .. نا ن [illegible] الله الذى انشانا من عدم ، ورزقنا من فضله وحده ، ونرفض عبادة غيره ، لأنه لا معنى لاستجداء صعلوك ، أو تخوف عاجز ، ولا معنى للارتباط بناس « لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا » .

ان صلة المسلم بالله وبما عداه ، تدور على هذا المحور الفذ ، فهو على بينة من ربه ، يدرى جيدا ما يستحقه من كمال ، وما يبذله من عطاء ،

ويدرى جيدا أن غيره صفر ، أو وهم ، أو اسم لا مفهوم له ، ومن ثم فهو يقول ــ كما أمره الله ــ لأعداء الله « لا أعبد ما تعبدون » .

وقد جاء فى السنة الشريفة استحباب القراءة بهذه السورة ، وسورة الاخلاص فى أول النهار وآخره . فعن عبد الله بن عمر : رمقت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أربعا وعشرين ، أو خمسا وعشرين مرة يقرأ فى الركعتين قبل الفجر ، والركعتين بعد المغرب بـ « قل يا أيها الكافرون » و « قل هو الله أحد » .

وظاهر أن السورة الاولى تشرح التوحيد العملى ، والثانية تشرح التوحيد القلبى ، فيكون الجمع بينهما مطابقة بين السلوك والشعور النفسى ، ويكون بدء اليوم بهما وختمه اشعارا بأن كدح الانسان فى حياته كلها ، محصور داخل هذا الاطار الواضح المستقيم .

روى أحمد فى مسنده ، عن الحارث بن جبلة قال : قلت يا رسول الله .. علمنى شيئا اقوله عند منامى ؟ قال : اذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ « قل يا أيها الكافرون » فانها براءة من الشرك .

ومن هم الكافرون الذين نبتعد عن خطهم ، ونبرأ من طريقهم .. ؟

انهم فرق شتى .. فهناك الماديون الذين يجحدون الالوهية ، ويتعلقون بعالم الحس وحده ، ويكرسون العمر لتحصيل الشهوات وعبادة الهوى « افرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة .. فمن يهديه من بعد الله » .

ان التقدم العلمى عند هؤلاء لا يغير من ضلالهم شيئا ، وما داموا ينكرون الله الواحد فهم كافرون حقا .

وهناك ناس يعبدون الها من صنع الخيال : وقلما يوفرون له ما ينبغى توافره للاله الواحد من تنزيه وتحميد .

والغريب أن جماهير كثيفة فى المشارق والمغارب تقع فى هذا العوج « وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون » .

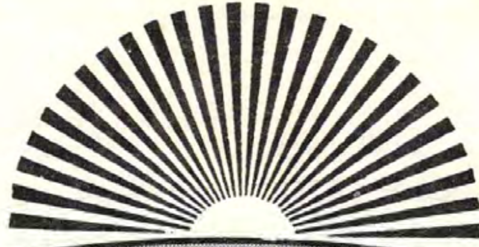
وبدعة أن العالم تحكمه شركة من الآلهة ، أو أعضاء فى أسرة مقدسة شاعت قديما وحديثا : وقد رفضها الاسلام جملة وتفصيلا ، وأقام العقيدة على تجريد الالوهية من كل خرافة ، ودعا دعوة حارة الى التوحيد المطلق . وذلك سر التكرار الملحوظ فى سياق هذه السورة « لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد » .

قال أبو العباس بن تيمية : « لا أعبد ما تعبدون » ، « ولا أنا عابد ما عبدتم » نفى قبوله لذلك بالكلية ، لأن النفى بالجملة الاسمية آكد ، فكأنه نفى الفعل وقبوله له ، أى نفى الوقوع وامكانه شرعا وعقلا ، وظاهرا وباطنا .

وطبيعى أن يكون مع هذا التشبث بالحق ، تعصب للباطل وبقدر ما يغالى المؤمنون يغالى خصومهم بالجحود أو التعديد !! وتلك سنة

الحياة « ولا يزالون مختلفين » .
وقد بين القرآن الكريم فى مواضع أخرى أن المبطلين قد يستبد بهم الضلال فلا يكترثون لدليل ، أو يلتفتون لحجة « ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك » « ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون .. ولو جاءتهم كل آية .. » فهم ماضون فى طريقهم المعوج ، لا يلوون على شىء ، ولا يصيخون لناصح .
لكن ماذا يستتبعه هذا المسلك من نتائج ؟ ان كل ما يستتبعه هو زيادة العبء على المؤمنين ، فلا يضعفون ولا ينكصون ، وعليهم أن يرسخوا أقدامهم فى طريق الحق فلا تهزهم فتنة ، ولا تردهم عاصفة ولا ينال منهم مر الزمان ، وذلك ما توحى به هذه السورة التى تحدد المواقف ، وتمنع الميوعة واللبس .
وكلمة (قل) خطاب لصاحب الرسالة — عليه الصلاة والسلام — بيد أن كل مسلم مكلف بهذا النداء الحاسم ، وما تضمن من تحديات .
نعم ينبغى أن نتأسى بالنبى الكريم فيما كلفته به هذه السورة ففى حياته — صلى الله عليه وسلم — مثل عليا يفزع اليها كل صاحب رسالة فاضلة عادلة ، ليرتوى منها اذا صدى ، ويسعد بها اذا شقى ، وليقتبس منها دروسا مجدية فى طرائق الجهاد المضنى عندما يتجرد الحق الا من اشراقه ، ويتشدد الباطل لكثرة عدته وعتاده .
بدأ هذا الرسول فوضع فواصل غليظة بين الحق الذى اهتدى اليه ، وبين الباطل الذى توارث الناس العمل به ، والاحتكام اليه .
انه من — ناحية العدد — قليل بنفسه واخوانه ، وهؤلاء كثيرون بأنفسهم ونظمهم المألوفة ، وأفكارهم القديمة ، وأوضاعهم العتيدة ، فلا بد اذن من قطع كل أمل فى أن يتفق معهم ، أو يخضع لهم .
لقد سلك نهجا غير الذى ألفوا ، ولن يجمعه بهم طريق ما داموا على معتقداتهم .
فى هذه السورة ، تسمع صرخة الحق العنيد عندما يفترض أن الباطل سيلج فى غوايته ، وان هذه اللجاجة لن تثنى لأصحاب الحق عزما ، أو تقيد لهم قدما ، وآيات هذه السورة ترمى الى مجاهرة الكافرين بهذه الحقيقة الرائعة ، وهى أن كتيبة الله انطلقت لأداء رسالتها ، وعرفت أنها متمردة على الاوضاع الباطلة ، ثم هى مسرورة بهذا التمرد ، آنسة به ، وأنه يزداد سرورها عندما يعلم الكفار ذلك . وعندمايؤمنون بأن الكتيبة المؤمنة ، قد بنت حاضرها ومستقبلها على ذلك .. فلن ترجع الى الكفر حتى يلج الجمل فى سم الخياط .
والرسول العظيم — فى هذه الخطة — يقتفى أثر جده ابراهيم لما نابذ قومه بالخصومة ، وجعل من أهله المؤمنين حزبا يمثل الحق ، وينافح عنه .
« واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون . الا الذى فطرنى فانه سيهدين . وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون » .

لعالم كبير



القرآن

معجزة خالدة لرسالة خالدة

للدكتور عبد الجليل شلبى

كتب الىَّ الأستاذ منذر بشير من طلاب الدراسات العليا بجامعة ليدس Leeps (بانجلترا) رسالة مطولة يدور حديثها على معجزات الانبياء والموازنة بينها وبين معجزات النبى محمد صلى الله عليه وسلم . وهو يقول انه أرسل الى مثل هذه الرسالة بعنوانى فى المركز الاسلامى بلندن اذ كان يظن أننى ما زلت أعمل به ، ثم اهتدى الى عنوانى بالقاهرة فأعاد كتابة رسالته .

ويدل هذا على اهمية الموضوع لدى الأستاذ منذر ، ولعل كتابته انما هى صدى لحوار ومناقشات دارت بينه وبين رفاقه من غير المسلمين او المسلمين . وهو بعد فخور بأنه أصبح يجيد قراءة اللغة العربية والتحدث

بها وفهم تراكيبها « الكلاسيكيــة » ويرجو أن يقرأ اجابة لأسـئلته فى مجلة (الوعى الاسلامى) لأنها تصله من بعض أصدقائه .

وخلاصة ما جاء فى الرسالة ذات الصـفحات العديدة أن النبى محمدا صلى الله عليه وسـلم ليس لــه معجزات وخوارق مادية كالتى كانت للانبياء السابقين ، ومعجزته الوحيدة الثابتة هى القــرآن الكريم ، أما معجزاته الأخرى مثل انشقاق القمر له ، وتظليل الغمامة ايــاه وحنيـن الجزع له ... الخ فكلها جاءت مـن طرق آحاد ، وليس فيها شىء تعتمد عليه رسالة الاسلام ، ويبدو انها مما أملته عاطفة المسلمين الجامحة نحو نبى الاسلام . وقد ذكر القرآن الكريم معجزات للانبياء السابقين مثل ناقة صالح التى كانت تكفى قومه بما تدر لهم من اللبن ، ومثل معجزات عـاد ونوح ولوط اذ أبيد كل من كفر بهم . وقد كانت لموسى ، وعيسى معجزات عديدة فلم لم يكن للنبى محمد مثـل هؤلاء .. الخ الخ .

هذه هى زبدة المشكلة التى حيرت الأستاذ منذر وكتب لــى من أجلهـا مرتين .

وأود قبل أن ادخل فى تفاصيــل الاجابة المطلوبة أن اذكر أن هنــاك فرقا بين الخوارق التى ظهرت علــى يد النبى محمد صلى الله عليه وسلم دلالة على تكريم الله تعالى اياه وبين المعجزة المقرونة بالتحــدى ، التى طالب النبى مكذبيه أن يأتوا بمثلها ان استـطاعوا . فهناك خوارق كثيرة ظهرت على يد رسول الله لكنه لم يتحد بها ولم يكن يعنيه أو يعتبرها الناس معجزة أولا . فتظليل الغمامة اياه ودر شاة أم معبد له ، وانشقاق القمر حقا روايات آحاد ، ولا يترتب على انكارها انكار للاسلام ولا يحكم على منكرها بالكفر ، وهناك أشيـاء من هذه ذات سند أقوى وثبوت أدنى الى الصحة ، مثل سقيـه عـددا من أهل الصفة من قعب لبن حتـى شـبعوا وحتى أحس ابو هريرة أن الرىّ يكاد يخرج من أظفاره ، وكان فى آخر الصف يخشى أن ينفد اللبن، لأن القعب لم يكـن يكفى شخصـا واحدا ، وكذلك أطعم عـددا مـن أصحابه من برمة صغيـرة لأحـد الانصار . ولم يكن (صلى الله عليه وسلم) يهمه اشاعة هـذه الخوارق ولا هى ذات أثر فى دعوة الاسلام . وقد تصادف أن خسفت الشمس يوم وفاة ابنــه ابراهيم وتهامس الناس أنها معجزة ، فلما انتهى اليه ما قالوا قال ان الشمس والقمـر آيتان مـن آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لولادته .

وهناك أشياء لا تحتمل الانكــار لأنها جاءت فى القرآن الكريم . من ذلك ما جاء عن غزوة بدر فى قولــه تعالى : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » . وقوله : « اذ يغشـيكم النعاس أمنة منه وينزل عليـكم من السماء ماء ليطهركم به » .. « اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معـكم فثبتوا الذين آمنوا » .. الخ . وكذلك

ما جاء عن غزوة الأحزاب فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنـــود فأرسلنا عليهم ريحـا وجنودا لـم تروها . » وهناك اشياء أخرى مـن هذا القبيل ولكن الاسلام لا يعتمـد عليها فى اثبات صحته .

وهناك فرق واســع بين هـــذه الخوارق وبين ما جاء به الانبيـــاء السابقون من معجزات . فناقـــة صالح وعصا موسى ونار ابراهيم وما جاء بـــه عيسى ... كانت هـى المعجزات التى بنيت عليها دعوتهـم وتحدّوا الناس بهـا ، اما هـــذه الخوارق فلم تكن مقرونة بالتحـدى وانما هى تكريم مـن الله لنبيـه ، واظهار الناس على ما له من تفضيل من الله .

واذن فحقا أن المعجزة الكبرى التى تبنى عليها دعوة الاسلام هى القرآن الكريم ، وهو معجزة عقليـة وليس معجزة مادية . وأمر هذه المعجـزة يدعونا الى شىء من التأمل والتريث فى البحث ولكن نتيجته واضحة بينة .

كانت رسالات الانبياء الســابقين رسالات موقوته ـ فكل نبى أرسل لجماعة معينين ، وكانت دعوته لفترة من الزمن ، ثم يأتى بعده نبى آخـر برسالة جديدة تتحد مع اخواتها فى عقيدة التوحيد وتختلف فى تشريعها حسب البيئة التى يعيش النبى فيها . وربما وجد نبيان أو اكثر فى وقـت واحد .

ومن شأن المعجزة المادية أن تنفعل بها نفوس الذين يشهدونها أو يكونون معاصرين لها ، ثم يضعف أثرهـا تدريجيا مع الزمن حتى تنكر نهائيـا وتدخل فى حيز الأساطير ، لقد كانت لموسى عصاه شقت له طريقا فـى البحر يبسا ، وفجرت له عيونا فـى الحجارة سفحًا وأتت على كل ما صنع السحرة من تهاويل ، وقد أثارت هذه الأعمال اعجاب مشاهديها وعجبهم ، ثم ضعفت بعد ذلـك بمضى الزمـن حتى ان الباحثين من الماديين ينكرونها نهائيا ، وبيننا عدد كبير من كتـاب اليهود والباحثين فى تاريخ العبرانيين ينكرون هذه المعجزات نهائيا .

ولا ريـب أن الـذين شاهـدوا معجزات عيسى عليه السـلام كانوا أشد انفعالا بها ودهشة لمشاهدتها . وما ظنك بانفعالات شـخص يـرى ميتا مضى على موته أيام حتى رم ثم ينبعث حيا يتحدث ويمشى ويحيـا الحياة ؟

هذا الشعور لا يمكـن أن يكـون لشخص سمع القصة من بعيـد أو رويت له بعد زمن طويل . لهذا أنكر الماديون كل مـا كان لعيسى مـن معجزات ، بل اننا نعلم أن كثيريـن انكروا وجود عيسى نفسه واعتبروه شخصية وهميـة من عمـل الخيال وقال هذا الكلام نفسه عن ابراهيم قوم أكثر عددا . أما نحن المسلمين ، فانا نؤمن بكل هذه المعجزات لأنها جاءت فى القرآن الكريم .

وعلى العكس من رسالات الأنبياء السابقين كانت رسالة النبى محمـد

صلى الله عليه وسلم رسالة عامة لجميع الناس ورسالة خالدة لا يحدها زمن . فهو صلى الله عليه وسلم لم يبعث للعرب وحدهم ولا للذين عاشوا فى عصره فقط ، ولكنها رسالة عامة للبشرية كافة حتى يرث الله الأرض ومن عليها . وأنه من حق الذين يؤمنون برسالة الاسلام أن يطلعوا على معجزته حتى يكون ايمانهم عن طريق الاقتناع لا عن طريق التقليد .

لهذا كانت المعجزة الاساسية لنبى الاسلام هى هذا الكتاب المعجز الخالد . فنحن لم نر محمدا ولكننا نرى معجزته ، وقد تكفل الله سبحانه بحفظ القرآن ، فنحن الآن نقرأ ما قراه النبى على أصحابه بكل كلماته بل وبحروفه ونبراته ، وقد تحدى النبى صلى الله عليه وسلم قومه أن يأتوا بقرآن مثله أو حتى ببضع آيات مماثلة فلم يستطيعوا أن يأتوا بشىء وثبت لهم أنه كلام الله وليس كلام محمد ، وها هو ذا القرآن ما زال يتحدث وما زال الناس يشعرون بالعجز عن محاكاته فهو اذن معجزة باقية .

وقد سأل العرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بمعجزات مادية ، قالوا : لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ... وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ... أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تاتى بالله والملائكة قبيلا .. أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه .. الخ .

ويرد القرآن هذا فيقول : « انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا . » وهم ضلوا حقا وسلكوا بالقرآن طريقا ماديا محدودا ، ويقول الله تعالى أيضا : « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا » .

فهذه المعجزات المادية كانت اخافة وارهابا ومع ذلك عاندها وجحدها من أرسلت اليهم .

كذلك لم يكن من المناسب لخاتم الأنبياء أن تكون له معجزات مبيدة مهلكة كما حدث لقوم هود وصالح وثمود وغيرهم . وقال الله فيهم : « فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا .. » فهؤلاء أهلكوا لأنهم كانوا جماعات محدودة ولأن نبيا آخر أو أنبياء آخرين سيأتون بعدهم ، أما محمد صلى الله عليه وسلم فلا نبى بعده وهو بعث لهداية الناس لا لإبادتهم .. « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

واذن فاعتماد الاسلام على معجزة القرآن وحدها ليس عيبا ولا نقصا فيه ، ولكنها معجزة خالدة لدين عام خالد .

والله يرشدنا جميعا للحق ويهدينا سواء السبيل .



للشيخ السيد سابق

من الظواهر التى تشاهد فى المجتمعات البشرية ، وعلى اختلاف درجاتها فى سلم التطور ، ظاهرة التدين :

فالمجتمع البدوى الذى لم يعرف شيئا عن الحضارة ، له معتقداته وعباداته ، والمجتمع الحضرى الذى بلغ شأوا فى العلم والمدنية ، له كذلك ايمانه بالغيب وطقوسه الخاصة .

ولظهور هذه الظاهرة وبروزها رأى العلماء انه كلما وجد مجتمع وجد معه دين ، أيا كان هذا الدين ، وأيا كان مصدره .

ولا يعترض على هذا . بأن المجتمع الشيوعى ، قد أسقط الدين من حسابه وأقام حياته على أساس : أن لا اله ، والحياة مادة .

فان هذا لا يعبر فى الواقع عن نفسية المجتمع ، ولا يترجم مشاعره ترجمة صحيحة .

اذ أن فكرة هذا الانحراف الدينى، نبتت فى ذهن بعض الأفراد ونمتها الظروف الاجتماعية الخاصة . ظروف الفقر والحاجة والحرمان . وساعد على تقوية جذورها ، وبسط سلطانها، انه لم يكن ثمة دين ، ينير العقل أو يطمئن القلب ، فضلا عن أن المتظاهرين بالتدين كانوا مظهرا للتخلف والرذيلة ، بل كانوا مضرب المثل فى التفاهة والحقارة ، ولم يقضوا يوما واحدا فى جانب المحرومين ، وانما كانوا دائما عونا للقياصرة ، وسندا للمستبدين .

فهذه الفكرة الالحادية ، ليست وليدة علم، ولا ممثلة للفطرة الانسانية وانما هى فكرة شاذة ، أوحت بها الظروف القاسية ، وخلقتها البيئة المجهدة ، وروجت لها الأحقاد التى ملأت الصدور أمدا طويلا . ثم حمل الشعب عليها حملا ، وأكره عليها اكراها ، دون أن يكون له رأى أو اختيار .

ومنذ قيامها وهى فى حماية الحديد والنار .

وأعتقد أن الفطرة الانسانية أقوى من جميع القوى التي تحاول ان تطمسها ، وتغير معالمها ، وان لها الغلبة والنصر مهما طال الزمن .

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » .

(ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) .

واذا كان للدين هذه الجذور العميقة في النفس الانسانية ، فانه لا يتصور أن يأتي يوم يعيش الناس فيه من غير دين ، بل ستبقى النفس تنزع اليه ، لأنها تنزع الى شيء هو من طبيعتها ، وتشعر بفراغ كبير اذا تخلت عنه .

وليست المشكلة هي مشكلة الدين ، من حيث هو ، فالتدين غريزة كما قلنا ، وكما يقرر الاسلام :

« فاقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وفي الحديث الصحيح : (كل مولود يولد على الفطرة) .

وانما المشكلة الحقيقية ، هي عدم وجود الدين التعليمي الذي يفتح آفاق الفكر ، ويطلق الطاقات الكامنة في النفس ويدفع الى السمو الروحي والكمال المادي .

لقد كان الانسان فيما مضى — ولا يزال ذلك في الطبقات الجاهلة — يستسلم لما يلقى اليه من عقائد ، ويذعن لما يقال له من دين ، ولا يكلف نفسه مشقة البحث ، ولا مؤونة الدرس . ولو كان الذي يلقى اليه من الخرافات ، التي لا يصدقها العقل ولا يعترف بها العلم .

ولكن هذا الأمر قد تغير الآن في نظر الانسان الذي يعيش في عصر العلم ، انه يريد من الدين أن يقنع عقله ، ويرضي طموحه ، ويساير تقدمه ويجاري تطوره ، ولا يحرمه من ثمره جهده ، ولا لذة بدنه .

وربما كان عدم وجود دين ينطوي على هذه المبادىء ، هو احد الأسباب التي صرفت بعض العلماء الذين أسهموا في بناء الحضارة عن الدين ، وجعلهم يتجهون الى العقل وحده ، يستفتونه ويحتكمون اليه ، ولا يعولون في قضية الا عليه .

ولم تتح الفرصة لهؤلاء أن يطلعوا على مبادىء الاسلام الكريمة ، وتعاليمه السامية ، وان كان اتيح لبعضهم أن يعرف الاسلام ممثلا في أعمال من ينتسبون اليه ، وهي في واقعها تشويه لجمال الاسلام ، وعرض سيىء لمبادئه الحقة . فكان حكمهم عليه كحكمهم على غيره من الديانات الأخرى .

ان الانسان في هذا العصر — بالرغم من المغريات المادية التي صرفته عن الدين — تهفو نفسه الى دين موثوق بأصله من جهة ، وقادر على أن يسمو به الى الكمال المادي والروحي من جهة أخرى .

ونحن نجزم في ايمان وفي ثقة . . بأن الاسلام — والاسلام وحده — هو الذي توفر فيه هذان العنصران ، لأنه هو الدين الذي وضحت معالمه ، وكرمت مبادئه ، وثبتت مصادره ، وحفظت من التغيير والتحريف ، والتبديل والتصحيف . .

« وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وانه كفيل بأن يحقق للانسان

ما ينشده من ارتقاء ، وما يرجوه من كمال ورفعة .

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

والاسلام هو الدستور الكامل ، والمنهج الذى استهدف اقامة حياة انسانية رفيعة .. يتحرر فيها العقل والضمير ، وتستقل فيها الارادة والتفكير ، ويشعر فيها كل فرد بأنه سيد نفسه ، ومالك أمره ، وانه لا سلطان لأحد عليه ، سوى سلطان الحق ، الذى يعلو ولا يعلى عليه .

وهو الذى أهاب بالناس أن يفتحوا عقولهم ، ليعرفوا آيات الله فى الكون ، وسننه فى الخلق ، وحكمته فى الطبيعة .

« أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض . وما خلق الله من شىء » .

وتعطيل قوى الادراك ، وعدم الانتفاع بها ، يعتبر فى نظره جريمة، يسأل عنها الانسان ، ويحاسب عليها الحساب العسير .

« ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا » .

والاسلام بعقائده ، وعباداته ، ومثله ، وقيمه ، قد بعث الحياة فى العواطف الجامدة ، واليقظة فى القلوب الهامدة وحرك حواس الخير فى الانسان لتتسع نفسه للعلاقات الحسنة ، والصداقات الطيبة ، والمعاشرة بالمعروف .

وانه الى جانب هذا حارب الظلم، والبغى ، حتى لا تهدر كرامة أحد ، ولا تنتهك حرمة انسان ، ولا يشعر ضعيف بهوان ، ولا يحس فقير بضياع ولا يؤخذ مال بغير حق .

وانه أراد أن يقيم اطهر حياة وانظفها على وجه الأرض .

حياة لا شرك فيها ولا وثنية .. بل فيها التوحيد الخالص ، والعبادة لله الذى تعنو له الوجوه . حياة لا ظلم فيها ولا استبداد بل فيها حق ، وعدالة وحرية ، واخاء ، حياة لا جهل فيها ولا أمية ، بل فيها علم ومعرفة وحكمة . حياة لا رفث فيها ولا فسوق . ولكن فيها طهارة ، ونظافة وعفاف ، حياة لا حسد فيها ولا حقد . بل فيها محبة وتعاون وتآزر وتناصر ،حياة لا سرف فيها ولا ترف ، بل فيها بذل ، وكرم وايثار ، حياة لا خمر فيها ، لا قمار ، بل فيها كدح وعمل وطلب لما أحل الله .

وانه استهدف تهذيب الفرد ، وتعاون الجماعة ، وايجاد حكم اساسه الشورى ، وغايته حراسة الدين ، وسياسة الدنيا ، وجعل فى طليعة وظيفته الدعوة الى هداية هذا الدين ، لتعم الأخوة الانسانية مما يعجل بسلام عام ، يعيش الناس فى ظله آمنين .

هذا هو الاسلام الذى يمكن ان نقدمه للناس فى عصر العلم والاكتشاف الذرى .

وان هذا الوقت لهو انسب الأوقات للنهوض بهذه الرسالة السامية .

فقد انتهت معظم الآراء فى أوربا وأمريكا الى وجوب المناداة بالعودة الى الدين ، لأن التطور المادى الذى لم يصحبه سند من روح تطور خطر لا غاية له الا الخراب والدمار ، ولأن النفوس قد أفسدها الطمع ، والجشع ، والشره ، والأنانية ، وهم أحوج ما يكونون الى اصلاح هذه النفوس وعلاجها ، ليسود المجتمع المودة ، والرحمة ، والمعاونة ، والايثار ، والسماحة ، والطيبة .

وهذه الفضائل لا مصدر لها الا الدين والايمان .

وليس من دين سوى دين الاسلام ، يستطيع تقديم هذه الفضائل الانسانية ، وليس هذا هو رأينا الخاص ، وانما هو رأى علماء الغرب الذين درسوا الاسلام، ووقفوا على حقائقه ..

يقول جولد زيهر :

« انه اذا أردنا الانصاف ينبغى أن نؤمن بأن فى الاسلام قوة صالحة ، توجه الانسان نحو الخير.

وان الحياة المتفقة مع التعاليم الاسلامية ، حياة أخلاقية لا غبار عليها ذلك .. انها تتطلب الرحمة نحو جميع مخلوقات الله ، والوفاء بالعهود والمحبة ، والاخلاص ، وكف غرائز الأنانية ، الى هذه الفضائل التى أخذها الاسلام من الديانات التى اعترف لأصحابها بالرسالة .

المسلم الصالحهو الذى يحيا حياة يحقق فيها مطالب خلقية قاسية » .

ولكى يتم هذا فى أقصر وقت ، وبأقل جهد ، لابد من أن تتبنى الدولة الاضطلاع بهذا العبء ، أو تحتضنه أمة مخلصة،فان جهد الأفراد أضعف من أن يحتل النهوض بهذا الأمر الكبير .

وعلى الدولة ، أو الأمة التى تتبناه أن تتمثله علما وعملا،وأن تكون صورة صادقة لمبادئه ، وتعاليمه ، كما جاء فى الكتاب والسنة .

وبعرض الاسلام فى صورته الصحيحة ، وفى صورته العلمية التطبيقية نكون قد أقمنا الدعوة الاسلامية على أساس متين . بينما يكون علمنا وعملنا أقوى حجة ، وأوضح برهانا ، فى الاقناع ، والاستدلال ، وافحام من يتصدى لنا من الخصوم المعارضين .

ان الاسلام قوى بنفسه ، لأنه الحق ، ولكنه فى حاجة الى رجال يوضحون حقائقه ، ويظهرون معالمه، ويضحون من أجله .

وان أى جهد يبذل من أجل الاسلام لهو خدمة للانسانية نفسها وهى أحوج ما تكون اليه .

وأن مئات الملايين من البشر الذين يؤمنون بالاسلام ويدينون به،والذين يشغلون حيزا كبيرا من أرض الله الواسعة ، ليحتاجون الى من يزيدهم علما بالاسلام ، وتبصرا به ، وهم من جانبهم مستعدون لأن يكونوا جنود هذا الدين ، وانصاره المخلصين ، ولن يدخروا وسعا فى اعزازه وتأييده ، ومناصرة كل من يمد يده اليهم .

ان صراع المبادىء اليوم على أشده ، وانه بالغ غاية العنف .

وان كل دولة تتخذ كل الوسائل الممكنة لها ، لترويج أفكارها والدعاية لمذاهبها ، فتنشىء الوزارات ، وتجهز الأجهزة ، وتستغل الطاقات الفكرية، والأدبية ، والفنية ، لتأييد ما تراه ، واقناع الآخرين به .

واذا كانت هذه الدول تنفق عن سعة ، وتبذل هذه الجهود ، من أجل تأييد أفكارها البشرية ، القابلة للتغيير ، فان المسلمين أحق بالبذل وأولى بالتضحية ، وأجدر بالتنظيم ، لحماية الاسلام الحق ، والتبشير به ، والدعاية له ، فى آفاق الدنيا الرحبة ، المتعطشة لهداية الله ، والفقيرة الى من يرشدها الى الحق وينير لها الطريق .

وان هذا لهو جهاد الوقت ، ولا يقل فى قيمته عن جهاد الحرب والقتال .

وأى جهد يبذل فى هذه السبيل لهو جهد عظيم يباركه الله ، ويثيب عليه أجزل مثوبة .

بين الشريعة والقانون

للأستاذ على عبد الله طنطاوى

منذ وقت ليس ببعيد علت اصوات كثيرة تطالب باستبدال الشريعة الاسلامية الغراء بالقوانين الوضعية التى لم تؤت ثمرتها وكشفت الأيام عن قصورها وعدم ملائمتها للبيئة الاسلامية .

ولكن بعض المعارضين تصدوا لصيحة الحق هذه يحـــاولون النيل منها متشدقين بأسانيد باطلة ، وحجج واهية ناســـبين الى شريعة الله ما ليس فيها .. زاعمين انها قاسية ، وانها لا تساير ما يسمونه بالتطور ومدنية القرن العشرين ..

وبادىء ذى بدء اقول إنه ليس من المستغـــرب أن نسمع هـــذه المفتريات فى وقت شاع فيه الباطل ، وذاع فيه قول الزور ، وتغلغلت فيه المادية الفاجرة فى كثير من مناحى الحياة .

ولكن فات هؤلاء المعترضون ان الحق وإن تأخر انتصاره لن يخبو ضياؤه وأن لا بد له من الانتصار حتى وان علا الباطل عليه وطال .

ومما لا جدال فيه ولا مراء ان الناظر لحجج هؤلاء المعترضين يكاد يلمس من الوهلة الاولى مدى مجافاة أسانيدهم للوقائع ، ومخالفتهـــا للعقل والمنطق العادى للأمور .

فغنى عن البيان أن وظيفة كل قانون هى خدمة الجماعة التى يحكمها وسد حاجاتها ، وصيانة أخلاق أفرادها ورعاية آدابها وتقاليدها ، وحماية دينها ومعتقداتها .. ومن هنا اختلفت القوانين باختلاف الشـــعوب فالقانون يجب أن يكون نابعا من الظروف الاجتماعية للدولة ومن عقائدها ومشاعرها وعاداتها وتقاليدها انه يجب أن يكون قطعة من ماضـــيها وحاضرها والا فقد الغاية المرجوة منه بل يكون وبالا عـــلى الجمـــاعة وأخلاق أفرادها .

ومما يؤسف له أن هذا هو ما تعانى منه الدول الاســـلامية التى تحكمت فيها عقدة الاستيراد وهبطت بدينها الى المستوى الذى حجب عنها حسناته فلجأت الى الدول الاجنبية واستعارت بعض قوانينها ، فجاءت هذه القوانين مخالفة لعادات المسلمين وتقاليدهم ولا مكان فيها لعقيدتهم . بل جاءت مجافية كل المجافاة للاسلام متحدية للمسلمين تسخر من عقيدتهم وتمتهن مشاعرهم ، وتعبث بحرماتهم فكانت الطامة الكبرى وأصـــبحت

الدول الاسلامية « بسبب تطبيق هذه القوانين الغربية » مجتمعات تشيع فيها الفاحشة ويتفشى فيها الفساد الذى يوشك أن يدمرها والانحلال الذى كاد يقضى عليها ..

نعم .. كل هذا بفعل هذه القوانين الاجنبية التى عطلت حدود الاسلام ، وأحلت ما حرمه الله ، وحرمت ما أحله الله ، ونظرة خاطفة الى بعض مواد هذه القوانين تكفى لمعرفة مدى انسلاخها من الاخلاق وانحرافها عن الفضائل وتنكرها للبر والتراحم .

ولضيق المقام وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن القوانين الوضعية لا تعاقب على شرب الخمر ولا السكر لذاته وانما تعاقب عليه فى حالة السكر البين فى الطرق العامة أو المحلات العامة لأن المشرع تخوف من أن وجود السكير فى هذه الاماكن قد يعرض المارين بالطرق أو المرتادين لهذه المحلات لاذاه أو اعتدائه ورغم هذا التخوف من المشرع نجد أن الحماية التى أراد أن يسبغها على هؤلاء أضعف من انفاس المحتضر اذ جعل عقوبة هذه المخالفة الغرامة التى لا تزيد على جنيه أو الحبس مدة لا تزيد على أسبوع .. وبكل أسف ومرارة جرى القضاء فى الغالب الأعم من قضائه على تطبيق الغرامة دون الحبس .

ولكن الشريعة الغراء تعاقب على شرب الخمر فى جميع الاحوال لانها تعتبره رذيلة مضرة بالصحة ، مفسدة للأخلاق ، متلفة للمال .. انها تجرّمه لأنها تريد بناء الانسان النقى الضمير الحسن الخلق مكتمل الصفات والفضائل لكى ينشر الفضل ولكى يسمو بنفسه وبالحياة والأحياء المحيطين به الى درجة الكمال .

مرة ثانية على سبيل المثال أيضا نجد القانون الوضعى يحل الربا ويسبغ الحماية اللازمة عليه فى حدود قيمة الفائدة المحددة قانونا .

ونسى المشرع أن المدين لم يستدن الا لضرورة من ضرورات العيش ، ونسى أن هذه الفائدة ترهق المدين وتزيده اعسارا على اعسار .

ولكن شريعة الاسلام تحرم الربا فيقول الله عز وجل : « وأحل الله البيع وحرّم الربا .. » .

ثم يضع فى الاعتبار المدين الذى أعجزته ضآلة الدخل عن السداد فيعانى من أجل ذلك الدين هم الليل وذل النهار فيقول وهو أحكم الحاكمين « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

وعلى سبيل المثال أيضا بينما نجد القانون الوضعى لا يحرم الميسر الا اذا كان فى محل عام مهيأ لدخول الناس فيه ، نجد الاسلام يحرم الميسر فى كل آن ومكان لأنه يرى فيه ضياعا للوقت واتلافا للمال .. وكم شاهدنا وطالعتنا الصحف بأخبار أسر هدمت وأطفال شردت وكانت وبالا على المجتمع من جراء انغماس ذويهم فى السهر ولعب القمار ثم تأمل معالجة القوانين الوضعية لجريمة الزنا وكيف أباحتها ما دام ذلك برضاء الانثى « ما لم تقل سنها عن ثمانى عشرة سنة » واذا كانت أقل من هذه السن جعلت عقوبة الزنا الحبس وتركت تقدير مداه للقاضى الذى قد ينزل به الى أسبوع . وهكذا نجد القانون خرج على الدين والاخلاق والتقاليد وجعل الاباحية هى القاعدة والاخلاق الفاضلة الكريمة هى الاستثناء ..

اين هذا من عقوبة الله التى جعلها الرجم للمحصن والجلد لغير المحصن .. ؟
ان الله أراد حماية الأعراض من أن يعبث بها أو تمتد اليها الايدى الملوثة الآثمة حرصا على الحرمات وصونا للأنساب من العبث والفساد .
هذا قليل من كثير أحلت به القوانين الوضعية ما حرمه الله وآذت به شعور المسلمين وأشاعت الفساد بينهم وعطلت الحدود التى جاء بها دينهم .
ولقد زعم بعض الاشخاص أن هذه الحدود لا تساير ما يسمونه بالمدنية والتطور مدعين انها قاسية وكان أدنى للحق واقرب للنفع العام والأوفق والأرشد فى علاج جرائم السرقة ، واحراق المال العام واختلاسه أن يسارع المشرع بتطبيق حدود الشريعة الاسلامية حتى لا يكون مال الدولة مستباحا لكل موظف خرب الذمة طامع فيه ولكى لا يكون أفرادها غرضا لكل هاجم وموضعا لكل معتد اثيم .
انى أقول لهؤلاء المفترين والمدعين بأن شريعة الاسلام لا تلائم المدنية ولا تساير التطور ان الاسلام هو الذى انتشل الناس من ظلمات الجهل الى النور وهو الذى قاد العالم الى المدنية التى يزعمون انه لا يسايرها وعلى هؤلاء الذين تتحكم فيهم عقدة الاستيراد أن يمعنوا النظر فى أقوال المستشرق الفرنسي رينان « ان المدنية الاوروبية الحالية هى وليدة المدنية الاسلامية القديمة فى حقائقها العليا » .
ثم هذا هو العلامة الكاثوليكى شبرل عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا يقول « ان محمدا الذى تفخر به البشرية بانتسابه اليها استطاع أن يأتى من قرون بتشريع سنكون نحن الاوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا الى مثله بعد ألفى عام » .
وهذا مستشرق أمريكي آخر هوكنج أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد يقول « .. ان فى الشريعة الاسلامية كل المبادىء اللازمة للنهوض بالحياة » .
هذا رد المستشرقين أنفسهم أضعه أمام القائلين بعدم مسايرة الشريعة للمدنية الحديثة ..
بقيت الفرية الخبيثة التى ينسبونها للاسلام وهو منها براء .. فرية القسوة فى قطع يد السارق ..
ان الاسلام وضع الحدود لتقويم الخاطىء وهداية المنحرف ووقاية المجتمع من شر الفاسد ..
ترى هل الرحمة فى نظر هؤلاء الضالين المضلين هى الحنان الذى لا عقل له .. ؟ هل هى الشفقة التى تتنكر للعدل والنظام .. ؟!
ان الاسلام لا يقيم الحدود الا بعد أن لا يكون هناك عذر للمسلم فى ارتكاب جرمه ولا شبهة فى وقوعه منه . فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول « ادرءوا الحدود عن المسلمين بالشبهات فان كان له مخرج فخلوا سبيله فان الامام لأن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة » .
ان الاسلام يقطع يد السارق الذى لا يسرق اضطرارا ليطعم نفسه أو أهله فان ساقته ضرورات العيش الى جرمه فلا عقوبة عليه بل قد توقع العقوبة على من دفعه الى السرقة كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع غلمان ابن أبى بلتعه الذين سرقوا ناقة فقد أطلق

سراحهم وغرم سيدهم ثمنها ضعفين لأنه اجاعهم فاضطروا الى السرقة .

ولما عمت المجاعة فى عام الرمادة لم يطبق حد السرقة لأن شروطه لم تتوافر ويخطىء بعض المسلمين فيقولون أن عمر رضى الله عنه عطل حد السرقة وحاشى لله أن يقوم عمر بتعطيل حدود الله وهو الحريص على ارضاء ربه وشدته فى الدين وحرصه عليه لا يخفى على أحد .

ولكن عمر لم يطبق حد السرقة لأن شروطه لم تكن متوافرة لأن السارق كان يسرق وقتئذ اضطرارا .

ثم أن هذه القسوة التى يرمون بها الشريعة الاسلامية لا تدل الا على جهل القائلين بها بدين الاسلام . ان الاسلام جعل الرحمة أساس الاسلام والايمان وعلامة من علاماته بل هى صفة من صفات المؤمنين كما وصفهم القرآن الكريم .

والرحمة فى الاسلام لا تقتصر على الانسان بل تشمل الانسان والحيوان فيقول الله عز وجل « .. ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « فى كل كبد رطبة اجر » ويقول « والذى نفسى بيده لا يضع الله الرحمة الا على رحيم » .

هذه هى شريعة الرحمة .. شريعة الاسلام .. الشريعة التى جمعت بين العقيدة والنظام .. شريعة جمعت بين الدين والدنيا فى توجيهاتها وتشريعاتها وأمرنا الله أن نطبقها فى نظامنا الاجتماعى والقانونى والخلقى . فيقول « وان احكم بينهم بما أنزل الله » ويقول : « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » ووصف من لا يحكم بكتاب الله كافرا وظالما وفاسقا « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .. « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » .. « .. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

وتضمن القرآن الكريم أن من يختار حكما غير كتاب الله فهو ضال لا يعرف الايمان سبيلا الى قلبه « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

أقول لهؤلاء المعترضين أن لدينا من التشريعات الاسلامية ما نعطيه للآخرين .

ولسنا بحاجة الى استيراد قوانين اجنبية تخالف ديننا وتنحدر بأخلاقنا .

يا قوم تدبروا قول الله عز وجل « يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » يا قوم تدبروا قول نبيكم الكريم « كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم .. هو الفصل ليس بالهزل .. من تركه من جبار قصمه الله .. ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله .. وهو الصراط المستقيم .. هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة .. من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم » .

يا قوم أفيقوا من نومكم .. وسارعوا الى تطبيق شريعة ربكم .. فهى المنقذ ولا منقذ لنا سواها .

يا قوم ان الله هو خالقكم وهو الاعلم بعلاجنا ، وشريعته هى الاقدر على حل مشاكلنا وهى الطريق الوحيد لسعادتنا .

النسخ

توقيت للأحكام لا إبطال للشرائع ..



للدكتور : محمد محمد الشرقاوى

اقتضت حكمة الله تعالى أن يسن شرائعه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يتوخى فى انشائها وتدرجها فى النمو والاكتمال أسلوب الملاءمة والمسايرة لطبائع الاشياء بلا فجاءة ، ولا طفرة ، وبدون اكراه أو اضطرار ، فكان الانتقال بها من طور الى طور ، ومن درجة الى درجة هو ديدن التشريع ، ومنهج الاصلاح الدينى فى كل زمان ومكان ، وعلى تعاقب الاجيال والاحوال ، وذلك حتى تكون شرعة العدل .. شرعة الله مثلا حيا ، وواقعا عمليا ليس غريبا على دنيا الناس ، ولا نابيا عن سنن الكون ، وناموس الحياة .

ومن هنا جاء النسخ فى شريعتنا الغراء ، وفى شرائع الامم السابقة كتعبير عن رحمة الله ورفقه بخلقه ، وحكمته البالغة فى تبيين أحكامه ، وفى صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم تكن نبوة الا تناسخت » (القرطبى ج (١) آية النسخ) .

ومعنى النسخ فى متداول لغة العرب : التبديل : أى جعل شىء

مكان شيء آخر ، وقد يطلق بطريق التجوز على الازالة وعلى النقل باعتبارهما ملزومين للتبديل ، وقد جاء القرآن الكريم بالمعنى الاول فى قوله تعالى : « واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون . قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين» كما جاء فى الاستعمال العربى : نسخت الشمس الظل : اذا أذهبته وحلت محله ، ومنه قوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » .. كما أثر عنهم : نسخت الكتاب أى نقلت ما فيه الى آخر ، ونسخت النخل : أى نقلتها من موضع الى آخر ، ومنه قوله تعالى : « انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » أى نأمر بنسخه واثباته .

ويراد بالنسخ عند علماء أصول الفقه : ان يرد دليل شرعى متراخيا عن دليل شرعى بحيث يقتضى الثانى حكما يدافع وينافى حكم الدليل الاول سواء كان ذلك فى قطاع الكتاب العزيز ، أو السنة المطهرة من الاقوال أو الافعال أو غيرهما .

فليس من النسخ نسيان أو انساء حكم ثم مجيء حكم آخر مكانه ، وليس من النسخ رفع التلاوة لحكم مع بقاء سريانه بدون تلاوة ، ومعنى الابطال غير مراد بالنسبة الى الحكم الاول الذى وقع فعلا فى الماضى قبل ورود الحكم الثانى ، وانما يعنى هذا : التنظيم والتوقيت للأحكام والشرائع حسبما ثبت فى علم الله تعالى من تقدير الأمور ، وتنسيق الأوامر والنواهى .. كل فى وقته المناسب ، وبالقدر الملائم ، وهذا يجرنا الى القول بأن النسخ وما يتصل به من ناسخ ومنسوخ انما هو عمل مرحلى يستهدف اعداد النفوس ، وتهيئة المناخ الصالح لتقبل الجديد من الاحكام التى تدور مع فلك الحياة العامة أينما دارت ، وتتأثر بها فى واقعها المتنوع فهو بيان لوقت الحكم الاول ومداه وانهاء سريانه فى حد ذاته بحيث لا يكون صدور الحكم الثانى مؤثرا فى هذا الانهاء .. فلو لم يأت الدليل الثانى بالحكم الثانى لانتهى العمل بالحكم الذى يتضمنه الدليل الاول مطلقا ، ولم يمكن الاستمرار فيه ولا سريانه على المستقبل ، وكل ما أفادنا صدور الحكم الثانى هو تبديل حكم بحكم فى علمنا ، ومعرفة مدى صلاحية الحكم الاول فى علم الله تعالى ، ومثال ذلك : وفاة شخص ما .. ثم ولادة شخص آخر عقيب وفاة الأول .. فلا وفاة الأول مستلزمة لولادة الثانى ، ولاولادة الثانى متأثرة بوفاة الاول ، وانما هى الحكمة الالهية العليا التى اقتضت الوفاة والولادة تحقيقا لما تضمنه علم الله تعالى من مصالح ، وما انطوى عليه من أهداف لا شك فى سدادها وسلامة مسلكها .

والنسخ بهذا المعنى الذى يوقت بعض الاحكام ، ويبين أمد الشرائع بدءا ونهاية ، جائز عند جمهور المسلمين وواقع فى شريعتهم ، وفى غيرها لتحقيق المنافع الشرعية المترتبة عليه ، واليهود ما عدا العيسوية قد أنكره بعضهم عقلا ،

وانكره البعض الآخر نقلا كما أنكر ابو مسلم الاصفهاني من المتكلمين وقوعه فى القرآن . لقوله تعالى : « كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » فلو وقع النسخ فيه لاتاه الباطل ، كما استند اليهود الى نفى البدأء عن الله تعالى وهو التردد فى الامر بعد صدوره وعدم ادراك وجه الحكمة فيه فلذا يستحيل عليه النسخ .

بيد أن الكثرة الكاثرة من علماء الاسلام وفقهائه ورجال الاصول فيه قد رأوا جوازه ووقوعه بدون أن يترتب عليه باطل فى القرآن ولابداء على الله تعالى ، لان البداء سببه الجهل بالأمور ، وكل من الناسخ والمنسوخ حق من عند الله تعالى .. فهو الحاكم اولا وآخرا وهو صاحب الناسخ والمنسوخ ، ومرجع كل ذلك الى علمه وحكمته : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ، الا أن المنسوخ رفع حكمه لانتهاء وقته المناسب لصلاحيته ، واتبدأ العمل بالناسخ حين حان الظرف الملائم لسريانه والاحتكام اليه .. نزولا على متطلبات الحياة المتجددة ، ومسايرة لمساراتها المتنوعة وليس فى هذا بطلان ولا ابطال ، ولا تردد ، ولا بداء ، وانما فيه مرونة وتدرج ، وحكمة وترتب .

وقد ثبت فى التنزيل الحكيم أن موسى وعيسى عليهما السلام قد بشرا بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام ، وأوجبا الرجوع اليها عند ظهورها ، وأن الشريعة الاخيرة تسمى ناسخة اتباعا لقوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها » .

ولا تعارض بين الحكمين المتناسخين ما دام وقت كل منهما غير وقت الآخر ، والمتتبع لذلك يدرك وجه الحكمة فى كل منهما على حدة ، ثم فيهما معا ككل ، وقد حفلت الشرائع قديما وحديثا بالنسخ ، وجرى بين احكامها بمقادير محكمة ، وأوقات محددة كما يجرى استيعاب الأدوية المختلفة فى أوقاتها المناسبة تحت اشراف الطبيب الماهر : فمن القديم : ماروى من حلّ الاخوات للاخوة فى شريعة آدم عليه السلام ، وحل حواء له مع أنها جزء منه .. وذلك للحاجة الى التكاثر النوعى لبنى البشر عن هذا الطريق الذى لا بديل له .. ثم جاء نسخ ذلك فى الشرائع اللاحقة ، حين لم يعد الوقت ملائما لهذا التشريع الذى يعرض صلة الأرحام للهوان والابتذال وهو ما يتنافى مع التكامل المنشود من الشرائع والفضائل ، ومن امثلة ذلك أيضا : — ما ثبت فى الصحيحين انه عليه الصلاة والسلام قد أمر ليلة المعراج بخمسين صلاة فى اليوم والليلة الواحدة .. ثم نسخ ما زاد على خمس صلوات .. تخفيفا ورحمة ، .. وكل من المنسوخ والناسخ لا يكون الا كتابا أو سنة .. أما الاجماع والقياس فهما فى خارج دائرة النسخ ، لانه محدد بحياة النبى صلى الله عليه وسلم التى لا اجماع فيها ولا قياس من حيث انه صلى الله عليه وسلم متفرد ببيان الشرائع من دون الناس جميعا ، ولأن من شرط القياس أن يتناول فرعا لا نص فيه .

وفى النسخ حكمة بالغة ، ومصلحة عليا .. فهو كالاحياء والاماتة ، وتعاقبهما على مدرج الحياة .. فضلا عن كونه اختبارا دينيا لمدى صلابة الايمان ، وثبات العقيدة ، واحتواء النفوس لما تأتى به الشريعة من هذا اللون المتنوع من الاحكام المتناسخة .. مصداقا لقوله تعالى : « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله » ولهذا جاء النسخ على صور شتى وألوان متباينة فمنه : —

١ — نسخ السنة بالكتاب كما سبق بيانه من تغيير القبلة من بيت المقدس بالشام كما كان الحال فى مطلع الأمر ، الى البيت الحرام بمكة ، والاول ثابت بالسنة والثانى بالقرآن الكريم فى قوله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام » .

٢ — نسخ الكتاب بالكتاب كنسخ آية الوصية للوالدين والاقربين حال المرض الاخير فى قوله تعالى : « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين » .. فانها قد نسخت بآيات المواريث من مثل قوله تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » الى آخر ما جاء فى تنظيم المواريث بالقرآن الكريم .

٣ — نسخ السنة بالسنة ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم — : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها »

٤ — نسخ الكتاب بالسنة مثل سقوط الجلد الثابت بقوله تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » فانه قد سقط جلد الثيب الزانى اكتفاء برجمه، ولا مسقط لذلك الا فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع ماعز والغامدية .

والعقل لا يمانع فى جواز النسخ ولا فى وقوعه لانه أمر وجودى لا يتصور فى العقل عدمه ولا يترتب عليه نقيصة فى حق الله تعالى ، ولا محظور دينى يخشى وقوعه ، لان مرجعه أولا وأخيرا الى الشارع الحكيم فهو الناسخ وهو صاحب المنسوخ ، وهو فى هذا أو ذاك حاكم بأمره لا يسأل عما يفعل ، « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» وقد أخبرت الآيات بوقوعه ضمن الشريعة بمثل « ما ننسخ من آية .. » و « و بدلنا آية مكان آية » ولا داعى لارتكاب الشطط فى تأويلها واخراجها عن مدلولها القريب ، ما دام حملها على مفهومها المتبادر قد درج عليه العلم والعمل عند جماهير العلماء ، واعتبروه حقا ومصلحة شرعية تستهدف الترقى فى تنظيم الامور ، والتدرج فى اصدار الأوامر والنواهى فى دائرة الاحكام الشرعية العملية التى هى فروع الشريعة — وليست من أصولها الثابتة ، ولا من عقائدها الراسخة .. اذ أن هذه الاصول الشرعية المتعلقة بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله

واليوم الاخر والقضاء والقــدر وما يتصل بها من مكارم الاخـــلاق ، ومحاسن الآداب وما يدعم هذا من قصص قرآني أو نبوي يحمل في ثناياه العبر والمواعظ ، ويتحدث في صدق وواقعية عن الحقائق التي لا تحتمل التغيير والتبديل . . كل هذا خارج عن موضوع النسخ ، وغير داخل فيه ، فعمل النسخ محصور في اطار الاحكام الفرعية التي تنعكس عليها مؤثرات الزمان والمكان ، ومالا يقبل النسخ هو الدين ، وما يقبله هو الشريعة ، وفي القرآن الكريم « فأقم وجهــك للدين حنيفا فطرة الله التــي فطــر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر النـــاس لا يعلمون » وقد جاءتنا الاخبار بكثير من النسوخ نذكر منها : ــ

١ ــ ما ذكره القرطبي عن عائشة رضي الله عنها : « أن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة في الطول »

٢ ــ ذكر ابو بكر الأنباري : أن رجلين قاما من الليل ليقرآ سورة من القرآن فلم يقدرا فلما أخبرا الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك قال : «انها مما نسخ البارحة » .

٣ ــ قوله تعالى : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا » فقد نسخ في حــق السكر وصار محرما لا منة فيه .

٤ ــ قوله صلى الله عليه وسلم : « . . ونهيتكم عن الاشربة الا فــي ظروف الأدم فاشربوا في كل وعاء غير الا تشربوا مسكرا ونحوه » .

٥ ــ نسخت عدة الوفــاة من الحول الى اربعة اشهر وعشر تخفيفا على الامة .

٦ ــ نسخ وجوب صوم يـــوم عاشوراء في أول الامر بوجـــوب صيام رمضان في السنة الثانية للهجرة

٧ ــ نسخ حبس الزانيـــة في البيوت وايذاء الزاني بالقول الــى رجم المحصن وجلد غيره .

٨ ــ نسخ ارجاع المؤمنات الــى الكفار بمكة بمقتضى صلح مع قريش بقوله تعالى : « فلا ترجعوهن الــى الكفار » .

٩ ــ نسخ الامر بذبح ولد ابراهيم عليهما السلام بنزول الفداء في قوله تعالى « وفديناه بذبح عظيم » .

١٠ ــ نسخت العشر الرضعات المحرمات بما روته عائشة رضي الله عنها : « أنه كان فيما أنزل : عشر رضعات محرمات » .

١١ ــ نسخت آية صدقة النجوى بقوله تعالى : « أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصــلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون » .



كتاب الشهر

دعوة الحق أو الحقيقة بين
المسيحية والاسلام

● تأليف الاستاذ : منصور حسين عبد العزيز
● الناشر : مكتبة علاء الدين بالاسكندرية
● عرض وتحليل : محمد عبد الله السمان

هذه هي الطبعة الثانية من هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، فقد سبق أن طبع طبعته الاولى عام ١٩٦٣ م ، لكن الطبعة الثانية اضافت فصلا في زهاء اربعين صفحة تضمن التعليق على ما ظهر من ردود على الطبعة الاولى ، ولقد فعل المؤلف خيرا حين افسح صدر الطبعة الجديدة لما وجه الى الكتاب من نقد ، وهذا ما يفعله كل كاتب مطمئن الى ما كتب ، وما أكثر المؤلفين الذين لا يعنون بمثل هذا : اما مكابرة بغير حق ، واما هروبا من النقد بغير شجاعة ، واما تجاهلا بغير انصاف ..

والمؤلف قاض بالمحاكم الوطنية في جمهورية مصر ، وموقفه هو موقف القاضي النزيه الذي يتسع صدره لممثل الدفاع كما يتسع لممثل الاتهام سواء بسواء ، وقد عنى في فصله الختامي بكتابين ظهرا بعد الطبعة الاولى وتوليا مناقشة الكتاب والرد عليه ، اولهما بعنوان (الحق) لكاهن كنيسة رئيس

الملائكة ميخائيل بغربال بالاسكندرية والآخر بعنوان (بيان الحق) فى أربعة اجزاء لأحد وعاظ الاقباط ومدرسى التربية الدينية ، ولم يترك المؤلف بقيـــة الردود تجاهلا لها ، بل ربما لأن هذين الكتابين قد استوعبا الخطوط الرئيسية لكل الردود ، ومنها التعليقات التى وصلت المؤلف عن طريق البريد ..

ان فكرة الكتاب تقوم أساسا على البحث فى الحقيقة بين صلب المسيح عليه السلام أو عدم صلبه ، وبين الوهيته أو عدم الوهيته ، وهنا نقرر حقيقة يجب أن تقرر ، وهى أن معظم كتابنا الكبار والصغار معا حين يترجمون عن شخصية المسيح عليه السلام . انما يحاولون جهد الاستطاعة البعد عن هذين الأمرين الاساسيين ، لا لكونهما أمرين شائكين ، وحسب ، لذلك فهم يؤثرون السلامة من الجدل ، بل ايضا لأن هذين الأمرين تتطلب مناقشتهما كثيرا من الاجهاد الذهنى ، لذلك فهم يؤثرون تناول شخصية المسيح من جانبها السلوكى والاخلاقى .. وكفى ..

واذا كان من حق اتباع المسيح أن يؤمنوا به كيفما شاءوا فان من حق المسلمين أن يناقشوا أسلوب هذا الايمان ، لأن الايمان بالمســـيح جزء من عقيدتهم ، والاسلام لم يضع سدا يحول دون هذه المناقشة ، وانما اشترط أن يكون الجدل بالتى هى أحسن : « ولا تجادلوا أهل الـــكتاب الا بالتى هى أحسن » كما يقول القرآن الـــكريم ، وقد التزم المؤلف بتحقيق هذا الشرط ، فجاءت دراسته موضوعية لا أثر فيها للعاطفة أو الانشاء ..

يقرر المؤلف فى تمهيده للبحث ، أن المسيحية والاسلام يلتقيان معا على الايمان بجميع الرسل والرسالات السابقة ، والايمان بالمسيح ورســـالته ، كما يلتقيان على الدعوة الى كل خير ، وعلى الدعوة الى عبادة الله الواحد ، وعلى هذا اللقاء الرائع العظيم بين الاسلام والمسيحية ، والذى كان حقيقيا بأن يجعل منهما دينا واحدا يؤمن به الناس جميعا ، مسيحيين كانوا أم مسلمين . فاللقـــاء بينهما لقاء وحدة ، ولكن مع هذا ، وبرغم هذا اللقاء الكامل ، فان المســـيحية والاسلام يبدوان بين الناس اليوم كأبعد ما يكونان عن أن يلتقيا .

فى الباب الأول : يعرض المؤلف منهجه فى البحث ، فيشـــير اولا الى اربعة مناهج دأب معظم الكتاب ــ مسيحيين ومسلمين ــ على الأخذ بها فـــى مؤلفاتهم ، ففى المنهج الأول يكتفى كل فريق بشرح معتقدات دينه واثباتهـــا بمفهومها المستقر لدى من يدينون بها دون التعرض لمعتقدات الفريق الآخر ، وفى المنهج الثانى ، يحاول كل فريق اثبات مفهومات عقيدته بنفى معتقـــدات الفريق الآخر ، وفى المنهج الثالث : يحاول كل فريق من الفريقين جاهدا التقريب بين العقيدتين ، باثبات مفهوم عقيدته من مصادر عقيدة الفريق الآخر أو التجاوز نهائيا عن الخلافات الاساسية التى يجب أن لا تقف عائقا عن أن تتعاون كل من الثقافتين المسيحية والاسلامية فيما يتفقان عليه انتصارا لقضية التدين جملة ، اما المنهج الرابع ، فهو منهج يقوم على التعرض للدين الآخر بالهزء والتجريح ، دون أن تتبع أسس سليمة أو مقبولة للبحث ، والمؤلف قد أسقط هذا المنهج الاخير من المناقشة مكتفيا بهذه الاشارة العاجلة اليه ..

ويأخذ المؤلف على المنهج الاول : أن البحث وفقـــه لا يجـــدى فى البحث المقصود عن الحقيقة بين المسيحية والاسلام ، اذ هو يفترض ابتداء الايمـــان

بمفهومات المسيحية ، كما استقرت لدى المسيحيين والتسليم بها ، أو يفترض ابتداء الايمان بما جاء به الاسلام والتسليم بصحة ما قال به القرآن ، والبحث على هذا الاساس انما هو مصادرة للحقيقة لأنه انما يقوم على أساس من افتراض ثبوتها على نحو معين ابتداء ، بينما نفس الافتراض هو ما نقصد الوصول الى الحقيقة بشأنه ..

ويرى المؤلف فى المنهج الثانى الذى يقوم على أساس البدء بهدم الكتاب المقدس نفسه وعدم الاعتراف به ، أو محاولة هدم القرآن نفسه وعدم الاعتراف به ، يرى المؤلف فى هذا المنهج اسلوبا يكاد يصل الى حد السخرية بالملايين ، لأن كلا الكتابين المقدسين مهما قيل فيه ، فان هذا لن ينفى بأى حال من الأحوال أنه حقيقة قائمة لا يمكن تجاهلها ..

أما المنهج الثالث الذى يقوم أساسا على محاولة توحيد الكلمة بين المسيحية والاسلام ، فالمؤلف بازائه يحمد ابتداء لأصحابه قصدهم الطيب ، لكن التقليل من شأن الخلاف الجذرى بين العقيدتين ، أو الاعتراف به كحقيقة مسلم بها والأفضل عدم المساس به ، فهذا وذاك مما يرفضه المؤلف ..
واذا كان المؤلف قد نقد المناهج الثلاثة السابقة ، فهو يرى أن أول ما يجب مراعاته فى البحث عن الحقيقة ، هو عدم افتراضها ابتداء على نحو معين على الاطلاق — كما سلكت المناهج الثلاثة السالفة الذكر ، انما يجب أن يجرى البحث مجردا عن أى فرض لها ، فاذا كان المسيحيون يقولون بصلب المسيح مثلا ، بينما يقول المسلمون بعدم صلبه ، فان الوصول الى الحقيقة فى هذه القضية ، لا يكون بافتراض أنه قد صلب أو أنه لم يصلب ، وانما بأن نضع هذين الفرضين أمام أعيننا ، ثم نبحث فى الحقيقة بينهما ، متبعين فى ذلك أسسا صحيحة ومقبولة للبحث ، يقبلها المسيحيون والمسلمون على السواء ، أو على الاقل لا يقبل منهم رفضها ، بأن تكون واضحة الحيدة ، يستوجب العقل قبولها ، وكذلك الحال أيضا بالنسبة للخلاف بين طبيعة المسيح عليه السلام ..

أفرد المؤلف الباب الثانى من الكتاب الذى يقع فى أكثر من ثلاثمائة وخمسين صفحة ، للبحث عن الحقيقة بين صلب المسيح أو عدم صلبه ، وقد حرص على الالتزام بمنهجه فى البحث وهو البحث عن الحقيقة المجردة بين الفروض محل البحث ، وفى مسألة الصلب يدور البحث عن الحقيقة بين فرضين محددين : الأول ما يعتقده المسيحيون من أن المسيح قد صلب ، والآخر ما يعتقده المسلمون من نفى الصلب عن المسيح ذاته ، وبعد أن استعرض المؤلف أقوال الاناجيل الاربعة بالتفصيل فيما يختص بمسألة الصلب ، اشار الى أن تفاصيل الصورة العامة للواقعة واحدة عند المسيحيين والمسلمين على السواء . ما عدا أمرا واحدا ، فالمسيحيون يعتقدون أن المسيح ذاته هو الذى صلب ، بينما يعتقد المسلمون أن شخصا آخر غير المسيح هو الذى صلب ، لكن قد يبدو هذا الفرق ضئيلا للغاية فى ظاهره ، الا أنه كبير وبعيد الأثر فى عمقه وحقيقته ..
أما المعيار الذى اعتبره المؤلف فى البحث عن الحقيقة المجردة فى مسألة الصلب ، يكون بالاحتكام الى الكتب السماوية السابقة على المسيح ، بالاحتكام الى ما فيها من نبوءات ، وبصفة خاصة بالاحتكام الى ما ورد فى سفر المزامير

من نبوءات صريحة كانت أم قياسية ، وهذه النبوءات كلها تجمع على أن المسيح يدعو الله فيستجيب له ، يخلصه ويرفعه اليه ، أما ذلك الشرير (يهوذا) الذى تآمر عليه ، فأنه يقبض عليه ، ويحاكم ويصلب بدلا منه ، وهنا يقـول المـؤلف :

« وانه لمن الأحسن ، توضيحا لكمال النبوءة وصراحتهـا وقطعها ، أن نجمع على حدة ، النبوءات التى تشير الى كل جانب من جوانب النبوءة ، فنجمع على حدة الآيات التى تشير الى دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب ، ثم تلك الآيات التى تشير الى استجابة الله لدعاء مسيحه بتخليصه من الصلب ، ثم أخيرا ، الآيات التى تشـير الى القبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا من المسيح عليه السلام ، لنستخلص من كل ذلك الحقيقة كما تنبأت بها المزامير » .



وكان منهج المؤلف فى القضية الاخرى ـ قضية الوهية المسـيح أو بشريته ـ نفس منهجه فى القضية السابقة ـ صلب المسيح أو عدم صلبه ـ فهو يبحث أيضا عن الحقيقة المجردة وحدها ، وللوصول الى هذه الحقيقـة المجردة لا يجوز افتراضها على نحو معين ابتداء ، وانما يتعين البحث عنهـا هنا بين فرضين محددين : الأول ما يعتقده المسيحيون وهو الوهية المسيح ، والآخـر ما يعتقده المسـلمون ، وهو أنه انسان نبى بشر ، كذلـك لـم يتقيد المؤلف بصحة أى فرض منهما ابتداء ، وانما بحث عن الحقيقة وحـدها بينهما ، وكما فعل فى القضية الاولى حيث بدأ بشرح مفصل لمسألة الصلب من واقع الأناجيل الاربعة ، وعدم صلبه كما يعتقد المسـلمون من واقع القرآن الكريم ، فعل أيضا فى القضية الاخرى ، حيث بدأ بشرح مفصل لألوهية المسيح كما يعتقد المسيحيون من واقع الأناجيل الاربعة ، وبشرح مفصل لعدم الوهيته كما يؤمن المسلمون من واقع القرآن الكريم ..

يقرر المؤلف ـ بعد أن استعرض الخلاف القائم بين المذاهب المسيحية حول طبيعة المسيح نفسه ـ أنه من العجز بمكان أن نستخلص بأنفسنا من الاناجيل الاربعة المتداولة الوهية المسيح كما يعتقد بها المسيحيون ، بعد أن وضح بجلاء ان المسيحيين انفسهم لم يستطيعوا استخلاص تعبير واحد من هذه الأناجيل ولا غيرها عن هذه الطبيعة يتفقون عليه جميعا حتى أنهم ليصلون من اجل الوصول الى مثل هذا التعبير من أجل وحدة الكنيسة نفسها ..

لذلك رأى المؤلف أن المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة بين صـلب المسيح أو عدم صلبه ، كان فى البحث عما ورد فى العهد القديم وبالذات فى سفر المزامير من نبوءات عن ذلك ، وهى ـ أى النبوءات ـ من الأسس التى تقوم عليها دراسات المسيحيين وأبحاثهم دون المسلمين ، الا أن فيها معيـارا صحيحا تقضى الأصول السليمة للبحث عن الحقيقة بأن يقبله المسلمون أيضا ، لكن قد يكون مقبولا أن نبحث عن نبوءة تقول بأن المسيح سيصلب أو سيخلصه الله ويرفعه اليه ، أما أن نبحث عن نبوءة تقول بأنه سيكون الها أو لن يكون الها ، فهذا غير مقبول ، فان تعليق الكون على المستقبل ينفى الالوهية نفسها ، والتى تستلزم الدوام والاستمرار .

لكن المؤلف يؤكد أن نبوءات العهد القديم خلت من اية اشارة الى طبيعة المسيح ، ولا الى أن الله قد تجسد ، لذلك فان هذه النبوءات لن تكون ذات جدوى فى الكشف عن الحقيقة بين الوهية المسيح عليه السلام أو عدم الوهيته .. ويتمم البحث عن معيار آخر ، التمسه المؤلف من سيرة المسيح المدونة عن حياته بأقلام المسيحيين أنفسهم . فقد اتضح من خلال حياته أن اطول فترة منها ظل الجميع خلالها على السواء لا يرون فيه غير انسان بشر كسائر الناس ، الا أنه ولد من عذراء لم يمسسها بشر ، وفى هذا ، وحتى آخر هذه الفترة — كما يقول المؤلف — يتفق ايمان المسيحيين تماما مع اعتقاد المسلمين بشأن طبيعة المسيح كأنسان ، والمعيار الذى يكشف لنا عن الحقيقة بشأن تلك الطبيعة . يكون اذن فى بيان ما اذا كان ما تلا هذه الفترة يؤدى بالفعل الى القول بالوهية المسيح أم لا ..

ويرى المؤلف : انه ليس امامنا من وثائق يمكن أن نتتبع فيها أقوال المسيح عن نفسه غير الأناجيل المتداولة ، لأن هذه الاقوال عليها معول كبير فى البحث عن الحقيقة ، لكن يجب أن لا ننسى أن هذه الأناجيل بنصوصها لا يمكن أن تكون موحى بها من الله على أية صورة كان هذا الوحى ، لا لأنها دونت بعد المسيح بفترة زمنية بعيدة وحسب ، بل أيضا لأن فيها من صور التناقض ما لا يقع تحت حصر ، وما لا يقبل أى تأويل للتوفيق بين صور التناقض .

وقد أضاف المؤلف أن كتبة الأناجيل الثلاثة الاولى : متى ومرقص ولوقا ، واذ كانوا يتوقعون عودة المسيح بمجد وبتاريخ مبكر ، فقد أوردوا لهذا السبب على لسانه فى هذه الاناجيل أن مجيئه وانقضاء الدهر سيكون قبل أن يمضى هذا الجيل الذى كان يتحدث اليه .. ولهذا فينبغى أن لا يفوتنا أن هؤلاء الكتبة أنفسهم كانوا ممن آمنوا بالوهية المسيح ، ولذا ينبغى التدقيق الى أقصى حد فيما يثبتونه على لسانه ويدل على الوهيته ، خشية أن يكون ايمانهم بالوهيته قد حدا بهم الى ان يثبتوا على لسانه ما لم يقله قصدا منهم الى اثبات هذه الألوهية له ، كما دفعهم من قبل ان يثبتوا على لسانه أن مجيئه وانقضاء الدهر سيكون فى جيلهم ، وهو ما انتهينا الى أنه لم يقله ، بل يجب الاهتمام بانجيل يوحنا الذى كتب اصلا للرد على من نفوا الوهية المسيح ، وثبوت قصد الكاتب لهذا الانجيل مع وجود أناجيل أخرى عديدة وقت كتابته طوردت وأحرقت ولم يبق منها الا الثلاثة الاخرى ، كل ذلك يوجب الحذر بل التشكك فى كل ما يثبته هذا الانجيل على لسان المسيح مقررا الوهيته ، وبخاصة اذا لم يتطابق مع ما ورد فى الاناجيل الاخرى .

هذا — وقد عقد المؤلف فصلا ذا اهمية عن : (الله فى ضوء العلم) ليعيننا — كما يقول — فى التعرف على الله ، والذى يقول المسيحيون أنه المسيح عليه السلام ، واهتم المؤلف بكتاب (الله يتجلى فى عصر العلم) الذى الفه نخبة من العلماء الامريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الارض ، حيث أن كلا منهم اثبت وجود الله حسب الفرع من فروع العلم الذى تخصص فيه ، ويكفى الاشارة فى هذا الحيز الضيق الى عبارات من مقال د. ولتر أوسكار :

« .. وحتى عندما تتحرر عقول الناس من الخوف ، فليس من السهل ان تتحرر من التعصب والاهواء ، ففى جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم فى اله على صورة الانسان ، بدلا من الاعتقاد بأن الانسان قد خلق خليفة لله على الارض . وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية ، فان تلك الصورة التى تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم فى التفكير أو مع أى منطق مقبول » .



وبعد ،

فلا أعتقد أن هذه الصفحات المعدودة يمكن أن توفى هذا الكتاب حقه ، وهو الذى يقع فى أكثر من ستمائة وعشرين صفحة من القطع الكبير ، ويتناول موضوعا من أخطر الموضوعات وادقها ..

ونحن اذا تجاوزنا عن أن مثل هذه الدراسة الجيدة كان يجب أن تنزه عن الاخطاء اللغوية العديدة ، وعن أن المؤلف تغاضى — ربما بغير قصد — عن دراسات سبقته فى هذا الموضوع ، كان يهمنا أن يتناولها بقلمه ، مثل كتاب (اظهار الحق) للمرحوم رحمة الله الهندى ، وهو تسجيل لحوار دار بينه وبين مبشر انجليزى ، كذلك كتاب : (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لابن تيمية، كذلك كتابات المرحوم محيى الدين البغدادى على صفحات مجلة (الاسلام) وهى من التقدير بمكان — اقول : اذا نحن تجاوزنا عن هذه وتلك ، لا يسعنا الا أن نعترف أولا ، بأن الجهد المضنى الذى بذله المؤلف فى بحثه ، جدير بأن ينال تقدير كل مثقف منصف ، فقد كان بحثا موضوعيا خلا من جو العاطفة والانفعال ، كما كانت عنايته بمناقشة الاعتراضات على كل مسألة لا تقل عن عنايته باقرار الحقائق التى هدف الى اقرارها ..

ولا يسعنا الا أن نعترف ثانيا ، بأن صدور الكتاب فى هذه الآونة ، كان ضرورة ملحة ، فما أكثر الكتب التبشيرية التى هبطت فجأة الى أسواق البلاد الاسلامية وبخاصة المنطقة العربية ، ولم يكن المقصود منها — وحسب — مجرد التبشير ، بل الهدف الاساسى هو التشكيك فى العقيدة الاسلامية لدى الشباب المسلم ، ولا حاجة بنا الى اثارة الأسى لنشير الى أن كتيبا وزع في بعض جامعات بلد عربى مسلم عنوانه (كيف تنصر مسلما) بل نحن فى حاجة الىأن نشير الى كتاب لكاتب مسيحى منصف هو كتاب : (فى خطى محمد) للكاتب اللبناني الاستاذ (نصرى سلهب) لا لأن الكاتب اعلن فى كتابه عن ايمانه برسالة النبى العربى عليه السلام ، ودعوة المسيحيين الى الايمان بالرسالة المحمدية ونبذ روح البغضاء المفتعلة ، بل ايضا لورود مثل هذه الكلمات العاقلة :

« لن نخسر السماء اذا آمنا بأن القرآن كلام الله أنزله رحمة للناس وهدى ، بل اننا بافتتاحنا على الاسلام وبايماننا به دينا منزلا ، وبمحمد نبيا مرسلا ، نعيش مسيحيتنا كما أرادها المسيح واحة محبة .. » .

الاحتكار وتسعير السلع

وحكمها في الفقه الاسلامي

٢

للدكتور محمد سلام مدكور

عرضنا فى المقال السابق معنى الاحتكار فى اعتبار فقهاء المذاهب ودليل منعه ، وأن المقصود من المنع والحظر هو التحريم كما يتجه الى ذلك جمهور فقهاء المذاهب ، وبينا أن المحتكر اذا لم يخرج للناس ما حبسه عنهم يلزمه ولى الأمر بذلك أو يبيعه جبرا عنه فضلا عن ما يراه البعض من حبسه وتعزيره ، وبينا أن سياسة الحكام فى ذلك تختلف تبعا لاختلاف العصر وما يحف بكل واقعة من ظروف وملابسات . وعرضنا ما قيل من أن أحد الخلفاء كان يملأ المخازن بالسلع التى يحتاجها الناس فاذا شحت من الأسواق أو تلاعب التجار فيها فتح مخازنه وغمر السوق بها بالسعر المعتاد وهكذا حتى يحفظ الأسعار ويمنع الاحتكار .

ونتناول هنا أمرين نختتم بهما الموضوع :

١ ــ ما نراه فى احتكار غير القوت من مختلف السلع المستوردة والمنتجة بل والاعمال والحرف .

٢ ــ تسعير السلع وحكم ذلك فى الاسلام .

اولا : ما نراه فى احتكار غير القوت :

رأيت مما ذهب اليه كثير من الفقهاء أن الاحتكار مقصور على أقوات الناس وان زاد بعضهم شيئا فهم أولئك الذين أضافوا الى القوت ما يحتاج اليه الانسان مع القوت فى كثير من الاحيان كاللحوم والفواكه والزيوت وما الى ذلك . وكانت وجهة نظر هؤلاء أنهم وجدوا ما ورد فى السنة أو ما روى عن الصحابة فى ذلك يتصل بهذا المعنى ويدور حوله .

ونحن نرى أن لهم وجهتهم فى ذلك لأن تلك الأشياء هى التى كانت تتجلى فيها قديما أثرة التجار وجشعهم ، وتبدو فيها ضرورة الناس الملحة ، لأن الحاجة الى القوت والطعام هى التى تتسم بسمة الاضطرار وتوصف بالضيق تارة وبالسعة تارة أخرى ولكن الواقع أن سر التشريع كما خرصوا به هو دفع الضرر والضيق عن الناس ، وكل ما كان كذلك فقد حرمه الشارع فى مظاهر عديدة من التشريعات والاحكام .

ولقد أحسن الإمام أبو يوسف الفقيه الحنفى اذ رأى أن الاحتكار عام شامل لكل ما يحتاج اليه الناس ، ولم ينفرد أبو يوسف بهذا الرأى بل نقله سحنون عن مالك أيضا . وقال به فقهاء غيرهما . وهذا هو الذى يتفق مع مقصد الشارع من تشريع الأحكام ، وأن الأحكام الشرعية تعتبر جلب النافع ودفع الضار ، وهل يخفى علينا قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث المشهور (لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام) وقوله فيما روى عنه (ملعون من ضار مسلما) .

ومن المضارة بالجماعة أن تحجز عنها السلع والثياب والفراش والدواء والكتب والدواب أو أى شىء غير ذلك مما يلزم الناس وتشتد الحاجة اليه .

ما نراه فى احتكار المستورد والغلة :

نريد بالمستورد ما ليس مشترى من سوق المصر وانما جلبه التجار اليها من خارجها . والاحتكار كما يرى أبو يوسف يتحقق فى المجلوب من السلع أيضا ، ومذهب الشافعى وان كان قصر الاحتكار على الطعام الا انه لم يقصره على المشترى من سوق المدينة فشمل عنده المستورد أيضا اذا حبس وكان الناس فى حاجة اليه وكذا المذهب المالكى والظاهرى والزيدية والجعفرية فانهم يعممون فى الشراء من أسواق المصر ومن خارجها على ما ذكرنا قبل .

على أن التعليل الذى ينقل مع رأى أبى حنيفة فى قصر الاحتكار على المشترى من سوق المصر . وهو ما روى من قول النبى صلى الله عليه وسلم (الجالب مرزوق) يبدو أنه ليس من صنع الامام وانما أيد رأيه به بعض علماء المذهب . وقد صرح كل من الحافظ بن حجر والمقريزى والشوكانى بضعف اسناد الحديث .

على أن الحديث مشروح كما نقله المقريزى فى شرحه للجامع الصغير : (بمن يجلب الطعام للبيع من بلد الى آخر ويبيعه بسعر يومه) ويؤيد هذا التفسير تأييدا واضحا المقابلة فى عجز الحديث (والمحتكر ملعون) وفسر المقريزى المحتكر بمحتبس

الطعام الذى تعم الحاجة اليه ليبيعه بسعر مرتفع يتحكم هو فى فرضه على الناس . فهما معنيان لا يلتقيان ولا يمكن أن يفسر الجالب المرزوق بمن يجلب الطعام من بلد بعيد ليحبسه حتى يبيعه بثمن يضار به الناس ويغلو به عليهم . فالمقابلة فى الحديث تجعل الأمر واضحا بينا من ان اجتلاب السلع واستيرادها لتداولها بين الناس وبيعها لهم فى الحال أمر حسن مطلوب ، أما احتكارها وحبسها عن الناس لاغلائها عليهم وعدم اظهارها الا وقت اشتداد الحاجة اليها مع التحكم فى سعرها. فهو عين الاحتكار الممنوع وداخل فى عموم قول الرسول عليه السلام (المحتكر ملعون) .

نعم اننا لا ننكر أن الذى يشترى السلع من الأسواق بالمصر يحتبسها ليحول بين الناس وبين شرائها حتى يشتد اضطرارهم فيبذلون له ما شاء من السعر أشد مضارة وأشنع معاملة ، ولا سيما أن السلع التى جمعها من أسواق المصر تعلق حق المواطنين بها أظهر وأوضح . ولكن هذا لا يمنع من تحقيق الاضرار بالعامة فى منع المستورد من الخارج واحتكاره ، لأن من منعهم شيئا يستطيع ايصاله اليهم وهم يحتاجون اليه — فضلا عن أن يكونوا فى أشد الحاجة اليه — فقد منعهم حقهم الاسلامى وهو ظالم جائر أيضا .

والعجيب أن من يقول لأبى حنيفة على اخراج المجلوب من خارج المصر اذا حبس عن دائرة الاحتكار يقول كما فى البدائع (لكن مع هذا فالافضل له الا يحبسه ويبيعه لأن فى الحبس ضررا بالمسلمين .. وهذه العلة — مضارة المسلمين — تقتضى حرمة الحبس لا مجرد افضلية البذل .

والحق أن ملكية الافراد فى الفقه الاسلامى ليست مطلقة وانما هى مقيدة من الشارع بقيود كلها تحقق صالح الجماعة وتحقق معنى التكافل والبر والتعاون من الزكاة والنفقات والصدقات ومنع الاحتكار والتشريع الاسلامى لا يسمح باساءة استعمال الحق .

ومن هذا يتبين أن الفقه الاسلامى فى حقيقته يقتضى أيضا منع الاحتكار فى غلة الضيعة ، وما تنتجه المصانع اذا حبسه صاحب المصنع لاغلائه على الناس عند خلو السوق منه واشتدت حاجة الناس اليه لأن فى حبسه مضارة للناس واستغلالا لهم استغلالا يتنافى مع ما يدعو اليه الدين من التعاون .

احتكار الأعمال والحرف :

بل نحن لا نقف فى مفهوم الاحتكار عند هذا الحد بل نرى أن اتفاق المشتركين فى مهنة أو حرفة على استغلال المحتاجين الى الانتفاع بمهنتهم أو حرفتهم استغلالا يفيدون به كسبا كبيرا بأن يقصروا أعمال هذه الحرفة فى دائرتهم ، ويقصروا تعلمها على طائفة محددة من أفراد أسرهم ليضطروا الناس الى الخضوع لما يفرضون من الاجور على أعمالهم اطمئنانا منهم الى أن من هم فى حاجة الى صنفهم وعملهم لا يستطيعون أن يخرجوا عن دائرتهم . وهذا فيما أرى يتحقق فيه معنى الاحتكار لأن المضارة التى حرم من أجلها الاحتكار متحققة . وان كان هذا النوع من الاحتكار من لون آخر

ظهر مع انتشار المدنية ونشأ نتيجة تغلب المادة وتكالب الناس على جمعها بعد أن بعدوا عن روح التعاون .

وواضح أن هذا المعنى وان لم يكن احتكارا بالاصطلاح الفقهي العام فان فيه دون شك معنى المضارة المتحققة فى الاحتكار الفقهى ومعنى إساءة استعمال الحق الذى حد الشارع من سلطان المتعسف فيه وكان الفقه الاسلامى أسبق من سائر الحضارات فى وضع أسس هذه النظرية ، وجعل مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد مما جعلنا نقول إنه ذو نزعة جماعية . ولذا فاننا نجزم بأن مثل هذا النوع من الاحتكار يسرى اليه حكم الاحتكار الفقهى وهو التحريم على ما ذهب إليه جمهور الفقهاء .

على أن الفقهاء قد نصوا على انه يحق لولى الأمر اذا احتاج صالح الجماعة الى ارباب حرفة ما كالطبيب والمهندس والمعلم والزارع والصانع والسائق . كان من حقه أن يجبرهم على العمل لصالح الجماعة بأجر المثل . وقد أشار ابن القيم الى مثل ذلك فى قوله (ان من اقبح الظلم أن يحتاج الناس الى صناعة طائفة كالفلاحة والنساجة والبناء وغير ذلك فلولى الأمر أن يلزمهم بذلك بأجر مثلهم فانه لا تتم مصلحة الناس الا بذلك) .

ومن اجل هذا قالت طائفة من اصحاب أحمد والشافعى : ان تعلم هذه الصناعات فرض على الكفاية لحاجة الناس اليها ، وكذلك تجهيز الموتى ودفنهم .. وما الى ذلك مما لا تقوم مصالح الامة الا به فاذا كان الناس محتاجين الى صناعة الصانع صارت هذه الصناعة مستحقة عليه . يجبره عليها ولى الأمر بعوض المثل ولا يمكنهم من مطالبة بزيادة عن ذلك ولا يمكن الناس من ظلمهم بأن يعطوهم دون حقهم مثلا ..) .

احتكار الصنف :

ويتصل بهذا ما يسمى باحتكار الصنف . وقد صوره ابن القيم اذ يقول : (ومن أقبح الظلم ايجار الحانوت على الطريق أو فى القرية بأجرة معينة على أن لا يبيع أحد غيره .. فهذا ظلم وحرام على المؤجر والمستأجر . وهو نوع من المضارة .. ثم يقول : ومن أقبح الظلم أن يلزم الناس أن لا يبيع الطعام أو غيره من الأصناف إلا لأناس معروفين فلا تباع تلك السلع الا لهم . ثم يبيعونها هم بما يريدون . فلو باع غيرهم ذلك منع وعوقب .. فهذا من البغى والفساد فيجب التسعير عليهم) ومن هنا ذهب كثير من الفقهاء الى القول بأن من حق الامام بل من واجبه أن يسعر السلع ويحدد الاجور .

ثانيا : تسعير السلع :

التسعير لون من الوان مقاومة الاحتكار ، ولذا ناسب أن نبين حكمه وما قاله الفقهاء فيه باعتباره طريقا من طرق معالجة الاحتكار .

والتسعير هو ان يأمر السلطان او نوابه أو كل من ولى من أمور المسلمين امرا اهل السوق أن لا يبيعوا أمتعتهم الا بسعر كذا فيمنع من الزيادة عليه او النقصان لمصلحة تعود على المجتمع . ولم يرد فى

التسعير نص من كتاب الله ولا من سنة رسوله المتواترة . وانما ورد حديث رواه كثير من أصحاب السنة وصححه الترمذى وابن حبان عن أنس قال : غلا السعر على عهد رسول الله فقالوا يا رسول الله : لو سعرت ؟ فقال : (ان الله هو القابض الباسط الرازق المسعر ، وانى لأرجو أن ألقى الله عز وجل ولا يطالبنى أحد بمظلمة ظلمتها اياه فى دم ولا مال) .

حكم التسعير :

اختلف الفقهاء فى حكم التسعير بناء على ما فهمه كل منهم من دلالة هذا الحديث . فذهب بعضهم الى منعه وتحريمه أو كراهته . واعتبره مظلمة ، وعلله بأن الناس مسلطون على أموالهم والتسعير حجر عليهم والامام مأمور برعاية مصلحة المسلمين ، وليس نظره فى مصلحة المشترى برخص الثمن أولى من نظره فى مصلحة البائع بتوفير الثمن . واذا تقابل الأمران وجب تمكين الفريقين من الاجتهاد لأنفسهم ، وبالزام صاحب السلعة ان يبيع بما لا يرضى به مناف لقول الله سبحانه

(يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) .

قال الشوكانى : والى هذا ذهب جمهور العلماء . وروى عن مالك رضى الله عنه انه يجوز للامام ان يسعر ، وقال : ان حديث الباب يرد عليه ، وظاهر الحديث أنه لا فرق بين حالة الغلاء ، وحالة الرخص ، ولا فرق بين المجلوب وغيره والى ذلك مال الجمهور .

ثم قال : وفى وجه للشافعى جواز التسعير فى حالة الغلاء .. وجوز جماعة من متاخرى الزيدية جواز التسعير . هذا ما قاله الشوكانى .

ونحن نرى أن الغلاء الذى طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسعر من أجله لم يعتبره الرسول غلاء يقتضى التسعير ، بل ربما رأى أن الناس تريد أن تبخس التجار وأصحاب السلع حقهم ، والا فقد كان فى استطاعة الرسول أن يصوغ الحديث بأسلوب التحذير من التسعير والنهى عنه . لكنه لم يعبر بأسلوب صريح فى المنع .

ولئن سلمنا بأن الحديث يشعر بمنع التسعير فأين هو من القاعدة المشهورة : (تحدث للناس اقضية بحسب ما يحدثون من الفجور) فاذا كان النبى صلوات الله وسلامه عليه أراد أن يأخذ جيله الصالح بذلك الأدب الكريم .. فهل يمنع ذلك من أنه اذا نشأ الفجور فى التجار فلم يبالوا أن يضاروا المسلمين وأن يستغلوهم استغلالا فاحشا أن يضرب الإمام العادل على أيديهم بما يقضى على تلك المضارة ويقاوم ذلك الأذى المحظور .

أليس ذلك يدخل فى نطاق نظرية إساءة استعمال الحق ؟

أليس هذا أيضا من التجار مما يدخل فى الاستغلال المنهى عنه ؟

أولا يمكن أن يكون القول بالتسعير ومشروعيته من قبيل دفع الضرر الأكبر بالضرر الأدنى ومتمشيا مع نزعة الفقه الاسلامى الجماعية ؟

أولا يدخل هذا فيما قاله الفقهاء من أن لولى الامر أن يجبر الناس على العمل لصالح الجماعة بأجر المثل ؟

الا يندرج هذا تحت ما اجازه الفقهاء من نزع الملكية جبرا عن صاحبها بقيمتها أو بثمن المثل اذا كان الصالح العام يقتضى ذلك ؟

وما الفرق بين استيلاء الحاكم على السلع لبيعها للناس بثمن المثل دون اغلائها عليهم واستيلائه على عمل الصانع واعطائه اجر المثل ، وبين أمره التاجر أن يبيع بسعر يحقق له ربحا حلالا مشروعا ويمنعه من التحكم فى الناس واغلاء السعر عليهم وخاصة عند حاجتهم للسلعة أو ندرتها فى الاسواق .

يقول ابن القيم (ان غلو الاسعار والتحكم فى حاجيات الناس من البغى والفساد فيجب التسعير عليهم ، وأن يمنع ولي الأمر الناس أن لا يبيعوا الا بقيمة المثل وأن لا يشتروا الا بها بلا تردد فى ذلك عند أحد من العلماء) .

ويقول ابن القيم ايضا (أما التسعير فمنه ما هو ظلم محرم ومنه ما هو عدل جائز بل واجب . .) .

وأما القسم الأول فمثل ما جاء فيه حديث الرسول المذكور الذى رواه أنس فهو فى هذا يؤيد ما اتجهنا اليه فى فهم الحديث . من أن الواقعة التى ورد بخصوصها الحديث لا تقتضى ذلك .

وأما اذا كان غلو السعر على وجه المضارة والاساءة الى الاسواق فهو

الوجه الثانى الذى بينه ابن القيم بقوله : واما الثانى الذى يعتبر التسعير فيه عدلا فمثل أن يمتنع أرباب السلع من بيعها مع ضرورة الناس اليها الا بزيادة عن القيمة المعروفة . فهنا يجب عليهم بيعها بقيمة المثل . .

وقد أيد وجهة النظر هذه كثير من الفقهاء فقد جاء فى الفقه الحنفى : يكره التسعير الا اذا تعدى أرباب الطعام فى القيمة تعديا فاحشا للقوتين . وذلك بأن يبيع بالضعف ، وعجز الحاكم عن صيانة حقوقهم الا بالتسعير فلا بأس حينئذ بالتسعير بمشورة أهل الخبرة لأن فيه صيانة لحقوق المسلمين من الضياع . .

كما نقل عن الامام مالك القول بجواز التسعير ، وأنه أحد قولين فى مذهب الشافعى . وقد نقل الأبى فى شرحه لصحيح مسلم عن ابن العربى : (انه اذا زاد السعر فى بلد فأراد أحد أن يزيد فان كان جالبا فله أن يبيع كيف شاء وان كان بلديا قيل له بع بسعر الناس أو اخرج من السوق) فالمالكية يربطون التسعير بالاحتكار لأنهما فى الواقع يتداخلان فى كثير من الصور . والواقع أنه بغير هذا لا يمكن أن يصلح المجتمع ولا سيما فى الأزمنة التى تغيرت فيها النفوس وطغت المادة فيها على كل القيم .

وانظر الى ما علل به سعيد بن المسيب وربيعة الرأى قولهما بجواز التسعير بأن مصلحة المجتمع تقتضى ذلك لفساد ذمم التجار .

ومما عرضنا فى هذين المقالين

يبين أننا نتجه الى القول بمنع الاحتكار بوجه عام سواء منه ما يكون فى القوت وفى غير القوت ، وما كان فى أسواق المصر أو مستوردا من خارج المصر ، وما كان مشترى من الاسواق أو كان من نتاج الضيعة او المصنع وما سميناه احتكار العمل وأننا نعتز بما نقلناه عن كثير من الفقهاء الذين يذهبون الى مثل ذلك .

اذ الاحكام ولا سيما فى المعاملات معللة بجلب المصالح ودفع المفاسد . وقد أيدنا ذلك بعمومات القواعد الشرعية فى المعاملات عامة بمثل

قوله صلى الله عليه وسلم . (لا ضرر ولا ضرار) وبعموم الحديث الصحيح فى الاحتكار (من يحتكر فهو خاطىء) وقوله : (لا يحتكر الا خاطىء) فمن فى الحديث الأول من صيغ العموم فتتناول كل محتكر ، كما أن النفى

والاستثناء فى الحديث الثانى أوضح فى الدلالة على العموم كما صرح به أئمة الاصول والبلاغة . وبهذا لا نكون بعدنا فيما اتجهنا اليه عن الحقيقة .

ونستطيع أن نقول فى ختام المقال إن جميع الأديان السماوية قررت أن كل ما يحقق العدالة ويقاوم البغى والطغيان ويرد الناس الى القسطاس المستقيم فهو شرع الله ودينه . وولاة الأمر كما هو مقرر فى الفقه الاسلامى من واجبهم أن يسهروا على مصالح رعيتهم وأن يسوسوا الناس بما يكفل لهم التعاون ويحول بين نفوسهم وبين التحاقد . وان مما يحقق ذلك الضرب على أيدى الطغاة الجشعين الذين لا هم لهم الا اشباع أطماعهم المادية وجمع المال ولو من دماء الناس ولا يعنيهم بعد ذلك شقاء الناس أو سعادتهم ورضى الله عن عثمان ابن عفان الذى قال : قد يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) . ولذا فانه من الواجب على ولاة الأمر الضرب على أيدى الجشعين ، ومقاومة كل احتكار وتسعير ما يرون صالح الناس فى تسعيره مع مراقبة قراراتهم مراقبة دقيقة تمنع النفوذ منها والتلاعب بها . وفقنا الله جميعا للاهتداء بهدى الاسلام والالتزام أحكامه .



العزل والاجهاض في الإسلام

في العدد السادس من السنة الرابعة والصادر في جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ (يونيو ١٩٧٣ م) نشرت مجلة «الفكر الاسلامي» التي تصدرها دار الفتوى الاسلامية بالجمهورية اللبنانية مقالا بعنوان « حكم العزل والاجهاض في الشريعة الاسلامية » لفضيلة الشيخ خليل الميس مدير أزهر لبنان .

عرف الكاتب الفاضل العزل بأنه الانزال بخارج الفرج بعد النزع منه خشية العلوق (الحمل) وبين كيف أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعزلون والقرآن ينزل ولم يحدث نهى عنه لا في كتاب الله ولا في تنبيهات الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأن الرسول الاعظم رد على رجل أتاه يعزل عن جارية له مخافة الحمل ذاكرا له بأن اليهود يقولون عن العزل « هي الموءودة الصغرى » فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « كذبت يهود ، لو أن الله أراد أن يخلقه لم تستطع أن تصرفه » وهو رد ليس فيه اعتراض ، وذكر الكاتب الكريم ما روى عن على كرم الله وجهه : انها لا تكون موءودة حتى تمر بالتارات السبع أخذا من قوله تعالى **« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم انشاناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين »** (المؤمنون ١٢ — ١٤) وبجواز العزل استخلص الكاتب الفاضل جواز استعمال موانع الحمل .

وسواء العزل أو موانع الحمل المختلفة (الحاجز — الحبوب — اللولب . . . . .) أى منها تستعمل فالنتيجة واحدة مع مراعاة الآتى :

١ — أن تكون باتفاق الزوجين ونابعة من ظروفهما الخاصة ، ولا تخضع لما يشاع من مشاكل الانتاج والاقتصاد فبلادنا والحمد لله من أغنى وأوسع بلاد العالم .



للدكتور فاروق محمود اسماعيل

٢ ـ أن تكون لفترة مؤقتة ولسبب وجيه (تنظيم النسل) فمن أسس الزواج الانجاب .

وتجرى حاليا فى بلاد الغرب و (بريطانيا بالذات) حملة محمومة يكاد يفهم منها لا تنظيم النسل أو تحديده بل ايقافه ! وذلك بتشجيع الرجال على اجراء عملية اغلاق القناة الدافقة (الموصلة بين الخصية والحوصلة المنوية وفيها تتدفق الحيوانات المنوية) Vasectomy وهى تؤدى الى العقم ، وعملية تعقيم الرجال كانت وما تزال تجرى فى بلاد مكتظة بالسكان مثل الهند ، أما وقد بدءوا فى تطبيقها فى دول الغرب فاننا نتوقع من خبرتنا أن ينشط دعاة التقليد السىء والمحاكاة الضارة الى الدعاية لها فى بلادنا غير ناظرين الى تعاليم ديننا وتراثنا وواقعنا ، ولقد شاهدت فى لندن (مايو ١٩٧٣م) جانبا من هذه الحملة المكثفة والتى فاقت فى براعتها كل تصور ، وتأكد لى عمق وقوة تأثيرها على الناس هناك ولو قدر لمثل هذه الحملة أن تجرى فى بلادنا فليس أمامنا من سبيل لصدها سوى ادراك الجماهير الدينى ووعيها الاسلامى .

ولكى نكون مستعدين ومتيقظين لهذه الحملة المتوقعة بل ونرد عليها من الآن فاننا نذكر ما ورد فى صحيح مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما أنه قال : « رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان ابن مظعون التبتل (الانقطاع عن الزواج والدنيا) ولو أذن له لاختصينا وعملية اغلاق القناة الدافقة Vasectomy هى بمثابة استئصال الخصية ولم يأذن الرسول

الكريم بما هو ادنى منها (التبتل) وعليه **فلا يجوز اجراء عملية اغلاق القناة الدافقة بغرض تحديد النسل .**

ونعود الى مقال فضيلة الشيخ خليل الميس حيث أقر فضيلته فى نهايته فتوى سابقة عن الاجهاض لسماحة مفتى الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد والمنشورة فى مجلة « الفكر الاسلامى » بالعدد الأول من السنة الثالثة (ذو القعدة ١٣٩١ هـ ــ يناير ١٩٧٢ م) ونصها :

« ويستنتج من النصوص الصريحة انه يسع المرأة الحامل أن تسقط حملها بشرطين :

١ ــ ما لم يتخلق حملها وحدد له الفقهاء الا يتم مائة وعشرين يوما

٢ ــ ان يكون لها عذر فى هذا الاسقاط . والعذر يقدره طبيب متدين أو عالم تقى . يضاف الى ذلك موافقة الزوج على مثل هذا التصرف

وفى الحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان احدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك (٤٠ يوما) ثم يكون مضغة مثل ذلك (٤٠ يوما) ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ... الحديث . أى ينفخ فيه الروح بعد تمام مائة وعشرين يوما .

ونحن لا نستدل من الحديث الشريف على أن الفترة السابقة لنفخ الروح والتى تعادل المائة والعشرين يوما هى فترة يكون فيها الجنين ميتا، كما وأننا لا نستدل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طبيعة الروح وما هيتها ، والله سبحانه وتعالى يقول : « **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » (الاسراء)** وإنما نستدل من آيات الله البينات ومن الحديث الشريف على أن هناك أطوارا يمر بها الجنين (نطفة ــ علقة ــ مضغة ...) كل طور ينمو ويكبر عن سابقه .

وقد يكون الدليل الظاهر على بدء الحياة فى الجنين هى حركته فى بطن أمه" Quickening "والتى تشعر بها الحامل عند نهاية الاربعة أشهر الاولى من عمر الجنين فى رحمها (١٢٠ يوما) ومنها استدل أنه قبل حركته هذه يجوز اسقاطه وما بعدها لا يجوز ، ولكن من خلال ما أنعم الله به علينا من وسائل متقدمة ومتنوعة تبين أن الجنين تدب فيه الحياة منذ اللحظات الاولى لالتقاء الحيوان المنوى من الرجل بالبويضة فى المرأة ليكونا خلية ملقحة * تنقسم الى اثنتين ثم أربع ثم ثمان ثم ست عشرة وهكذا ، فبالمعايير الطبية فان الجنين حى وهو ما يزال خلية واحدة فليس النمو والانقسام من شيمة الخلايا الميتة .

وإذا كان الاعتماد على بدء حركة الجنين فى بطن أمه هو المقياس لدبيب الحياة فى الجنين فان قلب الجنين يبدأ فى النبض خلال الاسبوع الرابع (أى فى الشهر الاول) ويكون طول الجنين

---

* الخلية الواحدة من جسم الانسان فى حركة دائبة ونشاط مستمر حتى خلايا العظام . وكان قد اتى على الانسان وقت توهم فيه انه يستطيع صنع خلية حية فى أنبوبة اختبار ليكون دليلا على نشاة الانسان من الطبيعة واستعمان باختراعاته فاذا بها تقوده الى عظمة البارى جل وعلا ــ فمثلا اكتشف ان جزيئات حامض نواة الخلية ,, DNE ,, والتى سعى لصنعها فى المختبر تحتوى على ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ (خمسمائة مليون) قاعدة بروتينية مرتبة ترتيبا خاصا ، « فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ، يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين » (البقرة ٢٦) .

وقتها ثلاثة ملليمترات(٣/١٠ السنتيمتر) أى وهو ما يزال نطفة وتبدأ دورته الدموية فى العمل مع بداية عمل القلب .

وعلى هذا فما ينطبق على الجنين بعد تمامه المائة والعشرين يوما من صون لحياته واعتناء بها ينطبق عليه قبل اتمامه لها ولا يجوز بأى حال من الأحوال اعتراض حياته بالاسقاط المتعمد .

أما الحامل ذات العذر والذى يقرره طبيبان مسلمان ورعان (أحدهما متخصص بأمراض النساء والتوليد والثانى فيما يتعلق بمرضها كطبيب القلب مثلا) فيجوز اسقاط حملها قبل الاربعة أشهر الاولى (١٢٠ يوما) أو بعدها إذا كان لديها العذر لذلك .

وعذر الحامل هو الخوف على حياتها فى أى فترة من حملها لان بقاءها على هذه الحالة مع استمرار الحمل قد يقود الى فنائها مع جنينها ، فاذا ما أنقذت حياتها باسقاط حملها فلربما يمكن التغلب على عذرها ويكون فى مقدورها الحمل ثانية ، وعند تمام الشهر السادس وما بعده أى حينما يكون الجنين قادرا على الحياة خارج رحم أمه ولو بوسائل مساعدة (مثل المحضن (Incubator)فان الخوف على حياة الجنين لو صادف صعوبة ما فى استمرار بقائه فى رحم أمه يكون فى حد ذاته سببا وعذرا حتى ولو لم يوجد عذر عند الأم . ولاتشتمل الأعذار المبيحة للاجهاض على أى عذر اجتماعى أو اقتصادى أو ما شابه .

والاجهاض عموما خسارة فادحة للجنس البشرى وجهده ، وصحة الأفراد والأمم تبدأ من الاهتمام بصحة الأم وطفلها منذ لحظة تكوينه فى رحمها ، والدول الواعية تعرف جيدا ان ما تنفقه فى سبيل ذلك هو خير استثمار لأنه سيعود عليها بالنفع قوة وصحة فى أبنائها أجساما وعقولا .

وفى بلادنا العربية والاسلامية يتربص كثير من الانتهازيين وتجار الرقيق الأبيض ودعاة الاباحية والانحلال وضعاف النفوس على أمل اصدار قانون يبيح الاجهاض ليكون آخر معول هدم للفضيلة والشرف والحياء التى ما تزال متأصلة فى بلادنا ، وليس أبلغ من أن أسوق بعض الاحصائيات التى جرت فى بلاد تبيح الاجهاض كان من نتائجها أن نادت جهاتها الطبية بوقف أو تعديل قانون الاجهاض ففى إحدى مستشفيات انجلترا(West Middle East Hospital) فى الفترة من يناير ١٩٦٧ م حتى ديسمبر ١٩٧٠ م بلغ مجموع حالات الاجهاض الرسمية ١٣١٧ وكان بيانها كالآتى :

الحالة الاجتماعية	أقل من ١٥ سنة	١٦ الى	٢١ الى	٢٦ الى	٣١ الى	٣٦ الى	٤١ الى	٤٦ فمافوق	المجموع
غير متزوجة	٣٨	٢٥٥	١٦٦	٥٣	١٨	٩	٤	٢	٥٤٥
متزوجة	—	١٧	١٤٠	١٨١	١٦٠	١١١	٣٥	٣	٦٧٧
مطلقة	—	—	٥	١٣	٩	٩	١	١	٣٨
مفصولة عن زوجها	—	٨	٢٤	٢٠	١٣	٩	٤	١	٧٩
أرملة	—	١	—	٢	٣	٢	—	—	٨
									١٣٤٧

مجمـــوع حالات الإجهــاض فى غير المتزوجــات (الفتيــات) حتى ٢٥ سنة = ٤٥٩ منها فتاة عمرهـــا ١٣ سنـــة وعشر فتيـــات أعمـــارهن ١٤ سنة .

ومن هذه الاحصائية يتبين أيضـــا ان أعدادا كبيرة من الفتيات والمطلقات والمنصولات عـــن أزواجهن والأرامل قد تشجعن على اتيان الفاحشة وذلك لسهولة التخلص من حملهن وفى ظل قانون الاجهاض .

ولنأخذ بريطانيا كمثال لدولة ابيح فيها الاجهاض حيث وافـــق مجلس عمومها على القانون الخاص به فـــى سنة ١٩٦٧ على الرغم من معارضة المؤسسات الطبية هناك ، واصبـــح الاجهاض هناك من أكثر الصناعـــات رواجا وربحا ، بل وأصبحت لنـــدن بؤرة لاسقاط النساء فى أوربا ، وفى الاحصائيات الرسمية نجـــــد ان حالات الاجهاض بلغت :

فى سنة ١٩٦٨ م	٢٥٠٠٠	فى مقاطعتى انجلترا ويلز فقـــط
٦٩	٥٨٠٠٠	
٧٠	٩٢٠٠٠	
٧١	١٢٧٠٠٠	

ويتوقعون له أن يبلغ ربع المليون سنويا .

وبلغ عدد الاوربيات اللاتى ذهبن خصيصا لاجراء عملية الاجهاض فـــى انجلترا ٣٠٠٠٠ فتاة وامرأة ١٢٠٠٠ من فرنسا ، ١٣٥٠٠ من المانيـــــا والباقيات من بلاد أخرى .

وإذا استعرضنا المضاعفـــــات الناشئة عن عمليات الاجهاض فنجد انها كثيرة ونسبتها مرتفعة (علمـــا بأن أحدث الاساليب تتبع فى اسقاط المرأة) ومن هذه المضاعفات : الحمى ــ التهابـــات المجـــارى البوليـــة ــ التهابات الاعضـــاء التناسلية ــ تسمم الـــدم ــ التهـــاب الرئتين ــ مضاعفات الجرح ، وشلل الأمعـــاء ــ والفتق ــ إعادة العمليـــــة مرة أخرى ــ النزيف الشديد ــ فقر الدم تخثر الدم ــ تعطل القلب المفاجىء ــ استئصـــال الرحم وأخيرا الوفاة . واحصائية حالات الوفاة كالآتى :

البلـــد	المـــدة	عدد حالات الاجهاض المعلنة	الوفاة من الاجهاض
الدنمارك	١٩٦١ ــ ٦٥	٢١٧٠٠	٩
السويد	١٩٦٠ ــ ٦٦	٣٠٦٠٠	١٢
يوغوسلافيا	١٩٦٠ ــ ٦١	١٧٧٤٩٩	٨
اليابان	١٩٥٩ ــ ٦٥	٦٨٦٠٠٠٠	٢٧٨
تشيكوسلوفاكيا	١٩٥٨ ــ ٦٤	٥٦١٠٠٠	١٢
المجر	١٩٦٣ ــ ٦٤	٣٢٨٢٠٠	٢
بريطانيا	١٩٧٠	٩٢٠٠٠	١٤

بدون ادنى شك الصورة مخيفة ومرعبة ونحن ندينهم من وثائقهم ونصرخ فى وجوههم : اى شر تريدون بمن فى الارض ، واى شقاء تعدونه لهم ؟ ناديتم بحقوق المراة وحريتها فهل حق المراة فى عرفكم ان تكون متعة لعابر تتجرع العذاب بعدها الوانا ؟ وهل حرية المراة وأدها فى قبور الفسق وحفر الضلال ؟

وشتان بين موقفين : موقف لايجرؤ فيه امرؤ أن يتهم امرأة فى عرضها دون بينة ، وموقف يدنس فيه الشرف عيانا وينتهك فيه العرض بيانا ويتحلل فيه من التبعات فى ظل القانون ؟؟!!

أن المرأة فى الاسلام رمز للطهر والعفة ، صانها دين رب العالمين وحماها وحافظ عليها من وادين : وأد باسم الجاهلية فى الماضى، ووأد باسم المدنية فى الحاضر ، وكان المصطفى صلوات الله عليه دائم التوصية بالنساء ، وحتى فى خطبة حجة الوداع — أعظم وثيقة للحرية فى تاريخ البشر — أوصى عليه الصلاة والسلام بهن فقال : « فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله »

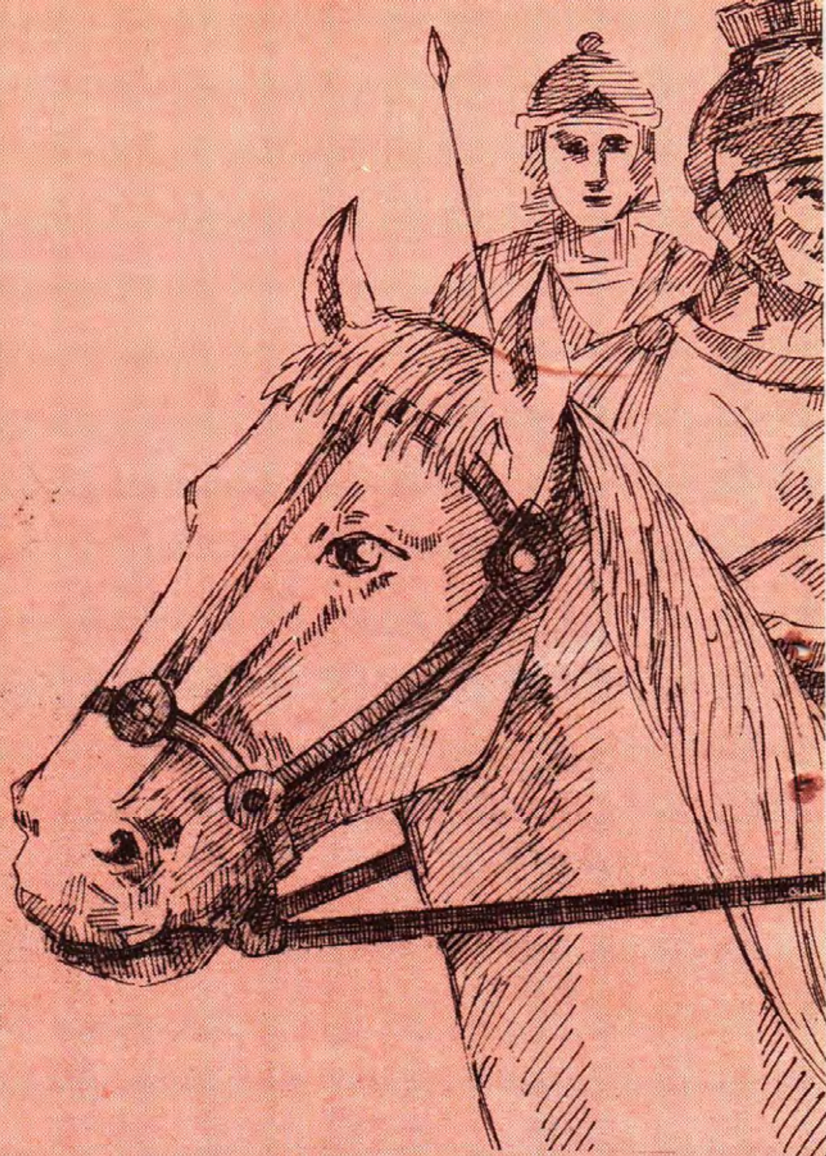
والى المتربصين بنا ممن يدعون أنهم منا ومعنا لا نريد قانونا سوى قانون الاسلام المنزل من لدن خبير عليم بما خلق وبما هو أصلح لهم ، ولنا عبرة وعظة فى مجتمعات الفساد والضياع والانحلال ، تعيش فى الاثم وتتجرع واقعها المر الأليم ...

والعاقل من اتعظ بغيره .





التاج والخطيئة



قصة إسلامية قصيرة

للدكتور نجيب الكيلانى

لم يعد للحياة معنى فى نظره ، كل شىء حوله يوحي بالملل ، ويبعث فى نفسه الضيق ، ذلك هو « جبلة ابن الأيهم ملك غسان » ، الذى يعرفه العرب فى شتى انحاء الجزيرة وينظرون اليه فى تجلة ووقار ، ويتسابق الى بابه الشعراء ، لكنه اليوم غيره بالأمس . فالدنيا لا تثبت على حال ، والتغيرات الضخمة ـ بعد مجىء الإسلام ـ عصفت بالجزيرة شرقها وغربها ، وشمالها وجنوبها ، وولدت قيم جديدة ، وظهرت بطولات من نوع لم يألفه ، وإلا فكيف تتحدث الركبان عن « عبد » يقال له (بلال) ، وعن شبان حديثى السن ، يقودون الجيوش ، ويغيرون وجه العالم .. ثم .. اين ملكه الكبير فى الشام .. لقد انتهى كل شىء ، وعمر ابن الخطاب خليفة المسلمين يقتحم ممالك كسرى وقيصر ، ولا تستطيع قوة أن تصمد امامه .. إن « جبلة بن الأيهم » يعترف بينه وبين نفسه أن صورة البطولة الإسلامية فى الجزيرة العربية ، تلهب خياله ، وتنال إعجابه وتستحوذ على فكره .. وان حياته هنا فى كنف الروم حياة ذليلة « ميتة » برغم ما ينعم فيه من مال وخدم ونفوذ .. اصبح جبلة يؤمن بانه يكاد يختنق فى البيئة الرومية المرفهة الباردة .. ليس فيها ما يشعل اشواقه ، ويؤجج طموحه ..

ودخلت امرأته عليه ، وقد مضى الليل إلا اقله :

ـ « اراك تعانى من آلام مكظومة » .

تنهد فى حسرة وقال :

ـ « لقد سئمت هذا الجو » .

ـ « ارى انه لا ينقصك شىء يا جبلة بن الأيهم .. »

قهقه فى سخرية واردف :

ـ « هنـاك أشـواق لروحى لا تعرفينها » .
ـ « ما هى ؟؟ »
التفت اليها وقال وقد بدا الاهتمام على ملامحه :
ـ «ألا تعتقدين أن الإسلام حق ؟»
ـ « أوه يا جبلة .. أليس لهـذا التفكير المؤرق من نهاية ؟؟ »
ـ « إنه لا ينتهى ما دام فىّ عرق ينبض » .
ـ « أنت تعذب نفسك .. »
ـ « كيف ؟؟ »
ـ « تستطيع أن تختار ما تؤمن به .. أنت حر .. »
صرخ فى حدة قائلا :
ـ « آه .. هنا مربط الفرس .. أن أختار .. تلك هى القضية المضنية وأنا حر .. نعم : لكن هناك قيـودا خفية تشل حركتى .. قيودا لا يراها احد غيرى ، لقد اعتنقت النصرانيـة .. لكنها لم تملأ قلبى .. »
ثم أمسك بذراع زوجته وهزها فى عنف وقال :
ـ « ويا للعار اذا تخليت عن دينى القديم !! ماذا سيقول الناس عنى ؟؟ أعرف ما يقولون .. نعم ..
(جبلة) كان على خطا .. جبلة يلعب بالعقائد كما يلعب بالجـوارى الحسان .. أو جبـلة يعود ذليـلا مستسلما لسطوة عمر .. »
همست زوجه فى ضيق :
ـ « افعل ما يحلو لك .. »
ـ «كل شىء مر المذاق فى حلقى »
ولم تسفر المناقشة عن شىء حاسم جبلة يريد أن يهرب من واقعه الأليم ، يتمنى أن يكف عقـله عن التفكير ، ويسحب ستارا من النسيان على كل ما ينغص عليه حياته المرفهـة ، فدعا المغنيات والعازفات والراقصات الى ليـلة حمـراء ، يريد أن يشـرب ، ويمرح ، ويغرق همومه فى الطرب والكؤوس ، وفى المساء الحـافل احتشدت طائفة الطرب والنـدماء ، وهتف فى فرح مصطنع :
ـ « يا جـارية .. غنى لى .. ترنمى بقصائد حسان بن ثابت التى كان يمدحنى بها قبـل أن يعتنـق الإسلام .. »
النغم الشجى يلعب بالقـلوب ، ويثير الذكريات الحلوة ، ولحن القيثار يختلط بالصوت الحنون ، والنشـوة التى تبعثها الخمر ، فيترنح الجالسون وتهتـز الرؤوس إعجـابا ، وتنطلق صيحات الانبهار ..
وصرخ « جبلة بن الأيهم » صرخة اهتزت لها جنبـات القاعـة الكبرى المفروشة بالبسط الأعجمية ، والتى تتدلى فيها القناديل المذهبة ، وقال :
ـ « اذهبوا عنى جميعا .. لا أريد ان أرى أحدا أمامى .. »
وسيطر الصمت والشجن ، ومالت زوجه وقالت فى توجس :
ـ « ماذا جرى لك ؟؟ »
قال والدموع تكاد تطفر من عينيه :
ـ « ليس هـذا هـو الـدواء الشافى .. »
ـ « ما هو الدواء إذن ؟؟ »
ـ « سـأذهب الى عمـر فى المدينة .. »
ـ « يا إلهى !! كيف ؟؟ لقد تصديت للإسلام وحاربته فى عنف ، ألا تعتقد أنهم قد يقتلونك ؟؟ »

تنهد فى ارتياح وقال :
ـ « إنهم لا يردون ولا يغدرون بمسـلم .. »
ـ « أتعتنق الإسلام يا جبلة ؟؟ »
ـ « ان كبريائى تثور يا زوجتى .. ولكن لا بد من مواجهة الحقيقة .. إن الهروب من مواجهتها سيقتلنى .. أنا أعانى من أحزان مروعة .. »



ودخل الملك الغسانى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فى ركب جليل مهيب ، وعلى رأسه التاج يتلألأ فيه الدر واليـاقوت .. ومن حـولـه خمسمائة فارس من فرسانه يرتدون أفخر الثياب التى تخطف الأبصار لما يتحلون به من ذهب وفضة ، وخرجت المدينة عن بكرة أبيها أطفالا ونسـاء ورجالا يشـهدون الموكب الفريد ، وينعمون النظر بمشهد الملك العظيم وفرسانه الذين يرتدون الخز والديباج وكان (جبلة) حريصا أشد الحرص على هيبته وكبريائه ، ليؤكد للجميع أنه ما جاء كرها ، ولا دخل مهزوما ، وإنمـا أتى ليعتنـق الإسلام بمحض إرادته ، وبعد أن أسلم دعاه عمر بن الخطاب لأداء فريضة الحج ، وبينمـا كان يطـوف بالبيت العتيـق وطىء أعرابى إزاره فحله ولم يملك جبلة من شدة الغضب أن لطم الأعرابى لطمة هشمت أنفه .. ومضى فى طريقـه كأن لم يحدث شىء ، وذهب الأعرابى ورفع ظلامته الى عمر بن الخطاب .. فدعا اليه جبلة على الفور :

ـ « أى جبلة بن الأيهم .. كلنا امام الشريعة سواء .. لا فرق بين ملك وسوقه .. اى جبلة .. إما أن تترضى الأعرابى فيعفو عنك ، وإما أن تدعه يلطمك كما لطمته .. »

وبحركة لا شعورية وضع جبلة يده على وجهه وهتف :
ـ « أيلطمنى ؟؟ مستحيل .. »
ـ « ذلك هو العدل .. »
ـ « وماذا يقول الناس عنى ؟؟ أأعرابى يلطم جبلة ؟؟ » .
ـ « ومن تكون يا جبلة ؟؟ »
ـ « ملك الشام يا عمر » ..
ـ « لكنك عبد من عبيد الله .. ولا تسـتطيع أن تتميز عن أحـد من المسلمين الا بالطاعة .. »
ـ « معنى ذلك أنكم تلجئوننى الى الارتداد عن الدين .. »
ـ « المهم أن يمضى أمر الله .. وأمامك فسـحة من الوقت إمـا أن تسترضيه واما أن يقتص منك .. »

وذهب جبلة الى رجـاله مكروبا مهموما ؟ يكاد يجن جنونا ، كان يجلد الرجال بالسياط ، ويسـوقهم الى السجن ، ويشير باصبعه فتقطع رقبة المناوىء ، ويصدر أمره ، فتتحـرك الجيوش ، ويمضـى الى ملك الروم فتنحنى له الهامات احتراما وتوقيرا .. واليوم ياتى أعرابى حقير ليلطمه ؟؟ يا للعار الأبدى الذى لا ينمحى ابـد الدهـر !!

وقال رجل من خاصته :
ـ « كيف يجرؤ عمر على قولها ؟؟ »
هز جبلة رأسه ورد قائلا :
ـ « لقد عرفتهم .. هنا المبادىء فوق الرجال .. »
ـ « وما قيمـة المبـادىء بدون الرجال العظماء ؟؟ »
ـ « المبـادىء هى التى تمنـح الرجال صفة العظمة .. والآن فهمت

لماذا سار خلف محمد مئات الألوف من البشر .. جيش عرمرم من السادة.. لا فرق فيه بين عمر وبلال .. »

قال الرجل :

ــ « أفهم من ذلك أنك وافقت على القصاص إذا امتنع الأعرابى عن التجمل بالعفو عنك ؟؟ »

احتقن وجه جبلة وقال بصوت اجش يرعشه الانفعال :

ــ « مســتحيل .. »

وابتلع ريقه واستطرد فى حسرة .

ــ « ليس هذا العصر عصرى . وليس هذا المكان مكانى ، وجبلة بن الأيهم الغسانى .. لا يحلو له المقام بين قوم يسوون بين العبيد والسادة. والسوقة والملوك .. إننى أفضل البقاء فى سجن الروم ، على ان يقال : لطم أعرابى فقير جبلة بن الأيهم .. الموت ولا هذا .. »

وافاق جبلة من هواجسه وهمومه وهب واقفا ممسكا بسيفه ، والتاج يتلألأ فوق جبينه . وقال :

ــ « أعدوا العدة للرحيل .. سوف اتسلل تحت جنــح الظلام قبــل أن يفضحنا الصبح .. وسيبقى عدد منكم هنا للتمويه ، ولكى يلحقوا بنا بعــد برهة وجيزة ، وسنتخذ نفس الطريق الذى جئنا منه ، وتخففوا من احمالكم التى لا قيمــة لها .. واذا حدث ولحقوا بنا فلا تسلموا انفسكم إلا جثثا هامدة .. الموت ولا العار » .

وأخذ يجفف عرقه ويقول :

ــ « فى الشمال سوف تحلو لنا برودة الجو ، ونعود للأرض الخضراء ولحياة الكبرياء والنعيم والطرب ، هناك سيعرف الحكام من هو جبلة ابن الأيهم .. وشرعنا هناك يعــرف للملوك قدرهم ، لقد عشت طول حياتى فوق التشريع .. كنت مصدره دائما .. ولن أرضى ما حييت أن يكون شيء فوق راسى سوى التاج ، حتى تسقط هذه الرأس عندما يحين القضاء .. »

وعاد الركب الهارب الى نقطــة البداية ..

قالت زوجه فى أسى :

ــ « ليتك لم تذهب »

ــ « لست نادما يا امراة .. »

ــ « لقد عدت تثقل الهموم والآلام قلبك .. »

ــ « ليكن .. فقد رايت دنيــا جــديدة » ..

ــ « اتراحها اكثر من افراحها.. »

ضحك فى بلاهة وقال :

ــ « لكنهم سعداء بما هم فيه .. هم آلاف مؤلفة .. وكل واحد يعيش بروح ملك .. ومع ذلــك فان رأيى الذى لا أستطيع أن اتزحزح عنه هو ان جبلة الملك .. شيء آخر غير بقية النــاس .. »

وأخذ يقهقه ويدق راسه بقبضته :

ــ « تصورى .. عمر بن الخطاب نفسه ، الذى دانت له هذه الدنيــا لا يبدو عليه سوى أنه مجرد واحد منهم .. اية إرادة تلك التى صنعت تواضع هذا الرجل .. دعى هــذا الأمر ، فسيبقى يعذبنى الى الأبد .. وادعى لنا الجوارى الحسان .. اريد أن اسمع العزف والغناء ، واشرب.. واشرب كثيرا حتى تنزاح همومى..»

ومال عليها هامسا : والدمــوع عالقة فى اهدابه وهمس :

ــ « أتعتقدين أن ايامنا الســعيدة القديمة ستعود ؟؟ » .

x x x x



علة ربا الفضل

للدكتور نور الدين العتر

اطلعت على المقال القيم ((تصور جديد لربا الفضل)) للدكتور احمد صفي الدين عوض الذى نشر في مجلة ((الوعى الاسلامى)) الغراء (١) التى نرجوها لخير كثير يشع في ارجاء العالم فوجدت فيه مقالا علميا عاليا جمع اصالة البحث الفقهى وعمق النظر الاقتصادى ، خصوصا حكمة تحريم ربا الفضل التى تعود فى النهاية الى رعاية مصلحة سواد المستهلكين الذين يذهب ربا الفضل بقيمة سلعهم الحقيقية والتى عبر عنها بقوله : ((ومن هنا نشأت نسب متعددة لتقويم الانواع المختلفة داخل الصنف الواحد الذى اتفق الناس على استخدامه كنقود سلعية . ومثل هذا الوضع يفرض على المتبايعين ان يتساويا فى معرفة قيم السلع السوقية بالنسبة لكل نوع من هذه النقود السلعية حتى لا يخدع احدهما الآخر . وهذا شرط لا يمكن ان يستوفيه الا فئة قليلة من جمهور المستهلكين . ويبدو ان اليهود استغلوا هذا الوضع المربك للعرب الاميين عند التعامل معهم ..))

وقال الدكتور أيضا : ((ونتيجة لتفضيل المستهلكين بعض انواع الجنس الواحد على بعض كان من الطبيعى ان يطالب احد المتبايعين بان يزاد فى الكيل او الوزن بحجة انه أعطى اجود مما اخذ ومن ثم ظهرت النسب المتعددة لمقايضة الانواع . ولما كان منع التفاضل الذى يعنى النهى عن التعامل بهذه النسب فى الجنس الواحد يرعى مصلحة جمهور المستهلكين الذين لا يعرفون الفوارق الدقيقة بين الانواع بنفس القدر الذى يعرفه الملازمون للاسواق ..)) .

وهى نظرة ثاقبة ياتى بها الدكتور عوض فى هذا الموضوع جزاه الله خيرا .

وقد وفق الدكتور كل التوفيق حين حلل حديث تحريم ربا الفضل : ((الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلف النوعان فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد)) اخرجه مسلم واحمد .

فحلل هذا الحديث وغيره من احاديث تحريم الربا تحليلا دقيقا لفت فيه الابصار الى ان هذه الاشياء كانت تستعمل فى مجتمع المدينة آنذاك استعمال النقود يباع ويشترى بها ، واستدل على ذلك بحديث عمرو بن حريش فى مقالته لعبد الله بن عمرو ابن العاص : ((انا بارض ليس فيها

ذهب ولا فضـــــة أفابيــع البقرة بالبقرتين ..)) ويقــول الشافعى : ان الحنطة تجــوز بالحجـــاز .. جواز الدنانير والدراهم .

ويضيف الى ما ذكره الدكتور عوض بعض الاحاديث التى تدل لما نكره بــل تدل على ما هو اوسع من ذلك ، مثل ما كان شائعا عندهم من بيع المزابنة وهو بيع الثمر الطرى بنوعه يابسا كالرطب (البلح) بالتمــر ، والعنب بالزبيب : عن ابن عمر قال : ((نهى رسول الله صلى الله عليه وســـلم عن بيع المزابنة ..)) متفق عليه . ومثل بيــع اللحم بالحيــوان كما فى الموطا ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع اللحم بالحيوان .

وغير ذلك لا نطيل بذكره هنا يرجع اليه فى ابواب الربا والبيوع والقرض من مصادر السنة النبوية يدل علــى توسع الناس فى تلك العصــور فى استعمال السلع النقدية استعمـــالا مماثلا للعناصر التى ذكرها حــديث تحـــريم ربا الفضل مما يشعر بأن تخصيصها بالذكر فى الحديث كـــان باعتبار الاغلب فى تداول السلـــع النقدية .

وهى دلائل مفيدة فى حل عدد من اشكالات الخلاف الفقهى ، مثل اختلاف الفقهاء فى حديث صدقة الفطر المتفق عليه عن ابن عمر رضى الله عنه قال : ((فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر صاعا من شعير أو صاعا من تمر على الصغير والكبير والحر والمملوك))، فقرر الحنفية انه لا يلزم التقيد باخراج صدقة الفطر من هذين الصنفين أو غيرهما مما ذكرته احاديث صدقـــة الفطر ، بل لو أنـــه اخرج قيمة الكمية المذكورة لكفاه ذلك، وخالف الأئمة الثلاثة فلم يجيزوا فى اخراجها دفع القيمـــة وقـــد رجحت مذهب الحنفية وقلت (٢) : ((والذى يظهـــر أن الانواع المذكورة ــ أعنى فى احاديث صدقة الفطر ــ كانت فى زمنهم قــوتا معتادا للنـــاس يدخر ويتداول كالـــدراهم ، وقـــد تغيـــر حـــال النـــاس الآن فـــلا يدخـــرون لقوتهم شيئا منها ، بل انهم فى اغلب الامصار والمدن المتحضرة يعتمدون فى قوتهم على الخبز تقدمه المخـــابز فى الاسواق ، فأصبح دفع القيمـــة فى زمننا اجدى على الفقير وأنفع .

والذى يبدو لى أن هذا التقـــويم التحليلى للمسالة يفضى الى ترجيح مذهب الحنفية والزيدية فى علـــة تحريم ربا الفضل ، وهى عندهم اتحاد الجنس والتقدير بان يكـــون الثمن والمبيـــع موزونـــا من جنس واحـــد كالذهب بالذهب أو الفضة بالفضة ، وعلى ذلك فالحديد بالحديد والنحاس بمثلـــه ونحوهمـــا من المعـــادن يجرى فيه الربا اذا بودلت بمثلها لانها توزن أو ان يكون الثمن والمبيع مكيلا من جنس واحد كالذرة بالـــذرة ، ونحوها كالفول بالفــول والفاصوليا بالفاصوليا يجرى فيه الشرط الذى عرفناه وهو التماثل والتقابض يدا بيد واذا بيع أى جنس مكيل أو موزون بجنس آخر حل التفاضـــل ووجب التقابض حالا .

ويدل لذلك دلائل من النقل والعقل :

أولا ــ من النقل حديث الحسن عن عبادة وانس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((ما وزن مثل بمثل اذا كان نوعا واحدا ، وما كيل فمثل ذلك فاذا اختلف النوعان فـــلا بأس)) اخرجـــه الـــدار قطنـــى والبزار (٣) .

ورجال الحديث ثقات لكن فـــى سنده الربيع بن صبيح البصرى كان من عباد أهل البصرة وزهادهم . وذكر الرامهرمزى فى المحدث الفاصل(٤) انه اول من صنف الحديث بالبصرة وقال شعبة بن الحجاج : ((كان من سادات المسلمين)) وقال أبو حاتم : ((رجل صالح)) وقال أبو زرعـــة : ((شيخ صالح صدوق)) وقال ابن عـــدى :

ارجو ان لا باس بــه .. (٥) لـكن وقعت له اوهــام فى رواياتــه حتى ضعفه كثير من المحدثين ، فقــال الساجى : ((ضعيف الحديث احسبه كان يهم)) وقال ابن سعد والنسائى : ((ضعيف)) ، فلا ينزل حديثــه عن الاستئناس به ، لذلك أخــرج له البخارى تعليقا . فيصلــح حديثــه لترجيح هذا المذهب فــى علة ربــا الفضل (٦) .

ثانيا ــ ومن دلالة العقل ، وجوه نوضحها على الضوء الــذى القاه الدكتور عوض منها :

١ ــ ان وصف الوزن أو الكيــل الصق بمعنى النقدية فى السلعة من الصفات الاخرى التى ذكرها الدكتور فى مقاله القيم ، فاذا جرى التبــادل بمــا هــذه صفتــه فقــد جعلــه المتعاقدان نقدا فعلا ، وان لم يــكن ثمة عرف عام بذلك فيجب الزامهمــا بمقتضى تصرفهما ، وبهذا يلتقى راى الدكتور عوض فى النهاية مع مذهب الحنفية والزيدية .

٢ ــ أن هذا التعليل أكثر العلــل الفقهية المستنبطة فى المسالة تحقيقا للحكمة الجليلة التى ابداهــا الدكتور لتحريم ربا الفضل ، والتى صــدرنا المقال بشذرات من بيانه لها .

حيث انه ينطبق على عدد أكبر من انواع السلع مما يجعله أقرب لتحقيق المصلحة التى حرص الشارع عــلى مراعاتها .

٣ ــ أن ثمة حكمة اخرى تنطوى تحت تحريم ربا الفضل نحب تذكيــر القراء بها وهى الدفع العملى للاقتصاد نحو التقدم والتخلص من البدائيــة ، وذلك ان البيع بمبادلــة السلع مع بعضها وجعلها فى قوة النقــد من سمات الاقتصاد البدائى ، وتحــريم ربا الفضل يضيق نطاق هذا النوع من المبادلات المالية ، وبما ان مــذهب الحنفية يفضى الى تضييق أكثر فى هذا المجال فهو اخلق بالرجحــان من المذاهب الأخرى خصوصا وان العلماء متفقون على ان شبه الربا ياخذ حكم الربا فى الحرمة والمنع ، فهذا الطريق أكثر دفعا لشبهة الربا وحيله التــى يتفنن الجشعون ومصاصــو عــرق الناس فى تنويعها .

ونود اخيرا ان نذكر القراء بنتائج حيوية اسفر عنهــا البحث فــى الموضوع :

اولها : حرمة الربا حرمة باتــة قاطعة بجميع اشكاله وصوره .

ثانيها : سد ذرائع الربا وحظــر الوسائل التى تؤدى اليه ، كى ياخذ الحكم مجراه العملى ، وذلك من حكمة هذه الشريعة .

ثالثها : عناية الشريعة الاسلامية بان تكون المعاملات المالية جارية فى المجتمع على الانصاف والعدل والخلق الكريم بعيدا عن الاستغــلال او الاستغفال للناس .

رابعها : ترسيخ الاسلام اصــول اقتصاد يقضى على البدائية ليسير فى عراقة الرقى والتقدم .

---

(١) فى العدد ١١١ غرة ربيع الاول ١٣٩٤ ص ٥٧ ــ ٦٩ .

(٢) فى كتابى ((دراسات تطبيقية فــى الحديث النبوى)) المقرر للسنة الثالثة بكلية الشريعة جامعة دمشق طبــع مديرية المطبوعات الجامعية بجامعــة دمشق .

(٣) انظر سنن الدارقطنى والتعليق المغنى ج ٣ ص ١٨ ونيل الاوطار للشوكانى ج ٥ ص ٢١٨ .

(٤) المحدث الفاصل ص ٦١١ بتحقيــق الدكتور محمد عجاج خطيب .

(٥) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٤٧ و ٢٤٨ . والمغنى فى الضعفاء للامام الذهبى رقم ٢٠٩٦ بتحقيقنا .

(٦) انظر باب الربا من كتابنــا دراسات تطبيقية فى الحديث النبوى .

عوامل نشأة الفلسفة العربية

للدكتور محمد عاطف العراقى

اولا : تمهيد

يبدو لنا أنه من الخطأ تفسير نشأة اية ظاهرة من الظواهر الفكرية ، أو أية حركة من الحركات الفلسفية بالقول بأنها أتت فجاة وطفرة دون مقدمات أدت اليها .

وعلى هذا فان الدارس للفكر الفلسفى العربى ، إذا شاء ان يلتزم بالتفسير الصحيح لنشأة هذا الفكر ، والعوامل التى أدت إلى وجوده ، عليه الرجوع إلى ما كانت عليه معارف العرب الأولى فى الجاهلية ، ثم عند ظهور الإسلام ، وبعدها يتتبع تطور الفلسفة على النحو الذى نجده فى مذاهب ناضجة متكاملة عند الكندى والفارابى وابن سينا وابن باجه وابن طفيل وابن رشد وغيرهم . هذه المذاهب التى تدلنا على أنهم تأثروا فى تقريرها بفلاسفة اليونان إلى حد كبير ، وذلك بعد اطلاعهم على آرائهم نتيجة لحركة الترجمة التى بدأت فى العصر الأموى وبلغت أوجها فى العصر العباسى .

ثانيا : معارف العرب فى العصر الجاهلى :

لو رجعنا إلى المصادر التى تصور لنا حالة العرب فى الجاهلية قبل ظهور الأسلام ، وجدنا أن البيئة العربية لم تكن خلوا من مظاهر التفكير الذى يصطبغ بالصبغة العملية إن القول بغير ذلك كان منذ كانت

معلوماتنا عن حالة العـــرب فى الجاهلية معلومات يسيرة قليلـة . ولكن المؤلفات التى ركـــزت على دراسة الجاهلية واحوالها ومعارفها قد كشفت النقاب عن بعض الظواهر التى كانت سائدة فى هذه البيئة قبل ظهور الاسلام .

صحيح أن المقارن بين أفكار مفكرى الاسلام وبين تلك الأفكار التى وجدت فى الجاهلية وصدر الاسلام ، يلاحظ بونا شاسعا بين هذه وتلك ، بحيث يرجع ذلك إلى ظهور الدين الاسلامى من جهة وتأثير نظريات الفلاسفـة اليونانيين من جهة أخرى ، ولكن هذا لا يمنع من القول بوجود حياة فكرية عند عرب الجاهلية .

فالعرب فى الجاهلية لم يكونوا فى عزلة عن غيرهم من الأمم ، بل كان بينهم وبين الأمم الأخرى اتصال سواء عن طريق وجود بعض البلدان العربية التى تقع على حدود الروم والفرس ، أو عن طريق التجارة التى عن طريقها احتك العرب بغيرهم من الأمم ماديا وروحيا . ولا شك أنهم تعرفوا من خلالها على بعض مظاهر حضارات هذه الأمم وعرفوا شيئا من علومها ومعارفها . وكذلك عن طريق اصحاب الديانات السابقة علــى الديانـــة الاسلامية الذين كـانوا ياتون إلــى جزيرة العـــرب للتبشير بدينهـــم والتعريف به ، عرف العـــرب بعض القضايا الدينية وغيرها .

ومن هنا لم يقتصر العرب علـــى معرفة احوالهم ومعارفهم الداخليـــة فحسب ، بل إنهم عن طريق التجارة وعن طريق اصحاب الـــديانات وعن طريق وجود بعض المدن القريبة من حدود الأمم الأخرى ، استطاعـــوا التعرف على احوال غيــــرهم من الشعوب والأمم .

فاذا انتقلنا من ذلك وتساءلنا عن معارف العرب فى الجاهلية ، قلنـــا إنهم كان لهم معارف يسودها الطابع العملى فى كثير من زواياه أكثر من الطابـــع النظرى المنهجى المنظم .. لقد كان عندهم شعراء وحكماء صاغوا الكثير من الحكم والأمثال . يقـــول صاعد الأندلسى : وأما علمها(العرب) الذى كانت تتفاخر به وتبارى به ، فعلم لسانها واحكـــــام لغتها ونظم الأشعار وتاليف الخطب ، وكانت مع ذلك أصل علم الأخبار ومعدن معرفة السير والأمصار (١) .

بالاضافة الى معارفهم الطبيـــــة وغيرها من المعارف المتعلقة بالنجوم وهى معارف أقرب إلى الجـــوانب العملية . يقول صاعد : كان للعرب معرفة باوقات مطالع النجوم ومغاربها وعلم بالكواكب وامطارها على حسب ما ادركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك فى أسباب المعيشة لا على طريق تعلـــم الحقائق ولا علـــى ســـبيل التـــدرب فى العلوم (٢) ..

كما كانت هذه المعارف والصنائع موجودة أيضا فى صدر الاسلام . يقول صاعد الأندلسى عـــن صناعـــة الطب : انها كانت موجودة عند أفراد من العرب ، غير منكرة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرا إليها ، ولما كـــان عندهم من الأثر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحث عليها حيث يقول: يا عباد الله تداووا ، فان الله عـــز وجل لم يضع داء إلا وضع لـــه دواء إلا واحدا وهو الهرم (٣) .

فى هذه البيئة ايضا جرت مناقشات دينية جدلية . اذ كان هناك اديـــان فى هذه الجزيرة العربية . ولعلنـــا لو رجعنا إلى آيات القرآن الكـــريم استطعنا معرفة هذه الأديان . يقول الله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هـــادوا والصـــابئين والنصـــارى

والمجوس والذين أشركوا ، إن الله يفصل بينهم يوم القيامه ، إن الله على كل شيء شهيد)) .

وإذا كان المجال لا يتسع في الواقع لذكر مظاهر الحياة العقلية عند العرب في الجاهلية ، إلا اننا نود أن نشير الى أن معارف العرب على هذا النحو تعد دون تكوين مذاهب فلسفية محكمة . يقول أحمد أمين موضحا ذلك ومؤيدا له : إن العلم والفلسفة لا أثر لهما عندهم ، لأن الطور الاجتماعي لا يسمح لهم بعلم ولا فلسفة . وما كان عندهم لا يتعدى معلومات أولية وملاحظات بسيطة لا يصح أن تسمى علما ولا شبه علم أما القواعد والبحث المنظم الذى يسمى علما ، فلا عهد للعرب الجاهليين به .. فان هناك فرقا كبيرا بين مذهب فلسفي وخطرة فلسفية . فالمذهب الفلسفي نتيجة البحث المنظم وهو يتطلب توضيحا للرأى وبرهنة عليه ونقضا للمخالفين وهذه منزلة لم يصل إليها العرب في الجاهلية . أما الخطرة الفلسفية فدون ذلك ، لأنها لا تتطلب إلا التفات الذهن الى معنى يتعلق باصول الكون من غير بحث منظم وتدليل وتفنيد . وهذه درجة وصل إليها العرب (٤) .

ثالثا : ظهور الدين الاسلامى :

تحدثنا عن معارف العرب في الجاهلية . وإذا شئنا استيفاء العوامل التى أدت الى نشاة الفلسفة الاسلامية ، قلنا ان ظهور الاسلام وهو من أهم الاحداث الكبرى في تاريخ البشرية ، يعد عاملا من أقوى العوامل الداخلية التى لا بد أن ناخذها في اعتبارنا حين دراسة نشاة الفلسفة العربية الاسلامية .

إن هذا الدين حين ظهر أحدث ثورة روحية كبرى في نفوس المؤمنين به . والمقارن بين احوال العرب في الجاهلية واحوالهم بعد ظهور الاسلام ، يجد بونا شاسعا ، وبالتالى لا بد أن يحدث هذا أثره في نفوس المفكرين الذين يدينون بالدين الاسلامى .

هذا الدين حين ظهر قد غير الى حد كبير من الاعتقادات التى كان يدين بها الناس في الجاهلية . يقول صاعد الأندلسى: كان العرب حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم قد تفرق ملكها وتشتت أمرها ، فضم الله شاردها ، وسكن نافرها ، وجمع عليه جماعة ممن كان بجزيرة العرب من قحطان وعدنان ، فآمنوا به وانقادوا إليه ورفضوا جميعا ما كانوا يدينون به من عبادة الأوثان وتعظيم الكواكب وأقروا لله تعالى بالتعظيم والتحميد والربوبية والتوحيد والتزموا شريعة الاسلام من اعتقاد حدث العالم وخرابه والبعث والنشور والجزاء ومن العمل بالطاعات والصيام والصلاة والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وغير ذلك من شريعة الاسلام (٥) .

ونود أن نشير إلى أن هذا المصدر الاسلامى يثبت لنا ــ خلافا لما يذهب اليه نفر من المستشرقين الذين قالوا بان الفلسفة الاسلامية لا تعدو كونها نقلا عن الفلسفة اليونانية ــ أن الفلسفة العربية لها مشكلاتها الخاصة بها ، والتى نبعت في جو اسلامى . ومن هنا يكون من الضرورى لفهم نشاة الفلسفة العربية ان نقول ان فلاسفة العرب ، قد تاثروا بالقضايا الدينية الاسلامية أكبر تاثر . بحيث أننا لو درسنا مذاهب فلاسفة العرب سواء في المشرق او في المغرب ، وجدنا أن كلا من العقيدة الدينية والفلسفة

اليونانية ، يقفان جنبا الى جنب فى تكوين هذا المذهب او ذاك من مذاهب كثير من فلاسفة العرب (٦) .

بل اننا لو فهمنا الفلسفة العربية بالمعنى الواسع لها ، وادخلنا فيها الدراسات التى تركها لنا المتكلمون والمتصوفة ، استطعنا التاكيد على قولنا هذا تأكيدا تاما .

فالمطلع على نظريات متكلمى الاسلامى من معتزلة واشاعرة وجبرية وغيرهم ، يجد العنصر الدينى الاسلامى بارزاً ومهيمنا على بحوثهم لدرجة قصوى ، بل ان موضوعات المشكلات التى بحثوا فيها تحمل طابعا اسلاميا دينيا قلبا وقالبا . ان المعتزلة مثلا حين بحثوا فى التوحيد والعدل والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وغير ذلك من موضوعات ، فان بحثهم هذا يقوم على اسس دينية لا يمكن للباحث اغفالها باى حال من الأحوال . وكذلك فعل الأشاعرة وغيرهم من اصحاب الفرق الاخرى الاسلامية .

وما يقال عن علماء الكلام ، يقال عن الصوفية ايضا ، وخاصة الصوفية الأول الذين تاثروا بالآيات القرآنية التى تدعو الى الزهد وعبادة الله والتسبيح بحمده آناء الليل وأطراف النهار ، بحيث كان ذلك كله منبعا خصبا لآراء الصوفية الأول كالحسن البصرى ورابعة العدوية .

هذا بالاضافة الى أننا قد ذكرنا فيما سبق أن فى القرآن آيات عديدة تحث على النظر والتامل والبحث فى جنبات الكون . ((قل أنظروا فى ملكوت السموات والارض)) ، ((وفى الارض آيات للموقنين وفى انفسكم أفلا تبصرون)) . وهذا يدلنا على أن القرآن الكريم لم يكن فيما يزعم بعض المستشرقين عائقا عن النظر والبحث فكم كانت آيات القرآن مادة خصبة لتكوين النظريات الكلامية والفلسفية والتصوفية .

رابعا : حركة الترجمة واطلاع فلاسفة العرب على التراث اليونانى :

اذا كان المصدر الاسلامى يمكن اعتباره مصدرا داخليا ، فان هناك مصادر اخرى يمكن أن نعتبرها مصادر خارجية . وأهم هذه المصادر يتمثل فى المصدر اليونانى ، أى الفلسفة اليونانية .

فاذا كانت الفلسفة اليونانية على وجه العموم والمنطق على وجه الخصوص قد أثرا وظهر أثرهما الى حد ما عند بعض المتكلمين فى العصور المتاخرة ، فان الفلسفة اليونانية والمنطق اليونانى ، قد أثرا أكبر الأثر فى آراء فلاسفة العرب ، كالفارابى وابن سينا وابن رشد وغيرهم . وهم أنفسهم يعترفون بذلك .

ولكى نتعرف على هذا الأثر ، فاننا لا بد أن نتحدث عن حركة الترجمة ، أى تلك الحركة العظيمة التى عن طريقها استطاع مفكرو الاسلام التعرف على أفكار مفكرى اليونان وفلاسفتهم .

يمكننا القول بان حركة الترجمة قد انتشرت انتشارا واسعا أيام العباسيين . بل أيضا يمكن أن نبحث عند الأمويين عن اهتمام بالترجمة . فيروى عن الامير الأموى خالد بن يزيد ابن معاوية أنه أمر بترجمة كتب الكيميا من اللغة اليونانية الى اللغة العربية .

يقول ابن النديم : كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان وكان فاضلا فى نفسه ، وله همة ومحبة للعلوم . خطر بباله الصنعة فامر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ، ممن كان ينزل مصر ، وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى الى العربى . وهذا أول نقل كان فى الاسلام من لغة الى لغة (٧) .

بيد أن الانتشار الحقيقى لحركة الترجمة ، انما كان أيام العباسيين . اذ بدأ العمل المنظم فى نقل كتب مفكرى اليونان فى الطبيعة والطب والمنطق وغير ذلك من علوم وفلسفات .

ونود أن نشير الى أنه كان هناك الكثير من المترجمين . ومن أشهرهم يوحنا أو يحيى البطريق ، وعبد المسيح بن ناعمة الحمصى ، وقسطا ابن لوقا البعلبكى ، وحنين بن اسحق ، وأسحق بن حنين ، وحبيش ابن الحسن ، وأبو بشر متى بن يونس وأبو زكريا يحيى بن عدى المنطقى ، وأبو على عيسى بن اسحق بن زرعة، وغيرهم كثيرون .

هؤلاء المترجمون أو النقلة قد اقتصر عملهم فى الواقع على الترجمة غير أن هناك القليل منهم ممن قام بتاليف بعض الرسائل الخاصة به . فقسطا بن لوقا مثلا له رسالة قصيرة فى الفرق بين النفس والعقل . وأكثر هؤلاء المترجمين كانوا من النصارى وقد قاموا بالترجمة بعد تكليف الخليفة أو الوزير لهم . وكان الخلفاء متسامحين معهم فى دينهم كما كانوا يشجعونهم تشجيعا كبيرا فى عملهم هذا .

النشاط الحقيقى فى حركة الترجمة يرجع اذن الى العباسيين . فالمنصور مثلا حين أنشأ مدينة بغداد ، استدعى من مدرسة جنديسابور ، تلك المدرسة التى تقع فى فارس ، والتى يمكن أن نعدها همزة الوصل ونقطة الالتقاء بين الفلسفة اليونانية والفلسفة العربية . استدعى المنصور العباسى ، جورجيس ابن بختيشوع الطبيب الذى كان فى ذلك الوقت رئيسا لمستشفى جنديسابور ، وذلك لمعالجته من أمراض ألمت به .

وكان هذا الحادث ــ فيما يقول أو ليرى OLEBRY ــ الاتصال الاول بين اسرة بختيشوع وبلاط بغداد . وهذه الاسرة أدت دورا هاما فيما بعد من جهة نشر العلم والثقافة بين العرب (٨) .

وقد توالى استدعاء الاطباء والعلماء من مدرسة جنديسابور الى بغداد ، بحيث أن مراكز الحياة الثقافية انتقلت تدريجيا من جنديسابور الى بغداد . والواقع أنه لولا تشجيع الخلفاء لحركة الترجمة والقائمين عليها لما تمت هذه الحركة على هذه الصورة العظيمة . يقول المسعودى عن الخليفة المنصور كان المنصور أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغة العجمية الى العربية ومنها كتاب كليلة ودمنة ، وترجمت له كتب أرسطو من المنطقيات وغيرها ، كما ترجمت كتب لبطليموس واقليدس وسائر الكتب القديمة من اليونانية وغيرها من اللغات كالفارسية والسريانية الى العربية (٩) .

عصر العباسيين اذن يمكننا ان نسميه عصر الترجمة . فقد انتشرت حركة الترجمة انتشارا عظيما وخاصة بعد اهتمام المامون ببيت الحكمة الذى احتوى كتبا وضعت بلغات شتى يونانية وفارسية وهندية ، وقد اختار له المامون الرؤساء والمترجمين الذين يجيدون هذه اللغات ، بحيث ينقلونها الى العربية .

فاذا رجعنا الى كتاب طبقات الأمم لصاعد الأندلسى نجده يقول : لما أفضت الخلافة الى الخليفة السابع منهم (المامون) بن هارون الرشيد ابن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور ، تمم ما بدأ به جده

(المنصور) فأقبل على طلب العلم في مواضعه واستخرجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة ، فداخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا اليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وارسطو وأبقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة ، فاختار لها مهرة التراجمة وكلفهم احكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما أمكن ، ثم حض الناس على قراءتها ورغبهم في تعليمها (١٠) .

ونستطيع أن نقول ان هؤلاء المترجمين قد أدوا عملهم على خير وجه . وأن نظرة واحدة الى أسماء الرسائل والكتب التي نقلت الى العربية والتي كان أكثرها لمفكري اليونان ، تدلنا على ذلك تماما . لقد شملت الترجمة علوما شتى بحيث لا نجد ميدانا الا وللمترجمين فيه فضل . ترجمت كتب فلسفية وطبيعية ورياضية وفلكية وكيماوية ، وغير ذلك من علوم وفنون شتى . وعن طريق هذه الترجمات توصل فلاسفة العرب الى الاطلاع على ما كتبه فلاسفة اليونان .

لقد كانت الترجمة في بدايتها تتم من اللغة اليونانية الى السريانية . وبعد ذلك كانت النصوص اليونانية يتم نقلها الى العربية مباشرة . واذا كانت الكتب المنطقية لأرسطو مثلا قد ترجمت ، فان كتبه الفلسفية ايضا قد تم ترجمتها .

ولكننا نود أن نشير الى أن هذه الترجمات رغم دقتها ، الا أنه قد حدثت بعض الاخطاء حول نسبة كتاب ما الى صاحبه . مثال ذلك ان عبد المسيح بن عبد الله الحمصي ترجم كتابا بعنوان « أثولوجيا أرسطو طاليس » . وقد أدى هذا الى خطأ فلاسفة العرب حين نسبوا هذا الكتاب الى أرسطو ، في الوقت الذى هو في حقيقته بعض مقتطفات من تاسوعات أفلوطين الرابعة والخامسة والسادسة .

وأخيرا نقول ان المطلع على ما كتبه فلاسفة العرب ، يرى أنهم قد عرفوا الى حد كبير كل المدارس الفلسفية اليونانية القديمة . صحيح أنهم — فيما سبق أن أشرنا منذ قليل — وقعوا أحيانا في بعض الاخطاء ، بحيث خلطوا بين آراء فيلسوف وفيلسوف آخر وخلطوا بين المدارس الفلسفية . ولكنهم بوجه عام استطاعوا معرفة آراء الطبيعيين الاول ، أى المدرسة الايونية ، وعرفوا آراء المدرسة الايلية ، وآراء الفيثاغوريين والسوفسطائيين وسقراط وأفلاطون وارسطو الذى احتل عندهم مكانة كبيرة وكذلك تأثروا بافلوطين تأثرا عظيما واطلقوا عليه اسم الشيخ اليوناني .

---

(١) طبقات الامم ص ٦٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٧٤ .

(٤) فجر الاسلام ص ٤٨ و ٤٩ .

(٥) طبقات الامم ص ٧٣ .

(٦) راجع كتابنا : النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد ص ٥٥ و ٥٦ (طبع دار المعارف بالقاهرة) .

(٧) الفهرست ص ٣٥٢ .

(٨) How Greek Science passed to the Arabs P. 196.

(٩) مروج الذهب — جزء ٨ ص ٢٩١ .

(١٠) ص ٧٥ من كتابه .

واحد من قادة الفكر والدعوة الإسلامية

العلامة علال الفاسي

للأستاذ انــور الجنــدى

فى شهر ربيع الثانى ١٣٩٤ عبر الى الشاطىء الآخر ملبيا نداء ربه علم من أعلام الاسلام والوطنية وزعيم سياسى ومصلح اجتماعى لم يعرف عصرنا نموذجا مثله فى جمعه بين الجهاد السياسى الوطنى وبين الدعوة الى الله والقدرة فى مجال الدراسات الاسلامية ولقد يبدو هذا غريبا على الاجيال الجديدة التى ترى دائما الفصل بين الزعيم السياسى وداعية الاسلام بينما جاء هذا الفصل نتيجة سيطرة المفاهيم الغربية فى انشطاريتها ودعوتها الى عزل ميادين العمل الفكرى والاجتماعى مما لم يعرفه المسلمون على طول تاريخهم ولذلك فقد كان العلامة علال الفاسى مثلا مجددا لمفهوم الاسلام فى القائد والزعيم .

واذا كان علال الفاسى له تاريخه الطويل فى ميدان العمل السياسى والجهاد الوطنى مشاركا فى حركة تحرير المغرب وقد احتمل فى ذلك السجن والنفى والتشريد فان جانب الفكر فيه هو ما نركز عليه فى هذه الدراسة املا فى استصفاء قيمه الفكرية وتقديمها للمسلمين من جديد لتكون نبراسا للعاملين فى مجال الاصلاح والدعوة الاسلامية .

ولقد نشأ « علال الفاسى » فى أحضان حركة اليقظة الاسلامية التى احتضنت المفكرين المسلمين جميعا فى مراحلها المختلفة منذ صدع الامام محمد بن عبد الوهاب بالدعوة فى قلب الجزيرة العربية فى القرن الثانى عشر الهجرى متقدما وسابقا لكل حركة يقظة أخرى مما جاء من الغـــرب وقبل الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية وكل ما يتصـــل بالارســـاليات والمدارس الغربية باكثر من خمسين عاما .

ومن منطلق دعوة التوحيد امتدت كل حركات اليقظة فى الهند وفى مصر وفى سوريا وفارس وجاء جمال الدين الافغانى الى مصر عــــام ١٨٧١ ليحمل نفس اللواء الذى حمله السنوسى والمهدى والشوكانى والالوسى والطهطاوى وخير الدين التونسى ثم جاء محمد عبده ومدرسة المنار فامتدت حركة اليقظة الى المغرب حيث ظهر كنون والدكالى ومحمد العربى العلوى اساتذة علال الفاسى والرصيد الذى استمد منه ثقافته ودعوته وانطلاقه الى آفاق العمل الوطنى الاسلامى جميعا ، ذلك أن المغرب العربى لم يعرف التقسيم بين العمل الوطنى والعمل الاسلامى بل أن العمل الوطنى نفسه قد انطلق من قلب حركة اليقظة ومفاهيم السلفية بوصفه جهادا للاستعمار ومقاومة للغزو الاجنبى .

ولقد أشار العلامة علال الفاسى الى هذا المعنى فى كتابه :

« الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى » : حين قال :

« لئن كانت السلفية فى باعثها الحنبلى (١) ترمى لتطهير الدين من الخرافات التى الصقت به والعودة الى روح السنة المطهرة فانها لا تقصد من وراء ذلك الا تربية الشخصية الاسلامية على المبادىء التى جاء بها الاسلام بصفته المتكفل بصلاح الامة فى دينها ودنياها لكن هذا الاعـــداد الفردى لا يقصد منه الا تقوية التضامن بين الجماعة الاسلامية على أساس الاخاء الاسلامى أولا والانسانى ثانيا ، وذلك ما يستوجب كثيرا من التسامح مع المخالفين فى الوقت الذى يدعو للوقوف صفا واحدا فى الدفاع عن الاسلام وعن الامم الاسلامية كلها والدفاع عن الاسلام وأممه يستدعى بالطبع قبول المبادىء التى تعطى للفرد حرية العقيدة وحرية الفكر وتعطى للأمم حق تقرير مصيرها .

غير ان الوصول لهذه الوسيلة لا يتحقق الا اذا تحـــررت البلدان الاسلامية من سيطرة الاجنبى المادية والمعنوية ولذلك فالعمل على الاستقلال شرط أساسى لاكتساب الحرية التى لا بد منها لتحمل المسئولية » .

وهكذا يرى العلامة علال الفاسى انه فى سبيل تحقيق أهداف حركة اليقظة الاسلامية لا بد من تحقيق التحرر الوطنى وتحرير التراب الاقليمى ،

(١) ترد كل حركة اليقظة الاسلامية بمنطلقها السلفى الذى دعا اليه محمد بن عبد الوهاب ترد الى احمد بن حنبل وابن تيمية .

ولذلك فهو ينظر الى دوره الوطنى ومجاهدته للاستعمار الفرنسى كجزء من خطة العمل الاسلامى الكبير ـ وهذا هو أصدق مفهوم ـ فاذا تم تحرير التراب المغربى اتجه علال الفاسى الى العمل من أجل (اليقظة الاسلامية) وهذه هى المهمة التى جرد لها نفسه منذ أعلان الاستقلال عام ١٩٥٤ فأمضى ما يقرب من عشرين عاما فى هذا المجال ، ولم يكن عمله الفكرى الاسلامى ومحاضراته فى جامعة فاس الا جزءا من عمله السياسى بوصفه رئيسا لحزب الاستقلال وقد جرى عمله الفكرى الاسلامى فى ثلاث قنوات واسعة :

الاولى : تقنين الشريعة الاسلامية والاقتصاد الاسلامى على النحو الذى يمكن المسلمين من معرفة عظمة شريعتهم فى مواجهة تحديات الغزو الفكرى العربى وبالمقارنة مع القانون الوضعى والاقتصاد الرأسمالى والماركسى ..

وله فى هذا بحوث متصلة موسعة اهمها : بحثه : « مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها » وبحثه عن (التنمية الاقتصادية فى الاسلام) بالاضافة الى (تقريراته على مشروع مدونة الاحوال الشخصية) .

الثانى : فى مجال التاريخ الاسلامى والتاريخ المغربى بوصفه جزءا من تاريخ الاسلام وله فى ذلك دراسة هامة عن مكان التاريخ الاسلامى من التاريخ العام للبشرية ، بالاضافة الى دراساته المختلفة :

١ ـ الحماية الفرنسية فى المغرب من الوجهة التاريخية القانونية .
٢ ـ حماية اسبانيا فى مراكش .
٣ ـ السياسة البربرية : عناصرها ومظاهر تطبيقها .
٤ ـ مفاخر العلويين : موجز تاريخ الدولة العلوية .
٥ ـ الكتاب الاحمر عن القضية الموريطانية والحدود المغربية (بالفرنسية) .
٦ ـ الاستعمار الفرنسى فى الجزائر .

(ثالثا) فى مجال ترشيد وبناء الشخصية الاسلامية العربية .

وأهم أبحاثه فى هذا المجال كتابه (النقد الذاتى) الذى حظى باهتمام الباحثين فى كل مكان والذى ترجمت أقسام منه الى اللغات المختلفة .

ودراسته عن مستقبل اللغة العربية فى المغرب .

وبحثه عن الحرية بالمقارنة بين النظريات الفلسفية المختلفة والاسلام وبحثه عن محمد عبده وموقفه من الشبه والمتشابه .

ودراسته عن التبشير المسيحى وبعض الوثنيات الطائفية الهندية ودراسته عن مهمة علماء الاسلام .

ومن خلال هذا الحصاد الضخم الواسع المنوع نجد شخصية (علال الفاسى) كمفكر اسلامى واسع الافق ، عميق الرؤية ، متمكن من معرفة

ابعاد الفكر الاسلامى مع مقدرة كافية للمقارنة مع الفكر الغربى بشقيه فى ايمان واضح بالتميز والذاتية والاصالة الواضحة فى الفكر الاسلامى . ولنذهب معه الى مفهوم الاسلام ، عندئذ نجده واسع الافق ، واضح الفكرة عميق الدلالة :

ما هـــو الاســـلام ؟

« الاسلام ثورة على الجاهلية ، هو نقيضها ، هى شرك وهو توحيد وهو ايمان وهى شكوك واوهام ، هى فوضى وهو نظام ، هى تقاليـــد وعادات ما انزل الله بها من سلطان وهو شرعة ومنهـــاج ، هى جبت وطاغوت وهو عدل وحرية والدين هو مجموع ما شرعه الله من أحكـــام سماوية منزلة على انبيائه ، وهو جامع للايمان والاسلام والاحسان كما فى حديث جبريل ، هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم ، قال البخارى فجعل ذلك كله دينا .

والدين عند الله الاسلام واذن فالاسلام والدين بمعنى فى الاصطلاح الاسلامى ، والايمان هو اعتقاد فى النفس وتعبير عنه باللسان واثبات له بالعمل ، والمناسك هى التعبدات التى تعبد الله بها عباده من صلاة وصيام وحج وقربان ، وهى مظاهر الايمان ، وتدخل فى مدلول الدين ، والشرع فرع من فروع الـــدين ، وهو دســـتور الفـــرائض والسنن والمباحـــات والمحرمات التى جاء بها الدين باحكام عامة أو خاصة منها المعاملات ومنها دستور الحكم الشرعى والحكم السياسى فى الامـــة والدولة .

والشرعة هى السبيل المستقيم ومنها ضرورات الحياة وتدخل فيها الشرائع السياسية ، فالشرعة اذن الدستور القويم لكل ما هو سبب الحياة فالاسلام هو الانقياد لله الناشىء عن الايمان به ومحبته وطاعة النفس لامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

وقد حاول الغربيون أن يجعلوا من كلمة الاسلام ما يدل على معنى الاستسلام الاعمى وبنوا على ذلك تصورهم الخاطىء لفكرة القضاء والقدر عند المسلمين ورتبوا على جميع ذلك تعبير ما أصاب المسلمين من انحطاط وكسل بهذا الاستسلام الذى يعنى بزعمهم الايمان بانه لا حاجة لعمل شىء من شأنه ان يغير أحوال المسلمين لان كل شىء مكتوب واذن يجب الخنوع والاستسلام وكل محاولة لغير ذلك عبث ، مع ان الاسلام يعنى الانابة لله فى طاعته وهذه تعنى القيام بكل ما فرضه الاسلام ودعا اليه من أعمـــال دينية ودنيوية لضمان السعادة والهناءة فى هذه الحياة وفى الأخرى » .

العرب بعد الاستقلال

ويصور علال الفاسى موقف الأمة العربية بعد ان خرج المســـتعمر ، وبدأت مرحلة الاستقلال : —

« امتنا العربية آمنت بالاسلام دينا واتخذت أحكامه خلقا ورأت آثار ذلك فى كل تاريخها فعاشت معه عزيزة حرة كريمة مصونة حتى اذا هاجمها المستعمرون الغربيون فى عهودها الاخيرة وغلبوها بقوتهم المادية وجدوا عندها من طاقة الايمان ، وخلق الدين ، مادفعها للاستمرار فى النضـال والثبات فى المقاومة فاستطاعت أن توحد صفها وتلتف حول الخيرة من أبنائها وتقسر الاستقلال من يد العدو قسرا ، وكانت تسير بعد الاستقلال فى طريق مفيدة تفضى بها الى « ثورة المؤمن » الذى يتحرك ليثبت عقيدته وينقلها من عالم الضمير الى ميدان الواقع ، وذلك باقرار مبادىء العدالة الاجتماعية كما أرادها الاسلام لا ضرر فيها ولا ضرار حتى اذا قاربت الثورة أن تبدو ونورها أن يشرق قامت ردود الفعل فأوقفت الأمة عن سيرها وشغلتها بنفسها واحدثت بينها الفرقة وفقدان الثقة .

ولقد صرخنا على اثر النكبة الاولى التى حلت بفلسطين ان لا منقذ لنا غير الاسلام ولاخلاص لشعبنا الا بتعاليم القرآن .

ولما اشتدت الفرقة وافضت الى حروب ومشاجرات نادينا مع المؤمنين فى كل انحاء الارض المسلمة بضرورة التضامن الاسلامى علما منا بان الوحدة المبنية على العقيدة لا على السلالة أو اللغة هى أمتن رباطا واقوى عملا واجدى عاقبة ، ولكن خصوم (الجامعة الاسلامية) انضموا الى طائفة الدول الكبرى فى محاربة هذه الدعوة البريئة بانها حلف استعمارى مع أنها وحدها التى كانت قادرة على ابراز ما للشعوب الاسلامية من قوة وهكذا انعزل العرب عن بقية العالم الاسلامى وانقسموا .

كل ذلك والاحزاب صهيونية وصليبية تتستر باسم الديمقراطية أو الاشتراكية تفت فى عضدهم ولا تألو جهدا فى تضليلهم وتوقع بينهم العداوة والبغضاء . . »

وننتقل الى جانب آخر من جوانب فكر « علال الفاسى » ومفاهيمه .

« الغزو الفكرى »

« الذين حبذوا الغاء الخلافة والتخلى عن فكرة الجامعة الاسلامية ظنوا أن ذلك سيتيح الفرصة للتكتل على أسس تقدمية جديدة ، دون التعرض لمعاداة الغربيين الذين زعموا انهم تخلوا عن التعصب الدينى وفتحوا صدورهم لعلاقات انسانية كما شبه للعرب ان انهاء الخلافة العثمانية سيتيح لهم اقامة سلطان عربى موحد : هذا كله لم يكن الا استدراجا لنفوس العرب والمسلمين للتحلل من مثلهم العليا واخوتهم الدينية التى لا مثيل لقوتها . ولقد نجح الصهيونيون والصليبيون والمستعمرون فى افساد الروح الوثابة التى أخذت تنمو فى نفوس العرب والمسلمين منذ

الصرخة الاولى التى أعلنها جمال الدين ومحمد عبده وغيرهما من قادة الفكر فى عالم الاسلام الجديد ومن غير أن تزول قداســـة هؤلاء القادة فى نفوس المسلمين يشبه اليهم دعاة الاعداء ان أفكارهم انما تمثل مرحلة من مراحل النضال ضد الرجعية وان النتيجة الحتمية لها هى هــذه الافكار الانحلالية التى ضيعت على المسلمين طاقاتهم ومعنوياتهم فى سبيل مثل بعيدة عنهم ولا تفضى الا الى زوال الكيان العربى الاسلامى . ان النكبـــة من هنا بدأت من الاحتلال الفكرى الذى تغلغل فى نفوس أجيال من قومنا باسم التقدمية والديمقراطية والاشتراكية دون تعمق لمعانى الاشياء ونفوذ لفحواها » . .

مستقبل الاسلام

وكان العلامة علال الفاسى صادق الايمان بمستقبل الاسلام اذا ما تسلح المسلمون بالوعى والايمان :

« ان ضعف تمسك المسلمين بالاسلام والابقاء على بعض منه فقط فهذا صحيح مع غاية الاسف ، ولكنه لا يدعو الى اليأس وان ذلك من طبائع الاشياء . قال الله تعالى فى كتابه العزيز . (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) فالصعود للانسان ثم الهبوط ثم الصعود ثم الهبوط شىء ضرورى ولكن الثلة المؤمنة التى تظل تعمـــل الصالحات ولا ينقطع اجرها هى التى تعود بالمسلمين وبالانسان الى ما خلق عليه من احسن تقويم وترفعه من اسفل سافلين الى اعلى عليين ، فضعف المسلمين أو تخليهم شىء موقوت لا بد ان يزول ولن يزيله خروجهم من ملتهم أو قبولهم مبدأ اللادينية بل بقيام طائفة ظاهرة على الحق بواجبها لرد المسلمين الى حظيرة الاسلام الحق ان علمائنا اليوم مسئولون عن تربية شبابنا وارشاد امتنا ، ولكن عليهم لكى ينجحوا ان يعطوا الدليل العملى من سلوكهـــم وقيامهم بالنضال المستميت فى سبيل الحق فى بعث الاسلام ثقافة وحضارة وشريعة ولغة كتابة » .



(وبعد) فقد كانت حياة علال الفاسى حياة خصبة عامرة بالكفاح والنضال ، قضى طرفا منها فى القرويين متعلما ومعلما ، وقضى طرفا منها فى الشرق ومصر مهاجرا وقضى طرفا منها فى الصحراء منفيا وقضى طرفا منها فى السجن معتقلا ، ثم عاش سنواته الاخيرة بعد الاستقلال مجاهدا بالكلمة واستطاع أن يرسم صورة واسعة لاصول الثقافة العربية الاسلامية فى المغرب كواحد من قادة الفكر وائمة الدعوة الاسلامية « رحمه الله » .

الفكر الاسلامي

للاستاذ : فاروق منصور

ما هو دور الفكر الاسلامى وواقعنا يخضع لاعتبارين أو يواجه أمرين ؟ عدو يهدد أو ننتظر منه العدوان ولا نأمن جانبه ، ودين يأمر بالجهاد ويدفع للاستعداد له ؟

اننا أمام أمرين ان أعددنا لكل منهما عدته سلمنا وسلمت حياتنا ، وضمنا الامان والامن والفـــوز ، بل ضمنا الحياة · ومن حسن الحظ أن الوفاء بالالتزامين ، والقيام بالامرين ، واحد · فلسنا أمام تعدد الجهود ولكن أمام تضافرها ، ان ما يرضى ديننا هو نفسه ما يصلح دنيانا ·

ان ديننا يأمر بالجهاد والاستعداد له لا خلاف فى ذلك ولا شك ، واننا نواجه عدوا لا يمكن أن نتقى شره ونأمن مكره الا بالجهاد والاستعداد الدائم له ، فما هو واجب الفكر الاسلامى فى هذه الحالة · ؟

والإنسان والمعركة

ان الفكر الاسلامى المعاصر ايمانا برسالته وفهما لواجبه ووعيا لاحتياجات الأمة المسلمة عليه أن يواجه واقعا ، ويعد له حماية لهذا الواقع ودفاعا عنه . وتبشيرا بمستقبل زاهر ، وعملا له واعدادا لما يجب أن يكون عليه بناؤه ، عليه ان ينبه الأمة الاسلامية الى الخطر ويضع لها أساليب المقاومة أو طرق اتقاء ذلك الخطر وان يمدها بالقدرة عليه . نحن أمة أمرها دينها بتحمل أعباء الجهاد استعدادا دائما له ، وتربية على تحمله . وتوفيرا لمقتضياته ومتطلباته . ونحن أمة تواجه عدوا أريد لها ان تواجهه ، وان توجه جل اهتمامها له ، أو لمقاومته واتقاء شره والتخلص من اخطاره . هذه الحقائق يجب أن تظل مطروحة علينا ومفهومة .

لكى نعرف حقا :

واذا كان ذلك هو حقيقة واقعنا ، فان معرفة حقيقتنا تدفع الى معرفة الطريق الذى نسلكه ، وتؤدى الى فهم الواجب الذى ينبغى الالتزام به ، او القيام بأدائه . وهذا هو دور الفكر الاسلامى المعاصر : توضيح الواقع ، ووضع الحلول ، ورسم الخطط . ان الفكر الاسلامى وهو يأخذ من الكتاب والسنة أصوله ويقوم عليهما لا ينبغى أن يكون أبدا بعيدا عنهما ، أو غير ملتزم بهما فى شكله أو موضوعه ، فى واقعه أو تصوراته . لاننا اذا كنا نعد المفكر العصرى الذى لا يواجه مشكلات عصره انعزاليا أو سلبيا بتفسيرات العصر فان المفكر الاسلامى الذى لا يلتزم بالكتاب والسنة غير مؤمن . وفكره آنذاك ليس مطلوبا وليس مقبولا بل انه بمعنى أدق

مرفوض ، لا يريده ديننا ولا تريده أمتنا ولا تريده حياتنا اليوم وغدا ، وما أظنها كانت تريده بالأمس بل أن حياتنا فى كل مراحلها ترفضه . واذا كان المفكر غير مؤمن فهو غير مؤتمن واذا كان العدو خطرا فان الخائن فى صفوفنا اشد خطرا . لذلك فان الفكر الاسلامى مطالب فى هذه الأوقات اكثر من أى وقت مضى بأن يرتبط بواقعنا أكثر ويتلاحم مع حياتنا ، يحسها ليعطيها ، ويفهمها ليدفع لها بما يعينها ، ويدفع بها الى ما يقويها ويحسنها ، ويجعل منها الافضل والأحسن لكى يحفظ لأمتنا حياتها ولديننا سموه ولقيمنا أصالتها .

ان الفكر الاسلامى اليوم لا يمكن أن يكون دوره قاصرا على أن يدور حول القضايا الشكلية ليزيدها غموضا ، أو ليغرق فى غموضها ، ويغرق معه الكثيرين منا .

بل واجبه ان يعود الى حقيقته ، الى سالف أيامه ، يوم كان أكثر أصالة وأكثر اقترابا من الكتاب والسنة ، كى يبدع اليوم كما ابدع بالأمس . لأن الفكر الاسلامى لا يمكن أن يبدع كما انه لا يمكن أن يكون شيئا ما لم يلتزم بالكتاب والسنة . وارتباط هذا الفكر بالكتاب والسنة ليس فى حقيقته اتباعا فقط ، ولكنه صمام أمن ، وضمان سلامة ، واتساق مع حقيقته، وتمش مع واقعه ، وهو وضع للأمور فى نصابها ، أو تعريفها بصفاتها ، فاذا ما قلنا مثلا ان الماء يتركب من الايدروجين والاوكسجين بنسبة ٢ : ١ كيمائيا ، واذا قلنا أن مناخ البحر الابيض المتوسط حار جاف صيفا معتدل ممطر شتاء . أو قلنا ان غاز الاوكسجين لا يشتعل ولكنه يساعد على الاشتعال بينما الايدروجين يحترق ، فاننا نقول إن الفكر الاسلامى ما قام على الكتاب والسنة يلتزم اولا بالكتاب ويسير فى ضوء السنة مهتديا بها .

فهو فكر اسلامى ما اتبع ذلك وليس اسلاميا ما خالفه لأنه اذا كان اتباع الكتاب والسنة أمرا حيويا للفكر الاسلامى فانه عندما يبعد عنهما يفقد هويته ، يتخلى عن لبه ، يتنازل عن جوهره ، وحينئذ لا يكون شيئا ذا بال ، وحينئذ لا يكون بمقدوره أن يقدم شيئا . وهذا ليس مطلوبا لنا ، وليس متمشيا مع احتياجات أمتنا ، ولا ملائما لظروفنا : الفكر سياج أمن لواقع وضمان اكيد لمستقبل .

عندما نعود الى الكتاب والسنة !

ان العودة للكتاب والسنة والالتزام بهما اتباعا وتسليما لا يعنى الجمود بل يعنى الارتباط بالأسس السليمة . والاهتداء الى الطريق السوى الذى يسلم من يسير عليه ، ويغنم من يلتزم به ، ويهتدى من يسلكه . والالتزام بالكتاب والسنة يعنى الارتباط بالله ، وحينئذ يكون ايماننا مبصرا ، واعتقادنا سليما ، ويقيننا بناء . فالايمان بالله يوضح الامور أمامنا ، ويضاعف من قدرتنا على العطاء ، ومقدرتنا على الفهم بصورة أدق وأوضح . الالتزام بأمر الله واتباعه يطهر نفوسنا ، ويشحذ قوانا فنرتفع عن كل حقد ونسمو فوق كل ضغينة ، وتتعالى عقولنا على الوقوع في براثن الجهل أو الخرافة أو الشعوذة ، لأن الايمان بالله يعنى معرفة الحق ، ومعرفة الحق تقود الى الخير والصواب . ان الايمان بالله يدفع الانسان الى تفهم طريقه ومعرفة مساره ، يجعل من صاحبه متوكلا على الله وليس متواكلا ، مجاهدا وليس

مخدرا أو منوما . مدركا للأسباب والنتائج ، يرجع الأمور كلها لله ، وفى نفس الوقت وانطلاقا من هذا الايمان يحس انه مخلوق له قدرات يجب ان يحسن استخدامها ، ويوجهها توجيها سليما فيما يعود بالنفع والفائدة على دينه وأمته وجماعته ، وفيما يصلحه ويصلح مجتمعه ، فبقدر استخدامه الحسن ، وبقدر عطائه الحسن يكون كمال ايمانه ، وكلما أتقن عمله وخلصت نيته وصلح عطاؤه كلما زاد اقترابا من الله وكمل ايمانه، وثقته به ، واخلاصه له .

والالتزام بالكتاب والسنة يقود الانسان الى معرفة الذات ، وفهم الواقع ، لأن الكتاب والسنة انما استهدفا اقامة المجتمع الأمثل وكفلا له أحسن الاساليب وانجح الوسائل التى اذا التزمت حققت الغاية ، واوصلت الى الهدف المرجو ، والأمل المنشود .

يا أمة الاسلام هذا عدونا !

ان معرفة الذات فى ضوء الكتاب والسنة ستقودنا الى معرفة الواقع : ما يواجهنا من مشاكل ، ما نعيش فيه من ظروف ، ما نخضع له من مؤثرات ومعرفة حقائق الأمور ليست كل شىء ولكن لا بد من اكتشاف العلاج والقيام به لتكتمل المعرفة . اننا مثلا عندما نعرف ان انسانا ما عزيزا علينا يشكو مرضا فهذه المعرفة فى حد ذاتها ليست شيئا ، ولكن ما يترتب عليها هو الشىء ، وهو ما نسعى اليه دائما . ندرك انه مريض فنسعى به الى الطبيب المختص ليعالجه ، واذا لم يجد العلاج يغير الطبيب الدواء أو نغير له الأطباء حتى يبرأ ، وبالمثل فى حالتنا هذه عندما نعرف ذاتنا فاننا نعرف اننا أمة عربية ، دينها الاسلام يطالبها بحياة مثلى ، يرسم لها طريقها ويمدها بلبنات البناء ، وهى مطالبة باقامة تلك الحياة المثالية والا كانت جاحدة بنعمة الله عليها ، مقصرة فى حق الله وحق نفسها ، وغير مستحقة للحياة . وعليها ان تسعى لما يرضى الله ، ويحفظ عليها حياتها ، ويبقى لها مكانها بين الأمم ، ومعرفة الذات تقودنا الى تفهم الواقع ، فنعرف اننا نواجه عدوا جاءنا ليسرق الأرض ، ويشتت الشمل ويقتل الأفراد والجماعات . جاء الى أرضنا متسلحا بأحقاد قديمة ، وأطماع تاريخية ، جاءنا مزودا بأحدث الاسلحة التى يملكها أو تمنح له . جاءنا ولديه اصرار على ان يقضى علينا انه لم يقنع نفسه ابدا بامكانية التعايش بل هو مصر على الانفراد . انه عدو يزعم التفرد والتميز . وهو لا يعنى بتميزه وتفرده مجرد اكتسابه لصفات — يزعم لنفسه أنها تميزه عن الآخرين . ولكنه يصر على أن تميزه المزعوم يعطيه الحق بالسيادة على الآخرين . يعطيه الحق فى أن يسود فيستعبد غيره ، ويستخدمه وفق اهوائه . والتميز فى مفهوم عدونا يعنى أن حق الحياة مكفول له ليس على رؤوس الآخرين ولكن فوق جثثهم ، لا بد فى زعمه أن يحيا هو ، وهو وحده . أنه يؤمن بأن حياته تتعارض مع حياة الآخرين فلا بد أن يفقد الآخرين حياتهم ليسعد هو . اى يجب أن نفنى لكى يحيا سعيدا . معرفة هذا الواقع تقتضى معرفة كل شىء عن العدو ، تاريخه ونفسية افراده ، وفهم نواياهم العدوانية ، كيف يتجمعون ؟ ولماذا يتجمعون ؟ وكيف نفرق جمعهم ؟ ومعرفة الواقع ستقودنا الى فهم مخططات العدو . كيف يفكر ؟ وكيف

ينفذ أفكاره ؟ وما هي خطورة هـذه الأفكار؟ وكيف نتقيها ؟ ان معرفة هذا الواقع وفهمه ووضع الحلول اللازمة له هو أهم ما يجب أن يعنى به الفكر الاسلامى المعاصر . والطريق اليـه ليس اطلاق صرخات الخوف ، وليس نفخ البالونات وصنع آلاف من الطبل الاجوف عن خطورة العدو ، أو عن مقدرتنا التى لا تقهر ، وجموعنا التى لا تهزم .

لا هذا ولا ذاك ، ولكن واجـب الفكر الاسلامى اليوم أن يوضح حقيقة الواقع ، حقيقة العدو ، والطريـق السوى لمواجهة الواقع ومجابهـة العدو . لكى نحيا كراما ، ولكى نعيش الحياة التى أرادها لنا ديننا ، وأمرنا الله بها ، والتى نريدها لأنفسنا ، والا فلنذهب جميعا .

رسالة هذه الأمة :

واذا كانت معرفة الذات وفهـم الواقع هما واجب الفكر الاسـلامى المعاصر ، فهما ليس واجبه الوحيد ، ولارسالته الوحيدة ، أو عمله الأوحد . ولكن للفكر الاسلامى دوره ، وعليـه واجبه وهذا الدور أكبر من معرفـة الذات ومواجهة الواقع . وواجـب الفكر الاسلامى اعظم من ذلك ايضا لأنه يتمشى مع الاسلام ورسالته — وما نواجهه اليوم من أخطار أيا كان حجمها ما هى الا شلالات اعترضـت المسار ، أو عقبات فى طريق الاسلام ومضيه الى غاياته الحضارية . وهذه الشلالات أيا كان عددها ، ومهمـا بلغت حجما وكيفا يجب الا تكـون صخرة تحطمنا ، سدا نقف عنـده وتمنعنا من المضى . ان واجب الفكر الاسلامى المعاصر أن يصنع الانسان القادر على تخطى الصعاب ، والعبور فوق مشاكل عصره ، يحللها ويضـع اجابات عملية لتساؤلاتها ، ويحسـم ما تلقيه عليه من متاعب ، ليبنى مـا يأمره به دينه ، وما يتلاءم مع قيمه ، ويتمشى مع سلامته وأمنه . لقد جاء الاسلام ليكون ديـن الانسانيـة ، وليكن اتباعه بهديه واتباعه خير أمة اخرجت للناس جاء الاسلام ليتبعه كل القادرين على اطاعة الله والعمـل بهديه ، وعندما يطيعون الله انمـا يتحملون عبئا ، وعندما يعملون بهديه انما يتحملون مسئولية ارتضـوا طواعية ان يتحملوها ، وحملوا أمانة يسعدهم القيام بتأديتها .

أمة شرفها الله :

وهذه الأمة التـى ارتضـت ذلك وسعدت به لا ترجع عظمتها فـى رضائها فقط بأن تكون فى طاعة الله ، ولا فى قبولها لحمـل رسالتـه ، وهما أمران محققان للعظمة ، يبعثان الفخر . ولكن ترجع عظمة امتنـا وفخرها الى كونها الأمة الوحيدة التى اختارها الله لحمل رسالته ، والقيام بشرف توصيلها للآخرين ، بالابـلاغ والسلوك . ولنا فى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة لقد أبلغنا صلـى الله عليـه وسلـم رسالة ربه وكان بسلوكه مثالا لـم يتكرر ، وعلينا ان نتولى ابلاغ غيرنا الرسالة التى حملناها ، وعلينـا أن نربيه بالآداب المثالية التى تعلمناهـا من الرسـول الكريـم ، والتزمنـا باتباعها . معنى ذلك أن علينا واجبا دينيا هو حمل رسالة الله ، وتحضير الانسان . هداية الانسان الى معرفة الله والعمل على قيام حضارة انسانية مرتبطة بتعاليم الله ، هذا هو دورنا فى الحياة وهذا الدور هو واجـب

الفكر الاسلامى المعاصر الذى عليه أن يقوم به ما كلفه من جهد ، أو القى عليه من مشاق .

فاذا ما نظرنا فى ضوء الواقع فاننا نجد أن قيام الفكر الاسلامى بهذا الدور وقيام المسلمين به يصادم اطماع العدو ، ويقضى على أحلامهم ، اى أن هناك صراعا حضاريا آخر . لم يخلقه مجرد أطماع العدو ولا أحقاده التاريخية وكونه ركيزة استعمارية ولكن جاء نتيجة لأننا دعاة خير . وأمناء على رسالة الله فى الأرض . ولا بد والأمر كذلك من أن نلتقى بالشر فنصارعه ونصرعه ، ونحارب الباطل فنسحقه وننتصر عليه بتأييد من الله عندما نعد للنصر عدته من ايمان بالله وقيام بواجب الجهاد ، والاعداد له عسكريا وماديا ومعنويا ونفسيا وحضاريا .

معركة قديمة ما زلنا نعيشها :

ان المعركة بيننا وبين عدونا لم تبدأ فى ١٥ مايو ١٩٤٨ يوم قامت فى منطقتنا دولة دخيلة علينا ، تهدد وتنشر الدمار ، وتسرق الارض ، وتلوث العرض ، وتدوس الكرامة . وهى بالطبع لم تبدأ عندما أعطى بلفور وعده المشئوم فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ للصهاينة بانشاء وطن قومى لليهود بأرض فلسطين العربية . بل لم تبدأ بطلب الصهاينة من السلطان عبد الحميد سلطان تركيا منحهم قطعة أرض — فلسطين أو سيناء لاقامة وطن قومى عليها . بل انها بالتأكيد لم تبدأ بالمؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ ، ولكنها بدأت منذ عهد بعيد . انها ترجع الى مئات السنين ، بل الى آلاف السنين . ان المعركة بيننا وبين عدونا تتمثل فى أن فئة معينة مدفوعة بشذوذها الى القيام بتصرفات متعارضة مع القيم الانسانية ومتعارضة مع صالح الجنس البشرى مستمرة فى عدوانها ، أن عدونا مدفوعا بشذوذه يروج بأنه متميز عنصريا عن بقية البشر . وقد اقنع نفسه ، واقنع جموعه بهذا الشذوذ ثم راح يروج له . ولم يكتف بمجرد الدعاية ، ولكنه حاول فرض ذلك بأن يكون له السيادة على الآخرين ، فمارس الغزو ، وحاول التسلط ، وهم بايذاء الآخرين ، ولم يكف عن العدوان الا مرغما ، ولم ينطو على نفسه الا مكرها ، انه عدو يكبله عجزه ، ويقيده الضعف ، ولا يحفل بالقانون او الخلق ، تلك طبيعته ، ولهذا كانت محاولاته لقهر الآخرين ، نادرا ما كان ينجح ، وكثيرا ما هزم لينطوى على نفسه ، وينطوى على أحقاده مخططا لجرائم جديدة الم يكن ذلك تاريخ العدو مع مصر القديمة حتى سحقهم أحمس ؟ الم يكن ذلك موقفهم حتى قضى عليهم بختنصر ؟ الم يكن ذلك هو ما حاولوه مع المسيح عيسى ابن مريم كلمة الرحمن التى ارادوا اطفاءها فخيبهم الله ونصر عبده وانقذه منهم ؟

ولكن نصر الله عبده :

الم تكن تلك هى طبيعتهم مع الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فكان هو الوحيد الذى كشف مؤامراتهم ووضع حدا لجرائمهم وخيانتهم . وقضى على جموعهم ، الم يكن محمد صلى الله عليه وسلم وهو وحده الذى قضى على أعداء البشرية قتلة الرسل ناشرى الحقد والضغينة ؟ بل ان انتصار محمد صلى الله عليه وسلم

هو الانتصار الوحيد الحاسم الذى قضى على شوكتهم فظلوا مئات السنين مضيعين . وليس غير اتباع محمد صلى الله عليه وسلم من يقدر على سحق هذا العدو اليوم .

ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد انقذ الجنس البشرى من هذا السرطان وجنب الانسان شر عصابات يدفعها الحقد وتحركها الضغينة ويجمعها الشذوذ . وان رسالة اتباع محمد اليوم حماية الانسانية منهم . فالمعركة بيننا وبين الصهيونية قديمة اذن . اننا العرب قد تصدينا لهم قبل الاسلام ونحن العرب أتباع محمد الذى هزمهم والذين سنحمى البشرية من خطرهم باذن الله . هى أمانة حملناها وعلينا أن نؤديها .

ماض يجب ان نذكره :

واجب الفكر الاسلامى المعاصر أن يعى ذلك ويبشر به لا بمجرد البشرى يسوقها ، أو الأمانى يتغنى بها ، ولكن بكشف العدو ، وتوضيح المسار التاريخى لمؤامراته ، والمواقف التى هزم فيها ، وكيف هزم . ان واجب الفكر الاسلامى المعاصر أن يوضح للانسان العادى فى أمتنا كيف انتصر الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم وكيف يمكن أن ننتصر . ومرورا بهذه المهمة سيقوم الفكر الاسلامى بالطبع بتوضيح ما هو الاسلام ؟ ومن هو المسلم ؟ كيف نعيش الاسلام ؟ وكيف نكون مسلمين ؟

المعركة بيننا وبين عدونا معركة حياة والحياة مستمرة ولضمان استمرارها يجب أن نقهر عدونا .

والمعركة بيننا وبين عدونا معركة حضارة يجب أن تستمر ، ولكى تستمر لا بد من مقومات ، واول هذه المقومات الانسان صانع الحضارة ، وحاميها ، فلكى نقهر عدونا ، ولكى نصون الحضارة ونعمل على استمرارها وتقدمها لا بد من وجود الانسان المسلم ، لأنه القادر على هذه المهمة ، ولأنه الذى اختاره الله لها . ولكى يوجد الانسان المسلم فلا بد من توفر منهج اسلامى لبنائه ، منهج اسلامى لتربيته ، منهج اسلامى لحياته ، لنجد الانسان المسلم والحياة الاسلامية لأنه لا حياة بلا انسان ، ولا انسان بلا ايمان ، ولا ايمان الا بما امر الله به ، وأنزله على عبده ، واختاره له ، وأمره بابلاغه لنا .

المعركة بيننا وبين عدونا اذن لا يحسمها الانتصار فى جولة أو جولات ولا ينهيها قرار بالسلام أو الرغبة فيه ولكن ينهيها هزيمة عدونا حضاريا بأن يكون لدينا دائما الانسان الاقوى ، الانسان الافضل الانسان الاقدر ، وأول الطريق لبلوغ القوة الايمان ، وحقيقة الايمان اقرار وعمل ، وأحسن العمل اصدقه واصلحه ، ولا عمل بغير علم . لقد علمنا الله وأرسل الينا رسولا ليعلمنا ، ويعطينا العلم باعتباره ضرورة للحياة لأنه لا ايمان بغير علم ولا حياة بغير ايمان فليأخذ الفكر الاسلامى بأساليب العلم . انه واجب الفكر الاسلامى المعاصر أن يسعى لبناء الانسان المسلم الصالح للحياة وواجبه ايضا أن ينبه دائما وباستمرار الى معركة الحياة ودورنا الحضارى ومتطلبات هذا الدور من جهد مطلوب ويقظة دائمة واستعداد متواصل مرتبط بالايمان بالله والاصرار على النصر .

شعبان وليلة النصف

للأستاذ : أحمد مظهر العظمة

جعل الله تعالى للمسلم مناسبات تقوى فيها التوبة وتقبل الطاعة ويمتد الرجاء فى عون الله ونعيمه ، وبذلك يطمئن المسلم برضاء الله عنه فينشط فى سعيه المحمود الى قصده المبرور المنشود .

وللاطمئنان النفسى قيمته الكبرى فى هذا المضمار ، فهو كما يقول علماء النفس والتربية من عوامل النشاط ونمو الشخصية ، اما القلق النفسى فهو على عكس ذلك : هدام للرغبات والآمال والأعمال ، ان الطفل الذى يسكن الى جناح أبويه مثلا ، هو أرضى نفسا وأسلم سلوكا من اليتيم الذى فقدهما وفقد من يحنو عليه بعدهما .

سبق الدين بغفرانه الى هذه المعانى ، وجاءت رحمة الله تعالى لا حد لها ، لأن الله سبحانه أرحم بعباده من آبائهم وأمهاتهم لهم . قال الله تعالى (ورحمتى وسعت كل شىء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) (الأعراف : ١٥٦) ، وقال سبحانه : (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون) (الشورى : ٢٥) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ؟ فأيس منها . فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من

راحلته فبينما هو كذلك ، اذا هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ...)

ننتقل بعد هذا التمهيد الى الحديث عن التوبة والغفران فى شهر شعبان الذى يعلى همم المؤمنين ليجدوا فى سيرهم (فيزيدوا من انتاجهم) فى الطاعات والمبرات .

فشهر شعبان شهر مبارك ، فهو موسم من مواسم الخير والبر . عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان ، وما رايته فى شهر اكثر صياما منه فى شعبان) — رواه البخارى — .

وان لليلة النصف من هذا الشهر المبارك — شعبان — مزايا عطرة . روى المنذرى فى (الترغيب والترهيب) أحاديث عديدة إن كان فيها شىء من ضعفه او ارسال فان بعضها يعين بعضا فى سبيل الطاعات ، منها حديث طريف صريح ، تصحبه الخشية والخشوع ، فقد روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضع عنه ثوبيه ثم لم يستتم أن قام ، فلبسهما ، فأخذتنى غيرة شديدة ، ظننت انه يأتى بعض صويحباتى ، فخرجت اتبعه ، فأدركته بالبقيع بقيع الفرقد (مقبرة المدينة) يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء ، فقلت : بأبى وأمى انت فى حاجة ربك ، وأنا فى حاجة الدنيا ، فانصرفت فدخلت حجرتى ولى نفس عال ، ولحقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا النفس يا عائشة ؟ قلت : بأبى انت وأمى ، اتيتنى فوضعت عنك ثوبيك ثم لم تستتم ان قمت فلبستهما ، — فأخذتنى غيرة شديدة ، ظننت انك تأتى بعض صويحباتى حتى رايتك بالبقيع تصنع ما تصنع . فقال : يا عائشة أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ اتانى جبريل عليه السلام فقال : هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم كلب (اسم قبيلة) لا ينظر الله فيها الى مشرك ، ولا الى مشاحن ولا الى قاطع رحم ، ولا الى مسبل (مستكبر من اسبال الازار) ولا الى عاق لوالديه ، ولا الى مدمن خمر) . ثم وضع عنه ثوبيه فقال لى : يا عائشة ، تأذنين لى فى قيام هذه الليلة ، قلت : نعم بأبى وأمى ، فقام فسجد ليلا طويلا ، حتى ظننت انه قد قبض ، فقمت التمسه ، ووضعت يدى على باطن قدميه ، فتحرك ففرحت وسمعته يقول فى سجوده : اعوذ بعفوك من عقابك ، واعوذ برضاك من سخطك ، واعوذ بك منك ، جل وجهك ، لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك .

فلما اصبح ذكرتهن له ، فقال : يا عائشة تعلميهن ، فقلت نعم ، فقال :

تعلميهن وعلميهن ، فان جبريل عليه السلام علمنيهن ، وامرنى أن أرددهن فى السجود . (أى مطلق سجود) : الترغيب (رواه البيهقى) .

اما الدعاء الذى اعتاد كثير من الناس تلاوته ليلة النصف من شعبان فليس دعاء نبويا مأثورا وانما هو من وضع بعض المتأخرين ، ولا يرتضيه العلماء المحققون . واظهر دلائل وضعه جعل ليلة النصف من شعبان ليلة يفرق فيها كل أمر حكيم ، مع أن هذا الوصف من شأن ليلة القدر ، قال تعالى فى سورة الدخان (انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا انا كنا مرسلين . رحمة من ربك انه هو السميع العليم) الآيات ٣ ـ ٦ .

ومما تضمنه الدعاء المعتاد قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده ام الكتاب) . واستكمال هذه الآية يوضح تمام معانيها ، قال تعالى فى سورة الرعد : ٣٩ (ولقد أرسلنا رسلا من قبلكم وجعلنا لهم أزواجا وذريه ، وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله ، لكل أجل كتاب ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فيه كل ما هو ثابت من اصول الشرائع . فالله تعالى يمنح رسله ما شاء من أزواج وذرية وغير ذلك ، ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم الذى استنكر المشركون رسالته وبعض شئونه وما تنزل عليه من آيات مباركات . كما ان الله تعالى ينسخ احكاما أو يعدلها ويثبت أخرى وشبيه بما تقدم قوله تعالى فى سورة البقرة : ١٠٦ (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) وهذا أمر مألوف مثله فى الشرائع الوضعية ايضا حين ينسخ قانون متأخر قانونا سابقا أو يعدله مراعاة للمصلحة الحقة .

وبعد ، فان فى الأدعية القرآنية والنبوية الثابتة ما يغنى عن سواها والله يقول الحق والرسول لا ينطق عن الهوى (ان هو الا وحى يوحى) ومن أروع الأدعية الدعاء الذى سمعت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به وهو ساجد كما تقدم : أعوذ بعفوك من عقابك الخ .

وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت : يا رسول الله : ارأيت إن علمت ليلة القدر ما اقول فيها ؟ قال : (قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى) مصابيح السنة .

وعن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج من بيته قال : بسم الله توكلت على الله ، اللهم انا نعوذ بك من أن نزل ، أو نضل ، أو نظلم أو نظلم ، أو نجهل أو يجهل علينا) مصابيح السنة .

وعن أبى بكرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلنى الى نفسى طرفة عين ، وأصلح لى شأنى كله ، لا اله الا أنت) ـ مصابيح السنة ـ .

أمراض الكبد

للدكتور : محمد محمد أبو شوك

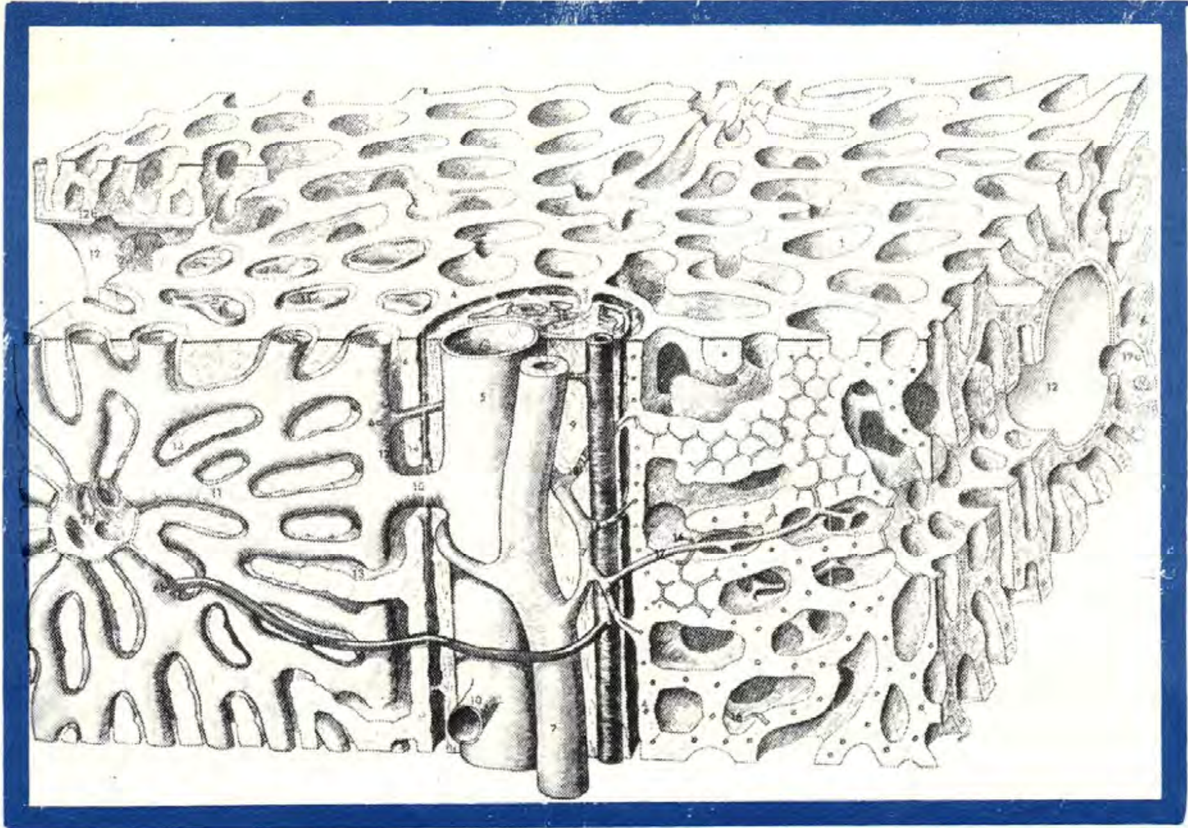
الكبد عضو من أعضاء الجسم . يشغل الجزء العلوى من البطن من الجهة اليمنى . ويحجزه عن تجويف الصدر الحجاب الحاجز . يزن حوالى الف وخمسمائة من الجرامات وينقسم الى فصين : الفص الأيسر والفص الأيمن . هذا هو الكبد الذى طالما حير العلماء والأطباء — هذا المعمل الضخم الذى يعمل ليل نهار دون توقف ولا راحة لسنى عمر الفرد قصر هذا العمر او طال — هذا المعمل المحيرة آلاته التى تسير بمقدار دقيق كل الدقة اذا اختلت اختل الجسم كله ، من صنع الرحمن وخلقه ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

ونظر الباحثون الى خلية من خلايا الكبد فأذهلتهم ، ووجدوا أن هذه الخلية يأتى اليها الدم وما يحمل من مواد غذائية من الامعاء تأخذها بداخلها وتحول هذه الأغذية من جلوكوز — احماض أمينية — وجليسرين — وأحماض دهنية — تحولها الى ما يحتاجه الجسم من جليكوجن وبروتينات — ومواد دهنية لتخزن فى الجسم او لتستعمل وتعطى الجسم الطاقة التى يحتاجها وتحفظ كيانه .

وكذلك تصنع مادة البروترومبين والفابرينوجين هذه المواد وغيرها اللازمة لتجلط الدم ولولاها اذا جرح الانسان لظل ينزف الى أن يموت .

ومن أنواع البروتينات أيضا تفرز الخلايا ما يسمى بمادة الجلوبين هذه المادة التى تحمل فى طياتها المواد المضادة للميكروبات وتعمل خط دفاع قوى ضد هجومها على الجسم فتحميه .

والهرمونات التى يفرزها الجسم من الغدد الصماء كلها تمر بالكبد بعد



خلايا الـكبد

أن تقوم بعملها ليحولها الكبـد الى مواد غير نشـطة حتى لا يسـتمر تأثيرها على الجسم ، وتفرز مع البول بعد هذا التحول حتى لا تضر بالجسم.

معظـم الأدوية التى يتعاطاهـا الانسان ـ لا بد وأن تمر بالكبد ليبطل مفعولها بعد أن تقوم بعملها ، فمثـلا الحبـوب المنومـة ، والاسبرين ، والمورفين،واقراص السلفات وغيرها كثير لو تركت تسرى فى الجسم بعد تعاطيها لأضرت به أيما ضرر ولكنهـا تحول فى الكبد بتفاعلها مع مواد به فيعطل فعلها بعد أن تقوم بعملها . ولناخذ لذلك مثلا ـ لو أعطينا حقنة مورفين أو قـرص منوم لسـليم فى جسمه ، سليم فى كبـده لاثر ذلك عليه لفترة محدودة وقصيرة ولنقـل ٤ ـ ٦ ساعات لأن المورفين يتكسر ويبطل مفعوله بالكبد بعد هذه الفترة فلا يقوى على التأثير على الجسم .

فى حين لو أعطينـا نفس الكميـة لشخص به مرض فى كبده فانه لا يمكن أن يعطـل المفعول فى هـذه المدة . لذا نرى مفعول المورفين يبقى لفترات طويلة ربما لمدة أربع وعشرين ساعة الى أن تؤثر الخلايا الضعيفة على كميـة المورفين التى أعطيت وتفقدها فعاليتها .

والخلية تأخذ مركبات الفيتامينات التى فى الطعـام وتحـولها الـى فيتامينات تذهب الى أجزاء الجسم أو تخزن فى خلايا الكبد . وهذه الخلية أيضا تأخـذ ما تكسـر من الكرات الدموية الحمراء وما خرج منها من مادة الهيموجلوبين (المادة الحمراء) وتحولها فى داخلها ثم تفرزهـا على هيئة المادة الصفراوية وترسلها الى الأنابيب التى تحملها لتوصـلها فى النهاية الى الحويصلة الصـفراوية او الى الامعاء لتقـوم بعملية تفتيت

واستحلاب المواد الدهنية الممتصة من الامعاء . ولولا هذه المادة الصفراوية لخرجت المواد الدهنية وهى فيتامين ا ، د ، ك ثم انه تبارك وتعالى جعل هذه الخلية تصنع من الأنزيمات والمواد المساعدة على التفاعلات ما لا يحصى ولا يعد .

وبرهة واحدة تقف الخلية فيها عن صنع هذه الأنزيمات والمساعد على التفاعلات يتوقف المعمل ويختل وتكون المضاعفات التى ربما تودى بحياة الانسان .

هذه الخلية ـ خلية الكبد ـ لها القدرة على أن تأخذ المواد الضارة والناتجة من التفاعلات والتى اذا تجمعت فى الجسم أماتته تأخذها وتحولها الى مواد نافعة للجسم أو تبسطها وتطردها خارج الجسم لكى لا تضر به .

هذا ما ظهر ، وما توصلنا اليه من عمل وظيفة خلية الكبد وما أوتينا من العلم الا القليل وما خفى لعله أعظم واقوى ـ وما زالت الأبحاث تجرى وتكتشف الأعمال التى تقوم بها خلية الكبد .

ائتونى بمعمل او مختبر فى العالم مهما بلغ من الضخامة وما يصرف عليه من مال يمكن أن يقوم ببعض ما تقوم به خلية الكبد من هذه الأعمال ، لا ولن تجدوا هذا ولن تعثروا على مختبر يقوم بما تقوم به الخلية من دقة واستمرار فى العمل دون توقف أو اضراب عن العمل فسبحان الخالق القادر العظيم .

هذه المعامل التى تحيا فى الكبد أراد العلماء والباحثون تقليدها حتى ولو القيام ببعض وظائفها عندما تتأثر خلايا الكبد وتنهار أثر مرض شديد يصيب الكبد ، ولكن التجربة فشلت مرات ومرات ، وبقيت القدرة الإلهية فوق كل قدرة الى أن يمن الله علينا من فضله وعلمه ـ ولو بالقليل القليل ـ ونصل الى أى شىء قد يقوم مقام الكبد اذا أصيب بمرض وتوقف عن العمل وذلك لفترة الى أن يستعيد الكبد قدرته على تحمل وظيفته .

ولاهمية هذا العضو وما يقوم به من عمل جعله الله كبيرا فى حجمه لكى تحل بعض الخلايا محل التى توقفت عن العمل ـ فيستمر العمل ولا يتوقف ـ بل وأكثر من ذلك عندما يحدث ضمور فى خلايا كثيرة تنمو بعض الخلايا الجديدة وتحل محلها لتقوم بوظائفها فهل من مبدع ورحيم بخلقه غير الله ؟

والكبد كسائر الأعضاء معرض للأمراض ، ولأمراض عديدة فهو يحتقن عندما يهبط القلب ، وتصيبه التهابات شديدة ، وأمراض سرطانية وأمراض خلقية وغيرها كثير ، وأحب أن أتعرض لمرضين لأوضح أهمية هذا العضو الجليل فى الجسم .

اولا : التهاب الكبد الفيروسى :

وهو مرض يصيب صغار السن والشباب ـ معد ينتقل من انسان الى انسان يسببه فيروس يدخل مع الطعام وسرعان ما يسرى مع الدم بعد



تليف تحت الصدر

تركه الأمعاء ــ ويذهب الى الكبد فيسبب له التهابا . ومدة حضانة المرض تختلف من أسبوعين الى خمسة أسابيع اى مدة وجود الفيروس فى الجسم دون أن تظهر على المريض اى أعراض ، وعلى قدر قوة الفيروس وعدده ، وعلى مدى مناعة المريض ومقاومته تتوقف نتيجة المرض ــ ففى بعض الحالات يكون غير واضح المعالم ويمر وكأنه لم يكن تاركا وراءه وجود الفيروس فى براز المريض ــ واذا لم يعالج المريض يصير حاملا للمرض أو ربما عاود المريض من آن الى آخر الى أن تظهر معالم المرض جلية واضحة للمريض والطبيب .

وفى الحالات الأخرى ربما كان المرض شديدا جدا ومناعة المريض ضعيفة كما يحدث أحيانا فى الحوامل فيتغلب الفيروس ويلتهم الكبد التهاما ــ ويسبب للمريض غيبوبة ــ ربما أودت بحياته نتيجة لاصابة الكبد الشديدة بالمرض . وعجزه عن القيام بمهام عمله .

وفى معظم الحالات ــ اى الحالات المتوسطة ــ تظهر العلامات الأولية للمرض لبضعة أيام على هيئة رجفة ، صداع ، واعياء ، ثم يحدث للمريض غثيان وقىء ، وفى بعض الأحيان اسهال وآلام فى أعلى البطن مع ارتفاع بسيط فى درجة الحرارة . ثم يظهر صفار العينين ويلاحظ المريض

ان لون البول صار بنيا داكنا مثل لون الشاى — او العرقسوس — ويصفر لون الجلد وربما صحب ذلك حكة فيه، وتستمر هذه الحالة من ثلاثة الى ستة اسابيع يعود الكبد الى حالته الطبيعيه وتذهب الصفرة التى فى العينين والجلد ، ويعود الكبد الى حالته الطبيعية . وفى بعض الحالات تعاود المريض نكسة تؤثر على خلايا الكبد وتسبب ضمورها ويحل محلها الياف — لا تقوم بالعمل التى كانت تقوم به الخلايا ، فتسبب ما يسمى بتليف الكبد .

هذا مثل حى عن انحراف خلايا الكبد ، فقصرت عن عملها بواسطة مخلوق دقيق لا يرى الا بواسطة ميكروسكوبات خاصة ، ذلك الفيروس الذى حير العلماء والذى ربما تجبر واتى على جميع الخلايا فحطمها وحطم كل ما يقوم به هذا المعمل من عمل وبالتالى حطم الجسم كله فسبحان الخالق الذى بيده مقاليد كل شىء يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير .

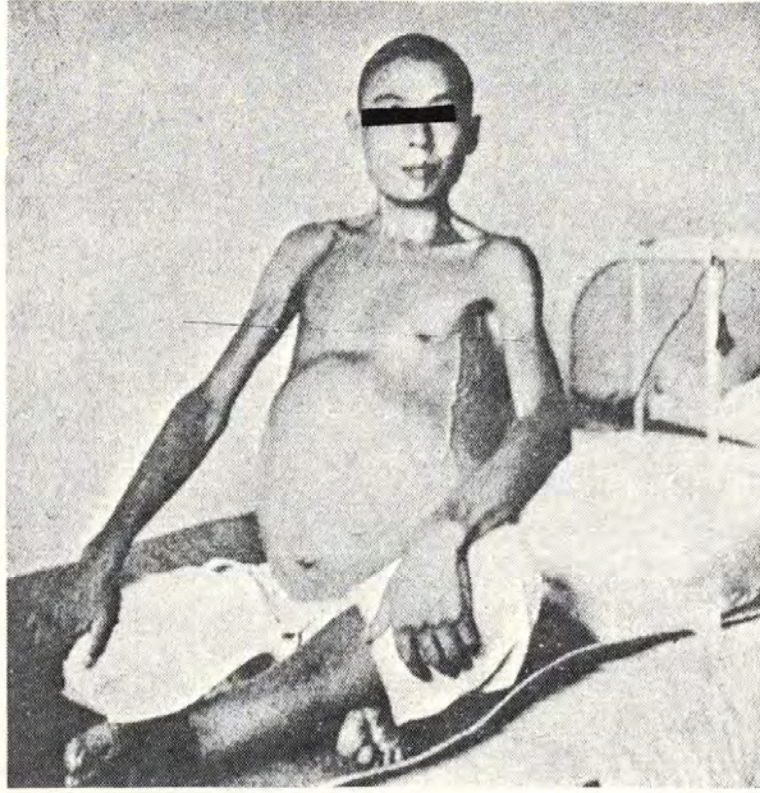
والمثل الثانى :

من امراض الكبد هو ما يسمى بتشمع الكبد او تليفه وهذا ينتج عن التهاب حاد متكرر بالكبد ، او سوء التغذية ، او نتيجة لانسداد مزمن بالقنوات المرارية — او هبوط مرض القلب — ولعل اعظم سبب لتليف الكبد هو الادمان على الخمر ، ولقد ازدادت نسبة تليف الكبد فى الدول التى يباح فيها الخمر على نطاق واسع واصبح يشكل مشكلة شاقة الحل فى بعض الدول ، مما جعل بعضها يحد من تعاطى الخمر ، او يقلل ساعات بيعها او يتحايل بشكل او آخر للاقلال منها .

ونظرة اخرى الى حكمة البارى جل وعلا فى تحريم الخمر فهو خالق الأجساد ويعرف ما ينفعها وما يضرها والكبد احد الأعضاء التى تتأثر بالخمر ايما تأثر فما بالك كذلك بالتأثير على الجهاز الهضمى بأكمله والجهاز العصبى والناحية الخلقية والاجتماعية والمادية التى تتأثر بالخمر ايما تأثر .

وتتأثر الخلايا بالخمر سواء بالتأثير الفعلى عليها او بتأثرها لعدم تعاطى الأغذية الواقية منها — او نقص الفيتامينات التى يعانى منها مدمن الخمر . او نقص البروتينات وغيرها من المواد اللازمة للطعام ، الذى دفع الى كل هذا هو تعاطى المسكرات.واذا تأثرت الخلايا فقدت حيويتها وضمرت وحلت مكانهاالالياف تغير من هيكل الكبد وتجعله يضمر ويقل حجمه وتتأثر كل الوظائف التى يقوم بها الكبد فترتفع نسبة المادة الصفراوية فى الدم وفى بعض الأحيان لا ترتفع بنسبة كبيرة ، ويتورم الجسم نتيجة لنقص فى البروتينات التى تصنع فى الكبد ، وحدوث نزف فى أجزاء متعددة من الجسم لنقص البروتين والعوامل التى تساعد على التجلط والتى يقوم بصنعها الكبد . ثم حدوث ما يسمى بشبه غيبوبة او غيبوبة كبدية لعدم تمكن الخلايا من تحويل المواد الضارة بالجسم الى غير ضارة ، فتزداد نسبة هذه المواد فى الدم وتؤثر على المخ وفى مقدمة هذه المواد (النشادر) .

وتبعا للتليف يرتفع الضغط داخل الأوردة البابية وهذه بدورها تسبب تمددا فى أوعية الجزء السفلى من المرىء ، فاذا جرح بعضها نزف نزفا



مـرض تليف الـــكبد
مع استسقاء بالبطن

شديدا ربما أودى بحياة المريض . وكذلك يسبب حدوث البواســــير الضخمة التى تدمى من آن الى آخر . وبارتفاع الضغط في الأوردة البابيـــة تحتقن المعدة وبقية الجهاز الهضمى ويحـــدث به (تلبـّــك) من انتفاخ ، وغثيان وفقدان الشهية للطعام ممـــا يزيد الحالة سوءا ، ويتضخم الطحال ويمـــلأ البطن ويزداد تكسر الكرات الحمراء فيسبب فقر الدم ــ وتقـــل الكرات البيضاء فتقل مناعة الجسم ، وتقل صفائح الدم فيتعرض لنزيف ، ويحدث الاستسقاء فى البطن وتمتلىء بسائل يفقد الجسم بروتيناته ، وتقل بروتينات الدم أكثر فأكثر اذا عمل بزل بطن للمريض ، ويتعرض كـــذلك لغيبوبة كبدية .

هذه بعض شواهد وأعراض مرض تليف الكبد التى يعانى منه الكثير من مدمنى الخمر صورة واضحة جليـــة لمن يعصى أمر ربه العالم بخلقه والعالم بما ينفعهم وما يضرهم .

وبعد فلقد تعرضت لبديع صـــنع الرحمن فى عضو من أعضاء الجسم الا وهو الكبد ، ولقدرة الخالق علـــى جعل أبسط الأشياء وهو الفيروس يدمر ــ اذا أراد ــ حياة الانسان ، ثم إن الانســـان ينكر الجميـــل للـــه الخالق ويرتكب نواهيه بتعاطيه الخمر وما يجره على تلك الخلايا الغالية من هلاك ودمار .

فتبارك الله ربى أحسن الخالقين .

مظاهر الوحدة وضماناتها في الإسلام

للدكتور أحمد الحجى الكردى

ان مما لا يحتاج الى دليل او برهان القول بان الاسلام دين الوحدة وأن المسلمين جميعا هم امة واحدة .

فقد قضت حكمة الله العلى القدير ان يجعل هذه الامة خاتمة الأمم ، وشريعتها خاتمة الشرائع ، حيث جعلها شريعة تضم الانسانية كلها فى أمة واحدة ، وتحكمها بشريعة واحدة تتسم باليسر والسهولة ورفع الحرج والمشقة ، وتسير بها نحو عبادة اله واحد لا شريك له .

فبينما كان النبى من الانبياء السابقين على نبوة سيدنا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام يبعث الى قومه خاصة فقد أرسل نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بشيرا ونذيرا الى العالم كافة ، وبينما كان النبى من الانبياء السابقين يكلف بهداية قومه مدة حياته فقط كلف النبى عليه الصلاة والسلام بهداية الانسانية كلها الى يوم القيامة ، وهذه خاصية افرد بها نبينا عليه الصلاة والسلام ، فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد

قبلى ، وذكر منها قوله : وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وانما بعثت للناس كافة » .

وقد أعلن الله سبحانه هذه الوحدة الشاملة بقوله جل من قائل « وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ، فالمسلمون على هذا أمة واحدة وشعب واحد ودولة واحدة مهما بعدت بهم الديار من اقصى الشرق الى أقصى الغرب ، ومن أقصى الشمال الى اقصى الجنوب،متساوون فى الحقوق والواجبات ، متعاونون متكاتفون متحابون ، يسعون جميعا نحو هدف واحد هو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له تلك العبادة التى تتمثل فى إعمار الارض بالخير والسلام .

ولكن الله تعالى لم يكن ليعلن هذه الوحدة الشاملة بين البشر جميعا ثم يتركها بعد ذلك للايدى العابثة تعبث بها وتقوض اركانها ، ذلك أن الله تعالى حكيم ومن مقتضيات حكمته هنا التخطيط لهذه الوحدة بما يضمن استمرارها ودوامها ، ولهذا فاننا نلاحظ فى التشريع الاسلامى عامة وفى القرآن الكريم خاصة قواعد متعددة ترسم لهذه الوحدة الطريق السليم الذى يجب أن تمشى فيه بعيدا عن التعثر ، كما تبين لها المحاذير التى عليها أن تبتعد عنها وتتقيها محافظة على وحدتها الشاملة ، الوحدة القائمة فى القلوب والصدور قبل أن تقوم على الارض .

فاذا ما اتبع المسلمون هذه القواعد التى تؤدى الى التضامن وتحذر من التنافر والتباغض سلمت لهم وحدتهم وكانوا كما أرادهم ربهم سبحانه أمة واحدة ، وكما احبهم نبيهم عليه الصلاة والسلام بنيانا مرصوصا وجسما واحدا اذا تداعى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى .

وأهم هذه القواعد والاسس نجملها فيما يلى :

١ ــ الدعوة الى التحابب والتآلف وافشاء السلام :

وفى هذا المعنى وردت نصوص شرعية كثيرة : منها قوله تعالى « يايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » ، وقوله سبحانه « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » .

ومنها قوله عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه مسلم عن أبى هريرة ــ رضى الله تعالى عنه ــ قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام بينكم » .

فمن هذه النصوص وغيرها يتضح لنا معنى التحابب واثره فى ربط أفراد الأمة بعضهم ببعض ، فانه ليس هنالك رباط يجمع أفراد الامة مثل المحبة الصادقة ، وقد رغب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ المسلمين فى المحبة هنا أيما ترغيب حين جعلها أساس الايمان الذى يدخل به الانسان

الجنة ، الأمنية الاولى والأخيرة لكل مسلم .

وفى هذا الحديث الشريف أيضا تنويه بقيمة السلام ، تلك الكلمة الصغيرة فى لفظها الكبيرة فى معناها واثرها ، فانها رباط القلوب تربطها بعضها ببعض وتشد وثاقها فلا تنفك بعده ، ولم لا ؟ فكم من متباغضين آزال السلام بغضهما ، ومتحاسدين أذا [illegible] حسدهما ، فلا غرو [illegible] أن يجعل الاسلام السلام [illegible] من كل متلاقيين فى طريق أو منزل أو غير ذلك ، متعارفين كانا أو لا ، فان كانا متعارفين زاد السلام من معرفتهما وحبهما ، وان كانا غير متعارفين كان السلام أداة المعرفة بينهما ، وان كانا متباغضين انهى السلام بغضهما .

٢ ــ التعاون على البر والتقوى :

فانه بالتعاون تستديم المودة والالفة وتقوى المحبة وتترابط الأمة ، وقد جاء بالأمر بذلك نصوص كثيرة منها :

قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » والبر هنا هو كل ما من شأنه مرضاة الله تعالى من الاعمال التى تفيد الامة ، كاقامة العدل ، ومنع الظلم ، وبناء المدن والحضارات ، ونشر العلوم والمعارف ، واداء الأمانة وحفظ السر ، واسداء النصيحة وغير ذلك .

ومنها ما روى عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قوله : « الخازن المسلم الأمين الذى ينفذ ما أمر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذى أمر له به أحد المتصدقين » كما قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ (من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا) .

٣ ــ المساواة :

فليس أعظم فى توطيد أواصر المحبة بين الناس من استشعارهم لمعنى المساواة فيما بينهم ، وليس أدعى للبغضاء والنفرة بينهم من تعالى بعضهم على بعض ، وقد نوه الاسلام بقيمة المساواة هذه وقررها قاعدة راسخة من قواعده الاساسية فى نصوص كثيرة من نصوصه ، واعلن مبدأ الاخوة التامة بين الناس جميعا أبيضهم وأسودهم ، عبدهم وحرهم ، عربيهم وأعجميهم فقال جل من قائل فى كتابه العزيز : ــ « انما المؤمنون اخوة » ، كما قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (المسلمون سواسية كأسنان المشط) ، وقال (لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى) .

فهذا اعلان صريح بالمساواة بين جميع المسلمين ، مساواة عامة تامة مطلقة فى كل شىء ، وهذا ما لم تصل اليه أى حضارة بشرية الى يومنا هذا ، وان كل ما نراه من نزاعات متواصلة وحروب وخصومات بين الناس فان مرده بالجملة الى عدم الأخذ بقاعدة المساواة هذه التى تتضمن توحيد الامة والشد من أواصر المحبة بينها .

٤ ــ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

فالانسان خطاء بطبعه ، ميال الى الجنوح عن طريق الحق بدافع من متطلبات ملذاته وشهواته ، وان هذا الميل عن طريق الحق ملحق ضررا كبيرا بالأمة دون شك إن بطريق مباشر أو غير مباشر ، فان الجنوح معد فى كثير من الاحيان ، ولذلك فقد أمر الله الامة بالاخذ على يد الجانحين والمنحرفين فورا عن طريق نصحهم

أولا ، وتوبيخهم ثانيا ، وضربهم ثالثا ، وقتلهم اخيرا . وما افسد الامم السابقة شيء بقدر اهمالها لمبدا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد سجل الله سبحانه ذلك على بنى اسرائيل فى كتابه الكريم فقال « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » . وقد جاءت نصوص كثيرة فى الاسلام لتقرير هذه القاعدة والتنويه بشأنها وعظيم خطرها حتى ان الله تعالى جعلها فرضا لازما على المسلمين كفرض الصلاة والصوم فقال فى كتابه الكريم — « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » ، كما أمر الله تعالى بها رسوله فقال « خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين » . كما بين لنا الرسول الكريم خطورة اهمال هذا المبدأ فقال (مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا فى سفينة فصار بعضهم اعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها اذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا . فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) .

٥ — تكريم أفراد الامة بعضهم بعضا :

وذلك باحترام الكبير وتوقيره ، والحنو على الصغير ومعاونته ، وبخاصة الابوين فان الاسلام أمر الاولاد باكرامهما ، كما امرهما بالحنو على الاولاد وحسن معاملتهم ، وكذلك توقير العلماء وأهل الفضل والتقوى ، فان ذلك يوفر الترابط بين افراد الامة ويدعم اواصر الحب والاخوة فيها . وفى ذلك نصوص كثيرة منها قوله تعالى « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » وقوله — صلى الله عليه وسلم — (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا) .

٦ — منع الظلم والوقوف عند حدود الله تعالى فى الحقوق والواجبات :

فقد قال تعالى فى كتابه العزيز «ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع» وقال — صلى الله عليه وسلم — « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » وقال (لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) .

هذه بعض مظاهر الوحدة التى عقدها الله تعالى بين المسلمين جميعا فى شتى انحاء الارض ، وتلك هى الضمانات لاستمرارها قوية متينة راسخة فى القلوب قبل أن تقوم على الارض ندعو الله تعالى أن يبصرنا بها لنتمسك بأهدابها فتعود لنا قوتنا وعزتنا والنصر على أعدائنا ، فقد روى عن عمر بن الخطاب — رضى الله تعالى عنه — أنه قال (كنا قوما أولى جاهلية أعزنا الله بالاسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله) .

مائدة القارئ

دعـــــاء

عن أبى موسى الأشعرى : عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه كان يدعو بهذا الدعاء : « اللهم اغفر لى خطيئتى ، وجهلى ، واسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى ، اللهم اغفر لى جدى وهزلى ، وخطئى وعمدى ، وكل ذلك عندى ، اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شىء قدير » .

الاعتـــــدال

قال أحد الحكماء لبنيه : لا تعادوا أحدا وان ظننتم أنه لا يضركم ، ولا تزهـــدوا فى صداقة أحد وان ظننتم أنه لا ينفعكم ، فانكم لا تدرون متى تخافون عداوة العدو ، ولا متى ترجون صداقة الصديق .

خطـــر المنـــــافق

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ما أخاف عليكم رجلين : مؤمن قد تبين ايمانه ورجل كافر قد تبين كفره ، ولكن أخاف عليكم منافقا يتعوذ بالايمان ويعمل لغيره .

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » .

قرآن كريم

الجــوع والبــرد

خرج أحد الأدباء الظرفاء من مسجـــد كان يقرىء فيه فوجد سائلا يرعد بالبرد .. ويصيح : الجوع والبرد يا مسلمين . فأخذه بيده وحمله الى موضع فيه الشمس ، وقال : صح بالجــوع ، فقد رفع الله عنك البرد .

مــا الكمــــــوج

سأل تلميذ أستاذه : ما الكموج ؟ فقال الأستاذ : وأين رأيت هذه اللفظة ؟
قال التلميذ فى قول امرىء القيس :
« وليل كموج البحر أرخى سدوله »
فقال : نعم ، الكموج : دويبة من دواب البر تحمل الكتب ولا تعلم ما فيها .

ما حقيقة ايمانك ؟

قال الثورى رضى الله عنه لرابعـــة العدوية رضى الله عنها : ما حقيقة ايمانك ؟

قالت : ما عبدته خوفا من ناره ، ولا حبا لجنته ، فأكون كالأجير السوء ، بل عبدته حبا له ، وشوقا اليه .

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

بالكويت

يتساءل كثير من الناس عن المهام التى تضطلع بها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية وخاصة فيما يتعلق بالجانب الاسلامى الذى يعود بالفائدة على الاسلام والمسلمين ، لهذا نعرض للسادة القراء صورا من هذه الانجازات حتى يعرفوا مدى ما تؤديه الوزارة من خدمات للاسلام والمسلمين .

المقدمة

تأسست وزارة الأوقاف والشؤون الاســـلامية عام ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م وكانت تسمى دائرة الأوقاف ، وكانت مهمتها تنحصر في ترميم بيوت الأوقاف وتأجيرها ، وكانت المساجد جميعها تبنى من تبرعات الأهلين وصدقاتهم ، ولم يكن للعاملين بالمساجد رواتب اللهم الا ما يرزقونه من بعض أوقاف على بعض المساجد المحظوظة .

وفي عام ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م صدر كادر للموظفين ثم قانون الوظائف العامة المدنية فشمل الائمة والمؤذنين ، بعد صدور الأمر السامي المنظم للأوقاف عام ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م الذي أعطى الدائرة الحق في النظارة على الأوقاف ، باشرت الادارة بالاشراف عليها وتنفيذ مقاصد الواقفين فيها .

وفي هذا الوقت بدأت الكويت تحصل على ضريبة أكبر من انتاج النفط ، حيث تدفق بكميات تجارية ، فارتفع دخل البلاد ثم استملكت العقارات القديمة لتنظيم البلاد بما في ذلك عقارات الأوقاف فأعطت عائدات لا بأس بها .

وأما المساجد التي كانت في السابق تبنى من الطين بتبرعات المحســنين تولت الدولة بناءها والعناية بها فأصبحت مفخرة للبلاد ومنارة للاسلام .

وبعد أن اضطلعت الوزارة بمهامها الجديدة وأعطيت اسم : وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية انتهجت في سياستها التي سارت عليها حمل لواء دعوة الحق على هدى من ديننا الاسلامي الحنيف وأمتنا العربية المؤمنة ، آخذة في اعتبارها تعاونها الاخوي مع الشعوب الاسلامية المخلصة ، ولما لاقت الوزارة من استحسان وثناء على اعمالها داخل الكويت وخارجها مما حقق للبلاد السمعة الطيبة لدى شعوب العالم الاسلامي ، كان علينا أن نقدم للقارىء الكريم صورة كاملة وفكرة جلية عن هذه الاعمال التي حظيت برضى وتشجيع حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم وتأييد زملائي الوزراء وفي مقدمتهم ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح .

والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم .

وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية
راشد عبد الله الفرحان

الوقف ..

١ ـ ترعى الوزارة الأوقاف بصفتها ناظرا عليها وتوليها كل اهتمام وتقوم برعايتها واستثمارها بالطرق الشرعية حسب مقاصد الواقفين ، ومن ذلك الأوقاف الاهلية (الذرية) وعددها (٣٠٠) وقفا ٦٦ عمارة و ٤٧ بيتا و ١١٠ دكانا ، والأوقاف الخيرية وعددها (٣٥٠) وقفا ، ١١ عمارة ، و ٨٨ بيتا و ٢٩٩ دكانا ، وقد قامت الوزارة مؤخرا بنقل أموال الأوقاف المودعة لدى البنوك وأودعتها لدى بنك التسليف والادخار لتكون الفائدة فى خدمة المصلحة العامة ، كما أسست الوزارة مع بنك التسليف والادخار ودائرة الأيتام شركة عقارية .

وتضع الوزارة ما لديها من أموال البدل الموقوفة فى عقارات وبنايات عوضا عما استملك للصالح العام .

٢ ـ مكتب الشؤون القانونية والترجمة :

ولقد قام مكتب الشؤون القانونية والترجمة علاوة على الدراسات والبحوث التى يقدمها للوزارة باعداد الدفوع وتقديم المذكرات القانونية فى ١٠٩ قضية معروضة على القضاء وتتعلق بالأوقاف الاهلية والخيرية ، وهذا العدد من القضايا عن المدة من ١٩٧١/١/١ الى تاريخه .

المساجد

٣ ـ قد بلغ عدد المساجد فى الكويت ٣١٤ مسجدا تقام صلاة الجمعة فى ١٧٢ منها ، وهذه نسبة لا توجد فى اى بلد آخر ، وتعمل الوزارة على تلبية حاجة المصلين وبناء المساجد فى الأماكن الجديدة ، وقد تسلمت مؤخرا أكثر من ثلاثين مسجدا ، وقد قامت باعدادها بكل ما تحتاجه من فرش وكتب علاوة على الأئمة والخطباء والمؤذنين والفراشين ، وقد بلغ عدد العاملين فيها أكثر من (١١١٩) شخصا .

وحرصا منها على راحة المصلين قامت بتنفيذ المرحلة الاولى المتضمنة تكييف وتبريد اثنين وخمسين مسجدا تبريدا مركزيا ضمن خطتها الرامية الى

تكييف جميع المساجد واصبح جميع المساجد المكيفة حتى الآن ١٥٧ . ولقد امدت الوزارة المساجد بالمصاحف الشريفة وكتب التفسير والأحاديث والكتب الدينية المختلفة وفيها مكاتب تضم من الكتب (٤٥٥٨) كتابا .

٤ ـ بيوت العاملين فى المساجد :

لقد قامت الوزارة بتشييد عدد كبير من البيوت من أموال الأوقاف الخيرية الموقوفة على المساجد واجرتها للأئمة والمؤذنين والفراشين بايجارات رمزية تتراوح من (٩ الى ١٤) دينارا وهى فى سبيل استكمال الباقى فى المناطق التى تحصل على قسائم فيها . وقد تم حتى الآن بناء ٦٨ بيتا ، والوزارة فى سبيل انجاز عدد آخر من المساكن فى عدة مناطق فى البلاد وما زالت تحت الانشاء .

دار القرآن الكريم

٥ ـ افتتحت مدرسة دار القرآن الكريم عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧١ م لتدريس الأئمة والمؤذنين والراغبين فى دراسة القرآن تجويدا وحفظا وتفسيرا ، وقد تزايد الاقبال من المواطنين عليها فاضطرت الوزارة الى جعل الدراسة فيها مرتين فى اليوم حيث بلغ مجموع الطلاب فيها ٥١٧ طالبا ، وقد عنيت الوزارة بتدريس مادة اللغة العربية الى جانب حفظ القرآن الكريم وتجويده وتلاوته وتفسير آياته ، ويقوم بالتدريس فيها الى جانب حملة الشهادات العالية من العاملين بالوزارة أساتذة متخصصون استقدموا من الأزهر الشريف لهذا الغرض .

وقد أعجب بالمدرسة كل من زارها من ضيوف الدولة واعتبروها مفخرة للكويت وخيرا للعرب والمسلمين .. والوزارة تدرس فتح فروع للمدرسة فى المحافظات كما أنها مستعدة لفتح فرع للنساء متى تقدم عدد من الطالبات ، وسوف تنفذ ذلك فى الوقت المواتى .

مكتبة الوزارة

٦ ـ تتبع الوزارة مكتبة عامة كبيرة زاخرة بأمهات الكتب ومختلف الموضوعات تضم (١٧٩١٣) كتابا ، ورغبة من الوزارة فى اتاحة الفرص أمام

المواطنين لاكتساب العلم والمعرفة بشتى المجالات الدينية والثقافية قامت المكتبة بواجبها وفتحت ابوابها للمطالعة ووضعت نظاما للاعارة الخارجية استفادت منه اعداد كبيرة من المواطنين والائمة والخطبـاء وطلاب المدارس ، كمـا قامت المكتبة بفتح فروع لها فى المساجد الرئيسية .

مطبوعات الوزارة

٧ — وزارة الأوقاف والشؤون الاسـلامية تقدر مدى اهمية ارتباط المسلمين بتراثهم وأمجادهم وسلفهم الصالح وفى سـبيل ذلك قامت الوزارة بطبع عدد كبير من الكتب الاسلامية ومن سلسلة التراث نذكر منها :

١ — الأشرفية .
٢ — الأطعمة .
٣ — الحوالة .
٤ — الفوائد فى مشكل القرآن لعز الدين بن عبد السلام .
٥ — الجمان فى تشبيهات القرآن لابن ناقيا البغدادى .
٦ — مختصر صحيح مسلم للإمام المنذرى .
٧ — الجزء الأول من المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحـافظ ابن حجر العسقلانى .
٨ — الجزء الثانى من المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحـافظ ابن حجر العسقلانى .
٩ — الجزء الثالث من المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر العسقلانى .
١٠ — الجزء الرابع من المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر العسقلانى .
١١ — موسوعة الفقه الاسلامى معجم الفقه الحنبلى (حسب الحروف الأبجدية) .

كتب صدرت ملاحق لمجلة الوعى الاسلامى

١٢ — رسالة الصوم والزكاة .

١٣ــ رسالة الحج .
١٤ــ حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية .
١٥ــ قضية غزو اليهود لفلسطين .
١٦ــ بحث فى التنسيق بين المراكز الاسلامية .
١٧ــ بحث فى توحيد العمل بأيام الصوم والأعياد والمناسبات الاسلامية .
١٨ــ رسالة فى تجويد القرآن الكريم .

مجلة الوعى الاسلامى

٨ ــ مجلة الوعى الاسلامى مجلة اسلامية ثقافية شهرية تصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى غرة كل شهر عربى ، وهى ملتزمة بمضمون اسمها ومعطيات هدفها وهو : ايقاظ الروح الاسلامية بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية . مضى عليها حتى الآن ثمانية اعوام ، صدر منها ٩٥٠ر٦٠٠ر٢ عددا ، ولتزايد الاقبال على المجلة زادت الوزارة عدد المطبوع من كل عدد حيث بلغ (٠٠٠ر٤٠) نسخة شهريا ، بلغ عدد المقالات المنشورة (١٤٨٦) مقالا ، اشترك فى تحريرها (١٤٠) كاتبا من كبار المفكرين والباحثين فى العالم الاسلامى ، وهى موزعة حسب الأبواب التالية :

الأبواب	الأبواب الثابتة
دراسات قرآنية	اخى القارىء
من هدى السنة	حديث الشهر
عقيدة	خواطر
فقه وتشريع	الفتاوى
اقتصاد	البريد
تاريخ وحضارة	مائدة القارىء
تربية واجتماع	اقوال الصحف
دراسات عن البلاد الاسلامية	بأقلام القراء
مناسبات اسلامية	الأخبار
القصة	
الشعر	

وقد صدر للمجلة عدد من الملاحق فى الصيام والزكاة والحج وعن اطماع اليهود فى فلسطين ، كما صدر عنها التقويم الهجرى .

أعمال الوزارة الخارجية

٩ ـ وفى مجال نشر الدعوة الاسلامية وتوثيق الروابط مع المنظمات والمؤسسات والأقليات الاسلامية فى مختلف أنحاء العالم قامت الوزارة بتوسيع اتصالاتها معها وأمدتها بالمساعدات المادية والمعنوية فقدمت الوزارة ما ينوف على (٢٠٠٫٠٠٠) مائتى الف نسخة من القرآن الكريم وكتب التفسير والأحاديث والفقه ، وغير ذلك من الكتب المختلفة بلغات عدة منها العربية والفرنسية والانجليزية والسواحلية لافريقيا والملاوية والاندونيسية لجنوب شرقى آسيا .

١٠ ـ المساعدات المادية :

قامت الوزارة بمد هذه الهيئات والمراكز بالمعونات المالية وفق أسس وشروط محددة تستهدف التأكد من جدوى المساعدات ، وتشترك مع وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى لجنة خاصة وزارة الخارجية ووزارة الشئون الاجتماعية والعمل ، وقد بلغت تلك المساعدات منذ ١٩٦٠ حتى الآن ١٫٨٩١٫٤١٥ د. ك موزعة على دول آسيا وأفريقيا واوروبا وامريكا وجنوب شرقى آسيا واستراليا ، كما اسهمت الحكومة فى المركز الاسلامى المزمع انشاؤه بالخرطوم (ـــ/١٠٠٠٠٠) مائة الف دينار والذى سوف تشترك فى ادارته ورعايته كل من دولة الكويت والجمهورية العربية الليبية وجمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية وجمهورية السودان الديمقراطية ، وقد مثل دولة الكويت فى مجلس الأمناء مندوبون عن الوزارة فى اجتماعاته الاولى .

العلاقات مع الخارج

١١ ـ والوزارة على صلة دائمة مع المسلمين فى الخارج ، تتبع مشاكلهم وتسأل عن أحوالهم وتتلقى الرسائل منهم وتبادلهم الرأى عن طريق الزيارات والوفود .

وقد قام وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بزيارة عدد من مدن الاتحاد السوفيتى واجتمع مع المسلمين وتعرف على أحوالهم فى كل من مدينة (أوفا) عاصمة جمهورية بشكيرا ومدينة (طشقند) عاصمة جمهورية ازبكستان و (بخارى) و (سمرقند) و (موسكو) و (ليننغراد) .

وزار عددا آخر فى المملكة المتحدة (بريطانيا) (لندن) التى فيها المركز الثقافى الاسلامى و (ليفربول) و (ساوث شيلد) و (كاردف) و (برستل) وغيرها من المدن الاخرى . كما زار المسلمين فى يوغسلافيا بجمهورية البوسنة والهرسك .

وفى أفريقيا شارك الوزير فى الندوة الاسلامية الكبرى التى اقيمت فى داكار عاصمة السنغال تحت عنوان (الاسلام والعصر) وزار السودان وموريتانيا والجزائر وليبيا وشارك فى العديد من المؤتمرات والملتقيات فى الجزائر والقاهرة وحضر عدة مرات مؤتمر علماء المسلمين (مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر) بالقاهرة . كما اشتركت الوزارة بمندوبين عنها فى عدة ندوات ولجان ثقافية واسلامية داخل الكويت وخارجها فى المملكة المغربية والجزائر وأندونيسيا وغيرها .

وقد أوفدت مبعوثا خاصا الى الفلبين (مدير المساجد السيد احمد المدينى) حمل معه المعونة المالية فتعرف على أحوالهم ومشاكلهم وقدم تقريرا عنهم ولا زالت الوزارة توالى نشاطها واهتمامها بالمسلمين فى العالم . وتقدم لهم المساعدات دون تدخل فى شئونهم .

مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الاسلامية فى البلاد العربية

١٢ ـ ايمانا من الكويت بما للدعوة الاسلامية من اهمية كبرى يتحتم حملها للناس وبما للعمل العربى والاسلامى المشترك من اثر يعود على الأمة فى توحيد كلمتها ورفعة شأنها بادرت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بعد موافقة مجلس الوزراء على توجيه الدعوة الى الوزراء المسئولين عن الشئون الاسلامية لعقد المؤتمر فى ٢٣ محرم ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣/٢/٢٦ م .

وقد وجهت الدعوة الى ثمانى عشرة (١٨) دولة الى جانب منظمة التحرير الفلسطينية والجامعة العربية والأمانة العامة للمؤتمر الاسلامى بجدة ،

وأجابت الدعوة جميع الدول العربية وقدمت الوزارة عدة ابحاث وضعت تحت نظر اللجان وكان مؤتمرا ناجحا لقى ترحيبا كبيرا فى الكويت وخارجها .

وقد أصدرت الوزارة كتابا عن المؤتمر يبين اعماله وقراراته . والكلمات التى القيت فيه .

مدينة الحجاج

١٣ ــ يهم الوزارة راحة الحجاج المارين بأرض الكويت الى الديار المقدسة ، لذلك جهزت لهم مساحة كبيرة من الأرض فى شارع الدائرى الرابع تبلغ ٦٠٫٠٠٠ متر مربع ، واقامت فيها جميع المرافق اللازمة ، وانجزت المنشآت الجديدة التى تضم عددا كبيرا من الغرف .

وقد آوت المدينة هذا العام جميع الحجاج المارين بالكويت الى الأراضى المقدسة من مختلف الاقطار .

صندوق المعونة الطبية (الخيرى)
لمعالجة المرضى غير الكويتيين

١٤ ــ أنشىء هذا الصندوق عام ١٩٧١ بموجب المرسوم الاميرى بتاريخ ١٧/٧/٧١ ، يتلقى الصندوق التبرعات مما تقدمه الحكومة والافراد والهيئات والزكوات ، تقوم على ادارة الصندوق لجنة من وزارة الصحة ووزارة الشئون الاجتماعية والعمل وممثل عن مكتب ولى العهد وممثل عن الهلال الاحمر الكويتى برئاسة وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية .

وتنظر اللجنة فى التقارير الطبية من وزارة الصحة وتقارير من وزارة الشئون الاجتماعية عن حالة المريض المادية والاجتماعية ثم تقرر مساعدته .

وقد أرسلت اللجنة حتى الآن أكثر من مائة مريض ، ويدخل الصندوق الآن عامه الثانى من العمل الخيرى والانسانى وهو فى حاجة الى الدعم والتبرع (تبرع بما تجود به نفسك لصندوق المعونة الطبية فربما احتجت اليه أو احتاج اليه صديق عزيز عليك) ، وقد أصدر الصندوق كتيبا بأعماله .

ومن نشاط الوزارة الداخلى فى حقل الدعوة الاسلامية والمساعدات الخارجية

١٥ ــ علاوة على ما للوزارة من نشاط بارز فى حقل الدعوة الاسلامية فى الخارج من مد المسلمين بما يحتاجونه من آلاف الكتب بمختلف الموضوعات وتقديم المعونات المادية والنقدية وما توزعه من (مجلة الوعى الاسلامى) وطبع مختلف الكتب فى التراث الاسلامى وتسهيل مرور الحجاج منهم ، وعلاوة على نشاطها الداخلى المتمثل فى انشاء مدرسة دار القرآن الكريم ، وصندوق المعونة الطبية لمعالجة المرضى من غير الكويتيين فى الخارج ، وما تقوم به من واجبات فى النظارة على الأوقاف ، ورعاية شئون المساجد ، فان لها نشاطات أخرى فى ميدان الدعوة نذكر منها ما يأتى :

١٦ ــ أ) الوعظ والارشاد :

علاوة على ما يقوم به خطباء المساجد والأئمة الذين بدأت تحرص الوزارة على اختيارهم من ذوى الشهادات العالية والتخلص تدريجيا ممن فاتهم التعلم وامتد بهم العمر ، فان للوزارة فرقا من الوعاظ والمرشدين الأكفاء يطوفون مساجد البلاد يعظون الناس ويرشدونهم للخير ويبصرونهم بأمور دينهم ودنياهم .

وتستقدم الوزارة فى كل سنة فى شهر رمضان عددا من العلماء الكبار من سوريا ومصر لالقاء الدروس والمحاضرات فى المساجد والمدارس والتلفزيون والاذاعة ، كما تستقدم بعض القراء فى مثل هذه المناسبة الكريمة .

ومن بين هؤلاء العلماء الاسماء التالية :

١ ــ الدكتور الشيخ عبد الحليم محمود : شيخ الجامع الأزهر الحالى .

٢ ــ الشيخ محمد الغزالى : المدير العام لادارة الدعوة بوزارة الأوقاف المصرية سابقا .

٣ ــ الشيخ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار : الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر .

٤ ــ الشيخ محمد خاطر : مفتى جمهورية مصر العربية .

٥ ــ الشيخ خلف السيد : المدير العام لادارة الوعظ والارشاد بالازهر .
٦ ــ الشيخ الدكتور احمد كفتارو : مفتى الجمهورية العربية السورية .
٧ ــ الشيخ بشير اليانى : محكمة النقض .
٨ ــ الشيخ أحمد راجح : من علماء سوريا .
٩ ــ الشيخ سعدى ياسين : من علماء لبنان .
١٠ ــ الشيخ حسن راجح : من علماء سوريا .

١٧ ــ ب) الاحتفالات فى المناسبات الاسلامية :

تحتفل الوزارة بالمناسبات الاسلامية الرسمية فى كل سنة وهى : رأس السنة الهجرية بمناسبة هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، ويوم الاسراء والمعراج وذلك فى مسجد السوق الكبير ، حيث يجتمع الناس فى مهرجان كبير يتحدث فيه علماء الوزارة وفى مقدمتهم وزير الاوقاف والشئون الاسلامية وينقل الحفل على الهواء من التلفاز والاذاعة على الملأ وتنشر مجلة الوعى الاسلامى كلمة الوزير فى مثل هذه المناسبات كما تشير الصحف المحلية الى مضمون الاحتفال .

١٨ ــ جـ) لجنة الفتوى :

تقوم اللجنة المختصة بالفتوى فى الوزارة بدور كبير فى مجال تلبية حاجات الناس اليومية فتوضح ما خفى عليهم من أمور دينهم وتحل كثيرا من مشكلاتهم الاجتماعية والنفسية .

١٩ ــ د) مراجعة الكتب :

تقوم الوزارة بمراجعة الكتب التى تتطرق الى الشريعة الغراء سواء ما يقع تحت يدها أو ما ترسله وزارة الاعلام لتقرير صلاحية مطالعته وتداوله بين الناس . وقد قامت اللجنة المختصة فى الوزارة بمراجعة العديد من الكتب والمصاحف .

٢٠ ــ هـ) المساعدات :

تشرف الوزارة على الاموال الخيرية بصفتها ناظرا عليها ، فتنفق ريعها فيما هو مخصص له من أعمال البر والخير على المحتاجين ، فترزق من لا دخل

لهم من العجزة واليتامى ومن ألمت به مصائب الدهر ، وقد ساعدت الوزارة كذلك أبناء السبيل المنقطعين من المسلمين الذين يصلون الى الكويت من طلبة العلم وأعانتهم للوصول الى أوطانهم ، ولا تدفع المساعدة فى هذا الخصوص الا بعد التأكد والتحقق من حاجة المستحق لها .

نشاطات للوزير فى الحقل الداخلى

٢١ ــ علاوة على ما يقوم به وزير الاوقاف والشئون الاسـلامية من الاشراف والتوجيه لأعمال الوزارة وعلاوة على نشاطاته الخارجية واتصاله بالعاملين فى الدعوة الاسلامية وبالمنظمات الاسلامية وحضوره العديد من المؤتمرات الاسلامية فان له فى الحقل الداخلى نشاطا بارزا يتمثل فى :

١ ــ ندوة فى جمعية الهلال الاحمر الكويتى تحت عنوان (الانسان بين الروح والمادة) اشترك فيها الشيخ محمد الغزالى .

٢ ــ ندوة فى جمعية المعلمين الكويتية تحت عنوان (حرية النقد فى البيت والمدرسة) اشـترك فيها الدكتور عبد الرحمن العوضى والاستاذ يوسف عبد المعطى مدير معهد المعلمين والطالب الجامعى ناجى .

٣ ــ ندوة فى التلفاز تحت عنوان (الانسان والعصر) اشترك فيها الدكتور عبد العزيز كامل مدير الجامعة سابقا .

٤ ــ ندوة فى التلفاز تحت عنوان (طريق النور ــ النسخ فى القرآن) اشترك فيها الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف السابق فى مصر .

٥ ــ ندوة فى التلفاز باشراف جمعية المعلمين الكويتية تحت عنـوان (التربية الروحية بين البيت والمدرسة) .

٦ ــ ندوات فى التلفاز بجمهورية مصر العربية تحت عنوان (نور على نور) عدة مرات اشترك فيها الشيخ على عبد الرحمن رئيس وزراء

السودان الأسبق والشيخ حسن خالد مفتى لبنان والدكتور احمد البهى وغيرهم من العلماء .

٧ ــ تحدث الوزير فى الاذاعة فى العديد من المناسبات كعيد الاضحى والفطر والعيد الوطنى وفى مجالات مختلفة .

(٢٢) ٨ ــ وأجاب على أسئلة واستفسارات كبريات الصحف والمجلات السياسية والاجتماعية والدينية .

(٢٣) ٩ ــ قابل العديد من الوفود العربية والاسلامية واجرى مباحثات معها فى شأن الدعوة ورفعة الأمة ، نذكر منها :

١ ــ وفد من المملكة المغربية برئاسة الشيخ محمد المكى الناصرى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية والثقافة .

٢ ــ وفد من الجمهورية العربية السورية برئاسة وزير الاوقاف الشيخ عبد الستار السيد .

٣ ــ وفد من جمهورية السودان الديمقراطية برئاسة وزير الاوقاف والشؤون الدينية الدكتور عون الشريف .

٤ ــ وفد من جمهورية موريتانيا الاسلامية برئاسة وزير الخارجية ووزير التعليم العالى .

٥ ــ وفد من جمهورية الصومال برئاسة وزير التعليم والثقافة .

٦ ــ وفد من الاتحاد السوفيتى برئاسة المفتى الشيخ ضياء الدين بابا خانوف .

٧ ــ وفد من المسلمين السود برئاسة الملاكم المعروف محمد على كلاى (أتباع محمد اليجا) .

٨ ــ وفد من أوغندا برئاسة رئيس القضاة عبد الرزاق أحمد .

٩ ــ وفد من الجمهورية العربية الليبية برئاسة الدكتور على التريكى وكيل وزارة الخارجية .

١٠ ـ وفد من ماليزيا برئاسة رئيس وزراء ولاية كلنتان داتر محمد بن الحاج مودا .

١١ ـ وفد من السفراء العرب العاملين فى بريطانيا للتباحث فى أمر التبرعات لاكمال بناء المركز الاسلامى فى لندن ، والوفد مكون من السفراء :

١ ـ سفير الكويت .

٢ ـ سفير السعودية .

٣ ـ سفير لبنان .

٤ ـ سفير تونس .

١٢ ـ وفد من يوغسلافيا برئاسة رئيس العلماء سليمان كمورا .

١٣ ـ وفد من الفلبين برئاسة الدكتور أحمد النتو عضو مجلس الشيوخ ولجنة الدستور ووفود من الفلبين كثيرة ليس هذا مقام ذكرها .

١٤ ـ وفد من أمريكا برئاسة الدكتور محمد الهادى سالم .

١٥ ـ وفد من أندونيسيا برئاسة الدكتور محمد ناصر .

١٦ ـ وفد من رابطة العالم الاسلامى بجدة برئاسة الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية سابقا .

١٧ ـ وهنـــاك وفود عديدة وكثيرة من جنوب شرقى آســيا وأوروبا وأفريقيا يطول بنا المقام فى تعدادها .

١٨ ـ كما زار الكويت وفد من المملكة العربية السعودية برئاسة وزير الحج والاوقاف الشيخ حسن الكتبى ووفد جمهورية باكســتان الاسلامية برئاسة وزير الاوقاف والاعلام والاذاعة مولانا كوثر نيازى .

الفتاوى

قبـــلة الصـــلاة

السؤال :

الى اى قبلة كان يصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكـــة قبـــل الهجرة .. ؟ وما مدة صلاته بالمدينة الى بيت المقدس .. ؟

الاجابة :

اختلف العلماء فى هذه المسالة . والاصح أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى حين فرضت عليه الصلاة بمكة متجها الى الكعبة ، ولم يزل يصلى اليها طول مقامه بمكة على ما كانت عليه صلاة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . كما نقله القرطبى فى تفسيره .

ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا اوحى الله تعالى اليه أن يصلى الى صخرة بيت المقدس بدل الكعبة فصلى اليها ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا على ما رواه البخارى . وقال أبو حاتم البستى : صلى الى بيت المقدس سبعة عشر شهرا وثلاثة أيام سواء ، ثم نسخ الله ذلك وأمـــره ان يستقبـــل الكعبة فى صلاته كما كان بمكة ، قال تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

ومن هذا يعلم ان صلاته بالمدينة الى الصخرة لم تكن اجتهادا منه عليه الصلاة والسلام كما نقل عن بعضهم وانما كانت بوحى من الله تعالى غير متلو وأن النسخ كان بالقرآن . ولذا عده الأصوليون من باب نسخ السنة بالقرآن وقالوا ان القبلة نسخت مرتين ، فاستقبال الكعبة بمكة نسخ باستقبال بيت المقـــدس بالمدينه وهذا نسخ باستقبال الكعبة بعد تلك المدة .

ونقل القرطبى اجماع العلماء على أن القبلة أول ما نسخ بالقـــرآن ، وقد انكر اليهود النسخ من أصله ليتم لهم ما زعموه باطلا من ان التوراة غير منسوخة، وطعنوا فى الاسلام بتجويزه النسخ وقالـــوا إن محمدا يامر اصحابه بشىء ثم ينهاهم عنه فأنزل الله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها الم تعلم ان الله على كل شىء قدير) ، وقوله تعالى : (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون) . والله تعـــالى أعلم .

حكم الايقاظ لصلاة الفجر بذكر الله

السؤال :

اعتاد بعض المسلمين فى جهتنا ان يوقظ الناس لصلاة الفجر بقوله بصوت عال فى الحى (لا اله الا الله الملك الحق المبين ، محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين) وقد ينشد :

يا نائما مسـتغرقا فى المنـام قم واذكـر الحـى الـذى لا ينـام

مولاك يدعـوك الـى ذكـره وأنت مسـتغرق فـى المنـام

وقد الف الناس منه ذلك وحمدوا له تذكيرهم بامر الله فما حكم ذلك ؟

الاجابة :

اعلم أن ايقاظ النائمين ، وتنشيط الوانين للاستعداد لصلاة الفجر فى أول وقتها أمر مشروع يشهد له ما فى صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يمنعن احدا منكم اذان بلال من سحوره ، فانه يؤذن بليل ليرجع قائمكم وليتنبه نائمكم) اى ليعود القائم منكم ليلا للتهجد الى شىء من الراحة لينهض لصلاة الفجر نشيطا وليوقظ النائم ليستعد للصلاة فى أول الوقت بالوضوء أو الاغتسال .

وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : (ان بلالا يؤذن بليل فكلوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم) . وزاد فى رواية : (فانه لا يؤذن حتى يطلع الفجر) . قال القاسم بن محمد : لم يكن بين اذانيهما الا أن يرقى هذا وينزل هذا .

فكان بلال يؤذن قبل الفجر لما ذكر ، وعبد الله بن أم مكتوم يؤذن عند طلوعه للاعلام بدخول الوقت . وقد ترجم لهما البخارى فى صحيحه . وقال الحافظ إنه اراد بذلك أن يبين أن المعنى الذى كان يؤذن لاجله قبل الفجر غير المعنى الذى كان يؤذن له بعد الفجر ، وان الاذان قبله لا يكفى عن الاذان بعده .

وقد اقر الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك كما دل عليه الحديثان فكـان اصلا لمشروعية ما يقوم به كثير من المؤذنين فى غسق الليل ، قبيل الفجر من التسبيح والتهليل ، والابتهال الى الله تعـالى الى أن يطلع الفجر قصدا الـى المعنى الذى كان من أجله يؤذن بلال رضى الله عنه ، فهو نداء وتذكير وان اختلف عن الاذان الاول فى صيغته اذ كان الاول بألفاظ الاذان المعروفة كما يفيده ظاهر الحديث ، وهذا بالتهليل والتسبيح والابتهالات .

... ...

وكذلك يشهد لمشروعية ما يفعله بعض المسلمين اليوم من ايقاظ النائمين للتأهب لصلاة الفجر بذكر الله تعالى ، والثناء على رسوله صلى الله عليه وسلم، وعظة الغافلين بما يستحث هممهم ، ويستنهض عزائمهم للمسارعة الى الصلاة ،

وكل ذلك عبادة وطاعة . فاذا كان قبل طلوع الفجر فهو فى معنى أذان بلال . واذا كان بعد طلوعه فهو فى معنى اذان ابن أم مكتوم ، والغالب الأول .

واذا علم أن تكرار الأذان العام بعد طلوع الفجر غير مشروع ، وان أكثر الناس فى هذا الوقت وقبله ما بين نائم يغط فى نومه ووسنان كسلان ، والنوم لذيذ والدعة محبوبة ، ولذا زيد فى أذان الفجر جملة : (الصلاة خير من النوم) . واذا تركوا وشأنهم حرموا فضيلة الصلاة فى أول وقتها ، بل حرموا أداءها فى وقتها — علم موقع هذا النداء من الحسن والفائدة ، فهو ايقاظ وتنبيه وهو من التعاون على البر والتقوى ومن الذكرى التى تنفع المؤمنين .

وكم حرم أناس ادراك فضيلة أول وقت الفجر ، بل صلاة الفجر فى وقتها بسبب غفلتهم أو استسلامهم للدعة والكسل . ولذلك كان هذا النداء خيرا وبرا وعملا مشروعا مشكورا . ولا يدفعه ما ذكره صاحب المدخل فانه فى زمان غير زماننا . والناس اليوم فى أشد الحاجة الى الايقاظ والعظة وتكرار التذكير ، وفى المنع منه حرمان من خير كثير وثواب جزيل .

... ...

وقد شهدنا اثر هذا النداء فى الأحياء التى ينادى فيها . فكثير من أهلها رجالا ونساء يلبونه سراعا وينهضون للصلاة فيفوزون بفضل صلاة الفجر في أول وقتها ، قال تعالى : (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) . وفى الحديث: (من صلى البردين دخل الجنة) والبردان مثنى برد بفتح الباء وسكون الراء وهما الغداة والعشى يعنى صلاة الفجر والعصر ، وسميتا بردين لانهما تصليان فى بردى النهار وهما طرفاه حين يطيب الهواء وتذهب سورة الحر ، والمراد الصلاة فى أول وقتها .



بريد الوعي الإسلامي

البهائية

جاءنا السؤال التالى من السيد محمد رضا يقول :

تردد الحديث فى الصحف والمجلات عن البهائية .. وأنها مذهب هدام .. ولها خطرها على الاسلام والمسلمين .. فهل لى أن أعرف شيئا عن نشأتها .. وعلاقتها باليهود وماهى مبادئها ؟

ولكم الشكر .

. . . .

ونقول للأخ الكريم ان مؤسس البهائية هو :

الميرزا حسين على المازندرانى النورى .. ولد فى سنة ١٢٣٣ هـ . نشأ فى طهران وكان يضع على وجهه برقعا ويدعي أن بهاء الله المتجلى فى وجهه لا يرى بالأبصار .

ثقافته :

خليط من البوذية والمزدكية والبراهمية واليهودية والاسلام ..

افتراءاته :

١ ــ أنه هو المسيح الموعود النازل من السماء بالحق ..

٢ ــ وأحيانا يسند الألوهية لنفسه ولولده عباس ..

٣ ــ ألف كتابا أسماه (الأقدس) مدعيا أن الأحكام الواردة فيه نزلت من السماء .

٤ ــ ادعى أنه جاء ناسخا للشريعة الاسلامية .. فهو وأتباعه يعترفون بالقرآن الكريم الا أنهم لا يعتقدون بخلوده .. لأن الميرزا حسين نسخه بكتابه (الأقدس) .

طريقتهم فى نشر دعوتهم :

يعتمدون على التصرف مع الأفراد حسب الأهواء والميول .. فليست لهم خطة ثابتة واضحة .. تراهم مع المسلمين فى مساجدهم .. ومع النصارى فى كنائسهم ، ومع اليهود فى هياكلهم .. فلا مانع عندهم أن يجمع الفرد بين البهائية وأية عقيدة أخرى . .ثم يلقون تعاليمهم المزعومة .

العلاقة بين البهائية واليهودية :

ساعدهم اليهود على نشر مبادئهم وتعاليمهم .. وذلك حتى يضعفوا من قوة المسلمين ويثبطوا عزيمتهم عن الجهاد .. فقد كـــان (عبد البهاء) وهو زعيمهم الثانى يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود ويجمعهم على نواميس موسى عليه السلام الذى يؤمنون به جميعا . وبذلك يكـــون السلطان فى العالم كله لليهود .

القاديانية

السيد المشرف على (بريد الوعى) .. تحية طيبة وبعد :

فالقاديانية لها نشاط واسع فى افريقيا .. وهى خطر على الاسلام والمسلمين .. والذى ارجوه أن تبينوا لنا كيف نشأت ؟ ومن زعيمها ؟ ولكم أطيب تحيـــة .

سعد عبد الله

. . . .

أسس هذه الطريقة رجل يدعى مرزا غلام احمد .. ولد فى ١٨٣٩ م بالهند .. وادعى انه المسيح المنتظر .. وأن روح المسيح قد حلت به .. ويؤول قوله تعالى (ومبشرا برسول يأتى من بعده اسمه أحمد) بأنه هـــو الرسول المنتظر .. ولذلك فأتباعه يسمون انفسهم (الاحمديون) . وأحيانا يدعى الألوهية .. ويزعم انه أفضل من كل الأنبياء .. وأنه يوحى اليه .. وقد جعل القاديانيون بلدتهم (قاديان) بلدة مقدسة يحجون اليها .

واتباع مرزا يؤمنون بأنه (نبى) ويعتبرون من يكذبـــه (كافرا) .. .. ولذلك فهم يتخذون من المسلمين موقفا عدائيا .. بل هم معاول هـــدم فى جسم الأمة الاسلامية .. ومن أبرز ضلالاتهم انهم يبطلون الجهاد فـــى سبيل الله الذى هو ركن من أركان الاسلام . وهذا يكشف عن الظـــروف التى دعا فيها مرزا بدعوته أيام الاستعمار البريطانى للهند .. ويتبين لنـــا بوضوح كيف أنه كان ربيب الاستعمار وصنيعـــه .. فأبطل الجهـــاد حتى يضعف من مقاومة مسلمى الهند للاستعمار البريطانى . .وكان المسلمون يدافعون عن بلادهم ضد المستعمر من منطلق الجهاد فى سبيـــل الله .. فأراد مرزا أن يضعف هذه الروح — روح الجهاد — ليمكن للاستعمار وأذنابـــه .

والحق أن هذه الحركة ليست مجرد عقيدة أو طائفة دينية .. وانما هى فى جوهرها مؤامرة منظمة ضد الاسلام وثورة على المسلمين .. فهى تريد أن تحل محل الاسلام فى العقيدة .. وتبرز كدين جـــديد .. محاولة صرف المسلمين عن دينهم وتاريخهم المجيد .. ولكن يأبى الله الا أن يتم نوره .. فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض . وسيبقى الاسلام هو الدين الخالد .. ولن ينال منه الأعداء لأنه خاتم الرسالات .. والخسران للضاليـــن والمضلين .. وسيعلم الذين ظلمـــوا أى منقلـــب ينقلبون .



بين التجربة والتخطيط

تحت هذا العنوان كتبت مجلة (دعوة الحق) المغربية مقالا قيما نقتطف منه ما يأتى :

نحن نؤمن بان لا شىء يعلم مثل التجربة ، وخاصة اذا كانت التجربة من النوع البالغ العميق الذى يترك أثرا فى النفس اى اثر ، الا ان كثيرا من الناس تمر بهم التجربة تلو التجربة ، ومع ذلك يظلون مغذين فى أخطائهم ، ممعنين فى سقطاتهم ، لانهم لم يؤتوا حظا من الذكاء والحنكة وحسن التدبير ، والا لارتدعوا وتراجعوا .

ان الذكى ليس فى حاجة لأن يخوض غمار التجربة من أولها الى آخرها لكى يرتدع ويتعظ بل يكفيه أن يخطو فى مضمارها بضع خطوات ليحرز النتيجة ويقدر العاقبة المنتظرة ، اذا ما استمر فيها الى نهاية الشوط .

تجارب الانسانية كثيرة ، تملا بطون الكتب ، وتبدو فى تصرفات الناس وأعمالهم التى نراها تتمثل أمامنا على مسرح الحياة كل يوم ، ولكننا نغمض أعيننا ونقفل أسماعنا تجاه كل تجربة من هذا النوع وهكذا تتكرر الاخطاء فى الحياة ، وتتعدد سقطات الانسانية جيلا بعد جيل ، حتى أننا كثيرا ما نقع فى نفس الأخطاء التى وقعنا بها أو وقع بها غيرنا قديما أو حديثا .. يقول الشاعر اسماعيل صبرى :

عبر كلها الحياة ولكن   اين من يفتح الكتاب ويقرا

ومهما يكن من أمر فالتجربة تنضج الذهن ، وتصقل النفس ، وتنظفها مما علق بها من أدران .. وتكسب مزيدا من الحنكة ، وكثيرا من الخبرة الواسعة .. والبصيرة النافذة فى بواطن الامور .. وتهب قسطا وافرا من الحذر والتريث ، فلا يطيش ، ولا يتهور ، ولا يتسرع بعد أن عرف أن أخطاءه كان مصدرها الطيش وعدم الروية والعشوائية .

لو فتشنا عن أسباب الاخطاء فى الماضى والحاضر ، لوجدنا أن معظمها كان نتيجة دوافع خفية غارقة فى اللاشعور ، ونتيجة دوافع مكبوتة ، ورغبات دفينة . وسوء التخطيط ، أو اهماله فى حياتنا هو سبب الانتكاسات المتكررة

التى تقع فيها .. فليس من يضع رأسه بين يديه ويسترسل فى التأمل والنظر الى أبعاد المشكلة اللامرئية ، ويصرف فيها الساعات الى أن يخرج بنتيجة مرضية تعصمه من الخطأ وتقيه شر الزلل .

اننا كشباب نعيش فى القرن العشرين أحوج ما نكون لمعالجـــة قضايانا الاجتماعية والنفسية بأيدينا ، دون اللجوء الى الاطباء النفسيين ، أو ســؤال المجلات التى كثيرا ما تزيد هــذه المشكلات تعقيدا ولفلفة بما تقدم من تفسيرات خاطئة ، وحلول مغلوطة ، وتوجيهات شوهاء ، لان المشرفين على هذه الابواب تنقصهم الخبرة ، ويعوزهم الاختصاص ، وانا واثق انهم اجهل الناس بحل قضاياهم وتيسير أمورهم ، فكيف يستطيعون مساعدة الآخرين .

فى محيط الاسرة

تحت هذا العنوان قالت مجلة (رابطة العالم الاسلامى) السعودية :

من أمثال العرب قولهم (آخر العلاج الكى) اى ان الداء اذا استعصى وعز الدواء فعندئذ يكون الكى حاسما للداء ــ كانت هذه نظرتهم أو تجربتهم ولــن يعنينا فى بحثنا ان نصوبهم او نخطئهم .. وانما الذى حدا بنا الى الاتيان بهذا المثل ما يتطلبه البحث فى محيط الاسرة عن العلاج الحاسم للشقاق وعدم الوفاق بين الزوجين والذى لا مندوحة عنه بعد أن بذلت كل الوسائل وبعد أن وضــع الشرع حلولا متعددة للاصلاح كان آخرها اقامة حكمين من قبل الزوجين ينظران فيما يصلح شأنهما من التقريب بينهما بعد ذلك كان العلاج الحاسم الذى يقضى على الشقاق هو الطلاق من قبل الزوج فهو الذى بيده عقدة النكاح كما جاء فى حديث عمرو بن شعيب بالسند عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ولى عقدة النكاح الزوج) وقيل هو الولى اى أن الذى يحل الزواج هو الزوج ولا يأتى الطلاق من قبل الزوجة .. وعلل بعض العلماء ذلك بأن الرجل أحرص على بقاء الزوجية التى أنفق فى سبيلها من المال ما يحتاج انفاق مثله أو اكثر منه اذا طــلق وأراد عقد زواج آخر . وعليه أن يعطى المطلقة مؤخر المهر ومتعة الطلاق ، وان ينفق عليها فى مدة العدة أى فى الطلاق الرجعى ولانه ــ اى الزوج ــ بمقتضى عقله ومزاجه يكون أصبر على ما يكره من المرأة فلا يسارع الى الطلاق لكل غضبـــة يغضبها أو سيئة من الزوجة يشق عليه احتمالها .

والمرأة أسرع غضبا واقل احتمالا ، وليس عليها من تبعات الطــلاق أو نفقاته مثل ما على الزوج فهى اجدر بالمبادرة الى حل عقدة الزوجية لادنى الاسباب ان اعطى لها هذا الحق وشرع لها ان تفتدى نفسها من الزوج فيما لو ابغضته أو نقمت عليه هنة لا تستطيع معها البقاء فى حباله كما جاء فى الحديث ان امرأة ثابت بن قيس جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله ما أعتب عليه فى خلق ولا دين ولكنى امرأة أكره الكفر فى الاسلام ــ لا أطيقه بغضا ــ فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم (اتردين عليه حديقته ؟) .. اى التى بذلها صداقا ــ قالت نعم ــ فأمر رسول الله صلى الله عليه وســلم الزوج أن يأخذ منها حديقته ويطلقها ..

ثم أن هذا العلاج الحاسم ــ أعنى الطلاق ــ راعى فيه الاسلام الظروف وتدرج فى ايقاعه دون ضرر بالزوجة أو اعنات لها أو تشف منها كما انه لم يجعله لعبة فى يد الزوج فشرعه مرة بعد مرة بين كل واحدة والأخرى عدة تكون فيهــا الرجعة ..

بأقلام القراء

مواقف شجاعة للامام الأوزاعي

للأستاذ محمد شمس الدين

تتميز سيرة الامام الكبير ابى عمرو عبد الرحمن الاوزاعى (٩٠ — ١٥٧ هـ) فقيه بيروت وأمام الديار الشامية بمواقف شجاعة تدل على سمو فى الاخلاق وعزة فى النفس وروح كبيرة تضج بالسماحة والصدق والزهد فى المغريات .

وفيما يلى نماذج من تلك المواقف :

— جاءه احد المواطنين النصارى بهدية (جرة عسل) وقال له : لو تكتب لى يا أبا عمرو الى عامل مدينة بعلبك فتشفع لى عنده فقال له الامام : (ان شئت رددت الجرة وكتبت لك ، والا قبلت الجرة ولم اكتب لك) .. فقال الرجل : (لك ما تريد) فرد الجرة وكتب له . فوضع العامل عنه ثلاثين دينارا . ولا شك بأن الإمام رد الهدية على الشفاعة خوفا من الوقوع فى الرياء ...

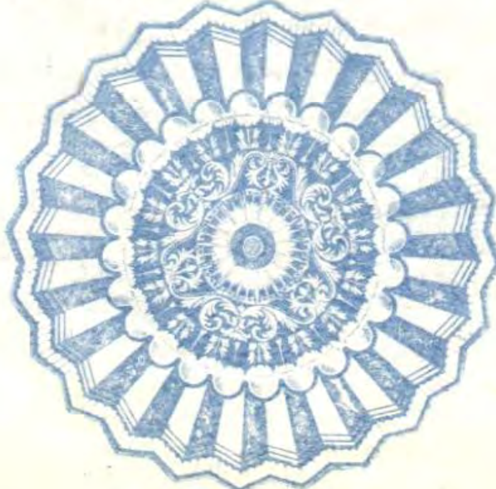
— خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بعلبك ، فوجه صالح بن على — الوالى يومذاك على بلاد الشام من قبل الخليفة المنصور العباسى — من قتل مقاتلهم واقر من بقى منهم على دينهم وردهم الى قراهم وأجلى قوما من أهل لبنان . فكتب الإمام الاوزاعى الى صالح هذا رسالة طويلة جاء فيها : وقد كان من اجلاء أهل الذمة (النصارى) من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئا لمن خرج على خروجه ، ممن قتلت بعضهم ورددت باقيهم الى قراهم ماقد علمت ، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم وحكم الله تعالى : « أن لا تزر وازرة وزر أخرى » وهو أحق ما وقف عنده واقتدى به ... واحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال : « من ظلم معاهدا وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه » .

— لما قدم الشام عبد الله بن علي عم السفاح وقائد الحملة على سوريا سنة ١٣٢ هـ لمطاردة الأمويين فيها جلس يوما على سريره ودعا اصحابه ... ثم بعث الى الإمام الاوزاعى فقال له : انت عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى قال : « نعم ، أصلح الله الأمير » قال : ماتقول فى دماء بنى أمية ؟ قال الإمام : « قد كان بينك وبينهم عهود وكان ينبغى أن يتقوا بها » قال : « ويحك » اجعلنى واياهم لا عهد بيننا . فقال : « دماؤهم عليك حرام » فغضب القائد وانتفخت اوداجه واحمرت عيناه ثم أومأ بيده ان اخرجوه ... وهنا يقول الإمام : خرجت فما ابتعدت حتى لحقنى فارس وقال « ان الأمير بعث اليك هذه الدنانير ، ففرقتها قبل أن أدخل بيتى . »

— يروى الإمام نفسه عما حدث له مع الخليفة ابى جعفر المنصور فيقول : بعث الى ابو جعفر وأنا بالساحل فأتيته فلما وصلت سلمت عليه فرد على السلام واستجلسنى ثم قال : « ما الذى أبطأ بك عنا ياأوزاعى ؟ » .. فقلت : « وما الذى يريده أمير المؤمنين ؟ » قال : « اريد الأخذ عنك والاقتباس منك » قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أيما وال بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة ، ومن كره الحق يا أمير المؤمنين فقد كره الله ، ان الله هو الحق المبين » فحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظرا ولما استطاع من عوراتهم ساترا ، وبالقسط فيما بينهم قائما .. وأعلم يا أمير المؤمنين أن السلطان أربعة : أمير يظلف (يكلف) نفسه وعماله فذلك له أجر المجاهد ، وأمير رتع ورتع عماله فذاك يحمل أثقالا وأثقالا فوق اثقاله ، وأمير يظلف نفسه ويرتع عماله فذاك الذى باع آخرته بدنياه وأمير يرتع ويظلف عماله فذاك شر الأربعة .

ويستطرد الاوزاعى فيقول : ولما نهضت اريد الذهاب قال : (الى أين ؟) قلت : (الى البلد والوطن بإذن أمير المؤمنين) . قال : (قد اذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبول حسن) وبعد خروجى من عنده علمت انه أمر لى بمال استعين به فلم أقبله وقلت : « انا فى غنى وما كنت لأبيع نصيحتى بعرض من الدنيا ولا بها كلها . »

تلك هى اقباس من سيرة أبى عمرو . أين لنا من يقتفى أثرها ويمشى فى ضوئها فى هذه الآونة من تاريخنا ، عسى أن تعود لنا عزة فقدناها ومنعة أضعناها ، ولن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .



أخبار العالم الاسلامى

اعداد : الاستاذ فهمى الامام

الكويت :

● يقيم سمو نائب الأمير المعظم الشيخ جابر الأحمد مسجدا فى المعادى — من ضواحى القاهرة — على نفقته الخاصة .. وسيتكلف المسجد ٣٥ الف جنيه .

● اقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بمسجد السوق الكبير حفلها السنوى المعتاد فى ذكرى الاسراء والمعراج على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ..

● وقعت الكويت مع يوغسلافيا اتفاقا يقضى بتصميم وبناء قواعد عسكرية فى البلاد وقد صرح معالى الشيخ سعد العبد الله الصباح رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية والدفاع بأن القواعد الجوية التى تم الاتفاق على انشائها ستكون من أحدث القواعد الجوية فى العالم ، وستزود بأحدث وسائل التكنولوجيا العسكرية .

● دعا مجلس الوزراء الى قيام تعاون بين وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية والصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية . .. وذلك للمساعدة فى اقامة مساجد ومراكز اسلامية ومعاهد دينية فى القارة الافريقية .

● سيتم — ابتداء من العام الدراسى القادم — تدريب جميع طلاب مدارس وزارة التربية على استخدام السلاح .. وذلك حتى يكونوا على استعداد تام للذود عن البلاد اذا اقتضى الأمر .

مصر : —

● زار جلالة الملك فيصل جمهورية مصر العربية فى الفترة الواقعة بين ١/٨ وحتى ٧/٨ .. وقد اجتمع بالرئيس أنور السادات وبالمسئولين المصريين ودار البحث حول قضية فلسطين والاحتلال الاسرائيلى وكيفية معالجته .. كما تم بحث قضايا اخرى تهم العالم العربى والاسلامى .. واتخذت بشأنها القرارات المناسبة .

● وافق فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر على ايفاد بعثة أزهرية من العلماء والوعاظ الى جنوب افريقيا لأول مرة ، كما تم قبول عدد من طلاب جنوب افريقيا فى مختلف مراحل التعليم بالأزهر .

● بدأت لجنة برئاسة الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف دراسة مشروع اعادة كتابة تاريخ الاسلام والعرب .. والذى تقدمت به جامعة الكويت .

● التقى فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شئون الأزهر بوفد يمثل الصحافة الاقليمية ودور النشر بأمريكا .. وأجاب على اسئلتهم حول أثر الاسلام فى توحيد العالم العربى وقانون الاحوال الشخصية .

السعودية :

● قدم جلالة الملك فيصل خلال زيارته الأخيرة لمصر مبلغ ١٥٠٠ مليون دولار مساعدة من جلالته للشعب المصرى .

● افتتح فى جدة المؤتمر الثانى لوزراء مالية الدول الاسلامية بحضور وفود من ست وعشرين دولة اسلامية وذلك للتوقيع على صيغة اكتتاب الدول المشتركة فى راس مال البنك الاسلامى للتنمية ، وقدره ٩٠٠ مليون دولار .

● أصدر وزير المعارف قرارا يقضى باعتبار مادة الثقافة الاسلامية مادة أساسية فى جميع الكليات دون استثناء .

● قررت رابطة العالم الاسلامى ايفاد أحد العلماء الى مدينة (بريناجوا) فى البرازيل ليعمل هناك اماما وواعظا للجالية الاسلامية .

● قام مكتب رابطة العالم الاسلامى فى بلاد اسكندنافيا بوضع مشروع لترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة الدنماركية .

الأردن : ــ

● تبرعت الاردن بمبلغ من المال مساهمة منها فى مشروع بناء مسجد بمدينة (نور مبرغ) الالمانية .

● اعتمد وزير الأوقاف والمقدسات الاسلامية المبالغ اللازمة لاتمام مشروع مسجد خالد بن الوليد فى بلدة حوران .. وكذلك مشروع دار القرآن الكريم فى مسجد بلدة (سوف) .

قطر :

● ساهمت قطر بمبلغ ١٠٠ الف جنيه استرلينى لاستكمال تنفيذ مشروع انشاء المركز الاسلامى بالسودان .

اليمن : ــ

● صدر قرار جمهورى فى صنعاء يقضى باقامة معهد دينى فى العاصمة ، على أن تكون له فروع فى جميع المحافظات اليمنية .. ويعنى المعهد بتدريس العلوم الاسلامية واللغة العربية والتاريخ والأدب .

النرويج : ــ

● عقدت الجمعيات الاسلامية بالنرويج اجتماعات تقرر فيها انشاء اتحاد من الجمعيات يسمى أتحاد الجمعيات الاسلامية في النرويج .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شعبان ١٣٩٤	أغسطس ١٩٧٤	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)						المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاثنين	١	١٩	٣ ٤٣	٥ ١٧	١١ ٥١	٣ ٢٧	٦ ٢٥	٧ ٤٨	٩ ١٨	١٠ ٥٢	٥ ٢٦	٩ ٢	١ ٢٣
الثلاثاء	٢	٢٠	٤٤	١٨	٥١	٢٧	٢٤	٤٦	٢٠	٥٤	٢٧	٣	٢٢
الأربعاء	٣	٢١	٤٥	١٩	٥١	٢٧	٢٣	٤٥	٢٢	٥٦	٢٨	٤	٢٢
الخميس	٤	٢٢	٤٦	١٩	٥١	٢٦	٢٢	٤٤	٢٤	٥٧	٢٩	٤	٢٢
الجمعة	٥	٢٣	٤٧	٢٠	٥١	٢٦	٢١	٤٣	٢٦	٥٩	٣٠	٥	٢٢
السبت	٦	٢٤	٤٨	٢٠	٥٠	٢٦	٢٠	٤١	٢٨	١١ ٠٠	٣٠	٦	٢١
الأحد	٧	٢٥	٤٩	٢١	٥٠	٢٥	١٩	٤٠	٣٠	٢	٣١	٦	٢١
الاثنين	٨	٢٦	٤٩	٢١	٥٠	٢٥	١٨	٣٩	٣٢	٤	٣٢	٧	٢١
الثلاثاء	٩	٢٧	٥٠	٢٢	٤٩	٢٤	١٦	٣٧	٣٤	٦	٣٣	٨	٢١
الأربعاء	١٠	٢٨	٥١	٢٢	٤٩	٢٤	١٥	٣٦	٣٥	٧	٣٤	٨	٢١
الخميس	١١	٢٩	٥١	٢٣	٤٩	٢٣	١٤	٣٥	٣٧	٩	[illegible]	٩	٢١
الجمعة	١٢	٣٠	٥٢	٢٣	٤٨	٢٣	١٣	٣٤	٣٩	١٠	٣٥	١٠	٢١
السبت	١٣	٣١	٥٣	٢٤	٤٨	٢٢	١٢	٣٢	٤١	١٢	٣٦	١٠	٢٠
الأحد	١٤	سبتمبر	٥٣	٢٤	٤٨	٢٢	١١	٣١	٤٢	١٣	٣٧	١١	٢٠
الاثنين	١٥	٢	٥٤	٢٥	٤٨	٢٢	١٠	٣٠	٤٤	١٥	٣٨	١٢	٢٠
الثلاثاء	١٦	٣	٥٤	٥ ٢٥	٤٧	٢١	٩	٢٩	٤٥	١٦	٣٨	١٢	٢٠
الأربعاء	١٧	٤	٥٥	٢٦	٤٧	٢١	٨	٢٨	٤٧	١٨	٣٩	١٣	٢٠
الخميس	١٨	٥	٥٦	٢٦	٤٧	٢٠	٦	٢٧	٤٩	١٩	٤٠	١٤	٢٠
الجمعة	١٩	٦	٥٧	٢٧	٤٧	٢٠	٦	٢٥	٥١	٢١	٤١	١٤	١٩
السبت	٢٠	٧	٥٧	٢٨	٤٦	١٩	٤	٢٣	٥٣	٢٣	٤٢	١٥	١٩
الأحد	٢١	٨	٥٨	٢٨	٤٦	١٩	٣	٢٢	٥٥	٢٥	٤٣	١٥	١٩
الاثنين	٢٢	٩	٥٩	٢٩	٤٦	١٨	٢	٢١	٥٧	٢٧	٤٤	١٦	١٩
الثلاثاء	٢٣	١٠	٤ ٠٠	٢٩	٤٥	١٨	١	٢٠	٥٩	٢٨	٤٤	١٧	١٩
الأربعاء	٢٤	١١	١	٣٠	٤٥	١٧	٠٠	١٩	١٠ ١	٣٠	٤٥	١٧	١٩
الخميس	٢٥	١٢	١	٣٠	٤٥	١٦	٥ ٥٨	١٧	٣	٣٢	٤٦	١٨	١٩
الجمعة	٢٦	١٣	٢	٣١	٤٤	١٥	٥٧	١٦	٥	٣٤	٤٧	١٨	١٩
السبت	٢٧	١٤	٣	٣١	٤٤	١٥	٥٦	١٤	٧	٣٥	٤٧	١٩	١٨
الأحد	٢٨	١٥	٤	٣٢	٤٤	١٤	٥٥	١٣	٩	٣٧	٤٩	١٩	١٨
الاثنين	٢٩	١٦	٤	٣٢	٤٣	١٣	٥٣	١١	١١	٣٩	٥٠	٢٠	١٨

أمّ المؤمنين السّيدة ميمونة
رضي الله عنها

اسمهـــا : برة بنت الحارث بن حزن الهلالية .

أمهـــا : هند بنت عوف بن زهير بن الحارث .. كان يقال فيها : « أكرم عجوز فى الارض أصهارا هند بنت عوف : أصهارها : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصـــديق ، وحمزة والعباس ابنا عبد المطلب ، وجعفر وعلى ابنا ابى طالب رضى الله عنهم » .

اخواتهـا : شقيقتها « أم الفضل » لبابة الكبرى بنت الحارث زوج العباس ابن عبد المطلب واول امراة آمنت بالرسول بعـد خديجة رضى الله عنها .
وأسماء بنت عميس ـ اختها من أمها ـ تزوجت جعفر بن أبى طالب وولدت له عبد الله . ومن بعده تزوجت ابا بكر الصديق وولدت له محمدا ، ثم تزوجت عليا بن أبى طالب وولـدت له يحيى .
وسلمى بنت عميس .. زوج حمزة بن أبى طالب .

خطبتهـا : كانت أرملة فى السادسة والعشرين من عمرها ، مات عنها زوجها أبو رهم بن عبد العزى القرشى العامرى . ولما دخل الرسول وصحابته مكة لمدة ثلاثة ايام كما نص عهد الحديبية ، ارسلت ـ رضى الله عنها ـ العباس الى الرسول صلى الله عليه وسلم يذكرها له ، فاستجاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأصدقها ٤٠٠ درهم ، وبعث ابن عمه جعفر يخطبها له .

زواجهـا : بنى بها الرسول صلى الله عليه وسلم فى (سرف) ـ قرب التنعيم .. ثم رجع بها الى المدينة . وسماها ميمونة ، حيث ان زواجها كان فى المناسبة الميمونة التى دخل فيها أم القرى لأول مرة منذ سبع سنوات .

فضلهـا : قيل هى التى وهبت نفسها للنبى ونزلت فيها الآية .
وقالت عنها السيدة عائشة : « كانت والله من أتقانا لله ، وأوصلنا للرحم » .

وفاتهـا : رحلت الى جوار ربها فى سنة ٥١ هجرية على الارجح ، رضى الله عنها وأرضاها .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغــازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
المغــرب	:	الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
تونــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شــارع فرنســا .
لبنــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧) .
الاردن	:	عمــان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جــدة : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .
البحــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكــويت	:	مكتبة الكــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت

هدية العدد: رسالة الصيام والزكاة

الوعي الإسلامي

إسلاميَّة ثقافيَّة شهريَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن

هدًى للناس وبيِّناتٍ من الهدى والفرقان

فمن شهد منكم الشهر فليصمه


إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ



بسم الله الرحمن الرحيم
شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه
صدق الله العظيم

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة
العـــدد ١١٧
غرة رمضـــان ١٣٩٤ هـ
ســبتمبر ١٩٧٤ م
سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والســـياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلاميـــة بالكـــويت فى غـــرة كل شـــهر عـــربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط
أما الافراد فشـــتركون رأسا
مع متعهـــد التوزيع كل فى قطره

الثمـــن :

الـــكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـــال
العـــراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـــزائر	دينار وربع
المغـــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـــوان المراســـلات :

مجـــلة الوعى الاسلامى ـــ وزارة الأوقاف والشـــئون الاســـلامية
صـــندوق بريد : ١٣ ـــ كـــويت ـــ هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الصيام والقرآن

يطل علينا شهر رمضان بهلاله الميمون ، ويظلنا بايامه الكريمة ولياليه المباركة ، ويحلق بنا فى سماوات الطاعة وروضات العبادة ، ويجعلنا أهلا للفيوضات الإلهية والنفحات القدسية وموضعا لنظر الله ورضوان الله .

فى هذا الشهر العظيم تتزين السماء وتتنزل الملائكة وتفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتحجب الشياطين ، ويتجلى الله على عباده الصائمين القائمين فيغفر لهم ، ويستجيب دعاءهم ، ويوفيهم أجورهم بغير حساب .

وفى هذا الجو الروحى الطهور تزكو النفوس وتطهر القلوب ، وتصفو النوايا ويصدق العزم ، فتصغر الدنيا وتعظم الآخرة ، ويحلو كل ما يقرب من الله ، ويكره كل ما يباعد عن الله ، وتانس المشاعر والجوارح بالموافقة لكل ما يرضى الله ، وتنفر وتفر من كل ما يغضب الله ، ويبلغ الصائم القائم مقام الإحسان ، فيعبد الله كانه يراه ، ويتصرف فى دنياه كانه يراه .. يتقن كل عمل ، ويحسن كل تصرف ، ويراقب الله فى كل سلوك ، ويقيم أوامره فى شئون الحياة كافة .

الإحسان مراقبة ومشاهدة ، والرقابة الإلهية لا تتناول عملا وتدع آخر ، بل تتناول الأعمال كلها من الصلاة التى يقف فيها المسلم خاشعا بين يدى الله الى الحرفة والمهنة التى يباشرها قياما بواجبه فى الحياة .. الإحسان الذى يلقفه العبد بالصيام والقيام وتلاوة القرآن رحب الدائرة يشمل الأعمال والأحوال كلها : (وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه) .



إن الله عز وجل شرف هذا الشهر وميزه بامرين فرض الصيام وانزال القرآن فيه قال تعالى (شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه) .

وقد اقتضت الحكمة العالية أن يكون هذا الاقتران والارتباط بين الصيام والقرآن فالصيام اعداد وتهيئة للنفس لتلاوة القرآن وتدبر معانيه ، والصيام رياضة وترويض للغرائز الانسانية على الخضوع والانقياد لما أنزل الله ، وبالصيام تطمئن النفس الى الحق وترقى الى أفقها الروحى وتستعد لتلقى الفيض الإلهى من كلام الله .

وهذا موسى عليه السلام قبل أن يتلقى كلمات ربه واعده الله ثلاثين ليلة وأضاف اليها عشرا فبلغت عدتها اربعين ليله يروض فيها موسى نفسه بالصوم حتى تصفو روحه وتقوى على تلقي كلمات ربه .

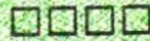
قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) قال المفسرون : فصامها موسى عليه السلام وطواها ، فلما تم الميقات ثلاثين ليلة استاك بلحاء شجرة ـ بقي شيء من سلطان النفس وحكم الهوى عليه ـ فأمره الله أن يكمل أربعين .

إن الصوم يملأ النفوس روحانية وابداعا ، ويشرق على القلوب بهجة وسناء ويطلع على العقل شفافية علوية ترفعه من حضيض الحيوانية المادية الى مستوى الملائكية والروحانية ، فيكون أهلا لمجالسة الحق ومناجاته بتلاوة كلامه ومدارسة قرآنه .

إن سيد الصائمين محمدا صلى الله عليه وسلم كان يعنى بمدارسة القرآن في رمضان ، وكان جبريل عليه السلام يتنزل عليه كل ليلة منه فيدارسه القرآن : يقرأ ويسمع جبريل ، ثم يقرأ جبريل ويسمع محمد . روى الإمام البخارى ومسلم عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة .

وكان السلف الصالح يعتمدون على العصى من طول القراءة في صلاة التراويح ، وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر ، وبعضهم كان يختم القرآن في قيام رمضان في كل ثلاث ليال ، وبعضهم في عشر ، وكانوا زمن التابعين يقرؤون بالبقرة في قيام رمضان في ثمان ركعات ، ويرون أن قراءتها في اثنتى عشرة ركعة من التخفيف ، وكان لأبي حنيفة والشافعي ستون ختمة في رمضان ، وكان مالك إذا دخل رمضان تفرغ لقراءة القرآن .

إن هذا الشهر الكريم يشدنا الى كتاب الله الخالد الذى لا ريب فيه . المبارك القيم الذى لا عوج فيه . العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . المثانى الذى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم .. يشدنا إليه حفظا وتلاوة ، وفهما وعملا ، والصوم خير وسيلة تقربنا من الله ، وترطب السنتنا بكلامه ، وتمنحنا عفوه وتحقق لنا رضاه .



إننا نعيش في عصر كل ما فيه جديد كل الجدة في حياة البشرية المادية ، وقد حقق الإنسان في هذا القرن من التقدم العلمي والتطور المادى ما لم يحققه في القرون السابقة ، وحسبه أنه انتقل من الأرض الى السماء ، ولكنه بجانب هذا أخفق إخفاقا كبيرا في مجال القيم الانسانية ، وكل ما أحرزه من تقدم لم يزده إلا ضراوة وحيوانية ، ومعنى هذا أن جميع النظم والقوانين والمناهج التى وضعت لتربية الانسان واصلاحه فشلت فشلا ذريعا ومن أجل هذا تنادى المصلحون لاعادة بناء الانسان من جديد ، والمنهج الوحيد لاصلاح النفس الانسانية هو منهج الله المتمثل في كتابه وسنة رسوله ، والوسائل للانتصار على النفس والتسامى بها هى طاعة الله وعبادة الله وفي مقدمتها الصوم ، ثم اضاءتها وتحريكها بالقرآن الكريم (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) و (الصوم جنة) .

رضوان البيلى

دراسات في القصص القرآني :

المرأة ومكانها في

١ ــ للمرأة مكانها فى الحياة مع الرجل .. ونشاطها الانسانى فى الحياة مكمل لنشاط الرجل ، ولا يختلف عن نشاطه الا بالقدر الذى يختلف فيه تكوينهما العضوى وما ينشأ عن هذا الاختلاف من وجود استعدادات خاصة فى كل منهما تجعله أقدر على القيام ببعض الوظائف من صاحبه ، واكثر استعدادا له منها ..

فالمرأة والرجل هما الانسان ، كل منهما ذهب بأحد شطريه .. فهما متماثلان ، ومتغايران فى وقت معا .. وبهذه النظرة ، ينظر القرآن الكريم الى المرأة فى تشريعاته واحكامه،وفى أوامره وزواجره، وفى تعاليمه ووصاياه ، وفى حسابه وجزائه .. فهو يسوى بينهما حين يكون الحكم متعلقا بشأن انسانى ، يقوم على أصل الفطرة المركوزة فى الانسان .. ثم هو يفرق بينهما حين يكون الأمر شأنا خاصا بالرجل ، أو أمرا منوطا بالمرأة .

٢ ــ وفى القصص القرآنى ، يبرز وجه المرأة كعنصر أصيل من عناصر هذا القصص ، حيث تأخذ المرأة مكانها فيه كانسان وكامرأة معا .. فهى كانسان لها دورها الذى تشارك به فى صنع الاحداث ، وفى دفع مسيرة الحياة الانسانية ، وما يتطلبه ذلك من نشاط مادى ، وعقلى .. وهى كأنثى لها دورها فى القيام على وظيفة الامومة ، ورعاية الاطفال ، والسهر على راحتهم ، واعدادهم للحياة اعدادا جسديا ، وعقليا ، وخلقيا ..

القصص القرآني

صر محمد م ذزت

للأستاذ : عبد الكريم الخطيب

فهي انسان ، عاقل رشيد ، يزن الامور بعقله ، ويتعرف على مواقع الخير ببصيرته ، ثم الى جانب هذا العقل ، وهذه البصيرة ، ارادة قاطعة ، ورأى جميع ، يقهر الحدود ويحطم القيود ، ليعبر عن مشيئته وارادته على الوجه الذى شاء واراد .. ولهذا كانت المرأة مناطا للتكليف ، وأهلا للثواب والعقاب ، شأنها فى هذا شأن الرجل سواء بسواء ..

وفى مخاطبات القرآن الكريم للانسان بقوله تعالى : **(يايها الانسان)** خطاب للرجل والمرأة معا .. مثل قوله تعالى : **(يايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه)** (٦ الانشقاق) .

ومثل قوله جل شأنه : **(أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان .. أنه كان ظلوما جهولا)** (٧٢ : الأحزاب) .

ومثل مخاطبات القرآن الكريم للانسان ، مرادا به الرجل والمرأة ، مخاطباته للناس ، كقوله تعالى : **(يايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)** (١ : النساء) ــ وكقوله سبحانه : **(يايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا)** (٣٣ : لقمان) .

وهكذا تجىء مخاطبات الحق سبحانه وتعالى للرجال والنساء

خطابا عاما للانسان ، وللناس حيث الانسان ذكر أو أنثى ، وحيث الناس ذكور أو إناث ..

هذا ، وقد تجىء مخاطبات الله سبحانه وتعالى للرجال وللنساء مفصلة ، بمعنى أن يذكر الذكور ، وفى مقابلهم الاناث ، وفى هذا ما يجعل التوازن قائما بينهما فيما تقرر الشريعة لهما من حقوق ، وما تفرض عليهما من واجبات ، كما يقول سبحانه : (**ان المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**) . وكقوله سبحانة : (**فاستجاب لهم ربهم انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض**) .

٣ ــ وكما ان فى الرجال الأخيار والاشرار ، والعقلاء والسفهاء، فكذلك فى النساء الخيرات والشريرات ، والعاقلات والسفيهات .. أنهم جميعا ثمر شجرة واحدة ، وكما يكون فى ثمر الشجرة السليم والمعطوب ، والجيد والردىء ، فكذلك كانت شجرة الانسانية ، وما تعطى من ثمر ، بعضه صالح وبعضه فاسد ، وبعضه جيد ، وبعضه ردىء .. (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) (٣٥ الأنعام) .

وفى القصص القرآنى نماذج متعددة للمرأة فى مستوياتها المختلفة ، فى علوها واسفافها ، وفى رشدها وغيها ، وفى هداها وضلالها .. شأنها فى هذا شأن الرجل سواء بسواء ..

وتحت سقف البيت الواحد ، يعرض القصص القرآنى الزوجين ، المرأة والرجل ، وكل منهما قد أخذ طريقا غير طريق صاحبه ، فتارة يكون الرجل غويا ضالا ، غارقا فى الضلال ، على حين أن امرأته تكون على رشد وهدى ، وعلى ايمان وتقوى ، كما ذكر القرآن الكريم ذلك عن امرأة فرعون التى كانت فى صحبة هذا الانسان الذى أعماه الغرور ، فكفر بأنعم الله ، ثم تمادى فى كفره وطغيانه حتى ادعى الالوهية لنفسه ، وأبى على من تحت سلطانه الا أن يتخذوه الها يعبد من دون الله ، وقد استجابوا له ، واتبعوا ضلاله وهواه ، كما يقول سبحانه : (**فاستخف قومه فاطاعوه ، انهم كانوا قوما فاسقين**) ..

ومع هذا الجو المكفهر ، وفى وسط هذا الظلام الكثيف ، فان شعاعا من نور قد ظل مضيئا فى قلب امراة فرعون ، فأبصرت طريقها الى الحق ، ووجهت وجهها الى الخالق المعبود ، رب السموات والأرض وما فيهن ، وخرجت من سلطان فرعون ، وحررت ضميرها من تسلطه على ايمانها بالله رب العالمين ، فكان لها عند الله تعالى هذا الذكر العظيم فى القرآن الكريم ، يرى فيه المؤمنون المثل الصادق للعقل الرشيد ، والارادة القوية ، والعزيمة الماضية فى امراة يرجح ميزانها اعداد الحصا من الرجال الذين زهدوا فى عقولهم ، واتبعوا اهواءهم ، فيقول جل شأنه : **(وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ، ونجنى من فرعون وعمله ، ونجنى من القوم الظالمين)** (١١ : التحريم) وقد استجاب الله تعالى لها دعاءها ، وأعد لها بيتا فى الجنة .. فهنيئا لها ما أعطاها ربها من كريم فضله وعظيم إحسانه ..

وعلى عكس هذا ، نجد المرأة التى تلج فى الضلال والعناد ، وتأبى أن تفتح عينيها لأنوار الحق التى تتلألأ فى البيت الذى يضمها مع زوجها ، فتركب رأسها ، وتأخذ طريقها مع الغواة الضالين ، وترد معهم موارد الهالكين .

فهذه امرأة نوح عليه السلام ، تتأبى عليه أن تستجيب لدعوة الحق التى يدعو بها ، وتصر فى عناد لئيم الا تنصر دعوته ، والا تكون فى جبهة الايمان مع المؤمنين الذين استجابوا له .. ومثل امرأة نوح امرأة لوط التى أبت أن تأخذ مكانها مع هذا النبى الكريم ، وأن تقفو أثره وتتبع خطوه ، وتكون دعوة من دعوات الحق والخير التى يدعو اليها ..

وقد عجل الله تعالى للمرأتين العقاب فى الدنيا ، وأعد لهما العذاب الاليم فى نار جهنم فى الآخرة .. فيقول سبحانه عن امرأة نوح وامرأة لوط ، وقد ضربهما الله تعالى مثلا للكفر والضلال ، وما يلقى الكافرون والضالون : **(ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين)** .

انهما امرأتان فى بيت النبوة ، كل واحدة منهما امرأة نبى ، تملأبيته أنوار السماء ، وتغدو وتروح فيه ملائكة الرحمن ، وهى تشهد هذا وتحضره ، ثم هى مع هذا تأبى الا جماحا ونفارا عن الحق والخير ، والا امعانا واصرارا على الضلال والكفر ..

٤ — وهذا موقف تبدو فيه المرأة ، وكأنها خارجة على طبيعتها منحرفة عما ينبغى أن يكون منها من القيام وراء زوجها تشد أزره ،

وتأخذ بناصره ، وخاصة اذا كان بالمكان الذى يدعو فيه الى الخير ، ويبشر بالرحمة والمودة ، ثم لا يجد من الناس الا نفورا منه ، واستخفافا به ، وعدوانا عليه ، انها ان لم تنتصر له فى تلك الحال لشخصه وللحق الذى يدعو اليه ، فلتنتصر له فى شخص رجلها وأبى أبنائها .. فان لم يكن منها هذا أو ذاك ، فلتعطفها عاطفة الرحمة من الضعيف الى الضعيف ، فالمرأة بطبعها ضعيفة تكره التسلط،والبغى، يتربى فى حجرها الانسان فى أضعف احواله ، فتغذوه بحنانها ، وتكسوه برحمتها وعطفها ، وتسهر عليه بقلبها وعقلها .. والنبى الكريم ، الذى سكن اليها وسكنت اليه فى حال قد اجمعت عليه فيها قوى الشر والبغى ، تنوشه بألسنتها ، وترميه بالحقد والشنآن من أعينها ، وتلقاه بألوان الضر والأذى فى كل موقف يقفه وكل سبيل يسلكه .. وتلك حال من شأن المرأة فيها أن تكون أرق قلبا وألين جانبا من الرجال ..

وعلى أى فلا بد أن تقيم الحياة فى المجتمع الانسانى شواهد للمنحرفين من الرجال والنساء على السواء ..

فأمرأة نوح وامرأة لوط مثلان للشواذ المنحرفات من النساء .. فاذا كان فى النساء ــ وهذا فى الكثير الغالب ــ من يكن مع رجالهن اينما كانوا ، فان فيهن هذا الصنف المشاكس المخالف الذى لا يرضى أن يعيش فى غير الخلاف والمشاكسة .. واذا كان كثير من النساء قد ابى عليهن عقلهن ورشدهن أن ينسقن فى طريق السفه والضلال الذى ركبه أزواجهن ، فان كثيرا منهن أيضا قد التقين مع أزواجهن على الباطل ، وتقاسمن معهم الشر الذى يغرسونه فى منابت الخير .. وفى امرأة أبى لهب المثل لهذا ، فقد كان لها فى القرآن الكريم مع زوجها أسوأ المثل للشر يجتمع الى الشر ، والسفه يتآخى مع السفه .. فيقول سبحانه وتعالى : **(تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، فى جيدها حبل من مسد)** (سورة المسد) .

٥ ــ ثم اننا نجد فى القصص القرآنى المرأة (الأنثى) تستجيب لطبيعتها فى طلب الزوج ، وفتح منافذ وصوله اليها ، فى تلطف ومداراة ، من غير أن يخدش حياؤها ، أو تجرح كبرياؤها ، فتبدو مطلوبة وهى طالبة وتظهر متمنعة وهى راضية .. وهذا ما يقصه علينا القرآن الكريم عن ابنة النبى الكريم شعيب عليه السلام ، مع موسى عليه السلام حيث يقول سبحانه : **(ولما ورد ماء مدين وجد عليه**

أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهما امراتين تذودان ، قال ما خطبكما ؟ قالتا لا نسقى ، حتى يصدر الرعاء ، وأبونا شيخ كبير .. فسقى لهما ، ثم تولى الى الظل ، فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير) (٢٣ و ٢٤ القصص) .

فالمراتان اللتان‌تذودان غنمهما ، هما ابنتا شعيب عليه السلام، وقد سقى لهما موسى ، دون أن يعلم من ابوهما .. (فجاءته احداهما تمشى على استحياء ، قالت إن ابى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) (٢٥ : القصص) لقد ارسل شعيب احدى ابنتيه لتدعو هذا الطارىء الغريب الذى سقى لهما ، ليكون فى ضيافته يوما ، أو بضعة أيام .. (فجاءته احداهما تمشى على استحياء ..) لقد تجسد الحياء حتى لكأنه بساط تمشى عليه .. انها لا تمشى على الارض ولكنها تمشى على حياء ، تتعثر فيه خطاها ويضطرب كيانها .. فاذا وصلت الى حيث يجلس موسى ، خاطبته فى خفر ، وعفة وحياء قائلة : (ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) .

ويستجيب موسى لهذه الدعوة الكريمة ، ويمشى بين يدى تلك الابنة التى حملت اليه دعوة أبيها ، حتى يلتقى بشعيب ، ويأنس اليه ، ويعرف كل منهما صاحبه ، ويعلم شعيب سبب مجىء موسى فارا من مصر الى أرض مدين ، فيقول له شعيب مطمئنا : (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) (٢٥ : القصص) .

وهنا تجدها ابنة شعيب فرصة فى الامساك بهذا الرجل القوى الأمين أن يفلت : (قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين) .

إنها هى نفس الابنة التى بعث بها ابوها الى موسى لتدعوه الى ابيها ، لينزله منزل الضيفان ، وهو الغريب المنقطع عن أهله ..

٦ ــ وفى القرآن نجد المرأة (الأم) التى تفيض مشاعرها بعاطفة الأمومة ، فتذهل معها عن كل شىء ، وتنسى معها كل شىء .. فهذه امرأة فرعون ، وقد جاء الملأ من أعوان فرعون بهذا الوليد من بنى ــ اسرائيل ــ وهو موسى عليه السلام ــ ليقتله كما يقتل غيره من مواليد بنى اسرائيل ، وما ان تكاد المرأة ترى الوليد الذى التقطوه من اليم ، يعرض للقتل ، حتى تصرخ فيها عاطفة الأمومة ، ولا تحفل بما قرره فرعون فى أمر هؤلاء المواليد ، ولا ترهب سلطانه، وما قد تلقاه من مصير ، فتقول : (قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه ، عسى

ان ينفعنا أو نتخذه ولدا) (٩ القصص) ويفيق فرعون من هـــذه المفاجأة وتحرك هذه الكلمات فى نفسه عاطفة الأبوة التى حرمه الله منها ، فيمسك عن قتل هذا الوليد ، أرضاء لزوجـــه ، وترضيـــا لمشاعرها وقد حرمها الله الولد منه .

٧ ـــ ومن هذا نرى أن المرأة نســـيج متلاحـــم من التركيـــب الطبيعى للحياة الانسانية ، وانها تأخذ مكانها فى القصص القرآنى كانسان ، وكأنثى معا .. أما ، وزوجة ، واختا ، وابنة ، تقـــوم بوظيفتها فى الحياة ، بمالا يخرج عن طبيعتها كأنثى ، فتهتدى ، وتضل وتستقيم وتنحرف ، وهى فى جميع احوالها انثى تنـــاظر الرجـــل ، وتقاسمه الحياة من غير أن تزاحمه فى وظيفته كرجل ، ومن غير أن يزاحمها الرجل فى وظيفتها كأنثى .. وبهذا تنتظم حيـــاة الجسد الاجتماعى ، الذى يقوم كل عضو فيه بوظيفته التى لا يقوم بها غيره ، والتى ان كلف القيام بوظيفة غير وظيفته عجز ، ودخل من عجزه هذا الاضطراب والاختلال فى توازن الجسد كله .

والقصص القرآنى لا يستجلب المرأة استجلابا لاثارة العواطف، وتهييج المشاعر ، كما هو الشأن الغالب فى القصص الأدبى ، الذى تستجلب له المرأة لاثارة الغرائز ، وتهييج المشاعر ، واسترضاء القراء لهذا القصص ، أو المشاهدين له فى عمل مسرحى أو سينمائى .

فالقرآن اذ يذكر المرأة فى قصة من قصصه فانما يستدعيهـــا من الواقع الذى كان مشهودا فى يوم من الأيام ، ثم يحركها وينطقها بما كانت قد تحركت أو نطقت به ..

فكل امرأة جاء ذكرها فى القصص القرآنى ، سواء ذكرت باسمها ، كمريم ابنة عمران ، أو بصفتها كامرأة نوح ولوط ، وأبى لهب وكامرأة فرعون ـــ كل امرأة من هؤلاء كان لها مكانها فى الحياة ، وكان لها دورها على مسرح هذه الحياة ـــ فهى ـــ والأمر كذلك ـــ حقيقة تاريخية ، لا شك فيها ولا امتراء ، وصورتها فى القصة القرآنية ، هى صورة مصغرة لها ، تحمل أبرز ملامحها ، وأوضح صفاتها .. فما ذكر القرآن الكريم فى قصصه الا الحق ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : (**وبالحق أنزلناه ، وبالحق نزل**) (١٠٥ : الاسراء) .. انه كلام الله ، والله تعالى هو الحق ، وكلامه الحق : (**قوله الحق وله الملك**) (٧٣ : الأنعـــام) .. (**والله يقول الحق وهو يهـــدى السبيل**) .



نقد ابن كثير للإسرائيليات

للأستاذ : اسماعيل سالم عبد العال

(٢)

أوضحت فى المقال السابق الذى نشر بالعدد رقم ١٠٧ أقسام الاسرائيليات وموقف ابن كثير منها :

فالأول : ما علمنا صحته مما بأيدينا من الحق . وهو صحيح مقبول .

والثانى : ما علمنا كذبه مما عندنا من الأدلة الصادقة . وهو مردود مرفوض .

والثالث : وهو المسكوت عنه . لا نؤمن به ولا نكذبه . وتجوز روايته .

ونزيد الأمر وضوحا — فى هذا المقال — فيما يتعلق بالقسم الأخير .

ونعرض منهج ابن كثير فى نقده للاسرائيليات .

من الأمور البدهية أن دين الاسلام قد كمل فى عقيدته وشريعته ومنهاجه منذ انتقل المبلغ الأعظم — صلى الله عليه وسلم — الى الرفيق الأعلى .

واذا كان من المستحيل — عقلا — أن تمن ّ قناة اضمحل ماؤها ، وتعكر وردها وقل خيرها على نهر فاض ماؤه ، وصفا ورده ، وكثر خيره ، فمن المستحيل كذلك أن تضيف الاسرائيليات شيئا ذا بال يكمل ديننا بعد نقصان أو يوضحه بعد ابهام !

ان من الخطأ البين الذى وقع فيه الكثيرون من المفسرين — غفر الله لهم — أن توضع كلمات اسرائيلية لا

وزن لها بجوار آيات الله على أنها تفصيل لمجمل أو توضيح لمبهم !

ذكر ابن كثير سبب رفضه للاسرائيليات فقال عند تفسير قوله تعالى : « **والقى الالواح واخذ برأس اخيه يجره اليه** » (١) .

« روى ابن جرير عن قتادة فى هذا قولا غريبا لا يصح اسناده الي حكاية قتادة . وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء ، وهو جدير بالرد ، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض اهل الكتاب ، وفيهم كذابون ، ووضاعون وأفاكون ، وزنادقة » (٢) .

وعقد موازنة بين علمائنا وعلماء اهل الكتاب فقال : « فى القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة ، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الائمة والعلماء ، والسادة ، والأتقياء والبررة ، والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه ، وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه ، من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه ، وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين ، وغير ذلك من اصناف الرجال ، كل ذلك صيانة للجناب النبوى والمقام المحمدى خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم أن ينسب اليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه » (٣) .

وهذا المنهج الجيد الذى سار عليه ابن كثير فى تفسيره نجده أيضا مطبقا فى موسوعته الكبرى : (البداية والنهاية) فى التاريخ .

واذا كان المؤرخون يتسامحون فى ذكر كثير من الأخبار الواهية ، ويجمعون بين الغث والسمين ، والسقيم والصحيح بحجة (أن من نقل إليك فقد حملك) فان ابن كثير ـ وهو المحدث المدقق ـ قد أعرض عن الأفك الاسرائيلى الفاضح ، والأخبار التى لا يقبلها عقل ولا يقرها نقل . غير انه اذا ذكر شيئا من الاسرائيليات التى أذن الشارع فى نقلها مما فيه بسط لمختصر وتسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة فى تعيينه ، فانه يذكره على سبيل التحلى لا على سبيل الاحتجاج إليه ، والاعتماد عليه ، وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عيه وسلم ـ ما صح نقله أو حسن ، وما كان فيه ضعف يبينه (٤) .

قد يشعرك كلام ابن كثير هذا ، بأن تشدده قد قل ، وحدته قد هدأت عما رأيناه فى التفسير . وهذا حق . وما كنا نود أن يذكر شيئا من الاسرائيليات لا على سبيل التحلى ولا غيره .

وهذا الاحساس جال فى خاطر ابن كثير ، فعاد وقرر أنه قد اتخذ منهجا فريدا فى البعد عن الاسرائيليات والخرافات ، وانكار ما

خالف ديننا وابطاله (وترك ما لا فائدة فيه مما قد يتزاحم على علمه ، ويتزاحم فى فهمه طوائف من علماء أهل الكتاب مما لا فائدة فيه الكثير من الناس اليه ، وقد يستوعب نقله طائفة من علمائنا ، ولسنا نحذو حذوهم ، ولا ننحو نحوهم ، ولا نذكر منها الا القليل على سبيل الاختصار ونبين ما فيه حق مما وافق ما عندنا ، وما خالفه نوقع فيه الانكار)(٥) .

ولعل هذا هو السبب فى وقوف ابن كثير طويلا أمام الروايات التى ذكرها فى موسوعته ، يوضح اسنادها ومتنها ، وصحتها أو ضعفها ولا يقبل الروايات على علاتها بل يناقشها ، ويدقق فيها ، باعتباره علما من أعلام الحديث .

وهو منهج فريد فى دراسة التاريخ لولا ما فاته من الاسرائيليات فى (البداية) وكذلك التفسير وهو ـ على كل حال ـ قليل . وسنذكر الاسرائيليات التى فاتته فى تفسيره فيما بعد ، ونناقشها ان شاء الله .

منهج ابن كثير فى نقد الاسرائيليات :

لمنهج ابن كثير فى نقد الاسرائيليات جوانب متعددة :

أ ـ نقد يشير اليها ويعرض عنها.
ب ـ أو يذكرها منسوبة الى (بعض المفسرين) مفندا لها.

جـ ـ أو ينسبها الى قائلها مع مناقشة لها وبيان لبطلانها .

أ ـ الاعراض عن ذكر الاسرائيليات :

يذكر ابن كثير فى كثير من الآيات أنه قد قيل ههنا اسرائيليات ضربنا عنها صفحا . وقد علل وجهة نظره فى عدم ايرادها بأن بعض الروايات يستحى من ذكرها ، وبعضها الآخر لا يذكره خشية الاطالة ، أو لما فيه من اختلاق وافتراء ، أو لقلة ثمرته .

وهذه نماذج لما أعرض عنه :

١ ـ قال فى تفسير قوله تعالى : **(فخسفنا به وبداره الأرض)** (٦) ، « وقد ذكر ههنا اسرائيليات غريبة أضربنا عنها صفحا » (٧) .

٢ ـ وفى قصة أيوب عليه السلام ذكر كثير من الأساطير والآثار المختلفة والتى رواها الطبرى وابن أبى حاتم والخازن وغيرهم ، لكن ابن كثير يقول فى هذا :

« روى ابن أبى حاتم عن وهب بن منبه قصة طويلة ساقها ابن جرير وابن أبى حاتم بالسند عنه ، وذكرها غير واحد من متأخرى المفسرين ، وفيها غرابة ، تركناها لحال الطول » (٨) .

٣ ـ وفى تفسير قوله تعالى : **« وهل أتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب .. »** (٩) والآيات المتصلة بقصة داود عليه السلام تجد كثيرا من المفسرين ـ كالطبرى ـ على علو مكانته وشأنه ـ ومقاتل بن سليمان وغيرهما ـ يذكرون كلاما منكورا ، وقصصا ملفقا من شأنه أن يرمى الأنبياء بما ليس فيهم ، ويخل

بعصمتهم ، وجنابهم الأعلى .

لقد قالت الاسرائيليات — وبئس ما قالت — ان داود تحايل على أحد قواده ليقتله حتى يتزوج امرأته بعد ان اعجبه حسنها ، مع ان داود كان تحته من النساء — حسبما تقول الرواية — تسع وتسعون زوجة .. الى آخر هذا الكذب المحبوك ..

وقد فسرت النعاج فى الآية — علي باطلهم — بالنساء مع أن العلاقة بين الكلمتين مبتوتة .

لكن ابن كثير — وهو الحافظ الناقد — يقول عند تفسير قصة داود :

(وقد ذكر المفسرون ههنا قصة اكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه) (١٠) .

٤ — قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : **« وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب .. »** (١١) :

(وقد روى ابن جرير فى هذا المكان حديثا أسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا ، وهو حديث موضوع لا محالة لا يستريب فى ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث .

والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وامامته ؟!

وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة ابو الحجاج المزى رحمه الله بانه موضوع مكذوب ، وكتب ذلك على حاشية الكتاب .

وقد وردت فى هذا آثار كثيرة اسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها لأن منها ما هو موضوع من وضع زنادقتهم ، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحا ، ونحن فى غنية ولله الحمد ، وفيما قص الله علينا فى كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ، ولم يحوجنا الله ورسوله اليهم) (١٢) .

٥ — وفى تأويل قوله تعالى : **(فلما افاق قال سبحانك تبت إليك وانا أول المؤمنين)** (١٣) قال : (وقد ذكر محمد بن جرير فى تفسيره ههنا اثرا طويلا فيه غرائب وعجائب عن محمد بن اسحاق بن يسار ، وكأنه تلقاه من الاسرائيليات والله أعلم) (١٤) . . وأحجم عن ذكر هذا الأثر الغريب والعجيب .

٦ — وفى تفسير الآيات المتعلقة بذى القرنين قال عند قوله تعالى : **(حتى اذا بلغ بين السدين)**(١٥) .

(وقد ذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه اثرا طويلا عجيبا فى سير ذى القرنين ، وبنائه السد ، وكيفية ما جرى له ، وفيه طول وغرابة ونكارة فى أشكالهم وصفاتهم وطولهم ، وقصر بعضهم وآذانهم .

وروى ابن أبى حاتم عن أبيه — فى ذلك — أحاديث غريبة لا تصح اسانيدها والله أعلم) (١٦) .

٧ — وفى (تفسير ابن مردويه) تجد منكرات وغرائب يقول ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : **(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)** (١٧) : (وقد روى ابن مردويه عند تفسير هذه الآية عن أبى ذر حديثا مطولا غريبا عجيبا جدا) (١٨) وأعرض عن ذكره .

٨ ــ لقد وقع كثير من المفســرين ــ وعلى رأسهم الطبرى ــ فــى اسرائيليات ما كان لهم أن يضمنوها كتبهم أو يسودوا بها صحفهم .

من ذلك ما يتعلق بقصــة زواج النبى صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضى اللــه عنها . ولقد راج ــ للاسف الشديد ــ قصص اسرائيلى مخرف حول قصة الزواج وأسبابه قديمــا ــ كتفسير الطبرى ومقاتل ــ وحديثا كما نجد فى بعض كتابات المعاصرين .

يقول بعض من تصدوا للكتابة عن زوجات النبى صلى الله عليه وسلم حديثا :

« أفينكر على بشر رسول أن يرى مثل زينب فيعجب بها ؟ وماذا يطلب من مثله فى ســمو خلقه ، وعفــة ضميره أكثر من أن يشيح بوجهــه عمن أعجبته وهو يسبح باسم اللــه العظيم مقلب القلوب ؟ وأى ضبــط للنفس ينتظر من بشر رسول أكثر من أن يجيئه زيد فيستأذنه من جديد فى طلاقها فيأبى عليه الا أن يمســكها ويتقى الله ؟! » (١٩) .

وهذا كلام لا يليــق بقدر النبى ومقامه الكريم ، وهل يصل الأمر الى حد يدافع فيه هــؤلاء القوم عــن اسرائيليات مكــذوبة مفضوحــة ، وضعت افتراء على رســول الله ، وعلى كتاب الله ؟!

لقد بلغ الجهــل والحمق ببعض الناس أن وضع كتابا ــ كما يقــول ابن القيم ــ فى العشق ، وذكر فيه عشق الأنبياء ، وذكر قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زينب !

يقول ابن القيم ــ صديق ابن كثير الحميم وزميله فى الدراسة :

(وأما ما زعمه بعض من لم يقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم حق قدره أنه ابتلى به فى شأن زينب بنت جحش ، وأنه رآها فقال : سبحان مقلب القلوب وأخذت بقلبه ، وجعــل يقول لزيد ابن حارثة أمسكها حتى أنزل الله عليه (واذ تقول للذى أنعم الله عليه ..) الآية .. فظن هــذا الزاعم أن ذلك فى شأن العشق . وصنف بعضهم كتابا فى العشــق ، وذكر فيه عشق الأنبياء ، وذكر هذه الواقعة وهذا من جهل هذا القــائل بالقرآن وبالرسل ، وتحميله كلام الله ما لا يحتمله ، ونسبته رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى مــا براه الله منه) (٢٠) .

ان الغرض الأساسى فى قصــة زواج زينب رضى الله عنها هو احلال زواج الرجل من زوجة ابنه بالتبنى ، وكانت العادة المتأصلة فى نفــوس العرب تأبى ذلك . فندب الرســول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهــو القدوة الحسنة لكسر هذا التقليــد الذى استشرى فى أرجاء الجــزيرة العربية ولا يقره شرع الله الحكيم .

فاذا ورد ــ بعد ذلك ــ قصص يحاك حول رسول الله ، واعجــابه بزينب وانها طلقت ليتزوجها الرسول لوقوعها فى قلبه ، فهو محض افتراء وافك مبين .

حقيقة كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، وكان أحبهن اليه عائشة رضى الله عنها ولم تكن

تبلغ محبته لها ، ولا لأحد سوى ربه نهاية الحب كما يقول ابن القيم . وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لو كنت متخذا من اهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا) وفى لفظ (وان صاحبكم خليل الرحمن) .

وها هو ابن كثير يعقب على تلك الروايات التى لفقت من قبل فيقول :

(ذكر ابن جرير ههنا آثارا عن بعض السلف رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها .

وقد روى الامام احمد ههنا أيضا حديثا من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضى الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضا) (٢١) .

فهل يجوز لأحد من المستشرقين أو من يدور فى فلكهم أن يعتبر هذه الروايات المكذوبة ، والاسرائيليات الهابطة ، حقائق يجب الدفاع عنها بعد أن قال ابن كثير وزميله ابن القيم منذ ما يزيد على ستمائة عام أنها غير صحيحة ؟!

يقول الدكتور مصطفى زيد ـ مد الله فى عمره ـ وهو يرد على هذا البهتان :

(ولسنا ندرى كيف تبلغ بهم الجرأة الى حد الدفاع عن اسرائيليات لفقت قبل الطبرى ..؟) ثم لماذا يحتجون بمفسر كالزمخشرى لم يعرف بالحفظ والرواية فى أمر يحتاج اليهما ويغفلون مفسرا حافظا محدثا هو الحافظ ابن كثير) (٢٢) . ثم نقل النص الذى أوردناه عن ابن كثير سابقا .

هذه بعض الاسرائيليات التى اعرض عنها ابن كثير ولم يذكرها فى تفسيره مع اشارته الى من ذكرها وتنبيهه على عدم صحتها .

لكننا نجده يذكر فى مواضع أخرى كثيرة من تفسيره اسرائيليات منسوبة الى قائليها ويناقشها ويدحضها سندا ومتنا . **وهو ما سنبينه فى مقال آخر ان شاء الله .**

---

(١) الأعراف : ١٥٠/٧
(٢) تفسير ابن كثير : ٢٤٨/٢ ط الحلبى.
(٣) المصدر السابق : ٨٩/٣
(٤) انظر البداية والنهاية : ٦/١
(٥) المصدر السابق : الموضع نفسه .
(٦) القصص : ٨١/٢٨
(٧) تفسير ابن كثير : ٤٠١/٣
(٨) المصدر السابق : ١٨٨/٣
(٩) ص : ٢١/٣٨
(١٠) تفسير ابن كثير : ٢٠/٤ ، ٢١ .
(١١) الاسراء : ٤/١٧
(١٢) تفسير ابن كثير : ٢٥/٣
(١٣) الأعراف : ١٤٣/٧
(١٤) تفسير ابن كثير : ٢٤٥/٢
(١٥) الكهف : ٩٣/١٨ .
(١٦) تفسير ابن كثير : ١٠٤/٣
(١٧) آل عمران : ١٠٦/٣
(١٨) تفسير ابن كثير : ٣٩٠/١
(١٩) انظر : نساء النبى : ١٤١ دار الهلال
(٢٠) زاد المعاد : ١٥١/٣
(٢١) تفسير ابن كثير : ٤٩١/٣
(٢٢) سورة الأحزاب عرض وتفسير : ١٥١ ، ١٥٢ طبعة دار الفكر العربى .



للدكتور عبد الله محمود شحاته

هاجر المسلمون من مكة الى المدينة فرارا بدينهم وتركوا ارضهم وأموالهم واخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . وفى المدينة وضعت دعائم الدولة الجديدة وبنى المسجد النبوى ، وكان دارا للعبادة وبرلمانا للشورى ومقرا لاستقبال الوفود ، ومنتدى للاجتماع ، ومؤسسة اجتماعية تربويـــة للتعليم والتهذيب .

وكان القرآن فى المدينة يشرح العقيدة ويوضح أصول الدين واهداف التشريع وحقوق الأسرة ويبين نظام العلاقات بين الأفراد والجماعات .

والاسلام فى طبيعته نظام عام ودعوة عالمية (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقد وقفت قريش فى سبيل هذه الدعوة ، وعرضت المسلمين لجميع صنوف الأذى والاضطهاد وصادرت أموالهم وحقوقهم ، والقانون الدولى يبيح للدول أن تقتص لنفسها من غرمائها ، وقد أباح الله للمسلمين أن يقاتلوا ، دفاعا عن أنفسهم وردعا لطواغيت الكفر وتحطيما لكبرياء الظالمين ، قال تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) .

قافلــة أبى سفيــان

نمى الى علم المسلمين أن قريشا أسهمت فى تجارة عظيمة قدر ما فيها بخمسين الفا من الدنانير وأن هذه التجارة تسير فى قافلة يحرسهـا ثلاثون رجلا أو أربعون برئاسة أبى سفيان وستذهب هذه القافلة الـى الشــام للتجارة ثم تعود الى مكة ، ولما كانت المدينة على طريق الشام كان لا بد لتجارة قريش أن تمر عليها ، وكان المسلمون يريدون أن يتعرضوا لهذه التجارة فى ذهابها فسافرت قبل أن يدركوها وحين قاربت التجارة العودة ، ندب الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه للتعرض لهذه التجارة وقال هذه عير لقريش اخرجوا اليها عل الله أن ينفلكموها (١) .

نــذير الى قــريش :

علم أبو سفيان بخروج المسلمين لاعتراض قافلته فأرسل الى أهل مكة يستنفرها لحماية القافلة واستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى وبعثه مسرعا الى مكة ، وما أن وصل اليها ضمضم حتى قطع أذنى بعيره وجدع أنفه وحول رحله ووقف هو عليه وقد شق قميصه من قبل ومن دبر وجعل يصيح :

يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة (٢) أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث .

فخرجت قريش على الصعب والذلول وكان أبو جهل يستنفر الناس عند الكعبة ويحثهم على الخروج من مكة لقتال المسلمين وحماية التجارة .

نجــاة القافلــة :

نجا أبو سفيان بتجارته وسار متبعا ساحل البحر ، وارسل الى قريش يشير عليهم بالرجوع ، فقال أبو جهل : لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم فيه ثلاثا ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالــون يهابوننا أبدا ، وقد عاب القرآن على المشركين غرورهم بقوله : (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط) .

جيش المســلمين :

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم فى أصحابه من المدينة لثمان خلــون من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة ، وكانت أمــام المسلمين فى مسيرتهم رايتان سوداوان ، وكان معهم ثلاثة أفراس وسبعون بعيرا يتعاقبون عليها وكل أربعة يعتقبون بعيرا . وكان حظ النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا كحظ سائر أصحابه . فكان هو وعلى بن أبى طالب ومرثد بن أبى مرثد الغنوى يعتقبون بعيرا .

وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، مائتان ونيف وأربعون من الأنصار والباقون من المهاجرين .

جيش المشركين :

تميزت قريش فى بلاد العرب بالجاه والمنزلة الرفيعة وتمتعت بالسيادة الدينية والسياسية وكان اهل مكة يتميزون بالغنى والثروة والتدريب على الحروب ، وكانوا على علم تام بضروب القتال كما هى الحال فى العالم فى ذلك العصر ، فكانوا يعرفون فنونه وأدواته كما تعرفها الأمم المحيطة بهم ، وبذلك أصبحت مهمة المسلمين فى انتزاع النصر من قريش شاقة عسيرة .

كان جيش قريش ينطق بما لها من قدرة اقتصادية وعسكرية ، فكان عدد فرسانها مائة فارس ، وكان مشاتها ثلاثة أضعاف المشاة من أصحاب الرسول، وكان معها من الأبل ما يكفى لأن يذبحوا لطعامهم عشرة كل يوم ، وكان كل ما يعرف من أنواع الســـلاح إذ ذاك متوافرا لها بسبب ثرائها ، واستعدادها الدائم للحرب وخصوصا هذه المعركة .

مقارنـــــة :

كان جيش قريش أقوى وأكثر ولكن المسلمين كان معهم سلاح لا يملكه أعداؤهم :

معهم الله : أيدهم بنصره وأرسل النوم الى عيونهم ليلة المعركة ، وأنزل المطر ينعش أبدانهم ، والملائكة تؤيدهم (اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط عـــلى قلوبكم ويثبت به الأقدام) .

معهم الله : أراد أن يجعل من بدر فرقانا بين الحق والباطل وأن تكون بدر هزيمة للمشركين ونصرا للمؤمنين وأن تدفن قريش كبرياءها وجبروتها وسطوتها فى معركة بدر .

(واذ يعـــدكم الله إحدى الطـــائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحـــق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) .

معهم الله : نصروا شرعه ونفذوا تعاليمه وأيدوا نبيه فبـــارك اللـــه المسلمين وأيدهم بروح من عنده .

(وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم) .

معهم الله : كان يؤيد خطاهم ويبارك عملهم ويقوى جنانهم فتنهال سيوفهم على رقاب المشركين تحصدهم حصدا .

(اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الـــذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) .

معهم الله : ومن وجد الله وجد كل شيء ومن فقد الله فقد كل شيء ، عند الله جنود كثيرة وأسلحة متعددة عنده سلاح الملائكة وسلاح الرعب والخوف وسلاح الريح العاتية (وما يعلم جنود ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر) .

كيف دارت المعركـــة :

تلاقى الفريقان عند قرية بدر (٣) . وقد تقدم جيش المسلمين من الشمال الى الجنوب ، فلما وصل الى ساحة بدر كانت على ميمنته سلسلة من التلال

المرتفعة وكذلك على ميسرته سلسلة أخرى أقل ارتفاعا .

وتقدم جيش المشركين ، وكان أمامه كثبان من الرمل تقع غرب وادى بدر وعلى ميسرته أرض صخرية قليلة الارتفاع .

فى السهل الذى بين هذه الجبال وهذه الكثبان وقع أول تصادم بين القوتين ، وكانت الليلة التى سبقت المعركة شاتية ، فهطل مطر غزير فى ناحية قريش ، وكان أقل غزارة فى ناحية المسلمين ، مما جعل مهمة قريش فى التقدم الى ساحة بدر أشق من مهمة المسلمين ، ولما تقدموا فى الصباح استقبلت المشركين الشمس من المشرق وهم متجهون اليها ، فكانت من العوامل الطبيعية المؤذية لهم . نشبت المعركة كما تنشب المعارك فى ذلك العصر ، بفرسان يتقدمون الصفوف ويتصارعون ، فتقدم ثلاثة من بنى هاشم ، ولقيهم ثلاثة من صناديد المشركين ، وفى دقائق معدودة فتك المسلمون بأندادهم فكان هذا استفتاحا حسنا للقتال . وهنا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك الأمر الحكيم ، أمر الكتيبة الاسلامية أن تتراص وألا تتحرك من مكانها ، وأن تصد بالنبال خيل العدو وهى تأتيها من جوانبها فرأت قريش لأول مرة كيف تثبت الراجلة أمام حملات الخيالة غير هيابة ولا مرتبكة . وللخيالة رهبة عظيمة فى هجومها يعرفها الذين مارسوا الحرب وشاهدوها .

دعاء الرسول وبلاؤه :

حمى وطيس المعركة ورسول الله يدعو ويحرض على القتال ، ينظر الى المشركين فيقول . اللهم هذه قريش جاءت اليك بخيلها ورجلها تحارب دينك وتكذب نبيك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى .

ويلتفت الى المسلمين فيقول : اللهم هؤلاء أتباعى حفاة فاحملهم عراة فاكسهم جياع فأطعمهم ، اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض .

والتفت النبى لأصحابه قائلا « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة » .

وفى حال النبى وأصحابه هذه نزلت هاتان الآيتان :

(يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وأن يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين) .

وكان صلى الله عليه وسلم ينظم الصفوف ويحث على الثبات ويبشر المؤمنين بالنصر ، وتناول حفنة من التراب فرمى بها فى وجوه الكافرين وقال : شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس فكانت حفنة التراب كأنها قنابل مسيلة للدموع فصار كل كافر يفرك فى عينيه والمسلمون يضربون أعناق الكافرين ويقطعون رقابهم . قال تعالى : (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) .

نتيجة المعركة :

انتهت معركة بدر بهزيمة المشركين فانطلق المسلمون فى اثرهم واثخنوا فيهم الجراح والقتل ، لا يلتفتون الى نهب ولا سلب ، كعادة العرب فى ذلك

العصر ، حتى انقلبت العظمة القرشية فرارا مخزيا ، وانكسارا غير مسبوق لقريش .

كانت قتلى قريش فى هذه المعركة خمسة أمثال قتلى المسلمين وكان اسراهم مثل قتلاهم ، ولكن ليس المهم فى بدر عدد من دفنت قريش من القتلى ولا عدد الأسرى ولا مقدار الغنائم ، وإنما المهم هو أن قريشا دفنت فى وادى بدر سيادتها على الجزيرة العربية ، وليس الأمر الخطير هو أن المسلمين أخذوا سبعين أسيرا ، ولكن الأمر الخطير هو أن هامات المشركين العالية ورءوسهم المرتفعة وأوداجهم المنتفخة قد شدت بالأغلال والقيود وسار المشركون وراء دواب المسلمين وخيولهم وقد طأطئوا رءوسهم واذلوا جباههم واحنوا هاماتهم أمام قدرة المسلمين . وانتقلت القدرة العسكرية من مكة الى المدينة .

ارادة الله :

أراد الله أن تكون بدر ملحمة لا غنيمة ، وان تكون موقعة بين الحق والباطل ليحق الحق ويثبته ، ويبطل الباطل ويزهقه . وأراد أن يقطع دابر الكافرين فيقتل منهم فريق ويؤسر فريق ، وتذل كبرياؤهم وتدول دولتهم وتخفق راية الاسلام عالية جهارا نهارا عن استحقاق لا عن مصادفة وبالجهد والجهاد ، لا بالمال ولا بالأنفال .

نعم أراد الله للفئة المؤمنة ان تصبح أمة وان تصبح دولة ، وان يصبح لها سلطان وقوة . وأراد لها أن تقيس قوتها الحقيقية الى قوة اعدائها فترجح ببعض قوتها على قوة أعدائها وأن تعلم أن النصر ليس بالعدد وليس بالعدة وليس بالمال والخيل والزاد ، انما هو بمقدار اتصال القلوب بالقوة الكبرى التى لا تقف لها فى الارض قوة ابدا .

أراد الله أن تمضى بدر فى التاريخ كله قصة نصر حاسم ، قصة فرقان بين الحق والباطل ، قصة انتصار الحق على أعدائه المدججين بالسلاح ، المزودين بكل زاد ، وهو فى قلة من العدد ، وضعف فى الزاد والراحلة .

قصة انتصار القلوب حين تتصل بالله وحين تتخلص من ضعفها الذاتى الا ان غزوة بدر بملابساتها هذه ، لتمضى مثلا فى التاريخ ، الا وانها لتقرر دستور النصر والهزيمة ، وتكشف عن أسباب النصر وأسباب الهزيمة . الأسباب الحقيقية لا الأسباب الظاهرة المادية . الا وانها لكتاب مفتوح تقرؤه الأجيال فى كل زمان وفى كل مكان ، لا تتبدل دلالتها ولا تتغير طبيعتها فهى آية من آيات الله ، وسنة من سننه الماضية فى خلقه ما دامت السموات والأرض .

الشورى فى معركة بدر

الاسلام دين حرية العقيدة وحرية الرأى (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) .

ومن مبادىء الاسلام ونظمه الشورى ، قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) .

وفى بدر ظهر مبدأ الشورى واضحا ظاهرا ، استشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى مبدأ القتال هل يقاتل أم يرجع ، وذلك أن المسلمين

خرجوا للاستيلاء على قافلة أبى سفيان ثم فرت القافلة واصبحوا أمام جيش مدرب بأحدث الأسلحة معد بأقوى العدد والعتاد ، فكرر عليه الصلاة والسلام طلب المشورة من أصحابه وقال أشيروا على ، فأدلى أبو بكر وعمر برأيهما ثم قام المقداد فقال : « يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معـك والله لا نقول لـك كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا أنا هاهنا قاعدون ، ولكن : اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون » .

وسكت الناس . فقال الرسول : أشيروا على أيها الناس . وكان يريد بكلمته هذه الأنصار الذين بايعوه يوم العقبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ، ولم يبايعوه على اعتداء خارج مدينتهم . فلما أحس الأنصار أنه يريدهم ، وكان سعد بن معاذ صاحب رايتهم ، التفت الى النبى الكريم وقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟

قال : أجل . قال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق . وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعـة ، فامض لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق نبيا لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد . وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، أنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، ولم يكد سعد يتم كلامه حتى أشرق وجـه الرسول بالمسرة وبدا عليه كل النشاط وقال : سيروا وابشروا فان الله قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى انظر الى مصارع القوم .

وقد عمل النبى بمشورة أصحابه أيضا فى بناء عريش له وهو خيمة من خشب تدار منها المعركة أشبه بغرفة العمليات ، وقد بنى العريش بمشورة سعد بن معاذ زعيم الانصار الذى قال عند بدء القتال :

يانبى الله الا نبنى لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله واظهرنا على عدونا كان ذلك ما احببنا . وان كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبى الله ما نحن بأشد حبا لك منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يناصحونك ، ويجاهدون معك . وأثنى محمد صلى الله عليه وسلم على سعد ودعا له بخير . وبنى العريش للنبى حتى اذا لم يكن النصر فى جانبه لم يقع فى يد أعدائه بل يسرع الى المدينة ليجد الانصار والاتبـاع مستعدين للجهاد والدفاع عن الحق وعن الدين .

وهنا نلمح وفاء المسلمين وعظيم محبتهم للنبى وصدق ايمانهم برسالته ، ففى اشد حالات الحرج فكروا فى حماية النبى وتوقيته أن يظفر به عدوه ومهدوا له سبيل الاتصال بمن خلفهم من أهل المدينة .

وقد استجاب الرسول القائد لتفكيرهم السليم عملا بمبدأ الشورى ، الذى اقره الاسلام ودعا اليه .

الشورى فى تخير مكان المعركة :

تابع الرسول صلى الله عليه وسلم مسيرته وسار مع المسلمين الـى ماء بدر فلما جاءوا أدنى ماء منها نزل محمد به ، وكان الحباب بن المنذر بن الجموح عليما بالمكان فلما رأى حيث نزل النبى قال : يا رسول الله أرايت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخـر عنه ، أم هو الرأى

والحرب والمكيدة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم ، بل هو الرأى والحرب والمكيـــدة . فقال يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزل ثم نغور ما وراءه من القلب (٤) ثم نبنى عليـــه حوضا فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

ولم يلبث النبى الكريم حين رأى صواب ما أشار به الحباب أن قام ومن معه واتبع رأى صاحبه ، معلنا الى قومه أنه بشر مثلهم وأن الرأى شورى وأنه لا يقطع برأى دونهم ، وأنه فى حاجة الى حسن مشورة صاحب المشورة الحسنة منهم .

من أسباب النصر فى بـــدر :

كان جيش المشركين ثلاثة أمثال جيش المسلمين وكان أكثر عدة وعددا ، ولكن شيئا آخر عظيما كان متوفرا لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فاستعاضوا به عما كان ينقصهم من العدد والعدة ، أما هذا الشىء العظيم فهو أمور ثلاثة :

الأول : النظام ، فان التربية المحمدية سواء أكانت فى صورة العبادة أم تلقين عقيدة التوحيد ، أم ارجاع الأمر الى الله مع حسن العمل أم الايمـــان بالمساواة فى عمل الدنيا والآخرة ، أم ايثار الشهادة فى سبيل العقيدة على الحياة وما يتعلق بها من أحوال الأهل والعشيرة وكذلك انطباع نفوسهم بطاعة الرسول وأولى الأمر منهم .

ـــ ان هذه التربية أحدثت فيهم قوة جديدة لم يكن العرب يعرفونها من قبل تلك هى قوة النظام التى رجحت بها كتيبة المؤمنين على جيش المشركين .

والثانى : القوة المعنوية التى ملأ بها الاسلام نفوسهم ، فانهم دون مشركى العرب كانوا يؤمنون بالبعث فهم لذلك لا يرون فى الموت فناء مطلقا ، بل يرون أن وراءه ـــ مع إدراك فضل الشهادة ـــ حياة أبقى وأسعد من هذه الحياة .

يرون أن روح الشهيد لا تذهب الى فناء بل تأوى الى قناديل من نـــور وتسبح حـــول العرش ، وتحيا فى حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة وتشرب من رحيقها المختوم مصداقا لقول الحق سبحانه « ولا تحسبن الذين فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هـــم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين »

ومن نماذج الشهداء ما روى أن شابا فى السادسة عشرة من عمره كان فى كتيبة المؤمنين فلما سمع الرسول يحرض المؤمنين على القتال ويعدهم الجنة قال اذن ليس بينى وبين الجنة الا هذه الثمرات ؟ وهى ثمرات كان يأكلها ، فقذفها ، وحمل بسيفه على المشركين فلم يـــزل يقاتل مستبسلا حتى لقى الموت الذى يريده وقد استشهد حارثة فى معركة بدر وسألت أم حارثة رسول الله قائلة يا رسول الله حارثة ابنى فى الجنة أم فى النار فان كان فى الجنة صبرت وان كان فى النار بكيت ما أسعفنى البكاء ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم اتق الله يا أم حارثة أنها جنان وليست جنة وان ابنك أصـــــــاب الفردوس الأعلى منها .

والثالث ـــ من أسباب النصر ـــ وحدة القيادة ، فقد كان المسلمـــون

ممتازين بها ، يتفانون فى الاخلاص والطاعة لقائدهم ، وذلك من الأمور التى ضاعفت قواهم .

ولنذكر لذلك ما حدث فى أثناء المعركة ، اذ رأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقوم الصف رجلا خارجا عن رفاقه فى الصف ، فوكزه ، فقال الرجل: أوجعتنى يا رسول الله ، فأقدنى منك ، فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال : اقتص لنفسك ، فقبل الرجل بطن النبى ، فقال النبى : ولم اذن ؟ قال يا رسول الله حضر من الأمر ما ترى فأردت أن يكون آخر عهدى بالدنيا أن يمس جلدى جلدك .

تلك أهم الأسباب التى انتصر بها المؤمنون ، ولا تظنوا أن قريشا كانت خائرة فاقدة للنظام والقوة المعنوية ، فقد كان لديها أكمل نظام يعرفه العرب ، ولها من عزتها ، ومن حب المحافظة على سيطرتها العسكرية ، ومن الرغبة فى الانتقام ، ومن العزم على الاحتفاظ بحرية التجارة وسلامة الطرق الموصلة لهذه التجارة ، ما جعلها تقاتل مستبسلة ، حتى ان رجلا منها أقسم أن يرد حوضا وسط جيش المسلمين ، فلما قطعت رجله قبل أن يصل اليه دفع نفسه الى الحوض ، وهدم جزءا منه برجله الأخرى ، ولما جرح أبو جهل مر به رجل من المسلمين وهو فى حشرجة الموت ، فوضع قدمه على عنقه ، وقال أرأيت كيف أخزاك الله ؟ قال وبم أخزانى أعار أن أقتل ؟

من هذا تدركون عظم مهمة الجيش الاسلامى فى سبيل انتزاع السيطرة العسكرية التى كانت لقريش .

وترون أن نصر المسلمين فى بدر يمكن أن يسجل لهم بحروف من نور لأنه كان أعجوبة الأعاجيب وحدثا هاما من أحداث الحرب ودليلا عمليا على أن للنصر أسبابا معنوية لا تقل أهمية عن الأسباب المادية وتظل بدر فى جبين التاريخ غرة ناصعة ، وحدثا خالدا :

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .

ولئن ذهبت بدر فانها لم تكن حادثا فريدا بل توالت بعدها الغزوات فى أحد والخندق والحديبية وغزوة تبوك وفتح مكة وغزوة حنين والطائف .

وتوالى زحف المسلمين فى القادسية ونهاوند واليرموك ومصر .

وظلت روح الايمان تدفع المسلمين الى النصر فى تاريخهم المجيد فى معركة عمورية وفى معركة حطين وفى كفاح الجزائر وفى معركة بورسعيد .

وعند الله بدور أخرى وسيظل نصره يخفق على المؤمنين ما داموا أهلا لنصرته عاملين بشرعه ملتزمين بأمره مجتنبين لنواهيه وصدق الله العظيم « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

---

(١) أن يجعلها لكم من الانفال والغنائم فيغنم المسلمون هذه التجارة تعويضا عن الخسائر الفادحة التى لحقتهم بالهجرة فرارا بدينهم بعد أن تركوا أوطانهم ودورهم وأموالهم وتجارتهم فى مكة .

(٢) اللطيمة : المال والتجارة ..

(٣) هى قرية بين مكة والمدينة ، وهى الى المدينة أقرب . وكانت بها سوق تعقد كل سنة ثمانية أيام ، وقد شاهدتها عند أداء فريضة الحج فرأيت قرية بسيطة بها استراحة للمسافرين . فقلت هنا كانت الامجاد والشهداء والنصر المؤزر من السماء .

(٤) القلب جمع قليب ، وهو البئر ، يذكر ويؤنث . وتغويرها : كبسها بالتراب حتى ينضب ماؤهـا .

اليهود .. وتآمرهم على النبي صلى الله عليه وسلم

— ٣ —

للدكتور محمود محمد زيادة

خيبر :

تقع خيبر فى شمال المدينة . على بعد مائة ميل منها ، وهى واحة كبيرة خصبة بها نخل كثير ومزارع واسعة وحصون مرتفعة مقامة بين النخيل والحقول على مرتفعات من الأرض تزيدها حصانة ومناعة .

وكان اليهود الذين أجلاهم النبى عن المدينة نزل بعضهم فى خيبر والقرى المتصلة بها ، والداخلة فى نفوذها مثل وادى القرى ، وفدك وتيماء . بينما تابع بعضهم الآخر سيرهم الى الشام ، وكان ممن ذهب الى خيبر زعماء بنى النضير .

ومن هذا الموقع بدءوا يدبرون المكايد ، وطريقة الانتقام لأنفسهم وليهوديتهم . ظانين أن يد الرسول لن تصل اليهم .

وكان من أهم ما قاموا به تحريض قريش على الرسول وتحالفهم معهم ثم ذهابهم الى غطفان ، وتحالفهم معهم أيضا ، وجمع الأحزاب . ثم اقناعهم ليهود بنى قريظة بنقض عهدهم مع الرسول . وبذلك أحكموا الحلقات وضيقوا الحصار على المسلمين ، وكان زحفا خطيرا . كان من نتائجه أن زلزل المسلمون زلزالا شديدا ، وبلغت القلوب الحناجر ، ولكن الله نصر المسلمين نصرا رائعا وتم القضاء على بنى قريظة كما سبق منا القول بذلك .

وكان من المنتظر ان يقف نشاط اليهود ، وأن يكفوا عن التآمر ، وأن يتعظوا بما حدث للقرظيين ، ولكنهم ما زالوا فى غيهم سادرين ، واستمروا فى نشاطهم وتحريضهم قبائل غطفان وغيرها على غزو المدينة

ومن هؤلاء المحرضين « سلام بن أبى الحقيق » و « أبو رافع بن الحقيق » وكلاهما من زعماء بنى النضير فقد جعل الأول لغطفان جعلا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل الثانى لبنى سعد بن بكر تمرا من خيبر ، وعلم النبى بذلك ، فبعث بعثا من الأنصار بقيادة « عبد الله بن عتيك » الذى كان يعرف اللغة العبرية ، فاستطاعوا بذلك أن يدخلوا عليه ويقتلوه ، وقد تصايح اليهود ، وخرجوا اليهم فى ثلاثة آلاف ولكنهم أفلتوا منهم ، ووصلوا المدينة سالمين، فأمر اليهود عليهم فى خيبر « أسير بن رزام » فصاريجمع الأحزاب لحرب المسلمين ، فأرسل الرسول اليه « عبد الله بن رواحة » فى جماعة فقتلوه هو ومن معه ، وكانوا ثلاثين شخصا .

وهكذا صار الرسول يرسل سراياه للتنكيل بالمتآمرين ، وفى عزمه أن يطهر شمال المدينة من هذا الرجس كما طهر نفس المدينة ، ولكن يظهر أنه أخر ذلك لأنه كان لا يزال فى حالة حرب مع مكة . فلما عقد مع قريش صلح الحديبية ، وأمن ظهره من الجنوب . زاد حنق اليهود ولجأوا الى سلاحهم الدنىء ، وهو سلاح الشائعات لبلبة الأفكار وإشاعة الأقاويل ضد الاسلام ، والمسلمين ، فما أن تناهى الى علمهم أن الرسول عقد صلحا مع قريش ــ صلح الحديبية ــ حتى أثاروا شائعة وهى أن النبى والمسلمين كانوا ذاهبين لفتح مكة ، فلما لم يقدروا لضعفهم وقلتهم عقدوا صلحا ، ويظهر أن بعض القبائل العربية فى نجد صدقت هذه الشائعة فبدأوا يستعدون للتحالف مع اليهود ، وكان علم ذلك يصل الى الرسول فيباغتهم ، ويمزقهم شر ممزق ، فتغير الموقف ، لأن القبائل الكثيرة . التى كانت تقف موقف المتربص . تبدل موقفها ، فأخذت تتقرب الى النبى صلى الله عليه وسلم بالتعاهد أو الدخول فى الاسلام . بل أخذ يفد وافدون على النبى من وراء مكة ويدخلون الاسلام مثل الأشاعرة اليمنيين الذين جاءوا ، وعلى رأسهم « أبو موسى » وشهدوا حرب خيبر .

حينئذ عزل اليهود ، وصاروا وحدهم ، فكانت الفرصة مهياة لغزوهم فسار الرسول اليهم فى شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة بألف وستمائة من المسلمين فيهم مائتان من الفرسان ، وان هذا الجمع فى مسيره الى تطهير أرض الجزيرة من عنصر اليهود أو تقليم أظفارهم . كانت علامات البشر بادية على وجوههم وصدرت أوامر رسول الله الى «عامر بن الأكوع» أن يتولى حداء القافلة ليشحذ همم القوم ويجدد نشاط الإبل . فصار عامر يحدو بهذه الأبيات :

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام ان لاقينا
إنا اذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا

وهكذا قطع المسلمون الطريق الى خيبر ، فلما تراءت لهم حصونها المنيعة الكثيرة أمر أصحابه بالوقوف . ثم رفع يديه الى السماء وقال : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين ، وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين . نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها ، وشر أهلها ، وشر ما فيها . اقدموا باسم الله .

ولا غرابة أن يأمر الرسول أصحابه بالوقوف أمام خيبر ، ويدعو ربه الذى لا ملجأ له سواه ، فتلك عادته صلى الله عليه وسلم . لا سيما أمام حصون خيبر فالاستيلاء على حصونها

ليس بالأمر الهين ، فهى تقــع فى منطقة صخرية وتربتها بركانيــة . خصبة بالنخيل والحبوب الغذائية ، وكان أهلها أعرف بشئون الحــرب وأقوى طوائف اليهود بأسا وأكثرها سلاحا ، وعندهم آلات تخريب ودفاع عن الحصون . لكنهم ككل اليهــود يغلب عليهم الجبن ، ولا يحاربون الا امام حصونهم لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر .

وكان الرسول يعرف فيهم هــذه الطبيعة ، فأعد للأمر عُدّته ، فكان وصول المسلمين الى خيبر ليلا ، فلما كان الصباح فوجىء يهودها برسول الله يقول : الله أكبر خربت خيبر . إنا اذا نزلنا بساحة قوم ، فساء صباح المنذرين . وردد أصــحابه التكبير ، فدوى صــوتهم فى الفضــاء وتردد صــداه ، فملأ الجو فزعــا ورعبا . استيقظ أهل خيبر على هذا الصوت فزعين ، فأسقط فى أيديهم واعتصموا بحصونهم الكثيرة التى منهــا ناعم ، والصــعب ، والزبير ، والنطــاة ، والقموص ، والوطيح ، والســلالم ، وظنوا أنها مانعتهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب .

ولما كان الرسول يعرف مقدار حب اليهود للمال . هددهم بإتلاف مالهم ، فأمر أصحابه بقطع نخيلهم عسى أن يحملهم ذلك على التسليم ، فلما لــم يسلموا أمر بالكف عن قطع النخيل ، وبدأ فى مهاجمة الحصون ومحاصرتها حصنا حصنا . فالطرف اليهودى فى كثرة من عدد وعُدة وعتاد ، ومناعة موقف ، والمسلمون فى استبســال وإيمان ويقين بالسيطرة على الموقف . اليهود يخرجون للقتال فى النهــار ، ويلجأون للحصن الذى عليه القتــال بالليل . فيسقط حصن ناعم ، ومــن بعده حصن القمــوص . ثم حصــن الصعب ، ثم حصن الزبير . ثم حصن النطاة الذى قتل فيه إخوة ثلاثة مــن اليهود هم مرحب، والحارث، وياسر، ثم جاء دور الوطيح والسلالم ، وكان كلما ظهر زعيم معتد بنفسه دحر أمام قوات المسلمين ، وثباتهم ، وقد أبدى على بن أبى طالب فى هــذه الغزوة شجاعــة نادرة ولعبت الفدائيــة الاسلامية دورهــا فى نفوس وقلوب المقاتلين المسلمين وقدم المسلمون فيها نمــاذج للبذل والتضــحية . كــى يتخلصوا من كل آلامهم وضيقهم من مؤامرات اليهود ضدهم ، ونجحــوا فى ذلك نجاحا رائعا بعد أن اســتمر القتــال ســبعة أيام ، وبلغ عــدد الشهداء من الجيش الاسلامى خمسة عشر شهيدا ، وقد هلك من اليهــود نحو ثلاث وتسعين .

وبعــد أن قتــل هــذا العــدد الكبير منهم ، وسقطت حصــونهم ، استسلموا وطلبوا الصــلح فدارت المفاوضات بين الفــريقين . انتهت بالشروط التى منها :

١ — أن يحقن الرسول دماءهم ، ويترك أسراهم .
٢ — ضرورة الجلاء اليهــودى عن خيبر بكل أراضيها ، وأن لا يأخذ أحد منهم أكثر من ثوب واحــد .

ولكنهم توسلوا الى رسول الله ، أن يسمح لهم بالبقاء فى بلدهم وأن يقوموا بزراعة الأرض على أن يكون لهم نصف محصولها ، وللمســلمين النصف الآخر ، وقالوا له : نحن أعلم بها منكم وأعمر لها : فصــالحهم الرسول على المناصفة وشرط عليهم أنه اذا شاء أخرجهم .

ولعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك منهــم لدوافع منها :

أولا : انه بسقوط خيبر . أمن بأن اليهود لن تقوم لهم قائمة بعد ذلك .

ثانيــا : لأن الأرض الزراعيــة التى آلت اليهم من خيبر بحــدائقها

وزروعها ونخيلها كانت تحتـاج الى الأيدى العاملة ، ولا يوجد فى المدينة من الأنصار من يستطيع القيام بحاجة أرض خيبر الى جوار بساتينهم فى المدينة .

ثالثـا : كان النبى فـى أشـد الحاجة الى جيوشه التى تعمل معه فى ميدان الحرب ، فمن الحكمـة أن يترك هؤلاء اليهود للعمل فى الزراعة تحت بصر المسلمين ورعايتهم . بعد تقليم أظفارهم بالقضاء على زعمائهم فى ميدان الحرب وقتل كل خطر بعد انتهاء الحرب مثل كنـانة بن الربيع ابن أبى الحقيق الذى كان من رؤوس المحرضين على غزوة الأحـزاب ، وكان قتله قصاصا لقتله أخا لمحمد بن مسلمة ، وكذلك قتل أخوه الربيع . الذى شاركه فى التحريض .

وبعد أن أمن يهود خيبر وقسـم غنائمها ترك « عبد الله بن رواحة » ليتولى خرص ثمارها وتقسـيمها بالعدل .

وبهذه النهاية . قضى على نفـوذ يهود خيبر ، وأطماعهم وآمالهم فى السـيطرة والتوسع (**فدك . وادى القرى . تيماء**) سـقوط خيبر ألقى فى قلوب يهود فدك الفزع والرعب ، فلما أرسل اليهم النبى يطلب منهم أن يَسْلموا أو يُسلِّموا أعلنوا رغبتهـم فى الصلح على نصف ما بأيديهم من غير قتال ، فكانت خيبر للمسـلمين الـذين قاتلوا عليها ، وكانت فدك نصيب رسول الله خالصة له لأنهـم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب .

وفى عودة رسول الله الى المدينة بعد هذا النصر على اليهود فى خيبر وفدك . مر بوادى القرى فوجد أهلها من اليهود قد تجهزوا لقتاله فنازلهم حتى أذعنوا للصلح على ما اصطلحت عليه خيبر ، وأقام عليهم عاملا هـو « عمرو بن سعيد بن العاص » .

ولما بلغ أهـل تيمـاء فتح وادى القرى ، صالحوا النبى على الجزية وأقاموا ببلدهم وأرضهم فى أيديهم .

وبسقوط تيماء دانت كل العناصر اليهودية فى شبه الجزيرة العربيـة لسـلطان الرسـول عليه الصـلاة والسلام ، وانتهى كل ما كان لهم من سلطان فيها وأصبح رسول الله فى مأمن من ناحية الشمال الى الشام . كما أصبح فى مأمن من الجنوب . بعد صلح الحديبية .

وبهذا العمـل الجليل رفض المسلمون الوجود اليهودى القائم على السيطرة والاستغلال ، والتوسـع بأسلوب التآمر والدس والخديعـة والوشاية والخلق اليهـودى الدنىء الذى لا يبالى بالقيم الخلقيـة ، ولا يعترف بالقوانين ولا التقاليد ، ولا العهود والمواثيق . فمع أن الرسول منحهم فرصة الحياة فى الواحـات الشماليـة الا أن طبعهـم الدنىء ، وحقدهم الدفين دفعهم على الرغم من تشتتهم أن يتربصـوا بالمسـلمين الدوائر للأخذ بالثأر منهم فصـاروا يعملون فى الخفاء . غـريزة الجبناء الأنذال ، فلم يقدروا على شىء ، فلما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم ظنوا أن قوة المسلمين ستنهار فكانت لهم مواقف عدائيـة ، فساعـدوا « طليحة بن خويلد » الأسدى المتنبىء وساعدوا « الأسود العنسى » وكانت هذه المساعدات فى الخفاء ، ولكن الله قيض للاسلام رجل السـاعـة وهو خليفة رسول الله الأول « أبو بكر الصديق » ففوت على اليهـود أغراضهم وخيب ظنهم .

ثم جاء بعده الخليفة الثانى « عمر ابن الخطاب » فتابع رسالة أبى بكر فـى الفتوح وتأمين الدعـوة ،

واستقرار الدولة على اساس قوى من العــدل والمساواة والحــرية ، ومبادىء الاسلام القوية الصادقة .

ورأى أن الجزيرة العربية ، وهى منطلق الدعوة ، ومركز الاشعاع يجب أن تكون خالية من كل عوامل الفتنة ، وقد عرف أن اليهــود هم دعاتهــا ، والباعثون لها فى كل مكان فطهرهــا منهم ، وكان أكثرهم فى خيبر ومــا جاورها . لأنه قد بلغه أن النبى قال عند موته : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان : فلما ثبت عنده هــذا الخبر أرسل اليهم . ان الله قد أذن فى جلائكم لأنه قد بلغنى أن النبى قال : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ! فمن كان عنده عهد من رســول الله من اليهود فليأتنى به أنفذه له ، ومن لــم يكن عنده عهد فليتجهز لجلاء ، فأجلى من لم يكن عنده عهد . خصوصا أنهم قد بدءوا يتحرشون بالمسلمين عندما كانوا يذهبون الى خيبر لتفقد أملاكهم التى غنموها منهم . كما فعلوا مع عبد الله بن عمر فإنهم أصابوا يديــه بسوء . كما أنه استند على شرط فى عهد رسول الله إليهم ، وهو . أن له اخراجهم عندما يشاء .

وبهذا طهرت الجزيرة العربية من دنسهم ، ولم يجدوا لهم مستقرا الا خارج حدودها فى أطراف بلاد الشام ولكن لم تنته مؤامراتهم ضد الاســلام والمسلمين ، فما زالوا يكيدون للاسلام والمسلمين بصور شتى . تحتاج الى كتب كثيرة لو تتبعنا تاريــخ هــؤلاء الأنجــاس ، وآخــرها الحــركة الصهيونية التى استطاعت بمساعدة الاستعمار أن تجعــل لها كيانا فى فلســطين ، وان شــئت فقــل ان الاستعمار وضع اليهود شوكة فــى جنب العرب ، وجعلهم جسرا له ، ولكــن قد قربت نهــاية الاستعمار وربيبته اسرائيل فقد صمم الشــعب العربى على أن يستعيد حقوقه ويطهر أرضــه ومقدساته ، ويقضــى على الدخلاء قضاء نهائيا ، وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، وإنه لقــريب (ولينصرن الله من ينصره . ان الله لقوى عزيز) .



أثر رمضان في

للاستاذ : على القساضى

امتنا العربية فى طريق نهضتها الكبرى ، وهى لذلك تعمل على تعبئة القوى لتسير فى طريقها بكل قوة وكل أمة ناهضة تعمد الى تعبئة الطاقات المختلفة فيها لاستثمار منابع القوى الكامنة فى البلاد اذ عليها أساس نهوضها وبناء مجدها وترقية مستوى المعيشة فيها ، كما أنها تستطيع بذلك أن تنشىء مصانعها ومعاملها وأن تبرز الى الميدان الخارجى فى كل ناحية من نواحيها فتأخذ مكانتها اللائقة بها بين الأمم من الناحية الادبية ومن الناحية المادية على السواء ..

والطاقة الحقيقية الاساسية هى الطاقة الانسانية ، وهى القدرة الانسانية على العمل والانتاج والتعاون بقدر ما لديهم من جهد على الاشتراك الايجابى فى بلوغ الأهداف التى ترمى اليها البلاد .

وقد حرص المستعمر دائما على تبديد هذه الطاقات الهائلة بكل ما أوتى من قوة فهو آنا ينشر الفساد والانحلال وآنا آخر ينشر المكيفات ومرة ثالثة يستبعد ويستعبد ويسجن ويعذب .. وهكذا يعمل جاهدا على تبديد هذه الطاقات الضخمة حتى يستطيع أن يسير فى الطريق الذى يريد .

التعبئة العامة :

والأمة التى تريد أن تنهض وأن تسير الى الأمام بخطوات واسعة تعمد الى التعبئة العامة ووسيلتها فى ذلك :

التعبئة العامة للأمة

١ — أن تقوى صلة الفرد بالله بحيث يراقبه فى كل خطوة .
٢ — وأن تبصره بحقوقه وواجباته .
٣ — وأن تغرس المسئولية الاجتماعية فى نفسه .
٤ — أن تشجع الكفايات وتكتلها وتبث روح التنافس المنتج بينها .
٥ — أن تراعى مبدأ تكافؤ الفرص .
٦ — أن تهتم بالتوجيه المهنى والتوجيه التعليمى .
٧ — أن تحيط الطاقة الانسانية بالعناية وتصرفها فى مجالاتها المفيدة حتى لا تبدد فى مسالك عقيمة أو غير مشروعة .

أصناف الناس :

الناس كما نشاهد فى حياتنا العامة أصناف شتى منهم من لا تعوزهم القدرة على العمل والانتاج ولكنهم لا يرغبون فى ذلك ، ومنهم من يرغب فى العمل والانتاج ولكنهم سلبيون لا ينفذون ما يرغبون فيه ، ومنهم من يرغب فى التنفيذ ولكنهم لا يستطيعون التعاون مع غيرهم ، ومنهم من يسرف فى تبديد ما لديهم من طاقة فيما لا يعود عليهم أو على غيرهم بالنفع ، ومنهم من لا تعوزهم القدرة على العمل والانتاج وهم يستغلون هذه الناحية بقدرة وكفاءة ولكنهم قليلون ، **هل هذا طبيعى .. ؟**

نعم وهذا طبيعى ، ذلك لأن النفس ميدان تتصارع فيه الميول المختلفة والدوافع المتنافرة .. واذا لم تستطع الأمة أن توجه هذه النفس وان تحولها الى الانتاج فانها تخسر كثيرا .. ومن هنا فاننا نجد علماء النفس يوصون بأنه ينبغى أن تأتى تعبئة الأمة من داخل النفس وذلك بمعرفة المنابع التى تحرك النـــاس وتحفزهم الى بذل الجهود وتسير بهم فى الطريق السليم الذى يوصلهم الى الانتـــاج والنجاح والى المتعة بهذا النجاح وأيضا بمعرفة الموانع التى تعطل الناس وتصدهم عن البذل والتعاون فتعمل على ازالة هذه الموانع العائقة وتجعل الطريق أمامهم ممهدا ميسورا .

معنى التعبئـــة :

التعبئـــــة تنظيم نفسى داخلى يوفق بين الدوافع والنزعات المختلفة يقابله تنظيم اجتماعى خارجى يوفق بين الجهود المختلفة مع تحصين الناس والحيلولة دون أن تضيع طاقاتهم هباء منثورا .

وفى كل أمة طاقات مدخرة ويمكن استغلالها على أكمل الوجوه وأفضلها اذا راعينا ما يأتى :

صون هذه الطاقة والمحافظة عليها حتى لا تضيع :

ولكن ما الاشياء التى تبدد هذه الطاقة .. ؟

الواقع أن العامل الرئيسى الذى يقوم بتبديد هذه الطاقة هو الصراعات التى تقوم فى داخل نفس الانسان بين حقوقه وواجباته ، بين غرائزه ومبادئه ، بين ما تشتهيه نفسه وما يرتضـــيه المجتمع الذى يعيش فيه .. هذه الصراعات هى بمثابة حروب صغيرة أهلية تستنفذ طاقات الفرد ولا تترك له ما يستطيع به أن يؤدى واجبـــه نحو نفسه ونحو أمته ، وهذه المشكلات هى فى حقيقة الأمر صـــدى لما يقوم فى المجتمع الخارجى لأن النفس مرآة لما يدور فى المجتمع .. ولكل مجتمع مشكلاته الخاصة ، وهذه المشكلات تشتد فى مراحل الانتقال حيث يوجد الصراع بين القديم والجديد .. بشكل يختلف فى عنفه من مجتمع الى آخر .. هذا الى أن المدنية الحاضرة التى نعيش فيها قد زادت الصراع بين الناس من أجل لقمة العيش ، ثم ان الفرد فى ظل هذه المدنية قد زادت مطالبه زيادة كبيرة ، وهذه الزيادة تفوق طاقة المجتمع على ارضائها ، ولا تجد لها رصـــيدا روحيا يمكن أن يحدث التوازن فى النفس أو يبعث الرضا فى القلب

ومن هنـــا زاد القلق فى النفوس وظهر بين الناس الانطــواء والعدوان . وكل هذا له أثر عميق فى ميدان الانتاج بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع كما أن له آثارا خطيرة فى صحة الناس الخلقية حيث ينعدم التعاون بين الناس ويقل الانتاج وتكثر المشكلات ولهــذا يحاول كثير من الناس أن يهربوا من الواقع بالمخــدرات أو غيرها ولهذا تكثر المشكلات الاجتماعية كالقتل والطلاق والانانية والخداع .

والناحية الثانية التى يمكن بها استغلال طاقة الأمة المدخرة هى استثارة هذه الطاقة وانماؤها وتنظيمها بجميع نواحيها الجسمية والفــكرية والخلقية والاجتمـــاعية ، وسأبين كل ناحية من هذه النواحى ..

الناحية الجسمية :

الجسم الضعيف لا يمكن صاحبه مّن العمل وقد يكون سببا مباشرا فى البعد به عن الكفاح المطلوب فيهرب به من العمل اخفاء لضعفه الجسمى ، والحيوية الجسمية من طبيعتهـا أن تبعث فى صاحبها التفاؤل والتحمس للعمل كما أنها تعين صاحبها على احتمال المشاق ، وهى بعد هذا كله سبيل الى الرجولة الذهنية واليقظة الفكرية ولا زلنا نسمع الحكمة القائلة (العقل السليم فى الجسم السليم) .

الناحية الفكرية :

الانسان السوى يفكر ويحكم على الأمور بنفسه .. حقيقة انه يستمع الى آراء غيره ويســتشير من يثق فيهم ولــكنه هو الذى يمحص الآراء ويرجح الرأى الــذى تسانده الحجة .

الناحية الخلقية :

من طبيعة كل واحد أن يحب نفسه ، ولكن الأنانية الفردية يجب أن تحد ، والتواكل أيضا يجب أن يحد ، وينبغى أن توجه الجهود لصالح الجماعة ، والتربية السليمة تعنى بأن تكتسب الفضـــائل الانسانية عن طريق ممارستها بالنشاط الذاتى والخبرة الشخصية ، ويستدعى هذا الحرية والتوجيه .

الناحية الاجتماعية :

الانسان الصالح هو الذى يشعر بالروابط التى تربطه بغيره من الناس كما يشعر بالواجب الملقى على عاتقه نحو نفسه ونحو بلده ومهنته .. والناحية الاجتمـــاعية فى حالتها القوية تجعل صاحبها يسيطر عليه هذا الشعور فيعمل فى جد ونشـــاط وحيوية لصالح الجماعة ناسيا مصلحته الخاصة بعيداً عن المسائل الفردية .. ويعمل فى فهم وتعاون واحتمال ..

يقول رجال التربية : وينبغى أن نعنى بالتربية الوقائية والتربية الانشائية .. وينبغى أن تشمل التربية تربية الآباء والمدرســـين والمفكرين والمشرعين ، كما ينبغى أن نعنى بتربية الطفل فى مرحلة طفولته المبكرة والمتأخرة وبالشباب والرجال والنقابات التى تتيح للرجل أن يعبر عن نفســـه بالقـــول وبالفعل . ولـــكن كيف نربى ومن الذى يربى ، وعلى أى أســـــاس يربى .. ؟

ويأتى رمضان المعظم فى هذه اللحظات الحاسمة من تاريخنا ليجيبنا على هذه الاسئلة التى تشغل بالنا :

الصوم فى حقيقته عملية تعبئة عامة للأمة الاسلامية لتجنيد أبنائها وتدريبهم على احتمال الجهد والمشقة حتى اذا ما احتيج اليهم فى يوم من الأيام بسبب الحرب الباردة أو الساخنة كانوا مستعدين استعدادا نفسيا واستعدادا جسميا .. ثم أن الصوم تدريب لهـــم على الصراع الاكبر صراع الحياة الدائم الذى يقابله كل نسان فى هذه الحياة وهذه التعبئة ليست تعبئة روحية فقط ولا جسمية فقط هذه الحياة ، وهذه التعبئة تشمل الروح والجسم والعقل ..

ولا عقلية ولكنها تعبئة تشمل الروح والجسم والعقل ..

وقد اختار الاسلام التدريب بطرق كثيرة من أهمها الصـــوم وهو تدريب على كل شىء فى الحياة لفترة من الوقت حتى يتعود على تحمل الامتناع الاجبارى عن شهواته وضروراته حين تحـــكم بذلك ظروف الحياة .

ان الطفل المدلل الذى تجاب رغباته كلها فى الحياة ينشـــأ شابا رخوا لينا لا يستطيع أن يقف على قدميه بل ان الرياح لتتقاذفه من كل جانب . ثم هو فى العادة الذى يصاب بالامراض وبالعقد النفسية وبصدمات الحياة .

اننا ندرب فى جيشنا العربى فرقا خاصة .. ذلك التدريب الذى يحدث آثاره القومية فى كل معركة نخوضها ، ولم يكـــن من المصادفة أن يفرض صوم رمضان فى العام الذى فرض فيه القتال لرد العدوان ونشر الاسلام .

ان الجندى الذى يؤخذ الى ميدان المعركة بدون اعداد نفسى

وجسمى وعقلى لهو جندى حكم عليه بالفناء العاجل .. وان الشاب الذى يوضع لمقابلة صعوبات الحياة بدون اعداد لهو شاب فاشل فى ميدان الحياة . ومن هنا فرض الصـــوم كما فرض غيره من العبادات التى تهدف الى هذه النــاحية لفائدة الفرد وفائدة الأمة كلها ..

ورمضان بما له من قوة فى التربية يؤثر فى الانسان من جميع النواحى الروحية والجسمية والفكرية والخلقية والاجتماعية .

الناحية الروحية :

يهدف الاسلام فى كل خطوة من خطواته الى ايجاد الصـــلة القوية بين الله وعباده الصلة الدائمة التى تدفع القلب الى الرجوع فى كل لحظة الى الله تعالى .. والصوم ــ كغيره من العبادات ــ يعطى المسلم شحنة قوية روحية .. شحنة تدفعه الى العمل .. وما دام المسلم يهدف فى صلته الى الله فان فى ذلك الخير للناس جميعا لأن الله لا يقبل الا طيبا ، ولأن الله سبحانه وتعالى يطلب العدالة المطلقة بين عباده ويحب الخير للناس جميعا وعبده يتقرب بهذا كله اليه .. وصيام رمضان يعطى المســـلم شحنة قوية فى الصلة بينه وبين الله تعالى يقول الله تعالى « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصـــيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » فالهدف هو التقوى . تقوى الله عز وجل . والتقوى هى مراقبة الله فى كل الأمـــور . هى السير على النهج الذى أراده اللـــــه سبحانه وتعالى فلا غش ولا كذب ولا خداع بل محبة وتعاون وبناء . ويوضح الرسول الكريم بعض الامراض التى تنخر عظام الأمة فيقول « من لم يدع قول الزور والعمـــل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ومعنى هذا أن المقصود بالصيام أسمى من أن يكون تركا للطعام والشراب .. ويؤكد هذا الحديث الشريف « رب صائم ليس له من صـــيامه الا الجوع والعطش » ومعنى هذا أن الصائم الذى لا يصوم كما ينبغى ليس له ثواب الصوم ويؤكد هذا المعنى الحديث الشريف مرة ثالثة بأسلوب القصر فيقول « ليس الصيام من الأكل والشرب انما الصيام من اللغو والرفث » .

ويتدرج النبى الكريم فى هذه الناحية فيقول « خمس يفطرن الصائم : الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة » .. ولما كان الصوم عبادة لا رياء فيها فان الله سبحانه وتعـــالى يجزى الصائم بلا حساب يقول الحديث القدسى « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » .

الناحية الجسمية :

وللصوم اثر كبير فى الصحة الجسمية فانه ينفى الاخلاط الضارة التى تراكمت على مر الاعوام ، ويشفى أمراض الامتلاء ، فالمعدة بيت الداء ، والجوع لا يعرض الانسان للمرض ، ولكن الامتلاء المستمر يعرضه للأمراض المختلفة ، ولذلك فان الأطباء كثيــرا ما يصفون الصوم للمرضى حتى يكون له الأثر الطيب فى صحتهم .

الناحية الفكرية :

والصوم يجلو صدأ الذهن فيكون الانسان اقدر على الفهم والادراك ، ولذلك فان العلماء القدامى كانوا يستفيدون من رمضان فى تأليفهم وكتاباتهم . وكان انتاجهم فى هذا الشهر مضاعفا ولئن كنا على غير ذلك فان السبب هو أننا لا نسير فى رمضان على النهج الاسلامى الذى يفيد فى ناحية من النواحى .. بل اننا نتبع طريقة ترهق أجسامنا ونفوسنا وماليتنا .. طريقة هى الى المظهر اقرب وما أحوجنا الى أن نسير على النظام الذى كان يسير عليه الرسول الكريم فنستفيد من رمضان الفائدة الكاملة .

الناحية الخلقية :

ورمضان يعطى المسلم فرصة ذهبية ليحرر نفسه من سلطان العادة سواء أكانت فى الطعام أو الشراب أو فى سلوك الانسان فى أى وقت من أوقات الليل أو النهــار وفى أى مكان .. يحرر نفسه بالمران وبالعزم الصادق ، وبهذا يفطم الانســان نفسه من أهوائها .. ولئن كان الكثير منا لا يستفيدون من رمضان هذه الفائدة فان العيب ليس فى الطبيب ولكن فى المريض الذى لا يطيع أمر الطبيب .

ورمضان يعلم الانسان الصبر فان الصوم نصف الصــبر والصائم يكبح جماح نفسه حتى لو سابه أحد أو شــاتمه فان المطلوب منه أن يقول له انى صائم ، والصــائم المحتسب لا يجد فى نفسه اضطرابا ولا انزعاجا بل يكون راضيا محتسبا مطمئنا هادئا .. والذى يغضب فى رمضان لأتفه الاســباب هو الذى لم يفهم معنى الصوم ولم يتأثر به .

وفى رمضان تقوى مراقبة الله تعالى بالصوم وبقراءة القرآن

وبصلاة القيام ، والصائم يجد الجزاء القريب فى اللفتة القرآنية التى تأتى بين آيتى الصوم وهى قوله تعالى « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » فهى لفتة موجهــة الى اعماق النفس اذ يجد الصائم العوض الكامل عن مشقة الصــوم والجزاء على الاستجابة فيها لله وهذا الجزاء تصوره الفاظ رقيقة فيها رقة هائلة « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب » أنه الجزاء الاوفى على الاستجابة والتعويض الــكامل على طاعة الله . انه الخيط الذى يجذب الأرواح الى الطاعة فى يسر وسهولة وطواعية .

وبهذا يكون المسلم مسلما كاملا فلا أنانية ولا حقد ولا غل بل حب وتعاون وعمل للمصلحة العامة واحساس بالقرب من الله تعالى وهكذا يمكن أن يؤدى صوم رمضان الى استغلال طاقات المســلم كلها الروحية والفكرية والجسمية والخلقية .

واذا كانت هذه هى فوائد الصوم بالنسبة للفــرد ، فان له فوائد أخرى بالنسبة للمجتمع ومن طبيعة الاسلام أن يعنى بالانسان ككل فهو يعنى به من ناحيته الفردية كما يعنى به من ناحيته الاجتماعية عضواً فى مجتمع .

فالمسلم يحس بالمســـــاواة التامة بينه وبين جميع اخوانه المسلمين لأنهم يصومون فى وقت واحد ويفطرون فى وقت واحد الغنى والفقير ، الرجل والمرأة الكل سواسية فى الصوم ، وفى هذا كثير من الراحة النفسية بالنسبة المسلم .

ورمضان يعطى الفرصة الكاملة للتعطف بين الأغنياء والفقراء لأن الغنى يحس باحساس الفقير فيعطف عليه .

والاسلام حث على هذا التعاطف فى كل وقت ولكنه حث عليه فى رمضان أكثر ، والتاريخ يحدثنا بأن النبى عليه الصلاة والسلام كان اجود من ريح المسك وكان أجود ما يكون فى رمضان .. وجعــل الاسلام من تمام الصيام صدقة الفطر .

وهكذا يأتى رمضان ليجمع هذه الطاقات كلها ويوجهها الى الخير .. انه يجعل المسلمين يحسون بأن القوة الالهية تسندهم فتفتح امامهم الآمال ويثقون فى انفسهم وفى الله الذى ينــاديهم « ولا تيأسوا من روح الله » . ويؤدون واجبهم وينتصرون على عدوهم ويضربون المثل الانسانية لهذا العالم الحائر الذى يبحث عن منقذ ولن يجده الا فى المسلمين الذين يتمسكون بدينهم .



وأما بنعمة ربك فحدث
ألم نشرح لك صدرك

للاستاذ أحمد التاجى

نزلت آيات الانشراح عقب آيات الضحى . فكان شرح الصدر بيانا للنعمة التى أمر بها الرسول أن يحدث بها نفسه دائما . لا ليحدث بها الناس ولكن ليذكرها دائما ويقرنها بالشكر لربه .

وبعض العلماء يجعلون من السورتين سورة واحدة (١) خوطب بها النبى (صلى الله عليه وسلم) وفيها عدد الله نعمه على عبده . وكانت اشهر نعمه عليه أن شرح له صدره .

ونرى أن فى هذا اشارة الى عملية الخلق التى أجراها فى قلبه حتى يصبح انسانا مهيأ للنبوة من صغره ، لا تنصرف نفسه الى نوازع البشرية .

ثم كرر العملية عليه حين تلقى الوحى : فخلق قلبه خلقا جديدا ، ليتحمل الأمانة التى عجزت عنها السموات والارض والجبال .

فشرح الصدر عملية تشريح وتشقيق وخلق شىء جديد (٢) .

★ ★ ★ ★

وقد جاء فى السيرة اشارات لحادثة شق الصدر حين كان النبى صلى الله عليه وسلم طفلا يسترضع فى بنى سعد . قوم حليمة .

وكان هذا الخبر وأمثاله غريبا على الناس الذين يحكمون عقولهم وحدها فى نواميس الكون ويقولـون : كيف يشق القلب ثم تخرج علقة من داخله ثم يخاط ويعود سليما فى لحظـات ويبقى صاحبه حيا بعد ذلك كله ؟ !

اذ كان منطق العلم يومئذ يقول : ان القلب هو العضو الذى لا تجـرى فيه عمليات كما تجرى فـى سـائر الأعضاء ، والا تعطل وفارق صاحبه الحياة .

ونسى هؤلاء أن ما لا يستطيـع الناس صنعه ، يصنعه الله بقدرته . وقد صنع الله الكثير من هذا للأنبياء ، وذكر قصصهم لنا فى القرآن .

فصنع لموسى وهو غلام صنعا ، حين أوحى الى أمه أن تلقى بـه فى البحر ، وتكفل الله بسلامته . ولولا قدرته تعالى لابتلعه اليم فى لحظة !

وجعل الله النار لابراهيم بـردا وسلاما ، فسلبها خاصة الإحراق ، ومنحها نقيض طبيعتها !

وجعل الله من بطن الحوت مسكنا ليونس ، يتسع لصلاته وتسبيحه . ولو شاء لاتخذه طعاما !

فلولا أن قص الله علينا ذلك فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل ، لتنازعت عقول الناس فى تلـك القصص ، والحقها قوم بالأساطير ، لأنها تفوق حوادث شق الصدر غرابة !

وهل نستطيع أن نجعل العقـل ميزانا نزن به قدرات الله (سبحانه) كما نزن به قدرات البشر ؟ ان العقل الانسانى جهاز خلقه اللـه للانسان كمصباح يضىء بقدرة محـدودة ، ليساعده على العيش فى أرضه التى خلقها له ، ويحيا حياته المحدودة التى قضاها عليه . ويستمد هذا الجهـاز قدرته المحدودة من حواس محدودة كذلك . فالعين مثـلا قد تبصر ميـلا ولا تستطيع أن تبصر ما وراء ذلك . واذا حجبها حجاب من جدار أو غيره فلا تستطيع أن تخترق الحجـاب ، وتبصر شبرا واحدا وراءه . وكذلـك السمع ، والشم ، واللمس . تحس ولكنها ذوات قدرات محدودة .

والعقل يتلقى اشـارات هـذه الحواس ، ويختزنها ويرتب نتائـج محدودة أيضا عليها . ولا يستطيـع المحدود أن يدرك ما فوق المحدود . فلا يدرك شيئا من الغيب ، أو ما حجب عنا من أرض وسماء .

وحين يكشف الانسـان بعـض المجاهل المحدودة بعقلـه وحواسـه يرى قدرة الله أكبر من قدرته . فكلما ازداد الانسان علما ومعرفة شـعر بضآلة نفسه ، وعظمة ربه ، وخشيته أكثر من غيره من العبـاد : « انما يخشى الله من عباده العلماء » (٣) .

وعرف أنه الحق ، ولا حق غيره .

« سنريهم آياتنا فى الآفـاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» (٤) .

★ ★ ★ ★

فلقد ظل الناس قرونا حيـارى يتجادلون فى حادثة شق الصدر ،

فمنهم من صدقها وهم الذين يعلمون قدرة الله ، ويرونها فوق كل شيء ، ومنهم من أنكرها وهؤلاء العلميون الماديون . اعتمادا على ما درسوه من علوم الدنيا ، التي تقوم على الظن ، ولا تتخطى ظاهر الكون .

« وان الظن لا يغنى من الحق شيئا . » (٥) .

« ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا » (٦) .

★ ★ ★ ★

وتقدمت المعارف البشرية نوعا ما . وجاء فى عصرنا هذا من استطاع أن يشق القلب ويجرى به العمليات الجراحية ، ويستبدل به آخر حين يريد ، بشريا أو حيوانيا أو صناعيا . ونجحت تلك الجراحات حينا ، واخطأت احيانا !

فأخرس ذلك السنة المتعالين الذين انكروا هذا العمل من قبل ، واستبعدوها على محمد رسول الله الذى يهيئه ربه لاعظم رسالاته .

★ ★ ★ ★

كما استبعد هؤلاء وامثالهم حديث الاسراء ، وأن يكون النبى قد اسرى به بجسده وروحه وعرج به الى السموات العلى بجسده وروحه . وتعللوا بجاذبية الارض التى لا ينفذ منها الانسان أبدا ، ثم بجو السماء الذى يخنق المتعالى فيه شيئا فشيئا .

تعللوا بهذا وأمثاله حتى جاء عصر الفضاء ، ورأينا الانسان يذلل هذه العقبات ، ثم يسبح فى الفضاء ، ويسير على صفحة القمر ، ويستعد للسفر الى الكواكب الأخرى .

وخرست السنة المتشدقين مرة اخرى ، وبدءوا يعيدون النظر فيما انكروه من معجزات الانبياء . ويفرقون بين قدرة الانسان ، وقدرة الخالق الذى يقول للشيء : كن فيكون .

★ ★ ★ ★

وقد ضرب الله مثلا لقصة العقل البشرى المحدود بظواهر هذا الكون ، ولا يدرك ما وراءه ، وقصة العقل الموهوب بالمعرفة من الله ، المنطلق عن ظواهر هذا الكون ، الذى لا يتقيد بقيوده ولا يخضع لاسبابه — حين قص حديث موسى وصاحبه فى سورة الكهف . حين اصطحبا ومرا بالسفينة والغلام والبنيان . وكان موسى يرمز للعقل البشرى ، وكان صاحبه قد أوتى من لدن ربه علما . فهو يمثل القدرة الالهية التى تتخطى نواميس هذا الكون . ولم يستطع العقل البشرى أن يصبر على مالا يحيط به علما ، فتعجل الجدل ، واعترض على كل صنع صنعه العقل الموهوب ، وعرف أنه لا يستطيع أن يسايره ، واعطى العذر لصاحبه أن يفارقه . ولكنه سأله أن يفسر له سر ما صنع .

فانطلق العقل الموهوب يشرح له أسرار أفعاله ، وختمها بقوله : وما صنعته عن أمرى ، أى هكذا صنع الله . وهكذا شاءت قدرته . أن يتخطى الاسباب الظاهرة الى أسباب خفية لا يعرفها البشر .

فأسرار الكون لا يحل مغاليقها الا صاحبها الذى خلقها :

« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر .. » (٧)

« ومـــا أوتيتـــم من العـــــلم الا قليلا » . (٨) .

لهذا كان الايمان بالغيب ، وما لا تحيط به عقولنا القاصرة ضرورة . وبهذا جاءت رسالات الانبياء .

★ ★ ★ ★

وقد ذكرت فى مقال آخر أن قـــلب الرسول صلى الله عليه وسلم كـــان الموضع الذى أجريت فيه عمليـــات الخلق الجديد حين نزل عليه : اقرأ باسم ربك الذى خلق .

وحين أراد أن يسرى به فى ملكوته صار النبى يرى ويسمع بفؤاده ما يجرى فى المـــلأ الأعلى قال تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى » (٩) .

فلم تكن عينه التى تـــــرى . ولا سمعه الذى يسمع . لان ما وراء هذا العالم لا تدركه الحواس التى خـــلقت للارض وحدها . فكان من الضرورى أن يرى ويسمع بقلبه ، وأن تنطبع فى نفسه تلك الصور . فيدركها بفؤاده اللطيف ، الذى لا يكذبه أبدا .

وعملية خلق القلب ذلك الخــــلق الجديد ، حتى يحيط بما لم يحط بـــه الناس ، ويمضى على الفطرة السليمة حتى لا ينحرف كما ينحرف سائر البشر ويدرك من أسرار الكون ما لا يدركون ـــ تلك هى النعمة الكبرى ، التـــى أنعم الله به على رسوله ، وذكره بها فى قوله تعالى :

« وأما بنعمة ربك فحدث . ألـــم نشرح لك صدرك ؟ ! »



---

(١) روى ذلك عن طاوس . وعمر بن عبـــد العزيز : تفسير النيسابورى .

(٢) فى القاموس المحيـــط . شرح ، وشرح بتضعيف الراء بمعنى واحد .

(٣) فاطـــر : ٢٨

(٤) فصلت : ٥٣

(٥) النجـــم : ٢٨

(٦) الـــروم : ٦ ، ٧ .

(٧) الانعــــام : ٥٩

(٨) الاسراء : ٨٥

(٩) النجـــم : ١١

التأمين التجاري وأصول الشريعة الإسلامية

للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

١ ـ عقد التأمين التجـــارى من العقود المستحدثة التى أختلف فقهـــاء هذا العصر حـــول حـــكم الشريعـــة الاسلامية فيها . ولكل رأى من آراء هؤلاء الفقهاء دليله ، وفى هذا المقال وما يليه من مقالات ، نعرض ـ ان شاء الله ـ هذه الأدلة على أصـــول الشريعة الاسلامية ، سواء أدلة من اجازوه أو أدلة من حرموه ، لنعرف مدى صحة الاستدلال بهذا الدليل أو ذاك ، عسى الله عز وجل أن يهدينا الى أصوب رأى فيه .

خذوا حذركم

٢ ـ ان انصار التأمين يذكرون أن الحياة لا تخلو من كوارث ومخاطـــر تصيب الانسان فى شخصه كالمـــوت والمرض أو فى ماله كالحريق والهلاك والتلف ومسئوليته عن خطئه .. الخ وتتزايد هذه الكوارث والمخاطر وتتنوع فى العصر الحديث بتنوع استخدام وسائل المدنية الحديثـــة كالسيارات والآلات والأجهزة السلكية واللاسلكية ويتخذ أكثر الناس وسائـــل للوقايـــة من هذه الكوارث وتلك المخـــاطر كالتطعيم ضد الأوبئة والعـــلاج من المرض والتوسع فى استخدام وسائل الأمن الصنـــاعى لحفظ الأمـــوال والأشخاص من الهـــلاك أو التلف وتنظيم استخدام وسائـــل المدنيـــة الحديثة بما يكفل أكبر قدر من الأمن

فيها ... الخ . والتأمين من الوسائل الحديثة للوقاية من الأخطار التى قد تنتج عند موت شخص أو هلاك ماله أو ثبوت مسئوليته حيث يجبر مبلغ التأمين الذى يحصل عليه المؤمن له أو المستفيد ما قد يلحقه من ضرر الكوارث والمخاطر المؤمن منها .

واذا كان التأمين التجارى من وسائل جبر ضرر الكوارث والوقاية من الأخطار كالافلاس والضياع وغيرها ، فقد ساق بعض من أجاز التأمين (١) دليلا شرعيا على جوازه هو قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم » (٢) ووجه الاستدلال بهذه الآية أن المؤمن له بعقده التأمين يأخذ حذره من غوائل المستقبل ، وقد دعتنا الآية الى الأخذ بأسباب الحذر أيا كانت ، والتأمين من أسباب الأخذ بالحذر ، فيجوز شرعا .

واذا عرضنا الاستدلال سالف الذكر على أصول الشريعة الاسلامية لوجدنا أن هذا الاستدلال غير كاف للقول بجواز التأمين التجارى شرعا ، فهو استدلال قاصر . ذلك أن الآية سالفة الذكر وردت للحذر من العدو عند قتاله ، والمراد منها خذوا سلاحكم حذرا أو احذروا عدوكم .

واذا كانت الآية قد نزلت بخصوص الحذر من الأعداء ، الا أنه ليس هناك ما يمنع من أن تكون عامة فى اتخاذ أسباب الحذر من أى خطر ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وقد وردت الفاظ الآية عامة « خذوا حذركم » دون تخصيص لذلك بخطر معين . ومع ذلك لا يكفى الاستدلال بهذه الآية على جواز التأمين شرعا ، لأن الآيةتخاطبالذى آمنوا باتخاذ أسباب الحذر،وهؤلاء لايتخذون الا وسائل مشروعة تتفق مع أحكام الشرع ، فهل ثبت أن التأمين وسيلة من الوسائل المشروعة حتى ندعو الذين آمنوا الى اتخاذها كسبب من أسباب الحذر ؟ هذا أمر لم يثبت بعد ، لأن فريقا من العلماء ينازع فى شرعية التأمين (٣) . وبالتالى اذا أريد الاستدلال بالآية سالفة الذكر على جواز التأمين التجارى شرعا ، فيجب أن يثبت قبل ذلك أن التأمين وسيلة يقرها الشرع ، والا كان الاستدلال بهذه الآية غير كاف .

القضاء والقدر

٣ ـــ وقد لاحظ فريق ممن حرم التأمين أنه مهما اتخذ الناس من وسائل للحيطة ضد وقوع الكوارث والمخاطر ، فانه لا يغنى حذر من قدر والمتأمل فى حياة أشد الناس حيطة وحرصا وحذرا لا بد أن يؤمن بالقضاء والقدر . وقدر الله هو سننه ونواميسه فى الكون ؛ وقضاؤه هو انفاذه القدر أى ايجاده الكائنات وتسييرها وفق ما قدره سبحانه . قال تعالى : « انا كل شيء خلقناه بقدر . وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر » (٤) وقد استدل هؤلاء الفقهاء (٥) بهاتين الآيتين وأمثالهما فى القضاء والقدر على تحريم التأمين . ووجهة نظرهم تتلخص فى أن التأمين انكار للقدر ، أو هو على الاقل تحد لقضاء الله وقدره واجتراء عليه بينما لا يملك أحد أن يمنع قضاء الله وقدره .

واذا عرضنا الاستدلال السابق على أصول الشريعة الاسلامية ، نجد أنه استدلال غير صحيح ، لأن التأمين ليس انكارا للقدر وانما هو اعتراف به ومحاولة للتخفيف من آثاره لانه ليس ضمانا لعدم وقوع الخطر وانما هو ضمان لجبر الضرر الذى

يحدث عند وقوع الخطر المؤمن منه . فمن يؤمن حياته ضد الموت أو يؤمن بضاعته ضد الغرق أو الحريق يعترف بالقضاء والقدر ويخشاه ويسعى للتخفيف مما قد ينتج عنه من أضرار . وقد شبه بعض الفقهاء (٦) التأمين بسفود الصاعقة ، وهو القضيب الحديدى الدقيق الرأس الذى يوضع فى قمم المآذن أو المبانى العالية ، فهو لا يمنع الصاعقة ولكنه يخفف من أثرها اذ يتلقى شرارتها ويحولها الى جسمه حتى تتلاشى ، وليس فى وضعه فى قمم المبانى العالية تحد لارادة الله عز وجل أو انكار للقدر ، بل فيه اعتراف بقضاء الله وقدره . من جهة أخرى تجد المؤمن يعتمد فى حساباته لوقوع الخطر على علم الاحصاء ، ليعرف نسب الوفيات ونسب الحرائق ونسب حوادث السيارات وغير ذلك من المخاطر التى يقبل التأمين عليها . وقد ثبت فى علم الاحصاء أن الكوارث فى الكون لا تحدث جزافا ، وأن القضاء والقدر وان كان مفاجئا لشخص معين الا أن له ضوابط بالنسبة للكون كله . وقد سبق القرآن الكريم الى بيان هذه الحقيقة حيث قال تعالى فيه « وكل شىء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » (٧) . واعتماد المؤمن على ذلك وسعيه لمعرفة نسب الحوادث انما هو ايمان بالقضاء والقدر واعتراف به . ويمكن القول بأن الاتفاق على عقد التأمين انما هو اتفاق على التخفيف من آثار القدر ، أو هو اتفاق على دفع قدر بقدر فالقدر يمكن تقسيمه الى ثلاثة انواع : قدر يستحيل على الانسان دفعه كالموت ، وقدر يمكن التخفيف من آثاره كغريزة حب الذات فهى قدر غالب لكن يمكن التخفيف من آثاره بتهذيب النفس وكبح جماحها ، وقدر ثالث يمكن للانسان دفعهبقدر آخر كأعداء الدين تقاومهم فندفع قدرا بقدر (٨) . وهكذا ننتهى الى أن التأمين التجارى ليس فيه انكار للقدر ولا تحد له ، وأن الاستدلال بآيات القضاء والقدر على تحريمه استدلال غير صحيح لا يتفق مع أصول الشريعة الاسلامية الغراء .

التوكل على الله

٤ ــ لا شك انه يجب على كل مسلم أن يتوكل على الله ، فهل فى التأمين ما يتنافى مع التوكل على الله عز وجل ، أو أن فيه توكلا عليه سبحانه .

قد يبدو أن التأمين يتنافى مع التوكل على الله عز وجل ، فالمؤمن له لا يعتمد على الله عز وجل فى دفع ما قد يلحق به من ضرر ، وانما يعتمد على المؤمن الذى سيدفع له مبلغ التأمين عند تحقق الخطر المؤمن منه ، وقد قال تعالى : ــ « .. وليس بضارهم شيئا الا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (٩) .

وقد يبدو أن التأمين فيه توكل على الله عز وجل ، اذ يصدق عليه قوله صلى الله عليه وسلم « اعقلها وتوكل» لأن المؤمن له لا يترك نفسه أو ماله نهبا للمخاطر التى قد تلحق به وانما يحتاط لنفسه بالتأمين ثم يتوكل على الله عز وجل .

والصحيح أن التوكل على الله عز وجل هو الاعتماد على رب الأرباب مع عدم التفريط فى الأخذ بالأسباب . وقد انقسمت الخلائق بالنسبة الى التوكل على الله عز وجل الى ثلاثة أقسام (١٠) قسم أهمل الاسباب واعتمد على قدرة الله تعالى . وهذا تفريط وسوء

ادب مع الله تعالى لأنه سبحانه رتب المسببات على الاسباب . وقسم آخر اتخذ الأسباب وأعرض عن الاعتماد على رب الأرباب ، وهذا ادعاء بالعلم لا محل له لأنه ينقصه الايمان بمسبب الأسباب ، وكم من أسباب اتخذت ولم تترتب عليها نتائجها ، مما يدل على ان هناك ارادة أخرى تتدخل فى ترتيب هذه النتائج هى ارادة الله تعالى . والقسم الثالث جمع بين اتخاذ الأسباب والاعتماد على رب الأرباب ، وهذا هو التوكل بحق على الله عز وجل .

والتأمين يتخذ سببا لجلب منفعة أو دفع مضرة ، فالمؤمن له يتخذه سببا لجلب منفعة حاضرة بادخار ما فاض معه من نقود فى صورة أقساط التأمين أو لجلب منفعة مستقبلة ليعود به هو أو ورثته الى مركزه المالى قبل تحقق الخطر اذا حل به هذا الخطر . كما قد يتخذه المؤمن له سببا لدفع ضرر حاضر كالقلق والخوف من وقوع الخطر المؤمن منه أو لدفع ضرر مستقبل عند وقوع الخطر بقبض مبلغ التأمين لجبر ما لحقه من ضرر (١١).

واذا كان التأمين اتخاذا للأسباب ، فقد يكون فيه توكلا على الله عز وجل وذلك اذا اعتمد المؤمن له فيه على رب الأرباب فى دفع الخطر وفى أمل الحصول على مبلغ التأمين ان تحقق الخطر ، كما أن التأمين قد يخلو من التوكل على الله وذلك اذا اعتمد المؤمن له فيه على المؤمن ولم يعتمد فيه على الله عز وجل . فالأمر يتوقف على علاقة المؤمن له بربه ونيته عند التأمين ، ولا شأن لنظام التأمين فى ذاته بالتوكل على الله . جل وعلا . وبالتالى لا يصلح الاستناد الى آيات التوكل على الله والأحاديث المتصلة بها للقول بجواز التأمين شرعا أو بتحريمه .



وهكذا ننتهى ، الى أن التأمين التجارى اذا كان سببا من أسباب الأخذ بالحذر فليس فى هذا دليل كاف على جوازه شرعا ، كذلك لا يصح القول بأن فيه ما يتنافى مع قضاء الله وقدره للاستناد الى ذلك فى تحريمه ، فقد رأينا أنه اعتراف بقضاء الله وقدره ومحاولة للتخفيف من آثاره ليس فيها أى تحد لارادة الله عز وجل . كذلك انتهينا الى أن التأمين التجارى لا شأن له فى ذاته بالتوكل على الله أو عدم التوكل عليه ، فمرجع ذلك الى النية .

الأمر بالوفاء بالعقود .

٥ — من المعروف ان التأمين عقد يلتزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدى الى المؤمن له أو الى المستفيد الذى اشترط التأمين لصالحه مبلغا من المال أو ايرادا مرتبا أو أى عوض مالى آخر فى حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر المبين بالعقد ، وذلك فى نظير قسط أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له للمؤمن الذى يأخذ على عاتقه مجموعة من المخاطر ويجرى بينها مقاصة طبقا لقوانين الاحصاء .

ومن المعروف كذلك أن الله عز وجل أمرنا بالوفاء بالعقود . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (١٢) .

وقد استدل بعض من أباح التأمين (١٣) بالآية سالفة الذكر على جوازه شرعا . ووجه الاستدلال أن لفظ

العقود فى الآية الكريمة لفظ عام ، فيشمل عقد التأمين وغيره من العقود ولو لم يشمله وكان محظورا لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه بعث لبيان الحلال والحرام ، وقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة . والشارع هنا فى الآية الكريمة كان فى مقام البيان لا الاجمال ، وحيث لم يبين يكون العموم مرادا ويدخل عقد التأمين تحت عموم كلمة العقود .

والحجة السابقة غير سليمة فى الاستدلال على جواز التأمين شرعا ، كما أنها غير كافية للقول بمشروعيته .

فليس صحيحا أن الآية الكريمة عامة فى وجوب الوفاء بكل عقد ، لأنه لا يعقل أن تأمر الآية بالوفاء بعقد القمار مثلا أو عقد الربا أو غير ذلك من العقود المحظورة ، فدل ذلك على أن لفظ العقود فيها ليس لفظا عاما وانما هو لفظ مجمل ، وقد فسرت هذا اللفظ المجمل آيات أخرى كما فسرته سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومما يؤكد أن لفظ العقود فى الآية سالفة الذكر لفظ مجمل ، أن سياق هذه الآية يدل على أن الشارع كان فى مقام الاجمال لا البيان ، فهو سبحانه لم يذكر الآية لبيان العقود الجائزة وانما أجمل ذلك ، فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ، ان الله يحكم ما يريد » (١٤) . وهذه كلها آية واحدة ، والوفاء بالعقود شطر منها ، مما يدل على أن لفظ العقود هنا لفظ مجمل .

وقد فسر الشارع لفظ العقود المجمل هنا فبينه فى آيات أخرى ، كما فسر الرسول صلى الله عليه وسلم ببيان العقود المنهى عنها . فالله عز وجل فى آيات أخرى نهى عن عدة عقود كالعقد على الربا والعقد على الخمر والعقد على لحم الخنزير والعقد على الميسر (القمار) .. الخ . كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن عقود أخرى كعقود الغرر وبيع حاضر لباد وبيع النجش وبيع الحصاة وبيع الملامسة وبيع المنابذة وغير ذلك مما هو محظور فى الشريعة الاسلامية وهذا النهى عن بعض العقود يدل على أن لفظ العقود الوارد فى الآية ليس لفظا عاما وانما هو لفظ مجمل . كما يدل هذا النهى على أن المراد بالعقود فى الآية سالفة الذكر هو العقود الخالية من المحظورات . يؤكد ذلك أن الآية تخاطب الذين آمنوا ، وهم من صدقوا بكل ما جاء فى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (١٥) .

ولا يلزم أن يصرح الشارع بكل محظور تفصيلا بجميع أنواعه ، اذ يكفى أن يضع الشارع القاعدة لنستنبط منها ونقيس عليها . فالله سبحانه مثلا نهى عن الميسر فيدخل فيه كل نوع منه ما كان من قبل وما يستحدث فيه ، والرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الغرر فيدخل فيه ما كان منه وما يكون فيه بعد ذلك .. وهكذا . وبالتالى لا يصح القول بأن التأمين لو كان محظورا لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه بعث لبيان الحلال والحرام ، فالرسول صلى الله عليه وسلم وضع لنا القواعد وبلغ الرسالة وأدى الأمانة وعلينا أن نطبق هذه القواعد لنرى هل التأمين جائز شرعا أم هو محظور؟ ومن المعروف أن فريقا من الفقهاء يرى أن تطبيق هذه القواعد يؤدى الى القول بأن التأمين فيه ربا وغرر وجهالة ومخالفة لقواعد الميراث والوصية مما هو محظور .

وطالما انتهينا الى أن لفظ العقود فى الآية الكريمة سالفة الذكر ، ليس لفظا عاما وانما هو لفظ مجمل ، وأن الشارع قد فسر هذا اللفظ المجمل بأن المراد منه هو العقود التى استوفت الشروط والأركان وخلت من المحظورات ، فانه اذا أريد الاستدلال بهذه الآية على وجوب الوفاء بعقد التأمين وجوازه شرعا ؛ فانه يجب قبل ذلك أن يثبت أن عقد التأمين قد استوفى ما نصت عليه الشريعة الاسلامية من أركان وشروط وخلا من المحظورات ، وهو أمر لا زال محل نزاع بين العلماء ، وبالتالى كان الاستدلال بهذه الآية على جواز التأمين شرعا استدلالا غير كاف .

استحداث عقود فى الاسلام

٦ ـــ ذهب بعض من حرم التأمين (١٦) الى أن العقود الجائزة فى الاسلام واردة على سبيل الحصر ، وأن عقد التأمين ليس من العقود المعروفة فى صدر الاسلام ، فلا يكون عقدا جائزا شرعا ، على أساس أن الاسلام ـــ فى نظر هذا الفريق من الفقهاء ـــ لا يجيز احداث اى عقد لم يكن معروفا فى صدره ، لأنه جاء كاملا ولأن اضافة عقود أخرى الى العقود المعروفة فى شريعته معناها احداث تشريع جديد بدون استناد .

ويكاد يكون هذا الرأى رد فعل على نقيض الرأى السابق الذى ينادى بأن الوفاء بالعقود يشمل كل عقد فيشمل عقد التأمين ! وكأن هذا الرأى يذهب الى أن المقصود بالعقود فى آية سورة المائدة سالفة الذكر هو العقود المعروفة فى صدر الاسلام !

والصحيح أن الزعم بأن الاسلام لا يجيز احداث اى عقد لم يكن معروفا فى صدره ، انما هو دعوى بلا دليل .

واضافة عقد جديد الى العقود المعروفة فى صدر الاسلام لا يعنى احداث تشريع جديد دون استناد ، لأن العقد الجديد قد يتفق مع أصول الشريعة الاسلامية وقد يختلف معها . فاذا كان العقد الجديد لا يتعارض مع أصول الشريعة وأحكامها فهو خاضع لما شرعه الله ورسوله وليس فيه تشريع جديد دون استناد ، لأنه يستند الى الاصول العامة للشريعة الغراء أما اذا كان العقد الجديد يختلف مع أصول الشريعة وأحكامها فهو مردود لأنه لا يستند الى شيء من هذه الأصول ولا تلك الأحكام . فالامر يتوقف على مدى اتفاق العقد الجديد مع أصول الشريعة الاسلامية وأحكامها . وبالتالى اذا كان عقد التأمين عقدا جديدا فهل يتفق مع أصول الشريعة وأحكامها فيكون جائزا شرعا أم يختلف معها فلا يجوز شرعا ؟ هذا أمر يتطلب بحث عقد التأمين ذاته .

واستحداث عقد جديد لا ينتقص من كمال الاسلام شيئا ؛ لأن كما له يتأتى من أن قواعده فيها ما يحكم على كل جديد ، لا أن قواعده صرحت بكل صغيرة وكبيرة فيمتنع الجديد ، وبالتالى للناس أن يتعارفوا على أنواع جديدة من العقود ، وعلى الفقهاء عندئذ استنباط حكم الاسلام فى هذه العقود الجديدة . (١٧) .

وطالما انتهينا الى انه يجوز استحداث عقود جديدة فى الاسلام ، اذا كانت هذه العقود لا تتعارض مع أصول الشريعة الاسلامية وأحكامها فانه يتضح أن لفظ العقود فى الآية الأولى من سورة المائدة لا يقتصر على العقود المعروفة فى صدر الاسلام

وأنما يشمل ما يستحدث بعد ذلك طالما استوفى الشروط والأركان وخلا من المحظورات .

الأصل هو الاباحة

٧ ــ على أن فريقا آخر من الفقهاء (١٨) استدل على جواز التأمين شرعا بأن الأصل هو الاباحة . قال تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا .. (١٩) وطالما خلق الله عز وجل لنا ما فى الارض جميعا لننتفع به ، فان الأصل فى معاملات الناس فيما خلقه الله لنفعهم هو الاباحة . وبالتالى فان الأصل فى عقد التأمين وهو معاملة وشروط هو الاباحة ، فيكون عقدا جائزا شرعا بهذا الاعتبار .

والاستدلال سالف الذكر غير كاف ، لأنه اذا كان الأصل فى العقود والشروط هو الاباحة (٢٠) ، فذلك اذا لم يثبت أن العقد أو الشرط لا يتعاوض مع أصول الشريعة الاسلامية وأحكامها . فهل ثبت ذلك فى عقد التأمين حتى نستدل على جوازه شرعا ؟ الأمر يتطلب بحث عقد التأمين ذاته .

والى مقال تال نستكمل الجزء التالى من هذا البحث أن شاء الله تعالى .. !!

---

(١) محمد وصفى فى مقال له بمجلة منبر الاسلام س ٢١ عدد ١٢ .
(٢) من الآية ٧١ من سورة النساء .
(٣) أحمد النجدى فى « عقد التامين بين الشريعة والقانون » رسالة على الآلة الكاتبة ص ٣٣٨ .
(٤) الآيتان ٤٩ و ٥٠ سورة القمر .
(٥) احمد الخريصى فى بحث له لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف .
(٦) مصطفى الزرقا فى أسبوع الفقه الاسلامى بدمشق ط ١٩٦١ م ص ٤٠٠ و ٤٠١ .
(٧) الآيتان ٨ و ٩ سورة الرعد .
(٨) على الخفيف فى بحثه المقدم لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف ص ٢٦ وأحمد النجدى فى رسالته المرجع السابق ص ٣٣٩ ..
(٩) من الآية ١٠ سورة المجادلة .
(١٠) زاد المعاد هـ ٢ ص ١٤ .
(١١) قحطان الدروى فى رسالته عن التامين ص ١٤٢ ويرى أن سعى المؤمن له لجلب المنفعة يشبه سعيه لادخار مافاض معه من نقود وكالقائه الحبة فى الارض لتخرج زرعا ، وسعيه لدفع ضرر يشبه عدم نومه على قارعة الطريق وتداويه من المرض ، فهو اتخاذ للاسباب لحفظ موجود أو جلب منفعة أو دفع ضرر لم ينزل به أو نزل .
(١٢) من الآية الاولى من سورة المائدة .
(١٣) على آل كاشف الغطاء فى بحثه المقدم لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف .
(١٤) الآية الاولى من سورة المائدة .
(١٥) أحمد النجدى فى رسالته « عقد التامين بين الشريعة والقانون » ص ٣٨ .
(١٦) عبد الستار السيد وفخر الدين الحسنى من علماء سوريا فى بحثهما لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف .
(١٧) مصطفى الزرقا والصديق الضرير فى أسبوع الفقه الاسلامى بدمشق ١٩٦١ م ص ٣٨٨ و ٤٣٨ على التوالى . ومحمود قاسم بعيون فى بحثه لمجمع البحوث الاسلامية . وأحمد الخريصى ، فى بحثه لمجمع البحوث الاسلامية .
(١٨) عبد الرحمن عيسى فى أسبوع الفقه الاسلامى بدمشق ١٩٦١ م ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ ــ ٤٧٨ .
(١٩) من الآية ٢٩ سورة البقرة .

حول ولاية الرجل على نفسه في الطلاق وتعدد الزوجات

للاستاذ : محمد عزة دروزة

قرأت المقال الممتع للدكتور محمد البهي في عدد جمادى الأولى من مجلة (الوعي الاسلامي) بالعنوان الذى عنونت به هذا المقال .

وأنا أعترف بأن الدكتور عالم متمكن واقدر عمله وفضله . واعرف أن عمله وتمكنه مما يجعل لكتاباته قوة وأثـــرا في القارىء ويوجب عليه احترامه .

وانا أشاركه في ما جاء في تمهيدات مقاله من تنبيهات و انتقادات وملاحظات فيها سداد . وفيها دفاع عن الشريعة الاسلامية وايجاب الالتزام بها وعدم تهاون الحكومات الاسلامية في ذلك واستبدال النظم والاتجاهات الغربية بها وجعلها متأثرة بها .

وبيت القصيد في مقاله هو مـــا

عنون به المقال وعنونا به مقالنا . ولقد بدأ كلامه بقوله (وإن حاولت الدولة أن تسقط ولاية الرجل على نفسه فى الطلاق وفى تعدد الزوجات وتجعل للقاضى بدلا منه حق الترخيص بهذين الأمرين تكون قد سارت بالعلمانية أو فصل الدين عن الدولة الى نهاية الشوط فى شئون الأسرة وبالتالى الى ترك الاسلام كلية وابعاده عن مجالات العلاقات بين الأفراد الى خصوصياتهم) ثم أخذ يعرض آيات الطلاق وتعدد الزوجات ويشرحها وينبه على ما فيها من تقرير لكون الرجل هو صاحب الولاية فيهما وحسب دونما استدراك أو استثناء .

واعتقد أن هذا يتحمل كلا ما جديرا بالتأمل . وانى أعجب أن يكون الدكتور الألمعى قد فاته ذلك .

فاولا : ليس من أحد يستطيع أن ينكر أن كثيرا من المسلمين فى مختلف الحقب أساءوا وما يزالون يسيئون استعمال ولايتهم على أنفسهم فى الطلاق وتعدد الزوجات . وأن ذلك قد بلغ حد الظلم وادى وما يزال يؤدى الى فواجع ومآس أليمة محزنة .

وثانيا : ان فى القرآن آيات تلهم أن اساءة استعمال تلك الولاية والوقوع فى اثم ذلك متوقع كما تفيده هذه الآيات :

١ ــ « الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فى ما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون .. » البقرة ٢٢٩ .

٢ ــ « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شىء عليم .. » البقرة ٢٣١ .

٣ ــ « وان خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا »(١) النساء ٣ .

٤ ــ « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن(٢) لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا . وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا .. » النساء ١٨ ــ ٢٠ .

٥ ــ « وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون

خبيرا . ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما . وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته . وكان الله واسعا حكيما .. » النساء ١٢٨ — ١٣٠ .

٦ — « يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا . فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا » الطلاق ١ و ٢ .

ثالثا : ان اساءة استعمال المسلم لولايته على نفسه فى الطلاق تكون فى حالتين . الأولى أن يندفع بنزواته وانفعالاته فيسرع فى استعمال هذه الولاية بدون ترو وتدبر ولأتفه الأسباب مما يؤدى الى ظلم وشقاء الزوجة والأولاد وانهدام الحياة الزوجية وتحقق المآسى والفواجع . فى حين أن الطلاق الذى هو أبغض الحلال الى الله كما وصفه رسول الله (٣) انما ابيح من أجل الفراق الذى لا يكون مناص منه بعد استنفاد بالمعروف وكظم للغيظ فى حالة كل الوسائل التى أمر الله من معاشرة بالمعروف وكظم للغيظ فى حالة الكراهية وعدم العضل للابتزاز وبذل الجهد للاصلاح والصلح كما جاء فى آيات النساء ١٨ — ٢٠و١٢٨ — ١٣٠ التى أوردناها آنفا ، وكما جاء فى آية سورة النساء هذه (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا) ٣٥ ، ثم من مراجعة مرة بعد مرة وحث على العودة الى الزوج فى حال غلبة الظن بالصلاح والاصلاح كما جاء فى آيات البقرة هذه (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان ارادوا اصلاحا) ٢٢٩ ، وهذه (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ٢٣٣ ، وأصبح الوسيلة الوحيدة لخلاص الزوجة من الشقاق والشقاء .

والحالة الثانية : أن يكون تمسك الزوج بولايته بقصد الابتزاز والاعتداء والمكايدة والاضرار الذى نبهت عليه آيات البقرة ٢٣١ والنساء ١٨ مع الشذوذ عن المبدأ القرآنى المحكم الذى أقام الله عز وجل عليه الحياة الزوجية الرضية وهو الامساك بالمعروف أو التسريح باحسان كما جاء فى الآيتين ٢٢٩ و ٢٣١ من البقرة والآية الثانية من سورة الطلاق فيتحقق بذلك الظلم وتفقد المودة والرحمة اللتين جعلهما الله اساسا للحياة الزوجية كما جاء فى آية سورة الروم (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .. (٢١) .

وفى صدد اساءة استعمال المسلم لولايته على نفسه فى تعدد الزوجات نقول ان الله قد نبه فى آية النساء (٣) ان التعدد مظنة الجور وعدم العدل . ونبه فى آية النساء (١٢٩)

ان العدل غير مستطاع . ونبه فى الآية (٣) بناء على ذلك على أن الأولى للمسلم ان يكتفى بزوجة واحدة . واذا كان الله سبحانه لم يغلق الباب فلانه يعلم أن طبيعة الحياة تقتضى بقاءه مفتوحا وقاية للرجل من إثم الزنا أو ضرر الحرمان والكبت أو تحقيقا للرغبة فى البنين من حيث أن تكون زوجته الأولى مريضة مرضا مانعا أو عجوزا او غير مشتهاة او عاقرا أو من حيث اضطراره الى غياب طويل الخ الخ وقد ابقى الله الباب مفتوحا فى ظل التنبيهات والتحذيرات المذكورة وفى ظل ما يكون من قدرة على الانفاق التى هى من صور وواجبات العدل المطلوب . واساءة استعمال هذه الرخصة تكون فى اندفاع الرجل وراء شهواته ونزواته فى حين يكون عنده زوجة مغنية منجبة . وتكون كذلك فى عدم القدرة على الانفاق . وعدم المبالاة بالعدل بين الزوجات والأولاد فتتحقق بذلك المآسى والفواجع فى الشقاق والشقاء والضياع والعداوة بين الأخوة والأخوات والزوجات الخ .

رابعا : ان المتبادر الذى لا يصح أن يتبادر الى الذهن غيره هو أن الدعوة الى ايجاب جعل الطلاق وتعدد الزوجات منوطين بالقضاء قد هدفت الى الحد من سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه فى هاتين المسألتين وتلافى ما يمكن أن يؤدى ذلك اليه من ظلم وفواجع ومآس .

ونهتف بكل قوة ونقول ان الله عز وجل لا يمكن أن يرضى عن اساءة استعمال شرعه وما يمكن أن ينتج عنها من ظلم ومآس وفواجع وشقاء . وان حكمته وعدله ليأبيان أن يقول أحد إنه لا يجوز مس ولاية المسلم على نفسه فى الطلاق وتعدد الزوجات ولو شذ عن المبدأ القرآنى المحكم الامساك بالمعروف والتسريح باحسان ولو تمسك بزوجته لضررها والاعتداء عليها وابتزازها . ولو كان فظا غليظ القلب فاحش اللسان طويل اليد بالضرب والأذى . ولو كان مندفعا وراء نزواته وانفعالاته يطلق كيف يشاء ويتزوج كيف يشاء أو سكيرا فاسقا وعربيدا ولو كان غير قادر على الانفاق على زوجة واحدة فضلا عن أكثر من واحدة . ولو كانت زوجته مغنية منجبة حيث يكون كل هذا تجاوزا على حدود الله وسببا فى الظلم والضرر والشقاء وانهدام الحياة الزوجية .

خامسا : واذا كان ما قلناه أن الله لا يرضى عن سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه فى الطلاق والتعدد حقا فان هذا يستتبع أن يقال ان الله تعالى يرضى عن الحد من هذه الولاية لتلافى نتائج الاساءة فى استعمالها . ولا سيما أن الله قد نبه على أن الشذوذ فى استعمال هذه الولاية واساءتها وما يؤدى ذلك اليه من جور وظلم متوقع .

سادسا : ان المتمعن فى كتاب الله واجد فيه الوسائل الى ذلك بحيث يصدق القول ان الحد من سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه فى الطلاق والتعدد متسق مع كتاب الله عز وجل وليس فصلا للدين عن الدولة ولا أيغالا فى العلمانية والاستغراب ولا تعطيلا لشريعة الله .

فبالاضافة الى ما فى كتاب الله من شجب للاثم والظلم والتجاوز على حدود الله وايجاب دوران حرية

المسلم فى افعاله واقواله فى نطـاق الحلال واجتناب الحرام والظلم والأذى بصورة عامة مما يمثله آيات كثيـرة كثرة تغنى عن التمثيل فان فيه آيات خاصة يمكن أن تكون منطلقا ووسيلة الى ذلك .

ففى آية النساء (٣٥) التـى اوردناها قبل أمر الله المخـاطبين بالمبادرة للتدخل بين الزوجين اذا خيف الشقاق بينهما . والمبادرة للتدخـل تكون أشد وجوبا اذا وقع الشقـاق بطبيعة الحال . ومن أسباب الشقاق الذى يمكن أن ينشب بين الزوجين أن يريد الزوج التزوج بأخرى أو أن يشذ عن المبدأ القرآنى (الامساك بالمعروف او التسريح باحسان) ويتمسك بزوجته بقصد المكايدة والضرر والابتزاز أو يكون طائشا سريع الانفعال يطـلق لاتفه الأسباب .

والخطاب فى الآية عام يمـكن أن يكون لجماعة الحل والعقـد من المسلمين او للحاكم . والحاكم عـلى كل حال مخاطب فيها . وهى مطلقـة بحيث يصح أن يقال فى ضوء ذلك ان المبادرة يمكن أن تكون بمراجعـة الزوجة أو أهلها أو من الحاكم مباشرة اذا بلغه احتمال الشقاق أو وقوعه ، والآية تأمر بالتدخل للاصلاح الى ازالة أسباب الشقاق . وتلافى نتائج سوء استعمال الزوج لولايته على نفسه فى الطلاق وتعدد الزوجات مما شرحنـا صوره ومظاهره قبل . وقـد ينجح الحكمان فى ازالة الأسباب وتلافـى النتائج وهو المقصود فى التوجيـه القرآنى وقد لا ينجحان ويتمسك كل من الزوجين بموقفه فيتعذر الاصلاح والتوفيق . ومن الفقهاء من يجتهد بأن للحـكمين أن يفرقـا بين الزوجين ويخلصا كلا منهما من الشقاق والشقاء وهذا من وحى آيات النسـاء (١٢٨ ــ ١٣٠) ومنهم من يقول إن الحـكمين يقترحان التفريق على الحاكم والحاكم هو الذى يفرق . وعلى كل حال ففى ذلك تدخل فى ولاية الرجل على نفسه وحد لها مستلهمان من التوجيـه القرآنى . ولقد روى الشافعى فـى صدد ذلك حديثا جاء فيه (جاء رجل وامرأة الى على رضى الله عنه ومع كل واحد منهما فئة من الناس . فأمرهم فبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين أتدريان ما عليكما ان رأيتما أن تجمعا فافعلا . وان رأيتما التفريق فافعلا . قالت المرأة رضيت بكتاب الله بما على فيه ومالى . وقال الرجل أما الفرقة فلا . فقال علـى كذبت والله حتى تقر بما أقرت به) (٤)

وللفقهاء اجتهاد مماثل فى صـدد الايلاء (٥) فاذا مضت الشهور الاربعة المعينة للزوج المولى على ما ذكرتـه آيات سورة البقرة هذه (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهـر فان فاءوا فان الله غفور رحيـم . وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم) ٢٢٦ و ٢٢٧ . ولم يرجع الزوج عن ايلائه فان الزوجة تطلق منه تلقائيـا طلقة رجعية فى اجتهاد وان للزوجة ان ترفع أمرها للحاكم والحاكم يطلق على الزوج فى اجتهاد حتى لا تبقى الزوجة معلقة فتظلم وتتضرر . وفى كلا الاجتهادين لا يملك الـزوج أن يرفض بحجة ان الطلاق بيده وهو ولى نفسه عليه .

وكذلك فى الظهار (٦) حيث يوجب القرآن على المظاهر الذى يعود عما قال كفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو اطعام ستين مسكينا .

فاذا امتنع الزوج عن التكفير فالزوجة ترفع أمرها للحاكم . والحاكم يجبر الزوج على التكفير أو يعين له مدة فاذا لم يكفر فيها طلق عليه ولا يملك الزوج الرفض بحجة ولا يته على نفسه في الطلاق حسب ما عليه اجتهادات الفقهاء وهو ما تلهمه روح التوجيهات القرآنية . ولقد قال بعض المفسرين ان جملة (فان خفتم) في آية البقرة ٢٢٥ موجهة للحكام . وهذا سديد تسوغه صيغة الآية حيث يكون في الآية على ضوء ذلك توجيه للحاكم بوجوب التدخل وحل النزاع الذي ينشب بين الزوجين اذا خيف ان لا يقيما حدود الله . وفي الآية تسويغ لافتداء الزوجة نفسها ببعض المال من زوجها حتى تخلص مما تعانيه من أذى وشقاء . وفي صدد ذلك روى البخاري والنسائي عن ابن عباس (ان امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الاسلام (تعني أنها تكرهه ولا تطيق معاشرته وتخشى ان تكون في ذلك شاذة عن الدين) فقال رسول الله أتردين عليه حديقته قالت نعم قال اقبل الحديقة وطلقها تطليقة) . وقد يقال ان الرجل استعمل ولايته ولكن هذا الاستعمال لم يكن في الحقيقة طوعا من نفسه وانما هو اطاعة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم .

سابعا : ليس هناك خلاف في أن القضاء هو صاحب صلاحية في التدخل لتنفيذ وصية الموصي اذا رفض الورثة تنفيذها وكانت في حدود سنة رسول الله أي الثلث أو أقل . ولاعطاء كل ذي حق حقه من الارث اذا أراد بعض الورثة ظلم بعضهم الآخر ولاعطاء صاحب الدين دينه من تركة الميت اذا رفض الورثة ذلك . وفي الزام المطلق أو ورثته بنفقة المطلقة وسكناها اثناء العدة وأجر رضاع طفلها . وفي الزام الزوج بدفع مهر زوجته . وفي التدخل لمنع الناس من اكل أموال بعضهم بالباطل .

وصيغ التشريعات القرآنية في هذه المسائل موجهة للمسلمين ليلتزموا بها دينا وايمانا وتقوى . ووقوفا عند حدود الله وأوامره . وليست موجهة للحكام أي انها تجعل الولاية للمسلمين على أنفسهم في ذلك كله . وهي مماثلة في أسلوبها ومداها لصيغ آيات الطلاق وتعدد الزوجات .

ويبدو هذا من مقارنة الآيات مع بعضها . فاذا كان تدخل الحاكم سائغا في هذه الأمور فيكون ذلك سائغا أيضا فيما يتبادر لنا في مسائل اساءة الزوج لاستعمال ولايته على نفسه في الطلاق والتعدد .

واذا قيل إن تلك المسائل حقوقية وللسلطان احقاق الحقوق فان واجب السلطان في منع الظلم والضرر غير منازع فيه أيضا . وظلم الزوج لزوجته من أشد أنواع الظلم لأنه مؤد الى الفواجع والمآسي وهدم الحياة الاجتماعية .

وآيات سورة الطلاق الأولى والثانية تأمر باحصاء العدة واشهاد العدول واقامة الشهادة لله . وكل هذا انما يكون لاحتمال رفع الأمر للقضاء ويسوغ القول بالتالي ان القضاء مرجع لجميع هذه الأمور فليس في الدعوة الى ذلك شذوذ وتجاوز يجعلانها بمثابة فصل الدين عن الدولة .

وهناك أحاديث نبوية كثيرة (٧) تفيد أن المسلمين كانوا يراجعون النبى صلى الله عليه وسلم فى مختلف شئونهم الأسرية ومنها الطلاق والخلع والعدة والنفقة الخ وان النبى كان يقضى بينهم فى ذلك . وفى بعضها كان النبى يتدخل مباشرة فى بعض المواقف ويفسر مدى التشريع القرآنى فيها وهو فى متناول كل من يريد وكثيرة كثرة تجعل المقال طويلا جدا لو أردنا ايرادها . حيث يكون فى ذلك أيضا ملهمات بأن القضاء الاسلامى مرجع شرعى صحيح لهذه الأمور . وقد يقال إنهم كانوا يراجعونه لأنه نبى مشرع يوحى اليه وهذا حق . ولكنه كان يتلقى مراجعتهم ويقضى بينهم كقاض وكصاحب السلطان أيضا على ما تفيده أحاديث كثيرة . وهناك حديث صريح الدلالة على هذا . فقد روى الخمسة عن أم سلمة (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما أنا بشر وانكم تختصمون الى ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار) (٨) .

هذا . وقد يلحظ انى ادرت الكلام على سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه فى الطلاق والتعدد . وقد يقول قائل انه قد يكون سائغا ان ينظر القضاء فى الأمر فى حالة الشكوى والمراجعة وان التوجيهات القرآنية هى فى صدد ذلك فى حين أن النقد الموجه من الناقدين لاناطة ذلك للقضاء هو بسبب الدعوة الى جعل هذه الاناطة عامة شاملة وسواء اكانت شكوى وخوف شقاق واساءة أم لم تكن حيث يكون الطلاق والتعدد منوطا بإذن القضاء مطلقا . وجوابا على هذا أقول أن الدكتور البهى أدار الكلام على نقد المساس بولاية المسلم على نفسه مطلقا ولم يستدرك ولم يستثن فتأثر كلامى بذلك .

ولقد أورد الدكتور آية سورة البقرة (٢٢٩) فى سواغ افتداء الزوجة نفسها ولكنه لم يذكر ماذا يكون الأمر اذا رفض الزوج وأصر على التمسك بزوجته ضرارا واعتداء ، وابتزازا . ولقد نبه الدكتور على مبدأ الامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان ولكنه لم يذكر ماذا يكون الأمر اذا شذ الزوج عن هذا المبدأ . ولقد أورد الدكتور آية سورة البقرة التى تأمر بعدم الامساك بالزوجة المطلقة للضرر اذا بلغت أجلها وامساكها بالمعروف أو مفارقتها بالمعروف ولم يذكر ماذا يكون الأمر اذا شذ الزوج عن ذلك . ولقد أورد الدكتور آية سورة النساء (٣) التى تأمر بالاكتفاء بواحدة اذا خيف الجور وعدم العدل ولم يذكر ماذا يكون الأمر اذا تحقق الجور وعدم العدل بالتعدد .

ولا ريب فى أن الدكتور يعرف أن للزوجة أن تراجع القضاء وان للقضاء ان يتدخل وأن تدخله قد يصل الى الحد من ولاية الزوج على نفسه فى ضوء آية النساء (٣٥) والمأثورات واجتهادات الفقهاء فيها على ما شرحناه قبل . والظاهر أنه تحرز من ذكر ذلك حتى لا يضعف نقده .

ومن ذلك فانى لا أعتقد أن فى كتاب الله وسنة رسوله ما يمنع أن يناط أمر الطلاق وتعدد الزوجات عامة بالقضاء الاسلامى الذى يكون الكتاب والسنة والفقه الذى يقوم عليهما

مرجعه وسنده . بل واعتقد أن فى القرآن والسنة ما يلهم ذلك . واعتقد أن هذا العمل هو تنظيم اسلامى وليس كما يوصف فصلا للدين عن الدولة . ولا تعطيلا للشريعة الاسلامية ولا ايغالا فى العلمانية والاستغراب . وانه لمن الممكن الاحتياط بحيث يدع القاضى ولاية المسلم على نفسه نافذة يباشرها بحريته اذا ما تحقق له فى الحالة التى ترفع اليه أنه ليس فيها سوء استعمال وظلم وضرر ويتدخل فقط فى الحالة التى يتحقق له فيها ذلك فيحد من الولاية ويمنع الظلم والجور والضرر استنادا الى حقه وواجبه فى منع الظلم والأذى والضرر وتأييد المبادىء القرآنية فى بذل الجهد فى الاصلاح والامساك بالمعروف فى حالة جنوح المسلم الى الطلاق ويمضيه اذا تعذر التوفيق والاصلاح ثم فى منع التعدد الذى يكون الجور وعدم العدل مؤكدا والذى لا تكون الضرورة البشرية والصحية فيه قاضية . ويمضى ما لا يكون فيه ذلك . ورأيى هذا ليس جديدا ولعلى من أوائل الداعين اليه فقد شرحته فى كتابى (الدستور القرآنى فى شئون الحياة) المطبوع فى مصر سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ (٩) ، ثم أعدت ابراده مع زيادة فى الشرح فى الطبعة الثانية لهذا الكتاب المعنون (الدستور القرآنى والسنة النبوية فى شئون الحياة) المطبوع فى مصر ١٣٨٦ — ١٩٦٩ (١٠) وقد أوردت الملهمات القرآنية والنبوية ورددت على ما يورد على هذا الرأى من اعتراضات . ولولا خوف التطويل وقد طال المقال حقا لأوردت ذلك .

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) لا تعولوا فى آية النسا(٣) بمعنى لا تميلوا عن الحق ولا تجوروا .

(٢) لا تعضلوهن فى آية النساء ١٨ وفى آية البقرة (٢٣٣) بمعنى لا تمسكوا بهن بقصد الابتزاز وعدم العودة الى أزواجهن .

(٣) حديث ابغض الحلال الى الله الطلاق رواه أبو داود والحاكم وصححه عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم — التاج ج ٢ ص ٣٠٨ .

(٤) التاج ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٥) الايلاء يمين يحلفها الزوج بان لا يعاشر زوجته جنسيا .

(٦) الظهار ان يقول الزوج لزوجته أنت على محرمة كظهر أمى .

(٧) انظر الجزء الثانى من التاج ص ١٧٦ الى آخره والجزء الثالث ص ٣ — ٦٥ .

(٨) هذا الحديث فى الجزء الثالث ص ٦١ .

(٩) الدستور القرآنى فى شئون الحياة ص ١٧٠ — ١٨١ .

(١٠) الجزء الاول من الدستور القرآنى والسنة النبوية فى شئون الحياة ص ٢٧١ — ٢٩٨ والجزء الثانى ص ٩٠ وبعدها .



اللواء الركن : محمود شيت خطاب

– ١ –

كانا جارين ليس بين داريهما غير حائط قصير يسهل اجتيازه على الشاب والرجل ، ولكنهما كانا متناقضين فى الطباع والخلق والسيرة . اما الاول فكان يمثل النور بما فيه من صفاء وبهجة وخير ، وأما الثاني فكان يمثل الظلام بما فيه من عتمة وانقباض وشر .

وساق سلوك الاول صاحبه الى حب الناس وتقديرهم ورضا الله ، وساق سلوك الثانى صاحبه الى الموت شنقا والى كره الناس له وسخط الله عليه .

رحلا من هذه الدنيا كل بأجله الموعود ، ولكن سكان الموصل لا يذكرون الاو ل الا بالرحمات والعبرات ولا يذكرون الثانى الا باللعنات والمسبات .

وكان رحيل الجارين حين رحلا ، يوما مشهودا يذكره الموصليون حتى اليوم ، كأن رحيلهما تاريخ من التاريخ .

أما رحيل الاول ، فقد كان يوم حزن بالغ وألم شديد ، شيعه المشيعون بالعبرات والزفرات ، واجتمع فى جنازته القاصى والدانى، وأعلن الحداد غير الرسمى على وفاته ولا يزال ذكره الحسن يعطر المجالس.

أما رحيل الثانى ، فقد كان يوم فرح بالغ وانشراح عميم ، حضر الناس جميعا موعد شنقه ، فأخرج روحه على أصوات الزغاريد والتهاليل ولا يزال ذكره السىء على كل لسان .

ولم يقض وحده شنقا حتى الموت بل أخذ زوجته معه أيضا ، اذ شاركته مصيره المفجع شنقا حتى الموت .

كان اسم الاول الحاج خطاب أحمد ، وكان اسم الثانى عبود .

— ٢ —

تقلب الحاج خطاب بين النعمة وشظف العيش ، وبين اليسر والعسر ، ولكنه صبر على العسر وشكر على اليسر .

كان تاجرا ينقل الاغنام والابقار من الموصل الى حلب ، وقد تمتد مسيرته الى الاسكندرونة والاسكندرية ، وحين يبيع أغنامه وأبقاره يشترى بالمال أقمشة وصابونا وينقلها من أرض الشام أو مصر الى العراق .

وصادف مرة فى رحلته من الموصل الى حلب ، ان أصيبت ماشيته بوباء من تلك الامراض المعدية التى تصيب الماشية كالوباء ، فعاد من رحلته لا يملك قوت يومه .

وصادف مرة فى طريق عودته من أرض الشام الى العراق ، أن هاجمه قطاع الطرق ونهبوا أمواله وبضاعته، فعاد أدراجه وهو لا يملك شروى نقير .

ولكن مروءة الناس حينذاك ، لم تكن كمروءتهم اليوم ، فقد حدث أن الحاج خطاب كان يطوى هو وأهله فى بيته ، وهو فى عزلته يتجرع الغصص ، ولكنه كان دائبا على شكر الله . حدث أن طرق عليه بابه ، فاذا برجل من أصدقائه يقول له : خذ !

وتلمس الحاج خطاب ما أخذه ، فاذا هو صرة كبيرة من الليرات الذهبية العثمانية ، فبادر الى طرح الصرة أرضا ، ثم هرول الى القادم الذى دفع اليه المال ليلا ، ليعرف هويته ويشكر صنيعه فكان الحاج خطاب يخب ليلحق بالرجل ، وكان الرجل يخب حتى لا يعرف أحد هويته، وأخيرا لحق الحاج خطاب بصاحبه ، فاذا هو رجل من عائلة آل الجومرد عليه رحمة الله .

وعاد الحاج خطاب الى داره ، وحمل الصرة وآوى الى غرفته ، وحين استقر به المقام ، وفتح الصرة وجد فيها خمسة آلاف ليرة ذهبية عثمانية .

والذين كانوا يملكون خمس ليرات يومذاك ، كانوا يعدون من الأغنياء !!

ومضى الحاج خطاب الى السوق بهذا المال يشترى الأغنام والابقار ، ورحل بها الى سورية ، فربح ربحا وفيرا .

وعاد من سورية بالأقمشة والصابون ، فربح ربحا وفيرا .

وعاهد الله أن يشكر نعمته بتوزيع الأموال على الفقراء والمحتاجين واليتامى ، فبلغ فى ذلك شأوا بعيدا قارب به ما كان يبلغه السلف الصالح من المنفقين أموالهم فى سبيل الله .

— ٣ —

وكان عبود شابا فتزوج بامرأة سوء ، شجعته على السرقة ، وحثته على طلب المال الحرام .

سرق أول أمـــره بيض دجـــــاج الجيران ، ثم سرق دجاجاتهم .
وتطورت سرقتـــــه مـــن البيض والدجاج الى الأثاث والمتاع ، ثم الى سرقة خزائن المال .
وكان يعتمد على نفسه فـــى أول امره ، ثم أصبح رئيسا لعصابة مـــن اللصوص ، تقطع الطرق ، وتعتدى على الآمنين ، وتهاجم البيوت فـــى الليل .

وفى يوم من الأيام ، خطط للسطو على دار جاره الحاج خطاب ، وكان الأمر ميسورا بالنسبة له ولعصابته ، اذ لم يكن بين دار الحـــاج خطاب وداره غير حائط قصير ، يجتازه هو وعصابته بسهولة حين يريدون .

وكان الحاج خطاب قد عاد مـــن سورية بتجارتـــه الرابحـــة ، وكانت أخبار أرباحه الكبيرة حديث النـــاس جميعا ، فقال عبود لرجاله : لا بد ان نبادر الى أخذ أموال الحاج خطـــاب قبل أن يبددها على الفقراء .

— ٤ —

كان يوما من أيام الشتاء القارص وكان القمر فى المحاق ، فلما انتصف الليل ، اجتاز عبود وعصابته الحائط بين داره ودار الحاج خطاب ، فحلوا فى سطح المنزل ، وأخذوا يترقبـــون الفرصة السانحة للنزول من السطح الى داخل الدار .
وانتظر عبود خروج الذاكريـــن ، ولكنهم لم يخرجوا حتـــى اذن المؤذن بالذاكرين الله ، وهم يرددون كلمات الذكر بخشوع .

وانتظر عبود خـــروج الذاكرين ، ولكنهم لم يخرجوا حتى اذن المـــؤذن لصلاة الفجر .

وعاد عبود ورجاله من حيث اتوا ، وأزمعوا أن يعودوا الكرة فى اليـــوم التالى .
وعادوا مرة ثانية وثالثة ورابعـــة وخامسة وسادسة وسابعة ، وهـــم يجدون مجلس الذكر حافلا ، وكـــان عدد الذاكرين يزداد كل يوم .
واخيرا قررت العصابة ألا تعـــود الى دار الحاج خطاب ، لأن مجلس الذكر يمنعهم من تحقيق مآربهم .
وبعد شهر حل موسم الربيـــع ، وجاء مع الربيع الخير والبركة .

وقدم رعاة أغنـــام الحـــاج خطاب بالسمن واللبن ، فوزع شطرا منـــه على الجيران ، وكان لعبود من هـــذا الخير نصيب .
وجاء عبود شـــاكرا للحاج خطاب هديته ، وفى أثناء الحديث ، قـــال عبود : يا حاج خطاب ! أتعقـــد فى بيتك كل يوم مجلسا للذكر ؟

وقال الحاج خطاب : لم أعقد فى بيتى مجلسا للذكر منذ سنين .
وقال عبود : ولكننى رأيت بعينى هذه المجالس تعقد كل يوم .
وقال الحاج خطاب : سبحان الله ! هل رأيت تلك المجالس بعينك ؟
وقال عبود : الآن حصحص الحق .. ثم حدثه بمحاولته سرقة داره ، وما رآه بعينه .

وقال الحاج خطاب : الحمد لله .. (ان الله يدافع عن الذين آمنـــوا إن الله لا يحب كل خـــوان كفـــور) .
ومضى عبود على وجهه كمن أصابته لوثة يردد : أنا رأيـــت مجالس الذكر بعينى ؟ كيف !! وقال لأصحابه : لقد رأينا مجالس الذكر ، والحاج خطاب تقى يكتم تقواه .
واجتاحت البلاد العربية موجـــة الغلاء الفاحش فى السنوات الاخيرة

من سنى الحرب العالميـــة الاولـــى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) .

واصبحـت الحنطة مفقـــودة ، واصبح سعر الوزنة (ما يسوى ١٣ كيلوغراما تقريبا) بثـــلاث ليـرات ذهبية .

وجاع عبود وجاعت زوجته ، فقد بدد المال الحرام الذى ربحه مـــن السرقات والميسر والخمر وما يتبـع الميسر والخمر .

وشجعته زوجتـــه على خطــف الاطفال وذبحهم ، فخطف العديد منهم وذبحهم واكل لحمهم .

وكشف أمره بعد حين ، فحوكـم وحكم عليه وعلى زوجته بالشنق حتى الموت .

واذاعت الحكومة القائمة حينذاك نص الحكم على عبود وزوجته وموعد تنفيذه ومكان التنفيذ .

وجاء الناس من كل فج عميــق ، ليشهدوا موت المجرم السفاح ، وهم فى فرح غامر وسرور عظيم .

وقيل لعبود قبل تنفيذ حكم الاعدام عليه : ما هي آخر رغباتك فى الحياة لنحققها لك ؟

قال : أن اقبل لسان زوجتى .

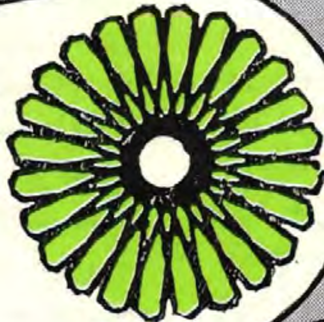
وأمام مشهد من الناس أخرجـت زوجته لسانها ليقبله عبود ، فأخــذ اللسان بفمه وقضمه بأسنانـــه حتى قطعه بين صراخ الزوجة وصخـب الجماهير .

وقال عبود : قطعت لسانها قبـل موتى وموتها ، لأنه سبب نكبتى ، لقد حثتنى على الجرائـم الصغيـــرة ، وشجعتنى على الجرائم الكبيرة ، حتى أصبحت مجرما خطيرا .

واذا كانت حياتى كلها شرا ، فان قطع لسان زوجتى على مشهد مــن الناس فيه عبرة ، لعل فيهـا بعض الخير .

وبعد لحظات كان عبود وزوجتـه فى عداد الاموات ، وكانا يتمرجحان على حبال المشنقة عبرة لمن يعتبر .

دور الدين في الوقاية من الأجرام



للدكتور احمد على المجدوب

بالرغم من أن النتائج المتماثلة للبحوث العديدة التى أجريت فى الخارج سواء على الظاهرة الاجرامية بصفة عامة ، أو على نوع معين من الجرائم،تقول إنه ليست هناك علاقة بالمرة بين الجريمة والدين باعتباره عاملا مانعا ، أو على الاقل مخففا من شدة الميل الى الجريمة ، وهو ما حرص كل العلماء والباحثين فى مجال الجريمة على ابرازه والتركيز عليه ، الى الحد الذى جعلهم يستبعدون الدين من بين العوامل التى يمكن الاستعانة بها لمواجهة الظاهرة الاجرامية ، وتجريده من تلك الاهمية التى أضفوها على غيره من الوسائل والاساليب التى اقترحوها ، سواء للوقاية أو للعلاج من الاجرام ، فان قبول هذه النتائج على علاتها والترويج لها فيما ينشر من كتب عن الجريمة فى بلادنا ينطوى على خطورة كبيرة ، فضلا عما فيه من خطأ منهجى واضح ، لأن التشابه الظاهرى بين المشاكل لا يعنى وجود تشابه مماثل بين الأسباب التى ادت اليها أو العوامل التى ترتبت عليها ، وبالتالى تشابه وسائل مواجهتها وأساليب علاجها ، مثال ذلك ظاهرة العلاقات الجنسية المثلية أو الشذوذ الجنسى فهى موجودة فى دولة متقدمة جدا كبريطانيا حيث تسود قيم وأنماط من العلاقات تختلف كل الاختلاف عما هو سائد فى بعض الدول حيث توجد نفس الظاهرة ، وبالتالى فانه لا يمكن القول بأن الاسباب فى كلتا الحالتين واحدة وان العلاج واحد كذلك .

والملاحظ على ما ينشر من تقارير عن البحوث التى أجريت فى البلاد الاسلامية عن الظواهر والمشكلات الاجتماعية ان الباحثين يعتمدون فى تفسيرهم للبيانات الاحصائية ولحصيلة ملاحظاتهم الميدانية على ما سبق أن نشر من تقارير عن بحوث مماثلة أو حتى مشابهة أجريت فى الخارج ، فضلا عن اثر الخلفية الفكرية لكل منهم ، وهى فى الغالب خلفية غربية ، وأحيانا خلفية شرقية وذلك لاستخلاص دلالات والوصول الى استنتاجات لا يراعون فى استخلاصها والوصول اليها ، لا الفروق الثانوية فحسب بل ولا الفروق الاساسية ايضا بين الواقع الاجتماعى فى البلاد الاسلامية والواقع الاجتماعى فى الدول الغربية ولذلك تأتى تحليلاتهم غير صحيحة رغم مظهرها المنطقى .

ولو أنهم وضعوا حدا للثقة المبالغ فيها فيما يقرأونه من كتب الغرب وبحوثه ، والتى لا يفرقون فيها بين الغث والثمين من الاعمال والدراسات لوصلوا الى نتائج أفضل بكثير مما يصلون اليه عادة ، نظرا لأن الشك ، وهو أمر له مبرراته العديدة فى مجال العلم ، سيجعلهم أكثر اصرارا على معرفة الحقيقة ، واشد رغبة فى استجلاء الأمر ، فلا يكتفون بالتحليلات السريعة والتفسيرات المتعجلة استنادا الى الاعتقاد الخاطىء بأن ــ التشابه بين المشكلات يعنى التشابه بين العوامل والاسباب وأيضا بين وسائل العلاج وأساليب المواجهة .

وهذا الحكم ينطبق الى حد كبير على تحليلات الباحثين المسلمين للعلاقة بين الدين والجريمة ، وتفسيرهم للدين كعامل مانع ، أو على الأقل واق من الاجرام ، فقد اكتفوا ، فى البحوث التى أجروها ، بالتفسيرات التى وصل اليها بعض الباحثين الغربيين ، كما استخدموا نفس أساليبهم فى التحليل والوصف ، دون أن يراعوا أبسط المبادىء العلمية ، فضلا عن الفروق الجوهرية بين الظروف الاجتماعية المختلفة والتركيب الاجتماعى فى البلاد الاسلامية وغيرها ، فسارعوا الى القول ، مقلدين زملاءهم الغربيين ، بأنه لم يتبين وجود علاقة من نوع ما بين الدين والجريمة ، فهو لا يلعب أى دور فى المنع من الجريمة أو الوقاية منها ، وأيدوا رأيهم هذا بما ورد فى كتب العلماء الغربيين من نتائج فى هذا الصدد ، ناسين أو متناسين أن الدين الذى عناه هؤلاء العلماء ليس هو نفس الدين الذى تدور حوله بحوثهم .

فالملاحظ أن الباحثين العرب والمسلمين ينقسمون ازاء الدين الى فريقين أحدهما ينسى فى ترديده لآراء علماء الغرب فى الدين الاختلافات الاساسية بين الاسلام وغيره فى غمرة انبهاره بهذه الآراء من ناحية ، ولجهله التام أو المحدود بالشريعة الاسلامية من ناحية أخرى ، مما يجعله عاجزا عن ادراك ما بينها وبين غيرها من اختلافات رئيسية وفروق أساسية .

فى حين أن الفريق الثانى يتناسى عن عمد الاختلافات التى بين الدين الاسلامى وغيره من الأديان ، ويصر على تعميم الاحكام التى وصل اليها علماء الغرب والشرق على السواء بشأن الدين ويمدها الى الدين الاسلامى بالرغم من أن هذا التعميم

يتعارض بشكل صارخ مع المبادىء العلمية الاساسية . ولكنه التقليد الأعمى للغرب ، والمحاكاة البلهاء لكل ما يصدر عنه ، الصادرين عن الجهل حينا وعن الانتهازية والنفاق والوصولية غالبا .

لذلك يكتفي الباحثون لدينا بالبيانات البسيطة عن الظاهرة دون أن يتتبعوها في علاقتها بغيرها من العوامل والظواهر الأخرى ، فلا يستخدموا ما يسمى بالجداول المركبة واذا استخدموها فبالنسبة للعلاقة بين الجريمة والدين فقط دون العلاقة الأوسع التي تشمل الجنس والسن والتعليم وغيرها مما يتفاعل بشكل ملحوظ مع الدين ، وهو قصور معيب ينبغي تداركه والعدول عنه ، فالمعروف أن فهم الدين واستيعاب أحكامه والالتزام بمبادئه وقيمه يختلف باختلاف الجنس والسن والتعليم ، مما يستوجب وضع جداول ارتباط تشمل هذه الامور جميعا حتى يمكن الوصول الى تحديد للعلاقة بين الدين والجريمة ، فضلا عن ملاحظة الفروق بين الدين الاسلامي وغيره ، وأهمها بلا جدال أن الاسلام ليس مجرد مبادىءأخلاقية وتعاليم دينية وعبادات فحسب ، بل هو شريعة كاملة تتناول كافة صور العلاقات الانسانية والاجتماعية سواء بين الافراد وبعضهم بعضا أو بينهم وبين الجماعة فضلا عن اهتمام الاسلام بالانسان أولا وقبل أى شيء آخر فسعى الى أن يوفر له انسانيته ويضمن له كينونته ازاء الجماعة ، فجعل اهتمامه موجها في المكان الاول الى جعله اجتماعيا يعرف ماله وما عليه وذلك بتنمية الاحساس بالمسؤولية لديه نحو الجماعة وتجريده بقدر الامكان من أنانيته وحبه لذاته واحلال الاحساس الغيرية لديه والرغبة في التضحية وانكار الذات دون قهر أو اكراه ، وانما بالاقتناع والفهم والرغبة الصادقة . وقد سبق جهد الاسلام في هذا المجال جهده في مجال العقاب ، فهو يربي الفرد ويجعله انسانا ثم بعد ذلك يفرض عقوبات رادعة على من يخرج على ما وضعه من ضوابط وما فرضه من حدود قصد بها حماية الجماعة وتوفير الأمن والطمأنينة لأفرادها حتى لا تستحيل الحياة الى غابة يسودها منطق القوة الغاشمة ويستشرى فيها الفساد والانحلال والظلم والبغي .

لذلك فان الاسلام عكس غيره من الأديان لم يتضمن تحديدا للجرائم فحسب ، بل تضمن أيضا المبادىء الاساسية في اجراءات التحري والتحقيق والمحاكمة ، مما يمكن معه القول أن مد الحكم الذي اصدره علماء الغرب على الدين الى الدين الاسلامي يعد عملا تعسفيا يفتقر الى التبصر والحكمة ، بل يمكن القول بأنه لا يصدر عن اعتبارات علمية بالمرة .

والملاحظ أن دراسة العلاقة بين الدين والجريمة في المجتمعات الاسلامية أسهل من دراستها في غيره من المجتمعات ، لا لشيء الا لوضوح التأثيرات التي يزاولها الدين الاسلامي في المجتمعات التي تدين بالاسلام ، إما بصفة عامة وفي كافة الظروف ، كما في المجتمعات التي تطبق الشريعة الاسلامية وأحكامها ، أو بصفة خاصة وفي ظروف معينة ، كما في المناسبات التي تسود فيها روح الاسلام مثل شهر رمضان .

وهناك تأثيران أساسيان واضحان يزاولهما الاسلام ، وتبدو وعلاقته فيهما بالجريمة أوضح ما تكون سواء في الجانب السلبي أو في جانبها الايجابي .

ومصدر التأثير الاول ، الاسلام كدين يدعو الى الفضائل وينفر من الرذائل ، ويحض على فعل الخير ونبذ الشر ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويربط الانسان بهذه القيم ربطا دائما بما يمارسه عليه من تأثير يستمر خلال اليوم فضلا عن العام ، ويتمثل فى الصلوات الخمس ثم الزكاة والصوم والحج ، وقراءة القرآن وسماعه وهى لا تكاد تنقطع طول اليوم بما تتضمنه من تذكير دائم بمبادىء الدين وأحكامه وضوابطه وأوامره ونواهيه وهو أمر لا يشبه فيه مجتمع آخر المجتمع الاسلامى ، مما يجعل من السهل قياس ورصد أثر الدين فى سلوك الأفراد وعلاقاتهم وبالتالى تحديد العلاقة بين الدين والجريمة . أما مصدر التأثير الثانى فهو العقوبات الرادعة التى قررتها الشريعة الاسلامية لمن يخرج على أحكامها ولا يراعى ضوابطها ومبادئها وهو خروج ينم عن فساد جدير بالمواجهة الحازمة وانحراف قمين بالردع لما يؤدى اليه من اضرار تصيب الجماعة والافراد وما ينطوى عليه من أخطار تهدد أمنها وتنال من سلامتها وتتهدد العلاقات المستقرة بين أفرادها .

ويمكن استخدام المنهج الاحصائى فى دراسة العلاقة بين الدين الاسلامى والظاهرة الاجرامية فى المجتمعات الاسلامية بهدف التحقق من صحة الفرض القائل بأن للدين أثرا مانعا من الانحراف والاجرام ، وذلك بطريقتين : الاولى يتم فيها اجراء حصر شامل لكل ما وقع من جرائم فى دولة تطبق الشريعة الاسلامية لمدة خمس سنوات على الأقل ، ثم تفرغ البيانات الرقمية فى جداول بحسب تصنيف للجرائم يتم وضعه على غرار أكثر التصنيفات العلمية شيوعا حتى يسهل اجراء المقارنة بين هذه البيانات ومثيلتها فى دولة أو عدة دول لا تطبق الشريعة الاسلامية رغم انها دول يدين أغلب رعاياها بالاسلام ، فالعامل المتغير الوحيد بين الدول التى تجرى المقارنة بينها هو تطبيق الشريعة الاسلامية ، بينما تثبت العوامل الاخرى . وذلك لمعرفة اثر هذا العامل فى المشكلة وهل هو سلبى أم ايجابى .

كذلك يمكن بواسطة نسبة اجمالى الجرائم التى ارتكبت الى اجمالى عدد السكان ، معرفة ما يسمى بالمعدل وهو نسبة مرتكبى الجرائم الى كل مائة الف من السكان .

أما الطريقة الثانية ويستخدم فيها المنهج الاحصائى أيضا ، فيقصد بها التحقق من صحة الفرض نفسه بادخال العامل المتغير أى الدين ، خلال فترة معينة من السنة مع تثبيت العوامل الأخرى وهذه الدراسة تجرى على نفس المجتمع ولكن خلال فترتين زمنيتين مختلفتين احداهما يظهر فيها أثر الدين ، مثال ذلك شهر رمضان ، والثانية لا يظهر فيها هذا الأثر كبقية شهور السنة ثم يتم حصر الجرائم التى وقعت فى الفترتين واجراء المقارنة بينها لمعرفة اتجاهها خلال الفترة التى كانت المشاعر الدينية فيها لدى الناس فى حالة نشاط وهل كان هذا الاتجاه نحو الارتفاع أم نحو الانخفاض أم أنه لم يختلف عن الاتجاه العام طول العام .

كذلك يمكن تحديد معدل الجريمة خلال شهر رمضان ومقارنته بالمعدل فى الشهور الأخرى لمعرفة ما اذا كان قد طرأ عليه تغيير من نوع ما أم لا .

ولقد حاولت اجراء مثل هذه الدراسة وخاصة ما يتعلق منها

بالمقارنة بين البيانات الاحصائية الخاصة بالجرائم التى ارتكبت فى بلدين اسلاميين أحدهما يطبق الشريعة الاسلامية والآخر لا يطبقها ولكن للأسف الشديد اعترضت المحاولة عدة عقبات ، يمكن التغلب عليها اذا رغب المسئولون فى الدول الاسلامية وخاصة التى تطبق الشريعة الاسلامية فى تقديم التسهيلات اللازمة لاجراء هذه الدراسة وتذليل الصعوبات التى تحول دون المضى فيها . وأهمها جميعا تقديم البيانات الاحصائية الخاصة بالجرائم التى ارتكبت فيها خلال فترة زمنية معينة أو تمكين المسئولين عن الدراسة من اجراء حصر لما يقع من جرائم . ومما لا شك فيه أن وجود ادارة احصائية تختص بتسجيل ما يقع من جرائم أصبح من المرافق الاساسية فى وزارات الداخلية والعدل وغيرهما مما يتصل نشاطه بالظاهرة الاجرامية ، فضلا عن المؤسسات العقابية التى تستعين بالاجهزة الاحصائية والبيانات الاحصائية فى العديد من العمليات كالتفريد العقابى والتصنيف وغيرها .

الا انه لوحظ أن الكثير من الدول الاسلامية قد استجلبت أحدث الاجهزة فى شتى المجالات ونسيت أن تستجلب الاجهزة الاحصائية رغم فوائدها العديدة ، وهناك بعض الدول التى استجلبت هذه الاجهزة ولكنها لم تستخدمها الاستخدام المفيد والنافع واكتفت بالنشر عنها فى الصحف والمجلات فى المناسبات التى ينشط فيها الحديث عن العصرية والتقدم والأخذ بالاساليب العلمية .

وهناك بعض الصعوبات الناشئة عن اختلاف الظروف السائدة فى الدول الاسلامية وأهمها الاختلاف المعروف بين السنين الشمسية والسنين القمرية والذى يترتب عليه عدم التطابق بين الشهور الهجرية والشهور الميلادية والسريانية مما يجعل المقابلة بين الشهور صعبا ولكنه ليس مستحيلا طالما أنه يمكن تحديد ما يقابل شهر رمضان من الشهور الميلادية أو السريانية فى كل عام .

وربما يأخذنا الحماس فنسارع الى اصدار حكم تعسفى بأن الدين الاسلامى له تأثير مانع من الجريمة يبدو بوضوح فيما نلاحظه من اختلاف شديد بين معدلات الجريمة فى الدول الاسلامية والدول الاوروبية مثلا حيث ترد الينا الانباء كل يوم بالمزيد والجديد بل والغريب من الجرائم كالقتل الجماعى والشذوذ الجنسى والسطو والاغتصاب وجرائم العنف بصفة عامة ، مما جعل الجرائم تزيد فى كل عام بنسبة ١٠٪ عما كانت عليه فى العام السابق ولكن مثل هذا الحماس ضار أكثر مما هو نافع نظرا لما هو معروف من وجود مؤثرات أخرى غير الدين يمكن أن تخفض معدل الجريمة كالتخلف مثلا ، فالمعروف أن الجريمة تتجه اتجاها طرديا مع التحضر ، بمعنى أنه كلما زاد التحضر زادت الجريمة ومن ثم فان انخفاض نسبة الجرائم أو ضعف معدلها لا يعنى أن الدين هو السبب .

كذلك قد تتدخل عوامل جانبية تؤدى الى خفض معدلات الجريمة خفضا ظاهريا فقط مثال ذلك ضعف الشرطة وهبوط مستوى رجال الأمن الذى يؤدى الى عدم الكشف عن الجرائم وضبط مرتكبيها فتظهر الاحصاءات غير متضمنة كل ما وقع من الجرائم وتدخل نسبة كبيرة من الجرائم فى دائرة الظل أو ما يسمى بالارقام السوداء أو المظلمة

وهى مشكلـــة تعانى منها كل الدول بصور متفاوتة فى خطورتها مما جعل المختصين يعقدون المؤتمرات وينظمون الندوات من أجل دراستها والتعرف على أسبابهـــا والعـــوامل الكامنة وراءها .

لم يبق اذن متاحا سوى اللجـــوء الى الطريقة الثانية وهى الدراســـة الاحصائية للبيانات الرقمية للجرائــم التى ارتكبت فى فترتين مختلفتين من حيث ظهور أثر الدين فى احداهمـــا وعدم ظهوره فى الأخـــرى وبمعنـــى أصح اجراء مقارنة بين الجرائم التى ارتكبت فى شهر رمضان والجرائــم التى ارتكبت فى غيره من الشـــهور على مدار السنة وذلك خلال عدد من السنين حتى تتمكن من متابعة أثـــر العامل المتغير وهو الدين خلال فتـــرة طويلة نسبيا واستبعاد أثر أى عامل من العوامل غير المتوقعة التى قـــد تطرأ فى عام دون آخر ، كالحرب مثلا حيث تبين حدوث انخفاض كبيـــر وواضح فى نسبة الجرائـــم التـــى ارتكبت فى شهر رمضان ١٣٩٣ أثناء حرب أكتوبر سنة ١٩٧٤ مقارنة مع ما سبق ارتكابه من جرائم فى شهر رمضان من الاعوام السابقة ، ممـــا يدل على أن الحرب كان لها تأثيـــر لا شك فيه فى هـــذا الانخفـــاض غير العادى ، بعكس ما هو معروف عـــن اثر الحروب فى ارتفـــاع معـــدلات الجريمة فى دول العالم ، مما يمكـــن رده مرة أخرى الى الدين الذى تفاعل تأثيره المكثف خلال شهر رمضان مع تأثير الحرب التى بعثت فى ذاكـــرة المسلمين ذكريات تلـــك الحـــروب المقدسة التى خاضوها دفاعا عـــن دينهم وعقيدتهم وذودا عن كرامـــة الانسان المهدرة فى كل مكان وشرفه المهان أينما كان .

وقد أجريت الدراسة على الخمس سنوات الواقعة بين سـنتى ١٩٦٨ و ١٩٧٢ الموافقتين لسنتـــى ١٣٨٨ و ١٣٩٢ هجرية وبطبيعة الحـــال ، فانه نظرا لاستخدام مصر للتقـــويم الميـــلادى فان الاحصاءات الجنائية تصدر بحسب الشهور الميلادية التى لا تتطابق حتما مع الشهور الهجرية ، مما يجعل شهر رمضان يقابل ثلاثين يوما يقع بعضها فى شهر ميـــلادى وبعضها الآخر فى شهر آخر ، مثـــال ذلك شهر رمضان ١٣٨٩ هجريـــة فثلثاه يقعان فى شهر نوفمبر والثلـــث الأخير يقع فى شهر ديسمبر سنـــة ١٩٦٩ مما يسبب صعوبة عند محاولة تحديد عدد الجرائم التى ارتكبت فى شهر رمضان فهى تستخلص مما ورد بالتقارير الاحصائية منسوبا الـــى الشهور الميلادية ، وفى هذا المثـــال الذى ذكرناه حالا فان تحديد الجرائم التى ارتكبت فى شهر رمضان سنـــة ١٣٨٩ يتم بضم ثلثى الجرائم التـــى ارتكبت فى نوفمبر الى ثلث الجرائم التى ارتكبت فى ديســـمبر بكل مـــا ينطوى عليه ذلك من مخاطر ناشئـــة عن أن الجرائم ليست عملا منتظمـــا وثابتا يقع على مدار أيام الشهر بنسبة ثابتة ومتساوية بحيث يتساوى مـــا يقع فى كل اسبوع من أسابيع الشهر مع ما يقع فى غيره ، وانما تتدخـــل عوامل واعتبارات عديدة تجعل ذلك التساوى متعذرا ان لم يكن مستحيلا مما يجعلنا ننصح فى حالة اجـــراء دراسة واسعة أن يتم حصر الجرائم بحسب الشهـــور الهجريـــة وليس الميلادية تلافيا للصعوبة المشار اليها وهى تتعلق باجمالى الجرائم ، وهناك صعوبة أخرى تتعلق بتصنيف الجرائم فهناك أنواع من الجرائم ينخفض عدد ما يقع منها فى شهر رمضان بينمـــا

يرتفع عدد ما يقع من انواع أخرى بحسب ما ينطوى عليه هذا النوع او ذلك من تعارض مع الصيام بصفة خاصة ومع الدين بصفة عامة ، ومن ثم فان تحديد نسبة ما وقع من هذه الانواع فى الجزء من الشهر الميلادى المقابل لشهر رمضان يلقى صعوبة واضحة وفضلا عن ذلك فان التعرف على اثر الدين فى المنع من الجريمة لا يمكن أن يتم باليقين المطلوب نظرا لاستحالة الفصل بين العوامل المختلفة سواء التى تؤدى الى الاجرام أو التى تمنع منه فهى متداخلة متفاعلة لا تعمل بمعزل عن بعضها بعضا .

ومع ذلك وبالرغم من هذه المحاذير ومن غيرها مما تضيق عنه هذه الدراسة المبسطة ، فاننا قد مضينا فى محاولتنا تقصى اثر الدين فى المنع من الاجرام او الحد منه فتبين من التحليل الاحصائى للبيانات الخاصة بالجريمة ومع الأخذ بعين الاعتبار العوامل الأخرى التى تلعب دورا سلبيا أو دورا ايجابيا أن الدين يلعب دورا واضحا بالنسبة لبعض الجرائم كالجرائم الجنسية أو جرائم الآداب ، مثل الاغتصاب وهتك العرض والفعل الفاضح العلنى والتحريض على الفسق ، وكذلك جرائم القذف والسب كما تنخفض بنسبة أقل جرائم السرقة والقتل ، فى حين لا تنخفض جرائم الضرب والجرح بل قد تزيد وخاصة المشاجرات البسيطة المعدودة من الجنح وجرائم التزييف والحريق العمد وتعاطى المخدرات والاتجار فيها .

والملاحظ أن الجرائم التى تنخفض نسبة ما يقع منها ، تتعارض بشكل واضح مع الدين ، بل ان أغلبها مما يدخل فى الحدود المنصوص عليها مباشرة فى الشريعة كالزنا والجرائم الجنسية بصفة عامة والسرقة والقتل والقذف والسب .

اما الجرائم التى لا تنخفض نسبتها وكذلك التى تزيد فانها من وجهة نظر عامة الناس لا تتعارض بشكل مباشر مع الدين ولا مع الصيام وخاصة التزييف وتعاطى المخدرات والاتجار فيها التى يرون أنها ليست محرمة بعكس الخمر التى حرمها الله ومع ذلك يبيحها ولاة الأمر .

أما المشاجرات البسيطة فبالرغم من تعارضها مع الدين الذى نهى عن العدوان بكل درجاته الا أنها تجد ما يبررها عند الجهل فى حالة الصائم العصبية والضيق الذى ينتابه نتيجة الجوع .

وبصفة عامة فان اجمالى الجرائم التى ترتكب فى شهر رمضان يقل كثيرا عن اجمالى ما يقع منها فى غيره من الشهور ، كذلك فان نسبة ما يقع فى شهر رمضان الى إجمالى ما يقع فى العام كله من جرائم يقل بشكل ملحوظ عن نسبة ما يقع فى غيره من الشهور مما يدل على أن الدين يلعب دورا هاما فى المنع من الجريمة والوقاية من الاجرام بعكس ما وصل اليه علماء الغرب بالنسبة لغيره من الأديان حيث بينت لهم بحوثهم انها لا تلعب مثل هذا الدور .

وهكذا يمكننا أن نستفيد من الدين فى مكافحة الجريمة ومنعها باعتباره عاملا هاما بل أهم العوامل بلا جدال على شريطة أن يكون توظيفه لهذه الغاية مدروسا بشكل جيد وجاد حتى لا ينقلب الوضع ونسىء اليه بدلا من أن نحسن الى أنفسنا به ، فلا تزال نفوس الناس فى البلاد الاسلامية تنطوى على الكثير من الخير والحب والايمان العميق .

مائدة القارئ

بسم الله الرحمن الرحيم

« إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر » .

(صدق الله العظيم)

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله أنى ان علمت ليلة القدر فبماذا أدعو فيها ، فقال : قولى : (اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى) .

الصوم فى الحر

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا موسى على رأس سرية فى البحر فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع فى ليلة مظلمة اذا هاتف فوقهم يهتف : يا أهل السفينة قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه ؟ فقال أبو موسى : أخبرنا ان كنت مخبرا . قال : ان الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له فى يوم حار سقاه الله يوم العطش ، وكان حقا على الله عز وجل أن يرويه يوم القيامة .

خير زاد

خطب ابو ذر عند الكعبة قائلا :

أليس اذا اراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ، فقالوا : نعم ، فقال : فسفر الآخرة ابعد مما تسافرون ، فقالوا : دلنا على زاده ، فقال : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور .

ضيـف اللـــه

دعا الحجاج اعرابيا لياكل معه ، فقال الاعرابى : دعانى من هو خير منــك فلبيته ، فقال الحجاج : من هو ؟ قال الأعــرابى : ربى دعانى للصــوم فصمت . فقال : كل اليوم وصم غدا . فقـــال الأعرابى : أتضمن لى الحياة لغد ؟ فقـــال الحجاج : لا . فقال : كيف أبيع حاضرا بآجل . فقـــال الحجاج : انه طعام لذيــذ طيب . فقال : والله ما طيبته أنت ولا طبيه طاهيك ، وانما طيبته العافية ، فقال الحجاج : صدقت ولكن اليوم شديد الحر ، فقال ، وأنا صمت ليوم اشد منه حرا ، فقال الحجاج : ان فطرك اليوم خير ، فقال الأعرابى : (وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون) . فقال الحجاج : هديت يا رجل فانصرف راشدا .

السلف الصالح فى رمضان

١ ــ كان عبد الله بن عمر يصوم ولا يفطر الا مع المساكين ، فاذا لم يجد أو منعه اهله عنهم لم يتعشى تلك الليلة .

٢ ــ جاء سائل الى الإمام احمد وكان صائما فدفع اليــه رغيفين كان قد اعدهما لفطره ، ثم طوى وأصبح صائما .

٣ ــ كان ابو حنيفة يختم فى رمضان ســتين ختمة : ختمــة بالليل واخرى بالنهار وكان اذا دخل رمضان تفرغ لقراءة القرآن ، فاذا دخل العشر الأواخر فقلما يستطيع احد ان يكلمه .

المصنف

للدكتور محمد عبد الرءوف

لا زلنا بصدد الكلام عن المرحلة الثانية من مراحل قيد الحديث وكتابته تلك المرحلة التى سميناها « مرحلة المصنف أو التصنيف » ، أى جمع الأحاديث والآثار فى كتاب مرتبة على حسب ترتيب أبواب الفقه ، وقد درسنا نموذجين من المصنفات فى المقالين السابقين من هذه السلسلة وهما « مجموع الامام زيد » و « موطأ الامام مالك » ، ونتحدث فى هذا المقال عن نموذج ثالث كان من ثمرات هذه المرحلة ، وهو : « المصنف » للامام عبد الرزاق ، وبه ينتهى الحديث عن مرحلة المصنفات ان شاء الله .

وكتاب « المصنف » الذى نحن بصدد الحديث عنه موسوعة حديثية جليلة ، تحتوى على اكثر من واحد وعشرين الفا من الأحاديث والآثار والعجيب أنه على الرغم من أن الكتاب ثروة فقهية وتاريخية رائعة وأنه مصدر حديثى رائد مبكر ، وبالرغم من جلال المؤلف الامام وعلو قدمه ، فان « المصنف » لم يحظ بنصيب يذكر من العناية والدراسة من جانب الاجيال الماضية اذا قورن بما لقى كتاب « الموطأ » ، وما قدر للمجاميع التى دونها بعد من درس على يد صاحب المصنف وحفظ عليه وروى عنه من أمثال الامام أحمد وصاحبى الصحيحين رضى الله عن الجميع ، بل قد ظلت مخطوطات « المصنف » مدفونة فى خزائن الكتب حتى أذن الله تعالى

للإمام عبد الرزاق الصنعاني

بعث الكتاب فى السنوات الأخيرة على يد المجلس العلمى الذى نشره عن طريق دار القلم ببيروت فى أحد عشر مجلدا كبيرا ، ظهر أولها عام ١٣٩٠ هـ ، وتم طبع آخرها فى شهر رمضان المعظم عام ١٣٩٢ هـ ، وذلك بتحقيق العلامة حبيب الرحمن الأعظمى الذى أبلى بلاء حسنا وبذل جهدا مشكورا فى تحرير الكتاب وضبطه وتخريج أحاديثه والتعليق عليها وترقيمها ، جزى الله الجميع خير الجزاء .

ولقد سبق أن التقينا بالامام عبد الرزاق صاحب هذا « المصنف » ، وذلك أثناء مناقشتنا اسناد « صحيفة همام بن منبه » ، فقد رواها عبد الرزاق عن شيخه « معمر بن راشد » عن همام بن منبه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، واسم مؤلفنا كاملا هو : عبد الرزاق بن همام ابن نافع الحميدى الصنعانى ، ولد باليمن عام ١٢٦ هـ وتوفى فى شوال عام ٢١١ باليمن عن خمسة وثمانين عاما (١) ، وقد كف بصره قبل وفاته ،

(١) « وفيات الاعيان لابن خلكان » بتحقيق المرحوم الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، الجزء الثانى ص ٣٧١ ، و « هدى العارفين » لاسماعيل باشا البغدادى (١٩٥١) الجزء الاول ص ٥٦٦ .

وتسميته « الصنعاني » نسبة الى صنعاء بقلب الهمزة نونا على غير قياس كما نسبوا الى بهراء ، فقالوا بهراني .

وكان الامام عبد الرزاق من ذوى الورع والتقوى ، ومن حكمه قوله : « من يصحب الزمان يرى الهوان » ، وقد سمع وهو ينشد :

فذاك زمان لعبنا بـه

وهذا زمان بنا يلعب (٢)

ومن مؤلفات الامام عـدا كتاب « المصنف » : « تزكية الارواح عن مواقع الفلاح » و « تفسير القرآن » و « السنة فى الفقه » و « كتاب المغازى » (٣) .

بدأ عبد الرزاق يدرس الحديث ويحفظه عندما بلغ العشرين من عمره فلزم معمر بن راشد لسبع سنوات وذكر أنه كتب عنه عشرة آلاف من الأحاديث (٤) ، وكان معمر من علماء البصرة ثم رحل عنها الى اليمن ، وكان من المبكرين فى جمع الأحاديث مصنفة مبوبة حتى قيل ان مصنفه « الجامع » كان أول المصنفات ، ولما رحل عبد الرزاق الى الشام ثم بلد الله الحرام بقصد التجارة وأداء الفريضة وطلب العلم التقى بعلماء البلاد التى حل بها ودرس على يدهم وحفظ الكثير عنهم من أمثال الأوزاعى والثورى وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الذى كان من الرائدين فى كتابة المصنفات واسم مصنفه « كتاب السنن » ، ويقال أيضا إنه أول ما دون من المصنفات المبوبة (٥) ، وبعد أن حفظ عبد الرزاق واستوعب ما قدر له بدأ يروى ويعلم ويجمع ويدون ، وملأت سمعته الآفاق ؛ فهرع الى حلقة درسه طلاب نضجوا ! وبورك فيهم ونفع الله بهم من أمثال الامام ابن حنبل ويحيى بن سعيد والبخارى وغيرهم ، حتى قيل فى شأنه : « ما رحل الناس الى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رحلوا اليه (٦) . .

ويبدو أن الامام عبد الرزاق دون كتابه « المصنف » فى النصف الأخير من القرن الثانى للهجرة ، فقد سمعنا أن المؤلف بدأ يدرس الحديث وعمره عشرون سنة ، أى عام ١٤٦ هـ حيث

---

(٢) « وفيـات الاعيان » .

(٣) « هدى العارفين » و « تذكرة الحفاظ » الجزء الاول ص ٣٣١ .

(٤) « ميزان الاعتدال » للحافظ الذهبى ، جزء ٤ ، ص ١٥٤ .

(٥) قيل ان ابن جريج كان أول من صنف الحديث ، وقيل بل كان معمر بن راشد وقيل الربيع ابن صبيح وقيل بل كان سعيد بن عروبة ، والواقع أن هؤلاء المحدثين ومن نسب اليه هذا الشرف من غيرهم كانوا متعاصرين ولا يدرى تماما أيهم سبق الآخر ، فقد توفى ابن جريج عام ١٥٠ هـ ، ومعمر عام ١٥٣ هـ والربيع عام ١٦٠ هـ ، وسعيد عام ١٦٧ هـ .

(٦) « وفيات الاعيان » .

كان قد ولد فى ١٢٦ هـ . كما أنه توفى عام ٢١١ هـ بعد فترة عانى فيها من ذهاب البصر واعتلال الذاكرة ، ولقد روى صاحب ميزان الاعتدال (٧) أن الامام أحمد فضله وقال فى شأنه : « اتينا عبد الرزاق قبل المائتين وهو صحيح البصر ، ومن سمع منه بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع » ، كما يروى قول البخارى عنه : « ما حدث عنه عبد الرزاق من كتاب فهو أصح » ، وعليه فالمصنف دون قبل المائتين وعبد الرزاق قوى البدن سليم البصر .

جمع الامام عبد الرزاق كتابه ودونه وسماه « المصنف » فدل بعنوانه على أنه مرتب ومبوب على ترتيب أبواب الفقه ، فقد قسمه الى كتب ، كل كتاب منها يحتوى على عدد من الأبواب يزيد عددها أو ينقص ، أولها كتاب الطهارة محتويا على ١٣٦ بابا ، وتلاه كتاب الحيض مشتملا على خمسة وعشرين بابا ، ثم كتاب الصلاة الذى يحتوى على نحو ثلاثمائة من الأبواب ، فكتاب الجمعة فكتاب العيدين فكتاب فضائل القرآن فكتاب الجنائز فكتاب الزكاة فكتاب الصيام فكتاب العقيقة فكتاب الاعتكاف فكتاب المناسك فكتاب الجهاد فكتاب المغازى فكتاب أهل الكتاب فكتاب النكاح فكتاب الطلاق فكتاب البيوع فكتاب الشهادات فكتاب المكاتب فكتاب الأيمان والنذور فكتاب الولاء فكتاب الوصايا فكتاب المواهب فكتاب الصدقة فكتاب المدبر فكتاب الاشربة فكتاب العقول فكتاب الفرائض .. وهكذا .

وبينما عنى الامام مالك صاحب « الموطأ » بعد جمعه اياه بتهذيبه وتشذيبه واختصاره ليقتصر فيه على ما رجح لديه ، يظهر أن الامام عبد الرزاق صاحب « المصنف » تركه على حال جمعه الأول ، لذلك قد يحتوى الكتاب على الصحيح والضعيف والسليم والسقيم ، ولكنه مع ذلك موسوعة قيمة جديرة بمزيد الفحص والدراسة لتقييم ما ورد به من حيث الصحة والسلامة ، ومقارنة ما احتوى عليه بما ورد فيما أعقبه من كتب الصحاح والسنن وحصر ما اتفقت معه فى روايته ، ومبلغ خلافه معها ، الى غير ذلك من نقاط البحث المفيد .

وكتاب « المصنف » رغم حسن ترتيبه وجمال تبويبه فان مؤلفه يستطرد أحيانا فيدرج فى الكتاب أبوابا قد يبدو أنها أجنبية فى موضوعها عنه ، كما أنه قد يختلف احيانا مع الترتيب الزمنى ، ثم إن ترتيب الكتب التى قسم اليها الكتاب يختلف قليلا عن الترتيب المألوف فى كتب الفقه والحديث الأخرى ، فنجده مثلا يستطرد فى كتاب الصلاة فيأتى بباب عن « حسن الصوت » ، ويدرج

---

(٧) اسناد هذا الحديث هو نفس الاسناد روى به عبد الرزاق صحيفة همام بن منبه ، وقد روى هذا الحديث مسلم فى صحيحه والبيهقى فى « السنن الكبرى » كلاهما من طريق عبد الرزاق .

بابا عن « ذكر القصّاص » فى كتاب الجمعة ، كما نراه يفصل بين كتاب العيدين وكتاب الجنائز بكتاب «فضائل القرآن » ، ويأتى كتاب العقيقة عقب كتاب الصيام وقبل كتاب المناسك ، كما يأتى بكتاب البيوع بعد كتاب الجهاد والمغازى واهن الكتاب والنكاح والطلاق ، ويأتى بباب تزويج فاطمة رضى الله عنها فى كتاب المغازى بعد الأبواب التى ذكر فيها مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ووفاته والأحداث التى تلت ذلك حتى مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولكن هذه أمور يسيرة لا تنقص من قيمة الكتاب وأهميته .

وكسائر المصنفات الأخرى يحتوى مصنف الامام عبد الرزاق على الأحاديث المرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم وعلى غيرها من أحاديث موقوفة ومن أقوال وفتاوى منسوبة الى الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ويكثر فى « المصنف » مراسيل التابعين من أمثال عطاء وقتادة ومجاهد والزهرى وابن سيرين ويكثر من روايات معمر عن قتادة وابن جريج عن عطاء ، وكثيرا ما يقول ابن جريج : « سألت عطاء » أو « سئل عطاء » عن كذا فأجاب بكذا ، وأحيانا يزيد عبد الرزاق بعد الرواية تفسيرا لكلمة أو توضيحا لعبارة ، وقد تكون هذه الزيادة من عنده ، وقد ينسبها لأحد شيوخه ، ويستعمل عبد الرزاق فى تحمله عبارة « عن فلان » أو « أخبرنا فلان » أو «قال فلان » ، ولم يستعمل لفظ « حدثنا » .

ولقد حاولت عد الاحاديث المرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم فى « المصنف » فوجدتها تبلغ ثلاثة آلاف وبضع مئات ، اى أن عددها بين السدس والسبع من مجموع ما ورد بالكتاب كله وهو ٢١٠٣٣ من أحاديث وآثار ، على أنه ليست الأحاديث المرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم بالمصنف كلها متصلة الاسناد ، بل منها ما اسناده مرسل ومنها ما اسناده منقطع ومنها ما هو معضل بل ورد الابهام فى بعض الاسانيد كأن يقول « عن رجل » دون تسميته ، فهذا مما ينزل بدرجة صحة الحديث حيث قد يكون هذا الراوى المجهول غير ثقة أو غير ضابط .

واليك الآن مختارات من كتاب « المصنف » يسبق كلا منها الرقم الذى يحمله فى الطبعة المشار اليها تيسيرا للرجوع اليه :

أ ــ فمما ورد مرفوعا متصل الاسناد نقتبس ما يلى :

٢٩٩ ــ عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبولن احدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يتوضأ فيه » .

٣٣٠ ــ عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا ولغ الكلب فى

الاناء فاغسلوه سبع مرات أولاهن بالتراب » (٨) .

١٩٨٤ — عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ، لقد هممت أن آمر فتيانى أن يستعدوا الى بحزم الحطب ، ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ، ثم نحرق بيوتا على من فيها »(٩) .

٢٦٣٣ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن أبى اسحاق عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال : آمين » .

قال معمر : يؤمن وان صلى واحدا .

٩٠٣٣ — عبد الرزاق معمر عن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال : رأيت عمر بن الخطاب يقبل الركن وكان يقول : « والله انى لأقبلك وأعلم أنك حجر وأعلم أن الله ربى ، ولكن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك فقبلتك »(١٠) .

١٠٩٥٢ — عبد الرزاق عن مالك عن نافع عن ابن عمر « أنه طلق امرأته وهى حائض ، فسأل النبى صلى الله عليه وسلم فأمره أن يراجعها ويتركها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم ان شاء أمسك بعد ، وان شاء طلق ، فتلك التى أمر الله أن تطلق لها النساء »(١١) .

١٢٥٩٦ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا المثنى بن الصباح قال : أخبرنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أن امرأة طلقها زوجها وأراد أن ينتزع ولدها منها ، فجاءت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت « يا رسول الله : حين كان بطنى له وعاء وثديى له سقاء وحجرى له حواء أراد أبوه أن ينتزعه منى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انت أحق به ما لم تزوجى »(١٢) .

٢١٠٣٣ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس قال : « كان شعر النبى صلى الله عليه وسلم الى انصاف أذنيه »(١٣) .

ب) ومما رفع الى النبى صلى الله عليه وسلم وحدث ابهام فى اسناده نسوق ما يلى :

١٨٢٣ — عبد الرزاق عن معمر عن صاحب له عن الحكم بن عيينة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر

---

(٨) رواه أحمد عن عبد الرزاق ، ورواه مسلم من طريق غيره .

(٩) ورد هذا الحديث فى صحيفة همام ، ورواه كل من مسلم والبيهقى من طريق عبد الرزاق .

(١٠) اخرجه أحمد فى مسنده وابن ماجه فى سننه من طريق أبى معاوية عن عاصم .

(١١) ورد هذا الحديث بالموطا ، ورواه البخارى ومسلم عن طريق مالك .

(١٢) ورد مثله فى مسند أحمد وسنن أبى داود .

(١٣) هذا الحديث آخر ما ورد فى كتاب (المصنف) .

بلالا أن يثوب فى صلاة الفجر ولا يثوب فى سواها »(١٤) .

٥٧٢١ ــ عبد الرزاق عن هشام ابن حسان عن حفصة بنت سيرين أن امرأة حدثتها قالت : « غزا زوجى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة غزوة ، فخرجت معه فى خمس منهن ، فكنا نقوم على المرضى، ونداوى الكلمى ، وأمرنا فى العيدين أن من لم يكن لها جلباب ان تلبسها صاحبتها من جلبابها ، قالت حفصة : فقدمت علينا أم عطية الانصارية ، فذكرت ذلك لها ، فقالت : نعم ، بأبى هو و أمى أمرنا أن نخرج فى العيدين العواتق وذوات الخدور والحيض ، قالت : فأما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن الخير ودعوة المسلمين »(١٥) .

٩٤٢٢ ــ عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا بنى النضير الى أن يعطوا عهدا يعاهدونه عليه فأبوا ، فقاتلهم »(١٦) .

٩٤٢٧ ــ عبد الرزاق عن الثورى عن صاحب له عن رجل عن ابن عباس قال : « ما قاتل النبى صلى الله عليه وسلم قوما الا دعاهم »(١٧) .

١٢٦٩٤ ــ عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن رجل من مزينة عن أبى هريرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديا زنى بيهودية »(١٨) .

جـ) ومما رفع الى النبى صلى الله عليه وسلم أو الى عهده ولم يتصل سنده نسوق ما يلى :

١٨٦٤ ــ عبد الرزاق عن ابن عيينة عن صفوان بن سليم عن عطاء ابن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يغفر الله للمؤذن مدى صوته ، ويصدقه كل رطب ويابس سمعه »(١٩)

(١٤) فى اسناد هذا الحديث يبهم معمر شيخ عبد الرزاق آسم صاحبه الذى روى عنه ، فالاسناد لذلك (منقطع) واذا أضفنا الى ذلك ان ابن ابى ليلى لم يلق بلالا ، فيكون الحديث (مرسلا) كذلك .

(١٥) وفى اسناد هذا الحديث ابهمت حفصة بنت سيرين اسم المراة التى حدثتها بالجزء الاول من الحديث وان كانت صحابية كما يبدو من سياق الحديث ، وقرراه البخارى ومسلم من طريقين آخرين .

(١٦) ابهم من هذا الاسناد اسم الصحابى كذلك .

(١٧) وأبهم فى اسناد هذا اثنان : شيخ الثورى وشيخ شيخه ، فالاسناد لذلك (معضل) وان كان قد أوصل الحديث غيره عن طريق الثورى عن ابن أبى نجيح عن ابيه عن ابن عباس .

(١٨) وهنا ابهم الزهرى اسم من حدثه عن ابى هريرة ، فهو لذلك (منقطع) .

(١٩) يرفع هذا الحديث عطاء وهو تابعى توفى عام ١٠٣ هـ ، وحيث سقط منه الصحابى فهو (مرسل) .

٢١١٩ ــ عبد الرزاق عن ابن جريج عن سليمان بن موسى قال : أنبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « صلوا العشاء بعد أن يغيب الشفق بينكم وبين نصف الليل »(٢٠) .

٧٣٠١ ــ عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان لم تروا هلال رمضان فاستكملوا شعبان ثلاثين يوما ، وان لم تروا هلال شوال فاستكملوا رمضان ثلاثين يوما »(٢١) .

٨١٣٣ ــ أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر قال : « بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم ذبح بالمصلى ، أو قال نحر »(٢٢) .

٨٧٤٨ ــ أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة قال لا أعلمه الا رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم : « أنه نهى عن أكل الهر وأكل ثمنه »(٢٣) .

٩١٦٢ ــ عبد الرزاق عن ابن جريج قال : حدثت عن بصرة بن أبى بصرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يعمل المطى الا الى ثلاثة مساجد ، مسجد الحرام ثم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد بيت المقدس »(٢٤) .

٩٥٤٣ ــ عبد الرزاق عن هشام عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غزوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولوقوف أحدكم فى الصف خير من عبادة رجل ستين سنة »(٢٥) .

٩٦٤٤ ــ عبد الرزاق قال : أخبرت عن ابن سيرين قال : « كان الرجل من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خاف نزع سلاحه فأعطى هذا وأعطى هذا من سلاحه ، وكان أسفها عليهم

---

(٢٠) يرفع سليمان بن موسى الحديث هنا بقوله (انبئت) بصيغة المبنى للمجهول ، وهو تابعى (٦٠ ــ ١١٥ هـ) فالاسناد (مرسل) .

(٢١) وهنا يرفع عطاء الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تابعى ، فالاسناد (مرسل) أيضا ، وعطاء هذا هو عطاء بن أبى رباح شيخ ابن جريج ، ولد عام ٢٧ هـ وتوفى عام ١١٧ هـ ، وسمع من الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(٢٢) يبلغ معمر الحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أتباع التابعين فسقط من الاسناد على الاقل اثنان : التابعى والصحابى فالحديث (معضل) .

(٢٣) واسناد هذا الحديث (مرسل) ، فقتادة بن دعامة تابعى توفى عام ١١٧ هـ وحفظ عن جابر بن عبد الله المتوفى ٧٨ هـ .

(٢٤) وسقط من هذا الاسناد التابعى الذى حدث ابن جريج بالحديث ، فهو (منقطع) .

(٢٥) ويرفع هذا سيد التابعين الحسن بن يسار البصرى المتوفى ١١٠ هـ ، فالاسناد (مرسل) .

الريح »(٢٦) . يعنى حتى ينكران فلا يعرفان .

١٠٦٥٨ ــ عبد الرزاق عن معمر قال : « بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أراد فراق سودة ، فكلمته فى ذلك فقالت : يا رسول الله ، ما بى حرص على الازواج ، ولكن أحب أن يبعثنى الله يوم القيامة زوجا لك »(٢٧) .

د) ومما يرويه (المصنف) موقوفا على الصحابى نقتبس ما يلى :

٤٥٩ ــ عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن ابن سيرين عن يحيى بن الجزار قال : « صلى ابن مسعود وعلى بطنه فرث ودم من جزر نحرها ولم يتوضأ » .

١٦٠٨ ــ عبد الرزاق عن الثورى عن حصيف عن مقسم عن ابن عباس « انه كان يكره أن يصلى فى كنيسة اذا كان فيها تماثيل » .

١٨٥٨ ــ عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى أن أبا بكر الصديق قال : « الاذان شعار الايمان » .

١٠٠٥٧ ــ أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة أن حذيفة نكح يهودية فى زمن عمر ، فقال عمر : طلقها فانها حجرة ، قال : أحرام هى ؟ قال : لا ، فلم يطلقها لقوله ، حتى اذا كان بعد ذلك طلقها .

١٢٥٩٤ ــ عبد الرزاق عن معمر قال : « بلغنى أن عمر بن الخطاب سمع امرأة وهى تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه
وليس بجنبى من حبيب ألاعبه
فلولا الذى فوق السماوات عرشه
لزعزع من هذا السرير جوانبه

فأصبح عمر فأرسل اليها فقال : أنت القائلة كذا وكذا ؟ قالت : نعم ، قال : ولم ؟ قالت : أجهزت زوجى فى هذه البعوث ، قال : فسأل عمر حفصة : كم تصبر المرأة من زوجها ؟ قالت : ستة أشهر ، فكان عمر بعد ذلك يقفل بعوثه لستة أشهر » .

هـ) ومما نسب الى التابعين فى (المصنف) من أقوال وفتاوى نسوق الامثلة الآتية :

١٤٧٤ ــ عن عبد الرزاق عن أبى حنيفة عن حماد عن مجاهد(٢٨) قال : سئل عن المطر يصيب الثوب ، قال : « يصلى فيه فاذا جف فليحكه »

١٨١١ ــ عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : « يستقبل القبلة فى الأذان والاقامة ولا يتكلم فيهما » .

١٠١٩٣ ــ أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال : « لا تؤكل ذبيحة المجوسى وان ذكر الله » .

---

(٢٦) سقط من هذا الاسناد شيخ عبد الرزاق فهو (منقطع) ، وسقط منه الصحابى لان محمد بن سيرين تابعى توفى ١١٠ هـ فهو (مرسل) أيضا أو (معضل) .

(٢٧) وهذا من بلاغات معمر أيضا ، فالاسناد (معضل) لفقد حلقتين منه على الاقل .

(٢٨) هذا مجاهد بن جبر ، تابعى توفى عام ١٠٢ هـ .

١٠٢١٦ ــ أخبرنا عبــد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن المسيب (٢٩) قال « دية المجوسى ثمان مئة درهم » .

١٠٦٨٢ ــ عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى قال : « ترد فى النكاح الرتقاء » .

والرتقاء : هى التى لا يقدر الرجل عليها .

١٣٣٧١ ــ عبد الرزاق عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : « لو شهدت ست نسوة على زنا مع الرجل ؟ قال : لا ، الا ثلاثة رجال وامرأتان » .

و) ومما ورد فى (المصنف) لمن دون التابعين(٣٠) من أقوال وفتاوى نسوق ما يلى :

٧٢٨٣ ــ قال عبد الرزاق : « وكان معمــر يكره أن يســتحلف أحد بالمصحف » .

١١٣٥٦ ــ عبد الرزاق عن سفيان فى رجل قال لامرأته : « انت طالق ثلاثا الا ثلاثا . قال : قد طلقت منه ثلاثا ، واذا قال : انت طالق ثلاثا الا اثنتين ، فهى طالق واحدة ، واذا قال : أنت طالق ثلاثا الا واحدة ، فهى طالق اثنتين » .

١١٩٥٠ ــ عبد الرزاق عن الثورى قال : « اذا قال الرجل للرجــل : اذهب فطلق امراتى ثلاثا فطلقهــا واحدة فهــو جائز لأن الواحدة من الثلاث ، وان قال طلق واحدة فطلق ثلاثا فهو خلاف ليس بشىء » .

١٣٨٢٨ ــ عبد الرزاق عن الثورى فى أكل لحم الخنزير ، قال : « ليس فيه حد ، ولا يغرر » .

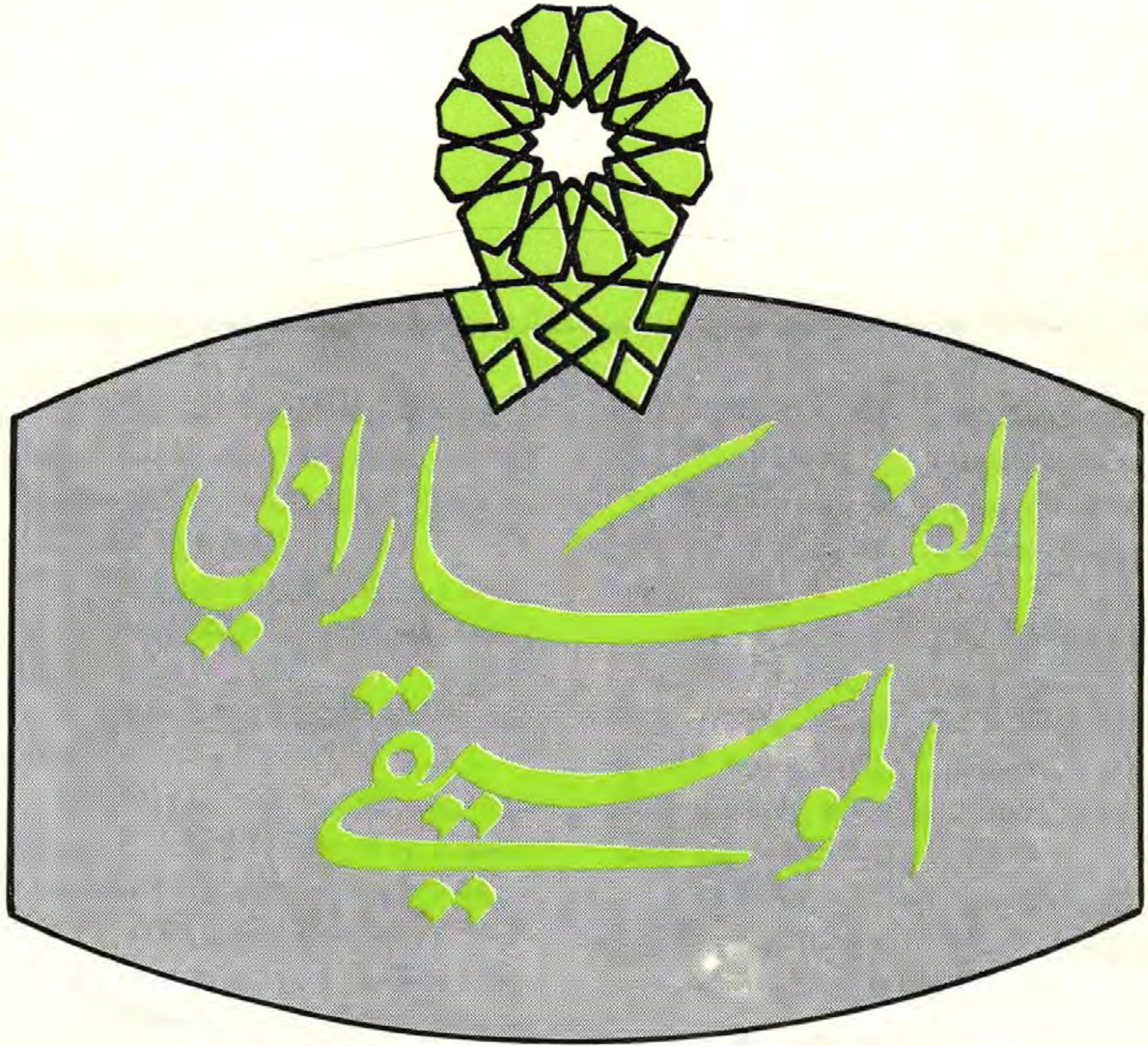


وبذلك يتم الــكلام على المرحلة الثانية من مراحل تدوين الحديث ، وهى مرحلة كتابة المصنفات ، ويلى ذلك الــكلام على مرحلــة تدوين (المسند) ان شاء الله تعالى .

---

(٢٩) توفى سعيد بن المسيب عام ٩٣ وقيل عام ٩٤ .

(٣٠) هؤلاء الائمة الثلاثة الذين سقنا أقوالهم من طبقة اتباع التابعين ، فمعمر بن راشد سمع من عدد من التابعين كهمام بن منبه ، وتوفى عام ١٥٣ هـ وسفيان بن عيينة كان من تلاميذ الزهرى وعمرو ابن دينار وتوفى عام ١٩٨ هـ ، وأما سفيان بن سعيد الثورى فقد سمع من الزهرى ومن غيره ، وتوفى عام ١٦١ هـ .



للأستاذ : سعيد زايــد

لم يكن الفارابى بالرجــل الــذى تغريه مظاهر الدنيا والجاه ، بل انه قضى حياته كلها فى شظف من العيش وكان يكسب قوته بعمل يديه ، حتى أنه كان يعمل ناطورا ابان الفترة التى ذهب فيها الى دمشق . والشـــــىء البارز فى حياته ، هــو انقطاعــــه للتعليم والتأليف ، وحبه للأسفـــار ، قضاها فى حلب ــ الى دمشق والى مصر ، وانتقل من مسقط راسه الى بغداد ، ومنها الى حران ، ثم رجع اليهــا ..

وقد اختلف المؤرخون فى نسبــه ، فقال ابن أبى أصيبعة فى (عيـــون الأنباء) ان اسمه أبو نصر محمـــد ابن محمد بن أوزلغ بن طرخان . وقال ابن خلكان فى (وفيات الأعيــان) إن اسمه أبو نصر محمد بن طرخان بـــن أوزلغ . وقال القفطى إن اسمه أبـــو نصر محمد بن محمد بن طرخان ووافقه فى ذلك البيهقى . وقال ابن النديم فى (الفهرست) إن اسمه هــو أبو نصر محمـــد بـــن محمـــد بـــن طرخان . وقال صاعد فى (طبقات الأمـــم) إن اسمه أبو نصر محمد بن محمد بن نصر وقال فى مكان آخر من نفس الكتـــاب إنه أبو نصر محمد بن نصر .

وواضح من هذا أن المؤرخين قـــد اجمعوا على اسمه ، وان كانوا قـــد اختلفوا فى ذكر نسبه واسم أبيـــه ، فقالوا جميعهم إن اسمه (محمد) .

وقد اتفق أغلب المترجمين للفارابى

على أنه تركي الأصل ، ولكن ابن أبى أصيبعة ذكر أن والده كان قائد جيش، وهو فارسى المنتسب ، والغالب أن أباه لم يكن من القواد الذين يشيد بذكرهم التاريخ ، ولكن صفتى الشجاعة والصبر قد ورثهما الفارابى عنه اذ أنه احتمل متاعب الدرس وشظف العيش ومشاق الأسفار .

وينسب الفارابى الى بلدة فاراب ، ولكن صاحب الفهرست قال انه من بلدة فارياب من أرض خراسان . وبديهى أنه لو كان من فارياب لكان اسمه الفاريابى لا الفارابى . وبذا يصبح من المؤكد أنه من بلدة فاراب .

وقد ذكر ابن خلكان أن الفارابى توفى سنة ٣٣٩ هـ عن ثمانين عاما ، وبذا يمكننا أن نستنتج تاريخ مولده بأنه كان حوالى سنة ٢٥٩ هـ . وهذا الاستنتاج ضرورى فى هذا المجال ، اذ أنه لم يترجم لنفسه كما صنع غيره من مفكرى الاسلام ، وكذا لم يفعل ذلك أحد من تلاميذه .

ولقد كان الفارابى يهوى التنقل والأسفار . ولكن المؤرخين لم يذكروا شيئا عن رحلاته الا ما وقع منها بعد أن بلغ سن الخمسين ، أضف الى ذلك أنهم لم يذكروا لنا شيئا يروى الغلة عن طفولته وشبابه ، بل انهم تتبعوا حركة أسفاره بعد أن رحل هو من بلده الى بغداد ، وبذا تظل فى حياة الفارابى فترة غامضة قد يجلوها كشف علمى .

وقد نشأ الفارابى على ثقافة لغوية دينية ، فقد أقبل على العلوم الاسلامية من فقه وحديث وتفسير ، وتعلم اللغة العربية والتركية والفارسية ، ويبعد عن الظن أنه عرف لغة أخرى غير تلك اللغات ، فما رواه ابن خلكان من أنه كان يلم بسبعين لسانا يدخل فى باب الأساطير .

وتوفى الفارابى فى دمشق ، وكرمه سيف الدولة بن حمدان بأن صلى على جثمانه مع بعض خواصه ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير .

وقد قيل ان الفارابى — فوق كونه مفكرا — كان شاعرا أيضا ، ونسبوا إليه بعض الاشعار كما جاء عن ابن خلكان وابن أبى أصيبعة . ولكن ذلك لم يثبت علميا ، فأغلب ما نسب اليه من شعر لا يتفق مع ما كان عليه من منزلة علمية وخلقية .

ولكن الثابت أنه كان موسيقيا بارعا ، فقد روى ابن خلكان فى وفيات الأعيان (١) أن الآلة المسماة بالقانون من وضعه ، وأنه أول من ركبها هذا التركيب . وحكى أيضا أن الفارابىكان ذات يوم فى مجلس سيف الدولة بن حمدان ، فقال له سيف الدولة : « هل لك فى أن تأكل ؟ فقال : لا ، فهل تشرب ؟ فقال : لا ، فهل تسمع ؟ فقال : نعم . فأمر سيف الدولة باحضار القيان ، فحضر كل ماهر فى هذه الصناعة بأنواع الملاهى ، فلم يحرك احد منهم آلته ، الا وعابه أبو نصر وقال له : أخطأت . فقال له سيف الدولة : وهل تحسن فى هذه الصناعة شيئا ؟ فقال : نعم . ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيدانا وركبها ، ثم لعب بها ، فضحك كل من كان فى المجلس، ثم فكها وركبها تركيبا آخر ، ثم ضرب بها ، فبكى كل منكان فى المجلس ؟ ثم فكها ، وغير تركيبها ، وضرب بها ضربا آخر ، فنام كل من فى المجلس حتى البواب ، فتركهم نياما وخرج » .

ويعلق أستاذنا المرحوم الشيخ

مصطفى عبد الرزاق على ذلك بقوله : « ولئن كانت هذه الحكاية ادنى الى الأساطير منها الى التاريخ ، فهي تشبه أن تكون غلوا مجاوزا لا اختراعا صرفا » .

وهذا حق ، فان للمعلم الثاني باعا طويلا فى الموسيقى ، فقد ذكر الدكتور فارمر انه الف كتبا موسيقية منها : كتاب الموسيقى الكبير ، وكتاب الايقاعات ، وكتاب آخر بعنوان : (كلام .. فى النقلة او (فى النقرة كما يرى مستر شتاينشنيدر) مضافا الى الايقاع) وفصل عن علم الموسيقى فى كتابه (احصاء العلوم) (٢) .

وذكر ابن أبى أصيبعة أن كتب الفارابى الموسيقية هى : كتاب الموسيقى الكبير ، وقد الفه للوزير أبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى ، وكتاب فى احصاء الايقاع ، وكلام فى النقلة مضافا الى الايقاع ، وكلام فى الموسيقى) (٣) .

وكتاب الموسيقى الكبير ، انما جاءت تسميته بهذا الاسم من عند ابن أبى أصيبعة ، وقد جاراه فى ذلك الدكتور فارمر . وفى الحق أنه كتاب كبير ، ولكن اسمه الحقيقى هو (كتاب صناعة الموسيقى) كما يظهر من افتتاحيته .

وينقسم الكتاب المذكور الى قسمين : الأول فى المدخل الى صناعة الموسيقى ، (وقد ظنه البعض خطأ انه كتاب مستقل) (٤) ويقع فى مقالتين ، والثانى فى صناعة الموسيقى ويتناول الكلام فى أصول الصناعة ، وفى الآلات المشهورة ، وفى أصناف الألحان ، وقد ذكر الفارابى فى مقدمته أنه الفه بناء على طلب أبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى . (٥) .

هذا ، وتوجد ست نسخ من هذا الكتاب مخطوطة واحدة فى ليدن ، والثانية فى ميلانو ، والثالثة فى مكتبة الاسكوريال ، والرابعة فى بيروت ، كما أشار دير لانجيه ، أما النسختان الخامسة والسادسة فتوجدان فى دار الكتب المصرية ، واحدة كاملة وهى التى كتب على غلافها (كتاب الموسيقى الكبير) والأخرى ناقصة . وقد نشر هذا الكتاب أخيرا فى مصر .

ويعتبر الفارابى علم الموسيقى جزءا من علم التعاليم ، ويقول عنه أنه العلم الذى تعرف به صناعة الالحان ، وهو قسمان : موسيقى نظرية ، وموسيقى عملية . ومن الآلات الموسيقية ما هى طبيعية مثل الحنجرة واللهاة وما فيها ، ثم الأنف ، وما هى صناعية مثل المزامير والعيدان وغيرها . وينقسم علم الموسيقى النظرى الى خمسة أجزاء : أولها المبادىء التى تستعمل فى استخراج ما فى هذا العلم ، وثانيها البحث فى أصول هذه الصناعة ، وثالثها مطابقة ما تبين فى الأصول على أصناف الآلات ، ورابعها القول فى أصناف الايقاعات الطبيعية التى هى أوزان النغم ، وخامسها البحث فى تأليف الألحان فى الجملة ، ثم تأليف الألحان الكاملة .

ونختم كلامنا بنصين للفارابى : الأول عن معنى صناعة الموسيقى ، والثانى فى الغرض من تأليف كتاب الموسيقى الكبير .

يقول فى الأول : « نبتدىء فنلخص أولا ، ما معنى صناعة الموسيقى ؟

فلفظ الموسيقى معناه الألحان . وأسم اللحن قد يقع على جماعة نغم مختلفة رتبت ترتيبا محدودا . وقد يقع أيضا على جماعة نغم الفت تأليفا محدودا ، وقرنت بها الحروف التى تركب منها الألفاظ الدالة المنظومة على مجرى العادة فى الدلالة بها على المعانى . وقد يقع أيضا على معان اخر غير هذه ليس تحتاج اليها فيما نحن بسبيله .

فالمعنى الأول من هذين ، اما أعم من الثانى ، واما شبه مادة له . فان الأول هو جماعة نغم تسمع من حيث كانت ، وفى أى جسم كانت ، والثانى هو جماعة نغم يمكن أن تقرن بها الحروف التى تركب منها الفاظ دالة على معان ، وهذه هى الأصوات الانسانية التى تستعمل فى الدلالة على المعانى المعقولة ، وبها تقع المخاطبات .

وظاهر أن دلالات اسم اللحن على هذين بالتقديم والتأخر » (٦) .

ويقول فى الثانى : « واذا كانت الأقاويل التى اشتملت على الفنون الثلاثة التى أثبتناها فى كتابنا هذا ، قد استوفت جميعا ما هو تابع للمبادىء الأول الخاصة بصناعة الموسيقى العلمية ، وذلك كان مقصودنا من أول ما شرعنا فيها ، فلنجعل هذا الموضع آخر كتابنا هذا بأسره ، وهو الكتاب الذى اشتمل على أسطقسات هذه الصناعة ، وعلى الآلات المشهورة ، وعلى تركيب الألحان . وكتابنا هذا انما انتظم فى هذه الصناعة ما شأنها خاصة أن يتبع المبادىء والأصول الموضوعة فيها والمصادرات التى تسلمت فيما سلف .

واما تبيين حال كثير من مبادئها ، وجل الأصول الموضوعة ، وسائر الأشياء الخارجة المنسوبة الى هذا العلم بغير الجهة التى أثبتت ههنا ، فقد تقدمنا نحن ووفينا بيانها ، ولخصناها كلها فى كتابنا الذى الفناه فى المدخل وفى الاشياء الخارجة المطيفة بهذا العلم ، والمنسوبة اليه بالجهة الأخرى » (٧) .

---

(١) الجزء الثانى ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) مصادر الموسيقى العربية ، تاليف فارمر ، ترجمة الدكتور حسين نصار ص ٦٠ ، — ٦٣ القاهرة ١٩٥٧ .

(٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ج ٢ ص ١٣٩ ، القاهرة ١٨٨٢ م .

(٤) فارمر ، المرجع السابق ، ص ٦٢

(٥) « تقلد ابو جعفر محمد بن القاسم الجبل وديوان السواد دفعات ، وقطعة من المشرق كبيرة ، وتقلد البصرة والاهواز مجموعة ، ثم تقلد عدة دواوين . ثم آلت حاله فى آخر عمره الى الفقر الشديد ومات بعد سنة ٣٣٠ هـ فى منزله ببغداد » معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ طبعة ليبزج ١٨٦٩ م .

(٦) كتاب الموسيقى الكبير ، مدخل الكتاب . (٧) المرجع السابق ، الفصل الأخير .

حدث في المدينة

للأستاذ : محمد لبيب البوهى

كان السلطان العادل نور الدين محمود قد نذر كل جهده وحياته لمحاربة الصليبيين أولئك الغزاة الذين جاءوا من الغرب يبيتون أطماعا خبيثة فى أرض العرب ... وحقدا دفينا على الاسلام والمسلمين قاطبة ... وكانت تحدوهم أكذوبة كبرى يعلنونها على السذج من الناس .. ولقد هبت بلاد الاسلام من ادناها الى أقصاها لرد هذا البلاء الذى امتحنت به كما يمتحن دائما المؤمنون الصادقون .. فمن أجل هذا فرض الجهاد .. وهو بذل الجهد من قوة .. وعقيدة .. ومال فى سبيل احقاق الحق .. وأيام الجهاد هى الذروة فى تاريخ الأمم .. قدرا وشرفا وسعادة أنفس .. ففيها يتنسم الناس ريح الجنة .. اذ يكونون أقرب الى ربهم من سائر أيامهم .

• • • •

ولقد كان السلطان العادل المؤمن نور الدين فى عام ٥٥٧ من الهجرة يقوم على رأس المجاهدين من قومه .. وكان قد أعد لكل احتمال عدته ،

المنثورة

وكان الرجل مثلا فى الشجاعة وبعد النظر والصبر والثبات وحب التضحية .. وذهب فى ذلك كله مثلا يـــروى للناس على مدار الاجيال .. وكـــان يعلم رجاله أن هناك سلاحا لا غنـــى عنه هو أقوى من كل سلاح .. ولا بد منه قبـــل أى سلاح آخر فى يـــد الجندى .. إنه العون الذى يستمد من اليقين .. من قوة الايمان الـــذى يجعل المجاهد المؤمن قادرا عـــلى مواجهة عشرة .. ومهمـــا اشتـــد بصاحبه الضعف فهو فى الحد الأدنى قادر على أن يغلب اثنين من أهـــل الباطل .

• • • •

ولقد كان السلطان العادل المؤمن صاحب تهجد فى الليل ــ وصاحـــب أوراد فى النهار ــ .. وكان صاحب عدل ينشر ظلاله على الناس . وكان مجلسه من أطيب المجالس وأكرمها .. فما قصده صاحب حاجة الا استمـــع اليه بقلب مستنير وعقل يقظان حتى لقد شاع بين الناس .. أن الملائكـــة تحف دائما بمجلس السلطان العـــادل

نور الدين بن محمود .. وكان من عادته أن يتلطف دائما بأصحابه حين يلقاهم .

ولكن جاءت فترة من الزمن كان السلطان يبدو فيها مشغول البال .. راغبا فى العزلة قليل الكلام .. ولم يشأ نور الدين أن يكاشف أحدا من خاصته بما يهمه حتى تزداد الأمور فى ذهنه تبيانا واشرافا ..

فقد حدث من بضع ليال مضت ان رأى فى المنام .. نبى الهدى والرحمة محمدا عليه صلوات الله وهو ينهض أمامه فى حلة من نور .. فيأخذ بيد نور الدين ويشير بأصبعه الكريمة الى رجلين أشقرين ويقول له : أدركنى وأنقذنى من هذين .. وكان الذى يهم السلطان .. أنه يعلم أن هذه رؤيا صادقة ما فى ذلك ريب .. فقد أخبر الهادى البشير أن من يراه فى النوم فقد رآه حقا لأن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بشخصه الكريم .. اذ لا يمكن للظلام أن يلبس ثوب النور .

. . . .

لقد أيقن السلطان أنه رأى النبى العظيم فى هذا المنام حقا ــ ولقد رآه فى منامه من قبل كثيرا .. رآه يوم فكر فى الخروج للجهاد .. ورآه فى بداية كل جولة من جولات الجهاد وفى أعقابها .. وإنه لشرف عظيم كان يبدو به سعيدا مستبشرا قرير العين اذ يرفعه الله الى هذه المكانة .. فيريه فى منامه أشرف خلق الله طرا .. ولكن لماذا يبدو النبى الكريم فى هذه الرؤيا حزينا مهموما ..؟ وما شأن هذين الرجلين الأشقرين ..؟ ومن هما .. ؟ وما هو ذلك الاثم الكبير الذى يهمان به ويريد محمد العظيم أن يندبه لدفعه ..؟

مضت الأيام تباعا والسلطان المؤمن العادل نور الدين بن محمود موزع النفس بين هذه الرؤيا .. وبين ما تدعوه اليه من عمل .. وما كان له أن ينسى فى خضم أعباء الجهاد رؤيا رأى فيها رسول الله .. ولم يكد يمضى على ذلك أسبوع حتى رأى نفس الرؤيا مرة أخرى .. فنهض وأعاد الوضوء والصلاة ثم حاول بعد طول تسبيح وتفكر أن يلتمس ساعة من نعاس فاذا بنفس الرؤيا تعاوده .. ولما نهض مستيقظا مرة أخرى بدا له أنه يرى بعين اليقظة الرسول الكريم ممسكا بيده وهو يشير الى نفس الرجلين الأشقرين .. أدركنى وأنقذنى من هذين ..

عندئذ دبر السلطان أمرا .. انه لا يستطيع وما ينبغى له أن يكتم ما رأى فأسرع على الفور فى طلب جمال الدين الموصلى .

. . . .

كان هذا الرجل وزيرا تقيا ورعا .. وما كان لسلطان تقى ورع الا أن يتخذ وزيرا على شاكلته ..

لم يكن ضوء النهار قد انبلج بعد .. ولكن الرجل أسرع من فوره ليلبى هذا الأمر الذى جاءه فى غير وقت معتاد .. وما أن أشرف فى مقدمه على القصر .. حتى رأى الشرفة الكبرى مضاءة ووجد الحاجب يدعوه الى لقاء السلطان على الفور .

وما أن استمع الوزير الى رؤيا السلطان حتى استغرق فى تفكير عميق .. هذه رؤيا صادقة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .. فمن رأى المصطفى فى منامه فقد رآه يقينا .. ولكن ما هذا الشىء العجيب الذى تنبىء به الرؤيا ..!؟

لقد حار الرجل فى تأويلها وادراك ما ترمى اليه .

فلما طال سكوت الوزير .. أوجس السلطان خيفة وظن فى الرؤيا نذيرا

له فقال : يا جمال الدين .. العهد بك الصدق والوفاء .. وانك لصاحب علم ونظر فى الأمور .. ماذا ترى فى هذه الرؤيا .. ؟

. . . . .

قال الوزير فى أناة وتدبر : مولاى .. ما من ريب أن هناك شيئا لا يرضاه الرسول العظيم .. وأن كيدا ما يدبر فى الخفاء .. وأن المصطفى عليه صلوات المولى وتسليماته يندبك لدفع هذا البلاء ..

قال السلطان : ولكن ماذا ترانى فاعلا ؟

قال الوزير : ما يليق بك أن تقعد بعد اليوم دون أن تسعى الى صاحب هذه الرؤيا ...

ان الرأى عندى ان ترحل الى المدينة المنورة بأنواره حيث مقامه الكريم .. وهناك سوف تكون قريبا منه .. عسى أن تزداد الأمور ازاء هذا التجرد وضوحا وتبيانا .

قال السلطان مستبشرا وقد اشرق وجهه بنور اليقين : هو ذاك يا جمال الدين .. أعد للرحلة عدتها من مال ورجال وما نتقرب به من هدى الى بلد الرسول واهله الاكرمين .

قال الوزير : ومتى يرى مولاى أن نبدأ المسير .. ؟

قال السلطان : اليوم يا جمال الدين .. فلا وجه ولا مبرر لتأخير ..

. . . . .

أعلن السلطان أمر خروجه مسافرا الى بلد الرسول .. واستبشر الناس بذلك كثيرا .. غير أنه كتم أمر الرؤيا فلم يطلع عليها أحدا غير وزيره .. ولقد أوصاه بالكتمان .. فان كتمان السر من افضل ما تعالج به الامور .

واجتمع الناس حول السلطان التقى الورع يودعونه . .ويسألونه صالح الدعوات فى روضة الرسول الكريم .

وخرج السلطان مع وزيره فى عشرين من خاصة حرسه ورجاله .. وقد قدروا أن يقطعوا الطريق الى المدينة فى أسبوعين .. على أن يحطوا الرحال فى بعض مناطق المسير التماسا لبعض راحتهم وراحة الدواب .. وللاجتماع بأهل هذه البقاع . . والاستماع الى ما يهمهم من شئون حياتهم .. فما يليق بالسلطان العادل أن يمر ببعض رعيته مرورا عابرا .. فى فرصة لا تتكرر كثيرا على مدار الاعوام .

وكان السلطان ما ينفك فى كل ساعات نهاره عن التفكير فى هذه الرؤيا .. ولقد استقرت فى وجدانه صورة هذين الرجلين الأشقرين اللذين اشار اليهما المصطفى فى المنام .. لقد كانت الصورة فى خياله واضحة تماما .. فهو يعرف لون شعرها ... وملامح وجهيهما .. وطريقتهما فى المشى والحوار .. ولقد أوتى حظا من القدرة على الرسم لخط صورتهما على الورق .

. . . .

وكان الركب السلطانى حين يحط فى اية مرحلة .. يسارع أهلها الى تحية السلطان الذى سبقه اليهم أنباء عدله .. وكان خطباؤهم وشعراؤهم يتبارون فى الاشادة بسجاياه فى هذه الأحفال التى كانت تقام لتكريمه .. ولقد كان السلطان يحاول ان يلمشتات فكره للاستماع الى هذه الكلمات .. غير ان فكره كان يبرحه ويذهب عنه دائما بعيدا .. انه ما يكاد يتخذمجلسه بين الناس حتى تلم به صورة هذين الرجلين الأشقرين اللذين رآهما فى المنام .. ويخيل اليه أنهما يتحديانه . وأنهما يتجسدان أمامه يروحان بين القوم ويجيئان وكأنهما يغيظانه .. من اجل هذا كان صدره يضيق بالمكان ..

حدث في المدينة المنورة

ويود أن ينطلق الى الرحاب الواسعة للتنفيس عن نفسه .. فما ان ينتهى الحفل حتى يبرح السلطان خيمته ويضرب وحيدا الا من أفكاره فى البيداء على غير هدى .. وكان بعض رجاله يتابعونه من بعيد لحراسته .. دون ان يعكروا عليه فكره .. ويستمر السلطان مصعدا فى التلال متابعا صورة هذين الأشقرين الملعونين .. وكأنه يطاردهما ولكنه ما زال فى حيرة من امرهما . . وفى امر الشر الذى يدبرانه .. لا يخفف عنه الا احساسه بهذا الشرف الذى اسبغه عليه سيد الرسل حين ندبه فى الرؤيا الصادقة لهذه المهمة . . ولكن كيف يتسنى له أن يعرفهما . . . وأن يعرف هذا الشر الذى يدبرانه . .

كان السلطان يبدو دائما مسترسلا فى هذه الأفكار .. وكان حراسه يتهامسون عما يفعلون حين يرونه قد قطع فى مسيره المستوحد شوطا بعيدا وان أحدا منهم لا يجرؤ فى الحديث اليه كى يعود ادراجه قبل ان يتقدم الليل . فأسرعوا الى وزيره ليدبر الأمر .. وجاء جمال الدين .. وسار الى جوار السلطان هادئا ساكتا لايريد أن يبدأ الحديث .. حتى أحس به السلطان فاستيقظ من شروده وعاد يتلطف الى الوزير .. ويصطنع الابتسام .. وعاد معه من حيثجاء .

• • • •

وصل الركب السلطانى المهيب مشارف المدينة .. وأسرع السلطان فى طلب وزيره ليسأله عما يلزم من الآداب التى يستقبل بها مدينةالرسول العظيم .. فانه لكل مجال آدابه ..

قال الوزير : فليغتسل مولاىالسلطان وليطهر .. وليصلين ركعتى التحية فى هذا المسجد القائم فى مدخل المدينة .. مسجد قباء .. على مسيرة زهاء ميلين منها .. وهو أول مكان نزل فيه محمد عليه صلوات الله قبل دخوله المدينة .

فعل السلطان ما أشار به الوزير . ثم سار الركب الى الحرم النبوى . . . ووقف السلطان فى الروضة مسلما فى أدب وخشوع على صاحبها .. ولم يكن الرجل بقادر على أن يمسك دمعه الذى انهمر فى جلال الموقف .. لقد وقف صامتا عاجز اللسان عن الكلام وترك المجال لقلبه ليستقبل أنوار الهداية .. وكانت تتردد فى خفايا القلب دعوات صامتة الى رب الأرض والسموات .. ورب محمد .. ورب كل شىء كى يكشفالله عنبصيرتههذه المهمة التى ندبه من اجلها رسول الله ثم تراجع السلطان خطوات .. وراح يصلى ما طابت له الصلاة .. وما أن سلم عن يمينوعن شمال .. حتى خيل اليه أنه يرى رسول الله أمامه فى المحراب يمد اليه يمناه الشريفة . . . فأسرع وتقدم كى يقبل اليد الكريمة . وكان وزيره على القرب منه .. فراح يضرب يديه أسفا وهو لا يرى حوله غير الجبال وقد ظن الظنون بما أصاب عقل السلطان الرشيد الحكيم . .

• • • •

كان السلطان ما يزال يكتم سره فلم يطلع عليه أحدا غير وزيره .. ولكنه تحدثالى والىالمدينة فقال : إنه يريد أن يصافح بيده كل رجل .. وكل شاب .. وكل فتى ممن يقيمون فى المدينة .. سواء كانوا من أهلها أو من زوارها .. انه يريد أن يراهم أجمعين وأن يصافحهم فردا فردا لا يتأخر ولا يتخلف منهم أحد . .

أخذ والى المدينة ينشر هذا على الناس .. وفرح القوم بهذه الفرصة المباركة التى اتيحت لهم للقاء السلطان العادل المجاهد الذى اشرقت انوار امجاده فى الآفاق .

وتزاحم الناس . واخذوا يتدافعون افواجا .. ولكن الوزير جمال الدين تحدث الى والى المدينة كى يجعل لقاء الناس بالسلطان بتخطيط واعداد ونظام .. وكان الوزير يدير فى نفسه أن السلطان يريد أن يتمعن فى كل شخص وهو يصافحه.. حتى لا يفوته احد من المقيمين بالمدينة .. عساه أن يكشف بينهم عن هذين الأشقرين اللذين طلب اليه رسول الله فى الرؤيا ان يدركه ويغيثه منهما .

• • • •

قام الوالى بوضع خريطة للمدينة. وقام رجاله بتحديد طرقاتها وبيوتها .. وحصر الناس فيها .. وحددوا لأصحابها من الرجال والشباب الموعد المضروب للقاء السلطان نور الدين العظيم .

وكان السلطان يلقاهم فردا فردا . يصافحهم ويهش اليهم . ويتحدث الى بعضهم ويسألهم عما يهمهم .. ويأمر كل يوم بالصدقات لذوى الحاجة منهم. فرأت المدينة أياما وليالى مشرقة مضيئة وكان الناس فى كل مكان يلهجون بالنصر للسلطان وهم يتذاكرون أعماله .. وأخذ الشباب والصبيان يقلدونه لحبهم اياه فى حركاته وسكناته ، وفرح أهلهم بذلك كثيرا .

أما الشىء الذى لم يدركه احد .. فهو انه كان يتفرس طويلا فى وجه كل من يصافحه عساه أن يجد بينهم احدا من هذين الأشقرين الملعونين .. ولكن الأيام تمر . والسلطان لم يقع على بغيته .. حتى انتهى عرض كل أهل المدينة والمقيمين فيها عليه . دون أن يتحقق له الأمر الذى كان ينشده .

ضاق صدر السلطان العادل نور الدين .. وركبه الهم .. وقام فى روضة الحرم المحمدى باكيا . خاشعا مصليا .. رافعا يديه الى السماء فى ابتهال حار عميق كى يكشف الله له عن حقيقة الأمر فى هذه الرؤيا .. وكان السلطان يقضى الساعات الطوال فى ركوعه وسجوده وبكائه . ومن خلفه كان الوالى والوزير يضربون ايديهم أسفا لما اصاب السلطان الرشيد .

اتجه السلطان الى والى المدينة وقال : هل أنت على يقين تام انه لم يبق أحد من أهل المدينة لم أصافحه ؟.

قال الوالى : لقد جئنا بكل شاب وكل رجل من أهلها .. لقد كان الناس يتزاحمون على بابك وكل منهم سعيد بهذه الفرصة . فلم يتخلف أحد .

قال السلطان لوالى المدينة : ابحث هذا الأمر مرة أخرى وتدبره .. وذهب الوالى يرسل العسس .. وجاء من يذكره بأمر هذين الرجلين الكريمين من رجال التصوف والحكمة اللذين اعتزلا الناس بعد أن جاءا الى المدينة من نحو عام وقاما بتوزيع الأموال والصدقات ثم اعتزلا الناس زهدا وعبادة وما كاد الوالى يتحدث الى السلطان عنهما معددا مناقبهما .. وافضالهما .. وكرمهما .. حتى ابدى السلطان رغبته فى السلام عليهما والتبرك بهما عسى أن يسألهما الدعاء ليكشف الله عنه هذه الغمة .

• • •

وجىء بالرجلين .. وما كاد نور الدين يراهما حتى بهت .. وتراجع الى الوراء وراح يمسح عينيه .. حتى لا يكون بصره قد خدعه .. ولقدكاد لولا الوقار ان يصرخ صرخة ينشق

حدث في المدينة المنورة

لها صدره .. لقد رأى الرجلين علـى نفس الصورة التى بدت له فى الرؤيا .

وأرسل السلطان الى كل مكان فى المدينة من يتحـرى له أمرهمـا .. فجاءت الأنباءتؤكد ما اجمع عليه الناس من صلاحهما وتقواهما وحبهما للعزلة وللعبادة .. قال السلطان : أريد أن أزورهما فى بيتهما .

ولما زارهما السلطان ازداد قناعة بأنهما على خير ما يبـدو على الناس من حب الخير والبر . وازدادت مـع ذلك حيرة السلطان فى الأمر .. وقد عرف انهما لشدة حبهما لرسول اللـه قد اتخذا بيتا يواجه القبـر الشريف لا يفصله عنـه غير الطريـق .. وبدت للسلطان فكرة أن يفتش الـدار وأن يبحث كل شبر من أرضها وجدرانهـا عساه يقع علـى بينة جديدة قبـل ان يترك المدينة .

ودبر والى المدينة اقامة حفل فـى جهة أحد .. على مسيرة بضعة أميال من المدينة. وذهب بنفسه الى الرجلين الصالحين الأشقرين يدعوهما الى هذا الحفل الذى سيقام تكريما للسلطان .

ولما ذهب الرجلان الـى الحفل تأخـر السلطان وذهب بصحبة وزيره جمال الدين الى بيت الرجليـن .. وراحـا يفحصان كـل شبر من الأرض وكـل جدار . وكان المكان مفعمـا بالصحف المنشورة والآيات المعلقات فى براويز الذهب والفضة .. وهم السلطان أن يبرح المكان حيران لا يدرى مـن أمره شيئا .. غير أنه عندما هم بالخروج . رأى البساط الفاخر الملاصـق للجدار يهبط تحت قدمه .. فأوحى اليه ذلك أن يرفع البساط وأن يعالج الأرض من تحته فانكشف له أمر عجيب .. لقـد انكشف المكان تحت البساط الرائـع عن نفـق محفور يمتـد تحت الأرض ضيقا لا يتسع لأكثر من رجل واحد .. ويمتـد النفق عبر الطريق حتـى يكاد يصل الى قبر النبى الكريم العظيم .

لقـد أصيب السلطان بمـا يشبه الصرع .. وفارقه وقاره .. وأرسل فى طلب الرجلين وأمر بضربهما ضربا مبرحا مميتا حتى اعترفا بأنهما رجلان من اليهود . وأنهما قد كلفا من قومهما بسرقة جثمان النبى محمد من قبره .. حتى يكون للمسلمين من وراء ذلك ذل وعار وانهما واصلا الحفر حتى اوشكا ان يصلا الى القبر الشريف .

* * * *

أمر السلطان ان يحفر حول الروضة من جميع اقطارها الأربع حتى يصـل الحفر الى المـاء دون أن يقترب مـن القبر الكريم أو يكشف شىء منـه . ثم أمر ان يصب حول الحجرة النبويـة حائط سميك مـن الرصاص لا يبلـى بمرور الزمن ولا يصل اليه أحـد أبدا ورأى السلطان النبى العظيم يضمـه اليه ويعانقه .. وعاد السلطان قرير العين راضيا وودعه أهل المدينة خير وداع .

وقد عرفـوا شيئا جديدا مـن كيد اليهود .. وحقدهم على رسول اللـه وعلى كل مقدسات الاسلام .

أما السلطان فقد بدا فى طريق العودة وكأنـه يسمع لأول مرة مـا توعدهم به الله فى محكم كتـابه : **(واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) .**

فقال فى نفسه : صدق الله العظيم جزاء وفاقا لما جبلوا عليـه من الغدر والاجرام .



الفتح الذى وحد الجزيرة العربية

للأستاذ : محمد رجاء حنفى

يعدّ صلح « الحديبية » الذى عقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين « قريش » فى أواخر السنة السادسة الهجرية أول مفتاح من مفاتيح هذا المعقل العتيد ، فقد أعلنت « قريش » فى ذلك الصلح اعترافها بأن الرسول الكريم صاحب دين جديد ، وأنه لا مانع من أن توقّع معه عهداً يستقر السلم بمقتضاه بينهما ، بعد عجزهـا العجز التام فى القضاء عليه وعلى دعوته ، وبعد أن باءت جميع محاولاتهـا التى بذلتها فى سبيل ذلك بالفشل .

لقد ظلت أعواما طوالا لا تعترف بالرسول صلى الله عليه وسلم ولا بما جاء به ، فدينه يخالف دينها وعقائدها ، وتقاليدها وتقاليد آبائها وما توارثته عن أجدادها ، وهو قد قلب أوضاعها رأسا على عقب ولكنها ظلت على كبريائها وتعاظمها تفترى على الرسول صلى اللـه عليه وسلم الأكاذيب ، وتنعته بما تشاء من الأوصاف التى تشـوّه سمعته ودعوته بين العرب ، فلما عجزت بكل وسائلها فى القضـاء عليه وعلى دعوته ، لم تر إلا أن تنزله منها منزلـة الند من الند ، وأن تصالحه ولو إلى حين حتى تضمن أن تعيش معه فى سلام .

ثم كانت عمرة القضاء فى العام التالى لصلح « الحديبية » المفتاح الثانى من مفاتيح هذا المعقل ، فقد كان مظهر المسلمين فى هذه العمرة وهم فى توادهم وتراحمهم ، وفى حسن انقيادهم ودقة نظامهم ، وفى ائتلافهم وتضامنهم ، وفى صدق محبتهم وإخلاصهم لرسولهم صلى الله عليه وسلم ، وفى قوة حماسهم لدينهم وشدة تمسكهم بآدابه وتعاليمه ، وفى بالغ تقديسهم للبيت الحرام وتعظيم حرماته ، وفى كل ما يؤدونه من شعائر هذه العمرة ، كان لمظهر المسلمين فى كل هذا أكبر الأثر فى هز نفوس أهل « مكة » هزا عنيفا وفى لمس مكان العقيدة من قلوبهم ، فأخذوا ينظرون إلى المسلمين نظرة الإعجاب والتعظيم والإكبار ، وينظرون إلى الاسلام نظرة التفكير والتأمل والتدبر ، ويوازنون بين هذا الدين وبين ما هم عليه من عقيدة لا يقرّها عقل ، وتقاليد لا يقبلها المنطق ، ويقارنون بين عبادة المسلمين التى تمتاز بالروحانية والخضوع لله عز وجل ، وبين عبادتهم التى لا تستند إلى شىء ، وليس لها أساس تقوم عليه ، ويدخلها الكثير من اللغو والخرافات .

وعندما أمعنوا النظر فى كل ما شاهدوه ، رأوا الفرق الكبير والمسافة البعيدة بين دينهم ودين الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فرقت له قلوبهم واستعدت ، واستراحت نفوسهم وتهيأت ، فأسلم الذين استطاعوا الجهر بالإسلام ، وأسرّ الآخرون من المستضعفين اعتناقهم لهذا الدين ، وكان الكثير منهم قد تهيّأ بنفسه وقلبه لأن يسلم ولكن منعته ظروف حائلة ، ومصالح مستعجلة مدة من الزمن ، فكل ذلك أحدث تخلخلا فى دين أهل « مكة » الوثنى أثناء عمرة القضاء ، وكان هذا من الأسباب التى هيّأها الله لفتح « مكة » .

نقض الصلح :

وشاءت إرادة الله عز وجل أن تزول بقية العقبات من طريق فتح « مكة » ، فكان ما حدث فى السنة الثامنة من الهجرة ، من نقض « قريش » لصلح « الحديبية » .

لقد كانت هناك خصومات ومشاحنات قديمة بين قبيلتى « خزاعة » و « بنى بكر » من أيام الجاهلية ، ولكن نار العداوة بينهما خمدت بعد صلح « الحديبية » ، لدخول « خزاعة » فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودخول « بنى بكر » فى عهد « قريش » ، فحلّ الأمان والسلم محل الحرب بين القبيلتين ، ولكن حادثا طرأ جعل الحرب تشتعل نارها من جديد بينهما ، ذلك أن أحد أفراد قبيلة « بنى بكر » وقف ذات يوم يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم

على مسمع من رجل خزاعي ، فثارت ثائرته وقام إليـــه وضربـــه ، فأعلنت قبيلة « بنى بكر » الحـــرب على خزاعة ، وأخـــذت تتأهـــب للانتقام ، وحرضهم على ذلك جماعة من « قريش » ، منهم عكرمة بن أبى جهل ، وبعض سادات « قريش » ، وأمدوهم بالسلاح .

وفى ذات ليلة كانت « خزاعة » على ماء لها يسمى « الوتيـــر » ففاجأتها قبيلة « بنى بكر » ومن معهـــا مـــن « قريش » ، فلجأت « خزاعة » إلى الحرم تحتمى به ، ولكن ذلك لم يمنع قبيلة « بنى بكر » من مقاتلتها فى المسجد الحرام ، فاستنصرت « خزاعة » برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب وفد منهم إلى « المدينة » ، وعلى رأسه زعيمهم عمرو بن سالم ، وأخبروا الرسول الكريم بما كان من أمر هذا الغدر الذى اشتركت فيه « قريش » ، وكان مما قاله زعيمهم للرسول صلى الله عليه وسلم :

يا رب إنى ناشـــد محمـــدا ... حلف أبيـــه وأبينـــا الأتلـــدا
قد كنتـــم ولـــدا وكنـــا والـــدا ... ثمت أسلمنا فلـــم ننزع يـــدا
فانصر رســـول الله نصرا أبـــدا ... وادع عبـــاد الله يأتـــوا مـــددا

فقال له الرسول صلى الله عليه وســـلم وعينـــاه تدمعـــان : « نصرت يا عمرو بن سالم » ، وفى رواية : « لا نصرت إن لم أنصركم بما أنصر به نفسى » ، وعن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضـــب مما كان مـــن شأن بنى بكر غضبا لم أره غضبه منذ زمان » ، ثم قال الرسول الكريم لعمرو بن سالم وأصحابه : « أرجعوا وتفرقوا فى الأودية » ، فرجعوا وتفرقوا ، وكان عددهم أربعين راكبا ، وقد قصد الرسول صلى الله عليه وسلم بتفرقتهم إخفاء مجيئهم ، ورأى الرسول الكريم أن الوقت قد حان لفتح « مكة » ، فأخذ يستعد لهذا الفتح .

سفارة أبى سفيان إلى المدينة :

وقدّر الرسول صلى الله عليه وسلم أن « قريشا » ستـــدرك سوء ما صنعت ، وأنها سترسل إليه من يقوم بإصلاح ما أفســـده الغدر بينها وبينه ، فقال لأصحابه : « كأنكم بأبى سفيان قد جاءكـــم ليشدّ فى العقد ويزيد فى المدة » .

وحدث ما تنبأ به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقـــد رأت

« قريش » أن تتدارك الأمر ، وأن تزيل ما تركته زيارة الوفد الخزاعي لـ « المدينة » من أثر في نفوس المسلمين ، فانتدبت أبا سفيان مفوضا من قبلها لزيارة « المدينة » ، وللسعي لحل الخلاف سلميا ، ولإبقاء عهد « الحديبية » نافذا محترما ، ويمدّ في مدته إذا أمكن ذلك ، فقد ذاقت « قريش » بواسطته طعم الهدوء والراحة بعد أن حرمت منهما أعواما طوالا ، فعكفت على العناية بتجارتها ومصالحها الاقتصادية ،

ووصل أبو سفيان إلى « المدينة » ، وقصد أول ما قصد منزل ابنته أم حبيبة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لشعوره بخطورة المهمة المكلّف بالقيام بها ، فآثر ألا يذهب إلى الرسول الكريم رأسا قبل أن يمهّد الطريق لمقابلته .

وعندما أراد أبو سفيان الجلوس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه ، فاندهش من هذا التصرف وسألها : أرغبت به عن الفراش أم رغبت بالفراش عنه ؟ فأجابته بأنه فراش الرسول الكريم ولا يجدر بالمشركين من أمثاله الجلوس عليه ، فوقع هذا الكلام على نفس أبي سفيان وقعا أليما ، فلم يكن يتوقع هذا من ابنته أقرب الناس إليه ، وخرج من عندها مصدوما ، حزين النفس جريح الفؤاد ، ثم ذهب إلى المسجد فزار الرسول الكريم وكلّمه فيما جاء لأجله ، وعرض عليه أن يمدّ أجل الهدنة ، واعتذر عما حدث من قبيلة « بني بكر » لقبيلة « خزاعة » ، فأعرض الرسول صلى الله عليه وسلم عنه وأبى أن يجيبه أو أن يناقشه ، فكانت هذه الصدمة أنكى وأمرّ من الأولى ، فخرج من المسجد وهو أشد ما يكون ذلا وانكسارا وذهب يستشفع بأصحاب رسول الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذهب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ــ فرفض معتذرا في لطف ، فتوجه الى عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ فأغلظ له في الرد ، وقال له في جفاء : « أنا أشفع لكم إلى رسول الله ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به » ، فخرج من عنده إلى علي بن أبي طالب ــ كرم الله وجهه ــ ، وكلّمه كلاما رقيقا لينا لإثارة عاطفته ، فقال له : « يا علي : إنك أمسّ القوم بي رحما ، وقد جئتك في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا ، فاشفع لي » ، فأجابه معتذرا ، وفشلت بذلك سفارة أبي سفيان .

الاستعداد لفتح مكة :

أصدر الرسول صلى الله عليه وسلم عقب سفر أبي سفيان أمرا بالتعبئة العامة ، وأشار بأن تكون سرّية ، وأرسل إلى البدو ومن حولهم من الأعراب ليحضروا رمضان بـ « المدينة » ، فاستجابت القبائل لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتدفقت على « المدينة » وعسكرت بأرباضها ، ولشدة حرصه على ألا يريق دما بـ « مكة » أخفى وجهته عن المسلمين ، وأمر بوضع حرّاس على أبواب الطرق ومداخل البلاد يحرسونها ، ويردّون عنها من لا يعرفونه ، فلا يفلت أحد ولا يصل إلى « قريش » خبر .

وبعد أن اكتمل جمع المسلمين أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سائر إلى « مكة » ، وأمرهم بالتهيؤ والاستعداد ، وسأل الله عز وجل أن يأخذ العيون والأخبار على « قريش » ، فلا تعلم بتحركه حتى يفاجئها في بلادها .

خطأ غير مقصود :

وبينما الجيش على أهبة السير إلى « مكة » كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى « قريش » يخبرهم فيه بما اعتزم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستأجر امرأة من « مزينة » تدعى سارة ، وأعطاها الكتاب وأمرها أن تتلطف وتحتال حتى تبلغه إلى « قريش » فأخذت سارة الكتاب وأخفته ، واستطاعت أن تخرج به من « المدينة » واتجهت في طريقها إلى « مكة » ، وأتى الرسول صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما فعل حاطب،فأرسل في إثر سارة علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ، فأدركاها في الطريق واستخرجا منها الكتاب ، وأحضراه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فدعا الرسول الكريم حاطبا وأطلعه على الكتاب الذى أرسله ، ثم قال له : « ما حملك على هذا ؟ » ، فأيقن حاطب أنه هالك لا محالة ، وأنه لا نجاة له إلا بإخبار الرسول الكريم عن الدافع الذى دفعه إلى ارتكاب هذا العمل ، فقال : « يا رسول الله : لا تعجل عليّ ، فوالله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيّرت ولا بدّلت ، ولكنني كنت امرأ ليس في القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه ، وكان من معك من المهاجرين — ممن له أهل أو مال بمكة — لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت — إذ فاتني النسب

فى قريش ــ أن اتخذ عندهم يدا يحمون بهـا قرابتى ، ولم أفعلـه ارتدادا عن دينى ، ولارضا بالكفر بعد الإيمان .

ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم فى لهجة حاطب امارات الصدق وسلامة النيّة فيما أقدم عليه ، فقال لمن حوله : « أما إنه قد صدقكم فيما أخبركم به » ، وقد عفا عنه الرسول الكريم نظرا لتاريخه وماضيه المشرّف فى الدفاع عن حرمات الإسلام .

مسيرة الجيش :

استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر الغفـارى رضى الله عنه على « المدينة » نائبا عنه ، وخرج منها فى عدد مـن المهاجرين والأنصار والوافدين على « المدينة » من القبائل يبلغ نحـو عشرة آلاف مقاتل ، فى اليوم الثامن من شهر رمضان من السنـة الثامنة للهجرة ، وتحرك هذا الجيش الضخم المنظم ، الموحد القيـادة والغاية ، عبر الصحراء الواسعة قاصدا « مكة » ، وسار يطـوى الفيافى والقفار والمسلمون صائمون ، وهم جد حريصين على كتمان أمرهم وإخفاء خبر مسيرهم حتى وصلوا إلى « مـر الظهـران » ، فاستقر الجيش فيه وضرب مخيمه استعدادا للعمل العظيم الـذى ينتظره ، ولما كان وصول المسلمين إلى هذا المكان فى المساء ، فقـد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين باشـعال النيـران فى مواضع نزولهم ، فأشعلوا عشرة آلاف شعلة بعدد أفرادهم ، فبـدا نورها ساطعا يضىء ظلام الصحراء ، ويتلألأ فى فضائها الواسـع حتى جعل ليلها نهارا .

وغُمَّ على زعماء « قريش » أمر المسلمين ، وانقطعت أخبارهم عنهم ، ولما كانوا واثقين من أنهم لن يتركوهم وأنهم سينتقمون منهـم لاعتدائهم على قبيلة « خزاعة » ، فقد أقلقهم عـدم معرفتهم ما يدّبر فى « المدينة » .

وغادر أبو سفيان « مكة » فى نفس الليـلة التى نزل فيهـا المسلمون « مر الظهران » ، ومعه حكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، ليتسقطوا أخبار المسلمين ، فشاهدوا النار التى أشعلها المسلمون ، واسترعت نظر أبى سفيان ، وتوقع بديل أن تكون هذه النيران نيران « خزاعة » ، ولكن أبا سفيان استبعد ذلك ، لأن « خزاعة » فى نظره أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وهذا عسكرها .

وكان العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم قد خـــرج بأولاده مهاجرا الى « المدينة » لينضم الى ابن أخيه ، فالتقى به فـــى الطريق ، فبعث بأهله الى « المدينة » ورجع مع الرسول الكريم ، وقد كان هذا اللقاء بين الرسول الكريم وعمه مصادفة مباركة حقن الله عز وجل بها الدماء ، ويسر الأمور ، وذلل بها الصعاب فى طريق الفتح على مكان يحب ويرجو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخشى العباس على أهـــل « مكة » من نتائج هذه الحمـــلة المباغتة ، فأخذ يفكر فيما سيترتب لو حدثت مقاومة من « قريش » لجيش المسلمين ، حتما ستكون هناك خسائر فى الأرواح ، ورأى الدمار وشيك الوقوع بساحة « قريش » ، فراود الأمل نفسه فى أن يهديه الله حيلة يمنع بها الكوارث التى تكاد أن تحل بهم ، فركب بغلة الرسول صلى الله عليه وسلم وخرج من معسكر المسلمين قاصدا « مكة » ليخبر « قريشا » بالجيش الضخم الذى جاء لقتالهما ، فيؤثر بذلك فى معنوياتها ويضطرها الى التسليم بدون قتال ، فتحقن بذلك دماؤها ، وتنجو من معركة ليست فى صالحها على الاطلاق ، فسمع وهو فى طريقه الى « مكة » حديث أبى سفيان مع صاحبيه ، فناداه العباس وطلب منه أن يركب معه ليأتى به رسول الله صلى عليـــه وسلم ويستأذنه له فوافق أبو سفيان على طلب العباس ، فأردفه وراءه ورد صاحبيه الى « مكة » وسار به حتى وصل الى خيمـــة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأنزله وأسرع به الى داخل الخيمة،

إسلام أبى سفيان :

وفى الصباح جىء بأبى سفيان إلى مجلس الرسول صلى اللـــه عليه وسلم ، وبمسمع من كبراء المهاجرين والأنصار قال له الرسول الكريم : « ويحك أبا سفيان . ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ » فقال أبو سفيان : « ما أحلمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره ما أغنى عنى شيئا » ، فقال له الرسول صلى اللـــه عليه وسلم : « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ » ، فقال أبو سفيان : « أما هذه فوالله إن فى النفس منها الآن شيئا » ، فتدخل العباس وقال له : « ويحك . أسلم قبـــل أن تضرب عنقك » ، فأسلم .

وطلب العباس من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل لأبى سفيان شيئا لأنه يحب الفخر ، فأعلن الرسول الكريم أن من دخـــل

دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .

رجوع أبى سفيان إلى مكة :

عاد أبو سفيان إلى « مكة » مبهورا مذعورا ، وهو يشعر أن من ورائه إعصارا مدمرا إذا انطلق أجتاح « قريشا » وقضى عليها القضاء المبرم ، وشاهد أهل « مكة » القوات الاسلامية تقترب منهم ، ولم يكونوا حتى ذلك الوقت قد استقر رأيهم على قرار حاسم ، فاجتمعوا بسادتهم ينتظرون منهم الرأى الأخير ، فإذا بصوت أبى سفيان يرتفع مجلجلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أتى « قريشا » بما لا قبل لها به ، وأنه من الخير لهم أن يستسلموا بدون قتال ، ثم أعلن أن من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت زوجته هند وجذبته من لحيته وقالت : « أقتلوا هذا الشيخ الأحمق ، قبُح من طليعة القوم » ، فلم يكترث أبو سفيان بما صنعته وقالته وقال : « ويلكم ! لا تغرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » ، فردوا عليه بقولهم : « قاتلك الله ! وما تغنى عنا دارك ؟ » ، فأكمل : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » ، فتفرقوا مذعورين إلى بيوتهم وإلى المسجد .

تطويق مكة ودخولها :

وعندما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى « ذى طوى » ، واقترب من أبواب « مكة » فرّق الجنود والقادة على مداخلها وأحاط بها من كل جانب ، ثم أمر الزبير بن العوام أن يدخل « مكة » من جهة الشمال بمن معه من الجنود ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل بفرقته من الأنصار من الغرب ، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل بفرقته من الجنوب ، وأمر أبا عبيدة بن الجراح أن يدخل بفرقته من المهاجرين من الشمال الشرقى من جبل « هند » ، وقاد الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه مؤخرة الجيش .

ودخلت القوات الإسلامية « مكة » بلا مقاومة تذكر ، والرسول القائد على ناقته « القصواء » فى غير تكبّر ولا تجبّر ولا خيلاء ، بل فى تواضع وخشوع لله عز وجل ، وهو يذكر يوم أن خرج مع صاحبه مهاجرا ، وأكبّ الرسول صلى الله عليه وسلم على رحل ناقته حتى كاد رأسه الشريف يلمس وسط الراحلة ، شاكرا الله عز وجل على ما تفضل به عليه من هذا الفتح العظيم ، وما مَنّ به عليه من هذه النعمة الجليلة .

وظل الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح حتى وصل الى الكعبة وبصحبته المسلمون ، فاستلم الركن بعصا كانت فى يده وكبَّر ، فكبر المسلمون بتكبيره حتى ارتجت لتكبيرهم أرجاء « مكة » ، فأشار الرسول صلى الله عليه وسلم أن اسكتوا ، ثم أخذ يطوف بالبيت وهو على ناقته ، وفى كل مرة من طوافه يستلم الحجر الأسود بعصاه إلى أن استكمل الطواف ، وبعد أن فرغ من طوافه نزل من على ناقته ثم سار إلى مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام فصلى فيه ركعتين ، ثم اتجه إلى زمزم فشرب منها وتوضأ ، والمسلمون من حوله كل منهم يودّ أن يأخذ ماء وضوئه ، وجعلوا يصبونه على وجوههم ، والمشركون ينظرون ويتعجبون لما يرون ويقولون : « ما رأينا ملكا أبلغ من هذا ولا سمعنا به » .

ثم جلس الرسول صلى الله عليه وسلم فى جانب المسجد ، وأبو بكر الصديق واقف وراءه متقلدا سيفه ، ودعا عثمان بن طلحة ففتح له الكعبة ، فدخل وصلى بها ركعتين ، ثم وقف على باب الكعبة وقال : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ، ثم ألقى خطبة طويلة بيّن فيها الكثير من مبادىء الإسلام ، ثم قال : « يا معشر قريش : إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب » ، ثم قرأ قوله عز وجل : « يأيها الناس : إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إنا أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » ، ثم قال : « يا معشر قريش : ماذا تقولون ؟ وماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟ » ، وقالوا : « خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم » ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أقول كما قال أخى يوسف : لا تزريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وقد كان من أثر هذه السياسة الرشيدة الحميدة أن كسب الرسول صلى الله عليه وسلم قلوب أهل « مكة » ، فأقبل على الإسلام فتيان « قريش » وشيوخها ونساؤها ، ولم يحجم عنه إلا البعض من الذين أكل الحقد قلوبهم وملأ البعض نفوسهم ، ثم لم يلبثوا طويلا حتى دخلوا فى الدين الجديد بعد أن شرح الله عز وجل صدورهم للاسلام وصاروا من حماة الدين ومن خير المدافعين عنه .

هدم الأصنام :

دخل الرسول صلى الله عليه وسلم « مكة » يوم الفتح وعلى الكعبة ٣٦٠ صنما ، لكل حى من أحياء العرب صنم قد شدت أقدامه بالرصاص ، فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم بقضيب من الحديد

وأخذ يهوى به على كل صنم منها فيخر على وجهه والرسول الكريم يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ، وأمر بكسر « هبل » وكان فى داخل الكعبة ، وأحرقت ومحيت كل صورة بالكعبة وأخرجت صورة سيدنا ابراهيم عليه السلام الذى كان مصوّرا وفى يدم الأزلام يستقسم بها ، فنظر إليها الرسول صلى الله عليه وسلم مليا وقال : « قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام . ما شأن ابراهيم والازلام ؟ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » ، وبذلك طهّر البيت الحرام من الأصنام والصور .

ثم أخذ الناس يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، فكان ممن أسلم فى هذا اليوم معاوية بن أبى سفيان ، وأبو قحافة والد أبى بكر الصديق ، وقد سُرَّ الرسول صلوات الله وسلامه عليه سرورا عظيما بإسلامه .

ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة الشريفة ، فانطلق صوته يدوى : الله أكبر . الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، وخشعت الأبصار من كل جانب ، واتجهت الألوف إلى الكعبة حرم الله الآمن ، يستقبلونها فى صلاتهم خاشعين ، فكان يوما مجموعا له الناس ويوما مشهودا ،

نتائج فتح مكة :

الواقع أن فتح « مكة » لم يكن خاتمة النضال بين المسلمين و « قريش » وحدهما ، وقد امتد واحدا وعشرين عاما تقريبا ، ثلاثة عشر عاما قبل الهجرة ، وثمانية بعدها ، بل كان خاتمة النضال فى جميع بلاد العرب ، ووسيلة لاتساع نطاق الإسلام وانتشاره فى داخل « الجزيرة العربية » وخارجها ، فلم يطل الوقت على القبائل القاطنة فى شرق « الحجاز » وكانت تلتزم سياسة الحياد فى الصراع الدائر بين « مكة » و « المدينة » ، حتى أقبلت وفودها تتسابق على « المدينة » تعلن إسلامها وانضمامها إلى الدولة الجديدة بمحض رغبتها واختيارها ، وبدون ضغط أو إرهاب .

وفتحت أبواب « مكة » لدعوة الإسلام ، فانهدم حصن الشرك العتيد ، وانهار ذلك السد المنيع الذى قام فى وجه الدعوة منذ قامت .

ومنذ ذلك اليوم صارت « مكة » كعبة الإسلام ، وقبلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وستظل كذلك إن شاء الله إلى أن يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها .

الفتاوى

مرض الربــــو

السؤال :

رجل مريض (بالربو) مرضا مزمنا ، ووصف له دواء يخفف عنه وطاتــــه يتعاطاه من وقت لآخر واذا توانى فى تعاطيه ، يحصل له ضرر جسمانى عظيم ، فهل يباح له الفطر ؟

الاجابة :

يجوز له الفطر شرعا فى هذه الحالة ، وعليه القضاء بعد زوال المرض ، والله أعلم .

القرحة المعوية

السؤال :

رجل أصيب بقرحة فى امعائه ، وقرر الأطباء ، انه لا يصح ان يدع الطعام فترة تزيد على خمس ساعات ، بحيث اذا تركه فيها تعرضت حياته للخطر ، فهل يجوز له شرعا ، أن يفطر رمضان ، وهل يجوز ان يؤخر قضاء ما فاته من صومه الى أن يتم برؤه ؟

الاجابة :

يباح شرعا لهذا المريض فطر رمضان وتأخير قضاء الصوم الواجب عليه الى أن يتم شفاؤه من مرضه ، وقد أخبر الأطباء الحاذقون أن فى جوع المصاب بهذه القرحة خطرا عظيما عليه ، وأنه لا يصح أن يدع معدته خاوية ، وأنه يلزم ألا يقل عدد أكلاته فى اليوم والليلة عن ست ، وقد رخص الله للمريض بأقل من هذا المرض فى الفطر : **(وما جعل عليكم فى الدين من حرج)** .

والدين يسر لا عسر ، فاذا كمل برؤه قضى ما فاته ، قال تعالى : **(فمن كان منكم مريضا اوعلى سفر فعدة من ايام اخر)** .

الصيام فى السويد

السؤال :

نحن مسلمون منتدبون للعمل فى بلاد السويد ، وستضطرنا هذه الاعمال الاميرية لقضاء شهر رمضان الكريم فى هذه البلاد ــ وكما لا يخفى فان الشمس فى بعض الشهور تشرق فى الساعة الثانية صباحا وتغرب فى العاشرة مساء تقريبا ، اى فترة غياب الشمس حوالى اربع ساعات فقط ، ونحن لسنا من أهل البلد نفسها ، وحاولت الصيام فى ٢٧ رجب و ١٥ شعبان وتعبت ، ولكن لم يفت من عزيمتى وعزيمــة اخــوانى ولكن رأينا أن نستشير فضــيلتكم بما يتبع ، ونستفتى منكم الحكمة والمشورة الى سواء السبيل ، فنرجو الافادة عما يتبع بالصيام أو عدمه وهل فى الامكان صيام بعض الايام على قدر الامكان ؟؟ .

الاجابة :

انه يجب على المستفتى واخوانه الذين ورد ذكرهم فى السؤال الصوم ما لم يغلب على ظنهم حصول مرض بالصيام بتجربة أو امارة اخرى فاذا غلب على ظنهم ذلك ، جاز لهم الفطر على أن يقضوا فى أيام أخر ، وليس بلازم فى قضاء ما افطروه أنيكون فى أيام متتابعة .

مريض بالسل

السؤال :

أنا مريض بالسل من نحو سنتين ، ومنعنى الطبيب من الصوم منذ مرضت، فما حكم السنتين ، مع العلم بانى غير قادر على الفدية ، وهل يجوز لى ان أصوم ثلاثة أيام من كل شهر لاقضى ما على ، وأنا لا أزال مريضا وتحت العلاج .

الاجابة :

أما بعد نفيد اللجنة بأن المريض الذى يتضرر بالصوم بأن يزيد مرضــه بالصوم أو يتأخر برؤه منه لو صام ، لا يخلو أمره من حالتين ــ الأولى : أن يكون شفاؤه مرجوا ــ وحكمه أن له أن يفطر فى رمضان ويقضى ما قدر عليــه بعــد الشفاء ، ولا يجب فى القضاء التتابع ، ولا فدية عليه ، فاذا مات قبل الشفــاء فليس عليه شىء ــ والثانية : أن يكون المريض لا يرجى شفاؤه كالشيخ الفانى الذى فنيت قوته ويئس من رجوع قدرته على الصوم ، فلا يجب عليه الصوم ، وعليه الفدية لكل يوم نصف صاع من قمح أو قيمته ، فان لم يقدر على الفــدية بأن كان معسرا لم تجب عليه ، واذا شفى المريض الذى كان لا يرجى شــفاؤه وجب عليه أن يقضى ما قدر عليه من الأيام .

هذا وتضرر المريض بالصوم يعرف بغلبة الظن بناء على تجربة أو اخبــار طبيب يوثق به ونحو ذلك ، وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

صورة الغلاف للعدد ١١٥

كانت صورة الغلاف للعدد ١١٥ لشهر رجب ١٣٩٤ هـ ــ يوليو ١٩٧٤ صورة لقسم من المسجد الابراهيمي في مدينة الخليل الصامدة بفلسطين . وهذا القسم خاص بالقبة المحمولة على قاعدة مربعة تحملها أربعة أعمدة رخامية حول فتحة الغار الشريف يطل عليها شبخ سدنة المسجد الابراهيمي .

والى جانب هذه القبة أخذت اللقطة قسما من السدة التى يجلس عليها المبلغ يوم الجمعة .

وقد ظهرت فى الصورة ايضا صور بعض أهالى المدينة بزيهم الخاص المتميز .

وظهرت أيضا فتحة الباب المؤدى الى حجرة ما بين مقامى خليل الله ابراهيم عليه السلام وزوجته السيدة سارة رضى الله عنها .

ويبدو أن اللقطة اخذت قبل عام ٦٧ لظهور السجاد يغطى أرض المسجد علما بأن أرض المسجد قد جردت من السجاد بعد تدنيس الكفرة الفجرة لبيت الله .

وقد كتبت المجلة على جانب الصورة من الداخل عبارة (أحد المساجد الفخمة فى دمشق) ..

عبد السلام عمران ابو شخيدم
السعودية

التوبة بلا بسملة لماذا .. ؟

لماذا لم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فى أول سورة التوبة كبقية سور القرآن الكريم .. ؟

وهل هناك سبب لوجودها فى الترتيب بعد الانفال ؟

محمد عبد الخالق مسعود ــ القاهرة

من البين ان سورة التوبة كتبت دون بسملة فى مصحف سيدنا عثمان بن عفان ، وهو المصحف الامام الذى جمع فى خلافته رضى الله عنه ، ووزعت منه نسخ على الامصار دون اعتراض من الصحابة ، أو انكار منهم ، فعد هذا الرضا من الصحابة اجماعا منهم ، وقبولا لوضع سورة التوبة بدون بسملة .

وفى رواية النسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قلت لعثمان رضى الله عنه ما حملكم أن عمدتم الى الأنفال وهى من المثانى ، والى التوبة (براءة) وهى من المئين فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا سطر (بسم اللــه الرحمن الرحيم) ووضعتموهما فى السبع الطوال فما حملكم على ذلك ؟ قال عثمان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الشىء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول « ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا » ، وقبض رســول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين أنها منها ، فظننت أنها منها ، فمن ثم قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) .

وقد وضح من سياق الحديث السابق هذا أن التوبة قد تركت بدون بسملة ، وقرنت بالأنفـــال ولم يفصل بينهما على عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعهد الصحابة رضوان الله عليهم ، وأن وضع السورتين هكذا فى السبع الطوال من القرآن الكريم يؤكد أنهما نزلتا منزلة واحدة وأصبحتا كالســــورة الواحدة ، ولذلك كانتا تدعيان بالقرينتين .

وهناك قول آخر يقول انهما سورة واحدة ، تركت بينهما فرجة ، ويقول القرطبى (انه كان من شان العرب فى الجاهلية اذا كان بينهم وبين قوم عهد فاذا ارادوا نقضه كتبوا اليهم كتابا ولم يكتبوا فيه البسملة فلما نزلت سورة التوبة بنقض العهد الذى كان بين النبى صلى الله عليه وسلم والمشركين بعث بها النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه فقرأها عليهم فى الموسم ولم يبسمل فى ذلك على ما جرت به عادتهم فى نقض العهد من ترك البسملة .

وفى رواية أخرى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : سالت على ابن ابى طالب لم لم يكتب فى التوبة (بسم الله الرحمن الرحيم) قال لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان ، والتوبة نزلت بالسيف ، فليس فيها أمان .

وقال المبرد لم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم لانها رحمة ، وبراءة نـــزلت سخطة أو بسخطه .

ويقول القشيرى (ان سورة براءة لم تكتب فى أولها بسم الله الرحمن الرحيم لان جبريل ما نزل بها فى هذه السورة ، وفى قول سيدنا عثمان قبض رســـول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها دليل على أن السورة كلها أنتظمت بقوله وتبيينه ، وأن براءة ضمت الى الانفال من غير عهد من النبى صلى الله عليه وسلم لما عاجله من الحمام قبل تبيينه ذلك ، وكانتا تدعيان القرينتين فوجب أن تجمعا ، وتضم احداهما الى الأخرى ، للوصف الذى لزمهما من الاقتران ،ورسول الله صلى الله عليه وسلم حـ،) .

كما أن هناك وجه شبه بين السورتين فالانفال من أول ما نزل بالمدينة ، وبراءة من آخر ما نزل بالمدينة ، والمعول عليه فى القول بالنزول هو أول السورة، اذ المعلوم أن بعض السور ظل مفتوحا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تتنزل الآية يقول ضعوها فى مكان كذا من السورة كذا .

هذا ما قيل حول ترك (بسم الله الرحمن الرحيم) فى أول براءة ، وبين علاقتها بالأنفال .

بأقلام القراء

(شهر رمضان شهر التصفية الروحية)

ان المسلمين فى جميع بقاع الارض يحتفلون بقدوم شهر رمضان ، ويعلنون ابتهاجهم بهذا الشهر العظيم وحق لهم ان يحتفلوا ويبتهجوا لأنه شهر حافل بالخيرات معمور بالبركات فصومه ركن من اركان الاسلام الخمسة ودعامة من دعائم الدين التى يقوم عليها ، والله سبحانه لا يفرض فرضا ولا يقدر امرا الا وله حكمة سامية وسر عجيب يدركه العقل الرشيد ، ويقدره من سمت أفكاره ورسخ ايمانه واستنار عقله .

وها هو الصوم وسره ، وشهر رمضان وفضله ، فالصوم كف النفس عن عن شهوتى البطن والفرج ، واذا ما كف الانسان نفسه عن هاتين الشهوتين كان ملكا وعبدا لله مخلصا ، واستحق شرف العبودية التى يعنيها الله فى قوله : **(إن عبادى ليس لك عليهم سلطان)** .

اله هذا شأنه يغار على عبده هذه الغيرة فوق نعمه المتتالية ظاهرها وباطنها ، (**وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها**) ومن هذه النعم فرضه الفرائض التى يعود نفعها على العباد خاصة ، فالصوم من طبعه يحول بين المرء وبين امتلاء المعدة التى هى علة العلل ، وقد قال طبيب العرب حارث بن كلدة « ان المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء » قال بعض الحكماء « الدواء الذى لا داء معه الا تأكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه » ومن غير شك ان فى حفظ الجسوم حفظا لكيان الأمم والشعوب وهناك فائدة اخرى تنجم عن الجوع وهى المحبة والوئام بين الناس بل وبين العبد وربه فان الانسان عندما يشعر بألم الجوع وشدة الظمأ يحصل له الذلة والانكسار ، وعندئذ يشعر بحاجته لمولاه فيتواضع لبارئه الذى خلقه وسواه ويطرح رداء الكبر والعظمة فانهما من صفات الله جل جلاله حيث يقول **« الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فيهما قصمته ولا ابالى »** (١) .

واذا ما ترك العبد هذا لمولاه شعر بانه محتاج لسواه ليعطف على الناس ويتودد اليهم واحس من الجوع ولوعته بحاجة الفقير الى الطعام ، فكان الناس وقتئذ اخوانا متحابين وكانوا كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخارى ومسلم عن النعمان ابن بشير .

---

(١) رواه مسلم وابو داود وابن ماجه عن أبى هريرة بلفظ الكبرياء ردائى الخ وبقية الحديث : القيته فى النار .

قيل ليوسف الصديق عليه السلام « لم تجوع وانت على خزائن الارض حفيظ ؟ قال اخاف أن اشبع فأنسى الجائع » فالجوع يدفع صاحبه الى البر والاحسان ، وشهر رمضان هو الموسم لمن اراد الربح العظيم .

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اجود الناس بالخير وكان اجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم القرآن فاذا لقيه جبريل عليه السلام كان اجود بالخير من الريح المرسلة . رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس .

والصوم هو الوسيلة العظمى فى تربية ملكة الصبر واحتماله المكاره ، والصبر ملاك الفضائل .

فهو السلاح الذى يكافح به الانسان ويجاهد حتىيظفر بمناه فى دنياه واخراه ، وقد قيل « الصبر نصف الايمان » رواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الايمان عن ابن مسعود .

ووصى به القرآن الكريم فى التنزيل اكثر من سبعين مرة وحسبك من ذلك قوله فى شأنه (**انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**) (الزمر) .

ومن حق الصائم ان يكف جوارحه عن جميع الآثام حتى يكون صومه مقبولا، فيغض البصر عما حرمه الله ويكف اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والخصومة والفحش والجفاء والسمع عن الاصغاء الى ما هو محرم . وقال الامام البيضاوى « ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الامارة بالسوء فاذا لم يحصل له ذلك لا ينظر الله إليه نظر قبول ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه (٢) هذا مجاز عن عدم القبول فنفى السبب وأراد المسبب ا هـ. لأنه بترك الطعام والشراب قد اتى بجسم الصوم وبفعله المحرم قد أذهب روحه . والصوم بلا روح غير مقبول كجسم بلا روح فهو غير موجود والغاية من العبادات روحها أنظر الى قوله تعالى : (يا أيها **الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) فالغاية من فريضة الصوم هى تقوى الله لا مجرد ترك الاكل والشرب . وقال عليه الصلاة والسلام « الصيام جنة » اى وقاية للجسم والروح من العلل والشرور .

وقد اختار الله هذا الشهر المبارك للصوم من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، لانه عند الله طيب مبارك فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى شهر رمضان ونزل عليه جبريل عليه السلام وهو يتعبد فى غار حراء فى هذا الشهر ، فهو شهر مبارك حيث ابتدأت فيه دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى الخلق لاتباع الحق ، وظهر نور الاسلام فى طول البلاد وعرضها ، وفيه نزل القرآن الكريم الذى طمس معالم الباطل ورفع لواء الحق (**شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) (البقرة ــ ١٨٥) .

وفى هذا الشهر ليلة القدر التى هى خير من الف شهر ، قال الله تعالى (**ليلة القدر خير من الف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر**) .

الدكتور السيد عبد الله بن عبد القادر بلفقيه

---

(١) اخرج مسلم والنسائى عن طريق سفيان بن عيينة عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة .

(٢) رواه البخارى واحمد والبزار عن ابى هريرة .



قالت صحف العالم

ذكرى الحريق

فى حومة الصراع الدائر بيننا وبين اليهود تشكل القدس والمسجد الاقصى حجر الزاوية فى هذا الصراع ، فليست أرض فلسطين شيئا لولا ارتباطها العقائدى عند المسلمين والنصارى واليهود على السواء ، لانها أرض الاسراء والمعراج وبلد الانبياء والمرسلين ، ومهبط رسالة عيسى ، وموطن الاشعاع الحضارى الاسلامى عبر القرون ، من أجله تخضبت الأرض بنجيع الدم الزكى وشهدت المعارك الكبيرة والحروب العنيفة وظلت مسرحا للأحداث الكبرى ، والصراعات المستمرة ، دهرا بعد دهر .

وواضح مخطط اليهود الرهيب فى تهويد القدس وتحويل المسجد الأقصى الى هيكل ، ليعيد ما زعم من هيكل سليمان وأوضح منه ، أن اسرائيل حكومة وشعبا ، فرقا وأحزابا ، لاتدخر وسعا فى استعمال أية وسيلة مشروعة أو غير مشروعة لإزالة المسجد الأقصى وتهويد البقعة المقدسة ، وإزالة اى معلم حضارى إسلامى فى القدس ، فمن عبث القول أن نفيض فى بيان المخططات الرهيبة للتهويد والاستيلاء على المسجد الأقصى والمقدسات جميعا ، وقد أعلنتها اسرائيل وعلمها القاصى والدانى ، وإنما الذى نقوله فى ذكرى حرق الأقصى كلمة مرة مرارة الذكرى ، واضحة وضوح النار التى ألتهمت جدرانه .

لقد عقد ملوك المسلمين ورؤساؤهم عقب حرق الأقصى مؤتمر القمة فى الرباط ، وتبع ذلك مؤتمرات على مستوى القمة أو مستوى وزراء الخارجية ، وصدرت قرارات ، وتوصيات ، وتمت لقاءات .

ولم يكن ثمة أى تحرك فعلى لمنع التهويد باستثناء الاحتجاجات الصارخة لدى المحافل الدولية على انتهاكات اسرائيل واعتداءاتها على القدس والمقدسات .

لقد حرق المسجد الاقصى ، وتمت الحفريات الارضية بجوار جداره ، وتصدعت ابنية إسلامية تصور الطابع الحضارى للقدس ، وجرت محاولات متعددة لحرق المسجد ، وبذلت جهود يهودية ضخمة ، وقدمت اغراءات مخيفة لزعزعة صمود أهل القدس والقائمين على شئون المسجد الاقصى من العلماء والموظفين ، ولم تبذل أية دولة عربية أو اسلامية أى جهد مالى أو معنوى لتثبيت

اهلنا فى القدس او لمنع اجراءات التهــويد فيها . او حراسة المســجد الأقصى والحيلولة دون محاولات الحرق والتخريب مرة أخرى .

إن تحرير القدس والمسجد الأقصى ، وما احتل من أرض فلسطين ، امر لا بد منه ، وهو آت طال الزمن او قرب والى أن يتم التحرير السياسى للقــدس واعادتها عربية إسلامية ، لا بد من مقاومة التهويد بمثل الاجراءات التى تمارسها سلطات الاحتلال ، ولا بد من الحفاظ على المقدسات ولا سيما المسجد الأقصى ، والحيلولة بينها وبين التخريب والتهويد .

وثمة وسائل متعددة ايجابية ينبغى أن تبذل لمنع التهويد والتدويل ، ولحماية المسجد الأقصى ، نذكرها فى ذكرى حريق الأقصى عسى أن يفكر اخواننا فى البلاد الاسلامية عامة والعربية خاصة ، فى العمل الايجابى الجاد الى جانب ما يبذل من جهد سياسى وحتى يتم التحرير من ربقة الاحتلال الاسرائيلى البغيض .

إن المسجد الأقصى بحاجــة الى تعمير وترميم ، وقد أعدت مشروعــات ضخمة ، تحتاج الى مد يد العون لهذا الاعمار ، وهناك كثير من أراضى القدس يتعرض أصحابها للاغراءات والضغوط لبيعها ويمكن أن تشترى وتسجل وقفــا يحول دون تسربها الى اليهود أو الأيدى المشبوهة ، ويحتاج ذلك الى أن يتقدم أخواننا من القادرين فى البلاد الاسلامية والعربية الى إنقاذها .

وإن ذكرى حرق المسجد الأقصى يجب أن لا تمر بدون هذا العمل الايجابى لمن أراد أن يعمل مرتفعــا فوق الخلافات والأهــواء متساميا على النعــرات والحزازات ، والمسجد الأقصى والقدس درة العالم الاسلامى ، ومهوى أفئدتهم ، ومطمح أنظارهم ، وبقاؤه فى أيدى الاحتلال ، ورؤيته سلبيا يعتدى عليه ويعمل لإزالته ولا نقوم باى عمل إيجابى ، يعنى الضياع ، والإثم ولعنة الله ، والأجيال على من فرط وضيع .

عن مجلة (اللواء) الأردنيــة

ترجمة قاديانية محرفة لمعانى القرآن الكريم

حذرت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة المنظمات الاسلامية فى العالم من قيام الطائفــة القاديانية باصدار ترجمات لمعانى القرآن الكريم بهدف الكيد للاسلام والتضليل لعامة المسلمين مؤكدة أن هذا العمل فيه تحــريف للكلم عن مواضعه وتاويل الآيات وتاويلات باطلة ومن هذه الترجمات : الترجمــة التى وضعها الضال محمد على ونشرها واتخــذت منها هذه الطائفــة سبيلا الى التضليل ، وحيث أن هذه الترجمة التى زعموا أنها ترجمة لمعــانى القرآن الكريم وما تلاها من الترجمات التى تصدر عنهم كلها باطلة يكــذبها التفسير الصحيح للقرآن وآياته الماثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين وأئمة المسلمين فى مختلف العصور فضلا عما فيها من التاويلات الفاسدة التى تاباها العقول السليمة وياباها نظام القرآن الكريم البليغ ، والتى قصدوا بهــا التاييــد لضلالتهم المذهبية ، لذلك قرر المجلس التاسيسى لرابطة العالم الاسلامى بالاجماع بطلان هذ الترجمة للقرآن وتحذير المسلمين فى سائر بلاد الاســلام وغيرها من هذه الترجمة وأمثالها .

مجلة رابطة العالم الاسلامى ــ مكة المكرمة

أخبار العالم الإسلامي

إعداد الاستاذ : فهمى الامام

الكويت : عاد حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير البلاد المعظم الى أرض الوطن بحفظ الله ورعايته بعد أن قضى فترة الراحة والاستجمام فى ربوع لبنان الشقيق .

● يقوم سمو نائب الامير المعظم ولى العهد الشيخ جابر الاحمد الصباح بزيارة للمملكة العربية السعودية ، وسيبحث فى هذه الزيارة المسائل السياسية التى تهم العالم العربى والمصالح التى تهم البلدين .

● زار سعادة الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية جمهورية **الصومال** ، وقد تم أثناء لقائه مع المسئولين بحث العلاقات بين البلدين ، كما زار سيادته المناطق الصناعية والزراعية .

● ترأس سعادة الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة الدورة الحالية لمجلس جامعة الدول العربية .

● تستضيف وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية عددا من العلماء والوعاظ والقراء خلال شهر رمضان المبارك لالقاء محاضرات وعقد ندوات فى المساجد والجمعيات الاسلامية ومراكز العلم بالاضافة الى العلماء والوعاظ العاملين بالوزارة .

● يزور الكويت خلال شهر رمضان المبارك الدكتور خورشيد أحمد لالقاء عدد من المحاضرات عن الاسلام باللغة الانجليزية .

● قررت الكويت رفع قيمة تبرعها لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين من ٢٢٠ ألف دولار الى ٤٠٠ ألف دولار .

القاهرة : يقوم مجمع البحوث الاسلامية بالاعداد لمؤتمر علماء المسلمين الثامن الذى تقرر عقده فى ١٥ نوفمبر القادم .

● أصدرت وزارة الاوقاف تعليماتها الى القائمين على شئون المساجد بمنع السياح الذين يرتدون الملابس القصيرة والملابس غير المحتشمة من دخول المساجد .

● اعدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مسابقة لاحسن كتاب عربى يتناول موضوعا يتصل بالحضارة العربية ويكشف عن قيمها وأصالتها ، وقد رصدت للمسابقة جائزة قيمتها ٥٠٠ جنيه مصرى .

السعودية : ناشد الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى وزراء التربية والتعليم والمعارف فى الدول الاسلامية ضرورة العناية بتدريس القرآن الكريم فى بلادهم .

● تم اعتماد مبلغ خمسة ملايين ريال لفرش المسجد الحرام بالسجاد الفاخر ، وذلك بعد أن انتهى العمل فى عمارة المسجد .

● سيتم انشاء أكبر جامع فى أفريقيا فى تشاد على حساب المملكة وتبلغ التكاليف مليون فرنك فرنسى ، ومساحة الجامع تقدر بسبعة آلاف وخمسمائة متر مربع .

ليبيا : ذكرت وكالة الانباء العربية الليبية أن ليبيا صادقت على لوائح المصرف الاسلامى للتنمية ، وساهمت فى رأس ماله بمبلغ ٤٥ مليون دينار ليبى .

المغرب : تقرر عقد مؤتمر القمة العربى القادم فى ٢٦ أكتوبر بمدينة الرباط .

عمان : اقيم فى قاعة الكلية العلمية الاسلامية بعمان حفل تأبين لسماحة المرحوم الشيخ أمين الحسينى وقد حضر الحفل كبار المسئولين وفى مقدمتهم رئيس مجلس الوزراء والوزراء وعدد من الاعيان .

السودان : اكد الرئيس جعفر النميرى حرص السودان على التضامن العربى والاسلامى وتحقيق الطمأنينة والرخاء والعمل الجاد على استعادة الحقوق السليبة ، وكان ذلك أثناء تسلمه أوراق اعتماد سفير المملكة العربية السعودية .

العراق : وجه رئيس ديوان الأوقاف الدعوة لعدد من علماء المسلمين لحضور مؤتمر علماء الدين الاسلامى الذى سيعقد فى بغداد عقب عيد الفطر القادم . وصرح سيادته بانه تم الاتفاق مع جامعة الأزهر على ايفاد عدد من الاساتذة للتدريس فى كلية الإمام الاعظم ببغداد ، وكذلك ايفاد عدد من الوعاظ الأزهريين للعمل بالعراق .

اخبار متفرقة

الهند : صدر العدد الجديد من مجلة صوت الاسلام الصادرة باللغة الانجليزية من كيرالا بالهند .

بريطانيا : تعكف الجالية المسلمة فى بريطانيا على بحث مشكلة التعليم المختلط الذى قررت الحكومة تطبيقه فى مدارس البنات الثانوية ، ومن المنتظر ان تخرج بقرارات فى هذا الشأن .

هولندا : سيتم بناء أول مسجد ومركز اسلامى فى مدينة أمستردام خلال شهر نوفمبر القادم ، وسيضم المركز قاعة للمحاضرات وصالة للعرض ومكتبة ، وسيؤدى خدماته للمسلمين المقيمين بهولندا .

تركيا : طالب عدد من الصحف التركية باعادة الطابع الاسلامى لمسجد اياصوفيا واقامة الصلاة فيه، وانهاء وضعه الحالى كمتحف .

النيجر : أعلن رئيس دولة النيجر أنه سيجرى قريبا انشاء جمعية اسلامية فى النيجر ، مهمتها اتخاذ الاجراءات اللازمة لاقامة جامعة اسلامية ، وتوزيع الأموال المخصصة لبناء المساجد وتنظيم الحج ، والعمل على تطبيق تعاليم الدين الاسلامى ونشر اللغة العربية . وتمثيل النيجر فى الاحتفالات والمناسبات الدينية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

الأيام الأسبوع	رمضان ١٣٩٤	سبتمبر ١٩٧٤	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)						المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الثلاثاء	١	١٧	٥ ٤	٣٣ ٥	١١٤٣	١٣ ٣	٥٢ ٥	١٠ ٧	١٠١٣	١١٤١	٥١ ٥	٢١ ٩	١٨ ١
الاربعاء	٢	١٨	٦	٣٤	٤٣	١٢	٥١	٩	١٥	٤٣	٥٢	٢١	١٨
الخميس	٣	١٩	٦	٣٤	٤٢	١١	٥٠	٨	١٧	٤٥	٥٣	٢٢	١٨
الجمعة	٤	٢٠	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٨	٦	١٩	٤٧	٥٤	٢٢	١٨
السبت	٥	٢١	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٧	٥	٢٠	٤٨	٥٤	٢٣	١٨
الاحد	٦	٢٢	٨	٣٦	٤١	٩	٤٦	٤	٢٢	٥٠	٥٥	٢٣	١٨
الاثنين	٧	٢٣	٨	٣٦	٤١	٩	٤٥	٣	٢٣	٥١	٥٦	٢٤	١٨
الثلاثاء	٨	٢٤	٩	٣٧	٤١	٨	٤٤	٢	٢٥	٥٣	٥٧	٢٤	١٨
الاربعاء	٩	٢٥	٩	٣٧	٤٠	٧	٤٣	٠٠	٢٧	٥٥	٥٨	٢٥	١٨
الخميس	١٠	٢٦	١٠	٣٨	٤٠	٦	٤١	٥٩ ٦	٢٩	٥٧	٥٩	٢٥	١٨
الجمعة	١١	٢٧	١١	٣٨	٤٠	٥	٤٠	٥٨	٣١	٥٩	٠٠ ٦	٢٦	١٨
السبت	١٢	٢٨	١١	٣٩	٣٩	٤	٣٨	٥٦	٣٣	١ ١٢	١	٢٦	١٨
لاحد	١٣	٢٩	١٢	٤٠	٣٩	٤	٣٧	٥٥	٣٥	٣	٢	٢٧	١٨
لاثنين	١٤	٣٠	١٢	٤٠	٣٨	٣	٣٦	٥٤	٣٦	٤	٢	٢٧	١٨
لثلاثاء	١٥	اكتو:	١٣	٤١	٣٨	٢	٣٥	٥٣	٣٨	٦	٣	٢٧	١٨
لاربعاء	١٦	٢	١٣	٤١	٣٨	١	٣٤	٥٢	٣٩	٧	٤	٢٨	١٨
لخميس	١٧	٣	١٤	٤٢	٣٧	٠٠	٣٢	٥٠	٤١	٩	٥	٢٨	١٨
لجمعة	١٨	٤	١٤	٤٢	٣٧	٠٠	٣١	٤٩	٤٣	١١	٦	٢٩	١٨
السبت	١٩	٥	١٥	٤٣	٣٧	٥٩ ٢	٣٠	٤٨	٤٥	١٣	٧	٢٩	١٨
الاحد	٢٠	٦	١٦	٤٤	٣٦	٥٨	٢٩	٤٧	٤٧	١٥	٨	٢٩	١٨
الاثنين	٢١	٧	١٦	٤٤	٣٦	٥٨	٢٨	٤٦	٤٩	١٧	٩	٣٠	١٨
الثلاثاء	٢٢	٨	١٧	٤٥	٣٦	٥٧	٢٦	٤٤	٥١	١٩	١٠	٣٠	١٨
الاربعاء	٢٣	٩	١٧	٤٥	٣٥	٥٦	٢٥	٤٣	٥٢	٢٠	١٠	٣١	١٨
الخميس	٢٤	١٠	١٨	٤٦	٣٥	٥٥	٢٤	٤٢	٥٤	٢٢	١١	٣١	١٨
الجمعة	٢٥	١١	١٨	٤٦	٣٥	٥٤	٢٣	٤١	٥٥	٢٣	١٢	٣١	١٨
السبت	٢٦	١٢	١٩	٤٧	٣٤	٥٤	٢٢	٤٠	٥٧	٢٥	١٣	٣٢	١٨
الاحد	٢٧	١٣	١٩	٤٧	٣٤	٥٣	٢١	٣٩	٥٨	٢٦	١٣	٣٢	١٨
الاثنين	٢٨	١٤	٢٠	٤٨	٣٤	٥٢	٢٠	٣٨	١١٠٠	٢٨	١٤	٣٢	١٨
ثلاثاء	٢٩	١٥	٢٠	٤٨	٣٣	٥١	١٨	٣٦	٢	٣٠	١٥	٣٣	١٨

أم المؤمنين السيدة صفية رضي الله عنها

اسمهـــا : صفية بنت حيى بن اخطب بن سعنة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب ابن أبى حبيب من بنى النضير. .وهو من سبط لاوى بن يعقوب .. من ذرية هرون بن عمران اخى موسى عليهما السلام .

أمهـــا : برة بنت سموال .

اسلامهـــا : لما فتح المسلمون خيبر .. واستأصلوا شوكة اليهود .. كان فى السبايا صفية وابنة عم لها .. وجاء بلال يقودهما .. فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بصفية فحيزت خلفـــه ، والقى عليها رداءه .. فكان ذلك اعلانا بأنه اصطفاها لنفسه .

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ صفية بنت حيى قال لها : هل لك فى ؟ قالت : يا رسول الله : كنت أتمنى ذلك فى الشرك .. فكيف إذا أمكننى الله منه فى الاسلام ؟ .. فأعتقها عليه الصلاة والسلام وتزوجها ..

زواجهـــا : تزوجت مرتين قبل الرسول : زوجها الأول : سلام بن مشكم ، فارس قومها وشاعرهم ، ثم تزوجها بعده : كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق .. وقد قتل فى فتح خيبر .. وعادت صفية مـــع الرسول صلى الله عليه وسلم .. فلما كانا بالصهباء أقيمت وليمة العرس .. واكل الناس من طيبات خيبر .. ثم دخـــل الرسول على صفية .

روايتها للحديث : كانت رضى الله عنها راوية للحديث وروى عنها : ابن أخيهـــا ومولاها كنانة ، ومولاها الآخر يزيد بن متعب ، وزين العابدين على بن الحسين ، ومسلم بن صفوان .

وفاتهـــا : رحلت الى جوار ربها فى خلافة معاوية .. ودفنت بالبقيع مع امهات المؤمنين .. رضى الله عنها وأرضاها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
تونـــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .
المغـــرب	:	الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الاردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

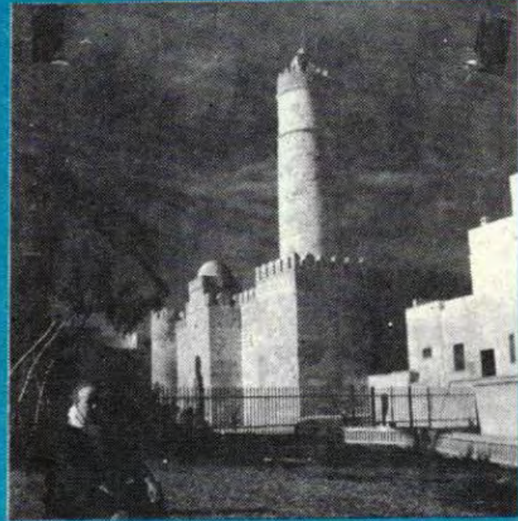
اسلامية ثقافية شهرية



السنة العاشرة ــ العدد ١١٨ ــ غرة شوال ١٣٩٤ هـ ــ اكتوبر ١٩٧٤ م

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ

مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا



منارة الرباط بمدينة سوسة بتونس
وتعتبر من أقدم المنائر فى الاسلام .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العدد ١١٨

غرة شوال ١٣٩٤ هـ

أكتوبر ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الافراد فشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

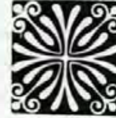
عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى — وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد : ١٣ — كويت — هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

دور الإسلام في العصر الحديث





للدكتور : حسن هويدى

بلغ العصر الحديث ذروة العلوم الطبيعية والكيماوية والكهربية والبيولوجية فهو عصر الذرة والصاروخ وغزو الكواكب . الا أن الذروة يقابلها الحضيض ، فالعصر ينحط الى الحضيض فى الفوضى الفكرية والخلقية ، تتجلى الفوضى الفكرية فى المادية والروحية ، والاشتراكية والرأسمالية ، والرجعية والتقدمية ، واليمين واليسار ، والأثرة والايثار ، والحرية والعبودية ، والفرد والأمة ، والنسبية والاطلاق ، والناس فى ذلك بين افراط وتفريط وكل يدعى أنه صاحب الحق ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

وتتجلى الفوضى الخلقية فى المظالم الفردية والجماعية ، والأنانية المزرية التى تتضاءل أمامها غرائز الوحوش ، والاباحية المطلقة التى فتحت أبواب الزنا والربا والخمر والميسر والسرقة، فنتج عن المظالم الفردية فساد ذات البين واكتظاظ المحاكم بملايين الدعاوى حتى مل الناس القوانين والقضاء ، ونتج عن المظالم الجماعية حروب أحرقت الأخضر واليابس فمن الحرب العالمية الاولى الى الحرب العالمية الثانية الى حرب كوريا الى حرب فيتنام الى حرب فلسطين الى ثورات متوالية فى جميع أنحاء المعمورة ، وهذه نذر حرب عالمية ثالثة حتى لكأن

الأرض قدر يغلى على النـــار ، او بركان دائم الانفجار ، يابى الهـــدوء والاســـــتقرار . ونجم عن الاباحيه عدوان امه على امه واستعباد شعب لشعب واستعلال القوى للضـــعيف حتى لكان البشر اصبحوا وحوشـــا كاسرة لا هم لهـــا الا الســـطو والافتراس ، ونتج عن الاباحيه ترجل المرأة وتخنث الرجل وضياع العفاف ، وهدم الأسرة ، وامراض الزهرى ، وامراض الكحول ، والانتحـــار ، واللصوصية المنظمة والدجل الهادف ، والكفر بجميع المثل .

وانك لتجد هذه الصـــورة القبيحة التى تشـــكل فاجعة القرن العشرين تلف الاكثرية الساحقة من البشر ولم يبق الا القليل ممن يؤمن بالعـــدل والايثار والعفاف والأمانة والصـــدق والوفاء . حتى لكأن هذه المثل الفاظ تحتاج الى ترجمة لكى تســـتسيغها عقول ابناء الجيل وضمائرهم .

هذه حال العصر اليوم .. فما هو الدواء .. ؟

اننا حين نقدم الاسلام علاجا لهذا السقم الفكرى والخلقى لسنا بمغالين ولا متعصـــبين وانما هى الحقيقة المشفوعة بالحجة والبرهان .

امتاز الاسلام على سائر المبادىء والأديان بدعائم راسخة جعلته الدواء الناجع والبلسم الشـــافى والنظـــام الصالح لكل زمان ومكان .

مجال الاسلام فى العقيدة والفكر :

١ ــ الإيمـــان بالله : إن تعلق المخـــلوق بعقيدة راسخة معنـــــاه الاستقرار الفكرى ومنع الاضـــطراب والتقلب والتردد ، حتى أن حياة بعض الافراد غير المؤمنين تمضى ولما يصلوا الى اطمئنان او استمرار ولم يقدموا خيرا لانفسهم او لامتهم ألا نزاعا او نقمـــه او ما تمليه عليهم الريبـــــه والضياع . هذا هو الفرق بين حال المؤمن وبين حال الملحد . فكيف أن كان مؤمنا بالله واحد منزه عن الشبيه والشريك ليس كمثله شىء محيط بكل شىء . قادر على كل شىء . يحاسب على الصغيرة والكبيرة ولا بد من لقائه والوقوف بين يديه ! وقد خلت من أوهام الوثنية ، وخيالات الشـــعوذه وسيطرة رجـــال الـــدين ، وأقامـــت فى داخل النفس وازعا لا يفارقها ، فهو توحيـــــد نفسى يؤيده العقل ، ويستسلم له المنطق ، فلا يصـــطدم بتعقيد التعدد ، وتناقضـــات الآلهة وما ينشأ عن ذلك من اضطراب فكرى وفساد خلقى . ولا يتسع مجال المقال للاستطراد فى اشـــباع هذه الفقرة اكثر من ذلك ، قال تعالى « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم » (الملك) . وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام « يا صـــاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » وقال عز من قائل : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (الانبياء) .

٢ ــ بين المادية والروحية . ما من دين ولا مبدأ استطاع أن يجمع بين الروح والمـــادة كما جمع بينهمـــا الاسلام . المادة والروح كلاهما حقيقة واقعة ولذلك وجدنا المبادىء المتعلقة بالمادة وحدها اتصفت بالقســـــوة والبلادة والظلم وجفاف الحيـــاة من البهجة وخلوها من الرحمة والتعاون والتسامح حتى يمسى الانسان فيهـــا

آلة صماء لا حس لها ولا شعور ولا راحة لها ولا هناء ولا امتياز ولا كيان ، يتحرك بغير ارادته ، ويسكن بغير اختياره ، ويا له من قتل بشع لذاتية الانسان التى امتاز بها على الحيوان ، فهو مسخ تدريجى ، وموت لا شعورى ، وكيف لا يكون موتا وقد خلا من الروح ، وهل الموت الا نزع الروح .. ؟

كما نجد المبادىء التى تعلقت بالروح وحدها على غير هدى واهملت شأن المادة كل الاهمال ، عزفت باتباعها عن الحياة بما فيها من العلوم والصناعة والزراعة والعمران وما يتصل بذلك من الاكتشافات والاختراعات التى تتفجر فيها الطاقات الفكرية الكامنة وقدرة الانسان العجيبة التى تخرج على العالم كل يوم بأصناف الفنون وأنواع الصنائع ، وتبارك الذى دفع **الانسان الى ذلك دفعا حينما أنزل عليه قوله تعالى** « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » (العلق) .

اذن نجد أن هذه النزعة الروحية المتطرفة هى فرار من الحياة فلا الاولى اصابت ، ولا الاخرى أجابت ، ولكن الاسلام وحده هو الذى أصاب الهدف ، وأجاب مطالب البشر ، فجمع بين المادة والروح والح على كل منهما بنصوص صريحة ، وخطوط عملية ، وحدود واضحة . يتجلى ذلك فى الصلاة : جسم يتحرك وروح خاشعة . وفى الصيام : ترويض للبدن وتزكية للأخلاق . وفى الحج : سعى وهرولة ودعاء وتلبية . وفى الزكاة : نظام اقتصادى وعمل اخلاقى . وفى قوله تعالى : « وزاده بسطه فى العلم والجسم » (٢٤٧ البقرة) . وفى قوله تعالى : « ان خير من استاجرت القوى الأمين » (٢٦ القصص) وفى قوله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » (٧٧ القصص) وفى قوله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » (١٠٥ التوبة) وفى قوله تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » (١٥ الملك) .

٣ ــ سبيل الاعتدال :

يتجلى اعتدال الاسلام بتوسطه بين الافراط والتفريط ويبدو ذلك واضحا بتوسطه بين الاشتراكية والرأسمالية ، وبين الرجعية والتقدمية ، وبين الفرد والأمة .

أ) **بين الاشتراكية والرأسمالية .**

قد يطول البحث اذا أردنا التفصيل فيه ، فلا بد من الاجمال . فمعايب الاشتراكية تظهر فى **نزع الملكية** والقضاء على عنصر المبادرة الشخصية الأمر الذى يصادم أعمق غريزة بشرية وهى **حب البقاء** المرتبطة كل الارتباط بحب التملك **فالانسان الذى لا يملك لا يعمل** ، والذى لا يعمل لا ينتج ولا يحسن الانتاج ، ولذلك وجدنا الإنتاج قل وساء فى جميع البلاد الاشتراكية مما أدى الى تراجع فى بعض البلاد الشيوعية باباحة الملكيات الصغيرة ورسم علاوات لمن يزيد فى الانتاج . وهذا **التراجع وحده طعنة فى صميم الاشتراكية** ينذر بالقضاء عليها فى المستقبل ان لم تفرض على الانسان بالحديد والنار ، فالانسان ليس مجرد آلة يعمل ولا يملك أو

يندفع لتحسين الانتـــاج باطراد ولو كان الانتاج لغيره ، وهو فوق ذلك محروم الحرية مكبوت الانفاس .

ان مثل هـــذا الاندفاع ضرب من المستحيل ولذلك وجدنا أن كل نظام يصادم فطرة الانسان وغريزته صائر حتمـــا الى زوال ، طال الزمن أو قصر . وأما معايب الرأسمالية فتتمثل بتضخم المال وما ينشأ عنه من فروق طبقية مخيفة ، وباســـتغلال الغنى للفقير وما ينشأ عنه من **الربا الفاحش والظلم الفادح والاحتكار والتـــلاعب بالأسواق** لحساب طبقة خاصة على حساب ســـواد الناس **والربح غير المشروع** كالربح الفاحش **والقمـــــار والغش** . تلك المعايب التى احدثت ردود فعل عنيفة كان من جملتهـــــا النظم الاشتراكية . ولا بد لكل رد فعل أن لا يتصف بالاتزان ، لذلك اشتملت الاشتراكية على عيوب أخرى هى نقائض عيوب الرأسمالية وفى كلتا الوجهتين غلو وتطرف كما بين الافراط والتفريط .

ولكن الاسلام ــ على ضوء هذا المخطط المجمل ــ هو الذى خلا من عيـــوب الوجهتين ، والتزم طـــريق الاعتدال ، فلم يحرم الملكية **فيصادم فطـــــرة البشر ويقضي على طاقاتهم وفعالياتهم ، وتســـابقهم الشريف ، وتنافســــــهم المطرد** ، ذلك العنصر الأساسى فى المبادرة الشخصية التى هى أساس كثرة الانتاج ، وتحسين الانتاج ، وهذا أساس لا بد منـــه لصلاحية كل نظام اقتصادى . ولكنه لم يدع الباب مفتوحا على مصراعيه شأن الرأســـــمالية حتى احتاط دون تضخم المال وما يجر اليه من سيئات **فعالج الامر بشرطين على راس المال ، وشرطين على الربح** ــ اجمالا دون تفصيل .

اما الشرط الأول المضروب على رأس المال فهو **الزكاة** التى تبلغ فى النقد ٢ر٥٪ بحيث تتحول أى ثروة كانت ، ومهما عظمت ، الى الأمة خلال أربعين سنة ، **ومعنى هذا أن الفرد يهب ماله كله للمجتـــمع خلال دورة زمنية لا تمتد أكثر من أربعين سنة ،** فتأمل : ومثل هذا لا يوجد فى الراسمالية .

وأما الشرط الثانى المضروب على راس المـــــال فهو **الإرث** وهو كفيـــل بتفتيت الثروات وتحويلهـــا من فرد واحد الى عـــدة أفراد حسب عدد الورثة ومثل هذا غير متوفر فى النظام الراسمالى فى اكثر البـــلاد . وأما الشرط الأول المضـــروب على الربح فهو **تحريم الربا** الذى يكدس ثروات طائلة بأيدى الأشخاص بغـــير جهد ولا نصب الا اســـــــتغلال الفقراء والضعفاء . ولو أحصينا عدد الأثرياء فى البلاد الرأسمالية لوجدنا أكثرهم مرابين ، أساس ثرواتهم الفاحشة مبنى على الربا .

وأما الشرط الثانى المضروب على الربح فهو **القمار** وكل ما يشبهه من الأرباح الفاحشة غير المشروعة التى كثيرا ما تؤدى الى الثراء الفاحش والتضخم المالى بيد طبقة على حساب طبقة أخرى بغير حق .

واحتاط الاسلام أيضا ، وراء هذه الشروط الاربعة ، بقواعد عامة خلت منها النظم الراسمالية ، وهى تحريم **الاحتكار وتواطؤ التجار ، والاستغلال والربح الفاحش ، والغش ، والتلاعب بالأسعار** الى آخر ما هنـــــالك من سيئات النظام الراسمالى الذى لم يكن

له أساس من العقيدة يرجع انيه فى تهذيب اقتصاده وفرض نظام على هدى ومنطق سليم . اذن يجد المنصف أن الاسلام جاء العالم بخير الحلول الاقتصادية**عدلا واتزانا وانناجا وحلوا من الأحقاد ، وبعدا عن ردود الفعل** المتوالية المتمثلة بالافراط والتفريط .

ب) بين الرجعية والتقدمية :

تلك النغمة التى قسمت العالم فريقين واستغلتها السياسة ابشع استغلال حتى كاد يضيع مفهومها ومدلولها ، فكل أمة مالت الى اليسار فتجلى ذلك لديها بالالحاد والاباحية والعنف والقسوة والتحلل من القيود والريبة فهى تقدمية . وكل أمة مالت الى الجمود والثبات على بعض المفاهيم ، والاصطباغ بصبغة الدين، والتغنى بنوع من الاخلاق ، والارتباط بالقديم .. فهى رجعية . ولكن السياسة كما قلنا مسخت حتى هذا التمييز ، على ما فيه من باطل ، فى دوامتها السريعة واستغلالها المغرض . فان انكلترا مثلا رجعية بالنسبة لروسيا . وان روسيا مثلا رجعية بالنسبة للصين ، وهكذا يجرى التسابق الرخيص دون معايير منطقية حتى أمسى سبابا وشتائم قبل أن يكون تقويما (تقييما) حقيقيا مبنيا على معايير صحيحة ومنطق سليم .

والحق فى هذه المسالة أن كل انسان عاقل يجب أن ينشد التقدم ، والذى لا يتقدم يتأخر حتما . ولكنه **يجب ان يتقدم الى القمة لا الى الهاوية** . اذن فثمة **تقدم محمود** : وهو الصعود المتمثل بالعلوم والصناعة والزراعة والعمران وما يتصل بذلك من اكتشافات واختراعات لا تقف عند حد حتى اوصلت الانسان الى القمر . فمهما تقدم الانسان فى هذا المضمار فهو تقوم محمود ، وسير غير محدود : « وفوق كل ذى علم عليم » (٧٦ يوسف) . وثمة **تقدم مذموم** وهو الانحدار المتمثل فى القضاء على المثل العليا والفضائل المجمع عليها والانغماس فى الرذائل المجمع على قبحها وإيذائها كالكذب والخيانة والمكر والغش ونقض العهد والسرقة ، تلك السيئات التى وجدت لها مرتعا خصبا فى أوساط **أدعياء التقدمية العصرية** لأنهم كفروا بنقائضها من المثل العليا ، **خشية أن يوصموا بالرجعية** .

وكما أن للتقدم نوعين محمودا ومذموما كذلك الأمر فى الرجعية فثمة **رجوع محمود** يتمثل بالرجوع الى الحق مهما كان قديما **ورجوع مذموم** يتمثل بالرجوع الى القديم ولو كان خطأ أو نقصا .

أما الأول فانه الرجوع الى الصدق والوفاء والأمانة والعدل مهما تقادم الزمن . والرجوع الى ما ثبت من الحقائق الرياضية والهندسية والجغرافية وما شاكلها مهما تقادم عليها الزمن ذلك أن ثمة أمورا لا يمسها التطور الى أن تقوم الساعة . ومن الغباوة المخجلة تركها والجنوح الى نقائضها بداعى التقدمية والخلاص من الرجعية . والظاهر أن التعبير بالرجعية كان قديما يتعرض له اصحاب الدعوات فى كل عصر ، حتى وجدنا بعض مناوئى الاسلام يرمون الدعوة الاسلامية بالرجعية ابان ظهورها وتقدمها فيقولون كما حكى القرآن عنهم « ان هذا الا اساطير الأولين » (١٨٣ المؤمنون) .

« ان هذا الا خلق الأولين (١٣٧ الشعراء) . « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » (٥ الفرقان) . ولم يحل هذا التعبير بالرجعية دون تقدم الاسلام وظهوره .

وأما الرجوع المذموم فهو التمسك بكل قديم مهما كان ولو تبين خطؤه ، أو ظهر خير منه ، وأجدى على الفرد والمجتمع ، كمن يصر على وسائل الزراعة والصناعة والعمران التى كانت تستعمل قديما ، ويحول دون العلوم العصرية التى قطعت شوطا عظيما فى التقدم ، فهل لمثل هذا مبرر من عقل أو شرع .. ؟! لا يمكن أن يوصف مثل هذا بغير الغباوة والجريمة . ولمثل هذا يقال بحق إن دولاب الزمن لا يرجع الى الوراء .

وعلى ضوء هذا التقسيم الواضح المنطقى فى التقدمية والرجعية نجد ان الاسلام كان وسطا بين النظرتين الجائرتين بعيدا عن أكاذيب السياسية ، محفوظا من التسابق غير الشريف ، لا يوزع الالفاظ جزافا ، ولا يتغنى بالالحان الفارغة ، فهو ينشد **التقدم المحمود ويحض عليه ، ويرجع الى الحق مهما كان قديما ويصر عليه** . وبذلك تضمن أسباب البقاء والخلود ، واشتمل على عناصر الحياة الباقية للفرد والمجتمع وان شئت فاقرأ قوله تعالى : « أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا » (٦١ النمل) « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (١٦٤ البقرة) . « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (٣٨ يس) . « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » (٥ الزمر) والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على ذلك من أمور الزراعة والصناعة والفلك وما اليها ، تكاد لا تحصى ، ولا يتسع المجال للتفصيل فى ذلك أكثر .

جـ) بين الفرد والأمة :

غالت بعض النظم فى قيمة الفرد حتى جعلته إلها يعبد من دون الله فنشأ من ذلك الحكم الدكتاتورى والفاشى والنازى وكانت الأمة فريسة لطغيان الفرد فكم ديست كرامات ، وانتهكت حرمات ، وكبتت حريات ، بسبب ذلك الحكم الفردى الجائر الذى هدر حقوق الأمة وسلبها كرامتها وحريتها . وادعت بعض النظم أن الحكم للأمة ولا قيمة للفرد فهو مسمار فى عجلة الجماعة ، فلا رأى له ولا قدسية ولا حرية ولا كرامة . فاقتيد الناس كالبهائم ، وحشروا حشر السوائم ، وسجنت جحافل فوق جحافل ، كتل بشرية تزجر كما تزجر الآلات الصماء ، وتسخر كما يسخر الارقاء ، ويتمنون لو **استطاعوا الصراخ ، الصراخ فقط** للتعبير عن الألم ، فلا يستطيعون !

أما الاسلام ، وهنا تتجلى العظمة والاعجاب البالغ ، فهو الذى ألف بين حقوق الفرد والجماعة دون أن يهدر كيان الفرد ، أو يعتدى على الجماعة . الخليفة يحكم وله على الناس الطاعة ، ولكن ان اعتدى وظلم ، **فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق** ،

وان زل وأخطأ ، قامت اليه امراة تصحح له ، فيقول : (أصابت امراه وأخطا عمر) . وان اراد ان يستبد فالأمة له بالمرصاد ، وان اراد ان يستأثر برأيه ويضرب بآراء الناس عرض الحائط خوطب بالآية الكريمة « وشاورهم فى الأمر » « وأمرهم شورى بينهم » وان اراد أن يستهين بفرد واحد باعتداء أو حرمان حق أو هدر دم زجرته الآية الكريمة التى تشير الى قدسية النفس الانسانية وحمايتها « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » (٣٢ المائدة) . للفرد حقوقه وحدوده وللأمة حقوقها وحدودها والجميع يعملون يدا واحدة فى وحدة متماسكة كالجسد الواحد « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » (٤ الصف) وكما أخبر عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

مجال الاسلام الخلقى :

لا أحد يستطيع ان ينكر الواقع البشرى المنحط من الناحيةالاخلاقية . **فالظلم والاباحية والأنانية** كل رزية من هذه الرزايا ، لعبت دورها الكبير فى المجتمعات البشرية الحاضرة ، وانحط فيها الخط البيانى الى الحضيض ..

تعالى معى الى دور القضاء ، ومكاتب المحامين ، وسجلات الجرائم فى كل العالم ، لترى الى اى حد بلغت المظالم الفرديه واى رقم بلغت الجريمة ، فالفرد اعتاد الظلم ودرج عليه ، والقضاء فاسد ليست فيه عقوبة رادعة فى الأغلب ، والمحامون كثير منهم تجار مادة على حساب ضمائرهم ، اضرموا نيران الجرائم لكى تمتلىء جيوبهم ، والحكام كثير منهم زور عن الحق ولو ظهر جليا لأعينهم . كل اطراف القضية متواطئون على الجريمة . وكل اسوار الحمى منتقضة ، حتى ضجت الأرض من ظلم أهلها . فأين يجد العدل مأمنه ويحظى الحق بحماه .. ؟!

هنا يبرز دور الاسلام العظيم فى تهذيب الفرد واقامة وازعه الداخلى الذى يرافقه حتى الممات مبنيا على مراقبة الله وخشية الوقوف بين يديه واليقين بزوال الدنيا وبقاء الآخرة .. وفى صلاحية مادة القضاء التى تضع الامور فى نصابها : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » وفى تقويم الضمائر حتى تحكم بالعدل وتقول الحق ولو كان على النفس أو الوالدين والأقربين « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » فالمحامى والحاكم والشاهد انما هم موازين حق يحاسبون على الذرة والقطمير « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ذلك أن الحاكم يتمثل قول الرسول عليه الصلاة والسلام « ان المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن » وقوله عليه الصلاة والسلام « قاض فى الجنة وقاضيان فى النار » والشاهد يتمثل قوله تعالى : « لا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه » ووعيد

رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما جعل شهادة الزور من اكبر الكبائر . وأصبح المحامى يخشى ان دافع عن ظلم وباطل أن يكون رزقه سحتا « وكل لحم نبت من سحت فالنار اولى به » فما احوج العصر لنور الاسلام .

ثم تعال معى نحصى حصاد الاباحية ان كان يمكن الاحصاء :

كم فتكت الاباحية فى كيان البشرية بالزنا والربا والخمر والميسر بداعى الحرية الزائف ، وسرابها الخادع ، تعال معى الى عيادات الأطباء وسجلات المستشفيات فى شرق الارض وغربها لترى ما يذهل العقول من أرقام **ضحايا الزنا والربا والخمر والميسر** . ان أنواع الأمراض الزهرية من الافرنجي والسيلان والقرحة اللينة ، وأنواع التسمم الغولى من تشمع الكبد وقرحة المعدة وتصلب الشرايين وعدد ضحايا الانتحار من جراء الربا والقمار انتشرت فى جميع أنحاء المعمورة وتزايدت ارقامها باطراد حتى عجز الطب عن المعالجة وسرى المرض من الآباء الى الابناء ومن الاجداد الى الاحفاد ويكفى أن تعلم أن اكثر اسباب السكتة القلبية (الجلطة) والسكتة الدماغية عائد الى الخمر والافرنجى حتى تعلم ما تجره هاتان الغائلتان على العالم من شرور . وهنا نذكر دور الاسلام العظيم الذى ينادى بأعلى صوته « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » .

وشرع العقوبة الرادعة حتى لا يبقى الحكم نظريا لا فائدة منه فقال : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » ثم شرع عقوبة التعزير لشارب الخمر كما ثبت فى السنة الصحيحة بل ورد وجوب قتله ان اصر على المعصية جهارا ولم يرتدع .

والاثرة (وهى الانانية) ذلك الداء الوبيل الذى أصبح يتحكم بتصرفات الأفراد والجماعات حتى كاد يكون اس جميع المفاسد وطابع جميع الاعمال ، بل تأصل فى النفوس وطغى عليها حتى نسيت عاره ، وانسجمت معه فاحتكمت اليه فأصبح مقياسا للاندفاع فى العمل او الاحجام عنه ، فالعمل بمقدار ما يؤمن لك مصلحتك الخاصة يكون عملا صالحا يجب الاقدام عليه وبمقدار ما ينافى مصلحتك الخاصة يجب الاحجام عنه ولو كان فيه نفع غيرك أو نفع الأمة قاطبة .. يا سبحان الله كيف انقلبت المفاهيم ومسخت الأخلاق .. ؟!

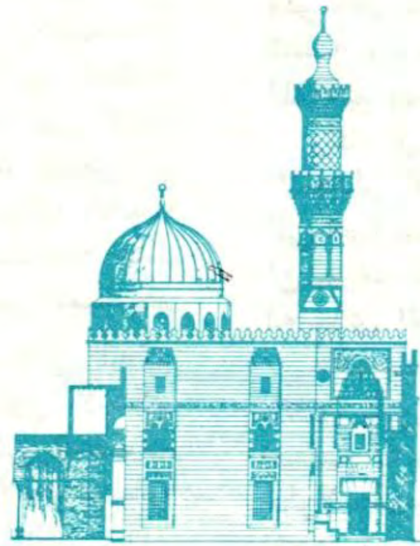
ولك أن تتصور بعد ذلك هول الانحدار الذى تتردى فيه الانسانية الى هوة سحيقة عرفت اولها ولا يمكن أن تعرف آخرها لأن قعر جهنم لا يعرف له مدى الا فى علم الله تعالى .

هنا تبدو عظمة الاسلام ايضا الذى يأبى الا أن يبنى الاخلاق على اساس متين والا أن يحل المشكلات حلولا جذرية « أفمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم » فاذا كانت حضارة العصر تبنى أخلاق بنيها

على الانانيـــــة المقوتة فان أخلاق الاسلام مبنية على الايثار والغيرية « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وبهذا الدستور الخالد تحسم أكثر الجرائم التى إن بحثنا عن أسبابهـا العميقة وجدناها ترجع الى أنانيـــة ممقوتة تخفى تحتها أقبح صور الحقد على الناس . ولا يتسع المجال لضرب كثير من الأمثلة العملية التى تفضح سوءات الأنانية وتفضح عن جمـــال الغيـــرية ، فـــذلك يستقل وحـــده بموضوع ، وانمـــا كان البحث على مستوى الأصول لا الفروع .

بهذا العرض السريع المجمل يتبين ما للاسلام من دور عظيم فى اصلاح حياة الافراد والجماعات لاسيماالعصر الذى نعيش فيه فانه بقدر ما تكون الارض عطشى تحتاج الى المـــاء ، وبقدر ما تحتبس الانفاس ، تحتاج الى الهواء ، وان نظرة فاحصـــة مجردة تتمتع بالنزاهة كافية للاقتناع بصلاحية هذا الدستور الالهى العظيم ليخرج الناس من الظلمات الى النور وان غدا لناظره قريب وما ذلك على الله بعزيز .



ابراهيم واسماعيل عليهما السلام في القرآن



للاستاذ : محمد عزة دروزة

لم نطلع على وثيقة تاريخية قديمة يصح الاعتماد عليها فيها ذكر لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أقدم من سفر التكوين أول أسفار العهد القديم المتداولة اليوم والذى لا يحمل أى دلالة على أنه وحى ربانى أو املاء عن موسى عليه السلام أو نبى آخر ، والذي حوى الغث والسمين والخيال والمفارقة والحقيقة والذى فيه دلائل قوية وعديدة على أنه كتب بعد موسى عليه السلام بمدة طويلة وبعبارة أخرى بعد الوقت الذى وجد وجود ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فيه بأكثر من ألف عام على ما شرحناه فى مقال سابق لنا فى الوعي بعنوان : أين هى توراة موسى عليه السلام .

وجل ما ورد فى هذا السفر عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام هو خبر قدوم ابراهيم ولوط عليهما السلام مع سارة زوجة ابراهيم الى أرض كنعان وهو الاسم الذى كان يطلق على فلسطين فى غرب الاردن وولادة اسماعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام وأولادهم وطرف من سيرتهم فيها ومخاطبات وتجليات ووعود ربانية لهم . وليس فيه شىء مما يعود الى حياة ابراهيم عليه السلام قبل قدومه الى أرض كنعان إلا شيئا يسيرا جدا وهو ما ورد فى اصحاحه الثانى عشر من أنه هو وأبوه ولوط ابن أخيه وزوجته سارة خرجوا من اور الكلدانيين لينطلقوا الى أرض كنعان وجاءوا الى حاران ارام النهرين ثم أمر له بالانطلاق الى هذه الأرض فانطلق اليها هو ولوط وزوجته دون الأب .

هذا فى حين أن فى القرآن الكريم اشياء كثيرة عن حياته قبل قدومه الى أرض كنعان وبعده ليس منها شىء فى هذا السفر .

ولقد ذكر ابراهيم عليه السلام فى خمس وعشرين سورة منها (١٣) مكية وذكر فى بعضها أكثر من مرة . وذكره فى بعضها مقتضب وفى بعضها مسهب . وفى بعضها بعض المطابقة مع ما جاء فى سفر التكوين من سيرته فى أرض كنعان .

وفى بعض ما جاء فى القرآن الكريم اخبار عنه بعد قدومه الى أرض كنعان لم ترد فى سفر التكوين .

ومما ذكر فيه اخبار عن حياته فى قومه قبل قدومه الى هذه الأرض لم تذكر كذلك فى هذا السفر .

ومن ذلك خبر استنكاره عبادة أبيه وقومه للأصنام ونظرته فى النجوم ونبذه لها واتجاهه بهدى الله نحو الله حنيفا موحدا وحجاجه مع قومه فى ذلك . وهو ما جاء فى سورة الانعام منه هذه الآيات (**وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ اصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين . وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا احب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفاوماانا من المشركين.وحاجهقومهقال اتحاجونىفى اللهوقدهدان وما اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما افلا تتذكرون . وكيف اخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به سلطانا فاى الفريقين احق بالأمن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم**) ..

وقد جاء فى آخر السورة هذه الآيات خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم (**قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم . دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وانا اول المسلمين ..**) .

وجاء فى سورة النحل هذه الآيات (**ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا وما كان من المشركين . شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وهو فى الآخرة من الصالحين . ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ..**) .

ومن ذلك جداله مع أبيه وقومه فى صدد عبادة الاصنام . وجاء ذلك فى سور مريم والأنبياء والشعراء والعنكبوت والصافات والزخرف والممتحنة.واشملها ماجاء فىسورة الأنبياء هذا : (**ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين . قالوا اجئتنا بالحق ام أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب**

السموات والأرض الذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم .. قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون .. قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم . وارادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين . ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين. ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) ..

ومن ذلك ايضا ما جاء فى سورة ابراهيم فيه حكاية اسكان ابراهيم من ذريته عند بيت الله المحرم ودعائه وهذا هو : (**واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم . ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم مانخفىوما نعلن وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولافى السماء . الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق إن ربى لسميع الدعاء . رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء . ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ..**

وما تقدم هو قرآن مكى . وفى القرآن المدنى فصول عديدة من ذلك .

ففى فضل اتباع ملة ابراهيم هـذه الآية (**ومن أحسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ..) .**

وفى كون ما عليه المؤمنون هو ملة ابراهيم هذه الآية فى آخر سورة الحج (**وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ..) .**

وفى سورة البقرة فصل طويل فى صدد رفع ابراهيم واسماعيل قواعد البيت ودعائهم . منه هذه الآيات : (**واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين . واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود . واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد**

من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم . ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ..) .

وفى سورة البقرة ايضا هذا الفصل فى حكاية حجاج بين ابراهيم وملك بلاده (**ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين) .**

وفى سورة الحج فصل طويل فيه أمر الله لابراهيم بأن يطهر البيت ويؤذن فى الناس بالحج وهو هذا (**ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم . واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور . حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ..) .**

وفى سورة آل عمران فصل فيه توكيد لأمر الله باتباع ملة ابراهيم وبأن أول بيت وضع للناس هو الكعبة وايجاب حجه على المستطيع (**قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ..) .**

ويتبادر لنا والله أعلم ان فى جملة (ملة أبيكم ابراهيم) الواردة فى الآية الاخيرة من سورة الحج مفتاحا لفهم حكمة ماورد فى القرآن الكريم من كل ما تقدم . فقد نبهت المؤمنين الذين كان جلهم عربا حجازيين الى ما يعرفونه ويتداولونه جيلا بعد جيل من انتسابهم بالنبوة الى ابراهيم عليه السلام . وهذا التنبيه شامل كما هو المتبادر لجميع العرب وبخاصة الحجازيين مؤمنيهم ومشركيهم معا .

ومن المتواتر الذى يكاد يكون يقينا ان هؤلاء العرب كانوا قبل الاسلام يتداولون خبر اسكان ابراهيم عليه السلام لاسماعيل عليه السلام فى وادى مكة . وأن اسماعيل عليه السلام عاش وكبر وتزوج من العرب فكانوا ذريته . وأن ابراهيم واسماعيل ابنه عليهما السلام هما

اللذان بنيا الكعبة بيت الله الحرام . وان تقاليد الحج هى من وضع ابراهيم عليه السلام بأمر الله . فرددت آيات البقرة وآل عمران والحج ذلك لتقول لهم ان ملة ابراهيم عليه السلام هى توحيد الله ونبذ الشرك والأصنام والنجوم التى نبذها وعبادة الله وحده . وانه قال ان من اتبعنى فهو منى وانه دعا الله ليجنب ذريته الأصنام التى اضلت الناس وانه هو واسماعيل عليهما السلام دعوا الله بأن يجعل من ذريته امة مسلمة وان يبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . وان الله قد استجاب لدعائه فبعث الله فيهم نبيا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم وان عليهم ان يتبعوه وينبذوا الشرك وعبادة الأصنام ويعبدوا الله وحده لتصدق نسبتهم اليه ويكونوا حقا وصدقا ابناء ابراهيم وعلى ملته حنيفا مسلما وما كان من المشركين .

وفى سورة الممتحنة فصل رائع فى موقف ابراهيم عليه السلام والذين معه من قومهم الكفار ودعوة للمؤمنين العرب الى التأسى به تأسيسا على ذلك وهو (**ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون . لن تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير . قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لأبيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شىء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير . ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم . لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتولى فان الله هو الغنى الحميد**) . وشاءت حكمة الله ان يبعث فيهم الأمل وان لا ييأسوا ويعتبروا القطيعة مستمرة بينهم وبين بنى قومهم فتشتد اشجانهم وان يؤذنهم بأن المطلوب منهم هو عدم تولى الأعداء المحاربين المؤذين لهم منهم وبأنه لا حرج عليهم أن يبروا المسالمين ويقسطوا اليهم فجاءت هذه الآيات بعد تلك (**عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم . لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون**) .

ويظهر ان النبى صلى الله عليه وسلم وبعض المؤمنين لما اوحى الله بأن ابراهيم وعد أباه بالاستغفار واستغفر له كما جاء فى آيات عديدة منها آية فى سورة مريم (**سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا**) وآية فى سورة الشعراء (**واغفر لابى انه كان من الضالين**) ظنوا ان ذلك من ملة ابراهيم التى هم عليها وان لا حرج عليهم من الاستغفار لاقاربهم الموتى المشركين فنبههم الله الى خطأ اجتهادهم فى آيات سورة التوبة هذه

بأسلوب رائع حاسم (**ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم**) .

ويظهر أن أهل الكتاب بعد الهجرة حينما دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى اتباعه قالوا لهم بل نحن ندعوكم لأننا اهدى منكم فرد عليهم القرآن فى آيات سورة البقرة ردا قويا حيث جاء فيه (**وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون . قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون . أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ..**) .

ويظهر أنهم عادوا الى الحجاج فى موقف آخر وقالوا انهم على ملة ابراهيم فرد عليهم القرآن ردا قويا فى آيات فى سورة آل عمران وقرر أن أولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه والنبى صلى الله عليه وسلم (**يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون (١) . ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون . ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ..**) .

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة اتخذ بيت المقدس قبلة بدلا من الكعبة التى اضطره المشركون الى الابتعاد عنها والهجرة الى المدينة فاخذ اليهود يتبجحون ويقولون للمؤمنين انهم هم الذين يهتدون بهداهم ويستقبلون قبلتهم . فشق ذلك على النبى والمؤمنين ودعا الله ان يهديه الى ما هو خير فأمره الله باستقبال الكعبة فحنق اليهود واخذوا يشغبون ويشككون المؤمنين ويقولون لهم اذا كان استقبال بيت المقدس هو الحق فيكون النبى قد أضاع عليهم صلاتهم الآتية وان كان استقبال الكعبة هو الحق فيكون قد أضاع عليهم صلاتهم السابقة ولا يصح هذا من نبى . فرد الله عليهم فى آيات سورة البقرة هذه (**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم . قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب**

ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون . ولئن أتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين . الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) (٢) .

ويلفت النظر الى جملة (**وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم**) حيث يفيد هذا انهم كانوا يعترفون ان ابراهيم هو الذى بنى الكعبة وهى أقدم بمئات السنين من مسجدهم فى بيت المقدس فيكون استقبال الكعبة هو الأحق الاهدى .

ويظهر أنهم عادوا الى الحجاج فى ذلك فرد عليهم القرآن ثانية فى آيات سورة آل عمران التى أوردناها قبل (**قل صدق الله .. الخ**) .

واوضح من كل ما تقدم ان قصص ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فى القرآن تدور فى نطاق ما نبهنا عليه فى مقال سابق لنا فى (القصص القرآنية) وهو انها مما ليس غريبا على السامعين . ومما هدف فيه الى العبرة والموعظة . وتدعيم الرسالة والنبوة المحمدية . وننبه هنا على مانبهنا عليه فى ذلك المقال وهو ان من واجب المؤمن أن يقول آمنا به كل من عندربنا ويقف عندما وقف عنده القرآن دون تزيد ولا تكلف مستشفا الحكمة مما اقتضت حكمة التنزيل ايحاءه بالاسلوب الذى أوحى به . والحمد لله رب العالمين .



---

(١) المراد والله اعلم أن اليهودية والنصرانية صارتا ملة اليهود والنصارى نتيجة لنزول التوراة والانجيل وبناء عليهما .

(٢) المتبادر والله أعلم أن توجيه الله للرسول الى بيت المقدس كان على ما تلهم الآيات اختبارا للمؤمنين وبخاصة المهاجرين أهل الكعبة الذين يعرفون ان الكعبة هى بيت الله الحرام ومكان حج العرب جميعهم . حتى يمحصهم ويظهر من الذى يؤمن بكل ما يأمر الله ورسوله ويطيعونهما ويستغرقون فى ذلك فى كل الاحوال ولو كان فيما يؤمرون به شىء مما لا يحبون .

مفاهيم سليمة

للدكتور محمد على الزغبى

الاستشهاد بالآيات مبتورة ، ديدن الذين ضلوا على علم ، أو استعذبوا الحياة فى ديجور جهل ، وقلبوا الدواء داء عضالا .

١ ـ قد يتلو الجبرى قوله تعالى :

« إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » ويعلق عليها قائلا :

« إن الله اختار من الأزل فريقا للجنة وفريقا للنار ، ولذا سيذهب سعى الساعين وعمل العاملين عبثا ، اذ السعادة قبل الولادة ، وليس الانسان الا ريشة فى الهواء اذ الله عمل بيد الانسان خيرا أو شرا وقال بلسان الانسان صدقا أو كذبا » .

هذا ما يفهمه الذين يصدرون الأحكام المرتجلة مستندين لتلاوة الآيات مبتورة ، لقد فاتهم أن الآية مسبوقة بهذا النص :

« إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون » .. « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » .

وواضح أن القرآن يصور الأصنام محروقة أمام عابديها تحذيرا لهم وتنبيها الى أن المحروق لا يعبد .. !

وقد توهم بعضهم حين نزول الآية ، أن كل معبود من دون الله يحرق وأدخلوا فى هذه الكلية الرسل والأنبياء والحكماء الذين عبدهم الغلاة ، ولكن الوحى صحح هذا المفهوم بقوله : « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » يعنى أن الرسل والأنبياء والحكماء والعظماء الذين عبدوا ، سواء كانت فلسفة عبادتهم قائمة على الحلول أو الاشراق أو الانبثاق أو التجلى أو التجسد أو التأنس .. ليسوا مسئولين عن انحراف الغلاة الذين عبدوهم لأنهم (الرسل والانبياء والعظماء) لم يأمروا الناس بالانحراف .

٢ ــ وقد يستشهد بعض الناس بشطر من الآية مثلا :

« اتريدون أن تهدوا من أضل الله » .

وفاتهم أن القرآن سبيل للهداية وعصمة من الضلال « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » كأنهم ظنوا الله يرسل شمس الهداية لقوم ويحجبها عن آخرين دون سبب .
فاتهم هذا فلم يقرأوا الآية بنصها الكامل :
« فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من اضل الله » .
اذ لو قراوها كاملة لراوا المنافقين راسبين بسبب اعمالهم ، لأنهم ضلوا طريق الهداية ، ومن يتنكبه عمدا واختيارا فقد طلب طريق الضلال فوجده او تخلى عن الله فتخلى الله عنه ، وهذا معنى الضلال (اضل الله) .

٣ ــ وأن يردك بخير فلا راد لفضله :

هذه الآية يتخذها بعضهم دليلا على ان الله يعطى ويمنع ارتجالا ، ولو راجع القارىء الآيتين ١٠٧ و ١٠٨ من سورة يونس لرآهما فى معرض التنبيه على أن الاصنام لا تنفع عابديها ولا تضرهم أى لا تكشف عنهم ضررا ولا تحول دون ايصال النفع .

٤ ــ قل كل من عند الله :

يذكر الجبريون هذه الفقرة مبتورة من الآيات حين محاولاتهم التنصل من الشر تعليقا على كلمة « الخير من الله والشر من الناس » يحاولون التنصل غير عالمين ان يهود المدينة كانوا اذا اصيبوا بقحط قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : « القحط بسبب قدومك المدينة » ، ولكن الله رد عليهم بقوله : « قل كل من عند الله » اى إقبال الزراعة والثمار وقحطها من عند الله ، ليس لقدوم رسول الله شأن فى ذلك كله . .

٥ ــ فألهمها فجورها وتقواها :

من الفهم الملتوى وقوف الجبريين طويلا عند آية « فألهمها فجورها وتقواها » يرددونها دون فهم ، ليضعوا تبعة اعمالهم على الله لأنه طبعا بمفهومهم الهم الانسان الشر . . !
أواه : لو علموا ان (الهم) هنا بمعنى عرف لا معنى ارغم أو اجبر ، اذ لا يتفق الجبر والنهى ومن المستحيل أن يلهمنا اى يجبرنا الله على ما نهى عنه . . !
لقد عرّفها ما ينبغى أن تذر من خير أو شر او طاعة أو معصية ، لتميز رشدها من غيها ، اذ النفس قطعة بيضاء نستطيع المحافظة عليها نقية

ناصعة ، ونستطيـــع غمسها فى مستنقـــع الضـــلال وقد علق الله فلاحنا علـــى المحافظة وخيبتنا على القصور فقال « قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » أى لوثها ، ولا يعلق الفلاح والخيبة الا على ما نستطيع تحقيقه ، اذ « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » . الا لقد بيَّن الله للانسان طريقى الخير والشر فهداه النجدين ، أى أوقفه فى الطريق ذى المفترقين « إما شاكرا وإما كفورا » وقدّره على التمييز بينهما ومتعه بنعمة الاختيار .

٦ ــ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر :

هذا موضوع تحدث فيه القرآن عن ثروة قارون التى دفعته للغطرســـة وأفضت للخسف والدمار وقد صوّر القرآن الذين « أوتوا العلم » بعدم تمنى مثلها وصور محبى العاجلة بالجشع والتمنى ثم قال بلسان حال أهل العلم :

« ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عبـــاده ويقدر » والآيـــة هنـــا تعرض موضع العبرة لنعلم أن وجود المال بيد شخص ما ليس دليـــلا على أن الله يحبه ويكرمه ، وتجريد شخص من المال ليس دليلا على أن الله لا يحبه ، اذ المال حطام لا يحجبه الله عمن سار فى طريقه سواء كان الطريق مستقيما أو ملتويا ؛ عملا بناموس الاختيار الذى استلزمه نظام التكليف .

٧ ــ وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله :

هذه جاءت بعد « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعـــا » أى لو شاء لجعل الانسان مرغما على الهداية والايمان ، لكنه لم يشأ اذ منحه حرية الاختيار وهى والجبر لا يلتقيان . .

لقد علم سبحانه أن فلانا سيعطى حرية الاختيار ولا يستفيد منها مختارا ، وبذا يعرض عن الايمان مختارا ، ولو شاء الله لأرغمه ، ولكنه تعالى لم يشأ ! اذ لو أرغمه لأبعده عن دائرة المكلفين وألحقه بنظام الكون . . !

٨ ــ فريق فى الجنة وفريق فى السعير :

لا تعنى أن الله صنف عباده مذ قرر ايجادهم بل تعنى أنه علم أن قوما منهم يستفيدون من الحرية والاختيار ويعبّدون طريقا يفضى الى الجنة مع قدرتهم على الانحراف ، وبعضهم يمل الحرية والاختيار ، ويســـير على طريق ملتوية زاعما أن الله كتبه فى الفريق الهالك ، فينحرف مع قدرته على الاستقامة .

وذلك لأن باب رحمة الله : « الايمان به والوقوف عند حدوده » مفتـــوح ، أما الذين أعرضوا عنه ، فاعراضهم باختيارهم ، لقد أعرضوا وهم قادرون على عدم الاعراض . . . !

لقد غزت المفاهيم السقيمة قوما ، فصوروا الله مرتجلا يقسم عباده فريقين احدهما للجنة والآخر للنار ، ناسين الآيات التى تهب عامل مثقال الذرة ما يناسب جهوده ..

على أن قوله تعالى : « فريق فى الجنة وفريق فى السعير » ليس قرارا يجب تنفيذه بل حكاية عن واقع الحال كقوله : « وهو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن » اى لم يخلقكم ليرغم بعضكم على الكفر وبعضكم على الايمان ، بل ان قانون الاختيار سوغ لبعضكم أن يعيش مؤمنا باختياره ولبعضكم أن يعيش كافرا باختياره .

فكأن الله ـ له المثل الأعلى ـ ملك أمر رعيته أن يخرجوا لاستقباله ، فخرج بعضهم فارسا ، وبعضهم راجلا ، فقال : « أنا أعلم أن بعضكم يملك ثمن جواد وبعضكم لا يملك » ، ومعلوم أن قوله هذا لا يعنى أن الملك أفقر بعضهم دون سبب ، وأغنى بعضا دون سبب .

٩ ـ والله خلقكم وما تعملون :

يشحن قلبى الما ، الاستشهاد بفقرة من آية ، اذ كثيرا ما سمعت قوما يذكرون هذه الفقرة بسياق طلب المعذرة للمنحرفين ، كأنهم يرونه تعالى خلق ما يفعلون مما نهى عنه ، متناسين نص الآية الكامل « أفتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون » .

الآية تقص جهاد سيدنا ابراهيم اذ قال لقومه « الله خلقكم وخلق المادة التى نقشتموها أصناما فهلا عبدتم يديكم التى نحتت ونجرت » .. ؟

١٠ ـ زينا لكل امة عملهم ـ زينا لهم اعمالهم :

ان الله لا يزين للناس ، الا ما ينفعهم قال تعالى « ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان » .

اعنى أن الله لا يقصد الأغواء بل التخلى عن المنحرفين لأنه تعالى لا يخدع ولا يزين سوءا ولا يغوى ، ولا يبدأ احدا بحرب بل يحبط مؤامرات الخداعين والماكرين ومزينى السوء والمغوين والمغرين ، ذلك لأن الاغواء مثلا اذا أسند لله يعطى معنى الجزاء ، والدليل على ذلك قوله تعالى : « فسوف يلقون غيا » اى جزاء ، وعلى هذا الضوء نفهم قوله : « ان كان الله يريد أن يغويكم » اى أن يجازيكم بسبب أعمالكم الملتوية .

١١ ـ لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا :

نصر الله المسلمين يوم بدر ، فكان نصرهم شجى فى حلق اليهود وحلفائهم من سدنة الأصنام ، كما كان تقهقرهم عيدا لدى أولئك اليهود والسدنة .

نزلت الآيات تنادى « لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » لأنه تعالى يكتب النصر للجديرين والكسر لسواهم من أى قوم وعقيدة وديار .

هذا ما يفوح من أريج هذه الآيات الكريمة ، ولـكن المتواكلين أو ذوى النيات المبيتة لا يحبون ادراك هذه الحقائق ، ولذا يضعون تبعة الكسر على الأقدار ، لا على قصورهم وتفريطهم بل وتواطئهم مع العدو ، ويجـدون من الآيات التى يفسرونها (على كيفهم) دعامة ولو واهية تبرر انحرافهم .

رأينا فى المفاهيم السليمة صورة أكاد أراها طبق الأصل عما كنا عليه ، فى النصف الأول من القرن الهجرى الأول ، ثم غزانا الفهم السـقيم بعصر الملكيات المطلقة ، وكأن عمر بن عبد العزيز ـ وقد عاصر طلائع ذاك الانحراف بالمفاهيم ـ أحس حقيقة خطرها ، فتحصن بالآيات الكريمة ، وتدرع بالسيرة النبوية وأمر بتعميم نصوص الاختيار ، على مسلمى آسيا وأوروبا وأفريقيا ، مضافة للمفاهيم السليمة حول النصوص التى قد يخالها الضعفاء جبرا .

مات عمر فتضاعف زحف المفاهيم الملتوية لا سيما بعد فتح باب الترجمة الذى تشرب منه الغث والثمين فأخذت الأمراض تغزونا من مصادر متعددة .

ا) المصدر اليهودى :

الفرنسيون من اليهود لا يرون للانسان ارادة ، ولا اختيـارا ولا تأثيرا ولا جزءا كسبيا ، ولذا لا يرونه جديرا بالمدح أو الذم ، لأن الله فعل بيده .. !

أما اليهود (الفروشيم) فقد بالغـوا بالاختيـار ، ورأوا الانسـان قادرا على مطلق عمل دون أمر الله أو نهيه .

أما الثواب والعقاب فلا علاقة لهما بالأعمال لأن الله اختار من الأزل قوما للسعادة وقوما للشقاء .

هذه الأمراض : الجبر المطلق ، والاختيار المطلق ، وعقيدة السعادة قبل الولادة ، يهودية الأم والأب ، وقد غزانا جرثومها معززا بالارجاء الذى اخترعه كعب الأحبار ، ولا زال يفتك بنا ، وقد حقق السيد رشيد رضا فى ص ٣٨٤ من الجزء العاشر من طبعة التفسير المنار الثانية ، حقق كذب كعب الأحبـار هذا .

ب) المصدر النرفانى :

لا بد لنا من الاعتراف بأن فى الهند والصين وفارس مرضى بالجبر ، اذ البرهمية والبوذية والمزدكية حقول تبرره ، وقد اعتنق هؤلاء الاسلام ، وأصبـح

بعضهم مؤلفا أو مفسرا ، لذا لم أر عجبا من حبهم ابن صفوان (أحد أركان **الجبر) اذ أوجد فى خراسان (الأفغان) أنصارا ، اذ لم يستطيعوا الشـــفاء من** دفائنه .

جـ) المصدر اليونانى :

الحرب اليـــونانية الطروادية الطـــويلة المدى التى تأججت ـــ ولو فى الظاهر ـــ انتصارا للآلهة وحرصا على سيادتهم وأنانيتهم .

حملت سواد الناس على التسليم المطلق (الجبر) وأرتنا بعض من نحترم من الفلاسفة يحمل رايته وأراقت عليه من فلسفة التقمص والتناسخ المفضية للجبر ولو لحد ما ، سائلا محرقا .

فرقة الاطفاء ومحامو الدفاع :

١ ـــ اواخر العصر الأموى ومطلع العصر العباسى :

لم تكن ســـــاحة الدفاع يوما خالية ، اذ رأينـــــا جنودا يتدرعون بالآيات الكريمة التى تخطط صراط الفضيلة بين نقطتى الجبر والاختيار ، ويستخدمون المنطق وما استقام من الفلسفة أوائل دفاع .

حارب هؤلاء قادة الجبر والقدر (بسكون الدال) أمثال جهم بن صفوان وغيلان الدمشقى ، ومروان الجعدى ، ومعبد الجهنى ، وحاربوا أســـــاطين التضليل ، أمثال كعب الأحبار اليهودى ، الذى يرتدى تارة ثوب الجبر وطورا **ثوب القدر وآنا حلة الارجاء ليسمم الساحة التي يأمل تسميمها ..**

حاربوا وحملوا شعلة المفاهيم السليمة ، فرأوا الاختيـــــار المطلق ثوبا **حاول الانسان ارتداءه فكلف نفسه فوق الطاقة ، والجبـــــر المطلق محـــوا للتكليف** وهدما للشريعة وابطالا لحكم العقل وانكارا للواقع .

ودعنا آخر القرن الهجرى الخامس آخر قافلة من هؤلاء الجنـــود وفى رأسهم المعتزلة « وهم مخلصون أما ما رأينا بينهم من غلو ، فهو من اليهود الذين زعموا الاعتزال كأحمد بن حائط الذى لم تخف رائحته عن ذوى الأنوف السليمة » .

ودعناه وانغمسنا فى مستنقع التفكك ، وحنينا عنقنا لخطر الجبر بسيادة نظرية الكسب الأشعرية التى فهمها سوادنا جبرا ولو خفيفا .

راجع :

١ ـــ تفسير المنـــــار ج ٥ ص ٦٢٠ و ٦٣٤ و ج ١٠ ص ١٠٦ و ٣٢٧ و ٦١٤ من الطبعة الثانية .

٢ ــ ابن حزم لأبى زهرة ص ٢٨ و ٢٩ و ١٣٤ من الطبعة الثانية .

٢ ــ فى العصر المملوكى والعثمانى :

تراكمت الظلمات ، لا سيما فى الديار التى حنت عنقها لغزو عمــالقة الغرب وأقزام الشرق ، وزاد طينها بلة التطاحن التركى ــ الفارسى ، الذى مثل دورة السلطان سليم والشاه الصفوى .

ظلمات كقطع الليل ، حمل مصباح الهداية قبل عصر المعتزلة وبعدهم ، ائمة أهل البيت النبوى ثم ابن تيمية الحرانى وابن القيم الزرعى .

وقد سار على هديهم نخبة من اقمار القرن الماضى كالسيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وخليفته السيد رشيد رضا .

واقتدى بهم السيد عبد الحميد الخطيب فى كتابه (الجبر ضلال ومحال) والدكتور محمد اقبال فى كتابه اعادة الفكر الاسلامى .

والدكتور خلف الله فى كتاب الثقــــافة الاسلامية والحيــــــاة المعاصرة (ص ٥٧ ــ ٦١) .

نعم لا جبر فى الفكر الاسلامى ولئن التمست عذرا للجبريين من جميع الأمم ، فلن التمسه : للمسلمين لأن رسول الله شرح فى ســــيرته ما نتخذه مصباحا ولن التمسه للعرب اذ القرآن فى لغتهم ومتناول أيديهم ينادى بالتخييــر ويأخذ بيد طالبى الهداية ليريهم فعل نواميس الكون ، ويمنح المــكلفين قدرة وارادة ونقطة اعتدال ، ويدفع غائلة الجبر التى خلقت الجهل والبؤس والتخلف وساعدت على سلب كنوزنا وطردنا من أكرم ديارنا .

الاختيار هو الأصل :

هو الأصل وما جاء على اصله لا يسأل عنه يدعمه الآيات وقد نادى به القرآن واقامه أصلا محكما ولكن بعدنا عن الفهم السليم ، خلق الجبر ، وخيله مشكلة .

والواقع ، لا مشكلة ، بل خيال وسراب تخيلنا وجوده وانحنينا تجاهه وما زال قانون الوراثة والاستمرار يضخمه حتى تبناه السواد وذوو الجهل المركب واشهد ان احد هؤلاء أسر لى قائلا :

الجبر فى قلبى والتخيير فى لسانى ، يعنى أنه ينادى بالاختيار ويعلله بأن اسناد الخير والشر لله عقيدة لكن ينبغى أن نتأدب مع الله فلا ننسب له الشر ، مع اعتقادنا انه ــ تعالى ــ هو فاعله .. !

وهذا كما يرى القارىء تسمية للأشياء بغير اسمائها الحقيقيــــة كأنه ــ تعالى ــ ملك مستبد قتل شخصا ولكن الشرطة السائرين فى موكبه نظموا ضبطا بحق مجهولين ليدفعوا عن الملك السنة أو ثأرا محتمل الوقوع ، أو كأننا بما دعوناه جبرا ، نعتقد أن الله سرق بأيدينا وجدّف بلساننا فأخذنا نقول فى

داخلنا « نعلم انك انت السارق المجدف الحقيقى ولكنا لا نستطيع البوح خشية قوتك واستبدادك » .

نعم الاختيار هو الأصل وقد ركزه القرآن بآيات كثيرة مثل « فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل : انما انا من المنذرين » سورة النمل ٩٢ .

هو الأصل ودعامة مسئولياتها ، وقد فهمه الراسخون فى جميع العهود فقال ابن تيمية « للعبد قدرة ومشيئة وعمل فهو مختار مريد » راجع مجموعة الرسائل الكبرى ، الطبعة الاولى ، المطبعة الشرقية بالقاهرة عام ١٣٢٣ هـ ص ٢٧١ .

وقال الفقيه الصوفى الشيخ عبد الغنى النابلسى « الجبريون المعطلون للتكاليف الشرعية ، المسفهون للخطابات الالهية زنادقة هذه الأمة » راجع كتابه (الكوكب السارى) ص ٦ .

هذا الأصل يرينا الانسان ذا بصيرة وما وصفه بالمحسن والمسىء والشقى والسعيد الا تقريرا لواقع اختاره وأراده ونفذه .. !

مثلا ، يستطيع أن يتخذ العقل مستشارا فيسعى فى طلب الرزق ويعلم ان للكفاءة (مطلق كفاءة) دخلا كبيرا ، وأن الانسان يرزق من النافذة التى توجه لها ويحرم من التى أولاها ظهره هذا مع اعترافنا بتأثير العدل الاجتماعى فى واقع الافراد والأمم .

هو الأصل الذى عليه يقوم التكليف ولكن الانسان ــ لغاية فى نفسه ــ قد يتناسى هذا المنطق فيرى نفسه قدريا ــ اى يزعم ان الانسان قادر على كل شىء ــ ان كلف احدا ، وجبريا (زاعما ان الانسان لا يقدر على شىء ان كلفه احد) كأنه يتقمص النعامة (قيل لها احملى فزعمت انها طير وقيل لها طيرى فزعمت انها جمل) .

فيا أيها الانسان اعلن موقفك وارفع علم الجبر أو الاختيار وفارق هذا التطرف غير آسف وارض نقطة الوسط لأنك مختار ومكلف .

اذ الناس على تفاوت درجاتهم الفكرية مجمعون على ان الانسان أهل للمدح والقدح ، ومن البدهى ان ما استحق لأجله مدحا أو قدحا لم يفعله مجبورا ولا يخفى أن اجماعهم على تغاير ظروف الزمان حجة قاطعة .. !



الحضارة الغربية في ساعتها الخامسة والعشرين

للدكتور : عماد الدين خليل

« اننى أشعر أن حدثا خطيرا قد وقع حولنا ، إننى أجهل أين انفجر ، ومتى بدأ ، وكم سيدوم ، لكننى أشعر بوجوده ، لقد أخذنا فى الدوامة ، ولسوف تمزق هذه الدوامة جلودنا ، وتحطم عظامنا الواحد تلو الآخر .

اننى أشعر بهذا الحدث الهائل شعورا لا يضاهيه الا احساس الجرذان المسبق الذى يدعوهم الى هجر مركب على وشك الغرق . لن يكون لنا أى مأوى فى أى مكان من العالم » .

كونستانتان جيورجيو

فى رواية الكاتب الرومانى كونستانتان جيورجيو « الساعة الخامسة والعشرون » تبدو أزمة الحضارة الغربية واضحة للعيان ، ان مآسيها تعرض علينا كما لو كنا نشهد معا مسرحية حاضرة : الانسان الذى سلبت حريته وأدخل

فى دوامة من آلية قاسية احالته الى (رقيق) وأفقدته حريته وارادته الذاتية ، (المواطنون) الذين ملأوا الشوارع ودور الحكومة والمؤسسات فى جماعيــــة سحقت كل ما هو فردى ، وتشابهية دمرت كل امكانية للتنوع والابداع ، وتعميمية محقت كل اتجاه شخصى ، ومادية ردمت كل منابع الحب والايمان فى وجدان الانسان . النظم الصارمة التى أوجدت جحرا خانقا بــات لا يصلــح للتنفس ، الصراع من أجل تكريس اكثر للآلية ، واستعباد أشد للانسان ، وتحطيم أعنف للقيم وإحكام أقسى للحركة ، وكبت أرهب للحرية ..

كل منكم سيصرخ ، بعد مشاهدة منظرين أو ثلاثة من مسرحية الحضــــارة المعاصرة ... الآن لست أريد متابعة النظر ، لأننى تعبت ، ولأن المشهد طال أكثر من المعتاد ، اننى ــ اذا استمريت على المشاهدة ــ فسوف لن أرى إلا الأنقاض. سأرى مدنا متهدمة ، ورجالا متهدمين ، وبلدانا وكنائس وآمالا كلها متهـــــــدم محطم ــ (ص ٥٠٨ ــ ٥٠٩) .

ولكن علينا ــ نحن كمسلمين مسئولين أمام الله والبشرية ــ ان نملـــك اعصابنا ونرغم انفسنا على البقاء حتى النهاية لمشاهدة المأساة ، ولكى نستطيع ان نحيط برؤيانا أبعادها ، وننقب ــ من ثم ــ عن التيارات الظاهرة والخفية التى تسوقها الى مصيرها المؤلم الحزين . ولكى نقول لهم ــ بعد كل هـــذا ــ ان الطريق الوحيد للخلاص هو : هذا .. اذا أردتم أن لا تبلغ المأساة نهايتها !!

ان جانبا من الأدب الغربى اليوم ــ وبخاصة الرواية والمسرحية ــ يشكل اهمية كبرى فى أية دراسة جادة للحضارة الغربية المعاصرة ، لأنه يعكس بحيوية فائقة الأزمة التى تعانيها هذه الحضارة ، والضغوط القاسية التى تسلطها على الانسان فتسحقه وتمزقه . ان ردود الفعل التى يجابه بها الانسان الغربـــــى المعاصر حضارته المتأزمة هذه ، تبدو واضحة حية ، متحركة ، عبر عدد كبير من الروايات والمسرحيات التى كتبها أدباء وفنانون كبار ادركوا جوانب عميقة مـــن الأزمة ، وكلهم بلغ درجاتها الدنيا ، وجاس فى سراديبها وكهوفها ، وما أن وصل بعدها الأخير حتى غطاه الظل وأغرقه الظلام .. فهل ننتظر نحن منه أن يجد لنا مصدر الضوء ، ويدلنا على طريق الخروج ؟؟

ان ما تقدمه لنا هذه الآداب والفنون يقتصر على الخطوة الأولى : تحديد ملامح المأساة . أما الخطوة التالية التى ترسم لنا طريق الخلاص ، فما ينتظر من هؤلاء أن يتقدموا اليها لأنهم ليسوا (على شريعة من الأمر) وهى خطوة تلقى مسؤوليتها العظمى على أعناق أولئك الذين حملوا أمانــــة (الكتـــاب) بعد أن اشفقت السماوات والارض من ثقلها العظيم ..

ان كل ساعة تمر على تاريخ الأرض ، تقترب بالبشرية من مصيرها الفاجع لأن قيادتها انتقلت منذ زمن بعيد الى الانسان الغربى سواء الذى يقطن فى أوربا الغربية وأمريكا ، أم الذى يقطن فى روسيا واليابان . ولم تشهد الأرض احتكارا أشد للقيادة البشرية والحضارية ، من هذا الذى تشهده الآن .. ان نداءات شتى للتحذير أطلقت منذ ان بدأ يتكشف ــ لذوى البصيرة ــ المصير المحتوم لحضارة

تقودها قيم ومفاهيم لا تنسجم أساسا وكيان الانسان،وانها بهذا تسلطعليهاضغوطا ساحقة تضعف الأجيال بعد الأجيال ، ولا تتيح لها الاستعداد الكافي للقيام باعباء الحضارة وتولى مسؤوليتها الثقيلة .. نداءات أطلقها كثيرون : أطباء وعلماء نفس واجتماع وفلاسفة ومؤرخون ورجال دين ولاهوت .. تداعوا من كل حدب وصوب ليؤكدوا بأن على الحضارة المعاصرة أن تغير طريقها،وان تنعطف بمكتسباتها الهائلة الى طريق جديد يحفظ لها تراثها الذى هو حصيلة كدح شاق طويل للبشرية جميعا .

واليوم يتقدم أدباء وفنانون من شتى أقطار الأرض ليعلنوا عن مزيد من التحذير ، وليضعوا على طريق السقوط مزيدا من علامات الخطر .. ادباء وفنانون من شتى أقطار الأرض يصرخون منددين بالقيادة الضالة والبشرية المنكودة . وها نحن نجد هذا التحذير فى القصيدة والأغنية ، فى القصة والموسيقى ، فى الرواية والمسرحية .. وهذه الصرخات تذهب كلها عبثا ويضيع صداها فى الأفق البعيد ، ويختفى معها قائلوها لأن (الرجال الذين يتألمون لانهيار الحضارة الأجنبية ، ينهارون ويختفون معها تماما ، وان أولئك الذين لا يشاهدون غير ذلك الانهيار فحسب يلبثون غرباء عن المأساة .. ويعتبرون مجانين .. ان أوربا تعتبر اليوم كل رجل بلغ ذروة الألم الفكرى ، وحدوده القصوى مجنونا) (ص ٥١١) . والبشرية المنكودة تسير وراء قيادتها الى مصيرها المحزن ، والحضارة المعاصرة تركض ساعة بعد ساعة صوب نهايتها .

وها هى اليوم تبلغ ساعتها (الخامسة والعشرون) (اللحظة التى تكون فيها كل محاولة للانقاذ عديمة الجدوى .. ساعة المجتمع الغربى ، انها الساعة الحاضرة — ص ٨٨) .

لماذا (الساعة الخامسة والعشرون) ؟ جيوروجيو يجيبنا على هذا السؤال (ان الجو بات لا يصلح للتنفس .. ان الجو بات خانقا .. الجو الذى يعيش فيه المجتمع الحاضر . ان الكائن البشرى لن يستطيع احتماله . ان البيروقراطية والجيش والحكومة والتنظيم الحكومى والادارة ، كل هذه الأشياء تساهم فى تسميم الجو ليختنق الانسان . ان المجتمع الحاضر يستخدم الآلات والرقيق العنصرى . لقد خلق من أجلها . ولكن الانسان محكوم عليه بالاختناق . غير أن بنى الإنسان لا يشعرون بذلك . إنهم يصرون على أن كل شىء طبيعى ، كما كان فى السابق .. لقد وضعت فى روايتى الطريقة التى يموت بها رجال هذه الأرض الذين يحيون فى عذاب مريع وقلق قاتل ، تخنقهم الأجواء غير الصالحة للحياة (ص ١٨٥) .

والآن لنبدأ مع جيوروجيو رحلته الطويلة عبر منعطفات الطريق الحضارى ومجاريه ، وهى تجرف القيم صوب البحر ، وتنحدر بالحضارة الى الهاوية ، خطوة .. خطوة .. مع (جيوروجيو) وهو يستبطن خلفية هذه الحضارة ويتوغل الى أعماق الانسان . وليعذرنى القارىء إن نقلت نصوصا طويلة من هذا الكتاب ، فهى ذات أهمية كبيرة لأنها تمثل شواهد انسان عاش الحضارة المعاصرة وادرك

اغوارها .. شواهد حية ضد القيادة التى تسير بالبشرية وحضارتها صـــوب الدمار .

ـ ١ ـ

ان التقدم التكنولوجى الذى أحرزته الحضارة الغربية لم توجهه قيم الدين يوما ، بل انه انطلق أساسا واخذ طريقه يوم أعلن العلم انتصاره على الدين ـ أو هكذا يتوهمون ـ فلا نعجب اذن اذا ما تضاءل الانسان يوما بعد يوم ازاء هذا التضخم الآلى ، لأنه فقد الايمان بكرامته ، وغض بصره عن التطلع الى قيـــم علوية ، وسجد للآلة ، ولأول مرة يقدم كاتب غربى تحليلا رائعا يتميز بالجـــدة والحيوية لهذه العلاقة غير المتكافئة بين الانسان والآلة ، والتى تمثل التهافت الأول فى عصب الوجود الغربى والتى نشأ عنها ما يطلق عليه الكاتب عبارة : الرقيق التكنى : (الخادم الذى يقدم لنا يوميا الف خدمة لم نعد نستطيع الاستغناء عنها ، انه يدفع سيارتنا ويعطينا النور ويصب لنا الماء لنغتسل ، ويحمل لنـــا مخابراتنا ورسائلنا ويروى لنا قصصا لنتسلى عندما ندير زر المذياع . انـــه يخطط لنا الطريق ويزيل الجبال من أماكنها) (ص ٧٨ و ٧٩) .

ومن ثم يقدم الكاتب مقارنة طريفة بين الرقيق البشرى فى العصور القديمة وبين الرقيق التكنى فى المجتمع العصرى : (كان الاول هو الآخر ، معتبرا عنـــد اليونان والرومان كالقوة العمياء عديمة الأحساس ، كانوا يبيعون الرقيق ويشترونه ، ويقدمونه هدايا ويقتلونه ، فكانت قيمته تتناسب دائما مع قوة عضلاته وامكانياته العملية . لقد كان الأمر فى ذلك الحين مشابها تماما للمقياس الذى نستعمله اليوم فى تقدير الرقيق التكنى .. لقد برهن الاخير على أنه أكثر طواعية وأقل ثمنا من الرقيق البشرى ، فراح تدريجيا يحل محل سلفه من بنى الانســـــان (ص ٧٩ و ٨٠) .

ولكن العبيد التكنيين ما لبثوا ان غطوا مساحات واسعة من الأرض بفضل تفوقهم العددى الساحق ، واخذوا يسيطرون اليوم على النقاط الحيوية فـــى المجتمع العصرى واتضح خطرهم (وبعبارة عسكرية فنية نقول ان الرقيق التكنى يقبض بين يديه على النقاط الاستراتيجية فى مجتمعنا من جيش وخطوط مواصلات وتموين وصناعة .. وان العبيد التكنيين يشكلون اليوم الوفا من (البروليتاريا) ـ اذا كنا نعنى ذلك فان الكلمة : جماعة ما فى مجتمع خلال فترة تاريخية ، جماعة لم تدخل بعد فى صميم المجتمع ـ وعلى ذلك فان مصير هؤلاء العبيد التكنيين منوط بأيدى البشر ، وهذه البروليتاريا التكنية ستثور يوما دون أن تستعمل الحواجـز والسدود كما كان يستعمل من قبل الرقيق البشرى . وان العبيد التكنيين يشكلون اليوم أكثرية عددية ساحقة فى المجتمع الحاضر .. انهم يتصرفون فى هذا المجتمع وفق قوانين خاصة مختلفة عن قوانين البشر . ولن أذكر من هذا القوانين الخاصة بالعبيد التكنيين إلا الآلية والمماثلة واغفال الذات (ص ٨١ ـ ٨٢) .

أما كيف ستتم سيطرة العبيد التكنيين (أو القوى الآلية) علـــى مقدرات الانسان ، فجوابه (ان مجتمعنا فيه عشرات المليارات من العبيد التكنيين وحوالى مليارين من البشر ، حتى ولو كان هؤلاء يسيرونه فانه ستسوده أكثرية بروليتارية

.. ان تأثيرها يتزايد يوما بعد يوم . والانسان مرغم على معرفـــة عاداتهم ــ وقوانينهم وتقليدها ليستطيع استخدامهم والافادة منهم . وكل مستخدم مرغم على معرفة لغة مستخدميه وعاداتهم ليصدر اليهم أوامره وليستخدمهم . وقد جرت العادة أبدا على أنه اذا كان المحتل اقل عددا من الأمة التى يحتلها فانه يرغم على اعتناق عادات تلك الأمة وتعلم لغتها بسبب المنفعة والمصلحـــة وســـــــهولة التفاهم،انه يرغم على ذلك رغم انه محتل وسيد شديد البأس.ان مثل هذه النظرية يتتابع تضخما وانتشارها ضمن محيط مجتمعنا رغم اننا نأبى الاعتراف بها .. .. وهكذا فاننا سنتخلى يوما ما عن انسانيتنا ، ونتبع اسلوب الحياة المطبق على عبيدنا التكنيين .. وستكون دلالة هذا التخلى عن الانسانية احتقار الكائن البشرى . ان الرجل العصرى يعرف انه وزملاءه من بنى الانسان ليسوا أكثر من عناصر يمكن استذلالها . والمجتمع الحديث الذى يحوى على رجل واحد مقابل كل ثلاثين عبدا تكنيا ينبغى أن ينظم وأن يعمل حسب النظم التكنية لأنه مجتمع خلق وبنى على احتياجات ميكانيكية وليست انسانية . وهنا تبـــدأ الفاجعـــة ، ان المخلوقات البشرية مرغمة على الحياة والتصرفات وفق قوانين تكنية غريبة عن القوانين الانسانية . وأولئك الذين لا يحترمون قوانين الآلة التى تتساوى مـــع القوانين الاجتماعية يعاقبون . والكائن البشرى . الذى يعيش فى أقلية يصبح مع الوقت أقلية (بروليتارية) فيحذف اسمه من المجتمع الذى ينتمى اليه ، والذى لا يمكن أن يعود اليه إلا بعد التخلى عن طبيعته الانسانية فينجم عن ذلك شعور بالدونية ، ورغبة فى تقليد الآلة ، والتخلى عن صفاته الانسانية المميزة التى تبقيه بعيدا عن أوساط النظام الاجتماعى .. ان هذا التحول البطىء سيقلـــب الكائن الحـــى ، وسيجعله متخليا عن احساساته وعلاقاته الاجتماعية ، ويجعلها محصورة فى حدود ضيقة واضحة الآلية تماما،كتلك العلاقات التى تجمع بين قطعة آلة وأخرى. ولسوف يقلد البشر فى علاقاتهم الاجتماعية وفى الإدارة وفنون النقش والرسم والأدب ، وفى الرقص ، الأسلوب واللغة الخاصين بالرقيق التكنى . وستصبح المخلوقات البشرية ببغاوات العبيد التكنيين . غير أن هذا ليس الا بداية الفاجعة) وما هى الفاجعة الحقيقية اذن ؟ (هنا تنفجر المأساة لأننا لا نستطيع أن نتحول الى آلات (!!) غير أن الاصطدام بين الحقيقتين : الحقيقة الآلية والحقيقـــة البشرية،قد وقع ولسوف يربح الرقيق التكنى الحرب،سوف يستبد ويصبح مواطنا آليا فى مجتمعنا . أما نحن ــ الكائنات البشرية ــ فسنصبح بروليتاريا (أقلية) فى مجتمع منظم حسب حاجات وعادات الأكثرية الساحقة من المواطنين الآليين) (ص ٨٢ ــ ٨٤) .

بعد هذا يوضح لنا جيورجيو بأسلوب مؤثر ، كيف سيضيع الانسان وسط هذا التراكم فى الآلات ، وكيف انه سيتحول الى مجرد مقياس ذى قيمة آلية ، وعلى الرغم من أن المجتمع الانسانى سيجد آنذاك وسائله الترفيهية إلا أنه سيغدو أرضا بورا لا تنتج العباقرة ، وبدون هؤلاء تتمرغ الحضارة بالتــراب (ان كــل

الأحداث التي تدور الآن على الكرة الأرضية والتي ستقع خلال السنوات المقبلة، ليست إلا بتأثير تلك الثورة ومراحلها : ثورة العبيد الآليين . ان الرجال لن يستطيعوا بعد ذلك ان يحيوا في مجتمع يحتفظون فيه بطابعهم البشرى . سوف يعتبرون متساوين ومتشابهين مع الرقيق الآلى ، وسيعاملون وفق القوانين المطبقة عليه ، دون مراعاة طبيعتهم الانسانية ستحدث توقيفات آلية وأحكام آلية ، وتسليات آلية ، وقتل آلى لن يكون للمرء حق في الحياة بل سيعامل وكأنه مكبس أو قطعة آلة . حتى اذا شاء أن يعيش عيشة انسانية تعرض لسخرية العالم بمجموعه) (ص ٨٤و ٨٥) .

هل رأيت ــ يتساءل جيوروجيو ــ في حياتك مكبسا يعيش حياة شخصية ؟ ما أروعه من سؤال يجيب عن نفسه (!!) ثم يستأنف المؤلف طرح نذره (أن هذه الثورة ستحدث على سطح الأرض كلها ، ولن نستطيع الاختفاء منها لا في الغابات ولا في الجزر ولا في أى مكان .لن تستطيع أمة في العالم ان تحمينا(!!)سوف تتشكل جيوش العالم كله من مأجورين يناضلون ويكافحون من أجل تدعيم المجتمع الآلى الذى لن تعيش فيه الفردية . ولعل هذا العصر هو الفترة الأكثر ظلمة في تاريخ البشرية . اذ لم يحدث لحد الآن ان احتقر الانسان الى هذا الحد .. والحياة البشرية لم تعد لها من قيمة الا بوصفها مصدر حركة . والقياسات أضحت علمية محضة ، وهذا هو قانون بربريتنا الآلية المظلمة ، ولسوف نصبح بعد النصر الكلى عبيدا آليين) (٨٥ و ٨٦) .

لن تستطيع أمة في العالم أن تحمينا (!!) وهذه هي النتيجة المحتمة لسيطرة القيم الغربية على كل أقطار المعمورة . صحيح أننا في الشرق لا زلنا متأخرين ولا زالت هنالك مساحات واسعة من حياتنا الاجتماعية بعيدة عن تغطية الآلة . الا اننا ــ على أية حال ــ نصدر ــ وهذا هو المهم ــ عن الفلسفة التى يصدر عنها الغرب . ويتضاعف الخطر لدينا ويغدو خطرا مزدوجا لأن نظرتنا الى التكنولوجيا يسودها تقديس اشد للعلاقات المادية بدافع من شعور عميق بالنقص ازاء هذه الحضارة .

لن تستطيع أمة في العالم ان تحمينا ، فالقضية ليست قضية مواقع جغرافية أو لون على الخارطة السياسية أو اعلام متميزة ترفرف في أعالى السماء ، وانما هى الفكرة ، التصور ، العقيدة التي يصدر عنها المجتمع فهى التى ستجعل للموقع الجغرافي قيمته الحقيقية في حماية الأمم المهزومة ، وهى التي ستعطى للون مواده الثابتة التى لا تحول وهى التى ستجعل الرايات الخفاقة في الأعالى نداء قدسيا يربط الأرض بالسماء ، ويفتح ذراعيه للمتعبين المنكودين ، ويعدهم بكل ما أفقدتهم اياه سيطرة العبيد التكنيين .

ولنرجع الى جيورجيو ، بعد أن قلبنا اعيننا في أقطار الأرض ، فلم نر أمة واحدة تصدر عن عقيدة تحمى بها القيم الانسانية من الزوال ، لنرجع الى الشاهد لنرى ماذا يقول .. (طالما ان الانسان قد تحول الى مجرد مقياس ذى قيمة آلية

ــ اجتماعية ــ فانه يتعرض للاصابة بأى شىء ــ يمكن ان يوقف وان يرسل للقيام بالأعمال الشاقة ، أو أن يستأصل عرقه ، أو أن يرغم على مزاولة أعمال معينة سواء لواحد من مشاريع السنين الخمس أو لتحسين العرق أو لأهداف أخرى ضرورية للمجتمع الآلى دون أى اعتبار لشخصية المجتمع التكنى يعمل ــ حصرا ــ تبعا لنظرية تكيفه مستعملا المجردات ، الخطط فقط ، مستهدفا معيارا واحدا فقط هو الانتاج .. لن يبقى رجل واحد حرا على سطح الأرض . ان الانسان سيصبح مغلولا خلال سنين طويلة فى المجتمع التكنى .. لكنه لن يموت فى الاغلال . ان المجتمع التكنى يستطيع ابتداع رفاهية لكنه لا يستطيع خلق الفكر ، وبدون الفكر لا توجد العبقرية . وان مجتمعا محروما من رجال عباقرة مقضى عليه بالفناء . ان المجتمع التكنى الذى يحل محل المجتمع الغربى والذى سيكتسح سطح الأرض كله سيفنى هو الآخر : ان اينشتاين يؤكد انه يكفى انقطاع جيلين متتابعين فقط فى خط العقول المتفوقة الميالة بصورة خاصة للعلوم الطبيعية ، لكى تنهار كـل المشيدات القائمة على هذا العلم) (ص ٨٦ و ٨٧) .

ولنستمع ــ من ثم ــ الى حوار داخلى لانسان يقف بخضــوع أمام الآلة ، ملغيا وجوده الباطنى من الحساب (لا يسمح لك التفكير بأى شىء آخر وإلا فإن الآلات تعاقبك على الفور . ان كل انتباهك ينبغى ان يكون موجها نحو زميلك الآلى ذلك العامل المجد الذى يأتيك بالصندوق ويمده اليك وعليك انت أن تنحنى وتأخذ الصندوق من يديه .. ان الانسان الآلى لا يمكنه ان ينطبع برغبة الانسان. فعليك اذن أن تساير رغباته وتوازن حركاته من حركاتك ــ ان هذا طبيعى جدا لأنه هو العامل الكامل .. أما أنت فانك لست كاملا .. ان الآلات تعلمك الترتيب والنظام والكمال ، فاذا حاكيتها غدوت عاملا من الدرجــة الأولــى) (ص ٢٤٠ و ٢٤١) .

وهذا منولوج آخر يعبر فيه بطل الرواية : (مورتيز) عن يأس كامل فــى الحرية ازاء آلية لا تسمع ولا ترى (ان كل شىء يتحقق آليا ، وكل شىء يسير بالكهرباء .. وأنت (!!) انك فى صميم آلة جبارة ، فمهما بذلت من مجهــــود وتحركت وناضلت فلن تخرج منها . ان الآلة صماء ، انها لا تسمع ولا ترى ، بل تعمل فقط .. انها تعمل عملا مدهشا تبلغ فيه الكمال الذى لا يستطيع الانسان بلوغه أبدا .. ان الآلة لا تنســى كما ينسى المخلوق البشــرى ، انها دقيقــة .. (ص ٤٤٣ و ٤٤٤) .

وما هى النتيجة ؟ (كان مورتيز يشعر بأن كيانه يذوى كالغصن المحروم من الرى . كان اذا ما أوى الى فراشه ــ مساء ــ يشعر باحساس غريب يخيل اليه انه ينحنى ويلتقط صندوقا . واذا نهض من سريره صباحا شعر كأنه انتصب فى تلك اللحظة بعد أن أودع الصندوق فى العربة وباتت يداه فارغتين فترة بانتظار وصول الصندوق التالى ــ كان نومه خلوا من الأحلام ــ أما جبينه وعيناه فقد غشيهما الاكتئاب والقلق ــ لقد اتخذ لون الآلة وليس لون الأرض) (ص ٢٤٩) .

للبحث صلة

الإسلام والشرائع السابقة

للشيخ محمد محمد الشرقاوى

دين الله تعالى واحد لا يتجزأ ، وهدفه الأسمى محدد لا يقبل التخالف أو الخلاف ، فالدين ايمان وعمل ، والهدف : عبادة الله بالباقيات الصالحات، وهذا هو المحور الأساسى المشترك بين كافة الشرائع والرسالات والحجر الأول فى صرح الروحانيات القائمة على المبادىء الفاضلة ، والقيم السامية ، .. من لدن آدم عليه السلام حين تفجرت بظهوره أول رسالة سماوية تستهدف هداية الانسان الى الطريق الأمثل ، وحمايته من طغيان الهوى والنفس ، الى أن ختمت الرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم .. الذى التقت بدعوته الجامعة نقطتا البدء والنهاية فى حلقة الديانة الحقة .

.. أخرج ابن حبان فى صحيحه وغيره من حديث أبى ذر رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « قلت يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وعشرون الفا .. قلت : يا رسول الله .. كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا .. قلت : من كان أولهم ؟ .. قال : آدم : قلت : يا رسول الله .. أنبى مرسل ؟ .. قال : نعم » (١) .

فالدين كلمة عامة ينطوى فيها ما يدعو اليه الاسلام من الايمان بالأصول العامة ، والتصديق الجازم بالعقائد الالهية والغيبية المشتركة من وحدانية لله وعرفان بصفاته الكاملة وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، مع ما يكمل ذلك من شريعة توضح للناس مسالكهم على دروب الحياة العملية ، وأخلاق تنمي علائقهم الشخصية

والاجتماعية ، وحدود تزجر الخارجين منهم على قانون السماء وبهذا دان الله تعالى الأمم ، وساس الانسانية كلها على اختلاف مدارجها زمانا ، بواسطة أنبياء مرسلين كانوا همزات وصل بين الخالق والمخلوق بدون تضاد فيما بينهم فيما هو جوهرى من الرسالات وفى هذا يقول القرآن الكريم : **« ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ، يا بنى أن الله أصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » (٢)** اى ان ابراهيم ويعقوب عليهما السلام قد حملا أبناءهما وصية التمسك بالدين الواحد المعبر عنه فى الآية السابقة على هذه الآية : « **اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين** » يقول الكشاف (٣) فى تفسير « اصطفى لكم الدين » أى أعطاكم صفوة الأديان وهو دين الاسلام ووفقكم للأخذ به فلا يكن موتكم الا على حال الثبات على الاسلام .. فالنهى فى الحقيقة انما هو عن كونهم على خلاف الاسلام اذا ماتوا ، لاظهار أن موتهم على خلاف الاسلام موت لا خير فيه ، وأن من حق هذا الموت الا يحل فيهم .. كما تقول : مت وأنت شهيد ، وليس المراد الأمر بذات الموت بل بصفة الشهادة حين الموت اعتدادا بموتة الشهداء وأنها جديرة بأن يحث عليها، وكان اليهود يزعمون أنه ما من نبى مات الا وهو على اليهودية .. فكذبهم الله تعالى بقوله : « **أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى ، قالوا : نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون** » (٤) اى أنهم لو شهدوا يعقوب حال نزول الموت به ، ووداع الحياة له ، لشهدوا توافقه مع أبنائه على وحدة الدين ووحدة الخالق واعتناق الاسلام الذى هو ملة الله الأزلية الأبدية الدائمة السرمدية التى لا يقبل سواها ، ولا يعتد بدونها **« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »** .. « **ان الدين عند الله الاسلام** » .

ومن هنا يبدو جليا أن الاسلام ليس دينا خاصا بأمة دون أخرى ، وليس دعوة عنصرية أو انعزالية تعيش بمنأى عن الأديان والشرائع التى تقدمتها ، وتتخذ لنفسها سياجا انطوائيا .. انما الاسلام فى معناه الأشمل هو الجانب الأخير المكمل لما سبقه من جوانب أخرى من رسالات الله الى البشر .. تضافرت كلها على اخراج وحدة دينية متكاملة .. ساهم فيها كل رسول بقدر ، وشاركت فيها كل رسالة بجهد ، وقد استغرق أعداد هذه الوحدة الدينية الجامعة الزمان كل الزمان ، من عهد آدم أبى البشر الى حفيده الخاتم للرسالات والنبوات محمد عليهما الصلاة والسلام وهو الذى أتم البناء وأكمل الأداء على أحسن ما يكون الوفاء « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » وفى حديث للبخارى فى صحيحه تصوير صادق لهذا التوافق التام بين الرسالات كلها وفيه يمثل الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته ورسالة من تقدمه : « برجل بنى بيتا فأكمله وزينه الا موضع لبنة ، فجعل الناس

يطوفون به ويعجبون ويقولون : لولا هذه اللبنة .. فأنا اللبنة » .

وبهذا تأكد بما لا يدع مجالا للشك أن كل نبي مع من تقدمه أو تأخر عنه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وأنهم جميعا على اختلاف أزمانهم وأقوامهم يشكلون صفا واحدا متماسكا في مواجهة التحديات الضالة المضلة ، وفي قيادة الانسانية الى الطريق المستقيم الموصل الى سعادة الدارين ، وشرف الحياتين .. وقد ذكر القرافي (٥) : أن الرأى المختار عند الحنفية والمالكية والشافعية أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بعثته كان متعبدا بكل ما ثبت عنده بطريق العلم انه شرع نبي من الأنبياء ، وبهذا كان مصدقا لما بين يديه من الشرائع السابقة له .. آخذا منها ما لم ينسخه هو في شريعته الأخيرة، على أن النسخ في هذه الأحوال لا ينافي تصديقه للرسالات الأخرى .. لأن النسخ — على أصح الآراء العلمية — ليس تغييرا للأحكام ولا مخالفة لها وانما هو أعلام وبيان بانتهاء الفترة الزمنية المحددة لسريان مفعول هذه الأحكام .. فالأحكام السابقة في الشرائع المتقدمة اذن قسمان : قسم ظهر انتهاء أمده فهو متروك وليس في ضمن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقسم ظهر استمراره وبقاؤه على المدى الطويل بطريق يقيني .. فهو مأخوذ به على أنه من شريعتنا .. على حد تعبير علماء الأصول : « شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما ينسخه » وبهذا تتكامل الرسالات فيما بينها ، ويصدق بعضها بعضا ، فالمتأخر منهم مصدق لمن تقدمه ، والمتقدم منهم — لو كان حيا — مصدق لمن جاء بعده من الرسل ، فلا يكون بين هؤلاء الاخوة المرسلين أدنى تعارض أو تخالف ، أو تضاد .. وفي الحديث : « الأنبياء أبناء علات أبوهم واحد وأمهاتهم شتى » وقد عبر عن ذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم بقوله : « لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى » (٦) .

فكل الشرائع السابقة قد صارت بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم شريعة محمدية باعتبارها ميراثا دينيا انتهى الى محمد عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى : « **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** » والميراث ملك للوارث مختص به ، وفي آية أخرى « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** »(٧) لكن لما دخل التحريف في كتبهم وتلاعبت الأهواء والأغراض بأهدافهم شرط العلماء للاعتماد على كتبهم المتقدمة واندماجها في شريعتنا أن يقص الله تعالى علينا شرائعهم من غير نكير ، أو تثبت ببيان صحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم بدون أن يعقبها تأقيت أو نسخ (٨) .. وأما قوله تعالى : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** » (٩) فمعناه أن لكل أمة شريعة عملية تناسب زمانها ومكانها وأحوالها ولكنها قابلة للنسخ اذا انتقلت الى أمة أخرى ذات نبي آخر له ظروف وأحوال مباينة .. فاذا انتقلت ودخلها نسخ لبعض

الأحكام وابقاء للبعض الآخر مع ما يضيفه النبى الجديد من أحكام أخرى ملائمة كانت هذه الخلاصة شرعة ومنهاجا لهذا النبى المتأخر .. وهكذا تتوالى النسوخ والتعديلات على الشرائع العملية مع بقاء الأصول الثابتة كما هى بلا تعديل ولا تحوير ، حتى تنتهى فى مسارها الحافل الطويل الى الشريعة النهائية التى لا يلحقها بعد ذلك نسخ ولا تبديل وهى شريعة نبى آخر الزمان محمد صلى الله عليه وسلم فتكون بمجموعها عبارة عما لم ينسخ من كل الشرائع السابقة مضافا اليها الجديد فى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ومن كل هذا وذاك تتكون شريعة « الاسلام » .

وقد استدل العلماء على ذلك بما نجمله فيما يأتى :

«١» ليس من الحكمة أن يبقى الناس سدى مهملين بلا أوامر ولا نواه فى زمن ما .. فكل من تأهل للتكليف من الناس وبلغه ما جاء به نبى من الأنبياء بطريق يقينى فهو مكلف به وهذا لا يعنى عموم رسالة كل نبى ، لأنها قابلة للتغيير بظهور نبى آخر وبعدم عمومها حين نسخها ومعنى ذلك أنه لا توجد فجوة لا دينية فى التاريخ ويكون أهل الفترة هم الذين لم تبلغهم رسالة نبى بطريق يفيد العلم (١٠) .

«٢» أجمع العلماء على الاستدلال بقوله تعالى : « **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ..** » (١١) ، على وجوب القصاص فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، والآية الكريمة تعنى أن الله تعالى أوجب على بنى اسرائيل فى التوراة أن النفس بالنفس .. فلولا أننا متعبدون بما فى التوراة مما لم ينسخ ، لما صح الاستدلال بهذه الآية على ايجاب القصاص فهذه الآية الكريمة مثبتة للقصاص فى الأنفس فى شريعتنا كما كانت مثبتة كذلك عند أهل التوراة .. ما هذا الا لأن الشرائع متداخلة فى بعض أبعاضها بحيث يكمل بعضها بعضا ، ويصدق بعضها بعضا .

«٣» روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها ، فليصلها اذا ذكرها فان الله يقول: «**وأقم الصلاة لذكرى**» وهذه الآية القرآنية موجهة أساسا الى موسى عليه السلام كما حكى ذلك القرآن الكريم « **فلما أتاها نودى يا موسى • انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى • وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى • اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى** » (١٢) .. ومع ذلك استدل بها رسولنا صلوات الله وسلامه عليه على وجوب قضاء الصلاة التى نام أو غفل عنها تاركها اذا ذكرها .. فلو لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم وأمته متعبدين بذلك فى شريعتنا لما صح الاستدلال بها ؛ ولما كان لتلاوتها فائدة تذكر .

«٤» ومع أن شرائع من قبلنا لم تذكر فى حديث معاذ بن جبل حين أرسله النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن وقال له : « كيف تصنع إن عرض لك قضاء فقال : أقضى بما فى

كتاب الله ، قال : فان لم يكن فى كتاب الله ، قال : فبسنة رسول الله ، قال فان لم يكن فى سنة رسول الله قال : اجتهد رأيى لا آلو . . فضرب الرسول صلى الله عليه وسلم على صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » (١٣) أقول .. ليس خلو حديث معاذ هذا من التعرض للشرائع السابقة دليلا على عدم اعتبارها فى أسس التشريع الاسلامى لأن هذه الشرائع فى الحقيقة مذكورة ضمنا فى ثنايا القرآن الكريم بمثل قوله تعالى : « **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** » أو لأن هذه الشرائع قليلة نسبيا اذا قيست بالجديد فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، فلذا لم تفرد بالذكر فى حديث معاذ الذى تضمن موافقة الرسول عليه ، ورضاه به .

«٥» والقول بأن شريعتنا ناسخة لما تقدمها من الشرائع ليس على اطلاقه .. بل هى ناسخة لما خالفها من الأحكام ، **لأنا نقطع بأن النسخ معدوم فى الإيمان والكفر وغيرهما** كالزنا ، والقصاص .

وبعـد ،

فقد ظهر من هذا العرض الوجيز أن شريعة الاسلام حلقة فى سلسلة الرسالات السماوية المتعددة ، وأنها متصلة بالشرائع والديانات السابقة اتصالا عضويا متكاملا ، وأنها تمثل الحجر الأخير فى بناء تام لا ينقصه الا هذا الحجر النهائى وأن هذا البناء الشامخ من رسالة السماء يشكل فى مجموعه دين الله الواحد الذى لا يتجزأ .

بيد أن شريعتنا تصرفت فى أحكام الفروع التى اشتملتها الرسالات السابقة فأبقت ما صلح منها للبقاء والاستمرار ، ونسخت ما ظهرت نهايته ، وانتهى أمده المقرر له عند الله حسب التطور الكونى العام وفق ما أراد الله تعالى لأنبيائه ورسالاته .. ولذا كانت الشرائع السابقة على شريعتنا تلزمنا على أنها شريعة لنا من حيث كانت شريعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تنسخ ، قال صاحب التلويح (١٤) : « وهذا مذهب أكثر مشايخنا منهم أبو منصور والقاضى الامام أبو زيد ، وشمس الأئمة وفخر الاسلام ، وعامة المتأخرين ، وان خالف فى ذلك المعتزلة فأحالوه عقلا ، كما خالف فيه الامام الرازى والآمدى وأحالوه شرعا » .

---

(١) التحرير للكمال بن الهمام جـ ٢ ص ٣٠٨
(٢) البقـرة : ١٣٢
(٣) تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ١ : ٧٥
(٤) البقـرة : ١٣٣
(٥) التحرير جـ ٢ : ٣٠٨
(٦) التوضيح جـ ٢ : ٢٧٧ وما قبلها وما بعدها
(٧) الشورى : ١٣
(٨) التوضيح جـ ٢ : ٢٧٧
(٩) المائـدة : ٤٨
(١٠) التحرير جـ ٢ : ٣٠٩ .
(١١) المائـدة : ٤٥
(١٢) طـه : ١١ ــ ١٤ .
(١٣) تاريخ التشريع الاسلامى : ٨٠ .
(١٤) التوضيح جـ ٢ ص ٢٧٦



للأستاذ : محمد رجاء حنفى عبد المتجلى

يعدّ الاجتهاد المصدر الثالث من مصادر التشريع الأسلامى ، بعد كتاب الله تبارك وتعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكمعن سبيله » ، وسنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

ويؤيد هذا ما رواه معاذ بن جبل ــ رضى الله عنه ــ من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله حينما وجهه إلى « اليمن » بقوله : « كيف تصنع أن عرض لك قضاء ؟ » ، فأجابه قائلا : « أقضى بما فى كتاب الله » ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : « فان لم تجد فى كتاب الله ؟ » ، فقال معاذ : « أقضى بسنة رسول الله » ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ » ، فقال معاذ : « اجتهد رأيى ، لا آلو » ، فتهلل وجه الرسول صلوات الله وسلامه عليه وضرب صدر معاذ وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » ، فهذا ارتياح من الرسول صلى الله عليه وسلم لما رآه من معاذ ، من أخذ بالقياس ، والاعتماد على الاجتهاد ، الذى هو بذل الجهد فى استخراج الحكم .

فولاء معاذ بن جبل لكتاب الله تبارك وتعالى ، ولسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، لا يحجب عقله عن متابعة رؤاه ، ولا يحجب عن عقله تلك الحقائق الهائلة التى تنتظر من يكتشفها ويواجهها .

ولعل هذه القدرة على الاجتهاد ، والشجاعة فى استعمال العقل والذكاء ، هما اللتان مكنتا معاذا من ثرائه الفقهى الذى فاق به أقرانه واخوانه ، وصار كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم : « أعلم الناس بالحلال والحرام » .

وروى سعيد بن المسيب ــ رضى الله عنه ــ عن على بن أبى طالب ــ

كرّم الله وجهه — أنه قال : « قلت : يا رسول الله : الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه منك سنة ؟ قال : اجمعوا له العالمين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم ، ولا تقضوا فيه برأى أحد » .

من هذين الحديثين نـــدرك أن الاجتهاد قسمان : قسم فردى ، وهو فى الأمور التى يكفى لمعرفة حكمهـــا اجتهاد فرد واحد . وقسم جماعى ، وهو الذى يكون فيه اجتهاد العالمين من المؤمنين فيما يعرض للأمـــة من الأمور التى تحتاج الى تبـــادل فى الرأى .

والشريعة الاسلاميـــة حين فتحت باب الاجتهاد للفرد او للجماعة لم تترك لهم الحبل على الغارب ؛ بل وضعت لهم من القواعد العامة ما يعينهم على بلوغ الهدف ، ويوصلهم الى الغايـــة المرجوة ، من تنظيم سبـــــل الحياة للأفراد ، واقرار الحق والعدل .

أن المقصود من الشريعة الاسلامية هو جلب المصالح للناس ، ودفـــع المضار عنهم ، فيجب تحرى الحـــق والعدل حتى مع الأعداء ، يقول المولى تبارك وتعالى فى محكم آياته : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » و : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ، ويقول عز وجل : « ان الله يأمر بالعـــــدل والاحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » ، ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « يسروا ولا تعسروا » ، و : « لا ضرر ولا ضرار » ، و : « الدين يسر » .

ويجب أن تكون العقوبة مناسبـــة للجريمة ، والعفو أقرب للتقـــوى : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » ، ويجب الا يؤاخذ فرد بجريمة غيره ، وأيضا لا يصح التعلق بالأوهـــــام والخرافات .

أما الضرورة فلها أحكامها التـــى تلائمها ، فقد يباح فيها ما هو ممنوع فى غيرها ، : « الا من أكره وقلبـــه مطمئن بالايمان » ، و : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ، ان الله غفـــور رحيم » .

هذه بعض من القواعـــد العامـــة التى وضعها الاســـلام ليستنير بهـــا المجتهدون عندما يضعون احكامـــا للأشياء التى ليس لها نظير فيمـــا مضى .

ويرى العلماء ان الاجتهاد واجب عينى على كل انسان تعرض لـــه حادثة ويخاف موتها ، وكفائى على كل مسئول عرضت له حادثة ولم يخـــف موتها وهناك غيره من المجتهدين ، ويندب الاجتهاد عنـــد الســـؤال عن قضية أو مسألة لم تحدث بعد .

بيد انه من الأصلح والأحسن أن تكون هناك مجموعة من العلماء ذوى الكفاءة ، يقع على كاهلها مهمـــة الاجتهاد فى الأمة ، وأن الأمة تأثم وتقع فى الخطأ اذا انقطع عنهـــا الاجتهاد ، ورضيت بالتقليد الأعمى والجمود .

ويعتمد المجتهد فى استنباطـــه للأحكام على ثلاثة أمور :

أولها : المعرفة بالأدلة السمعية ، التى ترجع الى كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، والاجماع ، وما اختلف فيـــه العلماء من الأصول الأخرى .

ثانيها : التأكد من دلالة اللفظ فى اللغة العربية ، وفى استعمال البلغاء وهذه الدلالة تكون إما بالمنطوق ، أو بالمفهوم ، أو بالمعقول ، وهو القياس وأنواع الاستدلال المختلف فى حجيتها بين أئمة المسلمين

ثالثها : المقدرة على الموازنة بين الأدلة ، واختيار أرجحها وأقواها .

فلا بد اذن لمن يرغب أن يكون مجتهدا من أن يكون على معرفة بالكتاب ، ودراية بقراءاته ، وعلم بناسخه ومنسوخه ، وفهم للسنة النبوية الشريفة واصطلاحاتها ، ودرجاتها ، ومركزها من القرآن الكريم ، ولا بد أيضا من أن يكون ملما بعلم الأصول واللغة ، وآراء الفقهاء ، وأسباب اختلافهم ، وطرق الاستدلال السمعية والعقلية ومقاصد الشريعة.

ويرى الشاطبى فى كتابه « الموافقات » أن درجة الاجتهاد إنما تحصل ممن اتصف بوصفين :

الأول : فهم مقاصد الشريعة على كمالها .

الثانى : التمكن من استنباط الأحكام بناء على فهمه لمقاصد الشريعة .

فالمقاصد الشرعية هى الأساس ، فاذا وصل المجتهد الى ادراك قصد الشارع فى كل مسألة ، فقد تمكن من الوصول الى أن يطلق عليه وصف خليفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى توضيح وتبيين الخطاب الإلهى فى التعليم والفتوى .

ولا يلزم المجتهد فى الأحكام الشرعية أن يكون مجتهدا فى كل علم يتعلق به الاجتهاد على الجملة ، بل الأمر ينقسم ، فان كان له علم لا يمكن أن يحصل وصف الاجتهاد بكنهه إلا عن طريقه ، فلا بد أن يكون على علم به حتى يكون مجتهدا فيه ، وما عدا ذلك من العلوم فلا يلزم ذلك فيه وإن كان العلم به معينا فيه ، ولكن لا يخل التقليد فيه بحقيقة الاجتهاد .

الاجتهاد فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم :

إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يفارق الحياة الدنيا الا بعد أن تكامل بناء الشريعة الاسلامية ، فما كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم مما ثبت باجتهاد الصحابة والتابعين لا يعد تشريعا فى الحقيقة ، بل هو توسيع فى تبسيط القواعد الكلية ، وتطبيق ذلك على الأحداث الجزئية المتجددة ، واستنباط للأحكام بفهمها والقياس عليها فيما لم يرد فيه نص من كتاب او سنة .

وقد ثبت أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان مأذونا بالاجتهاد ، وأنه قد وقع منه بالفعل ، وفى مواضع كثيرة كان لا بد فيها من الاجتهاد ، ومما ينبغى أن يعرف أن اجتهاد الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى الأحكام أساسه القرآن الكريم ، وما بثه فى نفسه من روح التشريع ومبادئه فهو يستند فى تشريعه الأحكام الى تطبيق المبادىء العامة لتشريع القرآن الكريم ، لترجع أحكام السنة الى أحكام القرآن الكريم ، ومن ثم لا يقع بين أحكام القرآن الكريم واحكام السنة النبوية الشريفة أى تخالف أو تعارض .

فمن مواضع الاجتهاد التى يشهد بها القرآن الكريم ، أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه استشار أصحابه فيما يصنعه بأسرى « بدر » ، فأشار أبو بكر الصديق بالفداء ، وأشار عمر بن الخطاب بقتل الأسرى ، فمال الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى رأى أبى بكر الصديق ، وبعد تنفيذ القرار فى شأن الأسرى نزل القرآن الكريم معاتبا المسلمين ، لا على ما فعلوه بالأسرى من اطلاق سراحهم والمن عليهم بالفداء كما يتوهم ، بل على نفس الأسر أثناء القتال ، أى على عمل تكتيكى حدث خلال المعركة،وهو اكتفاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه وبعض المسلمين بانهاء المعركة بأقل ما يمكن من الخسائر فى أرواح زعماء « قريش » .

ومن أمثلة أجتهاد الرسول صلى

الله عليه وسلم التى تعتمد على القياس وتعتبره من المدارك الشرعية، أن امرأة جاءته وقالت : « يا رسول الله : ان أمى ماتت وعليها صوم نذر ، افأصوم عنها ؟ فقال : أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان يجزىء عنها ؟ قالت : نعم . فقال صلوات الله وسلامه عليه : فدين الله أحق أن يقضى » .

ومن ذلك أيضا أن رجلا وضعت زوجته ولدا أسود فأنكره ، فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه للرجل : « هل لك من إبل حمر فيها أورق ؟ » ، قال : نعم . فقال له صلى الله عليه وسلم : « فمن أين ؟ » ، قال لعله نزعة عرق . فقال صلى الله عليه وسلم : « وهذا لعله نزعة عرق » .

وكان الرسول الكريم يأمر أصحابه بالاجتهاد ، وقد تعددت وقائع الاجتهاد من الصحابة فى حضرته وفى غيبته ، فكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقرهم على ما أصابوا ، وينكر عليهم ما أخطأوا ، فقد حكم الرسول الكريم سعد بن معاذ فى يهود « بنى قريظة » بناء على طلبهم ، وارتضائهم لحكمه وتنفيذهم له . فحكم سعد بأن يقتل الرجال ، وتسبى النساء والأطفال،وتصادر الأموال والممتلكات فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات ، لقد رضى بحكمك هذا الله والمؤمنون ، وبه أمرت » .

وقد قاس سعد بن معاذ حكمه على اليهود على المحاربين الذين ذكرهم القرآن الكريم فى قوله تبارك وتعالى « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » .

وروى عن عمرو بن العاص أنه قال : « جاء خصمان يختصمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لى : يا عمرو ! اقض بينهما . قلت : أنت أولى بذلك منى يا نبى الله . قال : وان كان . قلت : على ماذا أقضى ؟ قال : ان أصبت القضاء بينهما فلك عشر حسنات ، وإن اجتهدت فأخطأت فلك حسنة » .

وقتل أبو قتادة رجلا من المشركين ، فأخذ سلبه غيره ، فقال أبو بكر : « لا نقصد الى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فنعطيك سلبه ،اردد عليه سلب قتيله » ، فقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « صدق ، اردد عليه سلبه » .

الاجتهاد فى زمن الخلفاء الراشدين

عقب وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وانقطاع الوحى ، انتقلت قيادة الأمة الاسلاميةفى الأمور الدينية والدنيوية الى الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة ، فاضطلعوا بهذا الواجب ونهضوا بهذا العبء .

وقد مضوا على هذه الخطة ، فكان أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — اذا ورد عليه حكم نظر فى كتاب الله عز وجل ، فان وجد فيه ما يقضى به قضى به، وان لم يجد فىكتاب الله عز وجل نظر فى سنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فان وجد فيها ما يقضى به يقضى به ، وان لم يجد فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقضى به ، جمع كبار المسلمين واستشارهم . فاذا اجتمع رأيهم على شىء قضى به .

وكان عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — يفعل ذلك ، ويكتب به الى قضاته فى الأقاليم ، فقد كتب الى أبى موسى الأشعرى قاضيه بـ « البصرة » يقول : « القضاء فريضة محكمة أو سنة متبعة » ، ثم قال : « الفهم الفهم

فيما تلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة . اعرف الأشباه والأمثال ، وقس الأمور عند ذلك ، واعمد الى اقربها الى الله واشبهها بالحق » .

وقال لشريح حينما ولاه قضاء مدينة « الكوفة » : « اقض بما استبان لك من قضاء رسول الله ، فان لم تعلم كل اقضية رسول الله فاقض بما استبان لك من قضاء أئمته المجتهدين، فان لم تعلم كل ما قضت به الأئمة المجتهدون فاجتهد رأيك ، واستشر اهل العلم والصلاح » .

هـــذه هـــى خطة الاسلام فى الحكم على الأمور ، إما العمل بما فى كتاب الله عز وجل ، وإما العمل بما فى سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وإما الرجـوع الـى الاجتهاد فى تطبيق القواعد العامة والعمل بروح الشريعة الاسلامية .

وقد كان الصحابة ــ رضوان الله عليهم اجمعين ــ يرجعـــون فى اجتهادهم الى قاعدتين هامتين : ــ

الأولى : قياس الأشباه على النظائر فاذا عرضت لهم حادثة وقع مثلها فى عهد الرسول صلوات الله وسلامـه عليه ، وحكم فيها الرسول الكريم بما جاء فى القرآن الكريم ، أو حكم فيها برايه ، حكموا فى الحادثـة التى عرضت لهم بمثل الحكم فـى الحادثة لأولى .

الثانية : رعاية مصالح النـــاس وتحقيق ما فيه الخير لهم ، والعمـل على إقامة مجتمع تسوده الألفــة والمودة والمحبة والسلام ، هذا اذا لم يكن للحادثة نظير سابق .

ولم يكن الصحابة فى اجتهادهـم تسودهم روح التزمت أو الجمـود ، بل كانوا يعلمـــون أن للشريعــة الاسلامية أحكاما يجب تحقيقهــا ، ومصالح تجب رعايتها حق الرعاية ، ومع ذلك فلم يجرؤ أى منهم أن يجزم بأن ما وصل اليه هو حكم الله عــز وجل ، وأنه الحق والصواب وما عداه خطأ وباطل ، بل كانوا دائما يجهرون بقولهم : « ان كان صوابا فمـن الله ، وان كان خطــأ فمن أنفسهم ومـن الشيطان » ، وهذا أبو بكر الصديق يقول عندما سئل عن الكلالة : « اقول فى الكلالة برأيى،فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطـأ فمنى ومن الشيطان ، الكلالة ما عـدا الوالد والولد » .

ولقد سئل عبد الله بن مسعود عن المرأة التى تزوجت ، ولم يفرض لهـا زوجها صداقا ، وتوفى قبل أن يدخل بها فقال : « أقول فيها برايى ، لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط ، فان يـكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان » ، وقد وافق اجتهاده ماقضى به الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى بروع بنت واشق الأسلمية .

ان الخلفاء الراشدين قد واجهوا مهمة شاقة وصعبة ، لأن الفتوحات الاسلامية قد اتسعت اتساعا كبيرا ، وامتد نفوذ العـــرب الى ما وراء « الجزيرة العربية » ، ودخل الناس من كل جنس ولون فى دين الله افواجا وارتفعت الراية الاسلامية فوق دول وشعوب مختلفة .

ووجد المسلمون انفسهم أمـــام احداث ووقائع ليس لهم سابق عـلم بها ، فلكل بلد عاداته وتقاليـــده ، وأخلاقه ونظمه التى اتخذ منها قواعد يسير عليها فى معاملاته ومبادلاته ، فدعاهم ذلك الى البحث عن أحكام لكل ما يطرأ لهم من مسائل فى كتاب الله عز وجل ، وفى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الكتـــاب والسنة لم ينصا على كل ما نزل وينزل بالمسلمين من أحداث ووقائع ، فكان من اللازم والضرورى أن يجتهد ائمة المسلمين فى تطبيق القواعد الكليـة

المقررة فى الكتاب والسنة ، على هذه الأحداث والوقائع الجزئية .

وقد مهد لهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه طريق الاجتهاد ومرنهم عليه ، وأثابهم عليه فى حالتى الخطأ والصواب ، فبذلوا أقصى ما فى وسعهم فى استنباط الأحكام لكل ما يجد من الحوادث ، فنظروا فى النصوص ودلالاتها ، فقاسوا واستحسنوا .

فمن أول ما صادف المسلمين وواجههم عقب وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه من الأحداث والوقائع التى لم يكن لها نظير ولا شبيه فى عهده « مسألة المرتدين » ، فقد امتنع هؤلاء المرتدون عن ايتاء الزكاة ، مع اقامتهم للصلاة واقرارهم بالاسلام ، فرأى أبو بكر الصديق أن يقاتلهم حتى يؤدوا ما كانوا يؤدونه للرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ورأى عمر بن الخطاب عدم مقاتلتهم ، وقال : « كيف نقاتلهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله الا الله . فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها » ، فقال له أبو بكر : « ألم يقل إلا بحقها ؟ فمن حقها ايتاء الزكاة ، كما أن من حقها اقامة الصلاة » ، قال عمر : « فوالله ما هو الا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق » .

وتهافت المسلمون فى قتال المرتدين وقتل من حفظة القرآن الكريم وقرائه عدد كبير ، فخشى عمر بن الخطاب أن يضيع القرآن الكريم بموت حفظته ، فعرض على أبى بكر الصديق أن يجمع القرآن الكريم فى مصحف ، فنفر أبو بكر من هذا الرأى وقال : « أفعل ما لم يفعل رسول الله ؟ » ، وأرسل الى زيد بن ثابت وعرض عليه اقتراح عمر فنفر هو الآخر من هذا الاقتراح وقال مثل ما قال أبو بكر ، ولكن عمر بن الخطاب بين لهما أن هذا الاقتراح لا ضرر فيه ، بل على العكس فيه الخير للاسلام والمسلمين ، فلم ير أبو بكر الصديق بدا من تلبية نداء مستشاره وتنفيذ اقتراح ساعده الايمن ، ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى وحرصا على كتابه ، فأمر بتشكيل لجنة من الصحابة وجعل على رأسها زيد بن ثابت ، الذى كان يمتاز بالكفاءة والنزاهة ، والذكاء وطهارة القلب ، فجمع القرآن الكريم من الرقاع والعسب وصدور الرجال ، وقد ضم اليه أبو بكر سالم مولى أبى حذيفة ، وكان من كتاب الوحى ، ليعاونه فى جمع القرآن الكريم ، وعهد بتدوينه الى زيد بن ثابت .

وقال أبو بكر لعمر وزيد : « اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على كتاب الله فاكتباه » ، وبذل زيد كل جهده فى جمع القرآن الكريم ، ووجد الآيتين الأخيرتين من سورة « التوبة » مع خزيمة بن ثابت ولم يجدهما مع غيره ، وهاتان الآيتان هما : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ، فان تولوا فقل: حسبى الله لا إله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

وتم جمع القرآن الكريم فى كتاب روعيت فيه الدقة التامة فى كتابته ، وقد حفظت الصحف المدون بها القرآن الكريم عند أبى بكر الصديق ، ثم عند عمر بن الخطاب الذى عهد بها الى ابنته السيدة حفصة زوجة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، لأنه لم يكن قد بويع لاحد بالخلافة بعد عمر ابن الخطاب فى ذلك الوقت .

لقد واجه عمر بن الخطاب فى خلافته من الأحداث ما لم يواجهه احد غيره ، ففى عهده فتحت البلاد ، وخضعت لسلطان المسلمين ونفوذهم دول ذات مدنيات قديمة ، ولعل هذا كان احد أسباب امتياز عمر بسعة الأفق ، فقد اجتهد فى تعرف المصلحة التى يهدف إليها النص ، واسترشد بهذه المصلحة فى احكامه التى كان

يحكم بها ، أى كان يعمـــل بروح الشريعة الاسلاميه لا بحرفيتها .

روى عن حذيفة بن اليمان أنه تزوج من يهودية بـ « المدائن » . وعندما علم عمر بذلك طلب منه أن يخلى سبيلها ، فأرسل اليه حذيفة يسأله : « أحرام هى يا أمير المؤمنين ؟ » ، فجاءه رد عمر يقول : « أعزم عليك الا تضــع كتابى هذا حتى تخلى سبيلها ، فانى أخاف أن يقتدى بـــك المسلمون ، فيختاروا أهل الذمة لجمالهن ، وكفى بذلك فتنة لنساء المسلمين » ، وقــد أخذ بهذا محمد صاحب الامام أبــى حنيفة ، وان كان ليس حراما .

وروى ابن عباس أن الطلاق الثلاث دفعة واحدة كان يعد طلقة واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر الصديق ، وسنتين من خلافة عمر بن الخطاب ، ثم وجد عمر أن الناس قد أكثروا منه مخالفين بذلك شريعة الله عز وجل ؛ فقال : « ان الناس قد استعجلوا فى أمر كـــان لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ؟ » ، فأمضاه عليهم تأديبا للمطلقين ، وزجرا لغيرهم فلم يعد يقبل مـــن أى شخص حلف بالطلاق ثلاثا دفعة واحدة أنه اراد تأكيد لفظ الطلاق الاول باللفظين التاليين له ، وذلك لتغير حال الناس عما كانوا عليه قبل ذلك من التزام القول الحق والتمسك بالصدق .

ومن اجتهادات عمر أنه أوقف اقامة الحد على السارق ، وذلك عنــدما حلت المجاعة بالنـــاس فى (عام الرمادة) وكثر السراق ، لأنه رأى أن المصلحة المرجوة من العقوبة لا تتحقق فى وقت حلت فيه مجاعة بين المسلمين قد تلجئهم الى أكل الحرام .

ومن اجتهاداته ايضـا أنه منع اعطاء المؤلفة قلوبهم نصيبهم المفروض فى الزكاة ، كما فى قوله تبـــارك وتعالى : « انما الصدقات للفقراء والمســاكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم » ، لأنه فهم ان المقصود من اعطاء المؤلفة قلوبهم نصــيبا من الزكاة هو اعزاز الاسلام ، وتكثير سوادهم ، أما وقد أصبح الاسلام عزيزا قويا ، فيصير الاعطـــاء على هذا الشكل فيه ذلة وخنوع ، فمنعه لأنه يريد العزة للمسلمين التى ارادها الاسلام لهم .

وهناك أمور ومسائل كثيرة كان يجتهد فيها عمر بن الخطـــاب ، وأصحاب الرســـول صلوات الله وســـلامه عليه يمدونه بالرأى ويؤازرونه بالمشورة .

ولقد كان عمر بن الخطاب أول من قرر قاعدة اختـــلاف الاحكام الاجتهادية باختلاف البيئات والبلاد ، وهى نتيجة ضرورية لازمة لاتســاع رقعة الاراضى الاســلامية ، وتفرق الصحابة فيها ، واختلاف البلاد التى دخلت فى الاســـلام فى الأحداث والمشاكل .

الاجتهاد فى عصر التقليد :

فى هذه المرحلة اتســعت رقعة الدولة الاسلامية اتســاعا كبيرا ، وانتظمت بلادا وشــعوبا مختلفة فى العادات والتقاليد ، والمعــاملات والحضارات ، وبث غير العرب ممن دخلوا بين المسلمين الكثير من علومهم وبحوثهم ، وفتحـــوا للعقول ابوابا عديدة من التفكير ؛ فــكان من أثر اختلاطهم بالعرب أن قامت نهضـــة عقلية عظيمة ، فنشط الاجتهاد نشاطا كبيرا واتسعت دائرته ، واتجـــه المجتهدون الى ما لم يتسع له زمن أسلافهم ولم تتهيأ لهم أســـبابه ، وأصبح الفقهاء يفترضـــون الاحداث التى لم تقع ، ويستخدمون وسائل اجتهـــادهم فى تعرف الأحكام لتلك الفرضـــيات ، حتى اصبحت عادات الناس على اختلاف أحوالهم وتعدد أممهم محكومة بالفقه ومتصلة به ،

ولم تعد الفوارق الاقليمية تباعد أو تفرق بينهم ، فالروابط التشريعية جعلت منهم أمة واحدة فى التقاليد والمظاهر الشرعية .

واستمر علماء المسلمين فى اجتهادهم فى شتى الاقطار ، حتى اخذت المذاهب الفقهية تنتشر وتتميز بصفاتها ، ويتخذ كل مذهب طابعه الخاص به ، وابتدأ الناس يتحيزون كل الى المذهب الذى يختاره ، ولم يكد ينتهى عصر الدولة العباسية حتى انحصرت المذاهب المتعددة فى أربعة مذاهب فقهية هى : المذهب الحنفى ، والمذهب الشافعى ، والمذهب المالكى ، والمذهب الحنبلى .

ثم تلا ذلك فترة من الركود والجمود أقفل فيها باب الاجتهاد وانقطع ، وكان هذا الركود والجمود من اسباب انتقاص سلطة القضاء الشرعى ، وقصره على ما يسمى الآن بالأحوال الشخصية ، وفى اقتباس الأحكام والقوانين الاخرى من القوانين الاجنبية .

وقد حذر الرسول صلوات الله وسلامه عليه من الوقوع فى انقطاع الاجتهاد ، وأمر بالحرص على وجود المجتهدين فى كل عصر من العصور ، بقوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء ، ولكن يقبضه بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسا جهالا سئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا واضلوا » .

الاجتهاد فى عصر النهضة الحديثة :

وفى عصر النهضة الحديثة أحس الناس فى بعض البلاد بما فى الاقتصار على العمل ببعض المذاهب ، فى أجزاء من المسائل التى تواجهها من ضيق وبعد عن مجاراة الاصلاح الذى تنشده ، على ما فى الشريعة الاسلامية من يسر ومرونة وسهولة ورعاية لمصالح الأفراد والجماعات ، فاتجهت الأفكار الى الاقتباس من الاحكام الشرعية من آراء علماء الشريعة الاسلامية على اختلاف مذاهبهم ، متى كان فى هذا الاقتباس تحقيق لمصالح الناس ، ولا يناقض أصلا من أصول الشريعة الاسلامية ، وبهذا العمل ثبت الدليل العملى على مرونة الفقه الاسلامى ، وعلى كثرة ما يحتويه من بحوث قيمة فى شتى المجالات .

ان الاجتهاد هو العلم الذى وضعه الاسلام ليشرك به المجتهدين الأكفاء فى التشريع ، وهو ما يجعل الشريعة الاسلامية قابلة للتطور والدوران مع المصلحة العامة والخاصة فى جميع العصور ، وفى كل الجهات ، وهو ما يوفق بين ادعاء المسلمين أن الشريعة الاسلامية قد تمت فى زمن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وبين حاجة المجتمعات الى أحكام للقضايا التى تحدث والتى ليس فيها نص سابق من قرآن أو سنة .

وعدم ادراك المستشرقين لمغزى الاجتهاد وكنهه ، وفضله وعظمه ، هو الذى جعلهم يقولون : ان الشرع الاسلامى محكوم عليه بالجمود، لمجرد كونه قد تم وضعه بالوحى فى زمن الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

هذه هى الشريعة الاسلامية التى فتحت باب الاجتهاد على مصراعيه ، بل أوجبته فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة ، بشرط أن يجرى ذلك فى ظل القواعد العامة التى تقر الحق والعدل ، وتعترف باختلاف الأحكام الجزئية باختلاف البيئات مراعاة لاختلاف عادات الناس وتقاليدهم ، ونظمهم ، وأساليب حياتهم .



الحكم الشرعي

وأقسامه وطرق التعرف عليه

للدكتور : محمد سلام مدكور

الحكم له اطلاقات تختلف باختلاف العلوم ، فيطلق فى العرف . على اثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، كالحكم بأن الشمس مشرقة أو ليست مشرقة لان فى ذلك اثبات شروق الشمس وعدمه .

والحكم فى اللغة :جاء فى القاموس الحكم : القضاء ، وحكم عليه بالأمر حكما وحكومة وحاكمه دعاه الى الحاكم ، ويقول أبن فرحون الفقيه المالكى المتوفى سنة ٧٩٩ هـ : ان الحكم فى مادته بمعنى المنع ومنه حكمت السفيه اذا أخذت على يده ومنه سمى الحاكم حاكما لمنعه الظالم من ظلمه .

وقد أستعمل لفظ الحكم فى القرآن فى نحو مائة موضع ترجع فى جملتها الى القضاء والفصل لمنع العدوان والظلم فمن ذلك قوله تعالى : « يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق » وقوله « وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط » .

وقد ورد لفظ حكم بهذا المعنى أيضا فى السنة النبوية فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر (١) » وقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه أحمد فى مسنده وأبو نعيم فى الحلية عن السيدة عائشة رضى الله عنها : « هل تدرون من السابقون الى ظل الله يوم القيامة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : الذين اذا أعطوا الحق قبلوه ، واذا سئلوا بذلوه واذا حكموا للمسلمين حكموا كحكمهم لأنفسهم » . وانما سمى من يتولى الشئون العامة حاكما لأنه هو الذى يفصل فى كل ما يتعلق بأمور الدولة مباشرة أو بواسطة نوابه وأعوانه .

وما أوردنا لمعنى كلمة حكم هو الاستعمال الشائع الدارج فى اللغة ومع هذا فقد استعملت فيها بمعان أخر كما يروى ابن منظور فى لسان العرب « الحكم : الحكمة من العلم ، والحكيم العالم والحكم العلم والثقة ومن ذلك قوله تعالى « وآتيناه الحكم صبيا » ، وقوله « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » .

الحكم الشرعى عند الأصوليين :
الأصوليون من أهل السنة يعرفون الحكم الشرعى بأنه خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء أو تخييرا أو وضعا . فقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » حكم من الشارع بذلك ، وقوله « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » حكم منه بذلك .

ويقرب من الحكم عند الاصوليين الحكم فى الاصطلاح القضائى لأنه عندهم الصيغة التى يصدرها القاضى للدلالة على ما فصل به فى موضوع النزاع ، ولذا يقال على العبارة التى ينطق بها القاضى عند الفصل فى الدعوى « منطوق الحكم » ، كما يقال « تأجلت القضية للنطق بالحكم »

ويقابل الحكم الشرعى عند الأصوليين فى الجملة ما يسمى بالقاعدة القانونية عند رجال القانون وهى عبارة عن تكليف صادر الى الافراد تتوجه به سلطة تملك التكليف والأمر دون تعقيب ، وتكفل احترامها سلطة عامة فى الجماعة عن طريق ما يتوافر لديها من قوى مادية لا تغلب .

فالقاعدة القانونية عندهم هى القانون الوضعى اذ تنظم الروابط الاجتماعية ويصحبها الجزاء الذى توقعه الدولة . وواضح أن القانون الوضعى انما يتناول علاقة الافراد بعضهم ببعض أو بالجماعة أو علاقة الجماعات بعضها ببعض وأن الجزاء فيه قاصر على ما توقعه الدولة . بينما الحكم الشرعى ينظم علاقة الفرد بخالقه فوق تنظيمه الروابط الاجتماعية ، كما أنه أرصد جزاء أخرويا لمن يخالفه وثوابا لمن يطيعه .

الحكم الشرعى عند الفقهاء : يطلق المشتغلون بالفقه الاسلامى الحكم على الاثر المترتب على خطاب الشارع لاعلى نفس الخطاب الذى يعتبرونه دليلا . فيقولون الصلاة حكمها الوجوب ودليل ذلك قول الله تعالى (وأقيموا الصلاة) ، وقربان الزنى حرام بدليل نهى الله سبحانه عن الاقتراب منه فى قوله جل شأنه : « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » .

وتقييد الحكم بكونه شرعيا أى منسوبا الى الشارع سواء أكان الحكم صادرا منه مباشرة أم بواسطة اجتهاد المجتهدين . اذ المجتهد لا ينشىء الاحكام باجتهاده ، وانما يلتمس أحكام الشارع التى لم ينص عليها

بواسطة الأمارات والأدلة الظنية .

نظرة المعتزلة للحكم الشرعى :

يرى المعتزلة ان الحكم الشرعى ما يثبته الشارع فى الفعل موافقا لما فيه من صفه اذ النصوص عندهم كاشفة للأحكام ، وأن العقل يستقل بادراكها . وهذا بناء على مذهبهم وفى التحسين والتقبيح العقليين . اذ يرون أن الافعال تنقسم الى حسنة وقبيحة فمنها مايدرك بضرورة العقل كحسن انقاذ الغرقى والهلكى وكقبح الكفر وايلام البرىء ، ومنها ما يدرك بنظر العقل كحسن الصدق الضار وقبح الكذب النافع ، ومنها ما يدرك بالسمع كالعبادات .

فالعقل عندهم يمكن ان ينفرد بمعرفة حكم الله فى الجملة من غير وساطة كتبه ورسله بناء على ما فى الأفعال من صفات وآثار تبين وجه النفع أو الضرر ، وقالوا : ان حكم الله فى أفعال المكلفين هو على حسب ذلك النفع أو الضرر ، وعلى وفق ما يدركه العقل من حسن أو قبح واذا لم يدرك العقل شيئا من ذلك توقف حتى يرد حكم الشرع .

أقسام الحكم عند الاصوليين : يبين من التعريف الذى قدمناه عنهم للحكم الشرعى . أن تعلق خطاب الشارع بفعل المكلف ينقسم الى ثلاثة أقسام :

١ ـ تعلق على وجه الاقتضاء الذى هو الطلب سواء أكان طلب الفعل جازما وهو ما يسمى بالايجاب أو الوجوب ، أو غير جازم وهو ما يسمى بالندب ، أو كان طلب الترك جازما وهو ما يسمى بالتحريم أو الحرمة ، أو غير جازم وهو ما يسمى بالكراهة

٢ ـ تعلق على وجه التخيير بين فعل الشىء أو تركه دون ترجيح لأحد الجانبين على الآخر والذى يترتب على هذا هو الاباحة فيصير المكلف مخيرا بين فعل الشىء وتركه ويسمى الفعل مباحا . **وقد سبق أن أفردنا لهذا القسم بعض مقالات نشرت من قبل فى المجلة .**

٣ ـ تعلق على وجه الوضع بجعل الشىء سببا أو شرطا أو مانعا ويرى بعض الاصوليين أن كون الفعل صحيحا أو غير صحيح من هذا النوع

أقسام الحكم الشرعى عند الفقهاء :

١ ـ أحكام شرعية علمية أى نظرية وهى المتعلقة بالعقائد كوجوب الايمان بالله وبرسله والبعث والحساب والايمان بأن القرآن حجة اذ كل هذه الأحكام المقصود منها الاعتقاد دون العمل فهى غير متعلقة بأفعال المكلفين وانما بعقائدهم ولذا سمى هذا النوع من الأحكام « بالاحكام الاعتقادية » .

٢ ـ أحكام شرعية وجدانية : تتعلق بالاخلاق وما يجب أن تكون عليه نفوس الناس ، وقد شرعت هذه الأحكام لتحاط العقيدة بالأخلاق الفاضلة المهذبة للنفس والمقومة للشخصية الفردية فالحكم بأن أكرمكم عند الله اتقاكم ، والحكم بأن القول المعروف والمغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والحكم بأنه اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا ، والحكم برد التحية بأحسن منها ، والحكم بأن الصدق واجب والكذب حرام الى غير ذلك من الاحكام فانها كلها لا تتعلق بأفعال المكلفين التى يؤاخذ عليها المرء فى الدنيا .

٣ ـ أحكام شرعية تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال

وتصرفات سواء أكانت من العبادات او المعاملات أو الجنايات ، وسواء أكانت تتعلق بالأفراد أو الجماعات فى الحرب أو السلم وهــذه الأحكام كالوجوب والندب والحظر والكراهــة وإباحة الشيء وترك المكلف حـرا فى اختيار فعله أو تركه ، ومنها الأحكام التى توصف بها العبادة بأنها قضاء أو أداء والتى يوصف بها العقد بأنه صحيح أو فاسد الى غير ذلك . وهذا النوع هو الذى يسمى بالأحكـــام الشرعيـــة العملية لتعلقها بأعمـــال المكلفين . وهذا النوع من الاحكـــام هو موضوع علم الفقه .

طريق معرفة الأحكام الشرعيـــة العملية :

تحتاج الاحكام الشرعية العمليــة فى معرفتها الى التأمل والفهـــم ،وبتفاوت الناس فى الفهم تتفـــاوت مراتبهم فى الفقه والتعرف على هــذا النوع من الاحكام .

وهذه الأحكام وان كانت كغيرهـــا من الأحكام الشرعية تؤخذ من الوحى كتابا كان أو سنة الا أن الفقيه اذا لم تسعفه النصوص الموحى بها لجأ الى استلهام روح الشريعة ومقاصدها .

وفى هذا أكبر مجال للاجتهاد .

والأدلة التى تؤخذ منها الأحكـــام الشرعية العملية منها ما هو دليـــل كلى اجمالى لم يعين فيه شيء خاص وهذا كما يطلق علـــى المصــــادر الأصلية وما يتفرع عليها ، يطـــلق أيضا على القواعد الاصولية ، ومنها ما هو دليل جزئى يبين حكما معينـــا ويتعلق بمسألة بخصوصها كالدليل الذى يبين نصيب الزوج والاب والأم وغيرهم فى الميراث وهو قوله تعالى « ولكم نصـــف ما ترك أزواجكـــم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولـــد فلكم الربع مما تركن » وقوله سبحانه « ولأبويه لـــكل واحـــــد منهمـــا السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمـــه الثلث » وكالدليل الذى يبين تحريـــم الزواج بالأخت الرضاعية وهو قوله تعالى فى آيـــة المحـــــرمات مـــن النساء « .. وأخواتكم من الرضاعة»

والأحكام الشرعية العملية اما أن تكون مستقاة من نصوص مقطـــوع بثبوتها ومقطوع بدلالتها على الأحكام أوحى بها كذلك لحوادث وخصومات اقتضت بيان أحكامها حين وقوعهـــا كفريضة الصلاة والصوم والوفــــاء بالعقود فالنص القرآنى باقامة الصلاة والوفاء بالعقد وصوم رمضان مقطوع بثبوته ومقطوع بدلالته ، والسنـــة الفعلية بعدد الركعات وبيان مواقيت الصلاة مقطوع بثبوتها وبدلالتها .

كما تكون الأحكام الشرعية العملية مستقاة من غير نص لكن المجتهـــدين فى عصر أجمعوا عليها مثل إجماعهم على توريث الجدات الســــدس ، واجماعهم على منع توريث ابن الابن مع وجود الابن .

وهذان النوعان من الأحكام لا يجوز مخالفتهما بحال ولا الخروج عليهما اذ هى أحكام لازمـــة لا تقبـــــل النقض وليست محلا للاجتهاد لأن دليلهـــا لا يحتمل الشك لقطعية ثبوتـــــه ولا التأويل لقطعية دلالته .

وقد تكون الأحكام الشرعيــــة العملية مستقاة من نصوص ظنيـــة الدلالة كقوله تعالـــى « والمطلقـــات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قـــروء » اذ القرء لفظ مشترك يفيد فى اللغة معنى الطهر كما يفيـــــد معنى الحيض . فالقول بأن عدة المطلقة ثلاثة أطهار أو ثلاث حيضات كلاهما مستنبط من دليل ظنى فى دلالته وان كان قطعى الثبوت . ولذا كان ذلك محل اختلاف الفقهاء .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين .. » فان الآية وان كانت مقطوعا بها من ناحية الثبوت الا أن دلالتها على ما يجب مسحه من الرأس ظنية ، كما أن دلالتها على الترتيب عند من يقول به أيضا ظنية فكان مجالا للاختلافات الفقهية .

وقد تكون الأحكام الشرعية العملية مستقاة من نصوص ظنية الثبوت . فأخبار الآحاد من السنة دليل ظني في نسبتها الى الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم تكن هناك قرائن تقطع بذلك على تفصيل مبين في موضعه . ومع هذا فقد تكون دلالة بعض الاخبار قطعية وينحصر التثبت منها فقط في السند ومدى صحة نسبتها للرسول صلى الله عليه وسلم وقد تكون دلالة بعضها ظنية أيضا وهذا مجال الاختلاف فيه فسيح اذ يختلف الفقهاء في القيود التي يشترطونها للتثبت من صحة نسبة الخبر للأخذ به ، اذ أن السنة لم تكتب في عصر الرسول ولم يحرص الصحابة على حفظها حرصهم على حفظ القرآن ، فضلا عن أن الرسول أذن لهم في روايتها بالمعنى لمن له قدرة على اصابة المعنى ، كما أن السنة كانت غالبا تصدر عندما يتطلبها البيان أو تدعو اليها الحاجة وقد يحدث ذلك والرسول في بيته أو في المسجد أو في مكان آخر ولم يكن بحضرته الا واحد أو نفر قليل يعلم ما صدر في المسألة من سنة ، فلما مات الرسول عليه الصلاة والسلام وتفرق الصحابة في البلاد كانت تعرض القضية في المدينة أو في غيرها فإن كان عند الصحابة الحاضرين فيها سنة حكموا بها ، وقد يروى أثرا في مسألة أحد الرواة ولم يثق بروايته غيره ومن ذلك استحقاق المطلقة بائنا نفقة العدة وأجرة المسكن فقال عمر بن الخطاب انها تستحق وتبعه في ذلك جمع من الصحابة استنادا الى عموم النص في قوله تعالى « اسكنوهن من حيث سكنتم .. » وقوله « لا تخرجوهن من بيوتهن .. » والاحتباس يوجب النفقة .

بينما يرى ابن عباس أنها لا تستحق وتبعه في هذا البعض استنادا الى ما روته فاطمة بنت قبيس فقد طلقها زوجها طلاقا بائنا وهو غائب ، ولما سألته النفقة قال : والله مالك علينا شيء . فلما سألت الرسول قال : ليس لك عليه نفقة . ولما علم عمر بذلك قال : لم نسمع هذا الحديث ولا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندري حفظت أو نسيت .

كما يختلف الفقهاء فيما يدل عليه الحديث من أحكام ومن ذلك ما روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال « لا صلاة الا بفاتحة الكتاب » فان هذا الحديث دلالته ظنية اذ يحتمل أن يكون المراد لا صلاة صحيحة أو لا صلاة كاملة كما فهم الحنفية .

ومن ذلك اختلافهم في مفاد حديث فرض رسول الله زكاة الفطر في رمضان صاعا من تمر فقد فهم البعض أن كلمة فرض استعملت بمعناها الشرعي الذى هو الطلب على سبيل الالزام والتحتيم وقالوا : ان صدقة الفطر واجبة ، وفهم البعض أنها هنا بمعناها اللغوى وهو التقدير وقالوا : انها مندوبة لا واجبة وأساس هذا الخلاف هو حمل اللفظ على المعنى الشرعي أو اللغوى .

والأحكام المستقاة من نصوص ظنية على وجه العموم فيها مجال

للاجتهاد ، غير أن الاجتهاد يكون فى حدود فهم المراد من النص وترجيح أحد معانيه على الآخر دون خروج على ذلك ما دام النص قطعى للثبوت أو حفت به قرائن تجعله فى حكم المقطوع به .

وقد تكون الأحكام الشرعية لم يرد بها نص تشريعى ، ولم تكن موضع اجماع ، وانما جاءت وليدة استنباط أفراد من المجتهدين حسب ما وصلت اليه عقولهم ، ومن الواضح أن مجال الاجتهاد فيه أبعد واختلاف الرأى فيه أوسع اذ العقول متفاوتة والاتجاهات متغايرة ، والعوامل الخارجية التى تؤثر على منهج الفقيه فى الاستنباط مختلفة ، والحكم الشرعى الذى ينتهى اليه أحدهم من هذا يكون حكما ظنيا حتى اذا اتصل به أمر ولى الامر فان حجتيه تكون قاصرة على عصره ما لم يصر حكما اجماعيا ..

وكان لكل من فقهاء الصحابة والتابعين خاصة منهجه الخاص فى استنباط الاحكام عند انعدام النص فمنهم من يؤثر الاتجاه الى القياس فيعدى حكم ما فيه نص الى القياس وشبيهه مما ليس فيه نص لاشتراكهما فى العلة ، ومنهم من يؤثر الاتجاه الى مراعاة مصالح الناس ودفع الحرج عنهم ، ومنهم من يؤثر استلهام روح التشريع وأسسه العامة فى كل مسألة لم يرد فيها نص .

والأحكام الظنية ان لزمت احدا فانها تلزم المجتهد نفسه ، والمقلد الذى يستفتى فيفتى بحكمها ومع هذا فان المجتهد إذا أداه اجتهاده بعد ذلك الى خلاف ما رآه وجب عليه الأخذ بما أداه اليه اجتهاده الأخير .

ومن الأحكام الشرعية العملية التى بينتها النصوص ، والأحكام الشرعية العملية التى لم تبينها نصوص وانما دلت عليها الامارات الشرعية يتكون الفقه الاسلامى ، أو بعبارة أخرى الأحكام التى أخذت من الكتاب والسنة مباشرة ويكون مصدرها الدين والاحكام التى تؤخذ من المصادر الاخرى ويكون مصدرها الرسمى الفقه . فمن مجموعها يتكون الفقه الاسلامى . الذى يجب أن يكون مصدر القوانين فى دار الاسلام .



---

(1) هذا الحديث غير ثابت بهذا اللفظ ، ولعله مروى بالمعنى من أحاديث صحيحة جاءت فى الاقضية ، وقد اشتهر هذا النص بين الاصوليين والفقهاء : انظر كشف الخفاء مزيل الالباس ﺟ ١ ص ١٤٢ .

الحج والعمرة ودعاء الرسول

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »

للأستاذ : أحمد عبد المحسن المشاوى

مشروعية الحج والعمرة :

فرض الحج فى السنة السادسة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل قول الله تعالى « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعاملين، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين فريضة الحج بما روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال الأقرع بن حابس : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فقال : « لو قلت نعم لوجبت وما استطعتم : الحج مرة فمن زاد فتطوع » .

وكذلك كانت مشروعية العمرة من كتاب الله حيث يقول الله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » وقوله تعالى « وأتموا الحج والعمرة لله » الآية .

وكذلك من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » .

والحج فريضة محكمة ، وهو الركن الخامس فى الاسلام ، ويشير الى ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » .

فالايمان به واجب ، ويكفر ويخرج من الملة ويقام عليه الحد كفرا كل من انكر فريضة الحج ، ذلك لأنه علم من الدين بالضرورة .

أما العمرة ، فاختلفت فى حكمها مدارس الفقه الاسلامى ، فمن قائل بوجوبها ، ومن قائل باستحبابها ، وفى رأى بعضهم هى بين الواجب والمستحب ، أى هى سنة .

فمن قال بوجوبها نظر الى قوله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله » والى قوله : « واتموا الحج والعمرة لله » ، ومن قال باستحبابها أو سنتها نظر الى حديث بنى الاسلام على خمس ، ولم يذكر منهن العمرة .. وعلى كل فهى كفارة لما قبلها من الذنوب ، ويعظم ثوابها حتى يصل الى ثواب حجة كاملة ، ولكنها لا تسقط الفرض ، اذا أديت فى رمضان .. يشير الى هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم سنان الأنصارية : « ما منعك ان تحجى معنا ، قالت : كان لنا ناضحتان (أى بعيرين نستقى عليهما) فركب ابو فلانة وابنه احدهما . وترك الآخر لننضح عليها ، فقال صلى الله عليه وسلم ، فاذا كان رمضان ، فاعتمرى فيه ، فان عمرة فيه تعدل حجة » .

وعلى هذا لا يأثم من اعتقد انها دون الواجب بخلاف الحج فان من اعتقد انه دون الواجب يكفر باعتقاده .

كيف قابل المسلمون هذه الفريضة ؟ :

لقد كان المسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم فى تطلع وشوق الى دخول مكة ، حتى تكون الكلمة فى بيت الله الحرام لله وحده لا شريك له ، وكلما مر بهم الزمن كلما زاد الشوق الى أن تصل الدعوة لأهل مكة وتسكن قلوبهم ويدخلوا فى دين الله أفواجا . ومن يوم أن هاجر الرسول الى المدينة والحرب قائمة بينه وبين المشركين والتلاحم قائم فى كل عام ، فغزوة بدر ، وغزوة أحد ، وغزوة الخندق من المعارك التى كان فيها الالتحام والقتال ، ثم صلح الحديبية الذى فيه أقر الطرفان بوضع الحرب بينهما عشر سنوات يبعد الأمل ويزيد الشوق الى ما يريده المسلمون من دخول مكة دخولا باسلام أكبر من أن يدخلوها بعمرة .

وتجىء فرضية الحج فى السنة السادسة من الهجرة فيفرح المسلمون ويشتد فرحهم لأنهم أدركوا أن تمام الأمر قد قرب ، وأن تحقيق ما وعد الله تعالى به عبده ورسوله قد آن أوانه ، وأن مكة لا محالة مفتوحة أمام الدعوة ، وأن البيت سيخلص للمسلمين ولكلمة الله وحده لا شريك له . فكان بذلك فرحهم وأملهم ورجاؤهم عظيما وكبيرا . فهى بشارة من الله تعالى لعبده ونبيه بكمال دعوته ونصرة كلمته وتحقيق أمله ، خصوصا وان كل الفرائض قد تم فرضيتها ، فالصلاة فى مكة ، والزكاة والصوم فى المدينة ، والشهادة قائمة بها الدعوة من يوم البلاغ الأول لأهل مكة .

اعمـــال الحج والعمـــرة :

أعمال الحج عشرة : أولها الاحرام من الميقات ، ثانيها الطواف بالبيت ، ثالثها السعى بين الصفا والمروة ، رابعها الوقوف بعرفة ، خامسها المبيت بالمزدلفة سادسها المبيت بمنى ، سابعها رمى الجمرات ، ثامنها ذبح الهدى لمن عليه هدى ، تاسعها الحلق أو التقصير عاشرها طواف الافاضة .

أعمال العمرة أربعة : الاحرام من الميقات والطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة والتحلل من الاحرام بالحلق أو التقصير .

وهذه الأعمال تختلف درجتها فى الحكم بين الركن والواجب والسنـــة والاستحباب . أما الأركان فهى فى العمرة ثلاثة : الاحرام ، والطواف ، والسعى فقط . وأركان الحج هى أربعة : هذه الثلاثة ويزاد عليها الوقوف بعرفة .

وبقية الأفعال فى كل من الحج والعمرة هى بين الواجب والمستحب ويجب أن ندرك أن الواجب فى باب الحج غير الواجب فى غير الحج . فالواجب فى الحج يجبر بالدم ، وفى غير الحج هو الركن لا يجبر الا بفعله ، كالركوع فـــى الصلاة ، فانه لا يجبر بسجـــود السهو ، انما يجبر بالركعـــة كاملة .

فقه الحج والعمـــرة : لقد تكلمنا فى الأسطر السابقة عن أركـــان الحج والعمرة وذكرنا بقية الأعمال وكل ما نريد بيانه فى هذه الأسطر هو درجة ما عدا الأركان من الأحكام الفقهية .

فسنن الحج هى الغسل للاحرام ومس الطيب قبل الاحرام ونتف الابط وتلبيد الشعر وصلاة ركعتين قبل الاحرام وملازمة التلبية من الاحرام حتى رمى الجمرة الأولى ثم تنتهى التلبية فى الحج ، وأيضا تنتهى التلبية فى العمرة بعد السعى بين الصفا والمروة ، ومنها تقبيل الحجر الأسود ، واستلام الركنين ، وصلاة فى مقام ابراهيم عليه السلام ، والشرب من ماء زمزم ، ورمى الجمرات ، والهرولة فى الأشواط الأولى من الطواف ، وبين الميلين فى السعى بين الصفا والمروة ، والحلق أو التقصير وطواف الوداع ليلا ، وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام . هذه كلها دون الركن فى الحج والعمرة ، ويجبر بعضها بالدم لمن تركها عند من يقـــول بالوجوب ، وأما عند من يقول أنها مستحبة فلا دم عليه .

وقد يقع من الناس تقديم وتأخير بين الافاضة والرمى هذا لا يضر وليس فيه شىء من الفداء ، ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لما كان عند الجمرات سأله كثير من الناس عما وقع منه من تقديم لبعض أفعال الحج وتأخير لبعضها ، فكان عليه الصلاة والسلام يأمرهم باكمالها دون أن يلزمهم بكفارة . وقد بين عليه الصلاة والسلام أنه لا حرج عليهم ، وانما الحرج على مرتكب غيبة فقط فى هذا اليوم .

ما يحـــرم على الحاج والمعتمـــر : يحرم على الحاج والمعتمر بعـــد الاحرام مس الطيب والنساء ، وصيد البر والزواج ، والرفث والفسوق والجدال ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : « الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم » ــ أما صيد البحر فهو حلال ويأكل منه الحاج والمعتمر لقوله تعالى : « أحل لكم صيد البحـــر وطعامه متاعا لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما » .

ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم فى حجه الأكبر الصيد الذى يحرم على الحاج والمعتمر الأكل منه ، والصيد الذى لا يحرم ، فلقد قدم اليه صلى الله

عليه وسلم فى رحلة الحج لحم يقطر دما هدية ، فامتنع عن الأكل ، وقال لصاحبه : « نحن حـــرم » وقدم له ايضا لحم صيد فأكل منه

وهنا اشترط الفقهاء فى حلية الصيد للحاج أو المعتمر اربعة شروط : **أولها ،** الا يكون الحاج أو المعتمر هو الذى صاد الصيد بنفسه . **ثانيها** ، الا يكون قد اصطيد من أجله أو لأجله . **ثالثها** ، الا يكون قد دل عليه الصياد . **رابعها** ، الا يكون قد أعان على صيده .

اذا توافر النفى فى هذه الشروط يحل للحاج أن يأكل من الصيد ، وأما اذا فقد نفى فى هذه الشروط كأن يكون اصطيد له أو أعان عليه أو أرشد عليـــه أو اصطاده هو ، فيحرم الأكل ، وفى الأخيرة يلزم الجزاء من النعم المماثل للصيد بعد حكم ذوى العدل من الرجال . لقوله تعالى : « فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم » .

كذلك يحرم على الحاج الخطبة لنفسه أو الخطبة لغيره أو انكاح لنفسه أو انكاح غيره ووطؤه لزوجته وهو فى الاحلال الاكبر وهو الذى يقع بعـــد طواف الافاضة .

حكم الحـــائض والنفساء :

اذا حاضت المرأة أو نفست فى الحج بعد الاحرام فانها تستثفر ولا تقرب البيت ، لا بطواف ولا بسعى ، حتى ينتهى حيضها أو نفاسها .. واذا أدركها يوم عرفه تستثفر وتقف مع المسلمين يوم عرفه ، حتى لا يفوتها الحج ، ثم بعد عرفه تتم حجها ، وفى الحج لا تنقض احرامها ، وأما فى العمرة فانها تنقض احرامهـــا برؤية الدم ، ثم لما ينقطع عنها الحيض تحرم للعمرة وتتم عمرتها . ذلك لأن العمرة لا وقت لها ، أما الحج فله وقت معلوم لقوله عليه الصلاة والسلام « الحج عرفه » .

الغـــرض من الحج والعمـــرة :

أما حكمة فرضية الحج فهى مأخوذة أولا من كتاب الله تعالى ، وهى حكمـــة متعددة ، أولها : أن يشهدوا منافع لهم ، وقد فسرها العلماء بالتجارة التـــى يتبادلونها فهى منافع لكل من أهل مكة والحجيج . ثانيها : ذكر الله تعالى ، لأنه هجرة الى الله تعالى بالنسبة للرجل ، وجهاد بالنسبة للمرأة ، وفيه تلبية ، ودعاء، وصلاة ، وتكبير ، وكله ذكر لله تعالى ، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الحج العج والثج » .. أما العج فهو رفع الصوت بالتلبية، والثج إسالة دم الهدى . ثالثها : قضاء التفث ووفاء النذر ، وقد جاء ذلك فى قوله تعالى فى سورة الحج : « ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى أيـــام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » ثم يقول تعالى : « ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

ويشعر الحاج فى رحاب بيت الله تعالى بالأمن والطمأنينة من الحيـــاة وشرورها وآثامها ذلك لأنه فى حرم آمن لاتمسه فيه فتنة ولا يلزمه شيطان لأنه ضيف الله ، والله وحده هو الحامى له والحارس عليه . ومن كان فـــى هـــذه الحظوة شعر بالأمن والطمأنينة التى لا يمكن أن تصيب قلب انسان فى مكـــان غير بيت الله الحرام ، مصداقا لقوله تعالى : « ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت » .

ولا ننسى أن وقوف الحاج عند كل شعيرة من شعائر الحج تذكره مع الوقفة بتاريخها وقيمتها فى الدعوة الاسلامية . وفى الرجوع بالقلب والفكر الى الذكرى ، ذلك لمن كان له قلب أى بصيرة أو القى السمع وهو شهيد .

انها تعلم الانسان كيف يكون محمديا يتحمل مثل ما تحمل رسوله صلى الله عليه وسلم من أمانة ومسئولية عن الدعوة الى الله تعالى ، تعلمه حقيقة الجهاد حين يقف أمام أماكن المجاهدة التى شهدت جهاد رسول الله وصبر رسول الله وايمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعلمه كيف يؤمن باسلامه وبدينه ، كما كان محمد صلى الله عليه وسلم يؤمن باسلامه وبدينه ، فلقد سووم عليه بالمال والجاه والسلطان والتملك ، فقال : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

انه يتعلم كيف يكون العزم على الجهاد وكيف يكون الصدق فى الجهاد مع النفس ومع العدو حين يرى دار الندوى بيت الأرقم بن أبى الأرقم أول منتدا فى الاسلام وأول دار اقيمت فيها دعوة الله خالصة ، ويرجع بذهنه الى عدد المسلمين يومها ويذكر كلا باسمه ليرى أنه كان منهم العبد والفقير والضعيف ، ولكنهم علموا الدنيا كلها صدق الجهاد وقوة النفس ، ومضاء العزم مع قوة الايمان ، وذكر ما كان من ابراهيم خليل الله وولده اسماعيل من صبر على بناء بيت الله واقامة قواعده ، ومن صدق فى أداء الأمانة ، ومن قوة فى الحفاظ على دعـــوة الله وكلمتـــه .

انها بحق منافع عظيمة كلها تبعث فى النفس الأمل فى الأمة وفى الاســـلام وفى الحق وفى الخير الذى لا يخرج من هذه الأمة الى أمة أخرى أبدا مصداقا لقوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

دعـــوات الرسول وأماكنها فى الحـــج :

روى عن الشافعى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من تلبية فى حج أو فى عمرة سأل الله تعالى رضوانه والجنة ، واستعاذ برحمته من النار ، وعلى هذا يكون أول دعاء له عليه الصلاة والسلام بعد الاهلال من الميقات فى ذى الحليفة حيث ثبت أنه عليه السلام لبى ثم دعا ربه .

والدعاء الثانى : لما دخل عليه الصلاة والسلام المسجـــد الحـــرام من باب بنى شيبة وحين رأى الكعبة قال : « اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، واليك يعود السلام ، حينا ربنا بالسلام ، وادخلنا الجنة بسلام ، اللهم زد بيتك هــــذا تشريفا وتعظيما ومهابة وتكريما ، وزد من حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيمـــا وبرا وتكريما » .

هذا ولم يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام انه دعا فى طوافه بدعاء خـــاص الا قوله « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » .

هذا ويستحب أن يقول الطائف قبل طوافه وقبل هذه الآية كما هو مروى فى بعض الأحاديث « اللهم انى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخـــرة » ثم يقرأ الآيـــة : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخـــرة حسنة ، وقنا عـــذاب النار » ومن الأدعية المأثورة فى الطواف « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله واللـــه أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ، اللهم انى أعوذ بك من الشك والشرك والشقاق

والنفاق وسوء الأخلاق ، اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه ، واخلف على كل غائبة لى بخير » .

وعندما قرب الرسول صلى الله عليه وسلم من الصفا والمروة قرأ قول الله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » ثم رقى الصفا حتى رأى البيت ، فاستقبله وقال ثلاث مرات : « لا اله الا الله الله أكبر ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .

ثم دعا يوم عرفه وبين عليه الصلاة والسلام أن خير الدعاء دعاء عرفه وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلى « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » .

وكان من دعائه فى الموقف « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى صدرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى بصرى نورا ، اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، أعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وفتنة القبر ، اللهم انى أعوذ بك من شر ما يلج بالليل ، وشر ما يلج بالنهار ، وشر ما تهب به الريح ، وشر بوائق الدهر ، اللهم لك الحمد كالذى تقوله ، اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ، واليك مآبى ولك ربى تراثى اللهم انك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ، لا يخفى عليك شىء من أمرى ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنوبى ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه ، وذل جسده ورغم أنفه ، اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا ، وكن بى رؤوفا رحيما ، يا خير المسئولين ويا خير المعطين » .

هذا ولم يدع الرسول صلى الله عليه وسلم بدعاء خاص ولا عام عند الجمرات بل كان يكبر ، عند كل حصاة ، وكذلك لم يدع فى طوافه للافاضة .

ودعا عليه الصلاة والسلام عند دخوله المدينة بعد رجوعه من الحج ، وحين رآها كبر ثلاثا ، وقال : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، آيبون تائبون عابدون سائحون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

منكـــرات يجب تجنبهـــا :

يحمل كثير من الحجاج اكفانهم معهم بقصد زمزمتها اذا رجعوا سالمين أو أن تكون أكفانهم اذا كانت هناك منيتهم ، وهذا من المنكرات والبدع السيئة ، ذلك لأن لباس الاحرام هو للدنيا وللآخرة ، ولا شىء يفضله ، وهذا مأخوذ من مشهد فى حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث مات أحد الحجاج فأمر الرسول أن يغسل ولا يمسه طيب أو مسك وأن يكفن فى لباس احرامه ، وأن يبقى ذراعه الأيمن ووجهه مكشوفا ، لأنه كما قال الرسول عليـــه الصلاة والسلام : يقـــوم يوم القيامة وهو يلبى ، كما أن الشهيد يكفن فى ثيابه لتكون شاهدة له يـــوم القيامة بما أصابها من تمزق ودم .



نظرات في الحديث

مرحلة تدوين المسند ٧

للدكتور : محمد عبد الرءوف

فرغنا من الكلام على مرحلتين من مراحل تدوين الحديث ، الاولى مرحلة تدوين (الصحيفة) ، والثانية مرحلة تدوين (المصنف) ، ولقد رأينا أنه بينما كان الهدف من تدوين الصحيفة مجرد تقييد الحديث فى صفحات معدودة كان قصد صاحب المصنف — الى جانب ذلك — تبويب الأحاديث وترتيبها على أبواب الفقه ليتيسر استخدامها والرجوع اليها فى استنباط الاحكام ونحوها ، ولذلك كان جامع المصنف يضيف مواد أخرى كثيرة مناسبة من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم وفتاوى هؤلاء وآرائهم ، كما كان يضيف من عنده أحيانا عبارة أو عبارات للبيان والتوضيح أو النص على رأى أو ترجيحه .

وقبيل انتهاء القرن الهجرى الثانى رأت طائفة من علماء الحديث أن طريقة تدوين المصنفات تبدو وكأنها تهدف أكثر ما تهدف الى خدمة الفقه والاستنباط لا خدمة الحديث لذاته ، كما رأوا أنها تخلط بالحديث مادة واسعة من أقوال غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتاواهم يزيد عددا وحجما عن مادة الحديث نفسه، بحيث أنك قد لا تعثر فى الصفحة أو الصفحات من المصنف على حديث واحد فتشعر كأنك تقرأ كتابا من كتب الفقه لا مصدرا من مواد الحديث . فرأى هؤلاء أن يبدأوا نوعا آخر من تدوين الحديث يقتصر على جمع الحديث ذاته ونقل ما بقى منه فى الصدور الى السطور ، فشرعوا يجمعون الاحاديث مجردة عن غيرها ومرتبة على حسب ترتيب الصحابة من رواتها عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بحيث تجمع الاحاديث التى تروى عن طريق الصحابى معا مدونة فى كتاب مستقل ، أو تجمع أحاديث عدد من الصحابة بحيث تكون أحاديث كل صحابى فى باب واحد يحمل اسم هذا الصحابى وتدون معا فى كتاب واحد .

وحيث ان الاحاديث فى هذا النوع

من الجمع والتدوين مسندة الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون غيره ــ الا ما قد يكون فى المجموع من زيادات نادرة ــ اصطلح المؤلفون على تسمية هذا النوع من التدوين (المسند) ، فقالوا مثلا : (مسند عمر بن الخطاب) أو (مسند أبى هريرة) ، كما سموا الكتاب الذى يحتوى على عدد من هذه المسانيد (المسند) كذلك ، وكأنهم يعنون بذلك : « الكتاب المسند ما فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ويعنونون لكل باب فى مثل هذا (المسند) الجامع لأحاديث عدد من الصحابة بكلمة (مسند) مضافة الى الصحابى ، فيقولون : (مسند أبى بكر) أو (مسند على بن أبى طالب) أو (مسند عائشة رضى الله عنها) ، وقد يسمونها : (أحاديث أبى بكر) و (أحاديث على بن أبى طالب) و (أحاديث عائشة) .

وعلى هذا فخصائص (المسند) هى أن الحديث فيه مجرد عن غيره ، وتوجه العناية فيه الى الحديث لذاته ، وتضم فيه أحاديث كل صحابى بعضها لبعض ، لذلك ترى الكثير من المسندات مجردة من أقوال الصحابة ومن تلاهم ، كما تخلو فى الغالب من زيادات يضيفها المؤلف لغرض أو لآخر ، ولما كان الهدف الاول من تدوين المسند هو تقييد العلم ونقل ما بالصدر منها الى السطر ، واتجهت الهمم والجهود لهذا القصد ، فقد صدرت المسانيد فى أحجام كبيرة بعضها يحتوى بضعة آلاف أو عشرات الآلاف من الاحاديث ، كما كثر عدد المسانيد فبلغ المائة أو زاد عليها . لذلك كانت حركة تدوين المسانيد حركة خصبة مباركة ، واليها يرجع الفضل فى جمع الكثير من الاحاديث والمحافظة عليها .

ومن المسانيد التى اقتصرت على أحاديث صحابى واحد : « مسند أبى هريرة رضى الله عنه » الذى جمعه أبو أسحق ابراهيم بن حرب العسكرى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ، ومما اقتصر منها على أحاديث نوع خاص من الصحابة (مسند الصحابة العشرة) الذى جمعه أبو بكر احمد ابن جعفر المتوفى عام ٢٤١ هـ ، ومن المسانيد الجامعة (مسند الامام أحمد ابن حنبل) رضى الله عنه ، وقد اختاره من سبعمائة الف وخمسين الفا حفظها من الاحاديث .

وهنا يحضرنا سؤال هام عن كيفية ترتيب المسانيد الجامعة كمسند الامام أحمد ، التى تحتوى على عدد كبير من مسانيد الصحابة رضى الله عنهم ، أعنى كيف رتبت مسانيد الصحابة فى مثل هذا المسند ؟ وكيف رتبت أحاديث كل صحابى ؟ والجواب أن جامعى المسانيد قد اختلفوا فى طريقتهم ، فمنهم من رتب على حسب الترتيب الهجائى لأسماء الصحابة ، وهؤلاء قليلون ، ويقال إن بقى بن مخلد القرطبى المتوفى سنة ٢٧٦ هـ كان أول من صنع ذلك فى مسنده ، وأكثر مؤلفى المسانيد رتبوا الصحابة على حسب الاسبقية والفضل فى الاسلام ، فيبدأ الكتاب بمسانيد الخلفاء الراشدين على ترتيب توليهم الحكم، ثم يتبعها مسانيد سائر العشرة المبشرين بالجنة ، وهكذا . ومنهم من رتب على حسب العشائر التى ينتمى اليها الصحابة ، أو على حسب الانصار التى ينتمون اليها . وبعض المؤلفين يخلط فيرتب أولا على حسب الاسبقية ثم على حسب العشيرة أو غيرها من الاعتبارات . أما الاحاديث الواردة فى باب واحد لصحابى واحد، فالغالب أنها غير مرتبة فيما بينها

ولا مبوبة ، ولكنها مسردة سردا كما ترد في خاطر صاحب الكتاب ، وان كنت تجد احيانا احاديث الموضوع الواحد متتالية في بعض المسندات بلا فاصل ولا عنوان ، أو بعناوين نادرة كما سنرى في مسند الحميدى ان شاء الله وأول من يعرف تبويب أحاديث كل صحابي في مسنده هو الحافظ بقى بن مخلد القرطبي الأندلسي ، فكان كتابه مسندا ومصنفا في نفس الوقت ، قال ابن حزم عنه : انه روى فيه عن أكثر من ألف وثلاثمائة من الصحابة .

ولقد اختلف العلماء في تحديد أول من سبق الى تأليف المسند بهذا المعنى الاصطلاحى ، والثابت أن الباكورة الاولى ممن نعرف من مدونى المسانيد عاشوا في النصف الاخير من القرن الثاني للهجرة وتوفوا خلال الاربعين الاولى من القرن الثالث ، وكان أكثر هؤلاء من المعمرين ، ويظهر انها سنة الله تعالى في المحدثين يبارك في حياتهم ويطيل أعمارهم ، من هؤلاء عبيد الله بن موسى العبسى الذي عمر طويلا وتوفى عام ٢١٣ هـ وسليمان بن داود الطيالسى الذي مات عام ٢٠٣ أو ٢٠٤ هـ عن ثمانين عاما ، ومنهم أسد بن موسى حفيد عبد الملك بن مروان الذي ولد عام سقوط دولة بنى أمية ، أي ١٣٢ هـ وعاش حتى عام ٢٢٨ هـ وكان يسمى (أسد الحديث) ، قال عنه النسائي : « كان ثقة ولو لم يصنف لكان خيرا له »(١) ، ومنهم عبد الله بن الزبير الحميدى المتوفى عام ٢١٩ هـ ، وأبو أسحق ابراهيم بن نصر المطوعى المتوفى سنة ٢١٣ هـ ، ومنهم مسدد ابن مسرهد البصرى ، ويحيى بن عبد الحميد الحمانى الكوفي وكلاهما توفى عام ٢٢٨ هـ ، وأسحق بن يعقوب بن راهويه المتوفى عام ٢٣٨ هـ ، وعثمان ابن محمد بن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٩ هـ .

فمن هو من بين هؤلاء كان البادىء بتأليف جامع حديثى على طريقة المسند التي شرحناها ؟ قال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى المتوفى عام ٤٠٥ هـ أن أبا داود سليمان بن داود الطيالسى المتوفى عام ٢٠٣ وعبيد الله ابن موسى العبسى كانا أول من صنف المسند على تراجم الرجال ، وقال الدارقطنى بل كان مسدد بن مسرهد أول من صنف المسند ، وقال ابن عدى : يقال ان يحيى بن عبد الحميد الحمانى أول من صنف بالكوفة ، وكان مسدد أول من صنف بالبصرة ، وأسد بن موسى أول من صنف بمصر(٢) .

والواقع أن من الصعب تحديد الاسبق من هؤلاء في كتابة المسند ، فقد كانوا متعاصرين ، ولا يبعد أن اثنين منهم أو أكثر دونوا مسانيدهم في زمن واحد ، وربما يؤدى البحث الى الكشف عن محدث سبق هؤلاء جميعا بكتابة جامعى حديثى على طريقة المسند فأوحى اليهم هذا الصنيع ، ولقد ذكر فؤاد سيرجين أن لعبد الله بن المبارك الحجفى المتوفى عام ١٨٢ هـ (مسندا) توجد مخطوطة منه في مكتبة الظاهرية بدمشق(٣) ، وعلى هذا يكون عبد الله — وقد تلقى عنه الكثيرون من ائمة الحديث في عصره — سابقا في استخدام كلمة (المسند) عنوانا لكتاب حديثى ، واذا كان الجمع فيه على طريقة المسند التي شرحناها فلعله يكون أول من دون مسندا على الطريقة الاصطلاحية .

وبالاضافة الى السادة المحدثين المؤلفين للمسانيد ممن ذكرنا أسماءهم كان هناك آخرون ممن تبعهم واقتفى

آثارهم او زاد فأدخل تحسينا واتقانا على طريقتهم ، من هؤلاء : أحمد بن منيع الطوسى المتوفى عام ٢٤٤ ه ، وعبد الله بن محمد المسندى المتوفى عام ٢٢٩ ه ، ومحمد بن أسلم الطوسى المتوفى سنة ٢٤٢ ه ، وأسحق بن بهلول التنوخى المتوفى ٢٥٢ ه ، وابو الحسن محمد بن أسلم الطوسى المتوفى عام ٢٤٢ ه ، الذى يقال إنه صلى على جنازته الف الف مسلم ، وعمار بن رجاء الاسترباذانى المتوفى سنة ٢٦٧ ه ، والحارث بن محمد المتوفى سنة ٢٨٢ ه ، وابو اسحق ابراهيم بن يوسف الرازى المتوفى عام ٣٠١ ه ، وعبد الرحمن بن أبى حاتم الحنظى المتوفى ٣٢٧ ه ، ودعلج بن جعفر البغدادى المتوفى عام ٣٥١ ه ، وابراهيم بن نصر الرازى المتوفى عام ٣٨٥ ه ، ومحمد بن احمد بن محمد بن جمع المتوفى عام ٤٠٢ ه .

كان لكل من هؤلاء ولكثير من غيرهم ممن عاشوا فى القرن الثالث والرابع مسانيد ، وتعمدنا أن ننص على بعض أسماء من هؤلاء المؤلفين ليرى القارىء معنا ويشعر بمدى الاقبال على جمع الحديث وتدوينه طوال هذين القرنين وقبلهما بقليل ، أى قبيل نهاية القرن الثانى الهجرى ، وقد يثير العجب والاعجاب أن مسانيد بعض هؤلاء السادة المحدثين بلغ عشرات الاجزاء أو زاد على المائة أو الألف من الاجزاء ! اذ عمد هؤلاء الى تحليل الاسانيد ومناقشتها وتحدثوا عن حياة الرواة فى الاسانيد واستطردوا وأفاضوا ؛ وكان من بين أصحاب المسانيد المطولة : أبو يوسف يعقوب بن شيبة بن أبى الصلت المتوفى فى بغداد عام ٢٦٢ ه ، صاحب المسند المعلل الذى قال عنه الحافظ الذهبى « ما صنف مسند احسن منه ولكنه ما أتمه »(٤) ، ويذكر ان أحاديث أبى هريرة فى هذا المسند شغلت مائتى جزء منه ، ومسند على فيه بلغ خمسة مجلدات(٥) ! كما كان من بينهم الحافظ البارع ابو على الحسين بن محمد بن أحمد المعروف بالماسرجى ، قال عنه الحافظ الذهبى : « صاحب المسند الاكبر » ونقل عن الحاكم انه وصفه بأنه كان سفينة عصره فى كثرة الكتابة ، وانه صنف المسند مهذبا معللا فى الف جزء وثلاثمائة من الاجزاء(٦) .

وكى نأخذ فكرة واضحة عن هذه المسندات المطولة المعللة نسوق هنا نموذجا أو نموذجين من مسند عمر ابن الخطاب من المسند الكبير ليعقوب ابن شيبة بن الصلت الذى اشرنا اليه . وقد عثر على الجزء العاشر من مسند عمر الذى هو باب أو فصل من مسند يعقوب بين مخطوطات احدى المكتبات بالشام على يد الدكتور سامى الحداد الذى نشره عام ١٩٤٠ وحققه مع مقدمة مفيدة ، وكانت طريقة يعقوب كما نقل الدكتور الحداد عن حاجى خليفة وأوضحها هو بالمزيد : ان كان يعقوب يذكر اسم الصحابى ، ثم يسوق ترجمته ويستطرد بترجمة رواة الإسناد ويذكر عللها ، وكان يفيض فى نقد الرجال ويستطرد بترجمة رواة الإسناد ويذكر نوادرهم وما انفرد به الواحد منهم من الاحاديث .

ويبدو من الجزء العاشر الذى بيدنا ، أن يعقوب كان بعد ما ينتهى من ترجمة الصحابى مدعمة بالاسانيد والتفصيل والاستطرادات يشرع فى سرد أحاديثه واحدا بعد الآخر ، جاعلا لكل منها عنوانا خاصا هكذا : « حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا وكذا » أو : « وحديثه أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم فعل كذا » ، واليك هذين النموذجين من مسند عمر بن الخطاب ومن الجزء الذى اشرنا اليه :

أ) [وحديثه — أى عمر — عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أتانى آت من ربى عز وجـل فأمرنى أن أصلى فى الوادى المبارك »] .

« حديث حسن الاسناد ، وهو صحيـــح ، رواه على بن المبـــارك والأوزاعى جميعا عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر عن النبى صـــلى الله عليه وسلم » .

« وعلى والأوزاعى ثقتـــان ، والأوزاعى أثبتهما ، فى رواية عن الزهرى خاصة شىء ، ورواية على ابن المبارك عن يحيى بن كثير خاصة فيها وهى ، وقد سمع من يحيى ، وكان يحدث عنه بما سمع منه ، يحدث عنه بما كتب اليه ، ويحدث عنه من كتاب كان يحيى تركه عنده ، وهذا الحديث خاصة يروى أنه مما سمعه على بن المبارك عن يحيى » .

[وهنا يسوق اسنادين عن كتاب يحيى الذى كان لدى على بن المبارك ، واسنادا آخر بشأن درجـــة على بن المبارك ، ثم يشرع فى ترجمة الأوزاعى ويتحدث عن مبلغ ثقته وديانته ويطيل فى ذلك كله ، ويأتى بالاسانيد لمـــا يقص عنـــــه من قصص ونوادر ، ونقتبس من ذلك ما قصـــــه عن الاوزاعى دالا على شجاعته] .

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثنا عبد الملك بن الفارسى قال : ثنا الفيريابى قال : ســـمعت الأوزاعى يقول : لما فرغ عبد الله بن على من قتل بنى أمية بعث الى وكان قتل يومئذ نيفا وسبعين بالكافر كوبات الا رجلا واحدا ، فدخلت عليه وقد أقام ذلك الجند بالسيوف والعمد ، قال : فدخلت فسلمت فأشار بيده فقعدت ، فقال : ما تقول فى دماء بنى أمية ؟ فحـــــدت قال : قد علمت من حيث حدت ، أجب الى ما سألتك ، قال : فحدت أيضا فقلت : كان لهم عليك عهد وان كان ينبغى لك أن تفى لهم بالعهد الذى جعلته ، قال : فقال لى : ويلك ! قال : أوليست الخلافة وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل عليها على رضى الله عنه بصفين ؟ قلت : لو كانت الخلافـــــة وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رضى على بالحكمين ، قال : فنكس ونكست أنتظر ، قال : فأطلت ثم قلت : البول ، قال : فأشار بيده هكذا ، أى : اذهب ، قال : فقمت فجعلت لا أخطو خطوة الا ظننت أن رأسى يقع عندها » .

[وبعد أن يتم يعقوب قصصه عن الاوزاعى ، يستطرد فيسوق حديثا بســـــنده رواه يحيى بن كثير عن الاوزاعى ، ثم يسوق حديثـــا آخر بســـــنده رواه أنس بن مالك عن الاوزاعى ، ثم يسوق حديثا ثالثـــا بســـنده عن ســـــفيان الثورى عن الاوزاعى ، وبعـــــد هذا كله يأتى بالحديث الذى عنون له عن عمـــر وجعل هذا كله مقدمة له : بطريق على ابن المبـــــارك اولا ، ثم بطريق عبد الرحمن الاوزاعى — هكذا) :

« فأما حديث على بن المبارك »

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثناه حجاج بن نصير الفساطيطى ، سألت عنه يحيى بن معين فقال لى صاحب الفساطيط كان شيخا صدوقا ولكنهم اخذوا عليه أشياء فى حديث شعبة كان لا بأس به يعنى أنه أخطأ فى أحاديث من أحاديث شعبة .

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثنا حجاج بن نصير قال : ثنا على بن

المبارك قال : ثنا يحيى بن أبى كثير قال : حدثنى عكرمة عن ابن عباس قال : حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتانى الليـلة آت من ربى عز وجل وهو بالعقيق أن صـــل فى هذا الوادى المبارك ، وقال : عمره فى حجة » .

« وأما حديث عبد الرحمن الاوزاعى »

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثناه ابراهيم بن موسى الصغير ، قال أبو يوسف : وهو ثبت مسلم — قال : ثنا الوليد بن مسلم قال : ثنا الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال وهم بالعقيق : « أتانى الليلة آت من ربى عز وجل فقال : صل فى هذا الوادى المبارك وقال عمرة فى حجة » .

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : وثنا زهير بن حرب قال : ثنا الوليد ابن مســلم قال : حدثنى الاوزاعى قال : حدثنى يحيى بن أبى كثير قال : حدثنى عكرمة مولى ابن عباس قال : سمعت ابن عباس يقول : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وســـلم يقول وهو بوادى العقيــق : « أتانى الليلة آت من ربى عز وجل وقال : صل فى هذا الوادى المبارك وقال عمرة فى حجة » .

— • —

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثنا عبد الله بن محمد قال : ثنا محمد ابن مصعب قال : ثنا الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله أو نحوه » .

واليك الآن النموذج الآخر ، وليس فى اسناده مثل هذا التفصيل :

وحديثه فى حاطب بن أبى بلتعة حين كتب الى أهل مكة

« حديث حسن الاسناد ، رواه أيضا عكرمة بن عمار عن سماك أبى زميل عن ابن عباس عن عمر رضى الله عنه ، قال على بن المدينى فى هذا الحديث بعينه : لا نعلمه روى عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم الا من هذا الوجه ، قال : ولم يرده أهل الحجاز ولا أهل البصرة ولا أهل الكوفة ، وهو على ما قال على .

« وقد روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه هذا الحديث من وجوه صحاح تأتى فى مسند على ان شاء الله .

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثناه أبو حذيفة موسى بن مســـعود قال : ثنا عكرمة بن عمار عن أبى زميل عن ابن عباس قال : قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : كتب حاطب ابن أبى بلتعة الى المشركين بكتاب فجىء به الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يا حاطب ! ما دعاك الى ما صنعت ؟ » قال : يا رســـول الله : كان أهلى فيهم وخشـــيت أن يقدموا عليهم ، فقلت أكتـــب كتـــابا لا يضر الله ورسوله . قال عمر رضى الله عنه : فاخترطت السيف فقلت يا رسول الله : اضرب عنقـــه فقد كفر ، فقال : « وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع الى هذه العصابة من أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

— • —

ولعلك قد لمست معى أيها القارىء ، وقد اطلعت على هذين النموذجين ، مبلغ التطويل فى المسانيد المعللة ، وهو تطويل غير ناشىء عن كثرة الاحاديث بها بل عن التحليل المفصل للاسانيد والاطناب فى ذكر حياة الرواة والاستطراد بذكر القصص والنكات ، واستيعاب الطرق الموصلة للحديث أو للصحابى راويه أو لراو دونه ، ولعلك تتفق معى أيضا أن هذه الطريقة مع ما فيها من طرائف علمية وفوائد تاريخية ونقدية وأدبية خروج عن القصد الأول من تدوين المسانيد ، ألا وهو تسجيل الاحاديث التى تتناقلها الألسن كتابيا قبل أن تضيع بذهاب حملتها، والواقع أن هذه الطريقة الموسعة تمثل تطورا متأخرا نوعا ما فى تدوين المسانيد ، لذلك سوف نعالج فيما يلى ان شاء الله تعالى نماذج ثلاثة من المسانيد المبكرة التى تهدف الى تحقيق الهدف الاول من تدوين (المسند) ، أعنى مسند الطيالسى ، ومسند الحميدى ومسند الامام أحمد بن حنبل ، رضى الله عنهم جميعا ، وبالله تعالى التوفيق .



(١) « تذكرة الحفاظ » للحافظ الذهبى . ص٤٠٢ .

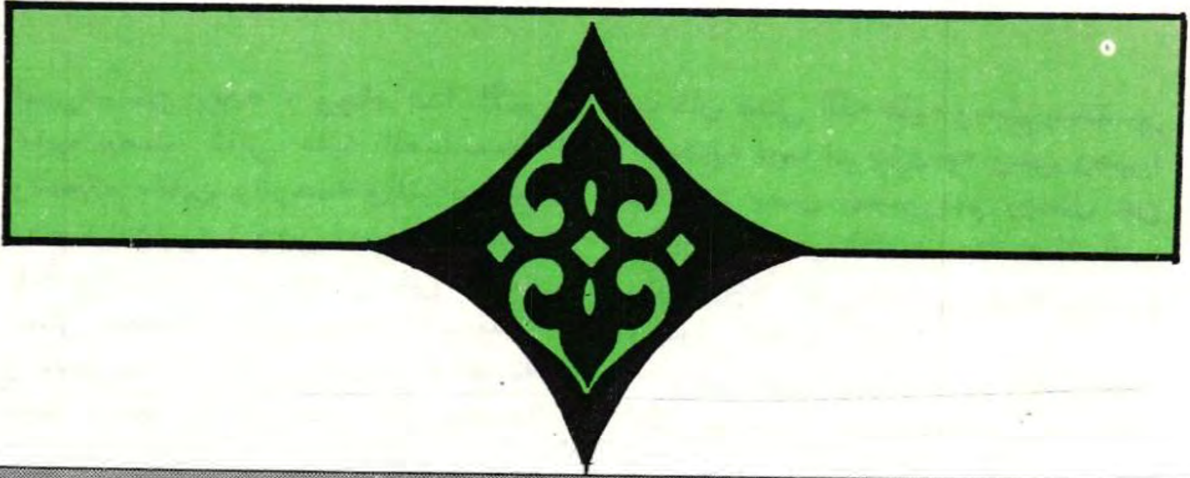
(٢) « الرسالة المستطرفة » لمحمد بن جعفر الكتانى (دمشق ١٩٦٤) ص ٦٢ .

(٣) « تاريخ التراث العربى » (الجزء الاول)ص ٢٧١ .

(٤) « تذكرة الحفاظ » ، ص ٥٧٧ .

(٥) نفس المرجع .

(٦) المرجع السابق ص ٩٥٥ و ٩٥٦ .



وشاورهم في الأمر

للدكتور
احمد الحوفى

من خصائص الاسلام ان قدر العقل وحصن التفكير ، وكفل للفرد حرية الرأى ما لم تعارض اصلا من اصول العقيدة أو العبادة .

فكان من الطبيعى أن يستن الشورى، لأنها الوسيلة الى استبانة الآراء وتمحيصها ، والاهتداء الى خيرها .

لهذا أمر القرآن الكريم بالشورى ، وقرنها بالايمان والاعتماد على الله تعالى ، وبالبعد عن الآثام ، وباقامة الصلاة ، وبالانفاق فى سبيل الله وبالجهاد لاعزاز الحق واعلاء كلمة الله ، قال تعالى (فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنو وعلى ربهم يتوكلون . الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ، واذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون) (١) .

وأمر الله تعالى رسوله الكريم أن يستشير المسلمين — فيما لم ينزل عليه وحى فيه — ليستظهر برأيهم وليطيب نفوسهم ، ويرفع من أقدارهم وليربيهم التربية التى تكفل لهم صلاح

أمورهم من بعده ، وجاء هذا الأمر عقب وصف النبى عليه الصلاه والسلام باللين والرحمة والتواضع وطيب العشره ، وهى نعم خلقيه أنعم الله بها عليه ، وعقب أن نفى عنه تعالى الغلظة والقسوة والاستبداد والغطرسة ، وهى رذائل براه الله منها ، ولو انه كان على شىء منها لنفر منه المسلمون ، وانفضوا من حوله ، فالامر بالاستشارة فى هذا السياق يدل على أنها موصولة بمكارم الاخلاق قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله) (٢)

أى اذا قطعت الرأى على شىء بعد الشورى فاعتمد على الله فى المضى الى ما اعتزمت عليه مطمئنا الى انه الارشد الاصلح ، وان كان الله وحده هو الذى يعلم الارشد والاصلح ، ولست تعلمه أنت ولا من تشاورهم ، ولقدصدع رسول الله بأمر ربه ، فكان يستشير صحابته ، وكانوا هم يستشيرون بعد أن اختاره الله ، ولم يكن لهم من أرب الا تحرى الخير والصواب وصالح الامة ، حتى ان عمر ابن الخطاب احتجز بعض الصحابة فى المدينة فمنعهم أن يغادروها الى بلد آخر ، لانه محتاج الى استشارتهم .

وكان المسلمون فى عهد النبى والخلفاء الراشدين مطمئنين الى حرية آرائهم فاذا استشيروا اشاروا بما يعتقدون انه الحق ولم يحجموا عن اعلان آرائهم وان خالفت رأى النبى أو أحد خلفائه .

ولقد تعددت مظاهر الشورى فى عصر النبى وخلفائه الاربعة فكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يستشير اصحابه فيما لم ينزل به وحى وكثيرا ما كان يعمل بمشورتهم ويعدل عن رأيه ، ولهذا قالت السيدة عائشة ما رأيت رجلا أكثر مشاورة للرجال من رسول الله . (٣)

وعن ابى هريرة — ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله (٤) وحسبنا ان نسوق الامثلة الآتية : —

١ — قبيل موقعة بدر نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أدنى ماء من بدر فقال الحباب بن المنذر — يارسول الله ، أهذا منزل انزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟
قال رسول الله بل هو الرأى والحرب والمكيدة .

قال الحباب — يا رسول الله ، ان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من الآبار ، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله لقد اشرت بالرأى ونهض رسول الله ومن معه فسار حتى اذا اتى أقرب ماء الى القوم نزل عليه ثم أمر بالآبار فردمت وبنى حوضا على البئر التى نزل عليها فملئت ماء . (٥) .

٢ — فى يوم بدر اسر المسلمون سبعين رجلا ، فقال رسول الله ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ؟

فقال أبو بكر يا رسول الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان ، وهم قومك وأهلك ، أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضدا .

فقال رسول الله ما ترى يا ابن الخطاب ؟

فقال عمر — يا رسول الله كذبوك واخرجوك ، وهم صناديد الكفار وقادتهم ، فارى ان نضرب اعناقهم .

وقال عبد الله بن رواحه يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ، ثم اضرمه نارا عليهم .

فسكت رسول الله ، ولم يجبهم ثم دخل ، فقال ناس ، ياخذ بقول ابى بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس ، ياخذ بقول عبد الله بن رواحه ثم خرج رسول الله ، فقال ان الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من اللين ، وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم فى قوله (فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم) (٦) ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى فى قوله : « ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) (٧) ومثلك يا عمر مثل نوح قال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا (٨) ومثلك يابن رواحة كمثل موسى قال (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم (٩) .

ثم قال رسول الله — أنتم اليوم عالة ، فلا يفلتن احد منهم الا بفداء أو ضرب عنق .

فلما كان الغد أنزل الله عز وجل (ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم (١٠) ثم أحلت لهم الغنائم (١١) .

٣ — لما علم أن قريشا متجهة الى المدينه فى غزوه احد قال لاصحابه امكثوا فان دخل القوم المدينه قاتلناهم او رميناهم من فوق البيوت ، لانه كان يكره الخروج الى المشركين لقتالهم فى البراح وهم كثره والمسلمون قلـه ويوثر محاربتهم بالمدينه نفسها حتى تستطيع القله ان تبلى البلاء المنشود .

ولكن هذا الراى لم يرق المسلمين الذين اسفوا على ما فاتهم من جهاد فى غزوة بدر ، وفيهم رجال وشبان يحبون لقاء العدو ، ويشتاقون الى الاستشهاد ، فقالوا يا رسول الله اننا كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا الى اعدائنا حتى لا يظنوا بنا جبنا أو ضعفا .

فقال عبد الله بن أبى بن سلول يا رسول الله اقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا الى عدو لنا قط الا اصابوا منا ولا دخلوها علينا الا أصبنا منهم فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر مقام وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورمتهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين .

فقال الراغبون فى الخروج إننا نخشى يارسول الله أن يظن أعداؤنا أننا كرهنا الخروج اليهم خوفا منهم فيتجرؤا علينا .

حينئذ استجاب رسول الله لراى الاكثرين وعدل عن رأيه وخرج لملاقاة قريش (١٢) .

وهنا عبر جديرة بأن نتنبه اليها فان رسول الله حينما وجد الكثرة تريد الخروج دخل بيته فلبس لأمته وتقلد سيفه ثم خرج اليهم فقالوا يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فان شئت فاقعد فقال ما ينبغى لنبى لبس لأمته ان يضعها حتى يقاتل ويحكم

الله بينه وبين عدوه .
وهنا تتجلى ضروب من الشجاعة وبعد النظر اولها تدبير الخطة والموازنة بين قوة المسلمين وقوة قريش وايثار ان يبقى المسلمون فى مدينتهم ليردوا العدو المهاجم وهم أوفر منه قوة واعز حصانة وأقدرعلى لقائه وأن كانوا أقل منه عددا وعدة ولا تثريب على قائد فى أن يقف مثل هذا الموقف لان الشجاعة تقتضى الهجوم تارة ، وتقتضى الارتداد تارة ، وتكون فى المبادرة حينا ، وتكون فى التريث حينا آخر .

وثانيها الاستجابة لحماسة الكثرة التى آثرت الخروج من المدينة للقاء قريش ، فانه لم يكن بد من هذه الاستجابة والجذوة متقدة والعزيمة ملتهبة ، والنفوس متلهفة الى الاستشهاد فى الدفاع عن العقيدة وعن الوطن ، والا كانت هذه الحماسة عرضة لأن يخمدها البقاء واختلاف الآراء .
وثالثها مضاء النبى فى عزيمته ، ورفضه ان يستجيب لدعوة البقاء بعد أن أعد عدته ولبس لأمته واصراره على الا يضعها حتى يقاتل اعداء الله فإنه بهذا الاصرار أذكى شجاعة الصحابة جميعا ، من كانوا يؤثرون الخروج ، ومن كانوا يؤثرون البقاء ، وخرج بهم جميعا يقودهم الى لقاء الاعداء .
٤ — فى غزوة الاحزاب اجتمعت قريش ومن والاها من العرب واليهود وعسكروا حول المدينة بضعا وعشرين ليلة ونقض بنو قريظة عهدهم مع رسول الله فعظم البلاء ، واشتد الخوف وأتاهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن بعض المسلمين كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين ، فأراد رسول الله ان يصالح قائدى غطفان على ان يرجعا عن المدينة ، ولهما ثلث ثمارها ، فبعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فيما أراد ، فقالا — يا رسول الله اهذا أمر تحبه فنصنعه أم شىء امرك الله به لا بد لنا من أن نعمله ، أم شىء تصنعه لنا ؟
قال رسول الله بل شىء اصنعه لكم ، انى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكسر عنكم شوكتهم .
فقال سعد بن معاذ — يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله عز وجل وعبادة الاوثان ولا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون ان يأكلوا منا ثمرة الا بيعا أو قرى ، أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وعزنا بك نعطيهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم الا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم .
فقال رسول الله ، فانت وذاك(١٣)
ثم شاء الله ان يرتد المغيرون مذعورين مختلفين وان تسلم المدينة .
٥ — ولم يكتف رسول الله بتقرير الشورى وتدريب المسلمين عليها بأعماله بل أضاف الى هذا كثيرا من أقواله التى تحببها اليهم وتزينها فى قلوبهم ، مثل قوله : —
استرشدوا العاقل ترشدوا ، ولا تعصوه فتندموا . وقوله المستشار مؤتمن ، اذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه . وقوله — من اراد أمرا فشاور فيه أمرا مسلما وفقه الله لارشد أموره .
وقوله — من أشار على أخيه بشىء يعلم أن الرشد فى غيره فقد خانه .
وقوله — لن يهلك أمرؤ بعد مشورة (١٤) .
٦ — ثم كان خلفاؤه الراشدون

يهتدون بسنته ، فهذا أبو بكر الصديق يستشير الصحابة فى امر المرتـدين فيشير عليه بعضهم ان يتمهـل حتى يعود جيش اسامة فيقنعهم بضرورة المبادرة الى حربهم لانهم أعضاء فـى الدولة تمردوا عليها . وخرجوا على الدين الذى ارتضـوه ، وإنما لهـم يجرئهم ويجرىء غيرهم على المعصية والفساد ، وتكشف الاحـداث عن صواب راى ابى بكر وينتصر الاسلام والمسلمون .

وحينما فتح المسلمون العـراق والجزيرة والشام فى عهد عمر بـن الخطاب نشأ خلاف فى تقسيم الارض على الفاتحين او بقائها فـى أيـدى اصحابها يزرعونها ويؤدون للدولـة خراجها .

وكان من رأى عمر وبعض الصحابة ان تبقى الارض فى ايدى اصحابهـا ملكا للدولة وعليهم خراجها ناظرا الى ان تقسيمها على الفاتحين نـوع من الاقطاع ومراعيا مستقبل المحرومين والمحتاجين الذين سيولدون فيما بعد ومشفقا على الخزانة العامة ان تحتاج فى المستقبل فلا تجد .

ولم يحفل عمر بأن رأيه هذا قـد يغضب المحاربين الفاتحين الطامعين فى امتلاك الارض التى غلبوا عليهـا بسيوفهم وحسبوها غنيمة لهم .

وقد فصل ابويوسف وابوعبيد(١٥) ما دار من مشاورة فى هذا وذكرا أن عمر قال ـ فكيف بمن يـأتى من المسلمين فيجدون الارض قد قسمت وورثت عن الآباء وصارت فى حـوزة الوارثين ؟ إن هذا ليس برأى .

فقال له عبد الرحمن بن عوف ـ فما الرأى ؟ أليست الارض مما افاء الله عليهم ؟ قال عمر ـ فاذا قسمت ارض العراق وارض الشام فمن اين تسد الثغور . ؟ وماذا يكون للذرية والارامل بالحجاز والشام والعراق ؟

ثم قال ـ والله ما اريد الا الحق وقد رأيت أن اترك الارض لزارعيها ، واضع عليهم فيها الخراج وفى رقابهم الجزية يؤدونها فتكون الارض فيئـا للمسلمين من المقاتلة والذرية ومن يأتى بعدهم .

ارأيتم هذه الثغور ؟ لا بد لها من رجال يلزمونها . ارأيتم هذه المـدن العظام كالشام والجزيرة والكوفـة والبصرة ومصر ؟ لا بد لها أن تشحن بالجيوش وادرار العطاء عليهم . فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الارض ؟ فوافقوا عمر عـلى رايه .

هكذا أمر القرآن الكريم بالشورى وهكذا حققها رسول الله والرجال الذين رباهم رسول الله .

---

(١) سورة الشورى ٢٦ ـ ٢٩ .
(٢) سورة آل عمـران ١٥٩ .
(٣) السيرة الحلبية / ٢٧٧ .
(٤) الكشاف للزمخشرى ٢٢٦/١ .
(٥) سيرة ابن هشام ٢٧٢/٢ .
وتاريخ الطبرى ١٧٧/٢ .
(٦) سورة ابراهيم ٢٦ .
(٧) سورة المائـدة ١١٨ .
(٨) سورة نوح ٢٦ .
(٩) سورة يونس ٨٨ .
(١٠) سورة الانفال ٦٧ ، ٦٨ .
(١١) تاريخ الطبرى ٢٩/٤/٢ .
(١٢) شرح الزرقانى عـلى المواهب اللدينـة للقسطلانى ٢٢/٢ .
(١٣) تاريخ الطبرى ٤٨/٢ .
(١٤) الاحاديث من كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال لعلاء الديـن الهنـدى ٨٤/٢ والبيان والتبيين للجاحظ ٢٠/٢ .
(١٥) الخراج ٣٧ لأبى يوسف والاموال ٤٠ لابى عبيد .

مائدة القارئ

« ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوالفتحنا عليهم بركات مـن السمـاء والأرض ولكن كذبوا فاخذناهم بمـاكانوا يكسبون » .

قرآن كريم

الجار قبل الدار :

قيل لأحد العلماء هل تجد فـي القرآن خذ الجار قبل الدار ، قـال : نعم يقول الله تبارك وتعالى فى سورة التحريم **(وضرب الله مثلا للذين آمنوا امراة فرعون اذ قالت رب ابن لـي عندك بيتا فى الجنة)** فانت تراها فى دعائها ربها قد آثرت الجـار فقدمت عندك على الدار .

الحكمة فى النصيحة :

مر ابوالدرداء على رجل أصـاب ذنبا والناس يسبونه ، فقال لهـم ، أرأيتم لو كان فى بئر اكنتم مستخرجيه قالوا نعم .

قال فاستغفروا لأخيكم واحمـدوا الله الذى عافاكم .

فقالوا : افلا تبغضه .

قال : انما ابغض عمله ، فـاذا تركه فهو اخى .

الحجاج التاجر :

بعث الحجاج بن دينار طعاما الىالبصرة مع رجل وامر ان يبيعه يـوم يدخل بسعر يومه فارسل له الرجلانى قدمت البصرة ، فوجدت سـعر الطعام قليلا فى السوق فاختزنته حتىزاد السعر وبعته بكذا وكذا فكتب اليه الحجاج : انك قد خنتنا وعملت بخلافما أمرناك به ، فاذا أتاك كتابىفتصدق بجميع ثمن الطعام على فقراء البصرة،وليتنى أنجو من عذاب الله اذا فعلت .

صوت السحاب :

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

بينما رجل يمشى بفلاة من الأرض، فسمع صوتا فى سحابة : اسـق حديقة فلان .

فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة (أرض صلبة) . فاذا شرجـة (سيل ماء) من تلك الشـراج) قـد استوعبت ذلك الماء كله .

فتتبع الماء ، فاذا رجل قائم فـى حديقته يحول الماء بمسحاته (فأسه)

فقال له ياعبد الله . ما اسمـك ؟ قال : فلان للاسم الذى سمع فـى السحابة فقال له : يا عبد الله لـم تسألنى عن اسمى ؟

فقال : انى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك ، فما تصنع ؟

فقال : اما إذ قلت هذا فإنى انظر الى ما يخرج منها ، فأتصدق بثلثه ، وآكل انا وعيالى ثلثا ، وارد فيها ثلثه .

رواه مسلم

الأذان والاقامة :

روى الإمـام احمد وابـو داودبسندهما عن عبد الله بن عبد ربه أنه قال (طاف بى من الليل طائف وانا نائمرجل عليه ثوبان اخضران ، وفى يده ناقوس يحمله ، فقلت له يا عبداللهاتبيع الناقوس ؟ قال وما تصنع به ؟ قلت ندعو به الى الصلاة قال : افلاادلك على خير من ذلك ؟ فقلت بلى ، قال تقول الله اكبر الله اكبر ، اللهاكبر الله اكبر وردد عليه الفاظ الاذان التى يؤذن بهااليوم قال عبدالله بن زيدثم استأخر غير بعيد قال ثم تقول اذا اقمت الصلاة الله اكبر الله اكبر ــوردد عليه الفاظ اقامة الصلاة بما هو معروف منها الى اليوم .

قال عبد الله بن زيد : فلما اصبحتاتيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأخبرته بما رأيت فقال إنهالرؤيا حق ان شاء الله فقم الى بلال فألق عليه ما رأيت فانه اندى صوتامنك فقمت مع بلال فجعلت القيه عليه ويؤذن به .

الاعلام العربي

للأستاذ احمد العناني

اكاد أحس باختنـــاق حقيقى حين يدعونى أمر الى فكر عميق فى شأن الاعلام العربى الى اين يسير بنا ؟. والى أين نسير معه ونحن معصوبو الأعين ، مخدرو الإحساس .. الى اية كارثة جديدة أو مستقبل مظلم ؟ الى أى مصير من الانحلال والضياع والغثيان ؟ الى اى جيل من الأبنـــاء والأحفاد نزداد لهم انكارا ويشتدون علينا نكيرا ؟

لقد ولد الاعلام العربى فى معظم حالاته ان لم يكن فيها جميعـــا بين احضان مؤسسات أجنبية ، غريبـــة الارادة والذوق والأهـــداف عن ذوق هذه الأمة وارادتها الحقيقية والأهداف التى تخدم صالحها وتقيل عثراتها ، وتســـير بها نحو مســـتقبل أقوى وافضـــل واحســـن ازدهـــارا . ومن يراجـــع تاريـــخ الصحافـــة العربية والمسرح وهما أقدم وســـائل هذا الاعلام العربى بآخرة من القرن الماضى وبداية هذا القرن ، ثم ينعم النظر فى المؤسسات ومن أسسها . من أين جاءوا وكيف زرعوا فى حقل الاعلام الأول يجد علامات كثيرة على طريق ملتو تثير الشك وتبعث على تأمل مشفق حزين . ولست أحب أن أدخل فى التفاصيل ، ولا أن اضرب حتى مجـــرد أمثلة من الأســـماء وأصحابها ، وتاريخ حياة كل منهم فلقد يجر ذلك علىّ اتهامات شتى بتهـــم الطائفية والتفريق وإثارة النعـــرات

إلى أين نسير معه ؟

والفتن ، وهى تهم ما زالت تشهر كالسيف الباتر فى وجه كل مسلم يروع وجدانه ما لقى ويلقاه المسلمون من عنت وكم أفواه واضطهاد حتى فى البلاد التى تدين كثرتها الكاثرة بالإسلام .

ثم راحت تتوالد قبيل الحرب العالمية الثانية وخلالها الاذاعات الناطقة بالعربية ثم اذاعات البلدان العربية نفسها ، فيما كانت السينما قد رسخت جذورها فى مصر وراحت تبسط ظلالها واتجاهاتها على سائر دور العرض فى العالم العربى من حولها فى كل اتجاه . كذلك انتشرت محطات البث المرئى أو التلفزة انتشار الفطريات السريعة التوالد قبيل وبعد الهزيمة فى حزيران المشهور ، ورغم ضآلة الفترة الزمنية فقد صلب عود هذه المؤسسات واشتد ساعدها ، وصارت تبث على قنوات متنوعة وبالألوان الجاذبة غير مكتفية بالأبيض والأسود . أما الأذاعات فانها فى أثناء ذلك لم تعد تكتفى بالقدر المتواضع من ساعات البث بل أصبحت تملأ النهار كله وتغطى معظم الليل ببرامج متصلة يشكل الغناء خلالها المادة الغالبة ، ويشكل مستمعوه أنشط فئة فى الزبائن المتعاملين معها . كذلك تعددت المجلات الدورية وراحت تتنافس فى آداء مهام لا تختلف فى جوهرها

عن الطابع العام لسائر وســـائل الاعلام الأخرى .

وبينما تعتمد السينما والتليفزيون فى الغالب على الانتاج الأجنبى ولا سـيما الأمريكى والأوروبى ، ويتلو ذلك منتجات بيروت والقاهرة تعتمد الصحافة والاذاعة على انتاج وكالات الأنبـاء الأجنبيـة والترجمـات والمقتبسات من صحف ومجلات أجنبية وبعض المواد والأخبار المحلية . واذا استثنينا طائفة محدودة العـدد من الصحف والمجلات الاسبوعيـة ممن تضطلع بدور مناوىء ورسالة مختلفة جدا وتصارع من أجل البقاء ، وتعيش علىمساعدات وحسن نوايا المحسنين وبعض سخاء المعلنين فان سائر من فى الموكب الاعـلامى ممن سـواهم يغرفون من نبع واحد ، ويغسـلون دماغ الأمة بطريقة واحدة ويحقنونها بنفس المخدر .

إن أخطر وسائل الاعلام جميعا فى الوقت الحاضر ، وأبعدها أثرا فـى المستقبل هى التليفزيون ما فى ذلك ريب .

وحين تسائل أيا من المسئولين عن اجهزة التليفزيون العربية فى موضوع البرامج ونوعياتها وفلسفة تقـديمها للناس ، وعن السر فى كبر القطـاع الأجنبى المستورد من المواد ، وعن الجنوح الى الهزل دون الجد فانهـم يبتدرونك فورا بالأجوبة التاليـة ، يا سيدى الانتاج العربى قليل جدا ، ونحـن مضطرون لملء السـاعات بالمتوفر لنا من هذا الانتاج . أما عن تفاهة المحلى القليل ونزعاته المثيرة للسخرية فهم يجيبون : هذا ما يريده الجمهور ، ونحن مصلحة تخـدم الجمهور وتسليه وترفه عنه ..

تذكرنى هذه الحجج وأمثالها بحكاية شخص كان مختلط العقل بعض الشىء راتبه الشهرى لا يتيح له أكثـر من فندق متواضع من الدرجة الثالثة فى فسحه الاجازه ولكنه كان يصر عـلى النزول بأضخم فندق يجده حيث يكون ، فيما هو يحرج لبعض الوقت يستدين من هذا ويقترض من ذاك ليغطـى نفقات الفندق الفخم وتسائلهم « ما الذى يحملكم على البث ثمانى ساعات متواصلة فى اليوم قد تصل الى عشر ساعات وأكثر يوم الجمعة ؟ .. لماذا لا تبثون اربع ساعات مثلا أو ثـلاثا ويكون كل ما تبثونه نظيفا ممتعا وان لم يخل من زوايا لتسلية نظيفـة أو تمثيلية طريفة . ويجيبك أحدهم كيف افعل أنا وغيرى لا يفعل واسكت أنا وغيرى يبث ؟ .. وتسألهم ما هذا الانتاج المحلى الرخيص . ان من يرى مسلسلاتكم يظن أن الناس هنـاك لا ينشطون لعلم ولا لعمل يشغلهم هم سوى الرقص . كل موضوع تطرزونه بهذا الرقص المقلد السميج ، وكـل حكاية حتى ولو كانت مأساة تخلقون فيها مناسبة للغزل ومقاهى الليـل ومعاقرة الخمر فهل هذا هو شغل الملايين الشاغـل من الباحثين عن أسباب الحياة فى بلادنا . وهـذا الانتاج البيروتى تنبعث منه رائحـة المتاجرة الرخيصة بكل شىء من اجل الليرات . حتى الروايات الأدبيـة الضعيفة السند يزيدونها ضعفـا وهلهلة ومسخا . يصوغون قصصـا عن الصحراء ليرضوا أذواق الناس فى الجزيرة فـلا تكـون قصصهم صحراوية ولا تظل حضرية ولكنهـا تخرج فـى اطارات سمجة ثقيلـة الدم . ويجيبك المسئولون أنفسهم ماذا نفعل لو لم يكن الناس يحبون ما نقدم لما عاودوا المطالبة به وتقول لهم : أنتم تهيمنون الآن على عشرات من محطات البث التليفزيونى وتتصرفون

بموازنات ضخمة خيالية فما الــذى فعلتموه فى جهد جماعى للهيمنة على المنتجين أو توجيههم ؟ من قال إنهــم يستطيعون أن يخالفوا عن ارادتكم لو شئتم ؟ ومتى حاولتم أن تفرضوا عليهم خط سير أو سياسة معينة فلم يتجاوبوا معكم ؟

ولماذا لا تتفقون فيما بينكم على تحديد ساعات البث وفق المأمول من الانتاج الجيد وما تصل اليه مدده ؟ لماذا لا تبثون جميعا على قــدر ما يسعفكم الممكن والمتوفر ثم تأخذون فى الزيادة على مهل وتدريج وعلى هدى وبصيرة .

وهذا الجمهور الذى تلفلفون باسمه ما تشاءون وتنسبون اليه ما تريــدون وتزعمون اعراضــه عما أنتم فى الحقيقــة عنــه معرضــون متــى استفتيتموه ؟ متى قمتــم بدراسات علمية صحيحة لما تحب أكثريته وتكره ثم هل أنتم تنفقون أموال الدولـــة للسير مع ما تزعمونه من رغبــات الجمهور حتى لو كان جمهورا مغفلا أو جاهلا محمقا ؟ ألهذا ترصد أموال الدولة ؟ أليست وسائل الاعلام أيضا هى وسائل تعليم وتنوير وتهــذيب ؟ أوليست محطاتكم هى دوائر رسميــة تنفق من مال الأمة وليست شركــات تجارية كما هو الحال فى كثيــر من البلدان الأجنبية التى تقلدونها إما بلا وعى أو ذوق ، وأما بتوجيه أسود خبيث متنكر ، عرف كيف ينتدب من أبناء الامم من يعينونه على غســل دماغ شعوبهم كما يريدون .

نحن نفهم أن تشتروا لنا ما وسعكم الشراء من أفلام علمية لا سيما من مثل هذا الانتاج الأوروبى الــذى يشرح الأحوال حتى فى قيعان البحــار والمحيطات ، والأدغال والغابات ، أو يأخذ المشاهد فى رحلات سياحيــة عبر الراين أو على شلالات نياجارا ، ونفهم عن هــذا القصص التاريخى الفرنسى الجميل ، ونفهم عن هــذه الأفلام التى تفتح آفاقا جديدة لمطامح الانسان للوصول الى الكــواكب والتعامل مع الحياة فيها .. لكنا لا نستطيع أن نتذوق تلك الأفلام الدعائية فى تبرير اجتثاث الهنود الحمر مــن أمريكا .. ولكن عفوا ، لعلكم تريدون سلوتنا نحن الذين اقتلعنا من فلسطين بمشاهدة ما أصاب الهنود الحمر من قبلنا .. ومع ذلك فالهنود الحمر على رأى افلامكم كانوا أهماجا ومعتــدين شرسين فحقت عليهم لعنة الرجــل الابيض فاجتثهم من أرض آبائهــم واجدادهم ، كما لسنا نفهم أيضــا هذه السهرات من الغناء والفنــون الاجنبية التى تتبرعون لاعادة تقديمها لنا ، ولا نفهم هذه السلاسل المتلاحقة عن الجريمة والمخدرات والجــنس والفوضى الغامرة التى على غرارها ولا نفهم هذا الكرتون من ادب الاطفال الذى يصب علينا صبا هكذا بلا ترجمة ولا إعادة تحرير .

ما شأننا نحن بسرقات البنــوك الكبرى ، وبآثام المصيفين فى مونت كارلو ، وبمؤامرات العصابــات المحترفة فى هونغ كونغ .

وفى ليلة الجمعة .. ليلة التقرب الى الله من كل اسبوع تسرقون منا الشباب والاطفال لسهرات تدوم معكم الى ساعة التهويم بالنوم فى آخرة من الليل ليكونوا أبعد ما يكون الناس عن ذكر ربهم بل أنتم تلاحقونهم بعد نهوض متأخر من اليوم فى غد التالى حتى تضمنوا انصراف يوم الجمعة فى كل شىء الا مرضاة الله تعالى .

ونحن نعلم بأسف بالــغ وأنفس حزينة أنكم تستفتحون ببعض آى من الذكر الحكيم ، وتبثون بعض آى من

الاذاعة ، والله يشهد ان هذا منكم ومن برامجكم بعامة يدعو الى الاشمئزاز والكراهية . انه صورة من صور الايجابية العازمة المستنيرة التى سنها دهاقنة الاعلام الاجانب فى تخدير العالم الاسلامى كله لبناء جسور من الثقة بين الوسائل الاعلامية وقطاعات كبيرة من الناس ليتهيأ لهما وضع أشد السموم أذى تحت ذلك الدسم القليل الطائش على سطوح الكؤوس .

ذلك غيض من فيض عن التليفزيون فماذا عن الاذاعة ؟

تقدم لك الاذاعات فى معظم الحالات لمنتصف الليل حديث الليل أو همس الليل .. ولقد يدوم هذا البرنامج فى غير اذاعة واحدة حوالى الساعة من الزمن فما هو نجوى القلوب وهمس الليل عندهم ؟ كلام من غرام فاضح كما يكون بين الخلعاء .. شذرات موسيقى راقصة أجنبية .. عبارات يؤديها صوت أنثوى متكسر ، وكلام يتوارى منه الحياء ، وينتحر على عباراته الشرف والمروءة .. ثم قد يختمون بماذا ؟ بآى من القرآن الكريم قبل أن يعلن ختام شوط طويل امتد من بعد الفجر الى منتصف الليل وشمل ما لا يقل عن خمس ساعات من الاغانى معظمها لمغنيات عرفن بالماضى الرقيع .. أما كلمات الاغانى فهى هى لا تتغير ولا تتبدل فى فحواها عن الحرقة للوصال وشجو البين والاهوال وبكاء الفتاة على الفتى الاسمر ، والحيرة بين الابيض والاسمر .. اما البرامج الخاصة فأنت تستطيع أن تستغنى عن معظمها بقراءة ما يكتب على الروزناما ، وأما التمثيليات والمسلسلات فمعظمها مسلوق على عجل فى مطابخ بيروت الفنية كما يسمونها أو موضبة بغير مهل فى القاهرة .

وماذا عن السينما ومراقبة الافلام السينمائيه .. يخيل الى المرء أحيانا أن لجان مراقبة الاشرطة والافلام فى العالم العربى من النوع الهين اللين اليسر المسامح . ولقد علمت أن بعض اصحاب دور العرض ممن لا يرتوى لهم جشع فى مكاسب الافلام الخليعة ، يبتدرون لجنة المراقبة فى بلدهم بصينية من أفخر الكنافة ، أو أكلة دسمة ينيلونها اياهم فيما يدور الفيلم الذى يريدون تغطية أعينهم عنه . ان حكاية المرخص بعرضه من الافلام حكاية حزينة ، ومنجعة وهى لا تقل إيلاما عن صور العرى والتجرد فى المجلات الوقحة التى تعيش على الهاب المشاعر الجنسية بالصور الداعرة ..

ان الفتى العربى المسلم لغريب الوجه واليد واللسان فى مدينة الاعلام العجيبة التى لا يمكن أن يرتقى الى رتب النواطير فيها الا طراز معين من الناس يوضع بينهم للتعمية رجل أو اثنان فى كل حالة ممن صلحت اخلاقهم ليكونا بمثابة التعويذة على جسم متهالك ولقد يقولون لك محتجين تعال أنت يا « شاطر » واقترح علينا ما نعبىء به برامج الاذاعة والتليفزيون ، أو نشحن به صفحات المجلات ، كأنما هم لا يعلمون أننا لو ربطنا تلك البرامج بالقطاعات التربوية والانتاجية والمعاهد والمؤسسات الجادة لم يظل صعبا أن تحصل على برامج هادفة ..

ولو عرف سائر المنتجين الفنيين أن الغناء غير مقبول الا أن يكون مما يثير النخوة والرجولة والتسامى ويعكس أشرف عواطف الأمة والنبض الحى لقلوب أبنائها الشرفاء والمنتجين

لاتجه كل الغناء لألحان شعبية هادفة، أو مصورة للطبيعة ومفاتن الخلق الإلهى وحديث القلوب الملأى بالرجولة والشجاعة والمثل العليا .

لو قال المسئولون عن البرامج لا نقبل الأغنية إلا أن تصور معاناة العامل وكدحه فى مصنعه ، والفلاح ومجالدته فى أرضه ، والمغترب الى المهاجر وأشواقه الى وطنه ، والنازح من فلسطين وصوت الحنين فى صدره ، والبحار وجهده على ظهر السفينة فى الأيام العاصفة أو غير العاصفة . أغانٍ للمرأة التى تحترف خياطة الملابس لتربى أيتامها ، للطالب القروى الذى يسير أميالا ماشيا كل يوم ليستكمل فى المدينة دراسته ، للثائر المناضل فى طرق الموت على قمم الجليل أو فى قيعان الأغوار . أغان عن كفاح هذه الأمة وقصص عذابها وغصصها مع الاستعمار الى آخر ذلك ، أقول لو عرف سائر المنتجين والمؤلفين والملحنين ذلك وعرفوا الجد فيه من المسئولين لغيروا اتجاهاتهم ووسائلهم وتقربوا الى أجهزة الدولة بما ترضى عنه وتسيفه .

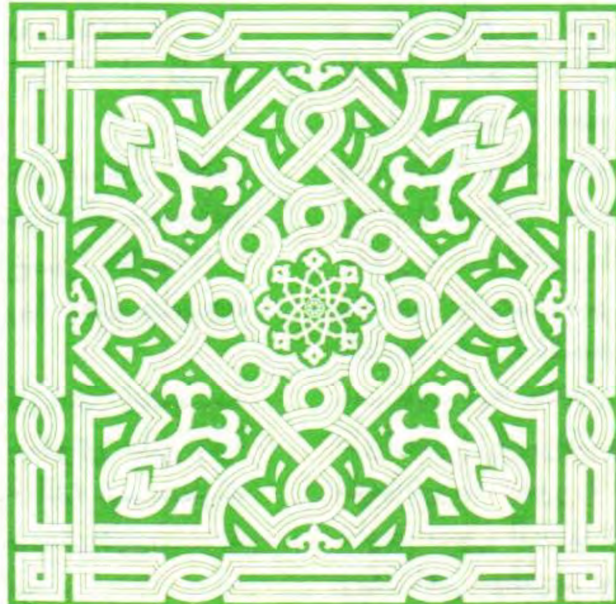
أهى وسائط اعلام وتربية ، وترقية ذوق ، ودفع لعجلات التقدم والعمران وتواصل قطع الأمة الممزقة المشتتة ، أم هى وسائط تسلية رخيصة وتخدير ؟

أهى أجهزة موكلة بغسل دماغ الأمة وجرها الى التبعية الفكرية والفنية ، والسلوك المقلد الذيلى ؟

أهى مراكز لتصريف الانتاجات البائرة أو غير البائرة ؟ أهى موجودة لذوق طائفة أو جماعة من الأمة دون سائر الأمة ؟

ما هى وسائل الاعلام العربى المعاصرة ؟ إننى شخصيا لست أدرى واذا كنت أدرى شيئا فهو أنها تعيش فى انفصال وغربة عن هذه الأمة وصالحها . .

ذلك ما أنا أدريه . . ولعلى لا اكون إلا مخطئا . . فان ذلك ليسعدنى تماما . ومعذرة الى الاعلاميين المخططين منهم والمنفذين فى عالمنا العربى .



بين القوة والضعف

للدكتور احمد الشرباصى

من الاقوال المأثورة : « ان اللـــه قد يضع سره فى أضعف خلقه » .

والمثل العربى يقول : « ان للـــه جنودا منها العسل » .

وخير من هذا واجمل قـــول الحق جل جلاله ، ((**ولله جنود السمـــوات والارض وكان الله عزيـــزا حكيما**)) . وقوله سبحانه : ((**وما يعلم جنـــود ربك الا هو**)) .

وفى ضوء هذه الكلمات المضيئـــة نفهم أن الضعف قد ينطوى على قوة مستورة تؤيدها عناية الله تبـــارك وتعالى ، فاذا قوة الضعف تهـــد الجبال ، وتحير الالباب .

وقد نتسائل فى هذا الباب ــ على سبيل المثال ــ فنقول : بم أهلك الله الجبابرة الطغاة الكافريـــن من أهـــل سبا ، حينما وهبهم جنتين عن يميـــن وشمال ، وقال لهم : « كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبـــة ورب غفور » . ولكنهم طغـــوا بكفرهـــم ، وتباهوا بقوتهـــم ، فمـــاذا كانـــت النتيجة ؟ : « لقـــد كان لســـبأ فـــى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم «أى المطر الشديد» وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكـــل

خمط وأثل وشىء من سدر قليـــل ، ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى الا الكفور » .

فكان المطر ــ وهوقطرات ماء رقيق سائل ــ سبب الهلاك والـــدمار ، وجعل الله عز شأنـــه من الشـــىء الضعيف الرقيق المنساب قوة قويـــة مدمرة لأهل البغى والطغيان .

وحينما جاء أبرهة الاشرم يتحدى يرغى ويزبد مهددا بجبروته وجنوده العرب ، منذرا بهدم الكعبة ، ومعـــه الفيلة الضخمة الغليظة التى لا تعرفها العرب ولم تألفها ، حتى خاف أهـــل مكة فتركوها واعتصموا بالجبـــال والشعاب ، اظهر الله قوة فى الضعف وجعل السبب الضعيف الضئيل سببا وسلاحا للقضاء على الجيش العرمرم الجرار ، ولم يرسل الله لإهـــلاك الفيلة حيوانات ضخمة مثلها ، ولا ما يقاربها ، بل أرســـل عليهـــا الطير الابابيل .

« الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ، الم يجعل كيدهم فى تضليل ، وارسل عليهم طيرا ابابيـــل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف ماكول » اى كتبن أكلتـــه الـــدواب وتطايرت بقاياه .

وهذا (لوط) عليـــه الســـلام ، يتعرض لموقف الضعـــف والشـــدة ، حيث يهجم عليه اللئام الفاسقون من قومه ، يريدون الاعتداء الوضيع على ضيوفه من ملائكة الرحمـــن ، ويتطلع لوط ، يبحث عن ناصر أو معين ، فيجد كل اللئام يقفون ضـــده فيقول كأنـــه يرجو اغاثة ونجدة « قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد » .

وجاء الجواب من ملائكة الرحمـــن « قالوا : يا لوط انا رسل ربك ، لـــن يصلوا اليك » واختار الله تعالى أن يكون تدميره لهؤلاء ولوطنهم بقطع من الحجارة الصغيرة المطبوخة بالنار ، وهى حجارة متتابعة مسومـــة ، أى معلمة للعذاب فتجلت منها القـــوة : قوة الضعف « فلما جاء أمرنا جعلنـــا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ربك وما هى من الظالميـــن ببعيـــد » ، « فأخذتهم الصيحة مشرقين ، فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من ســـجيل ، ان فى ذلك لآيـــات للمتوسمين ، وانها لبسبيل مقيم ، ان فى ذلك لآية للمؤمنين » .

وأمر ((عاد)) قوم هود غير بعيد من أمر قوم لوط ، فاذا كان هلاك قـــوم لوط قد تم بقطع صغيرة متوالية مـــن الحجارة ، فقد تم اهلاك عاد بالهواء بالريح العاصف ((واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية . ((لها صوت من شدتها)) سخرها عليهم سبع ليـــال وثمانية أيام حسوما (مشئومـــات) فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية))

وأمر قوم نوح غير بعيد من أمر عاد فقد هلك قوم نوح بالماء ((فكذبـــوه فانجيناه والذين معه فى الفلـــك ، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ، انهـــم كانوا قوما عمين)) .

وأمر فرعون وقومه غير بعيد من أمر قوم نوح ، فقد اغرق الله الطاغية بالماء ومعه اتباعه ((فانتقمنا منهـــم فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانو عنها غافلين)) . ((فاتبعهـــم فرعون بجنوده ، فغشيهم من اليم ما غشيهم ، واضل فرعون قومه ومـــا هدى)) .

وهذا هو رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يخلق له ربه من الضعـــف قوة ، ومن القلة كثرة ، ومن الفقـــر غنى وثراء **((الم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فاغنى)) ؟ .**

لقد كان فردا فصار امة ، وكان أميا فعلم الملايين ، وكان قليل المال فصار بالله أغنى الأغنياء ، وما زال صلوات الله وسلامه عليه ، يلتمس الغنى فى الفقر والقوة فى الضعف ، حتى أوتى من عزيمته وعزمه ، ما زعزع به أركان الأكاسرة والقياصرة **((وكان فضل الله عليك عظيما))** .

ولعل الله تبارك وتعالى قد اشار الى قوة الضعف ، حين اختار الحمامة الاليفة الضعيفة — كما تقول بعض روايات السيرة — لتكون حارسة على باب الغار الذى لجأ اليه الرسول حين اختفى عن عيون المشركين ، وهو فى طريقه مهاجرا من مكة الى المدينة ، كما اختار العنكبوت — ان صحت الرواية — ليكون معوانا للحمامة فى هذه الحراسة ، وكانت الحمامة الرقيقة النحيلة ، مع خيوط العنكبوت الهشة الوانية ، سببا فى تعمية المشركين حتى لا يبصروا الرسول وصاحبه حين اختفيا فى الغار .

وفى داخل الغار كان هناك مشهد أروع وأمتع لقوة الضعف ، فهذا ابو بكر رضى الله عنه ، يخاف على الرسول صلى الله عليه وسلم من سفه الشرك وبغى المشركين ، ويقول: يا رسول الله لو أن احدهم نظر الى موضع قدميه لرآنا ، فاذا القوة العارمة المؤمنة ، تتجلى من الرسول فى موقف الشدة والضعف ، » فيقول « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر ، لا تحزن ان الله معنا » .

ويؤيد صوت السماء رجاء النبوة ، فيتنزل قول الحق **((إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه ، وايده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم))** .

وتأتى غزوة بدر الكبرى ، ويخرج نحو ثلاثمائة من المؤمنين ليلاقوا نحو ألف من الكافرين ، ويشاهد الرسول فقر المسلمين وضعفهم وجوعهم وقلتهم ، فيدعو ربه قائلا عنهم « اللهم انهم حفاة فاحملهم ، اللهم انهم جياع فأطعمهم ، اللهم إنهم عراة فاكسهم ، اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض » .

ويستجيب قيوم السموات والارض لرجاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه فيخلق من الضعف قوة ومن القلة كثرة ، ومن الجوع شبعا ، فاذا الضعاف ينتصرون على الاشداء « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم اذلة » ، — واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .

وهذا هو المكفوف يفقد بصره وفقدان البصر لون من النقص ، ولكن الله جل جلاله يجعل من هذا الضعف قوة فيعوض صاحبه ما يجعله فى حصانة وبراعة ، وكم فى المكفوفين من عبقريات تجلت فأدهشت ولو رجعنا الى كتاب **((فى عالم المكفوفين))** .

لرأينا العجائب بعد العجائب فى هذا المجال ، وهذا هو « أحمد شوقى » يخاطب سلطان مصر منذ عشرات من السنين ، فى شأن المكفوفين فى الأزهر الشريف ، فيقول له كالموجه المرشد :

نظرا واحسانا الى عميانه
وكن المسيح مداويا ومجبرا
والله ما تدرى لعل كفيفهم
يوما يكون ابا العلاء المبصرا
لو تشتريه بنصف ملكك لم تجد
غبنا ، وجل المشترى والمشترى

وليس هذا الحديث الذى تقدم عن « قوة الضعف » دعـوة الى الرضى بالضعف ، أو السكوت عليه ، بل هو دعوة الى استثمار القوة حتى فى حالة الضعف ، دعوة الى التدثر بالرجاء والأمل ، حتى فى مواطن الشدة والبأس ، ودعوة الى بذل الجهد فى أى حالة ، وعلى أى وضع ، ودعوة الى اليقين بأن الله قادر على أن يجعل من الضعف قوة ما دام الانسان يجاهد بقدر ما يستطيع **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »** .

. . . . .

واذا كنا قد حدثنا عن « قوة الضعف » فلنتحدث عن « ضعف القوة » ، واذا كنا قد رأينا أن الضعف قد ينطوى على قوة مستورة تؤيدها عناية الله ، وضربنا على ذلك الأمثال فاننا نستطيع أن نرى كيف تتداعى القوة القائمة على غير أساس سليم ، أو على مبدأ قويم ، فاذا هى تتحطم وتنهار « **والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » .

وهذا مثلا هو « الشيطان » ، وهو القوة الممثلة للشر والاثم والانحراف انه يختال بجنوده ، ويغتر بأتباعه ، ويزهو بمكره وكيده ، ولكن هذا الطغيان يصبح أمام الايمان واهيا ضعيفا ، والله جل جلاله هوالذى يقرر ذلك ، فيقول **« الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا »** .

وهذا هو فرعون ، الذى طغى وبغى ، وكان فى الأرض عاليا من المسرفين ، والذى تأله فى الأرض ، **« فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى »** فماذا كانت العاقبة ؟ تحول التأله ذلا ، وانقلبت القوة ضعفا ، **« فاخذه الله نكال الآخرة والاولى ، ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى »** . ولم يستطع فرعون الطاغية ومن ورائه أشداء قومه ان يدفعوا عن أنفسهم الأذى ، حتى ولو كان فى صورة أرق الاشياء وهو الماء .

وهذا هو « قارون » المغرور بنفسه ، المبهور بقوته فى الحياة ، وكثرة ثروته بين الناس **« ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ، ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين »** .

وجاءته الموعظة العادلة الفاضلة الهادية الى خيرى العاجلة والآجلة **« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين »** .

ولكن قارون لم يسمع ولم يستجب ، فهو غارق هناك فى أمواج خيلائه ، وطوفان كبريائه فهو يتباهى بقوته وعلمه ويغتر بثروته وماله ويظن أنه بهذا يستعصم على الضعف ويتأبى على الانكسار ناسيا أن الله جل جلاله قادر على أن يبطش به كما بطش بمن هو أقوى منه وأطغى **« قال انما أوتيته على علم عندى ، أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون ، فخرج على قومه فى زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير**

لمن آمن وعمل صالحا ، ولا يلقاها الا الصابرون » .

فماذا كان المصير ؟ ...

انقلب العز ذلا والغنى فقرا ، والقوة ضعفا « **فخسفنا به وبداره الأرض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين . واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ، لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكأنه لا يفلح الكافرون ، تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين »** .

وهؤلاء هم قوم ابراهيم عليه السلام ، يسرفون على أنفسهم وعلى الناس فيسعون فى الأرض فسادا ويعبدون من دون الله عز شأنه ما لا ينفعهم ولا يضرهم ولا يجديهم النصح والتوجيه شيئا ويعطيهم نبى الله ابراهيم درسا بليغا فى أن الأصنام لا تدفع عن نفسها شرا ، فكيف تدفع قليلا أو كثيرا عن غيرها وهنا يثور الأقوياء الاشداء السفهاء لكرامتهم المهضومة وعزتهم المزعومة ، ويجتمعون فى طغيان وبهتان ويقررون أن يعصفوا بالنبى الوحيد الفريد الأعزل ويختارون للخسف به أقسى أنواع العذاب وهو الاحراق بالنار ، جزاء له على تحطيمه أصنامهم وسخريته بضلالهم :

« فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا أنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال اتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين » .

فماذا كان صنع الله القوى المتين ؟

جعل الشدة هوانا وأحال القوة ضعفا ، ومن خلال النار المحرقة المهلكة بعث الله السلام والنجاة **« قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم . وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين »** .

وهذا هو « النمرود بن كنعان » ، الملك الجبار المتمرد ، الذى ادعى الربوبية وحاج ابراهيم فى ربه وقال فى شأنه القرآن الكريم **« ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ، ان آتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت، قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين »** .

فماذا يصنع القدر مع ذلك الذى بغى وطغى ، وتجبر وعتا ، وآثر الحياة الدنيا واغتر لأنه احد الأربعة الذين قالوا إنهم ملكوا العالم وهم ذو القرنين وسليمان والنمرود ، وبختنصر ؟!

اختار الله لإهلاكه وإهلاك جنوده حشرة ضعيفة ضئيلة هزيلة ، هى البعوضة يقول التاريخ « فأرسل الله عليهم ذبابا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس فسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم وتركتهم عظاما بالية » ودخلت بعوضة أنف النمرود ، فعذبه الله

بها ، وجعل يضرب راسه بالمطارق لكى تموت البعوضة أو تخرج من انفه ولكنها ظلت تذيقه العذاب الوانا حتى مات الجبار ذو الاسباب ميتة الكلاب

وما أضعف قوة المخلوق امام سلطان الخالق « **ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** » .

وهؤلاء هم أهل الكفر والضلال يعدون فى الدنيا بالملايين بعد الملايين وعندهم طاقاتهم وقدراتهم ولديهم أموالهم وثرواتهم ولهم جبروتهم وقد كفروا بربهم ، وتمردوا على خالقهم وعبدوا من دونه ما عبدوا من أصنام وأوثان ولكن الله جل جلاله يذل اغترارهم ويحطم قوتهم ويتحداهم ان يسخروا كل أسبابهم لايجاد حشرة ضعيفة هزيلة « **يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز** » .

والخطاب هنا لجميع الناس ابيضهم وأسودهم ، عربهم وعجمهم ، والتحدى موجود حتى مع اجتماعهم وتضامنهم « ولو اجتمعوا له » ، وموضوع التحدى هين يسير صغير ذبابة ، والذباب من أضعف المخلوقات وأصغرها والتحدى هنا نوعان إما أن يخلقوا ذبابة واما أن يستردوا من الذبابة شيئا أخذته منهم وما هم بفاعلين « ضعف الطالب والمطلوب » وفى الحديث القدسى يقول الحق جل جلاله « **فليخلقوا مثل خلقى ذرة أو ذبابة او حبة** » .

وهذه الذبابة الضعيفة يعطيها الله من الحيلة والوسيلة ما تقلق به الاشداء وتضايق به الاقوياء ولقد روى عن احد الخلفاء العباسيين انه كان جالسا فى قصره فوقعت على وجهه ذبابة فطردها فطارت ثم عادت فوقعت على وجهه . فطردها فطارت ثم عادت فوقعت على وجهه ، وظل الأمر كذلك حتى غضب الخليفة وتضايق ، وهنا .. دخل عليه أحد العلماء فسأله الخليفة لماذا خلق الله الذباب ؟!

وكأنما أحس العالم بما كان هناك فأجاب قائلا لقد خلق الله الذباب ليذل به الجبابرة يا أمير المؤمنين ..

ليس هذا الحديث عن « ضعف القوة » تنفيرا من القوة أو تزهيدا فى الشدة والتماسك او دعوة الى الضعف لأن الاسلام يدعو الى كل انواع القوة الفاضلة « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » ولكنا نريدالقوة القائمة على الايمان والعدل والخضوع لسلطان الله عز وجل « **خذوا ما آتيناكم بقوة** » ونريد القوة العادلة المتعادلة « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** » .

يا أهل الايمان لا تخافوا قوة البغى فى الارض فمن فوقها قوة السماء ، لا تهابوا الأقوياء السفهاء من الناس فان ثباتكم فى وجوههم مع رضى الله عنكم كفيل بأن يحطم بنيانهم ويهدم كيانهم ، ويأتى عليهم من القواعد « **لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد** » انتزعوا من ضعفكم قوة تحيل قوة عدوكم ضعفا اعتصموا بحبل ربكم يجعل لكم من أمركم فرقانا وينصركم نصرا مبينا .

حق الله على العباد

للاستاد عبد الرحمن عبداللطيف

الشكوى من عقوق الأبناء كثيرة ، والكلام عن واجب الأولاد حيال آبائهم كثير أيضا حتى صار مكررا ومعادا ، والمكرر المعاد لا يكون له أثر الجديد، وغالبا ما يكون ضعيف الجدوى قليل القيمة .

اذن فلنحاول أن نطرق الموضوع على هامش معانيه وجوانبه وأن نحوم حوله حتى لا نعيد ولا نكرر .

إن سبب عدم جدوى نصح الأولاد هو أن جريمة العقوق لم تنل حظا من التوضيح والمعرفة لدى الناس ، والا لقاومها المجتمع كما قاوم جرائم أخرى أقل منها قبحا واضعف أثرا ، ولعل السبب فى عدم وضوح جريمة العقوق وفهمها الفهم الصحيح هو — مع شديد الأسى والرثاء — عطف الآباء انفسهم على أولادهم ، فهم يكتمون أساهم ويسترون مخازى أبنائهم ولا يحبون — مهما كانت الظروف — أن تظهر عيوب أولادهم للخلق . وهم فى هذا ليسوا بدعا فأبوهم نوح عليه السلام — كان المثل الصارخ فى هذا والعزاء لكل أب عقه بنوه ، لقد كفر ابن نوح بربه وبأبيه ولم يؤمن رغم تكرار النصح من أبيه وذهب مع القوم الكافرين ، فأخذه الطوفان مع من أخذ ، وحين ركب نوح ومن معه السفينة دعا ابنه لينضم اليه والى المؤمنين (ونادى نوح ابنه وكان فى معزل : يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ،

وحق الوالد على أولاده

قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) . ثم تحركت عاطفة الأبوة فى نفس الوالد المكلوم فدعا الله كما حكى القرآن الكريم : (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وانت أحكم الحاكمين ، قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ، انى أعظك أن تكون من الجاهلين ، قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين) .

وحتى توضح ما خفى علمه على بعض الناس مما تسبب فى هذا الطوفان من العقوق نقول : يجب أن يعرف الناس أن مرتبة بر الوالدين فى الطاعات تأتى بعد عبادة الله وتوحيده مباشرة وفى نفس الوقت هى مقدمة على الجهاد فى سبيل الله حتى لو كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء رجل الى النبى عليه الصلاة والسلام يستأذنه فى الجهاد فقال له (أحى والداك ؟ قال نعم . قال : ففيهما فجاهد) وفى خبر آخر (نومك مع أبويك على فراشهما يضاحكانك ويلاعبانك أفضل لك من الجهاد معى) واصطلح الناس على أن يصموا الفار من الجهاد بأقبح الصفات وأبسط ما يصفونه به هو

الجبن والنذالة والخيانة وجريمته — على فحشها — أقل عند الله وعند الرسول من العقوق ومع ذلك فلم يصطلح الناس على أن يقولوا للعاق أنت نذل أو أنت جبان ..

— ولو قالوها لأرضوا الله وارضوا رسوله الذى يقول (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان) .

وقد يحار الانسان ويعجب من أن يقرن الله تعالى أمره بأدب الأولاد مع الآباء بأمره بتوحيده سبحانه وتعالى وعبادته — اذ يقول سبحانه (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا) ويقول عز وجل (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) وأن يقرن شكرهما بشكره سبحانه فى قوله : (ووصينا الانسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير) .

وايضا فى ردع الخروج على هذا الأدب الاسلامى ووضع العقوق فى مرتبته بين جرائم الجحود — فيقرن بالشرك بالله — يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (عقوبتان معجلتان فى الدنيا : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين) .

ثم تزول الحيرة والتعجب اذا عرفنا أن الاسلام حريص على أن يكون المسلم وفيا غير خؤون فيؤدى الأمانة ويحمل المسئولية بشجاعة ومن غير جبن ، فلا ينكر الجميل ولا الفضل لمن أحسن اليه وليس لأحد فضل ولا جميل على المسلم الا الله سبحانه ثم أبواه . وانكار فضل الله وهو المنعم على الانسان كفر وجحود ودناءة — وانكار الولد فضل أبيه كفر وجحود ودناءة — فالجريمتان متشابهتان ونابعتان من نبع واحد هو خسة النفس وضآلتها وهى صفات لا يرضاها الله للمسلم لأن الذى ينكر فضل الله وفضل الوالد لا يعرف يقينا فضل أحد سواهما وان ادعى غير ذلك وهو قطعا غير جدير بوصف المسلم .

فمن صفات المسلم أن يكون شكورا لأن الأريحية والشجاعة يقتضيان منه ذلك ، وأن يشكر الله وشكر الله عبادته وشكر من أجرى النعمة على يديه ، أولى الناس بهذا هم الوالدان — على نعمة التربية والايواء والصيانة والحفظ والتعليم ، فالولد الرجل لم يخرج من بطن أمه رجلا بل طفلا صغيرا ضعيفا لو سها الوالدان عنه لحظة لضاعت حياته ، فهما اللذان حفظاه وربياه وعلماه وجاعا ليشبع ، وتعريا ليكسى ، وحرما نفسيهما من كثير من المتع ، وأحيانا من الضروريات ليوفرا له ما يسره وما يشتهيه وما يكمله ويجعله انسانا مذكورا بين الناس .

إن بر الوالدين معناه طاعتهما ، يجب أن يعلم هذا ، وكلمة البر هنا لا تحمل معنى التبرع أو التطوع أو التفضل ولكن معناها الطاعة ، الطاعة المطلقة فطاعة الوالدين لازمة إلا اذا أمرا بمنكر فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وهذه المعاملة الحسنة المطيعة واجبة للأبوين حتى ولو كانا كافرين أرأيتم ميزات الاسلام ؟؟ وانعمه على الانسانية كلها ؟؟ يقول الله سبحانه وتعالى عن الأبوين الكافرين اذا كان لهما عهد : (وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا)

وفى صحيح البخارى عن أسماء قالت : قدمت أمى وهى مشركة فى عهد قريش ومدتهم اذ عاهدوا النبى

صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيت النبى صلى الله عليه وسلم (ان أمي قدمت على وهي راغبة افأصلها ؟؟ قال : نعم صلى أمك .

وايضا ما روى من ان عبد الله بن عبد اللـــه بى ابى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم ــ فشرب النبى صلى الله عليه وسلم ماء ، فقـــال له : بالله يا رسول الله ما أبقيت من شرابكفضلة أسقيها أبىلعل اللهيطهر بها قلبه ؟؟ فأفضل له ، فأتاه بها فقال له عبد الله ما هذا ؟ ــ فقال : هى فضلة من شراب النبى صلى الله عليه وسلم جئتك بها تشربها لعل الله يطهر قلبك بها ، فقال له أبوه : فهلا جئتنى ببول أمك ؟؟ فانه أطهر منها ، فغضب وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله أما أذنت لى فى قتل أبى ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم (بل ترفق به وتحسن اليه) .

أرأيتم كفرا أشد من هذا الكفر ؟؟ وسفولا فى الخلق وفى الكلام وفى الخطاب أسفل من خلق هذا الوالد الفاجر الذى تجرد حتى مما كان فى الجاهلية من بعض صفات الاريحية العربيـــة ؟؟

ثم أرأيتم كيف يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ابنه بعدم قتله ، بل يأمره بالرفق به والاحسان اليه ..

ثم أرأيتم حق الابوة ومكانته فى الاســلام ؟؟.. الطاعـــة والرفـــق والاحسان والمصاحبة الطيبة وصدق الله سبحانه (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ..)

ولنذكر مثالا لطاعة الوالد فى أمر يراه الابن : فى زماننا خاصا به وحده دون سواه .. وهو اختيار زوجتـــه ومعاشرتها ، فقد روى عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنه وعن أبيه انه قـــال : (كانت تحتى امراة أحبهـــا ، وكان أبى يكرهها ، فأمرنى ان أطلقها فأبيت ، فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال (يا عبد الله بن عمر طلق امرأتك) .

ويروون تفسيرا لهذه القصة أو تتمة لها أن الزوجة كانت جميـــلة وخشى عمر على ابنه من فتنة امرأته وقد مر على بيتـــه فى طريقـــه الى المسجد ولم يره خرج الى الصلاة ..

وصدقت فراسة عمر .

وصدق الله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) .

ووجه العداوة أن الولد أو الزوج اذا فعل فعل العدو كان عدوا ، ولا فعل أشد قبحا من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة ، وقد خشى عمر أن تشغل المرأة ابنـــه عن البكور فـــى الذهاب الى المسجد فكان طلاقها أمرا لازما أيده الرسول صلى الله عليـــه وسلم فيه (وما ينطق عن الهوى) .

ومن تنطبق عليهم الآية الكريمـــة الزوجة الأنانية التى تعمل جاهـــدة على أن تستأثر وحدها بزوجها دون أهله وتوقع ــ لهذا ــ بينه وبينهم البغضاء والقطيعة ، يساعدها فى هذا ظروف الزوجية وملابســـاتها وخلواتها ونعومة الحديث فيها ودوام الشكوى منها فى الوقت الذى لا يجد أهله هـــذه الظروف ــ ويترفعـــون بطبيعة مكانتهم عن هذه المساجلات الوطيئة ، ويتعالون بالله ورســـوله عن هذه المكائد الشريرة التى تتلخص فى نسبة الظلم منهم لابنهم وزوجـــة ابنهـــم .

وكون الوالدين يظلمـــان ابنهمـــا أمرا لا يتصوره أبدا عقل ســـليم ..

ففى الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال : (من أمسى مرضيا لوالديه وأصبح أمسى

وأصبح وله بابان مفتوحان من الجنة وان واحدا فواحدا — ومن أمسى وأصبح ، مسخطا لوالديه أمسى وأصبح وله بابان مفتوحان الى النار وان واحدا فواحدا ، فقال رجل : يا رسول الله وان ظلماه ؟

قال : وان ظلماه ، وان ظلماه ، وان ظلماه ؟..)

والرسول صلى الله عليه وسلم لا يقر قطعا الظلم ولا يرضاه ، ولكنه يرى بنور الله نور النبوة أن الوالدين لا يظلمان ابنهما أبدا ولو صدر منهما بسبب حبهما له وحدبهما على مصلحته وتقويم أمره ما يخيل اليه أنه ظلم أو ينقل له ويفسر من أذناب ابليس قرناء السوء على أنه ظلم فلا يصدق ويحترس ويحذر استجابة للآية الكريمة : (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) ويقول سبحانه عنهم وتوضيحا لرسالتهم الفاسدة (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) .

ولو آمن الوالدان بالله وحده واعتزا بالله وحده دون سواه من البنين والبنات ، ولو آمن الناس كلهم هذا الايمان واعتزوا هذا الاعتزاز وتأدبوا بأدب الرسول الكريم الذى أدبه ربه به فأحسن تأديبه والذى نقل هذا الأدب من الله عز وجل الينا ، وهو يقول للزوج — لرب الأسرة — (الديموث الرجل يسكت على هنات أهله) ويقول للمسلمين جميعا (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان) .

لو تأدب الناس بهذا الأدب لزالت جريمة العقوق ، والدليل على هذا أنها استشرت حينما ضعف تدين الناس ولم يكن لها وجود يوم كان الناس أصلاء متدينين فى الماضى

وأخيرا — ان عملى فى البرامج الدينية ، فى الاذاعة (برنامج درس الجمعة ، وبرنامج رأى الدين) كان سبيلا لورود كثير من المشاكل والاستفتاءات بغية الوصول الى حلها وعلاجها عن طريق الدين وحكم الدين .

وكان مما وصلنى رسالة أعجبتنى ولا أكتم أنها أضحكتنى لأن صاحبها كتبها، مسرورا غير مقهور وابتساماته وقهقهاته يملآن سطورها .. يقول صاحبها : (امتحنت بعقوق الولد الذى يتظاهر لا بالتدين فقط ولكن بالولاية أيضا وبحب الوالد واطرائه وصبره على شدته وظلمه له ، ويستعد من الآن لتشريف أبيه عند موته بكل أنواع التشريف والحفاوة والتكريم ، مع انه لا يزوره الا فى المواسم الرسمية ، ويقول الوالد : ما الرأى فى هذا ؟ وأنا لا أستطيع السكوت عن قول الحق حيا وميتا ، ولا أستطيع السكوت عن هنات أهلى حيا وميتا ، ولا عن النصيحة حيا وميتا ، والمرشد الحق هو من أرشد الناس بعد موته كما أرشدهم فى حياته) — وقد أعجبنى فى وصف هذه الحالة — الحالة التى شرحتها لك — قول الشاعر :

لا ألفينك بعد الموت تندبنى
وفى حياتى ما زودتنى زادى

فما رأيك ..؟؟

وأنا لم أجد ردا بليغا على هذا السؤال الا كتابة السؤال واسماعه للناس لعل من تنطبق عليه أوصافه من الابناء لا ينشد شحه فى الحياة بالزاد ولا كرمه عند الموت بالندب .

وما أروع وأصدق قول الله سبحانه : (بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره) .



كتاب الشهر

دستور الأخلاق في القرآن

دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن

تاليف المرحوم :
الدكتور محمد عبد الله دراز

ترجمـــــة :
عبد الصبور شــــاهين

عرض وتحليل :
محمد عبد الله الســمان

هذا الكتاب القيم الذى أسهمت فى نشره دار البحوث العلمية بالكويت ، ومؤسسة الرسالة فى بيروت يقع فى زهاء ثمانمائة صفحة من القطع الكبير وهــو الدراســة التى استوعبتها الرســالة الأساسـية التى نال بها المؤلف دكتوراه الدولة من السوربون حيث نوقشت أمام لجنــة مكونة من خمســة من أساتذة الســوربون والكــوليج دى فرانــس فـــى ١٩٤٧/١٢/١٥ ، وقــد كتب المؤلف الرسالة بالفرنسية ، وطبعت النسخة الفرنسية على حساب مشيخة الأزهر عام ١٩٥٠ ، وظلت فكرة تعريبهــا زهاء ربع قرن تتأرجح بين الأزهــر ووزارة الأوقاف المصرية ، حتى قيض الله لتحقيق الفكرة من هم أهل لكل عمل جاد ، وكل جهد مشكور ..

ولا أظن أن القــراء بحاجــة الى التعريف بالمؤلف رحمه الله ، وهو من العلماء الأفذاذ ، القــلائل ، الذين توافر لهم بسطة فى العلم ، وقوة فى الإيمان ، وعــزة فى النفس والذين قدر لهم أن يعرفوه عن كثب ، يدركون

أن المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز نموذج رفيع لعالم الدين قد لا يتكرر الا كل حين ..

أما دراسته التى بين أيدينا : (دستور الأخلاق فى القرآن) فهى على المستوى العلمى الرفيع ، ولا اظن أن كلمات ــ أيا كانت ــ تفى حقها من التقدير ، وقد قدم لهذه الدراسة بمقدمة موجزة مركزة الأستاذ الدكتور السيد محمد بدوى استاذ علم الاجتماع بجامعة الاسكندرية ، الذى قام أيضا بمراجعة الرسالة ، وقد عاش معها مرتين : مرة أثناء تأليفها ــ حيث كان يدرس فى باريس ، ومرة أثناء ترجمتها ، والحق ، أن المقدمة ــ على ايجازها تلقى أضواء على هذه الرسالة الجامعية ، هى بمثابة خلاصة سريعة للأفكار الرئيسية فيها تيسر للقارىء استيعاب هذه الدراسة القيمة .

كذلك كانت كلمة المعرب الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين أستاذ مساعد الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة ــ جديرة بكل تقدير لأنها بمثابة تقييم فنى دقيق لرسالة المؤلف ، والدكتور عبدالصبور شاهين الذى قضى ثلاثة أعوام متفرغا لهذا العمل الكبير ، عاش بعقله ووجدانه مع هذه الدراسة القيمة ، فهو ليس متمكنا من اللغة الفرنسية ــ وحسب ــ بل هو أيضا متمكن من دراسة الفكر الاسلامى لذلك لم يشأ أن يقوم بعمل آلى يهتم بالدقة فى الترجمة الحرفية للنص الفرنسى ، وانما أراد أن يقدم عملا متكاملا أقدم عليه ، مدركا أن غيره من العلماء القادرين على الترجمة ، تردد أكثر من مرة فى قبول هذا العمل ، وانتهى به المطاف الى الرفض بأدب لأن دراسة تنسب الى المؤلف العالم الجليل ، لم يتوقع لها إلا أن تكون على مستوى من العمق يحتاج فى نقله الى العربية الى جهد مضن ــ لا يتوافر له العلم والأناة وحسب ــ بل أيضا القدرة على الصياغة العربية التى تقارب فى أساليبها ، أسلوب المؤلف البلاغى العميق ، الذى نلمسه فيما كتب باللغة العربية .

إن الهدف الرئيسى من هذه الدراسة ــ كما يقول الدكتور السيد محمد بدوى ــ هو إبراز الطابع العام للأخلاق التى تستمد من كتاب الله الحكيم ، وذلك من الناحيتين النظرية والعملية،وتهيمن على الكتاب من أوله الى آخره ، فكرة رئيسية ، هى أن الحاسة الخلقية انبعاث داخلى قطرى وأن القانون الأخلاقى ، قد طبع فى النفس البشرية منذ نشأتها : « ونفس وماسواها. فألهمها فجورها وتقواها» غير أن هذا القانون الأخلاقى المطبوع فينا ناقص وغير كاف . ليس فقط . لأن العادة ، والوراثة ، وأثر البيئة ، والمصالح المباشرة تفسد نوازعنا التلقائية ، وليس فقط لأن شواغل الحياة فى الدنيا تستوعب القسط الأكبر من نشاطنا الواعى بل ان ممارسة الأخلاق فى أحسن الظروف الملائمة تواجه صعوبة أخرى رئيسية وهى أن الضمير اذا اقتصر على مصادره الفطرية وحدها ، وجد نفسه عاجزا فى غالب الأحيان عن أن يقدم فى جميع الظروف قاعدة ذات طابع عام ، تستأثر باعتراف الجميع فاذا تجاوزنا حدا معينا نجد أن (اليقين) الأخلاقى قد ترك مكانه للاحتمالات والتردد والمتاهات وهذا هو السبب الذى من اجله بعث الله فى الناس ــ من حين لآخر ــ نفوسا متميزة ملهمة بالوحى الربانى .

يجـدر بنا هنا قبـل أن نعرض لموضوع الدراسة القيمة ، أن نجلى للقارىء الفكرة الرئيسية لدى المؤلف ــ رحمه الله ــ والتى حدت به الى اختيار دراسة مضنية شاقة وهـذا ما يلمسه من واقع مقدمته ، وهـذه كلمات وجهها الى القارىء نفسه حيث يقول : (ولسوف يكون لدى قارئنـا الواعى فرصة أن يقدر الى أى مدى يوفى كتابنا ــ الذى نقدمه اليـوم اليه ــ بهذه الشرائط المطلوبة فـى التأليف ــوهى التى تدعو دائما كل كاتب أن يسير على نهجها فلم يكن شروعنا فى هذا المؤلف الجديد عن القرآن عبثا نضيع فيه وقتنا ، ونثقل به على قرائنا ونزحـم به مكتباتنا ، فاذا لم يأت عملنا بشىء جديد فى عالم الشرق أو الغرب ، فلن يكون سوى مضيعة وزحمة وإثقال .)

يرى المؤلف رحمه الله : أن فـى مؤلفات علم الأخـلاق العام ، التى كتبها غربيون ــ فراغا هائلا وعميقا نشـأ عن صمتهم المطـلق عن علم الأخلاق القرآنى ، وهذه المؤلفـات تذكر لنا بايجاز أو بافاضة ، المبادىء الأخلاقيـة كما ارتأتها : الوثنيـة الاغريقيـة ، ثم أديان اليهـودية والمسـيحية .. ثم تنقلنـا بغتة الى العصور الحديثة فى أوربا مغفلة كل ما يمس الدستور الأخلاقى فى القرآن أما المحاولات التى تمت خلال القرن التاسـع عشر من أجـل استخراج المبادىء الأخلاقية من القرآن فقـد كان اطارها فى الغالب محدودا ، كما كان مضمونها بعيدا عن المطابقـة الدقيقة للنظرية القرآنية الحقة فمن حيث الاطار نجدهم قد أغفلوا الجانب النظرى من المسألة ، ومن حيث عيوب المضـمون نجـد مرجعهـا اما الى ترجمات غير صحيحة ، وامـا الى تلخيص سىء ، واما الى الأمرين معا.

ثم يشير المؤلف الى أن هذا هو الدافع الأساسى الى هذه الدراسة فقد أصبح من الضرورى أن يتنـاول الموضوع من جديد ، وأن يعالج تبعا لمنهج أكثر سلامة ، من أجل تصحيح هذه الأخطاء ، وملء ، هذه الفجوة فى المكتبة الأوربية وحتى نرى علماء الغرب الوجه الحقيقى للأخـلاق القرآنية ..

****

قسم المؤلف الدراسة الى خمسة فصول :
فى الفصل الأول يبحث المؤلف فكرة الالزام ــ ان اى مذهب أخـلاقى يستند فى نهاية الأمر على فكرة الالزام واذا لم يعد هناك الزام فلن تكون هنـاك مسؤوليـة ، واذا عـدمت المسئولية فلا يمكن ان تعود العدالة وحينئذ تتفشى الفوضى ، لا فى مجال الواقع فحسب بل فى مجال القانون ايضا فالى أى اتجاه يريد أن يقودنا بعض أصحاب النظريات من المحدثين أمثال (جييو) فى كتابه (نحو أخلاقية بلا الزام ولا جزاء ؟ اذن فكيف نتصور قاعدة أخلاقية بدون الزام ؟ أليس هذا تناقضا فى الحدود ؟ ويعرض المؤلف بعد ذلك لمصادر الالزام الأخلاقى لدى الفلاسفة والمفكرين ، فالفيلسـوف الفرنسى (برجسون) يكشف فى تحليله العميق لقضية الالزام الأخلاقى عن مصـدرين : همـا قوة الضـغط الاجتماعى ، وقوة الجذب ذى الرحابة الانسانية ، المسـتمدة من العـون الإلهى ، وهى قوة أوسع مدى من

سابقتها ويرى المؤلف أن عرض (برجسون) هذا ، اذا نظرنا اليه على انه وصف وتحليل لواقع معين نجده فى التجربة أمكن القول بأنه لم يغفل كثيرا من الأساس ، أما اذا تناولناه — على انه نظرية فى الالزام الأخلاقى — فان تحليله يحمل بعض الصعوبات وشيئا من الانحراف عن الجادة بالنسبة الى وجهة النظر القرآنية .. أما الفيلسوف (كانت) الذى كشف عن مصدر الالزام الأخلاقى فى تلك الملكة العليا فى النفس الانسانية والتى توجد مستقلة عن الشهوة ، وعن العالم الخارجى معا ، فيرى المؤلف أن (كانت) قد أحسن صنعا ، برغم بعض النقص فى طريقة تقديمه لنظريته ، فاذا ما رددناها الى أبسط تعبير عنها ، وخلصناها من جميع مظاهر الدقة الشكلية ونزعتى التسامى والتشاؤم ، ومن بعض ما شابها من البرود العاطفى ، فهى بعد هذا لا تعد من المسلمات فحسب ، بل انها لتتفق تماما — فيما نرى — مع النظرية المستخلصة من القرآن .

ويطرح المؤلف — رحمه الله — تساؤلا : هل للشريعة الاسلامية مصدر واحد أو عدة مصادر ؟ ثم يعقب قائلا : ان الفقهاء قد حددوا لها بعامة أربعة مصادر : القرآن والسنة ، والاجماع والقياس ، واذا كان التحليل الذى قدمنا صحيحا — باستثناء بعض التحديدات التى يجب أن نضيفها الى هذا القول — فلا ينبغى أن يكون لدينا سوى سلطة لشريعة واحدة بالمعنى الصحيح ، والقرآن ذاته لا يفتأ يؤكد لنا هذه الفكرة فى كثير من آياته : ان الحكم الا لله — الا له الحكم — ولا معقب لحكمه) .

وفى الفصل الثانى يبحث المؤلف فكرة (المسؤولية) فيرى أن فكرة الالزام ، يرتبط بها ناتجان ، يستلزم أحدهما الآخر بدوره، ويؤيده ويدعمه، هما فكرة المسئولية ، وفكرة الجزاء التى سيعرض لها فى الفصل الثالث والواقع — كما يقول المؤلف — أن هذه الثلاث يأخذ بعضها بحجز بعض ولا تقبل الانفصام فاذا ما وجدت الأولى تتابعت الأخريان على أثرها ، واذا اختفت ذهبتا على الفور فى أعقابها ..

وفى دراسة المؤلف لفكرة المسئولية بحث الصفات العامة التى تنبع من تحليل هذه الفكرة ، ثم شروطها من الوجهة المزدوجة الاخلاقية والدينية ، وأخيرا جانبها الاجتماعى ثم قرر المؤلف فى النهاية أن القرآن تولى بصفة جوهرية وجهة النظر الأخلاقية ، وراح يقر فى هذا الصدد الشروط التى تتفق تماما مع المقتضيات المشروعة لأعظم الضمائر استنارة واهتماما بالعدالة ..

وفى الفصل الثالث ، بحث المؤلف فكرة الجزاء فالعلاقة بين الانسان والقانون تتمثل لأعيننا فى شكل حركة اقبال وإدبار ، مكونة من (ثلاثة أزمنة ، ولقد كنا مع فكرة الالزام ما نزال فى نقطة البداية ، ولكننا مع فكرة الجزاء نجد أن دائرة هذه العلاقة الجدلية سوف تقفل ، والجزاء هو رد فعل القانون على موقف الاشخاص الخاضعين لهذا القانون الذى هو مطلب لا يقاوم لأنفسنا وفرض صارم لضميرنا الجماعى وهو فى الوقت

نفسه أمر مقدس لضـــمير الفرد فى اكمل صورة واقدسها .

ثم عرض المؤلف للميادين الثــلاثة للجزاء ، الجزاء الأخلاقى ــ الجزاء القانونى ــ الجزاء الإلهى وعلى حين ان الجزاء الأخلاقى والجزاء القانونى بطبيعتهما ، لا يؤثر كل منهما مباشرة الا على عنصر مختلف من الشخص : الحاســة أو الضــمير فان مما يميز الجزاء الإلهى هو أنه يجب أن ، يكون كليا وكاملا،إن رحابة الفكرة القرآنية عن الجزاء أمر بدهى ، انها ليست نزعات خاصة لانســـان ، ولا آراء شخصية لفيلسوف ، ولا رأيا شائعا فى عصر اى عصر ، ســواء كان معاصرا للاسلام أم سابقا عليه أم لاحقا به ولما كانت هــذه النظرية شـــــاملة بفضل غايتهـــــا ، ارادت أن تكون كذلك شاملة بفضل منهجا ، ومن ثم ــ كما يقول المؤلف ــ فان ما تركه الحكماء الأقدمون منــذ سقراط ، وما كتبه فلاسفة العصــر الحديث حتى (كانت) ، وما جــاء به القديسون والأنبياء منذ بدء الزمن حتى موسى وعيسى ــ كل مذهب من هذه المذاهب ، لا بد أن يجــد فى النظرية القرآنية احدى الصيغ التى يوافق عليها .

وفى الفصــل الرابع بحث المؤلف « النية والدوافع » فالنيــة بالمعنى الواســع للكلمة ، حركــة تنزع بها الارادة نحــو شىء معين ، ســواء لتحقيقه أو لاحرازه ، وتطلق كلمــة (غاية) أو (هــدف) عــلى ذلك الموضوع البعيد من حيث هو حقيقة مســتقبلة يتعين الســعى وراءهــا وبلوغها ، ولكنه من حيث هو مبدأ أو فكرة تحفز النشاط الارادى ، وتمهــد له ، يطلق عليه (باعث) أو (دافع) وباعتبار انها « باعث تصور » فكرة الخير الأسمى حــالة عقلية صــرفة تستخدم فى تسويغ العمــل المعتزم وجعله معقولا ، لكن حين نتجاوز هذه المرحلة العقلية نجد أن فكرة الهــدف تتمثل لنا كقوة محركة تدفع نشاطنا ، وحين ننظر اليها من وجهة هذا التأثير على الارادة ، فاننا نطلق عليها اسم الدافع ويقرر المؤلف أن فكرة القصد أو النية فى كلتا الحالتين ــ ولانهــا تتصل بواجب عمل ــ ينبغى أن تنطوى هنا على ثلاثة عناصــر تكوينية وقد بحثها المؤلف بحثا تفصيليا دقيقا ، وهى تصور المرء لما يعمله ، ارادة إحداثه ، ثم ارادته بالتحديد على أنه شىء مأمور به أو مفروض .

وفى الفصــل الخــامس ، بحث المؤلف (الجهد) ومفهوم الجهــــد لا يتحدد بواسطة العمل بعامة ، بل بالعمل المؤثر الفعال بخاصة ، الذى موضوعه مقاومة قوة ، أو قهر مقاومة وهو تعريف متوافق ابتداء مع المعنى المادى ، ولكنه يجب أن يتوافق ايضا مع المعنى الأخــلاقى ، والتماثل بين المجالين واضح جلى فعلى صــعيد الابداع الخير ، يصادف الفكر غالبا فى الموضوع ، وفى نفسه ــ عقبتين ينبغى أن يتخطاهما : خمود المــادة التى يجب تحويلها ونقص الهمة فى الارادة الفاعلة والأمر كذلك عنــدما يجب الامتناع عن الشر ، فى مواجهة القوى التى تدفعنا اليه ، ففى هــذه الحالات جميعا لا يكفى أن (نفعل) بل يجب أن نجاهد بقوة واصرار .. ثم عرض المؤلف بعــد ذلك للجهــــد البدنى وهو فى الاسلام لا يمكن أن تكون له قيمة منفصلة عن مضمونه ، فاذا كانت هناك أخلاق ترى فى الألم النازل بأجسادنا ، من حيث هو قيمة

البقية ص ١٠٢

قصة من الواقع

وليمة أصفهانية

للواء الركن محمود شيت خطاب

— ١ —

كانا صديقين حميمين ، احدهما تاجر من طهران والآخر تاجر من اصفهان ربطت بينهما المعاملات التجارية المادية ، فكان كل واحد منهما يشهد لصاحبه بالاستقامة فى المعاملة المادية .

وفى يوم من الأيام ، اتفقا أن يزورا معا الديار المقدسة والمسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة ويؤديا فريضة الحج ، ويعودا معا إلى بلادهما : لا يفترقان ويتعاونان على البر والتقوى ، ويشد احدهما عضد أخيه ويعينه على تحمل مشقات السفر الصعب الطويل .

ولم تكن فى تلك الأيام سيارات وقطارات وطائرات تقطع المسافات الشاسعة بوقت قصير ، وتجعل السفر الشاق مريحا ، بل كانت الخيل والجمال والحمير والبغال هى وسائط النقل للموسرين ، وكانت الأقدام هى الوسيلة الوحيدة لتنقل المعسرين .

وكان فى كل بلد اسلامى رئيس قافلة معتمد ، وكانت القوافل من شتى البلدان الاسلامية ، ومعها حرس خاص من الجنود النظاميين او من الجنود غير النظاميين ، لحماية القوافل المتوجهة الى الديار المقدسة والعائدة منها ، وكانت الطرق محفوفة يومذاك بالأخطار ، مهددة بقطاع الطرق واللصوص ، وقصد الصديقان رئيس قافلة مشهورا بشجاعته

وامانته ، فضمن لهما حمايتهما حتى يعودا سالمين الى بلادهما بعد اداء فريضة الحج ، وضمن لهما حملهما على دوابه ذهابا وإيابا .

وكان يوم خروج قوافل الحجاج من البلدان الاسلامية يوما مشهودا تعطل فيه المدارس والأعمال ، ويتجمع الناس لوداع الحجاج ، وتشارك الحكومة في احتفالات التوديع وتدق الطبول وتصهل الخيول ، ويوزع المال والطعام على الفقراء والمحتاجين ، ويتعالى التكبير والتهليل .

وكما كان يوم خروج القوافل من البلدان الاسلامية يوما مشهودا ، كذلك كان يوم عودتها ، مع فارق بسيط هـــو أن التوديـــع تتخلله بعض العبرات ، والاستقبال تتخلله الزغاريد .

وقدم الاصفهاني الى طهران ، وانضم الى قافلتها مع صاحبـــه الطهراني ، وخرجت القافلة مودعة باحتفال مهيب ، واتجهت من مرحلة الى أخرى سالكة الطريق البرى : طهـــران ــ خانقين ــ بغداد ــ النجف ــ جبيجمة ــ حائل ــ المدينة المنورة ــ جدة ــ مكة المكرمة ــ عرفات .

وكان هذا الطريق البرى الذى كان ولا يزال يسمى طريق الست زبيدة ــ زوجة هرون الرشيد ــ عامرا بالخانات والبيوت وأحواض الماء ومراكز الشرطة ، وكان أقرب الطرق المؤدية الى الديار المقدسة لحجاج العـــراق والخليج العربى والمشرق الاسلامى .

ــ ٢ ــ

لم تخل رحلة الصديقين من منغصات ، فقد اصيب احدهما بالمرض حتى اشرف على الموت ، وتعرضت القافلة لهجمات اللصوص وقطاع الطرق ، وحدثت مشاكل يومية مع المسافرين والمسئولين عن القافلة ، فكان احدهما يحب لأخيه ما يحب لنفسه، بذل كل واحد منهما اقصى جهده بكل اخلاص لمعاونة صاحبه .

والصداقة تقوى وتشتد في ايام الشدة والعسر ، اكثر مما تقـــوى وتشتد في ايام الرخاء واليسر ، وهكذا توطدت صداقتهما واصبحت راسخة الاركـــــان .

ورفقة الحجاج تؤدى الى صداقة لا تنسى ، فكل مودة لله تصفو .

وكان احدهما يقول لصاحبه : كيف استطيع فراقك بعد العودة الى الوطن ، فاسكن بلدا وتسكن بلدا ؟

وتعاهد الصديقان في البيت الحرام ، أن يتزاورا باستمرار ، والا ينسى احدهما الآخر ، بعد العودة الى الوطن .

وعادت قافلتهما من الديار المقدسة ، بعد ان صادف افرادها الاهوال في الطريق ، وكان قد مضى على خروجها عام كامل .

وسارع الاصفهاني بعد وصول قافلته الى طهران بالسفر الى بلده ، فقد كان بشوق غامر الى أهله وذويه .

وودعه صاحبه الطهراني ، وسار معه الى مشارف المدينة وذكـــره

بوعده الذى قطعه على نفسه فى البيت العتيق أن يزور صديقه فى طهران بأسرع وقت وأقرب فرصة .

ووصل الى مدينة أصفهان ، وأمضى مع أهله ثلاثة أشهر وكأنها ثلاث سنين فقد كان على أحر من الجمر شوقا الى صاحبه الطهرانى ورتب أمور متجره ، وقضى ما عليه من حقوق ، ثم يمم شطر طهران .

وكانت الحياة حينذاك سهلة بسيطة ولم تكن صعبة معقدة ، فقد عقدت المدنية الحديثة الحياة ، وضاعفت متطلباتها الضرورية ، وكانت أكثر الضروريات اليوم لا يعرفها الناس ولا يعتبرونها ضرورية أو غير ضرورية ، وكان بإمكان الرجل أن يعمل أياما ليعيش برفاه وسعة شهورا ، لذلك عاد الاصفهانى الى طهران بعد ثلاثة أشهر من وصول أصفهان ، وكان فى نيته أن يمكث فى ضيافة صديقه الطهرانى وقتا غير قصير .

— ٣ —

ولمح الطهرانى صديقه الأصفهانى مقبلا ، فوثب لاستقباله مهرولا ، واخذه بالاحضان مقبلا .

وكان الطهرانى فى متجره ، يحاور أحد كبار التجار فى صفقة كبيرة ، فاعتذر من ذلك التاجر قائلا : نؤجل الصفقة الى موعد آخر ، فقد شغلنى عن الصفقات والبيع والشراء حضور صديق العمر .

وعمد الى متجره ، فاغلق ابوابه ، وقاد صديقه الى داره هاشا باشا مستبشرا فرحا ، مكررا عبارات الترحيب الحارة .

وفى الدار ، استضاف صديقه فى غرفة نومه ، وصرف زوجته منها ، وجعل ذلك الصديق يرقد فى سرير زوجته زيادة فى الترحيب والاكرام .

وحين حل موعد الغداء ، وكان الطهرانى قد حشد أصنافا من الطعام الفاخرة بما لا يقل عن عشرين صنفا ، وحشد نحو خمسين مدعوا من كرام الناس .

وكان يقدم صديقه الاصفهانى للمدعوين واصفا اياه بأنه صديق العمر ، وأن زيارته أمل العمر .

وكما فعل فى وجبة الغداء ، فعل فى وجبة العشاء ، ولم يذهب الى متجره فى ذلك اليوم ، ملازما صديقه ملازمة الظل للانسان السائر فى الشمس .

وبالغ فى اكرام ضيفه مبالغة نادرة : يصب الماء على يديه ويقترح عليه تبديل ثيابه ودخول الحمام ، ويتمنى على صديقه أن يطلب خدمة من الخدمات .. الخ ..

ومضى اليوم الأول ، متجر الطهرانى مغلق وأعماله معطلة ، وبيته يعج بالضيوف وأصناف الطعام ، وزوجته غاضبة ، وأهله منهكون ، وجميع أهل الدار يتمنون على الله أن يرحل عنهم هذا الضيف الثقيل .

ولما آوى الصديقان الى غرفة النوم ، سأل الطهرانى صاحبه الأصفهانى : لعلك رضيت عن وليمتى الغداء والعشاء .

وقال الأصفهانى : أن ولائمك ممتازة ، ولكنها ليست اصفهانية ..
وظن الطهرانى أن صاحبه لم يرض عن ولائمه فعزم فى نفسه أمرا .
حشد فى وليمة الغداء خمسين صنفا من أصناف الطعام الفاخـــر ، ودعا نحو مائة شخصية سياسية وعلمية .
وكرر هذا الحشد الضخم من الطعام والناس فى وليمة العشاء .
وبالغ فى اكرام ضيفه مبالغة لا توصف .
ولما آوى الصديقان الى غرفة النوم ، سال الطهرانى صـــاحبه الاصفهانى (لعلك رضيت عن ولائم اليوم) .
وقال الأصفهانى (ان ولائمك فاخرة ولكنها ليست اصفهانية) .

— ٤ —

وظن الطهرانى أن صاحبه لم يرض عن ولائمه منتقصا قدرها بقوله : (ليست اصفهانية) ، وكأنه لم يستطع أن يأتى بما يفعله الاصفهانيون فى ولائمهم .
وعزم أن يرضى صاحبه الاصفهانى فى ولائمه التى سيولمها فى اليوم الثالث من زيارة صديقه الحبيب .
وكان اليوم الثالث من أيام الضيافة يوما نادرا مشهودا من ايـــام طهران فى اقامة الولائم والبذخ فى أصناف الطعام وعدد المدعوين .
حشد فى وليمة الغداء والعشاء كل صنف من أصناف الطعام المعروفة فى طهران .
حشد لإعداد الولائم كل طباخ مشهور وغير مشهور فى طهران .
ودعا لتناول الطعام مع ضيفه كل سياسى وعالم ومفكر ووجيـــه حتى بلغ عدد المدعوين ألف رجل أو يزيدون .
ولما آوى الصديقان الى غرفة النوم ليلا ، سال الطهرانى صاحبـــه الأصفهانى (كيف وجدت وليمتى اليوم ؟) .
وقال الأصفهانى (انها فذة حقا فاخرة حقا ، ولكنها ليست اصفهانية).
وفى صباح اليوم التالى اسرج الاصفهانى بغلته وودع صديقـــه ، وسافر الى أصفهان .
وتنفس الطهرانى الصعداء فقد أنفق على ولائمه مبالغ ضخمة مـــن المال وعطل متجره وفارق زوجته فى الفراش وتنفس الصعداء أهل الدار ، فقد كادوا يموتـــون من الاجهاد والإعياء . وقال الطهـــرانى فى توديـــع الأصفهانى (سازورك وشيكا فى أصفهان لأرى ولائمك الاصفهانية) .

— ٥ —

وبعد أيام معدودات سافر الطهرانى الى اصفهان ، وهو اشد ما يكون شوقا لرؤية الوليمة الاصفهانية كيف تكون . كان الاصفهانى فى متجره يبيع ويشترى حين وصل صديقه الطهرانى ، وكان يحاور تاجرا كبيرا لعقـــد صفقة تجارية ، فقام مرحبا بصاحبه ، ثم استانف محاورته مع التاجـــر الكبير .
وفى الساعة الثانية بعد الظهر ، وهو موعد اقفال المتجر ، نهض

الأصفهاني واغلق متجره وقاد صديقه الى داره .
وفي الدار أدخله الى غرفة الضيوف ، ولم تكن الفنادق شائعة حينذاك ، وكان في كل دار كبيرة غرفة معدة للضيوف ، وكل غرفة من تلك الغرف تحوي العديد من سرائر النوم والأغطية .
وفي تلك الغرفة قال لصديقه (اختر لنفسك سريرا تنام عليه ، وساعود اليك بعد دقائق لتناول طعام الغداء) .
وعاد الأصفهاني ، وسأل أن يأتوهما بالغداء ، وكان الغداء بسيطا هو المتيسر في الدار من طعام .
وبعد تناول الطعام استأذن صاحبه قائلا له (ساذهب الى المتجر الساعة السادسة بعد الظهر كما أفعل كل يوم ، وسابقى هناك حتى الساعة الثامنة ، فان شئت رافقتني ، وان شئت أتيت وحدك ، وان شئت ذهبت الى المقهى ، وان شئت تجولت في البلد ، وان شئت بقيت في الدار .. انت حر) .
وفي الساعة الثامنة مساء عاد الأصفهاني الى الدار ، فطلب العشاء ، وكان بسيطا اعتياديا هو ما يقدم للأهل كل يوم .
وقدم الفطور للضيف في صباح اليوم التالي فتناوله الطهراني وحده في غرفة الضيوف وتناول الأصفهاني فطوره مع أهله .
وتكرر ذلك ثلاثة أيام طعام الفطور والغداء والعشاء اعتيادي بسيط ، والأصفهاني يذهب الى متجره صباحا ومساء كالمعتاد ، ولا احد في دار الأصفهاني يعرف بوجود الضيف وهويته لأن الأصفهاني لديه في كل يوم ضيوف يتناولون الطعام الاعتيادي الذي يتناوله أهله في الدار سواء بسواء .
كان كل شيء بالنسبة للأصفهاني طبيعيا عفويا غير متكلف ، ولكن لم يكن كل شيء بالنسبة للطهراني طبيعيا فقد كان يعلل نفسه كل يوم بوليمة اصفهانية ، وحين لا يجد تلك الوليمة التي طال شوقه اليها وانتظاره لها ، يختلق لنفسه المعاذير فيقول ربما أهله مرضى ربما ستكون الوليمة غدا ، ربما يتهيأ لها الأصفهاني ويعد لها العدة . ربما .. ربما ..
ومرت بضعة أيام ، وطعام الفطور والغداء والعشاء اعتيادي جدا ، يقدم للضيوف ما يقدم لأهل الدار .
ونفد صبر الطهراني ، فقال لصديقه الأصفهاني (متى موعد الوليمة الأصفهانية ؟ لقد بذلت كل جهدي في الولائم الطهرانية ولكنك على ما يبدو فضلت عليها الولائم الأصفهانية وقد طال شوقي لرؤيتها وتذوقها ، فمتى احظى بوليمتك المرتقبة ؟) .
وضحك الأصفهاني حتى استلقى على قفاه وبعد ان سكت عنه ضحكه قال (ياصاحبي كل يوم في كل وجبة من وجبات الطعام ، تقدم اليك وليمة اصفهانية) .
لم أكن أقصد حين كنت اقول لك عن ولائمك بانها ليست وليمة اصفهانية .. ان ولائمك غير فخمة ولا فاخرة كنت اقصد انها ولائم متكلفة،

لاننا في اصفهان لا نتكلف لضيفنا .
اننى حين قدمت طهران ضـيفا عليـك ، عزمت على ان ابقى فى ضيافتك ثلاثة أشهر على الأقل .
ولكننى حين رأيت ولائمك المتكلفة وتصرفك المتكلف قطعت زيارتى بعد ثلاثة أيام رحمة بك وشفقة على عيالك .
وأنت اليوم اذا بقيت ضيفى ثلاثة أشهر أو ثلاث سنين ، فلن تكلفنى شيئا ولن يشعر بوجودك احد من اهلى .
ان أهلى سبع عشرة نسمة بين ذكور واناث ، ولن يزيد عليهم ضيف أو ضيفان أو ثلاثة ضيوف شيئا فى طعامهم أو شرابهم .
وحين أقدم اليك ما أقدمه لأهلى من طعام ، فقد رفعت اخوتك الى منزلة الولد والوالد والوالدة والزوج .
تلك هي الوليمة الأصفهانية .
إننا أمة الولائم ، نقضى فى اعدادها وقتا طويلا وننفق عليها المبالغ الجسيمة ، ونتحمل من أجلها ما لا نطيق ونحن على النطاق الاجماعـى والفردى ، نسرف فى الولائم اسرافا لا مسـوغ له ، على حسـاب المال الذى يذهب بددا ، وعلى حساب الوقت الذى يذهب سدى .
ما ضرنا لو جعلنا ولائمنا أصفهانية لنوفر على أنفسنا المال والجهد ، وعلى أهلنا المشقة والتعب ، وعلينا وعلى الضيوف الوقت الثمين .
ما ضرنا لو أنفقنـا المال الذى يبـدد فى الولائم لاسعاد الفقـراء والمحتاجين ، والوقت الذى ينفق فى اعدادها وشهودها فيما ينفع الناس .
لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلف لضيفه .
وحسبنا رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام قدوة حسنـة ومثالا شخصيـا .
وحسبك اكراما للضيف أن تقدم له ماتقدم لأهلك .
إن الذين يسرفون فى تقديم الطعام للمتخمين الذين ليسوا بحاجـة اليه ، هم غير كرماء .
إن الكريم حقا هو الذى يقدم الطعام للمحتاجين اليه والمحرومين منه ، فمتى نضع الأمور فى نصابها الصحيح ؟.
ان اطعام الاثرياء اسراف واطعام الفقراء كرم ، والكرم محمود ، والأسراف مذموم .
ومن المؤلم حقا ، ان الولائم الفاخرة من حظ الاغنياء ، اما الفقراء فليس لهم إلا الجوع .
فهل يمكن أن نصف الذين يولمون الولائم الفاخرة للأغنياء والمتخمين بانهم كرماء ؟ أم يجب أن نصفهم بصفات أخرى منها الاسراف .. والنفاق ؟ .

جديرة بأن تطلب لذاتها ، أو باعتبارها نظاما لنجاة النفس فان هذه ليست أخلاق القرآن على وجه التأكيد ذلك أن هذه الأخلاق لا ترى أن يبحث الانسان عن الألم البدنى صراحة فضلا عن أن تأمر به فهى قد فرقت تفرقة واضحة بين الجهد البدنى الذى يتضمنه واجب مقرر أو الذى يصحبه من وجه طبيعى ، وبين جهد مندوب هو ابداع خالص لهوى أنفسنا ، إن هذه الأخلاق ترفض هذا النوع الاخير من الجهد وتحرمه .

ثم يقرر المؤلف فى نهاية هذا البحث أنه لو افترضنا أن الانسانية سوف تبقى أبدا ، وانها سوف تغير ظروف حياتها الى ما لا نهاية فاننا نؤمل أن تجد فى القرآن ــ أنى توجهت ــ قاعدة لتنظيم نشاطها أخلاقيا ، ووسيلة لدفع جهدها ورحمة للضعفاء ، ومثلا أعلى للأقوياء .

اذا كانت الفصول الخمسة التى سبقت قد عالجت الجانب النظرى فى الموضوع ، فإن المؤلف بالنسبة للجانب العملى اكتفى بتقديم نماذج قرآنية فى فصول خمسة أخرى سريعة عرض فيها : الأخلاق الفردية والأخلاق الأسرية والأخلاق الاجتماعية وأخلاق الدولة ، والأخلاق الدينية ، ثم بعد ذلك اجمال أمهات الفضائل الاسلامية التى يميز بها القرآن المسلم الحق . .

وبعد :

فقد حرصت على قراءة الكتاب أولا ، قبل قراءة : مقدمتى المراجع والمعرب، ثم ساءلت نفسى: هل تجود الأيام بعقلية كعقلية المغفور له الدكتور دراز ؟ وهل كان أو سيكون فى مقدور غيره أن يقدم الى المكتبة الاسلامية دراسة كهذه ؟ وهل هناك سر جعل من هذه الدراسة دراسة على أعلى المستويات وأرفعها ؟ وأرجأت الاجابة عن السؤالين الأولين، ووجدت الاجابة عن السؤال الثالث ، فى كلمة المعرب اذ يقول : (والحق أن المؤلف فيما أرى ــ لم يكن يكتب هذا العمل على أنه مجرد وسيلة الى هدف ، هو نيل اجازة دكتوراه الدولة فى الفلسفة من السوربون ، فقد كان بوسعه أن يحقق هدفه بأقل مما بذل من جهد ، ولكنه كان يحمل فى ضميره رسالة هذا الدين) .

وأضيف : لقد ادى العالم الجليل واجبه وحسبه من العقوق لفكره العظيم ، ان ظل عمله الكبير فى انتظار التعريب زهاء ربع قرن ولست أدرى بعد انجاز المهمة الصعبة ان كانت جامعاتنا الاسلامية وفى مقدمتها جامعة الأزهر سيقدر لها أن تفيد من هذه الدراسة المقارنة أم أن العقوق الذى رافق النص الفرنسى سوف يشمل النص العربى أيضا ؟

وكلمة إنصاف لا بد منها الحق : ان الدكتور عبد الصبور شاهين الذى قام بمهمة الترجمة ، لم يقم بعمله كما يقوم بأعمالهم سائر المترجمين وإنما بذل جهدا واضح الأثر فى الدراسة ، ولقد عايش النص بعقله ووجدانه واقتنع بالعمل العظيم، لذلك جاء جهده مشكورا ، وجديرا بكل تقدير ؟

الفتاوى

الحراس وصلاة الجمعة

السؤال :

انا حارس من حراس الأسواق ، وفى يوم الجمعة لا أتمكن من صلاة الجمعة لأن طبيعة عملى تقتضى المرور بصفة مستمرة على المحلات ، فهل يعد هذا عذرا شرعيا يسقط عنى صلاة الجمعة ؟

الإجابة :

اذا تعارضت حراسة المتاجر مع صلاة الجمعة سقط وجوبها عنك ، وعليك ان تصلى الظهر بدلا منها .

الميراث

السؤال :

توفى رجل عن زوجة وأخت شقيقه وعمين وابن عم ، وليس له أولاد فما نصيب كل منهم ؟

الإجابة :

للزوجة الربع فرضا وللأخت النصف فرضا ، والباقى لعميه ان كانا شقيقين أو لأب أما اذا كان أحدهما شقيقا والآخر لأب فللشقيق الباقى ولا شىء للأخ لأب ، ولا لابن العم لحجبهما بالأخ الشقيق .

السؤال :

توفى رجل وترك بنتا وبنات اخت وبنات اخ فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ؟

الإجابة :

البنت تأخذ النصف فرضا ، وتأخذ النصف الباقى ردا ، ولا شىء لبنات الأخ ولا لبنات الأخت لأنهن من ذوى الأرحام .

خروج الخطيب مع خطيبته

السؤال :

ما حكم الشرع فى خروج الخطيب مع خطيبته للتنزه وما حكم الدين فى دبلة الخطوبة ؟

الإجابة :

خروج الخطيب مع خطيبته من غير أن يكون معها محرم حرام شرعا ، لما يترتب عليه من الخلوة التى نهى عنها الشرع ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والخلوة بالنساء » ، أما دبلة الخطوبة فإذا كانت من الذهب حرمت على الرجل دون المرأة ، وإذا لم تكن من الذهب حل للرجل لبسها .

الدعاء بعد التشهد الأخير وقبل السلام

السؤال :

ماهى الأدعية والأذكار التى يستحب للمصلى أن يدعو بها بعد التشهد الأخير وقبل السلام ، وماهى الأذكار التى يستحب له أن يقولها بعد السلام ؟

الإجابة :

يستحب للمصلى أن يدعو بعد التشهد الأخير وقبل السلام بما شاء من خيرى الدنيا والآخرة فعن عبد الله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد الأخير ثم قال فى آخره : ثم لنختر من المسألة ما نشاء ، والدعاء بأى لفظ مستحب مطلقا إلا أن الدعاء بالوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل ، ومن الأدعية الواردة ما روته عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الرجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، اللهم إنى أعوذ بك من المأثم والمغرم » .

وعن على رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام الى الصلاة يكون آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : « اللهم اغفر لى ما قدمت وما اخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت » .

ومن الأذكار والأدعية الواردة بعد السلام ما رواه ثوبان رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا ثم قال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت ياذا الجلال والإكرام » .

ومنها ما رواه عبد الله بن الزبير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم فى دبر كل صلاة يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا نعبد إلا إياه ، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » .

بريد الوعي الإسلامي

اعــداد : عبد الحميد رياض

إن الدين عنــد الله الإسلام

يقول الله تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » فما المراد من هذه الآية وما موقف الإسلام من الأديان السابقة ؟.

حاتم ابو داود ـ الاردن

المفهوم من الآية الكريمة « إن الدين عنــد الله الإسلام » أن جميــع أهــل الأديان السابقة على الاسلام مدعوون الى الإسلام ، فهو دين الله الحق وكل من حاد عن هذا الطريق مبتغيا عقيــدة أخرى أو منهجا آخر أو متصورا الهداية فى غيره أو متخذا خطا يعتقــد أن الاهتداء فيه ، لا شك أنه قد جانب الهــداية وترك الجادة وسار بخطى واسعة الى الضلال والجاهلية ووضع نفســه فى حيرة لا تنتهى الى صواب .. فالدين الذى ارتضاه الله لعبــاده وفيه جمــاع الخير وبه خلاص النفوس من الزيغ والهوى والالتواء ، وبه ينال الإنســان خيرى الدنيا والآخرة هو الاسلام وذلك لأمر الله الذى لا يتخلف ولا يتبدل ، ولقراره الفاصل فى هذه القضية الإيمانية وحتى لا يكون هناك مجــال لتخمين قوله تعالى : « **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه** » .

ومن يبتغ غير الاسلام وهو الاستسلام والطاعة لأمر الله والاتبــاع لنبيه فليس بمسلم يعنى كان ، فعبادته مردودة عليه مضروب بها وجهه .

ولذلك يوحى الله الى رسوله : « **فان حاجوك فقلت أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أســلموا فقد اهتــدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** » .

والإسلام ما جاء أبدا ليقول إن الأديان السابقة كاذبة أو كانت من خيال السابقين وأنها غير مؤيدة من الســماء أبدا ما جاء الإسلام ليقول ذلك ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ عن الله الاسلام للناس ما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى يعلم أن الله أنزل التوراة على موسى والإنجيــل على عيسى وهو الله الذى أنزل القرآن ، وكل هذه الكتب السماوية المنزلة علــى الأنبياء تستهدف غاية واحدة هى هداية البشر وتنشد هدفا واحدا هو إثبات وحدانية الله وتخليص النفوس من شوائب الشرك بالله ، وجاء الاسلام على هذا النهج ، ولكن الأولين من أهل الكتاب حادوا فقالت اليهود عزير ابن اللــه ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وكذلك اتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا من دون الله « **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** » .

ومن هنا يتضح موقف الاسلام من اليهودية المؤلهة للعزير ، والمســيحية المؤلهة لعيسى ابن مريم ، فالإسلام دين التوحيــد الخالص ، ولا مكان لعبوديــة

فيه إلا لله ، وهذه شريعة موسى وعيسى أيضا ، ولكن القوم من بعدهما بدلوا وغيروا وأحلوا وحرموا وعبدوا من دون الله ما لا ينفعهم شيئا ولا يضرهم ، وفعلوا ما لم يأمر به الله ، فضلوا وأضلوا وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فما هم بأهل كتاب وليسوا بمؤمنين وهم على غير دين ، ولو كانوا أهل كتاب أو دين كما يدعون للبوا دعوة الحق عندما يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم فيتولون معرضين في غرور واستعلاء « **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** » « **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** » هذا هو موقف الاسلام من كل الأديان السابقة عليه وموقفه من كل من يتخذ لنفسه منهجا يخالفه وهديا غير هديه .

الطواف حول الكعبة والوقوف بعرفة

أرجو أن توضحوا لي حكمة الطواف حول الكعبة المشرفة والوقوف بعرفة ؟
عبد الله الخطيب ــ سوريا

لما كانت منزلة البيت الحرام من الاجلال والتعظيم لا تفوقها منزلة ، ولما كان البيت الحرام قد أقيم في أشرف بقعة من الأرض ، وكان أول بيت وضع لتمجيد الخالق سبحانه وتوحيده « **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا** » .

شرع الله له التحية المشعرة باجلاله واحترامه ، وهذه التحية هي الطواف حوله .. هذا بالاضافة الى فعل الرسول الثابت وطوافه حول الكعبة وأمره المسلمين بذلك .

ومعلوم أن البيت حجر لا يضر ولا ينفع غاية الأمر أننا نعظمه تعظيما لأمر الله عز وجل ، وكل ما يذكر عند الطواف إنما هو تعظيم لله واقرار له بالوحدانية وتسليم له بالربوبية وتنزيه عن الشرك والشركاء .

وكذلك الوقوف بعرفة إنما هو اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كذلك سنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وشعارا بفضله يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلت وقالت الأنبياء قبلي عشية يوم عرفة **لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير** » .

ومهما قيل حول مشروعية هذه المناسك وحول استنباط الأسباب والدوافع والحث على أدائها ، فالقول الفصل في هذا أنها أمور تعبدية ، تعبدنا الشارع الحكيم بها نؤديها طاعة لله وامتثالا لأمره وتعظيما لشعائره .

بأقلام القراء

التصـــــوف

يقول ابن خلدون : انه من العلوم الشرعية وأصله العكوف علـــى العبادة والانقطاع الى الله والاعراض عن زخرف الدنيا اتباعا لسلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ويقول التشتورى (التصوف ليس رسما ولا علما ولكنه خلق لأنه لو كان رسما لحصل بالمجاهدة ولو كان علما لحصل بالتعليم ولكنه تخلق باخلاق الله ولن تستطيع أن تقبل على الأخلاق الإلهية بعلم ولا برسم) .

وقال بعض المعاصرين أن التصوف هو علم الأخلاق وعلم النفس والقول بأن التصوف هو الخلق انما يجعل منه علما للأخلاق ولكنه مع هذا أشد ما يكون حاجة الى علم النفس التى تصدر عنه هذه الأخلاق ولقد ظن البعض أن مـــن اهداف الصوفية الابتعاد عن الدنيا وطيباتها كما ظنوا أيضا أن الصوفية انصراف عـــن الدنيا ونسيان أن الدنيا مزرعة للآخرة .

ولكن صفوة الصوفية قالوا بأن التعب فى طلب العيش يكفر ذنوبا لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا حج وردوا ذلك الى أعمال النبى صلى الله عليه وسلم وكيف أنه كان قدوة طيبة للانسان العامل فقد كان يشتغل بالتجارة ولم يصرفه ذلك عن استخلاص نفسه والتوجه نحو الخالق بالعبادة والصلاة دون أن يعتكف فى مكان ضيق من الأرض .

ولقد رسم الصوفية الطريق الأولى للوصول الى الله سبحانه وتعالى ولا بد للمريد من أن يجتاز أعتابها والعتبة الأولى التوبة وهى الشعور بالخطيئة والعزم الأكيد على الإقلاع عنها وبالتوبة تتفتح البصيرة وينشرح الصدر والعتبة الثانية أخذ العهد وهو رباط وثيق بين المتعاقدين على طاعة الله وتزكية النفس مما علق عليها من الطمع والغرور ووسوسة الشيطان .

والعتبة الثالثة الورع وهو مقام الانصراف عن اللذات الشهوانية والتزام الطيب من القول والحلال من الرزق والقناعة .

والعتبة الرابعة الخوف : والخوف ينبعث من الورع والبعد عن مانهى الله عنه وامتثال أوامر الله تبارك وتعالى ، والخوف يسوق صاحبه الى المواظبة على العلم والعمل وهو الذى يكف الجوارح عن المعاصى ويقيدها بالطاعات .

والعتبة الخامسة : الخلوة وهى بمثابة المحراب لمريد الصلاة وقد تطهر من الأدناس وأقبل على ربه تائبا يرجو رحمته ويخشى عذابه .

والعتبة السادسة : الزهد وهو انصراف الهمة الى الله وتخلى القلب عن الدنيا واحتقار ما فيها من طعام ، وليس الزهد أن يترك الدنيا وهى فى قلبه بـــل الزهد أن يتركها من قلبه وهى فى يده ، وليس الزهد الانقطاع فـــى الصوامـــع والمساجد فالله سبحانه وتعالى يناجى فى الحقل ويناجى فى المصنعوالمتجر وفى كل مكان .

وهناك عتبات أخرى كالصبر والرضا والمراقبة والتوكل وذكر الله .

بهذه العتبات تصل نفس المؤمن بما غرس فيها من تلك الفضائل الى مراحل العبودية ثم مرحلة الحب الإلهى ويزداد الحب كلما ازداد الايمان وعلى مقدار الحب تكون السعادة ويكون النعيم .

والتصوف الحق هو طريق الاسلام لأنه طريق الأولياء والصالحين الذين قال الله عنهم (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال (ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) ومن أخلاق المتصوفة : التواضع وعدم التكبر وقال الجنيد فى ذلك التواضع و (خفض الجناح ولين الجانب) كما أن من أخلاقهم الحب والايثار والنجدة وقد شرح شاب صوفى لأبى يزيد البسطامى حد الايثار عند الصوفية بقوله (اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا) وقال ابوحفص الصوفى (الإيثار هو أن يقدم حظوظ الاخوان على حظوظه فى أمر الدنيا والآخرة كما أن من اخلاقهم أيضا تلبية النداء ومعاونة الأخ لأخيه لا لغرض وإنما لوجه الله).

فالصوفية هى طريق الله الى الحب الى خلق مجتمع انسانى متعاطـــف متعاون مجتمع تسوده المحبة والتعاطف مجتمع يؤمن بالتكافل الاجتماعى ويؤمن بالأخلاق ، الأخلاق التى هى عماد المجتمع ، الاخلاق التى هى طريق الوصول الى مجتمع انسانى نظيف ، ان الاخلاق الصوفية دعوة الى مجتمع شعـــاره الحـــب والتواضع والإيثار والمساواة والمجتمع الذى يتصف أبناؤه بهذه الصفات انما يكون مجتمعا طيبا يؤتى أطيب الثمرات ويعود على أبنائه بالخير .

فالتصوف وسيلة الى البناء والتعمير وسيلة الى تحقيق مجمتع مثالـــى والتصوف مدرسة لتربية العادات الطيبة وثورة على العادات البالية والصفات الكريهة التى تضعف من الايمان وتنشر الفرقة والانقسام ان التصوف ثورة على الفساد ودعوة الى الحق والعدالة ومتى تمسك المسلمون بأخلاق السلف الصالح ومتى آمنوا وصدقوا وراقبوا الله نجحوا فى حياتهم وآخرتهم وانتصروا علـــى أعدائهم ، لقدانتصر المسلمون الأولون وعددهم قليل على الجماعات الكافرة التى جاءت من كل مكان ، ولكن الايمان ينتصر ، وكتب الله أن النصر لمن أطاعـــه وأن الهزيمة لمن بعد عن الصراط السوى وفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه وهدانـــا طريق الخير طريق الحب .



الايحـــاء الـــدينى :

للايحاء الدينى اثره الهام فى تقوية النفوس الضعيفة ، ورفع الروح المعنوية فى الشعوب والأفراد ، لأن المتدين المؤمن الذى يركن فى جميع أموره الى قوة كبرى مسيطرة على الكون تجرى كل شىء وفق قانون عادل رحيم ، وقد يخفى علينا فى بعض الأحوال البعيدة ، ولكن عدله لا يخطىء ورحمته لا تنقطع ، هذا المؤمن المتدين يجد سلواه المطمئنة فى اللجوء الى الله رافعا أكف الضراعة اذا حزبه الخطب فتتسع أمامه منادح الأمل ويثق فى غده المقبل ، وثوق من يعتقد أنه يأوى الى ركن شديد .

تصور شخصين داهمهما المرض المفاجىء ، فناما على سريرين فى حجـــرة واحدة ، بمستشفى عام واحدهما يؤمن باسلامه ويثق فى ربه ، ويراه عونه فى الشدائد وعدته فى النائبات ، وثانيهما اضله الله على علم فانحرف الى الالحاد وكفر بوجود خالق يرعاه ويكلؤه ، تصور هذين المريضين وقد نزل بهما المرض نزولا خطيرا لاحت نذره ، وابرقت دواهيه ، وتصور ما يجول فى خاطريهما معا ، فانك ستعرف ان المريض المؤمن له امل فى السماء يشرق عليه بالأمن فهو يعتقد ان العلة مهما اعضلت ، وان الداء مهما تفاقم فان قدرة الله عز وجل كفيلة بان تحطم كل عائق ، وكما احيا الله الميت دون أن يعجزه شىء فى السموات والأرض فهو قدير على ان يبدد العلة تبديدا وان يسطع فجر العافية بعد ظلمات المرض واذ ذاك تشرق الابتسامة على وجهه ، ويفىء الرضا الى نفسه ، فاذا عاده عائد يشاركه شعوره الدينى وجده يحدثه بما يجول فى خاطره ، فاذا التفت الـــى اقاربه المجتمعين حول سريره ، وجدهم جميعا يؤكدون له ما يعلمه من رعاية الله وقدرته فهو لطيف بعباده ، يرعى برحمته الدودة فى الصخرة والنملة فـــى الجحر ، اذ وسعت رحمته كل شىء ، فكيف لا يسعف مؤمنا يلتجىء اليه ضارعا فى ماساته وهو نعم المولى ونعم النصير ، هذا الجو المؤمن المتعطر باريج الأمل يمد المريض بقوة ترتفع به فوق الألم حتى اذا تم الشفاء رجع الى اهله مغتبطا بايمانه ، فاذا كانت الآخرة وتحقق وشوك نهايته ازداد طعمه فى جنة ربه ، وعرف انه غفار وهاب يقول فى محكم كتابه : (قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) .

اما المريض الآخر فتشتد به العلة وتحيط به الكارثة ، ثم لا يدرى الى من يلتجىء ويتجه ، فيتجهم له الناس ، وتنخفض قواه المعنوية انخفاضا يساعد على

تفاقم العلة ويزيد من برح الداء ، فاذا زاره عائد لا يستطيع أن يفتح معه أبواب الأمل فى حديث ، وكيف يهم بذلك ؟ والحاد المريض قد سد أمام زائره المنافذ ، ثم ران على نفسه بما يزيد من الهول فلا تجد الا تبرما بالداء ويأسا من النجـــاة ، وصراخا حاقدا متضرما لا يملس برد العزاء ، فاذا تحقق المريض منهم نهايته ، سدت منافذ الأمل فى وجهه ، واعتقد ان القبر حفرته النهائية فلا حياة قادمة مستأنفة ، ولا جنة ترجى بسعادة ورضوان ، ان هو إلاصخرة تفتتت ذرات متضائلة ، ثم هوت بها الريح الى حيث لا التئام .

مسئوليـــة مصر : عن مجلة التضامن الاسلامية

ان مسئوليتك يا مصر اوسع واعظم من تادية رسالة الأدب وخدمة لغة العرب ، وما تجودين على الاقطار العربية الشقيقة برشحات الثقافة الأوربية وفتات المدنية الغربية ، انك بين آسيا وأوربا فانت ملتقى الثقافتين ومجمع البحرين انك وسط بين مهد الاسلام ومشرق نوره ، وبين مولد الحضارة الغربية ومبعث العلوم العصرية ، فعليك مسئولية القارتين ، وعندك رسالة الثقافتين .

فاما مسؤولية آسيا والأقطار العربية فلا تخرجين منها يا مصر حتى تكونى قنطرة تعبر عليها الى البلاد العربية تجارب أوربا وعلومها ونشاطها وكدحها فى الحياة وجهادها للبقاء ، هنالك تقومين برسالتك ووظيفتك لهذه البلاد العزيزة ، التى ترتبطين بها برابطة دينية وروحية وثقافية وسياسية .

واما مسؤولية أوربا فلا تخرجين منها حتى تبلغى رسالة الجزيرة العربية — وهى الاسلام الذى احتضنته من زمان — الى أوربا وحل المشاكل التى أعيت كبار المفكرين وأتعبت عظاء المشرعين ، وبذلك تؤدين واجبك المقدس نحو هذه القارة الأوربية التى استوردت منها شيئا كثيرا من العلم والمصنوعات والمنتجات ونظمت عليها مدنيتك وحياتك تنظيما جديدا ، وتحسنين اليها أكثر مما احسنت اليك وتصدرين اليها أفضل مما صدرت اليك .

عن صحيفة الرائد الهندية

دينـنـــــا :

ان الدين بالنسبة لنا نحن المسلمين ليس ضمانا للآخرة فحسب انه اضحى سياج دنيانا وكهف بقائنا .

ومن ثم فانى انظر الى المستهينين بالدين فى هذه الايام على انهم يرتكبون جريمة الخيانة العظمى انهم دروا او لم يدروا يساعدون الصهيونية والاستعمار على بلدنا وشرفنا ويومنا وغدنا .. !!

فارق خطير بين عرب الأمس وعرب اليوم .

الاولون لما اخطاوا عرفوا طريق التوبة ، فاصلحوا شانهم ، واستانفوا كفاحهم ، وطردوا عدوهم ..

اما عرب اليوم فان الاستعمار الثقافى احدث تخربا شديدا فى ضمائرهم وافكارهم ، وربما رايت الواحد منهم يبلغ الاربعين او الخمسين من عمره ولا يعرف كيف يصلى اما حصيلته من سائر المعارف الاسلامية فتتذبذب عند درجة الصفـــر ..

عن صحيفة النور المغربية

أخبار العالم الاسلامى

اعداد الأستاذ : فهمى الامام

الكـويت :

● يستقبل سمو أمير البلاد المعظم صبيحة يوم عيد الفطر المبارك وفود المهنئين بالعيد .

● سيقوم سمو أمير البلاد المعظم بزيارة رسمية لجمهورية مصر العربية تستغرق عدة أيام تعقبها زيارة خاصة لمدة سبعة أيام .

● يرأس سمو أمير البلاد المعظم وفد الكويت الى مؤتمر القمة العربى الذى سيعقد فى الرباط يوم ٢٦ أكتوبر الحالى .

● صرح معالى وزير الدولة السيد عبد العزيز حسين بأن تشكيل كتلة غربية ضد البلدان المنتجة للبترول لن يكون ذا فائدة فى حل أزمة الطاقة .

● أعلن رئيس الأركان للقوات المسلحة أن القوات الكويتية ستكون على أهبة الاستعداد اذا ما نشبت معركة جديدة ، وحذر سيادته من أساليب الدعاية الاستعمارية .

● سيزور الكويت الشيخ مجيب الرحمن رئيس وزراء بنغلاديش على رأس وفد رسمى ، وستتم الزيارة خلال الشهر القادم .

● منح الصندوق العربى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية قرضا للصومال قيمته ٥ر٧ مليون دولار .

● شاركت الكويت فى احتفالات عيد النصر بجمهورية مصر العربية عن طريق وفد مجلس الأمة وبعض العسكريين .

● القى معالى الشيخ صباح الاحمد الجابر وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة كلمة الكويت أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٩/٣٠ الماضى وكرس سعادة الوزير الجزء الأكبر من كلمته للحديث عن قضية فلسطين وعن الاجرام الصهيونى .

● عقدت اللجنة الدائمة للمعونات الاسلامية الخارجية اجتماعا برئاسة معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية ، ونظرت فى عدد من طلبات المساعدة .

● قررت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية طباعة المحاضرات التى القاها البروفسور خورشيد أحمد خلال شهر رمضان باللغة الانكليزية .

مصـــر :

● احتفلت جمهورية مصر العربيـــة على المستوى الرسمى والشـــعبى بالذكرى الأولى لحرب رمضان ... وقد شارك فى الاحتفال وفود رسمية من البلاد العربية .

● صدر قرار بانشاء وكالة لشئون الثقافة الاسلامية تشرف على الادارة العامة للوعظ والارشـــاد ، وادارة الثقافة والنشر ، وادارة البعـوث والعلاقات الخارجية .

● جرت فى القاهرة مسابقة فى حفظ القرآن الكريم بين طلاب الجامعات المصرية وجامعة الأزهر .. ووزعت الجوائز على الفائزين .

● تقرر تشغيل ثلاث بواخر مصرية لنقل ٢٤ الف حاج مصرى فى موسم الحج القادم ان شاء الله .

السـعودية :

● أمر جـلالة الملك فيصل بصـرف خمسين تذكرة طيران لأداء فريضـة الحج هذا العام لخمسين مواطنـا من ماليزيا اعتنقوا الاسلام مؤخرا .

● حذر وزير النفط السعودى من أن الدول العربيـة سـتقطع إمدادات البترول اذا نشبت حرب جديدة فـى الشرق الاوسط .

وقال : إن هناك احتمال آندلاع مثل هذه الحرب ما لم يتم التوصـل الى اتفاق حول إعادة الأراضى المحتلة وإعادة توطين اللاجئين .

سـوريا :

● احتفلت الجمهورية العربيـة السـورية بالذكرى الأولى لحـرب رمضان .. وعمت الاحتفالات المدن السورية . .وصرح المسئولون بأن المعركة لم تنته بعد .. وانه لا بد من تحرير كل الأرض وإعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

فلســطين :

● وافقت ٦٧ دولة على دعـوة منظمة التحرير الفلسطينية لمناقشة القضية الفلسطينية بالأمم المتحدة .. ومن المنتظر أن يزداد عـدد الدول الموافقة خلال الأيام القادمة .

المغـــرب :

● استدعت وزارة الخارجية المغربية سفراءها فى البلاد العربية للاعـداد لمؤتمر القمة العربى السابع ، والمقرر عقده يوم ٢٦ أكتوبر فى مدينـة الرباط .

أبو ظبى :

● تولى إمارة « الفجيرة » الشـيخ حامد بن محمد الشارقىخلفا لوالده الذى انتقل الى جوار ربه .

... ...

نيجيريا :

● بلغ عدد سكان نيجيريا حـوالى ثمانين مليون نسمة حسب إحصـاء عام ١٩٧٣م منهم ٧٥٪ مسلمون .

بريطانيــا :

● تقـوم المؤسسة الاسلاميـة فى بريطانيا بتعـليم الدين الاسـلامى للطلبة المسلمين فى ٦٣ مدرسـة حكومية بريطانية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

ايام الاسبوع	شوال ١٣٩٤	اكتوبر ١٩٧٤	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)						المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاربعاء	١	١٦	٤ ٢١	٥ ٤٩	١١ ٣٣	٢ ٥٠	٥ ١٧	٦ ٣٥	١١ ٤	١٢ ٣٣	٦ ١٦	٩ ٣٣	١ ١٨
الخميس	٢	١٧	٢١	٤٩	٣٣	٤٩	١٦	٣٤	٥	٣٣	١٧	٣٣	١٨
الجمعة	٣	١٨	٢٢	٥٠	٣٣	٤٩	١٥	٣٣	٧	٣٥	١٨	٣٤	١٨
السبت	٤	٢٩	٢٢	٥١	٣٢	٤٨	١٤	٣٢	٨	٣٧	١٩	٣٤	١٨
الاحد	٥	٢٠	٢٣	٥١	٣٢	٤٧	١٣	٣١	١٠	٣٨	١٩	٣٤	١٨
الاثنين	٦	٢١	٢٤	٥٢	٣٢	٤٦	١٢	٣٠	١٢	٤٠	٢٠	٣٤	١٨
الثلاثاء	٧	٢٢	٢٥	٥٣	٣٢	٤٦	١١	٢٩	١٤	٤٢	٢١	٣٥	١٨
الاربعاء	٨	٢٣	٢٥	٥٣	٣٢	٤٥	١٠	٢٨	١٥	٤٣	٢٢	٣٥	١٨
الخميس	٩	٢٤	٢٦	٥٤	٣٢	٤٤	٩	٢٧	١٧	٤٥	٢٣	٣٥	١٨
الجمعة	١٠	٢٥	٢٧	٥٥	٣٢	٤٣	٨	٢٦	١٩	٤٧	٢٤	٣٥	١٨
السبت	١١	٢٦	٢٧	٥٦	٣٢	٤٣	٧	٢٦	٢٠	٤٩	٢٥	٣٦	١٨
الاحد	١٢	٢٧	٢٨	٥٧	٣٢	٤٢	٦	٢٥	٢١	٥٠	٢٥	٣٦	١٩
الاثنين	١٣	٢٨	٢٨	٥٧	٣٢	٤٢	٦	٢٥	٢٢	٥١	٢٦	٣٦	١٩
الثلاثاء	١٤	٢٩	٢٩	٥٨	٣٢	٤١	٥	٢٤	٢٤	٥٣	٢٧	٣٦	١٩
الاربعاء	١٥	٣٠	٢٩	٥٩	٣٢	٤١	٤	٢٣	٢٥	٥٤	٢٧	٣٧	١٩
الخميس	١٦	٣١	٣٠	٥٩	٣٢	٤٠	٣	٢٢	٢٧	٥٦	٢٨	٣٧	١٩
الجمعة	١٧	نوفمبر	٣١	٦ ٠٠	٣١	٣٩	٢	٢١	٢٩	٥٨	٢٩	٣٧	١٩
السبت	١٨	٢	٣١	١	٣١	٣٩	١	٢٠	٣١	١ ٠٠	٣٠	٣٨	١٩
الاحد	١٩	٣	٣٢	٢	٣١	٣٨	٠٠	١٩	٣٣	٢	٣١	٣٨	١٩
الاثنين	٢٠	٤	٣٣	٢	٣١	٣٧	٤ ٥٩	١٩	٣٤	٣	٣٢	٣٨	١٩
الثلاثاء	٢١	٥	٣٣	٣	٣١	٣٦	٥٨	١٨	٣٥	٥	٣٣	٣٨	٢٠
الاربعاء	٢٢	٦	٣٤	٤	٣١	٣٦	٥٨	١٨	٣٦	٦	٣٣	٣٨	٢٠
الخميس	٢٣	٧	٣٤	٤	٣١	٣٥	٤٧	١٧	٣٧	٧	٣٤	٣٨	٢٠
الجمعة	٢٤	٨	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٦	١٦	٣٩	٩	٣٥	٣٨	٢٠
السبت	٢٥	٩	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٥	١٥	٤٠	١٠	٣٥	٣٩	٢٠
الاحد	٢٦	١٠	٣٦	٦	٣١	٣٣	٥٥	١٥	٤١	١١	٣٦	٣٩	٢٠
الاثنين	٢٧	١١	٣٧	٧	٣١	٣٣	٥٤	١٤	٤٣	١٣	٣٧	٣٩	٢٠
الثلاثاء	٢٨	١٢	٣٧	٨	٣١	٣٢	٥٣	١٤	٤٤	١٥	٣٨	٣٩	٢٠
الاربعاء	٢٩	١٣	٣٨	٩	٣١	٣٢	٥٣	١٣	٤٥	١٦	٣٨	٣٩	٢١
الخميس	٣٠	١٤	٣٨	١٠	٣١	٣٢	٥٢	١٣	٤٦	١٧	٣٩	٣٩	٢١

أمّ المؤمنين السّيدة زينب بنت خزيمة
رضي الله عنهـا

اسمهـــــا : زينب بنت خزيمة بن عبد الله بن عمر بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية وهى أخت ميمونة بنت الحـــارث لأمها .

زواجهـــا : كانت زوجة لعبد الله بن جحش فاستشهد بأحد فتزوجهـــا النبى صلى الله عليه وسلم .
وقيل كانت زوجة للطفيل بن الحارث ومن بعده تزوجت أخاه عبيدة بن الحارث فقتل عنها ببدر ، ثم تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم ودخل بها بعد دخوله على حفصة بنت عمر رضى الله عنها وكان ذلك فى رمضان سنة ثلاث .

فضلهـــا : كان يقال لها أم المساكين لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم .

وفاتهـــا : بقيت فى بيت النبوة شهرين أو ثلاثة وقيل ثمانية اشهر وماتت فى ربيع الثانى سنة أربع وكانت الزوجة الثانية بعد السيدة خديجة التى ماتت فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .
انتقلت الى جوار ربها وكان عمرها ثلاثين سنة فرضى الله عنها وارضاها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .

المغـــرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الاردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

مع هذا العدد: رسالة الحج — هدية

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

وأذان من الله ورسوله إلى الناس



الحج أشهر معلومات

محمد مؤذن

فمن فرض فيهن الحج فلا رفث
ولا فسوق ولا جدال في الحج
وما تفعلوا من خير يعلمه الله
وتزودوا فإن خير الزاد التقوى
واتقون يا أولي الألباب

محمود محمد ابراهيم
١/٨

صورة الغلاف :

وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ
أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العـــــدد ١١٩

غرة ذى القعدة ١٣٩٤ هـ

نوفمبر ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الافراد فشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغـرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـوان المراســلات :

مجـلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـئون الاسـلامية

صـندوق بريد : ١٣ ــ كـويت ــ هـاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الناس والقرآن

للاستاذ أحمد البسيونى

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كالأترجة ، طعمها طيب ، وريحها طيب ، والمؤمن الذى لا يقرأ القرآن كالتمرة ، طعمها طيب ، ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن ، كمثل الريحانة ، ريحها طيب ، وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، طعمها مر ، ولا ريح لها »(١) .

(رواه الشيخان وأبو داود والنسائى والترمذى)

كما تحتاج العين الى شعاع من النور ، يمدها بالحركة الكاشفة ، والبصر النافذ ، وكما تحتاج الأرض الى فيض من الغيث الدافق ، يحيى مواتها ، ويبعث الحياة فى جنباتها ، فاذا بها وقد اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج ..

وكما يحتاج البدن الى الروح اللطيفة ، تسرى فى أوصاله ، فتسرى معها الحياة الكاملة ، التى بها يسمع ويبصر ، وبها يدرك ويعقل ، وبها يسعى ويتحرك ، ولو فارقته هذه الروح ، لأصبح جثة هامدة خامدة .. !!

اجل : كما تحتاج هذه الكائنات جميعها ، الى مقوماتها ومادة وجودها ، تحتاج الانسانية الى هداية السماء ، ترسم لها المعالم الواضحة ، حتى لا تضل ، وتضع لها الموازين القسط ، حتى لا تطغى ،

وتحفظ لها توازنها ، فلا تتعثر ولا تتردى . .

وان من رحمة الله بالانسانية ، أن منحها هداها ، وأنزل عليها القرآن الكريم ، هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان . من قال به صدق، ومن حكم به عدل ، ومن جعله أمامه، دله على الجنة ، ومن جعله وراءه ، ساقه الى النار ، وهذا الكتاب الذى احكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، انزل لغاية ، هى أن يهدى للتى هى اقوم ، ويخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ، ولقد حقق هذا القرآن العظيم ، معجزات كبرى ، بما صنع من حضارة ، وبما رفع من قيم ، وأيقظ من همم ، وجمع من شمل . . انه صنع حياة لم تعرف الحياة لها نظيرا ، حياة متجددة ، مفعمة بالخير والصدق والحق ، فهو لهذه الحياة فرقانها ، وروحها ، ونورها ، ان عزلت نفسها عنه ، ساورتها الشكوك والريب ، ودب اليها الفناء ، وزحف عليها الظلام :

« يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا »(٢)
« فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا والله بما تعملون خبير »(٣)
« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض . الا الى الله تصير الأمور » (١) .

وفى الحديث الشريف ، تشبيه رائع ، يرسم صورة صادقة ، لمواقف الناس من القرآن الكريم ، وجمال هذا التشبيه ، يتمثل فى أنه وصف اشتمل على معنى معقول ، لا يبرزه عن مكنونه الا تصويره بالمحسوس المشاهد ، ثم ان كلام الله المجيد ، له تأثير فى باطن العبد وظاهره ، وان العباد متفاوتون فى ذلك ، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارىء ، ومنهم من لا نصيب له ألبتة ، وهو المنافق الفاجر ، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه ، وهو المرائى ، أو بالعكس ، وهو المؤمن الذى لم يقرأ القرآن .

ومن حق القرآن على الناس ، أن يعرفوا له قدره ، وأن يتخلقوا بأخلاقه ، وأن يقبلوا على تلاوته وحفظه ، وأن يعبوا من معينه الصافى ، ما يشفى نفوسهم ، ويطهرها من أدران الضلال والجهالة ، ويزج بهم فى آفاق النور ، وحينئذ تتفجر الحكمة من جوانبهم ، يقولون فينصت التاريخ ، ويدعون فتستجيب الدنيا لتوجيههم ، فقد صنعهم القرآن ليكونوا شهداء على الناس . .

وكلما ازداد حظ الناس من القرآن ، ازداد حظهم من الخير الحافل ، والسعادة الدائمة، فالعامل بالقرآن ، متخلق بأخلاق الله ، والتالى لآياته ، انما يناجى ربه ، والماهر بالقرآن ، الحاذق الكامل الحفظ ، الذى لا يتوقف ، ولا يجد فى القراءة مشقة لجودة حفظه واتقانه ، يسمو به القرآن الى مصاف الملائكة ، والذى يجد فى التلاوة والحفظ ، ويلقى فى سبيل ذلك عنتا ومشقة ، يرجح ثوابه فى ميزان الاعمال تقول عائشة رضى الله عنها فى حديث رواه البخارى

ومسلم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن ، مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن وهو عليه شاق ، — وفى رواية : والذى يقرأه ، وهو يشتد عليه — له أجران » .

وبمقدار ما فى صدر المؤمن من آيات ، يرتفع بعـــددها عند الله درجات ، يقول المعصوم صلوات الله وسلامه عليه : « يقال لصـــاحب القرآن : اقرأ ، وارق ، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ، فان منزلتك عند آخر آية تقرأها » (٥) .. !

وأى شرف أعظم وأسمى من أن تتحرك شفتا المؤمن ، بكلمات قالها رب العزة ؟! انه فى هذه اللحظـــات المضيئة ، يسبح فى فيض من السكينة والنور ، فقد حدث الصحابى الجليل أسيد بن حضير ، وكان فى بيته يقرأ القرآن ذات ليلة ، يقول : « فرأيت مثل الظلة ، فيها أمثـــال السرج ، عرجت فى الجو حتى ما أراها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك الملائكة تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تســـتتر منهم » وفى رواية أخرى : « تلك الملائـــكة نزلت لقراءة القرآن ، أما انك لو مضيت ، لرأيت عجبا » (٦) .

وفى الحديث الذى معنا ، يعطى الرسول الـــكريم للمؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به ، صـــورة لها فى عالم الحس جلال وروعة ، فالذى **يقرأ القرآن** ويعمـــل به (كالأترجة) وفى اثبات القراءة على صـــيغة المضارع ، ما يفيد أن المراد ليس حصـــول ذلك مرة ، وانما المراد الاستمرار والدوام ، وأن القـــراءة دأبه وغايته ، فهو يقضى نفيس عمره فى التـــلاوة ثم يتحرك القرآن فى داخله حركة ايجابية ، يتحول بعدها — فى دنيا الناس — الى ســـلوك نظيف ، ومنهج مســـتقيم ، ان هذا القارىء العامل مثله مثل (الأترجة) وقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الفـــاكهة الطيبة ، مثلا واضحا ، لحسن منظرها ، وطيب مطعمها ، ولين ملمســـها ، تأخذ بالأبصار صبغة ولونا ، فاقع لونها ، تسر الناظرين ، تتوق اليها النفوس ، وتشترك فى الاحتظاء بها الحواس الأربع ، البصر ، والذوق ، والشم ، واللمس ، وهكذا المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به ، فهو من حيث ان الايمان فى قلبه ثابت ، طيب الباطن ، ومن حيث انه يقرأ القرآن ، فيستريح الناس لصوته ، ويثابون بالاســـتماع اليه ، ويحبون القرب من مجلســـه ليتعلموا منه ، فهو مثل (الأترجة) ينعم الناس بها ذوقا ، وشـــكلا ، واحساسا ، وشـــما .. ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وســـلم مثلا أعلى فى اتقان القرآن الـــكريم وتجويده ، كمـــا كان مثلا أعلى فى تطبيقه والعمل به ، يقول الصحابى الجليل عبد الله بن مغفل رضى الله عنه « قرأ النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح فى مسيرله على راحلته ، سورة الفتح فرجـــع (٧) فى قراءته ، قال معاوية : لولا خوفى من اجتماع الناس على لحكيـــت لكـــم قراءته » وهذا يوضحه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى حسن الصوت ، يتغنى بالقرآن يجهر به » (٨) وقد سئلـــت عائشة رضى الله عنهـــا عن خلق رسول الله فقالت للسائل : أما تقرأ القرآن ؟ قال : بلى قالت « كان خلقه القرآن » (٩) وروى ابن ماجه عـــن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من أحسن الناس صوتا بالقرآن ، من اذا سمعتموه يقرأ ، حسبتموه يخشى الله » .

ومن المؤمنين رجل طوى القرآن

فى قلبه ، وأفرغ تعاليمه فى نفسه ، فسيطرت على جوارحه ، وتلون بها سلوكه ، غير أنه لم يوفق الى تحريك لسانه بآيات الكتاب العزيز ، فظلت حبيسة فى صدره تعمل عملها بعيدة عن الذيوع والإنتشار ، فهو مؤمن لم يؤت القرآن حفظا وتلاوة ، وان كان قد أوتيه تطبيقا وعملا بما جاء فيه ، فهو منقوص البركة ، مبتور الحظ من الخير ، هجر تلاوة القرآن ، فاستوحش مجلسه ، واقفر منزله ، ولم يكن لسانه رطبا بآيات الذكر الحكيم ، فهو كالتمرة ملىء باطنها حلاوة ، وخلا ظاهرها من الريح الطيب ، والشذى الفواح ..

ومن الناس فاجر او منافق ، أوتى حظا عظيما من تلاوة القرآن ، يتدفق لسانه بآياته وكلماته ، ولكنه لا يحرك بها قلبه ، ولا يقف عند عجائبها ، فهو مقطوع الصلة بهدى القرآن ، كالأعمى يحمل السراج ولا ينتفع بضوئه ، أو كالطبيب يصف الدواء للناس ، والعلة تفتك به ، أو كما يقول الشاعر :

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول !

وان أخطر ما تصاب به الأمة الاسلامية ، أن يكون فى صفوفها قوم من هذا اللون ، يتلون كتاب الله لا يجاوز حناجرهم ، ظاهرهم فيه الرحمة ، ينفح الناس طيبا وعطرا ، وباطنهم ينطوى على نتن كريه .. !

كالقبر غطته الزهو
ر وتحته عفن دفينه !

انهم حقا كالريحانة .. ريحها طيب ، ولكن طعمها مر .

وأما أشقى الناس جميعا ، وأبعدهم عن ساحة الرضوان ، وأكثرهم حرمانا من بركات القرآن ، فهو الفاجر المنافق الذى لا يقرأ القرآن ولا يعمل به ، أقفرت نفسه من الخير ، وأجدبت روحه من المعانى الكريمة ، فلا تطوف بها نسمة ، ولا تهب عليها نفحة ، وتحجرت عاطفته ، فلا يهزها وعد ، ولا يخيفها وعيد ، حيل بينه وبين القرآن علما وعملا ، فلا هو من قرائه ، ولا هو من اتباعه ، وذلك هو الخسران المبين .. !!

وان الرسول الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — يشبه هذا الرجل الذى اتخذ القرآن مهجورا ، بالحنظلة ، تلكم الثمرة الرديئة ، التى جردها الله من كل خير ، فليست لها رائحة ، وأما طعمها فشديد المرارة ، فما أجدر المنافق الذى لا يقرأ القرآن بأن يضرب له المثل بالحنظلة ، فهو خرب الظاهر والباطن ، لا مجال للقرآن على لسانه ، ولا مكان له فى قلبه ، ومن ثم فهو مصدر بلاء على نفسه وعلى الانسانية ، يشقى الناس بما يلقون منه من سوء خلق ، وفساد ضمير ، وتشقى به نفسه حين يجعل الله له فى الحياة معيشة ضنكا ، ويبعث يوم القيامة أعمى يتخبط فى الحيرة والعذاب « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » (١٠) .. !

ان تلاوة المسلمين للقرآن تحتاج الى نظرة تصحيح .. اننا لا نريد أن يكون هذا الكتاب العزيز ، شارة للمتعطلين وذوى العاهات ، وموردا للمرتزقة يقرأونه على أبواب المساجد وقارعة الطريق وعلى الموتى فى قبورهم يشترون به ثمنا قليلا ، فقراءة القرآن وسؤال الناس بعدها ، أمر مذموم ، فان القرآن أمانة الله لدينا ، وأعظم شىء بيننا ، لأنه كلام الله ، فلا يكون عرضة لحطام الدنيا الفانى ، فقد ورد فى

حديث رواه الترمذى وحسَّنه أن عمران بن حصين رضى الله عنه ، مر على قارىء يقرأ ، ثم سأل ، فاسترجع (١١) ! ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجىء أقوام يقرأون القرآن، يسألون به الناس » .

ان من بطر الحق وغمط النعمة ، أن يتحول القرآن فى دنيا المسلمين الى صحيفة طويلة ، تحوى القرآن كله بخط دقيق ، توضع داخل اطار فاخر ، يزينون به غرفهم ! أو الى مصاحف ثمينة تستقر داخل علب مغلفة بالحرير ، يتبادلها الناس هدايا فى مناسباتهم ، ويضعونها فى واجهات المتاجر أو السيارات ، لتجلب البركة ، وتدفع السوء .. !!

ان بركة القرآن فى العمل به ، وافساح المجال أمامه ليؤدى رسالته فى الحياة « وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون »(١٢). ان القرآن أصح تراث سماوى يملكه المسلمون ، وهو للانسانية مصدر غنى واسع ، ينفحها بكل خير وبر ، فلا تذكر فضيلة الا ويذكر معها القرآن ، فهو أبوها وباعثها ، وما تواصى الناس بعدل أو مرحمة الا وجدوا أن ذلك منبعه القرآن .. فمتى يدرك الناس ذلك .. ؟

لا نريد أن يكون مبلغ المسلمين من قرآنهم ، أن يستوعبوا آياته اتقانا وتجويدا ، ثم يعزلونه عن حياتهم ، فلا يزكى لهم نفسا ، ولا يرفع لهم رأسا .. !! نريد أن يتحول القرآن فى صدور القراء الى علم نافع ، وثقافة رشيدة ، ثم الى عمل تأخذ الحياة به سيرها الآمن ، وقرارها المطمئن ، فما أنزل القرآن الا ليفهم الناس روحه ، ويفقهوا شرائعه ومقاصده ، ويلتزموا حدوده وآدابه « وكذلك نصرف الآيات ، وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون » (١٣) « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» (١٤) ؟! « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر أولوا الألباب » (١٤).

---

(١) الاترجة بضم الهمزة والراء وتشديد الجيم : ثمرة حلوة الطعم ، طيبة الريح ، جميلة المنظر أقرب ما تكون شبها بالتفاحة وتقول كتب اللغة : انها فاكهة معروفة من شجر من جنس الليمون .. والتمرة : ثمرة النخل ، والريحانة : بقلة طيبة الريح وفى طعمها مرارة .. والحنظلة : ثمر نبات فى البادية مر الطعم ، ولا ريح له ..

(٢) ١٧٤ : النساء .

(٣) ٨ : التغابن .

(٤) ٥٢ ، ٥٣ : الشورى .

(٥) أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٦) رواه مسلم .

(٧) رجع فى قراءته اى ردد صوته بها ، وأظهر المد فى مواضعه ، وأشبع الحروف مع الصوت الحسن .

(٨) رواه البخارى ومسلم وأبو داود .. ومعنى ما أذن الله لشىء أى ما استمع لشىء كاستماعه لحسن الصوت من نبى أو غيره من أهل القرآن الصالحين ، والمراد اعطاء الأجر العظيم على حسن الصوت .

(٩) رواه أحمد فى مسنده ومسلم وأبو داود

(١٠) من ١٢٤ — ١٢٦ سورة طه .

(١١) استرجع قال : انا لله وانا اليه راجعون ، كأنه رأى السؤال بالقرآن مصيبة فاسترجع لها .

(١٢) ١٥٥ : الانعام .

(١٣) ١٠٥ : الانعام .

(١٤) ٢٤ : محمد .

(١٥) ٢٩ : ص .



لقاء بين القيادة الإسلامية وقاعدتها الشعبية على المستوى العالمي

للشيخ طـه الولى

بعد أيام معدودات تثور فى نفوس المسلمين نوازع الشوق لاداء فريضة الحج ، فيتدفقون من كل حدب ومن كل صوب فــى أطراف المعمــورة ، بالبر والجو والبحر قاصــدين الــى الديار المقدسة فى بلاد الحجاز للتلاقى بعضهم مع بعض فى رحاب منـزل الوحى ويطوفــون حول الكعبــة المشرفة فى البيت العتيق مهلليــن ومكبرين حفاة عراة حاسرى الرؤوس يحدوهم جميعا رجاء واحــد هــو اطلاب رضى الله عز وجل فى المكان الذى جعله مثابة للناس وأمنا ، ومن ثمة متابعة السير الى المدينة المنورة للزيارة حيث يرقد ذلك الانسان الذى انقذهم من جاهليتهــم ودلهــم على الطريق الذى لا أمت فيها ولا اعوجاج نحو المستقبل الذى رسم للبشرية كلها السبيل الذى لا شك فيه ، للسعادة الحقيقية فى الدنيا والآخرة على حد سواء .

واللقاء الرائع الــذى يتم فــى الحج بين ملايين البشر من مختلــف الاجناس والقوميــات والطبقــات الاجتماعية والاهــواء الفكريــة والسياسية ، ان هذا اللقاء هو حدث انسانى ضخم وليس مجرد نسك دينى تتخلله طقوس شكلية تبتدىء فى يوم وتنتهى فى آخر ، اذ ليس من المنطق فى شىء أن يأمر الاسلام اتباعه بأن ينسلخوا من حياتهم اليومية ويدعوا جانبا كل ما يعنيهم من المصــــالح

والاعمال المادية لينفقوا شطرا من عمرهم فى حيز من الارض وصفها القرآن الكريم بأنها « واد غير ذى زرع » ومن الطبيعى أن يكون هذا الامر الالهى يعنى بالنسبة للمؤمنين شيئا هو أبعد بكثير من تحميلهم مشقة الانتقال من أوطانهم وترديد بعض الادعية المأثورة فى جوار المسجد الحرام لمجرد أنه أول بيت وضع للناس.

اذن ما هى الحكمة التى من أجلها فرض على المسلمين أن يتداعوا الى مكة المكرمة ويهرعوا الى الاقامة فيها فى العاشر من ذى الحجة الحرام من كل عام ؟

واذا نحن تركنا جانبا اهمية الظواهر التعبدية التى يمارسها الحجيج خلال أداء هذه الفريضة الدينية ، فاننا لا نستطيع استبعاد ما هو كامن من المقاصد والاغراض وراء هذه المظاهر وهى مقاصد وأغراض ذات صلة اكيدة بحرص الدين الاسلامى على احكام الروابط التى تشد المسلمين بعضهم الى بعض بعروة وثقى من اللقاء المباشر ولو مرة واحدة فى العمر ، يوحى اليهم بأنهم أمة واحدة ، مهما تباينت أجناسهم العرقية أو تعددت أوطانهم القومية أو اختلفت طبقاتهم الاجتماعية أو تناقضت ميولهم السياسية .

ولعلنا نستطيع القول بأن لقاء المسلمين الجماعى فى الارض التى كان فيها منزل الوحى وانبثاق الدين الذى يؤمنون بأركانه وشريعته انما هو فى الواقع عبارة عن جمعية عمومية نص عليها الدستور الذى انزله الله على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، على نحو ما هو مألوف فى الدساتير الوصفية التى يسنها الناس فى تنظيم أنفسهم تحت لواء الاحزاب والجمعيات والتكتلات المادية .

واذا كان اجتماع اعضاء مثل هذه المؤسسات التنظيمية فى شكل جمعية عمومية أمرا تقتضيه الضرورة للرجوع الى الرأى العام فيها بصورة دورية ولو مرة فى العام ، فانه لم يكن للاسلام أن يتجاوز هذا المنطلق الاساسى فى تنسيق التعاون بين جماعته ، لا سيما اذا نحن لاحظنا أن هذا الدين قد انفرد دون سائر الاديان الأخرى ، باعتبار نفسه حزبا قائما بذاته ، أو ليس الله عز وجل هو القائل فى كتابه عن المؤمنين به « أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون » وعلى هذا فان فريضة الحج لا تعدو كونها ، مادة رئيسية ، فى دستور الاسلام ، تتضمن دعوة أعضاء الحزب المسلمين الى عقد جمعيتهم العمومية فى مكة المكرمة التى هى المقر العام لحزبهم ، مرة على الاقل فى كل عام .

أما اختيار مدينة مكة بالذات لعقد هذه الجمعية العمومية فذلك لأنها البلد الذى تأسس فيه حزب الاسلام لأول مرة ، ولأن فيه من المؤسسات والمنشآت ما يثير فى نفوس الاعضاء « المسلمين » المعانى التذكارية والتاريخية التى رافقت نشوء هذا الحزب . وليس غريبا أن يحرّض الاسلام المسلمين على التلاقى فى ظلال التذكارات التى تشدهم بالعاطفة العفوية الى منطلقاته الاولى ، فالنفس البشرية مهما تظاهرت بالتحرر من التعلق بالاشياء المادية التى تجسد المعانى الروحية التى تعيشها ، فانها مضطرة الى الاحتفال بهذه الاشياء والانجذاب الى رؤيتها والتحسس بها عن كثب ، وذلك عن طريق عقلها الباطن الذى يتحكم فيها على الرغم منها ، فطرة

الله التى فطر الناس عليها ولا تبديل لخلق الله .

هذا من الناحية النفسية المجردة ، أما من الناحية الفكرية الموضوعية والمبدئية فان التجمع الكثيف فى جوار الكعبة المشرفة ، يذكر المسلمين بالهدف الذى تعنيه مناسك الحج حين تطلب من الذين يؤدونها أن يتجهوا اليها ويطوفوا حولها واكثر من ذلك ، بأن يتشبثوا بأستارها ضارعين الى ربهم أن يتقبل منهم هذه المناسك ، وانما تعنى هذه المناسك كلها أمرا واحدا لا تعدوه ولا تتجاوزه الا وهو وحدة الشعوب الاسلامية كلها فى أمة واحدة « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » صدق الله العظيم ! هـذا ، فى الاطار النفسى لتجمع المسلمين حول الكعبة المشرفة فى موسم الحج ، أما فى الاطار الفكرى ، فان من شأن هذا التجمع أن يوحى للحشود البشرية التى تداعت من كل حدب ومن كل صوب الى ذلك المكان الاقدس أن لها الحق فى اثبات وجودها والاعلان عن رأيها فيما يخطط لها أولو الامر فيها من مصائر وأهداف . وذلك ان المسلمين حين يقبل بعضهم على بعض فى رحاب بيت الله الحرام فانهم يفعلون ذلك باعتبارهم الجمهور الذى يشكل ما تواضح الناس على تسميته بلغة العصر « القاعدة الشعبية » لحزب الاسلام فى العالم .

وعلى هذا فان القرآن الكريم يكون أول دستور تنظيمى أمر الهيئة القيادية فى الحزب الاسلامى أن ترجع الى قاعدتها الشعبية مرة فى كل عام وبصورة دورية الزامية لكى يتم بين القمة الاسلامية وقاعدتها التلاحم العضوى الذى لا بد منه من أجل متابعة المسيرة الحزبية فى الطريق المرسوم من أجل الغاية الواحدة والهدف المشترك .

واذا أردنا أن نستعمل المصطلحات الحديثة التى دخلت فى معجم اللغة السياسية للعصر الذى نحن فيه فاننا نقول ان فريضة الحج هى المؤتمر العام الذى يعقده المسلمون ليتداولوا فيه بشكل جماعى أوضاع بلادهم وشؤون شعوبهم تحت شعار المصارحة الصادقة والنقد الذاتى البناء وهو ما أشار اليه القرآن الكريم يقول عز وجل « ليشهدوا منافع لهم » وأى منفعة هى أعظم من تلك التى يحققها هذا اللقاء والاجتماع العالمى الذى يضم المسلمين من أطراف الارض وأرجاء العالم فى ندوة كاملة تدلى فيها قياداتهم بما عندها من بيانات وتوجيهات ويعرب فيها أفرادهم عما يخالجهم من أفكار او يراودهم من رغبات . حتى اذا ما انتهت هذه الندوة عادت الجموع الاسلامية الى مناطقها وهى مزودة بالقرارات اللازمة لتضعها موضع التنفيذ فى حدود امكاناتها والملابسات التى تحيط بها والظروف المحلية التى تتحكم فيها .

هذا هو الحج فى أبعاده الفكرية وأغراضه القومية وأهدافه الاجتماعية والنفسية . ولعل أبلغ ما يختصر لنا هذه المعانى الاساسية فى القرآن الكريم هو قول الله تعالى :
« لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين » .

أجل ان المناسك الشكلية التى يؤديها الحاج ليست هى التى يتقبلها الله عز وجل أو يرفضها وانما الذى يتقبله هو النوايا التى تسبقها والنتائج التى تترتب عليها والله من وراء القصد .

افتعال المشكلات

للاستاذ : احمد محمد جمال

بعض علمائنا القدامى والمحدثين ، الذين اشتغلوا بالدراسات القرآنية — أسرفوا فى محاولاتهم — لفهم القــرآن وتفهيمه ، وعــلم معانيه ، وتراكيبه وتعليمها .. حتى تخيــلوا أو توهموا أن فى نظم القرآن مشكلا واكاد أقول إنهم افتعلوا الاضــطراب فى نظم آياته ، والحيرة فى تأويل مقاصده . ثم ذهبوا يحاولون حــل المشكل المتوهم ، ودفع الاضطــراب المزعوم .. بما هو موجود فــى الآيات نفسها ، أو بما هو معــروف ومعلوم من قواعد اللغة العربيــة ، ومبادىء بلاغتها ، وكلام العــرب الفصحاء : من نثر وشعر .

ولو أن هــؤلاء العلماء الأفاضــل — الذين نحسن الظن بهم ، وندعو لهم بحسن المثوبة على دراساتهــم وأبحاثهم ومؤلفاتهم القرآنية — قــد وجدوا بين أيديهم زعمات أو مفتريات لأشخاص أو ذوات معروفة بعــدائها للإسلام أو جفائها للقــرآن أو جهلها باللغة العربية .. عن اضطراب أو إشكال فى آيات القرآن نظما ومعنى، فوضعوا هــذه المؤلفات أو المقالات للرد عليهم ، وبيان ما جهــلوه ، أو تكذيب ما افتروه على القرآن — إذن لكان لهم عذر .. بل كان لهم شكر على دفاعهم عن كتاب الله الكريم ..

أما أن يتوهموا — هم أنفسهم — أو يفتعلوا المشكل أو الاضطراب فى القرآن ، وبالتالى يوهمونه للأعداء والجهلاء معا ، فهذا ما استنكرتــه ، وما خفيت عواقبه السيئة على عقول قراء هذه الكتب وهذه المقــالات من الشباب والطلاب ، وضعاف الإيمان ، وقليلى البحث والدرس لعلوم القرآن ومظان فهمه وتفسيره .

****

واكتفى بمثالين .. احدهما كتاب « الفــوائد فى مشــكل القرآن » المنسوب الى سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، والذى حققه الدكتــور رضوان على الندوى ، واصــدرته وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية بالكويت — وانما قلت « منسوب » لسلطان العلماء .. لأنى لا أستطيع ان أصدق أن هذا الكتاب من تأليف هذا العالم الجليل ، فقد أنكرت فى هذا الكتاب أمرين :

في نظم القرآن

الأول : إثارة المشكلات في تعبيرات القرآن أو توهمها ، ثم التساؤل : لم قال : كذا ؟ ولماذا لم يقل كذا بدلا من كذا ؟ أو هذا لا يليق : أو لماذا خولف الأصل ؟ الخ .. وفي مواضيع كثيرة لا يجيب على الإشكال الذي أثاره ..

الثاني : أنه اخضع القرآن لقواعد الصرف والنحو والبلاغة ..

مع أن هذه القواعد قد وضعت بعد نزول القرآن وعلى أساسه باعتبار انه الذروة في البلاغة والفصاحة ، والقدوة للبلغاء والفصحاء .

ومما يلاحظ على محقق الكتاب الدكتور رضوان : انه وضع الهوامش جملة واحدة في ختام الكتاب ولو وضع تعليقاته ومراجعاته في ذيل كل صفحة لكان أسهل في الايضاح والاستدراك والتصويب .

أما المثال الثاني : فهو سلسلة مقالات نشرتها مجلة الجامعة الاسلامية التي تصدر بالمدينة المنورة — تحت عنوان — (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) للشيخ محمد أمين الشنقيطي . ومع ما تجلى خلال هذه الدراسات القيمة من علم واسع وفكر ثاقب ، ومحاولات ناجحة في التوفيق بين بعض المفهومات القرآنية وبعضها الآخر .. إلا أني أرى أنه لا داعي الى توهم الاضطراب أو ظن الإشكال في آيات القرآن ، لأن الله عز وجل يكرر في القرآن : انه أنزل بلسان عربي مبين ، وانه لا اختلاف في الفاظه ، ولا تناقض في اهدافه ، ولا اضطراب في معانيه ..

ومن ناحية أخرى .. لو أنا ربطنا بين الآيات ذات الموضوع الواحد ، أو القضية الواحدة — ولو كانت موزعة على سور متعددة — لما اختلفت معانيها ومقاصدها ، ولما توهم متوهم اضطرابا فيها أو تناقضا بها .

وأجتزىء ببعض النماذج لهذه المشكلات أو الاضطرابات المتوهمة أو المفتعلة في آيات القرآن ، مع التعقيب عليها :

في ص ٤٩ يثير العز مشكلا حول هذه الآية : (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) فيقول رحمه الله هذه الغاية ليست مرادة ، وقد

خَوْلف ظاهرها ، فانها لا تحل له بمجرد النكاح للغير ، بل حتَى يطلقها وتستوفى عدتها ويعقد عليها الأول .

● قلت : لا مشكل فى الآية ، ولا مخالفة للظاهر فيها كما يقول العز .. ففى تمامها البيان الكافى وهو : (فانْ طلقها ــ أى الزوج الثانى ــ فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله) أى إن طلقها الثانى حلت الرجعة ..

ثم إن حرمتها بنكاح الغير من البداهات المسلمة ومن المقررات القرآنية أيضا فى قوله عز وجل عن المحرمات : (والمحصنات من النساء) فالمرأة المتزوجة حرام على غير زوجها سواء أكان هذا الغير زوجا سابقا أو خطابا جديدا .

****

وفى ص ١٢٧ ــ قوله عز وجل : « ثم محلها الى البيت العتيق » .. يقول العز : **فيه إشكال** وذلك أن المغيَّا ها هنا ان كان الذكاة فكيف يُغَيَّا بـ (الى البيت العتيق) ، والجواب أن المعنى : ثم محل ذكاتها الى البيت العتيق لأن البيت العتيق وما قاربه لا يذكى فيه .

وفى ص ١٤٩ ــ يثير نفس الاشكال فى قوله تعالى : (وان عليك لعنتى الى يوم الدين) فيقول ، مفهوم الآية يدل على أنه ليس ملعونا اذا جاء يوم الدين ، فلم جىء بـ (إلى) ؟ والجواب أن **المفهوم غير مراد** . وان (إلى) تفيد الاستمرار الى يوم الدين الخ ...

● قلت : من المعروف فى كلام العرب وفى أصول تفسير القرآن بصفة خاصة ــ ان (المُغَيَّا) يشمل الغاية تارة ولا يشملها أخرى . والقرآن نفسه قد تضمن ذلك فى آيتين منه : الأول : (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق) فالمرافق ــ وهى الغاية ــ داخلة فى الغسل . والآية الثانية : (ثم أتموا الصيام الى الليل) فالليل ــ وهو الغاية ــ لا يدخل فى الصيام .

وعلى ذلك فالبيت العتيق نفسه لا يدخل فى محل الذكاة ، بينما يدخل يوم الدين فى لعن ابليس . وليس هنا إشكال ولا مستشكلون !!.

****

وفى ص ١٤٤ ــ قوله عز وجل : «فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) يقول العز : ان فاعل « تبينت » ليس الجن . بل الجن مبتدأ و (ان لو كانوا يعلمون) خبره اذ لولا ذلك لكان معنى الكلام : لما مات سليمان عليه السلام وخرّ ظهر لهم أنهم لا يعلمون الغيب ، وعلمهم بعدم علمهم للغيب لا يتوقف على هذا . بل المعنى : تبينت القصة الخ ....

● قلت : هذا فهم عجيب ، وتشويه لجمال التعبير القرآنى أعجب . بل هو تحريف لاستقامة هذا التعبير السليم الكريم ..

فالقرآن يقول بعبارة واضحة : (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرّ تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) .

أى أن سليمان عليه السلام عندما توفى لم تظهر وفاته للجن ، لأنه ظل جالسا على هيئته كأنه حى ، متكئا على منسأته ، فظل الجن فى أعمالهم له كعادتهم : (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ، وجفان كالجواب وقدور راسيات ..) حتى اذا أتمت دابة الأرض نخر منسأته خرسليمان من على عرشه ، فعرفت الجن أنه

مات . ولو أنها كانت تعلم الغيب ، لعلمت بوفاته قبل أن يخر ، وما لبثت فى عناء أعمالها وشقائها الأليم .

وفي القصة : عبرة وعظة ، وبيان من الله للناس فى عهد سليمان ، وفيما بعده الى يوم الدين ، ان الجن وهم مظنة النفع والضر عند الكثير .. لا يعلمون الغيب ، وبالتالى لا يملكون نفعا ولا ضرا .

ففاعل (تبينت) إذن هو (الجن) بلا جدال لأن السياق يدل عليه ، والمعنى المراد يؤكده ، والعبرة من القصة تقويه ، واستقامة الأسلوب العربى المبين تقتضيه ..

****

وننتقل الى الشيخ الشنقيطى - رحمه الله - فنأخذ بعض النماذج من دراساته حول ما توهمه من (اضطراب) فى آيات الكتاب ، وما دفع به هذا التوهم - وما فتح الله به علينا من تعقيب عليه ، وتصويب له :

يذكر الشيخ الشنقيطى قوله تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون) ثم يقول : هذه الآية تدل على أن وجل القلوب عند سماع ذكر الله من علامات المؤمنين .. وقد جاءت آية أخرى تقول : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب) **فالمنافاة** بين الطمأنينة ووجل القلوب ظاهرة - والجواب عن هذا : ان الطمأنينة تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد ، والوجل يكون عند خوف الزيغ عن الهدى الخ ...

● قلت : لامنافاة بين الوصفين بالوجل أولا ، وبالاطمئنان ثانيا ، فهما وصفان متلازمان لقلوب المؤمنين الصادقين ، فهم اذا ذكروا الله تارة خافوا تقصيرهم ، وخافوا الا تقبل أعمالهم الصالحة لما قد يكون خالطها من رياء وسمعة لم يتعمدوهما .. كما جاء ذلك فى الآية : (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون) - واذا ذكروا الله تارة أخرى اطمأنوا الى عدله ورحمته ووعده بالمثوبة المضاعفة على الصبر والذكر والشكر ..

ثم ان الآيتين الأولى والثانية اللتين يقول الشيخ : ان المنافاة بينهما ظاهرة .. قد اشتملتا كلتاهما على (الاطمئنان) و (زيادة الإيمان) بعد ذكر الله وتلاوة القرآن ، فكما جاء فى الثانية : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) جاء فى الأولى : (واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) .

وإذن فالمنافاة بينهما ليست ظاهرة حتى ولا باطنة أيضا .

****

وأورد الشيخ قوله عز وجل : (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) وقال : ظاهر هذه الآية أن الواحد من المسلمين يجب عليه مصابرة عشرة .. **وقد ذكر الله ما يدل على خلاف ذلك** فى قوله : (فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) - والجواب : ان الأول منسوخ بالثانى كما دل عليه قوله : (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) .

● قلت : الذى افهمه من الآيتين ، وهما متتاليتان - فى سورة الأنفال - مترابطتان لفظا ومعنى لا نسخ فى الآية الأولى ، بل هناك تفريق وتمييز بين حالتين ، الحالة الأولى : اذا كان المسلمون أقوياء فالواحد منهم يغلب عشرة من الكفار . والحالة الثانية اذا كانوا ضعافا فواحدهم يغلب اثنين

من أعدائهم .. وهذه مزية المسلم بإيمانه على الكافر بكفره اذا تساويا قوة وسلاحا .

وأورد الشيخ أيضا هذه الآية : انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) ثم قال : انها تدل على لزوم الخروج للجهاد فى سبيل الله على كل حال ، وقد جاءت **آيات أخرى تدل على خلاف ذلك** كقوله : (ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذ نصحوا لله ورسوله) .. وقوله تعالى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة ..) ــ والجواب : ان آية (انفروا خفافا وثقالا) منسوخة بآيات العذر المذكور .

● قلت : ولا نسخ هنا أيضا ، فالآية الاولى تدعو المسلمين الى النفرة جهادا بالأنفس والأموال ، خفافا بأنفسهم ، وثقالا بأموالهم أطعمة وأسلحة .. حسب حالة كل منهم فقرا وغنى ، وضعفا أو قوة ، ودربة على القتال ، أو قدرة على خدمة الجيش .

أما الآيات الأخرى فهى بيان لأعذار المعتذرين بمرض مقعد ، أو ضعف معجز ونقول : (مرض مقعد ــ وضعف معجز) لأن المرض والضعف اللذين يستطيع معهما الرجل أن يقوم بخدمة المقاتلين إطعاما وتطبيبا وحراسة ليسا عذرا للقعود عن الجهاد فى سبيل الله بالنفس ، وكذلك الذى لا يجد مالا ينفقه اذا وجد من ينفق عليه وجب عليه الخروج للجهاد بنفسه .

والآية الأخرى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) تعنى أن ينفر البعض للتفقه فى الدين والدعوة الى الله فتمامها : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) فلا خلاف ولا تناقض بين الآيا تو أمثالهما فى القرآن الكريم . وأشباه هذا التشريع القرآنى كثيرة .. فقد أمرنا بالصلاة قياما ، وأمرنا بالوضوء من الماء ، وليس معنى الترخيص بالقعود للصلاة وبالتيمم لأصحاب الأعذار ناسخا للأمر الأول وإنما هو استثناء لحالات الضرورة ــ كما هو الشأن فى كل التشريعات الاسلامية ــ وكذلك الأمر والحال فى النفرة للجهاد فى سبيل الله والتفقه فى الدين أو الدعوة الى دين الله القيم .

وذكر الشيخ قوله عز وجل : (وقالت اليهود عزيرابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ــ الى قوله سبحانه عما يشركون) ثم قال : هذه الآية فيها التنصيص الصريح على أن كفار أهل الكتاب مشركون بدليل قوله فيهم (سبحانه عما يشركون) بعد أن بين وجوه شركهم بجعلهم الأولاد لله واتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا من دون الله .. ونظير هذه الآية قوله تعالى : **(ان الله لا يغفر أن يشرك به)** لاجماع العلماء على أن كفار أهل الكتاب داخلون فيها .. ثم قال الشيخ : **وقد جاءت آيات أخرى تدل بظاهرها على أن أهل الكتاب ليسوا من المشركين** كقوله : **(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين)** ــ وقوله : **(أن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم)** ــ وقوله : **(مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) .. والعطف يقتضى المغايرة** ــ ثم أضاف أن الشرك الأكبر المقتضى للخروج من الملة أنواع وأهل الكتاب متصفون ببعضها وغير متصفين ببعض آخر منها ، فهم غير متصفين بما اتصف به كفار مكة من عبادة الأوثان ، ولذا عطفهم عليهم ،

وهذه المغايرة هي التي سوغت العطف فلا ينافي أن يكون أهل الكتاب مشركين بنوع آخر من أنواع الشرك الأكبر ، وهو طاعة الشيطان والأحبار والرهبان الخ ...

● قلت : لا حاجة الى هذا التحليل أو التعليل الكثير .. لأن العطف لا يقتضي المغايرة دائما ، فقد يكون عطف بيان ، أو عطف تخصيص ، أو عطف تمييز ، أو عطف تكريم ، أو عطف تنويع .. فقد جاء ذكر المشركين كطائفة أخرى من الكفار — لأن هذا هو وصفهم واسمهم الذي عرفوا به كما وصف اليهود والنصارى — وهم كفار مثلهم من حيث الوصف العام : بانهم أهل الكتاب وسموا بذلك أيضا والجامع بينهم أو الوصف العام لهم هو الكفر بالاسلام كتابا ورسولا ودينا . وقد وصف أهل الكتاب بالشرك لأنهم فعلا قالوا : المسيح ابن الله وعزيز ابن الله ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وقالوا ان الله ثالث ثلاثة ..

فلا منافاة ظاهرة ولا باطنة بين الفاظ الآيات ومعانيها . ولا حاجة الى أن نتوهمها ثم نقتحمها .. باسم دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ..!

****

وعقب الشيخ الشنقيطي على هذه الآية : (فقال رب ان ابني من أهلي وإن وعدك الحق) بقوله : (انها تدل على أن هذا الابن من أهل نوح عليه السلام ، وقد **ذكر تعالى ما يدل على خلاف ذلك** حيث قال : (يانوح انه ليس من أهلك) والجواب : ان معنى قوله ليس من أهلك اى الموعود بنجاتهم لأنه كافر لا مؤمن ، وقول نوح ان ابني من أهلي يظنه مسلما ..

● قلت : ان ابن نوح من أهله حقيقة ونسبا . ولكنه لما فارق دينه وانضم الى الكافرين برسالته سلبت هذه (الأهلية) في الاعتبار الديني والميزان الإلهي . كما سلبت الأهلية نفسها من عم الرسول صلى الله عليه وسلم — ابي طالب — على الرغم من نصره له ، وتأييده وحمايته ، فمنع من الاستغفار له ، لأنه فارق دينه ، وكذلك بالنسبة للمسلمين جميعا فقد منعوا من الاستغفار لذوي قرباهم من المشركين : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم) بل حتى المودة ممنوعة بين المؤمنين وأقربائهم المشركين أو الكافرين . (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولوكانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم .

وفي المقابل تقوم القرابة والأهلية بين الأباعد والأجانب اذا جمعتهم العقيدة الواحدة والدين الواحد ، كما قال صلى الله عليه وسلم عن سلمان الفارسي : « سلمان منا آل البيت » .

وإذن فالأهلية المنفية في الآية الثانية هي أهلية العقيدة الاسلامية ، والأهلية المثبتة في الآية الاولى هي أهلية النسب والقربى . وليس هناك تعارض ولا اضطراب في آي الكتاب وإنما هناك الحاجة الماسة عند من يتدبر القرآن الى إدراك بلاغته بين الحقيقة والمجاز .

وبعد ....

هذا قليل من كثير .. مما لاحظته على بعض علمائنا الأفاضل من افتعالهم للمشكلات في القرآن الكريم ومحاولاتهم إيجاد حلول غير معقولة أو لا حاجة اليها .. لهذه المشكلات المتوهمة ..

أشواق الشعراء والأدباء إلى عرفات وبقية المناسك

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

إذا عرضنا تاريخ الشعراء والأدباء المتدينين الحريصين على أداء فريضة الحج ، والطواف ببيت الله الحرام ، والوقوف بعرفات ، وجدناهم بين اثنين : إما رجل متشوق الى هذه البقاع ، حريص على أن يبلغه الله أمنيته ، متحرق الى أن تطأ قدماه هذه الأرض المقدسة ، فهو ما يزال يعبر عن حنينه سعرا ، وما ينفك يرسل أشواقه نغما منظوما . وإما رجل اكرمه الله فأظفره بطلبته ، فهو بين المشاعر والمناسك هناك يحمد الله ، ويلبى لله ، ويكبر ويهلل ، ولا تذهله هيبة المقام ، ولا روعة الموقف أن يقول الشعر ، وهو شعر دينى صاف لا لغو فيه ولا تأثيم ، ولا شىء مما ينزع اليه الشعراء حين تستغرقهم الدنيا فى أحلامها ، وتطويهم فى أوهامها .

ولقد كانت عرفات ومنى وبقية الأماكن المطهرة فى الأرض الطيبة التى بارك الله حولها ، تسبيحة فى افواه كثير من الشعراء الذين كتب الله لهم أن يزوروها . فلم يبخلوا على هذه البقاع بأبيات شعرية أو قصائد مطولة ، أودعوها سعادتهم بهذا الحظ العظيم الذى أوتوه ، وضمنوها من مشاعر الإيمان والعبودية ، والطاعة والخضوع ما فاضت به مشاعرهم ، واضطربت به نفوسهم ، وعبروا عن تحقيق أشواقهم ومواجدهم بما أسعفته به قرائحهم .

وليس من الضرورى أن تحرك هذه المواقف عواطف كل شاعر ألم بها ، وشد رحاله اليها . . فقد تكون الفرحة أعظم من أن يحيط بها وصف ، أو يعبر عنها شعر . فان من المواقف الجليلة الرائعة ما لا يستطاع معه تعبير ، ولا يقدر فيه على تصويره .

وكم رأينا فى تاريخ الشعر العربى من شعراء طافوا بهذه الأماكن المقدسة ، فاكتفوا من المواقف بأداء الشعيرة ، وقضاء المناسك . ورأوا فى الشعائر نفسها والقيام بها على اكمل وجوهها ما يغنى عن استنطاق

الشعر ، واستلهم الخيال . كما رأوا فى التكبير والتهليل ، والتلبية والتسبيح ، ما لا يتسع معه المجال ، ولا يليق معه المعرض لنظم شعر ، أو كد قريحة ، أو عمل قصيد . ويبدو أن عظمة الموقف فى الكعبة وعرفات ، ومنى ، وغيرها من هذه البقاع الطاهرة ، وجلال العبادة ، والاستغراق فى المناجاة تشغل كثيرا من الشعراء عن أن يفتحوا أفواههم بالشعر ، فهم بذكر الله ، فى شغل عن من عداه ....

ولكن هناك شعراء ، منذ قيام الدعوة الاسلامية ، وكتابة فريضة الحج لم تشغلهم الفريضة عن أن يتغنوا بالشعر فيها ، تعبيرا عن عاطفة خاصة لهم ، وتسجيلا لبعض أحاسيسهم ، وهم فوق ثرى هذه الأرض المباركة ، وقد انقطع عندهم الأمل من الدنيا ، وخمدت شهوات النفوس ، وسكنت المطامع ، ولم يبق من صوت الا مناجاة الحجيج لربهم ، يتضرعون اليه بالدعاء ، ويتقربون له بالتهليل ..

والحق ان موقف الناس بين يدى الله فى موسم الحج يدنى النفوس من شفافية الروح ، ويبعدها من كل عرض أو غرض مادى من أغراض الدنيا ، ويصرف أذهان الحجيج عن كل ما تعلق به النفوس من شهوات الحياة . فترى الحاج — وهو على مواقف عرفات ومنى — وقد نفض عن جسده ونفسه كل هوى من أهواء الدنيا ، وشغلته حلاوة الوقوف ، ولذة النزول بتلك البقاع عن أن يتعلق قلبه بشىء مما يتعلق به الناس فى الحياة . وكأنه فنى — أو أفنى نفسه — ومطامعه فى رحاب الله . حتى أكثر الناس إمعانا فى المعصية ، وأشدهم إسرافا على أنفسهم فى الذنوب ، نراهم اذا ما أشرفوا على تلك البقاع الطاهرة وقاربوها اعترتهم هزة عنيفة من جلال ما هم مقدمون عليه من مناجاة الله ، ومناداته ، والانابة اليه . واعتقدوا هوان الدنيا وصغارها وتفاهة شأنها ، وتضاءلوا — مهما كان شأنهم فى الحياة — أمام عظمة الخالق ، وقد جمعهم فى تلك المواقف والمشاعر على الايمان به . والعبودية له ، والتوجه اليه .

وما يزال تاريخ الأدب العربى يذكر الشاعر الماجن فى أول عمره ، الزاهد فى نهاية مطافه ، ، أبا نواس ، وقد تاب الى الله يوما ، فاعتزم الحج ، اداء للفريضة ، واستجابة للأمر ، واستغفارا من الذنب ، وتجردا من المعاصى ، فاذا به فى هذا الموقف الرائع ، والحشد الحاشد ، تذوب عيناه من الدمع ، ويذوب قلبه من الرقة ، وتخشع نفسه من الهيبة ، فينظم أبياتا فى النجوى والدعاء ، تعد من أرق ما احتواه ديوان الشعر العربى فى المناجاة والتلبية . والحق أن أبا نواس قد وفق فى أبياته — التى سنوردها بعد — الى أبعد حدود التوفيق ، فقد جمع فيها بين خشوع التائب ، ورقة الشاعر ، واستغفار المذنب الى الله الرحيم الغفار . واستطاع فى فنية شعرية خاصة أن يوفق بين المعنى الخاشع ، واللفظ الذائب .

وهل هناك أرق وأخشع من شاعر يقول وهو فى موقف الضراعة ، والتلبية ، والدعاء بعرفات :

إلهنا ما أعدلك
مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك
لبيك إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك
ما خاب عبد سألك
أنت له حيث سلك
لولاك يا ربى هلك
لبيك إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك

كـــــل نبـــى ومـــلك
وكـــل من أهـــلّ لك
وكـــــل عبـــــد سألك
ســبح ، أو لبى ، فلك
لبيــك إن الحمـــــد لك
والملك ، لا شــريك لك
والليــل لمـــا أن حـــلك
والسابحـــات فى الفلك
على مجارى المنسلك
لبيــك إن الحمـــــد لك
والملك ، لا شــريك لك
اعمـــــل وبادر أجــلك
واختــم بخيــر عمــلك
لبيــك إن الحمـــــد لك
والملك ، لا شــريك لك

وهذا الموقف : موقف الاستسلام لله ، والتجرد من كل رغبة سانحة او جامحة فى الدنيا ، وعقد العــزم على ترك الذنب وطــرح المعصية ، يناقضه موقف آخر من شاعر عربى سابق فى الوجود على أبى نواس ، هو الشاعر المحب المدله المخبل فــى الحب : قيس بن الملوح ، المعروف فى كتب الأدب والمحاضرات والأخبار باسم : مجنون ليلى ..

ففوق ثرى هذه البقاع المقدسة ، وفى موسم الحج ، والحجيج تضج اودية الحجاز بأصوات تهليلهم ، كان رسيس الهوى قد بلغ من المجنــون حدا حير أهله، وأيأسهم من الأمــل فى شفائه مما يجد من حب « ليــلى العامرية » . فأخذه أبوه ــ إشفاقا عليه ــ الى موسم الحج،لعــل هذه المواقف والمناسك تخرجه مما هو فيه من خبل الحب العنيف ، وترد اليه صوابه المفقود ، وترجع له عقــله الضائع .

وفى لهفة الوالد الشــفيق على شفاء ابنه مما يكابده ، وخلاصه مما يعانيه ، أخذ أبوه بيده الى محفــل من الناس ، وسألهم أن يدعوا الله تعالى لولده بالفرج ... فلما أخــذ الناس فى الدعاء أخذ مجنــون ليلى يقــول :

ذكرتك ، والحجيج لهم ضجيج
بمكـــة والقلوب لهـــا وجيب
فقلت ونحـــن فى بلـــد حرام
به لله أخلصـــت القـــلوب !
أتوب اليـــــك يا رحمن ممـــا
عملت ، فقد تظاهرت الذنوب
فأما من هوى « ليلى » وتركى
زيارتهـــا ، فإنى لا أتوب ..
وكيف ــ وعندها قلبى رهين ــ
أتوب اليــك منهـــا أو أثيب ؟!

فهنا فى هذا الموقف ــ وللحجيج بمكة ضجيج،وللقلوب وجيب ــ يصر شاعرنـــا المخبـــل علـــــى أن يظل على موقفه من هــوى ليــلى ، وغرامها العاصف ، وأن لا ينفض يديه من حبها .. فهو مصر على هواها ، ولو بلغ به الأمر ما بلغ ، أو فعل به التبريح ما فعل .. وهو تائب الى الله عن كل ذنب ، مع اعترافه بتكاثر الذنوب وتظاهرها ، الا هوى «ليلى» فانه لا يتوب عنه ، ولا ينسلخ منه . وقد بسط الشاعر العذر لاصراره على موقفه هذا ، بأن قلبه رهين عندها ، فكيف يستطيع التوبة من حبها ، أو الاثابة من هواها ؟

وقد يكون الشاعر مجنون ليلى فى حالة نفسية وعصبية مرهقة ، الى حد جعله يتخذ هذا الموقف العنيد فى موقف الحج . وهى بلا شك شطحة جامحة من الشـــاعر الهائم المدله ، يشفع له فيها ما صارت اليه حالته النفسية والعقلية ، مما تفيض بـــه كتب الأدب والنوادر .

ولا شك أن مزج الشعر الدينى فى هذه البقاع المقدسة بشعر الغزل ــ وخاصة العنيف ــ هو ضرب من قلة المراعاة ، وإغفال المبالاة ، بل ضرب من الاجتراء على الله .. فان صون هذه البقاع عن أهواء النفوس وشهواتها ورغباتها الجـــوامح هو

أحجى وأليق بالانسان الذى خرج من داره ليكون ضيفا على الله فى بيتـه وفى رحابه . فمن شاء الغـزل أو النسيب أو التشبيب ، فليجعلها بعد انتهاء المناسك ، حتى ولو كان ذلك الغزل تقليديا على سبيل المحـاكاة لا على سبيل الأصالة .

ومن الشعراء الذين وقفـوا فى هذا الموقف الشـاعر الأديب الوزير الأندلسى « ابو عبد الله بن زمرك » وزير بنى الأحمر ملوك غرناطـة ، وصديق مؤرخنا العـربى العظيـم « عبد الرحمن بن خلدون » ، صاحب المقدمة المشهورة . فقد كاتب هـذا الشاعر الرقيق مؤرخنا وهو ناهض لأداء فريضة الحج بقصيدة يقول فيها:

فهل عند (« ليلىَ » نعم الله ليلها
بأن جفـونى ما تمل من السهد ؟
وليـلة اذ ولى الحجيج على منى
وفت لى المنى فيها بما شئت منقصد
فقضيت منها (فوق ما أحسب) المنى
وبرد عفافى صانه الله من برد

... ...

واذا كان بعض شعرائنا قد هفا بهم الشوق وهم فى مواقف الحج الى بعض مآرب من الدنيا ، فان شاعرا حجازيا من شعراء القرنين الحادى عشر والثانى عشر الهجريين — وهو السيد الشريف « على بن معصوم » صاحب كتاب « سلافة العصر » قد استطاع أن يصور لنا الحاج المتجرد من كل غرض دنيوى ، المتوجـه الى الله فى صدق وإخلاص ، وقد كان الموسم حارا لاهبا ، والجمار كأنهـا قطع من النار ، فيقول :

لا يطعم الماء إلا بل غلته
ولا يذوق سوى سد الطوى بيتا
يغرى جيوب الغلا فى كل هاجرة
يماثل العنب فى رمضائها الحوتا
ترى الحصا جمـرات من تلهبها
كأنمـا أوقدت فى القفر كبريتا
اجاب دعـوة داع لا مرد له
قضى على الناس حج البيت توقيتا
يرجو النجاة بيوم قد أهـاب به
فى موقف يدع المنطيق سـكيتا

الى أن يقول :

حتى أناخ على أم القرى سحرا
وقد نضا الصبح للظلماء اصليتا
فقام يقـرع باب العفـو مبتهلا
لم يخش غير عتاب الله تبكيتا
وطافبالبيت سبعا ، وانثنىعجلا
الى «الصفا» حاذرا للوقتتفويتا
وراح ملتمسا نيل المنى « بمنى »
ولم يخف غير حل «الخيف» تعنيتا
وقام فى «عرفات» عارفا ، ودعا
ربا عـوارفه عمتـه تربيتـا

ولقد أطال على بن معصوم النفس فى هذه القصيدة التى عارض بهـا قصيدة الشاعر « أبى العلاء المعرى » التى يخاطب بها القاضى « أبا القاسم على بن المحسن التنـوخى » والتى يقول فى مطلعها :

هاتالحديث عن الزوراء أو هيتا
وموقـد النـار لا تكرى بتكريتا

وقصيدة المعرى هذه مودعة فى ديوانه « سقط الزند » ويجدهـا القارىء كاملة فى كتاب « شـروح سقط الزند » الذى أصدرته لجنـة إحياء آثار أبى العلا المعرى سـنة ١٩٤٨ — جـزء ٤ — ص ١٥٩٣ ، وتبلغ عدة أبياتها واحدا وخمسـين بيتا ، مشحونة بكثير من القـوافى الغريبة على روى التاء . .

واذا كان الشاعر ابن معصوم قد ذكـر بالتفصيل كثيرا من مناسـك الحج وشعائره فى قصيدته التائية ، فان شاعرا دمشقيا سابقا له بقليـل قد استطاع أن يلم بالمناسك والمواقف المامة قصيرة جميـلة فى قصيدة له عينية . هذا الشاعر هو « يوسفبن أبى الفتح » . وقد استطاع « محمد أمين بن فضـل اللـه المحبى » — صاحب « خلاصة الأثر » ، و « نفحة الريحانة » — أن يسجل لنا أبياتا من

هذه القصيدة يقول فيها الشاعر ابن أبى الفتح :

سقى الله من وادى «منى» كل ليلة
هى العمر كانت،والشباب المودعا
ويا جــاد أياما بها قــد تصرمت
ثلاثا : ومن لى أن أراهن أربعا ؟
وحيا مقامى « بالمقام » وأربعـــا
لدى« عرفات » يا سقاهن أربعا ؟
فلله ما أبهــى « بمكة » مشعرا
ولله ما أحلى « لزمزم » مشرعـــا

ولا نعرف فىتاريخ الشعر العربى شاعرا دعى الى أداء فريضة الحج فى ركاب أمير حــاكم فلم تتهيــأ له عزيمته ، ولم تقو له همتـــه ، غير شاعرنا أحمد شوقى . فقد دعـــاه الخديوى عباس الثانى ليكون فىجملة ركبه حين خـــرج من مصـــر لأداء الفريضة سنة ١٣٢٧هـ ، على ظهـــر سفينة أو مطية ، فخشـــى الشـــاعر المترف هذا المركب الذى ظنه خشنا بالنسبة اليه ، وقدم الى الخديوى الأعذار التى قبلها . وهكذا لم يهيىء الله الشـــاعر أحمد شـــوقى لأداء فريضة الحج فى ركب كان من رجاله الأديب الرحالة لبيب البتانونىبك (١) الذى وصف هذه الرحلة فى كتـــابه القيم : (الرحلة الحجازية) .

واكتفى شـــوقى من ذلك النكول والاعتذار بقصيدة رفعها الى الخديوى عباس الثانى ، يخـــاطب فيها ربه قائلا :

لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم
لبيت طهـــور الساح والعرصات
أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة
اليك انتهـــوا من غـــربة وشتات
تساووا ، فلا الأنساب فيها تفاوت
لديك ، ولا الأقـــدار مختلفـــات
عنت لك فى الترب المقدس جبهة
يدين لها العـــاتى من الجبهـــات
دعانى اليك الصالح « ابن محمد »
فكان جوابى صالح الدعوات ..
وخيرنى فى سابح ، أو بجيبـــة
اليك ، فلم أختر سوى العبرات
وقدمت أعذارى ، وذلى وخشيتى
وجئت بضعفى شافعا ، وشكاتى

... ...

ومن الشعراء من لم يفوزوا بنعمة التوفيـــق الى أداء فريضة الحـــج ، فحولوا حرمانهم الى التغنى بأشواق الرحلة ، وظلوا يتحرقون شوقا الى تلك البقاع . فاذا ما ودعوا مسافرا الى أرض الحجاز ، أو استقبلوا عائدا من ضيافة الله فى بيته الحرام تحركت مواجدهم واشواقهم الى أداء الفريضة وعبروا عن ذلك بشـــعر فيه حنين وتشوق . ومن هؤلاء الشـــعراء الرحالة المؤرخ « ابن جبير » الأندلسى صاحب الرحلة المشهورة ، والمتوفى بالاسكندرية سنة ٦١٤هـ . فقد أزمع ــ قبيل رحلته ــ الحج الى بيت الله الحرام مرتين تكفيرا عن بعض خطايا اعتقد ارتكابها . وكان دائم الحنين الى هذه المواطن المشرفة . ولقـــد ســـجل له تاريخ الأدب أبيـــاتا قالها يهنىء وفدا أندلسيا عائدا من الحج بقوله :

يا وفـــود الله فزتم بالمنـــى
فهنيئـــا لكمو أهل « منى »
قد عرفنا « عرفات » بعدكم
فلهذا برح الشوق بنـــا
نحن بالمغرب نجرى ذكركم
وغروب الدمع تجرى بيننـــا

ولقد بلغ من غرام الرحالة ابنجبير الأندلسى بعرفات ، وتعلقه بالوقوف بها أنه فى رحلتـــه ــ وهو يصـــف مكة ــ لم يتردد ، وهو يتحدث عـــن باب المعـــلى أن يقـــول فى شـــوق واضح : (وعلى هذا الباب المذكور

---

(١) هو محمد لبيب البتانونى ــ أو البتنونىــ صاحب « الرحلة الحجازية » و « رحـــلة الى الاندلس » ، « الرحلة الى امريكا »وغيرها و توفى بالقاهرة سنة ١٩٣٨ ..

طريق الطائف ،و طريق العـراق ، والصعود الى عرفات ، جعلنا الله ممن يفوز بالموقف فيها ..)

ولا ينفـرد الشـعراء وحـدهم بالاحتفال بعرفات ومنى والمواقف .. فهناك أدباء خطباء غير شعراء عبروا عن إحساسهم بالموقف فى نثر فصيح وروت بعض كتب الادب والمحاضرات والأخبار أخبارهم . فقد ذكر ابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » رواية عن العتبى ، أنه سمع بعرفات عشية الوقوف بعرفة اعرابيا وهو يقول : (اللهم ان هذه عشية من عشـايا محبتك ، واحد ايام زلفتك ، يأمل فيها من لجأ اليك من خلقك لا يشرك بك شيئا ، بكل لسان فيها تدعى ، ولكل خير فيها تُرجى . أتتك العصاة من البلد السحيق ، ودعتك العفاة من شعب المضيق ، رجاء ما لا خلف له من وعدك ، ولا انقطاع له من جزيل عطائك . ابدت لك وجوهها المصونة صابرة على لفح السـمائم ، وبرد الليالى ، ترجو بذلك رضوانك يا غفار يا مستزادا من نعمه ، ومستعاذا من كل نقمه ، ارحم صوت حزين دعاك بزفير وشهيق) .

واذا كان هذا الدعاء الصـادق الجميل قد صدر عن أحد الاعراب ، فان طـاووسا بن كيسـان الواعظ الفقيه المحدث ، المتوفى سنة ١٠٦هـ يروىَ لنا دعاء آخر سمعه من أعرابى تبعه ، حتى أتى « الملتزم » فتعـلق بأستار الكعبة ، ثم أخذ فى مناجاة الله قائلا : (اللهم بك أعوذ ، واليك ألوذ ، فاجعـل لى فى اللهف الى جوارك ، والرضا بضمانك ، مندوحة عن منع الباخلين ، وغنى عما فى أيدى المستأثرين . اللهم عُد بفرجك القريب ، ومعروفك القديم ، وعادتك الحسنة) . فلما فرغ من الدعاء عند الملتزم ، توجه الى عرفات ، فتبعـه طاووس ، وهناك سمعه قائما على قدميه يقول : (اللهم إن كنت لم تقبل حجى ونصبى وتعبى ، فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته . فلا أعظم مصيبة ممن ورد حوضك ، وانصرف محروما من سعة رحمتك ..)

ومن الشعراء الذين عبروا عـن اشواقهم الى عرفات وبقية المواقف فى الأرض المطهرة ، الشاعر « ابن معتوق الموسوى » من شعراء القرن الحادى عشر الهجرى ، وهو صاحب الديوان المطبوع فى بيروت سـنة ١٨٨٥ الذى جمعه ابنه : معتوق . فله اكثر من قصيدة يحن فيها الى مواقف الحج ويتشوق ، وهى قصائد لم ينظمها أصلا فى الحنين ، ولكنـه نظمها فى التهنئة لبعض أمراء عصره بعيد الفطر او الأضـحى ، ثم عرج على الحنين،كقصيدته فى مدح السيد على خان التى يهنئه فيها بعيد الفطر ويستأذنه للحج ، قائلا :

وركبتعاطوا فىالدجى دلج السرى
يميلون من سكر الكرى لم يهوموا
سهاما على مثل القسى ارتمتبهم
يؤمون نجدا ، والهوى حيث يمموا
تراءى لهـم قلبى اماما ، فغرهم
وأوهمهم نار الغضا ، فتوهمـوا
أروح ، ولى روح الى نحو رامـة

وآرامها شـوقا تحن وتـرأم
وقلب الى نحو الحجاز ، وأهله
يفـور به الود الصحيح ويتهـم
اذا مر ذكر « الخيف » لو لم يكن به
ولاءُ عـلىّ كاد بالنـار يضـرم

وكقصـيدته التى نظمهـا سـنة ١٠٦٤هـ يهنىء السيد على خان بعيد النحر ، والتى يقول فيها :

أموا بنـا أم القرى ، فلعلنـا
ندنوا الى ليـلى الفـداة ونقرب

وصفوا لسكان «الصفا» كدرى عسى
أن ينصفوا يوما فيصفو المشرب
وذروا القلوب الواجبات بربعه
تقضى الحقوق الواجبات ، وتندب
وقفوا على «الجمرات» نسأل من بها
عمن لها بصدورنا قد الهبوا
وانحوا يمين « منى » فثم من المنى

سر باحشاء المنون محجب ..
وكقصيدته التى يهنىء فيها بعيد النحر أيضا ، ويتشوق الى أهل « الخيف » من منى ، والتى يقول فيها :

ولى فى « الخيف » أحباب كرام
لدى ، وان هم لم يكرمونى
خضعت لحبهم ذلا ، فعزوا

ودنت لحكمهم فاستعبدونى
هم اجتمعوا على قتلى بجمع
ففيم على المنازل فرقونى ؟

وحين نقبل مع مسيرة التاريخ الى العصر الحديث ، نجد الشاعر الفحل « عبد الحليم المصرى » الذى كان ينافس أحمد شوقى على امارة الشعر ، يهنىء الخديوى عباس الثانى بحجته التى اعتذر الشاعر أحمد شوقى من الخروج معه فيها كما سلف القول ، فيعبر عن أشواقه الى « البيت » و « الركن » وبقية المناسك قائلا :

بدر الحجيج : لقد هيجت بى شغفا
الى أطباء الحمى ، والأنيق الرسم
«البيت» صوبك فادع الطائفين وطف
«والركن» صوبك فادع الله واستلم
منى سلام على «وادى الحجاز» وان
لم يرو من طمأى أو يشف من ألمى
يا ليتنى شمت « عباسا » بموكبه
كأنه حرم يسعى الى حرم ..!

وهو فى البيت الأخير يشير إشارة بارعة الى تمنيه أن يكون فى موكب الخديوى الى الحج بدلا من الشاعر المتخلف المعتذر عن الركب أحمد شوقى ..

ولم يحتج صديقنا الشاعر المعاصر محمد مصطفى الماحى الى أن يتشوق الى الكعبة وعرفات ، فقد أظفره الله بالبيت الحرام غير مرة . ففى سنة ١٣٧٧هـ طاف بالكعبة ، ونظم فى تلك المناسبة السعيدة قصيدتين : أولاهما « تضرع ودعاء » وثانيتهما : « فى البيت الحرام » وهما فى صفحتى ١٣٤ ، ١٣٥ من ديوانه الأخير الجامع . وفى سنة ١٣٩٣هـ أكرمه الله بالحج ، فلما عاد من رحلته المبرورة ، كانت تستقبله أبيات لنا نقول فى شوق فيها الى تلك البقاع :

أيها العائدون من كنف الله

ومن بيته العتيق القديم
كنف الله لا تزالون فيه

فهو كهف لنازح ومقيم
رحلة فى معارج الروح كانت
فى مقام للقانتين عظيم
حيث باب « الصفا » يضيق بالصفو ، وباب « السلام » بالتسليم
ليتنى كنت بينكم أتملى
فى رحاب الله الغفور الرحيم
تائبا عن مساوئى ، وذنوبى
عاريا من مشاغلى وهمومى
قبل الله حجكم .. وهداكم

باطراد الى السبيل القويم
وغدا نلتقى على عرفات
بين أرجاء زمزم ، والحطيم

وهكذا سجلت هذه المواقف الطيبة رصيدا غاليا من الشعر والنثر ، ما زلنا نجد فيه متاعا للأذن حين تسمعه ، وللقلب حين يعيه .

الحضارة الغربيّة في ساعتها الخامسة والعشرين

٢

للدكتور : عماد الدين جليل

إن سيطرة الآلية على الحضارة الغربية قوض قيما قديمة وأوجد قيما اخرى ، سحق مكتسبات قرون طويلة من القيم الخلقية والاجتماعية والنفسية والروحية ، وأحل محلها قيما منتزعة من روح الآلة الصماء وعلاقاتها الرتيبة وتجريدها الميت . وها نحن نجد هذا التقابل المحزن بين نوعين من القيم فى الحضارة المعاصرة الجماعية ضد الفردية ، التشابه ضد التنوع ، التعميم ضد التخصيص ، المادية ضد الروحية ، الرمزية ضد الشخصانية ، الارهاب ضد الحرية ، التجريد ضد الحياة ، التكرار ضد التطور الخلاق ، الموضوعية ضد الذاتية ، والظاهر ضد الباطن (إن ظهور العصر التكنى قد حطم كل ما ربحناه واقمناه خلال قرون من الحضارة . لقد أدخل المجتمع التكنى من جديد احتقار الكائن الانسانى .. لقد تحول الانسان اليوم الى مقياسه الاجتماعى فحسب — (ص ٢٢٢) .

ولنستعرض الآن مع جيوروجيو صورا حية من هذا الطغيان للقيم الآلية الجديدة على علاقات الانسان ووجدانه ، انه يشير الى هذه السلالة التى انبثقت عن زواج الانسان بالآلة زواجا غير شرعى ، وكيف أنها ورثت عن الآلية كيانها الأصم ووجودها الثقيل الرتيب .. هذه السلالة الجديدة هى (المواطنون) الذين ملأوا الشوارع والمكاتب والأزقة والمؤسسات ، وطغوا على سطح الأرض ، واصبح زمام الإنسان ومصيره بأيديهم (إن الانسان يستطيع السيطرة على كل الحيوانات المفترسة ، غير أن جيوانا جديدا ظهر على سطح الأرض فى الآونة الأخيرة وهذا الحيوان الجديد اسمه المواطنون . إنهم لا يعيشون فى الغابات ولا فى الأدغال ولكن فى المكاتب مع ذلك فانهم أشد قسوة ووحشية من الحيوانات المتوحشة فى الأدغال ، لقد ولدوا من اتحاد الرجل مع الآلات .. انهم نوع من أبناء السفاح !! وهم أقوى الأصول والأجناس الموجودة الآن على سطح الأرض ان وجههم يشبه وجه الرجال ، بل ان المرء غالبا ما يخلط بينهم ، ولكن لا يلبث المرء حتى يدرك بعد حين ، انهم لا يتصرفون كما يتصرف الرجال ، بل كما تتصرف الآلات . ان لهم مقاييس وأجهزة تشبه الساعات بدلا من القلوب . وادمغتهم نوع من الآلة ، فهم بين الآلة والانسان ، ليسوا من هذه ، ولا من ذاك ، ان لهم رغبات الوحوش الضارية مع أنهم ليسوا وحوشا ضارية ، بل انهم مواطنون .. انهم سلالة اكتسحت الأرض (ص ٣٨٦) . وفى مكان آخر يقدم لنا جيوروجيو وصفا للمواطن أكثر دقة وروعة (انه الكائن البشرى الذى لا يعيش الا فى الحدود الاجتماعية من الحياة كمكبس الآلة الذى لا يقوم الا بحركة واحدة يكررها مدى الحياة . لكن المواطن ، خلافا لما هو عليه المكبس يحاول تنصيب نشاطه على شكل رمز وتعميمه مثلا يحتذى به فى العالم أجمع ليقلده فيه العالم أجمع . ان المواطن هو أخطر وحش ظهر على سطح الأرض منذ أن تلاقى الانسان مع الرقيق التكنى فهو يملك قوة الانسان والوحش وبرودة الآلات ولا مبالاتها (ص ٩١) وهكذا فان المواطن ليس الا نتيجة محققة لتحويل الرجل الى (مقياس واحد من مجموع المقاييس التى كان يتمتع بها وهو المقياس الاجتماعى) ومن ثم فان كلمة مواطن (لم تعد مرادفة لمعنى : انسان) !!

وما أن أحكمت الآلية قبضتها على خناق الانسان واتخذ (المواطنون) مواقعهم فى الشوارع والمؤسسات وفى كل مكان .. حتما كان من المحتوم أن تنتصر الجماعية على الفردية بشكل لم يشهد له التاريخ مثيلا (ان المجتمع الغربى يعمم كل شيء (وبسبب الاستمرار على التعميم والبحث أو ايداع كل القيم فيما هو عام ، فان الانسانية الغربية فقدت كل شعور بالقيم الفردية وبالتالى بالكيان الفردى . ومن هنا نشأ خطر الجماعية سواء كان على الطريقة الروسية أو على الطريقة الأمريكية . وبسبب ذلك نستطيع أن نتأكد من أن هذا المجتمع سينهار .. ان مجتمع الحضارة الفنية أصبح متناقضا مع حياة الفرد لأنه يخنق الانسان .. اننا نموت جميعا مختنقين فى الجو الخانق الذى يخلقه هذا المجتمع حيث لا يمكن لغير الرقيق الآلى والآلات والمواطنين ان تتحرك فيه (ص ٤٥٢) .

والفردية والتنوع هما جزء أصيل من قدر الله وخطته المعجزة لتحريك الحياة وتلوينها وتطويرها الأبدى الخلاق ، لذا فان ما تشهده الحقبة الحاضرة من التاريخ يمثل انحرافا كبيرا عن نواميس الكون والبشرية (ان البشر بهذا الشكل يخطىء خطيئات خطيرة ويعتبر مذنبا حيال الله . إننا نعمل بكل قوانا ضد خيرنا الخاص وضد الله سبحانه على الأخص وذلك هو آخر منحدر بلغت اليه البشرية .

وفى يوم من الأيام سوف ينقرض هذا المجتمع كما انقرضت مجتمعات كثيرة خلال حقبات التاريخ ، وقبل أن يبدأ التاريخ (ص ٤٥٢) .

والجانب الديمقراطى .. من جغرافيــة أمريكا وأوروبا يتحمــل نفس المسئولية فى سحق الفردية وطغيــان الجماعة (ان الديمقراطية ـــ مثلا ـــ لون تنظيمى اجتماعى متفوق تفوقا واضحا على النظام الكلى ـــ توتاليتا ديزم السائد فى المجتمعات الأخرى ، لكنها لا تمثل إلا مقياس الحياة البشرية من الوجهــة الاجتماعيــة . فاذا بلغ المرء مبلغ الخلط بين الديمقراطية واتجاه الحياة نفسها فانه بذلك يقتل الانسان ويحيله الى مقياس واحد ، وتلك هى الخطيئة الكبرى ، الخطيئة التى ارتكبها النازيون والشيوعيون (ص ٤٥٣ ، ٤٥٤) .

إن اعتماد الغرب على الأساليب الرياضية والمنطقية والاحصائية فى توجيه الحياة وتطويرها لسوف لن يحقق إلا كمالا اجتماعيا ظاهريا ، ولكن هذا سيكون على حساب الحياة الداخلية ، الحياة فى مجاريها الحقيقية العميقة التى تصنع الحضارة وتوجه التاريخ وتسير بالبشرية الى الأمام . ان ردم هذه المنابع الباطنية سوف يقضى على سر التطور الذى وهبه الله للانسان ، ومن ثم فان هذا الكمال الاجتماعى السطحى سوف يمتد افقيا فحسب ، ويفقد ـــ بالتدريج ـــ قدرته على الامتداد العمودى ، صوب البعد الثالث فى الانسان ، وهذا يعنى أنه تطـــــــور مأسور بقيود الزمن ، وان المستقبل القريب سوف يشهد تحطما مريعا لمجتمع يركن الى القيم الجماعية الظاهرة فى تماسكه .. هذا هو ما يعنيه جيوروجيو فى قوله :

(إن الحيـــاة الانسانية ليس لها أى معنى اذا لم تؤخذ ولـــم تحى فـــى مجموعتها . ولكى يتعمق الانسان فى الاتجاه الأقصى من الحياة يجب أن يستعمل الأدوات نفسها التى نستعملها لفهم الفن والدين ، أدوات لكل ابداع .. ان العقل يشغل دورا ثانويا فى اكتشاف هذا الاتجاه الأقصى من الحياة . فالرياضيات والاحصاءات والمنطق ليس لها فى تفهم وتنظيم الحياة البشرية إلا ذلك المفعول الذى يحدثه الاصغاء الى الحق من ألحان بتهوفن أو موزار . لكن المجتمع الغربى الآلى يلح بعنـــاد فى الوصول الى فهم بتهوفن ورافائيل عن طريق الحســـابات الرياضية ، ويلح بعناد على فهم الحياة الانسانية وتحسينها بواسطة الاحصاءات وان هذه المحاولة منافية وأليمة معا . إن الإنسان يستطيع أن يبلغ ـــ على أبعد حد ـــ استنادا الى هذا الأسلوب الى ذروة الكمال الاجتماعى لكن ذلك لن يفيد فى شىء ، لأن حياة الانسان نفسها لن يكون لها وجود فى اللحظة التى تنقلب فيها الى الجماعيـــة والآلية ، والى قوانين تتعلق بالآلة . ان هـــذه القوانين لا يمكن مطلقا أن تعطى لونا لحياة البشرية ، واذا نزعنا من الحياة لونها ـــ وهو اللون الوحيد الذى تحتفظ به والذى يفوق حد المنطق ـــ فان الحيـــاة إذاً ستبلغ الفناء .. ان المجتمع المعاصر نبذ منذ زمن طويل هذه الحقائق ومضى بســـرعة مريعة نحو سبل أخرى (ص ٤٥٤ ، ٥٥) .

وكان من المحتـــوم أن ينتصر التجـــريد الميت على الحيـــاة .. وها هو (جيوروجيو) يتكلم على لسان أحد أبطاله وهو يواجه ممثلى الحضارة المعاصرة (إن البشر مخلوقون من ألم وإيمان ورغبات وجوع ويأس وخيال ، وأنت لا تعنى بأجسادهم ولا بدمائهم ، أى بعناصرهم الشخصية ، ولا بآمالهم أو يأسهم وهـــى العناصر الأكثر خصوصية وتعلقا بهم . إنك تهتـــم بالأوراق والأرقام .. ان المعلومات والأشياء المجردة الأخرى هى التى تستأثر باهتمامك وليس الرجال انفسهم . حتى أنا : إننى لا أظفر باهتمامك بصفتى إنسانا . اننى بالنســـبة

إليك لست إلا كسرا من وحدة مقسمة الى عشرين القسم، انك لم تعرف اي مخلوق على سطح الأرض .. إنك لم تعرف الا مخلوقات بشرية معدلة ومحولة الى مقياس واحد ، لكن هؤلاء ليسوا مخلوقات بشرية بمعنى الكلمة كما أن المكعبات التى يؤخذ ضلع واحد منها لا يمكن أن تكون مكعبا حقيقة (ص ٤٨٠ ، ٤٨١) .

وكان من المحتوم أن تموت العواطف وتذوى فى وجدان إنسان يعيش فى مجتمع التعميم والمادية والتجريد والرتابة والموضوعية .. ها هو جيوروجيو يتكلم هذه المرة على لسان امرأة ليحدد موقع الحب فى كيان حضارة لا وجدان لها ، ليقول — بمعنى آخر — إن الحب وكل العواطف الانسانية قد عفى عليها ! (ان اى رجل من حضارتك لا يستطيع إنماء عاطفة فى نفسه — ان الحب تلك العاطفة البليغة ، لا يمكن أن يكون إلا فى مجتمع يؤمن بأن الكائن البشري فريد لا يمكن استبداله — والمجتمع الذى تنتمى اليه يؤمن بشدة بأن كل رجل يمكن استبداله بسهولة . إنكم لا ترون فى الانسان ، وبالتالى فى المرأة التى تزعمون أنكم تحبونها ، مثالا وحيدا خلقه الله .. دفعة واحدة ومرة واحدة . إن الانسان فى نظركم خلق على دفعات ، والمرأة فى نظركم تشبه أى امرأة أخرى ، وبمثل هذا الاعتقاد يمكنكم أن تحبوا أبدا — ص ٥٥٢) .

والآلام يريدون أن يزنوها بالكيلوغرامات والأطنان ، ومن ثم نسمع هذه الصرخة المحزنة التى تدين حضارة القياسات (ان آلام البشر لا يمكن أن تقاس بالكيلو غرامات والأطنان !.. ان الحياة لا يمكن أن توزن ، ان ذلك الذى يحاول وزنها يرتكب خطيئة قاتلة — ص ٤٠٤) .

وكان من المحتوم أن تتلقى العدالة ضربة قاضية ، العدالة التى تنبثق عن إيمان عميق بالمسئولية الفردية وبأن كل امرىء رهين بما يكسب ، وان كل إنسان يعمل على شاكلته .. وهل يبقى — بعد الذى رأينا — مجال للعدل ونحن نسمع أحد ممثلى الحضارة المعاصرة يقول بثقة لا حد لها : (ان التعليمات المتعلقة بالتوقيف أو اطلاق السراح ، لا ينظر فى شأنها الا على أساس جماعى ، ان عملنا يقوم على أساس جماعى ، ان عملنا يقوم على أساس توزيع كل شخص الى الفئة التى ينتمى اليها . انه عمل حسابى دقيق .

سؤال : أولا تجدون أن إلغاء الإنسان ومعاملته كجزء من فئة عمل غير إنســـــانى ؟

جواب : كلا ....!! ان هذا الأسلوب عملي وسريع بل إنه علاوة عن ذلك عادل ، ان العدالة لا يمكن أن تريح الا من هذا الأسلوب . ان العدالة تسير وفق مناهج العلوم الرياضية والفيزيائية اى بحسب الأساليب الأكثر دقة . ان الشعراء وحدهم وعلماء اللاهوت يستنكرون هــذه الوسائل والأساليب . لكن المجتمـع المتمدن قد نقح المبادىء اللاهوتية والشعر . اننا الآن نجتاز حقبة علميـة رياضية سليمة ، ولا يمكن لنا العودة الى الوراء لأسباب عاطفية . ان العواطف ليست على كل حال إلا من ابتكار الشعراء وعلماء المعقولات .

وكان من المحتوم أن يفقد الانسان حريته ، ويستعبد ، ومن ثم يفقد القدرة — كذلك — على تحرير الآخرين (ان أى رجل — بعد الآن — لن يستطيع تحرير رجل آخر أو تحرير نفسه . لقد أصبح البشر الآن اقلية موثوقة الأيدى مغلولة العنق ، وأصبح الانسان عاجزا عن مد يد العون الى أترابه ، انه مربوط الى سلاسل آلية .. إنها سلاسل البيروقراطية الآلية التى تزين معاصمنا وأقدامنا . إن كل ما تستطيع الحضارة الغربية الحاضرة تقديمه الى الانسان : الأصـفاد (ص ٥٠٢) .

(للبحث بقيـــة)

مفهوم التاريخ عند علماء المسلمين

للأستاذ : عبد اللطيف
محمد صالح العوفي

مقدمة :

علم التاريخ ونظرياته وتفسيره ومفهومه يلقى اهتماما خاصا من المؤرخين العرب وغيرهم قديما وحديثا ، ويرجع ذلك لأهميته في البحث التاريخي وكمادة مدرسية وكعلم له دور هام فى حياة كل مجتمع لأنه يعطى انطباعا شاملا عن العالم بشكل عام كما أنه يؤدى الى صبغ النظام التربوى لكل مجتمع بشكل معين .

والنقاش لم يعد مقتصرا على كون التاريخ علما أو أدبا أو فنا بل ان له دورا عظيما فى تربية النشء واعدادهم للحياة والمواطنة السليمة فى المجتمع الذى يعيشون فيه ومن هنا ظهرت أهمية التاريخ كعلم من العلوم وكموضوع حيوى له منزلته الخاصة بين علوم المعرفة المختلفة حتى أطلق على العصر الحديث اسم (عصر التاريخ) وادى بالتالى الى تغيير النظرة حول طبيعة التاريخ ومفهومه بل ينظر اليه كعلم احتماعى .

واختلاف المؤرخين المسلمين وغيرهم من الأجانب حول مفهوم التاريخ وتفسيره وفائدته للمجتمع اختلاف راجع الى العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى اثرت فى طبيعة التاريخ وتحديد أغراضه من عصر لآخر ، وكذلك الاختلاف

راجع الى الطريقة التى تتم بواسطتها عملية انتقـــاء المادة التاريخيـــة ومعـــالجتها ، فمثلا بعض المؤرخين يرى التاريخ فنا من الفنون ، والبعض يعتبره ضمن العلوم الموضـــوعية ، وآخرون يرونه من العلوم الاجتماعية، ومنهم من يعرض التاريخ على شكل الأساطير الموشاة بالحقيقة، والبعض يقصره على المعجزات والأســاطير والقصص الدينية . وعلماء التاريخ المسلمون يرون الاشتغال به لخدمة الغرض الدينى ، ومطية لفهم الفقـــه والشريعة ، فهو من هذه النـــاحية (اداة) لخدمة الدين ووسيلة اليه .

وهكذا نرى اختلاف المؤرخين حول طبيعة التاريخ ومفهومه قديما وحديثا، ولسنا فى سبيل استعراض تلك الآراء والاتجاهات والنظريات ، أو تعدد انواع التعريفـــات ، فذلك أمر يطول بنا ، ويتطلب تتبع التاريخ فى تطوراته المختلفة ، ولكن سوف نقصر البحث هنا على مفهوم التـــاريخ ، وطبيعته ، عند علماء المسلمين .

ما المقصود بكلمة (التاريخ) .. ؟

يدل لفظ التاريخ على معان مختلفة فبعض الكتاب يعتبر التـــاريخ : يشتمل على المعلومات التى يمـــكن معرفتها عن نشأة الكون بما يحويه من أجرام وكواكب . وما جرى على سطحها من حوادث الماضى .. أى كل ما يتعلق بالانسان منذ بدأ يترك آثاره على الصخر والأرض ، ولقد لعبت التطورات فى علم الكلمات دورا هاما فى تكوين الفـــكرة الحديثة للتاريخ ، وقد حدث هذا فى التاريخ الاسلامى .

لقد كان التعبيران اللذان استعملا للتعبير عن فكرة التاريخ بالعربيـــة هما علم (الأخبار) و (تاريخ) الا أن كلمة الاخبار هى الأكثر شـــيوعا واستعمالا من كلمة التاريخ ، فكلمة اخبار تطابق التـــاريخ من حيث أنه قصة أو حكاية لا تتضمن اى تحديد فى الزمن .

وفى اللغـــة العربية التـــاريخ والتأريخ والتـــوريخ يعنى الإعـــلام بالوقت ، وقد يدل تاريخ الشىء على غايته ووقته الذى ينتهى اليه زمنه ، ويلتحق به ما يتعلق من الحـــوادث والوقائع الجليلة ، وهو فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين والتوقيت وموضوعه : الانســـان ، والزمان ، ومسائله : احواله المفصلة للجزئيـــــات تحت دائرة الأحوال العارضة للانسان وفى الزمان .

صلة التاريخ بالدين :

يرجع اهتمام العرب بالتاريخ الى ما قبل الاسلام حيث كانوا يعتقدون بأهمية الدم فى تقرير خلق الانســـان ويؤمنون بأن أعمال الآباء والأجداد تسبغ على الأبناء مكانة فى المجتمع ، وهذا دفعهم الى الاهتمام بالنسب ، وحفظ شجراته ، وتدارسها .

ثم جاء الرسول عليه الصـــلاة والسلام يدعو الناس الى الاسلام ، وأنزل الله تعالى القرآن الكريم وفيه اخبار الأمم الماضـــية كقوم نوح ، وهود ، ومدين ، وثمود ، وهارون ، وفرعون ، وقارون ، وأصـــحاب الكهف ، تلك القصص القرآنية تدعو الناس الى التفكير بها وأخذ العبرة والعظة منها .

ولما كان التـــاريخ من أهم فروع المعرفة الانسانية ، بل هو المعرفة أو العلم الذى يظهر الانسانية على حقيقتها . فلقد اهتم اغلب المؤرخين والمشتغلين بالتاريخ الاسلامى بالتدليل على أهمية التاريخ وفائدته للبشرية .

لذلك قلما نجد مرجعسا من المراجع الاسلامية فى التاريخ أو مصدرا من مصادرها خاليا من الاشسارة الى اهمية هذا العلم والاشتغال به .

واستظهر بعض العلمساء ضرورة الاشستغال بالتاريخ لاسستكمال أمر الدين واصلاح المعاملات والمعساش الدنيوى حتى تتحقق الحسكمة من الوجود الانسسانى فى الحياة على أكمسل الوجوه ، وقد ذهب بعض العلماء الى أهمية التاريخ وعظمته فى النفوس لأن القرآن الكريم ذكر التاريخ ، وفى ذكره دلالة وبرهان على ما له من أهميسة فى نفوس البشر ، فالتاريخ ملىء بقصص الأبرار والشسهداء ، وبحوادث العسرب ووقائعهم ، وأخبار الأنبياء والرسل ، والقادة والملوك ، وفى القرآن قصص عن الأمم الماضية ، وأخبار الأولين من الملوك والدول ، ومن هنا نشأت العلاقة بين التاريخ وهو أحد المواد الانسسانية والأدبية وبين القرآن الكريم ، فالقرآن والتاريخ يرميان الى عناية دينية وخلقية ، فهما يتناولان الظلم والفساد الذى يودى بالنساس وبالأمم والملوك الى الهلاك والدمار ، ويشترك القرآن مع التاريخ لا فى تحذير وتخويف النساس من الدمار والهلاك فحسب ، بل يشستركان معه فى وظيفة ايجابية وهى مد الدارس بالأخلاق الفاضسلة كالشسجاعة والتضحية والصسبر ، الأمر الذى يجعل لدراسة التاريخ وتعلمه أهمية خاصة فى تربيسة النشء فهو ليس تسلية وترويحا للخاطر بقدر ما هو نافع ومفيد حتى اشسترط المؤرخون أن يكون الحاكم والسلطان والوزير والعامل ملما بمادة التاريخ ، عارفا به ، مستفيدا منه .

عوامل اهتمام المسلمين بالتاريخ :

ان التاريخ من أهم ميادين المعرفة عند العرب ، ومن أوائل العلوم التى اهتموا بها فتدارسسوه ، ورووا أخباره واهتموا بتوقيتها ، وظل هذا الاهتمام والتدارس مسستمرا طوال العصسور والأزمنة . وقد أدى هذا الاهتمام الى انتاج فكرى هائل فى علم التاريخ فألفت فى مختلف الأزمنة والأقاليم كتب فى التساريخ تناولت جوانب متعددة من النشاط الانسانى ، ويرجع اهتمام العرب الى دراسسة علم التاريخ والاشتغال به الى عدة عوامل منهسا اهتمسامهم بغزوات الرسول عليه السسلام ، فاهتموا بتدوينها وتسجيلها تسسجيلا كاملا دقيقسا فى مراجعهسم وكتبهسم ومصادرهم .

ومنها كذلك تقاليدهم القديمة التى تهتم بالنسب والمفاخرات ، ومنهسا دعوة القرآن الكريم الى الاهتمسام بأحوال الأمم السالفة لا سيما وقد حوى القرآن قصص الأولين لتكون عظة وعبرة لأولئك المؤمنين ، ومنها أن العرب بطبيعتهم محافظون يهتمون بالسسنن والتقاليد . ويعملون على مراعاتها ، بالاضافة ما للتاريخ من متعة عند السماع . وعبرة عنسد التفكير .

بعض التفسيرات عن مفهوم التاريخ :

المؤرخون العسرب مثل الطسبرى والبلاذرى وابن الجوزى قدموا بعض التفسيرات عن مفهوم التساريخ وطبيعته ، البلاذرى فسر التساريخ العربى الاسلامى على أنه تعبير عن دور العسرب الأشراف الذين حملوا رسالة الاسلام ونشروا اللغة العربية فى العالم ، والبعض فسر التاريخ

تفسيرا اخلاقيا ورأى فيه الأخلاق الفاضلة وعونا للاهتداء نحو حياة افضل . أما ابن الجوزى فقد فسر التاريخ على انه تعبير عن دور العلماء والأدباء والزهاد والأشراف . اما الطبرى عميد مؤرخى الاسلام فيرى ان التاريخ البشرى بما فيه تاريخ العرب تعبير عن المشيئة الإلهية المتمثلة فى الرسالات ، وأصبح بعد ظهور الاسلام تاريخ أمة هى الأمة الاسلامية .

هذه بعض التفسيرات لبعض مؤرخى العرب الذين كتبوا عن التاريخ ، وهنا نختار اشهر المؤرخين العرب الذين كتبوا عن أهمية التاريخ ومفهومه وطبيعته وعرضه بشىء من التفصيل ومنهم الطبرى ، وابن الاثير ، وابن خلدون . والسخاوى ، وابن الجوزى ، وعماد الأصفهانى ، والكافيجى .

الطبرى :

شيخ مؤرخى الاسلام ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى يشير الى اهمية التاريخ فى كتابه (تاريخ الرسل والملوك) بقوله « فهو كلام فى مسائل مادية حدثت واخبار ماضية وقعت ، وهى وان كانت يجرى عليها الصدق والكذب الا انها تستخرج بالرواية والأخبار ، ولا تستنبط بحجج العقول والأفكار » .

المؤرخ عز الدين بن الأثير (صاحب كتاب الكامل فى التاريخ) :

يقول عن فائدة التاريخ وتعلمه :

« ان الانسان لا يخفى انه يحب البقاء ويؤثر أن يكون فى زمرة الأحياء فيا ليت شعرى أى فرق بين ما رآه أمس او سمعه وبين ما قراه فى الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين . فاذا طالعه فكأنه عاصرهم ، واذا علمها فكأنه حاضرهم . ومنها أن الملوك ومن اليهم الأمر والنهى اذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان وراوها مدونة فى الكتب يتناقلها الناس فيروونها خلف عن سلف ونظروا الى ما قد أعقبت من سوء الذكر وقبيح الأحدوثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الأموال وفساد الأحوال استقبحوها وأعرضوا عنها » .. الخ .

ابن خلدون :

يشير الى فائدة التاريخ فى مقدمته بقوله « أعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب . جم الفوائد . شريف الغاية اذ هو يوقفنا على احوال الماضين من الأمم فى أخلاقهم ، والأنبياء فى سيرهم ، والملوك فى دولهم ، وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدين والدنيا » .. الخ .

ابن الجوزى فى مقدمة كتابه (المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم) يقول :

للسير والتواريخ فوائد كثيرة اهمها فائدتان :

احداهما : انه ان ذكرت سيرة حازم ، ووصفت عاقبة حاله افادت حسن التدبير ، واستعمال الحزم ، او سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط فيتأدب المتسلط ، ويعتبر المتذكر ، ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول ، ويكون روضة للمتنزه فى المنقول .

والثانية : أن يطـــــلع بذلك على عجائب الأمور ، وتقلبـــات الزمن ، وتصاريف القدر ، وسماع الأخبار .

عماد الاصفهانى :

يشير الى فائدة التاريخ فى كتابه المشـــــهور (الفيح القسى فى الفتح القدسى) : « ولولا التاريخ لضاعت مساعى أهل اسياسات الفاضلة ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هـــــى الفاصلة وتعذر الاعتبار بمسالمة الأيام وعقوبتها وجهل ما وراء صعوبة الأيام من سهولتها وما وراء سهولتها مـــن صعوبتها » .

السخاوى : فى كتابه (الاعـــلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ) يعرف التاريخ بقوله « ان التاريخ فن يبحث فيه عن وقائع الزمان وحيثية التعيين والتوقيت بل عما كان فى العالم ، وأما موضوعه فالانســـــان والزمان ومسائله : أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الاحوال العارضــــــة الموجودة للانسان وفى الزمان » .

ويقول : ان التاريخ جم الفوائدكثير النفع لذوى الهمم العالية والقرائح الصافية ، لما جبل عليه طباعهم من الارتياع عند سماعهم هذه الاخبار الى التشبه والاقتداء بأربابها ليصير لهم نصيب من حسن الثناء ، وطيب الذكر الذى حرص عليه خلاصةالبشر واخبر الله تعالى عن امام الحنفاء .

الكافيجى : يعرف التاريخ فى كتابه (**المختصر فى علم التاريخ**) :

« وأما علم التاريخ فهو علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعـــين ذلك وتوقيته »(١) .

مؤرخين وفقهاء :

علم التاريخ والاشـــتغال به ليس قاصرا على مجموعة من المؤرخين أو الاخباريين فقط ولكن ظهر عدد مـــن الفقهاء وعلماء التشريع اهتموا بعلم التاريخ وجعلوه ضـــرورة للعلـــــوم الدينية واضافة لها ومن هؤلاء ابن ابى الدم الفقيه الشـــافعى ، حيث يقول عن اهمية التاريخ :

« انما الفائدة فى التاريخ الاسلامى مع قربه من الصحة ذكره لعلمـــاء هذه الأمة المحمدية وذكر محاســـنهم وعلومهم ومواعظهم وحكمهم وسيرهم التى يستدل العامل بها فى أمـــوره ويتدبرها ويتفكر بها فينتفع بما قالوه وعانوه وما ينقل عنهم من المحاسن دينا وأخرى » .

ومن الذين جمعوا بين الفقــــــه والتاريخ ، الامام الطبرى فقد جمع بين التفسير والتاريخ ومنهم كذلك ابن كثير الدمشقى فى كتابه (البداية والنهاية) جمع بين التفسير والتاريخ ويعتبر مرجعـــــا هاما من المراجع الاسلامية فى التاريخ .

---

(١) اسمه محيى الدين محمد بن ســـليمان الكافيجى : يعتبر كتابه (المختصر فى علم التاريخ) أقدم رسالة اســـلامية معروفة عن نظرية علم التاريخ وقد أجاب باختصار عن المسائل المتعلقة بخصائص التاريخ وغرضه وهدفه وفوائده وعن مركـــز التاريخ فى العلوم الدينية الاسلامية .

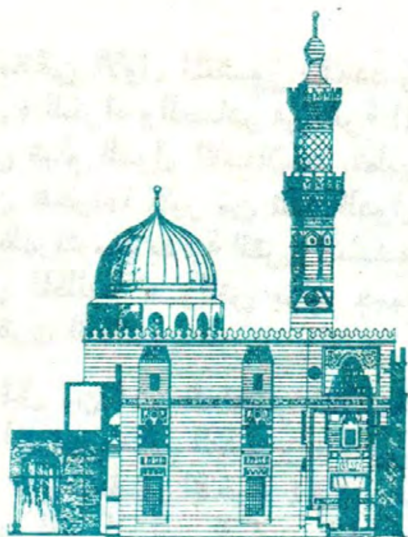
وكذلك الحافظ الذهبى ، فقد كان فقيها وحافظا ومؤرخا وكتبه (تاريخ الاسلام) و (دول الاسلام) ، والحافظ المؤرخ شمس الدين السخاوى وله كتاب فى التاريخ (الضوء اللامع فى أخبار القرن التاسع) وكتاب (الإعداد بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ فقد جمع بين الفقه وحفظ الحديث والاشتغال بالتاريخ .

الخلاصة :

وهكذا ترى من تلك الأقوال والتعريفات عن مفهوم التاريخ وتفسيره للمؤرخين العرب مدى مبلغ اهتمامهم بدراسة التاريخ وتعلمه وحثهم عليه وضرورة الاشتغال به لايمانهم بقيمته وفضله لجميع البشر .

ولو استعرضت أقوال مؤرخى الاسلام عن فوائد التاريخ لوجدت أن العبرة والموعظة والقدوة الحسنة هى العامل المشترك وما من أحد من المربيين المسلمين حاول أن يغفل الهدف الدينى والاخلاقى من تعلم التاريخ بيد أن لكل واحد منهم تفسيرا خاصا فى تحديد الوظيفة والغرض

من تعلم التاريخ اذ لم يكن الهدف من تعلم التاريخ ودراسته مجرد اعداد ملوك أو تجار أو قادة حرب أو ساسة دون بقدر ما كان يرمى الى توجيه أبناء المسلمين الوجهة الصحيحة حتى ينشأوا على مبادىء الاسلام فدراسة التاريخ لأبناء المسلمين تكون محركا ومنشطا لعقولهم وباعثا لهم على أفعال الخير والاقتداء بالسلف الصالح .



نحو اقتصاد إسلامي

- ٣ -

للدكتور ابراهيم فؤاد احمد على

دعوت فى مقالى الأول المنشور بالعدد رقم (١٠٩) من مجلة (الوعى الاسلامى) الغراء والصادر فى غرة المحرم ١٣٩٤ هـ الموافق يناير ١٩٧٤ م الى قيام الدول الاسلامية بتطبيق تعاليم الاسلام الاقتصادية بعد أن هجرتها كثير من تلك الدول ، واشرت الى مزايا هذه التعاليم التى ظهرت منذ بداية القرن السابع الميلادى اى فى أوائل العصور الوسطى المظلمة ، والتى بزت جميع التعاليم الاقتصادية التى ظهرت فى القرن العشرين .

وحيث إن المال من اهم العناصر اللازمة لتطبيق اى نظام اقتصادى ، فقد بدأت فى مقالى الثانى والمنشور بالعدد رقم (١١٤) من المجلة ، والصادر فى جمادى الآخرة ١٣٩٤ هـ الموافق يونيو ١٩٧٤ الكلام عن مورد من أهم الموارد الرئيسية لبيت المال الاسلامى وهو (الزكاة) ، وبينت اهم خصائصها وأنها حق يجب على الدولة القيام بجبايتها ، وإنفاق حصيلتها ، وان هذا الحق من أهم الحقوق المحلية التى يقوم كل إقليم فى الدولة بجبايته من المكلفين به ، وانفاقه فى نطاق الإقليم .

وفى هذا المقال سوف اتعرض الى انواع الأموال التى تجب فيها الزكاة .

انواع الأموال التى تجب فيها الزكاة :

وجبت الزكاة فى أربعة انـــواع من الأموال بينتها السنـــــة الشريعة ، وقام الصحابة بجبايتها ، وهذه الأنواع هى :

١ ـــ النقود كالذهب والفضة ، والحلى من الذهب والفضة .
٢ ـــ عروض التجارة ، وهى الأموال التى يتجر فيها .
٣ ـــ الزروع والثمار .
٤ ـــ النعم ، وهى الإبل والبقر والغنم .

وقد قام النبى صلى الله عليه وسلم ببيان احكامها وكيفيـــــة جبايتها ونصابها والمقادير الواجبة فيها ، وكان يبعث ولاته لجمعها من الدول التى دانت بالاسلام فى عهده ، وهناك أنواع من الأموال المستحدثة ذهب بعض الفقهاء الى وجوب الزكاة فيها .

وقبل البدء فى تناولها أرى لزاما أن اتعرض للشروط الواجب توافرها فى الأموال الخاضعة للزكاة .

الشروط الواجب توافرها فى الأموال المزكاة :

قبل التعرض لأنواع تلك الأموال نذكـــر الشـــروط الواجب توافرها فى الأموال الواجب فيها الزكاة وهى :

١ ـــ أن تكون تلك الأموال بحيث تخرج الرجل من الفقر الى الغنى ، فيكون عليه واجب الأغنياء للفقراء ، ويتعلق بماله حق معلوم للسائل والمحروم ، ولذلك وجب أن يكون معه النصاب الذى تجب فيه الزكـــــاة .

٢ ـــ يجب الا تكون ملكية الفرد للأموال ملكية عارضة تزول ، بل يستمر مالكا لها حتى يتحقق فيه وصـــف الغنى لا بمجرد ان يملك مقدارا من المال ولو كان كبيرا ، ثم يزول بعد أمد قصير .

٢ ـــ يجب الا تكون ملكية الفرد للأموال ملكية عارضةتزول،بل بحيث يمكن أن يتخذها سبيلا لتنمية ثروته ، ولا يعد ممـــن يكتنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونهافى سبيل الله تعالى ، فان كنز الذهب والفضة ليس معناه كما يفهم بعض الناس أن يملك الشخص شيئـــا منها يدخره ، بل المراد أن يخفيه ويجعله كنزا مخفيا لا يعلم به احد ، ولا يخرجه للتنمية والاسهام بماله فى بناء اقتصاد المجتمع الذى يعيش فيه (١) .

٤ ـــ ولأجل اشتراط ان تكون الأموال نامية بالفعل أو بالقوة ،

لم تجب الزكاة فى الأموال التى تعد من الحاجة الأصلية كالمال الذى يدخره لقوت نفسه وعياله ، وكالسكن الذى يسكنه ، وكالفراش الذى ينام عليه ، وكأدوات الصناعة التى يعمل بها لقوته ، وكأدوات النجارة لنجار يستخدمها بيده ، وكأدوات الحدادة التى يستخدمها الحداد وليست هى رأسماله ، بل رأسماله مهارته ، وهكذا ..

وكذلك يشترط فى أموال الزكاة عـدم وجـود دين يستغرق النصاب أو ينقصه فمن كان عنده مال وجبت زكاته وهو مدين فليخرج منه ما يفى بدينه ، ثم يزكى الباقى إن بلغ نصابا ، لأن المدين محتاج والصدقة إنما تجب على الأغنياء عملا بالحديث الشريف (لا صدقة إلا عن ظهر غنى) .

٥ ـ حولان الحول على تملك النصاب النامـى ـ فيشتـرط حولان الحول الهجرى (اى مضى عام هجرى) على تملك النصاب فى النقود أو الأثمان والمواشى وعروض التجارة ، فلا زكاة فيما ذكر الا بعد مضى حول تام ، والعبرة فى ذلك أن مثل تلك الأموال مرصدة للنماء ، فاشترط مضى سنة عليها ، لكون تلك الفترة مقبولة لتنمية المال واستثماره ، ليمكن للشخص إخراج الزكاة من الربح ، فإنه أسهل وايسر عليه ، ولا يشترط ان ينمو المال فعلا ، بل يكفى أن يكـون فى حكم النامى حتى يكون ذلك حاثا لصاحبه على استثماره، أما الزروع والثمار فهى نماء فى نفسها ، وهذه تجب فيها الزكاة دون اشتراط الحول ، بل تجب فيها بمجرد حصادها أو قطفها .

٦ ـ كمال النصاب فى طرفى الحول ـ من شروط افتراض الزكاة، كمال النصاب فى طرفى الحول ، ولا يضر نقصانه فى أثناء الحول طالما بقى من هذا النصاب شىء ، أما لو عدم بالمرة أو نقص فى آخر الحول فلا تجب الزكاة ، وفى هذا تيسير فى احتسابها ودفعا للمشقة .

وسأستعرض باختصار انواع الأموال المذكورة ، حتى يمكن التعرف عليها وادراك مدى أهميتها عندما تقرر الدولة فرض الزكاة فيها وجعلها موردا من موارد الهيئات المحلية .

اولا : زكاة الذهب :

تجب الزكاة فى الذهب اذا بلغ نصابا وهو عشرون مثقالا أو دينارا وحال عليه الحول ، وكان فائضا عن الحاجات الأصلية والدين .. والدينار يزن ٣/٧ ١ درهم ، والدرهم يزن ١٢ر٣ جرامات فكان الدينار يزن ٢ر٨٩ جم (عيار ٨٧٥ر) واذا كان ثمن الجرام من الذهب عيار ٢١ هو حوالى الجنيهين فى مصر ، فإن النصاب يساوى حوالى

مائة وثمانين جنيها تقريبا ، وعلى العموم فإن يوم اداء الزكاة يقدر الفرد ثمن النصاب على أساس السعر السائد للذهب فى ذلك اليوم ، وهو يختلف من زمان الى زمان ومن مكان الى مكان ، وقدر الزكاة ٥ر٢ ٪ فمن بلغ عنده النصاب بهذه الشروط او اكثر من النصاب فإنه يزكيه دون إعفاء فى القاعدة ، كما هو الحال بالنسبة للضرائب الحديثة .

ثانيا : زكاة الفضة :

تجب الزكاة بنفس الشروط الواجبة فى زكاة الذهب ، ولكن النصاب يختلف فهو مائتا درهم ، والدرهم يزن ١٢ر٣ جم ، فالنصاب يزن ٦٢٤ جم من الفضة عيار ٩٠. ، واذا قلنا ان ثمن الجرام فى مصر يساوى حوالى ٦٠. مليما ، فالنصاب يساوى حوالى سبعة وثلاثين جنيها تقريبا وقيمة الزكاة ٥ر٢ ٪ ايضا .

ثالثا : زكاة الحلى من الذهب والفضة :

اختلفت الآراء بالنسبة لوجوب الزكاة فى حلى الذهب والفضة، فبعض الأئمة يرى فيها الزكاة لأنها تعتبر من النقدين : الذهب والفضة وهما تجب فيهما الزكاة ، وذهب البعض الآخر الى عدم وجوبها لأنها لا تتخذ للنماء ، بل تتخذ للاستعمال ، وسبب الزكاة هو المال النامى ، ولا نماء فى الحلى بالفعل ولا بالقوة ، واميل الى الأخذ بهذا الرأى الأخير ، لأن السيدة عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم كانت تتولى تربية بنات أخيها فى حجرها ، ولهن الحلى ولا تخرج عنها الزكاة .

ولكن ان اتخذت الحلى كنوع من الادخار كما يفعل بعض النساء من عامة الشعب فى بلادنا ، او اتخذت بقصد الفرار من الزكاة ، ففى هاتين الحالتين يجب فيها الزكاة، وان استخدمت للتزين بشكل يخرج عن الحدود المعتدلة للتزين بحسب الحالة الاجتماعية ، فان الزكاة تجب فى القدر الزائد عن حدود التزين .

رابعا : زكاة اوراق البنكنوت :

كانت العملة فى الماضى تتخذ من الذهب والفضة ، فلما كثرت المبادلات اصبحت الكميات الموجودة من هذين المعدنين لا تفى بحاجة الناس للتعامل ، فكان من الضرورى الالتجاء الى استخدام اوراق البنكنوت لتخفيف الضغط على العملة المعدنية الذهبية ، وكانت تلك

الأوراق قابلة لدفع قيمتها عينا بمجرد تقديمها للبنك الأهلى المصرى قبل تاريخ ١٩١٤/٨/٢ الذى جعل فيه سعرها إلزاميا ، وأصبح الأفراد ملزمين بقبولها فى التعامل بدون أن يكون لهم الحق فى استبدالها بنقود معدنية ، وأصبحنا فى مصر نسير على نظام النقود الورقية الالزامية منذ ذلك التاريخ .

وقد صدرت فتوى للشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية سابقا بوجوب الزكاة فى أوراق البنكنوت باعتبارها تمثل ديونا على البنك الأهلى المصرى ، وذلك تخريجا على مذهب الإمام الشافعى من أن الدين فى بعض أحواله يزكى كل عام ، ودين البنكنوت دين حال والمدين (وهو البنك) موسر غير جاحد للدين ولا مماطل فى سداده ، فتجب الزكاة فى البنكنوت اذا حال عليه الحول وان لم يستبدل بالنقود ، ذلك هو مضمون فتوى فضيلة المفتى ، ولكن هل التخريج الذى استندت اليه الفتوى سليم من الناحية الاقتصادية ؟ وهل أوراق البنكنوت تمثل ديونا على البنك يمكن قبضها ؟ الجواب بالنفى للأسباب الآتية :

١ ـ لأن أوراق البنكنوت لا يمكن استبدالها .

٢ ـ والدين غير حال لأنه لا يمكن المطالبة بقيمة تلك الأوراق من الذهب .

٣ ـ ولأن سعرها أصبح إلزاميا ، ولا يمكن لحاملها استبدالها .

٤ ـ وأصبحت أوراق البنكنوت بقوة القانون أوراق عملة رسمية يتحتم على الأفراد قبولها فى المعاملات مع مابين قيمتها السلعية وقيمتها القانونية من فارق كبير .

والمعروف فى كتب الفقه أن الزكاة تجب فى العملة إذا كانت كواغد (أى جلودا) أو فلوسا (بمعنى فكة) مثل النيكل والبرونزونلك اذا بلغت قيمتها نصاب الذهب ، وعند تقدير قيمة البنكنوت نرجع الى سعر الذهب وتقدر قيمة النصاب منه بأوراق البنكنوت ، وتخرج الزكاة فيها بنسبة ٢ر٥ ٪ من قيمتها وهى أصبحت بديلة الذهب الآن .

خامسا : زكاة عروض التجارة :

العروض جمع عرض (بسكون الراء) وهو لغة اسم لما سوى النقدين ، ومال التجارة هو كل ما قصد به الاتجار عند شرائه ، وتجب فيها الزكاة لحديث سمرة بن جندب قال (أما بعد فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذى نعده للبيع) .

وتجب فيها الزكاة بالشروط الآتية :

١ ـ أن تبلغ قيمتها نصابا (أى نصاب الذهب) .

٢ — أن يحول عليها الحول .
٣ — أن ينوى به التجارة ، وأن يكون مصحوبا بعمل التجارة .
٤ — أن تكون العروض قد ملكت بمعاوضة .

واذا قارنا تلك الشروط بما ورد فى قانون التجارة المصرى (المادة الثانية فقرة أولى بأنه يعتبر تجاريا كل شراء غلال او اى نوع من أنواع المأكولات أو البضائع لاجل بيعها او بعد تهيئتها بهيئة أخرى، أو لأجل تأجيرها للاستعمال) وهذه المادة تشير الى أن القانون يستلزم شروطا ثلاثة لكى يعتبر العمل تجاريا ، اى يجب أن تتوافر أركان معينة فى الشراء بقصد البيع او التأجير لكى يعتبر العمل تجاريا ، وهذه الشروط هى :

١ — أن يكون هناك شراء .
٢ — أن يكون المشترى غلالا او غيرها من أنواع المأكولات او البضائع .
٣ — أن يكون الشراء بقصد البيع أو التأجير .(١)

وبمقارنة تلك الشروط بما ورد فى الفقه المالى الاسلامى ، نجد تشابها كبيرا بينها ، وتتضح منها عصرية الفقة الاسلامى مع الفارق الزمنى الكبير بين وقت التشريع الاسلامى والتشريع الحديث . وكنت أود التوسع فى دراستها ولكن المجال لا يتسع لذلك الآن .

ووعاء زكاة عروض التجارة هو الأصول المتداولة فقط ، فلا يدخل فى الوعاء الأصول الثابتة كالأدوات والاوانى والارفف الفاترينات والأثاث والموازين .. الخ . وتضاف قيمة الاصول المتداولة الى ما عند التاجر من نقود وما له من ديون قوية على الغير، ويخصم من ذلك الخصوم المتداولة وهى المطلوبات من التاجر للغير (أى ما عليه من ديون للغير) ، ووعاء الزكاة فى هذه الحالة هو ما يعبر عنه فى المحاسبة الحديثة بصافى رأس المال العامل .

وتقيم عروض التجارة باحدى الطرق الآتية :

١ — على أساس ثمن البيع يوم وجوب الزكاة .
٢ — أو تقوم العروض بسعر الشراء ، وهذا لا يمثل القيمة الحقيقية للعروض يوم إخراج الزكاة فقد يكون أزيد او أقل من السعر الحالى .
٣ — احتساب سعر البيع الفعلى ، وهذا الأساس دقيق ، ولكن يصعب اتباعه عمليا .

وأرى أنه من الأوفق تقييم عروض التجارة على أساس ثمن البيع يوم وجوب الزكاة ، لأن هذا هو الأقرب للصحة ، وتخرج الزكاة بنسبة ٢٫٥٪ من صافى رأس المال العامل.

وسأتناول فى المقال التالى باذن الله باقى أنواع الأموال التى تجب فيها الزكاة .

---

(١) بحث فى الزكاة ص ١٥٠ قدمه فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة للمؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية ١٩٦٥ .

حياة الإمام الشيرازي

للدكتور : محمد حسن هيتو

إن عظماء الأمة الإسلامية كثر ، لا تحيط بهم العشـــرات ولا المئات ، وقد سخر الله لكثير منهم من عرف بهم ، وأبان للناس قدرهم ، ولا زال كثير منهم فى طيات كتب التاريخ ، لم يعرف الناس شيئا عنهم ، رغم أنهم هم النجم إن بزغت فى سماء الحقيقة النجـــوم .

ومن مشاهير أولئك العظماء الإمام أبو اسحق الشيرازى ، صاحب الذكر الشـــائع ، والصـــيت المنتشـــر ، والمصـــنفات المشـــهورة ، والسيرة المحمودة ، وهو الذى سنتكلم عنـــه فى هذه المقالة .

١ ـ اسمه ونسبه :

هو الشيخ الإمام إبراهيم بن على ابن يوســـف ، جمـــال الدين ، أبو إسحق الفيروزاباذى الشيرازى .

والفيروزاباذى ـ بكســـر الفـــاء وتفتح ـ نسبة الى فيِروزاباذ التى ولـــد فيها ، وهى من مدن فارس ، ومعناها : أتم دولة ، والذى سماها بهذا الاسم هو عضد الدولة ابن بويه إذ كان اسمها قبله ، مدينـــة جور ، وهى من أجمل مدن بلاد الفرس .

والشيرازى نسبة الى مدينة شيراز ، وهى أول المدن التى خرج اليها الشيرازى فى رحلته من بلده لطلب العلم ، وهى بلدة عظيمة مشهورة ، تقع وسط بلاد فارس .

وأما سبب تلقيبه بالشيخ ، فقد حكى عنه أنه قال : كنت نائما ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، ومعه صاحباه أبو بكر وعمر ، فقلت : يا رسول الله ، بلغنى عنك أحاديث كثيرة عن ناقلى الأخبار ، فأريد أن أسمع منك خبرا أتشرف به فى الدنيا ، وأجعله ذخيرة فى الآخرة فقال لى : يا شيخ — وسمانى شيخا وخاطبنى به ، وكان الشيخ يفرح بهذا ويقول : سمانى رسول اللهصلى الله عليه وسلم شيخا — من أراد السلامة فليطلبها فى سلامة غيره .

٢ — مولده ونشأته :

ولد الإمام الشيرازى بفيروزاباذ سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة من الهجرة ٣٩٣ هـ ، وأقام بها حتى بلغ من العمر سبع عشرة سنة ، وهذه الفترة من حياة الشيرازى تعتبر غامضة بالنسبة لنا ، الا أنه ومما لا شك فيه كان ذا شغف بالعلم منذ بداية تمييزه ، فتلقى العلم خلال هذه الفترة عن الإمام أبى عبد الله محمد بن عمر الشيرازى ، وهو أول من تلقى عنه الشيرازى العلم بفيروزاباذ .

وفى ستة عشر وأربعمائة خرج الشيرازى من فيروزاباذ فى سبيل طلب العلم ، ودخل شيراز ، وأقام بها مدة من الزمن تلقى العلم فيها عن كبار أئمتها ، كأبى عبد الله محمد بن عبد الله البيضاوى (م ٤٢٤ هـ) ، وابن رامين (م ٤٣٠ هـ) ، وهما من كبار أصحاب الإمام أبى القاسم الداركى ، وأعيان المذهب الشافعى .

ومن ثم خرج الى الفندجان ، والتقى فيها بالإمام الفندجانى ، وهو من أصحاب الإمام أبى حامد الاسفرايينى ، وعلق عنه شيئا من العلم ، كما أخبر عن نفسه فى طبقاته .

ومنها خرج الى البصرة ، فدخلها ، وأقام بها مدة يسيرة أخذ فيها الفقه عن الإمام الخرزى .

وفى شوال سنة خمس عشرة وأربعمائة دخل الشيرازى بغداد ، وبدأ مرحلة جديدة فى حياته ، وهى مرحلة الاستقرار والنبوغ ، فاتصل بالإمام الكبير القاضى أبى الطيب الطبرى ، طاهر بن عبد الله بن عمر (م ٤٥٠هـ) إمام الشافعية فى بغداد فى زمانه وشيخهم ، فاتصل الشيرازى به ، ولازمه فى مجلسه بضع عشرة سنة ، كما أشار الى ذلك الشيرازى فى « طبقاته » ، واستفاد منه كثيرا ، ويمكن أن نعتبره من أهم الأئمة الذين اتصل بهم الشيرازى واستفاد منهم .

وبقى الشيرازى على هذه الحالة الى أن وثق به الطبرى ، واطمأن اليه ، فأنابه عنه فى مجلسه ، وأذن له فى تدريس أصحابه ، ثم سأله الجلوس فى مسجده للتدريس ، فاستجاب الشيرازى لذلك سنة ثلاثين وأربعمائة . وفى هذه المرحلة بدأت حياة الشيرازى بالاستقرار ، وأخذت شهرته بالذيوع ، وبدأ نجمه فى عالم الفقه ، والأصول ، والخلاف والجدل ، بالبزوغ ، حتى أصبح شيخ الشافعية فى القرن الخامس الهجرى بدون مدافع أو منازع ، فاحتل الشيرازى منزلة شيخه أبى الطيب الطبرى بعد وفاته سنة ٤٥٠ هـ ، وفى سنة ٤٥٧ هـ أمر نظام الملك ببناء المدرسة النظامية فى بغداد من أجل أن يدرس بها الشيرازى ، وفى عام ٤٥٩ هـ دعى الإمام الشيرازى للتدريس فى النظامية بعد أن تم

بناؤها من اجله ، فامتنع الشيرازى من الإجابة لذلك ، لأنه بلغه أن بعض آلاتها غصب ، ولكنه وبعد إلحاح طلبته عليه ، استجاب لطلبهم ، وبدأ بالتدريس فيها حتى توفاه الله تعالى سنة ٤٧٦ هـ .

فمراحل حياة الشيرازى خمسة :

الأولى : فى فيروزاباذ من سنة ٣٩٣ هـ الى سنة ٤١٠ هـ .

الثانية : فى شيراز والفندجان والبصرة من سنة ٤١٠ هـ الى سنة ٤١٥ هـ

الثالثة : فى بغداد من سنة ٤١٥هـ الى سنة ٤٣٠ هـ حيث بدأ بالتدريس مكان شيخه .

الرابعة : من سنة ٤٣٠ هـ الى سنة ٤٥٩ هـ حيث انتقل الى المدرسة النظامية .

الخامسة : من سنة ٤٥٩ هـ الى سنة ٤٧٦ هـ حيث توفاه الله تعالى .

٣ ــ عصره :

لا اريد أن استطرد فى الكلام على عصر الإمام الشيرازى ، لأنه لا يمكن أن يهضم فى هذه السطور القليلة ، ولكنى أريد أن أشير اليه إشارة موجزة بسيطة .

فقد اتسم عصر الشيرازى بأنه عصر اضطرابات وفتن . حيث كانت السيطرة فيه من الناحية السياسية للبويهيين ، وكانت السيطرة من الناحية الدينية للشيعة .

وكذلك ضعف أمر الخليفة حتى اصبح لا عمل له الا الطعام والشراب وأما الحل والعقد فقد انتقل الى أيدى ملوك بنى بويه .

وبقى الوضع على هذا الى أن زال ملك البويهيين تماما سنة ٤٤٧ حين ملك طغرلبك بغداد ، وبدأ ملك السلاجقة الذين ظاهَروا اهل السنة بالظهور .

ولكن زوال بنى بويه لا يعنى زوال الفتن إذ انتقلت الفتن التى كانت بين اهل السنة والشيعة الى فتن بين الأشاعرة والحنابلة ، تأثر منها الإمام الشيرازى أشد التأثر حتى حاول الخروج من بغداد سنة ٤٦٩ هـ انعصارا للإمام أبى نصر القشيرى لشدة إيذاء الحنابلة له ولمذهب الإمام الأشعرى ، لولا تدخل الخليفة ، وانتصاره للإمام الشيرازى ، وقضاؤه على الذين أثاروا تلك الفتن .

وعلى الرغم من كثرة الفتن وشيوعها فى ذلك العصر ، كانت العلوم تتقدم وتزدهر بصورة مطردة وواضحة جلية ، ولقد نبغ فيه مجموعة كبيرة من العلماء بين فقهاء وأصوليين ، وخلافيين ، وجدليين ، وفلاسفة ، اشتهر بهم عصرهم ، وعرف بهم زمانهم ، ولقد كان لهذه العلوم المختلفة التى اشتهرت فىذلك العصر اكبر الأثر على شخصية الإمام الشيرازى ، فخاض غمارها ، ودأب على تحصيلها ، حتى اصبح الإمام المشار اليه بالبنان فيها .

٤ ــ دأبه فى طلب العلم وتحصيله :

لقد كانت حياة الإمام الشيرازى كحياة جميع عظماء الأمة الاسلامية فى الدأب والتحصيل ، والجد والمثابرة من اجل الوصول الى قمة المجد العلمية ، وان الدارس لحياة هذا الإمام العظيم منذ أن بدأ فى طلب العلم طفلا الى أن اصبح إمام ائمة الشافعية فى بغداد يجد أنه لم يدخر وسعا يمكنه بذله إلا وبذله ، ولم يفرط بلحظة واحدة من حياته الا فى سبيل العلم والتعلم ، ومن كان هذا دأبه ، فلا بد أن يصل الى ما يصبو اليه ويتمناه .

لقد كان أمره فى بداية طلبه عجبا،

حتى كان يقول من شاهده ، « عجبا لهذا القلب والكبد كيف ماذابا ؟! » .

ولقد قال عن نفسه : « كنت أعيد كل قياس ألف مرة ، فاذا فرغت منه اخذت فى قياس آخر ، وهكذا ، وكنت أعيد كل درس الف مرة ، فاذا كان فى المسألة بيت من الشعر يستشهد به حفظت القصيدة » .

وبلغ به الجد فى طلب العلم الى ان اشتغل به عن الطعام والشراب وملاذ الدنيا ، ومما روى عنه فى هذا انه اشتهى يوما ثريدا بماء الباقلاء ، قال : فما صح لى اكله ، لاشتغالى بالدروس ، وأخذى النوبة .

٥ — مكانته وثناء الناس عليه :

إن من المجمع عليه ، ولا شك فيه،أن رياسة المذهب الشافعى فى القرن الخامس الهجرى قد انتهت اليه ، اقر له بذلك تلامذته ، وشيوخه ، واقرانه بل إنه أصبح شيخ الفقهاء فى ذلك العصر ، ولم تنحصر شهرته فى الفقه فقط ، بل كان له الباع الطويل فى كل العلوم .

ففى الأصول ، هو الإمام المبرز ، والناقل الثبت ، والمحقق البارع ، ذو الرأى الصائب ، والاختيار الموفق ، والنظر الدقيق ، له فيه المصنفات النافعة ، والآراء المعتبرة .

وأما الجدل ، فكما قال ابن السبكى : « هو ملكه الآخذ بزمامه ، وإمامه اذا أتى كل واحد بإمامه ، وبدر سمائه الذى لا يغتاله النقصان عند تمامه » .

وأما الخلاف ، فهو الخلافى المشهور ، حافظ مسائله ، وجامع أطرافه ، حتى قيل عنه : انه كان يحفظ مسائل الخلاف كما يحفظ احدنا الفاتحة .

وأما الفصاحة والمناظرة ، فقد كان فيهما مضرب المثل ، وأقرب شاهد على ذلك قول السلارى أوحد شعراء عصره :

كفانى إذا عن الحوادث صارم
ينيلنى المأمول بالإثر والأثر
يقد ويفرى فى اللقاء كأنه
لسان أبى إسحق فى مجلس النظر

وأما ثناء الناس عليه فهو عظيم واليك بعض ما قيل عنه :

قال أبو بكر الشاشى : الشيخ أبو إسحق حجة الله تعالى على ائمة العصر .

قال أبو سعيد السمعانى : كان الشيخ أبو إسحق إمام الشافعية ، والمدرس فى بغداد والنظامية ، شيخ الدهر ، وإمام العصر ، رحل اليه الناس من الأمصار ، وقصدوه من كل الجوانب والأقطار .

وقال الإمام أبو الحسن الماوردى صاحب « الحاوى » وقد اجتمع بالشيخ وسمع كلامه فى مسألة : « ما رأيت كأبى إسحق ، لو رآه الشافعى لتجمل به » .

الى غير ما قيل فى هذا الإمام العظيم .

٦ — مناظراته :

لقد كان للمناظرات اهمية كبرى بين العلماء والعامة فى عصر الشيرازى ، ولقد كان الخلافى يحفظ المسألة الفقهية الخلافية بكل ما فيها من ادلة ، سواء أكانت من الكتاب ، أم السنة ، أم القياس ، أم الاجماع ، وما يرد على هذه الأدلة من اعتراضات ، وكيفية الدفع عنها ، وادلة الخصم ، وما يرد عليها من أجل ابطال الاستدلال بها ، ضمن نطاق آداب البحث والمناظرة .

ولقد كانت المناظرة علنية ، يحضرها أكبر عدد ممكن من الطلاب والعلماء ، والعامة ، ولا سيما اذا كانت بين إمامين عظيمين كالشيرازى واقرانه .

ولقـــد قامت بين الشيرازي وبين كثير من اقرانه مناظرات كثيرة ، فى الفقه وغيره من العلوم ، ولقد كانت الغلبة فيها دائما للإمام الشيرازى ، لأنه كان انظر أهل زمانه كما قدمنا ، قال الإمام ابن السبكى فى وصفه : وكان كالأسد الغضنفر فى المناظرة ، لا يصطلى له بنار .

ولقد وددت لو تمكنت من الوقوف على جميع مناظراته ونشرها ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ، فلقــد وقفت له على أربع مناظرات ، اثنتان منها بينه وبين القاضى ابى عبد الله الدامغانى فى بغداد ، واثنتان بينـــه وبين إمام الحـــرمين فى نيسابور ، أوردها الإمام ابن السبكى فى طبقاته أثناء ترجمته وترجمة إمام الحـــرمين الجوينى ، وكانت الغلبة فيها للإمام الشيرازى .

٧ ــ زهـــده وورعه :

اما الزهد والورع ، فقد بلغ بهما الشيرازى الغاية ، فضرب بهما المثال الصادق للعالم العامل ، الذى يجب أن يكون قدوة لكل من خلفه من عالم ، أو عامى ، أو متعلم ، اما الزهد ، فقد قال الإمام ابو العباس الجرجانى: كان الشيرازى لا يملك شـــيئا من الدنيا ، فبلغ به الفقر ، حتى كـــان لا يجد قوتا ولا ملبسا ، قال : ولقـــد كنا نأتيه وهو ساكن فى القطيفة ، فيقوم لنا نصف قومة ، ليس يعتدل قائما ، من العرى ، كى لا يظهر منه شىء . .

وقال القاضى الماهانى : « إمامان ما اتفق لهما الحج ، الدامغـــــانى والشيرازى ، اما الشيرازى فما كان له استطاعة الزاد والراحلة ، ولكن لو اراد أن يحج لحملوه على الأحداق الى مكة » .

ومن ورعه أنه دخل يوما مسجدا ليتوضأ ، فنسى دينارا ، ثم ذكره ، فرجع فوجده ، ففكر ، ثم قال : لعله وقع من غيرى ، فتركه .

قال ابن السبكى : هذا هو الزهد هكذا هكذا ، والا فلا لا ، وهذا هو الورع .

وإن سيرته فى زهده وورعه لكبيرة وواســـعة ، ومثيرة ، لو أردنـــا أن نستقصى الكـــلام عنهـــا وندونها ، وحسبنا منها ما ذكرنا .

٨ ــ ادبه وشعره :

وكان الإمام الشيرازى ذا لســـان فصيح ، وبيان قوى ، مع حســـن العبـــارة ، وقـــوة التركيب ، يحب الشعر ، فيحفظه ويعيه ، وينشــده ويرويه ، ولقد قال عن نفسه : كنت إذا مررت ببيت يُستشهد به حفظت القصيدة كاملة . فمن شعره الذى تناقله الأدباء ، وتغنى به الشعراء ، لدقيق معناه ، وجمال تركيبه ، وحسن الصنعة فيه قوله :

سألت الناس عن خلٍ وفىّ
فقالوا ما الى هـــذا ســـبيل
تمسك إن ظفرت بود حـــر
فإن الحـــر فى الدنيـــا قليل

ومنه فى تعزية بغريق :

غريق ، كأن الماء رق لفقـــده
فلان له فى صورة الماء جانبه
ابى الله ان انساه دهرى لأنه
توفاه فى الماء الذى أنا شاربه

الى غير ذلك من الشعر والقصائد فى المعانى المختلفة التى تنم عن قدرته على الشعر ، ومكانته فيه .

٩ ــ مؤلفـــاته :

اما مؤلفاته فقـــد بلغت ذروتها ، وذاعت شهرتها ، وانتشر بين الناس

اثرها ، فأفاد منها العام والخاص ، والصغير والكبير ، حتى أصبحت ملاذ العلماء المتقنين ، ومرجع الفقهاء المحققين ، وانكب الناس عليها حفظا وشرحا ، وتعليقا واختصارا ، ونظما .

إلا انه لم يكن — رحمه الله — من المكثرين بالنسبة لما خلفه لنا من تراث إذا ما قيس بغيره من الأئمة كالغزالي — رحمه الله — مثلا ، ولكن العبرة فى هذا الميدان ليست بالكم ، وإنما هى بالكيف ، فان كتبه على قلة عددها قد احتلت المكانة العليا ، والمنزلة الرفيعة العظمى ، وشغلت الأجيال المتتابعة حتى عصرنا الحاضر بها . وحسب المرء أن يعرف أن كتاب التنبيه قد شرحه ست وسبعون إماما من كبار أئمة الدنيا ، فيما وقفت عليه فى كتب التاريخ والتراجم ، وفهارس المكتبات العالمية ، وربما بلغ الشرح الواحد ثلاثين مجلدا ضخما — ليعلم قيمة كتب الإمام وأهميتها . وإليك مؤلفاته حسب الفنون .

ا — فى الفقه :

١ — المهذب ، وقد وقفت له على خمسة وعشرين شرحا .
٢ — التنبيه ، وقد وقفت له على ستة وسبعين شرحا .

ب — فى الأصول :

١ — التبصرة ، وهو فى الأصول المقارن .
٢ — اللمع ،
٣ — شرح اللمع .

جـ — فى الجدل :

١ — الملخص .
٢ — المعونة .

د — فى الخلاف :

١ — النكت .
٢ — تذكرة الخلاف .
٣ — المناظرات التى كانت تدور بينه وبين أقرانه .

هـ — فى التراجم :

طبقات الفقهاء .

و — مؤلفات عامة :

١ — نصح اهل العلم .
٢ — الفتــاوى .
٣ — رؤوس المسائل .
٤ — الحدود .

وهذا ما وقفت عليه من مؤلفات الإمام ، وربما كانت له مؤلفات أخرى لم نقف عليها .

١٠ — وفـاته :

وتوفى الشيخ الإمام الشيرازى ليلة الاحد ، الحادى والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين واربعمائة ٤٧٦ هـ ، وكانت وفاته فى دار ابى المظفر ابن رئيس الرؤساء .

وغسله ابو الوفاء الحنبلى .

وصلى عليه بباب الفردوس من دار الخلافة ، وشهد الصلاة عليه الخليفة المقتدى بأمر الله ، وكان كثير الإعجاب به ، وشديد الحب له ، وتقدم للصلاة عليه أبو الفتح المظفر رئيس الرؤساء ، ثم صلى عليه ثانية بجامع القصر .

ودفن بباب إبريز بمقبرة باب حرب ومن ثم اشتهرت هذه المقبرة باسمه .

رحم الله الشيرازى ، واسكنه فسيح جنته ، والهمنا الرشد للاقتداء به وبامثاله من عظماء امتنا .

عقوبة مراقبة الشرطة

ومدى تعارضها مع مبادئ الشريعة الاسلامية

للدكتور أحمد على المحدوب

بالرغم مما هو معروف عن وجود عقوبات معينة فى الشريعة الاسلامية تطبق فى جرائم الحدود والقصاص إلا أن ذلك لم يرد فى الشريعة على سبيل الحصر بحيث لا يجوز اضافة غيرها اليها ، وانما تركت الشريعة الباب مفتوحا لولى الامر لاستحداث صور من العقوبات يواجه بها الجديد من ضروب السلوك الاجرامى التى يسفر عنها التطور المستمر فى الجماعة سواء من حيث العلاقات أو من حيث السلوك وهى الجرائم المسماة بالتعازير والتى تكاد تشمل فى قوانين العقوبات الوضعية أكثر من ٩٠ ٪ من اجمالى الجرائم الواردة بها .

إلا أن هناك قيدا يرد على حرية ولى الامر أو بالأحرى المشروع ، حين يجرم سلوكا ويفرض على من يأتى به أو يمتنع عنه عقابا ، وهو أن يراعى ما تقضى به مبادىء الشريعة الاسلامية فى هذا الصدد ، حتى لا تأتى العقوبة متعارضة معها ، فلا ينخدع بتلك الثرثرة التى لا تكاد تنقطع عن حقوق الانسان ، وكرامة الانسان والتى يخيل للمرء مع كثرة سماعه لها أن علماء العقاب فى الغرب قد خلصوا العقوبات من أية شائبة تتضمن الايحاء بوجود أدنى مساس بكرامة الانسان .

ولقد لجأ أولو الأمر فى الدولة الاسلامية منذ اليوم الاول لقيامها ، الى استخدام تلك الرخصة التى منحتهم اياها الشريعة فاستحدثوا من العقوبات بقدر ما استحدثوا من الجرائم حتى اضافوا الى التشريع العقابى الغالبية العظمى من الجزاءات التى لا زالت تطبق حتى اليوم ، كالحبس والغرامة والمصادرة والحرمان من اداء الشهادة وغير ذلك من العقوبات التى راعوا فى فرضها اتفاقها مع مبادىء الشريعة الاسلامية .

ولكن ما لبث ان جاء على المسلمين حين من الدهر تخلوا فيه عن شريعتهم ولجأوا الى محاكاة الغرب والنقل عنه ظنا منهم ان ذلك هو السبيل الوحيد لبلوغ ما بلغه من تقدم واحراز ما أحرزه من تحضر ، ولم يقتصر الامر فى النقل والمحاكاة على العناصر المادية فى حضارة الغرب كالصناعة مثلا وانما امتد ليشمل العناصر المعنوية أيضا وذلك نتيجة الفهم الخاطىء لدى البعض لمعنى التقدم وما يمر به من تفاعلات معقدة قبل أن تتحدد معالمه وتظهر خصائصه ويستكمل نموه . وفات دعاة التقليد وانصار المحاكاة أن التخلى عن العناصر المعنوية فى حضارة اى شعب كالمثل العليا والقيم والعادات والتقاليد والاعراف لا يعنى سوى التجرد من الخصائص الاساسية التى تميز جماعة عن جماعة وشعبا عن شعب ، ولا يؤدى إلا الى جعل المجتمع المقلد مسخا مشوها فقد ملامحه المميزة وانطمست قسماته وضاعت هويته .

وكان القانون وبالذات قانون العقوبات من بين ما شمله التقليد وامتدت اليه المحاكاة ، بل لعله كان أولها . والسبب واضح ولا غموض فيه ، وهو ادراك الغرب وهو يخوض حربه الصليبية فى جانبها الفكرى ان المثل العليا الاسلامية وكل قيم وعادات وأخلاق المجتمع الاسلامى تنعكس بشكل مباشر على السلوك بصورتيه السوية والمنحرفة ، بل وتنعكس كذلك على طبيعة رد الفعل الاجتماعى كما وكيفا أيضا ، مما يجعل التحريم والإباحة وكذلك العقوبات هى الوسيلة المثلى للقضاء على الشريعة الاسلامية وكل ما ينبثق عنها من مثل عليا وقيم ومبادىء وعادات .

وهكذا رأينا تشريعنا الجنائى الوضعى يبيح افعالا جرمتها الشريعة الاسلامية رغم وضوح ما تنطوى عليه من خطر ، وجلاء ما تتضمنه من ضرر ، لا لشىء إلا لأن التشريعات الغربية التى نقلنا عنها تفعل ذلك ، وبما أن ضيق الأفق وقصر النظر يقولون ان ذلك هو سر تقدم الغرب فيجب أن نحذو حذوه تيمنا به وتبركا .

وكان من بين ما نقلناه عن التشريع العقابى الغربى ما يسمى بعقوبة مراقبة الشرطة التى تقتضى وضع المحكوم عليه بها مدة تتراوح بين حدين ادنى وأقصى تحت مراقبة الشرطة فى مكان يختاره المحكوم عليه أو الشرطة بحيث يلزم بالتواجد به فى فترة محددة من اليوم تقع عادة بين الغروب والشروق ويمر عليه رجال الشرطة مرتين أو ثلاثة للتأكد من وجوده .

ومن الواضح أن الهدف من هذا الاجراء أو تلك العقوبة هو الحيلولة بين المحكوم عليه وارتكاب الجرائم فى تلك الفترة من اليوم ، أى الليل ، حيث تتوفر ظروف تجعل ارتكاب الجرائم أكثر سهولة وأشد تأثيرا .

وقد تبين انه لم يرد فى التشريعات القديمة ذكر لعقوبة المراقبة ، ولعل ذلك يرجع الى عدم اتفاق المراقبة مع الفلسفة العقابية التى كانت سائدة فى تلك الازمنة .

وكان أول تطبيق لنظام المراقبة فى فرنسا ابتداء من منتصف القرن الثامن عشر وذلك فى صورة منع الاشخاص الذين سبق الحكم عليهم

بعقوبة السجن لمدة طويلة فى الليمانات من الدخول الى المدن الرئيسية والزامهم بالبقاء فى الريف أو فى المدن الصغيرة والحيلولة دون تسللهم الى المدن الكبرى لارتكاب الجرائم فيها منتهزين فرصة الازدحام للاختفاء عن أعين رجال الشرطة ، وكان تحديد الاقامة أو المنع من الاقامة ، الذى هو فى الوقت نفسه الوسيلة لممارسة الرقابة على المجرمين يتم باحدى طريقتين :

الاولى ـ تحديد محل اقامة للمفرج عنه ، ومنعه من الانتقال منه الى غيره بدون اذن من الحكومة .

الثانية ـ منع المفرج عنه من الاقامة فى بعض المناطق التى تكون اقامته فيها من بين العوامل التى تسهل له ارتكاب الجرائم ، وهذه الطريقة تترك للمفرج عنه حرية أكبر للحركة .

وفى كلتا الحالتين تقوم الشرطة بمراقبته حيث يقيم ، واطلق على النظام الاول فى فرنسا اصطلاح مراقبة الشرطة العليا الذى استمر مطبقا حتى سنة ١٨٨٥ حين صدر قانون جديد فى ٢٧ مايو سنة ١٨٨٥ يلغى مراقبة الشرطة ويستبدلها بنظام المنع من الاقامة الذى يختلف عن سابقه فى الغائه الرقابة على المفرج عنه والاكتفاء باخضاعه لنظام يمنعه من الاقامة فى بعض الاماكن .

إلا أن مجرد المنع من الاقامة دون فرض رقابة على المفرج عنهم جعل نظام المنع من الاقامة بلا فاعلية ومن ثم صدر المرسوم بقانون فى ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٣٥ بفرض مراقبة الشرطة على المفرج عنهم وان لم تسم كما كانت فى الماضى مراقبة الشرطة العليا ، ثم لم تلبث فرنسا أن تبينت النتائج الخطيرة التى أسفر عنها تطبيق هذا النظام فأقدمت على الغائه .

وكانت أول دولة اسلامية وعربية تأخذ بهذا النظام هى مصر فى عهد محمد على الذى نص عليه فى المادة ١٥٢ من قانون « ناما » ثم توالى النص عليه فى القوانين التالية .

أما قبل ذلك فلم يكن لعقوبة المراقبة وجود فيما كان مطبقا فى البلاد العربية والاسلامية من عقوبات قاسية لا تقرها الشريعة كالوضع على الخازوق أو بتر أعضاء من الجسم غير اليدين والقدمين مما تزخر به كتب التاريخ والتى نقلها هؤلاء الحكام عن دول الغرب .

كذلك قد يختلط الامر على البعض فيظنون ان ما استحدثه معاوية بن ابى سفيان من نظام لمراقبة خصومه واعداء نظامه هو نفسه ما اعتبر فيما بعد عقوبة ، فالواقع ان الفرق واضح بين النظامين اذ بينما لا يطبق نظام مراقبة الشرطة إلا على من ارتكبوا نوعا معينا من الجرائم ، فإن نظام المراقبة الذى استحدثه معاوية كان يطبق على سبيل الوقاية والمتابعة ودون أن يكون الخاضع للمراقبة قد ارتكب اثما أو أتى جرما وهو نظام لا يزال مطبقا حتى اليوم فى الكثير من الدول ، حيث تراقب الحكومة خصومها السياسيين .

وليس صحيحا أيضا أن ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم من امره بوضع المدين المماطل تحت مراقبة دائمة حتى يؤدى دينه ، فاستبقاه هذا فى مسكنه ومنعه من الانتقال الى اى مكان آخر ، وكان الرسول يمر

عليه أو يلتقى به فيسأله عن اسيره ، يعتبر تطبيقا مبكرا لعقوبة المراقبة ، كما قد يظن البعض وانما هو فى حقيقة الامر حبس وليس أى شىء آخر ، وذلك لسببين هامين ، احدهما يرجع الى طبيعة المراقبة ، والثانى يرجع الى فلسفة العقوبة فى الشريعة الاسلامية ، مما سنبينه فيما يلى :

أولا — تختلف المراقبة عن الحبس من حيث طبيعة كل منهما ، فالمراقبة لا تقتضى السلب الكامل لحرية الشخص فى الانتقال والحركة مدة طالت أو قصرت ، وانما يكفى فيها قيد حريته فترة معينة من اليوم كأن يلزم بعدم مغادرة مسكنه ، أو اى مكان آخر يختاره أو تختاره السلطة القائمة بالمراقبة ، بين الغروب والشروق مثلا ، أو قبل هذا أو بعده ، كما هو الحال فى بعض القوانين الوضعية الحالية .

أما اذا شمل الالزام بالبقاء فى مكان ما اليوم بكامله او بضعة ايام كاملة فذلك ليس سوى الحبس بعينه ، لانه يقتضى لا قيد الحرية ولكن سلبها ، بغض النظر عن المدة التى يشملها السلب ، طالما انها قد امتدت يوما كاملا ، مثال ذلك ما يقضى به القانون من الحكم بالحبس لمدة اربع وعشرين ساعة على كل من لا يمتثل لأمر المحكمة بالخروج من قاعة الجلسة لإخلاله بنظامها وتماديه فى هذا الاخلال (مادة ٢٤٣ من قانون الاجراءات الجنائية) .

والملاحظ ان المدين المماطل كان ملزما بالبقاء قيد أسر دائنه مدة متصلة لا يباح له فيها مغادرة المكان الذى اسر فيه ، أو بمعنى أصح حبس فيه .

ثانيا — ان عقوبة المراقبة لا تتفق مع فلسفة العقوبة فى الشريعة الاسلامية ، التى وأن بدت متشددة مع المجرمين ، كما يزعم البعض ، إلا انها تراعى انسانيتهم بصورة فريدة ليس لها نظير فى التشريعات الوضعية فهى تلزم السلطة المسئولة عن العقاب بالمبادىء الاساسية التالية عند تطبيق العقوبات :

أ — ان العقوبة مطهرة للجانى من كل اثر للجريمة ، فلا يجوز ملاحقته بعد اقتضائها منه أو اتخاذ ما وقع منه ذريعة لتوقيع أى عقوبة اخرى لا يستلزمها الحال . لذلك لا نجد فى الشريعة أثرا لما يسمى بالعود الى الجريمة الذى تستند اليه التشريعات الوضعية فى تشديدها للعقوبات .

ب — ان الشريعة تنهى عن التشهير بالجانى والحديث عن جريمته طالما انه قد عوقب وانتهى الامر ، واعتبرت ذلك اشاعة للفاحشة فى المسلمين « **ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة** » كما اعتبرته جهرا بالسوء لا يحبه الله « **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم** » .

كذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « المعصية اذا خفيت لم تضر الا صاحبها ، ولكن اذا ظهرت فلم تنكر أضرت العامة » وهو ما يتحقق اذا شهر الناس بالجناة واذاعوا جرائمهم التى عوقبوا من أجلها .

جـ — أن الشريعة تنهى عن التعيير أى لوم الجناة وتقريعهم والتشفى فيهم بسبب ما ارتكبوا من جرائم عوقبوا من اجلها ، ولذلك ينهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله « لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم » .

كذلك نهى صلوات الله وسلامه عليه عن تعيير المجرم بجرمه بعد عقابه فقد قال للناس الذين قالوا للرجل الذى عوقب بالجلد بسبب شربه الخمر : اخزاك الله . « لا تقولوا هكذا ولا تعينوا عليه الشيطان ، ولكن قولوا رحمك الله » .

وهكذا وجه الرسول الانظار مباشرة الى ما يؤدى اليه التشهير بالجناة وتعييرهم بجرائمهم ، وهو اعانة الشيطان عليهم ، اى دفعهم الى التمادى فى الاجرام انتقاما من المجتمع وردا على ما الحقه بهم من مهانة وتحقير وما اصابهم به من ظلم رغم اقتضائه للعقوبات التى يستحقونها .

فكيف يتفق كل هذا مع ماتتضمنه عقوبة المراقبة من عيوب خطيرة دفعت المشرع فى الدول المختلفة الى الغائها واحلال انظمة اخرى محلها ، وهى عيوب تتعارض بشكل واضح مع المبادىء الاساسية فى الشريعة الاسلامية على الوجه التالى :

أولا — ان المراقبة لا تحول دون ارتكاب المراقب للجرائم لا فى وقت المراقبة ولا فى غيره ، فهو يستطيع أن يرتكب ما يشاء من جرائم نهارا ، كما انه يستطيع أن يتحايل على شروط المراقبة ليلا ويرتكب الجرائم ، وهو ما كشفت عنه العديد من التحقيقات التى اجريت فى الكثير من الجرائم .

ثانيا — ان المراقبة تحول بين المراقب والالتحاق ببعض الاعمال التى تمتد ساعات العمل فيها الى جزءالليل أو تبدأ قبل الشروق فضلا عن الاعمال الليلية ، مما يجعله يعود الى الجريمة .

ثالثا — ان المراقبة تؤدى الى التشهير بالمراقب حيث يقيم بين جيرانه ومعارفه نتيجة تردد رجال الشرطة عليه بضع مرات فى الليل للتأكد من وجوده وهذا يسىء فى الوقت نفسه الى أفراد اسرته الذين لا يلبثون أن يشعروا بأنه عبء عليهم ومصدر للتشهير والتعيير .

رابعا — ان المراقبة تؤدى الى انعدام الضبط فى الاسرة اذا اختار المراقب مكانا آخر غير مسكنه ليقضى فيه فترة الليل منعا للتشهير الناشىء عن تردد رجال الشرطة عليه والذى يسىء اليه والى أبنائه وبناته .

وغير ذلك الكثير من الاضرار التى لا يتسع المجال لذكرها والتى لا تقرها شريعتنا الغراء ، تلك الشريعة التى آن لنا أن نراجع عقولنا فى ضوء ما تتضمنه من مبادىء سامية كرمت الانسان وأعلت من قدره ورفعت من شأنه . واذا كانت الدول الغربية التى استوحينا قوانينها قد عدلت عن فرض عقوبة المراقبة لتفادى الاضرار التى اشرنا اليها ، ألا يجدر بنا أن نستخلص من هذا دليلا على صواب شريعتنا ؟ !

الحكم الاقتضائي



٢

للدكتور : محمد سلام مدكور

فى المقال السابق تكلمنا عن **الحكم الشرعى** ، وبينا اقسامه واشرنا الى اننا تكلمنا قبل عن الحكم التخييرى ووعدنا بالمتابعة والكتابة عن الحكم الاقتضائى .

الحكم الاقتضائى : هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الاقتضاء اى الطلب ، والطلب اما أن يكون طلب فعل أو طلب ترك ، وفى كل منهما إما أن يكون الطلب على سبيل الالزام والتحتيم وهو الايجاب والتحريم أو على غير سبيل الالزام والتحتيم وهو الندب والكراهة فصارت أقسام الحكم الاقتضائى أربعة : الايجاب والندب والتحريم والكراهة .

وقد يبدو فى بعض الأحيان اختلاف التعبير بين الايجاب والوجوب والواجب ، وبين التحريم والحرام والمحرم ، وكذلك بين الندب والمندوب والكراهة والمكروه .

وتحقيق ذلك أن الايجاب هو نفس خطاب الشارع الآمر على وجه الالزام وهو استعمال أصولى دارج ، والوجوب هو الأثر المترتب على ذلك الخطاب وهو استعمال فقهى دارج وقد يستعمله الأصوليون ايضا ، وأما الواجب : فهو فعل المكلف الذى طلبه الشارع طلبا جازما . ومثل هذا يقال فى التحريم والحرمة والمحرم .

وأما الندب والكراهة فليس لهما الا صيغتان : ندب وهو خطاب الشارع وفى نفس الوقت يطلق على اثر الخطاب ، والصيغة الثانية : مندوب وهو فعل المكلف ، ومثل هذا يقال فى الكراهة والمكروه . اذ الكراهة تطلق بمعنى خطاب الشارع الناهى بغير جزم ، وبمعنى الأثر المترتب عليه ، وأما المكروه فهو الفعل الذى طلب الشارع تركه على هذا الوصف .

مسلك الحنفية فى تقسيم الحكم الاقتضائى :

اذا كان جمهور الأصوليين قسموا الحكم الاقتضائى الى الأقسام الاربعة المذكورة . فان الحنفية جعلوه سبعة اقسام على الوجه الآتى :

١ – **فرض** : وهو ما كان الشارع طلب فعله على سبيل الجزم والتأكيد وكان دليل الالزام به قطعيا فى ثبوته بأن كان نصا قرآنيا أو سنة متواترة وقطعيا فى دلالته ايضا بمعنى أن دلالة النص لا تحتمل غير هذا الحكم ، أو كان مما علم عن طريق اجماع المجتهدين من الأمة الاسلامية فى عصر من العصور بعد عصر الرسالة .

٢ – **واجب** : ما كان الشارع طلب فعله على سبيل الجزم ايضا لكن الدليل الذى يدل على طلبه دليل ظنى فى دلالته أو ظنى فى ثبوته أو ظنى فيهما معا . ومن ظنى الدلالة فقط قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا **برءوسكم** وأرجلكم » .. فان الآية ، ان كانت قطعية الثبوت الا أنها بالنسبة للمقدار المطلوب مسحه من الرأس ظنية فى دلالتها عليه لأن **الباء** يحتمل ان تكون زائدة ويكون المطلوب مسح كل الرأس وقد تكون للتبعيض فيكتفى بمسح بضعة شعيرات ، وقد تكون للالصاق ويكون المطلوب مسح موضع الكف وهو مقدر بربع الرأس وهو ما رجحه الحنفية بأدلة خاصة . وعلى هذا فيكون أصل المسح عندهم فرضا والمقدار المطلوب مسحه واجبا .

ومن ظنى الثبوت والدلالة ما روى عن الرسول عليه السلام أنه قال : « لا صلاة لمن لم يقرأ الفاتحة » فهو من ناحية ثبوته خبر آحاد فيكون ظنيا ، ومن ناحية دلالته يحتمل نفى صحة الصلاة بغير قراءة الفاتحة كما يحتمل أن المقصود نفى الكمال لا الصحة كما قال الحنفية ولذا فانهم قالوا ان القراءة فى الصلاة فرض ، وقراءة الفاتحة واجب .

أما غير الحنفية فالفرض والواجب عندهم لفظان مترادفان مدلولهما واحد وهو الطلب على سبيل الالزام والتحتيم دون نظر لكون الدليل قطعيا أو ظنيا .

٣ – **سنة مؤكدة** : وهى ما كان الطلب فيها على غير سبيل الجزم والالزام لكن واظب الرسول صلى الله عليه وسلم على فعله ولم يتركه فى حياته دون عذر الا بضعة مرات . ومثلوا لذلك بصلاة ركعتى الفجر وصوم اليوم العاشر مع اليوم التاسع من المحرم .

٤ – **سنة غير مؤكدة** : وهى ما كان الطلب فيها على غير سبيل الجزم ولم يواظب الرسول صلى الله عليه وسلم على فعله وتركه كثيرا دون عذر . ويعبرون عنه أحيانا بالمندوب والمستحب والنفل . ومثلوا لذلك بصلاة أربع ركعات قبل صلاة العصر ، وصدقة التطوع وصوم يومى الاثنين والخميس .

فالحنفية جعلوا الحكم الاقتضائى الآمر وحده أربعة أنواع ، وأوجدوا

رتبة فوق الواجب ورتبة فوق المندوب بينما اقسامه عند غيرهم تنحصر فـــى الواجب والمندوب .

٥ ـــ **الحـــرام** : وهو الحكم الاقتضائى الناهي على سبيل الجزم والالزام مثل النهى عن قربان الزنا وتحريم الميتة والخنزير والربا ونكاح الأمهات والبنات والأخوات والأمر باجتناب الخمر ونحو ذلك .

٦ ـــ **مكروه كراهة تحريمية** : وهو ما كان طلب الترك معه شيئا يفيد التشديد ، وبتعبير آخر ما كان الى الحرام اقرب مثل النهى عن بيع الرجل على بيع اخيه وخطبته على خطبة اخيه المأخوذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يبع أحدكم على بيع اخيه ولا يخطب على خطبة اخيه » فانه قــد وجد ما يدل على التشديد فى باقى الفاظ الحديث ويظهر اثر فعل ذلك من ايجاد الضغينة فى النفوس ويسبب الأذى والوحشة ، ومثلوا لذلك ايضـــا بما ورد من النهى عن البيع وقت النداء لصلاة الجمعة فى قوله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » ومن البين أن غير البيع من العقود يقاس على البيع لأنه فيـــه تعطيـــل عـــن صلاة الجمعة ، وانما خص البيع بالذكر لأنه الكثيـــر الغالب بين الناس فـــى التعامل اليومى ، وانما النهى كان فى هذا وأمثالـــه للكراهة لأنه كما يقـــول السرخسى فى المبسوط لمعنى فى غير المنهى عنه غير متصل به على ما هو بين فى كتب الفقه والأصول .

لكن محمد بن الحسن الشيبانى الفقيه الحنفى ينظر للحكم الاقتضائى الناهى على سبيل الجزم والالزام بنفس النظرة التى نظروا بها الى الحـــكم الاقتضائى الآمر على سبيل الالزام ، وقال انه يجب النظر الى دليل النهى فـــان كان قطعيا أفاد التحريم وان كان ظنيا أفاد الكراهة التحريميـــة ، وبذا يكـــون المكروه تحريما عنده منزلته من الحرام بمنزلة الواجب من الفرض .

٧ ـــ **المكروه تنزيها** : ما لم يكن الطلب فيه على سبيل الجزم ووجـــدت قرينة تفيد عدم التشديد فى النهى ، وقالوا : انه ما كان الى الحلال أقرب ومثلوا له بصوم يوم الجمعة ، وصوم اليوم العاشر من المحرم ـــ عاشوراء ـــ دون اليوم التاسع ، وبناء على ما قاله محمد بن الحسن يـــكون المكروه نوعـــا واحدا مثل ما قال سائر الفقهاء اذ قد ادخل المكروه تحريما ضمن المنهى عنه على سبيل الجزم والالزام كما ذكرنا .

ما يترتب على تقسيم الحنفية من آثار :

الفرض لازم عملا واعتقادا ومنكره كافر ، ولو كان متأولا اذ لا مجال فيه للتأويل وقد ثبت بدليل قطعى فى ثبوته وقطعى فى دلالته ، كما أن تاركه عمدا جاحدا به يعتبر كافرا أيضا لأنه لا يعتقد بـــه أما ان تركه اهمالا مع اعتقـــاده بفرضيته فانه يأثم بهذا الترك ويفسق فقط أما الواجب فانه لازم عمـــلا فقط فلا يكفر منكره لأن اعتقاده غير لازم إذ طريق ثبوته دليل ظنى وتاركه يأثم ويفسق الا اذا كان متأولا نتيجة اجتهاد .

ويترتب أيضا على تفرقتهم بين الفرض والواجب ما قالوه من أن ترك الفرض يبطل العمل كما إذا ترك المصلى الركوع أو السجود فى صلاته فـان صلاته تبطل لفوات ركن فيه ولا تبرأ ذمته الا باعادتها فى الوقت على الوجـه الصحيح أو قضائها عند فوات الوقت .

وأما تارك الواجب فان عمله يكون صحيحا الا أنه ناقص ومع ذلك فان تاركه مطالب بالاعادة ، فان لم يعد فان ذمته تبرأ ويسقط عنه التكليف مـع الاثم واستحقاقه العقاب على ما ترك .

وبالنسبة للسنة المؤكدة وغير المؤكدة فانهم قالوا ان المرء يثاب على فعل المؤكدة ، ويعاتب على تركها دون أن يعاقب ، أما غير المؤكدة فان فاعلها يثاب ولا شىء على تاركها فلاعتاب ولا عقاب .

وبالنسبة للمكروه تحريما فقالوا : ان فاعله يعاقب ومنكره لا يعد كافرا ، وأما المكروه تنزيها فان فاعله لا يستحق عتابا ولا ذما ولا اثم عليه فيما فعل وان كان فعل غير الأولى .

وقد تناول الأصوليون الأقسام الرئيسية للحكم الاقتضائي بتفصيل وخاصة الواجب وقد عرضنا ذلك فى كتابنا مباحث الحكم عند الأصوليين ، واننا سنوجزه هنا بالقدر الذى يظهر الموضوع ويناسب هذا المقام .

١ ــ الواجب وأقسامه :

عرفنا أن الواجب هو ما طلب الشارع فعله على سبيـل الالـزام ، وأساليبه متنوعة فيكون بصيغة من صيغ الأمر ــ وقد سبق ذكرها فى مقال سابق ــ كما يستفاد من أساليب أخرى مثل : « كتب عليكم الصيام .. » ومثل : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات » ومثل : « ولله على الناس حج البيت » وينقسم الواجب باعتبارات مختلفة الى أقسام متعددة . فمن ناحيـة ارتباطه بالزمن يقسمونه الى :

واجب مطلق : وهو ما لم يقيد الشارع أداءه بوقت معين كالحج وقضاء رمضان عند من يرى جواز التراخى فيهما ومثل كفارة الايمان فان الحانث ليس مقيدا فى أداء الكفارة بوقت معين .

واجب مؤقت : وهو الذى قيد الشارع أداءه بوقت محدد كالصـلاة المفروضة فانها مؤقتة بوقت موسع يسعه ويسع غيره من صلوات أخرى من جنسها ، وقد اتفق الأصوليون على أن وقت كل صلاة هو سبب وجوبهـا فلا تجب الصلاة قبل دخول وقتها ولا يصح التعجيل بها الا بدليل خاص ، ويجـب تعيينها بالنية ما دام الوقت يتسع لشىء آخر من جنس العبادة .

وكالصوم فانه مؤقت بوقت مضيق بمعنى أن وقته لا يتسع لفعل واجب آخر من جنسه فصوم رمضان لا يتسع وقته لصوم آخر ، ولذا فانه تجزىء فيه مطلق النية بل قال الحنفية انه يتأدى ولو بنية شىء آخر كالنفل أو القضاء لأن الفرض متعين فيه .

وكالحج فانه بالنظر الى تحديد وقت معين له فى السنة لا يتسع الا لحج واحد كان من قبيل المؤقت بوقت مضيق ، وبالنظر الى ان اعمال الحج لا تستغرق اشهر الحج كلها أشبه المؤقت بوقت موسع ، ولذا فانهم قالوا : انه ذو الشبهين : ومع هذا فقد جعل البعض الحج يشبه الواجب المطلق من ناحية وجوبه على التراخى دون الزام بسنة معينة ويشبه الموقت من ناحية تخصيص وقت معين من السنة لادائه ، وعلى الأول فانه لشبهه بالموسع كانت نية النفل فيه لا تبرىء الذمة عن الفرض ، ولشبهه بالمضيق جاز بمطلق النية .

وينقسم الواجب من ناحية الملزمين به الى :

واجب عينى : وهو ما يطلب فعله شرعا من كل فرد من المكلفين بعينه ولا يكتفى فيه بقيام الآخرين فالخطاب فيه يتجه الى الفاعل نفسه بحيث اذا عجز لم يطلب الفعل من غيره اذ التكليف يرجع الى نفس المكلف ، ومن هذا القبيل أركان الاسلام الخمسة ، وبر الوالدين وصلة الرحم .

واجب كفائى : وهو ما يطلب فعله شرعا من مجموع المكلفين لا من كل فرد على حدة كفريضة الجهاد فى سبيل الله ما لم يتطلب الموقف دفاع كل قادر ، ومن ذلك رد السلام وما الى ذلك من كل واجب يتحقق الفرض منه بقيام بعض المكلفين به اذ القصد منه وقوع الفعل دون نظر لشخص الفاعل .

هذا وقد تكون الجزئية الواحدة فرض عين فى حالة وفرض كفاية فى حالة أخرى ، فاذا تعين لاظهار الحق فرد بذاته كان أداء الواجب عينيا وان كان فى أصله واجبا كفائيا فاذا كان فى البلدة عدة أطباء ووجد مريض ثم ارتحل الأطباء الا واحدا قبل علاج المريض فالتكليف بعلاجه كان كفائيا عند وجود مجموعهم فأصبح عينيا على الموجود منهم .

وينقسم الواجب من ناحية تقديره من الشارع الى واجب محدد ، وواجب غير محدد .

فالواجب المحدد : ما عين له الشارع مقدارا معلوما لا تبرأ الذمة الا بأدائه بمقداره الذى حدده الشارع كالصلوات والزكاة والصوم .

والواجب غير المحدد : ما لم يعين له الشارع مقدارا معينا كالعدل والاحسان والأمر بالمعروف ويلاحظ أن غير المحدد لا يثبت وينافى الذمة ولا يطالب به المكلف قضاء بعكس الأول .

وينقسم الواجب من حيث تعين المطلوب والتخيير فيه الى واجب معين وواجب مخير :

فالمعين : ما يكون المطلوب فيه مبينا بعينه من غير تخيير بينه وبين غيره مثل أركان الاسلام الخمسة وكل واجب لا تبرأ الذمة الا بأدائه حسب تعيين الشارع .

والمخير : ما كان الواجب فيه مترددا بين شيئين أو اكثـــر كالتخيير بين المن والفداء في قوله تعالى : « فاما منا بعد وأما فداء » وتخيير الدائن للمعسر بين الابراء والنظرة الى الميسرة ، والتخيير في الكفارات بين العتق والصـــوم والاطعام .

٢ ـ المنـــدوب : هو المطلوب فعله شرعا من غير ذم على تركه مطلقا ، وكما يرى الجمهور فان صيغة الأمر لا تدل على الندب الا بالقرينة كما في قوله تعالى : « يا أيهاالذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى **فاكتبوه** » والقرينة الصارفةعن الجواب قوله تعالى « فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته » وقد تكون القرينة الصارفة مأخوذة من مبـــادىء الشريعة وقواعـــدها الكلية كما في الأمر بالمكاتبة : « فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا » .

فقد دلت القواعد الشرعية العامة الخاصة بالملكية على أن المالك حر في ملكه لا سلطان لأحد عليه الا السلطان العام .
مثل قوله عليه السلام في رمضان « سننت لكم قيامه » وقوله « من توضأ يوم الجمعة فبهاونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل » .

ويقسم الأصوليون المندوب ثلاثة اقسام :

١ ـ مندوب على وجه التأكيد : وهو ما يثاب فاعله عليـــه ولا يستحق تاركه عقابا وان استحق اللوم والعتاب ومن هذا السنن المكملـــة للواجبات كصلاة الجماعة والاذان .. وهو ما سماه الحنفية بالسنة المؤكدة .
٢ ـ مندوب لا على وجه التأكيد : وهو ما يثاب فاعله على فعلـــه ولا يستحق على تركه لا عقابا ولا عتابا كصلاة الضحى وصوم يوم الاثنين ويـــوم الجمعة من كل أسبوع ، وهذا ما سماه الحنفية سنة غير مؤكدة كما يسمـــى مستحبا ويسمى نفلا .
٣ ـ سنن زوائد : وهو ما فعله الرسول بحكم العادة مما لا يتعـــلق بالأحكام العملية كما ينقل عن أحواله صلى الله عليه وسلم في أكله ونومه . وهذا لا عقاب ولا عتاب على تركه ، ولا ثواب على فعله الا اذا كان فاعله ينوى متابعة الرسول والتأسي به .
ويرى الشافعية أن المندوب لا يلزم بالشروع فيه ومن شرع فيه وأبطله لا يجب عليه قضاؤه لما روى عن الرسول عليه السلام « المتطوع أمير نفسه » أما الحنفية فيرون أن النفل لازم بالشروع فيه ويجب على المكلف القضاء بافساده لأنه بالشروع فيه صار حقا لله فوجبت صيانته عن البطلان لقوله تعالى : « ولا تبطلوا أعمالكم » .
٣ ـ الحـــرام : ما طلب الشارع من المكلف الكف عنه على سبيل الجزم وتختلف الأساليب والعبارات التى تدل عليه فمنها صيغ النهى ، وقـــد سبق

بيانها فى مقال سابق ـــ مثل « لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى » وقوله « اجتنبوا قول الزور » وقوله « حرمت عليكم الميتة .. » وقوله « لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها » .

وتحريم الشارع لأى فعل لا يكون الا بناء على مفسدة غالبة تترتب على فعله ، وهذه المفسده اما أن تكون راجعة الى ذات المحرم فيسمى محرما بأصله وهذا غير مشروع اصلا ومنه حرمة اكل الميتة ولعب الميسر والزنا واكل أموال الناس بالباطل ، واما أن تكون راجعة لأمر يتصل به وهذا النوع لم يحرمه الشارع بأصله لكنه أتصل به من المفاسد ما جعله حراما وان كان فى أصله مشروعا ومن هذا الصلاة فى الثوب المغصوب والأرض المغصوبة فان الصلاة فى ذاتها مشروعة ولكنها حرمت هنا لما اتصفت به وكذلك البيع وقت النداء لصلاة الجمعة .. على خلاف بين الفقهاء فى اعتبار ذلك مكروها او حراما .

وعلى كل فالنوع الأول لا يظهر فيه الاثر مطلقا أما الحرام لغيره فيصح أن يكون سببا ، لكن لما اتصل به من فساد كان لا ينبغى فعله فاذا وقع كان صحيحا فى ذاته مع اثمفاعله. لكن بعض الفقهاء كالحنابلة وروايـة عن الشافعى غلبوا جانب البطلان .

٤ ـــ **المكروه** : هو ماطلب الشارع الكف عنه من غير جزم أو هو مايمدح تاركه ولا يذم فاعله وقد بينا قبل ان الحنفية يجعلون المكروه قسمين : مكروه كراهة تحريمية ، ومكروه كراهة تنزيهية وأساليب الكراهة من أساليب النهى والقرينة هى التى تعين فيكون بصيغة النهى المقترن بما يدل على الكراهة مثل قوله تعالى : « لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم » والقرينة على صرف النهى عن التحريم الى الكراهة هى قوله جل شأنه : « وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم » وقوله : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » ومن أساليب الكراهة لفظ اكره وابغض ومن ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « اكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ، » وقوله : « ابغض الحلال الى الله الطلاق » .

وحكم المكروه على ما يراه الجمهور أن فاعله لا يأثم وان كان ملوما ، وتاركه يمدح ويثاب اذا نوى بتركه التقرب الى الله ، لكن الحنفية بناء على مسلكهم فى تقسيم المكروه يرون أن المكروه تحريما يذم فاعله ويستحق العقاب كالحرام الا أنه لا يكفر جاحده نظرا لعدم قطعية الدليل كما يرى محمد بن الحسن ، والمكروه كراهة تنزيهية ان كان فاعله لا يعاقب فانه ملوم معاقب .

وبذا نكون قد عرضنا على القارىء الكريم صورة موجزة للحكم الاقتضائى بنوعية الآمر والناهى .

مائدة القارئ

« الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب » .

صدق الله العظيم

التلبية :

قال ابن عباس : كانت تلبية النبى صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يلبى إلا لبى من عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا » أخرجه ابن ماجه والبيهقى والترمذى والحاكم وصححه .

بئر اريس :

تقع فى الجنوب الغربى لمسجد قباء . قال أنس بن مالك كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده ، وفى يد أبى بكر من بعده ، وفى يد عمر بعد أبى بكر ، فلما كان عثمان جلس على بئر أريس فأخرج الخاتم فجعل يحركه فسقط فى البئر ، فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ننزح البئر فلم نجده .

أخرجه البخارى

الحجر الاسود :

هو أشرف أجزاء البيت الحرام ، ولهذا سن تقبيله واستلامه ووضع الخد والجبهة عليه ، وجاءت فى فضله أحاديث منها

قول الرسول صلى الله عليه وسلم « يأتى هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق » رواه الترمذى وحسنه .

وقوله صلوات الله وسلامه عليه « نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم » رواه الترمذى وصححه .

فضل المساجد الثلاثة :

عن ابى الدرداء رضى الله عنــهقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فى المسـجد الحرامبمائة الف صلاة ، والصـــلاة فى مسجدى بألف صلاة ، والصلاة فىبيت المقدس بخمسمائة صلاة .

رواه الطبرانى فى الكبير
وابن خزيمة فى صحيحه

مقام ابراهيم :

هذا الحجر الذى كان الخـــليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام يقف عليه عند بنائه الكعبة ، وقيل أن فيه أثرا من قدمى الخليل حيث ساخت قدماه فيه .

والله سبحانه أمرنا أن نتخذ مصلى من مقام ابراهيم فنصلى خلف المقام عند الاستطاعة ركعتين بعد الطواف بالبيت . قال تعالى : « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » .

اسطوانة المصحف :

هى علم على مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد النبوى الشريف وكان أمامها الجذع الذى كان يخطب اليه الرسول الكريم . ويروى أن ســـلمة بن الأكوع كان يتحرى الصلاة عند الاســـطوانة التى عند المصــــحف ، فقيل له نراك تتحرى الصلاة عند هذه الاسطوانة . قال : رأيت النبى صلى الله عليه وســـلم يتحرى الصلاة عندها .

ايام فى الحج :

فى الحج أيام لها اسماء تناسب الأعمال التى تتم فيها .

يوم التروية :

وهو اليوم الثامن من ذى الحجة .

يوم عرفة :

وهو اليوم التاسع من ذى الحجةوفيه يقف الحجاج بعرفة .

يوم النحر :

وهو اليوم العاشر من ذى الحجةوفيه يكون الحجاج فى منى وينحرون الأضاحى .

يوم النفر الأول :

وهو اليوم الثـــانى عشر من ذىالحجة لأن بعض الحجاج ينصرف من منى فى هذا اليوم .

يوم النفر الثانى :

وهو اليوم الثالث عشر من ذىالحجة لأن باقى الحجاج ينصرفون من منى فى هذا اليوم .



كتاب الشهر

العقيدة والقوة معاً

كتاب جديد للأستاذ محمد عبد الله السمان

(منشورات دار الجيل - بيروت)

تقديم الاستاذ أنور الجندى

من حق الاستاذ السمان ان يعرض كتابه الجديد الضخم الذى بلـغ ٣٨٢ صفحة من القطع الكبير والذى يمثل مرحلة جديدة من حياة هذا الكاتب الاسلامى الصادق الايمان برسالة القلم ، من حقه هذا فى هذا المكان وقد قدم عشرات الكتاب من هذا المكان ، والاستاذ السمان كعادته رجل جرىء ناصح ، يعيش للاسلام بكل ذرة من دمه ، ويحمل أعباء رسالة يجعل كل لحظة من حياته ملكا لها وأنت حين تطالعه فى هذا الكتاب تجده فى اهاب الجندى اليقظ الذى يحمل بندقيته فلا تغيب عنه ناحية من النواحى ، لا تغيب عنه كلمة تقال ، أو مقال ينشر فى صحيفة أو كتاب يصدر او ندوة تعقد فهو مشارك فى كل هذا ، يقدم كتب اعلام الفكر الاسلامى ويعرضها عرضا جيدا فى مجلة الوعى الزاهرة ، فلا يغفل عن وجهته الصحيحة ، ويحاسب كاتبه فى اصالة ودقة ، ومع قدر كبير من الانصاف ، تراه واضحا فى كتابه هذا وهو يناقش زكى نجيب محمود وفؤاد زكريا وحسين فوزى وتوفيق الحكيم ولويس عوض ونجيب محفوظ ، فلا يغفل عن عبارات التقدير قبل أن يدخل فى مداخل النقد والخلاف .

ومن خلال صفحات ذلك الكتاب تجد صورة كاملة لما عرضه النقاد والكتاب فى الصحف والكتب والندوات خلال السنوات الاخيرة فمن ندوة القذافى الى مجمع البحوث ، الى معركة العاشر من رمضان الى حلقات التلفزيون الى أفلام السينما ومسرحيات الفن دون أن تفوته شاردةولا واردة ، ولا كلمة واحدة نشرتها صحيفة أو تعليق معلق .

هذا هو أول ما يبهرك وانت تطالع كتاب (العقيدة والقوة معا) الذى يقوم على ركيزة واضحة اساسية هى ان الدعوة الاسلامية استطاعت بالعقيدة والقوة معا أن تفتح مشارق الارض ومغاربها ، وما تخلى النصر عنها الا لسبب اهتزاز فى العقيدة واضطراب فى الايمان ، فالعقيدة هى العامل الاساسى فى كل نصر احرزته الدعوة الاسلامية وفى كل هزيمة المت بها فكلما كانت العقيدة قوية نابضة بالايمان القوى والثقة المطلقة فى الله عز وجل ، كلما كان النصر المؤزر مؤكدا والا كانت الهزيمة . وانه لم يحدث في تاريخ الدعوة الاسلامية فى نضالها مرة واحدة ، ان اعتمدت على القوة المادية وحدها وكتب لها النصر ، بل كانت هذه العقيدة هى السند الاول .

****

من هذا المنطلق يندفع الاستاذ السمان الى تصور كامل للمجتمع الاسلامى القائم ولقضاياه وتحدياته على نحو غاية فى الاستفاضة والاستقصاء كاشفا عن تلك السلبيات الكثيرة التى تعوق الحركة الى النصر الكامل ثم هو لا يلبث أن يتقدم نحو رحاب العقيدة فيكشف عن صورها القوية التى بناها الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك الجيل من الرواد ثم يمضى مصورا رسالة العلماء والقادة وأهل الفكر وكيف قاموا بالامانة وحملوا الرسالة وواجهوا الامراء بالنصح وقول الكلمة لا يخافون فى الله لومة لائم .

****

ويمضى حتى يصل الى العز بن عبد السلام بعد أن عرض لبطولة الامام احمد بن حنبل كاشفا عن هذه الرسالة التى حملها العلماء والمفكرون فى كشف الزيف وتعرية المنافقين والمبطلين وتصحيح المفاهيم وتحرير العقول من مختلف الشبهات التى يضعها خصوم الاسلام أمامه فى محاولة لتعطيل مسيرته ويقدم فى ذلك النماذج من خلال تاريخ الاسلام كله .

ثم يعرض لرحاب القوة فى العقيدة الاسلامية فيصور عدل العرب فى حكمهم الاسلامى مما شهد به المؤرخون المنصفون ويستعرض معنى القوة فى الاسلام ممثلة فى قول الرسول الكريم :

****

لا تتمنوا لقاء العدو ، وكيف يدعو الاسلام المسلمين الى تأمين الدعـــوة ضد اعدائها المتربصين فاذا جنحوا للسلم قبل منهم وكيف ان الجهاد فى الاسلام انما هو نشر الدعوة الاسلامية لاعلاء كلمة الله ويقرر ان العقيدة هى اساس الجهاد وحتميتها فالعقيدة تفرض على المسلم أن تهون الحياة كلها امام الجهاد فى سبيل الله لنصرة العقيدة فهو يتمنى أحد خيرين :

إما الشهادة وإما النصر .

....

ثم يصل المؤلف من ذلك كله الى حاضر المسلمين والى مرحلـــة الضعـــف والتخلف التى ما كانت لتقع فى تاريخ المسلمين الحديث لولا انفصالهم عن مفهوم الاسلام الجامع للعقيدة والقوة معا ، ثم يصل المؤلف الى اخصب فصول كتابه وهى التحديات المختلفة التى تتمثل فى كتابات اعداء الاسلام فيعرض الـــى مانشرتــه الصحف وتحدث به اعداء الاسلام بعد هزيمة ١٩٤٨ ثم بعد نكسة ١٩٦٧م وكيف ضاعت فلسطين فى الاولى وضاعت القدس فى الاخرى .

....

ويركز الاستاذ السمان على قضية فلسطين ويرى انها كبرى قضايا العصـــر ويعدد الاخطار التى اتصلت بها والاحداث التى تمت لتشريد أهلها وموقف الدول الكبرى والامم المتحدة ، ويعرض لما أورده محمود شيت خطاب وعبد الله التل من حقائق عن هذا الخطر وهما من أصدق من تصدى للتحدى الصهيونى وكشف عن خطره ورسم الخطة المثلى لمقاومته ، ويصل من ذلك الى مأساة مسلمى كشمير ، ثم يتطرق الى موقف الهند والهندوكية من مؤامرة لقسم فلسطين ، ويصل من ذلك الى الحبشة والى موقعها من مسلمى أرتيريا ، ويتعرض لباكستان وموقفها بعـــد الانفصال ويربط ذلك كله برباط وثيق مؤكدا أن الضربات الموجهة للعالم الاسلامى كلها واحدة وان اختلفت مواقعها ، ثم يشير الى المؤامـــرة التى ذهب ضحيتهـــا أحمدوبيللو زعيم اقليم الشمال فى نيجيريا الذى يضم ثلاثين مليونا من المسلمين والحاج أبو بكر تفاوباليوا ثم يترك نيجيريا الى تشاد والسنغال وكلا الدولتين يمثل شعبها المسلم أكثر من ٩٠ فى المائة ويصل الى زنجبار ، ومذبحة ١٢ يناير ١٩٦٤ حيث ذهب خمسة عشر ألفا من العرب المسلمين ، ثم يستطرد الى ذكر الفلبين ومأساة مسلمى الفيلبين .

....

ثم ينتهى من هذا الاستعراض الى ما قاله اللورد اللنبى فى نهاية الحـــرب العالمية الاولى حين قال : لقد انتهت الحروب الصليبية ويؤكد الاستاذ السمان أن الحروب الصليبية لم تتوقف فضلا عن ان تنتهى ، وانها مستمرة ذات اهـــداف تلتقى عند ابادة الاسلام وشعوبه وتراثه وحضارته .

ومن خلال هذا الاستعراض القوى الواسع الابعاد تجد تلك الارضيـــــة

الخصبة التى يمتلكها هذا الكاتب المسلم المقتدر العارف بقضايا الاسلام المعاصر وخلفياتها وآثارها البعيدة المدى .

....

ثم يخلص من واقع المسلمين اليوم الى التحديات الفكرية والعقائدية التى يواجهها الاسلام من خلال تلك السموم التى يدسها كتاب التغريب هنا وهناك وفى كل مرحلة وفى كل مناسبة من حيث الدعوة الى فصل الدين عن الدولة ومن حيث دعوة القوميات الضيقة والاقليميات بالاضافة الى اهواء المستشرقين واخطار المسرح والقصة ثم يكشف عن ذلك التداخل المعيب فى تجاهل الطابع الاسلامى واحلال كلمة العربى مكانه تجاهلا وانتقاصا للاسلام .

....

ثم يتحدث عن ندوة العقيد القذافى التى نشرتها الاهرام ابريل ١٩٧٢ ويراجع مادتها وكل ما يتصل بالآراء التى عرضت فيها،وينتقل منها الى الهجوم على التراث الذى بدأه زكى نجيب محمود وغالى شكرى ، ثم ينتقل منها الى قضية المرأة وحريتها وعملها ومن ذلك الرد على امينة السعيد ، ثم يعرض الكاتب للمسرحيات التى تحرف تاريخ الاسلام ورجاله ثم يصل الى الكتب التى تساوق آراء المستشرقين امثال كتاب عبد المنعم ماجد (التاريخ السياسى للدولة العربية) ثم يتحدث الباحث عن الصحافة الاسلامية وضرورة صدور جريدة يومية اسلامية ثم يشيد بدور مجلة الوعى الاسلامى ومجلة لواء الاسلام ، وفى طريق هذا البحث المتصل لا يترك المؤلف شاردة ولا واردة الا احصاها ولا يترك تصريحا فى صحيفة أو كلمة لكاتب ثم يصل الى الطرق الصوفية ، ويتحدث عن المعسكرات الدينية واحاديثها واسئلة شبابها .

ولا يدع الاستاذ السمان كتابات الشيوعيين أو الوجوديين أو التغريبين دون أن يفندها ويكشف عن زيفها كما فعل مع كتابات الدكتور/فؤاد زكريا ومن أفزعهم انتصار العاشر من رمضان ، ثم ينتهى الى غاية واضحة لا بد من ايجاد رأى عالمى اسلامى واع يقظ مثقف واسع الافق يستغنى الى الابد عن التشبث بالفرعيات والشكليات التى يمكن الاستغناء عنها ويجب أن تقوم أكثر من مؤسسة صحفية تقدم صحفا يومية واسبوعية اسلامية على مستوى الصحافة العالمية ، وأكثر من مؤسسة للنشر تجعل من الكتاب الاسلامى كتابا عالميا على مستوى الكتب العالمية هذا مع ايقاف الخلافات المذهبية بين المسلمين تمهيدا لاقامة وحدة معنوية للعالم الاسلامى .



مكتبة المجلة

اعداد الاستاذ عبد الستار محمد فيض

من الخالق الله ام الصدفة ؟

للأستاذ / رشدى مدبولى حسن

محاولة جادة ومخلصة لمتابعة سؤال ردده الكثير عبر الزمن وحار فيه الفلاسفة والمفكرون وتعددت الاجابات وتفاوتت ، ولذا نرى أن فكرة الخالق قد جانبها الصواب عند الكثير من هؤلاء وعند الذين تزعموا القيادات الفكرية فى اممهم وبين شعوبهم .

أن كل ما حولنا فى الحقيقة يدعونا ان نبحث عن الله وسوف نراه فى كل ما حولنا ونحس بقدرته فيما يحيط بنا .

وفى هذا الكتاب يتحدث المؤلف بهذا المنطق الذى يسمونه برهان الغاية واتخذه سبيلا للوصول الى الحقيقة ومعرفة الخالق .

وقد يزعم الملحدون فى بقاع كثيرة ان قضاياهم علمية تقدمية وسوف نسرى من كلام المؤلف أن مزاعمهم أوهام جريئة ،وأن حقائق الاحياء كما سردها بذكاء ويسر تشهد ضدهم ولا تشهد لهم ويعتبر الكتاب بحثا جيدا فى هذا الميدان الذى يرقبه الكثيرون ليكون مددا من أمداد الخير وشعاعا من أشعة اليقين وهو يقع فى (٢٣٠) صفحة ومن نشر مكتبة الزهراء ٨ شارع عبد العزيز ــ عابدين ــ القاهرة .

حكم الاسلام فى القضاء الشعبى

للدكتور / فؤاد عبد المنعم

بحث يتناول نظام القضاء الشعبى فى الأنظمة القديمة ونظام المحلفين وانتخاب القضاة ..

كما يتناول وجهة نظر الاسلام فى القضاء الشعبى .

وقد قام المؤلف بدراسة هذا الموضوع دراسة مقارنة وقسم بحثه الى دراسة تمهيدية وبابين رئيسيين .

الباب الأول : فى حكم الاسلام فى القضاء الشعبى .

الباب الثانى : فى المقارنة بالانظمة الغربية والماركسية .

وخاتمة تعرض فيها الصور من القضاء الشعبى فى مصر مع دراسة لمستقبل هذا النظام . والكتاب يحتوى على (١٤٠) صفحة ومن طبع شركة الاسكندرية للطباعة والنشر (١) شارع فنتورا ــ الاسكندرية .

«مرحلة تدوين المسند» مسند الطيالسي ومسند الحميدي

للدكتور/محمد عبد الرءوف

ذكرنا فيما تقدم أن مرحلة تدوين المسانيد بدأت قبل نهاية القرن الهجرى الثانى ، وعرّفنا « المسند » بأنه : مجموعة مكتوبة من الأحاديث مرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم عن طريق صحابىّ واحد ، وذلك مثل « مسند عمر بن الخطاب » و « مسند عائشة الصديقة » و « مسند جابر بن عبد الله » رضى الله تعالى عنهم . كما يطلق اسم « المسند » أيضا على الكتاب الذى يحتـوى على عدد من هذه المسانيد ، وهو الغـالب ، وفى هذه الحالة قد يكون العـدد من المسانيد المدونة فى كتاب واحد قاصرا على نوع معين من الصحابة كمسـانيد العشرة أو مسانيد المدنيين أو مسانيد المكيين أو مسانيد البصريين أو مسـانيد المقلين ، وقد يكون المسند عاما شاملا فيه أسانيد المقلين والمكثرين ، وذوى السابقة فى الاسلام والمتأخرين ، والأنصار والمهاجرين والرجـال والنساء من أصحاب سيد المرسلين ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين . ويطلق صاحبُ المسند الجامع على المسانيد المدونة به عبارة « مسند فلان » أو « أحاديث فلان » ، كعنوان على كل بابٍ مدوّن بالمسند ، كأن يقول : « مسـند عمر » و « مسند عائشة » و «مسند أبى هريرة» ، أو يسميها : « أحاديث عمر » و « أحاديث عائشة » و « أحاديث أبى هريرة » وهكذا ، والمؤدّى واحـد ، والمقصود مجموعة الأحاديث التى تيسرت للمؤلف مما أسنده ذلك الصحابىّ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد ذكرنا أن عددا كبيرا من المسانيد تمّ تدوينها خــلال القرنين الثالث والرابع ، وأنه يرجع الى هذه الحركة الفضل فى المحافظة على العدد الاكبر من الاحاديث بتدوينها قبل أن تضيع بموت حفظتها ورواتها ، ولكن بالأسف لم يقدّر إلا للنذر اليسير من هذه المسانيد الشهرة وكثرة التــداول بين الأجيال التاليــة ، ولعل ذلك يرجع الى ما لقيته الصحاح والسنن التى ظهرت بعد بدء حركة التدوين للمسانيد من شعبية كاسحة صرفت النظر والاهتمام عن المسانيد عــدا مسند الإمام أحمد رضى الله عنه ، فلم يكثر نسخها وتداولها ، ولم يعن بدراســتها وتمحيصها ولم يبادر فى العصر الحديث بطبعها ونشرها كما كان الشأن فى حال الصحاح والسنن ، حتى أن ما عثر عليــه من مخطوطات هذه المسانيــد فى السنوات الأخيرة لم يكن غالبا فى حال جيدة كاملة ، واننا لنرجو الله تعالى أن يوفق طلاب العلم المعنيين بدراسة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العثور على هذه الكنوز الثمينة ونشرها وتحقيقها وتيسيرها للراغبين في الاطلاع عليها ودراستها والاســتفادة منها ، وذلك لما لهذه المسانيد من أهمية علميــة وتاريخية ، وأصحاب هذه المسانيد كانوا بلا شك من خيار المحدثين ودعائمه ، وأخذ عنهم وروى لهم أصحاب الصـــحاح والسنن ، كمـــا أن المسانيد المعللة الموسعة ، كمسند يعقوب بن شيبة ومسند الحسين بن على المارجي المشـــار إليهما من قبل ، كانت بلا شك موسوعات علمية قيمة ، وكنوزا أثرية ثمينــة ، وقول بعض المؤلفين إن كتب المسانيد دون الكتب الستة في الاحتجاج بها حيث لم يتحرّ أصحابها الصحيح (١) لا ينقص مكانتها الشرعيــة ولا ينال من قيمتها العلمية ، وفضلا عن ذلك فاننا لنرى الكثير من محتويات هذه المسانيد يتفق مع ما ورد بالكتب الستة ، كما أن الأحاديث ضعيفة الاسناد مما يحتج به فى فضائل الأعمال ، وربّ حديث ضعيف صحيح فى حقيقة الأمر .

وسوف نستعرض فى هذا المقال بعونه تعالى ، استعراضا وصفيا تحليليا مبسطا اثنين مبكرين من هذه المسانيد تمّ بحمد الله نشرهما ، وذلك للتعــريف بهما والتنويه بفضلهما ، أحدهما مسند الحافظ الكبير أبى داود سليمان بن داود الطيالسي والآخر مسند الحافظ المتقن أبى بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ، أولهما فارسيّ بصري والآخر قرشيّ مكى .

ولد الحافظ الطيالسي بالبصرة حوالى عام ١٣٠ وتوفى عام ٢٠٣ أو ٢٠٤ هـ(٢)، لذلك فهو قد ترعرع ونضج واشتد عوده طوال النصف الثـــانى من القرن الثانى للهجرة ، وعاصر صاحبى الموطأ والمصنف ، مالك وعبد الرزاق ، اللذين تحدثنا عنهما ، فلو صح أنه صاحب المسند المنسوب اليه ، وثبت أنه هو الذى دوّنه ، أو على الأقل نظمه ورتبه كما رواه عنه تلميذه ومريده الحافظ يونس بن حبيب الملقب بأبى بشر المتوفى عام ٢٦٧هـ لكان من أول مدونى المسند أو أولهــم كما ذكر ذلك الحاكم النيسابورى ، وكما اشرنا اليه من قبل .

---

(١) « علوم الحديث » لابن الصلاح ، (المدينة المنورة ١٩٦٦) ص ٣٤ و ٣٥ .

(٢) قال الحافظ الذهبى فى « تذكرة الحفاظ » الجزء الاول ص ٣٥٢ انه عاش ثمانين سنة ، وعليه يكون مولده عام ١٢٣ أو ١٢٤ هـ ، وقال ابن سعد فى طبقاته (القسم الثـــانى من الجزء السابع طبعة ليدن ص ٥١) أنه عاش ٧٢ سنة ، وجاراه فى ذلك الحافظ ابن حجر فى « تهذيب التهذيب » الجزء الرابع ص ١٨٥ — وعليه يكون مولده عام ١٣١ أو ١٣٢ هـ .

وقد تلقى الطيالسى الحديث عن جماعة من المحدثين اللامعين ، من بينهم سفيان الثورى وشعبة ، كما تلقى عنه الكثير ممن اشتهر أمرهم وعرف فضلهم وكان من بينهم الإمام أحمد بن حنبل وعلى بن المدنى ، ولقد امتاز بحافظة قوية جدا ، ونقل عنه صاحب ميزان الاعتدال قوله : « حدثت باصبهان بأحد وأربعين الفا من غير سؤال » (٣) ، ولكنه قد اعتمد على ذاكرته اعتمادا أكثر مما ينبغى فكان يملى من ذاكرته دون الاعتماد على الكتاب ، لا كما كان يصنع الإمام عبد الرزاق ، وجل من لا يسهو ، فأدته هذه الثقة البالغة الى بعض الخطأ فى الأحاديث أوصلها صاحب الميزان الى الالف (٤) ، ولكنه كان أمينا ، فقد قال عنه راويه يونس بن حبيب الاصبهانى : « قدم علينا ابو داود وأملى علينا من حفظه مائة الف حديث اخطأ فى سبعين موضعا منها ، فلما رجع الى البصرة كتب إلينا بأنى قد اخطأت فى سبعين موضعا فأصلحوها » (٥) ، وما أجمل الاعتراف بالخطأ ، ومع ذلك فقد اعتبر من كبار الحفاظ الثقات ، وقال البخارى عنه : « ارساله ثبت » ، كما قال بعضهم : « ما رأيت أحفظ من أبى داود » (٦) .

أما « مسند الطيالسى » فكما اشرنا آنفا ، رواه عنه يونس بن حبيب الملقب بأبى بشر ، ويحتوى على ٢٧٦٦ من الأحاديث رواها عن مائة وثمانين من الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد بدأها بمسند أبى بكر فمسند عمر بن الخطاب فمسند عثمان فمسند على فمسانيد سائر العشرة ، واستعمل غالبا لها لفظ « أحاديث » كعنوان على كل منها ، فيقول : « أحاديث أبى بكر رضى الله عنه » و « أحاديث عمر بن الخطاب » وهكذا . وأحيانا يقول : « ما أسنده فلان رضى الله عنه » واستعمل كلمة « مسند » نادرا كما صنع فى مسند عائشة رضى الله عنها ، غير أن المسند فى ترتيب المسانيد خلط بين المكيين والمدنيين والأنصار والمهاجرين والمتقدمين فى الاسلام والمتأخرين ، فأخر أحاديث بلال مثلا عن أحاديث معاوية وعمرو رضى الله عن الجميع ، ولكنه رتب مسانيد النساء فجاء أولا بمسانيد أمهات المؤمنين وأتبعها أحاديث سائر الصحابيات ممن روى لهن فى مسنده ، ولقد قسّم المسند الى أحد عشر جزءاً ، غير أن هذا التقسيم لم يَبْنِ على أساس موضوعى بل يبدو أن الغرض منه تحديد عدد صفحات كل جزء ليتيسّر تناوله ، لذلك تجد أحاديث بعض الصحابة موزعة بين جزأين ، تبدأ فى جزء وتتم فى الذى يليه ، فأحاديث السيدة عائشة مثلا ورد منها ١٣٤ حديثا فى الجزء الثالث ، وسائرها وهو ٦٧ حديثا تبعتها فى أول الجزء السابع من المسند ، ووزعت أحاديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه بين الجزأين السابع والثامن ، وبلغ مجموعها ١٣٥ حديثا ، كما وزعت أحاديث أنس بن مالك رضى الله عنه بين الجزأين الثامن والتاسع ، ومجموعها ١٩٣ حديثا ، ووردت أحاديث عبد الله بن عمر وعددها ١٥٧ بين مسندى جابر وأنس رضى الله عنهم ، كما وردت أحاديث أبى هريرة وعددها ٣٠٣ بالجزأين التاسع والعاشر ، واستغرقت أحاديث عبد الله بن عباس وعددها ١٦٩ بعض العاشر وجميع الجزء

---

(٣) الجزء الثانى طبعة الحلبى ١٩٦٣ ، ص ٢٠٤ .

(٤) « ميزان الاعتدال » (الجزء الثانى) ص ٢٠٤ .

(٥) نفس المرجع ص ٢٠٣ .

(٦) نفس المرجع ص ٢٠٤ .

الحادى عشر ، ووردت أحاديث أبى سعيد الخدرى وهى ٩٤ حديثا ، وأحاديث عبد الله بن عمرو وهى ٥١ حديثا بالجزء التاسع ؛ أما عدد أحاديث الصديق فتسعة فقط ، ولابن الخطاب واحد وستون ، ولعثمان ستة عشر ، ولعلى بن أبى طالب مائة وثلاثة ، وللزبير ثلاثة ، ولسعد تسعة وعشرون ، ولابن عوف أربعة ولكل من أبى عبيدة وطلحة ، ثلاثة ، ولسعيد بن زيد أحد عشر حديثا ، أما مسند عبد الله بن مسعود الذى تلا مسانيد العشرة ففيه ١٦٢ حديثا .

وقد طبع المسند فى حيدر اباد عام ١٣٢١هـ فى مجلد كبير صفحاته من ذات القطع الكبير .

يمثل مسند الطيالسى طبيعة المسانيد المجردة ، فتراه يروى الأحاديث دون تعليق عليها أو على أسانيدها إلا نادرا ، ويقدم أبو بشر راوى المسند لكل حديث بقوله : « **حدثنا** أبو داود قال : **حدثنا** شعبة أو أبو فضالة » مثلا ، وأحاديثه متصلة الإسناد مرفوعة كلها الى النبى صلى الله عليه وسلم الا القليل النادر ، ومما عثرت عليه من أقوال الصحابة أو موقوفا عليهم ما يلى ، نقدمها بأرقامها فى النسخة المطبوعة ليتيسر الرجوع اليها :

١٩٢ — « **حدثنا** أبو داود قال : **حدثنا** الصلت بن دينار قال : **حدثنا** عقبة بن صهبان وأبو رجاء العطاردى قالا : سمعنا الزبير وهو يتلو هذه الآية : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) (٧) ، ولقد تلوت هذه الآية زمانا وما أرانى من أهلها فأصبحنا من أهلها » .

٢٢١ — « **حدثنا** ابو داود قال : **حدثنا** عيسى بن عبد الرحمن قال : **حدثنا** ابراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن سعد قال : (ما من موتة أموتها أحب إلىّ من أن أقتل دون مالى مظلوما) .

٤٢٨ — « **حدثنا** أبو داود قال : **حدثنا** شريك عن ابى اسحق عن سليم بن عبد عن حذيفة قال : (صلاة الخوف ركعتان واربع سجدات ، فان عجلك أمر فقد حلّ لك القتال والكلام) » .

٤٣٧ — « **حدثنا** أبو داود قال : **حدثنا** همّام عن قتادة عن سبيع بن خالد عن حذيفة قال : (يخرج الدجال ومعه نهر ونار ، فمن دخل نهره وجب وزره وحط أجره ، ومن دخل ناره وجب أجره وحط وزره) .

٧٢٢ — **حدثنا** أبو داود قال : **حدثنا** شعبة عن أبى اسحق قال : سمعت البراء قال : « مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس فأنزل الله عز وجل (وما كان الله ليضيع إيمانكم) (٨) أى صلاتكم الى بيت المقدس » .

ومما رواه مرسلا ما يلى :

٨٣٧ — « **حدثنا** ابو داود قال : **حدثنا** ابو حرة عن الحسن (٩) أن رسول

---

(٧) سورة الانفال ، الآية ٢٥ .

(٨) سورة البقرة ، الآية ١٤٣ .

(٩) هو الحسن بن أبى الحسن بن يسار البصرى سيد التابعين المتوفى سنة ١١٠هـ وأبو حرة هو واصل بن عبد الرحمن توفى عام ١٥٢هـ ، ويروى أنه لما مات وسئل شعبة عن حديث قال : « تسألنى وقد مات سيد الناس ؟ » وكان يختم القرآن فى ليلتين (من تهذيب ابن حجر ، الجزء ١١ ، ص ١٠٥) .

الله صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فناموا ، فما استيقظوا حتى طلعت الشمس ، فصلوا وقالوا : يا رسول الله : الا نزيد فى صلاتنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليــه وســلم : « ينهاكم الله عن الربا ويقبله منكم ؟ »

ومما عثرنا عليه منقطعا ما يلى :

٣٤٩ ــ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا أبو ذؤيب عن سهيل بن اســحق الهذلى عن عون بن عبد الله عن ابن مسعود (١٠) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال فى ركوعه ثلاث مرات سبحان ربى الأعلى فقد أتمّ ركوعه ، وذلك أدناه » .

ومما ورد فيه زيادة أو تعليق لطيف من الطيالسى نقتبس ما يلى :

٩١٧ ــ « حدثنا أبو داود قال : « حدثنا شعبة وسليمان بن المغيرة القيسى : كلاهما عن حميد بن هلال العدوى قال : سمعت عبد الله بن المغفل رضى الله عنه يقول : دلى جراب من شحم يوم خيبر فأخذته فالتزمته فقلت هذا لى ، لا أعطى أحدا منه شيئا ، فالتفت فاذا رسول اللــه صلى الله عليه وسلم فاستحييت منه »

قال سليمان فى حديثه، وليس فى حديث شعبة ــ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هو لك » .

قال أبو داود : كأنه من الغنيمة .

١٢٥٧ ــ « حدثنا يونس قال : « حدثنا أبو داود قال : « حدثنا شــعبة عن أشعث بن أبى الشــعثاء قال : سمعت الأسود بن هلال يحدث عن رجل من بنى ثعلبة بن يربوع أن اناسا منهم أتوا رســول الله الله صلى الله عليه وسلم وكان بنو ثعلبة أصابوا رجلا من أصحاب رسول اله صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل : يا رســول الله ! هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع قتلت فلانا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجزى نفس على أخرى » ، وذكر النبى صلى الله عليه وسلم الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وســلم : « يد المعطى العليا أمك وأباك واختك واخاك ثم أدناك أدناك » .

هكذا قال شعبة عن رجــل من بنى ثعلبة ، وقال الثورى عن ثعلبــة ابن زهدم .

١٤١٦ ــ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت : « كنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نغتسل من إناء واحد من الجنابة » .

قال أبو داود : قال شعبة : يعجبنى لأنه قال « من الجنابة » .

وإليك المختارات التالية من هذا المسند الجليل :

٢٣٦ ــ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا شعبة عن الحر بن الصباح النخعى قال: سمعت عبد الرحمن بن الأخنس قال : شهدت المغيرة بن شعبة يخطب فنال من على رضى الله عنه ، فقام سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى عدى قريش فقال : أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عشرة فى الجنة : رسول الله وأبو بكر وعمر

---

(١٠) نقل المحققان عن الترمذى أن عون بن عبد الله لم يلق ابن مسعود ، فالاسناد منقطع .

وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن مالك وعبد الرحمن بن عوف »
ولو شئت ان أسمى العاشر لسميته ، ثم سماه فقال : «سعيد بن زيد»

١٥٢٣ ـ « **حدثنا** أبو داود قال : **حدثنا** شعبة عن سعد بن ابراهيم قال : سمعت طلحة بن عبد الله بن عوف يحدث عن عائشة قالت : « أهوى إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله إنى صائمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وانا صائم ، فقبلها » .

١٤٢٤ ـ « **حدثنا** ابو داود قال : **حدثنا** قيس بن الربيع عن عاصم بن عبيد الله عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل عبد الله بن مظعون وهو ميت »
قال أبو داود : قال أشعث بن سعيد فى هذا الحديث وفى هذا الاسناد : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فعل ذلك بكى حتى رأيت الدموع تجرى على خديه » .

١٤٦٢ ـ « **حدثنا** ابو داود قال : **حدثنا** ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن ابيه قال : قالت عائشة : « دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السباق ، فسابقنى فسبقته » .

١٥٣٧ ـ « حدثنا أبو داود قال : **حدثنا** محمد بن راشد عن مكحول : قيل لعائشة : ان أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشؤم فى ثلاث ، فى الدار والمرأة والفرس » ، فقالت عائشة : لم يحفظ أبو هريرة ، لأنه دخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قاتل الله اليهود ، يقولون إن الشؤم فى ثلاث ، فى الدار والمرأة والفرس » فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله (١١) .

٢٤٨١ ـ « **حدثنا** ابو داود قال : **حدثنا** شعبة وحماد عن محمد بن زياد قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته ، فان غمّ عليكم فصوموا ثلاثين »

٢٥٩٨ ـ « **حدثنا** ابو داود قال : **حدثنا** قيس بن هشام بن عروة عن وهب بن كيسان قال : توفى بعض كنائز مروان ، فحضر الجنازة مروان وأبو هريرة معه ، قال : فسمع مروان نساء يبكين فشدّ عليهن أو صاح بهنّ فقال له أبو هريرة : يا أبا عبد الملك : إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فرأى عمر نساء يبكين فتناولهن أو صاح بهنّ ،

---

(١١) فى هذا الاسناد انقطاع حيث لم يذكر مكحول اسم من سمع هو منه عن عائشة ، ويقولون انه معروف بالتدليس عليها (تهذيب التهذيب لابن حجر ، الجزء العاشر ص ٢٩) ، ومع ذلك وبالرغم من هذا الانقطاع فان نص الحديث وعبارة عائشة فيه يجعله أدنى الى القبول واقرب للتصديق من الرواية التى ساقها ابن قتيبة فى كتاب « تأويل مختلف الحديث » وتشبث بها الشيخ محمود ابو ريه فى كتاب « اضواء على السنة المحمدية ص ٢٠٥ » حيث تزعم تلك الرواية ان عائشة قالت : « كذب ابو هريرة والذى انزل القرآن على أبى القاسم » فاستشهد بها على اتهام أبى هريرة رضى الله عنه ، ولا نريد ان نخوض هنا فى هذا النزاع او نبدى رأيا بشان ما أورد عليه من روايات فى الصحيحين ، والذى يهمنا أن عبارة الحديث هنا أروح الى القلب واقرب لروح الاسلام فى روعتها وانسانيتها ، وأوفق بادب بنت الصديق حيث اعتذرت لأبى هريرة فى عدم حفظه بسبب معقول انسانى واضح .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عمر : دع ، فان العين دامعة ، والنفس مصابة ، والعهد حديث » .

٢٧٥١ - « حدثنا أبو داود قال : حدثنا حماد بن سلمة عن أبي حجرة عن ابن عباس قال : « أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشرا ، ومات وهو ابن ثلاث وستين » .

أما الحميديّ ، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى المتوفى عام ٢١٩ هـ فيعتبر من خيرة المحدّثين الثقات المتقنين ، صحب سفيان بن عيينة شيخ المحدثين بمكة لعدد من السنين ، وقيل عنه : « هو اثبت الناس في ابن عيينة ، وهو رئيس أصحابه ، وهو ثقة إمام » (١٢) ، ونقل عن يعقوب بن سفيان قوله : « حدثنا الحميدي وما لقيت انصح للاسلام وأهله منه » (١٣) وذكره ابن حبّان في الثقات فقال : « صاحب سنة وفضل ودين » (١٤) ، وقد صحب الامام الشافعي وأصبح من أبرع أصحابه ، ورافقه في رحلة الى مصر ، ولكنه مع فضلة ودينه يقال إنه كان في طبعه حدّة وفي خلقه بعض الشدّة ، اذا أسيء اليه ردّ الإساءة بأقسى منها ، واذا اعتذر له عن مساءة ما كان يلين لقبول المعذرة . والكمال لله سبحانه وحده ! روى البخاري عنه في صحيحه ثلاثة وثلاثين حديثا مباشرة ، وأربعين أخرى من طريق بعض شيوخه . (١٥)

أما مسند الحميدي فقد رواه عنه عدد من أصحابه ، والنسخة التي وصلتنا هي برواية بشير بن موسى الملقب بأبي عليّ المتوفى عام ٢٨٨ هـ (١٦) ، وقد طبعت في حيدر آباد عام ١٩٦٣ م بتحقيق العلامة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي الذي حقّق هذه النسخة ورقّم أحاديثها وخرّجها وفهرس لموضوعاتها ، وأكبر الاحتمال أن الحميديّ دوّن مسنده بعد وفاة شيخه الإمام الشافعي رضي الله عنه عام ٢٠٤ هـ وعودة الحميديّ الى مكة ، والأحاديث في مسنده أقل عدداً من أحاديث مسند الطيالسيّ غير أنها مختارة منتقاة ، اتفق معه في رواية أكثرها البخاريّ أو مسلم أو أحد أصحاب السنن الأربعة كما نرى في تخريج السيد المحقق وتعليقاته ، وبعضها مرويّ في هذه المجاميع الحديثيّة عن طريق الحميديّ نفسه أو عن شيخ الحميدي من طريق راو آخر ، ولقد كان البخاريّ نفسه وعدد من المحدثين المعروفين من أمثال محمد بن يحيى الذهلي وعبيد الله بن فضالة ويعقوب بن شيبة ممّن تلقى وروى عن الحميديّ .

وترتيب المسانيد المدوّنة فيّ مسند الحميديّ ترتيب منطقيّ زمنيّ ، فقد بدأ بأحاديث من روى لهم من العشرة (١٧) ، ثم اتبعها بأحاديث السابقين المهاجرين من أمثال ابن مسعود وأبي ذرّ وصهيب وبلال ، فأحاديث أمهات المؤمنين ، فسائر النساء ، ثم أحاديث الأنصار فأحاديث من تأخرّ إسلامه من قريش فأحاديث غيرهم ، وقد بلغ عدد أحاديثه بالمسند ألفا وثلاثمائة رواها الحميديّ عن مائة

---

(١٢) « تهذيب التهذيب » ص ٢١٥ .

(١٣) نفس المرجع .

(١٤) نفس المرجع .

(١٥) « تاريخ التراث العربي » لفؤاد سيزجين ، الجزء الاول ، ص ٢٨٢ .

(١٦) مقدمة مسند الحميدي للمحقق حبيب الرحمن الاعظمي ، ص ٨ و ٩ .

(١٧) لم يرو المسند لطلحة بن عبيد الله من بين العشرة رضي الله عنهم .

وثمانين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد اختار كلمة « أحاديث » عنوانا على مسند كل صحابي ، فيقول مثلا : « أحاديث أبي بكر » ، « أحاديث عمر بن الخطاب » وهكذا ، وقد لا يكون للصحابي في هذا المسند الا حديث واحد كحديث أبي عبيدة ، وقد يكون له حديثان كأبي مريع الأنصاري ، ولأبي بكر به سبعة أحاديث ولابن الخطاب خمسة وعشرون ، ولعثمان أربعة ، ولعلي ثلاثة وعشرون ، وللزبير أربعة ، ولعبد الرحمن بن عوف اثنان ، ولسعد بن أبي وقاص خمسة عشر ، ولسعيد بن زيد أربعة ، أما أحاديث المكثرين به فلعبد الله بن مسعود منها واحد وأربعون حديثا ، ولأنس بن مالك اثنان وأربعون ، ولعبد الله بن عباس أربعة وسبعون ، ولجابر بن عبد الله تسعة وسبعون ، ولعائشة مائة وسبعة وعشرون ، ولأبي هريرة مائتان وثمانية وأربعون حديثا .

ومسند الحميدي مقسم الى أحد عشر جزءا صدرت في مجلدين بالطبعة المشار اليها ، وتقسيم الكتاب الى هذا العدد من الأجزاء ، كما هو الحال في مسند الطيالسي غير موضوعي ، أي أنه لم يبن على أن موضوعا قد تم وانتهى فيتم الجزء بتمامه ويبدأ الجزء التالي بموضوع أو مسند جديد لصحابي آخر ، بل كان القصد تحديد حجم الجزء ليخف حمله ويسهل تناوله ، ولكننا مع ذلك نجد كل جزء منها يبدأ بسماع جديد فيما عدا الجزاين الثاني والخامس ، وإنك لترى أحاديث ابن مسعود بدأت بالجزء الأول وتمت في الجزء الثاني ، ووزعت أحاديث عائشة بين الثاني والثالث ، وأحاديث عمرو بن العاص بدأت في الخامس واكملت في السادس ، وأحاديث أبي هريرة بدأت في الجزء الثامن واستغرقت التاسع وتمت في العاشر ، ومسند جابر بن عبد الله بدأت في العاشر واستغرق الجزء الحادي عشر .

ويتميز مسند الحميدي عن مسند الطيالسي باضافات أكثر نوعا ما ، يزيدها الحميدي بعد رواية الحديث إما لمناقشةالاسناد أو لتوضيح كلمة أو تفسير عبارة، كما أنه في بعض المسانيد المطولة تراه يرتبها وان كان لم يعنون لها الا نادرا ، فتجد أحاديث الصلاة معا ، وأحاديث الصيام معا ، وأحاديث الحج معا ، ووضعت عناوين لبعض أحاديث أبي هريرة ، وهي : « باب الجنازة » و « باب البيوع » و « باب في الأقضية » و « باب الجهاد » ، وقد تكون اضافة هذه العناوين من عمل بعض الرواة أو الناسخين ، ويبدأ بشر بن موسى ، الراوي عن الحميدي ، كل حديث بقوله : «حدثنا الحميدي قال ، » كما استعمل في السند « **ثنا** » رمزا لقوله « **حدثنا** » ، و « **ثني** » اختصارا لكلمة « **حدثني** » .

وأحاديث مسند الحميدي كلها متصلة مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم الا ما ندر جدا ، ومما عثرت عليه منها « مرسلا » ما يلي :

٣٢٩ ـ « **حدثنا** الحميدي قال : **ثنا** سفيان قال : **ثنا** صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار (١٨) قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : هل علي جناح أن اكذب أهلي ؟ قال : « لا ، فلا يحب الله الكذب » ، قال : يا رسول الله : استصلحها واستطيب

---

(١٨) كان عطاء تابعيا ، مولى ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها ، توفي سنة ١٠٣ هـ ، ومع ذلك يرفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم .

نفسها ، قال : « لا جناح عليك » .

وممّا وُقف على الصحابىّ ما يلى :

١٢٩٥ — « حدثنا بشر بن موسى : ثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا زكريا عن الشعبى عن جابر بن عبد الله فى قوله عزّ وجلّ (سماعون للكذب) (١٩) يهود المدينة ، (سمّاعون لقوم آخرين) أهل فدك ، (لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أهل فدك (يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا) الرجم » .

وممّا قاله تابعىّ ما يلى :

١٣٠٠ — « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا صالح بن صالح قال : (وكان خيرا من أبيه) عن الشعبى(٢٠) قال : قالوا لرجل تعرف علينا قال : انما عريفكم الأهيس الأطلس المكدّ الملحس الذى اذا قيل له ها انتهش ، واذا قيل له هات حبس » .

ومما جاء مرفوعا وأبهم فيه اسم راو أدنى من الصحابى فهو لذلك منقطع ما يلى :

١٠٩٨ — « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا عمران بن ظبيان الحنفى عن رجل من بنى حذيفة قال : سمعنا أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن ينزل ابن مريم فيكم امام هدى وقاضى عدل ، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد » .

ولكنّ ورود أسانيد نادرة جدا غير تامة كهذه لا ينقص من أهمية هذا المسند وقيمته ، ومع ذلك قد يؤدى البحث الى العثور على أسانيد لها تامة ، فالحديث الاخير الذى سقناه أخرجه البخارىّ متصلا عن طريق صالح عن الزهرى كما أشار الى ذلك السيد المحقق .

ومما أتبعه الحميدى باضافة مفيدة نقتبس ما يلى :

١٣٣ — « حدثنا الحميدى قال : ثنا بشر بن عاصم بن سفيان عن أبيه عن أبى ذرّ قال : قلت : يا رسول الله سبق أهل الأموال الدثر بالأجر ، يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفلا أدلك على عمل اذا أنت قلته أدركت من قبلك وفتّ من بعدك الا من قال مثل قولك ؟ تسبّح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وتحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وتكبر أربعا وثلاثين » .

قال الحميدىّ : ثم قال سفيان : احداهن أربع وثلاثون ، وعند منامك مثل ذلك .

٣٢٨ — « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : أخبرونى عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن معيط قالت : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أفضل الصدقة على ذى الرحم والكاشح » قال سفيان : ولم أسمعه من الزهرىّ(٢١)

---

(١٩) سورة المائدة ، الآية ٤٢ .

(٢٠) هو عمر بن شراحيل الهمزانى الكوفى ، علامة التابعين ، توفى عام ١٠٣ ﻫ .

(٢١) وحيث رواه الزهرى عن حميد مع أنه لم يسمعه منه فالحديث منقطع .

قال أبو بكر (٢٢) : الكاشح العدو .

٣٧٨ ـ « **حدثنا** الحميدى قال : **ثنا** سفيان قال : **ثنا** الزهرى قال : أخبرنى عطاء بن يزيد الليثى عن أبى أيوب الانصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول ولا تستدبروها ، ولكن شرّقوا وغرّبوا » قال أبو أيوب : فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض بنيت قبل القبلة فننحرف ونستغفر الله عزّ وجل »
فقيل لسفيان : فان نافع بن عمر الحجبىّ لا يسنده ، فقال . ولكنى أحفظه وأسنده كما قلت لك ، ثم قال : ان المكيين انما أخذوا كتابا جاء به حميد الأعرج من الشام قد كتب عن الزهرى فوقع الى ابن جريج وكان المكيون يعرضون ذلك الكتاب على ابن شهاب . فأما نحن فانما كنا نسمع من فيه .

٤٧٦ ـ « **حدثنا** الحميدى قال : **ثنا** سفيان قال : **ثنا** أيوب السختيانى قال : سمعت عطاء بن رباح يقول : سمعت ابن عباس يقول : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى قبل الخطبة يوم العيد ، ثمّ خطب فرأى أنه لم يسمع النساء ، فأتاهن فوعظهن وذكرهن وأمرهنّ بالصدقة ومعه بلال قائلاً بثوبه هكذا » .
قال ابو بكر : كأنه يتلقى بثوبه ، فجعلت المرأة تلقى الخاتم والخُرص والشىء .

ونسوق الآن الاختيارات التالية من هذا المسند :

٢٢٣ ـ « **حدثنا** الحميدى قال : **ثنا** سفيان قال : **ثنا** هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لما دخل رسو لالله صلى الله عليه وسلم المدينة حمّ أصحابه ، فدخل النبى صلى الله عليه وسلم على أبى بكر يعوده فقال :
« كيف تجدك يا أبا بكر .. ؟ » فقال أبو بكر :

كل امرىء مصبح فى أهلـه والموت أدنى من شراك نعله

ودخل على عامر بن فهيرة فقال : كيف تجدك .. ؟ فقال :

وجدت طعم الموت قبل ذوقه ان الجبان حتفه من فوقه
كالثور يحمى جلده بروقه

قالت : ودخل على بلال فقال : كيف تجدك ؟ فقال :

الا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة بفخ (وربما قال سفيان بواد) وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنّة وهل يبدون لى شامة وطفيل !

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة ، وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثل ما دعاك لأهل مكة ، اللهم بارك لنا فى صاعنا وبارك لنا فى مدّنا وبارك لنا فى مدينتنا » .
قال سفيان : وارى فيه : « وفى فرقنا ، اللهم حبّبها الينا مثل ما حبّبت الينا مكة او أشدّ ، وصححها ، وانقل وباءها وحماها الى خمّ أو الى الحجفة » .

٢٩٧ ـ « **حدثنا** الحميدى قال : **ثنا** سفيان قال : **ثنا** هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبى سلمة عن أمها أم سلمة قالت : دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى مخنّث فسمعه يقول لعبد الله بن

---

(٢٢) هو الحميدى .

أمية : يا عبد الله ! أرأيت ان فتح الله عليكم الطائف غدا فعليكم بابنة غيلان ، فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يدخلن هؤلاء عليكم » .
قال سفيان : قال ابن جريج : اسمه هيت .

٥٢٥ ــ « **حدثنا** الحميدى قال : **ثنا** سفيان قال : سمعت عبد الكريم الجزرى قال : سمعت عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يحدث « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن ينفخ فى الاناء أو يتنفّس فيه » .

٦١٢ ــ « **حدثنا** الحميدى قال : **ثنا** سفيان قال : **ثنا** الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا استأذنت أحدكم امرأته الى المسجد فلا يمنعها » .
قال سفيان : يرون أنه بالليل .

٧٣٨ ــ « **حدثنا** الحميدى قال : **ثنا** سفيان قال : **ثنا** سهيل بن أبى صالح عن أيوب بن بشير عن سعد الاعشى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث اخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن وصبر عليهن واتقى الله فيهن دخل الجنة » .

٧٩٢ ــ « **حدثنا** الحميدى قال : **ثنا** سفيان قال : **ثنا** عبد الملك بن عمير قال : أخبرنى عبد الرحمن بن أبى بكرة قال : أملى علىّ أبى كتابا الى أخ لى كان عاملا : أن لا تقضى بين اثنين وأنت غضبان ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا ينبغى للحاكم أن يحكم بين اثنين وهو غضبان » .

١١٨٦ ــ « **حدثنا** الحميدى قال : **ثنا** سفيان قال : **ثنا** عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتبع الميت الى قبره ثلاثة : أهله وماله وعمله ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ، ويبقى عمله » .



كشف الشبهة

عن حكم

الإسلام في الاسترقاق

تلقيت عن طريق ادارة مجلة الوعى الاسلامى رسالة من الأخ محمد عبد الله القيسى من القطر العراقى الشقيق يتساءل فيها عن حكم اباحة الاسلام للمسلم أن يتصل برقيقته المملوكة له اتصال الزوج بزوجته بدون زواج سابق ، ويبدى بعض التشكك فى حكمة هذا الحكم ، وذلك فى معرض اطلاعه على مقالى المنشور فى العدد ــ ١٠٧ ــ من مجلة الوعى الاسلامى تحت عنوان (حكم الاسلام فى الاسترقاق) .

وانني اذ اتصدى للإجابة عن هذا السؤال بمايزيح من ذهن مرسله هذه الشبهة وامثالها مما قد يثور فى ذهن غيره ، أشكره على حسن تفهمه للمقال المذكور واستيعابه له والكتابة الى بما ثار فى ذهنه من اشكالات توقعتها سابقا وأنا أكتب هذا المقال وهو ما دفعنى الى الطلب فى الهامش الى الاخوة القراء بأن يكتبوا الى بما يثور فى أذهانهم من هذه الاشكالات للإجابة عنها وازاحة اللبس عن غوامضها ، فان الموضوع لم يزل بكرا رغم ان الكتاب المحدثين أكثروا فى الكتابة عنه ، وفيهم لفيف من الائمة الاعلام ، الا انه بكر رغم ذلك كله ، فان المنهج الذى انتهجوه فى بيان الموضوع يحتاج الى بعض التعديل لظهور بعض الثغرات فيه كما بينت فى المقال السابق .

والآن وأنا اجيب على سؤال الأخ العراقي المذكور لا بد لي من البحث في نقطتين ، النقطة الأولى تتعلق في كشف الشبهة وبيان أن هذا الاتصال الجنسي الذي اباحه الاسلام بين المسلم ورقيقته ليس فيه اي ازدراء بها ولا أي غض من كرامتها الانسانية .

والنقطة الثانية تتعلق ببيان الحكمة من هذه الاباحة ، وانها انما شرعت لمصلحة الرقيقة نفسها أولا ، وليس لمصلحة المالك .

النقطة الاولى :

عقد الزواج ما هو الا عقد شرعي ينتج عنه حل الصلة الجنسية بين الزوجين ، وعقد الاسترقاق (مبتدءا كان أو منقولا) ما هو الا عقد شرعي ايضا ينتج عنه حل المتعة ـ الجنسية بين المسلم ورقيقته الى جانب آثار أخرى تنتج عن هذا العقد تقتضيهما طبيعة الاسترقاق الذي اعتبرناه في مقالنا السابق الذكر (دورة اصلاحية) ولا فارق بين هذين العقدين الا من حيث ان الاول تحل به الصلة الجنسية قصدا والثاني تحل به هذه الصلة تبعا ، وهو فارق غير مؤثر ، ولا علاقة له بالكرامة الانسانية هنا ، وأما انه لا ينظر فيه الى رضى الرقيقة فهذا غير مؤثر ايضا ، وذلك ان الفتاة الحرة القاصرة البكر يزوجها وليها من غير اذنها عند جماهير الفقهاء ، وكذلك البكر البالغة عند جماعة منهم ، وليس في ذلك اي غضاضة أو مساس بكرامتها فكذلك الرقيقة هنا ، وبخاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار ان هذه الرقيقة موضوعة تحت اشراف سيدها ونظره مثلها مثل البنت الحرة تماما .

ومما يؤيد كلامنا هذا أن هنالك تشابها كبيرا بين أحكام كل من هذين العقدين (عقد الزواج وعقد الاسترقاق) فيما يتعلق منها بحل الصلة هذه ، من ذلك :

١) أن الصلة الجنسية لا تحل لو كانت الرقيقة زوجة لآخر غير مالكها ، كما لا تحل الزوجة لو كانت زوجة لآخر غير زوجها .

٢) أن هذه الصلة لا تحل ـ عند جمهور الفقهاء ـ لو كانت الرقيقة مجوسية أو مشركة ، مثلها في ذلك مثل الزوج تماما .

٣) أن هذه الصلة لا تحل لو كانت الرقيقة قريبة من مالكها قرابة محرمة للزواج بينهما كأن تكون اخته من الرضاع أو أمه من الرضاع ، مثلها في ذلك مثل الزوجة تماما .

٤) أن هذه الصلة لا تحل لو كانت الرقيقة مملوكة لاكثر من واحد ، وذلك خشية اختلاط الانساب مثلها في ذلك مثل الزوج تماما .

٥) أن هذه الصلة لا تحل اذا كان المالك متصلا جنسيا بقريبة للرقيقة لا يحل له الجمع بينها وبينها في الزواج ، مثلها في ذلك مثل الزوج تماما .

٦) أن نسب الاولاد الذين تنجبهم الرقيقة من مالكها يثبت من أبيهم وأمهم معا ، مثلها في ذلك مثل الزوج تماما .

من هذه النقاط وأمثالها مما يتوافق فيه حكم الزوجة وحكم الرقيقة نستطيع أن نعتبر أن الاتصال الجنسي بالرقيقة المملوكة نوع من انواع الزواج الشرعي لا يختلف عنه الا فيما تقتضيه

ظروف الاسترقاق الذىهو بمثابة (دورة اصلاحيه) ، وهى ظروف تتطلب ـ دون شك ـ بعض القيود على الحرية . وان زيارة واحدة لدور الاصلاح للجانحين فى أرقى الدول حضارة اليوم والتعرف على القيود القاسية التى تفرض على الجانحين فى سبيل اصلاحهم وتقويمهم وتربية نفوسهم لكافية فى نظرى لحل كل الاشكالات المتعلقة بموضوع الاسترقاق فى الاسلام ، وتوضيح الحكمة التى شرع الاسلام هذا النظام تحصيلا لها .

النقطة الثانية : الاسلام واقعى فى كل أحكامه ، يعالج الامور بنظرة فاحصة مستوفية لجميع الجزئيات ومادام الرق فى الاسلام دورة اصلاحية تهدف الى تربية هؤلاء الارقاء (الجانحين) ، فانه من غير المناسب أن يسمح لهمبممارسة حرياتهم العامة كالبيع والشراء والزواج وغير ذلك لأنهم بذلك سوف يتمكنون من الافلات من رقابة سيدهم عليهم وبذلك يتلاشى معنى الاصلاح وينقضى ونعود على أنفسنا بالنقض ، ولذلك فانه قضى بتوقف تصرفاتهم هذه علىاذن سيدهم ان أجازها نفذت وإلا بطلت . مثلهم فى ذلك مثل الصبى الحر المميز تصرفاته هذه تعتبر متوقفة على اذن وليه فى النفاذ .

وازاء هذا التقييد لحرية الرقيقة فى الزواج وأمام طوفان الغريزة الجنسية التى قد تثور لديها كان لا بد للاسلام من أن يجد حلا مناسبا لها يجمع بين التنفيس عنها وبين الغاية الاصلية التى شرع الرق لها وهى الاصلاح والتقويم ، فكان أن شرع الحلين الآتيين :

١) الإباحة للمسلم أن يتصل برقيقته التى هى تحت اشرافه بعقد امتلاك شرعى اتصالا جنسيا يلبى حاجتها الجنسية ويهدىء ثورتها العاطفية بموجب العقد الاول نفسه دونما حاجه الى عقد جديد وذلك يجعل حل الاتصال هذا اثرا من آثار العقد الاول .

٢) أو الإباحة له بان يزوجها من شاء من المسلمين الآخرين الذين يرى فى تزويجها منهم اصلاحا لحالها ، وذلك بعقد شرعى مثلها فى ذلك مثل الحرة تماما ، وانه اذا ما فعل ذلك فانه يتحتم عليه أن يمتنع عن الاتصال بها جنسيا ما دام ذلك العقد قائما حفظا للانساب .

وهنا ينبغى أن يتنبه الى أن الاباحة هذه انما كانت لمصلحة الرقيقة نفسها أصلا لما تقدم وليست لمصلحة المالك كما قد يظن ، وما يعرف فى التاريخ من أسواق للرقيق تتبادل فيها الجوارى ترويحا عن نفوس السادة ما هو الا أثر من آثار الفهم الخاطىء والتطبيق المغلوط لاحكام الاسلام وروحه وهو ما يجب نقده وتعديله ، لا اعتباره أساسا يبنى ويؤتى الاسلام منه .

هذا ولاباحة الاتصال الجنسى (على ذلك النحو المنظم) بين المسلم ورقيقته فوائد عظيمة تعود كلها على الأمة والمجتمع الاسلامى باسره بالخير الوفير ، من ذلك :

١) الترفيه عنها واسعاد قلبها وتلبية الحاجة الجنسية لديها .

٢) استيلادها وعدم تعطيلها عن

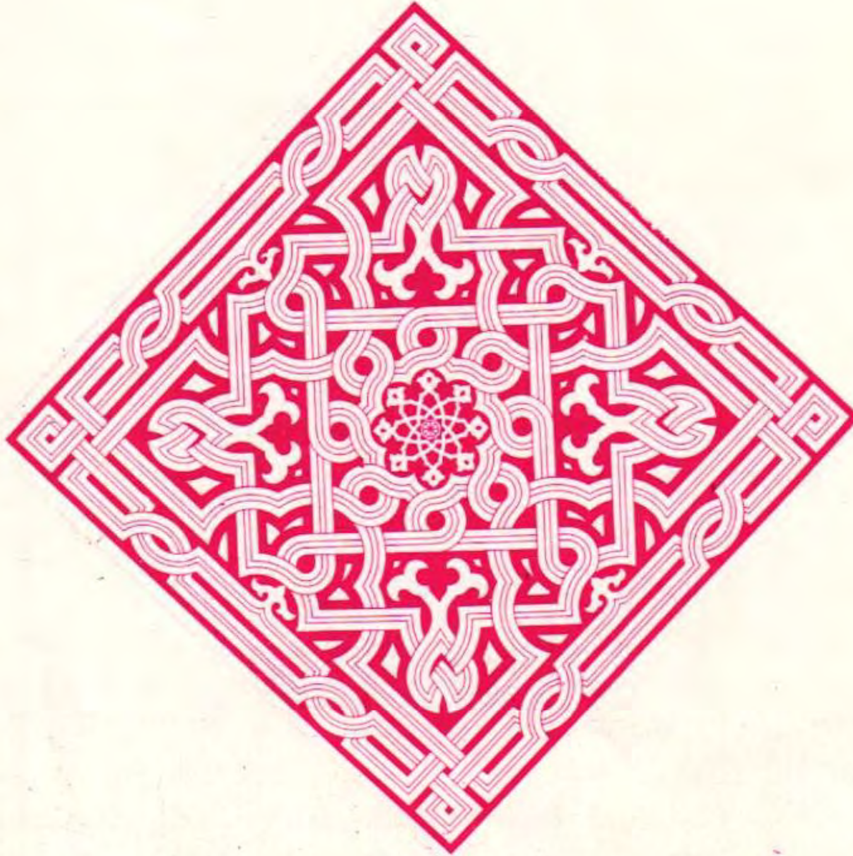
الانسال ، فان الاسلام يتطلع دائمـــا الى زيادة النسل ونحض عليه .

٣) ايجاد سبب لتحريرها ، فانها بذلك تصبح أم ولد وتتحرر بمجرد وفاة سيدها فتعود حرة كما كانت من قبل، والاستيلاد هذا طريق من أهم طرق التحرير المتعددة فى الاسلام كالتدبير والمكاتبة وغيرها .

هذا ملخص موجز للإجابة علـــى سؤال الأخ محمد عبد الله القيسى حول مادار فى ذهنه من اشكالات فى موضوع الاســـترقاق ، وأرجـــو أن تكون هذه الإجابة واضحة ومقنعـــة له ولأمثاله وموجهة لهم نحو الحلول الصحيحة فى كل ما يثور لديهم مـــن اسئلة حول هذا الموضوع بعد ذلك .

وأرجو أن يطمئن قلب الأخ المذكور وغيره من شبابنا أيضـــــا الـــى أن الاسلام لم يشرع لنا شيئا إلا وفيـــه مصلحة كبيرة غالبة سواء ادركنا ذلك او خفى علينا ، وانه ما حرم علينـــا شيئا إلا وفيه مضرة كبرى غالبة سواء ادركنا ذلك أو خفى علينا أيضـــا ، وما علينا إلا أن نتبين حكم الله فـــى المسالة من نصوص كتابه وسنة نبيه واجتهادات علمائنا الابرار ، ثـــم بعد ذلك نسلم بالحكمة فى كل ذلك سواء اظهرت لنا أو خفيت علينا .

والله الموفـــــق .



المخيلة

بقلم : الاستاذ سعيد زايد

تتصل المخيلة بعلم النفس عند الفارابى اتصالا وثيقا ويعرفها الفارابى بأنها القوة التى بها يحفظ الانسان ما رسم فى نفسه من المحسوسات بعد غيبتها عن مشاهدة الحواس ، وأنها القوة التى تقوم بخدمة القوة الناطقة .

وللمخيلة دور هام فى علم النفس عند المعلم الثانى ، إذ تنفذ الى نواحى الخصائص النفسية المختلفة ، فان لها صلة قوية بالميول والعواطف ، كما أن لها دخلا فى الأعمال العقلية والحركات الإرادية ، وتمد المخيلة القوى النزوعية بما يستثيرها ويوجهها الى غرض ما ، وتغذى الرغبة والشوق بما يؤججها ويدفعها الى السير فى الطريق الى النهاية ، والى جانب هذا تحتفظ المخيلة كما قلنا بالآثار الحسية ، وصور العلم الخارجى المنقولة الى الذهن عن طريق الحواس . وللمخيلة فوق قدرتها على الاحتفاظ بما يأتيها من صور ، قدرة على الابتكار ، وهو ما يسميه علم النفس الحديث بالخيال المبدع ، وهو الذى يستطيع بواسطته الإنسان أن يؤلف ويربط الأفكار والصور بطريقة جديدة مبتكرة ، بحيث يخلق شيئا جديدا لم يكن معهودا من قبل ، وتنتج عن ذلك الأحلام والرؤى .

وسنحاول مع الفارابى توضيح أثر المخيلة فى الأحلام ، إذ بتفسيرنا معه هذه الأحلام تفسيرا علميا سيكلوجيا نستطيع معه كذلك تفسير النبوة وآثارها . ذلك لأن الإلهامات النبوية – كما يقول الفارابى – قد تظهر فى صورة الرؤيا الصادقة أو فى صورة الوحى فى حالة اليقظة ، وقد بين الفارابى هاتين الصورتين فى فصلين متتالين فى كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » تحت عنوان « القول فى المنامات » و « القول فى الوحى ورؤية الملك » .

ففى حالة النوم تكون القوى التى تتصل بالمخيلة فى حالة سكون ، فتنفرد المخيلة بنفسها وتعود الى ما احتفظت به من الصور الحسية التى أوردتها عليها

عند أبي نصر الفارابي

القوة الحسية أثناء اليقظة ، ولما كان للمخيلة كما قلنا قدرة على الاختراع فانها تخلق من هذه الصور المحفوظة لديها صورا أخرى جديدة ، بأن تركب بعضها الى بعض وتفصل بعضها عن بعض . على أنها ــ بجانب قدرتها على الاختراع ــ لها قدرة عظيمة كذلك على المحاكاة والتقليد ، واستعداد كبير للانفعال والتأثير . فهى تحاكى القوة الحسية والنزوعية ، فيقوم الإنسان أثناء نومه بأعمال تصور خصائص هذه القوى من غضب أو شهوة أو ما شاكل ذلك . وباختصار فان أحوال النائم العضوية والنفسية وإحساساته ذات أثر واضح فى مخيلته ، وبالتالى فى تكوين أحلامه . فاختلاف هذه الأحلام يرجع الى العوامل المؤثرة فيها ، ومن هنا نحلم بالماء والسباحة فى الوقت الذى يكون فيه مزاجنا رطبا ، وعلى كلٍ فان الميول الكامنة والإحساسات السابقة أو المصاحبة لحلم ما ذات دخل عظيم فى تكوينه وتشكيله .

هذا هو رأى المعلم الثانى فى الأحلام ، ونحب قبل أن نتعرض للجانب الميتافيزيقى للمخيلة وهو اتصالها بالعقل الفعال ، أن نقف وقفة نقارن فيها بين رأى المعلم الثانى ، ورأى السيكلوجية الحديثة فيها ، وخشية من أن تطول وقفتنا سنختار نظرية مبرزة فى هذا الميدان وهى نظرية فرويد تتلخص نظرية فرويد فى أن الأحلام وسيلة للتفريج عن العواطف والشهوات المكبوتة ، فهى عبارة عن مجموعة من الميول والرغبات والآمال المنحطة وغير المنحطة تظهر عندما ينام العقل الواعى ، فيحلم الضعيف أنه قهر عدوه القوى ، ويحلم المتنعون عن الاختلاط الجنسى بالأحلام المتعلقة بالجنس ، وبالجملة يحلم الجوعان بسوق الخبز ، كما يقول المثل العامى . فأحلام الأشخاص العاديين هى أعظم منفذ للرغبات المضغوط عليها . ويقول فرويد إن جل هذه الرغبات إن لم يكن كلها يرجع الى غريزة المحافظة على النفس والغريزة الجنسية بخاصة . والعلامة فرويد يحصر نفسه بهذا التفسير فى دائرة ضيقة حين يقول : إن

الأحلام ما هى إلا رغبات لم نستطع تحقيقها اثناء اليقظة لقوة العقل الواعى وخوفه من مخالفة قوانين المجتمع ، فعندما ينام هذا العقل ينطلق العقل الباطن من عقاله يعمل كيفما يشاء . فهو بقوله هذا قد اتجه الى الماضى والى الماضى فقط .

اما الفارابى — وإن فهمنا من حديثه انه يقول بعقل باطن وعقل واع ، وأن العقل الباطن هو خزانة الذكريات أو الآثار الحسية — فاننا لا نجد عنده ما يقصر الأحلام على تحقيق رغبات مكبوتة ، زد على ذلك أن المعلم الثانى لم يتجه الي الماضى فقط فى تفسير الأحلام ، بل اتجه الى المستقبل ايضا ، والرؤى الصادقة عنده دليل على ذلك ، فيوسف الصديق عندما رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين ، تحققت رؤيته فى المستقبل فى أرض مصر . ولكنا نلاحظ أن الفارابى يقصر الرؤى الصادقة على الأنبياء ، ولم نلمس عنده قولا يدل على أن للأحلام علاقة بالمستقبل خارج هذه الدائرة ، كما نلمس ذلك فى بعض المذاهب السيكلوجية الحديثة المعارضة لفرويد .

بقى — كما قلنا — أن نتعرض للجانب الميتافيزيقى من الأحلام ، ويتلخص فيما يلى :

لما كانت القوة المتخيلة تحاكى القوة الحسية كما بينّا ، فهى تحاكى القوة الناطقة كذلك ، ولما كانت القوة الناطقة تستطيع أن تتصل بالعقل الفعال فيفيض إليها ما أفاضه الله إليه ، فان الشىء الذى ينال القوة الناطقة من العقل الفعال هو الشىء الذى منزلته الضياء من البصر قد يفيض منه على القوة المتخيلة ، فهنا يفعل العقل الفعال فى القوة المتخيلة ما يفعل فى القوة الناطقة من إعطاء الجزئيات والمعقولات فى صور الرؤيا الصادقة ومحاكاة الأشياء الإلهية .

هكذا فسر الفارابى الأحلام والرؤى الصادقة ، ولما كانت الأخيرة شعبة من شعب النبوة ، فقد وضح لنا الوحى والإلهام اثناء النوم .

وبقى أن ننظر فى النبوة اثناء اليقظة ، أو كيف يكون الوحى ورؤية الملك : يقول المعلم الثانى : إن المتخيلة إذا كانت فى إنسان قوية جدا ، بحيث تصل هذه القوة الى درجة لا تستنفذ معها كل المحسوسات الواردة عليها من الخارج كل أوقاتها ولا تستخدمها جميعها ، كذلك للقوة الناطقة التى تقوم هى بخدمتها ، بل بجانب اشتغالها إزاء هاتين القوتين الحسية والناطقة ، يبقى لها جانب كبير تفعل فيه هى الأخرى فعلها الذى يخصها .

ومعنى هذا انه يحدث للقوة المتخيلة القوية الكاملة فى فترات اليقظة ما يحدث لها أثناء النوم من تحللها وتحررها عن تلك الاعمال التى تقوم بها نحو القوة الحاسة والقوة الناطقة . وهذا يشابه علم النفس الحديث الذى يقرر بصدد أحلام اليقظة أنها عبارة عن شرود الإنسان عن الانتباه الى ما يحيط به وذهابه مع نفسه فى عالم من الخيال ، فيفقد صلته بالعالم الخارجى ، ويعيش بينه وبين نفسه ، فيصبح كالنائم ، وما هو كذلك ، بل هى حالة بين بين . ويتجه كل شخص فى أوهامه حسب ميوله ورغباته وظروفه ، فكل يغنى بليلاه ،

كما يقول المثل السائر ويصف علم النفس الحديث هذه الحالة بأنها حالة طبيعية ، اللهم إلا إذا زاد شرود الفكر الى درجة تؤدى الى الأرق وتعطيل الأعمال .

وعلى كل حال فان القوة المتخيلة إذا تحررت من القوة الحاسة والقوة الناطقة فانها تتصل بالعقل الفعال وتنعكس عليها منه صورة فى غاية الجمال والكمال .

ومعنى هذا أن الصور التى يعطيها العقل الفعال تتخيلها القوة المتخيلة حسب ما تحاكيها من المرئيات المحسوسة التى تحتفظ بها . وهنا تعــود تلك الصور المتخيلة الى الارتسام فى القــوة الحاسة ، وعندما ترتسم فى القــوة المشتركة تتأثر بها القوة الباصرة فترتسم تلك الصور فيها كذلك . وهذه الصور المرتسمة فى القوة الباصرة تنعكس فى الهواء المضىء الموصل للبصر المنحاز بشعاع البصر وترتسم فيه كذلك .

وهذه الصور المرتسمة فى الهواء الموصل للبصر تنعكس هى بدورها الى القوة الباصرة الى العين ، ثم تعكسها الى الحاسة المشتركة ، ومنها تعود أخيرا الى القوة المتخيلة . لأن كل هذه القوى متصل بعضها ببعض ، فكأن هناك دورا لهذا الانعكاس . وكانت مهمة هذا الدور هى إظهار ما يعطيه العقل الفعال لتلك القوة المتخيلة من صور حتى تصبح مرئية لدى ذلك الإنســـان الذى يملك قوة متخيلة قوية وكاملة جدا .

على أن مقدرة هذه القوة المتخيلة القوية الكاملة لا تنتهى عند هذا الحد ، بل فى استطاعتها كــذلك أن تتقبل من العقـــل الفعال الجـــزئيات الحاضرة والمستقبلة ، فتكون لها بذلك النبوة بالأشياء الإلهية . والى هذا أشـــار الفارابى بقوله : « ولا يمتنع أن يكون الإنسان اذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال ، فيقبل فى يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمســتقبلة أو محاكياتها من المحسوسات ، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة ، وسائر الموجودات الشريفـــة ويراها ، فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الإلهية » .

فعندما يصل الإنسان الى هذه الدرجة من القوة فى قوته المتخيـــلة وهى أكملها وأتمها يصل الى أكمل وأتم المراتب التى يتمنى الوصول إليها ، والأنبيـــاء وحدهم هم الذين لهم مثل هذه القوة فى مخيلتهم ، وهم الذين وصلوا الى هذه المرتبة العليـــا .

هذا هو تفسير المعلم الثانى للوحى والإلهام من الناحية السيكلوجيـــة ، وواضح أنه يتعارض مع كثير من النصوص الدينية الثابتة ، فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان ينزل على النبى فى صورة بعض الأعراب ، وأنه كانت تسمع له صلصلة كصلصلة الجرس ، الى غير ذلك من الآثار المتصلة بالوحى والإلهام وكيفية نزوله .

والظاهر أن الفارابى لم يكن الرجل الذى غابت عن ذهنه كل هذه الآثار ، ولكنه لم يكن ليغيب عن ذهنه كذلك أنه فى ذلك الوقت لم يكن أمام من آمن بكل ما ورد ونقل ، ولكن أمام من أنكر النبوة وهاجمها بعنف ، فهو والحالة هذه

مضطر الى تقوية خط دفاعه بالأدلة العقلية .

وثمة مسألة أخرى لا أحب أن أختم مقالى قبل أن أجلوها ، فلقد قال دى بور فى كتابه تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة ، ما يأتى : « والفارابى يذهب الى أن حكمة الفلاسفة وكذلك حكمة الأنبياء تفيض عن العقل الفعال ، وهو يذكر النبوة بين حين وآخر ويصورها بأنها أعلى مرتبة يبلغها الإنسان فى العلم والعمل ، ولكن هذا ليس رأيه الحقيقى، أو على الأقل ليس هو النتيجة المنطقية التى تلزم عن فلسفته النظرية ، فقول هذه الفلسفة إن كل أمور النبوة فى الرؤيا والكشف والوحى ونحوها تتصل بالخيال ، فهى فى المرتبة الوسطى بين الإحساس وبين المعرفة العقلية الخالصة، على أنه إذا كان الفارابى فى آرائه فى الأخلاق والسياسة ، يجعل للدين شأنا كبيرا فى التهذيب ، فهو يعده من حيث قيمته الأخيرة أوفى مرتبة من المعرفة العقلية الخالصة » .

هذا هو كلام دى بور . ولكنا نرى أن الفارابى لم يلحظ هذه التفرقة . ويتفق معنا فى هذا الرأى الدكتور إبراهيم مدكور فى رسالته الفرنسية للدكتوراه المعنونة بـ « مكانة الفارابى فى المدرسة الفلسفية الإسلامية » . فقد رأى أن المعرفة عند الفارابى تترتب قيمتها على منبعها لا على وسيلتها ، فالفيلسوف والنبى يأخذان المعرفة عن العقل الفعال ، زد على ذلك أن هناك قوة قدسية فوق قوة المخيلة يتصل بها النبى ، وهى على حد تعبير الفارابى فى كتابه فصوص الحكم : « قوة يذعن لها بالغريزة عالم الخلق الأكبر ، كما يذعن لروحك عالم الخلق الأصغر فيأتى النبى بمعجزات خارقة للعادات » .



مع القرآن

كتاب الكون :



لله المشرق والمغرب

للدكتور احمد الشرباصى

لا تزال الشـكوى مرة من جهل كثير من شبابنا بالدين ، وأعراضهم عن مائدة القرآن ، وبعدهم عن كتاب الله عز وجل ، وما زال هذا الجهل يخلف عواقبه السود بين هؤلاء ، ويسىء الى كرامة الاسلام بين أهله ، ويسىء الى سمعته بين الناس .

وهذا شاب مسـلم يقبل نحوى ضـائقا حانقا ، يقول : ان القرآن يتناقض مع نفسه ..

فعـاجلته بالسؤال : أهذا شىء أدركته بنفسك وبحثك ، أم شىء قيل لك ، أو دس عليك .. ؟

قال : بل شىء قيل لى ، ولكن ليس المهم أن يكون قد قيل لى او ادركته بنفسى . المهم أن التناقض موجود فى القرآن .. !

قلت له : وأين .. ؟

أجاب : ان القرآن يحدثنا مرة عن رب المشرق والمغرب ، ثم يحدثنـا

مرة أخرى عن رب المشرقين ورب المغربين .. فكيف نوفق بين هذا وذاك .. ؟

فقلت له ــ لأثير انتباهه أكثر ــ : ان القرآن الكريم لم يكتف بهذا ، بل حدثنا أيضا عن رب المشارق والمغارب ..

فقال الشاب مستغربا : لقد زادت المشكلة تعقدا . وزاد التناقض وضوحا ..

فأجبته : ليست المشكلة الا فى عقولنا الضيقة ، وليس التناقض الا فى فهمنا القاصر ، واليك البيان :

ان الله تبارك وتعالى يقول فى سورة البقرة : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ، ان الله واسع عليم » . ويقول فى سورة البقرة أيضا . « قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » . ويقول فى سورة المزمل : « رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا » .

والمشرق حيث تطلع الشمس وتضىء ، والمغرب حيث تختفى الشمس وتغيب . ومقتضى ربوبية الله للمشرق والمغرب أنه مالك لهما ولما بينهما من الموجودات ، وأنه المتصرف فيهما وفيما يحويانه من أشياء ، فهو اذن مالك الملك ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، فلا يجوز أن نمجد غيره ، ولا يصح أن نعبد سواه ، وهو فوق الجميع ، ومع الجميع ، وهو فى كل مكان ، وان لم يحوه مكان : « فأينما تولوا فثم وجه الله ، ان الله واسع عليم » .

ثم يقول كتاب الله الحكيم فى سورة الرحمن : « رب المشرقين ورب المغربين ، فبأى آلاء ربكما تكذبان » . ولا تناقض بين هذه الآية والآية السابقة ، فالآية الاولى تتحدث بأسلوب عام عن جهتى المشرق والمغرب اللتين يعبر بهما عما بينهما ، وهو يشمل الارض كلها .

وأما آية « المشرقين والمغربين » فتتحدث عن ملك الله الواسع بشىء من التفصيل . والمشرقان هما مشرق الشمس ومشرق القمر ، والمغربان هما مغرب الشمس ومغرب القمر ، أو المشرقان هما مشرق الشمس صيفا ، ومشرق الشمس شتاء ، والمغربان هما مغرب الشمس صيفا، ومغرب الشمس شتاء .

ومن الظاهر للعين أن المشرق والمغرب يختلفان فى الصيف والشتاء . وكأن هذا التفصيل لفت للأبصار والبصائر الى سعة ملك الله ، وانفساح مداه ، وتعدد مظاهره ورؤاه ، ولذلك جاء بعد آية المشرقين والمغربين قول الله جل علاه : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » .

ولقد تعرضت لهذا الموضوع فى مقام آخر ، ولم أكن اطلعت على ما كتبه الإمام ابن القيم فى كتابه الجليل (بدائع الفوائد) حول هذا الموضوع ، فهو يتعرض لمجىء بعض الالفاظ فى القرآن الكريم مجموعة أو مفردة ، مثل لفظتى (الشمال والشمائل) ، ثم يقول :

« ومن هذا المعنى مجىء المشرق والمغرب فى القرآن تارة مجموعين ، وتارة مثنيين ، وتارة مفردين ، لاختصاص كل محل بما يقتضيه من ذلك ، فالأول كقوله : « فلا أقسم برب المشارق والمغارب » ، والثانى كقوله : « رب المشرقين ورب المغربين فبأى آلاء ربكما تكذبان » ، والثالث كقوله : « رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا » .. فتأمل هذه الحكمة البالغة فى

تغاير هذه المواضع فى الإفراد والجمع والتثنية بحسب موادها ، يطلعك على عظمته القرآن وجلالته ، وأنه تنزيل من حكيم حميد ، فحيث جمعت كان المراد بها مشارق الشمس ومغاربها فى أيام السنة وهى متعددة ، وحيث أفردا كان المراد أفقى المشرق والمغرب ، وحيث ثنيا كان المراد مشرق صعودها وهبوطها ومغربيهما ، فانها تبتدىء صاعدة حتى تنتهى الى غاية أوجها وارتفاعها ، فهذا مشرق صعودها ، وينشأ منه فصلا الخريف والشتاء . فجعل مشرق صعودها بجملته مشرقا واحدا ، ومشرق هبوطها بجملته مشرقا واحدا ، ويقابلها مغرباها . فهذا وجه اختلاف هذه فى الإفراد والتثنية والجمع » .

ويمضى الإمام فى حديثه مشيرا الى أن العلماء لم يطرقوا باب هذا البحث ، ثم يعلل لمجىء كلمتى (المشرق والمغرب) مفردين بقوله :

« ثم تأمل ورودهما مفردين فى سورة المزمل لما تقدمهما ذكر الليل والنهار ، فأمر رسوله بقيام الليل ، ثم أخبره أن له فى النهار سبحا طويلا ..

فلما تقدم ذكر الليل وما أمر به فيه ، وذكر النهار ، وما يكون منه فيه ، عقب ذلك بذكر المشرق والمغرب اللذين هما مظهر الليل والنهار .

ثم يعلل الإمام لمجيئهما مثنيين بقوله : « لما كان مساق السورة (يعنى سورة الرحمن) مساق المثانى المزدوجات : فذكر أولا نوعى الايجاد ، وهما الخلق والتعظيم ، ثم ذكر سراجى العالم ومظهرى نوره ، وهما الشمس والقمر ، ثم ذكر نوعى النبات : ماقام منه على ساق ، وما انبسط منه على وجه الارض ، وهما النجم والشجر ، ثم ذكر نوعى السماء المرفوعة والأرض الموضوعة، وأخبر أنه رفع هذه ووضع هذه ، ووسط بينهما ذكر الميزان ، ثم ذكر العدل والظلم فى الميزان ، فأمر بالعدل ونهى عن الظلم ، ثم ذكر نوعى الخارج من الأرض ، وهما الحبوب والثمار ، ثم ذكر خلق نوعى المكلفين ، وهما نوع الانسان ونوع الجان ، ثم ذكر نوعى المشرقين ونوعى المغربين ، ثم ذكر بعد ذلك البحرين الملح والعذب .

فتأمل حسن تثنية المشرق والمغرب فى هذه السورة ، وجلالة ورودهما لذلك ، وقدر موضعهما اللفظ مفردا أو مجموعا ، تجد السمع ينبو ، ويشهد العقل بمنافرته للنظم » .



ثم يقول كتاب الله الحكيم فى سورة المعارج : « فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون ، على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين » . ويقول فى سورة الأعراف : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها » . ويقول فى سورة الصافات : « رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق » .

والمشارق والمغارب هنا معناها : المشارق والمغارب للكواكب العديدة والنجوم الكثيرة ، وفى طليعتها الشمس والقمر .

كما أنها قد تعنى المشارق

والمغارب المتوالية على بقاع الأرض، وهى تتوالى فى كل لحظة ، ففى كل لحظة أثناء دوران الارض حول نفسها أمام الشمس ، يطلع مشرق ويختفى مغرب .

والتعبير بكلمتى (المشارق والمغارب) — وهما جمع — يوحى بضخامة الوجود ، وعظمة الخالق لهذا الوجود ، ففى كل ناحية مشرق، وبعد كل مشرق مغرب ، والضوابط دقيقة ، والنظام محكم ، والسيطرة الإلهية شاملة ، « إنا كل شىء خلقناه بقدر » ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

ويروى أن المراد بالمشارق هو مشارق الشمس طوال السنة ، وللشمس — كما يقول المفسر البيضاوى — ثلاثمائة وستون مشرقا فى السنة ، تشرق كل يوم فى واحد منها ؛ وبحسبها تختلف المغارب ، فيكون هناك مغارب بعدد المشارق . والخبراء العلماء يقررون أن الله تبارك وتعالى هو خالق السموات السبع ، وما بينهما من مختلف الأجرام السماوية وكواكبها . وهو سبحانه القيم المهيمن كذلك على مواضع شروق الشمس وشروق سائر الكواكب والنجوم ، فهو الذى يظهرها كل يوم فى موضع من الأفق الشرقى ، يختلف عن الموضع الذى أظهرها منه فى اليوم السابق .

وذلك بما سنه فى النظام الشمسى من قوانين ، حيث تدور الارض حول محورها ، من الغرب الى الشرق كل يوم مرة ، وتجرى فى فلكها حول الشمس فى الوقت نفسه ، وكلما غيرت الارض موضعها فى رحلتها على القبة السماوية ، بدت مشرقة فى مواضع مختلفة .

وتستمر رحلة الشمس والقمر ، فتنبنى عليها حركة الليل والنهار ، ومن وراء تتابع الليل والنهار تجرى الحياة الواسعة ، وينشط الأحياء الذين لا يعلم الا الله اصنافهم وأعدادهم وطرائقهم، والى هذا اشار القرآن الحكيم ، فقال فى سورة يونس : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ، ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون » .

وتتسع الحركة فىالحياة الانسانية الهائلة ، ونتذكر — ان كنا من أهل الذكرى — هذه الدقة فى نظام الكون، وهذه الروعة فى تسييره وتدبيره ، فنتذكر قول الحق جل جلاله فى سورة يس : « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » .

وقد جاء فى (بدائع الفوائد) عن كلمتى المشارق والمغارب هذه العبارة : « ثم تأمل مجيئهما مجموعين فى سورة المعارج ، فى قوله : « فلا أقسم برب المشارق والمغارب ، إنا لقادرون ، على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين » .

وأيضا فان تأثير مشارق الشمس

ومغاربها فى اختلاف أحوال النبات والحيوان أمر مشهور ، وقد جعل الله تعالى ذلك بحكمته سببا لتبدل أجسام النبات وأحوال الحيوانات ، وانتقالها من حال الى غيره ، ويبدل الحر بالبرد ، والبرد بالحر ، والصيف بالشتاء ، والشتاء بالصيف ، الى سائر تبدل أحوال الحيوان والنبات والرياح والأمطار والثلوج ، وغير ذلك من التبدلات والتغيرات الواقعة فى العالم بسبب اختلاف مشارق الشمس ومغاربها ، كان ذلك تقدير العزيز العليم .

فكيف لا يقدر — مع ما يشهدونه من ذلك — على أن يبدل خيرا منهم ؟ واكد هذا المعنى بقوله : « وما نحن بمسبوقين » .

فلا يليق بهذا الموضع سوى لفظة الجمع ..

ثم تأمل كيف جاء تأيضا فى سورة الصافات مجموعة فى قوله : « رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق » . لما جاءت مع جملة المربوبات المتعددة ، وهى السموات والارض وما بينهما ، كان الأحسن مجيئها مجموعة ، لتنتظم مع ما تقدم من الجمع والتعدد .

ثم تأمل كيف اقتصر على المشارق دون المغارب ، لاقتضاء الحال لذلك ، فان المشارق مظهر الأنوار ، وأسباب انتشار الحيوان وحياته وتصرفه ومعاشه وانبساطه ، فهو انشاء مشهود ، فقدمه بين يدى الرد على منكرى البعث ، ثم قدر الموت وحالهم فيه ، وكان الاقتصار على ذكر المشارق ها هنا فى غاية المناسبة للغرض المطلوب ، والله أعلم » .



وكأن الحق جل جلاله يريد وهو اعلم بمراده — من تحديثنا عن المشرق والمغرب — افرادا وتثنية وجمعا — أن يوقد فى صدورنا شعلة الايمان بابداعه ، لكى نرتفع الى حماه ، ونستمسك بعبادته وهداه ، ونهذب أنفسنا لحسن الاستعداد ليوم لقاه : « والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .

وهكذا حدثنا القرآن الحكيم عن رب المشرق والمغرب ، ورب المشرقين والمغربين ، ورب المشارق والمغارب ، دون تناقض أو تعارض : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » ، فلنقبل على مائدة القرآن متدبرين ، لنزداد صلة برب المشرق والمغرب ، ورب المشرقين والمغربين ، ورب المشارق والمغارب ..

وعلى الله قصد السبيل .

قصة ..

عقبات في الطريق

للاستاذ محمد رشدى عبيد

(أبو يحيى) هو اللقب الذى أطلقه اهل بلاد ما وراء النهر على الشاب المؤمن والعالم الربانى الذى ذاع صيته وانتشر اسمه فى ارجاء تلك البلاد المتدة الرخية ، وكان هذا اللقب الأثير يشنف اسماعهم ، ويطرب قلوبهم ، ذلك لأنهم لم يطلقوه عليه اعتباطا او يتفضلوا به عليه منة وتبرعا كالألقاب العادية التى يمنحها الناس لأصدقائهم ومعارفهم ! بل انه كان يعنى وبالضبط تجرد صاحبه لاحياء موات القلوب ، وايقاظ غافية النفوس ، ورد التائهين الى رحاب الايمان حيث الحياة الحقيقية والسعادة الأبدية .

وكان (أبو يحيى) يملك مواهب رئيسية اهلته لتولى مهمة الدعوة الى الله ، وارشاد الخلق الى جادة الحق .

أولها : اخلاص عميق لله ملك عليه جميع مشاعره واحساساته ، وركز فى دائرة رضا خالقه سائر مواقفه وتصرفاته .

وثانيها : نصيب عظيم من ميراث النبوة ، تلك التركة الضخمة التى ورثها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من النور والهدى والعلم النافع .

وثالثها : معين لا ينضب من عاطفة مشبوبة متوقدة كانت تمده بطاقة هائلة

وحيوية دافقة وحماس كبير لمتـــابعة عمليـــة التغيير النفسي والاحيـــاء الروحي الذي ندب نفسه لها .. لهذا فقد شهد له احد معارفه بأنه كان : « يفيض حيوية ، تموج في نفســه الانفعالات الحبيسة ، لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال ، ولا يتنعم براحة أو متاع ما دام مجتمعه يزخر بمبادئ تناقض عقيدته، وقيم ونظم وتصورات تخالف اتجاهاته وقيمه التي استمدها من (القرآن) كتاب الله الخـــالد ، الذي يهدي للتي هي اقوم ، ذلك الكتاب الذي جعله إســـتاذه في مدرسة العقيدة والخلق ، كما اتخذه رائده في سلوكه ، ومعينه الثر في ارواء ظمأ روحه ، اضافة الى كونه : سميره في خلوته ، وانيســـه في وحشته ، ومجليا لأحزانه ، ومروحا عن روحه » .. !

ويصفه احد شيوخه بانه كان : « مثال المؤمن الصادق ، تساقطت عن قلبه زخارف الدنيـــا ، وتبخرت منه الأهواء والعواطف والاهتمامات الصغيرة ، سلس القيـــاد للهدى ، سهل الانقياد لدواعي الخير ، صعب الاستجابة لدواعي الســـقوط في جواذب الأرض ومغرياتها ، صـــامد أمام العقبات والمعوقات التي تعترض خط سير المصلحين الربانيين » .

وكان لأبي يحيى خليل صـــالح يرافقه في دعوته وجهاده ، وفراغه وشغله ، وليله ونهاره ، لا يفارقه الا لحاجة ماسة ، يذكره اذا نسي ، ويعينه اذا ذكر ، ويقويه اذا ضعف ، وينشطه اذا اصابه الاعياء والتعب ، ويسري عنـــه ما يلقاه من العنت والاعراض في دربه الميمون .. انه الشاب الصالح (مشكور) الذي حط الرحال عند (أبي يحيى) واجدا فيه العالم القدوة الذي يشغل الاسلام قلبه وعقـــله ، ويتمثل القرآن في خلقه وسيرته ، ويفوح عبير الاخلاص من مواقفه ، فعض بالنواجذ عليه بعد سفر شاق ورحلة مضـــنية في طلب رائد مخلص ، والتماس داعية مجاهد .. !

وبالرغم من استقامة (أبي يحيى) على مقتضيات ايمـــانه ، والتزامه الدقيق بجزئيـــاته ومفرداته وبذله السخي لما تتطلبه مهمته من مال ، ووقت ، وجهد ، الا انه لا يزال يذكر نفسه بين الحين والآخر بقول شيخه (البانی) رحمه الله ، ذلك القول الذي يرن جرسه العـــذب في اذنه وتتجاوب اصداؤه في رحاب قلبـــه المرتعش كلما ذكره أو تذكره ..

ها هو (أبو يحيى) في جلسة من جلسات المحاسبة النفسية ، معتدل في جلسته ، تومض عينـــاه ببريق غريب .. يحدق في منظر من عالم الغيب .. يسمع نفسه انذار شيخه من جديد لتتعظ وتســـتقيم ، ذلك

الانذار الذى يتجاوز المكان والزمان والفواصل المادية ليمس شــغاف قلبه : « يا بنى ! عقبتان تعترضان سير الداعى الى الله ، وقد تمنعانه من اداء رسالته فان اجتازهما فقد نال الدرجات العلى ، وان لم يراقب نفسه ويجاهدها عند عبوره بهما ، زلت به القدم ، وانقطع سيره الى الآخرة حيث يرضى بالدون فى العرض والزهيد فى المتــــاع ، وينحط من مستواه السامى ، ويشوب صفـــو تجرده الكدر ، فيســـبقه الركب المبارك ، وقد تنال ايمـــانه خدوش عميقة تؤثر على مستقبله ومصيره يوم الدين . انهما فتنتان : المـــال والمرأة ! » .

ويدخل ابو يحيى فى حساب مع نفسه يعاتبها فتستعتب ، ويلومهـــا فتعتذر ، ويحاسبها فتتقدم الحساب بدون وجل او تردد : **« يا ابا يحيى ، الست طوع أمرك ورهن اشارتك ، تدعونى الى الخير فاســـتجيب ، وتكفنى عن الشر فامتنع ، أم لعلك تبغى معرفة درجة ثباتك امام فتنة المال الوفير الذى رزقك الله ! اطمئن فان الدنيا لم تنل منك شيئا ، ألست تساهم بمالك فى مختلف مشــــاريـــع الخير التى تعود على المســـلمين بالنفع ؟ الست تزود المجاهدين فى سبيل الله بحصـــة ثابتة من دخلك لتمكينهم من دحر عدوهم ، واسترداد ديارهم ، واعلاء شرف أمتهم .. ؟ وهؤلاء اخوانك فى الله، تستضيفهم، وتقضى حوائجهم ، وتفرج كروبهم ! أما البائسون فقد نال كثير منهـــم حظـــا وافرا من مالك حيث عادت البهجة الى نفوسهم الكئيبة ، وشاع الرضى فى قلوبهم الحزينة ! أتذكر تلك السعادة النفسية الغامرة التى شعرت بها ، والفرح الشفيف الذى احسست به ، حين أســـعفت تلك الارملة المنكوبة وأيتامها الصـــغار بما يقيم أودهم ويستر خلتهم ويفرج كربتهم ؟ أتذكر مشهد تفتح زهــرات وجوههم الذابلة وانتعاشها وتمايلها طربا وسرورا ؟ أستحضر فى ذهنك بعض الوقائع والمشاهد والصـــور الحية المضيئة من سيرتك الحـــافلة بالخير لترى أنك على الدرب سائر ، وان المال لم يطغك ، وان الامـــور تجرى فى مجاريها ! »** .

تمتم أبو يحيى : الحمد لله ، لقد اجتزت العقبة الاولى ، وبصـــوت يعبر عن العزم الثابت والتصـــميم الراسخ قال : لأغذ السير اذن ، لأسارع الى الجنة التى قد تزينت وتجملت للقاء عباد الله الصالحين ، لأبذل المهر الســـخى لها فهى والله تستحق كل بذل وتضحية .. وفجأة يقفز الى ذهنه خاطر خير يخاطبه : **« يا ابا يحيى ، انا لك رحما فى بلدة (كذا) فى ولاية الجبـــال وانك قد قطعت حبال وصلهم منذ امد بعيد ، الم تسمع قوله صـــلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبـــارك وتعالى : « الرحم صلتى من وصله وصلته ، ومن قطعه قطعتـــه ؟! »**
ويفكر ابو يحيى ثم يتساءل باشفاق ووجل : « كيف تنقطع صلتى بالله عز وجل ؟ انا الذى قضيت شبابى فى طاعته ، انا الذى ادعو صـــباح مساء الى حبه ، وابين للناس طريق مرضاته ، ثم اردف : « لا ، هذا لن يكون ، سأسد هذه الفجـــوة فى علاقتى بربى ، ساحسن صلتى به ، وهل لى من غاية سواه ؟! » .

بكر (أبو يحيى) الى صـــلاة الصبح فى المسجد القريب من بيته فى اليوم التالى ، ولما فرغ من أداء صلاة كلها خشوع وانابة واخبات ، تلا شـــيئا من كلام الله عز وجل

بصوته العذب الجميل شعر اثر ذلك بنشــــوة غريبة واطمئنـــــــان نفسى مفاجىء ، فنهض خفيفا وتناول طعام الفطور فى البيت واخبر اهله ورفيقه ومريديه بأنه عازم على السفر الى ولاية الجبال فودعوه جميعا الا رفيقه المخلص (مشكور) الذى اصر على مصاحبته فى ســـــفره لأنه لم يكن يصبر على فراقه لحظة ، وبعد فترة قصـــــيرة كنت ترى (أبا يحيى) وصديقه (مشكور) واقفين فى مقر القوافل العامة ، يحمل كل منهمـــــا حقيبة سفره ، بانتظار القافلة التى تنقلهم الى (ولاية الجبال) .

تهيأت القافلة للسفر الشـــــاق البعيد ، واخذ كل من المســـافرين مركبهما على دابتين من الدواب ، وطفقا يقرءان دعاء السفر بايمـــــان وثقة .. وغذت القافلة فى سيرها الحثيث تنزل فى المحطـــــات المعدة لنزول القوافل فتأخذ قســـــطا من الراحة ثم تتزود بالطعـــام والمـــــاء وتعلف الدواب وتبدأ السيـــر مـــن جديد .. الى أن وصلت الى محطتها الاخيرة حيث مبتغى صاحبنا ومراده فحطت الرحال والقت عصـــا التسيار وسار كل شخص لشأنه ، اما (أبو يحيى) فلغربته فى البلدة سال احد الصبيان الـــذين تجمهـــروا فى محط القوافل للتفرج على المسافرين بدافع من حب الاستطلاع ، ساله عن موقع دار عمه (أبى ليث) فلبث الصبى هنيهة يفكر ثم التمعت عيناه بغتـــة وقال بسرور : انا ادلك عليه يا عم ، اتبعنى .. فدله عليه شـــاعرا بلذة كبيرة لتمكنه من تقديم معونة لأحد الغرباء ! فشكره الاثنان فودعهمـــا وانصرف .

تقدم (ابو يحيى) الى باب الدار وطرقه طرقات خفيفة ، ثــم وقــف الى اليمين منتظرا الجواب ، فتـــح الباب فظهر فيه عمه الشيخ الوقور (أبو ليث) وعندما وقعت عيناه على ابن اخيه هش فى وجهه وبش واظهر سرورا عظيما ثم تقدم منه فصافحه وعانقه ثم عرفه (أبو يحيى) بصديقه فصافحه ايضا ورحب به اجمـــــل ترحيب ودخلوا الدار جميعـــا حيث لقوا من أهلها كل اكرام واحتفـــــاء وحسن ضيافة مما انســـــاهم وعثاء السفر ومتاعب الطريق الطويل .. !

مكث (أبو يحيى) عند ذوى قرباه ما شاء الله له ليقضى الله فيه أمرا كان مفعولا ، لم يكن يعلم ما يخبئه له الغيب المكنون من الاصطدام العنيف بالعقبة الثانية والارتطام بجدارها القاسى .. ! لم يكن يتوقع ابدا انه سيخوض غمار حرب نفسية مستعرة الاوار بين عقيدته وهواه .. ! لم يدر بخلده قط أن نظرة واحدة الى مدخل الدار الذى يواجه دار عمه ستجره الى متاهة روحية قاتمة ، وتعرضه الى ضائقة نفسية خانقة ، لو علم ذلك ، لو استشف شيئا من قدره المجهول لما رفع بصره الى باب ذلك البيت ولما رأى تلك الفتاة التى سلبت لبه ولولا جهالته لما بدرت منه تلك النظرة النشاز الى منظر حرمه الله .

تذكر (أبو يحيى) قوله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم » فخفض من نظره وصوبه الى الارض ، لكن هاتفـــا ما ومن اعماق قلبه الح عليه أن يتملى جمال تلك الفتاة ويرتوى من حسنها لقد قال له : نظرة ثانية تطلعك على سر فتنتها الآسرة ولغز جاذبيتهـــا المحيرة ، انها فرصة ســـــانحة فلا تفلتها .. !
وبينما هو يجاهد ذلك الهـــاتف

عقبتان في الطريق ..

ويصارعه ويستعين عليه بمدد من وصية المربى الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم « لا تتبع النظرة النظرة فان النظرة الاولى لك وليست لك الثانية » ، اذا بعينيه يخونان الأمانة ويتفقان على اختلاس نظرة ثانية كانت كأنها لقطة بارعة لآلة تصوير حديثة حيث طبعت صورتها فى مخيلته مجسمة ملونة .. ! ثم قامت مشاعره بتكبير تلك الصورة حتى غطت مساحة كبيرة من تفكيره .. ورآها إبليس مناسبة طالما تمناها فشمر عن ساعديه ودخل المعركة غير المقدسة بكل فكره ودهائه وفنون أضلاله ، فقام بدور المرتش الذى رتش الصورة وزينها وزخرفها واطرها حتى بدت لصاحبنا الأسير نسخة مطابقة الأصل للقمر المنير وطبعة جديدة منقحة للمرأة تلوفى فيها كل نقائص الطباعة فغدت أجمل من أن تنتقد ، وأجمل من أن تعاب .. !!

وكانت أيام عاش فيها صاحبنا موزع الفكر ، مبلبل الخاطر ، فؤاده خال الا من حبها ، واهتماماته دائرة حول رؤيتها ، لقد توحل بأطيان الهاوية ، وبدأ وجهه يفقد سيماه النورانى وتعلوه مسحة من دخان الاثم ، كما أن قلبه الخاشع اخذ يقسو ويفقد رونقه وصفاءه ورقته ، ولم يبق من منهجه الروحى اليومى سوى خمس صلوات ينقرها نقر الديك ولا تحقق آثارها التربوية والنفسية والروحية .. !

شىء واحد كان يمنع (أبا يحيى) ويصده عن إخبار رفيقه وأقاربه بحقيقة موقفه ، ودلالتهم على خبيئة نفسه ، شىء واحد لولاه لأوضح لهم مراده ، وكشف لهم عن غايته ، وحينذاك كان من المتوقع أن يتم كل شىء على ما يحبه ويرضاه حيث يتقدم عمه لخطبة (دلال) وطلب يدها من والدها الذى تربطه بعمه أوثق صلات الجيرة والصداقة بحيث لا يعتقد انه سوف يرفض طلبه .. انه شىء واحد لكنه لا يستطيع تجاهله والاغضاء من اهميته لأنه يتعلق بعقيدته وقيمه ومبادئه فهو منذ تعلق واتصل بالسماء بسبب ، قد ذاق حلاوة الايمان ، وشعر باستعلائه على موازين الأرض وقيمها ومقاييسها ، منذ ذلك يأبى أن ينحدر الى المتردى السحيق الذى انحدر اليه الماديون الملتصقون بالتراب فكرا وخلقا وسلوكا ، و (دلال) كما علم فتاة من اهل هذا العصر تلبس ما تريد أو يراد لها ، وتتصرف كما تشاء أو كما يخطط لها، وتؤمن بأفكار ومبادىء مستوردة عن طريق البر أو البحر أو الجو ، لا تحقق انسانيتها ، ولا تلائم فطرتها ، ولا تناسب أنوثتها ، ولا تراعى امكاناتها ، انها فتاة متحررة من الفضيلة ، ثائرة على الفطرة ، لهذا فهو لا يتصور إمكان انسجامه معها الا اذا تنازل عن مبادئه ، وأعفى نفسه من الانتساب الى أهل الايمان .. وهذا لن يكون باذن الله .. !

وبلغت المحنة اشدها وضاقت على صاحبنا نفسه كما عجز عن الدفاع عن قلبه الأسير أمام الوازع الايمانى الذى يحامى عن عقيدته من أن تضعف أو تتلاشى فتسلل لواذا

الى رفيقه الأمين يبوح له بالسر ويطلعه على حقيقة الأمر الذى أشغله وأغفله ويشكو اليه ما أصابه من الضر بسببه ، وكان (مشكور) يلاحظ بدقة التغير المفاجىء الذى ينتاب قدوته ورائده ، ويستغرب اهماله لأذكاره وأوراده ، وحبه للخلوة ، وشرود ذهنه ، وكثرة صمته كأنه يفكر فى أمر شائك أو يعاني مشكلة عويصة أو ينتظر أزمة قريبة ، ولكنه كان يكتم استغرابه ويخفى قلقه احتراما لاستاذه حتى تلك اللحظة التى اخبره فيها هو بنفسه وحينذاك شمر الخليل الناصح عن ساعد الجد فسأل أستاذه عن كل ما يتعلق بالقضية من قريب أو بعيد ثم أخذ يحلل عناصرها فى فكره الثاقب ووعيه المؤمن الى أن وصل الى هذا الجواب الشافى فبدأ يذكره لاستاذه بلهجة تعبر عن تقديره العميق له ، واشفاقه الشديد عليه قال : « أنت تعلم يا أستاذى بأن الزواج سنة من سنن بقاء الحياة الانسانية ، وهى ان كانت ضرورة فى العصور المتقدمة، فان ضرورتها فى هذا العصر قد غدت احتم والزم فقد تعددت فنون الاغراء، ووسائل الاثارة والاغواء ، ويصعب على الشاب المؤمن أن يصمد أمام التيار الجارف الذى يهدد ايمانه فى كل لحظة ، وفى كل مناسبة ، وفى كل مكان ، وأنت صاحب دين وتقوى وخلق لا تفرط بايمانك ، ولا تتنازل عن مبادئك ، فالزواج لك ولامثالك ، شىء لا بد منه ، ولكن ليست كل فتاة تصلح أن تكون زوجة لك ، وأما لاولادك ، وسكنا لنفسك ، انها الفتاة الصالحة التى ترعرت فى بيت مؤمن ، وتكونت شخصيتها الفكرية والخلقية والعاطفية فى بيئة اسلامية صحيحة ، انها الفتاة التى تؤمن بعقيدتك وتقدر اتجاهك لتعينك فى مسيرك ، وتحثك على الالتزام بمبادئك ، وتخفف عنك أعباء جهادك ودعوتك ، أما (دلال) فيؤسفنى أن اقول حسب وصفك أنها من (خضراء الدمن !) وأنت أعلم منى بتعريف رسول الله صلى الله عليه وسلم لخضراء الدمن ، ثم علا صوته واشتدت نبرته وقال بلهجة منذرة : « يا أبا يحيى اسمع جيدا .. افتح قلبك وتدبر : لا تنكص على عقبيك ، ولا تنقض عزمك انكاثا ، اياك أن تهدم صرح التقوى الذى بنيته بعصارة جهودك ، وزهرة شبابك ، شأنك أن تنظر الى مستقبلك الحقيقى فى الدار الآخرة وأن تختار المراة التى تقضى معك دنياك فى ظل اخلاق القرآن الكريمة ، ثم ترافقك الى جنات الخلد حيث السعادة الأبدية « هم وازواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون » واذا ما صممت على الزواج فضع القاعدة النبوية الخالدة نصب عينيك فى اختيار شريكة حياتك « فاختر ذات الدين » . ثم سكت وهو يستشف من عينى أستاذه تأثير كلامه فى قلبه فيتملكه شعور غريب بالسعادة حيث استطاع ان يأخذ بحجزه عن اقتحام النار ..

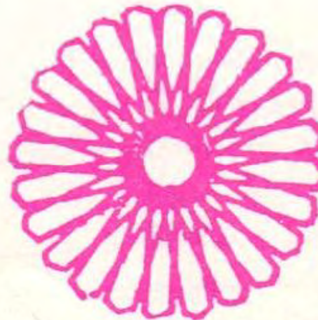
صمت أبو يحيى ولكن كانت هناك تحولات تجرى فى باطنه وانجازات ضخمة تتم فى ضميره فقد انسرب النور الى قلبه واخذ يطرد جنود الظلام ، ويزيل كثافة الاعراض ، وينفض غبار الاثم ، فيستيقظ من رقدته البائسة ، ويتقدم نحو شرنقة السيقان الزاهية التى نسجها حول

عقبتان في الطريق..

مشاعره وتصوراته فيمزقها شر ممزق ، ويستعيد لباس التقوى فيكتسى به من جديد ليوارى سوءات فكره ومزالق نفسه ويعزم فى نفسه أمرا .. !

وفى صباح اليوم التالى تناول الجميع طعام الفطور فأبدى (أبو يحيى) لعمه وأبناء عمومته رغبته فى الرجوع الى بلده شاكرا لهم حسن الضيافة وكرم النفس وسمو المعاملة فلما فرغوا من تناول الطعام قام (أبو يحيى) وصاحبه (مشكور) يحزمان حقيبتيهما ، ثم ودعا من قبل أهل الدار بنفس الحفاوة والتكريم اللتين استقبلا به وبنشوة القائد الظافر الذى نجا من آخر كمين للعدو بخطة حربية مبتكرة ، عاد المجاهد الى بلده وعلى شفتيه ابتسامة حلوة تعبر عن فرحة قلبه واطمئنان نفسه ، وطول الطريق لم يكف لسانه عن الشكر لله على أن مد له حبال وصله من جديد بعد أن ذاق مرارة البعد عنه ، وبين الحين والآخر يلتفت الى صاحبه الناصح (مشكور) ومن أعماق قلبه يقول له : سوف لا أنسى فضلك ما عشت ، فقد جعلك الله تعالى قارب نجاتى وسبب انابتى ، لقد زادت مكانتك فى نفسى علوا ورفعة ، انك أنت الخليل الصالح الذى ذكرتنى حين نسيت ، واقلتنى حين عثرت فشكرا لك .. !

وعندما وصلا الى مشارف البلدة رأيا من بعيد الجموع المحتشدة التى تنتظر كل مساء عودة عالمهم ورائدهم بشوق شديد ولهفة حرى ، وعاد القائد الى الميدان من جديد يسدد خطى مريديه ، ويزكى أرواحهم وينير بصائرهم كما أخذ يفكر فى الزواج بأسلوب صحيح .. أما الشيطان فقد ولى وجهه هاربا لا يلوى على شيء ، وهو يردد بصوت عم أرجاء البلدة ولم يسمعه الا الأبالسة : يا للأسف ، يا للحسرة ، يا للفشل الذريع ! معشر الأبالسة لا تكرروا تجربتى الفاشلة، لا تحاولوا اغواء شاب مؤمن قبل أن تفرقوا بينه وبين خليله الصالح ، ركزوا جهودكم فى تمزيق أواصر الحب والاخوة فى الله بين المؤمنين ، وان لم تسمعوا نصيحتى فسحقا لكم ، سحقا ، أما أنا فلن اعيد محاولتى الخاسرة مرة أخرى .. !



الفتاوى

حكم الحج عن الميت

الســؤال :

اذا توفى أحد قبل أن يؤدى فريضة الحج مع وجوبها عليه فهل يجوز شرعا أن يحج غيره عنه بمال يدفعه اليه الوارث أو غيره تبرعا منه وهل يسقط الفرض عن المتوفى بذلك ؟

الجــواب :

يجوز الحج عن الميت الذى لم يؤد فريضة الحج مع استطاعة السبيل اليه سواء أكان المؤدى وارثا أم غير وارث . لما روى عن ابن عباس أن امى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال : نعم حجى عنها أرايت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته اقضوا الله فالله أحق بالوفاء (رواه البخارى والنسائى بمعناه) وفى رواية أخرى : (جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان أختى نذرت أن تحج الى آخره) وفى قوله عليه الصلاة والسلام (نعم) دليل على اجزاء الحج عن الميت من الولد وكذلك من غيره فيما وجب عليه بنذر أو غيره بدليل قوله عليه الصلاة والسلام (اقضوا الله فالله أحق بالوفاء) . وعن ابن عباس قال : اتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال : ان أبى مات وعليه حجة الاسلام أفأحج عنه ؟ قال : أرايت لو أن أباك ترك دينا عليه أقضيته عنه ؟ قال : نعم ، قال فأحجج عن أبيك) رواه الدارقطنى . وفيه دليل على انه يجوز للابن أن يحج عن أبيه حجة الاسلام بعد موته وان لم يقع منه وصية ولا نذر — ويدل على جواز الحج من غير الولد حديث شبرمة ، وهو ما روى عن ابن عباس (أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة ، فقال : من شبرمة ؟ قال : أخ لى أو قريب لى قال : حججت عن نفسك ؟ قال لا قال : حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة) (رواه أبوداود وابن ماجة) . وفى شرح مسلم للنووى ان جواز الحج عن الميت مذهب جمهور الائمة سواء أكان الحج عن حج مفروض أم عن حج منذور ، سواء أوصى به الميت أم لا .

استلام الحجر الأسود

السـؤال :

سمعت أحد الخطباء يروى حديثا هذا لفظه : (الحجر الأسود يمين الله عز وجل ، يصافح به خلقه كما يصافح الرجل أخاه) . فهل هذا ثابت عن الرسـول صلى الله عليه وسلم ؟

الجـواب :

لم يصح هذا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وردت فـى فضل الحجر الأسود أحاديث وعن عمـر رضى الله عنه كما فى صحيـح البخارى (انى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول صلى الله عليـه وسلم يقبلك ما قبلتك) .

وقد روى النسائى ما يشعر بأن عمر رفع قوله هذا الى رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج من طريق طاوس عن ابن عباس قال : (رأيت عمر قبل الحجر ثلاثا ثم قال : انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول اللـه صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك . ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك) قال الطبرى : وانما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام . فخشى عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب التعظيم لبعض الأحجار ، كما كانت العرب تفعل فى الجاهلية ، فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا لأن الحجر ينفـع ويضر بذاته ، كما كانت الجاهلية تعتقده فى الأوثان .

وقال المهلب : حديث عمر هذا يرد على من قـال ان الحجر يمين اللـه فى الأرض يصافح بها عباده ، ومعاذ الله أن يكون لله جارحة . هذا صريح فى أنـه ليس بحديث ، وانما هو قول لبعض الناس مردود بمـا ذكر . وقـال الخطابى تصحيحا لمعناه فقط : معنى أنه يمين الله فى الأرض ، أن من صافحه فى الأرض كان له عند الله عهد .

وجرت العادة بأن العهد يعتمده الملـك بالمصافحة لمن يريـد موالاتـه ، والاختصاص به فخوطبوا بما يعهدونه . وقال المحب الطبرى معناه : ان كل ملك اذا قدم عليه الوافد قبل يمينه ، فلما كان الحاج أول ما يقدم يسن تقبيله ، نـزل منزلة يمين الملك ولله المثل الأعلى . أهـ . فهو كلام على التجوز . ذكر ذلك الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ، قال : وانما شرع تقبيله اختيارا ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة ابليس حين أمر بالسجود لآدم .

وفى قول عمر هذا التسليم للشارع فى أمور الدين وحسن الاتباع فيما لـم يكشف عن معانيها وهو قاعدة عظيمة فى اتباع النبى صلى الله عليه وسلم فيمـا يفعله ، ولو لم يعلم الحكمة فيه — وفى شرح الترمذى : أنه يكره تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله) .

بريد الوعي الإسلامي

إعـــداد : عبد الحميد رياض

حول مسرحية خولة بنت الأزور

نشرتم فى العددين ١١٣ و ١١٥ من مجلة الوعى الاســلامى الغراء فصلين من مسرحية عن حياة البطلة الاسلامية خولة بنت الأزور ، بقلــم الدكتور أحمـــد شوقى الفنجرى . وأحب أن أوجه الى الكاتب سؤالين : ــ

أولا : هل هذه القصة من أحداث التاريخ الحقيقية أو هى قصة خياليـــة وما هى مراجع المؤلف فيها ؟

ثانيا : رغم أن المسرحية قد صيغت فى قالب قصصى جذاب ومشوق إلا أننا نأخـــذ على الكاتب السير على منوال غيره من الكتـــاب فى إقحام قضـــايا الحب والزواج .. ألم يكن من الخير تجنب هـــذه الموضوعـــات فى هذا المجـــال الدينى .

نعيم الشربينى ــ القاهرة

وقد أحلنا هذا السؤال الى المؤلف وجاءنا الرد التالى :

القصة أو المسرحية الاسلامية تختلف كل الاختلاف عن أى قصـــة عادية .. فهناك أربعة جوانب هامة يجب على كاتب القصة مراعاتها والالتزام بها :

أولا ــ الالتزام التام بحقائق التاريخ وصدق الأحداث دون زيادة من خيـــال الكاتب حتى تبقى للقصة قيمتها التاريخية والواقعية ..

ثانيـــا ــ أن يعالج الكاتب أحداث الحياة العاديـــة التى يتعرض لهـــا بطل القصة أو أى شخص عادى مظهرا التصرف الاسلامى اللائق والواجب فى مثـــل هذه الظروف وألا يتهرب من معالجة أى موقف مهما كان حرجا . مظهرا السلوك الاسلامى المثالى فى مثل هذا الموقف . فالاسلام دين عملى وواقعى وليس مـــن

طبيعته الهرب من واقع الحياة ومشاكلها .. بل هو يواجه ذلك بالحلول المبنية على مبادئه الخالدة ..

ثالثا — أن تكون القصة هادفة .. فلا يكفى أن تكون تاريخا لذات التارخ .

ولكن يجب أن تظهر العبر والدروس المستفادة من التاريخ .. وأن يكون هدفها الرئيسى إظهار التطبيق العملى لمبادىء الاسلام فى واقع الحياة ..

رابعا — أن يحرص الكاتب على سبك القصة وجودة القالب المسرحى والإخراج الفنى .

فلا يكثر من المواعظ .. والمواقف الخطابية حتى لا يسلم القارىء الى الملل .

وقد التزمت قدر جهدى بهذه الأربعة فى مسرحية خولة بنت الأزور وفى مسرحية بنت حكيم التى نشرت قبلها ..

فقد راعيت أمانة التاريخ وحقائقه لكى يشعر القارىء انه يقرأ تاريخا حقيقيا فى قالب قصصى .. وأن هذه الأحداث ليست من اختراع الكاتب أو خياله .

ورغم أن المرجع الرئيسى فى هذه المسرحية هو المصادر العربية الاسلامية مثل كتاب فتوح الشام ومصر للامام الواقدى وكتاب (فتوح مصر واخبارها) للامام ابى القاسم عبد الرحمن القرشى .. الا اننى قد حرصت على متابعة الجانب التاريخى فيما سجله الكتاب الغربيون عن الشخصيات الرومانية والمصرية التى جاء ذكرها فى هذه الرواية ومن ذلك الموسوعة البريطانية وموسوعة الأديان وما كتبه المؤرخ البريطانى العظيم (أرنولد توينبى) وكتاب (الفتوحات الغربية الكبرى) للجنرال جلوب .

ومن المعروف تاريخيا أن البطلة خولة بنت الأزور قد تزوجت الأمير الرومانى رومانوس حاكم بصرى بعد إسلامه وقد أشار الكاتب الاسلامى القدير على احمد باكثير فى مسرحيته (ملحمة عمر) الى هذا الزواج ولست أرى ما يدعو الى إغفال هذه الحقيقة أو تشويه التاريخ أو تغييره فالزواج بين مسلم ومسلمة امر طبيعى بصرف النظر عن العنصر واللون ..

ورغم أن قصة زواج خولة من رومانوس قد مرت مرورا عابرا فى المسرحية ولم تكن هدفا لذاتها إلا أننى لا اجد اى داع فى القصص الاسلامية للهرب من مواقف الحب والزواج فهذه مسائل لا بد أن يتعرض لها كل إنسان مسلم فى حياته .. وعلينا أن نعالج مثل هذا الموضوع الواقعى بالأسلوب الاسلامى والمثاليات الاسلامية التى جاء بها ديننا الحنيف .

فالإسلام لا يحرم على المسلم أن يتزوج ولا يحرم عليه أن يكون الزواج عن حب وإعجاب . بل انه يحبذ ذلك .

عن ابن عباس رضى الله عنه أن رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (يا رسول الله .. عندنا يتيمة قد خطبها رجلان .. موسر ومعسر ..

وهى تهوى المعسر ونحن نهوى الموسر) فقال الرســـول (لم ير للمتحابين مثـــل التزويج) .

وقد كتب الكثير من علماء الاسلام وائمة الفقه السابقين عن الحب وشرحوا الحلال منه والحرام .. ومنهم من الف كتبا مستقلة فى هذا المجال أو فصـــولا من كتب مثل الإمام ابن حزم فى كتابه طوق اليمامة ومثل ابن تيمية ومثل الامـــــام الشافعى . وللامام ابن القيم كتاب عن الحب اسمه : (روضة المحبين ونزهـــــة المشتاقين) وكتب الإمام أبو الفرج الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، كتابا مشهـــورا بعنـــوان : (ذم الهوى) .

وقد كتب الإمام ابن حزم فى كتابه طوق اليمامة مقدمـــة طريفة يسد بهـــا الطريق على معترضيه وناقديه إذ يقول :

أنا أعلم أنه سينكر على بعض المتعصبين تأليفى لمثل هذا الكلام !! ويقول انه خالف طريقته وتجافا عن وجهته وهكذا ..)

وقبل أن أختم هذا الرد .. وبرغم كل هذه الحقائق التى ذكرتهـــا .. فاننى أجد للقارىء الكريم كل العذر فى اعتراضه على سيرة الحب والزواج فى القصص الاسلامية ، وذلك بسبب ما نراه فى أيامنا هذه من انتشار موجـــة الكتابـــة فـــى الموضوعات الجنسية الرخيصة بين الكثير من كتاب القصة العرب .. وبطريقـــة مبتذلة ومنفرة للذوق السليم .. وذلك ما يجعل الانسان الفاضل ينفر بطبيعتـــه من هذه السيرة ومن سيرة الحب والزواج !!
ولكن هذه الحالة تثير سؤالا هاما ؟!

هل العلاج السليم هو أن يستبعد كتاب القصة الاسلامية هذه الموضوعات ويقاطعوها ويعتبروا مجرد الخوض فيها أمر غير مقبول بل حرام ؟

أم أن الأفضل هو مواجهة شتى موضوعات الحياة دون حرج ومعالجتهـــــا بالأسلوب الاسلامى السليم وبهدى من القرآن والســـنة والفقه .. حتـــى يتبين الناس التصرف الاسلامى الذى يجب أن يتبعوه اذا واجهتهم هذه الظروف وهـــذا هو ما أرى أن نأخذ به والله الموفق .

المســـلمون فى جمهورية ليبيريـــا

أكتب إليكم هذا لأعرض فكرة عن بلاد مسلمة منسية من الجميع .. وهذه البلاد المنسية من المسلمين لها عليكم حق التوجيه ولا بد أن تشـــملوا أحـــــوال المسلمين بها بالدراسة والبحث وإسداء العون بتوصيل الوعى الإسلامى ــ بالمعنى اللغوى ــ إليهم ــ وبالطريقة التى تؤتى أوفر الثمار ــ ابتغاء ثواب الله واللـــه عنده حسن الثواب .

فلقد ساقتنى ظروف عملى الى قضاء اربعة شهور فى جمهورية ليبيريا .. — من دول غرب افريقيا كما تعلمون — وهناك تقول الاحصائيات الحديثة إن المسلمين يشكلون ٢٥٪ من السكان الذين يقترب عددهم من المليونين . (والإحصائيات فى هذه الدول معظمها لا يتمتع بالقدر الكافى من الدقة) بينما تقول إحصائيات قديمة منذ اربعين عاما ان عدد المسلمين فى هذه الدولة يقدر بحوالى مليون مسلم . وليس فى ليبيريا اى اثر لتبشير او توعية إسلامية على الإطلاق — ولا اثر للأزهر الشريف ولا لغيره — بالعكس يوجد بضعة مكاتب تبشير بالمذهب الأحمدى (القاديانية) فى العاصمة مونروفيا .

وتعمل مؤسسات التبشير المسيحية على إنشاء المدارس .. ولا يدخلها مسلم الا ويتنصر — وإقامة مستشفيات تبشيرية — وتعمل هذه المدارس — ولا مدارس غيرها .. على تحويل المسلمين عن دينهم وقد نجحت فعلا فى شد أعداد كبيرة من المسلمين الى المسيحية ولا تزال عملية الشد مستمرة .. وكثيرا ما ترى شبابا اسمهم الأول مسيحى واللقب مسلم .. آباؤهم وعائلاتهم مسلمة ولكنهم تعلموا .. ولا تعليم إلا فى المدارس التبشيرية .. ولا تعليم الا بالتحول من الإسلام الى المسيحية دون استثناء . كما يحدث أن تجد موظفين فى شركات يتسمون بأسماء مسيحية .. وتضبطهم يترنمون بالأذان وتسألهم فيقولون ان الاسم المسيحى مستعار لامكان الحصول على عمل .

وقد زرت القرى الاسلامية فوجدت وبشكل دائم فى مقدمة القرية الواقعة فى قلب الغابة الاستوائية .. مسجد القرية مدهون بالجير ومفروش بالحصير .. وسكانها رغم عدم اتصالهم بالعلم الإسلامى منذ عشرات السنين يتميزون بأخلاق تختلف عن أخلاق القبائل الأخرى وبمثل إسلامية هامة ولا يسيرون عرايا تماما كالقبائل الأخرى ويتلهفون على اى مسلم قادم من الخارج ويجدون فى عملهم ويتعلمون الحرف المختلفة كالبناء وقيادة السيارات والسمكرة الخ .

ولكن المسلمين فى جمهورية ليبيريا فى الحقيقة يحتاجون الى اشياء كثيرة فى دينهم ودنياهم وسط القبائل التى معظمها مسلمون كقبائل الفاى .. لعل ذلك يكون فاتحة خير لإيقاف هذا النزيف الاسلامى والنزح من أمة محمد الى الديانات الأخرى .. وذلك بانشاء مكاتب تباع فيها مجلة كالوعى الإسلامى مترجمة الى الانجليزية — ولغة الفاى — والباسا حتى يعم النفع وتقوى صلة المسلمين بالاسلام .





قالت صحف العالم

البيئة الثقـــافية ..

بيئة الانسان من اهم مكوناته .. ولكل انسان بيئته الطبيعية : مكانه الذى يضطرب فيه ، وجوه الذى يشـــتمل عليه .. وبيئته الاجتماعية : الناس **الذين يعايشهم ويعاملهم وتربطه بهم مختلـــف الروابط .. ومـــا يقرؤه الانســـان** ايضا هو له بيئة تؤثر فى فكره وعواطفه ومسلكه فى الحياة ..

وما ازال اذكر كيف كنا نجتمع صغارا على سيرة عنترة بن شداد نقرؤهـــا فنحب الشجاعة والوفاء فى عنترة ، ونكره الجبن والغدر فى عمارة بن زياد ، وكيف كانت تهتز قلوبنا وتدمع عيوننا وتستولى علينا الســـيرة حتى اننا لنكاد ننسى زماننا ومكاننا ونرتد الى زمانها ومكانها .. فاذا نحن ثبنا الى أنفســـنا ، وانصرفنا الى المعتاد من حياتنا ، رأينا انفسنا نقلد الأبطال الذين أعجبنا بهم ، ونمثل أخلاقهم ، ولربما صنعنا لأنفسنا سيوفا ــ كسيف أبى حية ــ من الخشب فجددنا معاركهم . ولا أنسى رفيقا لنا أعجب (بالغضبان) ابن عنترة أشـــد اعجاب ، جاءنا يوما على حالة من الحزن شديدة وهو يبكى أحر بكاء لأن أباه قد منعه من كسر أنفه ليصير افطس مثل أنف الغضبان .. !

ونحن الآن نرى اثر ما نقرؤه لبعض المفكرين والأدباء والعلماء المسلمين الممتازين فى تصحيح فهمنا ، وتقويم اتجاهنا ، وشعورنا بما لنا فى فهمنا وعملنا من أخطاء .

ومن اهم ما نقرأ ومن اشده تأثيرا كتب الأدب والتـــاريخ ، كتب الأدب تصعد بنا بأجنحتها الى ما هو اسمى واكمل ، وترسم لنا مثلا ، وتكشف لنـــا طرقا ، وتضرب بمعولها الواقع القائم لينهار ويقوم مقامه الواقع المنشود .. هذه الكتب كم ولدت من ثورات وأحدثت من انقلابات فى المجتمعات والأفكار ..

وكتب التاريخ فيها نجد القدوة الصالحة والحافز القوى والأسوة الحسنة فى الكفاح .

ولربما فسدت بيئة الانسان الاجتماعية فضلت فكرا ، وانحلت خلقـا ، وانحرفت سلوكا ، فكانت بيئته (الثقافية) عاصما له مما أصـاب مجتمعه ، ومددا لفكره وروحه ، وعونا على استبانة الطريق المستقيم ..

وأفضل بيئة للمسلم يعيش فيها هى القرآن الكريم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، يجد فيهم ما أعوزه فى مجتمعه من القدوة الحية والأسوة الحسنة ، ويتنفس فى جوهم ، ويحيا معهم ايمانهم العميق ، ومشاعرهم السامية ، وأخلاقهم الفاضلة ، وجهادهم الدائم فى سـبيل الله ، كما يرى الاسلام فيهم مجسما .. يراه بعينه ، ويحسه بقلبه وفكره ..

ولكن هذه البيئة التى يفتقر اليها المسلم لحياة روحه ، ومعرفة هدفه ، وتبين طريقه ، تكاد تكون محجوبة الأسرار ، مقفلة الأبواب على من لا يملك مفتاحها .. وما مفتاحها الا العربية التى يتوجب علينا اتقانها لتكون منفذنا الى فهم القرآن والحديث وذوقهما ودخول عالمهما الذى يصنع فيه المسـلم الحق عقيدة وفكرة ومسلكا ووجهة نظر معينة الى الكون والحياة والانسان .

وقد فسد مجتمعنا الذى نعيش فيه ، واشتدت حاجتنا الى البيئة الثقافية (الاسلامية) التى تعيننا عليه ، وتغذى فكرنا وشعورنا ، وتعوضنا مما فقدنا .. ولم نجد هذه البيئة المنشودة ، بل وجدنا بيئة ثقافية أخرى هى فى الغالب صورة الضلال العقلى ، والفساد الاجتماعى ، وصدى الغرائز البهيمية او المآرب المتهمة ، تنفذ الينا من الكتاب الذى نقرأ ، والمجلة التى نتصفح فتسمم الفـكر والخيال ، وتفسد الأخلاق .. ولو ان دارسا تقصى ما يقرأ فى اوساط الشباب لكاد لا يرى الا فكرا مدخولا او معرفة مريبة أو قصصا رخيصا ، أو اخبـار الممثلات والممثلين وانباء اللهو واللاهين ، أو شعرا هو صوت الغريزة ونداء المنكر ودعوة الانحلال .. هذه تقريبا هى بيئة عامة الشباب الثقافية اى بيئة افكارهم وقلوبهم ..

وليس مرد هذا الى أن الشـباب قد فسد فأصبح يؤثر هذا اللون من القراءة فقط ، فان ثمة شبابا ما يزالون ينطوون على خير ، وما يـزال عندهم الاستعداد ليكونوا كما يريد لهم الاسلام ، ولينفصـلوا عن واقعهم الفاسد لا يستمدون منه ، ويعيشوا فى جو الاسلام بمطالعتهم يستمدون من حقائقه ، ويستلهمون من رجاله ، ما يمكنهم من العودة الى واقعهم متحررين منه ، ليكيفوه حسب عقائدهم أو يهدموه ليقيموا الصرح الاسلامى الجديد .. ولكن المشكل اننا لا نجد هذه البيئة الثقافية الاسلامية الحديثة التى تلبى حاجة الفكر المسلم ، والشعور المسلم ، والمعرفة الاسلامية .. لا نجد الكتب الاسلامية او المجلات التى يمكن ان ندفعها الى الشـباب المسلم وتكون دليله الأمين فى حيـاته الشخصية والاجتماعية ، وفى فهم مشكلات عصره المختلفة فى ضوء الاسلام ،

وتكون رفيقه الصالح ، وتكون سميره الممتع ، وتكون سبيله الى اتقان لغته (لغة القرآن) ، ويجد فيها حاجة الفكر والقلب ، وحاجة النفس الى الترفيه فى حدود الاسلام وحسب هديه وأدبه .. لا نجد هذه الكتب والمجلات بالمقدار الكافى الوافى بالحاجة الماسة — على قيمة بعض ما صدر من كتب فى بعض جوانب الاسلام ..

اننا نريد هذه الكتب والمجلات .. ونريد أدبا اسلاميا يكون وعيا (اسلاميا) عميقا ، ويصب الحماسة فى قلوب الشباب ، ويشير لهم الى الهدف ، ويستحثهم فى الطريق ، ويستجيش كل الطاقة الكامنة فيهم .

نريد مقالات ومسرحيات وروايات .

نريد قصصا تصور واقع المسلمين المؤلم والظلم الواقع بهم تصويرا ينضح الدم لا الدمع ، ويدعو الى الثورة على الواقع والى الانتصاف والعودة بالاسلام الى مكانه القديم .

نريد تاريخا وأقاصيص تصور للناس ما فعل الاسلام الذى جهلوه للدنيا ، وترد عليهم من عظمته وعدالته واصلاحه ورحمته ما يحرك القلوب .

نريد تراجم تلهم الشباب وتعلمهم كيف يكون الايمان والجهاد والتضحية والصبر ، وكيف ينتزع النصر من الهزيمة ، وينبلج الفجر فى الظلام .

ونريد شعرا يعيد لنا مجد الماضى ، ويشعرنا ذل الحاضر ، ويحفزنا على التمرد ، ويحملنا حملا لنصنع المستقبل المجيد .

نريد باختصار أدبا يكون عالم صغارنا وشبابنا الروحى والفكرى، ويستولى على عقولهم وقلوبهم ، ويرفعهم فوق اسفاف مجتمعهم ، ويجعل منهم رواد الحياة الاسلامية المقبلة .

وهذا يقف أدباءنا — على قلتهم — أمام مسؤولية اسلامية خطيرة .. أمام مسؤولية الاستجابة لهذه الارادة وتلبية هذه الحاجة .

ان عليهم أن يصنعوا لنا بيئة ثقافية اسلامية ينمو بها صغارنا ، ويعيش فيها كبارنا ، وتعصمنا وتلهمنا وتدفعنا الى العمل .

وانه لجهاد يدعون اليه ، ويلزمهم دينهم به .. جهاد كجهاد السيف يتوقف عليه مع غيره مستقبل الاسلام .

(عن مجلة الرائد التى يصدرها المركز الاسلامى بآخن

بأقلام القراء

كثيرا ما ضمتنى مجالس فيها القانونى والمهندس والطبيب والمدرس وفى أكثر من بلد عربى وكثيرا ما يتشعب الحديث حيث يشمل مواضيع تبحث فى مشاكل المجتمع وتطبيبها ، ومن الطبيعى أن يرتفع صوت الاسلام ليقول كلمته فى هذا المشكل أو ذاك حيث أن الجميع مسلمون يدينون بالاسلام ويعيشون فى بلد مسلم ويستظلون بشريعة الله والمتحدثون على جانب من المعرفة الدينية، حينئذ ينبرى لك نفر ممن يدعون لأنفسهم ميزة التقدمية والارتقاء ويقولون إن الاسلام ينحصر عمله فى تنظيم العبادات والطقوس الدينية وللإجيال المنقرضة من آبائنا وأمهاتنا ولا مكان له فى تقديم حلول سليمة فى هذا الزمان المتحضر بل تراهم يذهبون الى أبعد من ذلك حيث تسمع هذا النفر يهذى بان فى البلاد اجانب وأن فى الحديث عن الاسلام ما يفرق كلمة الناس ويدعو الى العصبية الدينية التى يجب أن تزول من هذا المجتمع . ياعجبا لهؤلاء . ان موقفهم هذا ليدعو الى الاشفاق عليهم والرثاء لهم لقد وقعوا تحت تأثير بعض الأبواق المأجورة والكتابات الرخيصة التى يقودها الاستعمار البغيض بشقيه الغربى والشرقى فهما لم يتفقا على شىء اتفاقهما على محاربة الاسلام وطمس الثقافة الاسلامية الرشيدة لأنهم يدركون أن فيها موتهم والقضاء عليهم ، لقد ادرك الشرق والغرب ان فى الاسلام قوة هائلة لها من الكيان الذاتى والحركة الدائبة ما يقضى على اطماع الطامعين ورد كيد الكائدين واللاسبيل الى السيطرة على بلاد المسلمين الا بتحطيم هذا الدين وهيهات لهم ان ينالوا من ذلك شيئا والله من ورائهم محيط . علم الغربيون والشرقيون هذه الحقيقة عن الاسلام ، لذا فهم لا يفترون عن تشكيك ابناء المسلمين فى قدرته على علاج مشاكل بلادهم وذلك عن طريق كتاب يحملون اسماء مسلمة ويعلم الله ان الاسلام منهم براء هم يكتبون ذلك — عن جهل أو علم — بغية عرض زائل من جاه أو مال . اننى لا الوم هؤلاء الكتاب المأجورين فهم مرضى بعلل وعقد نفسية رايناهم فى عصور سابقة وسنراهم فى عصور قادمة ولكنى اشفق على هذا النفر المخدوع ممن يحملون على ظهورهم شهادات جامعية — لأنهم اغلقوا

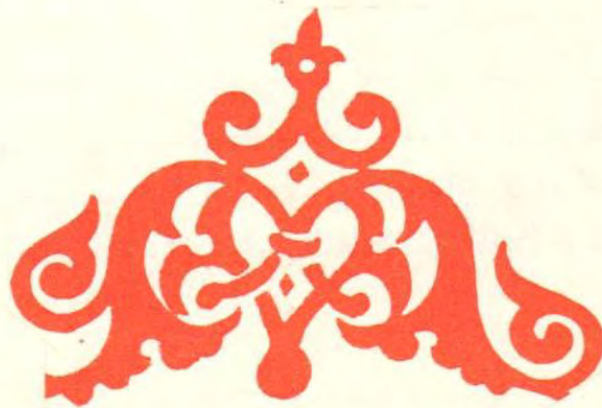
عقولهم وطمسوا تفكيرهم ورضوا بثقافة سطحية تمسخ فيها شخصية المثقف وينعدم كيانه فى إطارها ، ان أعداء الحرية من الطامعين والمغامرين ومن دار فى فلكهم ممن ينتسبون ظلما الى الاسلام يهدفون الى اذابة شخصيتنا وتراثنا الاسلامى المتين بتحطيم القيم العليا فى نفوس الجامعيين مع تثبيت المعانى الخاطئة التى تدعو بصورة مباشرة أو غير مباشرة الى اقصاء الشريعة الاسلامية عن نظام حياتنا فى جميع نواحيها ، حتى اذا مانجحوا فى قتل شخصيتنا المسلمة المؤمنة سهل على الدخلاء حينئذ ان يتلاعبوا بمصير شعوبنا واستنزاف خيراتها .

والعجيب فى الامر ان نغمة التعصب الدينى لا نسمعها الا من افواه التافهين من ابناء هذا الاسلام المنكوب بهم وفى دياره الغريب عنها . لم أسمع به فى بلاد الغرب (حيث قضيت بها قرابة الخمس سنوات) ولم يجرؤ انسان على التفوه بهذا الكلمة فى بلادهم فى الوقت الذى تقام فيه المناظرات والمحاضرات (المبيتة) فى جامعاتهم وأنديتهم يدعون اليها أبناء المسلمين المغتربين ثم يهاجمون الاسلام علنا ويطعنونه بما ليس فيه افتراء وكذبا ودسا وتدليسا . لم يتطوع احد من هذا النفر المفتون على علم بالقول بان فى الغرب والشرق من يتعصب ضد الاسلام والمسلمين ، إن الاسلام فيه من السماحة ومتانة البنيان ما حدا بشيخ الاسلام ابن تيمية بأن يكتب فى رسالة له لسرجون ملك قبرص يؤكد فيها وجوب المساواة فى الحقوق والاحكام بين جميع من يظلهم سلطان الاسلام وذلك فى معرض اصراره على اطلاق سراح الاسرى من المسلمين والنصارى واليهود على السواء قال ابن تيمية رضوان الله عليه ونحن قوم نحب الخير لكل أحد ونحب أن يجمع الله لكم خيرى الدنيا والآخرة فان أعظم ما عبد الله به نصيحة خالصة وبذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين ولا نصيحة اعظم من النصيحة فيما بين العبد وبين ربه فانه لا بد للعبد من لقاء الله ولا بد ان الله يحاسب عبده كما قال تعالى « **فلنسألن الذين أرسل اليهمولنسألن المرسلين** » .

وفى هذا العصر بلغ من تسامح المسلمين وغفلتهم ان الاسلام لا يطعن علنا وعلى صفحات الصحف والمجلات من أبنائه العاقين فحسب بل ومن أبناء الملل الأخرى ولا تجد من يحرك ساكنا أو يقول ان هناك تعصبا ضد الاسلام فتلك حرية الرأى (الجائر الظالم) ولا حرية للمدافعين عن كرامتهم ودينهم وشعائر اسلامهم فهؤلاء متعصبون جامدون لا مكان لهم فى هذا المجتمع المتحرر المتطور ، ياهؤلاء انكم والله تصغرون فى أعين اسيادكم الملاحدة فالانسان

لا يحترم الثقافة السطحية ولا التهافت الرخيص ولا ادعاء المرء بما ليس فيه ولا بتحطيم مثله وتقاليده ودينه ارضاء لأسياده فهم حين يفرغون منه يلفظونه لفظ النواة ويكون بذلك قد خسر الدنيا والآخرة .. لقد انتزع المؤمنون فى بلاد الغرب احترام الغربيين وتقديرهم ليس بمسايرتهم والتملق لمدنيتهم فهم يعلمون انها خلو من مكارم الاخلاق ولكن بتمسكهم باهداف دينهم قولا ومسلكا . انكم والله لو ذقتم شعور الاستعلاء بالايمان وبالانتساب الى الاسلام العظيم وما فيه من طلاوة ولذة تفوق متاع الدنيا بأسرها لتمسكتم باهداف هذا الدين ولما رضيتم لأنفسكم هذا الهوان الذى تترددون فيه من حيث لا تشعرون ، ان الدلائل كلها تشير الى أن المستقبل لهذا الدين وحينئذ سيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ، لقد فشلت المدنية الغربية بما فيها من تفوق مادى — لا ننكره — ان تتغلب على هذا التخبط الجاهل فى عالم الروح والمثل العليا وفى الاسلام العظيم المشتعل الذى يضىء للبشرية الطريق ويخرجها من ظلمات الجهالة الى نور الحق وهو كذلك من لدن محمد بن عبد الله صلوات الله عليه الى ان يرث الله الارض ومن عليها والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

الدكتور سالم نجم



أخبار العالم الاسلامي

اعداد الاستاذ : فهمى الامام

الكـــويت :



● عاد سمو أمير البلاد المعظم بحفظ الله ورعايته الى أرض الوطن والوفد المرافق له بعد أن شارك مشاركة فعالة فى مؤتمر القمة العربى السابع الذى عقد فى مدينة الرباط بالمغرب .

وقد جرى لسموه استقبال رسمى وشـــعبى هائل وكان فى مقـــدمة مستقبليه سمو ولى العهد ورئيـــس مجلس الوزراء .



● افتتح حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح الســـالم الصباح دور الانعقاد العادى الخامس المكمل للفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة .. ويبدو فى الصورة سموه وهو يلقى خطاب الافتتاح .

● يبدو فى الصورة وفد دولة الكويت الى مؤتمر القمة العربى الســـابع برئاسة حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم .

● أعربت الكويت عن ارتياحها للاتفاق الذى تم بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية تحقيقا للتضامن العربى والذى هو ضرورى لمواجهة اسرائيل وللتصدى لاحتمال وقوع حرب أخرى وللرد على التهديدات الأمريكية .

● رفع الأستاذ راشد فرحان وزيـــر الأوقاف والشؤون الاسلامية تقريرا الى مجلس الوزراء عن نتائج زيارته للصومال ضمنه معلومات كاملة عن مشروع انشاء المعهد الدينى الاسلامى فى الصومال الذى سيقوم بمهمـــة الدعوة للاسلام فى افريقيا واعـــداد نشء يحمل رسالة الاسلام .

● سيمثل الكويت الاستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية فى مؤتمر علماء المسلمين الذى سوف يعقد فى القاهرة فى ١٥ نوفمبر الحالى .

● زار الحاج عمر عبد الله مستشار جزر القمر وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية عقب عيد الفطر المبارك .

● كان فى ضيافة وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الشيخ على عبد الرحمن الصوفى .. من كبار علماء الصومال — خلال شهر رمضان الماضى .

● تبرعت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بعدد ١٠٠٠ مروحة لمساجد الصومال ، وعدد ٢٠ مروحة و ٢٠ بساطا لمسجد القرآن الكريم بمديشيو .

القاهرة :

● زار وفد اسلامى برياسة الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية جنوب تايلند ، وتفقد الوفد المشروعات الحكومية لخدمة المسلمين .. كانشاء المساجد وترميمها .. هذا ..وقد قررت الحكومة التايلاندية إقامة مراكز للتدريب المهنى ، وطبع تفسير القرآن الكريم باللغة القومية وتوزيعه على المسلمين ، وادخال تعليم اللغة العربية والدين الاسلامى فى المدارس الحكومية .

● أنتخب الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية رئيسا للجنة التحضيرية للمهرجان الثقافى الاسلامى المقرر عقده فى لندن عام ١٩٧٦م .

السعودية :

● تقرر انشاء كلية جديدة فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة تحت اسم (كلية القرآن الكريم) وهى أول كلية من نوعها فى العالم الاسلامى تهتم بدراسة علوم كتاب الله وإعجازه وبلاغته ، ومن أول شروط الالتحاق بها حفظ القرآن الكريم كاملا .

سوريا :

● دعت سوريا لمزيد من التضامن العربى لمواجهة المخاطر الحقيقية ، وصرح المسئولون بأن الحرب مع اسرائيل لم تنته بعد ، وأن الاستعدادات قائمة لمواجهة اى احتمال .

أبو ظبى :

● بحث السيد وزير الشئون الاسلامية والأوقاف فى دولة الامارات مع الوفدالاسلامى المصرىالذى زار دولة الامارات وسائل دعم التعاون بين دولة الامارات ومختلف الهيئات الاسلامية فى نشر الثقافة الاسلامية وفى مقدمتها طبع المصاحف واحياء التراث الاسلامى .

ليبيا :

● نص تعديل اجرى على قانون العقوبات الخاص بتحريم الخمر على أن شهادة متعاطىالخمر غير مقبولة وعلى عدم صلاحيته لتولى مناصب رئيسية أو قيادية أو بقائه فيها .

المغرب :

● اختتم مؤتمر القمة العربى السابع — والذى انعقد فى مدينة الرباط — اعماله متخذا القرارات والتوصيات المناسبة للنهوض بالأمة العربية والاسلامية والتصدى للعدوان الاسرائيلى .

● قرر الملوك والرؤساء العرب ان يعقد مؤتمر القمة العربى الثامن فى شهر يونيو عام ١٩٧٥م .

● قال جلالة الملك الحسن فى مؤتمره الصحفى باسم جميع الدول العربية : إن على الولايات المتحدة واسرائيل أن تعترفا بأن منظمة التحرير الفلسطينية شريك فى جهود السلام أو تواجها معا التهديد بصدام جديد تكون الغلبة فيه للعرب .

مَواقيت الصَلاة حَسَبَ التوقيت المحَلي لـدَولـَة الكوَيت

ايام الاسبوع	ذو القعدة ١٣٩٤	نوفمبر ١٩٧٤	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)						المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الجمعة	١	١٥	٣٩ ٤	١٠ ٦	٣١ ١١	٣١ ٢	٥٢ ٤	١٣ ٦	٤٧ ١١	١٨ ١	٣٩ ٦	٤٠ ٩	٢١ ١
السبت	٢	١٦	٤٠	١١	٣١	٣١	٥١	١٢	٤٩	٢٠	٤٠	٤٠	٢١
الاحد	٣	١٧	٤١	١٢	٣٢	٣١	٥١	١٢	٥٠	٢١	٤١	٤٠	٢١
الاثنين	٤	١٨	٤٢	١٣	٣٢	٣١	٥١	١٢	٥١	٢٢	٤١	٤٠	٢١
الثلاثاء	٥	١٩	٤٣	١٤	٣٢	٣٠	٥٠	١١	٥٣	٢٤	٤٢	٤٠	٢٢
الاربعاء	٦	٢٠	٤٤	١٤	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٤	٢٥	٤٣	٤٠	٢٢
الخميس	٧	٢١	٤٥	١٥	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٥	٢٦	٤٣	٤٠	٢٢
الجمعة	٨	٢٢	٤٥	١٦	٣٣	٣٠	٤٩	١١	٥٦	٢٨	٤٤	٤٠	٢٢
السبت	٩	٢٣	٤٦	١٧	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٧	٢٩	٤٥	٤٠	٢٢
الاحد	١٠	٢٤	٤٧	١٨	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٨	٣٠	٤٥	٤١	٢٢
الاثنين	١١	٢٥	٤٨	١٩	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٩	٣١	٤٦	٤١	٢٢
الثلاثاء	١٢	٢٦	٤٨	٢٠	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	٠٠ ١٢	٣٢	٤٦	٤١	٢٢
الاربعاء	١٣	٢٧	٤٩	٢١	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	١	٣٣	٤٧	٤١	٢٢
الخميس	١٤	٢٨	٥٠	٢٢	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	٢	٣٤	٤٧	٤١	٢٢
الجمعة	١٥	٢٩	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٢
السبت	١٦	٣٠	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٣
الاحد	١٧	ديسمبر	٥٢	٢٤	٣٦	٢٩	٤٨	١١	٤	٣٦	٤٨	٤١	٢٣
الاثنين	١٨	٢	٥٣	٢٥	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الثلاثاء	١٩	٣	٥٣	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الاربعاء	٢٠	٤	٥٤	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الخميس	٢١	٥	٥٤	٢٧	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣
الجمعة	٢٢	٦	٥٥	٢٨	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٧	٤٠	٥٠	٤١	٢٣
السبت	٢٣	٧	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤١	٢٣
الاحد	٢٤	٨	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الاثنين	٢٥	٩	٥٧	٣٠	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الثلاثاء	٢٦	١٠	٥٨	٣١	٤٠	٣٠	٤٩	١٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الاربعاء	٢٧	١١	٥٩	٣٢	٤٠	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الخميس	٢٨	١٢	٥٩	٣٢	٤١	٣١	٢٩	١٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الجمعة	٢٩	١٣	٠٠ ٥	٣٣	٤١	٣١	٤٩	١٣	١٠	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
السبت	٣٠	١٤	٠٠	٣٤	٤٢	٣٢	٥٠	١٣	١١	٤٤	٥٢	٤٢	٢٤

أم المؤمنين السيدة جويرية رضى الله عنها

اسمها : جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن جديمة وهو المصطلق بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو — الخزاعية المصطلقية .

وقيل : كان اسمها (برة) فسماها الرسول صلى الله عليه وسلم (جويرية) كراهة أن يقال : خرج من عند (برة) .

زواجها : كانت زوجة مسافع بن صفوان المصطلقى (فى أصح الروايات) ولما غزا النبى صلى الله عليه وسلم بنى المصطلق .. وقعت جويرية فى سهم ثابت بن قيس (فى أصح الروايات) .

فكاتبته على نفسها .. وأتت الرسول صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها . قالت : « يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابنى من البلايا ما لم يخف عليك ، وقد كاتبت على نفسى فأعنى على كتابتى » .

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أوخير من ذلك .. ؟ أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك » .

فقالت : نعم .. وكان زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فضلها : لما بلغ الناس أن رسول الله تزوج جويرية .. كرهوا أن يكون أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرى عندهم . فأعتق الله ببركتها مائة أهل بيت من بنى المصطلق .

قوة ايمانها : جاء أبوها فقال للرسول : إن ابنتى لا يسبى مثلها فخل سبيلها . فقال : « أرأيت إن خيرتها أليس قد أحسنت .. ؟ » قال : بلى . فأتاها أبوها فذكر لها ذلك . فقالت : اخترت الله ورسوله .

روايتها للحديث : روت عن النبى أحاديث وروى عنها ابن عباس وجابر وابن عمر وغيرهم .

وفاتها : انتقلت الى جوار ربها سنة خمسين أو ست وخمسين من الهجرة عن عمر يناهز خمسة وستين عاما وصلى عليها مروان .. رضى الله عنها وأرضاها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيــــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
تونـــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .
المغـــرب	:	الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
لبنـــــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عــــــدن	:	مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب : (٤٢٢٧) .
الأردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .
قطــــــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــــى	:	مطبعة دبى .
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــــدة .

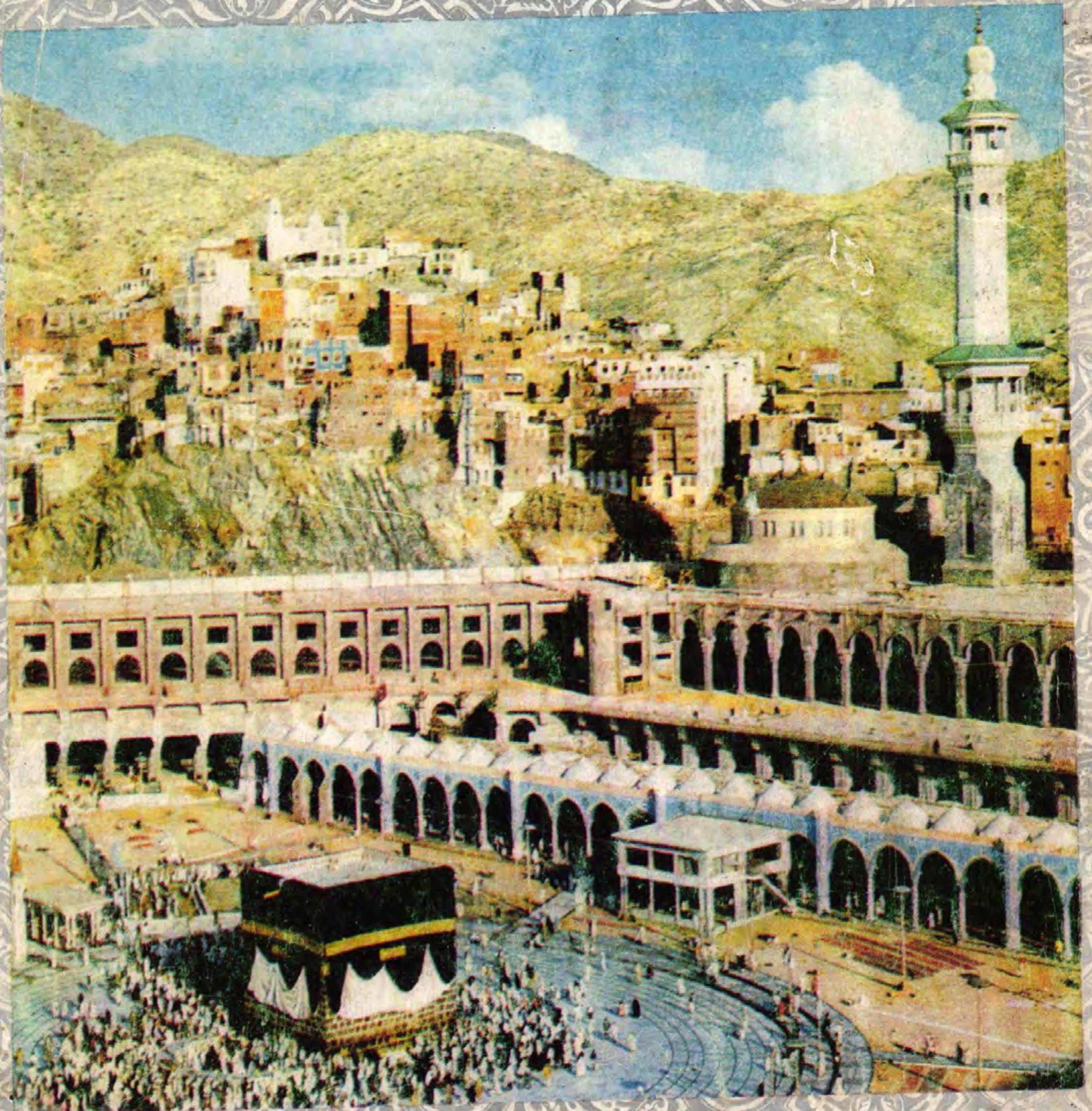
ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة عبد الرزاق الصحفية - الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



العـدد (١٢٠) غرة ذي الحجة ١٣٩٤ هـ ـ ديسمبر ١٩٧٤ م .

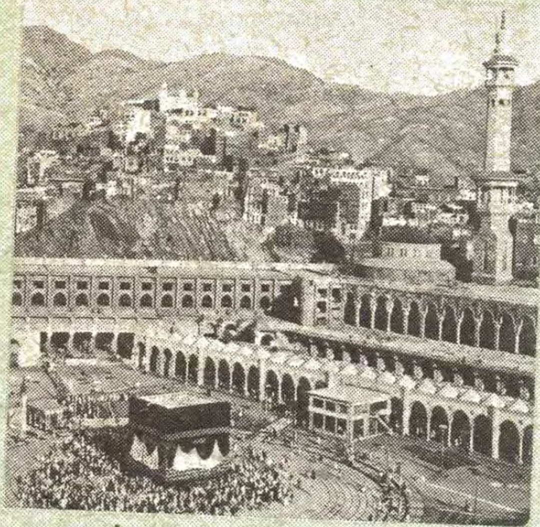
الحج أشهر معلومات

محمد مؤذن

فمن فرض فيهن الحج فلا رفث
ولا فسوق ولا جدال في الحج
وما تفعلوا من خير يعلمه الله
وتزودوا فإن خير الزاد التقوى
واتقون يا أولي الألباب

(آية ١٩٧ سورة البقرة)

صورة الغلاف :



الكعبة المشرفة

« ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » .

(صدق الله العظيم)

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العدد ١٨٠

غرة ذى الحجة ١٣٩٤ هـ

ديسمبر ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الافراد فشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى ـ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ ـ كويت ـ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨

الإسلام والعلاقات الاجتماعية

للاستاذ احمد البسيونى

الاسلام دين الله ؛ جاء لاصلاح الحياة ، وقيادة مسيرتها على طريق الخير والحب ، وقد أراد لهذا الدين العام الخالد ، أن يكون المنهاج الكامل ، للحياة الفاضلة ، فهو يقيم العلائق بين النـــاس جميعا ، على أساس من التراحم والتكافل ، ويجعل المحبة ، هى الرباط الأول والأوثق فى حيـــاة البشرية ؛ والخير فى نظر الاسلام ، هو غاية الغايات فى هذه الحياة ، وهو المقصد الأعظم لجميع العبادات التى شرعها الله للناس .. والخير ، شعار هذه الأمة ، وطريقها الى الفلاح والنصر « وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » ٧٧ سورة الحج،وهو غايتها التى تنشط لادراكها ، وتسبق النـاس الى الظفـر بها « أولئـك يسارعون فى الخيرات ، وهم لهـا سابقون » ٦١ سورة المؤمنون « ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات » ١٤٨ سورة البقرة .

والتعاون مبدأ من مبادىء الاسلام، التى أرسى قواعدها فى المجتمع الانسانى ، لأنه ضرورة من ضرورات الحياة ، فأعباء الدنيا ثقـــال ، والانسان وحده عاجز عن النهوض بها ، والمرء قليل بنفســـه ، كثير باخوانه ، فاذا ما تضافرت القوى ، وتساندت الجهود هانت الشدائد ، وخف وقعها على الناس .. والتعاون (ضريبة) انسانية ، يؤديها المرء ، زكاة عن عافيته وجاهه .

عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر ،يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ، ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ، ما كان العبد فى عون أخيه » .

(رواه مسلم)

فرضت على زكاة ما ملكت يدى
وزكاة جاهى أن اعين واشفعا

والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، لا يريد أن يعرفنا الخير تعريفا نظريا فلسفيا ، فذلك يجعل مفهومه حائرا غامضا فى أذهان المسلمين ، ولكنه يأخذ بيدنا الى مجالات الخير ، ويرشدنا الى أبوابه المتعددة فى الحياة .. وفى الحديث الشريف الذى معنا ، يقرر الاسلام أعظم أصل من أصول المدنية الفاضلة، وأقوم مبدأ من مبادىء الاصلاح الانسانى العام ، وذلك هو مبدأ التراحم ، والتكافل الاجتماعى ، الذى يقوم على كثير من الفضائل الخلقية الرشيدة ، وان هذا الحديث الجامع ، لا يستطيع الانسان أن يمر به ، دون أن يقف عند كل جملة من جمله ، وقفة طويلة ، فيها أعظم الذكرى « لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد » .

من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة :

القاعدة التى تقوم عليها المعاملة العادلة فى الاسلام . أن الجزاء من جنس العمل ، بمعنى أن كل من عمل عملا ، خيرا كان أم شرا ، جوزى عليه جزاء مطابقا لجنس هذا العمل، فمن يسر يسر عليه ، ومن شدد شدد عليه ، ومن أنفق ينفق الله عليه ، ومن أحب الله ، أحبه الله .. وهكذا .. وقد تكاثرت النصوص فى الاسلام ، تؤيد هذا المعنى وتؤكده كقوله صلى الله عليه وسلم : « انما يرحم الله من عباده الرحماء » « احفظ الله يحفظك » « من اقال مسلما أقال الله تعالى عثرته » « يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط ، وأجوع ما كانوا قط ، واظمأ ما كانوا قط : وأنصب ما كانوا قط ، فمن كسا لله ، كساه الله ،

ومن أطعم لله ، أطعمه الله ، ومن سقى لله ، سقاه الله ، ومن عفا لله ، أعفاه الله » « ان الله تعالى يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا » « من لا يرحم لا يرحم » « من أخذ شبرا من أرض ، طوقه يوم القيامة من سبع أرضين » وكقوله تعالى : « فاذكروني أذكركم » (البقرة ١٥٢) « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » (البقرة ٤٠) « ان تنصروا الله ينصركم » (محمد ٧) .

ونفس : أزال وفرج ، من تنفيس الخناق ، أى ارخائه حتى يتمكن المختنق من أن يأخذ له نفسا ، فمن أعان أخاه على شدة نزلت به ، فكأنما خلى بين رئتيه ، وبين الهواء المنطلق ، تعب منه بعد طول احتباسها عنه ، وفى ذلك سلامتها . وحفظ حياة صاحبها . والكربة .. الشدة العظيمة التى توقع صاحبها فى الكرب وشدة الغم ومنه الحديث : « كان صلى الله عليه وسلم اذا أتاه الوحى كرب له » أى أصابته منه شدة وجهد .

وتنفيس الكربة ، أن يخفف وقعها عن المكروب ، بأن يعينه بنفسه ، أو ماله ، أو جاهه ، أو رأيه ومشورته ، أو اظهار العطف عليه ، والمشاركة له فى المحنة ، ولذلك أثر طيب فى نفوس المكروبين ، وفى خلق المجتمع المتراحم المتواصل ، وخص المؤمن بالذكر ، لمزيد شرفه وحرمته ، فالثواب فيما يفعل معه من الاحسان آكد ، والا فالمراد هنا التفريج عن أى نفس مكروبة كائنة ما كانت ، والتعاون فى الاسلام مفروض بين الناس جميعا ، مراعاة لرابطة الاخوة الانسانية ، وفى الحديث الشريف : « ان الله كتب الاحسان على كل شىء » وحتى البهيمة تدخل فى ذلك أيضا ، لما ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن سقيها

فقال : « فى كل كبد رطبة صدقة » وأخبر أن بغيا ، سقت كلبا يلهث من شدة العطش ، فشكر الله لها ، فغفر لها .

والرحمة الاسلامية ، رحمة جماعية ، تعم ولا تخص ، تبسط جناحيها على الكون كله ، على البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، والانسان والحيوان .. لقد قال بعض الصحابة للنبى صلى الله عليه وسلم : لقد أكثرت يا رسول الله من الرحمة ، وانا نرحم أزواجنا وأولادنا . فقال الرسول الرحيم : « ما هذا أريد ، انما أريد الرحمة بالكافة » !

وخص الجزاء هنا بتفريج كرب يوم القيامة ، لأن كرب الدنيا بالنسبة الى كرب الآخرة كلا شىء ، فادخر الله تعالى جزاء تنفيس الكرب عنده ، لينفس به كرب الآخرة ، ومن ظفر بهذا فقد فاز فوزا عظيما ، ومقابلة كربة الآخرة بكربة الدنيا ، ليس معناه أنها حسنة بحسنة ، فان قانون الجزاء فى الاسلام ، يجعل الحسنة بعشر أمثالها ، والسيئة بمثلها ، قال تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ، وهم لا يظلمون » (الأنعام ١٦٠) فان الكربة الواحدة من كرب يوم القيامة ، تشتمل على أهوال كثيرة ، وأحوال صعبة ، ومخاوف جمة ، مما يجعلها تعدل فى ميزان الجزاء كربا كثيرة من كرب الدنيا ، فقد تعدل عشرة منها أو تزيد ، وان يوم القيامة يوم عبوس قمطرير ، تكتنفه الأهوال ، ويغشى فيه الناس من الكرب ما تذهل به عقولهم قال تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى ،

وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد » (الحج ١ ، ٢ يتلمس الناس فى هذا اليوم ، منافذ الى رحمة الله وعفوه ، ولا شىء يزيح هذه الكروب ، الا ما قدم الناس من صنائع المعروف ، فرب متصدق على جائع بتمرة ، أو باذل شربة ماء لذى كبد رطبة ، ينجو بما قدم من هول ما يلقى ، فكل انسان يومئذ ، فى ظل خيره وبره يقول المعصوم صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » وخرج البيهقى من حديث أنس مرفوعا « ان رجلا من اهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار ، فيناديه رجل من اهل النار : يا فلان هل تعرفنى ؟ فيقول : لا والله ما اعرفك ! من انت ؟ فيقول : انا الذى مررت بى فى دار الدنيا فاستسقيتنى شربة من ماء فسقيتك ، قال : قد عرفتك ، قال : فاشفع لى بها عند ربك ، قال : فيسأل الله تعالى فيقول : شفعنى فيه فيؤمر به فيخرجه من النار » .

ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة :

العسر : هو الضيق والشدة ، والمعسر : هو من عليه دين ، وتعسر عليه أداؤه ، أو هو من ضاقت ذات يده ، ولم يجد لديه ما يكفى لسد حاجته . وبعد أن ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم تنفيس الكرب فى عمومها ، سواء كان سببها قلة المال ، أو اضطراب الحال ، أو الأزمات النفسية ، التى يكون مبعثها الحزن على فائت ، او الخوف من مستقبل ، ذكر التيسير على المعسر ، وذلك يكون بالابراء ، والهبة ، والصدقة ، وعدم مطالبته بالدين ، حتى يبدل الله عسره يسرا كما قال تعالى : « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » (البقرة ٢٨٠) أو يضع عنه الدين ، ويبرىء ذمته منه ، ابتغاء وجه الله ، فيقيه بذلك هم الليل ، وذل النهار ، أو يعطيه من المال ما يزول به اعساره ، وكلاهما له فضل عظيم . ففى الصحيحين : « كان رجل يداين الناس ، فكان يقول لفتاه : اذا أتيت معسرا فتجاوز عنه ، لعل الله أن يتجاوز عنا ، فلقى الله فتجاوز عنه » .. وفى رواية قال الله : « نحن أحق بذلك منه ، تجاوزوا عنه » ! وقال صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة ، فلينفس عن معسر أو يضع عنه » وفى حديث آخر : « من أنظر معسرا، أو وضع عنه ، أظله الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله » ويقول عليه الصلاة والسلام : « من أراد أن تستجاب دعوته ، وتنكشف كربته ، فليفرج عن معسر » واقراض المحتاج من أعظم درجات المعروف ، وافضل القربات عند الله ، لأن صاحب القرض ، لا يطلب الا محتاجا، فهو أعظم أجرا من الصدقة ، لأنها ربما وقعت على غير أهلها .

ومن ستر مسلما ، ستره الله فى الدنيا والآخرة :

ستر العيوب فضيلة ، والمتصف بها متخلق بأخلاق الله عز وجل ، وقد تتابعت النصوص تشيد بهذه الفضيلة ، وتعلى من شأنها ، وتنهى عن رذيلة كشف العيوب ، وتتبع العورات .. فقد أخرج ابن ماجه : « من ستر عورة أخيه ، ستر الله عورته يوم القيامة » وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى : « يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الايمان فى قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فان من تتبع عوراتهم ، تتبع الله عورته ، ومن

تتبع الله عورته ، يفضحه فى بيته » والستر المطلوب ، انما هو على من لم يشتهر بالأذى والضرر ، فهذا لا يستر عليه ، بل يجب اظهار حاله للناس ، حتى لا يخدعوا فيه ، فيقعوا فى شره ، أما المستور الحال الذى لا يعرف بشىء من المعاصى ، فاذا بدرت منه هفوة ، أو وقعت منه زلة ، فلا يجوز هتكها والتحدث بها .. هذا كله فى ستر معصية وقعت وانقضت، أما المتلبس بالمعصية فعلا ، فالواجب زجره ولا يحل تركه ، ومن عجز لزمه رفع الأمر الى الحاكم ، اذا اقتضى الأمر ذلك ..

أما الشهود ، والأمناء على شئون الدولة ، والقائمون على مصالح الناس ، فيجب كشف عيوبهم عند الحاجة الى ذلك ، حتى توضع أهليتهم فى ميزانها الصحيح ، وليس تجريحهم من الغيبة المحرمة ، بل هو من النصيحة الواجبة ..

والله فى عون العبد ، ما كان العبد فى عون الله :

هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، فهذه الجملة ، شاملة لجميع الفضائل التى تضمنها الحديث، والاعانة فيها مطلقة فى اى زمان أو مكان ، بالرأى ، وبالبدن ، وبالمال ، وبالجاه والسلطان، وهى دائمة بدوام كون العبد فى عون أخيه ، وهذا المبدأ ينطوى على جميع أنواع المساعدات، ما كان منها فى عصر النبوة ، أو وجد بعد ذلك على توالى العصور ، مهما تنوعت أساليب المعونة، وتعددت وسائلها ، وذلك يشمل مشروعات البر ، والخدمات الاجتماعية ، وكل ما من شأنه توطيد دعائم التعاون بين الأفراد والجماعات .. وفى تاريخ المكرمات فى الاسلام صور مشرقة للتعاون مع الغير ، واغاثة الملهوف ، وقضاء الحوائج ، نسجل منها ما يجب على كل مسلم أن يعيه ، ويفاخر به ، ويغالى بقيمته ، فهو دليل على ان الاسلام تتفجر تعاليمه برا ورحمة ، لتفيض على الناس أجمعين سماحة ونبلا ..

عن الحسن أنه أمر ثابتا البنانى بالمشى فى حاجة له ، فقال : انا معتكف ! فقال لهالحسن : يا أعمش ! أما تعلم أن مشيك فى حاجة أخيك المسلم ، خير لك من حجة بعد حجة ..

وروى الامام احمد أن خباب بن الأرت خرج فى سرية ، فكان صلى الله عليه وسلم يحلب عنز العيالة ، فتمتلىء الجفنة حتى يفيض حلابها عن سابق عهده .

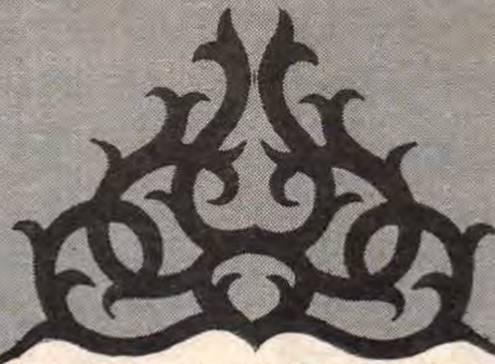
وكان أبو بكر يحلب للحى اغنامهم، لأن العرب كانوا يستقبحون أن تحلب النساء ، فلما استخلف ابو بكر ، قالت جارية من الحى : الآن لا يحلب لنا ! فقال أبو بكر : بلى ، وانى لأرجو الا يغيرنى ما دخلت فيه ، عن شىء كنت أفعله ، واستمر يحلب لهم ..

وكان عمر ــ رضى الله عنه ــ يتعاهد الأرامل ، فيستقى لهن الماء ، ويخرج عنهن الأذى ، ويكنس لهن البيوت ! ورآه طلحة مرة داخلا بيت امرأة ليلا ، فدخل لها نهارا ، فاذا هى عجوز عمياء مقعدة ، فقال لها : ما يصنع هذا الرجل عندك ؟ فقالت له : منذ كذا يتعاهدنى بما يقوم بى من البر ، وما يصلح لى شأنى ! فقال طلحة لنفسه : ثكلتك أمك يا طلحة ! أعورات عمر تتبع ؟! كما كان الخليفة العظيم ، يتفقد بيوت المدينة ليلا ، فيوفر لها الأمن ، ويقضى حاجة

المحتاج ، ويعالج مشاكل النـــاس ، ويكرم الغرباء الضاربين خيامهم حول المدينة ، ويؤلمه بكاء صبى فى جوف الليل ، فلا تهدأ نفسه حتى يكفكف دموعه !!

وهكذا .. يضع الرسول الكريم فى هذا الحديث ، الأساس الذى تقوم عليه المعاملات بين الناس ، ويوضح الاسلوب الذى تعالج به الواجبات تجاه العلاقات الانسانية ، فهو يجعل الصلة بين الناس تستمد خصائصها من منابع نقية لا تكدرها شـــوائب المادة ، ولا تزجيها الأطماع والمنافع ، ولكن يحركها الحب فى الله ، والرغبة الصادقة فى مرضاته ، والتمـــاس الحسنى فى الدار الآخرة ، وهذه هى حقيقة الايمان ، وصفة أولياء الله ، أصحاب البواعث الربانية الطاهرة ، الذين يقدم الرسول العظيم لهم هذه الصورة الكريمة فيقول : « ان من عباد الله أناسا ، ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله تعـــالى » قالوا : يا رسول الله من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله ، على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى منابر من نور ، ولا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس، ثم تلا هذه الآية : « الا ان أوليـــاء الله ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون » .





في اليهود مادية جامحة ولا إنسانية في السلوك

ظلمهم لأنفسهم ولغيرهم ..

كفرهم وصدهم عن سبيل الله ..

قتلهم الأنبياء بغير حق ..

شيوع الربا فيهم ، وانتشاره منهم ..

أكلهم السحت والأموال بالباطل ..

لجاجتهم فى السؤال وعدم وفائهم ..

تطاولهــم .. وتدنيهم فى المعتقد والسلوك ..

للأستاذ الدكتور محمد البهى

من اجل خطورة (الربا) فى المجتمع على سـلامة توجيه الانسان وجهده فى الحياة ، وادائه لرسالته فيها كان قول القرآن الكريم ..

« يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين .. فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله . وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة . وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

فكان هذا القول فيصلا بين ماض وحاضر :
ماض .. تصفى رواسبه من بقايا هذا الوباء فى حزم واصرار **« فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله » !**

وحاضر .. يبدأ بداية انسانية كريمة ، فصاحب المال يأخذ ماله فقط دون اضافة او زيادة عليه **« وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .**

وصاحب الحاجة المستضعف يدفع ما اقترضه فحسب اذا كان ذا قدرة على الدفع والا أرجىء الى ميسرة فيه بعد ذلك **« وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » !!**

على ان اصحاب رؤوس الأموال لو علمـوا الخير لأنفسـهم لتنازلوا فى اقتناع نفسى عما قدموه من قروض دون انتظـار لاستردادها ممن آخذوها منهم وهم فى حالة عسر **« وان تصـدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » .**

انهم بهذا التنازل يعملون على أن تستل الاحقاد من نفوس الضعفاء ويعود لها صفاؤها .. وبالتالى ترجع العلاقات فى المجتمع الى وضع طبيعى ، تقوم على أمة متماسكة تؤدى رسـالتها خير أداء .. !

وهذا الاجراء ـ كما تلزم الآية الأخذ به ـ يتسم (بروح الثورة) .. !!

ان الثورة تقوم على دعامتين :

أولاهما : تصفية رواسب الماضى الضعيف المعوق لقيـام المجتمع الجديد .

وثانيهما : أخذ الحياة المستقبلة للأفراد والمجتمع على هدى من مبادىء جديدة ، بحيث تتركز يوما بعد يوم وبحيث يزداد انعكاس أثرها فى وضوح على علاقات الأفراد ، وفى تحقيق أهداف مجتمعهم المنشود وهى تلك الاهداف التى قام المجتمع الجديد لتحقيقها ..

وشأن الثورة الا تتراجع ، وألا تترك الحبل على الغـارب ، والا تسير طواعية أو كرها فى تجاهل ما يقع .. والا ما عادت ثورة بل تغدو أمرا مألوفا ، والا ما قام مجتمع جديد ، بل يصبح الوضـع عندئذ استمراراً للقديم ..

ومن هذه الروح الثورية الحازمة ، فى قطع دابر الربا فى المجتمع الاسلامى .. ينهج القرآن منهجه أيضا فى أن يقابل هذا الاجراء فى الأفراد بروح زكية وبدفع ذاتى قوى ، فيقول :

« وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » !

ان القرآن يعـكس المعادلة المـألوفة التى كانت جارية لدى القوم ..

كانوا يحسبون أن الربا ـ وهو زيادة ـ يضيف الى المـال مالا جديدا .. وأن الانفاق ابتغاء وجه الله ولصالح المجتمع ـ وهو اخراج وانقاص للمال ـ ينقص المال ولا يبقيه عند حده .. !!

ولكن أصبح الأمر على الضد فى حساب الاعتقاد والايمان !!

وطالما اعتقدوا وآمنوا ، فهم سعداء بما يعملون طبقا لاعتقادهم وايمانهم .. !!

والربا في تاريخ البشرية لم يشع في جماعة على نحو ما شاع في جماعة (اليهود) ، ولم يروجه فريق من الناس مثل ما روجه اليهود منذ فجر التاريخ البشرى حتى اليوم .. ورغم ما جاءهم من الرسل محذرين ومنذرين فانهم لم ينتهوا ابدا ، وأغلب الظن انهم لن ينتهوا ..

يقص القرآن الكريم عنهم :
« وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان ، وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون » ..

« فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ، واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما » ..

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

فمن مثل هذه الآيات ، وكذلك من واقع التاريخ الى اليوم .. نجد اليهود يتميزون بالظواهر النفسية الآتية :
أولا : باعتدائهم على الحق وأصحاب الرسالات الانسانية ، بالقتل والعناد فى المعارضة .

ثانيا : بصدهم عن سبيل الله ، وهى سبيل الخير العام فى الأمم والشعوب ، وباستئثارهم بالمصلحة لهم وحدهم .

ثالثا : بالمادية الجارفة التى تتمثل فى أكل أموال الناس بالباطل ، وباستخدام الربا كطريق رئيسى لاستثمار المال واستغلاله .

رابعا : بارتكاب وسائل الظلم ولو ضد أنفسهم .

« واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ، ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان » .

خامسا : بعدم وفائهم بالعهود والمواثيق ، ربما كان لتمكن الاتجاه المادى فيهم — عن طريق الوراثة — الأثر الاول فى مصاحبته الظواهر الاخرى لتصرفاتهم ومواقفهم ..

وقد تجاوز هذا الأثر لماديتهم الطاغية تصرفاتهم العملية الى ايمانهم القلبى وعقيدتهم النفسية .. فليست هناك أمة أو مجموعة من الناس أرسل رسول اليها فى التاريخ وطالبته برؤية الله عيانا ومشاهدة مثل ما فعل اليهود .

« واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » .

وليست هناك أمة أو مجموعة من الناس طلبت تغيير الطعام ولو الى أدنى فى المستوى واهتمت بمذاقه مثل ما فعل بنو اسرائيل مع موسى :

« واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها ، وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله . ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » . وليست هناك أمة أو مجموعة من الناس امتد بها التطاول بالمال والتفاخر به الى أن تصف نفسها بالغنى بينما تصف الله بالفقر سوى جماعة اليهود ..

« لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق .. » .

مادية جامحة .. فى الاعتقاد ..

ومادية أخرى جامحة .. فى التصرف والسلوك .. !

هذه المادية الجامحة .. فى طرفيها العملى والعقيدى تساوى : « لا انسانية » فى المعاملة .. !!

و (الربا) .. والاصرار على التعامل على أساسه ظاهرة طبيعية لدى من فقد الانسانية وتمكنت منه المادية الطاغية ..

واذا قيل : إن اليهود يشجعون الرأسمالية ونظام الحرية الفردية فى استغلال رأس المال فذلك لأنهم يرون هذا النظام فرصة للسيطرة واستغلال الأكثرية من الناس فى حاجتها الى المال ..

والربا أوضح صور الاستغلال البشرى عن طريق المـــال ، وأيسرها فى انماء المال وتكثيره ، فهم قراصنة المال فى المؤسسات المالية والاقتصادية العالمية ، ولكن اذا قيل أنهم يشجعون الفكر الشيوعى ويرسمون للشيوعية طريق الفكر الانسانى فذلك لأنهم يريدون تقويض المجتمع المسيحى ، ورفع المسيحية كدين يربط بين المسيحيين ويقنن لهم السلوك الخلقى ..

اذ السيطرة العالمية ـ وهى هدف اليهود ـ لا تنمو الا فى ظل احتكار المال سواء فى تداوله أو تشغيله .. ولا تنمو أيضـــا الا فى ظل انهيار المسيحية ، كدين يجمع بين أصحاب القوة فى الحضارة الصناعية الحديثة ، إذ أن من عدا المسيحيين من المسلمين والبوذيين وغيرهم ، فبقدر مالهم من كثرة عددية ، يغلب عليـــهم الضعف فى جوانب القوة الموجهة فى عالمنا المعاصر ..

وهناك شك فى أن هؤلاء أو أولئكم « من المسلمين والبوذيين » أو غيرهم اذا كسبوا جانبا من جوانب القوة المعاصرة يكسبونها عن طريق الترابط على أساس الدين كقوة ايمانية ، ان الاسلام اليوم كالبوذية اليوم فى أزمة عنيفة لا يستطيع معها أن يرى مصيره غدا أو يلمح بعض ظواهرها .

وهذه المظاهر :

اولا : أزمة الالحاد الماركسى ، ومعها أزمة (الصـــــليبية الاستعمارية) وبالأخص بالنسبة للاسلام .

وثانيا : أزمة جمود رجال الدين بالنسبة للاسلام أو البوذية ، وضعف عرضهم للمبادىء الدينية فى مواجهة العرض الحـــديث للآراء والمبادىء المناوئة للقيم السماوية .

وذلك كله بالاضافة الى جهل الناشئة فى المجتمعات الافريقية والآسيوية ، أو سوء فهمها لمطلوب الدين ورسالته فى أى مجتمع منها ، ثم فى المجتمع الانسانى العالمى .



قصة آدم عليه السلام وإبليس في القرآن الكريم

وتخرصات صادق جلال العظم في صددها !

الأستاذ : محمد عزة دروزة

— ١ —

ان المتمعن فى هذه القصة يجدها متصفة بكل صفات وأهداف القصص القرآنية التى شرحناها فى المقال السابق . من حيث أنها جاءت بسبيل العظة والعبرة والتنبيه والتحذير . ومن حيث أنها لم تكن مجهولة كليا أو جزئيا من سامعى القرآن الكريم الأولين . ومن حيث كونها من الوسائل التدعيمية للدعوة الاسلامية النبوية ومن المتشابهات التى يجب الوقوف منها عندما وقف عنده القرآن مع استشفاف ما فيها من حكمة وعظة وعبرة وتحذير وتدعيم .

— ٢ —

ومن الدلائل على ذلك تكرر القصة مثل معظم القصص القرآنية ، حيث تكررت بأساليب مختلفة فى سبع سور . ست منها فى سور مكية . وهى سور : الأعراف ، والحجر ، والإسراء ، والكهف ، وطه ، و ص . ومرة فى سورة البقرة

المدنية . وبينها وبين قصص الأنبياء السابقين وأقوالهم مماثلة من ناحية التكرار ومن ناحية الأسلوب والسياق . حيث جاءت مقتضبة حينا ومسهبة حينا . وفى كل مرة جاءت فى سياق التنديد بالكفارة ومواقفهم وتمردهم كما كان ذلك فى القصص الأخرى . وقد ربطت بين موقف إبليس واستحقاقه لغضب الله بسبب تمرده وبين مواقفهم وتمردهم . وأسلوبها وعظى وليس سردا قصصيا .

— ٣ —

وكلمة (إبليس) هى من جذر (أبلس) بمعنى (يئس) (١) وقد جاء هذا الجذر فى آيات عديدة منها آية ١٣٤ فى سورة الروم : (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) ، وآية (٧٤ و ٧٥) فى سورة الزخرف (إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون . لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون) . والكلمة نعت ذم . ولا شك فى أنها كانت مستعملة قبل نزول القرآن بهذا المعنى . وبالتالى إن العرب كانوا يفهمون دلالتها وهى اليائس من رحمة الله . وأنهم كانوا يعرفون أن إبليس علم على من يوسوس للناس ويغريهم بالكفر والمنكرات ويصرفهم عن الله ومكارم الأخلاق . وأنه مطرود من رحمة الله .

— ٤ —

وقصة خلق آدم وزوجته وخروجهما من الجنة باغراء الحية من قصص سفر التكوين أول أسفار العهد القديم المتداول اليوم نسخة منه . والذى نعتقد انه كان متداولا فى بيئة النبى صلى الله عليه وسلم . وكان ما فيه من قصص معروفا فى أوساط هذه البيئة . وفى الاصحاح (٢٠) من سفر رؤيا القديس يوحنا من أسفار العهد الجديد المتداول اليوم والذى كان على ما نعتقد متداولا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وبيئته أن الحية القديمة هى إبليس . اى ان اهل الكتاب كانوا يتداولون أن الذى أغرى آدم عليه السلام وزوجته ، وكان سببا فى إخراجهما من الجنة وهبوطهما الى الأرض هو (إبليس) ويجوز أن يكون هذا واردا فى قراطيس وأسفار لم تصل الينا ، وفى صيغة القصة فى سورة الأعراف الآيات (١١ — ٢٧) وما جاء فى سفر التكوين عنها (الاصحاحان الثانى والثالث) تطابق غير يسير .

وكل هذا يسوغ القول ان سامعى القرآن من العرب كانوا يعرفون القصة قبل نزوله . واذا كانت هناك نقاط لم ترد فى القرآن ووردت فى السفر أو لم ترد فى السفر ووردت فى القرآن فالذى نعتقده أن ما ورد فى القرآن كان هو المتداول أو كان متداولا . وهكذا تكون القصة من ناحيتها كقصص القرآن جاءت للتذكير بأمر كان معروفا من السامعين للموعظة والعبرة . فكان ذلك من حكمة إيرادها حتى يتأثر بذلك سامعو القرآن من العرب .

— ٥ —

والمتمعن فى صيغ القصة يجد العظة والتذكير والتحذير هو المقصود الرئيسى فيها . ولقد وجه الخطاب فى معظمها الى الناس والى بنى آدم بصورة عامة . ومما استهدفته القصة كذلك تسلية النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين :

فالذين لا يستجيبون الى الدعوة هم ذوو النيات الخبيثة ، والقلوب المريضة ، المتكبرون المتعالون ، الذين يجد إبليس فيهم مجالا واستعدادا للوسوسة والإغراء، ومصيرهم جميعا النار . والطريق مسدود أمام إبليس بالنسبة لذوى النيات الحسنة ، والرغبة الصادقة فى الحق والهدى ، الذين يستجيبون الى دعوة الله ورسالة رسوله . وهذا مما تمثل فى ما جاء فى أكثر الصيغ : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين . وان جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم . إن المتقين فى جنات وعيون . ادخلوها بسلام آمنين) والمعنى فى الآية الأولى محكى عن لسان ابليس (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين) .

— ٦ —

ولعل مما يندمج فى أهداف القصةوأسلوبها أمرانمهمان بالنسبة الىعقائد العرب فى الملائكة . فقد كانوا يعتقدون أنهم بنات الله ، ويعبدونهم أو يشركونهم فى الدعاء مع الله ليكونوا شفعاء لهم عنده . وفى أذهانهم صورة فخمة عنهم . فأريد بذلك **أولا** توجيه العرب الذين للملائكة فى أذهانهم هذه الصورة الى الاحتذاء بهم فى طاعة الله واستجابة الدعوة التى دعاهم بها رسوله . **وثانيا** تفهم العرب أن الملائكة الذين يعبدونهم ويشركونهم مع الله ليسوا الا عبيدا له . يسجدون بأمره لمن خلقه من طين استغراقا فى الخضوع له . وأن من كان هذا شأنه لا يجوز اتخاذه الها أو شريكا مع الله . واعتقاد القدرة فيه على النفع والضرر والمنح والمنع . وفى القرآن حكاية لتنصل الملائكة من الذين يعبدونهم ، وتقرير عن لسانهم بخضوعهم لله وعبوديتهم له وحده ، كما ترى فى هذه الآيات التى فيها فى الوقت نفسه تنديد بالمشركين وإنذار بما سوف يكون من أمرهم يوم القيامة ، وكيف يتنصل منهم الملائكة مما يلمح فيه حكمة قصد حمل المشركين على الارعواء :

١ — « ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » النحل (٤٩ و ٥٠) .

٢ — « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » . . الأنبياء (٢٥ — ٢٨) .

٣ — « ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون . . سبأ (٤٠ و ٤١) .

— ٧ —

كذلك فان المتمعن فى آيات صيغ القصة السبع يجد أنها تحتمل وجوها عديدة للتأويل . وأن فيها ما لا يعلم تأويله الا الله . ولا يدرك العقل البشرى سره . وبكلمة أخرى يظهر له أنها من المتشابهات التى أوجب القرآن الوقوف منها عندما اقتضت حكمة التنزيل إيحاءه منها بالأسلوب الذى جاءت عليه لتحقيق الهدف الذى استهدفته دون تورط فى التخمين والتزيد والتكلف والاستنتاج واستكناه الماهيات والاستنباط الموضوعى على غير طائل ولا ضرورة من دين

وعلم . بحيث يكون الخروج عن هذا النطاق خروجا عن نطاق الضابط القرآنى . والهدف القرآنى ودخولا فى متاهات التأويل التى حذر القرآن ورسول الله منها .

— ٨ —

واذا كان المفسرون قد أوردوا بحسن نية بيانات كثيرة على هامش صيغ القصة فى صدد خلق آدم وزوجته والجنة والملائكة وابليس وهويته ودريته وطرده وخروج آدم وزوجته من الجنة . وما كان فى الكون قبلهما من خلق . وما جرى من حوار بين الله والملائكة وبينهم وبين ابليس . وبينهم وبين آدم الخ الخ . . شيبت بكثير من الاغراب والخيال والمبالغة دون سند وثيق من كتاب الله وحديث وعلم يقينى كما فعلوا بحسن نية أيضا مثل ذلك على هامش القصص القرآنية الأخرى فان كتاب الله لا يتحمل مسئوليته وان كان فيه دلالة على أن هذه القصة كانت متداولة مع كثير من الحواشى والزوائد فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وبيئته .

— ٩ —

والجواب الذى أوردناه فى بحث القصص القرآنية عن سؤال قد يرد عما اذا كانت القصص حقائق ووقائع يورد هنا أيضا . فكل ما جاء فى القرآن من هذه القصة وحى ربانى . واننا نقول وينبغى على كل مسلم أن يقول (آمنا به كل من عند ربنا) مع القول ان القصة مما كان معروفا عند السامعين . وان ما ورد فى القرآن فى صددها وبصيغها العديدة قد استهدف فى الدرجة الأولى تدعيم الرسالة المحمدية والعبرة والعظة وانه من المتشابهات التى يجب الوقوف منها عندما اقتضت حكمة التنزيل ايحاء وبالاسلوب الذى جاء به لتحقيق الهدف الذى جاء من أجله والذى شرحنا ما هو الملموح منه دون تزيد ولا تكلف ولا ضرورة لهما ولا طائل من ورائهما . وليس من ضرورة دينية لاستكناه كنهه الذى حصر الله علم تأويله فى نفسه كما جاء فى آية سورة آل عمران .

— ١٠ —

ولقد القى صادق جلال العظم الدكتور فى الفلسفة فى النادى الثقافى فى بيروت محاضرة بعنوان (مأساة ابليس) ونشرها فى كتابه (نقد الفكر الدينى) فيها كثير من التمحل والتعسف والسفسطة دون اعتبار بما هو واضح من أهداف العظة والعبرة وبما فى القرآن من نصوص صريحة حاسمة .
ومن محصل ما قاله ان ابليس الذى كان كبير الملائكة وقد وجد نفسه أمام أمر وواجب . فالله يأمره بالسجود لغيره . والله أوجب على خلقه وهو من الجملة أن لا يسجدوا لغيره فتمرد على أمر السجود لغير الله مفضلا الالتزام بواجب عدم السجود لغير الله فكانت مأساته ، وكان ضحية تناقض الله بزعمه — تعالى الله وتنزه عن ذلك — وقد جعل صادق العظم هذا الزعم اللولب والمحور اللذين تدور عليهما محاضرته . وأكثر من الابداء والاعادة فيهما الى درجة الاملال . وهو فى ذلك مجازف متهافت . ولقد ناقش كلام بعض المفسرين والباحثين

الذين قالوا ان السجود الذى أمر الله به الملائكة هو سجود تكريم وليس سجود عبادة وأبى ان يأخذ بهذا واصر على القول انه ليس للسجود فى القرآن الا معنى واحد وهو العبادة . وتعامى عما فى القرآن من آيات مؤيدة لذلك القول . والتى تلزمه الزاما لافكاك له منه . لأنه منطلق من العبارات القرآنية للقصة .. ولقد جاء فى صيغة القصة فى سورة الاسراء على لسان ابليس (قال أأسجد لمن خلقت طينا . قال أرايتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا ٦١ و ٦٢) وهذا المعنى ملموح فيما حكته آيات الأعراف و ص من قول ابليس (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين .. الأعراف ١٢ و ص ٧٦) ولقد حكى القرآن سجود أبوى يوسف واخوته ليوسف فى سورة يوسف (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا ..) ١٠٠ ، ولا يمكن لأى كان أن يزعم أن سجودهم ليوسف كان سجود عبادة . وتعامى العظم كذلك عما فى القرآن من قول الله له أنه فى عدم سجوده متكبر متعال كما جاء فى صيغتى الأعراف وص (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) و (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين) . ولم يحك القرآن أن ابليس اعتذر بأنه لا يجوز له أن يسجد لغير الله . ولكنه حكى قوله جوابا على السؤال الوارد فى صيغة سورة ص (قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) ثم تعامى عما قرره القرآن من اعتبار الله سبحانه ابليس متمردا عليه بعدم سجوده ، واستحقاقه من أجل ذلك الطرد واللعنة المخلدة . والنار مع من يتبعه كما جاء فى صيغة الاعراف (قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين) وفى صيغة الحجر (قال فاخرج منها فانك رجيم . وان عليك اللعنة الى يوم الدين) وهو ملزم بهذا كما قلنا الزاما لا فكاك له منه . لأنه ينطلق من العبارة القرآنية للقصة التى لم ترد بعباراتها وأسلوبها ومداها فى غير القرآن . وتعامى كذلك تعاميا عجيبا عن أن القرآن يدور جملة وتفصيلا فى الدرجة الأولى على الدعوة الى عبادة الله وحده ومحاربة كل أنواع الشرك وعبادة غير الله والسجود لغير الله بأى صورة وتأويل وعمل . وعن ان الله يتنزه والحالة هذه عن أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم سجود عبادة . وتعامى عن كون .. اطاعة الملائكة لأمر الله بالسجود لآدم سجود عبادة تجعلهم مشركين وهم الذين ينزههم القرآن عن ذلك ويقرر أنهم دائمو العبادة والتسبيح والتقديس لله وحده . وتعامى عن كونه بدعواه يقف موقفا فيه كل السخف اذ يجعل ابليس اشد حرصا على التمسك بواجب توحيد الله والسجود له وحده من الله نفسه . ويجعله مؤمنا موحدا ضحى بنفسه ببطولة مأساوية — على حد تعبير سخيف له — فى سبيل عقيدته رغما عن نصوص القرآن التى تصف ابليس بالكافر المستكبر المتمرد المتعالى على الله الفاسق عن امره المستحق بذلك لغضب الله ولعنته والخلود فى ناره . وتغافل أو غفل عما انطوى فى القصة من صيغها المتكررة وسياق هذه الصيغ من اهداف العبرة والتذكير والموعظة التى تبدو لكل قارىء للقرآن دون ما حاجة الى نباهة كبيرة . وكونها هى المقصودة الجوهرية من قصة يعرفها السامعون ويعرفون مداها قبل نزول القرآن . وعن كون آيات الصيغ اذا ما عرضت كلها فى نظرة واحدة شاملة من المتشابهات التى تتحمل وجوها عديدة للتأويل والتى فيها ما لا يدرك تأويله عقل الانسان وليست من المحكمات . ويقتبس صادق العظم اقوالا لبعض المفسرين والمؤلفين المسلمين عن ابليس وتمرده . ومحاورات مفروضة

متخيلة بينه وبين الله وبينه وبين موسى وبينه وبين بعض المؤلفين . ويقارن بين موقف ابليس وآدم وقصة ابليس وابتلاء ابراهيم بذبح ابنه . وبين هــذه القصص وبين بعض قصص فيها مواقف محرجة أو مآسى متناقضة . ولكن كل هــذا جزاف لا يتحمل القرآن مسئوليته . ومما قاله فى صدد ذلك حتى لكأنه يناقش قصة يعتقد بها ـــ مع أنه ليس معتقدا بها أصلا ـــ (يتكون جوهر الكبرياء المأساوية من رفض البطل لان يبقى سلبيا فى وجه ما يعتبره تحديا لواجبه ومنزلته وكرامته حتى لو كان يعلم أن هذا التحدى هو جزء من مصيره وان كبرياءه تنتهى به الى الدمار واليأس والموت . وهكذا انتهى أوديب بطل قصة شكسبير . وهكذا انتهت انتيجون بطلة قصة أخرى . وهكذا انتهى ابليس . أما آدم فلم يعرف هذا النوع من الكبرياء على الاطلاق . ولو كان مقدرا له أن يكون شخصية ماساوية لما قال (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) حيث نستنتج اذن أن كبرياء ابليس لم تكن ناتجة عن عجرفة فارغة . ولا عن تطاول على معبوده ، بل كانت كبرياء ماساوية دفعته لأن يلجأ الى الله من قضاء الله عليه . ولم يغير ابليس موقفه من ربه حتى بعد أن أصبح طريدا ولعينا . وأقل ما يوصف به هذا الكلام بالنسبة لقصة آدم وابليس ازاء الله تعالى هو هراء وكلام فارغ . ما دام فى القرآن الذى ينطلق العظم من نصوصه ذلك الحسم الصريح الذى يخـــرج ابليس به من نطاق زعم المأساة والتضحية بالنفس وبطولة العقيدة وكرامة الواجب .. !

والعظيم يبدأ ويعيد فى موضوع المشيئة والارادة الربانية وكون ابليس غير مستطيع الخـــروج من نطاقهما ويقول أن فى ذلك مأساة له أيضا (لأن الله لو شاء لابليس أن يسجد لآدم لسجد . ولو شاء للملائكة أن لا يسجدوا لما سجدوا . ولو شاء لآدم أن لا يقع فى أغراء ابليس لما وقع . ولكنه لم يشأ أن لا يقع آدم فى الاغراء . وشاء أن يقع فوقع . ولم يشأ أن يسجد ابليس فلم يسجد فى حين أنه لم يشأ أن يعصى الملائكة فلم يعصوا وهكذا ذهب ابليس ضحية تناقض اللــه ـــ تعالى وتنزه ـــ الذى أمره بشىء أو أراد منه شيئا ولم يشأ أن يفعله فلم يستطع ان يفعله بطبيعة الحال) . ولم يكتف بهذا الجدل السفسطى بل اتبعه بتعبير بذىء متهافت حيث قال : (ان ابليس يواجه الرب وهو يناقض نفسه بصورة مباشرة مفضوحة فذهب ضحية هذا التناقض وضحية الموقف الذى وقفه فكان جحوده أعظم تقديس للذات الالهية وأكبر مثل على التمسك بحقيقة التوحيد ..) وتعامى وهو ينفث هذا الهراء والبذاءة عن ما فى القرآن من تقريرات محكمة بأن الله أوجد فى العقلاء من خلقه قابلية التمييز بين الخير والشر والهدى والضلال والحق والباطل والطاعة والعصيان وقابلية الاختيار من ذلك . ورتب عليهم نتائج تمييزهم واختيارهم مما تمثل فى آيات كثيرة مبثوثة فى مختلف سور القـــرآن . وهى تفيد أن ذلك مطلق لجميع خلق الله العاقلين بما فيهم الملائكة وابليس والجن . وتغافل عن كون الامر قد وجه للملائكة وابليس ضمنا . وعاقبه الله على تمرده لأنه لم يسجد . وان الملائكة اختاروا الطاعة وان ابليس تكبر وعصى . وأن ذلك كان باختياره . فاستحق لعنة الله وناره . ولا يصح أن يستخرج من كون الله لو شاء أن يسجد ابليس لآدم لسجد وما استطاع أن يمتنع ان الله لم يشأ ذلك ما دام قد أمر به . والتأويل الاوجه هو أن الله لم يشأ أن يقر ابليس على السجـــــود ويفرض مشيئته بذلك عليه فرضا بل تركه هو والملائكة لاختيارهم فاستجـــاب الملائكة باختيارهم طاعة واذعانا . وعصى هو باختياره تكبرا وأنفة . ومن تقريرات القرآن المحكمـــة أن الله تعالى لا يكلف نفســـا الا وسعها . فلا يصـــح

أن يفرض أن الله أمرهم بالسجود الا مع فرض أنهم قادرون على فعله باختيارهم وقد غفل العظيم عن آيات قرآنية عديدة فيها تأييد لذلك منها آية ٩٩ من سورة يونس (ولو شاء ربك لآن من فى الارض كلهم جميعا افأنت تكره الناس حتىيكونوا مؤمنين) التى لها مثيلات عديدة . حيث تعنى أن الله تركهم لاختيارهم ولم يشأ أن يقسرهم . وفى القرآن آيات حكت احتجاج الكفار المشركين بمثل الحجة التى يسوقها العظم ورد عليهم بما فيه حسم لهذه النقطة أيضا مما غفل العظم عنه كذلك . ومنها هذه الآية :(وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شىء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين) النحل ٣٥ ، التى لها مثيلات عديدة ، ويتحجج العظم بما فى آيات سورة الأعراف من حكاية لقول ابليس (قال فبما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) ١٦ ، ١٧ ، لتسويغ كون ما وقع على ابليس كان من إغواء الله ــ تنزه الله عن ذلك ــ والعبادة هى حكاية لقول ابليس وليس فيها اقرار لهذا القول ، وجاء بعدها (قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين) . وكلام ابليس المحكى من نوع ما تحجج به المشركون وقد رد عليهم القرآن ولم يقرهم عليه .

وقد تساق آيات قرآنية قد تفيد أن الناس لا يشاءون الا ما شاء الله . غير أن هناك آيات تنسب المشيئة الى الناس مطلقا حيث يصح القول أن تنوع الاساليب مما اقتضته حكمة التنزيل والسياق . والمحيط بجميع القرآن الذى اتاه الله حسن النية والفهم والبعد عن المماحكة واجد تخريجا لكل ما قد يبدو مشكلا فى آية لحدتها وواجد فى القرآن ضوابط محكمة بحيث تفسر المتشابهات وتحل الاشكالات على ضوئها . والمقال يضيق عن تفصيل ذلك . ولعلنا نعود اليه فى مقال آخر .

ويستطرد العظم الى ما فى القرآن من اشارات الى اغراءات ابليس ومرادفه الشيطان وتزيينهما للناس بأذن الله وما يترتب على ذلك . ويحاول أن يجعل ذلك من المسائل القرآنية الكبرى وأن يصوره على أنه شغل الحيز الاكبر فى عقائد المسلمين وأعمالهم ونشاطهم وان يبرز ما فى ذلك حسب زعمه من ثغرات وتناقض وتعارض ولا يتورع عن اساءة الادب نحو الله تعالى فيقول فى بعض مواضع من كتابه (ان الله قد سلط ابليس والشيطان على الانسان وأمره بالايمان به . وعدم اطاعتهما فى حين قدر عليه الوقوع فى شبكتهما . فلم يكن له مناص من ذلك فذهب بدوره ضحية تناقض الله ومكره ــ تنزه وتعالى عن ذلك . هذا فى حين أن هذه المسألة أيضا من المسائل المتشابهة فى القرآن التى تتحمل آياتها تأويلات عديدة والتى قد لا يدرك مدى بعضها عقل الانسان والتى لا يجوز أن تغطى على ما فى القرآن من محكمات يوضع بها الأمر فى نصابه الحق . وفيها فى الوقت نفسه تدعيم للدعوة النبوية . واذا كان حقا فى القرآن آيات فيها ذكر لتسلط ابليس والشيطان بل ولتسليطهما من الله فان فى سياق هذه الآيات ما يفيد بجزم أن ذلك هو بالنسبة للمنحرفين الآثمين الكافرين الفاسقين دون عباد الله المؤمنين المتقين الصالحين المستقيمين فضلا عما فيه من آيات فيها تحذير من اتباع الشيطان وآيات فيها حكاية تنصل الشيطان من الذين يطيعونه ويقعون فى اغراءاته بسبيل التحذير والتنبيه أيضا . ولا يصح أن يكون هذا الا مع فرض جازم بأن الله تعالى يعلم أنهم قادرون على الحذر والنجاة منه . ولا يصح أن يفرض أن الله يقول هذا

ثم يجعل الشيطان قادرا على نقضه . ويكفى القارىء أن يرجع الى المصحف ليرى آيات كثيرة تضع هذا الامر فى نصابه الحق وتلقم المتخرصين المسيئين لأدبهم نحو الله .

وبعد فاذا كان يحلو لصادق العظم أن يعلن إلحاده . وعدم ايمانه بالله والنبى والقرآن وأن يقول انه أورد ما أورده فى كتابه (نقد الفكر الدينى) على سبيل الدراسة ونقد الفكر الدينى عند المسلمين وحسب فانه ملزم ـ ويقال هذا لكل ملحد على شاكلته ـ ما دام يستند فى دراسته ونقده الى القرآن وهو الدكتور فى الفلسفة والمفروض فيه صدق الرغبة فى البحث والتحرى والتروى والاستنتاج الصادق وعدم المجازفة والمغامرة والقاء الكلام على عواهنه وعدم المماحكة اللفظية وأن يكون أكثر ترويا وأناة وأقل سخفا وبذاءة . وأن يستوعب القرآن من كل جوانبه ويربط بعضه ببعض ويفسر بعضه ببعض وأن لا يعمد كما يفعل سخفاء المبشرين الى المماحكات الكلامية بقصد اظهار التناقض والثغرات فى القرآن وعقائد المسلمين وفى أسس الدين الاسلامى تعسفا وتجنيا . ولو فعل ذلك حقا وصدقا ورغبة فى الحق لتبين له الحق ولما سجل ما سجله على نفسه من التعسف والمجازفة وسوء الادب حتى ولا الالحاد ، والحاده لا يسوغ له اخلاقيا وعلميا ذلك التعسف وعدم استيعاب القرآن واعتباره كلا متكاملا يتمم بعضه بعضا ويفسر بعضه بعضا ويوضح بعضه بعضا ويقرر ان فيه نوعين متميزين من الآيات هما آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات التى تتحمل وجوها عديدة والتى فى بعضها ما يعيا فهمه على عقل الانسان ويقرر ان الذى يقف عند متشابهه دون محكمه ويتبعه هو الذى فى قلبه زيغ ويقصد الفتنة فى سوء التأويل . والعلم والفلسفة اللذان يجب الاتسام بهما يوجبان عليه ذلك من حيث انه أمام مدونة أو وثيقة ـ بقطع النظر عن تقديس مئات الملايين لها ـ من واجبه أن يكون فى بحثها وفحصها وتمحيصها أمينا مترويا لجميع جوانبها ملتزما بما وضعته من ضوابط .



---

(١) بعضهم يزعم أن كلمة ابليس معروفة من اليونانية (بابلوس) ونعتقد العكس اى أن اليونانية معربة من العربية . وما دام فى القرآن جذر فيصح للكلمة فلا يصح أن يفرض أنها غير عربية وصيغتها عربية . وعلى كل حال فلا محل للمراء ان الكلمة كانت مستعملة عند العرب قبل نزول القرآن . وقد نـزل القرآن بلسان عربى مبين .

نظرات في الحديث (٩)

المسند الإمام

للدكتور محمد عبد الرءوف

هذا هو مسند الإمام احمد بن حنبل رضى الله عنه . واليه ينصرف اللفظ عند الاطلاق . والامام احمد يرجع نسبه الى بنى شيبان ، يلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى نزار ابن معد بن عدنان ، وقد ولد الإمام عام ١٦٤ هـ فى بغداد ، وقيل ولد فى مرو ، وحملته أمه الى بغداد رضيعا ، فهو على كل حال قد نشأ فى بغداد اثناء العصر الذهبى للدولة العباسية، وفيها بدأ يطلب العلم يتيما حدثا حيث توفى والده وهو صغير ، وقد بدأ بملازمة مجلس أبى يوسف صاحب أبى حنيفة ، ثم مال الى الحديث ولزم حلقات شيخ المحدثين ببغداد هشيم ابن بشير حتى مات هشيم عام ١٨٣ هـ وكان قد لزم أحمد مجلسه أربع سنوات ، وهذا يعنى أن احمد بدأ يطلب الحديث ويحفظه وهو لم يكمل السادسة عشرة من عمره ، وبدأ يشتغل بالفقه وطلبه على يد القاضى أبى يوسف قبل ذلك ! وفى سنة ١٨٦ بدأ احمد رحلاته فى سبيل العلم وطلب الحديث ، فرحل الى البصرة ثم الى غيرها من الأمصار ، كالكوفة ، وواسط ، ومكة ، ليلتقى بكبار علمائها ويسمع الى فطاحل محدثيها ، من أمثال يحيى بن سعيد القطان ، ويزيد ابن هارون ، وأبى داود الطيالسى ، ووكيع بن الجراح ، وسفيان بن عيينة ومحمد بن إدريس الشافعى رضى الله تعالى عنهم جميعا ، وقد التقى بكل من ابن عيينة والشافعى بمكة ، ولزم مجلس الإمام الشافعى زمنا بها ، وكان الشافعى من اشد الناس نفوذا على شخصية الامام احمد رضى الله عنهما . وكما لقيه بمكة التقى به فى بغداد عندما رحل الشافعى اليها عام ١٩٥ هـ ثم سنة ١٩٨ هـ ولزمه بها حتى غادرها الشافعى الى مصر ،

وكان احمد وعد ان يزور الشافعى بها ، غير أن رغبة أحمد فى لقاء عبد الرزاق ليسمع منه فى اليمن ، ثم ضيق ذات اليد ، وتعجيل المنية بالشافعى عام ٢٠٤ هـ كل ذلك حال دون لقاء الإمامين بعد !

ويزعم (H. Laoust) الذى كتب عن الامام احمد فى دائرة المعارف الاسلامية فى الطبعة الانجليزية الأخيرة أن احمد لم يلتق بالامام الشافعى الا فى بغداد عام ١٩٥ هـ ، وأحال فى ذلك على ما قاله ابو الفدا فى « البداية والنهاية » (١) ، والعجيب ان أبا الفدا انما يذكر فى حديثه عن حياة الشافعى انه عندما عاد الى بغداد سنة ١٩٥ رحب به علماؤها وذكر ابن حنبل فى مقدمتهم (٢) ، وليس يعنى ذلك مطلقا أن هذا كان أول لقاء بين الشيخين ، كما ذكر ابو الفدا عند حديثه عن الامام أحمد ان الامام الشافعى قال له فى بغداد : « يا أبا عبد الله ! اذا صح عندكم الحديث فأعلمنى أذهب اليه . حجازيا كان أو شاميا أو عراقيا أو يمنيا (٣) ، ولكن هذا لا يمنع لقاء ابن حنبل بالشافعى بمكة من قبل .

ولقاء الشيخين بمكة من قبل ثابت . وملازمة ابن حنبل لحلقات الشافعى بها مؤكد معروف ، وحسبنا أن ننقل هنا ما قاله أحد رفاق ابن حنبل كان حج معه وافتقده بمكة ثم عثر عليه فى حلقة الامام الشافعى فى المسجد الحرام . يقول :

« حججت مع أحمد بن حنبل ، ونزلت معه فى مكان واحد ، وخرج وخرجت انا بعده ، فلما صليت الصبح درت المسجد فجئت مجلس سفيان بن عيينة ، وكنت أدور مجلسا مجلسا طالبا لأبى عبد الله ، فوجدته عند شاب أعرابى عليه ثياب مصبوغة وعلى رأسه جمة (٤) . فزاحمته حتى قعدت عند أحمد بن حنبل ، فقلت : يا أبا عبد الله: اتركت ابن عيينة وعنده الزهرى ، وعمرو بن دينار ، وزياد بن علاقة ، والله به عليم ؟ قال : اسكت فانه ان فاتك حديث بعلو تجده بنزول ، لا يضرك فى دينك ولا فى عقلك ، وان فاتك أمر هذا الفتى لا تجده الى يوم القيامة ، ما رأيت أفقه فى كتاب الله من هذا الفتى القرشى » (٥) .

وفى سنة ١٩٨ هـ كرر الرحلة الى مكة المكرمة بقصد الحج ثم مواصلة السفر بعد الى اليمن للسماع من الامام عبد الرزاق الصنعانى الذى سارت بذكره الركبان . وكثرت رحلات طلاب الحديث اليه ، ولقد حدث أن كان عبد الرزاق بمكة عند وصول أحمد اليها بعد أن أقام بها زمنا ، وتصادف ان كان قدوم احمد عشية رحيل عبد الرزاق منها الى اليمن ، وكان مع أحمد رفيقه وزميله المحدث اللامع المحقق يحيى بن معين وكان يعرف عبد الرزاق ، فلمحه بالمطاف فقدم له أحمد فسر عبد الرزاق بلقائه واثنى عليه لما كان يسمع عنه من فضل ، ولما هم عبد الرزاق بالانصراف عرض يحيى على احمد أن يلتمس من

---

١) احال على الجزء العاشر من الكتاب المذكور صفحات ٢٥١ ـ ٢٥٥ ، وصفحات ٣٢٦ و ٣٢٧ .

٢) الجزء العاشر من البداية والنهاية ، ص ٢٥٢ .

٣) نفس المرجع ، ص ٣٢٧ .

٤) هى شعر الناصية المتساقط على الجانبين.

٥) « احمد بن حنبل » للاستاذ عبد الحليم الجندى ، (المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ١٩٧٠) ، ص ٦٦ و ٦٧ .

الامام عبد الرزاق أن يضرب لهما موعدا من الغد للسماع منه بمكة ، ولكن أحمد ، لرفاهة حسه ورقة ذوقه آثر الا يؤخر الشيخ عن قصده وفضل أن يلحقا به الى اليمن مع ما فى ذلك من الجهد وعناء السفر وطول الطريق (٦) .

وبعد جوار بيت الله بضعة أشهر قام بالرحلة الى صنعاء عام ١٩٩ هـ سيرا على الأقدام وقد تأثر أحمد بطريقة شيخه عبد الرزاق فى الرواية إذ كان عبد الرزاق لا يعتمد على الذاكرة وحدها بل كان دائما يروى من كتاب ، وذلك حتى كفّ بصر الشيخ العظيم رحمه الله !

وهكذا تحمل أحمد فى رضى مشاق السفر وأخطار الطريق رغبة فى العلم وسعيا وراء الحديث ليلتقى ويحفظ من جهابذة علماء الأمصار وكبار محدثيها حج خمس مرات ، ثلاثا منها ماشيا ، كما كانت أكثر رحلاته من أجل العلم مشيا ، يرتزق فى أسفاره من عمل يده وحمل الأثقال فى الطريق ، ولم يقبل عطاء أو صلة مادية حتى ما عرض عليه من مشايخه الذين أحبوه وعرفوا فضله .

وحوالى سنة ٢٠٤ هـ . أى لمّا بلغ احمد من العمر أربعين عاما عقد حلقات درسه فى بغداد فاقبل عليها الراغبون من الطلاب من كل صوب وحدب ، ونال الشيخ بالغ الاعجاب وعظيم التقدير ، فكان ممن تخرج عليه وحفظ عنه وروى له كبار ائمة المحدثين الخالدين من أمثال البخارى ، ومسلم ، وابى داود السجستانى ، كما كان من بينهم ولداه صالح ، وعبد الله .

ولسنا بحاجه هنا لمزيد البيان عن إيمان الامام أحمد ، ودينه ، وورعه ، وزهده ، وقناعته ، وسهره ، وصلاته وفقهه ، وعلمه ، وشجاعته ، واحتماله الأذى فى سبيل تمسكه بما يعتقد انه الحق ، ومجاهرته به فى صلابة وثقة تامة مهما ناله فى سبيل ذلك من التعذيب والأذى ، كما حدث له أيام محنة القول بخلق القرآن رضى الله عنه وجازاه عن الاسلام والمسلمين أطيب الجزاء ، فلقد ملأ الحديث عن ذلك صفحات الكتب والمجلات ، وحسبنا هنا أن نسوق شهادة الشافعى له : « خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أورع ولا أعلم من أحمد » (٧) ، ومن أجمل ما قرأنا فى وصفه قول الحافظ الذهبى فى شأنه :

« عالم العصر وزاهد الوقت . محدث الدنيا ومفتى العراق وعلم السنة وباذل نفسه فى المحنة ، قلّ أن ترى العيو.. مثله ، كان رأسا فى العلم والعمل . والتمسك بالأثر ، ذا عقل رزين وصدق متين واخلاص مكين وخشية ومراقبة العزيز العليم ، وذكاء وفطنة وحفظ وفهم وسعة علم ، هو .ل من أن يمدح بكلمى وان أفوّه بذكره فمى » (٨) .

توفى رحمه الله تعالى فى شهر ربيع الأول سنة ٢٤١ هـ فشهد جنازته اكثر من ثمانمائة الف مسلم ، وأسلم يومها عشرون الفا ببركته (٩) ، رضى الله عنه وطيب ثراه ونفعنا بعلمه وبركاته .

٦) ترجمة الامام احمد فى مقدمة « المسند » بتحقيق الشيخ احمد محمد شاكر (ط . المعارف ١٣٦٨) الجزء الاول ص ٦١ . وسوف نشير الى هذه المقدمة التى نقل فيها نصوصا قديمة عن حياة الامام احمد كما سماها هو : « طلائع المسند » .

٧) « طلائع المسند » ، ص ٣٧ .

٨) المرجع السابق .

٩) نفس المرجع ، ص ١٢٠ .

ولقد كان لشخصية الامام أحمد نفوذ بالغ على الجماعات الاسلامية والأجيال المتعاقبة ولا يزال أثره ملموسا فى الحركات الاصلاحية فى العصور الحديثة ، وبالاضافة الى ذلك فقد ترك الامام للأجيال آثارا علمية جليلة رغم ميله الى الاحتياط وعزوفه عن التأليف والابتكار واعتماده على النقل وما تركه السلف من الآثار ، رغم ذلك كله خلف للأجيال آثارا علمية خالدة ، من ذلك كتابه : « علل الحديث ومعرفة الرجال » الذى نرجو أن نتعرض له عندما نتحدث عن تطور علم نقد الحديث أن شاء الله تعالى ، وكتب اثناء المحنة فى سجنه رسالة فى « الرد على الجهمية والزنادقة » ، وله أيضا « كتاب الصلاة » وكتب فى « التفسير » و « المناسك » و « فضائل الصحابة » و الناسخ والمنسوخ واعظم ما خلف الامام للأجيال كتابه « المسند » الذى جمع فيه مسانيد ما يزيد على ثمانمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجعل لكل صحابى من هؤلاء بابا يسجل فيه ما يختاره من أحاديث يرويها عن طريق هذا الصحابى بأسانيدها . ويكرر المتن أو الاسناد أو كليهما ، وهو الغالب ، طالما كان هناك اختلاف أو مزيد فائدة (١٠) . واختار كعنوان لكل باب كلمة «مسند» فيقول مثلا : « مسند أبى بكر ، » « مسند عمر بن الخطاب » و « مسند عائشة » و « مسند ابى هريرة »

وهكذا . وكثيرا ما يختار كلمة « حديث » فيقول : « حديث عبد الرحمن بن عوف » و « حديث أبى عبيدة » مثلا ، وأن كان ما يرويه للصحابى اكثر من حديث واحد ، واذا كان الباب لعدد من الصحابة يختار كلمة مسند » ، كقوله « مسند أهل البيت » و « مسند المدنيين » ، ثم يستعمل كلمة « حديث » للفصل الخاص بكل صحابى مدرج تحت العنوان الكبير ، مثل : « حديث الحسن » و « حديث الحسين » و وحديث ثابت بن عبد الله الأنصارى و « حديث سلمة بن الأكوع » رضى الله تعالى عنهم جميعا .

ولقد رتبت أبواب المسند على أساس الأسبقية فى الاسلام أولا ، ثم على أساس العشيرة ، ثم على أساس العامل الجغرافى ، أعنى الأمصار التى استقر بها بعض الأصحاب رضى الله تعالى عنهم . فنجده يبدأ بمسانيد العشرة وبعض من يتعلق بهم ، ثم بمسند أهل البيت ، ومسند بنى هاشم ، ومنهم عبد الله ابن عباس . ثم بمسانيد ابن مسعود وابن عمر وابن عمرو بن العاص وأبى رمثة وأبى هريرة وأبى سعيد الخذرى وانس بن مالك وجابر بن عبد الله ، ويتلو ذلك مسند المكيين فمسند المدنيين فمسند الشاميين ومسند الكوفيين ومسند البصريين فمسند أمهات المؤمنين وأحاديث النساء

---

١٠ ــ لهذا كثر التكرار فى المسند حتى بلغ المكرر به ربع الكتاب . ومثل ذلك هديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم ، يرويه احمد مرة عن شيخه يونس عن الليث ثم اخرى عن شيخه الخزاعى عن الليث ، الاول بالصفحة رقم ١٨٥ من الجزء الثانى من المسند ط القاهرة ١٣١١ هـ والاخر بالصفحة التالية ، والاسنادان فيما عدا شيخى الامام متفقان ، والمتن فى كل منهما متفق تماما ما عدا ترتيب كلمتين فيه ، والامثلة على ذلك كثيرة .

وبعض المبهمة أسماؤهم ، ويندر أن يصادفك حديث لصحابى مدرجا فى مسند صحابى آخر . كما صادفنا حديث لابن عباس مدرجا فى مسند أبى بكر (١١) . وآخر من أحاديث جرير بن عبد الله البجلى فى مسند عبد الله بن عمرو بن العاص (١٢) .

ولقد استوعب الامام فى مسنده الكثير من الصحف الحديثية وما تقدمه من المسانيد ، فبلغ عدد الأحاديث فى المسند الامام أربعين ألفا الا ثلاثين أو اربعين ، منها عشرة آلاف مكررة . وقد زاد عدد ماروى لابن عباس على الألف والسبعمائة . ولابن مسعود بالمسند تسعمائة حديث ، ولعبد الله ابن عمر أكثر من الألفين ، ولعبد الله ابن عمرو بن العاص قريب من الألف ، من بينها ما يزيد على المائتين من صحيفته الصادقة برواية حفيده عمرو ابن شعيب المتوفى سنة ١١٨ هـ ، ولأبى هريرة بالمسند ما يقرب من اربعة آلاف حديث ، أما مسانيد العشرة فعدد أحاديثها : ثمانون للصديق ، وثلاثمائة لابن الخطاب ، ومائة وثلاثة وستون لعثمان بعضها من زيادات عبد الله بن احمد وبعضها اخبار عن عثمان ، وسبعمائة وثمانية عشر لعلى بن أبى طالب ، ومائة وثلاثة عشر لطلحة ، وأربعة وثلاثون للزبير بن العوام ، وستة وسبعون لسعد بن أبى وقاص ، وثلاثون لسعيد ابن زيد ، وخمسة وثلاثون لعبد الرحمن بن عوف ، واثنا عشر لأبى عبيدة ، رضى الله عنهم جميعا .

ومن الصحف الحديثية التى استوعبها المسند صحيفة همام بن منبه (١٣) المسماة : «الصحيفة الصحيحة» ونحو النصف من صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص (١٤) المسماة « الصحيفة الصادقة » . وكذلك استوعب صحيفة سمرة بن جندب أو أكثر أحاديثها (١٥) ، وصحيفة نبيط بن شريط الأشجعى الملقب بأبى سلمة (١٦) رضى الله عنهم جميعا .

وقد شرع أحمد فى تدوين المسند فى بداية القرن الثالث ، أى بعد سماعه من عبد الرزاق وعودته من اليمن (١٧) ، ثم قرأه على ولديه صالح وعبد الله وابن عمه حنبل بن اسحق ، ويقول أبو بكر يعقوب بن يوسف المطوعى : « جلست الى ابى عبد الله أحمد بن حنبل ثلاث عشرة سنة وهو يقرأ المسند على أولاده ، ما كتبت منه حرفا واحدا ، وانما كنت أكتب آدابه وأخلاقه واتحفظها » (١٨) ، وحيث يقال إن أحمد قطع الرواية ثلاث عشرة سنة قبل وفاته فى ٢٤١ هـ (١٩) فيظهر ان المسند قد تم تدوينه وروايته بين عام المائتين وسنة ٢٢٨ هـ ، والمشهور أن الامام انتقى احاديث المسند من بين سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفا حفظها (٢٠) ، والمسند الذى بأيدينا هو برواية عبد الله ابن الامام أحمد الملقب بأبى عبد الرحمن والمتوفى عام ٢٩٠ هـ ، ورواه عنه أبو بكر أحمد بن

---

١١ — الجزء الاول ، ص ٨ .
١٢ — الجزء الثانى ، ص ٢٠٤ .
١٣ — الجزء الثانى من المسند ، ص ٣١٢ — ٣١٩ .
١٤ — الجزء الثانى ، ص ١٧٨ — ٢٢٧ .
١٥ — الجزء الخامس ، ص ٧ — ٢٣ .
١٦ — الجزء الرابع ، ص ٣٠٥ — ٣٠٦ .
١٧ — « طلائع المسند » ص ٢٥ .
١٨ — نفس المرجع .
١٩ — نفس المرجع ، ص ٣١ .
٢٠ — « الطلائع » ، ص ٢١ .

جعفر القطيعي المتوفى عام ٣٦٨ هـ ، وكل منهما أضاف زيادات من عنده ، ولكن زيادات القطيعي يسيرة جدا . والمنهج الذى اتبعه الامام رضى الله عنه فى اختيار الاحاديث بمسنده هو الأخذ عمن عـــرف بالحفظ والضبط والعـدالة ، وكذلـك الأخـذ عـن المستور ، أى من لم يعرف بالكـذب ولم تكن هناك شبهة فى دينه ، وذلك اذا لم تتعارض رواية أحدهم مع من عرف بالعدالة والضبط ، أما من عرفوا بالكذب أو اشتبه فى ديانتهم فقـد أعرض عنهم ولم يأخذ برواياتهـم ، وهكذا روى أحمد عمن ثبت صدقـه وصح ضبطه وعرفت عدالته كما روى عن المستور وضعيف الحفظ ما لـم يتعارض مع ما روى عن العـــدل الضابط ، ولقد كان من شأن الامام الاحتياط فى كل شىء ، لذلك تـراه فى الاحكام يلزم المالك باسكـان ذى الحاجة الذى لا مأوى له ، ويوجب الزكاة فى مال القاصر ، ويـرى أن الغيبة وقول الزور من مفطـرات الصيام ، وكما احتاط أحمد فى الفقه احتاط فى رواية الحديث ، فهـو من ناحية يرفض الاخذ عمن عرف بالكذب أو اشتبه فى ديانته ، ومن ناحيـة أخرى لا يترك حديث المستور فقد يكون صادقا ، ولا روايـة ضعيف الحفظ ، فقد يكون ذاكرا ، فكـان الاحوط الأخذ منهما وتسجيـل ما عندهما مما لا يتعارض مع الثابت عن العادل الضابط .

ولا يطعن على المسند أن الامام قد اختار أن يروى عن المستور كما يروى عن المعروف بالعدالة ، وان يأخذ عن ضعيف الذاكرة كما يروى عن قوى الذاكرة والحفظ ، فان القصد الاول من تدوين المسانيد هو تقييد الحـديث وتدوينه حرصا عليه من الضيـاع وللانتفاع به فى فضائل الاعمـال ، فلزم الاحتياط بتسجيل ما يحتمـل الصحة وعدم اهماله أو تركه ليقضى عليه بموت حفظته ؛ وكم من حديث رواه مستور أو راو غيـر معروف بالضبط وهو فى الواقع ونفس الأمر صحيح ، وكم من حديث رواه العـدل الضابط فزل وتعثر ، ثم على الفقيـه الذى يستعمل المسند فى استنباطه أن يختار منه ما يراه حجة صالحـة باستعمال مقاييس الصحيح ومعاييره ولقد روى أن عبد الله بن أحمد سأل أباه الامام فقال : « ما تقول فى حديث ربعى عن حذيفة ؟ » قال : « الـذى يرويه عن عبد العزيز بن أبى رواد ؟ » قلت : « يصح ؟ » قال « لا ، الاحاديث بخلافه ، وقد رواه الخياط عن ربعى عن رجل لم يسموه » . قال : « قلت له : فقد ذكرته فى المسند ؟ » فقال : « قصدت فى المسند الحديث المشهور ، وتركت الناس تحت ستر الله تعالى ، ولو أردت أن أقصد ما صح عندى لم أرو من هذا المسند الا الشىء بعـد الشىء ، ولكنك يا بنى تعرف طريقتى فى الحديث ، لست أخالف ما ضعف اذا لم يكن فى الباب ما يدفعه (٢١) ومما يروى عن الامام فى هذا الصدد قوله « عملت هذا الكتاب اماما ، اذا اختلف الناس فى سنة رسول اللـه صلى الله عليه وسلم رجع اليه » (٢٢) وقوله : « اذا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحـلال والحرام تشددنا فى الاسانيد ، واذا

---

٢١ — « طلائع المسند » ، ص ٢٧ .
٢٢ — المرجع الاخير ، ص ٢٢ . وتدل هذه النصوص فى وضوح على ان المسند وتنظيمه من عمل الامام احمد نفسه ، لا من عمل ابنه عبد الله ، كما زعمت دائرة المعارف الاسلامية الانجليزية .

روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فضائل الاعمال وفيما لا يضيع حكما ولا يرفعه تساهلنا فى الاسانيد (٢٣) .

وهكذا دون الامام احمد جامعا خصبا ، واقام للاسلام صرحا شامخا ، ولا يضيره ان يكون فى بعض اسانيده ضعف ، فلقد ذكر الامام أن قصده هو تسجيل الصحيح وما يحتمل الصحة ، وقد يصح الحديث ضعيف الاسناد عن طريق اسناد آخر ، ولقد استخدم الحاكم كتاب المسند مصدرا من اهم مصادره عندما استخرج احاديث رأى انها صحيحة على شرط صاحبى الصحيحين أو احدهما مما لم يرو فى الصحيحين ، فاتى بكتاب يشغل اربع مجلدات كبيرة (٢٤) . كما لا يضير المسند ما زعمه أبو الفرج ابن الجوزى من ان بالمسند خمسة عشر حديثا موضوعة زادها بعضهم تسعة اخرى ، وبالعكس ان قولهما شهادة عظيمة للمسند ، وانما زعما ذلك بعد تتبع أحاديث المسند وتشريحها وتقييمها على حسب المقاييس والمعايير الدقيقة ، فاظهرت نتيجة سعيهما فضل المسند واكدت قيمته ، حيث دل قولهما على أن بالمسند عدا هذه الأحاديث التى بلغ مجموعها أربعة وعشرين ـ صحيح أو محتمل الصحة ولقد تصدى للرد على القول بكون هذه الاحاديث موضوعة الحافظ ابن حجر رحمه الله فى كتابه : « القول المسدد فى الذب عن مسند الامام احمد » ، والواقع أن الامام فى غنية عن ذلك ، وما عشرون أو أربعة وعشرون حديثا وردت فى فضل بعض البلدان كمرو وعسقلان من ثلاثين الفا أو أربعين الفا ؟ وكفى بالمرء نبلا ان تعد معايبه ، وسبحان من تنزه عن الخطأ والزلل !

ولقد تلقى العلماء والمحدثون كتاب المسند بالعناية والترحيب والاجلال والتقدير فنسخوه وتداولوه ، وحفظه البعض ووعوه اذ ظنوا أن « المسند » استوعب ما احتوت عليه الصحاح والسنن الا ما ندر . لذلك قدر للكتاب الخلود ، وسلمت أجزاؤه من الضياع ولا تزال مجلداته المخطوطة تشغل خزائن الكتب بالمكتبات المعروفة ، فوصل الكتاب الينا بحمد الله تعالى كاملا تاما سليما رغم ضخامة الحجم وطول الزمن ، وتم طبعه لأول مرة بدار الحلبى بالقاهرة عام ١٣١٣ هـ ، فملأ ستة أجزاء من القطع الكبير بحروف صغيرة وكلمات متقاربة ، وقد استخدمت هذه النسخة وترتيب صفحاتها فى عمل فهارس الحديث فى السنوات الاخيرة (٢٥) .

ولذلك نعتمد على هذه الطبعة فى الاشارة الى صفحات الكتاب .

ومن عناية العلماء بالمسند أن بعضهم رتب احاديثه على الابواب فى القرون الماضية (٢٦) ، كما رتب

---

٢٣ ـ « الامام احمد بن حنبل » للاستاذ عبد الحليم الجندى ، ص ٢١٩ .

٢٤ ـ طلائع المسند » ، ص ٢٠ ، ٢١ .

٢٥ ـ من ذلك : « مفتاح كنوز السنة » لمحمد فؤاد عبد الباقى . « والمعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى . أعده عدد من المستشرقين ، وتم طبعه فى السنوات الاخيرة بمطبعة » بريل » بهولندا .

٢٦ ـ رتبه على الابواب فى القرن الثامن للهجرة : على بن الحسين المشهور بابن زكنون ، وسماه : الكواكب الدرارى فى ترتيب مسند الامام احمد على ابواب البخارى » .

أحدهم مسانيده على حسب حروف المعجم لاسماء الصحابة (٢٧) ، ومن الجهود المشكورة فى السنوات الاخيرة ما صنعه العلامة الشيخ ناصر الدين الالبانى من عمل فهرس للمسانيد على حروف المعجم ايضا مبينا به صفحات كل مسند منها بالطبعة المشار اليها . ونشرت فى صدر الجزء الاول من المسند فى الطبعة المصورة من الطبعة الاولى التى صدرت ببيروت سنة ١٩٦٩ .

ومن خير المحاولات واعظم الجهود التى بذلت فى عصورنا الحديثة لترتيب المسند وتيسير استعماله ما قام به المرحوم الشيخ احمد عبد الرحمن الساعاتى من تبويب أحاديث المسند على حسب موضوعاتها مصدرا كل منها باسم الصحابى الراوى للحديث فقط دون سائر السند . وقسم المسند كله الى سبعة أقسام سمى كلا منها « كتابا » وكل كتاب قسمه الى عدد من الابواب ، ويحتوى كل « باب » على الاحاديث التى تشترك فى الموضوع الذى يدل عليه عنوان الباب وسمى الكتاب كله : « الفتح الربانى لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيبانى » ، ثم أنه علق على هذا الكتاب بتذييل للاحاديث . ذاكرا لاسانيدها شارحا لمتونها ومخرجا لها وسمى ذلك : « بلوغ الامانى من أسرار الفتح الربانى » . كما أن المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر شرع فى أعادة طبع « المسند » محققا وترك ترتيبه كما هو ، لكنه رقم الأحاديث وعلق عليها فى الهوامش مقيما لاسانيدها . وفى نهاية كل جزء اتى بفهرس مبوب للأحاديث على حسب موضوعاتها مشيرا اليها بارقامها ، ثم أنه يرمز فى صفحات طبعته لارقام صفحات الأحاديث فى الطبعة الأولى ، وقد امكنه ان يتم أحاديث الجزء الاول من الطبعة الاولى ووصل من الجزء الثانى حتى بداية صحيفة همام بن منبه ، فصدر ذلك فى خمسة عشر مجلدا ، ثم اخترمته المنية قبل أن يتم عمله الجليل . رحمه الله تعالى واجزل له الأجر !

وقد روى المسند عن الامام احمد ابنه عبد الله كما ذكرنا ، ولقبه عبد الرحمن وتوفى سنة ٢٩٠ هـ عن سبعة وسبعين عاما كعمر ابيه ، ولقد تلقى المسند عنه صغيرا ، كما تلقى المسند عن عبد الله تلميذه أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعى المولود سنة ٢٧٤ هـ والمتوفى عام ٢٦٨ هـ عن ستة وتسعين عاما ، فتلقى المسند عن عبد الله صغيرا أيضا ، وكل من عبد الله والقطيعى الملقب بابى بكر زاد على أصل المسند زيادات تلقاها عن غير طريق الامام أحمد ، وزيادات القطيعى قليلة ، ويقول القطيعى فى روايته لكل حديث عن عبد الله : « حدثنا عبد الله » ، ومعناه انه تحمل عنه بالسماع من قراءته ، ويقول عبد الله غالبا فى تحمله عن ابيه : «حدثنى أبى » أى بقراءته على كذلك . وينص على ذلك فى بداية المسند وفى أول بعض المسانيد ، فيقول « من كتابه » واحيانا يقول عبد الله : « قرات على ابى » ومعناه أنه تحمل الحديث لا بالسماع منه بل بقراءته على ابيه وابوه يسمع ، واذا بدأ عبد الله رواية عدد من الاحاديث تحملها بهذه الطريقة يقول : « قرأت على ابى من ههنا » . واحيانا يقول عبد الله : « وجدت هذا الحديث فى كتاب أبى»

---

٢٧ — رتب المسند على حروف المعجم لرواته من الصحابة أبو بكر محمد بن أبى محمد عبد الله المقدسى وغيره .

وقد يزيد على ذلك قوله « بخطه » تأكيداً ومعنى هذا أن عبد الله تحمل الحديث بطريق « الوجاده » . وقد يضيف عبد الله في احدى الحالتين الاخيرتين قوله : « وسمعته منه » ، ومعنى هذا كله أن عبد الله تلقى أحاديث المسند بطريق السماع من ابيه وهو الغالب ، وتلقى بعضها بطريق القراءة عليه ، وبعضها بطريق الوجادة ، وبعضها بالسماع والقراءة وبعضها بالسماع والوجادة ، والنص على كل ذلك في الاسانيد يدل على الدقة والحرص والامانة ، واليك النماذج التالية :

١ ــ « **حدثنا** أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله تعالى عنهم ، قال : **حدثنى أبى** أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد ، **من كتابه** ، قال : حدثنا عبد الله ابن نمير قال : اخبرنا اسماعيل ، يعنى ابن ابى خالد ، عن قيس قال : قام أبو بكر رضى الله عنه فحمد الله واثنى عليه ثم قال : يأيها الناس ! انكم تقرؤون هذه الاية (يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وانا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه » (٢٨) .

٢ ــ « **حدثنا** عبد الله ، **حدثنى ابى** ثنا أبو أحمد ، ثنا سفيان . عن عطاء ابن السائب عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « اخذ النبى صلى الله عليه وسلم بنتا له تقضى ، فاحتضنها فوضعها بين ثدييه ، فماتت وهى بين ثدييه ، فصاحت أم أيمن ، فقيل : أتبكين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : ألست تبكى يا رسول الله ، قال : « لست ابكى ، انما هى رحمة . أن المؤمن بكل خير على كل حال ، ان نفسه تخرج من بين جنبيه وهو يحمد الله تعالى » (٢٩)

٣ ــ « **حدثنا** عبد الله . **حدثنى أبى** ثنا يزيد بن هرون ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : ثنا محمد بن يعقوب ، عن عبد الله بن شداد ، عن أبيه ، قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحدى صلاتى العشى . الظهر أو العصر ، وهو حامل حسن أو حسين ، فتقدم النبى صلى الله عليه وسلم فوضعه ثم كبر للصلاة فصلى فسجد بين ظهرى صلاته سجدة اطالها ، قال : انى رفعت راسى فاذا الصبى على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ، فرجعت فى سجودى ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم الصلاة قال الناس يا رسول الله . انك سجدت بين ظهرى الصلاة سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو انه يوحى اليك ، قال : « كل ذلك لم يكن ، ولكن ابنى ارتحلنى فكرهت ان اعجله حتى يقضى حاجته » (٣٠) .

٤ ــ « **حدثنا عبد الله قال : قرأت على أبى** ، حدثنا معاوية بن عمرو ، قال : ثنا زائدة ، ثنا ابراهيم الهجرى عن أبى الحرص ، عن عبد الله (ابن مسعود) ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يفتح أبواب السماء ثلث الليل الباقى ثم يهبط الى السماء الدنيا ، ثم يبسط يده ثم يقول : الا عبد يسألنى فأعطيه ؟ حتى يطلع الفجر » (٣١) .

---

٢٨ ــ « مسند الامام احمد بن حنبل » ، الجزء الاول ، ص ٢ .
٢٩ ــ « المسند » ، الجزء الاول ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .
٣٠ ــ « المسند » ، الجزء السادس ، ص ٤٦٧ .
٣١ ــ « المسند » ، الجزء الاول ، ص ٤٤٦ ــ ٤٤٧ .

٥ ـ « **حدثنا** عبد الله قال : **قرأت على أبي من ههنا فاقر به وقال :** حدثني محمد بن ادريس الشافعي ، اخبرنا سعيد بن سالم . (يعني القداح) . ثنا ابن جريج ، ان اسماعيل بن أمية أخبره عن عبد الملك بن عمير انه قال : حضرت أبا عبيدة بن عبد الله ابن مسعود واتاه رجلان يتبايعان سلعة ، فقال هذا : اخذت بكذا وكذا ، وقال هذا بعت بكذا وكذا : فقال ابو عبيدة : اتى عبد الله بن مسعود فى مثل هذا فأمر بالبائع أن يستحلف ، ثم يخير المبتاع ان شاء اخذ وان شاء ترك » (٣٢) .

٦ ـ « حدثنا عبد الله قال : **وجدت هذا الحديث فى كتاب أبى ،** ثنا حجاج ، ثنا شعبة عن ابى اسحق عن أبى السفر ، عن سعيد بن شفى ، عن ابن عباس انهم جعلوا يسألونه عن الصلاة فى السفر ، فقال ابن عباس : « كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خرج من أهله لم يزد على ركعتين حتى يرجع » (٣٣) .

٧ ـ « **حدثنا** عبد الله ، قال : **وجدت** هذا الحديث فى كتاب ابى **بخطه** ، ثنا أسود بن عامر ، ثنا جعفر الاحمر ، عن قابوس ، عن ابيه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تصح قبلتان فى مقر واحد ، وليس على مسلم جزية » (٣٤) .

٨ ـ « قال أبو عبد الرحمن : **وجدت هذا الحديث فى كتاب ابى بخط يده** ، حدثنا سعيد بن محمد الوراق ، قال : ثنا رشدين بن كريب ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شرب تنفس مرتين فى الشراب » (٣٥) .

٩ ـ « حدثنا عبد الله قال : **وجدت هذا الحديث فى كتاب ابى ، وأكثر علمى ان شاء الله انى سمعته منه** ، ثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ثنا عبد الله بن لهيعة ، ثنا عبد الله ابن هبيرة ، عن عبد الله بن زرير الغافقى ، عن على بن ابى طالب ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فانصرف ثم عاد ورأسه يقطر ماء ، فصلى بنا ثم قال : « انى صليت بكم آنفا وانا جنب ، فمن أصابه مثل الذى اصابنى أو وجد رزا فى بطنه فليصنع كما صنعت » (٣٦) .

ثم أن الامام احمد رضى الله عنه اقتصر فى تدوين المسند على رواية الاحاديث دون اضافة أو تعليقات عليها أو على اسانيدها الا فيما ندر نسبيا ، فاذا علق هو أو ابنه عبد الله أو القطيعى فانما هى تعليقات قصيرة ومفيدة . وندر أن يملأ التعليق سطرا أو سطرين ، وكلها تدل على الحرص والامانة ، واليك بعض الامثلة :

١٠ ـ « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا يحيى ، عن سفيان ، حدثنى سليمان عن ابراهيم التيمى ، عن الحرث بن سويد ، عن على رضى الله عنه ، قال ، « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدباء والمزفت » .

قال أبو عبد الرحمن : سمعت أبى يقول : ليس بالكوفة عن على رضى الله عنه حديث أصح من هذا . (٣٧) .

---

٣٢ ـ « المسند » الجزء الاول ، ص ٤٦٦ .
٣٣ ـ « المسند » الجزء الاول ، ص ٢٨٥ .
٣٤ ـ نفس المرجع .
٣٥ ـ المرجع السابق ، ص ٢٨٤ .
٣٦ ـ الجزء الاول من المسند ، ص ٩٩ .
٣٧ ـ المرجع السابق ، ص ٨٣ .
٣٨ ـ نفس المرجع ، ص ١٣٢ ، ويلاحظ ان هذا الحديث من زيادات عبد الله بن احمد

١١ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى أبو بكر بن أبى شيبة ، ثنا أبو بكر ابن عياش ، عن أبى أسحق عن هبيرة عن على قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر ايقظ اهله ورفع المئزر » .

قيل لابى بكر : ما رفع المئزر ؟ قال: اعتزل النساء (٣٨) .

١٢ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا عباد بن العوام ، ثنا سفيان ابن حسين عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم . كتب كتاب الصدقة ، فلم يخرجه الى عماله حتى قبض ، فقرنه بسيفه فلما قبض عمل به أبو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض فكان فيه : « فى خمس من الابل شاة وفى عشر شاتان ، وفى خمس عشرة ثلاث شياه ، وفى عشرين أربع شياه ، وفى خمس وعشرين ابنة مخاض » .

قال لى أبى : ثم اصابتنى علة فى مجلس عباد بن العوام فكتبت تمام الحديث ، فاحسبنى لم أفهم بعضه فشككت فى بقية الحديث فتركته (٣٩) .

١٣ — « حدثنا عبد الله قال : قرأت على ابى هذا الحديث وسمعته منه ، قال : ثنا الاسود بن عامر ، ثنا شعبة قال عبد الله بن دينار ، اخبرنى ، قال: سمعت ابن عمر يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر قال : « من كان متحريها فليتحرها فى ليلة سبع وعشرين » قال شعبة : وذكر لى رجل ثقة عن سفيان انه كان يقول : انما قال : « من كان متحريها فليتحرها فى السبع البواقى » قال شعبة : فلا ادرى ذا أو ذا ، شعبة شك .

قال ابى — الرجل الثقة يحيى بن سعيد القطان (٤٠) .

١٤ — « حدثنا عبد الله ، حدثنا ابى ، ثنا عبد الصمد ، ثنا همام ، ثنا عباس الجزرى ، ثنا عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ايما عبد كاتب على مائة أوقية فاداها الا عشر أواق فهو عبد ، وايما عبد كاتب على مائة دينار فاداها الا عشرة دنانير فهو عبد » .

كذا قال عبد الصمد : « عباس الجزرى » كان فى النسخة . « عباس الجويرى » « فاصلحه ابى كما قال عبد الصمد : الجزرى (٤١) .

١٥ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا يزيد بن هرون ، ثنا الحجاج ابن ارطاة ، عن عمرو بن شعيب ، عن ابيه ، عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد ابنته الى ابى العاص بمهر جديد ونكاح جديد » .

قال ابى فى حديث حجاج : « رد زينب ابنته » قال . هذا حديث ضعيف ، أو قال « واه » ، ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب ، انما سمعه محمد بن عبد الله العزومى ، والعزرمى لا يساوى حديثه شيئا ، والحديث الصحيح الذى روى أن النبى صلى الله عليه وسلم اقرهما على النكاح الاول (٤٢) .

---

٣٩ — الجزء الثانى من المسند ، ص ١٤ .
٤٠ — الجزء الثانى من المسند ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .
٤١ — نفس المرجع ، ص ١٨٤ .
٤٢ — نفس المرجع ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

١٦ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة عن ابى التياح ، قال : سمعت ابا زرعة يحدث عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يهلك امتى هذا الحى من قريش » قالوا — فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : « لو ان الناس اعتزلوهم » .

وقال ابى فى مرضه الذى مات فيه: اضرب على هذا الحديث فانه خلاف الاحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، يعنى قوله : « اسمعوا وأطيعوا واصبروا » (٤٣) .

وقد يحدث التعليق على الاسناد فى اثنائه ، ومن ذلك . .

١٧ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا أبو النضر ، ثنا أبو عقيل — قال ابى وهو عبد الله بن عقيل ، صالح الحديث ، ثقة . — ثنا عمر بن حمزة عن سالم عن ابيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم العن فلانا ، اللهم العن الحرث بن هشام ، اللهم العن سهيل ابن عمرو ، اللهم العن صفوان بن امية » فنزلت هذه الآية : (ليس لك من الامر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) . قال . فتيب عليهم كلهم » (٤٤) .

وأحاديث المسند كلها مرفوعة الا قليلا من الموقوف أو المقطوع ، واسانيدها متصلة غير ما قد يبهم فيه اسم الصحابى أو اسم احد الرواة أو يرويه المحدث عن راو آخر لا يتأتى أن يكون قد سمع منه مباشرة ، ومما ورد موقوفا على الصحابى نقتبس ما يلى :

١٨ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، حدثنا يعقوب بن ابراهيم ، ثنا ابى ، عن ابيه قال . وحدثنى حسين ابن عبد الله عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال . لما ارادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد ابن سهل يحفر لاهل المدينة فكان يلحد فدعا العباس رجلين ، فقال لاحدهما . اذهب الى ابى عبيدة ، وللآخر : اذهب الى ابى طلحة ، اللهم خر لرسولك . قال : فوجد صاحب ابى طلحة ابا طلحة فجاء به ، فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم » (٤٥) .

١٩ — حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ثنا روح بن عبادة ، ثنا شعبة عن يعلى ابن عطاء ، قال : سمعت عمرو بن عاصم بن سفيان بن عبد الله ، قال سمعت أبا هريرة يقول ان أوفق الدعاء أن يقول الرجل اللهم أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى وأعترفت بذنبى ، يارب اغفر لى ذنبى انك أنت ربى ، انه لا يغفر الذنب الا أنت » (٤٦) ومما نسب الى تابعى ما يلى :

٢٠ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا محمد بن سلمة ، عن محمد ابن اسحق ، عن محمد بن عمرو بن عطاء قال : قال لى على بن الحسين : « اسم جبريل عليه السلام عبد الله ، واسم ميكائيل عليه السلام عبيد الله » (٤٧) .

ومن الآثار الموجودة بالمسند نقتبس ما يلى :

---

٤٣ — الجزء الثانى ، ص ٣٠١ .
٤٤ — الجزء الثانى من المسند ، ص ٩٣ .
٤٥ — الجزء الاول ، ص ٨ .
٤٦ — الجزء الثانى ، ص ٥١٥ .
٤٧ — الجزء الخامس ، ص ١٥ ، ١٦ .

٢١ ــ « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا عبد الرزاق قال : أهل مكة يقولون : اخذ ابن جريج الصلاة من عطاء . واخذها عطاء من ابن الزبير ، وأخذها ابن الزبير من أبى بكر ، واخذها أبو بكر من النبى صلى الله عليه وسلم . ما رايت أحدا أحسن صلاة من ابن جريج » (٤٨) . ومما حدث فيه انقطاع بابهام اسم الراوى ، أو بسبب تعذر سماع راو ممن يروى له فى الاسناد نسوق ما يلى :

٢٢ ــ « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا سريح بن النعمان ، ثنا بقية ابن الوليد ، عن ارطاة بن المنذر ، عن **بعض اشياخ الجند** ، عن المقدام بن معدى كرب ، قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن لطم خدود الدواب ، وقال : « ان الله عز وجل قد جعل لكم عصيا وسياطا » (٤٩) .

٢٣ ــ « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا معتمر ، قال : سمعت أيوب قال : وحدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى قال : ثنا أيوب المعنى عن حميد بن هلال عن أبى بردة عن **رجل من المهاجرين** يقول : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « يأيها الناس توبوا الى الله واستغفروه ، فانى اتوب الى الله واستغفره فى كل يوم مائة مرة ، أو اكثر من مائة مرة » (٥٠) .

٢٤ ــ « حدثنا عبد الله ــ حدثنى محمد بن أبى بكر المقدمى وأبو ربيع الزهرانى ، قالا : ثنا حماد بن زيد ، عن الحجاج ، عن عطاء ، عن عثمان قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فغسل وجهه ثلاثا ويديه ثلاثا ، وغسل ذراعيه ثلاثا ، ومسح رأسه وغسل رجليه غسلا » (٥١) .

ومن دأب الامام أحمد أنه اذا روى حديثين متتاليين بسند واحد ان يذكر الاسناد عند سياق الحديث الاول ، ولا يكرره عند سياق الحديث التالى ، وأوضح مثل لذلك ما صنعه فى روايته صحيفة همام بن منبه ، التى اقتبسنا بدايتها فى المقال الثانى من هذه السلسلة ، فلقد روى أحمد الحديث الاول من هذه الصحيفة باسنادها عن عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن ابى هريرة ، ثم اتى على سائر أحاديثها بدون اسناد مقدما لكل منها بقوله : « وقال أبو القاسم » ، أو : « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، أو نحو ذلك . ولم يكرر الاسناد الا مرة واحدة عندما فصل بين حديثين منها بزيادة من عنده ، فلما استأنف سرد ما بقى من الاحاديث كرر الاسناد فى أولها . (٥٢) .

أما اذا اختلف الاسناد ولو من طرفه الادنى فان الامام يأتى بالاسناد كاملا لكل حديث ، وافضل مثل لذلك ما ورد بالمسند من أحاديث الصحيفة الصادقة فى سلسلة متصلة ، كلها عن طريق عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عبد الله بن عمرو ابن العاص ، واليك ما يلى من هذه الصحيفة :

٢٥ ــ « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا خلف بن الوليد ، ثنا أبو جعفر ، يعنى الرازى ، عن مطر الوراق ، عن عمرو بن شعيب ، عن ابيه ، عن جده ، انه قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

٤٨ ــ الجزء الاول ، ص ١٢ .
٤٩ ــ الجزء الرابع ، ص ١٣١ .
٥٠ ــ الجزء الرابع ، ص ٢٦١ .
٥١ ــ الجزء الاول ، ص ٧٢ . وهنا يروى عطاء عن عثمان ولم يأخذ عطاء عنه مباشرة .
٥٢ ــ الجزء الثانى ، ص ٣١٨ .
٥٣ ــ الجزء الثانى ، ص ١٧٨ ،

يصلى فى نعليه ، ورأيته يصلى حافيا ، ورأيته يشرب قائما ، ورأيته يشرب قاعدا ، ورأيته ينصرف عن يمينه ، ورأيته ينصرف عن يساره » (٥٣) .

٢٦ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ، حدثنا اسماعيل ، ثنا ليث ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لا تنتفوا الشيب فانه نور المسلم ، ما من مسلم يشيب شيبة فى الاسلام الا كتب الله له بها حسنة ورفع بها درجة ، أو حط عنه بها خطيئة » (٥٤) .

٢٧ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ، ثنا اسماعيل ، عن ليث ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « من منع فضل مائه أو فضل كلئه منعه الله فضله يوم القيامة » (٥٥) .

وقول الراوى فى الاسناد : « عن جده » يعنى جد أبيه شعيب ، لا جد ابنه عمرو ، وجد شعيب هو عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهم جميعا ، ويقول فؤاد سيرجين فى شأن هذه الصحيفة (٥٦) : لا نستطيع ان نعرف من اسانيد ابن حنبل ما اذا كان استخدم الصادقة نفسها فى روايات مختلفة أو أنه استمر أحاديثه من مصادر اخرى » .

والذى نتأكده هو ان الامام احمد قد رواها كما روى غيرها من مكتوب لا من مجرد الذاكرة ؛ ولكنه فى نفس الوقت لم ينقل من مكتوب وحده دون سماع أو اجازة كما قد تشعر به هذه العبارة ، ونظرا لان الامام لم يات باحاديث الصادقة كلها ، اعنى ما روى منها . دفعة واحدة بل وصل بعضه وفرق بعضه ، فانه يغلب على الظن انها لم تكن بيده فى مصدر واحد والا لاحتمل أن يروى ما روى دفعة واحدة متصلة كما صنع فى روايته لأحاديث صحيفة همام .

وبعد . فمسند الامام احمد من المصادر الاسلامية الجامعة ، ومن كنوز تراثنا الخالدة ؛ والحديث عنه يطول ، فمن أراد المزيد فليرجع الى المسند نفسه ليرتشف من معينه الخصب ، وبالفراغ من الكلام على مسند الامام ينتهى حديثنا عن مرحلة تدوين المسانيد لنشرع فى المقال القادم أن شاء الله فى الحديث عن مرحلة تدوين الصحاح والسنن . وبالله التوفيق .



---

٥٣ — الجزء الثانى ، ص ١٧٨ .
٥٤ — الجزء الثانى ، ص ١٧٩ .
٥٥ — نفس المرجع ، قد يلاحظ أن الاسنادين للحديثين الاخيرين كل منهما عين الآخر ، وقد وردا متتاليين ومع ذلك تكرر الاسناد . ولعل الامام كرر الاسناد هنا لانه فى احدهما يقول : « حدثنا ليث وفى الاخر يقول « عن ليث » فكررهما لهذا الاختلاف اليسير .
٥٦ — « تاريخ التراث العربى ، الجزء الاول ١٩٧٠ ، ص ٢٥٤ .

أحكام قرآنية مقرونة بالدعوة إلى التفكير

للدكتور أحمد الحوفى

كثيرا ما تقفى القرآن الكريم على احكام شرعيـــة وعلى أوامر ونواه بالدعوة الى العـــلم بأسرارها ، والتفكير فى آثارها ، والمعـــرفة بحكمتها ، ليستبين الناس ما فيها من خير لهم أفرادا وجماعات ، وليزدادوا يقينا بأن الله تعالى قد فرضها عليهم وهو العليم بنفوس عباده ، الخبير بما يلائم طباعهم ، المحيط بما يصلحهم ويصلح لهم ، الغنى عن طاعتهم ، الذى لا تضره معصيتهم ، فالخير لهم فى أن يتبعـــوا ما أمرهم به ، وأن يجتنبوا ما نهاهم عنه عن عقيـــدة ويقين ، والا يحتكموا فيما أمرهم به أو نهاهم عنه الى أهوائهـــم ، لأن الأهواء تصرف عن الحـــق ، وتزين الشر ، ولأنها تتغاير وتتنافر وتتبدل وتفرق المجتمع ، وتشيع فيه البلبلة والفوضى والاضطراب ، فيفقد الوحدة والألفة والانسجام .

والأهواء الى هـــذا كله موقوتة لا دوام لها ، ضعيفة ليس لها من القـــوة الذاتيـــة والوازع النفسى ما لشرع الله تعالى .

فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .

١ ــ من هذا الضـــرب قوله ســـبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيـــوتا غير بيوتـــكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم ، لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيهـــا أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعـــوا فارجعوا ، هو أزكى لـــكم ، والله بما تعملون عليم »(١) .

وقوله ســـبحانه : « فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبـــة ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون »(٢) .

في هذه الآيات أدب رفيـــع يأمر الله به عبـــاده ، عسى أن يعـــوه ويتذكروه ويعقلوه ويعملوا به ، لأن فيه خيرا كثيراً لهم .

فلا يصح أن يقتحم أجنبى دارا غير داره قبل أن يستأذن ، ويحيى من فيها ، فان لم يجد بها أحدا فليس يصح له أن يدخل ، وان كان بها أحد ولم يأذن له بالدخول فعليه أن يرجع، لأن هذا من الآداب الاجتماعية التى ينبغى على المسلمين أن يراعوها ، حتى لا يؤذوا غيرهم بالمفـــاجأة أو الاطلاع على ما لا يصح أن يطلعوا عليه من شئون النـــاس ودخائلهم وأسرارهم ، وحتى يشعر كل شخص بأنه فى مسكنه حر آمن طليق يستريح اذا شاء ، ويتصرف كما يشـــاء ، ويلبس ما يريد ، ويعمل ما يشتهى ، وينام كما يحب .

ولا شك أن الاستئذان يمهد للقاء طيب بين الزائر والمزور ، ويعـــد الحالة النفسية الملائمة للمجالســة والمؤانسة والحديث .

٢ ـــ ومن هذا الضرب قوله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل : فيهما اثم كبير ومنافع للناس، واثمهما أكبر من نفعهما ، ويســـألونك ماذا ينفقون قل العفو ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون . فى الدنيا والآخرة »(٣) .

فقد تدرج القرآن الكريم فى تحريم الخمر ، فنزلت فيها أربع آيات على أربع فترات . أولاها قوله تعالى : « ومن ثمرات النخيل والأعنـــاب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا » (٤) فكان المسلمون يشربونها حلالا لهم ، ثم قال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أفتنـــا فى الخمر ، فانها مذهبة للعقل ، سالبة للمال، فنزل قوله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للنـــاس واثمهما أكبر من نفعهما »(٥) ، فشربها قوم وتركهـــا آخرون .

ثم اجتمع بعض المسلمين فشربوا حتى ثملوا ، وحانت الصلاة ، فقرأ الامام فأخطـــأ فى القراءة ، فنزلت الآية الكريمة : « ولا تقربوا الصلاة وأنتم ســــكارى حتى تعلمـــوا ما تقولون »(٦) ، فقل من يشرب الخمر بعد ذلك .

ثم سكر بعضـــهم ، فتفـــاخروا وتهاجوا وتضاربوا ، فكان التحريم القاطع فى قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمـــر والميسر والأنصـــاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكـم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكـم العدواة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » (٧) .

فانتهى المسلمون عن الخمر بعد أن حرمها الله تعـــالى ، وجاء فى ختام التحـــريم أن الله يبين الأحكام للذين يفكرون فى أمورهم الدنيـــوية والأخروية ، فيعملون ما يصلح لكل من الدارين ، ويؤثرون الآخرة على الاولى .

٣ ـــ كذلك نهى الله ســـبحانه وتعالى المؤمنين عن اتخاذ الـكفار أصفياء لهم ، لأن الكفار لا يألون جهدا فى ايذاء المؤمنين والكيد لهم ، ليحيق الهلاك بهم ، وان المؤمنين ليستطيعون أن يتبينوا هذا فى بعض ما يبدر من السنة هؤلاء الأعداء ، على الرغم من حرصهم الشديد على كتمـــان ما فى

نفوسهم ، وليس من شــك فى أن ما تخفى صدورهم أكبر .

هذه الحقيقة كشف الله عنهــا للمؤمنين العقلاء الذين يتدبرون فيما بينه لهم ربهم ليعملوا به ، فيخلصوا لدينهم ، ويوالوا أحباب الله ويعادوا أعداءه .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبــالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضــاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيــات إن كنتم تعقلون » (٨) .

٤ ــ ونهى الله تعـــالى عن الاشراك ، وأمر ببر الوالدين ، ونهى عن قتل الأولاد فرارا من الفقــر ، ونهى عن ارتكاب الفواحش جهــرة وفى الخفاء ، ونهى عن القتل الا فى قصاص أو جهاد أو رجم ، وجاء فى ختام هذا كله أن المســلمين متوقع منهم أن يفعلوا ما وصاهم به ربهم ، ليعملوا ما أمر به ، وليــكفوا عما نهاهم عنه ، ثم نهى عن رذائل ، وأمر بفضائل ، وعقب على النهى والأمر بالتذكر والتعقل والتقوى .

قال سبحانه : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، الا تشركوا به شــيئا ، وبالوالدين احســانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحــق ، ذلكم وصــاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشــده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقســط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهـــد الله أوفوا ، ذلكم وصــاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصــاكم به لعلكم تتقون »(٩) .

٥ ــ كان بنو عامر فى أيام حججهم لا يأكلون الطعام الا قوتا يقيم حياتهم ، ولا يأكلون دسما ، يريدون بذلك أن يعظــموا حججهم ، فقــال بعض المسلمين : نحن أولى بأن نصنع هذا الصــنيع ، فأمرهم الله بأن يأكلوا ويشربوا ولا يسرفوا ، وبأن يلبسوا ثيابهم ، ويتجملوا فى صــلاتهم ، لأن الذين يحرمون التجمل فى الصــلاة وما لذ من طعام وشراب يكذبون على الله .

ووعد الله عباده المؤمنين أن تكون طيبات الدنيا التى يشــاركهم فيها الكفار خالصة للمؤمنين يوم القيامة ، وجاء فى ختام الآية أن الله تعــالى يفصل الأحكام لقوم يدركون ويعلمون أن الله تعـــالى هو الذى يحــلل ويحرم .

ومعنى هذا أن التحليل والتحريم الخاضع للأهواء افتراء على الله ، واجتراء على العلم ، ولهذا قال ابن عباس : كل ما شــئت ، والبس ما شئت ، ما أخطأتك خصــلتان : سرف ومخيلة .

قال تعالى : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مســجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انــه لا يحب المسرفين . قل : من حرم زينة اللــه التى أخرج لعباده والطيبــات من الرزق ؟ قل : هى للذين آمنــوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصــل الآيات لقــوم يعلمون »(١٠) .

٦ — وقال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم ، فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون . بالبينات والزبر ، وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون »(١١) .

وذلك أن قريشا انكروا أن يكون رسول الله بشرا مثلهم يأكل ويشرب ويمشى فى الاسواق ، فرد عليهم سبحانه وتعالى بأن رسله السابقين جميعا بشر ، ولكن الله اختصهم بالوحى ، وطلب من المنكرين أن يسألوا اليهود والنصارى ليعلموا منهم أن الله لم يبعث الى الأمم السابقة الا رجالا يوحى اليهم .

ثم بين لهم انه أنزل القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم ليوضح للناس ما أمروا به ، وما نهوا عنه ، وما بشروا به ، وما أنذروا ، لعلهم يصغون الى أمره ونهيه وتبشيره وتحذيره اصغاء من يتدبر ويتأمل ويعى .

٧ — وفى القرآن الكريم كثير من هذا الضرب :

أ) فمثلا بعد تفصيل أحكام فى معاملة المسلمين للمشركين قال تعالى : « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ، ونفصل الآيات لقوم يعلمون »(١٢) .

ب) وبعد بيان بعض أحكام الطلاق قال سبحانه : « وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون »(١٣) .

جـ) وبعد الأمر بالعدل والاحسان واعطاء الأقارب والنهى عن الفاحشة والمنكر والعدوان تعقيب بالدعوة الى التذكر للعمل بما أمر الله واجتناب ما نهى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون »(١٤) .

د) وبعد الأمر بالايمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله تعقيب بأن هذا هو الخير لمن يعلمون وينكرون « يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »(١٥) .

هكذا تقترن كثير من الأحكام بتقدير العلم ، والحض على الفكر ، والدعوة الى التدبر ، والحث على التذكر ، لأن القرآن الكريم يربى العقول ، ويغذى القلوب ، ويرفع العلم والعلماء مكانا عليا .

---

(١) سورة النور ٢٧ ، ٢٨ .
(٢) سورة النور ٦١ .
(٣) سورة البقرة ٢١٩ ، ٢٢٠ .
(٤) سورة النحل ٦٧ .
(٥) سورة البقرة ٢١٩ .
(٦) سورة النساء ٤٣ .
(٧) سورة المائدة ٩٠ ، ٩١ .
(٨) سورة آل عمران ١١٨ .
(٩) سورة الانعام ١٥١ — ١٥٣ .
(١٠) سورة الاعراف ٣١ ، ٣٢ .
(١١) سورة النحل ٤٣ ، ٤٤ .
(١٢) سورة التوبة ١١ .
(١٣) سورة البقرة ٢٣٠ .
(١٤) سورة النحل ٩٠ .
(١٥) سورة الصف ١٠ ، ١١ .



للدكتور : محمد سلام مدكور

الحكم الوضعى هو خطاب الله المتعلق بجعل الشىء سببا أو شرطا أو نافعا او صحيحا أو غير صحيح . فالحكم الوضعى على هذا ينحصر فى هذه الأقسام : السببية ، الشرطية ، المانعية ، الصحة وعدمها ، وان كان بعض الأصوليين يرى أن الصحة والفساد يرجعان الى الحكم التكليفى اذ الصحة ترجع الى إباحة الانتفاع ، والبطلان يرجع الى التحريم ، ويرى البعض أنها حكم عقلى اذ العقل يمكنه ادراك صحة الأشياء دون خطاب الشارع ، ويرى آخرون أن الصحة فى المعاملات حكم وضعى لآن ترتب الأثر على العقد من فعل الشارع ، أما فى العبادات فعقلية . .

مسلك الحنفية فى الحكم الوضعى :

لفقهاء الحنفية فى الحكم الوضعى مسلك يختلف بعض الاختلاف عن مسلك غيرهم ، فهم يرون أن خطاب الشارع اذا لم يدل على اقتضاء أو تخيير وكان دالا على صفة لشىء مرتبط بالحكم التكليفى ككونه سببا أو شرطا فيه أو مانعا منه سمى خطاب وضع ويقسمون الحكم الوضعى ثمانية أقسام : ركن ، وعلة ، وسبب ، وشرط ، وحكمة ، وعلامة ، ومانع ، وصحة وفساد .

وعلى كل فالحكم الوضعى مرتبط بالحكم التكليفى لأنه اما أن يكون سببا له جعله الشارع ليعرف به توجه الخطاب اذ من شأن الحكم أن يكون له سبب يعرف المكلف به توجه الخطاب اليه ، كما أن من شأنه أيضا أن يكون له شرط يتوقف عليه اعتبار الحكم ، وأن يكون له مانع ينعدم الحكم بوجوده واليك بيان كل منهــا .

اولا ــ السـبب :

السبب فى اللغة كل ما يتوصل به الى غيره وعند الأصوليين معنى ظاهر منضبط جعله الشارع أمارة للحكم بمعنى أنه إذا وجد توجه الخطاب الى المكلف ومن الاصوليين من عرف السبب بأنه مايلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم .

اقسام السبب : ينقسم باعتبارات مختلفة الى عدة تقسيمات .

ا ــ فينقسم من ناحية قدرة المكلف على فعله الى قسمين :

١ ــ سبب من فعل المكلف وفى مقدوره كالسفر الذى رخص الشارع من اجله فى الافطار والقصر وكعقد الزواج الذى جعله الشارع سببا فى حل العشرة بين الزوجين وعقد البيع الذى جعله الشارع سببا فى تملك المبيع وكذا جميع أفعال المكلفين التى رتب الشارع عليها أحكاما . وهذا النوع قد يكون مأمورا به كالنكاح الواجب للقادر عليه الذى يخشى الوقوع فى الزنى ، وقد يكون منهيا عنه كالقتل بغير حق فانه سبب لوجوب القصاص ، وقد يكون مباحا كالسفر الذى هو سبب الفطر والقصر وعقود المعاوضات المالية من بيع واجارة التى هى سبب فى ترتب الآثار عليها وهذه الأسباب التى هى من فعل المكلف اذا نظرنا اليها من جهة كونها يطلب فعلها أو تركها أو الاذن فيها تكون من قبيل الحكم الاقتضائى أو التخييرى ، ومن جهة كونها سببا فى ترتب شىء آخر تعتبر من قبيل الحكم الوضعى .

٢ ــ سبب ليس من فعل المكلف ومقدوره مثل دخول وقت الصلاة فإنه سبب لوجوبها ومثل الاضطرار الذى هو سبب لاباحة المحظور ، ومثل البلوغ الذى هو سبب فى سقوط الولاية ، والقرابة التى هى سبب فى استحقاق الارث.

وهذا القسم من قبيل الأحكام الوضعية الصرفة .

ب ــ وينقسم السبب من ناحية ترتب الحكم التكليفى عليه الى قسمين :

١ ــ سبب يترتب عليه حكم تكليفى ، سواء كان من فعل العبد كالقتل الذى يترتب عليه وجوب القصاص أم كان ليس من فعل العبد ولا فى مقدوره كدخول الوقت الذى هو سبب فى وجوب الصلاة .

٢ ــ سبب لا يترتب عليه حكم تكليفى سواء كان من فعل المكلف كسائر العقود التى تترتب عليها آثارها من ثبوت الملك فى البيع والحل فى الزواج أم كان ليس من فعل المكلف ولا فى مقدوره كالموت الذى يترتب عليه الارث .

جـ ــ وينقسم السبب من ناحية مشروعيته الى قسمين :

١ ــ أسباب ممنوعة لإفضائها الى المفسدة وان اتصل بها شىء من المصلحة كما فى الأنكحة الفاسدة فانها أسباب ممنوعة وان أدت الى الحاق الولد بأبيه نتيجة الدخول .

٢ ــ أسباب مشروعة : وان اتصل بها مفسدة كالأمر بالمعروف والنهى عن

المنكر فان كليهما سبب مشروع لما يترتب عليه من اقامة الدين وان اتصل به اتلاف مال او نفس وكذا الجهاد فانه سبب مشروع لاعلاء كلمة الله وان اتصل به فساد فى المال والنفس .

ارتباط السبب بالمسبب :

ترتب المسببات على الأسباب التى جعلها الشارع امارة لها ولو لم يرد الفاعل لأن المرتب للأحكام هو الشارع لا الفاعل فالنكاح تترتب عليه جميع احكامه ولو لم يرغب فيها العاقد ولذلك فان المهر يثبت بالعقد حتى لو اتفقا على نفى المهر عند التعاقد ، وكذلك الطلاق فانه يقع فى محله ممن هو أهل لايقاعه حتى لو قصد بلفظ الطلاق عدم الايقاع(واذا بدا لنا تخلف المسبب عن السبب فى بعض الصور فان مرجع ذلك فى الواقع يكون نتيجة تخلف شرط أو وجود مانع سواء أدرك العقل ذلك كتخلف النسل عن الوقاع وتخلف الانبات عن القاء البذر ، أو لم يدرك العقل كما يحدث فى خوارق العادات كعدم أحراق النار لابراهيم وكاحياء عيسى للموتى باذن الله فان المسبب فيها قد تخلف عن سببه وهو النار المحرقة بطبيعتها وزهوق الروح المفضى الى الموت ولا ينافى هذا ما يقوله الاصوليون من أن الأمر بالسبب لا يستلزم الأمر بالمسبب فان معناه أن الشارع لم يقصد فى التكليف بالأسباب التكليف بالمسببات فواضح أن الأمر بالزواج وهو سبب فى التناسل لا يستلزم الأمر بالنسل اذ هو ليس فى مقدور الأفراد وانما هو من فعل الله .

فمشروعية الأسباب لا تستلزم مشروعية المسببات فاذا تعلق الحكم الشرعى بالسبب لا يلزم أن يتعلق بالمسبب فالأمر بالنكاح لا يستلزم الأمر بحلية البضع لأن المكلف مأمور بتعاطى الأسباب وليس عليه أن تتم المقاصد .

فالمسببات من فعل الله ولذلك قالوا : على المرء أن يسعى وليس عليه إدراك المقاصد ، كما أن الآيات القرآنية تدل على ضمان الرزق نفسه لا التسبب فيه اذ لو كان المراد نفس التسبب لما طولب المكلف بتعاطى الأسباب لأنها مضمونة ومن الواضح أن المسبب فى استحقاق العقوبة لا يكون قاصدا وقوع العقوبة عليه ولو راغبا فى العقاب أما فى غير المنهيات من الأسباب المطلوب فعلها أو المأذون فيها فان الكثير منها ما يترتب عليه مالا يتفق مع رغبة الفاعل فكثيرا ما يتعاطى الفرد السبب معرضا عن بعض آثاره فتقع رغم اعراضه ومن ذلك من يتزوج بقصد الاستمتاع دون رغبة فى النسل فيحدث النسل رغم ذلك . وكثيرا ما يقصد من السبب نتيجته التى تنشد منه عادة فلا تقع ، فمن يسعى لنيل بعض مآربه ويحشد لتحقيقها جميع الأسباب المألوفة فيتخلف مطلوبه بل وقد تكون النتيجة عكسية .. فالربط بين السبب والمسبب بفعل الله سبحانه وتعالى .

ثانيا ــ الشرط :

الشرط فى اللغة العلامة واشراط الساعة علاماتها . ويعرفه الاصوليون بأنه ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم أو هو الوصف الظاهر المنضبط الذى يتوقف عليه وجود الشىء من غير افضاء اليه . فالحكم لا يتحقق وجوده الشرعى بحيث تترتب عليه آثاره الا اذا وجد شرطه فمثلا يتوقف وجود الصلاة المجزئة الصحيحة على وجود شروطها الشرعية من طهارة البدن والثوب وستر العورة واستقبال القبلة مع انه لا يستلزم من تحقق هذه الشروط ووجودها وجود الصلاة نفسها فقد يتطهر الفرد ويستر عورته ويستقبل القبلة دون أن يقوم بالصلاة فعلا .

ويفترق الشرط عن السبب . اذ السبب يفضى الى المسبب فوجود السبب يستلزم وجود المسبب كما قلنا ، لكن وجود الشرط لا يستلزم وجود المشروط فيه. فالمسبب مرتبط بالسبب وجودا ، والمشروط فيه مرتبط بالشرط عدما ، فدلـوك الشمش فى كبد السماء اذا وجد وجد التكليف بالصلاة كما أن الوضوء يلزم من عدمه عـدم الصلاة ولا يلزم من وجوده شىء .

أقسـام الشـرط :

١ ــ وينقسم الشرط من ناحية النظر الى الحكم التكليفى الوضعى قسمين:
شرط تكليـفى . وهذا من ناحية كونه شرطا فى شىء آخر يعتبر حكما وضعيا ومن حيث كونه مطلوبا بذاته فهو حكم تكليفى وهو باعتبار ما فيه من تكليفه إما أن يكون مأمورا به كالطهارة للصلاة ، أو منهيا عنه كنكاح المحلل الذى هو شرط لمراجعة الزوجة المطلقة ثلاثا وانقاص النصاب قبل تمام الحول فانه شرط لاسقاط الزكاة وهو منهى عن تعمده وواضح ان هذا النوع من الشـروط قصده الشارع فعلا أو تركا وله فى الحقيقة ــ كما قلنا ــ اعتباران فمن ناحيـة كونه شرطا فهو حكم وضعى ومن ناحية طلب فعله أو تركه فهو تكليفى .
ب ــ شرط وضعى بحت . غير مطلوب الفعل أو الترك ولكن ينظر اليه من ناحية شرطيته فقط فيلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده شىء وهـذا كحولان الحول فى الزكاة والاحصان فى الزنى للرجم والحرز فى السرقة للقطـع فانها كلها شروط وضعية لا تكليف فيها وليس للشارع قصد فى تحصيله من حيث هو شرط كما أنه لا قصد للشارع فى عدم تحصيله .

٢ ــ وينقسم الشرط باعتبار صلته بالسبب قسمين :

أ ــ شرط للسبب . فيكمله ويرتب عليه اثره كالعمدية فى القتل لوجـوب القصاص ، وكالشهادة فى عقد الزواج لحل المتعة . فالقتـل سبب لوجـوب القصاص ولكن شرط سببيته أن يكون عمدا عدوانا وعقد الزواج سبب لما ترتب عليه من الآثار لكن بشرط وجود الشاهدين وكذا فان مرور الحول شرط لملك النصاب المالى الذى هو سبب لوجوب الزكاة فى الأموال .
ب ــ شرط للمسبب فيكمله مثل موت المورث موتا حقيقيا أو حكميا وحياة الوارث وقت وفاة المورث فهما شرطان للارث الذى سببه القرابة أو الزوجية أو الولاء على ما بيناه فى كتابنا (أحكام الأسرة فى الاسلام) الجزء الرابـع الخاص بالميراث .

٣ ــ وينقسم الشرط باعتبار مصدره قسمين :

أ ــ شرط شرعى وهى الشروط التى يشترطها الشارع فى جميع المهايا الشرعية كالزواج والبيع والهبة والاجارة وغير ذلك ، وما اشترطه للعبـادات كالصلاة والصوم والزكاة والحج .
ب ــ شرط جعلى اشترطه المتعاقد فى عقده ، وما يشترط فى التصرفات التى يتم فيها الالتزام من جانب واحد كالطلاق والوقف والوصية والجعـالة (الوعد بمكافأة) ومع هـذا فقد وضع الشارع حـدودا لما يشترطه الناس اذا التزموها كانت العقود صحيحة والشروط ملزمة واذا تجاوزوها كانت الشروط

لاغية ومع هذا فقد تؤثر على العقد نفسه فتبطله . على ما بيناه تفصيلا فى كتابنا (المدخل للفقه الاسلامى) .

ثالثا ـ المانع :

المانع فى اللغة الحائل بين الشيئين ، وفى الاصطلاح الاصولى . وصف يمنع تحقق الحكم حتى مع قيام السبب أو ما اعتبره الشارع حائلا دون وجود الحكم أو دون اقتضاء السبب فهو إما مانع للحكم كاختلاف الدين فى منع الارث بين غير المسلم والمسلم . فالارث حكم وسببه القرابة أو الزوجية واختلاف الدين مانع من الأرث الذى هو الحكم وإما مانع للسبب كالدين ـ بسكون الياء ـ بالنسبة لملك نصاب الزكاة فملك النصاب سبب فى وجوب الزكاة بشرط حولان الحول والدين مانع من تحقق السبب .

ويقسم الجمهور المانع قسمين : مانع مؤثر فى السبب ، ومانع مؤثر فى الحكم وقد مثلنا لهما . بينما يقسمه الشاطبى أربعة أقسام (١) .

١ ـ مانع لا يجتمع مع الطلب الآمر أو الناهى نحو زوال العقل بنوم أو جنون فانه لا يجتمع مع الطلب الذى هو التكليف .

٢ ـ مانع يمكن اجتماعه مع الطلب فيرفعه من اصله كالحيض والنفاس الذى يرفع اصل الطلب بالنسبة للصلاة ومس المصحف .

٣ ـ مانع يمكن اجتماعه مع الطلب لكنه لا يرفع اصل الطلب التكليفى وان رفع اللزوم وحوله الى طلب تخييرى مثل الانوثة المانعة من وجوب صلاة الجمعة والعيدين ، والجهاد ولكنها لا تمنع من التخيير فى فعلها .

٤ ـ مانع يرفع الطلب بمعنى رفع الاثم فقط كأسباب الرخص التى تمنع التحتم بمعنى رفع الحرج عن تارك العزيمة ميلا الى جهة الرخصة كقصر المسافر للصلاة وفطره وتركه للجمعة (٢) .

اما الحنفية فانهم يقسمون المانع خمسة انواع :

١ ـ مانع يمنع انعقاد السبب مثل بيع الميتة فهو غير منعقد اذ كون محل العقد ميتة منع السبب ـ العقد ـ من صلاحيته لترتب الأثر الشرعى عليه .

٢ ـ مانع يمنع تمام السبب بالنسبة لغير العاقد كبيع الفضولى فانه يتوقف على اجازة المالك ، ولكن السبب قد تم بالنسبة للفضولى ولذا فانه لا يملك فسخ العقد فيما يمكن نفاذه عليه شخصيا عند عدم اجازة الأصيل كما لا يملك فسخه فيما لا يمكن نفاذه عليه .

٣ ـ مانع يمنع ابتداء الحكم كخيار الشرط لاشتراطه للملك فبالنسبة للبائع مثلا نجده يمنع خروج البيع من ملكه مع انعقاد العقد فى حقهما ولذا يثبت الملك للمشترى من وقت البيع دون حاجة الى امر آخر بعد ارتفاع الخيار بانتهاء المدة أو الاختيار .

٤ ـ مانع يمنع تمام الحكم كخيار الرؤية فمن اشترى ما لم ير فله الخيار اذا راى ويملك المبيع بمجرد العقد لكن لا يتم القبض مع عدم الرؤية . فله أن يرد المبيع ويفسخ العقد دون توقف على قضاء أو رضاء الآخر .

٥ ــ مانع يمنع من لزوم الحكم مع ثبوته كخيار العيب الذى يمنع لزوم الملك رغم ثبوته اذ المشترى له حق التصرف فى المبيع بالبيع وهذا أمارة ثبوت الملك ، كما أن له حق الفسخ للعيب .

بقى أن نقول أن الموانع غير مقصودة للشارع ولا يجوز التماسها لتعليل الاحكام فالمكلف غير مطلب بتحصيل الموانع أو رفعها مع ملاحظة ان التحايل بفعل الموانع لاسقاط الاحكام أمر مذموم وحرمه جمهور الفقهاء .

الصحة والفساد وصلتهما بالحكم الوضعى :

الصحة كما يقول البيضاوى (٣) استتباع الغاية وهو فى المعاملات يختلف عنه فى العبادات فتتحقق الصحة فى العبادات بوقوعها مجزئة على وجه لا يجب معه قضاؤها كما يرى الفقهاء وتتحقق فى المعاملات بصلاحيتها لترتب آثارها عليها .

والفساد : عدم موافقة الفعل ذى الوجهين أمر الشرع فلا يترتب عليه اثره أو هو عدم استتباع الغاية دون نظر لسبب الفساد كما يرى جمهور الفقهاء اذ كل ما لا يترتب عليه أثره فهو فاسد أو باطل سواء كان الخلل فى أصله واركانه او فى وصف اتصف به وأمر خارج عنه ــ مع هذا فالاسنوى يقول(٤): ان دعوى ترادف الفساد والبطلان ممنوعة باطلاقها لأن ذلك خاص ببعض أبواب الفقه كالصلاة والبيع واما الحج والعارية والكتابة والخلع وغيرها فقد فرقنا فيها بين الفساد والبطلان .

أما الحنفية فانهم وان وافقوا غيرهم فى عدم التفريق بين الفساد والبطلان فى العبادات وما الحق بها كعقد الزواج فانهم يفرقون بينهما فى غير ذلك من العقود والتصرفات وقالوا ان الباطل ما لم يشرع بأصله ولا بوصفه والفاسد من العقود ما شرع بأصله دون وصفه .

وأساس هذا الخلاف أن الجمهور لا ينظرون الى سبب نهى الشارع عنه ويرون كل ما نهى عنه الشارع غير صحيح ولا يترتب عليه أى أثر . أما الحنفية فينظرون الى سبب النهى فان كان يرجع الى أصل العقد انعدم وجوده فى نظر الشارع أما اذا كان النهى لوصف لحق بالعقد فانه قد تترتب عليه بعض الآثار على ما بيناه تفصيلا فى موضعه (٥) .

وبذا نكون قد انتهينا من موضوع الحكم الوضعى ومن أقسام الحكم الشرعى عامة أرجو أن أكون قد أحسنت عرضه وبينته للقارىء حتى يكون على بينة من الأحكام الشرعية التى فى اتباعها والمحافظة عليها عصمة ديننا وصلاح دنيانا ، وفقنا الله الى تفهم أحكامه والسير فى جميع مرافق الحياة على ضوئها حتى تسلم لنا عاقبتنا وننعم برضاء الله وتحسن لنا حياتنا الدنيا كما حسنت لسلفنا فى صدر الاسلام ونطمئن الى حسن العاقبة .

---

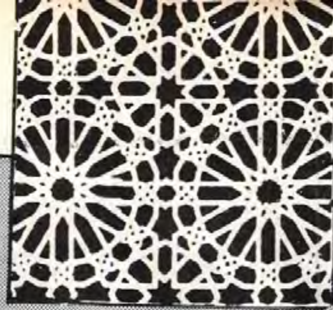
(١) الموافقات هـ ١ ص ١٤٨ .

(٢) وجهة نظر الشاطبى فى اعتبار هذا قسما انه لا بد فيه من الاولوية فلا يستوى فيه الامران .

(٣) المنهاج هـ ١ ص ٤٢ .

(٤) حاشية الاسنوى على المنهاج هـ ١ ص ٤٣ .

(٥) مباحث الحكم عند الاصوليين ، المدخل للفقه الاسلامى .



أضـــواء على حركة المنافقين في عهد النبوّة

للأستاذ / عبد القادر طاش التركستاني

الحلقـــــة ـ ٢

● **خطورة المنافقين :**

شكل المنافقون فى عهـــد النبوة خطرا عظيما على الصف الإسلامى وعملوا على تفتيت وحدة المسلمين وبث بذور الفرقة والتخاذل بين النـــاس وكانوا اشد خطرا من المشركين لأنهم يختصـــون ـ زيادة على الكفر ـ بأمور منكرة منها : ـ

(١) أن المنافق قصد التلبيس والكافر لم يقصد ذلك .

(٢) أن الكافر لم يرض لنفسه الكذب بل استنكف منه والمنافق رضى بـــه .

(٣) أن المنافق يفقـــد بنفـــاقه خلق الشجاعة والشهامة ويتردى من نفاقه فى الخصال الدنيئة كالجبن والخداع والتردد .

(٤) أن المنافق اخطر من الكافر على المؤمن لعدم وضوح معتقده (١).

(ولقد هتك الله سبحانه أســـتار المنافقين وكشف أسرارهم فى القرآن

وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منهم على حذر) (٢) .

والآيات التى تحدثت عن (النفاق والمنافقين) لو ضُمت الى بعضها لبلغت ما يقرب من عشر القرآن الى جانب آيات أخرى تنص على أمور عامة يمكن أن تشمل المنافقين وغيرهم من الكفار والذين فى قلوبهم مرض .

ومن أجل هذه الخطورة يحذر القرآن المسلمين — دائما — من موالاة المنافقين فيقول **(يا أيها النبى اتق اللـه ولا تطع الكافرين والمنافقين)** (٣) ويقول : **(ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على اللـه)** (٤) ويقول : **(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا باطنة مندونكم لا يالونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)** (٥) وبيَّن القرآن مصير المنافقين فى اليوم الآخر بأوضح بيان ليحذّر المسلمين من انتهاج سبيلهم ، والركون إليهم فقال تعالى : **(إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار)** (٦) وهو مصير يتفق مع عملهم الخبيث فى الأرض . لقد كانوا — فى الحياة الدنيا — يزاولون تهيئة أنفسهم لهذا المصير المهين .

وبعد أن حرر الله بهذه الآيات ضمير الفرد المسلم وتحذير الجماعة المسلمة من الاطمئنان الى المنافقين أمر المسلمين بجهادهم فقال تعالى : **(يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير)** (٧) .

وهذا الجهاد ضرورة لحماية المعسكر الإسلامى والمجتمع المسلم من هذه العناصر المخربة والعصبة الفاسدة (وتجمع الآية بين الكفار والمنافقين فى الأمر بجهادهم والغلظة عليهم لأن كلا من الفريقين يؤدى دورا مماثلا فى تهديد المعسكر الاسلامى وتحطيمه أو تفتيته) (٨) ولقد اختلف فى هذا الجهاد .. وكيف يكون ؟؟

(١) فقال بعضهم — وروى ذلك عن على رضى الله عنه — هو الجهاد بالسيف كالمشركين وقد اختار هذا الراى ابن جرير رحمه الله (٩) .

(٢) وقال بعضهم : بل تكون الغلظة فى المعاملة والمواجهة وكشف خبيئاتهم للأنظار ، وروى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه (١٠) .

(٣) وقال بعضهم : جهاد المنافقين : أخذ الحيطة من مكرهم وعدم تمكينهم من ادخال الفتنة على المؤمنين (ومجاهدة المنافقين ... تقتضى فى حد ذاتها بذل الجهد والآية الكريمة لم تحدد هذا الجهد فهو يشتمل على طرق لا حصر لها : من اظهار الحجة والدعاية الحسنة والأخذ باللين أو بالشدة حسب الظروف الملائمة وفى هذا أبلغ الاعجاز إذ يترك الباب مفتوحا للذكاء أن يتخذ ما يستطيعه من وسائل لإحباط كيد النفاق فى حدود ما أحل الله دون اقتحام لأبواب الآثام والمنكرات) (١١) .

ومن هنا فانه يتحتم علينا أن نتعرف على موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من المنافقين ..

● موقف الرسول من المنافقين :

لخص الأستاذ (البهى الخولى) موقف الرسول من المنافقين فيما يلى :

١ً — كان يترك الى الله سرائرهم

---

(١) النفاق والمنافقون ٢٨٦ . (٢) صفات المنافقين ١٦ (٣) الاحزاب ١
(٤) الاحزاب ٤٨ (٥) آل عمران ١١٨ (٦) النساء ١٤٥ (٧) التوبة ٧٣
(٨) الظلال م٨ ج ١٧٢/٢٨ (٩) الظلال م ٤ ج ٢٥٥/١٠ (١٠) نفس المصدر .
(١١) النفاق والمنافقون ٣٥٣

ويعاملهم بما يبدو من ظواهرهم ، جاءه منافق ليتوب من نفاقه فقال : يا رسول الله الإيمان على لسانى والنفاق فى قلبى ولا اذكر الله الا قليلا . فقال عليه السلام : اللهم اجعل له لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وارزقه حبى وحب من يحبنى وصير أمره الى خير . فقال الرجل : يا رسول الله إنه كان لى أصحاب من المنافقين ، وكنت رأسا فيهم افلا آتيك بهم ؟ فقال عليه السلام : من أتانا استغفرنا له ومن أصر فالله أولى به ولا تخرقن على أحد سترا .

٢ً — كان يشفق عليهم من اثم ما يجرمون فاذا انبأه الله من أمرهم شيئا استدعى أحد إصحابه فقال له : ادرك القوم فانهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا . فان أنكروا فقل : بلى قلتم كذا وكذا كما حدث فى غزوة تبوك لما حاولوا ارهاب المسلمين من الروم .

٣ً — كان يشعرهم أن اغضاءه عنهم هو اغضاء الكريم الذكى الفطن لا اغضاء الغفلة والبلادة فكان أحيانا يغمزهم بمايكاد يكشف أمرهم، فكلامهم غير كلام المؤمنين الصرحاء **(فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول)** (١٢) واحوالهم غير أحوال المؤمنين المطيعين **(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة)** (١٣) ولكنهم لم يعدوا شيئا كما أعد غيرهم فكان من علامة المنافقين عدم اهتمامهم بالاستعداد للقتال اكتفاء بعذر كاذب يعتذرون به للرسول ، بل كان الاعتذار نفسه من جملة صفاتهم المميزة لهم ..

٤ً — وصف ما عليهم من الجبن وتفاهة القدر .. **(فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فاولى لهم طاعة وقول معروف)** (١٤) **(وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة)** (١٥) ، (١٦) .

من خلال ما تقدم نرى السماحة النبوية العظيمة ، والموقف العادل الكريم ، فلا نملك الا أن نقف اجلالاً لتلك السماحة وأن نصف ذلك الموقف بأنه أعدل المواقف .

.. لقد أمسك النبى عن قتل المنافقين مع علمه بنفاقهم ، وقد نشأ بين الأئمة الفقهاء فى هذا الصدد كثير من الجدل والنقاش نلخصه فى النقاط الآتية : —

١ — قال الامام مالك رحمه الله : النفاق فى عهد رسول الله هو الزندقة فينا اليوم فيقتل الزنديق اذا شهد عليه دون استتابه ، وانما كف رسول الله عن قتل المنافقين ليبين لأمته ان الحاكم لا يحكم بعلمه اذا لم يشهد أحد على المنافقين وقد نقل فى ذلك أنه لم يشهد على ابن أبىّ الا زيد بن أرقم وحده ، ولا على الجلاس بن سويد إلا عمير بن سعد ربيبه ولو شهد على أحد منهم رجلان بكفره ونفاقه لقتل .

وقد رد على ذلك : —

أ — بأن النبى حكم بقتل الحارث بن سويد لأنه قتل المجذر بن زياد غيلة فى موقعة أحد وعلم النبى بذلك عن طريق الوحى وقضى بقتل الحارث لهذا العلم .

ب — ان قاعدة ان القاضى لا يحكم بعلمه انما تستند على الاجماع والاجماع لا ينعقد ولا يثبت إلا بعد النبى وانقطاع الوحى . ولقد قال صلى الله عليه وسلم فى صراحة ووضوح لا يحتمل التأويل أنه إنما يحكم بالظاهر وان الله يتولى السرائر ،

---

(١٢) محمد ٣٠ (١٣) التوبة ٤٦ (١٤) محمد ٢٠ (١٥) المنافقون ٤
(١٦) من كتاب تذكرة الدعاة ٢٦٩ و ٢٧٠

وذلك حين عرض عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يأذن له فى قتل ابن أبى فقال (ترعد له إذن أنف كثيرة بيثرب ثم كيف اذا تحدث الناس بأن محمدا يقتل أصحابه) . وقال لأسيد ابن حضير حين عرض عليه قتل المتآمرين عليه فى العقبة عند عودتهم من تبوك (١٧) (إنى أكره أن يقول الناس إن محمدا قاتل بقوم حتى اذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم) . فقال : يا رسول الله (اليس يظهرون الشهادة) . فهذه أدلة واضحة على أن الامتناع عن قتلهم كان سياسة حكيمة أطفأت نار الفتنة كلما أوشكت أن تشتعل .

٢ — وللشافعى رحمه الله فى المسألة رأيان : الأول كرأى مالك ، والثانى أن من شهد عليه بالزندقة فجحد واعلن وتبرأ من كل دين سوى الاسلام فان ذلك يمنع من اراقة دمه .

٣ — وكان من هذا الرأى ابو حنيفة واصحابه واحمد بن حنبل رحمهم الله وقد علل الشافعى هذا الرأى بأنه إنما منع رسول الله من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الاسلام مع العلم بنفاقهم لأن ما يظهرونه يجب ما قبله (١٨) .

ويظهر — والله أعلم — أن هذا الرأى الأخير هو الصواب وهو الموافق لروح الشريعة ومقاصد الاسلام . يقول الطبرى رحمه الله : ان الله تعالى جعل الأحكام بين عباده على الظاهر وتولى الحكم على سرائرهم دون أحد من خلقه فليس لأحد أن يحكم بخلاف ما اظهر لأنه حكم بالظنون .

● صفات المنافقين فى القرآن الكريم :

ليس كالنفاق جامعا لمختلف الآفات والصفات الذميمة فى الدين والدنيا ، وخطره على العقائد والنفوس والمجتمع أشد الأخطار ولذلك عنى القرآن الكريم بتوضيح الكثير من صفات المنافقين وأحوالهم . وسنحاول استعراض بعض تلك الصفات مستلهمين آيات الكتاب التى تشير اليها .

١ — وأول تلك الصفات الحيرة والتربص والتذبذب **(إنما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون)** (١٩) وهذه الصفة تنجم عنها صفات أخرى كالتآمر فى الظلام والجبن والنذالة والاضطراب والقلق وقد مثل الله حيرة المنافقين فى القرآن بمثلين فقال تعالى : **(مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ، يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ، ان الله على كل شىء قدير)** (٢٠) إنه تصوير رائع لحال أولئك الذين يرون النور أمامهم فلا يستفيدون منه فتغلف قلوبهم الحيرة ويستولى على نفوسهم القلق والاضطراب ، يتربصون بالمؤمنين **(فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين)** (٢١) إنهم مذبذبون ، انتهازيون ، لا تستقر قلوبهم على شىء **(مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد**

---

(١٧) سنلقى مزيداً من الضوء على هذه القصة فى صفحات تاليات — ان شاء الله —
(١٨) (مختصراً) من كتاب النفاق والمنافقون لابراهيم على سالم ٣٢٩ — ٣٣١ .
(١٩) التوبة ٤٥ (٢٠) البقرة ١٧ — ٢٠ (٢١) النساء ١٤١

له سبيلا) (٢٢) إنهم كما قال الرسول (مثل الشاة العابرة بين الغنمين تعبر الى هذه مرة والى هذه مرة) . (يلقون المسلمين بوجه ويلقون الكفار بوجه ويمسكون العصا من وسطها ويلوون كالديدان والثعابين) (٢٣) ، وإن موقف الاهتزاز هذا لا يثير الا الاحتقار والاشمئزاز كما انه يوحى بضعف المنافقين الذاتى وهو ما يجعلهم لا يستطيعون اتخاذ موقف حاسم هنا أو هناك .

٢ ـ ومن صفاتهم الخداع والاستهزاء بالقرآن ! ولمز المؤمنين ! **(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا ..)**(٢٤) **(واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا)** (٢٥) . **(واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء !)** (٢٦) **(واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون !)** (٢٧) .

٣ ـ ومن صفاتهم : الخوف والجبن وهما صفتان ملازمتان لهم لزوم الروح للانسان فهم خائفون أبداً جبناء دومايعملون فىالظلام ويجبنون عن المواجهة والمصارحة **(يحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون .. لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون)** (٢٨) وإنها لصورة مزرية يبدو من خلالها فزع المنافقين الداخلى وجبنهم الروحى ، وهم **(ولا يأتون البأس الا قليلا أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت .... يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وإن يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا)** (٢٩) إنهم يكرهون القتال كراهية الموت فان نزل بهم القتال فروا فرار الفئران الى جحورها ... وهم بعد ذلك يخافون شيئا آخر ... يخافون أن يكشف القرآن الاعيبهم ويفضح ما تخفى صدورهم **(يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون)** (٣٠) أفليسوا إذن فى خوف دائم وجبن متصل ؟؟

٤ـ وهم بعد ذلك يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف **(المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون)** (٣١) .

إذا رأوا ذاكرا لله عنفوه أو صائما سفهوه أو سائرا فى طريق خير دعوه الى تركه ، ويدعون الناس الى الخمر والربا والعقوق والتبرج .. وغير ذلك .. إنها نفوس حائرة وطبائع ملوثة فلا يستغرب ذلك منها .

٥ ـ خبث الطبع وسوء الطوية ، فهم مغلفون بالحقد ومطبوعون على الشك **(يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا !)** (٣٢) . حقدا وحسدا وعدوانا . و **(إذا دعو الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون)** (٣٣) .

٦ ـ التثاقل عن أداء الطاعات فهم **(إذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى)** (٣٤) وأنى لهم أن يقوموا بنشاط وهمة وباعثهم اليها لا ينبثق من أعماق ضمائرهم إنما يدفعون اليها دفعا تقية وخداعا . ثم هم **(لا ينفقون**

---

(٢٢) النساء ١٤٢ (٢٣) الظلال م ٢ ج ٥/٢٦٢ (٢٤) البقرة ٨ و ٩ (٢٥) التوبة ١٢٤
(٢٦) البقرة ١٣ (٢٧) البقرة ١٤ (٢٨) التوبة ٥٦ و ٥٧ (٢٩) الاحزاب ١٨ ـ ٢٠
(٣٠) التوبة ٥٤ (٣١) التوبة ٦٧(٣٢) المنافقون ٧ (٣٣) النور ٤٨ ـ ٥٠ (٣٤) النساء ١٤٢

إلا وهم كارهون (٤٣) بل إنهم يزيدون على ذلك بأن يلمزوا المتصدقين ويسخروا منهم **(الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم ! سخر الله منهم)** (٣٦) .

٧ — ومن صفاتهم أيضا : التخلف عن الجهاد والتثاقل عن القتال وتخذيل المجاهدين وهى صفة من أنكى صفاتهم واخطر احوالهم ، ان هذا التخلف وذلك التثاقل نتيجة حتمية للجبن الذى يلازمهم والحب الشديد والحرص البالغ على الحياة و **(لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة)** (٣٧) .

.. ولذلك اذا وجب القتال رأيتهم يتسارعون الى النبى يستأذنون فى عدم الخروج ويتسابقون الى الاعتذار اليه بالمعاذير الواهية السخيفة **(ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا)** (٣٨) **(واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون)** (٣٩) وكيف لا يرضون بأن يكونوا مع النساء وفى ذلك منجاة لهم من الموت الذى يكرهون ؟ **(ويستاذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا)** (٤٠) . ورغم تخلفهم عن الجهاد فهم لا يرضون لغيرهم أن يجاهدوا فى سبيل الحق بل انهم كعادتهم يخذلون المسلمين ويعوقون غيرهم عن الاشتراك فى القتال **(قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس الا قليلا)** (٤١) وبعد ذلك ينشرون الأراجيف ويعملون على خلخلة الصف المسلم فى المعركة **(إذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا)** (٤٢) .

٨ — العناد وتبرير ما يأتون من فساد : — يقول الله تعالى مصورا عنادهم **(وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون)** (٤٣) وفوق عنادهم فانهم يتعالون على الناس ويتطاولون عليهم بل إنهم ليستكبرون عن أن يستغفر لهم رسول الله **(واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون)** (٤٤) وتجدهم يبررون أعمالهم الاجرامية بتبريرات ملتوية كالتواء نفوسهم ويدعون الاصلاح والاحسان وهم أبعد ما يكونون عن الاصلاح والاحسان **(وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)** (٤٥) **(وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا)** (٤٦) .

تلك هى الصورة التى رسم فيها القرآن الكريم ملامح المنافقين وكشف فيها أحوالهم كشفا ظهرت من خلاله الحقيقة ناصعة جلية وتحددت معالم طريق النفاق المحفوف بالرذائل والمنكرات والمزروع بالفساد والفتن.

---

(٣٥) النساء ١٤٢ (٣٦) التوبة ٧٩ (٣٧) التوبة ٤٢ (٣٨) التوبة ٤٩ (٣٩) التوبة ٨٦ و ٨٧
(٤٠) الاحزاب ١٣ (٤١) الاحزاب ١٨ (٤٢) الاحزاب ١٣ (٤٣) البقرة ١٣
(٤٤) المنافقون ٥ (٤٥) البقرة ١٢ (٤٦) النساء ٦١

مكتبة المجلة



اعداد الاستاذ عبد الستار محمد فيض

فى رحـــــــاب الايمـــــان

كلمات منيرة أضاء بها قلب كاتبها الفاضل الأستاذ محمد عبد العزيز عبد الدايم . وفاضت على قلمه البليغ فشقت طريقها الى الأسماع عن طريق إذاعة القرآن الكريم من القاهرة ، ثم أخرجها فى كتاب تحتوى صفحاته على تفاسير من آيات القرآن الكريم ، أو شرح لأحاديث الرسول أو أثر صحيح عن صحـــابى كما يشتمل الكتاب على نماذج من الأدب الرفيع ، وسير أعلام الإسلام ، وألوان من فقه الشريعة الإسلامية الغراء فى مجـــال العقيـــدة والعبادات والمعاملات والأحكام المختلفة ، يجمع بينها جميعا أنها فى محراب الدين الخالص وفى رحاب الإيمان .

وقد استطاع المؤلف المذيع أن يتناول هذه الموضوعات المتعددة بحـــذق ومهارة وقوة واقتدار مفصلا فى مجال التفصيل مجملا فى مواضيع الاجمـــال بارزا الجوهر واللب غير غافل عن الجزئيات أو التفريعات .

والكتاب يعتبر حصيلة قراءات واسعة فى أمهات الكتب وعيون الآثار والأخبار ، كل ذلك فى أسلوب سهل سائغ ، وعبارة رصينة محكمة ، وبيان بليغ مبين .

ومن موضـــوعات الكتاب ، فى درجة القرآن ، خواطر من الحياة ، سبحات مع الرسول ، مواقف خالدة ، مناجاة ودعاء ، فى رياض الصالحين ، من كلمات الصالحين ، وتحتوى صفحاته على (٣١٦) صفحة ومن مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بالقاهرة .

مراعاة المشرع الاسلامي لحال الجاني عند تنفيذ العقوبة عليه

للاستاذ محمد فتحي بهنسي

لما كان الغرض من عقاب الجاني هو ردعه حتى لا يعود الى الجريمة ومنع الغير من محاكاته بارتكاب الجريمة ولم يكن الغرض ابدا التنكيل بـــه او تعذيبه فان المشرع راعي حال الجانى اذا كان مريضا او بـــه مانع يضره اذا نفــذت عليه العقوبــــة .

١ ـ مرض الجانـــى :

اذا كان المحكوم عليه مريضا ووجبت عليه عقوبة : ينظر فإن كان مرضه من الامــراض التى ينتظر ان يشفى منها وكان قد وجب عليه حد من الحــدود فى زنا او شرب او سرقـــة حبس حتى يبرأ وذلك لانه لو اقيم الحد على المريض ربما انضم الم الجلد الى الم المرض فيؤدى ذلك الى هلاك الجانى ــ والحد انما يقـــام للزجر لا للاهلاك .

وان كان مرضه لا يرجى شفاؤه واستحكم ذلك المرض فالراجح انه يقام عليه الحـــد اذا لم يكن هذا الحد رجما .

اما الرجم فيقام فى بادىء الامر برغم المرض لان الرجم مفروض فيه انه عقوبة مهلكـــة فلا يمتنع اقامتها بسبب المرض .

ويلحق بالمرض البرد الشديد أوالحر الشديد الذى يخاف أن يهلك فيه الجانى اذا أقيمت عليه العقوبة . فالقاضى يحبسه الى أن يزول البرد أو الحر . كما يلحق بالمريض المرأة النفساء لانها بمنزلة المريضة .

فى رواية أبى داود عن أبى جميلة عن على قال : فجرت جارية لآل رسول الله صلى الله عليه وسلمفقال:يا على انطلق فأقم عليها الحد قال : فانطلقت ، فإذا بها دم يسيل لم ينقطع فأتيته فقال : يا على ، أفرغت ؟ فقلت : أتيتها ودمها يسيل فقال:دعهاحتىينقطع دمها . ثم اقم عليها الحد .

والراجح انه دم نفاس لاحيض لان الحائض بمنزلة الصحيحة فى اقامة الحد عليها والنفساء بمنزلة المريضة .

روى مسلم والترمذى : خطب على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : يأيها الناس اقيموا الحدود على أرقائكم من أحصن منهم ومن لم يحصن . فإن أمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم زنت ، فأمرنى أن أجلدها ، فأتيتها فاذا هى حديثة عهد بنفاس فخشيت إن انا جلدتها أن أقتلها . فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : أحسنت اتركها حتى تماثل .

٢ ــ كبر السن :

إن كان المحكوم عليه شيخا كبيرا يجب أن توقع عليه عقوبة الجلد بشكل لا يهلكه فيقتصر على ضربه بدرة أو بأداة لا تهلكه .

روى أبو داودوالنسائىعنأبىأمامة بن سهل عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار ، أنه اشتكى رجل منهم حتى أضنى ، فعاد جلده على عظم .فدخلتعليه جارية لبعضهم فهش لها فوقع عليها . فلما دخل عليه رجال قومه يعودونه أخبرهم بذلك . وقال : استفتوا لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى قد وقعت على جارية دخلت على فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : ما رأينا بأحد من الضر مثل الذى هو به ولو حملناه اليك لتفسخت عظامه . ما هو إلا جلد على عظم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذوا له مائة شمراخ فيضربوه بها ضربة واحدة . (١)

٣ ــ المراةالحامل :

إن كانت المراة المطلوب توقيع عقوبة الجلد أو الرجم حبلى حبست حتى تلد ، لحديث الغامدية :

فقد روى الموطأ كما روى مسلم عن بريدة قال بعد أن ذكر قصة ماعز : فجاءت الغامدية فقالت : يا رسول الله ، انى قد زنيت فطهرنى . وأنه ردها فلما كان منالغدقالت:يا رسول الله ، لم تردنى ؟ لعلك أن تردنى . كما رددت ماعزا ، والله إنى لحبلى . قال : أما لا ، فاذهبى حتى تلدى ، فلما ولدت أتته بالصبىفىخرقة . فقالت هذا قد ولدته . قال : فاذهبى فأرضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتته بالصبى فى يده كسرة خبز . فقالت : هذا يا نبى الله وقد فطمته وقد أكلالطعام.فدفع الصبى الى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر

لها الى صدرها وأمر الناس فرجموها فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضخ الدم على وجه خالد ، فسبها . فسمع نبى الله صلى الله عليه وسلم سبه إياها . فقال : مهلا يا خالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له . ثم أمر فصلى عليها ودفنت »

ومجرد ادعاء المرأة بأنها حبلى لا يؤخر تنفيذ العقوبة وانما يعرضها القاضى على أهل الخبرة ــ فإن قلن هى حبلى حبسها حتى تلد ، فإن لم تلد خلال المدة الطبيعية للحمل ، قدر الفقهاء مدة حبسها بسنتين ترجم أو تجلد بعدها للتيقن بعدم حملها .

٤ ــ قطع يد السارق :

كل مال محرز بلغت قيمته نصابا اذا سرقه بالغ عاقل لا شبهة له فى المال ولا فى حرزه قطعت يده اليمنى من مفصل الكف وهو الكوع فإن سرق مرة ثانية بعد قطعه قطعت رجله اليسرى من مفصل الكعب فإن سرق ثالثة فقد رأى البعض بأنه لا يقطع بعد ذلك ولكنه يعزر ويحبس حتى يتوب . ويبرر هؤلاء قولهم بما روى عن سيدنا على رضى الله عنه انه أتى بسارق فقطع يده ثم اتى به الثانية وقد سرق فقطع رجله ثم اتى به الثالثة وقد سرق فقال لا أقطع : ان قطعت يده ، فبأى شىء يأكل وبأى شىء يتمسح ، وان قطعت رجله فبأى شىء يمشى انى لأستحى من الله فضربه بخشبة وحبسه .

وروى أن سيدنا عمر أتى بسارق أقطع اليد والرجل وقد سرق نعالا يقال له سدوم وأراد أن يقطعه فقال له سيدنا على : انما عليه قطع يد ورجل فحبسه عمر ولم يقطعه .

قال كمال الدين بن الهمام فى ذلك :

كان غالبية الفقهاء يفعلون كما فعل على . واخرج عن مكحول أن عمر رضى الله عنه قال : اذا سرق فاقطعوا يده ثم ان عاد فاقطعوا رجله ولا تقطعوا يده الاخرى وذروه يأكل بها ويستنجى بها ولكن احبسوه عن المسلمين . واخرج عن النخعى أنهم كانوا يقولون : لا يترك ابن آدم مثل البهيمة ليس له يد يأكل بها ويستنجى بها . وهذا كله قد ثبت ثبوتا لا مرد له . (٢)

اكراه المتهم لحمله على الاعتراف :

من الامور التى تدل على رعاية الشريعة لحقوق المتهم تلك المناقشات الفقهية التى أثيرت بين الفقهاء كل منهم ينتصر الى رأى معين ، فالشريعة كما سنرى تحرم إكراه المتهم لحمله على الاعتراف بجرمه فإن اعترف بناء على إكراه فهو اعتراف باطل وما ترتب عليه باطل ويقتص من المكره سواء كان قاضيا أو غيره .

وإنما يرى البعض صحة اعتراف المتهم اذا كان هذا الاعتراف مبنيا على إكراه وكان ذلك المتهم من ذوى السيرة السيئة المشهور عنهم ارتكاب الجرائم وذلك رعاية للصالح العام .

وقد فصل ذلك ابن قيم الجوزية فقد قسم المتهمين الى ثلاث فئات :

الفئة الاولـــى :

المتهم حسن السير والسلوك الذى لم يسبق اتهامه قبل هذه المرة فلا يجوز حبسه ولا ضربه ولا اكراهه ولا يجوز عقابــه الا اذا ثبتت مسئوليته بطريقة من طرق الاثبـــات على سبيل القطــع .

الفئة الثانيـــة :

المتهم المعروف بالفجــور ، الذى يكون له من سوابقــه ما يشـــهد عليه بذلك وقد قال فيه شيخ الاسلام ابن تيمية :
ما علمت احد من ائمة المسلمين يقــول : إن المدعى عليــه فى جميـــع هــذه الدعاوى يحلف ويرسل بلا حبس ولا غيره . فليس هذا ـ على اطلاقه ـ مذهبا لأحد من الأئمة الاربعة ولا غيرهم من الأئمة . ومن زعم أن هذا ـ على اطلاقه ـ وعمومه هو الشرع فقد غلط غلطا فاحشا مخالفا لنصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاجماع الأئمة .
وبمثل هذا الغلط الفاحش تجرأ الولاة على مخالفة الشرع ، وتوهمــوا أن الشرع لا يقوم بسياسة العـــالم ومصلحة الأمة وتعدوا حدود الله ، وتولد من جهل الفريقين بحقيقة الشرع خروج عنه الى أنواع من الظلم والبدع والسياسة ، جعلها هؤلاء من الشرع ، وجعلها هؤلاء قسيمة ومقابلة له ، وزعموا أن الشرع ناقص لا يقــوم بمصالح الناس ، وجعل اولئــك ما فهمــوه مـــن المعلومات والاطلاقات هو الشرع ، وإن تضمن خلاف ما شهدت بـــه الشواهد والعلامات الصحيحة ، والطائفتان مخطئتان فى الشرع اقبح خطأ وافحشه .
ويسوغ ضرب هـــذا النوع من المتهمين كما أمر النبى صلى الله عليه وسلم بتعذيب الذى غيب ماله حتى أقر بـــه ، فى قصة ابن أبى الحقيق على قـــول البعض .
وفى قول آخر لا يسوغ ضربه وهو قول أصبغ وآخرين . وقال عمر بن عبد العزيز ، ومطرف وابن الماجشون : انه يحبس حتى يموت .
قال ابن قيم الجوزيـــة :
واما ضرب المتهم اذا عرف أن المال عنده : وقد كتمه وانكره فيضرب ليقر بـــه . فهذا لا ريب فيه . فإنه ضرب ليؤدى الواجب الذى يقدر على وفائه ، كما فى حـــديث ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم لما صالح أهل خيبر على الصفراء والبيضاء « الذهب والفضة » سأل زيد بن سعيد ـ عم حيى بن اخطب ـ فقال : أين كنزحيى ؟ فقال : يا محمد اذهبته النفقات . فقال للزبير : دونك هذا فمسهالزبير بشىء من العذاب . فدلهم عليه فى خربة . وكان حليا فى مسك ثور . فهذا أصل فى ضرب المتهم .
قال ابن حزم : وانما من صح قبله حق ومنعه فهو ظالم قد تيقن ظلمه فواجب ضربه ابدا حتى يخرج مما عليه ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده إن استطاع » ولأمره عليه الصلاة والســـلام بجلده عشرة فأقل فيما دون الحد وذلك فيما صح انه عنده أو يعلم مكانه .

الفئة الثالثـــة :

المتهم المجهول الحـــال ــ فهو لا يعرف ببر ولا فجور ــ فهذا يحبس حـــتى ينكشف حاله عند عامة علماء الاسلام ، وذلك حتى يتبين للحاكم أمره .

وقد احتجوا على ذلك بحديث رواه أبو داود فى سننه وأحمد وغيرهما من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده : أن النبى صلى الله عليه وســـــلم حبس فى تهمة .

وقد قال صاحب المبسوط فى ذلك :

لما كان القاضى لا يعرف عدالة الشهود فإنه يحبس المدعى عليه حتى يسأل عن الشهود وهذا لأنه لو خلى سبيله هرب فلا يظفر به بعد ذلك ولا وجه الى أخذ الكفيـــل منه لأن الكفيل نوع احتياط ، وحبسه ليس بطريق الاحتياط بل بطريق التعزير لأنه صار متهما بارتكاب الفاحشة فيحبسه تعزيرا ولهذا لا يحبسه فى الـــديون قبل ظهور عدالة الشهود ولأن الحبس أقصى العقوبة هناك فإنه بعد ما ثبت الحق لا يعاقبه الا بالحبس فلا يجوز أن يفعله قبل ثبوت الحق بخلاف الحـــدود . فإذا ظهرت عدالة الشهود نظر فى أمر الرجل .

كما أخرج أبو داود والنسائى عن أزهر بن عبد الله الحرازى : أن قوما من الكلاعيين سرق لهم متاع . فاتهموا ناسا من الحاكمة ، فأتوا بهم النعمـــان بن بشـــير فحبســـهم أيامـــا ثم خلى سبيلهم . فأتـــوا النعمـــان ، فقالوا : خليت سبيلهم بغير ضرب ولا امتحـــان ؟ فقال لهـــم النعمان : ما شـــئتم ، إن شئتم أن أضربهم فإن خرج متاعكم فذاك . وإلا أخذت لهم من ظهوركم مثلما أخذت من ظهورهم . فقالوا هذا حكمك ؟ قال : هذا حكم الله ورسوله .

انما هل يجوز ضرب هـــذا النوع من المتهمين ؟

قال صاحب المبســـوط :

اذا أقر بالسرقـــة عند العـــذاب أو عند الضرب أو عند التهديد بالحبس فإقـــراره باطل لحديث ابن عمر رضى الله عنه : ليس الرجل على نفسه بأمين إن جوعت أو خوفت أو أوثقت .

وقال شريح : القيد كره والسجن كره والوعيد والضرب كره وهذا لأن الاقرار انما يكـــون حجة لترجيح جانب الصدق فيه فلما امتنع من الاقرار حتى هـــدد بشىء من ذلك فالظاهر أنه كاذب فى اقراره .

وبعض المتأخرين من الحنفية أفتوا بصحة اقرار السارق بالسرقة مـــع الاكراه لأن الظاهر أن السراق لا يقرون فى زماننا طائعين وسئل الحسن بن زياد رحمه الله : أيحل ضرب السارق حتى يقر فقال : ما لم يقطع اللحم ولا يبين العظم . وأفتى مرةبجوازضربـــه ثم نـــدم واتبع السائل الى الأمير فوجـــده قد ضرب السارق وأقر بالمال وجاء بـــه فقال : ما رأيت جورا أشبه بالحق من هـــذا .

كما ورد فى المدونـــة الكبرى :

قلت : أرأيت إذا أقر بشىء من الحدود بعد التهديد أو القيد أو الوعيد أو الضرب أو الســـجن أيقـــام عليه الحـــد أم لا فى قول مالك ؟

قال : قال مالك:من أقربعد التهديد أقيل . فالوعيد والقيد والتهديد والسجن والضرب كله تهديد عندى وأرى أن يقال .

قلت : والوعيد والتهديد عند مالك بمنزلة السجن والضرب . قال : قد اخبرتك بقوله فى التهديد فما سألت عنه عندى مثله .
قلت : أرأيت إن أقر بعد القيد والضرب ثم ثبت على إقراره أيقيم عليه مالك الحد وإنما كان أصل إقراره غير جائز عليه .
قال : لم أسمع من مالك فى هذا إلا ما أخبرتك أنه قال : يقال .

معاملة المحبوس فى السجن :

قال أبو يوسف للرشيد : لم تزل الخلفاء يا أمير المؤمنين تجرى على أهل السجون ما يقوتهم فى طعامهم وأدمهم وكسوتهم فى الشتاء والصيف . وأول من فعل ذلك على بن أبى طالب كرم الله وجهه بالعراق ثم فعله معاوية بالشام ثم فعل ذلك الخلفاء من بعده .
وقد وضع عمر بن عبد العزيز نظاما دقيقا للسجن يحقق للمسجون كرامته وآدميته .
ورد فى كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف :
حدثنا بعض شيوخنا عن جعفر بن برقان قال :
« كتب إلينا عمر بن عبد العزيز : لا تدعن فى سجونكم أحدا من المسلمين فى وثاق لا يستطيع أن يصلى قائما ولا يبيتن فى قيد إلا رجل مطلوب وأجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم فى طعامهم وأدمهم . » فمر بتقدير ما يقوتهم فى طعامهم وصير ذلك دراهم تجرى عليهم فى كل شهر يدفع ذلك اليهم ، فإنك إن أجريت عليهم الخبز ذهب به ولاة السجن والقوام والجلاوزة (الشرطة) .
وول ذلك رجلا من أهل الخير والصلاح يثبت أسماء من فى السجن ممن تجرى عليهم الصدقة ، وتكون الأسماء عنده ويدفع ذلك اليهم شهرا بشهر يقف ويدعو باسم رجل يدفع ذلك اليه فى يده فمن كان منهم قد أطلق وخلى سبيله رد ما يجرى عليه ، ويكون للأجراء عشرة دراهم فى الشهر لكل واحد ، وليس كل من فى السجن يحتاج الى أن يجرى عليه ، وكسوتهم فى الشتاء قميص وكساء ، وفى الصيف قميص وإزار .
ويجرى على النساء مثل ذلك وكسوتهن فى الشتاء قميص ومقنعة وكساء ، وفى الصيف قميص وإزار ومقنعة ، وأغنهم عن الخروج فى السلاسل يتصدق عليهم الناس ، فإن هذا عظيم أن يكون قوم من المسلمين قد أذنبوا وأخطأوا وقضى الله عليهم ما هم فيه فحبسوا يخرجون فى السلاسل يتصدقون وما أظن أهل الشرك يفعلون هذا بأسارى المسلمين الذين فى أيديهم . فكيف ينبغى أن يفعل هذا فى أهل الاسلام؟ . . وإنما صاروا الى خروج فى السلاسل يتصدقون لما هم فيه من جهد الجوع فربما أصابوا ما يأكلون وربما لم يصيبوا . إن ابن آدم لم يعر من الذنوب ، فتفقد أمرهم ومر بالأجراء عليهم مثل ما فسرت لك . ومن مات منهم ولم يكن له ولى ولا قرابة غسل وكفن من بيت المال وصلى عليه ودفن ، فإنه بلغنى وأخبرنى به الثقاة أنه ربما مات منهم الميت الغريب فيمكث فى السجن اليوم واليومين حتى يستأمر الوالى فى دفنه وحتى يجمع أهل السجن من عندهم ما يتصدقون ويكترون من يحمله الى المقابر فيدفن بلا غسل ولا كفن ولا صلاة عليه ،فما أعظم هذا فى الاسلام وأهله .

ولو أمرت بإقامة الحدود لقل أهل الحبس ولخاف الفساق وأهل الدعارة وتناهوا عما هم عليه . وإنما يكثر أهل الحبس لقلة النظر فى أمرهم . إنما هو حبس وليس فيه نظر فمر لاتك جميعا بالنظر فى أمر أهل الحبس فى كل يوم فمن كان عليه أدب وأطلق ومن لم يكن له خلى عنه .

عقاب المجرم تطهير له :

الراجح أن المذنب إذا عوقب أو اقتص منه فى الدنيا لا يعاقب ولا يقتص منه فى الآخرة لقوله عليه الصلاة والسلام : من أذنب ذنبا فعوقب به فى الدنيا لم يعاقب به فى الآخرة .

وعن الترمذى عن على بن أبى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أصاب حدا فعجل عقوبته فى الدنيا فالله أعدل من أن يثنى على عبده فى الآخرة . ومن أصاب حدافستره الله عليه فالله أكرم من أن يعود فى شىء قد عفا عنه »

وهناك قول بأن الطهرة من الذنب لا تحصل بإقامة الحد بل بالتوبة . ولهذا يقام الحد على كره منه .ويشجع المعاقب على التوبة حتى يطهر من الذنب .

مما تقدم نلحظ أن الشريعة حفظت للانسان كرامته وآدميته ولو كانت قد أعمته الشهوات واستبدت به الأهواء فضل سواء السبيل وانحرف الى مرتبة الجريمة ومال نحوها فتارة تأخذ بيده تشجعه على التوبة الى الله تعالى ، وتارة تدعو الناس الى الستر عليه. فإن عوقب كانت رحيمة به ، إن كان شيخا فانيا أو مريضا لا يحتمل الم العقوبة فإن كان الرجل ليس من أهل الاجرام أو الفجور حرم حبسه أو إهانته حتى تثبت عليه التهمة فقد تكون الشبهات فى غير موضعها أما إن كان من الأشرار المفسدين فى الأرض الذين يثبت سعيه بالفساد يوجع عقوبة حتى يرتدع وينزجر به غيره .

---

(١) انظر ص ٢٢٩ ابن عابدين الجزء الثالث : الا أن يقع الياس من برئه فيقام عليه أى أن يضرب ضربا خفيفا يحتمله ولو كان المرض لا يرجى زواله كالسل أو كان ضعيف الخلقة فعندنا وعند الشافعى يضرب بعثكال فيه مائة شمراخ دفعة وتقدم فى الايمان أنه لا بد من وصول الكل الى بدنه ولذا قيل لا بد أن تكون مبسوطة . والعثكال والعثكول عنقود النخل .

(٢) انظر ص ٣١٩ جزء ٣ ابن عابدين

وتقطع رجله اليسرى من الكعب ان عاد أى بعدما قطعت يمينه فان عاد ثالثا لا يقطع وحبس وعزر بالضرب حتىيتوبـوماروى يقطع ثالثا ورابعا ان صح حمل على السياسة او نسخ كما فعل أبو بكر الصديق فى أقطع اليد والرجل الذى جاءه من اليمن وسرق حليا لزوجة أبى بكر وقطع شماله بعد اعترافه – رواهالموطا.

وانظر ص ١٤٠ جزء ٩ المبسوط .

قال ابراهيم النخعى: اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من قال : اقطعه حتى أتى على قوائمه كلها يريد به قول أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ومنهم من قال : اقطع يده ورجله ثم احبسه يريد به قول على وابن مسعود رضى الله عنهما ، قال : هذا أحب الى وبه أخذ علماؤنا رحمهم الله لأن القطع شرع للزجر لا للتلف وفى تفويت منفعة الجنس اتلاف حكمى على ما اشار اليه على رضى الله عنه .

في موسم الحج

قم ، واسـقنا من كوثر النـدمان وأذع به مـا شـئت من ألحـان
تكبيرة الاحرام فى سـمعى لهـا وتـر ، يهيـج كوامن الأشجـان
ما زلت أذكرهـا ، يهز جوانجى ويشف قلبى سحرهـا ، وكيـانى
كم رف بالأعطاف منهـا شـارد ما كان مـن انس ، ولا من جـان
خفقت بها تلك الحمائم ، وهى فى حبراتهـا كالـدر ، والمرجـان
وهفا بها الفردوس ينفـح عنبرا ويميس بيـن شـقائق النعمـان
والصبـح تيـاه المعاطف مشرق متألق كالزنبـق النيسـان
أيقظنـه ، وبثثـن فى أعطافه مـا رق من نغـم ، ومـن أوزان
فترى البشائر منه حولك قد بكرن وأنت منهـا بـارق التحنـان
مزمورهن هـو المناجـاة التى أشد ، فؤاد الصـادح الهيمـان
عنت الوجوه لربها ، وتخشـعت و النور منهـا ساطع البرهـان
وترى العيـون تهللت عبراتهـا وقـد ارتوت بالمدمـع الهتـان
الفيق ، والأحداث ملء خواطرى للقهقرى تغـدو ، وهـن روانى
ماذا هناك ؟ محمـد فى صحبـه ولـه لـواء العز ، والسـلطان ؟
دوى النداء ، وما قضيت لبانـة يا قلـب حين دلفـت بالركبـان
مـا كان رقـراق الدمـوع يرده عما بـه مـن غمـرة الأشـجان

المبارك

للأستاذ محمد هارون الحلو

أرسى عماد الحق ربك فى الورى وبــه تهـاوى معقــل الشيطان
وعلىالسفوح جحافل تصفى لخير الخلــق ، وهــو مطيب الأردان
يا قوم ، تلك رسالتى ، ما تشهدون اذا ســئلتم عــن فتى عدنـــان
هو ذاك أحمد بيــن روض مزهر عبق ، بروح الخلــد ، والريحان
تغشى العيون حماه ، وهى رفيفة فى ظلــه ، مسحورة الأجفـــان
صلت عليه ، وســلمت فى زهوة كم مــن قلــوب بالمــزار حوانى
ما ارتد طرف عنـــه ، والنجوى به تصبى النهى ، وتشف كل جنـــان
فيرى، ويبصر،وهو موصول الرؤى بالنور ، خفاق الجوانح ، حـــان
للــه ديــن قيــم قــد شـــده فى ظل صرح شــامخ البنيـــان
تخذ الزمان به منـــارات الهــدى والرشــد ، وهــو موطد الأركان
اشراق نـــور الله فيه مناســـك للــروح ، وهــو تميمــة الحيران
قم فى رحاب البيت ، واسع بظله ظل الهــدى والنور ، والايمــان
واخفض جناحك عنده فى خشــية فلقــد نزلت بســاحة الرحمــن
واجهر بتلبية النــداء ، فانمـــا لك فى حمى المولــى أبر حنـــان
واملأ فؤادك باليقين ، فكــم ترى لله مــن نعــم ، ومــن احســان
وانــزل بأكرم منزل ، وأجلـــه وأبــره فــى عــزة ، وأمـــان

واعمر فؤادك باليقين ، وأنت فى الحرم الأمين بمنـزل الرضوان
ضيف على الملك الكريم ، وكم ترى لله مـن منـن على الانسـان
ولـه الجلالـة لا يعز بظلهـا .. فى الـكون الا بارىء الأكـوان
أحد ، وليس وراءه أحـد سـوا ه ، وما له بين الـورى من ثانى
تجرى المقادر وفق حكمتـه التى عنـت الوجوه لهـا بكل زمـان
واليه يرجـع كل أمـر فى الورى أعظم بملك الواحـد الديـان
طف ، واستلم ركن الهدى بحفاوة وارم الجمار ، وشـد خير بنـان
الله أكبر ، قد أفضت ، وأنـت فى نسـك تلـوذ بأعظم الأركـان
تفضى لربك بالسريرة خاشـعا وعليـك منـه سحائب الغفـران
تذر الحياة ، ومـا بها من زخرف لحيـاة خلـد فى الفرادس دان

. . .

لله أنـت ، وأنت أعظـم مرسـل فيمـا سطعت به على الأكـوان
النور يهدى فى يمينـك حيثمـا يممت والبشـرى بـكل لسـان
قـد جـاء بالحق المبيـن مبلغـا عـن ربـه ، وأضاء بالقـرآن
خير البريـة فى الأنـام محمـد بدر الـدجى ، ومنـارة العرفان



الحضارة الغربية في ساعتها الخامسة والعشرين

- ٣ -

للدكتور عماد الدين خليل

والحضارة المعاصرة ـ بعد هذا ـ لا تمتلك عناصر البقاء . انها فضلا عن ماديتها الطاغية وآليتها الرتيبة ، وقياسها التجريدى الميت ، وفضلا عن اتاحتها المجال لظهور أبشع وأقسى طبقتين فى التاريخ : الرقيق التكنى والمواطنون سيطرتا على مقدرات الانسان وعرّضتا وجوده للاختناق ، وفضلا عن اتفاق الشرق والغرب على تشديد القبضة على خناق الانسان ، وتحطيم قيمه ومثله وسحق وجدانه ، وردم منابع عاطفته ووحيه وأحلامه فضلا عن هذا وذاك فهى حضارة التكاثر الذى يحيل الحياة الى جحيم ، وتفتيش لا نهائى عن الذهب : « سوف تنتزعون الجلود غدا بحثا عن الذهب تحتها ، ثم تنتزعون العضلات عن العظام بحثا عن الذهب ـ الذهب ! الذهب ! الذهب ! اننا اليوم فى البداية : انكم لا زلتم تبحثون فوق الجلد ، لكن الجلد سينتزع والتفتيش سيستمر ـ ص ٤٧٧ » .

وهى حضارة القتل والتحطيم وتهديم بنيان الله : « ان سائق سيارتنا والجنود المسلحين بالعصى والمسلحين منهم بالرشاشات الذين ينتظرون بفارغ الصبر اللحظة المناسبة لقتلنا ، لا يسمعون هم أنفسهم شيئا ، ما من أحد منهم يسمع . مع ذلك انهم يتهدمون مثلنا وبالطريقة ذاتها التى نتهدم بها — هل تراهم وهم يتهدمون ؟ — ص ٤٠٥ » .

الحضارة التى ولغ فيها الانسان فى الدماء حتى غدا شيطانا مريدا : « له وجه انسان ولكنه ليس انسانا . انه آلة ، انه الشيطان ، انه يشبه الانسان بكليته باستثناء الروح .. لقد ولغ الآخرون جميعا فى الدم وهم الآن كالعفاريت . انهم ليسوا بشرا .. لم يبق بين كل هؤلاء رجل واحد يمكن أن يكون انسانا — ص ٤١٤ — ٤١٥ » .

وهى حضارة السجن الذى يقف فيه الانسان على حدود الحياة والموت تحيطه جدران صماء لا نهاية لها ، وتغيب عنه معالم السماء والأفق البعيد ، وحيث يضيع الانسان فلا يعرف له موضع قدم ولا يعرف له مصيرا ، ويلتبس عليه الفهم وتختفى معالم الاشياء ، لأن صلته بالسماء قد انقطعت وتلقيه عن الله قد أوقف ، وسدت عليه سبل الرؤية الى فوق . اسمعوا شكواه وانصتوا الى عذابه وهو فى الغربة : « اننى منذ عام أقف على حدود الحياة والموت . منذ عام وانا على أطراف الحياة والحلم . لقد خرجت من نطاق الزمان ومع ذلك لا زلت أعيش .. ان كل هذه الآلام منشؤها عدم معرفتى ، هل أنا سجين أم متمتع بحريتى ؟ اننى أرى نفسى سجينا ومع ذلك لا أتوصل الى تصديق أننى فى السجن . انى أرى أننى لست حرا طليقا ، ومع ذلك فان عقلى يحدثنى بأنه ليس هناك من موجب يستدعى ابتعادى عن الحرية .. ان العذاب الذى يحدثه عدم الفهم هذا أكثر ايلاما وشدة من العبودية . ان الرجال الذين سجنونى هنا لا يمقتوننى ولا يريدون معاقبتى ولا يطلبون موتى . انهم يريدون انقاذ العالم فقط !! مع ذلك فانهم يعذبوننى ويقتلوننى تدريجيا .. انهم يعذبون ويقتلون الانسانية كلها . اننى لست الوحيد الذى أتألم ، وأنا أعرف ذلك . ان أولئك الذين يديرون العالم راحوا ينشئون مستشفيات هائلة لابراء جراح البشر . لكن مواليهم لا تقيم المشافى بل السجون .. ان كل شىء يموت كما لو كانت اللعنة قد حلت عليهم . ان تفكيرى لا يستوعب شيئا . ولهذا السبب أريد أن أموت .. ان قواى لم تعد تحتمل هذا العذاب — ص ٤٢٧ — ٤٢٨ » .

وهى الحضارة التى تعكس عذابها وتمزقها على التعبير الذاتى للانسان المعاصر : فى الرسم : يقدم لنا بيكاسو لوحة « تمثل امراة شوهها الألم الشديد ، لدرجة لم يعد وجهها يحتفظ بشىء انسانى على قسماته .. لوحة تظهر الانسان الذى سحقه الألم وقطعه أشلاء كقطع آلة . ليس فى اللوحة الا العوامل الجوهرية : العينان والأنف والفم والأذنان . كانت كل قطعة من هذه القطع تعيش منفردة مستقلة لوحدها ، فقد تنافرت بينها بسبب الألم . لقد تنصل الجسد البشرى عن وحدته بسبب ذلك — ص ١٦٧ » .

فى النحت : « هناك نحات سويسرى اسمه البرتوجيا كوميتى حقق فى حقل النحت مبادىء عن الجمال المذكر والمؤنث — التى حققتها الحضارة فى الحياة العملية — بتبديد الدهن واللحم من الأجساد البشرية .. ان الجسم البشرى قد حول بهذا الشكل الى مقياس واحد ، فأخذ أشكالا محددة جافة لا تزيد على حجم سلك حديدى » وتستفز هذه السخرية المرة (جيورجيو) فيصرخ بسخرية أكثر مرارة : « اننى اعرف منذ الأزل أن حضارتكم كلها مبنية على

مبادىء جمالية . وغدا عندما يصبح سطح الكرة الارضية معمورا ببشر من ذوى الاجساد المتحولة بحسب قوانين الجمال الجديدة ، وأعراف فن جياكوميتى وفنكم ، فان العالم سيشع ثناء وجمالا !! — ص ٣٩٣ » .

فى الرقص والموسيقى : « كانوا كلهم يرقصون على ايقاع الجاز والآلة .. كان يرى مجتمعا كاملا يتخبط متشنجا كتلك الأجساد ، فأغمض عينيه وغطاهما بيديه وصرخ : لا أريد .. لا أريد — ص ٤٩٦ » .

وفى المسرح : « سوف يستمر التاريخ على عرض مشاهده دوريا .. وغدا ستعزف قطعة جديدة عامة عنوانها (المجموعة الميكانيكية) — باليه — وسيكون مشهدا لا رجال فيه ، سيعتلى المسرح رجال آليون وآلات ومواطنون بغير وجوه !! — ص ٥٠٣ » .

وفى الشعر والرؤيا والخيال : « اننى آسف اذ اتنبأ بأشياء مفجعة كهذه . لكن مهمتى كشاعر ترغمنى على ذلك . ينبغى أن اصرخ وان احمل الأصداء قولى حتى ولو كان قولا محجوجا — ص ٨٦ » .

فى الرسم والنحت والرقص والموسيقى ، وفى المسرح والشعر والرؤيا والخيال نجد هذا الانعكاس المحزن للحضارة المعاصرة وتمزقها . والذى لا يجد هذا العذاب ، وذلك التمزق فى كل لوحة أو قطعة منحوتة ، وفى كل رقصة أو لحن موسيقى ، وفى كل قصيدة ومسرحية ورواية ، فليس له عينان أو أذنان ، بل ليس له وجدان يتيح له رؤية عميقة لمأساة حضارة لا تعرف الله .

ومن ثم فهى حضارة التدهور والسقوط ، قالها (أزوالد اشبنجلر) من قبل فى كتابه الشهير ، وها هو جيورجيو يعرض علينا رؤياه : « شاهدت قارة بكاملها ، بما عليها من رجال وقوانين ومعتقدات وآمال ، تموت سجينة فى المعسكرات ، حبيسة القوانين الآلية ، فى ظل مجتمع نكص حتى بلغ الوحشية البربرية .. الآن لست اريد متابعة النظر لأننى تعبت ، ولأن المشهد طال اكثر من المعتاد . اننى — اذا ظللت على المشاهدة — فسوف لن أرى الا الأنقاض . سأرى مدنا متهدمة ورجالا متهدمين ، وبلدانا وكنائس وآمالا كلها متهدم محطم — ص ٥١٠ » .

— ٤ —

هل ثمة من أمل ؟ الغربيون — دائما — عندما يصلون الى هذه النقطة يحلمون .. ينساح خيالهم الى البعيد وتمتد رؤاهم الى مستقبل يسعد فيه الانسان . كيف يتم ذلك ؟ وفى اى طريق ؟ وعلى اى مركب يجتاز بنا الظلمات ؟ انهم هم انفسهم لا يعرفون ؟! وهذا أمر طبيعى لأى انسان لا يتلقى عن الله ، ولا يسلم نفسه لله ، ولا يختار طريق الله ، ولا يدع رسوله العظيم يقود المركب المتأرجح فى الظلمات .. كثيرون هم أصحاب الأحلام ، وكثيرون هم أولئك الذين رسموا لنا أحلامهم فى (يوتوبيات) وعوالم مثالية ، فلا هم عرفوا الطريق الى احلامهم ، ولا تحققت تلك الأحلام .. من عهد أوغسطين — حيث فقدت المسيحية روحها وقطع الانسان صلته الحقيقية بالله — والى عهد كاتبنا الرومانى هذا ، عبر أحلام (سافونارولا) و (توماس مور) والاشتراكيين الطوبائيين و (نيتشه) و (اشبنجلر) و (هكسلى) و (توينبى) وغيرهم كثير .. ودون الخلاص تتقطع أنفاس وتجف أقلام وتتهاوى آمال وأحلام .. ذلك أن المصدور

لا يشفى المرضى والأعمى لا يهب النور والرؤيا للمتخبطين فى الظلمات ، والذى يرتكز على خياله فحسب كالاعرج الذى يريد أن يصل الى نهاية الشوط قبل أولئك الذين يركضون على قدمين . ان المرض لا يعطى الا الوباء ، والعمى لا يهب الا الضلال ، والظلمات لا تنبثق الا عن ظلمات اشد وأقسى .. ان هنالك طريقا واحدا ونداء واحدا ، ورؤية واحدة ، ونورا واحدا للخلاص .. الطريق الذى جاء الانبياء عليهم السلام ليمهدوه للبشرية ، وجاء الرسول عليه الصلاة والسلام ليضع معالمه الاخيرة . ذلك هو طريق التلقى عن الله والاسلام المطلق لالوهيته وحكمه .. هذا اذا كنا نريد خلاصا حقيقيا .. والا فستظل الأحلام تخدرنا عن الرؤية الحقيقية ، وتقعد بنا عن الجهد والتشمير للكفاح .

« ان انهيار المجتمع التكنى هذا سيعقبه اعتراف بالموهبات الانسانية والعقلية ، وسيشرق هذا النور العظيم من الشرق ولا شك ، من أسيا ، وسيكتسح الانسان الشرقى المجتمع التكنى ، وسيستعمل النور الكهربائى لانارة الشوارع والبيوت ، لكنه لن يصبح ابدا عبدا له ، ولن يقيم الهياكل كما هو الحال اليوم فى بربرية المجتمع التكنى الغربى . انه لن يضىء بنور (النيون) خطوط الفكر والقلب . ان انسان الشرق سيجعل من نفسه سيدا للآلات وللمجتمع التكنى ، مستعينا بعقله ، كما يستعين رئيس الفرقة الموسيقية بعبقريته المستمدة من الجرس الموسيقى . لكنك لن تصل الى تلك المرحلة ، لأننا سنحيا فى الزمن الذى يخشع فيه الانسان أمام الشمس الكهربائية كالبربرى المتوحش — ص ٨٨ » .

« ولسوف يشفق الله على البشر أخيرا — كما أشفق مرات من قبل — ثم يصبح العدد الضئيل من بنى الانسان الذين احتفظوا بانسانيتهم طافيا فوق أشلاء وحطام هذا التدمير الاجتماعى الجماعى ، كما حدث لنوح فى سفينته من قبل ، ولسوف تنقذ الانسانية بفضل هؤلاء كما أنقذت مرات ومرات فى مجرى التاريخ . لكن الخلاص والسلام لن يهبطا الا على الانسان الذى ظل انسانا ، واقصد على الاشخاص بمفردهم (!!) ان النجاة هذه المرة لن تكون من نصيب الكتل والجماعات بل من نصيب الأفراد (!!) — ص ٤٥٥ »(١) .



والآن ونحن نقترب من نهاية رحلتنا عبر الساعة الخامسة والعشرين ، ساعة المجتمع الغربى ، نحس جميعا أن هناك سؤالا ملحا يبدو فى العيون : ان الحضارة المعاصرة تمثل قمة ما احرزته البشرية من تقدم تكنولوجى ، فهل تعنى مهاجمة هذه الحضارة رغبة سلبية فى التخلى عن هذه المكتسبات .. ؟ وهل أن الاسلام سيبدأ بناء حضارته من جديد .. ؟ ومن نقطة الصفر .. ؟

ان سؤالا كهذا لا مبرر له على الاطلاق :

أولا ، لأن هذه المكتسبات هى حصيلة تاريخ طويل من الكد والجهد المضنى أسهمت فيه كل الأمم والحضارات وهو ليس حكرا على المجتمع الغربى . هو الآن يبدو غريبا لأن الغرب هو الذى يمارس الحضارة والابداع ويقود البشرية فى العصر الحاضر .

ثانيا ، ان هذه المكتسبات التكنولوجية هى فى حد ذاتها حيادية الطابع ، اذ لا عقل لها ولا ارادة ولا روح ، لكى تتحكم فى مصير البشرية ، وانما الذى يعطيها هذا الطابع أو ذاك ، هو عقل الانسان وإرادته وامكاناته الروحية ، بمعنى

آخر الفلسفة التى تصدر عنها الحضارة المريضة المعاصرة هى السبب الوحيد فى هذه الوجهة الهدامة التى تتجه اليها القوة الصناعية فى العالم .

ثالثا ، لأن الاسلام يجعل الحرص على التقدم واستغلال قوى الطبيعة ، واحتضان المكتسبات العلمية واجبا محتما على المسلمين : دولة وجماعة ومؤسسات وأفرادا ، ولكنه لن يسمح أبدا بأن يستعلى (شىء) فى الأرض — غير الله سبحانه — على الانسان الذى كرمه خالقه على كثير ممن خلق ، وحمله فى البر والبحر . ومن ثم تبدو مأساة الحضارة المعاصرة فى أنها أخضعت الانسان للأشياء ، فأشعرته بالدونية ، وأذلته ، وكان لا بد من العقاب* .



---

(١) يرفض الاسلام التفسير الفردى للخلاص ، الذى تطرحه بعض المبادىء والفلسفات والاديان وبخاصة المسيحية ، والذى يؤكد عليه جيوروجيو هنا (انظر على سبيل المثال ص ٨٩ ، ٤٣٣ — ٤٣٥) لانه يصدر — كرجل لاهوت — عن هذه النظرة ، وربما لانه مدفوع — كذلك — بردة الفعل ضد اللعنة الجماعية للحضارة المعاصرة فى الشرق والغرب ، ذلك ان الاسلام — باختصار — يرى ان الافراد لا يمكن ان يحيوا حياة انسانية سعيدة الا على ارضية جماعية يسودها التكافل ويحكمها الدستور . وبدون هذه الارضية لا يمكن للانسان الفرد ان يتحقق بالقيم والاهداف العليا ، لان الارض التى يسير عليها ويتحرك فوقها ، بما عليها من ظلمات وطغيان واهداف قريبة ، لا بد وان تجرفه بعيدا عن قيمه واهدافه ، وتمنعه من الخلاص .. وهذا هو احد جوانب رفض الاسلام للعلمانية التى تنادى بفصل الدين عن الحياة ، او بمعنى آخر ابعاد القيم الدينية عن الارضية الجماعية ، وجعله يقتصر على نطاق الافراد والمؤسسات الدينية ..

* احب ان انبه القارىء — هنا — الى ان رواية جيوروجيو هذه تحمل فى طياتها كثيرا من العطف على اليهود ، لان احداثها تدور فى الفترة التى يقال ان النازيين قد اذاقوا اليهود خلالها القتل والتنكيل والاضطهاد . وعطف الكاتب هذا على اليهود — رغم كونه مفكرا مسيحيا وخريج معاهد لاهوتية عليا — يبدو سافرا احيانا وخفيا احيانا اخرى بدعوى الدفاع عن (الانسان) والتنديد بالارهاب والظلم (انظر ص ٥١١ و ٥١٢ على سبيل المثال) ولا مجال هنا لمناقشة هذه الدعوى فلهذا الموضوع مكان آخر . ولكن يجب الاشارة الى نقطتين : اولاهما : ان اليهود لم يكونوا ليلاقوا هذا الاحتقار الجماعى من الامم والشعوب لو لم يبدأوا هم دائما بالعدوان بشتى اشكاله : الاجتماعى ، المالى ، الاخلاقى ، السياسى ، العسكرى « .. كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ، ويسعون فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين : المائدة ٦٤ » . وكانت النتيجة ما اعلنه القرآن الكريم « واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب : الاعراف ١٦٧ » . وثانيهما : ان الحكمة — كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم — « ضالة المؤمن انى وجدها التقطها » ومن هنا فان اى مجهود بشرى يحوى الحكمة فى ثناياه فعلى المسلمين ان يبحثوا فيه ، حتى ولو كانت وسط ركام من الاسرائيليات ..

مائدة القارئ

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يسلم أحد منهن : الطيرة ، وسوء الظن ، والحسد . فاذا تطيرت فلا ترجع ، واذا ظننت فلا تحقق ، واذا حسدت فلا تبغ » .

حديث شريف

موعظة

كتب على كرم الله وجهه الى عبد الله بن عباس رضى الله عنه يقول : (اما بعد : فانك لست بسابق أجلك ، ولا مرزوق ما ليس لك ، واعلم بأن الدهر يومان : يوم لك ، ويوم عليك ، وأن الدنيا دار دول ، فما كان منها لك اتاك على ضعفك ، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك) .

لا تراجع

كتب عمر بن عبد العزيز الى عامل له فى المظالم : انه يخيل الى أنى لو كتبت اليك أن تعطى رجلا شاة لكتبت الى : اضأنا أم ماعزا ؟ . ولو كتبت اليك بأحدهما لكتبت الى أذكرا أم أنثى ؟ ولو كتبت اليك بأحدهما لكتبت الى اصغيرا أم كبيرا ؟ ! فاذا كتبت اليك فى مظلمة فلا تراجعنى فيها .

العجلة أم الندامة

قال حكيم : اياك والعجلة فان العرب كانت تكنيها أم الندامة ، لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويقطع قبل أن يقدر ، ويحمد قبل أن يجرب ، ويذم قبل أن يخبر ، ولن يصحب هذه الصفة أحد الا صحب الندامة ، واعتزل السلامة .

(ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكـــرون) .

قـــرآن كريم

ان من البيان سحـــرا

سأل النبى عمرو بن الاهتم عن الزبرقان . قال : كيف هو فيكم ؟ فقال : شديد العارضة ، مطـــاع فى العشيرة ، مانع لما وراءه . فقـــال الزبرقان : والله إنه ليعلم انى افضل مما قال ، ولكنه حسدنى . فقال ابن الاهتم : والله ما علمت أنه لزمر المروءة ، ضيق العطن ، احمق الأب ، لئيم الخال ، أما والله ما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الأخرى ، ولكن رضيت فقلت برضائى ، ثم اسخطنى فقلت بسخطى ، فقال عليه السلام : إن من البيان سحرا .

الظلم مرتعه وخيم

مثل من أمثلة العرب يضرب فى كراهية الظلم ، وما يخاف من سوء مغبته .

قال حنين بن خشرم السعدى :

البغى يصرع أهلـــه والظلم مرتعـــه وخيم

ولقد يكـــون لـــك البعيـــــد أخا ويقطعك الحميم

حكمـــة طفـــل

كان الطفل فى السينما مع أمه يشاهد فلما عن القرصنة وفجاة سألها : لماذا يتقاتل هؤلاء الرجال .. ؟

— من أجل كنز ..

وما هو الكنز .. ؟

— ذهب وفضة وأحجار كريمة .

وهل سيقتل بعضهم فى سبيل ذلك ؟

— أظن ذلـــك .

فلماذا لا يتقاسمونه ويظلـــون أصدقاء ؟ .



في قضية ملبس المرأة

للاستاذ عبد المقصود محمد حبيب

إذا ما نظر المرء حوله فسوف يهوله ما يرى من ملبس وزينة المرأة العربية (المسلمة) المعاصرة .. فقد تبرجت وزادت فى تبرجها ، واصبح التبرج على مستوى واحد عند الأم وابنتها على حد سواء ، وتخلت عما يستر جسدها ، وأخذت تلهث وراء كل ما يعرى منه أكبر قدر ممكن .. فمن ملبس قصير الأكمام الى معدوم الأكمام الى ملابس تملؤها الثقوب المصنوعة تظهر (ما تحتها) حتى يبدو وكأن المرأة أو الفتاة لا تلبس شيئا ..

وكان المرء يتطلع الى كل ذلك ويعتقد أنه لا يلبث ويرى المرأة غيرت منه وعادت الى الاحتشام وستر الجسد والحياء الذى هو من صفاتها الأساسية .. ولكن مرت السنون وازداد الأمر سوءا حتى وجدنا أخيرا ما أطلقوا عليه (المينى جيب) قصرت حتى أظهرت نصف أفخاذها أو ثلاثة الأرباع .

وعلى هذا أصبح الأمر جد خطير .. أخذ يتحدث به كل إنسان ،

ودارت المناقشات حوله ويخلص كل متحدث فى هذه المشكلة الى مسئولية المراة (المسلمة) عن هذه التصرفات الشائنة وهذا الاســـتهتار الفاضح بعورة جسدها .. وأنها نبذت كتاب الله وراءها ظهريا ، وراحت تتطلع فى لهفة وشوق عارمين الى أحدث ما يصممه مروجو الفتنة ومشـــيعو الرذيلة من مصممى الأزياء الغربية الذين تنكروا لكل دين سماوى وكل خلق كريم .

وفى الواقع .. بقدر مســـئولية المراة فهناك مســـئولية أخرى أكبر وأضخم تقع — من ناحية — على عاتق الرجل أبا وزوجا وأخا وابنا .. ومن الناحية الثانية تقـــع على عاتق الدولة بصفتها المسئولة عن رعاية الناس وحمايتهم من كل ما يضر بهم اجتماعيا وسياسيا وثقافيا .

الناحية الأولى : فمن ناحية الرجل كفرد ، لا بد أن يذكر أن من قواعد الدين الأمر بالمعـــروف والنهى عن المنكر ، ويدافع فى سبيل هذا الواجب بكل الوسائل المشروعة .. الـــكلمة الحسنة والتوجيه الطيب والقـــدوة الصالحة .. والزجر والقسوة لمن يلى أمرهم إذا لم يرتدعوا بغيرها ، ونحن إذا نظرنا الى هذا الواجب على الرجل وجدناه قد ضيعه ولا نكاد نجد رجلا واحدا يقوم به لا مع زوجته ولا ابنته ولا اخته ولا أمه ، بل أصبح الرجل هو أيضا يجارى نســـاء العصر فى الملبس والزينة ، فضيق من ملابسه حتى أوشكت (تتفتق) من حوله ، وتزين بسلاسل الذهب فى عنقه ، وأطال شعره وأظافره .. حتى حذاء الرجل أصبح له كعب عال .. هذا فريق من الرجال والشبان ، والفريق الآخر أصبح يستمرىء النظر للأفخاذ والركب العارية ، ويمصمص الشفاه إعجابا بالنحور والصدور وقد ظهرت لكل عين تريد ان تلتهم .

الناحية الثـــانية : الواقع أن مسئولية المراة عن هذه التصرفات ضئيلة بالنسبة لمســـئولية الرجل المسلم ، ومسئولية سلطات الدولة المسلمة التى هى مسئولة وجوبا أن ترعى النـــاس من جميع الوجوه ، وتحميهم من تدهور الدين فى أذهانهم ومن كل ما يهدد حياتهم المـــادية والمعنوية .

وأنا أنفى المسئولية الـــكاملة عن المراة .. ولا أنعى عليها أنها تركت كتاب الله وراءها ظهريا ، وانساقت وراء بريق (المودة) الواردة لها من الغرب ، وما ذلك إلا لأنها لا تعرف الدين ، ولا تكاد تســـمع عن كتاب الله ، ولا يوجهها إليهما أحد ، ولا يصدر إليها أمر أو نصح بأن تتجه الى ما فيـــــه من تصرفات وأخلاق تتنافى تماما مع كل ما تفعله الآن فى هذه الأحوال .. أصبحت لا تعرف شيئا عن القرآن الكريم الذى هو الأساس الأول لشريعة الاسلام .. فى المنزل لا تسمع القرآن .. بل تســـمع الأغنية الرقيقة والتمثيلية الخليعة المنحرفة ، وتشاهد الأفلام الرخيصة عربية وأجنبية ، وتنصت لما تبثه هذه وتلك من أشياء كثيرة .. ومن ناحية أخرى لا يتناول القرآن أمامها أب أو أم ، وإن كان فى المنزل نسخة منه فهى لا تزيد عن كونهـــا تميمة لمنع الشـــياطين ، وهذا فى غالب الناس .. وفى المدرسة لا تقرأ القرآن ولا تدرسه ، اللهم إلا آيات قصار كلها تدور فقط حول الاعتصام بالوحدة والإعداد بالقوة لمواجهــــة العدو والنظر فى دعوة القرآن للعلم .. لا تلبث هذه الآيات أن تمر بها الأيام فتنســـاها الفتاة ، حيث لن تحاسب عليها بتسميع أو امتحـــان ولا يطلب منها أن تتذكرها بالتطبيق

وأتبـــاع ما فيها .. ثم تأتى مرحلة الجامعة وليس فى منـــاهجها على الإطـــلاق ما يمت الى القــــرآن بصلة .

وفى اجهزة الإعلام .. لن تجـــد شيئا عن ذلك .. حيثما تتجه وحيثما تتكلم وحيثما تسير لا تجد من يقول لها أن لها دينا ، ولهذا الدين كتـــاب اسمه القرآن ، وأنهـــا من الواجب ان تنتسب إليه عملا وقولا والتزاما بدلا من انتسابها إليه عن طريق اسم أبيها وأمها .. وعلى النقيض من ذلك نجد أن صفحات الصــــحف اليـــومية والمجـــلات الأســـــبوعية والشـــــهرية وجميع اجهزة الإعلام الأخرى ، وحديث الأم والأب والأهل والجيران ومواقع العلم والدرس ، كل ذلك يتنـــاول ما يفعله الأجانب وما يستحدثونه من انواع للملابس وتسريحات للشعر وأصناف للشعور المســـــتعارة والرموش والأظافر الصـــــناعية .. حتى أن كل هذه الأجهزة لم تتورع عن أن تقول إن أعظم ساعات الوحدة للشعب العربى تتجلى وقت غناء أم كلثوم ، ونسيت تلك الأجهزة مثلا ساعات تأدية صلاة الجمعة والأعياد الاسلامية .

ومن هنا أصبحت الفتاة فارغة لا تعلم عن دينها واخلاقياته شيئا ، ولا تجد حولها إلا كل ما ينافى هذا الدين .. سمحت له الدولة أن يحوطها من كل جانب .. مثل الأفلام الجنســـــية بدعوى الثقافة ، والمجلات التى تنادى الغرائز لزيادة التوزيع .. ورضيت جماهير المسلمين بذلك .. فكيف لا تنساق الفتاة العربية المعــــاصرة وراءه .. ؟؟ بالله كيف .. ؟!

فى رأيى ان هذا هو لب المشكلة .. لا تجد الفتاة العربية (المسلمة) امامها حلوا ومرا حتى تقارن وتختار، بل لا تجد فى كل وجهة توليها إلا المر .. وحتى هذا لا تجد من يقول لها انه المر ، بل تجد الدنيا كلها تدفعها إليه دفعا ، والستار الذى تنســـاب تحته هذه الموبقات ستار براق .. داعى التحرر والتمدن والتقدم .

إذن .. أليس للفتـــاة العربيـــة عذرها فى هذا الانسياق والأمـــر كذلك .. ؟

من هنا ، وهذه هى المشــــكلة واضحة جلية ، لا بد فى علاجها من البدء فورا بالدين وإنماء وجوده فى القلوب ، والمحـــــافظة عليه حتى يترعرع ، وترى الفتاة العربية أنه خير ما تلوذ به ، وأنه هو الحفيظ على كرامة الانسان .. رجلا وامرأة .. ودافعهمـــا الى التقدم فى عزة والى الرقى فى كبرياء وعفة .. وأنه دين الكمال الخلقى كما يقول رسوله « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ديننا الاســـــلام .. يرتكز على الإيمان بالله واتبـــــاع ما أمر بـــه ، والانتهاء عما نهانا عنه والحياء قرين الإيمان .. جاء فى حديث للرسول عليه الصلاة والسلام : « الحيـــــاء والإيمـــان قرناء جميعاً ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر .. » فالحياء دليل صادق على طبيعة الانسان الطيبـــة واخلاقه الكريمة وأدبه المطلوب .. ونحن فى حيـــاتنا أشد ما نحب الانسان الحيى .. من يستحى من إتيان المنكر والتخلق بالأخلاق السيئة، ويستحى من النقائص والمبـــــاذل ويستحى من بذل الجسم وماء الوجه، ويستحى من مجافاة الضمير المتيقظ ، وليس عندنا ما نكره أكثر من الانسان الصـــفيق جامد الوجه كالح الخلق الملحاح المتبذل ..

هذا الحياء هو عنصر النبل والخير فى أعمال من يتحلى به ، وهذا قول

عائشة ان رسول الله قال لها : « لو كان الحياء رجلا لكان رجلا طيبا ، ولو كان الفحش رجلا لـــكان رجلا سيئا .. » هذا الحياء إذا ما فقده إنسان لم تستكثر عليه أى نقيصة .. بل لا ينتظر منه غيرها ، والحديث النبوى يقول « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

والمرأة منذ وجدت هى عنـــصر الحياء والخجل فى الانسانية حتى انه يضربها المثل بذلك ، وقد جاء عن أبى سعيد الخدرى : « كان رسول الله اشد حياء من العذراء فى خدرها وكان إذا رأى شيئا يكرهه عرفنـــاه فى وجهه » .

الحياء الذى هو خلق الاسلام « إن لكل دين خلقا ، وخلق الاســـلام الحياء » هذا الحياء هو المطلوب من الفتاة العربية المعاصرة .. مطلوب منها أن تتجه الى الله ثم تستحى ثم تحـكم عقلها فيما تأتى وما تدع لا تنساق ولا تتبع أهواء غيرها .. إنها تطالب أن تمارس حريتها فى حياتها .. فكيف لا تكون حرة فى أن تنتقى لنفسها من الملبس والزينة ما يحفظ عليها حياءها ويصون كرامتها ويستر جسمها عن أعين الناس !!

وأحب لها أن تدقق فى الأمر ، فستجد أن هذه الأنواع الكثيرة من الإثارة فى الزى والتصرفات والترجل لا تحدث إلا فى المجتمعات والبيئات التى تعانى من التمزق الاجتمـــاعى ويدور شبانها وبناتها فى فراغ كبير من الضياع ، وعدم الانتماء أو الالتزام مما يجعلهم يلجأون الى كل شـــاذ وغريب .. لو دققت الفتاة المسلمة فيما تجرى وراءه ، وتتهافت عليه من أزياء الغرب ونظمه لوجدت أنه نتاج امراض خطيرة اجتـــاحت تلك المجتمعـــات .. ولاقلعت فورا عن مجاراتها ولعادت لأصلها واستقلال شخصيتها وقوة نفسها وقدرتها على صنع حياتها بنفسها ودينها وعلمهـــا .. ولتأخذ مثلا لذلك أختنا السودانية والأندونيسية والهندية والباكستانية كلهن على شخصيتهن ولباسهن رغم العلم ورغم الوظائف الكبرى ورغم الاتصال بالمجتمعات الغربية .. لم ترض لنفسها أن تلغى شـــخصيتها وتجرى وراء ما تفعله الغربيـــة أو يصنعه مصممو الأزياء هناك .

وكلمة النهاية .. أن أصل المشكلة يتبلور فى ان الفتاة العربية لا تجد من يدلها على أخلاقيات دينهـــا .. وما العلاج إلا بأن نبدأ جميعا على خط واحد هو إيضاح أمر الدين للفتى والفتاة .. فالأم والأب هما مناط الأمل أولا .. يعودان فى أمورهما الى دين الله وتحتشم الأم ويتدين الأب ويؤديان فرائض الدين ويعلمان أولادهما ان يتبعوا تعاليمه ويعاقبـــان من يقصر .. والدولة تساعد أيضا على نفس الطريق فيصبح الدين مادة أساسية، ويفرض على الطلاب حفظ أكبر قدر من كتاب الله وخصوصا ما فيه من تشريعات وأخلاقيات ومثل .. منذ أولى دراستهم الى نهايتها .. وعلى اجهزة الاعلام أن تعـــاون فى نفس الطريق وتؤدى الرسالة كاملة فعليها ايضا يقع عبء كبير .

هذا هو الطريق .. أن نتكاتف جميعا لصون الفتاة المسلمة .. وهى بطبيعتها الحية لن تتأخر عن السير معنا إذا ما أوضحنا لها طريق الخير .. بل حينئذ ســـــتهرول معنا ، وتسبقنا كما سبق من قبلها مسلمات مؤمنات كثيرات جريا وراء مضمون الحديث النبوى الشريف : « إذا صلت المرأة خمســـها وصامت شـــــهرها وحصنت فرجها وأطاعت بعلها دخلت من اى أبواب الجنة شاءت » .

والله نرجو أن يهيىء لنا من أمرنا رشدا ..

الإسلام في بلجيكا

اعترفوا بالإسلام في بلجيكا .. والبقية تأتي !
كيف يعيش ١٥٠ ألف مسلم حياتهم الدينية هناك ؟

اخيرا .. اعترفت بلجيكا بالاسلام دينا فى بلادها ..

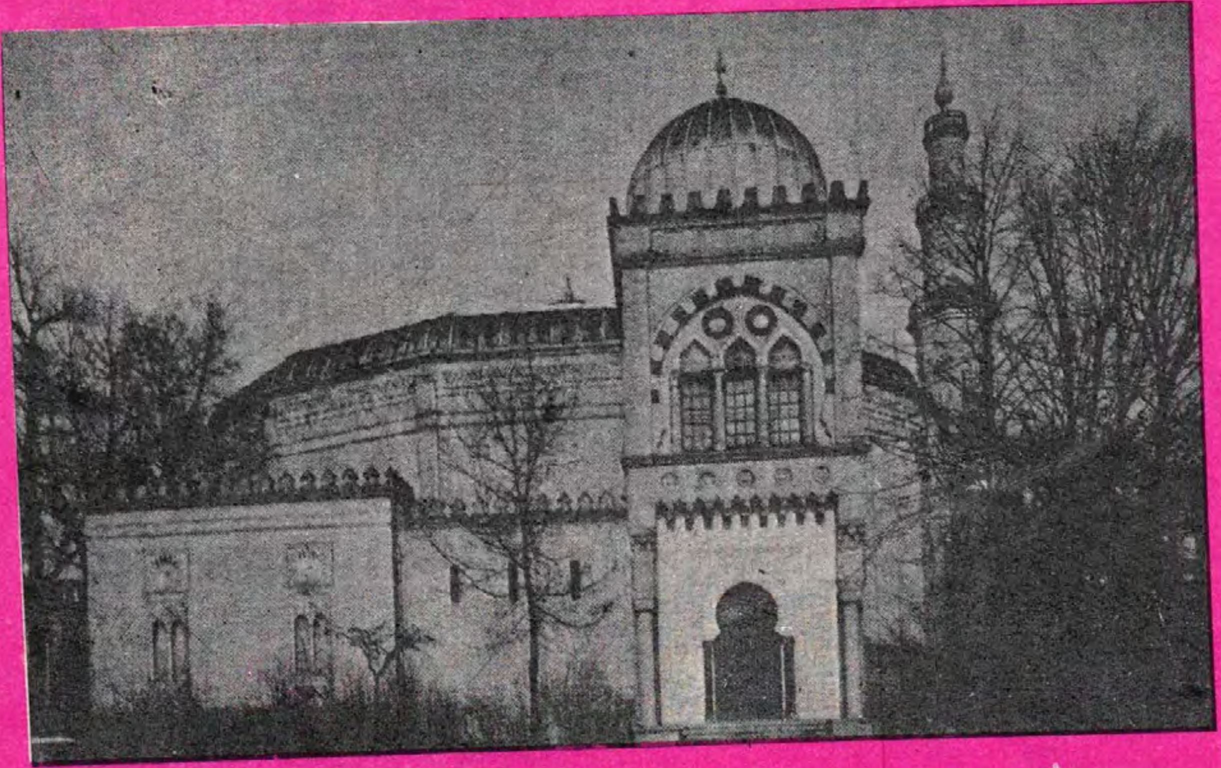
واصبحت التربية الاسلامية مادة أساسية تدرّس لأبناء المسلمين فى المدارس البلجيكية ..

وبذلك انتهت القضية التى شغلت اهتمام المسلمين هناك طوال الثلاث عشرة سنة الماضية وهى : المحافظة على إسلامية أولادهم وبناتهم فى جو الغربة والأديان والمذاهب المختلفة .

ولكن القضية لم تنته بعد بالنسبة للمجموعات الاسلامية فى كثير من بلاد العالم .. ان بلجيكا رغم حداثة الاسلام بها كانت أول دول أوروبا اعترافا بالكيان الاسلامى على أرضها ..

كيف دخل الاسلام هناك .. ومتى ؟!

يذكر أنه فى سنة ١٨٣٠ م ، أى فى الوقت الذى كانت فيه المملكة البلجيكية تعد قوانينها الأساسية ودستورها الرسمى ، لم يكن هناك من الأديان المعتنقة من مواطنيها سوى الكاثوليكية والبروتستانية واليهودية ، فاعترفت بها دون سواها ، وأقرتها فى دستورها ، ومن أجل ذلك وبسبب انعدام الاتصال حينذاك بين بلجيكا والعالم الاسلامى ، لم يرد الاعتراف بالدين الاسلامى فى الدستور ولا وجدت أماكن لعبادته ..



المبنى الشرقى بالحديقة الخمسينية ببروكسل الذى سيتحول الى المركز الاسلامى والثقافى فى بلجيكا ويتكلف مليون دولار .

للاستاذ محمد نعيم

وابتداء من عهود الاستقلال اخذت البعثات الدبلوماسية المسلمة تتمثل فى بلجيكا وفى نفس الوقت وفد عليها نتيجة لتطورها الاقتصادى وطلبها للأيدى العاملة آلاف من العمال المسلمين . ولم تمض سنوات قلائل حتى أصبحت هناك ٢١ سفارة عربية اسلامية وبلغ عدد المسلمين المقيمين بها نحو مائة الف من مختلف الجنسيات [مغاربة وجزائريين وتونسيين وأتراك وباكستانيين وسنغاليين والبانيين وبلجيكيين .. وغيرهم] .

ودعا هذا بعض الشباب المسلم فى سنة ١٩٦١ الى تنظيم شمل الجالية وتيسير اقامة شعائرها الدينية بالمناطق المختلفة .. وفى سنة ١٩٦٣ أسس السفراء المسلمون أول جمعية لخدمة الاسلام والمسلمين المغتربين واتخذوا من احدى الدور فى بروكسل مسجدا تقام فيه صلوات الجماعة ومركزا للتعريف بالاسلام وحضارته .

وجدوا المبنى ولكن .. ؟!

وكانت احتياجات المسلمين تلح فى ايجاد :

— المسجد الجامع .
— المركز الاسلامى والثقافى .
— المقبرة الاسلامية .

حتى جاءت الحكومة البلجيكية فى سنة ١٩٦٧ واهدت الجالية المسلمة المبنى الشرقى بالحديقة الخمسينية ببروكسل لتحويله الى هذا الغرض على أن تفرغ من بنائه فى ظرف عشر سنوات .

وتأسست فى اعقاب ذلك منظمة عالمية باسم المركز الاسلامى والثقافى ببروكسل تضم واحدا وعشرين عضوا من سفراء الدول العربية والاسلامية بجانب مدير المركز ، وخمسة اعضاء من الجالية .

ونشطت المنظمة فى العمل على :

- جمع شمل المسلمين المغتربين ببلجيكا حولها فى روح من التآخى والتضامن .
- تدعيم الحياة الروحية لهم ولأسرهم وتمكينهم من معرفتهم بالاسلام ، ومن اتباع تعاليمه .
- تحسين العلاقات الودية بين بلجيكا والعالم الاسلامى والتعاون مع الطوائف المؤقتة الاخرى التى تحمل روح الأخوة والصداقة والتفاهم المتبادل .
- توفير اماكن الصلاة بالأحياء التى يسكنها المسلمون .
- انشاء مقبرة للمسلمين باحدى الضواحى .
- فتح مدارس قرآنية لأبناء المسلمين .
- انشاء مكتبة اسلامية وثقافية .

نداء وامل ..

ونجح العمل الاسلامى على الأرض البلجيكية بصورة ملموسة ولكن بقى الهدف الأكبر دون تحقيق رغم مضى خمس سنوات .. بقى مشروع بناء المركز الاسلامى والثقافى الجديد الذى سيغذى الحياة الدينية للمسلمين وينشر الدعوة الاسلامية فى ربوع أوروبا .. ؟!

هذا المشروع الاسلامى الكبير يتكلف مليون دولار ويضم مسجدا جامعا يسع الف مصل ومعهدا للدراسات الاسلامية ومكتبة ومدرسة نموذجية للأطفال وقاعة للمحاضرات .

إنه أمل ونداء .. فهل نذكر جميعا قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « من بنى مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة » ..

.. والتعليم الاسلامى .. ثم ؟!

ويجىء بعد ذلك سؤال يفرض نفسه : ماذا يعنى الاعتراف بالاسلام فى بلجيكا .. ؟؟

ويجيب الاستاذ الإمام محمد العلوينى ، مدير المركز الاسلامى هناك :

- ☐ الاعتراف بكيان المجموعة المسلمة رسميا فى جميع قوانين البلاد .
- ☐ مساهمة الحكومة فى ادارة الشعائر الاسلامية وبناء المساجد .
- ☐ ادخال دروس التربيةالاسلامية فى جميع المدارس البلجيكية التى يوجد بها أبناء للمسلمين ، وذلك اسوة بالديانتين المسيحية واليهودية ..

ويضيف الإمام العلوينى أن اكثر من ١٥ الف طالب وطالبة بالمرحلتين الابتدائية والثانوية سيتلقون هذه الدروس بموجب هذا الاعتراف .

حاجتنا الى المعلمين ..

ويطرح الإمام العلوينى مشكلة قائمة .. عدد المعلمين المسلمين فى بلجيكا قليل للغاية وثقافة بعضهم لا تؤهله للقيام بالتدريس الاسلامى . ويطلب من الحكومات العربية أن تمد

المركز بالمعلمين الاكفاء الذين يجيدون اللغتين الفرنسية والعربية ، وأن يكون ذلك عن طريق التعاون الفنى بين هذه الحكومات وبين السلطة البلجيكية على مثال ما هو سائر بين بعض البلدان الاسلامية وبين بلجيكا وغيرها من الدول الاوروبية .

.. والحياة الدينية .. كيف تسير ؟

وهناك نشاط دينى متعدد الصور ومنه :

— القاء احاديث فى القرآن والسنة والفقه كل أسبوع .. وندوات فى الدراسات الاسلامية شهريا .

— تعريف المسلمين بتاريخهم ووطنهم الاسلامى الكبير واحاطتهم بمشاكله وقضاياه المختلفة .

— احياء شعائر الجماعة بانتظام .

— الاحتفال بالذكريات الاسلامية كالهجرة والمولد النبوى الشريف والاسراء والمعراج ونزول القرآن وليلة القدر .

— الرد على استفسارات المسلمين فيما يعرض لهم من مشاكل دينية تواجههم فى هذه البلاد .

— تنظيم رحلات جماعية للأطفال وسط جو اسلامى شامل .

— عرض افلام الحج والمزارات الاسلامية على الطلبة بالمدارس .. والأفلام الدينية بالمركز وفى الحفلات العامة ..

.. وصورة أخرى :

تنوير الرأى العام البلجيكى والأوروبى بتعاليم الاسلام وثقافته ، ودحض الشبهات والاباطيل عنه ، وقد أدى ذلك الى دخول عدد كبير من البلجيكيين وغيرهم فى الدين الاسلامى وانضمامهم الى الاسرة المسلمة بهذا البلد .

.. وخبر هام يفضى به الإمام العلوينى .. ان المركز بصدد اصدار مجلة ونشرات باللغات العربية والفرنسية والنيرلاندية تحوى بحوثا ودراسات فى تعاليم الاسلام واحكامه وتتضمن أخبار المسلمين فى بلجيكا وأوروبا والعالم الاسلامى .

التعليم الاسلامى فى اوروبا مرفوض .. لماذا .. ؟!

وبعد .. فكما ذكرت فى أول هذا التحقيق أن العقبة الكؤود فى انشاء تعليم اسلامى منظم فى أوروبا تقوم فى أن الاسلام — فيما عدا بلجيكا — ليس معترفا بأهله على أنهم جماعة دينية لها حق الحماية من الدولة .. ومن هنا لا يستطيعون ان يمدوا أولادهم بالتعليم الدينى فى المدارس .

وفى أسبانيا .. كما هو معروف مشهور .. محرم على المسلمين أن يتخذوا مسجدا على أرضها .. ؟! بينما تتيح لهم سماحة الاسلام ان يتخذوا الكنائس على أرض المسلمين !! .. بل وأكثر من ذلك أن يتلقى ابناؤهم دروس التربية المسيحية فى المدارس الرسمية .. ؟!

وفى بلغاريا .. اضطهاد ومحاربة للمسلمين للقضاء على كيانهم بل وعلى اسمائهم الاسلامية .. وفى غيرها وغيرها أحوال المسلمين مؤلمة وعصيبة وجميع الجهود المبذولة صوب تقوية الحياة الدينية الاسلامية فى الغرب والشرق سوف تبقى قطرة فى محيط ما لم يعترف بالاسلام من الناحية التشريعية فى جميع دول العالم ..

مواقف أئمة الفقه من القيمة العادلة في حديث ابن عباس

للاستاذ زيدان أبو المكارم

فى المقال السابق(١) تضمن كلامنا عن حديث : « انما الربا فى النسيئة وما كان يدا بيد فلا بأس » أمرين :

١ ــ تخريجه ، واثبات أنه حديث صحيح ، وأن العلماء اتفقوا على صحته .

٢ ــ تحديد زمنه ، بأنه كان المرحلة الثالثة الاخيرة التى تدرج فيها التشريع الاسلامى فى أمر الربا ، من السكوت عن بعضه حتى انتهى الى التحريم التام الشامل لكل أنواعه والاعتماد النهائى على (القيمة العادلة) .

وما دام هذا الحديث يمثل المرحلة الاخيرة ، فقد وجب الاعتماد عليه ، وبه ينتفى التعارض بين النصوص .

والآن نتعرض لموقف أئمة الفقه الاسلامى وعلمائه رضى الله عنهم من هذه المراحل الثلاثة ، ثم نتعرف على مصادر مذاهبهم التى وصلت الينا فى ربا النسيئة وربا الفضل ، ربا الدين ، وربا البيوع :

أهي النصوص القرآنية أو النبوية ؟

أم هي الراى والقياس والاجتهاد ؟

ــ لقد اثبتنا المراحل الثلاثة فى التدرج التشريعى عن طريق الاحاديث النبوية .

أما النصوص القرآنية فليس فيها الا مرحلتان :

ــ الاولى تحريم (الأضعاف



المضـــاعفة) وحدها وقد وردت فى سورة آل عمران فى السنة الثالثة من الهجرة النبوية **« يايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا أضعافا مضاعفة »** .

— والثانية التحريم العام للربا ما كان (أضعافا مضاعفة) ، وما كان دونها وقد تكفلت ببيـــان ذلك آيات سورة البقرة ، وقد نزلت فى السنة العاشرة من الهجرة النبوية وفيها :

« اتقــوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » وفيها أيضا :

« وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .

واتفق أئمة الفقـــه على ان آيات **البقرة** آخرها نزولا ، وأنها ناسخة لمفهوم الاباحة الذى يؤخذ من آية آل عمران .

وكانت نظرتهم الى كلمة (الربا) معرفة بـ (ال) على ثلاثة انحاء(٢) :

— منهم من قال ان (ال) عامة تشمل الجنس كله ، ولـــكن تتوقف معـــرفته (ما عدا ربا الدين) على السنة النبوية : لأنهـــا قد خصصت بالتحريم انواعا معينة وصورا خاصة، ولم تمنع كل الانواع .

— ومنهم من قال : ان (الربا) هنا لفظ (مجمل) يحتاج بيان تفصيله الى الأحاديث النبوية ، فرجع الى السنة كما رجع اليها الفريق الاول ، وان اختلف الطريق .

— ومنهم من قال : ان (ال) هنا للعهد ، والمعهود هو (ربا الجاهلية) ربا الدين وحده ، وقصر معنى الربا فى سورة البقرة على هذا النـــوع وسماه ربا القرآن ، وربا الدين ، وربا الجاهلية ورتب على ذلك أن ما حرمته السنة فى ربا البيـــوع ليس داخلا فى اللفظ القرآنى ، وانمـــا يستفاد تحريمه من الاحاديث النبوية، وسماه : ربا البيوع ، وربا السنة ، وهو عنده أقل درجة فى التحريم من (ربا القرآن) .

وهكذا نرى أن المذاهب كلها لم تدع العموم المستفاد من آيات سورة البقرة يأخذ حقه فى التحريم جميع انواع الربا ، ويممت وجوهها شطر الاحاديث النبوية تلتمس منها البيان ، وتستنبط الحدود ، وتتعرف علـــى الضوابط والعلل التى ترجع اليهـــا الاحكام .

وهذا ما ينبغى اعادة النظر فيه ، لأن القاعدة الاقتصادية فى الحلال والحرام واضحة اتم وضوح فى الآيات المحكمة المعجزة فى ســـورة البقرة وتؤيدها السنة ، وهى التى وضعت الأسس الراسخة للبناء الاقتصـــادى الاسلامى ، وبه يتحدى الاسلام جميع الانظمة الاقتصادية القديمة والحديثة، ويثبت انها منحرفة عن العـــدل ، واقعة فى الظلم والبخس ، لا توفر

الشروط السليمة لكفاية الانتاج ، ولا لترشيد الاستهلاك ، ولا لعدالة التوزيع .

السنة النبوية :

فما موقف المذاهب الفقهية من المراحل التدريجية النبوية التى اشرنا اليها فى المقال السابق ، وبينا انها كانت ثلاث مراحل :

١ ـ ما قبل خيبر .
٢ ـ مرحلة خيبر .
٣ ـ المرحلة الاخيرة .

ـ ويحكم الاولى حديث تحريم بيع (الاصناف الستة) الا متماثلة ، يدا بيد .

ـ ويحكم الثانية اجازة التفاضل بشرط (البيع الآخر) .

ـ ويحكم الثالثة حديث اسامة الذى رواه عنه ابن عباس ، وهو الذى يجيز التفاضل بدون وساطة بعد تقدير (القيمة العادلة) ، ولا عبرة بالتفاضل الشكلى ما دام التساوى فى (القيم) عادلا بدون بخس ولا ظلم .

ما موقف الفقهاء من هذه المراحل التى وردت فى السنة النبوية .. ؟

باستقراء المذاهب نجد انها جميعا قد وقفت عند المرحلة الاولى :
(مرحلة ما قبل خيبر) ، واعتبرت (حديث الاصناف الستة) هو مصدر التشريع الذى يحدد ضوابط (الربا) ، وعلله ، وعليه تنبنى أحكامه .

يبين ذلك التفصيل الآتى :
أولا : رفضوا مذهب ابن عباس ، مع أنه يستند الى حديث صحيح اتفقوا على صحته ، وهو يمثل المرحلة الاخيرة ، وهو ناسخ لما قبله مما يناقضه أو يعارضه .

ما الاسباب التي جعلت الفقهاء يتركون العمل بالحديث الصحيح الذى رواه ابن عباس عن أسامة ـ رضى الله عنهم ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم .. ؟

لقد استند كل منهم الى احد الاسباب الاربعة الآتية او الى اكثر من واحد منها ، وهى :

١ ـ دعوى النسخ .
٢ ـ دعوى الاجماع .
٣ ـ دعوى رجوع ابن عباس وبعض اصحابه .
٤ ـ ترجيح غيره عليه .

وجميع هذه الاسباب غير صالحة للاحتجاج فى هذا المقام ، وبيان ذلك :

١ ـ اننا بينا فى المراحل التدريجية لتحريم الربا أن حديث أسامة كان آخرها ، ولا يجوز أن ينسخ الحديث القديم (حديث الاصناف الستة) السنة الاخيرة ، والحافظ ابن حجر ، وهو من هو فى العلم بالسنة رواية ودراية يقول :

« واتفق العلماء على صحة حديث اسامة ، واختلفوا فى الجمع بينه وبين حديث أبى سعيد (حديث الاصناف الستة) فقيل : منسوخ ، لكن النسخ لا يثبت بالاحتمال » .
(فتح البارى ٤ : ٣١٨ ، ٣١٩) .

وسوف نرى عند مناقشة (الترجيح) أن الامام الشافعى يعلم أن حديث أسامة متأخر عن (حديث الاصناف الستة) اذ يعتبره مفسرا له ، فلم يثبت أن الحديث منسوخ ، بل يثبت انه هو الناسخ .

٢ ـ ودعوى الاجماع على الوقوف عند (حديث الاصناف الستة) غير صحيحة ، ولا مقبولة .

اما أنها غير صحيحة : فيدل على ذلك قول الامام الشافعى :
« كان ابن عباس لا يرى فى دينار بدينارين ، ولا فى درهم بدرهمين يدا بيد بأسا ، ويراه فى النسيئة ، وكذلك

عامة أصحابه » ويقول أيضا « وهذا قول المكيين »(٣) .

أين الاجماع مع مخالفة ابن عباس وأسـامة ، وعامة أصحاب ابن عباس ، وفقهاء أهل مكة .. ؟

والامام ابن حزم يغضب أشد الغضب ممن يدعى الاجماع فى هذا الموضوع ، ويقول :

« وأعجب شىء مجاهرة من لا دين له بدعوى الاجماع على وقوع الربا فيما عدا الاصناف الستة المنصوص عليها .. وهذا كذب مفضوح من قريب . والله ، ما صح الاجماع فى الأصناف المنصوص عليها ، فكيف فى غيرها ؟! أوليس ابن مسعود وابن عباس يقولان : لا ربا فيما كان يدا بيد ؟ وعليه كان عطاء ، وأصحاب ابن عباس ، وفقهاء أهل مكة »(٤) .

وأما أن دعوى الاجمـاع غير مقبولة : فلأن (النص) لا يلغيـه الاجماع وتلك بديهية فى أصـول الفقه .

٣ ــ دعوى رجوع ابن عبـاس وبعض أصحابه :

لم يقل بها محدث عالم بأصـول الرواية ، ولا فقيه واسـع المعرفة بأقوال السابقين من الصـحابة والتابعين .

ولو صحت رواية بأن ابن عباس رجع لذكرها الامام الشافعى فـى مناقشته لمذهبه كما سيأتى ، والامام ابن حزم ينفى رجوع ابن عباس عن العمل بحديث أسامة ويقول : « حلف سعيد بن جبير : بالله ما رجع عنه حتى مات »(٥) .

٤ ــ لم يبق الا (الاعتماد علـى الترجيح) باعتبار أن حديث أسـامة وحديث (الأصناف الستة) حديثان متعارضان . وأوثق محاولة للتوفيق بين النصين ونفى التعارض بينهما هى ما سجله الامام الشافعى ، والحق أننى لم أر فيما قرأت ــ أكثر انصافا للحق ، ورعاية له مما سجله ذلك الامام الجليل فى هذه المسـألة الخطيرة ، قال الامام الشافعى فى الرسالة ــ بعد أن أشار الى روايات حديث الاصناف الستة ، والى حديث أسامة (انما الربا فى النسيئة) ــ « قال : فأخذ بهذا ابن عباس ، ونفر من أصحابه المكيين وغيرهم .

قال : فقال لى قائل : هذا الحديث مخالف للاحاديث قبله ؟

قلت : قد يحتـمل خلافهـا وموافقتها .

قال : وبأى شىء يحتمل موافقتها ؟

قلت : قد يكون أسامة سمع رسول الله يسأل عن الصنفين المختلفين ، مثل الذهب بالورق ، والتمر بالحنطة، أو ما اختلف جنسه متفاضلا يدا بيد ؟

فقال : « انما الربا فى النسيئة » . أو تكون المسألة سبقته بهذا ، وأدرك الجواب ، فروى الجواب ، ولم يحفظ المسألة ، أو شك فيها ، لأنه ليس فى حديثه ما ينفى هـذا عن حديث أسامة ، فاحتمل موافقتها لهذا .

فقال : فلم قلت : يحتمل خلافها ؟

قلت : لأن ابن عباس الذى رواه، وكان يذهب فيه غير هذا المذهب ، فيقول : لا ربا فى بيع يدا بيد « انما الربا فى النسيئة » .

قال : فما الحجة ان كانت الاحاديث قبله مخالفة فى تركه الى غيره .. ؟

قلت له : كل واحـد ممن روى خلاف أسامة ، وان لم يكن أشهر بالحفظ للحديث من أسامة فليس به تقصير عن حفظه ، وعثمان بن عفان، وعبادة بن الصامت أشد تقـدما بالسن والصحبة من أسامة ، وأبو هريرة أسن وأحفظ من روى الحديث فى دهره .

ولما كان حديث اثنين أولى فى الظاهر بالحفظ ، وبأن ينفى عنـه الغلط من حديث واحد ــ كان الاكثر هو أشبه أن يكون أولى بالحفظ من

حديث من هو أحدث منه ، وكان حديث خمسة أولى أن يصار اليه من حديث واحد »(٦) .

ونلاحظ فى ترجيح الامام الشافعى الامور الآتية :

أ) أنه نص على ان حديث الاصناف الستة — فى تقديره — سابق على حديث أسامة وهو صحيح ، فلا محل لقول القائلين بأن حديث أسامة منسوخ ، وقد أشرنا الى ذلك .

ب) ان الامام الشافعى لم يدع الاجماع فى هذه المسألة ، ولو كان يرى فيها اجماعا لسجله ، لشدة الحاجة الى ذلك فى المناقشة الحاسمة ، بل كان صريحا فى ذكر الاحتمالين .

جـ) انه كذلك لم يذكر شيئا عن رجوع ابن عباس ، ولو ثبت عنده رجوعه لكان من الضرورى ان يذكره .

د) أنه نظر الى الحديثين على انهما نصان متعارضان يجب البحث عن مخرج لهذا التعارض بينهما ، وقد اعتمد الامام على الترجيح بعدد الرواة مع اعتقاده بصحة حديث أسامة ، ولم يطعن فى روايته .

هـ) اننا نرى أن الصواب فى الخروج من هذا التعارض هو التاريخ الذى أثبتنا فيه أن حديث أسامة هو آخر ما ورد من السنة النبوية فى شأن الربا وقد أشار الامام الشافعى الى ذلك فى تحليله السابق .

وما دام التاريخ قد ثبت ، فالسابق منسوخ ، واللاحق ناسخ ، وهذا ما نصت عليه (أصول الفقه)(٧) وبهذا ينتفى التعارض بين النصوص .



ولكننا نخرج من هذا العرض بأن الفقهاء رفضوا (مذهب ابن عباس) مستندين الى أسباب لم يثبت منها شىء عند التمحيص .

وهكذا لم يستفد ائمة الفقه من (المرحلة الاخيرة) من مراحل التدرج التشريعى التى انتهت الى (القيمة العادلة) .

ثانيا — موقف الفقهاء من مرحلة خيبر :

وهى المرحلة المتوسطة ، مرحلة السماح بالتفاضل بين انواع الجنس الواحد بواسطة (البيع الآخر) وقد اقر الفقهاء هذه المرحلة ، ولكنهم نظروا اليها نظرة غير شاملة ولم يكتشفوا ما تهدى اليه من (القيمة العادلة) وهم قد ارتكزوا على حديث (الاصناف الستة) على أنه الاصل ، واما البيع الآخر . فهو تبرير ، بل ان بعضهم ذكر هذا فى باب الحيل(٨) التى توصف للخروج على النصوص، وهل تجوز الحيل أو لا تجوز ، بأن يوافق العمل الظاهر النصوص ، بينما يتخطى فى واقعه وحقيقته مقتضى النص وروحه .. ؟

وهكذا وقف ائمة الفقه عند المرحلة الاولى التى يحكمها حديث الاصناف الستة .

— فمنهم من رأى — وهم الاكثرية ان حكم (تحريم الربا) يتعداها الى غيرها مما شاركها فى العلة وسلكوا سبيل (القياس والاجتهاد) للوصول الى العلة أو العلل التى من أجلها حرم الربا فى هذه الاصناف .

واختلفوا فى ذلك على نحو عشرة مذاهب(٩) ، بحسب ما وصل اليه اجتهاد كل امام فى التماس العلة التى يدور عليها القياس .

— ومنهم من اقتصر فى التحريم على الاصناف الستة ، اما لأنه لا يقر القياس وهم الظاهرية . واما لانه برغم عمله بالقياس ، واقراره له — لم يقتنع بالعلل التى وصل اليها غيره بالاجتهاد(١٠) .

من هنا يتبين لنا أن ائمة الفقه اعتمدوا فى أحكام ما سموه (ربا البيوع) على القياس والاجتهاد لاستخراج العلة المشتركة فى الاصناف الستة التى نص عليها الحديث النبوى الذى يمثل المرحلة الاولى فى التدرج التشريعى .

وأن ابن عباس اعتمد فى مذهبه على الحديث الصحيح الذى اتفق العلماء على صحته ، وأنه بذلك استوعب الاستفادة من المراحل الثلاثة التى تدرج فيها التشريع ، وعمل بالنص الاخير الناسخ لما سبقه ، وهو الذى يهدى الى وجوب المحافظة على (القيمة العادلة) .



---

(١) الوعى الاسلامى ، عدد ذى القعدة سنة ١٣٩٣ هـ رقم ١٠٧ .

(٢) وقد فصلنا ذلك فى الجزء الاول من بناء الاقتصاد فى الاسلام ص ١٠٤ — ١١٤ وهو مطبوع فى القاهرة سنة ١٩٥٩ م .

(٣) اختلاف الحديث للشافعى طبع فى القاهرة ٢٤١ .

(٤) المحلى ٩ : ٥٣٧ .

(٥) المحلى ٩ : ٥٢٩ ، وقد فصلنا ذلك فى رسالة (مذهب ابن عباس فى الربا) المطبوعة بالقاهرة سنة ١٩٧٢ .

(٦) الرسالة ٢٧٦ — ٢٨٦ طبع القاهرة — تحقيق احمد محمد شاكر .

(٧) علم اصول الفقه ، لعبد الوهاب خلاف ١٩٧ ، ومثله فى أصول الفقه للخضرى ٣٥٩ .

(٨) الربا والمعاملات فى الاسلام للسيد رشيد رضا ٨٥ — ٩٣ ، اعلام الموقعين ٢٣٢ ، ٢٣٣ طبعة امبابى بالقاهرة .

(٩) المحلى ٩ : ٥٠٥ — ٥٢١ ، (علم العدل الاقتصادى) تحت الطبع لكاتب المقال .

(١٠) علم العدل الاقتصادى .

حياة الإمام الشيرازي

للدكتور : محمد حسن هيتو

اصول الإمام الشيرازى :

ولا اعنى بهذه الكلمة ان للامام الشيرازى اصولا مستقلة بنى عليها مذهبا مستقلا ، لأنه شافعى المذهب ويفرع على اصول امامه الشافعى ، وإنما أعنى كتبه التى دونها فى هذا الفن ، وآراءه الأصولية فى بعض المسائل التى خالف بها الجمهور ، او انفرد بها عنهم ، او رجع عنها بعد مخالفتهم ، وقبل الكلام على اصوله سأتكلم على مكانته بين الأصوليين .

١ ـ مكانة الشيرازى بين الأصوليين :

إن مما لا شك فيه أن الامام الشيرازى من كبار ائمة الأصول المتقدمين ، الذين دونوا فيه ، وساهموا فى تطويره وترتيبه وتهذيبه فان الدارس لتاريخ نشأة هذا الفن والكتابة فيه يجد أن معظم ما ألف فيه حتى عصر الشيرازى لم يكن سوى كتب تبحث فى موضوع أو مواضيع محصورة من مواضيعه ، وأن الكتب العامة الشاملة لجميع مباحثه كانت قليلة بالنسبة لتلك .

ولذلك اعتبرت كتب الشيرازى من أهم الكتب التى صنفت فى أصول الفقه ، لعمومها وشمولها لجميع مباحثه ، وأصبحت من أهم المراجع التى يرجــع اليها الأصوليون بعده فى تصنيفهم وتأليفهم ، فلا يكاد يخلو كتاب صنف فى هذا الفن من النقل عنها ، والرجوع اليها ، والاعتماد عليها ، ومن خلالها تعرف قيمة هذا الإمام فى هــذا العلم ، ومكانته المرموقة بين أهله والباحثين فيه .

وأنا إذ اكتب هذا الكلام لا أريد أن أقول : إن الشيرازى أشهر من كتب فى الأصول ، فلقد كان فى الأصوليين من هو أشهر منه وأبرع ، ولكن أريد أن أقول : انه كان من المشاهير الذين عرف الأصول بهم ، ونقل عنهم ، وان كانت شهرته فى الفقه ، والخلاف ، والجدل ، والتى لا ينازعه فيها أحد ، قد غطت على شىء من شهرته فى أصول الفقه .

٢ ــ كتبــه الأصوليـــــة :

لقد ترك لنا الإمام الشيرازى ثلاثة كتب من كتب الأصول ، وهى حســـب الترتيب الزمنى فى تأليفها :

١ ــ التبصرة فى أصول الفقــه .
٢ ــ اللمـــع .
٣ ــ شرح اللمـــع .

وسأتكلم على كل واحد من هذه الكتب الثلاثة بايجاز واختصار حتى نعرف ما لها وما عليها من مزايا واستدراكات ، فأبــدأ بالتبصرة ، ثم اللمـــع ، ثم شرح اللمع .

أ ــ التبصـــــرة :

١ ــ هو أول كتاب صنفه الإمام الشيرازى فى أصول الفقه ، كما تدل عليه مقدمة كتابه اللمع حيث قال : « سألنى بعض إخوانى أن أصنف له مختصرا فى أصول الفقه ، ليكون مضافا الى ما عملت من « التبصرة » فى الخلاف . أ . هـ.

٢ ــ لم يتعرض هذا الكتاب إلا للمسائل الأصولية المختلف فيها ، كما قال فى مقدمته ، وكما هو ملاحظ لدارسه ، وأما المسائل المتفق عليها فى علم الأصول فلم يتعرض لها مطلقا ، وكذلك لم يتعرض للحدود والتعاريف ، ولذلك يعتبر كتابه من أهم كتب الأصول المقارن .

٣ ــ ومما يتسم به هذا الكتاب هو الحشد الهائل من الأدلة العقلية والنقلية التى كان يستخدمها للاستدلال على المسألة التى يناقشها ، ولذلك تعتبر التبصرة من أهم الكتب الخلافية المدللة .

٤ ــ أن معظم أدلة الشيرازى فى هذا الكتاب كانت مبتكرة جديدة ، كما يلاحظ ذلك من قرأ كتب القوم وأدلتها ، ولئن طرق دليلا سبق اليه سار فيه سيرا جدليا محكما جديدا .

٥ ــ ينقسم الأصوليون فى قبولهم لأدلة الأصول الى قسمين :
قسم يقبل فى الاستدلال على مسائل الأصول الأدلة الظنية ، كالبصرى ،

والرازى وغيرهما من المتقدمين والمتأخرين .

وقسم لا يقبل الا الدليل القطعى كالأشعرى ، والباقلانى ، والغزالى .

وقد كان إمامنا الشيرازى يذهب الى أنه لا يجوز أن يستدل على مسائل الأصول الا بالدليل القطعى فى جميع كتبه الأصولية .

٦ ـ ذكر الشيرازى فى « التبصرة » مسائل نادرة لم يتعرض لها جمهور الأصوليين فى كتبهم ، ولم يناقشوها ، ومن أمثلتها الكثيرة ، الخلاف فيما اذا علق الحكم على صفة فى جنس ، فانتفى عما عداها فى ذلك الجنس ، هل ينتفى عما عداها فى سائر الأجناس أم لا ؟ كما اذا علق الحكم على السوم فى الغنم ، فهل ينتفى عن معلوفة البقر أم لا ؟ الى غير ذلك من المسائل .

٧ ـ يعتبر الشيرازى فى كتبه الثلاثة من أدق الأصوليين فى نسبة الأقوال الى قائليها ، ولذلك أصبحت كتبه عمدة الأصوليين فى التثبت من نسبة الأقوال كما أشار اليه الامام ابن السبكى فى كتابيه « رفع الحاجب » و « الابتهاج » .

٨ ـ وأما أسلوبه فى التبصرة فهو متسم بالهدوء والوفاء ، يناقش خصمه مناقشة موضوعية هادئة .

هذه هى أهم مزايا الكتاب وأما ما يؤخذ عليه فقليل ومن أهمه :

١ ـ عدم تعرضه لجميع مسائل الخلاف فى الأصول ، مع أنه كتاب خلافى .

٢ ـ عدم ذكره لجميع المذاهب فى المسألة الواحدة .

٣ ـ عدم تحريره لمحل النزاع فى كثير من مسائل الكتاب رغم أهمية هذه المسألة عند الباحثين .

٤ ـ كثرة مخالفته لجمهور الأصوليين إذ خالفهم فى أربع عشرة مسألة ، سنذكرها بالتفصيل عند الكلام على آرائه بعد قليل .

ب ـ اللمع :

١ ـ يعتبر هذا الكتاب هو الكتاب الثانى الذى ألفه فى الأصول ، كما أشرنا الى ذلك قبل قليل .

ولقد انتشرت شهرة هذا الكتاب وشاعت ، وسارت فى الناس وذاعت ، إذ كان كتابا عاما شاملا لجميع مباحث الأصول المتفق عليها والمختلف فيها ، مع مقدمات هذا الفن ، بأسلوب سهل ليس فيه صعوبة أو تعقيد بعيد عن الأبحاث الجانبية التى أقحمها الأصوليون فى كتبهم ، كمسألة التحسين والتقبيح ، وشكر المنعم ، وغير ذلك ، ولكنه مع هذا لم يخل الكتاب من مقدمة موجزة حول بيان العلم ، والظن ، والنظر ، والدليل ، وأقسام الكلام ، وبيان الحقيقة والمجاز وغير ذلك .. ولذلك أصبح هذا الكتاب من الأصول المعتمدة فى هذا الفن ، رجع [illegible] الأئمة اليه ، وعولوا فى النقل عليه .

٢ ـ يعتبر هذا الكتاب مختصرا نافعا جيدا لعلم الأصول عامة ، ولكتاب التبصرة خاصة .

٣ ـ عندما صنف الشيرازى هذا الكتاب ، اطلع على أدلة لم يكن قد اطلع عليها من قبل حين صنف التبصرة ، شأن الانسان كلما تقدمت به السن تبينت له

حقائق لم يكن قد أطلع عليها من قبل ، بل ربما استبان له خطأ ما استدل به فى الأمس على ما ذهب إليه ، ولما كان هدفه من البحث الوصول للحقيقة لا التعصب لقول نصره ، أو رأى استحسنه — شأن أسلافنا المنصفين — رأيناه يعرض عن كثير من الآراء التى اختارها فى التبصرة مخالفا بها رأى الجمهور ، ليرجع إلى صفهم فى كتاب اللمع ، وهى ست مسائل سنذكرها بعد قليل ان شاء الله عند الكلام على آرائه .

٤ — تمتاز اللمع على التبصرة بأنها غالبا ما تحرر مسائل النزاع ، وتستطرد فى ذكر تفاصيل المسألة المختلف فيها والمتفق عليها ، بخلاف التبصرة فيهما .

٥ — وأخيرا تعتبر اللمع الكتاب الذى استقرت به آراء الإمام واعتدلت .

ج — شرح اللمـع :

وهذا الكتاب هو الكتاب الثالث والأخير من كتب الشيرازى فى الأصـول شرح به كتابه المشهور « اللمع » وأنا لم أطلع على هذا الكتاب ، ولم اقف عليه فيما نظرته من فهارس المكتبات العالمية ، ولا أعتقد انه من الكتب المفقودة ، لأنه حتى أواخر القرن الثامن الهجرى كان موجودا ومتوفرا ، ومشهورا بين العلماء ، وقد ذكره ابن السبكى فى جملة مراجعه التى رجع اليها فى كتابه « رفع الحاجب عن ابن الحاجب » ، وبدر الدين الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ فى جملة مراجعه التى رجع اليها فى كتابه « البحر المحيط » . وعسى أن اقف عليه خلال بحثى عن المصنفات الأصولية فى المستقبل ان شاء الله تعالى .

ولكننى قد وقفت على كثير من النقول التى نقلت عنه ، وقد أثبتها جميعهـا فى شرحى على كتاب « التبصرة » بحروفها .

وان مما لا شك فيه أن هذا الكتاب يعتبر من أهم الكتب التى دونها الامام فى هذا الفن إذ كان متأخرا عن كتابيه السابقين ، ونتيجة لما استخلصه من أفكار فيهما ، وربما يكون قد غير رأيه فيه فى بعض الأمور التى خالف فيها ، أو خالف فيه بآراء أخرى تضاف للآراء السابقة التى خالف الجمهور بها .

وان شهرة هذا الكتاب بين الأصوليين لكافية فى إظهار مكانته عندهم .

٣ — آراؤه الأصوليـة :

لكل إمام من الأئمة المبرزين كالشيرازى وامثاله ، آراء خاصة ، بها يتميز ، ومن خلالها يعرف .

ولقد ذكرت قبل قليل أن الشيرازى خالف الجمهور فى التبصرة فى أربع عشرة مسألة ، وأنه رجع عن ست منها حين صنف اللمع ، وخالفهم فى واحـدة أخرى فيها ، فصار مجموع ما خالف فيه فى كتابيه خمس عشرة مسألة ، رجع عن ست منها وأصر على تسع ، وسأتكلم الآن على :

١ — آرائه التى خالف بها واستمر على المخالفة .

٢ — آرائه التى خالف بها فى التبصرة ورجع عنها فى اللمع .

٣ — الآراء التى نسبت إليه وهو منها برىء .

ا ــ المسائل التى خالف بها الجمهور :

لا اريد بقولى المسائل التى خالف بها الجمهور ، الاشـــارة الى أن راى الشيرازى فيها ضعيف أو باطل ، فربما كان الحق والصواب معه ، ولا عبرة بكثرة القائلين ــ كما يقول الإمام النووى فى « المجموع » ولكنى أريد ان اشير إلى أن اكثر الأصوليين على خلاف ما اختاره ورجحه فى كتبه ومصنفاته ، وقد بينت أثناء شرحى على كتاب « التبصرة » أن ليس كل ما خالف فيه كان باطلا مردودا ، بل بعضه كان رغم خلاف الأكثر له حقا وصوابا .

وكذلك لا اريد بقولى مخالفة الجمهور أنه هو الوحيد الذى شذ فى المسألة ، فان له فى كل مسألة من المسائل التى خالف فيها مؤيدا من السابقين أو اللاحقين .

وهذه المسائل باختصار وايجاز شديدين هى :

١ ــ تعــريف الأمــر :

فقد ذهب الشيرازى فى كتابيه التبصرة واللمــع الى اشتراط العــلو فى الأمر حتى يكون أمرا فقال : « الأمر استدعاء الفعل بالقول ممن دونه » وذكر قريبا من هذا فى اللمع . مخالفا للجمهور الذين لم يشترطوا فيه لا علوا ولا استعلاء .

وقد وافق الشيرازى على هذا الإمامان أبو نصر بن الصباغ (م ٤٧٧ هـ) وابو المظفر بن السمعانى (م ٤٨٩ هـ) وذهب اليه أيضا المعتزلة كما صرحوا به فى كتبهـــم .

٢ ــ وجوب الصيام على الحائض والمريض والمسافر :

ذهب الإمام الشيرازى فى كتابيه أيضا الى أن الصيام واجب على الحائض والمريض والمسافر ، على معنى : أن كلمة القضاء لا تطلق الا على ما سبق وجوبه على المستدرك ، وفعل بعد وقته المعين له شرعا ، دون تمييز بين ما وجد سبب وجوبه فقط ، أو وجد سبب وجوبه ووجب أداؤه ، فهم يبنون تسمية القضاء على سبق الوجوب فقط .

ولكن الجمهور على خلاف هذا ، لأنهم يفرقون بين ما وجد سبب وجوبه ولم يجب أداؤه لمانع شرعى فهذا لا يسمى واجبا ، وان كان يجب قضاؤه ، وبين ما وجد سبب وجوبه ووجب أداؤه ، وهذا يسمى واجبا ، ولذلك لا يقولون إن الصيام كان واجبا على الحائض والمريض والمسافر لأنه من قبيل ما وجد سبب وجوبه ولم يجب أداؤه للمانع الشرعى ، وان كان قد وجب قضاؤه .

وللمسألة تفاصيل ليس هذا مكانها .

٣ ــ دخول الآمر فى الأمر :

ويعبر عنها بـــ « دخول المتكلم فى عموم متعلق خطابه » كما إذا قال قائل لآخر : إذا وعظك واعظ فاتعظ ، فهل يكون هو أيضا مأمورا بالاتعـــاظ اذا جاءه من وعظه ؟

ذهب الشيرازى فى التبصرة واللمع الى أن الآمر لا يدخل فى عموم متعلق أمره مخالفا بذلك الجمهور الذين ذهبوا الى أنه يدخل ، ولا يخرج الا بقرينة .

٤ — الغاية التى يجوز أن ينتهى اليها التخصيص :

فقد ذهب الشيرازى فى كتابيه الى انه يجوز التخصيص فى جميع الفاظ العموم — أسماء الجموع ، وغيرها — الى أن يبقى واحد ، مخالفا بذلك الجمهور الذين لم يجوزوا التخصيص فى أسماء الجموع الى الواحد على خلاف بينهم فى الغاية التى يجوز أن ينتهى اليها تخصيص هذه الأسماء .

٥ — نسـخ الكتـاب بالسـنة :

وهى من المسائل التى كثر فيها الخلاف والنقاش ، وقد ذهب الشيرازى فى كتابيه أيضا الى أنه لا يجوز نسخ الكتاب بالسنة ، موافقا بذلك إمامه الشافعى ، وإن كان قد خالفه فى جواز نسخ السنة بالكتاب .

وذهب الجمهور الى أنه يجوز نسخ السنة بالكتاب ، ونسخ الكتاب بالسنة وفى المسألة كلام طويل زلت به أقدام كثير ممن تكلم فى هذه المسألة .

٦ — زيادة الثقـة :

وهى ما إذا انفرد رأوى الحديث الثقة بزيادة فى الحديث لم ينقلها غيره ، فهل تقبل هذه الزيادة أم ترد ؟

فذهب الشيرازى الى قبول زيادة الثقة مطلقا ، تعدد الراوى أم اتحد ، غيرت الزيادة المزيد أم لم تغيره ، تعدد المجلس أم اتحد .

وقد نقل إمام الحرمين قبول الزيادة بهذا الاطلاق عن الشافعى رضى الله عنه .

بينما ذهب الجمهور الى قبول هذه الزيادة ولكن بتقييد وتفصيل ليس هـذا مكانه .

٧ — الإجمـاع السـكوتى :

وهو ما إذا ذهب واحد من أهل الحل والعقد الى حكم وعرف به أهـل عصره ، ولم ينكر عليه منكـر بشروط لا بد من مراعاتها .

فذهب الشيرازى الى انه إجماع مقطوع به — مخالفا بذلك الجمهور عـلى خلاف بينهم وتفصيل فى قبوله ورده .

٨ — التنصيص على العـلة :

وهى ما إذا نص الشارع على علة الحكم ، فهل هذا أمر بالقياس ، أم لا بد من ورود الأمر به ؟ ..

فقال الشيرازى : إنه أمر بالقياس ، مخالفا الجمهور ايضا ، اذ ذهب الى أنه ليس بأمر بالقياس ، بل لا بد من ورود أمر من الخارج سوى النص على العلة.

٩ ــ خبر الواحـــد وإفادته العلم :

فذهب الجمهور الى أن خبر الواحد لا يفيد العلم لا ضرورة ولا نظرا ، وقد خالف الشيرازى بهذا ايضا فذهب الى انه يفيد العلم استدلالا ، ووافقه عليه بعض المحدثين .

هذه هى الأمور التى خالف بها الشيرازى جمهور الأصوليين ، ولم يرجع عنها ، ولكن هناك أمور أخرى ، خالف بها فى التبصرة ، ثم رجع عنها فى اللمـــع كما سنبينه . .

ب ــ المسائل التى خالف بها فى التبصرة ثم رجع عنها فى اللمع :

١ ــ الواو بين الجمع والترتيب :

ذهب الشيرازى فى التبصرة الى أن الواو العاطفة تفيد الترتيب ، مخالفا بذلك الجمهور ، ثم رجع عن ذلك فى اللمع لصفهم ، وخطأ نفسه فى رأيه الأول ، ونص على انها لمطلق الجمع .

٢ ــ النسخ فى حق الأمة قبل التبليغ :

وهى ما إذا نزل النسخ الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يبلغ أمتـــه بعد ، فهل يثبت حكم النسخ فى حقها قبل التبليغ أم لا ؟

ذهب الشيرازى فى التبصرة الى أنه شرع لنا ما لم يثبت نسخه ، مخالفـــا عن ذلك فى اللمع الى صف الجمهور القائلين بعدم الثبوت .

٣ ــ شرع من قبلنـــــا :

ذهب الشيرازى فى التبصرة الى أنه شرع لنا ما لم يثبت نسخه ، مخالفا بذلك جمهور الأصوليين من المتكلمين ، ثم رجع الى صفهم فى اللمع وذهب الى أنه ليس شرعا لنا .

٤ ــ القياس على ما ثبت حكمه بالقياس :

ذهب فى التبصرة الى جواز القياس على ما ثبت حكمه بالقياس مخالفـــا لجماهير الأمة ، ثم رجع عن ذلك فى اللمع ، والحمد لله الذى ألهمه الرجوع عن

ذلك ، لأنها هفوة عظيمــــة ، ولا سيما اذا كانت من مثل الشيرازى ، فهفـــوات الكبار على أقدارهم .

٥ — دخول الأمة فى خطاب الرسول عليه السلام :

ذهب الشيرازى فى التبصرة الى انه اذا أمر عليه السلام بأمر شاركته الأمة فيه ما لم يدل الدليل على تخصيصه ،مخالفا جمهور المتكلمين ، ثم رجع الى صفهم فى اللمع وقال : إنها لا تشاركه الا بدليل .

٦ — التخصيص بالقيـــــاس :

لقد خصص الشيرازى الخلاف فى هذه المسألة فى التبصرة بالقياس الخفى إشارة الى عدم وقوعه فى الجلى ، ثم رجع عن ذلك فى اللمع وذهب الى انه جار فى الجلى والخفى على السواء .

هذه هى المسائل الست التى خالف بها الشيرازى الجمهور فى التبصرة ثم رجع عنها الى صفهم حين صنف اللمع ، وقد ذكرتها مفصلة هى والأمور التى أصر على الخلاف فيها مفصلة فى كتابى (الشيرازى حياته وأصوله) . وفى شرحى على كتابه التبصرة .

ونختتم الكلام على أصول الشيرازى بالكلام على أمور نسبت اليه وهو منها برىء وهى :

١ — ثبوت القضـــاء بالأمر الأول :

وهى ما اذا أمر الشارع بعبادة ثم ذهب وقتها فهل يكلف المكلف بـــ بنفس الأمر الأول أم يحتاج لأمر جديد ؟ مسألة خلافية .

ونسب ابن السبكى فى (رفع الحاجب) للامام الشيرازى أنه يقول : ان القضاء ثابت بالأمر الأول ، وهذه النسبة ليست صحيحة لأنه صرح فى كتابيه اللمع والتبصرة بأنه يحتاج لأمر جديد .

٢ — إفادة الصحيحين للعـــــلم :

نسب البلقينى للشيرازى أنه يقول إن الصحيحين يفيدان العلم ، وهذه نسبة أيضا غير صحيحة لأنه صرح فى التبصرة واللمع بأن خبر الواحد لا يفيـــد إلا الظن وان كان عن طريق سلسلة الذهب التى امتلأ الصحيحان بها ؟!

هذا وهناك بعض الأمور الأخرى التى لا داعى لذكرها والإطالة بها .

وبعد : فهذه نبذة موجزة عن حياة الإمام الشيرازى وأصوله توخينا بها إظهار فضل هذا الإمام العظيم ومكانته بين علماء الأمة وسلفها ، والحمد لله رب العـــالمين .

قصة مسرحية



للأستاذ : محمد الخضرى عبد الحميد

ينفرج الستار عن ظلمة دامسة ، لثوان ، ثم تسود إضاءة . خفيفة . يسمع من البداية صدى صخب كبير ، وضجيج كثير بعيد . أطفال يهزجون . نسوة ورجال يطيفون ويهللون . أشخاص كثيرون يبدون فى خلفية المشهد ، رائحين غادين ، يعزفون ، ويتراقصون .. فى الخلفية سور يبدو من ورائه جرم ضخم ، لصنم صخرى ، ثابت لا يريم ، ويحسن أن تسلط عليه شعاعات من ضوء مميز خاص . يتقدم للأمام أربعة رجال ، تباعا . الإضاءة خافتة ، والأصداء البعيدة تخفت — وإن ظلت مستمرة — أثناء الحوار :

زيد بن عمرو : عيد ؟!.. الى متى هذا الضلال ؟!
عثمان بن الحويرث: ما عدت أحتمل !.. ذلك ، من أجل ذلك (العزى) !
.. ذلك الحجر الذى لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا !
.. « يضرب كفا بكف » .. يا لضيعة قومى ..!
عبدالله بن جحش : من أرى ؟!.. زيد بن عمرو ، وعثمان بن الحويرث !

زيد بن عمرو ، وعثمان : مرحبا عبد الله بن جحش !.. تعال ، وانج من هذا الجنون ..!

عبدالله بنجحش : ها أنتما هنا ، بعيدا عن القوم .. تحسنان صنعا ، فما عاد يمكن السكوت على مثل هذه الحال !.

زيد بن عمرو : ثمة نور سوف يشرق ، فيبدد كل هاته الظلمات ..

عثمان بنالحويرث: عيد العزّى !!. ها ، ها ، ها !.. لو أن لقومى قدرا يسيرا من نور البصيرة ، أو المعرفة المستنيرة ، لأدركوا أن : لا جدوى من (العزّى) ، وأمثاله من الأصنام .. ومن ثم .. فليس من داعٍ لكل هذا الصخب ، وهذا الاحتفـ ..!

عبدالله بنجحش : « يتلفت ورا : ألمح رجلنا الحكيم مقبلا علينا .. « هاتفا » : ى ، مرحى .. أهلا بالحكيم الحصيف ،

ورقة بن نوفل : ورقة بن نوفل .. بالضرورة لم يعجبك الحال ..! حال لا يعجب ، ولا يسر . تعلمون والله ما قومكم على شيء ، وإنهم لفى ضلال ...

زيد بن عمرو : حقا .. وأى ضلال ..!

ورقة بن نوفل : .. فما حجر نطيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع .. ومن فوقه يجرى دم النحور ؟! .. يا قوم التمسوا لكم دينا غير هذا الذى أنتم عليه ..!

« يزداد خفوت الإضاءة ، حتى يكون إظلام »
« تام .. ثم .. يسطع ضوء قوى .. فيبدو فى »
« المقدمة أربعة رجال .. وتتغير الخلفية .. »

(مشهد / ٢)

رجل ١ / : إذن .. فهل نحن ـ حقا ـ على ضلال ، كما يقولون ؟

رجل ٢ / : إذا كان الأمر كذلك .. فذلك ما وجدنا عليه آباءنا ..

رجل ٣ / : إن (محمدا) يؤكد أن الضلال هو ما نحن عليه .. وأن الحق هو ما جاء به .. والقرآن الذى يتنزل عليه من السماء ، يجذب اليه فى كل يوم مزيدا من الأفئدة التى تهوى إليه .

رجل ٤ / : صبرا . ولسوف ننظر فيما سوف يجىء به الوليد ..

رجل ١ / : قد طالت غيبة أبى الوليد ..!!

رجل ٢ / : قلبى مع الوليد بن المغيرة !.. أخشى يا صحاب ان يستميله (محمد) الى صفه ، فنفقد فيه ركنا مناوئا ، عظيم الشأن حقا !

رجل ٣ / : لا تسىء الظن يا رجل ، وكن متفائلا . إنك قد رأيت بأية ملامح متقلصة ، ونظرات حادة ، مرهفة ، قاسية ، يتطاير منها الشرر ، ذهب الرجل الى محمد !. ما كنا لنجد خيرا منه سفيرا ونائبا . لسوف يذكر له فى وضوح

وجلاء : كل ما اجمعنـــا عليه الرأى ..

رجـــــل ٤ / : لعله لا ينسى مما قيل له شيئا . لقـــد فوضناه فى أن يقول لـــ (محمـــد) اننا على استعداد لبذل كـــل غالٍ ونفيس ، من أجل أن يكف عن تلاوة هـــذا .. القرآن ، الذى يسحر به الألباب !!.. وأن لا يمضى هكـــذا قدما فى .. ولكن مهـــلا .. ها هو ذا الوليـــد بن المغيرة قد جـــاء !!

رجـــــل ١ / : « يحملق جانبا فى دهشة واضحة » : جاء !! الا ترون بأى وجـــهٍ جـــاء ؟!

رجـــــل ٢ / : « يحذو حذوه » : ما هـــذا الذى أرى ؟!.. ليس هذا هو الوجـــه الذى ذهب به الوليـــد ..!

رجـــــل ٣ / : « ضاحكا ، عاليا بسخرية لاذعة » : ماذا ؟!. ما هذا ؟!. أين الملامح المتقلصـــة ؟!.. الى اين ذهبت النظرات الحادة ، المرهفة ، القاسية ، التى يتطاير منها الشرر ؟!

رجـــــل ٤ / : يا قوم ، صبرا . هـــه ، ما وراءك يا وليـــد ؟!.

رجـــــل ١ / : الوليـــد !!.. أيـــة ملامـــح هادئة ، وأسارير لينـــة مشرقة وادعة ، التى عدت بها من عنده يا رجل ؟!.

أبو الوليـــــــد : يـــا قوم !.. يـــا قوم ..!

رجـــــل ٢ / : ها !.. ها !.. ماذا تريد أن تقول ، وواقع الحال .. يغنى عن أى جوابٍ لســـؤال ؟!

رجـــــل ٣ / : ومع ذلك مهلا . هه . هل قلت له يا وليـــد : إن كان ذلك الذى أصابه رئيا لا يستطيع له ردا عن نفســـه ، طلبنا له الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى يبرأ ؟!. اجب !.

رجـــــل ٤ / : وهل قلت له أيضـــا : إن كان يريد ملكا جعلنـــاه أميرا علينا .. أو سلطانا ، جعلناه أغنى رجل فينا ؟!. قل تكلم !..

أبو الوليـــــد : يا قوم !.. يا قوم ، لقد قلت كل شىء . كل حرف . ولكنه تلا علىّ بعضـــا من آى القرآن ، فاذا أنا ــ كما ترون ــ اتبدل خلقا آخر . يا قوم إنى سمعت من (محمد) قولاً ، والله ما سمعت مثله قط . والله ما هو بالشعر ، ولا بالكهانة . يا معشر قريش : أطيعونى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيـــه .. والله ليكوننّ لقوله الـــذى سمعت منه نبأ .. فان تصـــبه العرب فقـــد كفيتموه بغيركم .. وإن يظهر على العـــرب .. فملكه ملككم .. وعزه عزكم .. وكنتم أسعد الناس به .

رجـــــل ١ / : سحرك بلســـانه ..!

رجـــــل ٢ / : « ساخرا » : حييت من سفير مفوض ...!!

الوليـــــد هـــذا رأيى .. فاصنعوا ما بدا لكم ..

« صمت . وجوم . تفكير مهمـــوم .
تخفت الإضـــاءة حتى الإظلام ، لينبثق
ضوء آخـــر ، على مشـــــهد تالٍ »

(مشـــــهد / ٣)

« الوقت مساء . درب من دروب مكة . فى الخلفية »
« بيت قريب يسطع منه ضوء نفاذ . شـــخص فى »
« المقدمة ــ هو الأخنس بن شريق ــ مائل بكليته نحو »
« ذلك البيت ، يتسمع بكل جوارحه . فجأة يجـأر »
« عاليـــــا : »

الأخنس بن شريق : الله أكبر !. ما ضرنى لو قلتها ، حيث لا أحد من قومى يسمعها ؟!. حقـــا ، يا لروعة البيان . يا لعظمـــة . القرآن . ما أث... صوتك المهيب يا (محمــــد) يا ابن عبد اللـــه ... تتلو القـــرآن ، الذى يتنزل عليـــك من ربك .

« منتبها الى خطورة موقفه ، بالنسبة لقومه »

.. لكن .. فلأعد الآن ، خفيةً ، حتى لا يفجأنى أحد ، فيفتضح من جديد أمرى ، وتلوك سيرتى ألسنة قومى !!

« يتقدم أماما ، ثم ينحرف خطوات جانبا »
« فيصطدم بغتة بشـــخص ثانٍ : هـــو »
« سفيان بن حرب ، الذى كان يفعل مثلما »
« يفعل ــ سرا ــ صاحبه الآخر..يصيح: »

مـــاذا ؟!. آه !. أنت يا ســـفيان بن حرب ، هنـــا ، مرة أخـــرى ؟!

سفيان بن حرب : بل هو أنت ، يا أخنس بن شريق ، هنا ، مرة أخرى !!!

الأخنس بن شريق : ولكـــن ....

سفيان بن حرب : ولكن مـــاذا ؟!.. أو لم تعـــاهدنا يا رجـــل ، عـــلى ألا تعود الى التسمع خلسة ها هنا ، ثانية ؟!

الأخنس بن شريق : يا سفيان بن حـــرب !!.. عفوا !. هـــلا سمحت لى أن أوجه إليه السؤال عينه ؟!.. أو لم تعاهدنا أنت ، أيها الهمام ، على الالتزام بالأمر ذاته ؟ !

سفيان بن حرب : إننى فقط ، كنت ...

الأخنس بن شريق : كنت ماذا؟ ! ..أما كنت أنت نفسك ، صاحب الفـــكرة ومنفذها ؟!..أن تتعاهد على عدم العود الى بيت محمد ليلا ، بغية الإنصات سرا اليه ، وهو يتلو القرآن ؟

سفيان بن حرب : يا أخى .. آ .. ان لذلك القرآن لحلاوة وطلاوة..لكن.. لا يجمل بنا فى الواقع أن نكرر التسلل هكذا كل ليلة ، كل منا من وراء ظهر الآخر ، لكى ننصت الى (محمد) وقرآنه ..ونحن أعداء محمد وقرآنه .. عاهدنى الآن من جديد ، على أنك لن تذكر مما رأيت الليلة شـــيئا لعمرو ابن هشـــام (أبو جهل) !..

.. لقد أظهر أنه أكثر من كلينا وفاءً بالعهد .

الأخنس بن شريق : إنه قد أقلع فعلا ، كما يبدو ، عن العودة الى التســـلل فيما أرى .. فها هو لم يعد ليتسمع الليلة ، مثلنا . يا لضعفنا ، يا لضعفنا !

سفيان بن حرب : هيا بنا . فلنعـــد فى ستر من حيث جئنـــا .. ولن نذكر له ، بطبيعة الحال ، شيئا مما كان ..!

الأخنس بن شريق : هيا ، من هنا تفضل يا أخى سفيان !.. إن الـــ ...
« يصيح فجـــأة مذعورا ، وقد اصطدم بشخص ثالث »
« كان كما يبـــدو عليه بجـــلاء ، يتسمع مثلهمـــا .. »
« وهـــو : أبو جهـــل بن هشـــام !!.. »
من ؟!.. من هذا ؟!.. من أرى بأم عينىّ ؟!.. عمـــرو ابن هشام ، نفسه ، بشحمه ولحمه ؟!.. وأين ؟!.. هنـــا ؟!.. هنـــا ، على وجه التحديد ، مرة أخـــرى ؟!

سفيان بن حرب : مرحى !.. اين عهودك يا عمـــرو ؟!

عمـــــرو : وأنتما أيضـــا !. هنا ، ولليلة الرابعة على التوالى !.. أنا على أيـــة حال ....

الأخنس بن شريق : آ .. أنت على أية حال .. كنت تتسمع الليلة ، مثلنـــا .. لا تنكر .. ماذا يجدى الإنكار ؟!

عمـــــرو : لن أنكر .. ولكن أشيروا علىّ . حتى متى نظل نتعاهد كل ليلة على ألا نعود متسللين ، كى ننصت سرا ، ونتسمع خفيـــة الى تلاوة (محمد) لآيات القرآن فى بيته .. ثم يعود كل منا فى الليلة التالية ، من وراء ظهر صاحبه ، ممنيـــا نفسه أنه سيستمع بالإنصات وحده ؟!

سفيان بن حرب : معـــذرة .. قل هـــذه (الصيغة !) تماما لنفســـك ، يا عمـــرو !

عمـــــرو : لم انكر . كلنا انسقنا بفعل عذوبة وعظمة هذا الـــ .. الـــ .. « ينتبه الى موقفه ، فيبتر كلمته » . لكن .. لا ينبغى أن ندع أنفسنا تهفـــو هكذا بهذه الحدة ، لئلا .. آ .. لا تنسيا اننا الد أعداء (محمد) فى مكة .. وهـــذا الذى يدور فى افئدتنا ، حينما نخلو بأنفسنا ، فنترك العنـــان لارتشاف معانى هذا الـــ .. آ .. ان القرآن فى الحقيقـــة ...

الأخنس بن شريق : أجل . وفى الحقيقـــة إن ما نحس به حين ننصت لتلك الآيات .. أشبه ما يكون بـــ : الخواء الكامل يأتيه عن كثب : مصدر إشباع ورى ..

سفيان بن حرب : ما نحس به هو الجوع الكلى حقا . جوع وعطش فى الروح ، ولولا اننا نأمل أن نقضى على انتشار هذا الدين الجديد ، لاستمعنا ، ونحن و ..

عمـــــرو : كفى . هيا بنا . ولنكتم ما تحس به الروح ، فلئن كان الأمر كما ذكرتمـــا .. فانه لخير لنا أن تظل أرواحنـــا جائعة ، عطشى ، ولا يقـــال أن (محمدا) انتصر علينا . هيـــا ..
« ينصرفون متعثرين فى الظلمة ، ومن ورائهم »
« يبـــدو ذلك النـــور الذى يجلل هامة البيت ، »
« الذى كان منـــذ قليـــل يشـــع آيات من »
« القرآن الكريم .. »

(مشــــهد / ٤)

« يبــدو مشــهد الكعبــة فى الخلفيــة .. »
« شخصــان فى المقــدمة ، يتحــاوران .. »

رجـــل ١ / : « يكمل حديثا سابقا » : أجل .. هــذا كله حدث ..!
رجـــل ٢ / : وبعـــد ؟!
رجـــل ١ / : لم يتوقف انتشار نور القرآن،كما كان يأمل عمرو بن هشام
رجـــل ٢ / : اجــل ، لم !.. ويبدو أنه : لن !!.. فمــا العمل ؟!
رجـــل ١ / : لا مفر . يزداد عــدد الذين يدخلون فى دين الاســلام أفواجا .. ويتسع ، باطراد ، نفوذ هذا القرآن الى مزيد من القلوب .. يوما بعد يوم .. بل ساعة بعد ساعة !
رجـــل ٢ / : لقد صرت ، صدقنى ، أخشى على جلنا : عمرو بن هشام !
رجـــل ١ / : مــم ؟؟
رجـــل ٢ / : افلَم تسمع أحدث ما قيل ؟.. الا تدرى أن (محمــداً) دعا ربه ، فقال : (اللهم أعزّ الإسلام بأحب العمرين إليك .. عمر بن الخطاب .. أو عمرو بن هشام) ؟!
رجـــل ١ / : « ضاحكا » : لا !. أو تعتقد أنت .. أن صاحبك عمرو ابن هشام ، أحب هذين (العمرين) الى الله ؟
رجـــل ٢ / : من يدرى ؟. إن ابن الخطاب ليس بأقل عنفــا فى العداء لمحمد ودينه من عمرو بن هشام ..
رجـــل ١ / : ما يزال القــرآن يُتلى ، ويكســب الى حوزته أفئــدة الكثيرين ، والكثيرات ..
رجـــل ٢ / : فعلاً . ما اســتطاع أحــد أن يوقف تدفق التيــار . الم يأتك أن البطارقة فى الحبشة .. قالوا بعد إذ سمعوا آيات منه : « هذه كلمات تصدر من النبع الذى صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح » ؟
رجـــل ١ / : بلى . بل لعلك علمت أن النجاشى ذاته .. قال هنــاك بالحرف الواحد : « إن هذا والذى جاء به موسى ، ليخرج من مشكاة واحــدة » .
رجـــل ٢ / : هيــه . لكنى ما أزال آمل فى أن انتشار القرآن : لن يؤثر البتة فى صــلاته رجال عتاة .. مثل ..
رجـــل ١ / : مثل من .. مثلا ؟!
رجـــل ٢ / : مثــلاً .. مثل : عمر بن الخطــاب ..
رجـــل ١ / : فى الحقيقة .. لا أستطيع ان ...

« فترة صمت ، وتسمع همهمات عالية »
« وأصــــداء هــرج بعيــــد ... »

مــا هــذا ؟!
رجـــل ٢ / : لعلها أن تكون حادثة جديدة .. من حوادث إيذاء محمد ، او أحد من الصحب المسلمين الملتفين حول محمد . تلك هى أكثر حوادث مكة تكرارا هذه الأيام ..
رجـــل ١ / : « ينظر جانبا » : لنر . من هذا ؟!.. « يصــيح » .. ما وراءك يا زيد ؟

زيـــــــد : « **مقبلا ، يظهر منفعلا جــدا » : قضى الأمر !. لا شىء يجدى فى صد التيـــار بعــد الآن ..!**

رجــــل ٢ / : مــاذا من جــديد ؟. تكلم يا زيد ، أفصح .

زيـــــــد : قضى الأمر !. النجــاة !. النجــاة ..!

رجــــل ١ / : ولكن ماذا ؟!. ما كل ذاك الضجيج هناك ؟

زيـــــــد : هذا رجــل أسلم الآن فقط ، وأى رجــل !.. إنه آت ليؤدى الصلاة هنا . فى الكعبــة هنا ، جهرا وعلانية ، رغم أنف عمرو بن هشام !

رجــــل ٢ / : رجــــل ؟.. من هـــو ؟.

زيـــــــد : إنــه عمر بن الخطــاب ..!!

« **يرين وجوم مباغت ، مذهل** »

رجــــل ١ / : أ ... أو قد أسلم ؟!

رجــــل ٢ / : يا للخســارة الكبرى !!

رجــــل ١ / : هنــاك يقولون : يا للخطــوة العظمى !

رجــــل ٢ / : حقــــا . وأى خطـــوة !

رجــــل ١ / : وأى انتصــــار .. لمحمد .. ودعوته ...

رجــــل ٢ / : معسكر محمد يقول .. إنه للانتصار .. وإنه للانتشار ..

رجــــل ١ / : إنهـــم محقـــون ...

رجــــل ٢ / : محقـــون تماما .. إذن فهذا أحب العمَرين إلى الله ..

رجــــل ١ / : ولكن كيف أسلم بهذه السرعة المباغتــة ؟.. منذ لحظات كان كما عهدته : صلبا . صخريا . لا تأخذه فى مسلم شفقة ، ولا رأفة !!

زيـــــــد : كذلك كان ، الى ما قبل قليل ! .. بل إنه من لحظات خلت ، خرج من داره ثائرا ، ممتشقا سيفه ليقتل به محمــدا . وفى الطريق علم أن أخته أصبحت على دين محمد .. فــ .. بعــد أن شج رأسها بقسوة .. آ .. تصادف أن قرأ عندها آيات من القرآن ..

رجــــل ١ / : فحدث له ما حدث للوليد بن المغيرة !. يا للطامة الكبرى !

زيـــــــد : بل أكثر . خرّ من فوره مسلما .. وخرج من عند أخته مؤمنا كامل الإيمان . انطلق من فوره الى (محمد) يشهر إسلامه ، ويعلن بكل عزم وتصميم أن : لا خفاء ، ولا تخف بعــد اليــوم .

« الرجلان يضربان كفا بكف . يتباعدان ذاهلين ، »
« الى يمين وشمال . يخلو المنظر من الثلاثة . تبدو »
« فى الخلفيــة ثلة رجــال تتبع رجــلا مهيبــا ، »
« أقبل الى الكعبــة هائمــا ، شامخا ، وصـــوته »
« يجلجل عاليـــا ، مرددا : الله أكبر . الله أكبر .. »

(ســتار الختــام)

الفتاوى

الاستعانة بغير المسلمين

السـؤال :

اسسنا شركة صناعيـة على النظام الإسلامى والحمد لله ، ولكننا نحتاج فى طبيعـة العمل إلى فنيين غير مسلمين ، هل يجوز ذلك ؟

الجـواب :

الأجدر بالمسلمين ان يكون عندهم اكتفاء ذاتى فى كل مجال خاصة وان الإسلام يدعو الى العمل ويمجده ، وإلى ان يتحقق لهم ذلك فلا بأس بالاستعانة بغير المسلمين فى الأمور الفنيـة التى لا تتصل بالدين ، ومعلوم أن الإسـلام يحترم الانسان من حيث هو انسان ، الا انه يشترط فيمن يستعان به أن يكون أمينا وحسن الرأى فى المسلمين وإن كان غير مأمون عليهم لم تجز الاستعانة به .

واذا كان الاسلام يمنع الاستعانة بغير الأمين من المسلمين مثل المخذل والمرحف فالمنع للكافر أولى .

وعلى هذا إذا لم تجدوا من المسلمين من يقوم بالأعمال الفنية فى الشركة فلا مانع من الاستعانة بهـؤلاء الفنيين وان كانوا غير مسلمين عنـد الثقة بهم والاطمئنان الى أمانتهم .

... ...

هجرة النبى سرا

السـؤال :

لماذا هاجر النبي صلى الله عليه وسلم سرا إلى المدينة ، مع ان الله قـد عصمه من الناس ؟ بينما عمر رضى الله عنه يهاجر علانية ويتحـدى المشركين بكل جـراة ..

الجـــــــواب :

إن تصرف عمر أو أي شخص آخر غير رسول الله صلى الله عليه وسلم تصرف شخصي فله حرية اختيــار الوسائل والأساليب المناسبة له بمعنى أن عمله ليس تشريعا يلتزم به المسلمون .

أما رسول الله فهو مشرع وكل أعماله وتصرفاته المتعلقة بأمور الدين تعتبر تشريعا للمسلمين ، ولو تحدى المشركين بالهجرة مثل عمر لحسب الناس أن ذلك هو الواجب وأن من فعل غير ذلك فقد خالف .

وبذلك لا يأخذ المسلمون حذرهم عند الخطــر مع أن الله تعــالى يقول : (وخذوا حذركم) .

وبالنظر الى موقف النبى عليه الصلاة والسلام نجده قد أخذ بالأسباب التى يراها من عوامل نجاح الهجرة ، وكان اعتمــــاده أولا وأخيرا على الله سبحانه ، أخفى موعد الهجرة ، وترك عليا رضى الله عنه ينام مكانه ويتغطى ببرده ، وسلك الطريق الفرعية التى لا تخطر على بال الأعداء ، واختفى فى الغار ثلاثة أيام ليوضح للناس أن الايمان بالله عز وجل لا ينافى الأخذ بالأسباب المادية التى أرادها الله أن تكون أســبابا .. ولهذا بعد أن فرغ من اتخـــاذ الاحتياطات المناسبة عاد قلبه مرتبطا بالله عز وجل معتمدا على حمايته ونصره أولا وأخيرا .

فلم يجزع حين تحلق المشركون بالغار ، وقد جدوا فى طلبه حيا أو ميتا ، بل كان يطمئن أبا بكر قائلا : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر لا تحــزن ان الله معنــا .

فليست هجرته فى خفاء دليلا على خوفه من الناس ولكنها كانت تشريعا للمسلمين بأن الإيمان لا ينافى احترام الأسباب .

... ...

فى الميراث

الســــــؤال :

مات ثلاثة إخوة فى حادث سيارة فمن منهم يرث الآخر ، علمــا باننــا لا ندرى من منهم مات اولا ؟

الجـــــــواب :

الاخوة ضحايا السيارة .. مثل الغرقى والهدمى والمحروقين وعمال المناجم والتنقيب إذا ماتوا فى الحوادث المذكورة ولم يعلم من مات منهم أولا وكان بين بعضهم توارث ، فلا يرث أحدهم الآخر ، وانما يرث كلا منهم الأحياء من ورثته .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

ذو القــــرنين

كثرت الروايات حول رحلات ذى القرنين وأسفاره .
فما هي قصته ، فقد تضاربت حولها الاقوال ؟.
وهل هو الاسكندر المقدونى ؟
وما سبب تسميته بهذا الاسم ؟
صلاح الدين سيد احمد ـ القاهرة

. . . .

ذو القرنين نموذج صالح لمن مكنه الله فى الارض ، ولم يتجبر ، ولم يتكبر ، ولم يتخذ من الانتصار والفتوح وسيلة للسيطرة والارهاب والاستغلال والبطش بالناس ، وانما نشر العدل فى كل البلاد التى فتحها ، مخفضا جناحه فى عزة لكل من احتاج الى معونته ، وقد سخر فى ذلك القوة التى يسرها الله له .

ولقد تعددت الروايات حول رحلات ذى القرنين ، وأسفاره ، واصلاحاته ، وعدله ، وشخصيته .

والنص الوارد فى القرآن الكريم حوله يوحى بأن هناك سؤالا وجه للرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا . إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شيء سببا . فأتبع سببا) . ويمضى القرآن بعد ذلك فى سرد القصة ، فيجعلنا نعايش الأحداث التى مرت به ، ولكننا لا نستطيع أن نحدد الزمان أو المكان ، لأن القرآن لم يتطرق لذلك صراحة كما أنه لا يهمنا ، أن نسجل أحداثه بتوقيتها الزمنى ، بقدر ما نحرص على أخذ العبرة من قصته ، ولما كانت العبرة المرادة من القصة تتحقق دونما حاجــة الى زمان أو مكان اكتفينا بها .

والقرآن الكريم قد سرد القصة مؤكدا أن ذا القرنين مؤمن بالله ومعتقــد بالبعث .

والتاريخ حكى قصة الاسكندر المقدونى ، وقد كان وثنيا عبد بعض الآلهة فى البلاد التى فتحها كمصر مثلا وهو إغريقى .

وقد بلغ ذو القرنين قرنى الشمس (مشرقها ومغربها) ولذلك أطلق عليه ذو القرنين فى بعض ما قيل حول تسميته . وطاف أغلب البقاع .

ولقد هيأ الله له أسباب الملك والسلطان والحكم ، ومكن له فى الأرض بما هو من طبيعة البشر كالبناء والعمران والفتح ، حتى بلغ مغرب الشمس ، وهناك ضرب المثل على النزاهة والعدل ، وأفسح صدره للعامل الصالح ، وقدم له الجزاء الذى يستحقه ، وعاقب المخطىء المعتدى مقننا بهذا العمل ومصنفا الناس الى محسن وسىء ، ويحكى القرآن ذلك فيقول : (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا . قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا . وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا) .

ثم عاد الى مشرق الشمس متسما بأخلاقه ، منفذا منهجه من العدل والمساواة ، ودفع المظالم عن الناس ، مرسيا قواعد الحق ، كما فعل فى المغرب .

وفى الشرق وجد قوما وأرضا مكشوفة لا يحجبها عن الشمس شىء من مرتفعات ، بل تتسلط عليهم الشمس دون حائل (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) . حتى إذا غابت الشمس عادوا الى معايشهم بعد أن استتروا من لهيبها .

ويختتم القرآن رحلاته عندما يقول : (حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا . قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما . آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا آتونى أفرغ عليه قطرا . فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) .

والمفهوم من الآية انه وجد قوما أفزعهم الظلم ، واذلهم الجبروت ، وأفسد عليهم حياتهم قوم عتاة دأبوا على الإفساد والقهر والتشريد فيهم ، فلبى نداءهم بقوة الحق ، وسخاء المؤمن ، واقام لهم ما يحميهم من الظلم باشراكهم فى تحصين أنفسهم ، وتأمين حدودهم من أعدائهم ، باذلا كل الجهد .

وبذلك نجده ولم تلهه الدنيا ، ولم يبطره النصر تلو النصر شاكرا قائلا : « هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا » .

تلك عجالة قصيرة عن ذى القرنين شخصيته ورحلاته وانتصاراته وفتوحه ، استقيت معلوماتها من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لعلى أكون قد أوضحت مع الإيجاز الصورة الحقيقية لشخصية عظيمة أضفى عليها القرآن جلالا وهيبة مقرونة بالايمان .



قالت صحف العالم

اعداد : ف. ع

الثورية بين الهدف والوسيلة

هل الغاية تبرر الوسيلة ..؟ بمعنى اذا كانت الغاية مشروعة فهل يجوز أن يرتكب في سبيل الوصول اليها منكرات ومنكرات .. ؟ في منطق العقل لا يجوز هذا ، فلا بد أن تكون الوسيلة مشروعة كما أن الغاية كذلك ..

من هنا فالدعوة الاسلامية تسلك في طريقها كل السبل المشروعة : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ..

أما الدعوات الارضية مهما تعددت أشكالها فهى تلجا الى الظلم واضطهاد الناس وقهرهم فى سبيل تحقيق مآربها ..



وحول هذا الموضوع كتبت مجلة (الشهاب) اللبنانية تقول :

ان الفكر الاسلامى قد يسمى انقلابيا بمعنى : أنه يريد تغيير حياة الناس من جذورها العميقة ، اى يغير أصول التفكير والنظر الى الكون والحياة والانسان .

ولكنه وان كان انقلابيا فى طبيعته وماهيته بل وفى هدفه ، الا أن هذا لا يعنى الطفرة والعنف فى وسائله ، ان الثورية فى الهدف تعنى التغيير الجذرى العميق ، وأعمق الاعماق هى النفس الانسانية .

والاسلام يهدف الى النفس فيهديها سواء السبيل . واذا اهتدت انطلقت تفعل الأعاجيب .. والأعاجيب هنا تعنى كل المكرمات .

أما الثورية فى الوسائل فتعنى كل اعتساف وابتسار . واذا حدث الاعتساف والابتسار — مع أحسن النوايا وأطيبها — فلن ينتج غير الظلم والفساد والضلال البعيد .

نريد داعية سويا لا كادرا ثوريا ، وفرق بين هذا وذاك . هذا يمثله الانبياء جميعا ويمثله أصحاب الأخدود ، وذاك يمثله الشيوعى والنازى والفاشى . هذا يؤمن بالحق والخير ويثبت على الحق ويدعو الى الحق ، ويريد الاصلاح ما استطاع (الاصلاح الجذرى لا الترقيعى) حسبما تطيق نفوس الناس وحسب مشيئة الله وارادته .

وليس عليه بعد آمن الناس أم لم يؤمنوا : « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء » وذاك يؤمن بنظرية من صنعه أو صنع بشر غيره ويؤمن بارادة التغيير ارادة تضاهى عند المؤمنين ارادة الله . بل هو يظن أنه إله هذه الأرض ولا اله غيره ، فلا يقيم وزنا الا لارادته هو ، إما إرادات الآخرين فهى ساقطة من حسابه ، لأن فلسفة النظام تقوم على تسلطه على الآخرين وفرض ارادته عليهم . بخلاف المؤمن فهو يبذل وسعه وطاقته فى الدعوة والاقناع ليؤمن من يؤمن بارادته واختياره لا بالقهر والجبروت « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

نعمة الاسلام على المرأة

كثر الحديث هذه الأيام عن المرأة وحقوقها ، والأصوات ترتفع عاليا منادية بانصافها ، والرفعة من شانها .. واذا كانت المرأة مهينة فى الغرب ، ضائعة الحقوق .. فهى فى شرقنا العربى .. وفى ظل الديانة الاسلامية الخالدة .. موفورة الكرامة .. لها حقوقها كما أن عليها واجباتها ، هى والرجل سواء الا ما اقتضته طبيعة الرجل من حقوق خاصة به ، وما اقتضته طبيعة المرأة من حقوق وواجبات خاصة بها اقتضتها طبيعتها كانثى .

والاسلام رفع من شان المرأة .. وصان لها انسانيتها .. ورفع الظلم عنها ..



وتحت هذا العنوان كتبت مجلة (الارشاد) المغربية تقول :

جاء الاسلام فغير كل شىء ، وأول ما بدأ به مظالم المرأة فقضى عليها قضاء مبرما ، وعنى أشد العناية باشعار الرجل أن المرأة مخلوق مثله فى الانسانية ، ومكن لهذا الشعور التمكين كله فتجد فى التنزيل العزيز أمثال هذه الآيات :

« هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها » .
« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .

« والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة » .
« فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم ازواجا » .

ولأمر ما كرر الوحى الاشارة الى أن الرجل والمرأة خلقا من نفس واحدة ، فهو يريد استئصال امتهان راسخ فى نفوس بعضهم للنساء ، ثم عرف الاسلام لها حقوقها كاملة ، وأراحها من عنت الجاهلية وارهاقها بعد أن عانت منها ما عانت ، ثم بوأها المقام المحترم فى بيتها وفى المجتمع ، وأوصى بها ، واليك بعض التفاصيل :

كان وأد ، فجاء الاسلام بتحريمه فلم تكن موءودة منذ انتشار الاسلام حتى يومنا هذا .

وكان سبى ، فحرم الاسلام السبى منذ حرم الغزو .

وكان امتهان لانسانيتها ، فسوى الاسلام بين دم الرجل ودم المرأة كما سوى بينهما فى حد القذف .

وكان استئثار دونهن بالمهور ، فجعلها الاسلام حقا لهن خالصا — لا ينزعه الا ظالم .

وكان تعدد الزوجات غير محدود ولا مقيد فجاء الاسلام محددا له كما فعل بالرق .

وكان اكراه الفتيات على البغاء ليكسبن لأسيادهن مالا ، فجاء الاسلام معلنا : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء » .

وكان حرمان ميراث ، فقرر لهن الاسلام حقوقهن فيه : « للذكر مثل حظ الانثيين » .

وجعل هذه الحقوق فريضة من الله نافذة . وكان العضل (المنع) عن الزواج طمعا فى أن يفتدين أنفسهن بمال ، أو يمتن فيرثوهن ، فجاء الاسلام ناهيا عنه زاجرا : « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » .

وفى اساءة المعاشرة ، نزل الوحى بهذه الكلمة الطيبة الجامعة : « وعاشروهن بالمعروف » وكان الولد يرث زوجات أبيه فى جملة المتاع ، فجاء الاسلام رادعا أشد الردع عن هذا المنكر بقوله : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » وكان .. وكان .. مما أبطله الاسلام جملة واحدة .

ثم سن لها تشريعا مفصلا فى الارث والزواج والطلاق مبينا ما لها وما عليها ضمن هذا الاساس الحقوقى العادل « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » .



ولولا أن الكلمة لا تتسع لشرح أكثر لأتينا على جل ما فرض لهن من حقوق ، ولكن يكفى أن نقول : ان المرأة فى المجتمع الاسلامى وصلت الى ما تحسدها عليه متمدنة القرن العشرين .



بأقلام القراء

العبادة الحركية فى الاسلام والسكتة القلبيـــة

العبادة الحركية المنظمة فى الاسلام هى اجراء طبى هام ضد اصابـــات السكتة القلبية والموت المفاجىء :

عندما فوجىء العالم الحديث بنتائج الاحصائيات الطبية العالمية لاصابات السكتة القلبية والموت المفاجىء زادت هذه الابحاث العلمية سعة الاسلام العظيم شرفا ورفعة عندما أعلن البحث العلمى على النطاق العالمى مدى اثر التربيـــة الاسلامية فى حياة الانسان اليومية لوقاية الشـــعوب أمما وافرادا مـــن خطر الاصابات القاتلة للسكتة القلبية والموت المفاجىء . لقد أظهرت نتائج الابحاث العلمية أن هذه الاصابات لا تحدث بين أفراد المجتمع الاسلامى النبيل إلا بنسبة ضئيلة بخلاف المجتمعات الاخرى التى ارتفعت فيها هذه الاصابات . فازدادت نسبة الوفيات بين أفرادها . وعندما اكتشف العلم الحديث اثر المادة الشحمية الموجودة فى الدم على ظهور هذه الاصابات وبين كيفية ترسب هذه المواد فى شرايين القلب بسبب قلة الحركة لدى الانسان الحديث فى العصر الحاضـــر ، وصعوبة ترسب هذه المادة عند الانسان القديم الكثير الحركة والنشاط العضلـــى وقف الاسلام العظيم أمام هذا المشهد ليبين قانونه الطبى الالهى الرائع الذى يتمثل فى (العبادة الحركية) اليومية خمس مرات بصورة دائمة لتجدد للأجسام البشرية حيويتها وفعاليتها العضلية ، وتقيها من خطر الاصابات القاتلة التى تنجم عن داء السكتة القلبية الناجم عن قلة الحركة ، واصابة الاجهزة الجسمية بعارضـــة (الخمول العضوى) . هذا الى جانب ما يتمتع به الافراد فى المجتمع الاســـلامى السامى من تمارين الترويض الجسمانى اليومى ، الحاصلة من الجرى الـــى المسجد لحضور صلاة الجماعة والعودة منه ، اذ أعلـــن الاسلام حرصـــه الوثيق على فائدة الاجسام البشرية منتمرين المشى عندما شجع المسلم وأثار فى روحه الرغبة والشوق لحضور صلاة الجماعة التى جعل اجرها بسبعة وعشرين صلاة من الصلوات الانفرادية الى جانب ما وعد به الفرد المسلم بتسجيل عشر حسنات على كل خطوة يخطوها الى صلاة الجماعة والبهجة والانشراح النفسى الذى يحتاجه الجسم عندما يضرب بقدميه الارض بقوة ونشاط كما أقر العلم الحديث أن الجسم البشرى يستفيد من التمارين الرياضية عندما يكون الفرد منشرحـــا مسرورا أثناء ممارسة الحركة الرياضية .

ان سبب حصول السكتة القلبية بسهولة عند الكسالى والخاملين وقليلى الحركة والنشاط العضلى يعود الى ضعف الدورة الدموية وترسب المواد الشحمية

الموجودة فى الدم فى انسجة جدران الشرايين التاجية القلبية . وقد ادرك الاسلام العظيم خطورة الأمر فوضع قوانين صحية واجراءات وقائية رائعة لادامة نشاط الدورة الدموية الى جانب العبادات الحركية الاسلامية ، فأمر بالوضوء والاغتسال ، الأمر الهام فى جعل الجسم يجدد نشاطه والقلب يضاعف قابلياته الحيوية ، والدورة الدموية تزيد فعاليتها وقوتها بصورة دائمة مستمرة فيشعر الفرد بالدفء والانشراح بسبب ذلك .

« يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا » .

وهكذا تلعب الدورة الدموية والنشاط الجسمانى دورا خطيرا فى احداث الوقاية من الاصابات القاتلة للسكتة القلبية والموت المفاجىء واعطاء الجسم درعا حصينا يحتمى به من شر هذه الاصابات المخيفة . والى جانب العامل المؤثر فى اظهار اصابات السكتة القلبية والموت المفاجىء وهو (الخمول العضوى) وضعف الدورة الدموية فهناك العامل الآخر الذى هو عامل (التغيرات النفسية) الذى اثبتت التجارب والدراسات الطبية الحديثة ان له اثرا فعالا فى احداث هذه الاصابات المرضية الخطيرة . لاحظ الباحثون عند دراسات الحالات المرضية المتكررة كل لحظة ان الاصابات بالسكتة القلبية والموت المفاجىء فى شتى بقاع العالم فى العصر الحديث ، ان هذه الاصابات تكثر حوادثها بين رجال السياسة والخطباء المتحمسين والوطنيين والثائرين ورجال المغامرات ومحترفى المهن المرهبة كالجراحين والطيارين واللصوص ورجال الاعمال السرية والعصابات وجميع الاشخاص الذين ترغمهم اعمالهم اليومية على أن يعيشوا على اعصابهم طوال ساعات العمل .

الدكتور ابراهيم الراوى ـ بغداد

طريق الخلاص

تمر البشرية اليوم فى أسوا عصور الانحلال والظلام . وتعانى من الانحلال الخلقى العقيدى وذلك من آثار المادية الطاغية التى جعلت من هؤلاء النـاس وحوشا ضارية وبشرا ممسوخا لا يعرف الانسانية .

وارتكست هذه الجاهلية الجديدة ـ والقديمة فى آن واحد ـ بعد أن ضلت طريق الخلاص . أرادت أن تجعل من المادة كل شىء ونسيت تكريم الله لهـذا الانسان الذى استخلفه الله فى هذه الارض لبناء المجتمع السعيد .

وان مما لاشك فيه أن هناك ظاهرتان هما النور والظلام . ولو طبقنا ذلك فى عالم المبادىء لقلنا : إن الاسلام هو طريق النور أو طريق الانسانية ، وما عداه من المبادىء فطريق الظلمات الجاهلية .

وستبقى هذه الظلمات هى المسيطرة مادام هذا النور محجوبا عن الجماهير ولكن سرعان ما يتبدد هذا الظلام لاول وهلة من اشعال أول عود ثقاب لتبـدأ مرحلة النور .

ولكن من يشعل عود الثقاب (لينقذ الانسانية من هذه الجاهلية المادية وهذه الظلمات ليأخذ بيدها نحو النور والسلام) .

ولكن ما هو زادكم ؟ .. انه واضح وهو رجوعكم الى الاسلام الحقيقى وليس الذى أحاطت به هالات البـــدع والخرافات التى أرســتها قرون التخلف والانحطاط .. والتى شوهت جماله وأصبح طقوسا لا علاقة لها بالحياة ..

نعم هو الرجوع الى الكتاب والسنة ، وهذا ما أوضحه الرسول صلى الله عليه وسلم على لسان القرآن الكريم (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) أو كما أخبر به حينما قال صلى الله عليه وسلم (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعــدى . كتــاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) .

نعم إن استمساكنا بهذين النبعين احياء لاسلامنا ، ونظافة لأخلاقنا ونقــاء لمجتمعنا من كل شائبة ، هذا هو نظام الحياة . فمتى انفصل هذا الدين عن الحياة أصبح دينا غير دين الاسلام . وهذا ما نعانيه من فصل الدين عن الحياة فــى واقعنا الذى نعيشه بكل مرارة وأسى .

أيها الشباب المسلم : ان اعداءكم يخططون لنشر مبادئهم التى ليست هى بشىء سوى أفكار ضحلة وسطحية لا تعدو أن تكون خيوطا واهية تتبدد لو قورنت بنظامنا الاسلامى .

فهل أنتم عاملون ؟ .. والى متى ننتظر ؟ .. والى أين ؟؟ فكروا الى متــى هذا ؟؟ .. أما انتهى عهد الرقاد ؟؟

نحن بحاجة الى شباب متفوق فى العلوم التكنلوجية .. نحن بحاجة الــى الشباب المسلم القوى الذى يتصدر الحلقات الدراسية العلمية العالمية ، لا أن يكون عالة على غيره .. لأن الاسلام لا يعرف الكسل والعجز .

ان أمة تعرف كيف تموت الموتة الشريفة يهب الله لها الحياة الكريمة .

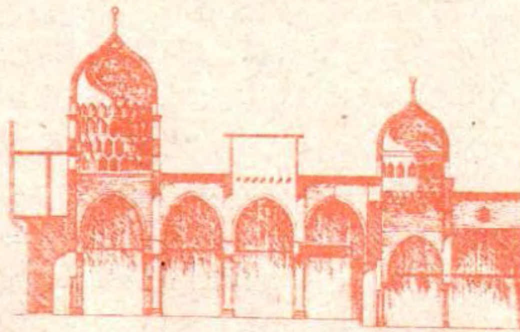
فلنختر اذن أى لون من الحلول المعروضة علينا .

طريق الذوبان فى المبادىء المادية الجاهلية التى أكلت الاخضر واليابس .

طريق الابادة فيما لو ســيطرت هذه الماديــة علينا كما حدث فى الــدول الشيوعية .

طريق الدعوة لبناء المجتمع الاسلامى .

لا شك أن الطريق الثالث هو الطريق الصحيح الذى يليق بنا كدعاة فكرة ونظام لا لانعرف الذل أو التراجع (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فــــى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) .



أخبار العالم الإسلامي

اعداد الإستاذ : فهمى الامام

الكويت : افتتح حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم دور الانعقاد العادى الخامس المكمل للفصل التشريعى الثالث لمجلس الامة .

ويرى سموه لدى وصوله مبنى المجلس حيث كان فى استقباله سعادة رئيس مجلس الأمة وأعضاء لجنة الاستقبال .

● استقبل سمو أمير البلاد المعظم رئيس وزراء بنغلادش الشيخ مجيب الرحمن والوفد المرافق له خلال زيارتهم للبلاد ، وقد تم البحث بين المسئولين — فى البلدين — فى العلاقات القائمة ووسائل تدعيمها .

● سيزور سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء المملكة العربية السعودية خلال هذا الشهر لاجراء محادثات مع كبار المسئولين السعوديين حول العلاقات بين البلدين والاوضاع الراهنة فى المنطقة .

● القى معالى الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة خطاب الكويت أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة أثناء مناقشة القضية الفلسطينية ، وقد عرض معاليه المشكلة من جذورها وأبان عن موقف الكويت وتبنيها لمطالب الشعب الفلسطينى وحقه فى العودة الى دياره . واستعادة كافة حقوقه المسلوبة .



● اتاحت وزارة الدفاع الفرصة لأسر الشهداء الكويتيين الابطال الذين استشهدوا فى معارك رمضان لأداء فريضة الحج هذا العام على نفقة الوزارة .

● تجتمع بالكويت لجنة مؤلفة من كبار أساتذة التاريخ فى الجامعات العربية وذلك بهدف كتابة تاريخ العرب والاسلام كتابة علمية أمينة .. تحافظ على تراثنا الاسلامى الخالد .. وتصونه من كل دخيل .. وتنفى عنه كل شائبة .

السعودية : حذر جلالة الملك فيصل فى رسالة أرسلها للرئيس الامريكى من أن العرب سيلجأون الى سلاح النفط من جديد اذا لم يتم التوصل الى حل مرض لمشكلة فلسطين .

● حضر وفد رابطة العالم الاسلامى حفل وضع حجر الاساس لمشروع الكلية الاسلامية فى سرايفو بيوغسلافيا .

ومما يذكر أن السعودية قد تبرعت لمشروع الكلية بمبلغ ٢٥ الف دولار .

● افاد الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى بأنه قد تم اسلام حوالى مائة شخص فى غانا ، وأن الاقبال على اعتناق الدين الاسلامى يزداد باستمرار .

● كما صرح الامين العام للرابطة بأن حوالى مائة الف شخص تركوا القاديانية فى الهند بعد أن تبين لهم زيفها وضلالها ، وأعلنوا تمسكهم بالدين الاسلامى الحنيف .

القاهرة : اصدر نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف قرارا بتشكيل بعثة الوزارة للحج وستتولى البعثة الاشراف على راحة الحجاج واقامة الشعائر الدينية لهم .

● بحث وزير شئون الأزهر مع وزيرى التربية والتعليم وشئون الموظفين بنيجريا امكانيات ايفاد عدد من المدرسين والمدرسات من ابناء الأزهر لتدريس اللغة العربية والعلوم الاسلامية فى مدارس نيجيريا .

● تلقى رئيس الوزراء مصحفا من الجالية العربية فى لوس انجيلوس هدية . والمصحف مكتوب بخط اليد منذ ١٣٠٠ سنة .

● تألفت بعثة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية لاختيار وتصوير المخطوطات العربية الموجودة فى مكتبات ايران الزاخرة بنوادر المخطوطات .

الجزائر : احتفلت الجزائر فى الفاتح من نوفمبر بالذكرى العشرين لاندلاع ثورتها .

وقد حضر الاحتفال عدد من رؤساء الدول العربية وزعماء العالم .

فلسطين : ناقشت الجمعية العامة للأمم المتحدة مشكلة فلسطين . وقد مثل الشعب الفلسطينى منظمة التحرير الفلسطينية . فعرض رئيسها السيد ياسر عرفات القضية الفلسطينية عرضا وافيا .

● اشتدت المقاومة الفلسطينية للاحتلال الاسرائيلى عنفا وضراوة ، فقد نشط العمل الفدائى داخل الارض المحتلة مسببا الذعر والهلع لليهود ، وخرج المسلمون عقب صلاة الجمعة فى تظاهرة ضخمة منددين بالاحتلال ، مؤيدين لمنظمة التحرير ، رافعين الأعلام الفلسطينية .

أخبار متفرقة

تركيا : قال نائب رئيس وزراء تركيا : ان أقوى سلاح ضد الشيوعية الملحدة هو الايمان بالله ، ونحن نريد أن نسلح شبابنا بالايمان، وآداب الاسلام والتمسك بالعقيدة .

● صرح مصدر مسئول بأن عدد الحجاج الأتراك لهذا العام يتراوح بين ٧٢ و ٨٠ ألف حاج ، وقد اتخذت الحكومة الاجراءات اللازمة من أجل سلامتهم وراحتهم .

نيجيريا : قرر مسلمو نيجيريا تشكيل هيئة مركزية لهم فى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، وقد أصدر المجلس بيانا أعلن فيه : أنه سيكون الناطق باسم جميع المنظمات الاسلامية فى البلاد .

الهند : افتتح مؤخرا فى دلهى أول مؤتمر للمنظمات الاسلامية لبحث شئون المسلمين وقضاياهم على ضوء الواقع الذى يعيشه المسلمون فى العالم ، وقد حضر المؤتمر مندوبون عن الكويت والسعودية ومصر ولبنان وبلجيكا والبرازيل وغيرها ..

المانيا : أعلن المركز الاسلامى بالمانيا الغربية أن خمسة من الألمان اعتنقوا الدين الاسلامى الحنيف .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

الأيام الاسبوع	ذو الحجة ١٣٩٤	ديسمبر ١٩٧٤	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)						المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاحد	١	١٥	١ ٥	٣٤ ٦	٤٣ ١١	٣٢ ٢	٥٠ ٤	١٤ ٦	١١ ١٢	٤٥ ١	٥٣ ٦	٤٢ ٩	٢٤ ١
الاثنين	٢	١٦	٢	٣٥	٤٣	٣٢	٥٠	١٤	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الثلاثاء	٣	١٧	٢	٣٦	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الاربعاء	٤	١٨	٣	٣٧	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الخميس	٥	١٩	٤	٣٧	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الجمعة	٦	٢٠	٤	٣٨	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
السبت	٧	٢١	٥	٣٨	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاحد	٨	٢٢	٥	٣٩	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاثنين	٩	٢٣	٦	٣٩	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الثلاثاء	١٠	٢٤	٦	٤٠	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاربعاء	١١	٢٥	٧	٤٠	٤٨	٣٧	٥٥	١٩	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الخميس	١٢	٢٦	٧	٤١	٤٨	٣٧	٥٥	١٩	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الجمعة	١٣	٢٧	٧	٤١	٤٩	٣٨	٥٦	٢٠	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
السبت	١٤	٢٨	٨	٤١	٤٩	٣٨	٥٦	٢٠	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الاحد	١٥	٢٩	٨	٤١	٥٠	٣٩	٥٧	٢١	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الاثنين	١٦	٣٠	٨	٤٢	٥٠	٤٠	٥٨	٢١	١١	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الثلاثاء	١٧	٣١	٩	٤٢	٥٠	٤٠	٥٨	٢١	١٠	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الاربعاء	١٨	يناير	٩	٤٢	٥١	٤١	٥٩	٢٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الخميس	١٩	٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٠٠ ٥	٢٣	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الجمعة	٢٠	٣	٩	٤٢	٥٢	٤٢	٠٠	٢٣	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
السبت	٢١	٤	١٠	٤٣	٥٢	٤٣	١	٢٤	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الاحد	٢٢	٥	١٠	٤٣	٥٣	٤٤	٢	٢٥	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الاثنين	٢٣	٦	١٠	٤٣	٥٣	٤٤	٢	٢٥	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الثلاثاء	٢٤	٧	١٠	٤٣	٥٣	٤٤	٣	٢٦	٧	٤٠	٥٠	٤١	٢٣
الاربعاء	٢٥	٨	١٠	٤٣	٥٤	٤٥	٤	٢٧	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣
الخميس	٢٦	٩	١١	٤٣	٥٤	٤٦	٥	٢٨	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الجمعة	٢٧	١٠	١١	٤٣	٥٥	٤٧	٦	٢٨	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
السبت	٢٨	١١	١١	٤٣	٥٥	٤٧	٦	٢٩	٤	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
احد	٢٩	١٢	١١	٤٣	٥٥	٤٨	٧	٢٩	٣	٣٦	٤٨	٤١	٢٢
اثنين	٣٠	١٣	١١	٤٣	٥٦	٤٩	٨	٣٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٢

السيدة مارية

اسمها : مارية بنت شمعون .

اسلامها : أهداها المقوقس صاحب الاسكندرية ومصر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أختها سيرين سنة سبع من الهجرة .. وجاء بهما الى رسول الله حاطب بن أبى بلتعة .. وفى الطريق عرض عليهما حاطب الاسلام ورغبهما فيه فأسلمتا .

زواجها : أنزلها النبى بالعالية ، وكان يأتى إليها .. وتزوجها بملك اليمين .. وضرب عليها الحجاب . أما أختها سيرين فقد أهداها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت .. وهى أم عبد الرحمن بن حسان .

ولادتها : كانت مارية أم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابراهيم) .. ولدته فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة .. وعاش ابراهيم ثمانية عشر شهراً بعدها انتقل الى جوار ربه وقال رسول الله فى وفاته : (تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب ، وإنا بك يا ابراهيم لمحزونون) .

وفاتها : امتد بها الاجل حتى خلافة عمر .. فبعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفق عليها أبو بكر رضى الله عنه حتى مات .. ثم عمر رضى الله عنه حتى توفيت فى خلافته .. وكانت وفاتها فى المحرم سنة ست عشرة وصلى عليها عمر ، ودفنت بالبقيع .. رضى الله عنها وأرضاها .

فهرس مجلة المجلة

في عامها العاشر

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

يشتمل على الموضوعات والكتاب

كلمات وأحاديث

الموضـــــوع	الكاتب	العدد/الصفحة
رسول الانسانية	معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية	٤/١١٢
الصيام والقرآن	الشيخ رضوان رجب البيلى	٤/١١٧
قضيتنا قضية الحق	معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية	٤/١١٦

ســـنة

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
السنـــة	الأستاذ محمد رجاء حنفى عبدالمتجلى	١٠/١١٥
نظرات فى الحديث (٣)	د. محمد محمد عبد الرءوف	٨/١١٠
» » » (٤)	» » » »	١٥/١١٢
» » » (٥)	» » » »	٧٢/١١٧
» » » (٦)	» » » »	٦٠/١١٨
» » » (٧)	» » » »	٦٧/١١٩
» » » (٨)	» » » »	٢٤/١٢٠

أدب

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
اشواق الشعراء والأدباء الى عرفات	الأستاذ محمد عبد الغنى حسن	١٨/١١٩
بيان عن مشروع العربية	مجمع البحوث الاسلامية	٧٨/١١٥

دراسات قرآنية

طبّ وعلوم

عقيدة وفلسفة

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
الله	الشيخ محمد الغزالى	٤/١١٠
الايمان بالقدر قوة	الدكتور أحمد الحوفى	٢٦/١١٥
بين العقل والوحى	الدكتور عبد العال سالم مكرم	٢٠/١١٠
التيارات الالحادية	الدكتور وهبه الزحيلى	٢٩/١١٠
عصمة النبى	» » »	٢٢/١١١
عقائد الاسلام وأسباب التخلف	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٢٢/١١٢
عوامل نشأة الفلسفة	الدكتور محمد عاطف العراقى	٥٤/١١٦
الغيبيون حقا هم الجاحدون	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٢٤/١١٣
الفكر الاسلامى والانسان والمعركة	الأستاذ فاروق منصور	٦٦/١١٦
فكرة الحق	الأستاذ سعيد زايد	٥٦/١١٣
المخيلة عند الفارابى	» » »	٨٢/١١٩

فقه وتشريع واقتصاد

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
الاجتهاد	الأستاذ محمد رجاء حنفى عبد المتجلى	٤٠/١١٨
الاحتكار وتسعير السلع (١)	الدكتور محمد سلام مدكور	٣٦/١١٥
» » » (٢)	» » » »	٣٣/١١٦
الاسلام والشرائع السابقة	الدكتور محمد محمد الشرقاوى	٣٥/١١٨
الاسلام ومعاملة الأسرى	الدكتور أحمد الشرباصى	٥٢/١١١
الافتاء والقضاء	الدكتور سليمان دنيا	٦١/١١٣
الاقتصاد الاسلامى	الدكتور محمد شوقى الفنجرى	٣٥/١١٢
بناء الاقتصاد الاسلامى	الأستاذ زيدان أبو المكارم	٨٠/١٢٠
بين الشريعة والقانون	الأستاذ على عبد الله طنطاوى	١٨/١١٦
التأمين التجارى	الدكتور عبد الناصر توفيق العطار	٤٤/١١٧
تصور جديد لربا الفضل	الدكتور أحمد صفى الدين عوض	٥٧/١١١
تعاطى المخدرات والادمان عليها	الدكتور أحمد على المجدوب	٦٢/١١٠
حكم الاسرى والرق فى الاسلام	الأستاذ محمد عزة دروزة	٥٢/١١٠
حكم الاسلام فى الاسترقاق	الدكتور محمد الحجى الكردى	٧٨/١١٩
الحكم الاقتضائى	الدكتور محمد سلام مدكور	٥٣/١١٩
الحكم الشرعى	» » » »	٤٨/١١٨
الحكم الوضعى	» » » »	٤٢/١٢٠
حول ولاية الرجل على نفسه	الأستاذ محمد عزة دروزة	٥١/١١٧

كتـــاب الشــــهر

مناسبات اسلامية

تربية واجتمـــاع

قصائـــــد

موضوعات عامة

تاريـــخ وحضارة

الفتـــاوى

باقــلام القــراء

بريد الوعي

اعداد الأستاذ : عبد الحميد رياض

الموضـــــوع	العدد/الصفحة
تفسير آيات من سورة النساء	١٠٥/١١٥
تفسير آية (وان منكم الا واردها)	١٠٧/١١٤
التوبة بلا بسملة .. لماذا ؟	١٠٥/١١٧
حول مسرحية خولة بنت الأزور	١٠١/١١٩
خسائر اسرائيل فى حرب رمضان	١٠٦/١١٣
الدين والدولـــة	١٠٦/١١١
ذو القرنين	١٠٣/١٢٠
السنة النبوية محفوظة	١٢٠/١٠٩
صورة غلاف العدد (١١٥)	١٠٥/١١٧
طاعة اولى الامـــر	١٠٥/١١١
الطواف حول الكعبة والوقوف بعرفة	١٠٦/١١٨
عمليـــة الخالصـــة	١٠٦/١١٣
الفيلم الممنـــوع	١٠٥/١١٣
القاديانيـــة	١٠٦/١١٦
قوله عليه الصلاة والسلام (شهرا عيد)	١٠٢/١١٢
المسلمون فى جمهورية ليبيريا	١٠٣/١١٩
نظرية داروين	١٠٧/١١٤

قالت صـــحف العـــــالم

الموضـــــوع	المصـــدر	العدد/الصفحة
الايحاء الدينى	مجلة التضامن الاسلامى	١٠٩/١١٨
الايمان طريقنا الى النصر	صحيفة الرائد الهندية	١٠٦/١١٠
البيئة الثقافية	مجلـــة الرائـــد	١٠٥/١١٩
بين التجربة والتخطيط	مجلة دعوة الحق المغربية	١٠٧/١١٦
ترجمة محرفة للقرآن	مجلة رابطة العالم الاسلامى السعودية	١١٠/١١٧
تعديل مناهج كلية الحقوق	مجلة الاعتصام القاهرية	١٢٣/١٠٩
الثورية بين الهدف والوسيلة	الشهاب اللبنانية	١١١/١٢٠
الحرب النفسية	صحيفة الدعوة السعودية	١٠٨/١١٣
ديننـــا	صحيفة النور المغربيـــة	١١٠/١١٨
ذكرى الحريق	مجلة اللواء الاردنية	١٠٩/١١٧

الموضوع	المصدر	العدد/الصفحة
رسالة الأزهر	صحيفة أخبار العالم الاسلامى السعودية	١٠٧/١١١
الطريق الى حياة العزة	» » » » »	١٠٩/١١٢
فى سبيل الاصلاح	صحيفة الدعوة السعودية	١٠٧/١١٠
فى محيط الأسرة	مجلة رابطة العالم الاسلامى السعودية	١٠٨/١١٦
كرسى للقرآن	مجلة الشبان المسلمين القاهرية	١٠٧/١١٣
مسئولية الكتاب والمثقفين	صحيفة أخبار العالم الاسلامى السعودية	١١٠/١١٢
مسئولية مصر	صحيفة الرائد الهندية	١١٠/١١٨
المسلمون فى الولايات المتحدة	مجلة الجامعة الاسلامية السعودية	١٠٧/١١٥
المواجهة الدائمة	مجلة النور المغربية	١٠٧/١١٣
المؤسسة الاسلامية المالية	مجلة الشبان المسلمين القاهرية	١٠٨/١١١
نعمة الاسلام على المرأة	مجلة الارشاد المغربية	١١٢/١٢٠
هذا المصحف مزور	جريدة الاهرام القاهرية	١٢٢/١٠٩
وليس هو الا الدين	مجلة الرائد	١٠٤/١١٤

الأغلفة

صورة الغلاف	العدد/الصفحة
طريق الهجرة (خارطة)	١/١٠٩
لا تحزن ان الله معنا (آية)	٢/١٠٩
جامع القيروان بتونس (صورة)	١/١١٠
يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا (آية)	٢/١١٠
مسجد شاه جيهان بباكستان (صورة)	١/١١١
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (آية)	٢/١١١
الجامع الكبير بالجزائر (صورة)	١/١١٢
لا حول ولا قوة الا بالله (آية)	٢/١١٢
المسجد الجامع بدلهى (صورة)	١/١١٣
آية الكرسى (لوحة)	٢/١١٣
مسجد الروضة بدمشق (صورة)	١/١١٤
كل من عليها فان (آية)	٢/١١٤
الحرم الابراهيمى من الداخل (صورة)	١/١١٥
دار القرآن الكريم (اعلان)	٢/١١٥

صورة الغلاف	العدد/الصفحة
وقال ربكم ادعونى استجب لكم (آية)	١/١١٦
قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم (آية)	٢/١١٦
شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن (آية)	١/١١٧
ان الدين عند الله الاسلام (آية)	٢/١١٧
منارة الرباط بتونس (صورة)	١/١١٨
ولله على الناس حج البيت (آية)	٢/١١٨
يوم الحج الاكبر (لوحة)	١/١١٩
الحج أشهر معلومات (آية)	٢/١١٩
الكعبة المشرفة (صورة)	١/١٢٠
الحج أشهر معلومات (آية)	٢/١٢٠

مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ عبد الستار محمد فيض

اسم الكتاب	مؤلفه	العدد/الصفحة
الحرية السياسية	الدكتور احمد شوقى الفنجرى	١٠٤/١١٩
حكم الاسلام فى القضاء الشعبى	الدكتور فؤاد عبد المنعم	٦٦/١١٩
حياة يوسف	الاستاذ محمود شلبى	١١٥/١٠٩
عالم الاسلام	الدكتور حسين مؤنس	٩٨/١١٢
كيف ندعو الناس	الأستاذ عبد البديع صقر	٥٥/١١٣
لمحات فى الثقافة الاسلامية	الاستاذ عمر عوده الخطيب	١٠١/١١١
فى رحاب الايمان	الاستاذ محمد عبد العزيز عبد الدايم	٥٤/١٢٠
مسند الامام أحمد بن حنبل	الاستاذ أحمد عبد الرحمن البنا	١١٥/١٠٩
مناهج الاجتهاد فى الاسلام	الدكتور محمد سلام مدكور	٥٥/١١٣
من الخالق الله أم الصدفة ؟	الاستاذ رشدى مدبولى حسن	٦٦/١١٩

مائدة القارئ

اعداد : الأستاذ فهمى امام

العدد/الصفحة	العدد/الصفحة	العدد/الصفحة
١٠٦/١٠٩	٤٦/١١٣	٧٠/١١٧
٦٠/١١٠	٨٤/١١٤	٧٢/١١٨
٣٨/١١١	٧٦/١١٥	٦٠/١١٩
٧٠/١١٢	٨٦/١١٦	٧٠/١٢٠

قصص

عنوان القصة	الكاتب	العدد/الصفحة
التاج والخطيئة	الدكتور نجيب الكيلانى	٤٦/١١٦
حدث فى المدينة	الأستاذ محمد لبيب البوهى	٨٦/١١٧
حمزة السقا	الأستاذ على حسن الشكرجى	٩٤/١١٢
خولة بنت الأزور (١)	الدكتور احمد شوقى الفنجرى	٩٢/١١٣
» » » (٢)	» » » »	٨١/١١٥
الركب المبارك	الأستاذ محمد المجذوب	١٠٨/١٠٩
صانع المعجزات	الأستاذ محمد ابراهيم	٩٢/١١٠
عقبتان فى الطريق	الأستاذ محمد رشدى عبيد	٩٢/١١٩
العود المحمود	» » » »	٨٤/١١١
لمن تدق الأجراس ؟	الأستاذ محمد لبيب البوهى	٦٢/١١٤
مجالس الذكر	اللواء محمود شيت خطاب	٥٩/١١٧
نور القرآن	الأستاذ محمد الخضرى عبد الحميد	٩٤/١٢٠
وليمة أصفهانية	» » » »	٩٦/١١٨

الأعـــــلام

الكتّاب

الكاتب	الموضوع	العدد/الصفحة
ابراهيم الراوى	العبادة الحركية والسكنة القلبية	١٠٥/١٢٠
إبراهيم فؤاد احمد على	نحو اقتصاد اسلامى (١)	٤٩/١٠٩
» » »	» » » (٢)	٩٩/١١٤
» » »	» » » (٣)	٣٦/١١٩
إحسان صدقى العمد	عالم الاسلام (كتاب الشهر)	٩٢/١١١
» » »	البدر العينى	٨٨/١١٢
» » »	المفاوضات بين المسلمين والروم	٨٦/١١٤
احمد البسيونى	الناس والقرآن	٤/١١٩
» »	الاسلام والعلاقات الاجتماعية	٤/١٢٠
احمد التاجى	وأما بنعمة ربك فحدث	٤٠/١١٧
احمد الحجى الكردى	اسباب الهجرة النبوية ونتائجها	٢٩/١٠٩
» » »	الزى الاسلامى	٧٨/١١١
» » »	مركز المرأة	٩٩/١١٥
» » »	مظاهر الوحدة وضماناتها	٨٢/١١٦
» » »	حكم الاسلام فى الاسترقاق	٧٨/١١٩
احمد العوفى	الإيمان بالقدر قوة	٢٦/١١٥
» »	وشاورهم فى الأمر	٦٧/١١٨
» »	احكام قرآنية	٢٨/١٢٠
احمد الشرباصى	الإسلام ومعاملة الأسرى	٥٢/١١١
» »	بين القوة والضعف	٨٠/١١٨
» »	لله المشرق والمغرب	٨٧/١١٩
احمد شوقى الفنجرى	خولة بنت الأزور (١) مسرحية	٩٢/١١٣
» » »	» » » (٢) »	٨١/١١٥
» » »	رد حول مسرحية خولة بنت الأزور	١٠١/١١٩
احمد صفى الدين عوض	تصور جديد لربا الفضل	٥٧/١١١
احمد عبد المحسن المنشاوى	الحج والعمرة	٥٤/١١٨
احمد على المجدوب	تعاطى المخدرات والادمان عليها	٦٢/١١٠
» » »	العقوبات السالبة للحرية	٧٤/١١٣
» » »	دور الدين فى الوقاية من الجريمة	٦٣/١١٧
» » »	عقوبة مراقبة الشرطة	٤٨/١١٩
احمد عمر هاشم	الإسلام دعوة كل الرسل	٣٢/١١٥
أحمد العنانى	الاعلام العربى	٧٤/١١٨
أحمد محمد جمال	يا بنى	٥٣/١٠٩
» » »	كلهم يبكى فمن سرق المصحف	٢٠/١١٥
» » »	افتعال المشكلات	١٢/١١٩

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عنـــــدنا ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ـــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ـــ ص.ب : (٢٨٠) .

المغـــرب : الدار البيضاء ـــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ـــ ١٧ شـــارع فرنســـا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ـــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام ـــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ـــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد